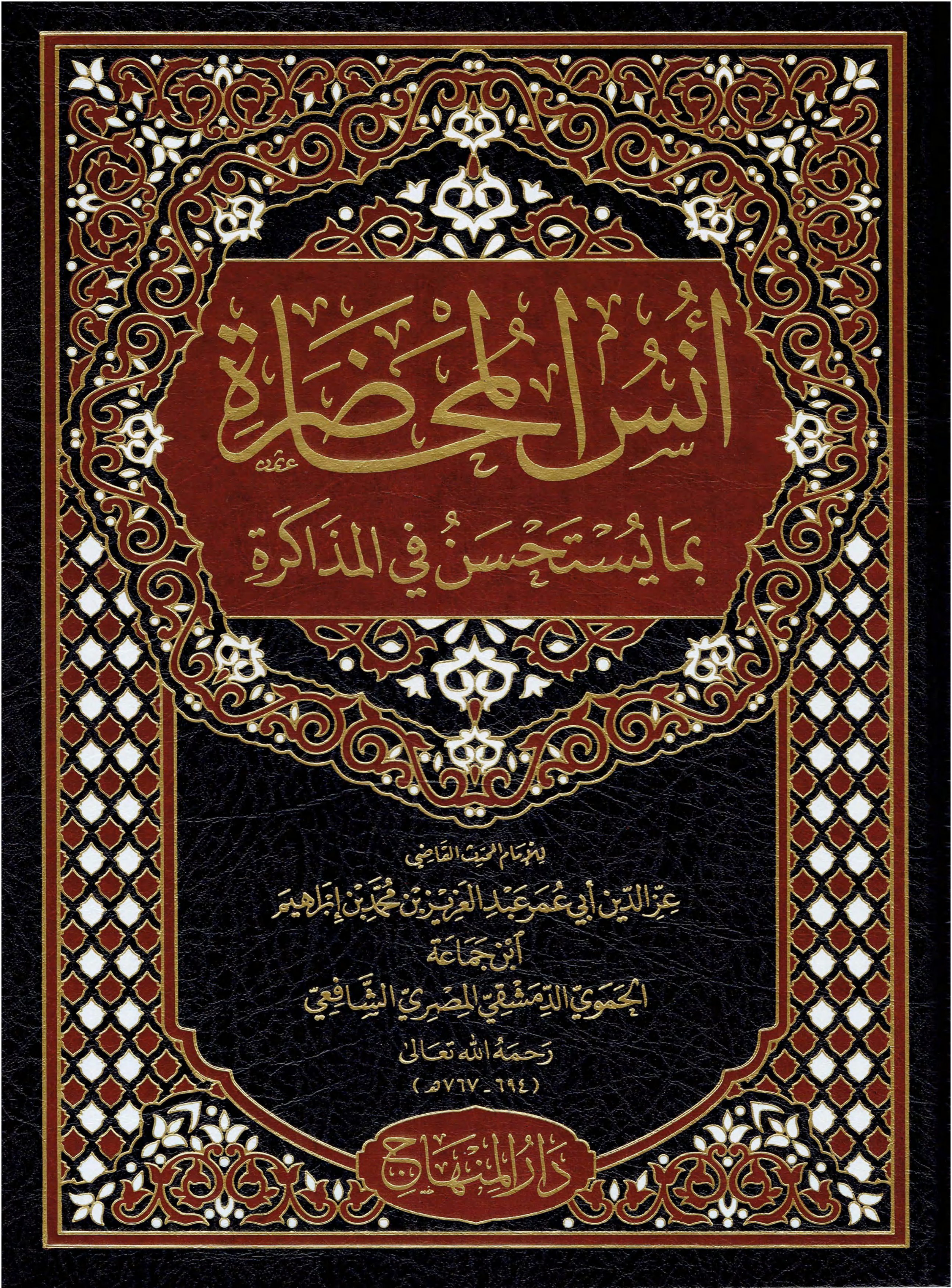
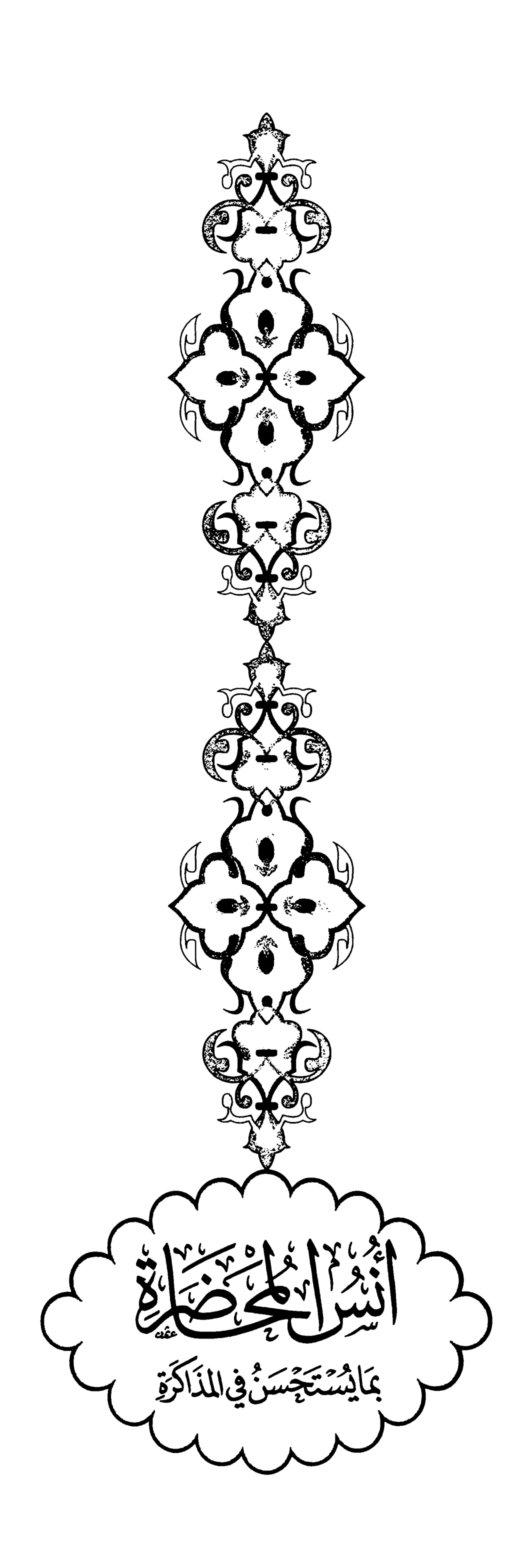

أُنسُ المحاضرة
بما يُستحسن في المذاكرة
للإمام المحدث القاضي
عز الدين أبي عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم
ابن جماعة
الحموي الدمشقي المصري الشافعي
رحمه الله تعالى
(٦٩٤ - ٧٦٧هـ)
دار المنهاج


أُنسُ المحاضرة
بما يُستحسن في المذاكرة


بسم الله الرحمن الرحيم

أُنسُ المُحاضَرة

بما يُستحسن في المذاكرة

للإمام المحدث القاضي

عز الدين أبي عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم

ابن جماعة

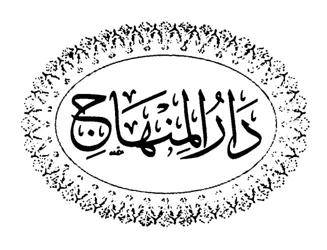
الحموي الدمشقي المصري الشافعي

رحمه الله تعالى

(٦٩٤ - ٧٦٧هـ)

تشرفت بخدمته والعناية به

اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي



الإصدار الأول ـ الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

اسم الكتاب : أُنس المحاضرة بما يستحسن في المذاكرة

المؤلف : الإمام عز الدين أبي عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة (ت ٧٦٧ هـ)

موضوع الكتاب : أدب

قياس الكتاب : (٢٥ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٨١٠)

عدد المجلدات : (١)

عدد الصفحات : (٨٤٨ صفحة)

نوع الورق : شاموا فاخر

نوع التجليد : مجلَّد فني

عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني



الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 62 - 043 - 5



دار المنهاج

لبنان ـ بيروت

هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفقه الله تعالى



المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 00966 12 6326666

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو اتحاد الناشرين العرب

عضو جمعية الناشرين السعوديين

عضو نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6510421 . 6570628

جدة

مكتبة الشنقيطي

هاتف 0504395716 . 0126893638

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5273037 . 5570506

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 . فاكس 8383226

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 . فاكس 4656363

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 . فاكس 2011913

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 . فاكس 4937130

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8344946 . فاكس 8432794

الطائف

مكتبة أم هاني

هاتف 7320809

صبيا

روائع ودرر

هاتف 0534361354 ـ جوال 0502444752

الموزّعون المعتمدون خارج المملكة العربيّة السّعوديّة

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة ـ حضرموت

هاتف 417130 ـ فاكس 418130

جمهورية مصر العربية

دار السلام ـ القاهرة

هاتف 22741578 ـ فاكس 22741750

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس ـ عمّان

هاتف 4653390 ـ فاكس 4653380

الجمهورية العربية السورية

دار السنابل ـ دمشق

هاتف 0988156620 ـ فاكس 2237960

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع ـ أبو ظبي

هاتف 5593007 ـ فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري ـ دبي

هاتف 2977766 ـ فاكس 2975556

دولة الكويت

مكتبة دار البيان ـ حَوَلِّي

تلفاكس 22616490 ـ جوال 99521001

دار الضياء للنشر والتوزيع ـ حَوَلِّي

هاتف 22658180 ـ فاكس 22658180

المملكة المغربية

دار الأمان ـ الرباط

هاتف 0537723276 ـ فاكس 0537200055

الدار العالمية ـ الدار البيضاء

هاتف 052282882 ـ فاكس 052283354

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق ـ المنامة

هاتف 17272204 ـ فاكس 17256936

مكتبة الريان ـ المنامة

هاتف 0097339247759

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم ـ بيروت

هاتف 785107 ـ فاكس 786230

مكتبة التمام ـ بيروت

هاتف 01707039 ـ جوال 03662783

جمهورية العراق

مكتبة دار الميثاق ـ الموصل

هاتف 7704116177 ـ فاكس 7481732016

دولة قطر

مكتبة الثقافة ـ الدوحة

هاتف 44421132 ـ فاكس 44421131

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو

هاتف 002525911310

جمهورية الجزائر

دار المشرق والمغرب ـ الجزائر

هاتف 0780380501 ـ 0559380141

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية - سوروبايا
هاتف 0062313522971
جوال 00623160222020

جمهورية تشاد

مكتبة الشيخ التيجاني - أنجامينا
هاتف 0023599978036

جمهورية داغستان

مكتبة دار الرسالة - محج قلعة
هاتف 0079285708188

مكتبة نور الإسلام - محج قلعة
هاتف 0079882124001
هاتف 0079887730306

ماليزيا

مكتبة توء كنالي - كوالا لمبور
هاتف 0060115726830

بنغلادش

مكتبة الحسن - دكا
هاتف 008801675399119

باكستان

مكتبة المدينة العربية - كراتشي
جوال 00923102864568

مكتبة المدينة العربية - لاهور
جوال 00923218188780

الهند

مكتبة الشباب العلمية - لكنهو
هاتف 00919198621671

مكتبة المدينة العربية - مومباي
جوال 00917400262692

جمهورية جنوب أفريقيا

دار الإمام البخاري - بينوني
هاتف 0027114210824

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد - إستانبول
هاتف 02126381633 - فاكس 02126381700

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا - باريس
هاتف 0148052928 - فاكس 0148052997

إنكلترا

دار مكة العالمية - برمنجهام
هاتف 01217739309 - جوال 07533177345
فاكس 01217723600

الولايات المتحدة الأمريكية

مكتبة الإمام الشافعي - جورجيا
هاتف 0017036723653

أستراليا

المكتبة الإسلامية
هاتف 0061297584040



فيرجن وفروعها في العالم العربي

جميع إصداراتنا متوافرة على

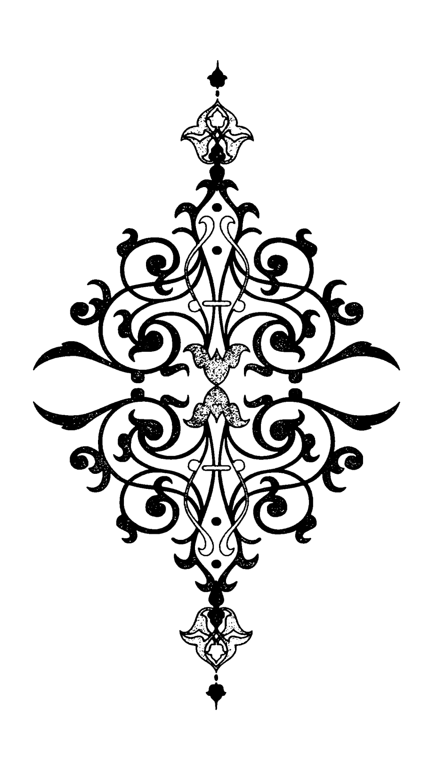


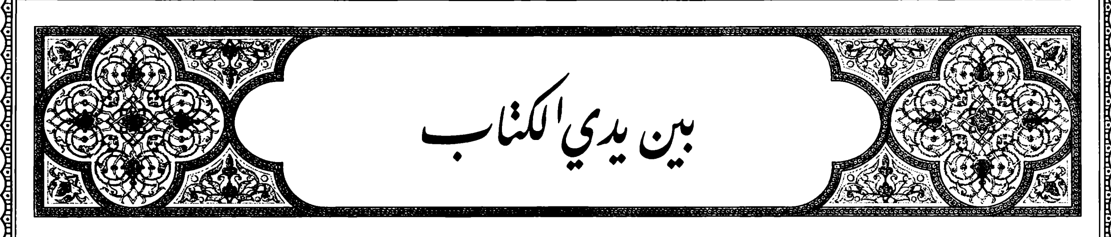
موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب
www.nwf.com



موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية
www.furat.com


الكلام الفائق في الخطّ الرّائق
نزهة القلب، وفاكهة النّفس، وريحانة الرّوح
التمثيل والمحاضرة للثعالبيّ





بين يدي الكتاب

يا ربَّنا لكَ الحَمْدُ كما ينبغي لجلالِ وجهِكَ ولعظيمِ سلطانِكَ ، تقدَّسَتْ أسماؤُكَ العليَّةُ ، وتباركَتْ صفاتُكَ الزَّكيَّةُ ، وعزَّ جاهُكَ .

والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أفصحِ ولدِ آدمَ سيِّدنا محمَّدٍ رسولِ اللهِ ، الَّذي أُوتيَ جوامعَ الكَلِمِ ، وعلىٰ آلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ ، وصحابتِهِ الأخيارِ ، وتابعيهِم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّينِ .

أما بعد

فطالما لاقى الباحثُ في تراثِنا الحافلِ ، المُنقِّبُ عن خباياهُ ، المُفتِّشُ في دفينِهِ ؛ مِن لآلئِ الكتبِ ، وجواهرِ الأجزاءِ . . **ما يُسَرُّ بِهِ خاطِرُهُ** ، فيقطفُ من ثمارِهِ ما يروقُ لهُ في أيِّ فنٍّ شاءَ ؛ فقهاً وأدباً ولغةً ، بل وفي كلِّ الفنونِ ؛ ممَّا يجعلُ المرءَ جديراً بالوقوفِ أمامَ هٰذا التُّراثِ الضَّخمِ وِقفةَ إجلالٍ وإكبارٍ .

وها نحنُ قد وفَّقَنا اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ إلىٰ جوهرةٍ من جواهرِ تراثِنا الأدبيِّ والتَّاريخيِّ ، وأثرٍ مِن نفائسِ آثارِ الاختياراتِ ، تخطَّفَتْ أيدي الضَّياعِ بعضَ أصولِهِ الَّتي نقلَ عنها ، ونجَتْ هٰذهِ النُّصوصُ الَّتي بقيَتْ لنا في هٰذا الكتابِ ؛ وهوَ « **أُنسُ المحاضرةِ بما يُستحسَنُ في المذاكرةِ** » ، الَّذي صنَّفَهُ قاضي المسلمينَ العزُّ عبدُ العزيزِ ابنُ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ ، فأخرجَهُ مِن مرويَّاتِهِ لأُمَّاتِ كتبِ التُّراثِ الَّتي اختصَّتْ بتراجمِ الرِّجالِ ؛ إذ تمعَّنَ مضامينَها ، وانتقىٰ وانتخبَ أجودَ ما فيها ، فكانَتْ :

أَحَادِيثُ لَوْ صِيغَتْ لَأَلْهَتْ بِحُسْنِهَا　　　عَنِ ٱلدُّرِّ أَوْ شُمَّتْ لَأَغْنَتْ عَنِ ٱلْمِسْكِ

فهٰذا الكتابُ يُمثِّلُ ديواناً مِن دواوينِ الاختياراتِ الأدبيَّةِ والتَّاريخيَّةِ ، والمواعظِ والحِكَمِ والأشعارِ والنَّوادرِ ، الَّتي تقومُ على انتقاءِ الفوائدِ والفرائدِ مِن بطونِ الكتبِ ، وجَعْلِها في كتابٍ واحدٍ ؛ رجاءَ أن يُحفَظَ ، ويكونَ سميراً ونديماً ؛ كـ : « عيونِ الأخبارِ » ، و« ربيعِ الأبرارِ » ، و« التَّذكرةِ الحمدونيَّةِ » ، وغيرِها .

وهوَ ممَّا يَأْنَسُ بهِ المُحاضِرُ ، ويستحسنُهُ المُذاكِرُ ، يأخذُ منهُ الأديبُ ، ويسمُرُ بهِ النَّديمُ ، ويتعلَّلُ بهِ العاشقُ ، ويسلو بهِ المحزونُ ، ويتَّعظُ بهِ المُقصِّرُ ، ويتنبَّهُ بهِ الغافلُ ، ممَّا يزيدُ في المروءةِ ، ويُنيرُ العقلَ ، ويقدحُ زِنادَ الفكرِ .

وسيجدُ القارئُ الكريمُ فيهِ ؛ مِن أخبارِ الزُّهَّادِ ، وقصصِ الخلفاءِ ، وحكاياتِ العلماءِ . . ما تتزكَّىٰ بهِ النُّفوسُ وتَرقُّ ، وتسبحُ في أنهارِ الحكمةِ والأدبِ .

وهٰذهِ سمةٌ بارزةٌ في كتبِ الاختياراتِ والمُنتقَياتِ ؛ فهيَ المَيْدانُ الفسيح الَّذي يلقى النَّاظرُ فيهِ مِن شتَّى الفنونِ فائدةً لغويَّةً ، أو قولاً بليغاً ، أو نكتةً لطيفةً ، أو حكمةً عجيبةً ، أو حادثةً ظريفةً تدفعُ المللَ وتنفي السَّأمَ .

قامَ العزُّ ابنُ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ بانتقاءِ جُلِّ مادَّةِ الكتابِ مِن كتبِ التَّراجمِ الَّتي اختصَّتْ بمدينةِ السَّلامِ بغدادَ ، وفي مُقدِّمتِها « تاريخُ الخطيبِ البغداديِّ » ، و« ذيلاهُ » لأبي سعدٍ السَّمْعانيِّ ومُحِبِّ الدِّينِ ابنِ النَّجَّارِ ، وأيضاً « تاريخُ دِمشقَ » للحافظِ ابنِ عساكرَ ، ومصادرُ أُخرىٰ .

بدأَ اختيارَهُ بـ : « تاريخِ بغدادَ » للخطيبِ البغداديِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ، فاختارَ منهُ (٢١٩) خبراً وفائدةً ونكتةً وحكايةً ، **ثمَّ** بـ : « ذيلِ تاريخِ بغدادَ » لأبي سعدٍ السَّمْعانيِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ، فانتقىٰ منهُ حتَّىٰ بلغَ الخبرَ (٦٣٢) ، **ثمَّ** بـ : « ذيلِ تاريخِ بغدادَ » لمُحبِّ الدِّينِ ابنِ النَّجَّارِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ، إلىٰ أن وصلَ إلى الخبرِ (٩٦٣) .

ثمَّ تابعَ اختيارَهُ بنقلِهِ عن أبي بكرٍ الطُّرْطُوشيِّ ، ورشيدِ الدِّينِ العَطَّارِ ، والقاضي الأشرفِ ، والحافظِ الدِّمْياطيِّ رحمَهُم اللهُ تعالىٰ ، **ليصلَ** في نهايةِ المطافِ إلىٰ « تاريخِ دِمشقَ » للحافظِ ابنِ عساكرَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ؛ مِنَ الخبرِ (١٠١٩) حتَّىٰ نهايةِ الكتابِ ، فبلغَ بذٰلكَ (١٠٧٠) مِنَ الأخبارِ والمُنتقَياتِ المسندةِ .

لقدِ امتازَ هٰذا الكتابُ بأنَّ جميعَ ما وردَ فيهِ من نصوصٍ . . مرويَّةٌ بالإسنادِ المتَّصلِ إلىٰ أصحابِها ، كما يمتازُ بالنَّقلِ مِن مصادرَ تعدُّ اليومَ منَ المفقوداتِ ؛ وهيَ : « ذيلُ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ » ، و« ذيلُ ابنِ النَّجَّارِ » ، و« الفوائدُ المُنتخَبةُ » للطُّرْطُوشيِّ ، وكتبُ الرَّشيدِ العَطَّارِ ، والقاضي الأشرفِ ، والشَّرفِ الدِّمْياطيِّ .

وتنوَّعَتْ موضوعاتُ الكتابِ بتنوُّعِ مُنتقَياتِهِ ؛ **ففيهِ جُملٌ** مِنَ الأحاديثِ النَّبويَّةِ والآثارِ ، **وأخبارٌ** مِن كلامِ السَّلفِ ، ومواعظِهِم وحِكَمِهِم ، ودُرَرِ كلامِهِم ، **وحكاياتٌ** مِن قصصِ الأولياءِ والزُّهَّادِ ، مع ذِكْرِ أحوالِهِم وأقوالِهِم ، **وقصصٌ** مِن ثناءِ العلماءِ بعضِهِم علىٰ بعضٍ ، وذِكْرِ محاسنِهِم وطرفٍ مِن أخبارِهِم ، **وكذلكَ** مِن قصصِ الخلفاءِ والملوكِ وندمائِهِم ، ومواقفِهِم معَ الشُّعراءِ والوافدينَ عليهِم ، **وطرفٌ** مِن أخبارِ لطائفِ المجانينِ ، وذِكْرِ نوادرِهِم ومواقفِهِم ؛ كبهلولٍ وعُلَيَّانَ وغيرِهِما ، **ونبذٌ** مِن أخبارِ العشَّاقِ المُتيَّمينَ ، وذِكْرِ دَنَفِهِم وأشعارِهِم ، **إضافةً إلىٰ جملةٍ مِن نوادرِ الأحداثِ وغرائبِها** .

وختاماً : **فإنَّا نتوجَّهُ بالشُّكرِ الجزيلِ والثَّناءِ العاطرِ لجميعِ منسوبي مركزِ دارِ المنهاجِ للدِّراساتِ والتَّحقيقِ العِلْميّ** بقيادةِ الأخِ الفاضِلِ محمَّد غسَّان بن نصوح عزقول علىٰ جهودِهِم المباركَةِ ، **ونخصُّ منهُم الشَّابَّينِ الواعِدينِ الأُستاذَيْنِ** : أحمد براء الصَّيَّاد ، ومحمَّد خبيب الحلَّاق ، **وكذلكَ السَّادةُ الأفاضلُ الأَساتذَةُ** : أحمد بن علي الكاف ، وعبد الله بن عمر ابن سميط ، وعبد الله بن محمد باعوضان ، وعلي بن محمَّد العيدروس ، **وأيضاً لكلِّ من أسهمَ في إخراجِ هٰذا الكتابِ وإبرازِهِ إلىٰ عالَمِ النُّورِ مِنَ الفنِّيِّينَ والإداريِّينَ** ، فجزاهُمُ اللهُ عنِ الأُمَّةِ خيرَ الجزاءِ[1]

* * *

ودار المنهاجِ اليومَ إذ تزفُّ للمُثقَّفينَ هٰذا الكتابَ الَّذي لم يسبقْ أن رأى النُّورَ قبلاً . .

نسألُ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ أن نكونَ قد قمْنا بواجبِ تحقيقِهِ والعنايةِ بِهِ حقَّ القيامِ ، وأوفيْنا الغايةَ في خدمتِهِ على الوجهِ المرضيِّ ، راجينَ النَّفعَ بِهِ ، وأن تعودَ علينا بركاتُهُ .

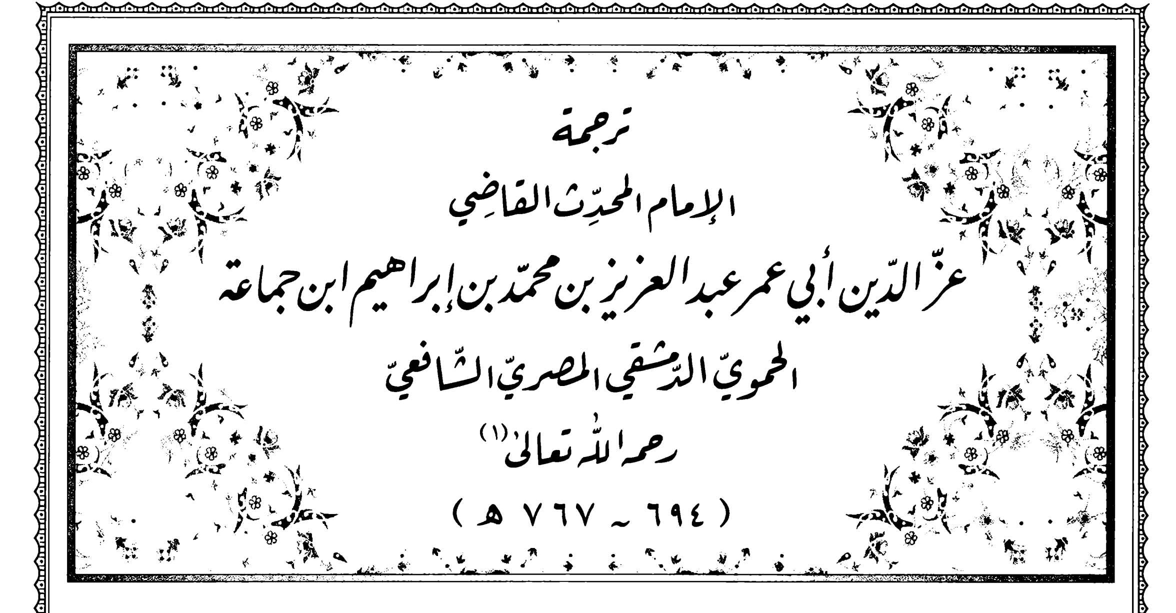
اللَّهُمَّ ؛ تقبَّلْ منَّا ما كانَ صالحاً ، وأَصلِحْ لنا ما كانَ فاسداً ، واغفرْ لنا تقصيرَنا بمَنِّكَ وجودِكَ ، آمينَ آمينَ .

والحمد لله رب العالمين

الناشر

---

(١) ولا ننسىٰ أن نشكر الأستاذ عبد الرحيم يوسفان الذي دلنا علىٰ هٰذا الكتاب قبل عشر سنوات تقريباً ، وسعىٰ للحصول علىٰ مخطوطة مكتبة فيض الله أفندي ، والأستاذ البار علاء الدين أيوب الذي أسعفنا بالنسخ الخطية الأخرىٰ .



اسمُهُ ونسبُهُ

هوَ الإمامُ الحافظُ ، العالمُ العلَّامةُ ، شيخُ المُحدِّثينَ ، وبركةُ المسلمينَ ، عزُّ الدِّينِ ، أبو عمرَ[2] ، عبدُ العزيزِ بنُ بدرِ الدِّينِ محمَّدِ بنِ برهانِ الدِّينِ إبراهيمَ بنِ سعدِ اللهِ بنِ جَماعةَ بنِ عليِّ بنِ جَماعةَ بنِ حازمِ بنِ صخرٍ[3] .

---

(١) **أهم مصادر الترجمة** : « معجم الشيوخ » للذهبي (١/٤٠١ ـ ٤٠٢) ، و« المعجم المختص بالمحدثين » للذهبي (ص ١٤٧ ـ ١٤٨) ، و« الوافي بالوفيات » للصفدي (١٨/٥٥٦ ـ ٥٥٧) ، و« ذيل طبقات الحفاظ » للحسيني (ص ٤١ ـ ٤٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (١٠/٧٩ ـ ٨١) ، و« طبقات الشافعية » للإسنوي (١/١٨٧ ـ ١٨٨) ، و« الوفيات » لابن رافع (٢/٣٠٥ ـ ٣٠٨) ، و« الوفيات » لابن قنفذ (ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧) ، و« مشيخة المراغي » (ص ٣٨٧ ـ ٣٩٨) ، و« الذيل على العبر » لابن العراقي (ص ٢٠٠ ـ ٢٠٧) ، و« ذيل التقييد » للفاسي (٣/٥٠ ـ ٥٣) ، و« العقد الثمين » للفاسي (٥/٤٥٧ ـ ٤٦٠) ، و« السلوك » للمقريزي (٣/١٢٥) (القسم الأول) ، و« درر العقود الفريدة » للمقريزي (٢/٢٩٨ ـ ٣٠٣) ، و« طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (٣/١٣٥ ـ ١٣٨) ، و« الدرر الكامنة » لابن حجر (٢/٣٧٨ ـ ٣٨٢) ، و« رفع الإصر » لابن حجر (ص ٢٤٣ ـ ٢٤٦) ، و« النجوم الزاهرة » لابن تغري بردي (١١/٨٩ ـ ٩٠) ، و« المنهل الصافي » لابن تغري بردي (٧/٣٠٠ ـ ٣٠٢) ، و« التحفة اللطيفة » للسخاوي (٤/٣٨٤ ـ ٣٨٦) ، و« طبقات الحفاظ » للسيوطي (ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦) ، و« ذيل طبقات الحفاظ » للسيوطي (ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤) ، و« بدائع الزهور » للشركسي (١/٣٢) (القسم الثاني) .

(٢) وذكر ابن قنفذ في « الوفيات » (ص ٣٦٦) ، والمقريزي في « السلوك » (٣/١٢٥) (القسم الأول) : أن كنيته : أبو محمَّد ، وأثبتهما معاً السخاويُّ في « التحفة اللطيفة » (٤/٣٨٤) .

(٣) إلىٰ هنا اتفق المُترجِمون في نسبه ، وفي غُرَّتِهم المُؤلِّفُ نفسُه في طرَّة النسخة (أ) من كتابنا ، وفي ترجمتِه لوالدِه البدرِ في كتابه « منتخب نزهة الألباء » (ص ٢٥ ـ ٢٦) ، وخالف الحسينيُّ الجميعَ في « ذيل تذكرة الحفاظ » (ص ٤١ ـ ٤٢) ، فزاد بعد (سعد الله) : (ابن محمَّد بن إبراهيم) ، ولم يذكرهما غيره ، وانظر « معجم المؤلفين » (٢/١٦٦) .

وزِيدَ[1] : ابنُ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ بنِ أبي الفضلِ ، الكِنانيُّ ، الحَمَويُّ ، الدِّمشقيُّ ، ثمَّ المصريُّ ، الشَّافعيُّ ، **المعروفُ بابنِ جَماعةَ** .

قاضي المسلمينَ في الدِّيارِ المصريَّةِ[2] ، وابنُ قاضيها بدرِ الدِّينِ .

والكِنانيُّ : نسبةٌ إلىٰ قبيلةٍ عربيَّةٍ تُنسَبُ إلىٰ (كِنانةَ) ؛ وهوَ مِن أجدادِ المُصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وأصلُهُ مِن حَمَاةَ ، وفيها وُلِدَ أبوهُ بدرُ الدِّينِ سنةَ (٦٣٩ هـ) .

ولقبُهُ : عزُّ الدِّينِ ، ويُذكَرُ اختصاراً بـ : (**العزِّ ابنِ جَماعةَ**)[3]

مولدُهُ ونشأتُهُ وطلبُهُ للعلمِ

وُلِدَ العزُّ ابنُ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في التَّاسعَ عشرَ مِنَ المُحرَّمِ ، سنةَ أربعٍ وتسعينَ وستِّ مئةٍ مِنَ الهجرةِ ، في دِمشقَ المحروسةِ ، بالمدرسةِ العادليَّةِ الكبرىٰ بمنزلِ والدِهِ بدرِ الدِّينِ الَّذي كانَ آنذاكَ قاضيَ المسلمينَ بالشَّامِ بعدَ انتقالِهِ مِن مصرَ في سنةِ (٦٩٣ هـ) .

تربَّى العزُّ في كَنَفِ أبيهِ ، في جاهٍ وعزٍّ ، ومنصبٍ ومالٍ ، يرعاهُ والدٌ بدرٌ تقيٌّ إمامٌ ، سارَتْ بسيرتِهِ مصرُ والشَّامُ ، فأدنَتْ لهُ العلومُ جناها في شخصِ أبيهِ ، الَّذي كانَ مصدرَ علمِهِ وعملِهِ ، وتربيتِهِ ونشأتِهِ ، يتعلَّمُ مِن أحوالِهِ وأعمالِهِ فَوْقَ ما يسمعُهُ مِن أقوالِهِ ، قالَ السُّبكيُّ : (ورُبِّيَ في عزٍّ زائدٍ ، وسعدٍ كثيرٍ ، وديانةٍ وتصوُّنٍ ، وطَلَبٍ للحديثِ)[4]

ثـمَّ انتقلَ إلىٰ بحورِ زمانِهِ وعلمائِهِ ، فنشأَ بدِمشقَ في العلمِ والدِّينِ ، وصحبةِ أهلِ الخيرِ ومحبَّتِهِم ، ينهلُ مِن معينِهِم منذُ نعومةِ أظفارِهِ ؛ إذ سارعَ أبوهُ لإحضارِهِ مجالسَ العلمِ والعلماءِ ، فحضرَ علىٰ مُسنِدِ الشَّامِ عمرَ ابنِ القَوَّاسِ ، وعلى الشَّرفِ أبي الفضلِ

---

(١) من « رفع الإصر » (ص ٢٤٣) ، و« المنهل الصافي » (٧/٣٠٠) .

(٢) وإنَّما آثرْنا (قاضي المسلمين) علىٰ (قاضي القضاة) لِمَا ذكره ابن رجب الحنبلي في « الذيل علىٰ طبقات الحنابلة » (١/١٩٣) : أنَّ العزَّ ابن جَماعةَ كان يمنعُ النَّاسَ أن يخاطبوه بـ : (قاضي القضاة) ، أو يكتبوا له بذٰلك ، وأمرهم أن يأخذوا بـ : (قاضي المسلمين) ، ويَذكُر أنَّ هٰذا اللَّفظَ مأثورٌ عن سيدنا عليٍّ رضي الله عنه .

(٣) وربَّما اشتبه بحفيده عزِّ الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن عبد العزيز ابن جَماعةَ ، المتوفىٰ سنة (٨١٩هـ) .

(٤) طبقات الشافعية الكبرىٰ (١٠/٧٩) .

أحمدَ ابنِ عساكرَ ، وعلى العزّ إسماعيلَ الفَرّاءِ الصَّالحيِّ ، وجماعةٍ آخرينَ ، وأجازَ لهُ في صغرِهِ أبو الفرجِ عبدُ الرَّحمٰنِ ابنُ وَرّيدةَ ، وغيرُهُ ، فغُرِسَتْ بذٰلكَ بذورُهُ ، وسُقِيَتْ عروقُهُ وفروعُهُ .

ثمَّ حُبِّبَ إليهِ الطَّلبُ لمَّا كَبِرَ ، فطلبَ بنفسِهِ سنةَ (٧١٠هـ) ، وسمعَ مِنَ العالي والنَّازلِ كثيراً ، وأسمعَ أولادَهُ على الشُّيوخِ سَيراً علىٰ سَنَنِ أبيهِ ، قالَ الذَّهبيُّ : (قدمَ علينا بولدِهِ طالبَ حديثٍ في سنةِ « ٧٢٥ » ، فقرأَ الكثيرَ وسمعَ ، وكتبَ الطِّباقَ ، وطلبَ الحديثَ ، وعُنِيَ بهِ وبالفقهِ ، معَ تصوُّنٍ وديانةٍ وخيرٍ ، اللهُ يُصلِحُهُ ويُسدِّدُهُ ، ويُحسِنُ إليهِ بمَنِّهِ)[1] ، وقالَ الفاسيُّ : (وكانَ ذا عنايةٍ بالحديثِ والفقهِ وغيرِ ذٰلكَ)[2]

وقالَ المقريزيُّ : (وكانَ مُحِبّاً للحديثِ النَّبويِّ وأهلِهِ ، وسماعِهِ وإسماعِهِ ، مُعتنِياً بهِ ، وسمعَ شيئاً كثيراً ، وعُمِرَتْ أوقاتُهُ طولَ عمرِهِ بذٰلكَ)[3]

ثمَّ كانَ لا بدَّ لقاضي المسلمينَ أن يسيرَ علىٰ نهجِ علماءِ الإسلامِ في الرِّحلةِ في طلبِ العلمِ ، يتلقَّىٰ مِن أفواهِ الرِّجالِ ، مُرسِّخاً علومَهُ وفنونَهُ ، فطافَ العزُّ في الأمصارِ ، لا سيَّما مصرَ والشَّامِ ، وحصَّلَ الأصولَ والأجزاءَ ، فسمعَ بمصرَ مِن أبيهِ ، والرُّكنِ العتبيِّ الإسكندرانيِّ ، وغيرِهِما ، وسمعَ بدِمشقَ وأجازَ لهُ منها التَّاجُ ابنُ أبي عصرونٍ ، وعمرُ بنُ إبراهيمَ الرَّسْعَنيُّ العَقِيميُّ ، وآخرونَ .

وأكثرَ الحجَّ والمجاورةَ ، فحدَّثَ بمكَّةَ وسمعَ ، حتَّىٰ تفرَّدَ بشيوخٍ وأجزاءٍ وكتبٍ ، وبلغَ شيوخُهُ مبلغاً قالَ فيهِ ابنُ العراقيِّ : (وخرَّجَ لهُ والدي زينُ الدِّينِ « معجماً » عن شيوخِهِ بالسَّماعِ والإجازةِ لم يكملْ ، كتبَ منهُ نحوَ تسعةِ أجزاءٍ حديثيَّةٍ كلُّها في المحمَّدينَ !!)[4] ، وهٰذا قدرٌ جليلٌ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ كثيرَ الاشتغالِ ، يقرأُ بنفسِهِ الكتبَ الكبارَ ؛ ك : « مسندِ الإمامِ أحمدَ » ، و« المعجمِ الكبيرِ » للطَّبرانيِّ ، و« الحليةِ » لأبي نُعَيمٍ الأصبهانيِّ ، و« دلائلِ النُّبوَّةِ » للبيهقيِّ ، وغيرِ ذٰلكَ .

---

(١) معجم الشيوخ (١/٤٠١) ، المعجم المختص بالمحدثين (ص ١٤٧) بتصرف .

(٢) ذيل التقييد (٣/٥٢) .

(٣) درر العقود الفريدة (٢/٣٠٢) بتصرف .

(٤) الذيل على العبر (ص ٢٠٤) بتصرف .

فعمرَتْ بذٰلكَ أوقاتُهُ ، وحسنَتْ بذٰلكَ سيرتُهُ ، فنالَ قَبولَ الخاصَّةِ والعامَّةِ ، وتهيَّأَ لِمَا سيأتيهِ خيرَ تهيُّؤٍ .

شيوخُهُ

كانَ لا بدَّ لمَن تربَّىٰ في كَنَفِ البدرِ ، ونشأَ علىٰ حبِّ الطَّلبِ ، ونزلَ مصرَ حاضرةَ الإسلامِ والدُّنيا في وقتِهِ . . أن يَنْهَلَ ويَعُلَّ ، ويُكثِرَ مِنَ السَّماعِ والاستزادةِ مِن شيوخِ عصرِهِ ، تعضُدُهُ همَّتُهُ في التَّحصيلِ ، وصبرُهُ على الرِّحلةِ والتَّلقِّي مِن أفواهِ الرِّجالِ ؛ في بلادِ الشَّامِ والعراقِ ، والحجازِ ، ومصرَ والمغربِ ، حتَّىٰ بلغَتْ شيوخُهُ مبلغاً قالَ فيهِ ابنُ قاضي شهبةَ : (وشيوخُهُ سماعاً وإجازةً يزيدونَ علىٰ ألفٍ وثلاثِ مئةٍ)[(١)]

ومِن أبرزِ شيوخِهِ :

ـ والدُهُ بدرُ الدِّينِ ، أبو عبدِ اللهِ ، محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ سعدِ اللهِ بنِ جَماعةَ ، القاضي الحَمَويُّ المصريُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٧٣٣هـ) : تفقَّهَ عليهِ ، وسمعَ منهُ بالقاهرةِ ، وكانَ أحضرَهُ في صغرِهِ على الشُّيوخِ ، وروىٰ عنهُ العزُّ ابنُ جَماعةَ في هٰذا الكتابِ .

ـ تاجُ الدِّينِ ، أبو عبدِ اللهِ ، محمَّدُ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ المطهَّرِ ، ابنُ أبي عصرونٍ ، التَّميميُّ الشَّافعيُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٦٩٥هـ) : أخذَ منهُ الإجازةَ مِن دِمشقَ ، وروىٰ عنهُ في هٰذا الكتابِ .

ـ شرفُ الدِّينِ ، أبو عبدِ اللهِ ، محمَّدُ بنُ سعيدِ بنِ حمَّادٍ ، المغربيُّ البوصيريُّ الأديبُ المشهورُ ، صاحبُ البردةِ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٦٩٥هـ) : تفرَّدَ العزُّ ابنُ جَماعةَ بإجازتِهِ مِنَ القاهرةِ .

ـ كمالُ الدِّينِ ، أبو الفرجِ ، عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ بنِ محمَّدٍ ، ابنُ وَرِّيدةَ ، البغداديُّ ، شيخُ المُستنصِريَّةِ ، المُلقَّبُ بالفُوَيْرِهِ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٦٩٧هـ) : أجازَ لهُ في صغرِهِ ببغدادَ ، وحدَّثَ العزُّ ابنُ جَماعةَ عنهُ بـ : « جامعِ التِّرمذيِّ » إذناً ، وروىٰ عنهُ في هٰذا الكتابِ .

ـ ناصرُ الدِّينِ ، أبو حفصٍ ، عمرُ بنُ عبدِ المُنعِمِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ غديرٍ ،

---

(١) طبقات الشافعية (٣/١٣٦) .

ابنُ القَوَّاسِ ، الطَّائيُّ الدِّمشقيُّ ، مُسنِدُ الشَّامِ ، المُتوفَّىٰ سنة (٦٩٨هـ) : سمعَ منهُ حضوراً بدِمشقَ الجزءَ الأوَّلَ مِن « معجمِ ابنِ جُمَيعٍ » ، وروىٰ عنهُ في هٰذا الكتابِ .

ـ شرفُ الدِّينِ ، أبو الفضلِ ، أحمدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ أحمدَ ، ابنُ عساكرَ ، الدِّمشقيُّ المُحدِّثُ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٦٩٩هـ) : سمعَ منهُ حضوراً بدِمشقَ « جزءَ البيتوتةِ » ، ونالَ منهُ الإجازةَ ، وروىٰ عنهُ في هٰذا الكتابِ .

ـ جمالُ الدِّينِ ، أبو حفصٍ ، عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ سلامةَ ، الأنصاريُّ الرَّسْعَنيُّ العَقِيميُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٦٩٩هـ) : أخذَ منهُ الإجازةَ مِن دمشقَ ، وروىٰ عنهُ في هٰذا الكتابِ .

ـ أمُّ محمَّدٍ ، زينبُ بنةُ عمرَ بنِ كِنْديٍّ ، الدِّمشقيَّةُ ، المُتوفَّاةُ سنةَ (٦٩٩هـ) : أجازَتْ لهُ مِن بَعْلَبَكَّ ، وروىٰ عنها في هٰذا الكتابِ .

ـ عزُّ الدِّينِ ، أبو الفداءِ ، إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عمرٍو ، ابنُ الفَرَّاءِ ، الصَّالحيُّ الحنبليُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٧٠٠هـ) : سمعَ منهُ حضوراً بدِمشقَ ، وروىٰ عنهُ في هٰذا الكتابِ .

ـ شهابُ الدِّينِ ، أبو المعالي ، أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ محمَّدٍ ، الأَبَرْقُوهيُّ ، مُسنِدُ الدِّيارِ المصريَّةِ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٧٠١هـ) : سمعَ منهُ بمصرَ « جزءَ ابنِ الطَّلَّايةِ » .

ـ شرفُ الدِّينِ ، أبو محمَّدٍ وأبو أحمدَ ، عبدُ المُؤمِنِ بنُ خلفِ بنِ أبي الحسنِ ، الحافظُ الدِّمْياطيُّ التُّونيُّ ، ابنُ الجامدِ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٧٠٥هـ) : سمعَ منهُ بمصرَ جزءاً مِن « حديثِ الخرقيِّ » ، وأخذَ منهُ الإجازةَ ، وروىٰ عنهُ في هٰذا الكتابِ .

ـ علاءُ الدِّينِ ، أبو الحسنِ ، عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ ، الباجيُّ المصريُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٧١٤هـ) : أخذَ عنهُ أصولَ الدِّينِ وأصولَ الفقهِ .

ـ جمالُ الدِّينِ ، أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ ، الواسِطيُّ الوجيزيُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٧٢٩هـ) : أخذَ عنهُ الفقهَ .

ـ أثيرُ الدِّينِ ، أبو حيَّانَ ، محمَّدُ بنُ يوسفَ بنِ عليٍّ ، الأَنْدَلُسيُّ الجيَّانيُّ النَّحْويُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٧٤٥هـ) : أخذَ عنهُ النَّحْوَ والعربيَّةَ ، وسمعَ منهُ « المقاماتِ الحريريَّةَ » هوَ وولدُهُ عمرُ بالجامعِ الأقمرِ بقراءةِ الصَّفديِّ الأديبِ .

وغيرُهُم كثيرٌ ممَّن روىٰ عنهُم في كتابِنا وغيرِهِ ، رحمَهُمُ اللهُ أجمعينَ ورضيَ عنهُم .

طلَّابُهُ والآخذونَ عنهُ

كانَ لقاضي المسلمينَ ابنِ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ القَبولُ التَّامُّ والتَّعظيمُ بينَ الخاصَّةِ والعامَّةِ ، يُحسِنُ إلى الوافدينَ عليهِ ، ويُظهِرُ لهُمُ المحبَّةَ ، حتَّىٰ نالَ نصيباً وافراً مِن إقبالِ الطَّلبةِ عليهِ ، وسمعَ عليهِ الأكابرُ والفضلاءُ ، وانتقىٰ لهُ جماعةٌ منهُم ، وحدَّثَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ بأكثرِ مسموعاتِهِ .

ومِن أبرزِ الآخذينَ عنهُ :

ـ شمسُ الدِّينِ ، أبو عبدِ اللهِ ، محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ ، الحافظُ الدِّمشقيُّ الذَّهبيُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٧٤٨هـ) : وقد قالَ : (قرأتُ على العزِّ أحاديثَ مِنَ « الخِلَعيَّاتِ » ، وانتقيتُ عليهِ جزءاً)[١] ، وقالَ أيضاً : (سمعتُ منهُ وسمعَ منِّي)[٢] .

ـ زينُ الدِّينِ ، أبو الفضلِ ، عبدُ الرَّحيمِ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ ، العراقيُّ الحافظُ الكبيرُ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٨٠٦هـ) : سمعَ منهُ كثيراً ، ووصفَهُ بالحفظِ[٣] .

ـ نجمُ الدِّينِ ، محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ ، ابنُ فهدٍ ، القرشيُّ الهاشميُّ المكِّيُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٨١١هـ) : سمعَ مِنَ العزِّ « الأربعينَ التُّساعيَّةَ » لهُ ، و« جزءاً صغيراً » خرَّجَهُ لنفسِهِ ، و« الشِّفا » للقاضي عياضٍ ، و« المناسكَ الكبرىٰ » لهُ بفَوتٍ[٤] .

ـ زينُ الدِّينِ ، أبو محمَّدٍ ، أبو بكرِ بنُ الحسينِ بنِ عمرَ ، القرشيُّ المصريُّ المَراغيُّ الشَّافعيُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٨١٦هـ) : قالَ في « مشيختِهِ » : (أجازَ لي جميعَ مرويَّاتِهِ ، وسمعتُ عليهِ « جزأَهُ الكبيرَ » الَّذي خرَّجَهُ لنفسِهِ ، و« الشِّفا » للقاضي عياضٍ ، وغيرَ ذٰلكَ كثيراً)[٥] .

ـ وليُّ الدِّينِ ، أبو زرعةَ ، أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحيمِ بن الحسينِ ، المصريُّ الشَّافعيُّ ،

---

(١) معجم الشيوخ (١/٤٠١) بتصرف .

(٢) المعجم المختص بالمحدثين (ص١٤٧) .

(٣) انظر « ذيل طبقات الحفاظ » للسيوطي (ص ٣٦٤) .

(٤) انظر « ذيل التقييد » (١/٤٢٥) .

(٥) مشيخة المراغي (ص ٣٨٧ ، ٣٩٨) .

ابنُ العراقيِّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٨٢٦هـ) : حضرَ عليهِ كثيراً بقراءةِ أبيهِ وغيرِهِ ، وسمعَ عليهِ « مسندَ الشَّافعيِّ » .

ـ شهابُ الدِّينِ ، أبو الفتحِ ، أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ محمَّدٍ ، الكلوتاتيُّ الحنفيُّ القاهريُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٨٣٥هـ) : ونالَ الإجازةَ منهُ .

ـ جمالُ الدِّينِ ، محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ، الكازَرُونيُّ المدنيُّ الشَّافعيُّ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٨٤٣هـ) : سمعَ عليهِ « السُّننَ الصُّغرىٰ » ، ونالَ الإجازةَ منهُ .

ـ عزُّ الدِّينِ ، أبو محمَّدٍ ، عبدُ الرَّحيمِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحيمِ ، المصريُّ القاضي الحنفيُّ ، ابنُ الفُراتِ ، المُتوفَّىٰ سنةَ (٨٥١هـ) : لازمَهُ مدَّةً ، ونالَ منهُ الإجازةَ ، وهوَ آخرُ مَن حدَّثَ عنهُ .

وغيرُهُم كثيرٌ ممَّن روَوا عنهُ وأجازَهُم ، رحمَهُمُ اللهُ أجمعينَ ورضيَ عنهُم .

مكانتُهُ العلميَّةُ

بلغَ العزُّ ابنُ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في زمانِهِ رتبةً في العلمِ والجاهِ والدِّينِ أَذْنَتْ لهُ عُليا المناصبِ ، وذَلَّلَتْ لهُ كُبرى الوظائفِ ، حتَّىٰ غدا مُدرِّساً ، وخطيباً ، ومُفتياً ، وقاضياً للمسلمينَ ، ومُحدِّثاً يُسمِّيهِ العلماءُ شيخَ المُحدِّثينَ وبركةَ المسلمينَ ، وحافظاً للقرآنِ ، مُشتغِلاً بالعلومِ طولَ حياتِهِ ؛ تعليماً وتطبيقاً وتصنيفاً .

فلمَّا عَمِيَ والدُهُ بدرُ الدِّينِ ، ووليَ القضاءَ بالدِّيارِ المصريَّةِ الجلالُ القَزْوينيُّ . . استقرَّ العزُّ ابنُ جَماعةَ علىٰ وكالةِ بيتِ المالِ ، ووكالةِ الخاصِّ للسُّلطانِ النَّاصرِ ، والنَّظرِ في أوقافٍ كثيرةٍ ، فنالَ بذٰلكَ مكانةً عظيمةً عندَ الخاصَّةِ والعامَّةِ .

وأمَّا التَّدريسُ . . فقد بدأَهُ في سنٍّ مُبكِّرةٍ ، وأوَّلُ تدريسِهِ بالمدرسةِ الصَّالحيَّةِ سنةَ (٧١٤هـ) ، وهوَ ابنُ عشرينَ سنةً[١] .

ثمَّ درَّسَ بالجامعِ الأقمرِ ، وزاويةِ الإمامِ الشَّافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وتُسمَّىٰ أيضاً : الزَّاويةَ الخشَّابيَّةَ ، وتولَّىٰ تدريسَ الحديثِ والفقهِ في جامعِ ابنِ طُولُونَ ونَظَرَهُ ، وبقيَ فيهِ حتَّىٰ أثناءَ عزلِهِ عنِ القضاءِ ، إضافةً إلى التَّدريسِ في دارِ الحديثِ الكامليَّةِ ، وغيرِها .

---

(١) انظر « الذيل على العبر » لابن العراقي (ص ٢٠٥) .

وأُسنِدَتْ إليهِ أيضاً خطابةُ الجامعِ الجديدِ النَّاصريِّ بمصرَ .

قالَ الإسنويُّ : (وكانَ حسنَ المحاضرةِ ، كثيرَ الأدبِ ، يقولُ الشِّعرَ الجيِّدَ ، ويكتبُ الخطَّ الحسنَ السَّريعَ)[1] ، وقالَ غيرُهُ : (ولهُ نظمٌ ونثرٌ)[2] ، مِن ذٰلكَ ما وضعَهُ في كتابِهِ « نزهةِ الألبَّاءِ » ، وكذا في مُختصَرِهِ : « منتخبِ نزهةِ الألبَّاءِ » ، ومِن نظمِهِ[3] :

يَا مُبْتَلىً بِقَضَاءٍ قَدْ بُلِيتَ بِهِ ... أَقْصِرْ عَنَاءَكَ وَٱتْرُكْ يَا أَخِي جَزَعَكْ

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ جَمِيعَ ٱلْخَلْقِ لَنْ يَصِلُوا ... إِلَيْكَ أَنْ يَخْفِضُوا وَٱللهُ قَدْ رَفَعَكْ

وأمَّا القضاءُ . . فإنَّهُ تولَّىٰ قضاءَ الدِّيارِ المصريَّةِ في حياةِ شيوخِهِ ، بعدَ عزلِ الجلالِ القَزْوينيّ منهُ سنةَ (٧٣٨هـ) في جمادى الآخرةِ[4] ، فباشرَ بشدَّةٍ معَ لينٍ ، وتصميمٍ فيما يُبرِمُهُ ، وحِدَّةٍ وصلابةٍ في الأجوبةِ الَّتي تتعلَّقُ بالأحكامِ ، عفيفاً عنِ الرِّشوةِ ، لا يقبلُ في الحقِّ رسالةً مِن سلطانٍ ولا أميرٍ .

وجعلَ النَّاصرُ إليهِ تعيينَ قضاةِ الشَّامِ وغيرِها ، فصرفَ جميعَ مَن كانَ الجلالُ القَزْوينيُّ قدِ استنابَهُ ، وقرَّرَ هوَ صهرَهُ التَّاجَ المناويَّ ، وأخاهُ الضِّياءَ المناويَّ ، واستأذنَ السُّلطانَ في عزلِ جميعِ ولاةِ المالِ الَّذينَ ولَّاهُمُ القَزْوينيُّ بالمالِ ، فأذنَ ففعلَ ، وتولَّى المناويُّ تقريرَ غيرِهِم برأيِهِ .

وعزمَ في سنةِ (٧٥٤هـ) على الحجِّ والمجاورةِ ، واستعفىٰ مِنَ الملكِ الصَّالحِ فأذنَ لهُ ، وولَّى السُّلطانُ نائبَهُ المناويَّ بدلاً منهُ بإشارتِهِ ، ثمَّ ما لبثَ أن عادَ السُّلطانُ عن رأيِهِ ، وأعادَهُ إلىٰ منصبِهِ بعدَ يومٍ مِن عزلِهِ ؛ لِمَا رأىٰ في ذٰلكَ مِن فسادٍ كبيرٍ .

واستمرَّ العزُّ ابنُ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ في عزٍّ ورفعةٍ ، بيدِهِ قضاءُ المسلمينَ والخطابةُ ، وما أُضيفَ إليها مِنَ الوظائفِ إلىٰ سنةِ (٧٥٩هـ) ، وفيها كانَ الأمرُ في التَّكلُّمِ في أمورِ الدَّولةِ قد آلَ إلىٰ صرغتمش ، فعزلَهُ مِنَ القضاءِ لمعارضتِهِ لهُ في نقضِ أوقافِ الصَّاحبِ علمِ الدِّينِ ابنِ زنبورٍ ، ووُلِّيَ القاضي بهاءُ الدِّينِ ابنُ عقيلٍ بدلاً منهُ ، فبقيَ ثمانينَ يوماً ، ثمَّ أُعيدَ إلى

---

(١) طبقات الشافعية (١٨٧/١) .

(٢) انظر « المنهل الصافي » لابن تغري بردي (٣٠٢/٧) .

(٣) انظر « درر العقود الفريدة » (٣٠٣/٢) ، والأبيات من البحر البسيط .

(٤) قيل : في الثامن منه ، وقيل : في الثامن عشر ، انظر « العقد الثمين » (٤٥٨/٥) ، و« درر العقود الفريدة » (٣٠٠/٢) ، و« المنهل الصافي » (٣٠٢/٧) .

القضاءِ بعدَ القبضِ علىٰ صرغتمش ؛ وذٰلكَ في أواخرِ شهرِ رمضانَ ، فعادَ مخطوباً مطلوباً ، وكانَتْ عاقبةُ المُتوسِّطينَ في عزلِهِ مِن أسوأ العواقبِ .

واستمرَّ يتململُ كلَّ وقتٍ مِنَ المنصبِ ، ويُؤْثِرُ الانقطاعَ والعزلةَ ، ويطلبُ الإقالةَ فلا يُجابُ ، إلىٰ شهرِ جمادى الأُولىٰ سنةَ (٧٦٦هـ) ؛ فإنَّهُ عزلَ نفسَهُ عنِ القضاءِ ، وأبى العودةَ إليهِ مرَّةً أُخرىٰ ، وحلفَ علىٰ ذٰلكَ بالأيمانِ [١] ، قالَ السُّبكيُّ : (واتَّفقَ لهُ ما لم يتَّفقْ لقاضٍ قبلَهُ مِنَ العظمةِ ؛ إذ نزلَ الأميرُ الكبيرُ يلبغا بنفسِهِ ـ وهوَ ملكُ البسيطةِ ـ إلىٰ دارِهِ ، ودخلَ عليهِ ورجاهُ أن يعودَ !! فأبىٰ وصمَّمَ واعتذرَ) [٢] ، ووليَ القضاءَ بهاءُ الدِّينِ السُّبكيُّ بعدَهُ .

فكانَ هٰذا العامُ آخِرَ عهدِهِ بالقضاءِ ، بعدَ مسيرةٍ حافلةٍ استمرَّتْ (٢٩) سنةً ، يقولُ فيها المقريزيُّ : (نالَ فيها مِن مزيدِ السَّعدِ ، وحسنِ الشُّهرةِ ، وطولِ المدَّةِ ، وكثرةِ السُّكونِ . . ما لم ينلْهُ قاضٍ في هٰذهِ الدَّولةِ سِواهُ ، نافذَ الكلمةِ ، وجيهاً عندَ الملوكِ مُعظَّماً) [٣]

مُصنَّفاتُهُ وآثارُهُ العلميَّةُ

خلَّفَ العزُّ ابنُ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ كتباً قيِّمةً ومُتنوِّعةً انتفعَ بها الطَّلبةُ مِن بعدِهِ ، ومنها :

ـ أُنسُ المحاضرةِ بما يُستحسَنُ في المذاكرةِ : **وهوَ كتابُنا هٰذا** .

ـ تخريجُ أحاديثِ الرَّافعيِّ : في مُجلَّدٍ ، أو في مُجلَّدَينِ ، مُسوَّدةٌ ولم يُبيِّضْهُ .

ـ التَّذكرةُ : نحوُ ستِّ مُجلَّداتٍ [٤]

ـ التُّساعيَّاتُ أوِ الأربعونَ التُّساعيَّةُ : وهيَ أحاديثُ بينَهُ وبينَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيها تسعُ وسائطَ فقط [٥]

---

(١) وذٰلك لِمَا كان من معاندة الوزير الفخر ماجدٍ له ، انظر « درر العقود الفريدة » (٢/٣٠١) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (١٠/٨٠) بتصرف .

(٣) درر العقود الفريدة (٢/٣٠٢) بتصرف .

(٤) في « درر العقود الفريدة » (٢/٣٠٣) .

(٥) انظر « ذيل التقييد » للفاسي (١/٢٣٤ ، ٤٢٥ ، ٢/٤٠٢) ، و« كشف الظنون » (١/٤٠٣) ، و« الأعلام » (٤/٢٦) .

ـ جزءٌ كبيرٌ : خرَّجَهُ لنفسِهِ[١]

ـ جزءٌ صغيرٌ : خرَّجَهُ لنفسِهِ ، ذكرَهُ الفاسيُّ في ترجمةِ تلميذِهِ ابنِ فهدٍ[٢]

ـ شرحُ المُهذَّبِ للشِّيرازيِّ : لم يكملْ .

ـ شرحُ منهاجِ النَّوويِّ : لم يكملْ ، وقالَ ابنُ رافعٍ : (لهُ كلامٌ علىٰ مواضعَ مِنَ « المنهاجِ » للنَّوويِّ)[٣]

ـ المُختصَرُ الكبيرُ في سيرةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم : ويُسمَّى : « السِّيرةَ الكُبرىٰ » ، جمعَهُ مِنَ المغازي والسِّيَرِ ، واعتمدَ فيهِ علىٰ شيخِهِ الشَّرفِ الدِّمْياطيِّ ، وهوَ مطبوعٌ .

ـ المُختصَرُ الصَّغيرُ في سيرةِ البشيرِ النَّذيرِ صلى الله عليه وسلم : ويُسمَّى : « السِّيرةَ الصُّغرى » ، اختصرَ فيهِ « السِّيرةَ الكُبرىٰ » .

ـ المناسكُ الكبرىٰ ، والمسمَّىٰ : « هدايةَ السَّالكِ إلى المذاهبِ الأربعةِ في المناسكِ » ، وهوَ مطبوعٌ .

ـ المناسكُ الوسطىٰ : في مُجلَّدٍ[٤]

ـ المناسكُ الصُّغرىٰ : في مُجلَّدٍ لطيفٍ ، اختصرَ فيهِ « المناسكَ الكُبرىٰ » ، وهوَ مطبوعٌ .

ـ منتخبُ نزهةِ الألبَّاءِ : اختصرَ فيهِ « النُّزهةَ »[٥] ، وهوَ مطبوعٌ .

ـ نزهةُ الألبَّاءِ في بعضِ ما رُويَ مِن نظمِ العلماءِ والأدباءِ[٦] : في مُجلَّداتٍ ، ولم يُبيِّضْهُ ، اقتصرَ فيهِ علىٰ ترجمةِ مَنِ اتَّصلَتْ لهُ روايةُ شعرِهِ بالسَّماعِ أوِ الإجازةِ[٧]

---

(١) انظر « مشيخة المراغي » (ص ٣٩٨) .

(٢) في « ذيل التقييد » (١/٤٢٥) وقال السخاوي في « التحفة اللطيفة » (٤/٣٨٥) : (وحدَّث بـ : « جزء » في قباء) ، فلعلَّه هو ، أو الذي تقدم ، أو غيرهما .

(٣) الوفيات (٢/٣٠٧ ـ ٣٠٨) .

(٤) في « درر العقود الفريدة » (٢/٣٠٣) .

(٥) انظر « الإعلان بالتوبيخ » للسخاوي (ص ١٠٤) .

(٦) وقال ابن العراقي في « الذيل على العبر » (ص ٢٠٤) : « روح قرح الألباء فيما روي من الشعر بسنده علىٰ حروف أسماء الشعراء » ، وقال المقريزي في « درر العقود الفريدة » (٢/٣٠٣) : « نزهة الألباء فيمن وقع له رواية شعره من الأدباء » .

(٧) انظر « رفع الإصر » لابن حجر (ص ٢٤٤) .

ثناءُ العلماءِ عليهِ

نالَ العزَّ ابن جَماعةَ رحمَهُ اللهُ ثناءُ العلماءِ عليهِ ومدحُهُم لهُ ، سواءٌ في ذٰلك مُعاصِروهُ وطلَّابُهُ ومَن بعدَهُم ، يُشيِّعُهُ في ذٰلكَ مكانةٌ مرموقةٌ ومنصبٌ عالٍ ، وعزٌّ زائدٌ وعفَّةٌ ، وكثيرُ تنسُّكٍ وتعبُّدٍ .

يقولُ الذَّهبيُّ ـ وهوَ ممَّن عاصرَهُ ـ : (وكانَ خيِّراً صالحاً ، حسنَ الأخلاقِ ، كثيرَ الفضائلِ)[١]

وقالَ تلميذُهُ ابنُ العراقيِّ : (وكانَ سعيدَ الحركاتِ ، رئيساً ، ذا هيبةٍ ووَقْعٍ في النُّفوسِ ، ديِّناً صيِّناً ، لهُ القَبولُ التَّامُّ مِنَ العامَّةِ والخاصَّةِ ، وكانَ متينَ الدِّيانةِ ، كثيرَ الاشتغالِ ، منطرحَ الجانبِ معَ الهيئةِ العظيمةِ ، رحمَهُ اللهُ ، ورضيَ اللهُ عنهُ)[٢]

وقالَ المقريزيُّ : (وكانَ شديداً فيما يصلُ إليهِ مِن أمورِ القضاءِ والحكمِ ، مُتثبِّتاً في ذٰلكَ ، معَ الانجماعِ والإعراضِ عمَّا لا يُناطُ بهِ)[٣]

أمَّا دينُهُ وخُلُقُهُ . . فلم يُحفَظْ عنهُ في دينِهِ ما يشينُهُ ؛ كما قالَ ابنُ قاضي شهبةَ[٤] ، وذكرَ المقريزيُّ أنَّهُ كانَ يعتكفُ العشرَ الأواخرَ مِن رمضانَ دائماً ، مُحِبّاً للحديثِ النَّبويِّ وأهلِهِ ، وسماعِهِ وإسماعِهِ ، مُعتنِياً بهِ ، وكانَ ديِّناً مُتعبِّداً متواضعاً ، كثيرَ الإفضالِ ، مُقتصِداً في مَأكَلِهِ ومَلبَسِهِ وجميعِ أحوالِهِ[٥]

وقالَ الشَّركسيُّ في « بدائعِ الزُّهورِ » : (كانَ صَلْباً في الأمورِ الشَّرعيَّةِ ، خيِّراً ديِّناً ، في درجةِ الأقطابِ ، مُبارَكاً صالحاً)[٦]

وفيهِ قالَ مُعاصِرُهُ التَّاجُ السُّبكيُّ : (وبالجملةِ كانَ نسمةً سعيدةً ، مِن سعداءِ الدُّنيا بالمشاهدةِ ، ومِن سعداءِ الآخرةِ فيما يغلبُ على الظَّنِّ)[٧] ، والثَّناءُ عليهِ كثيرٌ ، ويحتملُ البَسْطَ ، رحمَهُ اللهُ ، ورضيَ اللهُ عنهُ .

---

(١) المعجم المختص بالمحدثين (ص١٤٧) .
(٢) الذيل على العبر (ص٢٠٧) بتصرف .
(٣) درر العقود الفريدة (٣٠٢/٢) .
(٤) في « طبقات الشافعية » (١٣٧/٣) .
(٥) انظر « درر العقود الفريدة » (٣٠٠/٢ ، ٣٠٢) بتصرف .
(٦) بدائع الزهور (٣٢/١) (القسم الثاني) بتصرف .
(٧) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٨١/١٠) .

وفاتُهُ

وبعدَ استعفائِهِ الأخيرِ مِن أعباءِ القضاءِ سنةَ (٧٦٦هـ) تاقَتْ روحُهُ إلى المجاورةِ ، واتَّفقَ أن أخبرَهُ فقيرٌ أنَّهُ رأى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المَنامِ يقولُ لهُ : « فُلانٌ أَوْحَشَنا » ، وذكرَ هوَ أنَّهُ رأىٰ والدَهُ يقولُ في المَنامِ : الَّذي رآهُ الفقيرُ صحيحٌ [١] ، فشدَّ المطيَّ إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ مِن تلكَ السَّنةِ ، فحجَّ وجاورَ بمكَّةَ ، ثمَّ توجَّهَ منها في جمادى الأُولىٰ سنةَ (٧٦٧هـ) إلى المدينةِ النَّبويَّةِ المُنوَّرةِ ، وزارَ قبرَ المُصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ عادَ إلىٰ مكَّةَ ، فأقامَ بها ثلاثةَ أيَّامٍ مُعافىً ، ثمَّ مرضَ عشرةَ أيَّامٍ ، وتُوُفِّيَ يومَ الاثنينِ في الحاديَ عشرَ مِن جمادى الآخرةِ [٢] ، عن أزيدَ مِن سبعينَ سنةً .

ودُفِنَ بمقبرةِ المَعْلاةِ بجوارِ قبرِ الفُضَيلِ بنِ عياضٍ والشَّيخِ نجمِ الدِّينِ الأصبهانيِّ ، رحمَهُمُ اللهُ أجمعينَ ورضيَ عنهُم .

وكانَ يقولُ في حياتِهِ : (أشتهي أن أموتَ بأحدِ الحرمَينِ معزولاً عنِ القضاءِ) [٣] ، فأنالَهُ اللهُ ما تمنَّىٰ ، وأظفرَهُ بما تشهَّىٰ .

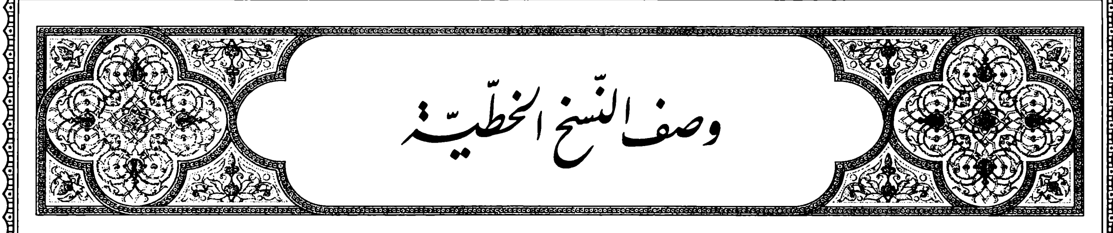
اللّٰهمّ ارحمه وارض عنه ، واسلك بنا مسلكه في الفائزين

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (١٠/٨٠) .

(٢) وقيل : في العاشر منه ، وقيل : في الثاني عشر ، وقيل : في الثالث عشر ، وقيل : في الثامن عشر ، والله أعلم وأحكم .

(٣) انظر « طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (٣/١٣٧ ـ ١٣٨) .



وصف النّسخ الخطّيّة

كانَ مِن تمامِ فضلِ اللهِ علينا أن حظيْنا بثلاثِ نسخٍ لهٰذا الكتابِ ، **هاكَ بيانَها** :

النُّسخةُ الأُولىٰ : وهيَ نسخةُ مكتبةِ مراد ملا بإستنبولَ برقمِ (٥٢٨٦) ، وعليها تملُّكاتٌ في طرَّتِها ، ووَقْفٌ في خاتمتِها .

بلغَ عددُ أوراقِها (٢٠٥) ، في كلِّ ورقةٍ (٢٥) سطراً تقريباً ، وفي كلِّ سطرٍ (٢٣) كلمةً تقريباً .

كتبَ هٰذهِ النُّسخةَ مُصنِّفُ الكتابِ العزُّ ابنُ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ كما ذُكِرَ في طرَّتِها ، ونصُّهُ : (كتابُ « أُنسِ المحاضرةِ بما يُستحسَنُ في المذاكرةِ » ، جَمْعُ العبدِ الفقيرِ إلىٰ عفوِ اللهِ تعالىٰ ومغفرتِهِ ؛ عبدِ العزيزِ بنِ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ سعدِ اللهِ بنِ جَماعةَ ، الكِنانيِّ ، غفرَ اللهُ تعالىٰ لهُم بمَنِّهِ) .

ووقعَ الفراغُ من نساختِها : سنة (٧٦٢هـ) قبلَ وفاةِ المُؤلِّفِ بخمسِ سنواتٍ .

وهيَ نسخةٌ تامَّةٌ حَوَتْ جميعَ أخبارِ الكتابِ ، وخطُّها نسخيٌّ حسنٌ [١]

وفي هوامشِها تعليقاتُ المُصنِّفِ الَّتي نقلَها مِن مصادرِ كتابِهِ ، وفيها أيضاً رموزٌ لم يُفهَمْ معناها ، كُتِبَتْ عندَ أرقامِ الأخبارِ في الهوامشِ [٢] ، وكُتِبَتْ عنواناتُ الأخبارِ في الهوامشِ باللَّونِ الأحمرِ .

وهيَ نسخةٌ كثيرةُ الشَّطبِ والتَّعديلِ والإضافاتِ في الهوامشِ ، وعليها بلاغاتٌ في نهايةِ الكراريسِ .

طالعَ هٰذهِ النُّسخةَ محمَّدٌ المُظفَّريُّ مرَّتَينِ ؛ في (٩٢٥هـ) وفي (٩٣٣هـ) .

وقد رُمِزَ لها بـ (أ) .

النُّسخةُ الثَّانيةُ : وهيَ نسخةُ مكتبةِ فيض الله بإستنبولَ برقمِ (١٥٧٩) ، وعليها

---

(١) طبقات الشافعية (١/١٨٧) بتصرف .

(٢) وقد أثبتت في مواضعها مِن الكتاب .

تملُّكاتٌ في طرَّتِها ، ووَقْفٌ في طرَّتِها وخاتمتِها ؛ ونصُّهُ : (وقف شيخ الإسلام السيد فيض الله أفندي غفر الله له ولوالديه بشرط ألا يخرج من المدرسة التي أنشأها بقسطنطينية سنة « ١١١٢ [هـ] ») .

بلغَ عددُ أوراقِها (١٥٥) ورقةً ، في كلِّ ورقةٍ (٢٥) سطراً ، وفي كلِّ سطرٍ (١٥) كلمةً تقريباً .

وهيَ نسخةٌ ناقصةٌ عمَّا في النُّسخةِ (أ) ، وقفَتْ عندَ الخبرِ (٨٢٢) مِنَ الكتابِ ، مكتوبةٌ بخطٍّ نسخيٍّ ، وكُتِبَتْ بدايةُ أخبارِها باللَّونِ الأحمرِ ، وفي هوامشِها تعليقاتُ المُصنِّفِ نفسُها الَّتي في النُّسخةِ (أ) .

واسمُ ناسخِها : أحمدُ بنُ محمَّدٍ ، وكانَ الفراغُ مِن نسخِها في السَّابعَ عشرَ مِن ذي الحجَّةِ سنةَ (١٠٩٦ هـ) ؛ كما ذُكِرَ في خاتمتِها .

وقد رُمِزَ لها بـ (ب) .

* *

النُّسخةُ الثَّالثةُ : وهيَ نسخةُ مكتبةِ رئيس الكتَّاب بإستنبولَ برقمِ (٧٥٨) ، وعليها تملُّكاتٌ في طرَّتِها ، ووَقفَ هٰذهِ النُّسخةَ مصطفىٰ رئيسُ الكتَّابِ في سنةِ (١١٥٤ هـ) ؛ كما ذُكِرَ في طرَّتِها .

بلغَ عددُ أوراقِها (١٣٩) ورقةً ، في كلِّ ورقةٍ (٢٥) سطراً ، وفي كلِّ سطرٍ (١٥) كلمةً تقريباً .

وهيَ نسخةٌ ناقصةٌ عمَّا في النُّسخةِ (أ) ، وقفَتْ في الموضعِ نفسِهِ الَّذي وقفَتْ فيهِ النُّسخةُ (ب) عندَ الخبرِ (٨٢٢) ، مكتوبةٌ بخطٍّ نسخيٍّ ، وكُتِبَتْ عنواناتُ الأخبارِ في هوامشِها باللَّونِ الأحمرِ ، وفي هوامشِها تعليقاتُ المُصنِّفِ نفسُها الَّتي في النُّسخةِ (أ) .

قُوبِلَتْ هٰذهِ النُّسخةُ علىٰ نسخةٍ بخطِّ المُصنِّفِ ؛ كما ذُكِرَ في خاتمتِها .

وقد خَلَتْ هٰذهِ النُّسخةُ مِن ذِكْرِ اسمِ ناسخِها وزمنِ النَّسخِ ، لٰكنَّها تعودُ إلى القرنِ الثَّانيَ عشرَ أو قبلَهُ ؛ بدليلِ وَقْفِها سنةَ (١١٥٤ هـ) .

وقد رُمِزَ لها بـ (ج) .

* *

وقد تبيَّنَ ـ بمعونةِ اللهِ ـ بعدَ بحثٍ وتأمُّلٍ في النُّسخِ الثَّلاثِ ، وصنيعِ العزِّ ابنِ جَماعةَ ومنهجِهِ في كتابِهِ ، وروايتِهِ عنِ الكتبِ . . عدَّةُ أمورٍ :

ـ قسَّمَ العزُّ ابنُ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ كتابَهُ إلىٰ كراريسَ ، عدَّدَها ورقَّمَها في بدايةِ كلِّ كرَّاسٍ منها ، بلغَتْ (٢٠) كرَّاساً ، وتراوحَتْ ورقاتُ الكرَّاسِ بينَ (١٠) إلىٰ (١٤) في كلِّ الكتابِ ، ما خلا كرَّاساً واحداً ؛ **وهوَ الكرَّاسُ التَّاسعَ عشرَ** ، فقد وقعَ هٰذا الكرَّاسُ في (٦) ورقاتٍ فقط ، وحوىٰ هٰذا الكرَّاسُ أخباراً مُنتقاةً **مِنَ الرَّشيدِ العَطَّارِ** ، **ثمَّ القاضي الأشرفِ** ، ثمَّ الحافظِ الدِّمْياطيِّ .

ـ مِن تتبُّعِ ورقاتِ النُّسخةِ (أ) ، وتعقيباتِ الورقاتِ في آخرِها . . يتَّضحُ اتِّصالُها جميعاً دونَ إخلالٍ في موضعٍ منها أو سقطٍ ، **ما خلا موضعاً واحداً بينَ الورقتَينِ (١٨٥ ـ ١٨٦)** ؛ إذِ انتهَتِ الورقةُ (١٨٥) أوّلاً بـ : (شكوتُ إلىٰ)[1] ، وكُتِبَ في تعقيبتِها : (وكيع سوء حفظي) ، ولا نجدُ ذٰلكَ في الورقةِ التَّاليةِ لها ؛ (١٨٦) ، **بل نجدُ فيها استكمالاً لخبرٍ آخرَ مِن مُنتصَفِهِ** ، **ضربَ عليهِ المُؤلِّفُ** ، ثمَّ كتبَ تكملةَ الأبياتِ في أسفلِ الورقةِ (١٨٥) معَ وجودِ التَّعقيبةِ : (وكيع سوء حفظي) .

وهٰذا الخبرُ ـ أعني : الَّذي فيهِ الأبياتُ ـ هوَ الخبرُ الأخيرُ مِنَ الأخبارِ المُنتقاةِ مِنَ الرَّشيدِ العَطَّارِ ، وبعدَهُ تأتي المُنتقَياتُ مِنَ القاضي الأشرفِ في مُنتصَفِ الورقةِ (١٨٦) بعدَ انتهاءِ الخبرِ الَّذي ضربَ عليه المُصنِّفُ .

ـ قامَ المُؤلِّفُ رحمَهُ اللهُ بترقيمِ أخبارِ كتابِهِ ، وانتهىٰ ترقيمُهُ للأخبارِ بحلولِ الخبرِ (١٠١١) في الكتابِ ؛ وهوَ الخبرُ السَّابقُ ؛ أعني : خبرَ أبياتِ : (شكوت إلىٰ . . .) .

ـ كانَ مِن منهجِ العزِّ في انتقائِهِ مِنَ الكتبِ أن يذكرَ سندَهُ كاملاً مُتَّصِلاً وبكلِّ طرقِهِ إلىٰ صاحبِ الكتابِ الَّذي سينتقي أخبارَهُ منهُ ، ولم يُخِلَّ بأحدٍ مِن أولئكَ ، **ما عدا القاضيَ الأشرفَ** ، الَّذي يُطالِعُنا بالخبرِ الأوَّلِ المُنتقىٰ منهُ بقولِهِ : (وأُنبِئتُ عنِ القاضي الأشرفِ)[2] دونَ ذِكْرِ سندِهِ إليهِ .

ـ كانَ مِن صنيعِ المُصنِّفِ في النُّسخةِ (أ) أن أَكْثَرَ مِنَ الشُّطوباتِ ، والإضافاتِ في

---

(١) وذٰلك في الخبر (١٠١١) من الكتاب ، مِن خبر أبياتٍ تنسب للشافعي : (شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي) ، انظر (ص ٧٦٠) .

(٢) وذٰلك في الخبر (١٠١٢) .

الهوامشِ ؛ يزيدُ في هٰذا الخبرِ سنداً أو سندَينِ في هامشِهِ ، أو يُضيفُ كلمةً ، أو يشطبُ خبراً أو خبرَينِ ، إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ التَّعديلاتِ ؛ **ممَّا يفعلُهُ المرءُ عادةً في مُسوَّداتِهِ لا مُبيَّضاتِهِ** .

وممَّا يُؤنِسُ بهٰذا الَّذي قلْنا ويعضُدُهُ : أنَّ العزَّ ابنَ جَماعةَ كانَ فيما ذكرَ المُترجِمونَ سَوَّدَ بعضَ كتبِهِ قبلَ أن يُبيِّضَها ، بل سَوَّدَ كتباً ولم يُبيِّضْها[1] ، وكَتَبَ أُخرىٰ ولم يُكمِلْها[2] ، كلُّ ذٰلكَ **ممَّا يُقوِّي احتمالَ كونِ النُّسخةِ (أ) مُسوَّدةً لكتابِهِ** .

وأمَّا النُّسختانِ (ب ، ج) . . فهُما في الغالبِ **ناقلتانِ عن نسخةٍ مُبيَّضةٍ للمُصنِّفِ** كانَتْ بينَ يدَي ابنِ ناصرِ الدِّينِ[3] ، ووقفَ فيها المُصنِّفُ عندَ الخبرِ (٨٢٢) ؛ لأمرٍ نجهلُهُ ، **وإليكَ بَسْطَ هٰذا** :

أشارَ ناسخُ (ج) في نهايتِها إلىٰ أنَّ نسختَهُ منقولةٌ ومقابلةٌ علىٰ أصلٍ هوَ بخطِّ المُصنِّفِ ، ولم يُشِرْ إلىٰ ذٰلكَ ناسخُ (ب) ، ولٰكنَّ دراسةَ الفروقِ الَّتي اختلفَتْ فيها النُّسخُ الثَّلاثُ للكتابِ . . تكشفُ وجودَ تطابُقٍ كبيرٍ وغالبٍ في فروقِ النُّسختَينِ (ب ، ج) عنِ النُّسخةِ (أ) بما يزيدُ على الثُّلثَينِ مِن جملةِ الفروقِ ، وكذا في زياداتِهِما علىٰ ما في (أ) ، أو زيادةِ (أ) علىٰ ما فيهِما ؛ بنسبةِ تطابُقٍ تزيدُ على الثُّلثَينِ **في المواضعِ نفسِها** .

وزِدْ علىٰ ذٰلكَ أنَّهُما وقفتا في الموضعِ نفسِهِ ؛ أعني : الخبرَ (٨٢٢) ، وإشارتَهُما إلىٰ تمامِ النُّسخةِ وانتهائِها ؛ ممَّا يزيدُ في احتمالِ أَخْذِهِما مِن مشكاةٍ واحدةٍ .

وهٰذهِ الفروقُ والزِّياداتُ غَلبَتْ عليها صِيَغُ التَّرحُّمِ ، والصَّلاةِ والسَّلامِ على الأنبياءِ ، وإتماماتٍ في الأسانيدِ ؛ **وكلُّ ذٰلكَ ممَّا يزيدُهُ المرءُ عادةً في مُبيَّضاتِهِ** ، فيُنمِّقُ كتابَهُ ويُوشِّيهِ بما رُبَّما شُغِلَ عنهُ في تسويدِهِ ، واللهُ أعلم .

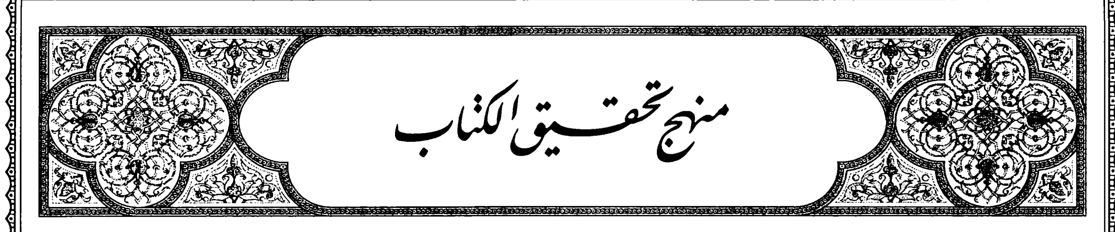
❋ ❋ ❋

---

(١) كما فعل في « تخريج أحاديث الرافعي » ، و« نزهة الألباء » .

(٢) كما فعل في « شرح المنهاج » ، و« شرح المهذب » .

(٣) كما أُشير إلىٰ ذٰلك في هامشٍ من النسخة (ب) ، انظره (ص ٤٨) .



منهج تحقيق الكتاب

ـ اتُّخِذَتِ النُّسخةُ (أ) أصلاً للكتابِ ؛ فهيَ بخطِّ يدِ المُصنِّفِ كما ذُكِرَ في طُرَّتِها ، ولزيادتِها على النُّسختَينِ (ب ، ج) بـ : (٥٠) ورقةً تقريباً .

انتُسِخَتِ النُّسخةُ الأُمُّ ، ثمَّ قُوبِلَتْ على النُّسختَينِ (ب ، ج) ، **فما اختلفَتْ فيهِ النُّسخُ . . أُثبِتَ الصَّوابُ فيهِ** ، وغالباً ما كانَ الصَّوابُ في النُّسخةِ (أ) .

وما زادَتْ بهِ (ب ، ج) علىٰ (أ) ـ وهما تشتركانِ في كلِّ المواضعِ الزَّائدةِ علىٰ (أ) ، ما خلا كُلَيماتٍ انفردَتْ بها كلُّ نسخةٍ ـ . . **فأُثبِتَ في متنِ الكتابِ بينَ معقوفَينِ دونَ إشارةٍ في الهوامشِ** ؛ وذلكَ لكونِ النُّسختَينِ ناقلتَينِ عن نسخةٍ أخرىٰ للمُؤلِّفِ بخطِّ يدِهِ ، ولم يُثبَتْ مِن فروقِ النُّسخِ إلَّا ما كانَ مهمّاً .

ـ إثباتُ الحواشي الَّتي كتبَهَا العزُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في هامشِ نسختِهِ ، وجلُّها تراجمُ للرِّجالِ ، يذكرُ فيها اسمَ الرَّجلِ ونسبَهُ ، وسنةَ وفاتِهِ ، وأحياناً شيئاً مِن أخبارِهِ .

ـ الإشارةُ إلى المواضعِ الَّتي استشكلَها المُؤلِّفُ وكتبَ فوقَها : (كذا) .

ـ تخريجُ آيِ القرآنِ الكريمِ ، وتخريجُ القراءاتِ اعتماداً علىٰ كتبِ القراءاتِ المشهورةِ .

ـ تخريجُ الأحاديثِ والآثارِ مِن أُمَّاتِ مصادرِها .

ـ تخريجُ الأخبارِ والمُنتقَياتِ ممَّا وُجِدَ مِن أصولِها الَّتي انتُقِيَتْ منها ؛ كـ : « تاريخِ الخطيبِ » ، و« تاريخِ دِمشقَ » ، وقطعةٍ مِن « ذيلِ ابنِ النَّجَّارِ » ، ثمَّ تتبُّعُ هٰذهِ الأخبارِ في غيرِ الأصولِ .

فأمَّا « ذيلُ أبي سعدٍ » . . فقدِ اختصرَهُ ابنُ منظورٍ أوِ اختارَ منهُ ، فاعتُمِدَ في تخريجِ بعضِ أخبارِ « الذَّيلِ » علىٰ ما وصلَنا مِن هٰذا المُختصَرِ أوِ المُختارِ [١]

---

(١) وهي نسخةٌ من المجمع العلمي العراقي مصورةٌ من جامعة كامبردج ، تبدأ بتراجمَ من (باب الألف) ، وتنتهي بتراجمَ من (باب الحاء) مع سقطٍ في مواضعَ ، وتمَّ التخريج منها في هٰذا الكتاب باسم « مختار ذيل تاريخ بغداد » .

كما اعتُمِدَ في تخريجِ بعضِ أخبارِهِ علىٰ ما نقلَهُ الفتحُ بنُ عليٍّ البُنْداريُّ في كتابِهِ « تاريخِ بغدادَ » فيما وصلَنا مِن هٰذا الكتابِ أيضاً [1]

وأمَّا « ذيلُ ابنِ النَّجَّارِ » . . فاعتُمِدَ في تخريجِ بعضِ أخبارِهِ على القطعةِ المطبوعةِ منهُ [2] ، وهوَ أكبرُ مِن ذٰلكَ بكثيرٍ .

كما اعتُمِدَ في تخريجِ بعضِ أخبارِهِ علىٰ ما اختارَهُ أبو الحسينِ ابنُ الدِّمْياطيِّ مِن « ذيلِهِ » في الكتابِ الَّذي سمَّاهُ : « المُستفادَ مِن ذيلِ تاريخِ بغدادَ » .

وأمَّا « الفوائدُ المُنتخَبةُ » للطُّرْطُوشيِّ . . فاعتُمِدَ في تخريجِ أخبارِها علىٰ كتابِ المُصنِّفِ الآخرِ : « سراجِ الملوكِ » ، وعلى الكتبِ المُتأخِّرةِ عنهُ الَّتي نقلَتْ مِنَ « الفوائدِ » معَ عَزْوِها لها .

وأمَّا « تاريخُ دِمشقَ » لابنِ عساكرَ . . فاعتُمِدَ علىٰ « مُختصَرِهِ » لابنِ منظورٍ فيما لم نجدْهُ في مطبوعِ « التَّاريخِ » ، وهيَ مِن بدايةِ تراجمِ ابنِ عساكرَ لرجالِ كتابِهِ في الغالبِ .

وما وُجِدَ مِن أخبارِ هٰذا الكتابِ معزوّاً إلىٰ أصولِهِ في الكتبِ الجامعةِ ؛ كـ : « جمعِ الجوامعِ » للجلالِ السُّيوطيِّ ، و« كنزِ العمَّالِ » للمُتَّقي الهنديِّ ، وغيرِهِما مِنَ الكتبِ المُتأخِّرةِ عن تلكَ الأصولِ . . فأُثبِتَ في الهامشِ ؛ تقويةً وتوثيقاً لنسبةِ هٰذهِ الأخبارِ الَّتي في « الأُنسِ » إلىٰ تلكَ الأصولِ .

ـ ترقيمُ الأخبارِ في الكتابِ ترقيماً مُتواصِلاً يستكملُ ما فاتَ المُصنِّفَ منهُ .

ـ شرحُ ما لَزِمَ مِنَ المواضعِ والبلدانِ ، والأنسابِ ، والكلماتِ المُستغلقةِ .

ـ ضبطُ الكتابِ وتفقيرُ نصوصِهِ بما يُعينُ قارئَهُ ، ويُساعِدُ في فهمِ النُّصوصِ علىٰ وجهِها .

---

(١) وهي نسخةٌ من المكتبة الوطنية في باريس برقم (٦١٥٢) ، ونسخةٌ من مكتبة تشستر بيتي في دبلن برقم (٣٧٥٤) .
بنى البنداريُّ كتابَه على النقل من « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي باختصارٍ واختيارٍ ، ثم ثنَّىٰ بـ « ذيل السمعاني » ، فاختار ممَّا زاده السمعانيُّ علىٰ « تاريخ الخطيب » من التراجم ، وثلَّث بعده بـ « ذيل تاريخ مدينة السلام » لابن الدبيثي ، فاختار ممَّا زاده ابن الدبيثي على المتقدِّمَين ، وربَّما زاد هو ـ أعني : البنداريَّ ـ شيئاً أو أضاف نكتةً .
وما ذُكِر في تخريجنا من قولنا : (بسندٍ آخر) . . يعني أن الخبر أسند في « البنداريّ » الناقلِ عن أصلٍ من الأصول بغير السند الذي اختاره العزُّ ونقلَهُ في « الأنس » ، وهم ممَّن يكرّرون الأخبار في كتبهم .

(٢) طبعت في دار الكتب العلمية ضمن ذيول تاريخ بغداد ، وهي من الجزء السادس عشر حتى العشرين منها .

ـ وضعُ عنواناتٍ لِمَا عنونَ لهُ المُؤلِّفُ بـ : حكايةٍ ، أو نكتةٍ ، أو فائدةٍ ، وما أشبهَ ذٰلكَ أو زادَ عليهِ ؛ ممَّا يُشوِّقُ القارئَ ، ويختزلُ مضمونَ الخبرِ في عبارةٍ مُوجَزةٍ .

ـ إعدادُ ترجمةٍ موجزةٍ للعزِّ ابنِ جَماعةَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

ـ إعدادُ ثَبَتٍ بأسانيدِ المُؤلِّفِ إلىٰ أصحابِ مصادرِ الكتابِ الذينَ نقلَ عنهُم .

وفي الختام :

نسألُ اللهَ ـ تباركَتْ أسماؤُهُ ، وعزَّ جاهُهُ ـ أن يكونَ هٰذا العملُ خالصاً لوجهِهِ الكريمِ ، مِهاداً للخيرِ والنَّفعِ ، لَبِنةً في جدارِ تراثِنا المنيعِ ، بحُلَّةٍ تُرضي مُؤلِّفَهُ مِن بعدُ ، وتُرضي اللهَ مِن قبلُ ، ولسانُ الحالِ يقولُ ما قالَ أبو سليمانَ الخَطَّابيُّ ـ وعملُ الإنسانِ رَهْنُ النَّقْصِ والتَّقصيرِ ـ : (وأمَّا ما تكلَّمْنا عليهِ ممَّا استدركْناهُ بمَبلَغِ أفهامِنا ، وأخذْناهُ عن أمثالِنا . . فإنَّا أحقَّاءُ بألَّا نُزكِّيَهُ ، وألَّا نُؤكِّدَ الثِّقةَ بهِ ، وكلُّ مَن عثرَ منهُ علىٰ حرفٍ أو معنىً يجبُ تغييرُهُ . . فنحنُ نُناشِدُهُ اللهَ في إصلاحِهِ ، وأداءِ حقِّ النَّصيحةِ فيهِ ، فإنَّ الإنسانَ ضعيفٌ لا يسلمُ مِنَ الخطأ إلَّا أن يعصمَهُ اللهُ بتوفيقِهِ ، ونحنُ نسألُ اللهَ ذٰلكَ ، ونرغبُ إليهِ في دَرْكِهِ ، إنَّهُ جوادٌ وَهوبٌ) .

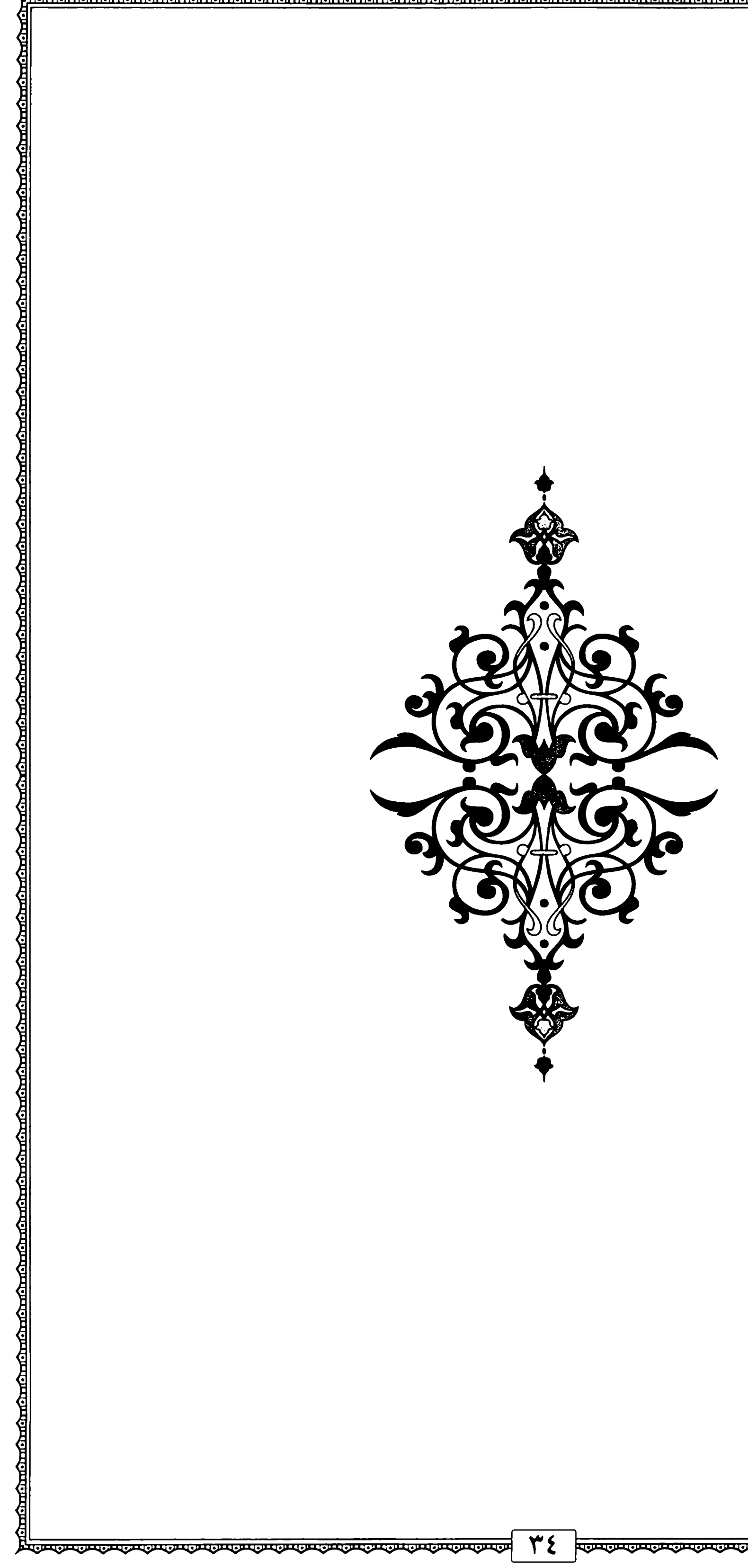
اللّٰهمّ تقبّل منا يا كريم

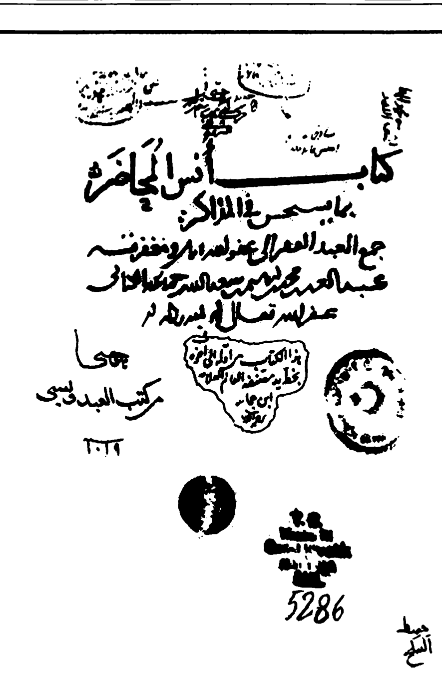
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

اللّجنة العلميّة

بمركز دار المنهاج للدّراسات والتّحقيق العلميّ


صور من المخطوطات المعتمدة





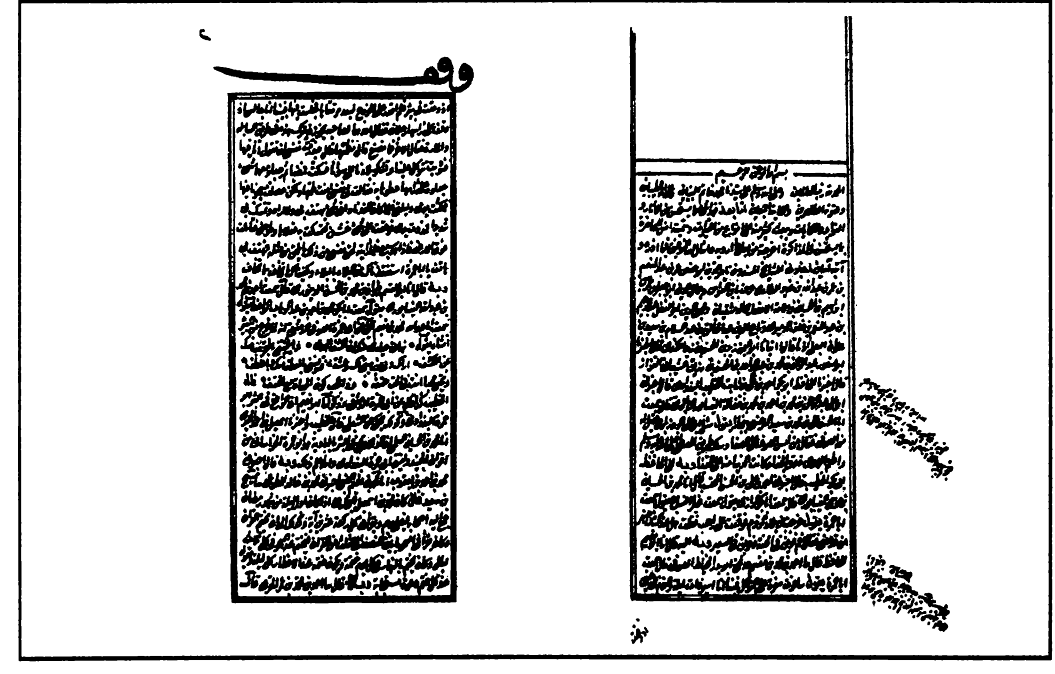
كتاب أنس المحاضرة
بما يستحسن في المذاكرة
جمع العبد الفقير إلى عفو الله تعالى ومغفرته
عبد الغني بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني
عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه

٥٢٨٦

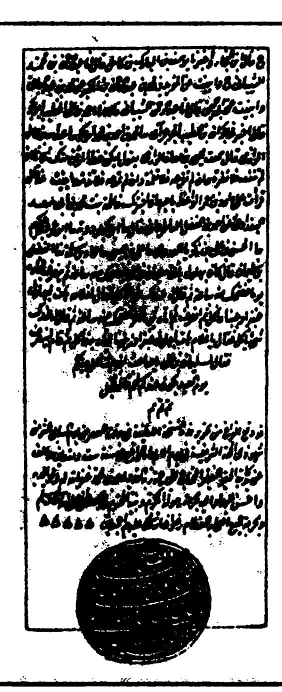
راموز ورقة العنوان للنّسخة (أ)

راموز الورقة الأولى للنّسخة (أ)

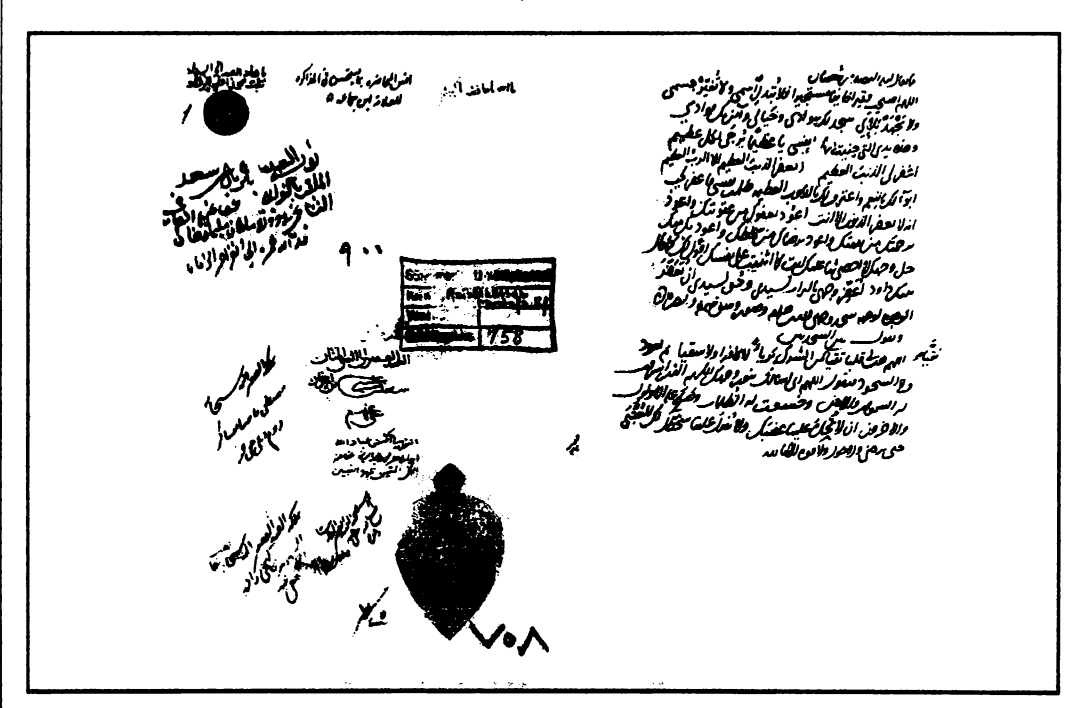
راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (أ)



راموز الورقة الأولى للنّسخة (ب)



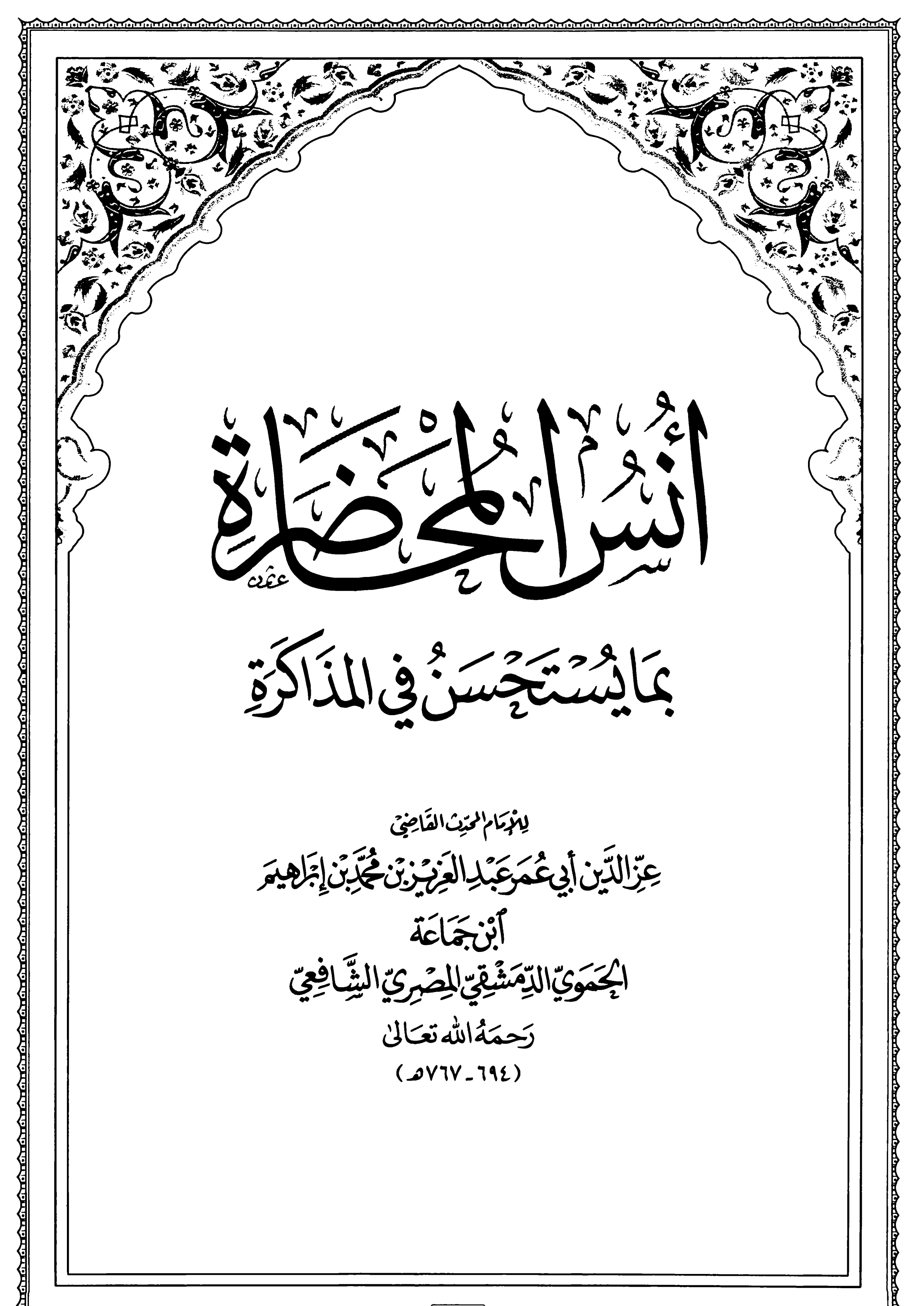
رامُوز الورقة الأخيرة للنّسخة (ب)



رامُوز ورقة العنوان للنّسخة (ج)

راموز الورقة الأولى للنّسخة (ج)

راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (ج)



أُنسُ المحاضرة

بما يُستحسن في المذاكرة

للإمام المحدث القاضي

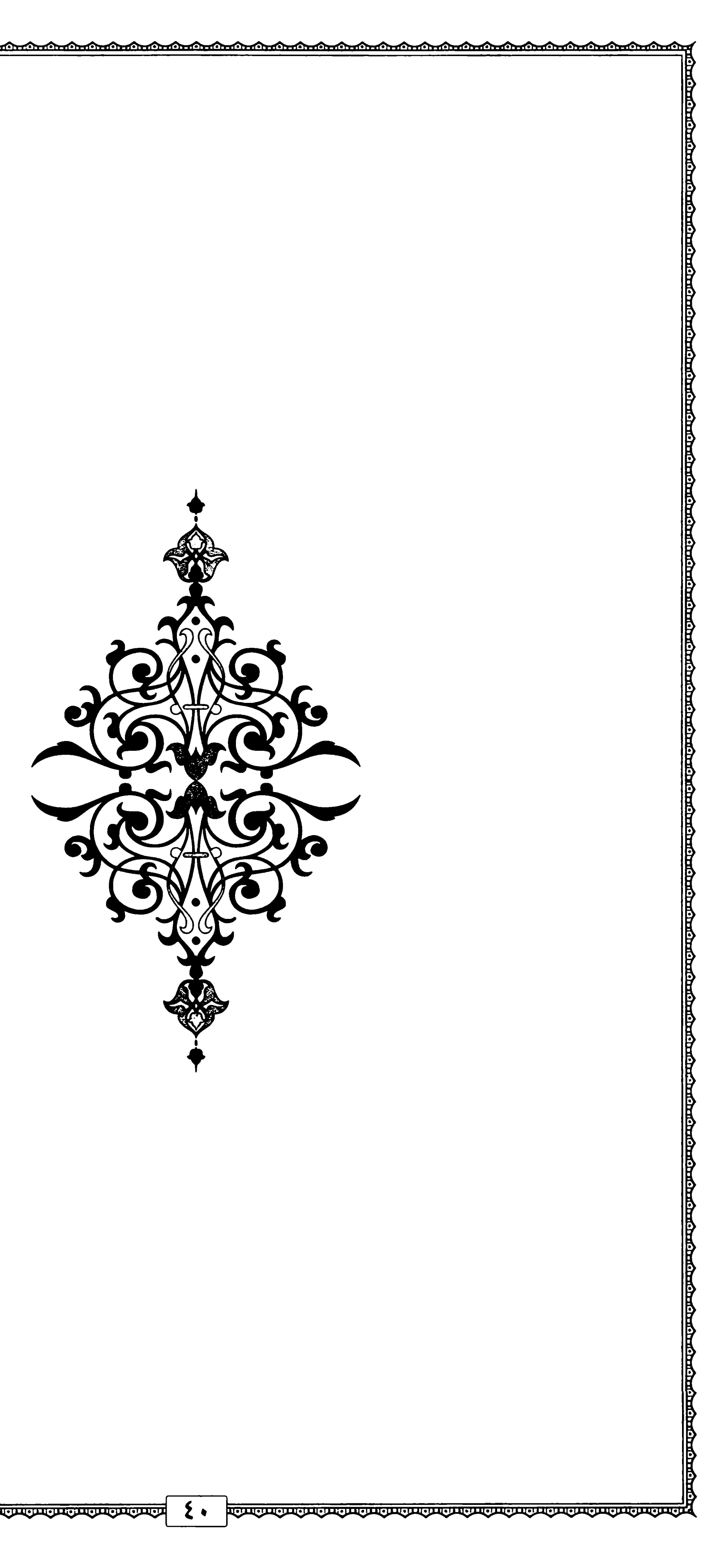
عزّ الدّين أبي عُمر عبد العزيز بن مُحمّد بن إبراهيم

ابْن جماعة

الحمويّ الدّمشقيّ المصريّ الشّافعيّ

رحمه الله تعالى

(٦٩٤ - ٧٦٧هـ)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالَمينَ ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ خاتمِ النَّبيِّينَ ، وعلىٰ آلِهِ الطَّيِّبينَ ، وعِتْرتِهِ الطَّاهرينَ ، وصحابتِهِ أجمعينَ .

أمَّا بعدُ :

فهٰذا شيءٌ ممَّا يُستحسَنُ [مِنَ الآثارِ والفوائدِ] والحكاياتِ ، ويَبعثُ كثيرٌ منهُ علىٰ أنواعٍ مِنَ الخيراتِ .

وسمَّيتُهُ :

« أُنسُ المحاضرةِ بما يُستحسَنُ في المذاكرةِ »

ورتَّبتُهُ وأخرجتُهُ[1] مِن بعضِ ما أرويهِ ، وأسألُ اللهَ تعالى التَّوفيقَ فيما أذرُهُ وآتيهِ ، آمينَ .

* * *

١ ـ أخبرَني المشايخُ المُسنِدونَ : ناصرُ الدِّينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ المُنعِمِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ غديرِ الطَّائيُّ ـ عُرِفَ بابنِ القَوَّاسِ ـ ، وجمالُ الدِّينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ سلامةَ الأنصاريُّ الدِّمشقيَّانِ ، ومُحيِي الدِّينِ أبو الفضلِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ المُنعِمِ بنِ خلفِ الدَّميريُّ ، [وتاجُ الدِّينِ عبدُ الخالقِ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ سعيدِ بنِ علوانَ البَعْليُّ] إذناً قالوا : أنبأَنا أبو اليُمنِ زيدُ بنُ الحسنِ بنِ زيدٍ الكِنْديُّ قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ الحسنِ ابنُ [زُرَيقٍ][2] الشَّيْبانيُّ القَزَّازُ قالَ : **أخبرَنا الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ البغداديُّ** قالَ : أخبرَني أبو عليٍّ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ فضالةَ النَّيسابوريُّ بالرَّيِّ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمَّدِ بنِ

---

(١) (أنس المحاضرة) : غير واضح في (أ) ، و(ورتبته وأخرجته) : بعضها غير واضح في (أ) ، وهي في (ب ، ج) : (أخرجته) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (رزيق) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٣/ ١٥٠) ، و« تكملة الإكمال » لابن نقطة (٢/ ٧٢٢ ـ ٧٢٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٦٩) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (١٠٤٠) .

سعيدِ السَّرْخَسيَّ ببُخارىٰ يقولُ : (سُئِلَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ[1] ، فقيلَ لهُ : مَنِ الصُّوفيُّ ؟

فقالَ : مَن لَبِسَ الصُّوفَ على الصَّفا ، وسلكَ طريقَ المُصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأطعمَ الهوىٰ ذَوْقَ الجَفا ، وكانَتِ الدُّنيا منهُ على القَفا)[2]

* * *

٢ ـ وبهِ إلى الحافظِ أبي بكرٍ الخطيبِ قالَ : أخبرَني أحمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ المُحتسِبُ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ ابنِ موسى النَّيْسابوريُّ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ خَيْراً النَّسَّاجَ يقولُ : سمعتُ أبا حمزةَ[3] يقولُ : خرجتُ مِن بلادِ الرُّومِ ، فوقفتُ علىٰ راهبٍ فقلتُ : هل عندَكَ مِن خبرِ مَن قد مضىٰ ؟ فقالَ : نعم ، فريقٌ في الجنَّةِ وفريقٌ في السَّعيرِ[4]

حكاية

[في عاقبةِ التَّوكُّلِ على اللهِ]

٣ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ قالَ : ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ مِقْسَمٍ ، حدَّثَني أبو بدرٍ الخيَّاطُ الصُّوفيُّ قالَ : سمعتُ أبا حمزةَ يقولُ : سافرتُ سفرةً على التَّوكُّلِ ، فبينا أنا أسيرُ ذاتَ ليلةٍ والنَّومُ في عينيَّ . . إذ وقعتُ في بئرٍ ، فلم أقدرْ على الخروجِ ؛ لبُعدِ مُرتقاها ، فجلستُ فيها .

فبينا أنا جالسٌ . . إذ وقفَ علىٰ رأسِها رجلانِ ، فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ : نجوزُ ونتركُ هـٰذهِ في طريقِ السَّابلةِ والمارَّةِ ؟! فقالَ الآخرُ : فما نصنعُ ؟ قالَ : نطُمُّها ، قالَ :

---

(١) هو أبو عليٍّ ، محمَّد بن أحمد بن القاسم ، الرُّوذْباريُّ ، أحد مشايخ الصُّوفيَّة ، توفِّي سنة اثنتين وعشرين ـ وقيل : ثلاث وعشرين ـ وثلاث مئة ، رحمه الله . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٨٢/٢) ، وانظر « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي (ص ٢٥) ، و« الأنساب » (١٠١/٣) ، ويروىٰ عن الشبلي .

(٣) هو أبو حمزة ، محمَّد بن إبراهيم ، البَزَّاز البغداديُّ ، من كبار الصُّوفيَّة ، توفِّي سنة تسع وستِّين ومئتين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٧٥/٢) ، والسلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٢٩٦) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٥٥٢) ، وقوام السنة في « سير السلف الصالحين » (١٢٧٦/٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٣/٥١ ـ ٢٥٤) من طريق الخطيب .

فبدَرَتْ نفسي أن تقولَ : أنا فيها ، فنُودِيتُ : تتوكَّلُ علينا ، وتشكو بلاءَنا إلىٰ سوانا ؟! فسكتُّ .

فمضيا ثمَّ رجعا ، ومعَهُما شيءٌ جعلاهُ علىٰ رأسِها غطَّوْها بهِ ، فقالَتْ لي نفسي : أَمِنتَ طَمَّها ، ولٰكنْ حصلتَ مسجوناً فيها ، فمكثتُ يومي وليلتي .

فلمَّا كانَ الغدُ . . ناداني شيءٌ يهتفُ بي ولا أراهُ : تمسَّكْ بي شديداً ، فمددتُ يدي فوقعتُ علىٰ شيءٍ خَشِنٍ ، فتمسَّكتُ بهِ ، فعَلاها وطرحَني ، فتأمَّلتُ فوقَ الأرضِ فإذا هوَ سَبُعٌ !! فلمَّا رأيتُهُ . . لحقَ نفسي مِن ذٰلكَ ما يلحقُ مِن مثلِهِ ، فهتفَ بي هاتفٌ : يا أبا حمزةَ ؛ استنقذْناكَ مِنَ البلاءِ بالبلاءِ ، وكفيْناكَ ما تخافُ بما تخافُ (١)

* * *

٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ رضوانُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الدِّينَوَريُّ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ النَّيْسابوريَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ عبدِ الوهَّابِ الواعظَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ ابنَ نُعَيمٍ (٢) ، يحكي عن أبي حمزةَ الصُّوفيِّ الدِّمشقيِّ : أنَّهُ لمَّا خرجَ مِنَ البئرِ . . أنشأَ يقولُ (٣) : [من الطويل]

نَهَانِي حَيَائِي مِنْكَ أَنْ أَكْشِفَ ٱلْهَوَىٰ ... وَأَغْنَيْتَنِي بِٱلْقُرْبِ مِنْكَ عَنِ ٱلْكَشْفِ
أَرَاكَ وَبِي مِنْ هَيْبَتِي لَكَ وَحْشَةٌ ... فَتُؤْنِسُنِي بِٱلْعَطْفِ مِنْكَ وَبِٱللُّطْفِ
وَتُحْيِي مُحِبّاً أَنْتَ فِي ٱلْحُبِّ حَتْفُهُ ... وَذَا عَجَبٌ كَوْنُ ٱلْحَيَاةِ مَعَ ٱلْحَتْفِ !! (٤)

قالَ الخطيبُ : كذا قالَ عن أبي حمزةَ الدِّمشقيِّ .

وذكرَ لنا أبو نُعَيمٍ : أنَّ الواقعَ في البئرِ أبو حمزةَ البغداديُّ ، وكذٰلكَ يُحكىٰ عنِ الشِّبْليِّ (٥)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/٢٧٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٣٢٠ ـ ٣٢١) ، وابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (٢/٢٣٥ ـ ٢٣٦) من طريق الخطيب .

(٢) هو أبو عبد الله ، محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعَيم ، الضَّبِّيُّ النَّيسابوريُّ الحافظ ، المشهور بالحاكم ، المتوفَّىٰ سنة (٤٠٥ هـ) ، وانظر « لسان الميزان » لابن حجر (٧/٥٥٠ ـ ٥٥١) .

(٣) الأبيات في « ديوان الخبز أرزي » (ص ١٣٠) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٧) .

(٥) تاريخ بغداد (٢/٢٧٧) ، حلية الأولياء (١٠/١٧٨) .

قالَ الخطيبُ : وأخبرَنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ الحِيريُّ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ : أنَّ الَّذي وقعَ في البئرِ بالباديةِ هوَ أبو حمزةَ الخُراسانيُّ مِن أقرانِ الجُنَيدِ ، وليسَ بأبي حمزةَ البغداديِّ ، واللهُ أعلمُ بذٰلكَ (١)

* * *

٥ (٢) ـ وبهِ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ الضَّبِّيُّ ، أخبرَني محمَّدُ بنُ خالدٍ المُطَّوِّعيُّ ، ثنا مُسَبِّحُ بنُ سعيدٍ قالَ : (كانَ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ البُخاريُّ إذا كانَ أوَّلُ ليلةٍ مِن شهرِ رمضانَ . . جمعَ إليهِ أصحابَهُ ، فيُصلِّي بهِم ، ويقرأُ في كلِّ ركعةٍ عشرينَ آيةً ، وكذٰلكَ إلىٰ أن يختمَ القرآنَ .

وكانَ يقرأُ في السَّحَرِ ما بينَ النِّصفِ إلى الثُّلُثِ مِنَ القرآنِ ، فيختمُ عندَ السَّحَرِ في كلِّ ثلاثِ ليالٍ !!

وكانَ يختمُ بالنَّهارِ في كلِّ يومٍ ختمةً !! ويكونُ ختمُهُ عندَ الإفطارِ كلَّ ليلةٍ ، ويقولُ : عندَ كلِّ ختمٍ دعوةٌ مُستجابةٌ) (٣)

حكاية

[في صلاةِ الإمامِ البُخاريِّ وخشوعِهِ]

٦ ـ وبهِ قالَ : [أخبرَني أبو الوليدِ الدَّربنديُّ قالَ : أنبأَنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ سليمانَ الحافظُ قالَ] (٤) : ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ المُقرِئُ قالَ : سمعتُ أبا سعيدٍ بكرَ بنَ منيرٍ يقولُ : (كانَ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ ـ يعني : البُخاريَّ ـ يُصلِّي ذاتَ يومٍ ، فلسعَهُ الزُّنبورُ سبعَ عشرةَ مرَّةً ، فلمَّا قضىٰ صلاتَهُ . . قالَ : انظروا أيشٍ هٰذا

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٢٧٧) ، وأخرج الخبرَ عن أبي حمزة الخراسانيِّ القشيريُّ في « الرسالة القشيرية » (ص ٤٢١ ـ ٤٢٢) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٨/٢٨٨ ـ ٢٨٩) ، و« تاريخ دمشق » (٦٦/١٥٥ ـ ١٥٦) كلُّهم ذكره مع الخبر السابق .

(٢) بدأ المؤلِّف من ها هنا بترقيم الأخبار .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/٣٣٠ ـ ٣٣١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٠٥٨) ، وابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (٢/٢٥٤) من طريق الخطيب ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/٧٩) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤/٣٥٠) .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من « تاريخ بغداد » .

الَّذي آذاني في صلاتي ، فنظروا فإذا الزُّنبورُ قد ورَّمَهُ في سبعةَ عشرَ موضعاً ، ولم يقطعْ صلاتَهُ !!)[1]

حكاية

[في حفظِ اللهِ لأهلِ الصِّدقِ]

٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ قالَ : أخبرَنيَ الحسينُ بنُ جعفرِ بنِ عليّ ، أخبرَني عبيدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ الجزريُّ قالَ : قالَ أبو الخيرِ الدَّيْلَميُّ : كنتُ جالساً عندَ خَيْرٍ النَّسَّاجِ[2] ، فأتَتْهُ امرأةٌ وقالَتْ : أَعطِني المنديلَ الَّذي دفعتُهُ إليكَ ، قالَ : نعم ، فدفعَهُ إليها .

فقالَتْ : كمِ الأجرةُ ؟ قالَ : درهمانِ ، قالَتْ : ما معيَ السَّاعةَ شيءٌ ، وأنا قد تردَّدتُ إليكَ مرَّاتٍ فلم أرَكَ ، آتيك بهِ غداً إن شاءَ اللهُ [تعالىٰ] ، فقالَ لها خَيْرٌ : إن أتيتِني بهِما ولم ترَيني . . فارمي بهِما في الدِّجلةِ ، فإنّي إذا رجعتُ . . أخذتُهُما .

فقالَتِ المرأةُ : كيفَ تأخذُ مِنَ الدِّجلةِ ؟ فقالَ خَيْرٌ : هٰذا التَّفتيشُ فضولٌ منكِ ، افعلي ما أمرتُكِ ، قالَتْ : إن شاءَ اللهُ [تعالىٰ] ، فمرَّتِ المرأةُ .

قالَ أبو الخيرِ : فجئتُ الغدَ ، وكانَ خَيْرٌ غائباً ، فإذا بالمرأةِ جاءَتْ ومعَها خِرْقةٌ فيها درهمانِ ، فلم ترَ خَيْراً ، فقعدَتْ ساعةً ، ثُمَّ قامَتْ ورمَتْ بالخِرْقةِ في دِجلةَ ، فإذا بسرطانٍ تعلَّقَتْ بالخِرْقةِ وغاصَتْ ، وبعدَ ساعةٍ جاءَ خَيْرٌ ، وفتحَ بابَ حانوتِهِ ، وجلسَ على الشَّاطئِ يتوضَّأُ ، فإذا بسرطانٍ خرجَتْ مِنَ الماءِ تسعىٰ نحوَهُ ، والخِرْقةُ علىٰ ظهرِها !! فلمَّا قربَتْ مِنَ الشَّيخِ . . أخذَها ، فقلتُ لهُ : رأيتُ كذا وكذا ، فقالَ : أُحِبُّ ألَّا تبوحَ بهِ في حياتي[3]

* * *

٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو سعدٍ إسماعيلُ بنُ عليّ بنِ الحسنِ بنِ بُنْدارِ الإِسْتِراباذيُّ ، أنا

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/٣٣١) ، وابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (٢/٢٥٥) من طريقه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/٧٩) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤/٣٥٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/٤٤١) .

(٢) خَيْر النَّسَّاج : هو محمَّد بن إبراهيم ، يكنىٰ أبا الحسن ، من كبار مشايخ الصُّوفيَّة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) ، كذا قال ، وفي « تاريخ بغداد » (٢/٣٨٠) : محمَّد بن إسماعيل .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/٣٨٠ ـ ٣٨١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٣٠٨) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٢٦١) .

أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدٍ [الطِّينيُّ][1] بإسْتِراباذَ ، ثنا أبو نُعَيمٍ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدٍ ، ثنا الرَّبيعُ قالَ : سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ : (كنتُ ألزمُ الرَّميَ حتَّىٰ كانَ الطَّبيبُ يقولُ لي : أخافُ أن يُصيبَكَ السُّلُّ مِن كثرةِ وقوفِكَ في الحرِّ) .

قالَ : وقالَ الشَّافعيُّ : (كنتُ أصيبُ مِن عشرةٍ تسعةً) ، أو نحواً ممَّا قالَ[2]

حكاية

[في تفسيرِ رؤيا الشَّافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ]

٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ إبراهيمَ بنِ [شاذي][3] الهَمَذانيُّ ، ثنا أبو نصرٍ منصورُ بنُ عبدِ اللهِ الهَرَويُّ الصُّوفيُّ بهَمَذانَ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ المَغازِليَّ يقولُ : سمعتُ المُزَنيَّ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ : رأيتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ عليهِ السَّلامُ في النَّومِ ، فسلَّمَ عليَّ وصافحَني ، وخلعَ خاتَمَهُ فجعلَهُ في إصبَعي ، وكانَ لي عمٌّ ففسَّرَها لي ، فقالَ لي : أمَّا مصافحتُكَ عليٌّ . . فأمانٌ مِنَ العذابِ ، وأمَّا خَلْعُ خاتَمِهِ فجَعْلُهُ في إصبَعِكَ . . فسيبلغُ اسمُكَ ما بلغَ اسمُ عليٍّ في الشَّرقِ والغربِ[4]

حكاية

[في رعايةِ اللهِ للمحامدِ الأربعةِ]

١٠ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني أبو الفرجِ محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ الخَرْجُوشيُّ الشِّيرازيُّ لفظاً قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ منصورِ بنِ محمَّدٍ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ أحمدَ الصَّحَّافَ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ البَكْريَّ ـ مِن ولدِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ـ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الطيبي) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (٢٦١/٥) ، و« الأنساب » (٩٨/٤) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٩٧/٢) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (١٢٨/٢) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (١١٧٣/٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/١٠) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (شاذان) ، والمثبت من « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٦٧/٢٨) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٩٧/٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٩/٥١) من طريقه ، وانظر « الأنساب » (٣٧٩/٣) .

يقولُ : جَمَعَتِ الرِّحلةُ بينَ محمَّدِ بنِ جَريرٍ ، ومحمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ ، ومحمَّدِ بنِ نصرٍ المَرْوَزيِّ ، ومحمَّدِ بنِ هارونَ الرُّويانيِّ بمصرَ ، فأرملوا ولم يبقَ عندَهُم ما يقوتُهُم ، وأضرَّ بهِمُ الجوعُ .

فاجتمعوا ليلةً في منزلٍ كانوا يأوونَ إليهِ ، فاتَّفقَ رأيُهُم علىٰ أن يَستهموا ويضربوا القُرْعةَ ، فمَن خرجَتْ عليهِ القُرْعةُ . . سألَ لأصحابِهِ الطَّعامَ ، فخرجَتِ القُرْعةُ علىٰ محمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ .

فقالَ لأصحابِهِ : أَمهِلوني حتَّىٰ أتوضَّأَ ، وأُصلِّيَ صلاةَ الخِيرةِ ، فاندفعَ في الصَّلاةِ فإذا هم بالشُّموعِ وخَصِيٍّ مِن قِبَلِ والي مصرَ يدقُّ البابَ ، ففتحوا البابَ ، فنزلَ عن دابَّتِهِ فقالَ : أيُّكُم محمَّدُ بنُ نصرٍ ؟ فقيلَ : هوَ هٰذا ، فأخرجَ صُرَّةً فيها خمسونَ ديناراً فدفعَهَا إليهِ .

ثمَّ قالَ : أيُّكُم محمَّدُ بنُ جَريرٍ ؟ فقالوا : هوَ ذا ، فأخرجَ صُرَّةً فيها خمسونَ ديناراً فدفعَها إليهِ .

ثمَّ قالَ : أيُّكُم محمَّدُ بنُ هارونَ ؟ فقالوا : هوَ ذا ، فأخرجَ صُرَّةً فيها خمسونَ ديناراً فدفعَها إليهِ .

ثمَّ قالَ : أيُّكُم محمَّدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ ؟ فقالوا : هوَ هٰذا يُصلِّي ، فلمَّا فرغَ . . دفعَ إليهِ صُرَّةً فيها خمسونَ ديناراً .

ثمَّ قالَ : إنَّ الأميرَ كانَ قائلاً بالأمسِ ، فرأىٰ في المَنامِ خيالاً ، فقالَ : إنَّ المَحامِدَ طَوَوا كَشْحَهُم جياعاً ، فأنفذَ إليكُم هٰذهِ الصُّرَرَ ، وأقسمَ عليكُم ؛ إذا نَفِدَتْ فابعثوا إليَّ . . أُمِدَّكُم (١)

حكاية

[توريةُ محمَّدِ بنِ الحسنِ علىٰ مالكِ بنِ أنسٍ]

١١ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

وأنبأَنيَ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ أبو الفرجِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ بنِ محمَّدِ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٥٢/٢) ، وانظر « معجم الأدباء » (٥١٨/٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٢١/٢٣) .

ابنُ المُكبّرِ شيخُ المُستنصِريَّةِ ، عن أبي أحمدَ عبدِ الوهَّابِ ابنِ سُكَينةَ ، وأبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ قالَ : أنبأَنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ قالَ : وجدتُ في كتابِ جدِّي : ثنا الحَرميُّ بنُ أبي العلاءِ المكِّيُّ ، ثنا إسحاقُ بنُ محمَّدِ ابنِ أبانٍ النَّخعيُّ ، حدَّثَني هانئُ بنُ صيفيٍّ قالَ : حدَّثَني مجاشعُ بنُ يوسفَ قالَ : كنتُ بالمدينةِ عندَ مالكٍ وهوَ يُفتي النَّاسَ ، فدخلَ عليهِ محمَّدُ بنُ الحسنِ صاحبُ أبي حنيفةَ وهوَ حَدَثٌ ، فقالَ لهُ : ما تقولُ في جُنُبٍ لا يجدُ الماءَ إلَّا في المسجدِ ؟ قالَ مالكٌ : لا يدخلُ الجُنُبُ المسجدَ .

قالَ : فكيفَ يصنعُ وقد حضرَتِ الصَّلاةُ ، وهوَ يرى الماءَ ؟ قالَ : فجعلَ مالكٌ يُكرِّرُ : لا يدخلُ الجُنُبُ المسجدَ ، فلمَّا أكثرَ عليهِ . . قالَ لهُ مالكٌ : فما تقولُ أنتَ في هٰذا ؟ قالَ : يتيمَّمُ ويدخلُ ، فيأخذُ الماءَ مِنَ المسجدِ ، ويخرجُ فيغتسلُ .

قالَ : مِن أينَ أنتَ ؟ قال : مِن أهلِ هٰذهِ ؛ وأشارَ إلى الأرضِ ، فقالَ : ما مِن أهلِ المدينةِ أحدٌ لا أعرفُهُ ، فقالَ : ما أكثرَ مَن لا تعرفُ !! ثمَّ نهضَ .

فقالوا لمالكٍ : هٰذا محمَّدُ بنُ الحسنِ صاحبُ أبي حنيفةَ ، فقالَ مالكٌ : محمَّدُ بنُ الحسنِ !! كيفَ يكذبُ ، وقد ذكرَ أنَّهُ مِن أهلِ المدينةِ ؟! قالوا : إنَّما قالَ : مِن أهلِ هٰذهِ ؛ وأشارَ إلى الأرضِ (١)

* * *

١٢ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ البَزَّازُ بالبصرةِ ، ثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ عثمانَ الفَسَويُّ ، ثنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن [عبيدِ اللهِ] (٢) بنِ أبي بكرِ بنِ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : هٰذهِ مكاتبةُ سيرينَ عندَنا : (هٰذا ما كاتبَ عليهِ أنسُ بنُ مالكٍ فتاهُ سيرينَ علىٰ كذا وكذا ألفاً ، وعلىٰ غلامَينِ يعملانِ عملَهُ) (٣)

* *

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/٥٦٤ ـ ٥٦٥) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت مما كُتب في هامش (أ ، ب ، ج) ، وفي هامش (ب ، ج) زيادة : (كذا على الأصل بخطِّ ابن ناصر الدِّين) ، وهو الصواب ، موافقاً لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٩/١٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٨/٤٧٧) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٢٨٤ ـ ٢٨٥) ، وابن سعد في « الطبقات الكبير » (٩/١١٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٠٥٢٢) ، وابن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٢/٥٧) .

١٣ ـ وبهِ قالَ أخبرَنا عليٌّ ، ثنا الحسنُ ، ثنا يعقوبُ ، ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا حمَّادٌ ، عن هشامِ بنِ حسَّانَ ، عن محمَّدِ بنِ سيرينَ قالَ : حجَّ بنا أبو الوليدِ ونحنُ سبعةٌ ؛ وَلَدُ سيرينَ [(١)] ، فمرَّ بنا على المدينةِ ، فلمَّا دخلْنا علىٰ زيدِ بنِ ثابتٍ . . قيلَ لهُ : هٰؤلاءِ بنو سيرينَ .

قالَ : فقالَ : (هٰذانِ لأُمٍّ ، وهٰذانِ لأُمٍّ ، وهٰذانِ لأُمٍّ ، وهٰذا لأُمٍّ) ؛ فما أخطأَ ، وكانَ معبدٌ [(٢)] أخا محمَّدٍ لأُمِّهِ [(٣)]

* * *

١٤ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني أبو القاسمِ الأزهريُّ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ البَزَّازُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ البَغَويُّ ، ثنا أبو نصرٍ التَّمَّارُ ، ثنا حمَّادُ بنُ سلمةَ ، عن ثابتٍ البُنانيِّ قالَ : (قالَ لي محمَّدُ بنُ سيرينَ : يا أبا محمَّدٍ ؛ إنَّهُ لم يكنْ يمنعُني مِن مجالستِكُم إلَّا مَخافةُ الشُّهرةِ ، فلم يزلْ بيَ البلاءُ حتَّىٰ أُخِذَ بلحيتي ، فأُقِمتُ على المِصْطَبَّةِ ، فقيلَ : هٰذا ابنُ سيرينَ ، يأكلُ أموالَ النَّاسِ ، قالَ : وكانَ عليهِ دَينٌ كثيرٌ) [(٤)]

* * *

١٥ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ أبي عليٍّ المُعدَّلُ ، ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الخَزَّازُ ، ثنا محمَّدُ بنُ القاسمِ الأنباريُّ ، حدَّثني أبي ، ثنا أحمدُ ابنُ عبيدٍ ، أنا المدائنيُّ قالَ : كانَ سببُ حبسِ ابنِ سيرينَ في الدَّينِ أنَّهُ اشترىٰ زيتاً بأربعينَ ألفَ درهمٍ ، فوجدَ في زِقٍّ منهُ فأرةً ، فقال : الفأرةُ كانَتْ في المِعصَرةِ ، فصبَّ الزَّيتَ كلَّهُ .

---

(١) هو أبو الوليد ، عبد الله بن الحارث ، الأنصاريُّ ، نسيب محمَّد بن سيرين وزوج أخته ، توفِّي في عشر التِّسعين ومئة ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٩٩/٦) .

(٢) قوله : (معبد) : كذا في « تاريخ بغداد » ، ومن نقل عنه ، وأما في « التاريخ الكبير » للبخاري ، و« المعرفة والتاريخ » لابن سفيان الفسوي ، و« السنن الكبير » للبيهقي . . ف (يحيىٰ) ، وهو الصواب ، فيحيىٰ أخو محمَّد ، وأُمُّهما صفيَّة ، انظر « الطبقات الكبير » لابن سعد (٢٠٦/٩ ، ٤٤٨/١٠) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٨٥/٣) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٣٧٢/٤) ، وابن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٥٨/٢) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (٢٦٦/١٠) برقم (٢١٣٢١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣١/١٩) من طريق الخطيب ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٦٠٧/٤) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٨٨/٣) ، وابن سعد في « الطبقات الكبير » (١٩٨/٩) ، وابن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٦١/٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٧١/٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٨/٥٣) من طريق الخطيب ، وانظر « الشكوىٰ والعتاب » للثعالبي (٧٦٣) ، و« ربيع الأبرار » (٧٨/٤ ـ ٧٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦٠٩/٤) .

وكانَ يقولُ : عيَّرتُ رجلاً بشيءٍ مذ ثلاثونَ سنةً ، أحسبُني عُوقِبتُ بهِ .

وكانوا يُرَوْنَ أنَّهُ عيَّرَ رجلاً بالفقرِ [(١)]

* * *

١٦ ـ وبهِ قالَ : ثنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القَطَّانُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يونسَ ، ثنا الأصمعيُّ ، ثنا الصَّقرُ ـ يعني : ابنَ حبيبٍ ـ قالَ : (مرَّ ابنُ سيرينَ برَوَّاسٍ قد أخرجَ رأساً ، فغُشِيَ عليهِ) [(٢)]

نُكْتَةٌ

[في قضاءٍ بينَ الجنِّ والإنسِ]

١٧ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ في كتابِ أبي الحسنِ ابنِ الفُراتِ بخطِّهِ ، أخبرَني أخي أبو القاسمِ عبيدُ اللهِ بنُ العبَّاسِ ابنُ الفُراتِ قالَ : أنا عليُّ بنُ سراجٍ قالَ : محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُلاثةَ يُقالُ لهُ : قاضي الجنِّ !!

وذلكَ أنَّ بئراً كانَتْ بينَ حَرَّانَ وحِصْنِ مَسْلَمةَ [(٣)] ، فكانَ مَن شربَ منها خَبَطَتْهُ الجنُّ ، قال : فوقفَ عليها فقالَ : أيُّها الجنُّ ؛ إنَّا قد قضيْنا بينَكُم وبينَ الإنسِ ، فلهُمُ النَّهارُ ولكُمُ اللَّيلُ ، قالَ : فكانَ الرَّجلُ إذا استقىٰ منها بالنَّهارِ . . لم يُصِبْهُ شيءٌ [(٤)]

حِكَايَةٌ

[حسنُ معاملةِ المهديِّ معَ مَن أهداهُ نعلَ النَّبيِّ ﷺ]

خ ١٨ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدٍ الأكبرُ ، أنا محمَّدُ بنُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٢٨٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/٢٢٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣/٦٠٧) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤/٣٨٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٦١٣) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٢٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/٢١١) من طريقه ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤/٣٨٣) .

(٣) حَرَّان : مدينة قديمة عظيمة مشهورة في الجزيرة ، وهي قصبة ديار مضر ، بينها وبين الرَّقَّة يومان ، وحِصْن مَسْلَمة : بالجزيرة أيضاً ، بين رأس عين والرَّقَّة ، نسبة إلىٰ مسلمة بن عبد الملك . « معجم البلدان » (٢/٢٣٥ ، ٢٦٥) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٣٨٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/٤٠٠ ـ ٤٠١) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٣٤٤) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٥/٥٢٨) .

العبَّاسِ ، أنا محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ ، أخبرَني محمَّدُ بنُ الفضلِ [قالَ] : أخبرَني بعضُ أهلِ الأدبِ ، عن حسنِ الوَصِيفِ قالَ : قعدَ المهديُّ قعوداً عامّاً للنَّاسِ ، فدخلَ رجلٌ وفي يدِهِ نعلٌ في منديلٍ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هٰذهِ نعلُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد أهديتُها لكَ ، فقالَ : هاتِها ، فدفعَها إليهِ ، فقبَّلَ باطنَها ووضعَها علىٰ عينِهِ ، وأمرَ للرَّجلِ بعشرةِ آلافِ درهمٍ .

فلمَّا أخذَها وانصرفَ . . قالَ لجُلَسائِهِ : أترَونَ أنِّي لم أعلمْ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يَرَها فضلاً عن أن يكونَ لَبِسَها ؟ ولو كذَّبْناهُ . . قالَ للنَّاسِ : أتيتُ أميرَ المؤمنينَ بنعلِ رسولِ اللهِ [صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ] فردَّها عليَّ ، فكانَ مَن يُصدِّقُهُ أكثرَ ممَّن يدفعُ خبرَهُ ؛ إذ مِن شأنِ العامَّةِ المَيلُ إلىٰ أشكالِها ، والنُّصرةُ للضَّعيفِ على القويِّ ، وإن كانَ ظالماً .

فاشتريْنا لسانَهُ ، وقبلْنا هديَّتَهُ ، وصدَّقْنا قولَهُ ، ورأيْنا الَّذي فعلْناهُ أنجحَ وأرجحَ (١)

حكاية

[مُضيفُ أميرِ المؤمنينَ المهديِّ]

١٩ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنيَ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الخَلَّالُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ القاسمِ الأنباريُّ ، ثنا الحسنُ بنُ عليٍّ العَنزيُّ ، ثنا العبَّاسُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العبَّاسِ قالَ : حدَّثَتْني جدَّتي فائقةُ بنتُ عبدِ اللهِ أُمُّ عبدِ الواحدِ بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ قالَتْ : إنَّا يوماً عندَ المهديِّ أميرِ المؤمنينَ ، وكانَ قد خرجَ مُتنزِّهاً إلى الأنبارِ . . إذ دخلَ عليهِ الرَّبيعُ ، ومعَهُ قطعةٌ مِن جِرابٍ فيها كتابةٌ برمادٍ ، وخاتَمٌ مِن طينٍ قد عُجِنَ بالرَّمادِ ، وهوَ مطبوعٌ بخاتَمِ الخلافةِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما رأيتُ أعجبَ مِن هٰذهِ الرُّقعةِ ، جاءَني بها أعرابيٌّ وهوَ ينادي : هٰذا كتابُ أميرِ المؤمنينَ المهديِّ ، دلُّوني علىٰ هٰذا الرَّجلِ الَّذي يُسمَّى الرَّبيعَ ، فقد أمرَني أن أدفعَها إليهِ ، وهٰذهِ الرُّقعةُ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٣٨٦ ـ ٣٨٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٥٩ ـ ٢٦٠) من طريقه ، وانظر « فوات الوفيات » للكتبي (٣/٤٠١ ـ ٤٠٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٣/٣٠٢) .

فأخذَها المهديُّ وضحكَ ، وقالَ : صدقَ ، هٰذا خطِّي وهٰذا خاتمي ، أفلا أُخبِرُكُم بالقصَّةِ كيفَ كانَتْ ؟ قلْنا : رأيُ أميرِ المؤمنينَ أعلىٰ في ذٰلكَ .

قالَ : خرجتُ أمسِ إلى الصَّيدِ في غِبِّ سماءٍ ، فلمَّا أصبحتُ . . هاجَ علينا ضبابٌ شديدٌ ، وفقدتُ أصحابي حتَّىٰ ما رأيتُ منهُم أحداً ، وأصابَني مِنَ البردِ والجوعِ والعطشِ ما اللهُ بهِ أعلمُ .

وتحيَّرتُ عندَ ذٰلكَ ، فذكرتُ دعاءً سمعتُهُ مِن أبي ، يحكيهِ عن أبيهِ ، عن جدِّهِ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رفعَهُ قالَ[١] : « مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَىٰ : بِٱسْمِ ٱللهِ وَبِٱللهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ، ٱعْتَصَمْتُ بِٱللهِ ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللهِ ، حَسْبِيَ ٱللهُ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ . . وُقِيَ وَكُفِيَ ، وَشُفِيَ مِنَ ٱلْحَرَقِ وَٱلْغَرَقِ ، وَٱلْهَدْمِ وَمِيتَةِ ٱلسُّوءِ » .

فلمَّا قلتُها . . رُفِعَ لي ضوءُ نارٍ ، فقصدتُها فإذا بهٰذا الأعرابيِّ في خيمةٍ لهُ ، وإذا هوَ يُوقِدُ ناراً بينَ يديهِ ، فقلتُ : أيُّها الأعرابيُّ ؛ هل مِن ضيافةٍ ؟ قالَ : انزلْ ، فنزلتُ .

فقالَ لزوجتِهِ : هاتي ذاكَ الشَّعيرَ ، فأتَتْهُ بهِ ، فقالَ : اطحنيهِ ، فابتدأَتْ تطحنُهُ .

فقلتُ لهُ : اسقِني ماءً ، فأتاني بسِقاءٍ فيهِ مَذْقةٌ مِن لبنٍ أكثرُها ماءٌ ، فشربتُ منها شربةً ما شربتُ قطُّ شيئاً إلَّا هيَ أطيبُ منهُ .

قالَ : وأعطاني حِلْساً لهُ[٢] ، فوضعتُ رأسي عليهِ ، فنمتُ نومةً ما نمتُ نومةً أطيبَ منها وألذَّ ، ثمَّ انتبهتُ ، فإذا هوَ قد وثبَ إلىٰ شُوَيهةٍ فذبحَها ، وإذا امرأتُهُ تقولُ لهُ : ويحَكَ !! قتلتَ نفسَكَ وصبيتَكَ ، إنَّما كانَ مَعاشُكَ مِن هٰذهِ الشَّاةِ فذبحتَها ، فبأيِّ شيءٍ تعيشُ ؟

قالَ : فقلتُ : لا عليكَ ، هاتِ الشَّاةَ ، فشققتُ جوفَها ، واستخرجتُ كبدَها بسكِّينٍ في خُفِّي فشَرَحتُها ، ثمَّ طرحتُها على النَّارِ فأكلتُها .

ثمَّ قلتُ : هل عندَكَ شيءٌ أكتبُ لكَ فيهِ ؟ فجاءَني بهٰذهِ القطعةِ ، وأخذتُ عوداً

---

(١) عُنْونَ ها هنا في هامش (أ ، ج) بـ : (فائدة) .

(٢) الحِلْس : كِساءٌ رقيق .

مِنَ الرَّمادِ الَّذي كانَ بينَ يدَيَّ ، فكتبتُ لهُ هٰذا الكتابَ ، وختمتُهُ بهٰذا الخاتَمِ ، وأمرتُهُ أن يجيءَ ويسألَ عنِ الرَّبيعِ ، فيدفعَها إليهِ ، فإذا في الرُّقعةِ خمسُ مئةِ ألفِ درهمٍ ، فقالَ : واللهِ ؛ ما أردتُ إلَّا خمسينَ ألفَ درهمٍ ، ولٰكنْ جرَتْ بخمسِ مئةِ ألفِ درهمٍ ، لا أُنقِصُ ـ واللهِ ـ منها درهماً واحداً ، ولو لم يكنْ في بيتِ المالِ غيرُها ، احملوها معَهُ .

فما كانَ إلَّا قليلاً حتَّىٰ كثُرَتْ إبلُهُ وشاؤُهُ ، وصارَ منزلاً مِنَ المنازلِ ينزلُهُ النَّاسُ ممَّن أرادَ الحجَّ مِنَ الأنبارِ إلىٰ مكَّةَ ، وسُمِّيَ : منزلَ مُضيفِ أميرِ المؤمنينَ المهديّ (١)

* * *

٢٠ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ أبي عليٍّ قالَ : حدَّثَني الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ الكاتبُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ سليمانَ [الفاميُّ] (٢) ، ثنا محمَّدُ بنُ عَبْدَكٍ القَزَّازُ ، وغيرُهُ قالَ : اجتمعتُ مع زهيرِ البابيّ (٣) وتحدَّثْنا ، فلمَّا أردتُ مفارقتَهُ . . قلتُ : متىٰ نلتقي ؟

فقالَ : [من الخفيف]

إنْ نَعِشْ نَلْتَقِي وَإِلَّا فَمَا أَشْـ ... ـغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ (٤)

حكاية

[بابُ الرِّزقِ مفتوحٌ ببابِ العرشِ]

٢١ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ يوسفَ بنِ دُوسْت البَزَّازُ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المصريُّ ، ثنا أبو زيدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ حاتمٍ المُراديُّ بمصرَ قالَ : ثنا هارونُ بنُ عبدِ اللهِ الزُّهريُّ ـ كانَ قاضيَ مصرَ ـ قالَ : كتبَ الواقِديُّ (٥)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٣٨٩ ـ ٣٩١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/٤٣٥ ـ ٤٣٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٦٠ ـ ٢٦١) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « وفيات الأعيان » (٢/٢٩٧ ـ ٢٩٩) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (القاضي) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٤/٢٣٠) .

(٣) وفي « تاريخ بغداد » : (اليامي) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٦٦٨) ، وانظر « الأنساب » (٤/٤٩٢) .

(٥) توفِّي الواقِديُّ سنة تسع ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

رقعةً إلى المأمونِ ، يذكرُ فيها غلبةَ الدَّينِ وغمَّهُ بذٰلكَ ، فوقَّعَ المأمونُ علىٰ ظهرِها : (فيكَ خَلَّتانِ ؛ السَّخاءُ والحياءُ .

فأمَّا السَّخاءُ . . فهوَ الَّذي أطلقَ ما ملكتَ ، وأمَّا الحياءُ . . فهوَ الَّذي منعَكَ مِن أن تُطلِعَنا علىٰ ما أنتَ عليهِ .

وقد أمرْنا لكَ بكذا وكذا ، فإن كنَّا أصبْنا إرادتَكَ . . فازددْ في بسطِ يدِكَ ، فإنَّ خزائنَ اللهِ مفتوحةٌ .

وأنتَ كنتَ حدَّثْتَني وأنتَ علىٰ قضاءِ الرَّشيدِ ، عن محمَّدِ بنِ إسحاقَ ، عنِ الزُّهريِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ للزُّبيرِ : « يَا زُبَيْرُ ؛ إِنَّ بَابَ ٱلرِّزْقِ مَفْتُوحٌ بِبَابِ ٱلْعَرْشِ ، يُنْزِلُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى ٱلْعِبَادِ أَرْزَاقَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ نَفَقَاتِهِمْ ؛ فَمَنْ قَلَّلَ . . قُلِّلَ لَهُ ، وَمَنْ كَثَّرَ . . كُثِّرَ لَهُ »)[(١)]

قالَ الواقِديُّ : وكنتُ قد أُنسيتُ هٰذا الحديثَ ، فكانَ تذكرتُهُ إيَّايَ أَحَبَّ إليَّ مِن جائزتِهِ .

قالَ هارونُ بنُ عبدِ اللهِ القاضي : بلغَني أنَّ الجائزةَ كانَتْ مئةَ ألفِ درهمٍ[(٢)]

حكاية

[في عسرِ الواقِديِّ وكرمِ البَرْمَكيِّ]

٢٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عمرَ بنِ روحٍ النَّهْروانيُّ ، والقاضي أبو الطَّيِّبِ الطَّبَريُّ قالا : أنا المُعافى بنُ زكريَّا الجَريريُّ .

وأخبرَنا سلامةُ بنُ الحسينِ المُقرِئُ ، وعمرُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ المُؤدِّبُ قالا : أنا عليُّ بنُ عمرَ الحافظُ ـ واللَّفظُ لحديثِهِ ـ قالا : ثنا محمَّدُ بنُ القاسمِ ابنِ بشَّارٍ الأنباريُّ ، حدَّثَني أبي ، ثنا أبو عكرمةَ الضَّبِّيُّ ، ثنا سليمانُ بنُ أبي شيخٍ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ الواقِديُّ

---

(١) أخرجه ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٤/١٨٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٧٣) كلاهما بنحوه .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/٢٩ ـ ٣٠) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١٥٢٨) بنحوه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/٤٦٥ ـ ٤٦٦) من طريق الخطيب ، وانظر « معجم الأدباء » (٦/٦٩١) .

القاضي قالَ : ضِقْتُ مرَّةً وأنا معَ يحيى بنِ خالدٍ البَرْمَكيِّ ، وحضرَ عيدٌ ، فجاءَتْني الجاريةُ فقالَتْ : قد حضرَ العيدُ ، وليسَ عندَنا مِن آلتِهِ شيءٌ .

فمضيتُ إلىٰ صديقٍ لي مِنَ التُّجَّارِ ، فعرَّفتُهُ حاجتي إلى القَرْضِ ، فأخرجَ لي كيساً مختوماً فيهِ ألفٌ ومئتا درهمٍ ، فأخذتُهُ وانصرفتُ إلىٰ منزلي ، فما استقررتُ فيهِ حتَّىٰ جاءَني صديقٌ لي هاشميٌّ ، فشكا إليَّ تأخُّرَ غَلَّتِهِ ، وحاجتَهُ إلى القَرْضِ ، فدخلتُ إلىٰ زوجتي فأخبرتُها .

فقالَتْ : علىٰ أيِّ شيءٍ عزمتَ ؟ قلتُ : علىٰ أن أُقاسِمَهُ الكيسَ ، قالَتْ : ما صنعتَ شيئاً ؛ أتيتَ رجلاً سوقةً ، فأعطاكَ ألفاً ومئتَي درهمٍ ، وجاءَكَ رجلٌ لهُ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رَحِمٌ ماسَّةٌ ، تُعطيهِ نصفَ ما أعطاكَ السُّوقةُ ؟! ما هٰذا شيئاً ، أَعطِهِ الكيسَ كلَّهُ ، فأخرجتُ الكيسَ كلَّهُ فدفعتُهُ إليهِ .

ومضىٰ صديقيَ التَّاجرُ إلى الهاشميِّ ـ وكانَ لهُ صديقاً ـ فسألَهُ القَرْضَ ، فأخرجَ الهاشميُّ إليهِ الكيسَ ، فلمَّا رأىٰ خاتَمَهُ . . عرفَهُ ، وانصرفَ إليَّ فخبَّرَني بالأمرِ .

وجاءَني رسولُ يحيى بنِ خالدٍ [البَرْمَكيِّ] يقولُ : إنَّما تأخَّرَ رسولي عنكَ ؛ لشغلي بحاجاتِ أميرِ المؤمنينَ ، فركبتُ إليهِ فأخبرتُهُ خبرَ الكيسِ ، فقالَ : يا غلامُ ؛ هاتِ تلكَ الدَّنانيرَ ، فجاءَهُ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ، فقالَ : خُذْ ألفَي دينارٍ لكَ ، وألفَينِ لصديقِكَ التَّاجرِ ، وألفَينِ للهاشميِّ ، وأربعةَ آلافٍ لزوجتِكَ ؛ فإنَّها أكرمُكُم (١)

* * *

٢٣ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ الضَّبِّيُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ ابنَ بُطَّةَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ [جعفرَ بنَ أحمدَ] (٢) بنِ فارسٍ يقولُ : سمعتُ الحسنَ ابنَ شاذانَ يقولُ : قالَ الواقِديُّ : (صارَ إليَّ مِنَ السُّلطانِ ستُّ مئةِ ألفِ درهمٍ ما وجبَ عليَّ فيها الزَّكاةُ !!) (٣)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/٣٠ ـ ٣١) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٣١٢ ـ ٣١٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/٤٦٦ ـ ٤٦٧) من طريق الخطيب ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/٤٦٦ ـ ٤٦٧) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أحمد بن جعفر) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١/١٣٩) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/٤٦٩) من طريقه ، وانظر « المنتظم » (٦/١٦٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/٤٦٧) .

٢٤ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني الصُّوريُّ ، أنا أبو الحسينِ ابنُ جُمَيعٍ ، أنا محمَّدُ بنُ مخلدٍ قالَ : سمعتُ عبَّاساً الدُّوريَّ يقولُ : (ماتَ الواقِديُّ وهوَ على القضاءِ ، وليسَ لهُ كفنٌ ، فبعثَ المأمونُ بأكفانِهِ)[1]

حكاية

[إنِّي مشغولٌ بثلاثٍ]

٢٥ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ ابنِ قريشٍ قالَ : سمعتُ صالحَ بنَ أبي رُمَيحٍ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ مكتومٍ قالَ : مرَّ إبراهيمُ بنُ أدهمَ بسفيانَ الثَّوْريِّ وهوَ قاعدٌ معَ أصحابِهِ ، قالَ سفيانُ لإبراهيمَ : تعالَ حتَّىٰ أقرأَ عليكَ علمي ، قالَ : إنِّي مشغولٌ بثلاثٍ ، ومضىٰ .

قالَ سفيانُ لأصحابِهِ : ألا سألتُموهُ : ما هٰذهِ الثَّلاثُ ؟ ثمَّ قامَ سفيانُ ، وتبعَهُ أصحابُهُ حتَّىٰ لحقَ إبراهيمَ .

فقالَ لهُ : إنَّكَ قلتَ : إنِّي مشغولٌ بثلاثٍ ، فما هٰذهِ الثَّلاثُ ؟

قالَ : إنِّي مشغولٌ بالشُّكرِ لِمَا أنعمَ عليَّ ، وبالاستغفارِ لِمَا سلفَ مِن ذنوبي ، وبالاستعدادِ للموتِ .

قالَ سفيانُ : ثلاثٌ وأيُّ ثلاثٍ !![2]

* * *

٢٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ موسى بنِ هارونَ بنِ الصَّلتِ الأهوازيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ مخلدٍ العَطَّارُ ، ثنا موسىٰ ـ يعني : ابنَ هارونَ ـ الطُّوسيُّ ، ثنا محمَّدٌ ـ هوَ ابنُ نعيمِ بنِ الهيصمِ ـ قالَ : دخلتُ علىٰ بشرِ بنِ الحارثِ في علَّتِهِ ، فقلتُ : عِظْني ، فقالَ : إنَّ في هٰذهِ الدَّارِ نملةً ، تجمعُ الحَبَّ في الصَّيفِ ؛ لتأكلَهُ في الشِّتاءِ ، فلمَّا كانَ اليومُ . . أخذَتْ حَبَّةً في فمِها ، فجاءَ عصفورٌ فأخذَها والحَبَّةَ ، فلا ما جمعَتْ أكلَتْ ، ولا ما أمَّلَتْ نالَتْ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣١/٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦٩/٥٤) من طريقه ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١١٧٩) ، وانظر « المنتظم » (١٦٨/٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤٦٧/٩) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٥٧/٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٢/٦) من طريقه .

قلتُ لهُ : زِدْني ، قالَ : ما تقولُ فيمَنِ القبرُ مَسْكَنُهُ ، والصِّراطُ جوازُهُ ، والقيامةُ موقفُهُ ، واللهُ مُسائِلُهُ ، ولا يعلمُ إلىٰ جنَّةٍ يصيرُ فيُهنَّىٰ ، أو إلىٰ نارٍ فيُعزَّىٰ .

فوا طولَ حزناهْ !! ووا عُظْمَ مصيبتاهْ !! زادَ البكاءُ فلا عزاءَ ، واشتدَّ الخوفُ فلا أمنَ .

قالَ : وقالَ لي بشرٌ مراراً كثيرةً : انظرْ خبزَكَ ؛ مِن أينَ هوَ ، وانظرْ مَسْكَنَكَ الَّذي تتقلَّبُ فيهِ ؛ كيفَ هوَ ، وأَقِلَّ مِن معرفةِ النَّاسِ ، ولا تُحِبَّ أن تُحمَدَ ، ولا تُحِبَّ الثَّناءَ(1)

حكاية

[في قوَّةِ المُعتصِمِ أميرِ المؤمنينَ]

٢٧ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنيَ الصَّيْمَريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عمرانَ [قال] : حدَّثَني عليُّ بنُ عبدِ اللهِ [قالَ] : أخبرَنيَ الحسنُ بنُ عليّ العبَّاسيُّ ، عن عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ الأعلى الإسكافيِّ قالَ : قالَ لنا ابنُ أبي دؤادٍ : كانَ المُعتصِمُ يُخرِجُ ساعِدَهُ إليَّ ، ويقولُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ عَضَّ ساعدي بأكثرِ قوَّتِكَ !! فأقولُ : واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما تطيبُ نفسي بذٰلكَ ، فيقولُ : إنَّهُ لا يضرُّني ، فأرومُ ذٰلكَ ، فإذا هوَ لا تعملُ فيهِ الأَسِنَّةُ فضلاً عنِ الأسنانِ !!

وانصرفَ يوماً مِن دارِ المأمونِ إلىٰ دارِهِ ، وكانَ شارعُ المَيْدانِ مُنتظماً بالخيمِ ، فيها الجُندُ ، فمرَّ المُعتصِمُ بامرأةٍ تبكي وتقولُ : ابني ابني ، وإذا بعضُ الجُندِ قد أخذَ ابنَها ، فدعاهُ المُعتصِمُ ، وأمرَهُ أن يردَّ ابنَها إليها فأبىٰ ، فاستدناهُ فدنا منهُ ، فقبضَ عليهِ بيدِهِ ، فسُمِعَ صوتُ عظامِهِ !! ثمَّ أطلقَهُ مِن يدِهِ فسقطَ ، وأمرَ بإخراجِ الصَّبيِّ إلىٰ أُمِّهِ(2)

حكاية

[موتُ المُعتصِمِ أميرِ المؤمنينَ]

٢٨ ـ وبهِ قالَ : أنا الأزهريُّ ، أنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الخَزَّازُ ، ثنا علَّانُ بنُ أحمدَ ، ثنا عليُّ ابنُ العبَّاسِ الجاماسبيُّ ، ثنا أبو الحسنِ الطَّويلُ قالَ : سمعتُ عيسى بنَ أبانِ بنِ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥١٦/٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٦/١٠ ـ ٢٠٧) من طريقه .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٥١/٤ ـ ٥٥٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٧٧/٦ ـ ٢٧٨) من طريقه ، وانظر « تاريخ دمشق » (٢٣٩/٧٣ ـ ٢٤٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٩٥/١٦ ـ ٣٩٦) .

صدقةَ ، عن عليِّ بنِ يحيى المُنجِّمِ قالَ : لمَّا أنِ استتمَّ المُعتصِمُ عدَّةَ غلمانِهِ الأتراكِ بضعةَ عشرَ ألفاً ، وعُلِّقَ لهُ خمسونَ ألفَ مِخْلاةٍ علىٰ فرسٍ وبِرذَونٍ وبغلٍ[1] ، وذلَّلَ العدوَّ بكلِّ النَّواحي . . أَتَتْهُ المنيَّةُ علىٰ غفلةٍ ، فقيلَ لي : إنَّهُ قالَ في حُمَّاهُ الَّتي ماتَ فيها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[2]

قالَ الخطيبُ : ولكثرةِ عَسْكَرِ المُعتصِمِ وضيقِ بغدادَ عنهُ . . بنىٰ سُرَّ مَن رأىٰ ، وانتقلَ إليها فسكنَها بعَسْكَرِهِ ، وسُمِّيَتِ العَسْكَرَ ، وذٰلكَ في سنةِ إحدىٰ وعشرينَ ومئتَينِ[3]

حكاية

[المُبرِّدُ في سجنِ المجانينِ]

٢٩ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عليِّ ابنِ مخلدٍ الوَرَّاقُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرانَ ، ثنا إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ الصَّفَّارُ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ يزيدَ النَّحْويُّ .

وأخبرَنا عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الصَّيْرفيُّ ، أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ البَزَّازُ ، ثنا محمَّدُ بنُ أبي الأزهرِ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ يزيدَ قالَ : قالَ لي المازِنيُّ : يا أبا العبَّاسِ ؛ بلغَني أنَّكَ تنصرفُ مِن مجلسِنا ، فتصيرُ إلى المُخَيَّسِ[4] ، وإلىٰ موضعِ المجانينِ والمُعالَجينَ ، فما معناكَ في ذٰلكَ ؟

قالَ : فقلتُ : إنَّ لهُم طرائفَ مِنَ الكلامِ ، وعجائبَ مِنَ الأقسامِ ، فقالَ : خبِّرْني بأعجبِ ما رأيتَ مِنَ المجانينِ .

قالَ : دخلتُ يوماً إلىٰ مُستقَرِّهِم ، فرأيتُ مراتبَهُم علىٰ مقدارِ بليَّتِهِم ، وإذا قومٌ قيامٌ قد شُدَّتْ أيديهِم إلى الحيطانِ بالسَّلاسلِ ، ونقبَتْ مِنَ البيوتِ الَّتي هم بها إلىٰ غيرِها مِمَّا يُجاوِرُها ؛ لأنَّ علاجَ أمثالِهِم أن يقوموا اللَّيلَ والنَّهارَ ، ولا يقعدونَ ولا يضطجعونَ ، ومنهُم مَن يُجلَبُ علىٰ رأسِهِ وتُدهَنُ أورادُهُ ، ومنهُم مَن يُنهَلُ ويُعَلُّ بالدَّواءِ حسبَ ما يحتاجونَ إليهِ .

---

(١) المِخْلاة : كيس يُعلَّق علىٰ رقبة الدَّابَّة ، يوضع فيه علف وغيره .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٥٢/٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣٥٨/٦) من طريقه ، وانظر « تاريخ دمشق » (٢٤٢/٧٣) ، والآية من سورة (الأنعام) : (٤٤) .

(٣) تاريخ بغداد (٥٥٢/٤) .

(٤) المُخَيَّس : السِّجن .

فدخلتُ يوماً معَ ابنِ أبي خَمِيصةَ ـ وكانَ المُتقلِّدَ للنَّفقةِ عليهِم ، ولتفقُّدِ أحوالِهِم ـ فنظروا إليهِ وأنا معَهُ ، فأمسكوا عمَّا كانوا عليهِ ، فمررتُ علىٰ شيخٍ منهُم تلوحُ صَلعتُهُ ، وتبرقُ للدُّهنِ جبهتُهُ ، وهوَ جالسٌ علىٰ حصيرٍ نظيفٍ ، ووجهُهُ إلى القِبلةِ ؛ كأنَّهُ يُريدُ الصَّلاةَ ، فجاوزتُهُ إلىٰ غيرِهِ ، فناداني : سبحانَ اللهِ !! أينَ السَّلامُ ؟ مَنِ المجنونُ تُرىٰ ، أنا أو أنتَ ؟

فاستحييتُ منهُ ، وقلتُ : السَّلامُ عليكُم ، فقالَ : لو كنتَ ابتدأتَ . . لأوجبتَ علينا حسنَ الرَّدِّ عليكَ ، علىٰ أنَّا نَصْرِفُ سوءَ أدبِكَ إلىٰ أحسنِ جهاتِهِ مِنَ العذرِ ؛ لأنَّهُ كانَ يُقالُ : إنَّ للدَّاخلِ على القومِ دَهْشةً ، اجلسْ ـ أعزَّكَ اللهُ ـ عندَنا ، وأومأَ إلىٰ موضعٍ مِن حصيرِهِ ينفضُهُ ؛ كأنَّهُ يُوسِّعُ لي .

فعزمتُ على الدُّنُوِّ منهُ ، فناداني ابنُ أبي خَمِيصةَ : إيَّاكَ إيَّاكَ ، فأحجمتُ عن ذٰلكَ ، ووقفتُ ناحيةً أستجلِبُ مُخاطبتَهُ ، وأرصدُ الفائدةَ منهُ .

ثمَّ قالَ ـ وقد رأىٰ معي مَحْبَرةً ـ : يا هٰذا ؛ أرىٰ آلةَ رَجُلَينِ ، أرجو ألَّا تكونَ أحدَهُما ، أتُجالِسُ أصحابَ الحديثِ الأَغِثَّاءَ ، أمِ الأدباءَ أصحابَ النَّحْوِ والشِّعرِ ؟ قلتُ : الأدباءَ ، قالَ : أتعرفُ أبا عثمانَ المازِنيَّ ؟ قلتُ : نعم ، معرفةً ثاقبةً ، قالَ : فتعرفُ الَّذي يقولُ فيهِ[1] : [من مجزوء الرمل]

وَفَتًى مِنْ مَازِنٍ ... سَادَ أَهْلَ ٱلْبَصْرَةْ
أُمُّهُ مَعْرِفَةٌ ... وَأَبُوهُ نَكِرَةْ

قلتُ : لا أعرفُهُ ، قالَ : فتعرفُ غلاماً لهُ قد نبغَ في هٰذا العصرِ ، معَهُ ذهنٌ ولهُ حفظٌ ، قد برَّزَ في النَّحْوِ ، وجلسَ في مجلسِ صاحبِهِ وشاركَهُ فيهِ ، يُعرَفُ بالمُبرِّدِ ؟ قلتُ : أنا ـ واللهِ ـ عينُ الخبيرِ بهِ .

قالَ : فهل أنشدَكَ شيئاً مِن شِعرِهِ ؟ قلتُ : لا أحسبُهُ يقولُ الشِّعرَ ، قالَ : يا سبحانَ اللهِ !! أليسَ هوَ الَّذي يقولُ[2] : [من مجزوء الرمل]

حَبَّذَا مَاءُ ٱلْعَنَاقِيـ ... ـدِ بِرِيقِ ٱلْغَانِيَاتِ

---

(١) هي لعبد الصمد بن المُعذَّل الشاعر كما في « نور القبس » لليغموري (ص ٢٢٢) .
(٢) هي للمبرِّد كما في « الوافي بالوفيات » (٥/٢١٧) .

بِـهِـمَـا يَـنْـبُـتُ لَـحْـمِـي وَدَمِـي أَيَّ نَـبَـاتِ
أَيُّـهَـا ٱلـطَّـالِـبُ أَشْـهَـىٰ مِـنْ لَـذِيـذِ ٱلـشَّـهَـوَاتِ
كُـلْ بِـمَـاءِ ٱلْـمُـزْنِ تُـفَّـا حَ ٱلْـخُـدُودِ ٱلـنَّـاعِـمَـاتِ

قلتُ : قد سمعتُهُ يُنشدُ هٰذا في مجالسِ الأُنسِ ، قالَ : يا سبحانَ اللهِ !! ويستحيي أن يُنشدَ مثلَ هٰذا حولَ الكعبةِ ؟!

ما تسمعُ النَّاسَ يقولونَ في نسبِهِ ؟ قلتُ : يقولونَ هوَ مِنَ الأَزْدِ ؛ أَزْدِ شَنُوءةَ ، ثمَّ مِن ثُمالةَ ، قالَ : قاتلَهُ اللهُ ؛ ما أبعدَ غَوْرَهُ !! أتعرفُ قولَهُ[1] : [من الوافر]

سَـأَلْـنَـا عَـنْ ثُـمَـالَـةَ كُـلَّ حَـيٍّ فَـقَـالَ ٱلْـقَـائِـلُـونَ : وَمَـنْ ثُـمَـالَـةْ ؟
فَـقُـلْـتُ : مُـحَـمَّـدُ بْـنُ يَـزِيـدَ مِـنْـهُـمْ فَـقَـالُـوا : زِدْتَـنَـا بِـهِـمُ جَـهَـالَـةْ
فَـقَـالَ لِـيَ ٱلْـمُـبَـرَّدُ : خَـلِّ قَـوْمِـي فَـقَـوْمِـي مَـعْـشَـرٌ فِـيـهِـمْ نَـذَالَـةْ

قلتُ : أعرفُ هٰذهِ الأبياتَ لعبدِ الصَّمدِ بنِ المُعذَّلِ يقولُها فيهِ ، قالَ : كذبَ ـ واللهِ ـ كلُّ مَنِ ادَّعىٰ هٰذهِ غيرَهُ ، هٰذا كلامُ رجلٍ لا نسبَ لهُ ، يُريدُ أن يُثبِتَ لهُ بهٰذا الشِّعرِ نسباً ، قلتُ : أنتَ أعلمُ .

قالَ لي : يا هٰذا ؛ قد غلبتَ بخفَّةِ رُوحِكَ علىٰ قلبي ، وتمكَّنتَ بفصاحتِكَ مِنِ استحساني ، وقد أخَّرتُ ما كانَ يجبُ أن أُقدِّمَهُ ، الكُنيةَ أصلحَكَ اللهُ ، قلتُ : أبو العبَّاسِ ، قالَ : فالاسمَ ، قلتُ : محمَّدٌ ، قالَ : فالأبَ ، قلتُ : يزيدُ ، قالَ : قبَّحَكَ اللهُ ؛ أحوجتَني إلى الاعتذارِ إليكَ ممَّا قدَّمتُ ذِكْرَهُ .

ثمَّ وثبَ باسطاً إليَّ يدَهُ ليُصافِحَني ، فرأيتُ القيدَ في رِجلِهِ قد شُدَّ إلىٰ خشبةٍ في الأرضِ ، فأَمِنتُ عندَ ذٰلكَ غائلتَهُ .

فقالَ لي : يا أبا العبَّاسِ ؛ صُنْ نفسَكَ عنِ الدُّخولِ إلىٰ هٰذهِ المواضعِ ؛ فليسَ يَتهيَّأُ لكَ في كلِّ وقتٍ أن تُصادِفَ مثلي علىٰ هٰذهِ الحالِ الجميلةِ ، أنتَ المُبرِّدُ ، وجعلَ يُصفِّقُ ، وانقلبَتْ عينُهُ ، وتغيَّرَتْ خِلْقَتُهُ ، فبادرتُ مُسرِعاً خوفاً مِن أن يبدُرَ منهُ بادرةٌ ،

---

(١) هي لعبد الصمد بن المُعذَّل الشاعر كما في « ديوانه » (ص١٥٦) ، و« الأمالي » للقالي (١/١١٣) ، و« أخبار النحويين البصريين » للسيرافي (ص٧٣) ، و« ديوان المعاني » لأبي هلال العسكري (١/٣٧٦) ، و« تاريخ بغداد » (٤/٦٠٦) .

وقَبِلتُ ـ واللهِ ـ قولَهُ ، فلم أُعاوِدِ الدُّخولَ إلىٰ مُخيِّسٍ ولا غيرِهِ (١)

* * *

٣٠ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ في سنةِ سبعٍ وأربعِ مئةٍ ، ثنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ الجبَّارِ ابنُ جَبْرُويهِ أبو سهلٍ الكَلْوَذانيُّ [قالَ] (٢) : ثنا محمَّدُ بنُ يونسَ القرشيُّ ، ثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، عن عوفٍ ، عن قسامةَ بنِ زهيرٍ قالَ : وقفَ أعرابيٌّ علىٰ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : [من مشطور الرجز]

يَا عُمَرَ ٱلْخَيْرِ جُزِيتَ ٱلْجَنَّةْ
جَهِّزْ بُنَيَّاتِي وَأَكْسُهُنَّهْ
أُقْسِمُ بِٱللهِ لَتَفْعَلَنَّهْ

قالَ : (فإن لم أفعلْ يكونُ ماذا يا أعرابيُّ ؟) ، قالَ :

أُقْسِمُ أَنِّي سَوْفَ أَمْضِيَنَّهْ

قالَ : (فإن مضيتَ يكونُ ماذا ؟) ، قالَ :

وَٱللهِ عَنْ حَالِي لَتُسْأَلَنَّهْ
ثُمَّ تَكُونُ ٱلْمَسْأَلَاتُ ثَمَّةْ
وَٱلْوَاقِفُ ٱلْمَسْؤُولُ بَيْنَهُنَّهْ
إِمَّا إِلَىٰ نَارٍ وَإِمَّا جَنَّةْ

قالَ : فبكىٰ عمرُ حتَّى اخضلَّتْ لحيتُهُ بدموعِهِ ، ثمَّ قالَ : (يا غلامُ ؛ أَعطِهِ قميصي هٰذا لذٰلكَ اليومِ لا لشِعرِهِ ، واللهِ ؛ ما أملكُ قميصاً غيرَهُ) (٣)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦٠٦/٤ ـ ٦٠٩) ، والسيرافي في « أخبار النحويين البصريين » (ص٧٣ ـ ٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٩/٥٦ ـ ٢٦١) من طريق الخطيب ، وانظر « نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص١٩٦ ـ ١٩٧) ، و« معجم الأدباء » (٨٣/٧ ـ ٨٥) ، و« وفيات الأعيان » (٣١٥/٤ ـ ٣١٧) .

(٢) الكَلْوَذاني : نسبة إلىٰ (كَلْوَاذىٰ) ، وهي طَسُّوج قرب مدينة السَّلام بغداد . « معجم البلدان » (٤٧٧/٤) ، والطَّسُّوج : النَّاحية .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥١١/٥ ـ ٥١٢) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢٣٩/٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٩/٤٤ ـ ٣٥٠) ، وانظر « أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٣٢٠) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥٩/١ ـ ٦٠) .

حكاية

[في رضا اللهِ عنِ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ]

خ ٣١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنُ أبي الفوارسِ إملاءً ، ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الخَزَّازُ ، ثنا محمَّدُ بنُ حفصٍ أبو عبدِ اللهِ الخَصِيبُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ داوودَ بنِ سيَّارِ بنِ أبي عتَّابٍ المُؤدِّبُ ، ثنا سلمةُ بنُ شبيبٍ قالَ : كنَّا عندَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ (١) ، فجاءَهُ رجلٌ فدقَّ البابَ ، وكنَّا قد دخلْنا عليهِ خفيةً ، فظننَّا أنَّهُ قد غُمِزَ بنا ، فدقَّ ثانيةً وثالثةً ، فقالَ أحمدُ : ادخلْ ، قالَ : فسلَّمَ وقالَ : أيُّكُم أحمدُ ؟ فأشارَ بعضُنا إليهِ .

قالَ : جئتُ مِنَ البحرِ مِن مسيرةِ أربعِ مئةِ فرسخٍ ، أتاني آتٍ في مَنامي ، فقالَ : ائتِ أحمدَ ابنَ حنبلٍ ، وسَلْ عنهُ ، فإنَّكَ تُدَلُّ عليهِ ، وقلْ لهُ : إنَّ اللهَ عنكَ راضٍ ، وملائكةُ سماواتِهِ عنكَ راضونَ ، وملائكةُ أرضِهِ عنكَ راضونَ .

قالَ : ثمَّ خرجَ ، فما سألَهُ عن حديثٍ ولا مسألةٍ (٢)

* * *

خ ٣٢ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني عليُّ بنُ أحمدَ الرَّزَّازُ قالَ : ثنا عثمانُ بنُ أحمدَ الدَّقَّاقُ إملاءً ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ المهديِّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ الكِنْديُّ قالَ : رأيتُ أحمدَ ابنَ حنبلٍ في المَنامِ ، قالَ : فقلتُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ ما صنعَ اللهُ بكَ ؟

قالَ : غفرَ لي ، ثمَّ قالَ : (يا أحمدُ ؛ ضُرِبتَ فيَّ ؟) ، قالَ : فقلتُ : نعم يا ربِّ ، قالَ : (يا أحمدُ ؛ هٰذا وجهي فانظرْ إليهِ ، فقد أبحتُكَ النَّظرَ إليهِ) (٣)

---

(١) مات أحمد في شهر ربيع الأوَّل سنة إحدىٰ وأربعين ومئتين ، عن سبع وسبعين سنة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/١٠١ ـ ١٠٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٨٨) بنحوه ، وابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (١/٤٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٣١٦) من طريق الخطيب .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/١٠٢) ، وابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (١/٤١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٣٤١) من طريق الخطيب ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٣٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/٣٤٩) .

حكاية

[بينَ الأعمشِ والجنديِّ العبَّاسيِّ]

خ ٣٣ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني أحمدُ بنُ محمَّدٍ القُدَيسيُّ [١] ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ موسى بنِ القاسمِ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ الأنباريُّ النَّحْويُّ إملاءً ، حدَّثَنيَ ابنُ المَرْزُبانِ ، ثنا أبو محمَّدٍ البَلْخيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ حميدٍ ، ثنا جريرٌ قالَ : جئْنا الأعمشَ يوماً ، فوجدْناهُ قاعداً في ناحيةٍ ، ومجلسُنا في ناحيةٍ أُخرىٰ ، وفي الموضعِ خليجٌ مِن ماءِ المطرِ ، فجاءَ رجلٌ عليهِ سوادٌ [٢] ، فلمَّا بَصُرَ بالأعمشِ عليهِ فروةٌ . . حقرَهُ ، فقالَ : قمْ فاعبرْ بي هٰذا الخليجَ ، وجذبَ يدَهُ فأقامَهُ وركبَهُ ، وقالَ : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴾ [٣]

فمضىٰ بهِ الأعمشُ حتَّىٰ توسَّطَ بهِ الخليجَ ، ثمَّ رمىٰ بهِ ، وقالَ : ﴿ قُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾ [٤] ، ثمَّ خرجَ وتركَهُ يتخبَّطُ في الماءِ [٥]

حكاية

[السَّريُّ السَّقَطيُّ والملحُ الطَّيِّبُ]

٣٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عليٍّ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ فضالةَ النَّيْسابوريُّ بالرَّيِّ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ الرَّازيُّ قالَ : سمعتُ أبا العبَّاسِ المُؤدِّبَ يقولُ : دخلتُ علىٰ سريٍّ السَّقَطيِّ يوماً ، فقالَ : لَأُعجِّبَنَّكَ مِن عصفورٍ ، يجيءُ فيسقطُ علىٰ هٰذا الرِّواقِ ، فأكونُ قد أعددتُ لهُ لُقَيمةً ، فأفتُّها في كفِّي ، فيسقطُ علىٰ أطرافِ أناملي فيأكلُ .

فلمَّا كانَ في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ . . سقطَ على الرِّواقِ ، فَفَتَتُّ الخبزَ في يدي ، فلم

---

(١) القُدَيسي : نسبة إلىٰ (قُدَيس) ، وهو موضع بناحية القادسيَّة . « معجم البلدان » (٤/٣١٤) .

(٢) يعني : أحدَ موظَّفي الدَّولة العبَّاسيَّة الَّتي اتَّخذت السَّواد لباساً وشعاراً .

(٣) سورة الزخرف : (١٣) .

(٤) سورة المؤمنون : (٢٩) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/٢٦٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/١٦٩ ـ ١٧٠) ، وانظر « وفيات الأعيان » (٢/٤٠١ ـ ٤٠٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/٢٣٨) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

يسقطْ علىٰ يدي كما كانَ ، ففكَّرتُ في سِرّي ؛ ما العلَّةُ في وَحْشتِهِ منّي ؟ فوجدتُني قد أكلتُ ملحاً طيّباً ، فقلتُ في سِرّي : أنا تائبٌ مِنَ الملحِ الطَّيّبِ ، فسقطَ علىٰ يدي ، فأكلَ وانصرفَ[١]

* * *

٣٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ قالَ : سمعتُ ابنَ مِقْسَمٍ يحكي عن أبي محمَّدٍ الجُرَيريِّ قالَ : سمعتُ أبا إسحاقَ المارِستانيَّ[٢] يقولُ : (رأيتُ الخَضِرَ عليهِ السَّلامُ فعلَّمَني عشرَ كلماتٍ ، وأحصاها بيدِهِ[٣] : « اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ الإقبالَ عليكَ ، والإصغاءَ إليكَ ، والفهمَ عنكَ ، والبصيرةَ في أمرِكَ ، والنَّفاذَ في طاعتِكَ ، والمواظبةَ علىٰ إرادتِكَ ، والمبادرةَ في خدمتِكَ ، وحسنَ الأدبِ في معاملتِكَ ، والتَّسليمَ ، والتَّفويضَ إليكَ »)[٤]

* * *

خ ٣٦ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو الفضلِ عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ العزيزِ الحنبليُّ بلفظِهِ قالَ : سمعتُ جعفراً الخُلْديَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاصَ يقولُ : (نزلتُ إلىٰ مشرعةِ السَّاجِ مِن بغدادَ ، وكانَ الماءُ يمدُّ ، والرِّيحُ تلعبُ بالموجِ ، فرأيتُ رجلاً بينَ الموجِ يمشي على الماءِ !!

فسجدتُ وجعلتُ بيني وبينَ اللهِ أَنْ لا أرفعُ رأسي حتَّىٰ أعلمَ مَنِ الرَّجلُ ، فلم أُطِلْ في السُّجودِ حتَّىٰ حرَّكَني ، فقالَ لي : قمْ ولا تُعاوِدْ ، فأنا إبراهيمُ بنُ عليٍّ الخُراسانيُّ)[٥]

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٨٥/٦) ، وأبو نصر الطوسي في « اللمع » (ص ٤٤٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٢٣/١٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٤/٢٠) من طريق الخطيب ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١٥١/١ ـ ١٥٢) .

(٢) هو أبو إسحاق ، إبراهيم بن أحمد ، المارِستانيُّ ، أحد شيوخ الصُّوفيَّة ، وكان مؤاخياً للجُنَيد ، رحمهما الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) عُنْوِنَ ها هنا في هامش (ج) بـ : (فائدة) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٩٣/٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٣٣/١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢٨/١٦) من طريق الخطيب ، وانظر « اللمع » لأبي نصر الطوسي (ص ٣٦١ ـ ٣٦٢) ، و« تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٦١٩) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٩٤/٦) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١٩٣/١) .

حكاية

[إنَّ اللهَ مِن وراءِ المعونةِ]

٣٧ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الحَرْبيُّ حفظاً قالَ : سمعتُ أبا الحسينِ ابنَ سمعونٍ يقولُ : قالَ أحمدُ بنُ سلمانَ القَطِيعيُّ : ضِقْتُ ضيقةً ، فمضيتُ إلىٰ إبراهيمَ الحَرْبيِّ ؛ لأبثَّهُ ما أنا فيهِ ، فقالَ لي : لا يضيقُ صدرُكَ ؛ فإنَّ اللهَ مِن وراءِ المعونةِ .

وإنِّي ضِقْتُ مرَّةً حتَّى انتهىٰ أمري إلىٰ أن عدمَ عيالي قوتَهُم ، فقالَتْ ليَ الزَّوجةُ : هَبْ أنِّي وإيَّاكَ نصبرُ ، فكيفَ نصنعُ بهاتَينِ الصَّبيَّتَينِ ؟ فهاتِ شيئاً مِن كتبِكَ حتَّىٰ نبيعَهُ أو نرهنَهُ ، فضَنِنتُ بذٰلكَ ، فقلتُ : اقترضي لهُما شيئاً ، وأَنظِريني بقيَّةَ اليومِ واللَّيلةَ .

فلمَّا كانَ في تلكَ اللَّيلةِ . . إذا داقٌّ يدقُّ البابَ ، فقلتُ : مَن هٰذا ؟ فقالَ : رجلٌ مِنَ الجيرانِ ، فقلتُ : ادخلْ ، فقالَ : أَطفِئِ السِّراجَ حتَّىٰ أدخلَ ، فكببتُ على السِّراجِ شيئاً ، وقلتُ : ادخلْ .

فدخلَ وتركَ إلىٰ جانبي شيئاً وانصرفَ ، فكشفتُ عنِ السِّراجِ ونظرتُ ، فإذا منديلٌ فيهِ أنواعٌ مِنَ الطَّعامِ ، وكاغدٌ فيهِ خمسُ مئةِ درهمٍ ، فدعوتُ الزَّوجةَ وقلتُ : أَنبِهي الصِّبيانَ حتَّىٰ يأكلوا .

ولمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . قضيْنا دَيناً كانَ علينا مِن تلكَ الدَّراهمِ ، وكانَ وقتَ مجيءِ الحاجِّ مِن خُراسانَ ، فجلستُ علىٰ بابي مِن غدِ تلكَ اللَّيلةِ ، وإذا جمَّالٌ يقودُ جملَينِ ، عليهِما حِمْلانِ ورقاً ، وهوَ يسألُ عن منزلِ إبراهيمَ الحَرْبيِّ ، فانتهىٰ إليَّ ، فقلتُ : أنا إبراهيمُ الحَرْبيُّ ، فحطَّ الحِمْلَينِ ، وقالَ : هٰذانِ الحِمْلانِ أنفذَهُما إليكَ رجلٌ مِن خُراسانَ ، فقلتُ : مَن هوَ ؟ فقالَ : قد استحلفَني ألَّا أقولَ مَن هوَ [1]

* * *

٣٨ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنيَ الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ المُؤدِّبُ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القَزْوينيُّ الواعظُ قالَ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ ثابتٍ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٢٧/٦ ـ ٥٢٨) ، وابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (٢٢١/١ ـ ٢٢٢) ، وانظر « معجم الأدباء » (١١٥/١ ـ ١١٦) ، و« إنباه الرواة » للقفطي (١٥٧/١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣٦٨/١٣) .

الدَّعَّاءَ الزَّاهدَ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الجُنَيدَ بنَ محمَّدٍ يقولُ : (سمعتُ سريّاً السَّقَطيَّ يقولُ : صلَّيتُ وِرْدي ليلةً ، ومددتُ رِجلي في المحرابِ ، فنُودِيتُ : يا سريُّ ؛ كذا تُجالِسُ الملوكَ ؟!

قالَ : فضممتُ رِجلي ، وقلتُ : وعزَّتِكَ ؛ لا مددتُها أبداً) .

قالَ الجُنَيدُ : (فبقيَ بعدَ ذٰلكَ ستِّينَ سنةً ما مدَّ رِجلَهُ ليلاً ولا نهاراً)(١)

٣٩ ـ وبهِ قالَ : وأخبرَنا ابنُ رزقٍ ـ هوَ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ـ قالَ : أنا ابنُ عتَّابٍ ـ يعني : محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ عتَّابٍ ـ قالَ : ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أبي موسىٰ ، ثنا إبراهيمُ بنُ الحارثِ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عفَّانَ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ قالَ : (صلَّيتُ خلفَ فُضَيلِ بنِ عياضٍ المغربَ ، وعليٌّ ابنُهُ إلىٰ جانبي ، فقرأَ : « ألهاكُمُ التَّكاثُرُ » ، فلمَّا قالَ : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾(٢) . . سقطَ عليُّ بنُ فُضَيلٍ مغشيّاً عليهِ علىٰ وجهِهِ !! وبقيَ فُضَيلٌ عندَ الآيةِ .

فقلتُ في نفسي : ويحَكَ !! ما عندَكَ مِنَ الخوفِ ما عندَ فُضَيلٍ وعليٍّ ، فلم أزلْ أنتظرُ عليّاً ، فما أفاقَ إلىٰ ثُلُثٍ مِنَ اللَّيلِ بقيَ)(٣)

٤٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ قالَ : ثنا عبدُ المُنعِمِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ الأصبهانيُّ ، ثنا الحسنُ بنُ يحيى بنِ حَمُّويهِ الكِرْمانيُّ بمكَّةَ قالَ : قالَ أبو الحسنِ التَّمَّارُ : قالَ أبو الحارثِ الأُولاسيُّ(٤) : خرجتُ مِن حصنِ أُولاسَ أُريدُ البحرَ ، فقالَ بعضُ إخواني : لا تخرجْ ؛ فإنِّي قد هيَّأتُ لكَ عُجَّةً حتَّىٰ تأكلَ .

قالَ : فجلستُ وأكلتُ معَهُ ، ونزلتُ إلى السَّاحلِ ، فإذا أنا بإبراهيمَ بنِ سعدٍ العلويِّ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/٥٥١ ـ ٥٥٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٢٠) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٩/٤٢٢١) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/١٥٠) .

(٢) سورة التكاثر : (٦) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/٥٦٢) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٢١/٩٧ ـ ٩٨) ، وانظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٥٢٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/٤٤٣ ـ ٤٤٤) .

(٤) **الأُولاسي** ـ بضمِّ الهمزة ـ : كذا ضبطت في (أ ، ب ، ج) ، نسبة إلىٰ (أُولاس) ، وهي بلدة علىٰ ساحل بحر الشَّام من نواحي طَرَسُوس ، وانظر « الأنساب » (١/٢٢٩) ، و« معجم البلدان » (١/٢٨٢) .

قائماً يُصلِّي ، فقلتُ في نفسي : ما أشكُّ أنَّهُ يُريدُ أن يقولَ : امشِ معي على الماءِ ، ولئن قالَ . . لأمشيَنَّ معَهُ ، فما استحكمتُ الخاطرَ حتَّىٰ سلَّمَ ، ثُمَّ قالَ : هيهِ يا أبا الحارثِ ، امشِ على الخاطرِ ، فقلتُ : باسمِ اللهِ ، فمشىٰ هوَ على الماءِ ، وذهبتُ أمشي ، فغاصَتْ رِجلي ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : يا أبا الحارثِ ؛ العُجَّةُ أخذَتْ بِرِجلِكَ (١)

حكاية

[إسلامُ يهوديٍّ بكرامةِ الآجُرِّيِّ]

خ ٤١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ ، أنا جعفرُ بنُ محمَّدٍ الخُلْديُّ في كتابِهِ قالَ : ثنا أبو العبَّاسِ ابنُ مسروقٍ ، وأبو محمَّدٍ الجُرَيريُّ ، وأبو أحمدَ المَغازِليُّ ، وغيرُهُم ، عن إبراهيمَ الآجُرِّيِّ : أنَّ يهوديّاً جاءَهُ يقتضيهِ شيئاً مِن ثمنِ قصبٍ ، فكلَّمَهُ [في أن يُسلِمَ] (٢) ، فقالَ لهُ : أَرِني شيئاً أعرفُ بهِ شرفَ الإسلامِ وفضلَهُ علىٰ ديني حتَّىٰ أُسلِمَ .

قالَ لهُ : أَوَتفعلُ ؟ قالَ : نعم .

قالَ : هاتِ رداءَكَ ، قالَ : فأخذَهُ فجعلَهُ في رداءِ نفسِهِ ، ولفَّ رداءَهُ عليهِ ، ورمىٰ بهِ في النَّارِ ؛ نارِ أَتُّونِ الآجُرِّ (٣) ، ودخلَ في أثرِهِ ، فأخذَ الرِّداءَ ، وخرجَ مِنَ النَّارِ ، ففتحَ رداءَ نفسِهِ ، فإذا هوَ صحيحٌ ، وأخرجَ رداءَ اليهوديِّ حُرَاقاً أسودَ مِن جوفِ رداءِ نفسِهِ !! فأسلمَ اليهوديُّ (٤)

* * *

٤٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو يعلىٰ أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ الوكيلُ ، أنا إسماعيلُ بنُ سعيدٍ المُعدَّلُ ، ثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ قالَ : قالَ لي أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ القاسمِ : أخبرَني العُتْبيُّ قالَ : رُئِيَ مروانُ ابنُ أبي حفصةَ واقفاً ببابِ الجسرِ كئيباً أَسِفاً ، ينكُتُ بسوطِهِ في مَعْرَفةِ دابَّتِهِ (٥)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/٦٠٨ ـ ٦٠٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٤٠١ ـ ٤٠٢) من طريق الخطيب .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « تاريخ بغداد » .

(٣) **الأَتُّون** : المَوقِد .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/١٧٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٢٢٣) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٢٨٦) ، و« الوافي بالوفيات » (٣/٣٥) .

(٥) **مَعْرَفة الدَّابَّة** : موضع الشَّعر من عنقها .

فقيلَ لهُ : ما الَّذي نراهُ بكَ ؟ قالَ : أُخبِرُكُم بالعجبِ ؛ مدحتُ أميرَ المؤمنينَ ، فوصفتُ لهُ ناقتي مِن خِطامِها إلىٰ خُفِّها ، ووصفتُ الفيافيَ مِنَ اليمامةِ إلىٰ بابِهِ ، أرضاً أرضاً ، ورملةً رملةً ، حتَّىٰ إذا أشفيتُ منهُ علىٰ غِنى الدَّهرِ ، جاءَ ابنُ بيَّاعةِ الفخاخيرِ ـ يعني : أبا العتاهيةِ ـ فأنشدَهُ بيتَينِ ، فضعضعَ بهِما شعري ، وسوَّاهُ في الجائزةِ بي !!

فقيلَ لهُ : وما البيتانِ ؟ فأنشدَ [1] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا ... تَطْوِي إِلَيْكَ سَبَاسِباً [2] وَرِمَالَا
فَإِذَا رَحَلْنَ بِنَا رَحَلْنَ مُخِفَّةً ... وَإِذَا رَجَعْنَ بِنَا رَجَعْنَ ثِقَالَا [3]

* * *

٤٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو حنيفةَ المُؤدِّبُ ، ثنا المُعافى بنُ زكريَّا ، ثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ ، ثنا عِسْلُ بنُ ذكوانَ ، أنا [دماذٌ] [4] ، عن حمَّادِ بنِ شقيقٍ قالَ : قالَ أبو سلمةَ الغَنَويُّ : قلتُ لأبي العتاهيةِ : ما الَّذي صرفَكَ عن قولِ الغزلِ إلىٰ قولِ الزُّهدِ ؟

قالَ : إذاً واللهِ أُخبرُكَ : إنِّي لمَّا قلتُ [5] : [من المنسرح]

اَللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي ... أَهْدَتْ لِيَ ٱلصَّدَّ وَٱلْمَلَالَاتِ
مَنَحْتُهَا مُهْجَتِي وَخَالِصَتِي ... فَكَانَ هِجْرَانُهَا مُكَافَاتِي
هَيَّمَنِي حُبُّهَا وَصَيَّرَنِي ... أُحْدُوثَةً فِي جَمِيعِ جَارَاتِي

رأيتُ في المَنامِ في تلكَ اللَّيلةِ كأنَّ آتياً أتاني ، فقالَ [لي] : ما أصبتَ أحداً تُدخِلُهُ بينَكَ وبينَ عُتْبةَ يحكُمُ لكَ عليها بالمعصيةِ إلَّا اللهَ تعالىٰ ؟! فانتبهتُ مذعوراً ، وتبتُ إلى اللهِ مِن ساعتي مِن قولِ الغزلِ [6] .

* *

---

(١) هي لأبي العتاهية كما في « ديوانه » (ص ٦٠٦) ، و« الزهرة » لأبي بكر الأصفهاني (٢/١٣٥) ، و« الأمالي » للقالي (١/٢٤٣) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٢٠٣٢) .

(٢) السَّباسب : جمع سَبْسَب ؛ وهي المفازة .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/٢٣٤ ـ ٢٣٥) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٢٢١ ـ ٢٢٢) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٤/١٧٧٩) كلاهما من طريق الخطيب .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (ذمار) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وغيره ، ودماذ : لقب أبي غَسَّان ، رفيع بن سلمة ، نَحْويٌّ من أصحاب أبي عبيدة ، وانظر « بغية الوعاة » (١/٥٦٨) .

(٥) هي له كما في « ديوانه » (ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦) ، و« الأغاني » (٤/١٢٧٢) ، و« تاريخ دمشق » (١٣/٤١٨) .

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/٢٣٥) ، والسراج القارئ في « مصارع العشاق » (٢/٢٩١) ، ←

٤٤ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ قالَ : أنا أبو عليّ عيسى بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ الطُّوماريُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ المُبرِّدُ ، عنِ الرِّياشيِّ قالَ : أقبلَ أبو العتاهيةِ ومعَهُ سلَّةُ مَحاجِمَ ، فجلسَ إلينا وقالَ : لستُ أبرحُ أو تأتوني بمَن أَحجُمُهُ ، فجئْناهُ ببعضِ عبيدِنا فحجَمَهُ .

ثمَّ أنشأَ يقولُ [١] : [من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا ٱلتَّقْوَىٰ هُوَ ٱلْعِزُّ وَٱلْكَرَمْ ... وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ ٱلذُّلُّ وَٱلْعَدَمْ

وَلَيْسَ عَلَىٰ عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ ... إِذَا صَحَّحَ ٱلتَّقْوَىٰ وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ [٢]

* * *

٤٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ جُمَيعٍ الغَسَّانيُّ بصَيْداءَ [٣] ، ثنا أبي ، ثنا جدِّي أحمدُ بنُ محمَّدٍ ، ثنا أبو كريمةَ عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ الصَّيْداويُّ ، ثنا أبو هاشمٍ إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مِهْرجانَ البغداديُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ حمَّادٍ المُقرِئُ ، ثنا محمَّدُ بنُ مصعبٍ القَرْقسانيُّ ، عنِ الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عنِ الأَوْزاعيِّ قالَ : أردتُ بيتَ المَقْدِسِ ، فرافقتُ يهوديّاً ، فلمَّا صِرْنا إلىٰ طبريَّةَ . . نزلَ ، فاستخرجَ ضِفْدِعاً ، فشدَّ في عنقِهِ خيطاً ، فصارَ خنزيراً !!

فقالَ : [انتظرْ] [٤] حتَّىٰ أذهبَ فأبيعَهُ مِن هٰؤلاءِ النَّصارىٰ ، فذهبَ فباعَهُ وجاءَ بطعامٍ ، فركبْنا ، فما مررْنا غيرَ بعيدٍ . . حتَّىٰ جاءَ القومُ في الطَّلبِ ، فقالَ لي : أحسبُهُ صارَ في أيديهِم ضِفْدِعاً ، قالَ : فحانَتْ منِّيَ التفاتةٌ ، فإذا بدنُهُ ناحيةً ورأسُهُ ناحيةً !! قالَ : فوقفتُ وجاءَ القومُ ، فلمَّا نظروا إليهِ . . فَزِعوا مِنَ السُّلطانِ ، ورجعوا عنهُ .

قالَ : يقولُ ليَ الرَّأسُ : رجعوا ؟ قالَ : قلتُ : نعم ، قالَ : فالتأمَ الرَّأسُ إلى البدنِ !! وركبْنا وركبَ ، قالَ : فقلتُ : لا رافقتُكَ أبداً ، اذهبْ عنِّي [٥]

* * *

وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٢٢٢ ـ ٢٢٣) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٤/١٧٦٧ ـ ١٧٦٨) كلُّهم من طريق الخطيب .

(١) هي له كما في « ديوانه » (ص ٣٤٨) ، و« عيون الأخبار » لابن قتيبة (٢/٣٧٣) ، و« الأغاني » (٤/١٢١٩) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/٢٣٥ ـ ٢٣٦) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٤/١٧٥٨) .

(٣) صَيْداء : مدينة علىٰ ساحل بحر الشَّام من أعمال دِمشق شرقيَّ صُور . « معجم البلدان » (٣/٤٣٧) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/٢٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/٣٣٨ ـ ٣٣٩) من طريقه .

٤٦ ـ وفي « تاريخِ دِمشقَ » للحافظِ الكبيرِ أبي القاسمِ ابنِ عساكرَ : أنبأَنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ إبراهيمَ ، وأبو محمَّدٍ السَّمَرْقَنْديُّ ، وأبو ترابٍ حيدرةُ بنُ أحمدَ قالوا : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ ، أنا أبو نصرٍ عبدُ الوهَّابِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ المُرِّيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ سليمانَ بنِ يوسفَ الرَّبَعيُّ البُنْدارُ(١) ، ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ الفيضِ الغَسَّانيُّ ، ثنا هشامُ بنُ عمَّارٍ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عنِ ابنِ جابرٍ ، عن عطيَّةَ بنِ قيسٍ الكلابيِّ(٢) قالَ : رافقَني يهوديٌّ قدمَ مِنَ الحجازِ ، مِن بيتِ المَقْدِسِ إلىٰ دِمشقَ ، فنزلْنا بَيْسانَ(٣) ، فقالَ : ألا أُريكَ شيئاً حسناً ؟ فانحدرَ إلى النَّهرِ ، فأخذَ ضِفْدِعاً ، فجعلَ في عنقِها شَعراً مِن ذنبِ فرسٍ ، فحانَتْ منّيَ التفاتةٌ ، فإذا هيَ خنزيرٌ في عنقِهِ حبلُ شريطٍ !!

فدخلَ بهِ بَيْسانَ ، فباعَهُ مِن بعضِ الأنباطِ بخمسِ دراهمَ .

ثمَّ ارتحلْنا ، فسِرْنا غيرَ بعيدٍ ، قالَ : فإذا الأنباطُ يتعادونَ في أثرِنا ، فقلتُ لهُ : قد أقبلَ القومُ ، قالَ : فأقبلَ رجلٌ منهُم جَسِيمٌ ، فرفعَ يدَهُ فلكمَهُ في أصلِ لحيتِهِ لكمةً صرعَهُ عنِ الدَّابَّةِ ، فإذا برأسِهِ مُعلَّقٌ بجلدةٍ مِن رقبتِهِ ، وأوداجُهُ تشخبُ دماً !! فقلتُ : يا أعداءَ اللهِ ؛ قتلتُمُ الرَّجلَ !!

فمضى القومُ هاربينَ ، فقالَ ليَ الرَّأسُ : انظرْ مرُّوا ؟ فقلتُ : نعم ، ثمَّ قالَ : انظرْ [أمعَنوا ؟](٤) ، فالتفتُّ أنظرُ إليهِم ، [ثمَّ التفتُّ أنظرُ إليهِ](٥) ، فإذا هوَ جالسٌ ليسَ فيهِ قَلَبةٌ !!(٦)

فسُئِلَ عطيَّةُ بنُ قيسٍ عنِ الرَّجلِ مَن هوَ ، فقالَ : هوَ زرعةُ بنُ إبراهيمَ(٧)

قالَ ابنُ عساكرَ : بلغَني أنَّ زرعةَ بنَ إبراهيمَ قُتِلَ يومَ دخلَتِ المُسوِّدةُ(٨) دِمشقَ ، وذٰلكَ في شهرِ رمضانَ ، سنةَ اثنتَينِ وثلاثينَ ومئةٍ(٩)

---

(١) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) . (٢) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٣) بَيْسان : مدينة بالأُرْدُنِّ بالغور الشَّاميِّ . « معجم البلدان » (١/٥٢٧) .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من « تاريخ دمشق » .

(٥) ما بين معقوفين مستدرك من « تاريخ دمشق » .

(٦) قَلَبة : عِلَّة أو داء .

(٧) تاريخ دمشق (١٩/٧ ـ ٨) ، وأخرجه أبو الحسن الغساني في « أخبار وحكايات » (ص ٤٩) .

(٨) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٩) تاريخ دمشق (١٩/٨) .

أنبأَني بذلكَ مِن طريقِ ابنِ عساكرَ أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أبي نصرٍ محمَّدِ بنِ هبةِ اللهِ الشِّيرازيُّ قالَ : أنبأَني جدِّي أبو نصرٍ قالَ : أنا ابنُ عساكرَ قراءةً عليهِ .

* * *

٤٧ ـ وروى ابنُ عساكرَ كما سيأتي [١] ، عن إسماعيلَ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ أبي المُهاجِرِ : (أنَّهُ صحَّ إسلامُ زرعةَ بنِ إبراهيمَ ، ولم يَصِحَّ توبتُهُ مِنَ السِّحرِ) [٢]

نُكْتَةٌ

[في علامةِ ثقبِ الأُذنَينِ]

٤٨ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ منهُمُ المُؤيَّدُ الطُّوسيُّ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ الجَوْهَريِّ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الخَزَّازُ ، ثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ جعفرٍ المعروفُ بابنِ اللَّبَّانِ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ إسحاقَ بنِ راهَوَيهِ قالَ : وُلِدَ أبي مِن بطنِ أُمِّهِ مثقوبَ الأُذنَينِ !!

قالَ : فمضىٰ جدِّي راهَوَيهِ إلى الفضلِ بنِ موسى السِّينانيِّ ، فسألَهُ عن ذٰلكَ ، فقالَ : يكونُ ابنُكَ رأساً ؛ إمَّا في الخيرِ ، وإمَّا في الشَّرِّ [٣]

* * *

٤٩ ـ وبهِ قالَ : أنا الأميرُ أبو [محمَّدٍ] [٤] الحسنُ بنُ عيسى بنِ المُقتدِرِ باللهِ ، ثنا أحمدُ بنُ منصورٍ اليَشْكُريُّ ، ثنا أبو القاسمِ الصَّائغُ ، حدَّثَني أبو الحسينِ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الباجِسْرائيُّ [٥] ، عنِ الأصمعيِّ قالَ : دخلتُ الباديةَ ، فلمَّا توسَّطتُ نجداً . . إذا أنا بخباءٍ ، فصرتُ إليهِ ، فإذا شيخٌ كبيرٌ ، فسلَّمتُ عليهِ ، ثمَّ قلتُ : يا شيخُ ؛ كم أتىٰ عليكَ مِنَ السِّنينَ ؟ قالَ : عشرونَ ومئةُ سنةٍ .

---

(١) انظر ما سيأتي ضمن الخبر (١٠١٩ ، ١٠٢٠) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/١٩) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٦٥/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢٦/٨) من طريق الخطيب ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٨٢/١٧) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٨٧/٨) .

(٤) ما بين معقوفين ليس في (أ ، ب ، ج) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٨٣/٢٩) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٨٠٠ ، ٩٤٧ ، ١٠٦١) .

(٥) الباجِسْرائي : نسبة إلىٰ (باجِسْرا) ، وهي بليدة في شرقيِّ بغداد . « معجم البلدان » (٣١٣/١) .

قلتُ : فما الَّذي بقَّىٰ لكَ أجلَكَ ؟ قالَ : تركتُ الحسدَ ، وهوَ الَّذي بقَّىٰ لي جسمي .

قالَ : فقلتُ : هل قلتَ في ذٰلكَ شيئاً ؟ قالَ : بيتَينِ ، قلتُ : هاتِهما .

فقالَ [1] : [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا ٱلْمَوْتُ ٱلَّذِي لَيْسَ آتِياً ... أَرِحْنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلِ

أَرَاكَ بَصِيراً بِٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ ... كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَلِيلِ [2]

❊

٥٠ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني أبو القاسمِ الأزهريُّ ، ثنا طالبُ بنُ عثمانَ قالَ : سمعتُ ابنَ مِقْسَمٍ قالَ : كنتُ عندَ أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ يحيىٰ إذ جاءَهُ إدريسُ الحَدَّادُ ، فأكرمَهُ وحادثَهُ ساعةً ، وكانَ إدريسُ قد أسنَّ ، فقامَ مِن مجلسِهِ يتساندُ ، فلحظَهُ أبو العبَّاسِ بعينِهِ ، وأنشأَ يقولُ .

وأخبرَنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ الحسنِ ابنِ مِقْسَمٍ المُقرِئُ قالَ : أنشدَنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ يحيىٰ في أثرِ مُنصرَفِ إدريسَ الحَدَّادِ : [من الطويل]

أَرَىٰ بَصَرِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... يَكِلُّ وَطَرْفِي عَنْ مَدَاهُنَّ يَقْصُرُ

وَمَنْ يَصْحَبِ ٱلْأَيَّامَ تِسْعِينَ حِجَّةً ... يُغَيِّرْنَهُ وَٱلدَّهْرُ لَا يَتَغَيَّرُ

لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتُ أَمْشِي مُقَيَّداً ... لَمَا كُنْتُ أَمْشِي مُطْلَقَ ٱلْقَيْدِ أَكْثَرُ [3]

❊

٥١ ـ وبهِ قالَ : أنا الجَوْهَريُّ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ بنُ مخلدٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ أبي يعقوبَ ، ثنا الفضلُ بنُ صعصعةَ ، ثنا عمرُو بنُ الضَّحَّاكِ ، عن أبيهِ قالَ : مرَّ أشعبُ [4] ـ يعني : الطَّمَّاعَ ـ بقومٍ يعملونَ قُفَّةً [5] ، فقالَ لهم :

---

(١) البيتان لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في « ديوانه » (ص ٢١٢) ، و« سراج الملوك » للطرطوشي (ص ٩٢) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٩٨/٧ ـ ٣٩٩) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٤٤٥) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٦٧/٧) ، وثعلب في « مجالسه » (١١٤/١ ـ ١١٥) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣٦٣/٧ ـ ٣٦٤) من طريق الخطيب ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٣١٠/١ ـ ٣١١) .

(٤) قيل : إنَّ أشعب مات سنة أربع وخمسين ومئة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٥) قُفَّة : وعاء .

أَوسِعوها ، قالوا : ولِمَ يا أشعبُ ؟ قالَ : لعلَّ يُهدي إليَّ إنسانٌ فيها شيئاً[١]

❊ ❊ ❊

٥٢ ـ وقالَ محمَّدُ بنُ أبي يعقوبَ : حدَّثَني محمَّدٌ ابنُ أبي عبدِ الرَّحمـٰنِ المُقرِئُ ، عن أبيهِ قالَ : (قالَ أشعبُ الطَّمَّاعُ : ما خرجتُ في جِنازةٍ قطُّ فرأيتُ اثنَينِ يتشاورونَ . . إلَّا ظننتُ أنَّ الميِّتَ قد أوصىٰ لي بشيءٍ !!)[٢]

حكاية

[بينَ أشعبَ وجاريتِهِ]

٥٣ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ القَطَّانُ ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الشَّافعيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ سماعةَ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ أحمدَ الحسنيُّ ـ مِن ولدِ الحسنِ بنِ عليٍّ [رضيَ اللهُ عنهُما] ـ ، عن بعضِ مَن سمعَ منهُ قالَ : قالَ أشعبُ : جاءَتْني جاريتي بدينارٍ فأودعَتْنيهِ ، فجعلتُهُ تحتَ المُصلَّىٰ بينَ يدَيَّ .

ثمَّ جاءَتْني بعدَ أيَّامٍ فقالَتْ : هاتِ الدِّينارَ ، فقلتُ : ارفعي المُصلَّىٰ ، فإن كانَ ولدَ . . فخُذِي ولدَهُ ودَعِيهِ ، وقد كنتُ جعلتُ معَهُ درهماً ، فرفعَتِ المُصلَّىٰ ، وأخذَتِ الدِّرهمَ ، فقلتُ لها : إن تركتيهِ . . ولدَ لكِ كلَّ جمعةٍ درهماً ، فتركَتْهُ .

وعادَتْ في الجمعةِ الثَّانيةِ ، وقد كنتُ أخذتُهُ ، فلم تَرَهُ ، فبكَتْ وصاحَتْ ، فقلتُ : ما يُبكيكِ ؟ فقالَتِ : الدِّينارُ سرقتَهُ ، فقلتُ لها : ماتَ دينارُكِ في النِّفاسِ ، فبكَتْ ، فقلتُ لها : تُصَدِّقينَ بالولادةِ ، ولا تُصَدِّقينَ بالموتِ في النِّفاسِ ؟![٣]

❊ ❊ ❊

٥٤ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ قراءةً ، ثنا أبو عليٍّ ابنُ الصَّوَّافِ قالَ : وجدتُ في كتابِ أبي : حدَّثَنا أبو بكرٍ الباغنديُّ قالَ : ثنا الرَّبيعُ بنُ سليمانَ قالَ : سمعتُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٠٨/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٢/٩) ، وانظر « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٥٧/٢) ، و« المنتظم » (٢٢٧/٥) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٢٥٩/١٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦٨/٧) ، وسيأتي ضمن الخبر (١٠٦٥) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٠٩/٧) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٢١٢) من طريقه ، وانظر « ثمار القلوب » للثعالبي (٢٦٣/١) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٢٣٤٠) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٠٩/٧ ـ ٥١٠) ، وانظر « نثر الدر » للآبي (٣١٦/٥) ، و« نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري (٣٦/٤) ، و« فوات الوفيات » للكتبي (١٩٨/١ ـ ١٩٩) .

الشَّافعيَّ يقولُ : دخلتُ بغدادَ ، فنزلتُ علىٰ بشرٍ المريسيِّ [1] ، فأنزلَني في غرفةٍ لهُ ، فقالَتْ لي أُمُّهُ : لِمَ جئتَ إلىٰ هٰذا ؟ قلتُ : أسمعُ منهُ العلمَ ، فقالَتْ : هٰذا زنديقٌ [2]

❊ ❊

٥٥ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسينُ بنُ عليٍّ الطَّناجيريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عليِّ ابنِ سويدٍ المُؤدِّبُ ، ثنا عثمانُ بنُ [إسماعيلَ بنِ بكرٍ] [3] السُّكَّريُّ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ أحمدَ ابنَ الدَّوْرَقيِّ يقولُ : ماتَ رجلٌ مِن خُراسانَ شابّاً ، فرأيتُهُ في اللَّيلِ وقد شابَ ، فقلتُ : ما قصَّتُكَ ؟ قالَ : دُفِنَ بشرٌ ـ يعني : المريسيَّ ـ في مَقبُرتِنا ، فزفرَتْ جهنَّمُ زفرةً شابَ [منها] [4] كلُّ مَن في المقبرةِ !! [5]

٥٦ ـ وبهِ قالَ : أنا القاضي أبو العلاءِ الواسِطيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يوسفَ بنِ يعقوبَ الرَّقِّيُّ ، ثنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ أحمدَ النَّحْويُّ بالرَّمْلةِ قالَ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ بنِ صدقةَ الفرائضيَّ يقولُ [6] : سمعتُ أحمدَ بنَ زهيرٍ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ عبدِ الحميدِ الحِمَّانيَّ يقولُ [7] : (رأيتُ أبا نصرٍ التَّمَّارَ وعليَّ بنَ المَدِينيِّ في جِنازةِ بشرِ بنِ الحارثِ [8] يصيحانِ في الجِنازةِ : هٰذا ـ واللهِ ـ شرفُ الدُّنيا قبلَ شرفِ الآخرةِ .

وذٰلكَ أنَّ بشرَ بنَ الحارثِ أُخرِجَتْ جِنازتُهُ بعدَ صلاةِ الصُّبحِ ، ولم يحصلْ في القبرِ إلَّا في اللَّيلِ ، وكانَ نهاراً صائفاً ، والنَّهارُ فيهِ طولٌ ، ولم يستقرَّ في القبرِ إلى العَتَمةِ !!) [9]

---

(١) بشر المريسيُّ : هو أبو عبد الرَّحمٰن ، بشر بن غياث بن أبي كريمة ، مولىٰ زيد بن الخطَّاب ، توفِّي سنة ثمان عشرة ـ وقيل : تسع عشرة ـ ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٣٥/٧) ، وابن بطة في « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية » (٢٣٥٩) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (إسماعيل بن أبي بكر) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٨١/١٣) .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٤٤/٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٨٢/٦) من طريقه ، وانظر « الأنساب » (٢٦٧/٥ ـ ٢٦٨) .

(٦) **الفرائضي** : تقال لمن تمرَّس في علم الفرائضِ المواريثِ . « الأنساب » (٣٥٨/٤) .

(٧) **الحِمَّاني** : نسبة إلىٰ (بني حِمَّان) ، وهي قبيلة نزلت الكُوفة . « الأنساب » (٢٥٧/٢) .

(٨) مات بشر بن الحارث الحافي سنة سبع وعشرين ومئتين ببغداد ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٩) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٦٠/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٢/١٠) ، ←

٥٧ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني الأزهريُّ ، ثنا أحمدُ بنُ منصورٍ الورّاقُ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ مخلدٍ ، حدَّثَني أبو حفصٍ عمرُ بنُ سليمانَ المُؤدِّبُ ، حدَّثَني أبو حفصٍ ابنُ أختِ بشرِ بنِ الحارثِ قالَ : (كنتُ أسمعُ الجنَّ تنوحُ علىٰ خالي في البيتِ الَّذي كانَ يكونُ فيهِ ، غيرَ مرَّةٍ سمعتُ الجنَّ تنوحُ عليهِ !!)[١]

* *

٥٨ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني الحسنُ بنُ أبي طالبٍ ، ثنا يوسفُ بنُ عمرَ القَوَّاسُ ، ثنا أحمدُ بنُ الحسينِ ابنِ الجُنَيدِ قالَ : سمعتُ حجَّاجَ بنَ الشَّاعرِ يقولُ لسليمانَ اللُّؤلؤيِّ : رُئِيَ بشرُ بنُ الحارثِ في النَّومِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ يا أبا نصرٍ ؟ قالَ : غفرَ لي ، وقالَ : (يا بشرُ ؛ ما عبدتَني علىٰ قدرِ ما نوَّهتُ باسمِكَ)[٢]

* * *

٥٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو حازمٍ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ العَبْدَويُّ الحافظُ ، أخبرَني محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ قالَ : سمعتُ حمزةَ بنَ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ مروانَ يقولُ : رأيتُ بشرَ بنَ الحارثِ في المَنامِ ، فقلتُ : يا أبا نصرٍ ؛ ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : غفرَ لي وغفرَ لكلِّ مَن تبعَ جِنازتي ، قالَ : فقلتُ : ففِيمَ العملُ ؟ قالَ : افتقدِ الكُسَيرةَ[٣]

حكاية

[مَن خافَ مِنَ اللهِ . . خافَ منهُ الأسدُ]

٦٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ الحسينِ ابنِ موسىٰ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : كانَ سببُ دخولي مصرَ حكايةَ بُنانٍ[٤]

وابن الجوزي في « المنتظم » (٣٥٧/٦) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (١٠٨/٤ ـ ١٠٩) كلُّهم من طريق الخطيب ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤٧٢/١) .

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٦١/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٢/١٠) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (١٠٩/٤) كلاهما من طريق الخطيب .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٦١/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٧/١٠) من طريقه .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٦١/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٤/١٠ ـ ٢٢٥) من طريقه ، وانظر « الأنساب » (١٥٩/٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤٧٢/١) .

(٤) هو بُنان بن محمَّد بن حمدان بن سعيد ، أبو الحسن ، المعروف بالحمَّال ، من أهل واسِط ، توفِّي سنة ستَّ عشرة وثلاث مئة بمصر ، رحمه الله . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) .

وذٰلكَ أنَّهُ أَمَرَ ابنَ طُولُونَ بالمعروفِ ، فأمرَ أن يُلقىٰ بينَ يدَيِ السَّبُعِ ، فجعلَ السَّبُعُ يشُمُّهُ ولا يضرُّهُ !!

فلمَّا أُخرِجَ مِن بينِ يدَيِ السَّبُعِ . . قيلَ لهُ : ما الَّذي كانَ في قلبِكَ حيثُ شمَّكَ السَّبُعُ ؟ قالَ : كنتُ أتفكَّرُ في سُؤرِ السِّباعِ ولُعابِها !!

واحتالَ عليهِ أبو عبيدِ اللهِ القاضي حتَّىٰ ضُرِبَ سبعَ دِرَرٍ ، فقالَ لهُ : حبسَكَ اللهُ بكلِّ دِرَّةٍ سنةً ، فحبسَهُ ابنُ طُولُونَ سبعَ سنينَ (١)

حكاية

[حيلةُ أبي علقمةَ وجودُ جعفرٍ البَرْمَكيِّ]

٦١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ سلامةُ بنُ الحسينِ المُقرِئُ ، أنا عليُّ بنُ عمرَ الحافظُ ، ثنا القاضي الحسينُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا عبدُ اللهِ ابنُ أبي سعدٍ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ طهمانَ ، حدَّثَني أبي قالَ : كانَ أبو علقمةَ الثَّقفيُّ صاحبُ الغريبِ عندَ جعفرِ بنِ يحيىٰ في بعضِ لياليهِ الَّتي يسمُرُ فيها ، فأقبلَتْ خُنْفساءةٌ إلىٰ أبي علقمةَ ، فقالَ : أليسَ يُقالُ : إنَّ الخُنْفساءةَ إذا أقبلَتْ إلىٰ رجلٍ . . أصابَ خيراً ؟ قالوا : بلىٰ .

قالَ جعفرُ بنُ يحيىٰ : يا غلامُ ؛ أَعطِهِ ألفَ دينارٍ ، قالَ : فنحَّوْها عنهُ ، فعادَتْ إليهِ ، فقالَ : يا غلامُ ؛ أَعطِهِ ألفَ دينارٍ ، فأعطاهُ ألفَي دينارٍ (٢)

حكاية

[لو ملكتُ منكَ ما ملكتَهُ منِّي . . ما بعتُكَ بالدُّنيا وما فيها]

٦٢ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني أبو القاسمِ الأزهريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الخَزَّازُ ، ثنا محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ ، ثنا أبو يعقوبَ النَّخَعيُّ ، ثنا عليُّ بنُ زيدٍ كاتبُ العبَّاسِ بنِ المأمونِ ، حدَّثَني إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصِليُّ ، حدَّثَني أبي قالَ : حجَّ الرَّشيدُ ومعَهُ جعفرُ بنُ يحيى البَرْمَكيُّ ، وكنتُ معَهُم ، فلمَّا صِرْنا إلىٰ مدينةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالَ لي

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٩٣/٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٢٤/١٠) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٥٦٨/٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٠٩/٢٣ ـ ٥١٠) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣١/٨) ، وانظر « تاريخ دمشق » (١٧٧/٧٢) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠٠/١٢ ـ ١٠١) .

جعفرُ بنُ يحيىٰ : أُحِبُّ أن تنظرَ لي جاريةً ، ولا تُبقِيَ غايةً في حذاقتِها بالغناءِ والضَّربِ ، والكمالِ في الظَّرْفِ والأدبِ .

قالَ : فأُرشِدتُ إلىٰ جاريةٍ لرجلٍ ، فدخلتُ عليهِ ، فرأيتُ رسومَ النِّعمةِ ، وأخرجَها إليَّ ، فلم أرَ أجملَ منها ، ولا أصبحَ ولا آدبَ !! قالَ : ثمَّ تغنَّتْ لي أصواتاً فأجادَتْها .

قالَ : فقلتُ لصاحبِها : قلْ ما شئتَ ، قالَ : أقولُ لكَ قولاً لا أنقصُ منهُ درهماً .

قالَ : قلتُ : قلْ ، قالَ : أربعينَ ألفَ دينارٍ .

قالَ : قلتُ : قد أخذتُها وأشترطُ عليكَ نظرةً ، قالَ : ذٰلكَ لكَ .

قالَ : فأتيتُ جعفرَ بنَ يحيىٰ ، فقلتُ : قد أصبتُ حاجتَكَ علىٰ غايةِ الكمالِ ، وقدِ اشترطتُ نظرةً ، فاحملِ المالَ ومُرَّ بنا ، قالَ : فحملْنا المالَ علىٰ حمَّالينَ ، وجاءَ جعفرٌ مُستخفياً ، فدخلْنا على الرَّجلِ فأخرجَها ، فلمَّا رآها جعفرٌ . . أُعجِبَ بها ، وعرفَ أَنْ قد صدَقتُهُ ، ثمَّ غنَّتْهُ فازدادَ بها عُجباً .

فقالَ لي : اقطعْ أمرَها ، فقلتُ لمولاها : هٰذا المالُ قد وزنَّاهُ ونقدْناهُ ، فإن قنعتَ ، وإلَّا . . فوجِّهْ إلىٰ مَن شئتَ لينتقدَهُ ، فقالَ : لا ، بل أقنعُ بما قلتُم .

قالَ : فقالَتِ الجاريةُ : يا مولايَ ؛ في أيِّ شيءٍ أنتَ ؟ فقالَ : قد عرفتِ ما كنَّا فيهِ مِنَ النِّعمةِ ، وما كنتُ فيهِ مِنِ انبساطِ اليدِ ، وقدِ انقبضتُ عن ذٰلكَ لتغيُّرِ الزَّمانِ علينا ، فقدَّرتُ أن تصيري إلىٰ هٰذا الملكِ ، فتبسطي في شهَواتِكِ وإرادتِكِ .

فقالَتِ الجاريةُ : واللهِ يا مولايَ ؛ لو ملكتُ منكَ ما ملكتَهُ منِّي . . ما بعتُكَ بالدُّنيا وما فيها !! وبعدُ . . فاذكرِ العهدَ ، وقد كانَ حلفَ لها ألَّا يأكلَ لها ثمناً ، قالَ : فتغرغرَتْ عينُ المولىٰ ، وقالَ : اشهدوا أنَّها حُرَّةٌ لوجهِ اللهِ تعالىٰ ، وأنِّي قد تزوَّجتُها وأمهرتُها داري .

فقالَ لي جعفرٌ : انهضْ بنا ، قالَ : فدعوتُ الحمَّالينَ ليحملوا المالَ ، قالَ جعفرٌ : لا واللهِ ، لا صحبَنا منهُ درهمٌ .

قالَ : ثمَّ أقبلَ علىٰ مولاها ، فقالَ : هوَ لكَ مُبارَكاً لكَ فيهِ ، أَنفِقْهُ عليها وعليكَ .

قالَ : وقمْنا فخرجْنا(١)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٣٢ ـ ٣٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٥٠٦ ـ ٥٠٧) من طريقه ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧٢/١٧٩ ـ ١٨٠) ، و« تاريخ الإسلام » (١٢/١٠١ ـ ١٠٢) .

حكاية

[في انقلابِ الأيَّامِ علىٰ أُمِّ جعفرٍ]

خ ٦٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدٍ الجازريُّ ، ثنا المُعافى بنُ زكريَّا الجَريريُّ إملاءً ، ثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ ، حدَّثَني أبو بكرٍ الضَّريرُ وجهُ الهرَّةِ قالَ : حدَّثَني غَسَّانُ بنُ محمَّدٍ القاضي ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ الهاشميِّ صاحبِ صلاةِ الكُوفةِ قالَ : دخلتُ علىٰ أُمِّي في يومِ أضحىٰ ، وعندَها امرأةٌ بَرْزةٌ في أثوابٍ دَنِسةٍ رَثَّةٍ[1]

فقالَتْ لي : أتعرفُ هـٰذهِ ؟ قلتُ : لا ، قالَتْ : هـٰذهِ عبَّادةُ أُمُّ جعفرِ بنِ يحيى بنِ خالدٍ ، فسلَّمتُ عليها ، ورحَّبتُ بها .

وقلتُ لها : يا فلانةُ ؛ حدِّثيني ببعضِ أمرِكُم .

قالَتْ : أذكرُ لكَ جملةً كافيةً فيها اعتبارٌ لمَنِ اعتبرَ ، وموعظةٌ لمَن فكَّرَ : لقد هجمَ عليَّ مثلُ هـٰذا العيدِ وعلىٰ رأسي أربعُ مئةِ وَصِيفةٍ ، وأنا أزعمُ أنَّ جعفراً ابني عاقٌّ بي ، ولقد أتيتُكُم في هـٰذا اليومِ أسألُ جلدَ شاتَينِ ، أجعلُ أحدَهُما شِعاراً والآخرَ دِثاراً !![2]

٦٤ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ عليٍّ البَزَّازُ ، أنا أبو سعيدٍ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ السِّيرافيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أبي الأزهرِ النَّحْويُّ ، ثنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، حدَّثَني عمِّي مصعبُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : لمَّا قُتِلَ جعفرُ بنُ يحيىٰ[3] ، وصُلِبَ ببابِ الجسرِ رأسُهُ ، وفي الجانبِ الآخرِ جسدُهُ . . وقفَتِ امرأةٌ علىٰ حمارٍ فارهٍ ، فنظرَتْ إلىٰ رأسِهِ ، فقالَتْ بلسانٍ فصيحٍ : واللهِ ؛ لئن صرتَ اليومَ آيةً . . لقد كنتَ في المكارمِ غايةً .

ثمَّ أنشأَتْ تقولُ[4] : [من الطويل]

---

(١) بَرْزة : كهلة .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٣٥) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٤٤١ ـ ٤٤٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٥٠٩) من طريق الخطيب ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧٢/١٨٤ ـ ١٨٥) .

(٣) قتل جعفر بن يحيى البَرْمَكيُّ أوَّل يوم من صفر سنة سبع وثمانين ومئة ، رحمه الله . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) .

(٤) هي لدعبل الخزاعي كما في « شعر دعبل » (ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣) ، و« وفيات الأعيان » (١/٣٤٠ ـ ٣٤١) ، والأول والثاني في « العقد الفريد » (٥/٧٠) .

وَلَـمَّـا رَأَيْتُ ٱلـسَّـيْفَ خَـالَـطَ جَـعْـفَـراً وَنَادَىٰ مُنَـادٍ لِـلْـخَـلِـيفَـةِ فِـي يَـحْـيَـىٰ

بَـكَـيْـتُ عَـلَـى ٱلـدُّنْـيَـا وَأَيْـقَـنْـتُ أَنَّـمَـا قُـصَـارَى ٱلْـفَـتَـىٰ يَـوْماً مُـفَـارَقَـةُ ٱلـدُّنْـيَـا

وَمَـا هِـيَ إِلَّا دَوْلَـةٌ بَـعْـدَ دَوْلَـةٍ تُـخَـوِّلُ ذَا نُـعْـمَـىٰ وَتُـعْـقِـبُ ذَا بَـلْـوَىٰ

إِذَا أَنْـزَلَـتْ هَـٰذَا مَـنَـازِلَ رِفْـعَـةٍ مِنَ ٱلْمُلْكِ حَطَّتْ ذَا إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَىٰ

ثمَّ إنَّها حرَّكَتِ الحمارَ ، فكأنَّها كانَتْ ريحاً لم يُعرَفْ لها أثرٌ [١]

* * *

٦٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طالبٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ سعيدٍ الفقيهُ ، أنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الخزَّازُ ، أنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ قالَ : أنشدونا للعبَّاسِ بنِ الأحنفِ :

وَلَـمَّـا رَأَيْتُ ٱلـسَّـيْفَ خَـالَـطَ جَـعْـفَـراً

وذكرَ هٰذهِ الأبياتَ الأربعةَ [٢]

* * *

٦٦ ـ وبِه قالَ أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ، ثنا عمرُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ سَلْمٍ الخُتَّليُّ [٣] ، ثنا الحارثُ ابنُ أبي أسامةَ قالَ : حدَّثَني إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ ـ ثقةٌ ـ قالَ : (لمَّا بلغَ سفيانَ بنَ عُيَينةَ قتلُ جعفرِ بنِ يحيىٰ ، وما نزلَ بالبرامكةِ . . حوَّلَ وجهَهُ إلى الكعبةِ ، وقالَ : اللَّهُمَّ ؛ إنَّهُ كانَ قد كفاني مؤونةَ الدُّنيا ؛ فاكفِهِ مؤونةَ الآخرةِ) [٤]

* * *

٦٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ الوكيلُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ سعيدٍ المُعدَّلُ ، ثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ ، أنا محرزٌ الكاتبُ قالَ : اعتلَّ عبيدُ اللهِ بنُ يحيى بنِ خاقانَ ، فأمرَ المُتوكِّلُ الفتحَ أن يعودَهُ ، فأتاهُ فقالَ : أميرُ المؤمنينَ يسألُكَ عن علَّتِكَ ، فقالَ عبيدُ اللهِ : [من الهزج]

عَـلِـيـلٌ مِـنْ مَـكَـانَـيْـنِ مِـنَ ٱلْأَسْـقَـامِ وَٱلـدَّيْـنِ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٨/٨) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٤٣٥/٢ ـ ٤٣٦) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٨/٨ ـ ٣٩) .

(٣) **الخُتَّلي** : نسبة إلى (الخُتَّل) ، وهي كورة واسعة كثيرة المدن في بلاد ما وراء النَّهر . « معجم البلدان » (٣٤٦/٢) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٩/٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥٠٨/٥) من طريقه ، وانظر « تاريخ دمشق » (١٨٦/٧٢) ، و« وفيات الأعيان » (٣٤٠/١) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠٣/١٢) .

وَفِي هَـٰذَيْنِ لِي شُغْلٌ وَحَسْبِي شُغْلُ هَـٰذَيْنِ

فأمرَ لهُ المُتوكِّلُ بألفِ ألفِ درهمٍ (١)

حكاية

[بينَ عليِّ بنِ الجهمِ والخليفةِ المُتوكِّلِ]

٦٨ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ اللهِ بنُ عليِّ بنِ حَمُّويهِ الهَمَذانيُّ بها ، أنا أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الشِّيرازيُّ ، أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ الشَّاهِ التَّميميُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ العبسيُّ النَّاقدُ بمصرَ ، حدَّثَني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنيَ الأعشمُ قالَ : دخلَ عليُّ بنُ الجهمِ علىٰ جعفرٍ المُتوكِّلِ ، وبيدِهِ دُرَّتانِ يُقلِّبُهُما ، فأنشدَهُ قصيدتَهُ الَّتي يقولُ فيها (٢) : [من مجزوء الكامل]

وَإِذَا مَرَرْتَ بِبِئْرِ عُرْ وَةَ فَٱسْقِنِي مِنْ مَائِهَا

قالَ : فدحا بالدُّرَّةِ الَّتي في يمينِهِ ، فقلَّبتُها ، فقالَ : تستنقصُ بها ؟! هيَ ـ واللهِ ـ خيرٌ مِن مئةِ ألفٍ .

قلتُ : لا واللهِ ، ما استنقصتُ بها ، ولٰكنْ فكَّرتُ في أبياتٍ أعملُها آخذُ الَّتي في يسارِكَ .

فقالَ لي : قُلْ ، فأنشأتُ أقولُ (٣) : [من مخلع البسيط]

بِسُرَّ مَنْ [رَا] (٤) أَمِيرُ عَدْلٍ تَغْرِفُ مِنْ بَحْرِهِ ٱلْبِحَارُ

يُرْجَىٰ وَيُخْشَىٰ لِكُلِّ خَطْبٍ كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ

اَلْمُلْكُ فِيهِ وَفِي أَبِيهِ مَا ٱخْتَلَفَ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي ٱلْجُودِ ضَرَّتَانِ عَلَيْهِ كِلْتَاهُمَا تَغَارُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٤٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/١٤٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٤٠٥) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١/٤٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/٩) ، و« الوافي بالوفيات » (١٩/٤١٨) .

(٢) انظر « ديوانه » (ص ٦١) .

(٣) انظر « ديوانه » (ص ١٢٣) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٩٥٩) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (رأىٰ) .

لَـمْ تَـأْتِ مِـنْـهُ ٱلْـيَـمِـيـنُ شَـيْـئـاً إِلَّا أَتَـتْ مِـثْـلَـهَـا ٱلْـيَـسَـارُ

قالَ : فدحا بالَّتي في يسارِهِ ، وقالَ : خُذْها ، لا باركَ اللهُ لكَ فيها[1]

وقد رُوِيَتْ هٰذهِ الأبياتُ للبُحْتريّ في المُتوكِّلِ[2]

* * *

٦٩ ـ وبـهِ قـالَ : أنا القاضي أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدِ ابنِ رامينَ الإِسْتِراباذيُّ قالَ : ثنا أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ الجُرْجانيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الفضلِ بنِ عبدِ اللهِ ، حدَّثَني أبو عثمانَ سعدُ بنُ عبدِ اللهِ النُّوبيُّ قالَ : حدَّثَني محمَّدُ بنُ إسحاقَ الوَشَّاءُ قالَ : دخلَ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ علىٰ أميرِ المؤمنينَ المُتوكِّلِ في شَكاةٍ لهُ ، فقالَ : [من البسيط]

اَللهُ يَـدْفَـعُ عَـنْ نَـفْـسِ ٱلْإِمَـامِ لَـنَـا وَكُـلُّـنَـا لِـلْـمَـنَـايَـا دُونَـهُ غَـرَضُ

أَتَـيْـتُـهُ عَـادَةَ ٱلْـعُـوَّادِ مِـنْ مَـرَضٍ بِـٱلْـعَـائِـدِيـنَ جَـمِـيـعـاً لَا بِـهِ ٱلْـمَـرَضُ

فَـفِـي ٱلْإِمَـامِ لَـنَـا مِـنْ غَـيْـرِهِ عِـوَضٌ وَلَـيْـسَ فِـي غَـيْـرِهِ مِـنْـهُ لَـنَـا عِـوَضُ

وَمَـا أُبَـالِـي إِذَا مَـا نَـفْـسُـهُ سَـلِـمَـتْ لَـوْ بَـادَ كُـلُّ عِـبَـادِ ٱللهِ وَٱنْـقَـرَضُـوا[3]

* * *

٧٠ ـ وبهِ قالَ : أنا [بايُّ][4] بنُ جعفرٍ الجِيليُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرانَ ، أنا محمَّدُ بنُ يحيىٰ ، حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ المُعتزِّ ، حدَّثَنيَ الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزيُّ ، حدَّثَني بعضُ أصحابِنا ، عن جعفرِ بنِ [عبدِ الواحدِ][5] الهاشميّ قالَ : دخلتُ على المُتوكِّلِ لمَّا

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ٤٨ ـ ٤٩) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) من طريقه ، وانظر « العقد الفريد » (١/ ٣٢١) ، و« تاريخ دمشق » (٧٢/ ١٦١ ـ ١٦٢) ، و« تاريخ الإسلام » (١٨/ ١٩٧) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (٨/ ٤٩) ، و« ديوان البحتري » (٢/ ١٠١٣ ـ ١٠١٤) ، و« بدائع البدائه » لابن ظافر الأزدي (٣٩٣) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ٥٠) ، وانظر « العقد الفريد » (٢/ ٤٥٢) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (بابيّ) بتشديد الياء ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٤/ ٢٩٦) ، وقيل : هو بياء مخفَّفة ، انظر « تبصير المنتبه » لابن حجر (١/ ٥٤) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٩/ ٩٦) .

تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ فعزَّيتُهُ ، فقالَ : يا جعفرُ ؛ ربَّما قلتُ البيتَ الواحدَ ، فإذا جاوزتُهُ . . خلطتُ ، وقد قلتُ : [من الطويل]

تَـذَكَّـرْتُ لَـمَّـا فَـرَّقَ ٱلـدَّهْـرُ بَـيْـنَـنَـا ... فَـعَـزَّيْـتُ نَـفْـسِـي بِـٱلـنَّـبِـيِّ مُـحَـمَّـدِ

فأجازَهُ بعضُ مَن حضرَ المجلسَ :

وَقُـلْـتُ لَـهُ : إِنَّ ٱلْـمَـنَـايَـا سَـبِـيـلُـنَـا ... فَـمَـنْ لَـمْ يَـمُـتْ فِـي يَـوْمِـهِ مَـاتَ مِـنْ غَـدِ (١)

نُكْتَة

[طيبُ العيشِ في البعدِ عن السَّلاطينِ]

خ ٧١ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ علَّانَ الوَرَّاقُ ، أنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ الحسينِ الأَزْديُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الأنطاكيُّ ، ثنا الحارثُ بنُ أحمدَ العَبْديُّ ، ثنا أحمدُ ابنُ يزيدَ المُؤدِّبُ قالَ : سمعتُ الفتحَ بنَ خاقانَ يقولُ : دخلتُ يوماً على المُتوكِّلِ أميرِ المؤمنينَ ، فرأيتُهُ مُطرِقاً يتفكَّرُ .

فقلتُ : ما هٰذا الفكرُ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ فواللهِ ؛ ما على الأرضِ أطيبُ منكَ عيشاً ، ولا أنعمُ منكَ بالاً

فقالَ : يا فتحُ ؛ أطيبُ عيشاً منِّي رجلٌ لهُ دارٌ واسعةٌ ، وزوجةٌ صالحةٌ ، ومعيشةٌ حاضرةٌ ، لا يعرفُنا فنؤذيَهُ ، ولا يحتاجُ إلينا فنزدريَهُ (٢)

حِكَايَة

[في رثاءِ المُتوكِّلِ ليلةَ قتلِهِ]

٧٢ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ يوسفَ بنِ حمدانَ الهَمَذانيُّ ، ثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ يزيدَ الدَّقَّاقُ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ الحارثيُّ ، ثنا عمرُ بنُ عبدِ اللهِ الأسديُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بنَ العلاءِ قالَ : قالَ لي عمرُو بنُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٥٠ ـ ٥١) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٥٤١) من طريقه ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧٢/١٦٨) ، و« بدائع البدائه » لابن ظافر الأزدي (١٠٩) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٥/٢٠٨) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٥١) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٤٠٦) من طريقه ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧٢/١٦٢) .

شيبانَ الحلبيُّ : رأيتُ في اللَّيلةِ الَّتي قُتِلَ فيها المُتوكِّلُ [١] فيما يرى النَّائمُ حينَ أخذتُ مضجعي . . كأنَّ آتياً أتاني ، فقالَ لي : [من البسيط]

يَا نَائِمَ ٱلْعَيْنِ فِي أَقْطَارِ جُثْمَانِ ... أَفِضْ دُمُوعَكَ يَا عَمْرَو بْنَ شَيْبَانِ

أَمَا تَرَى ٱلْفِتْيَةَ ٱلْأَرْجَاسَ مَا فَعَلُوا ... بِٱلْهَاشِمِيِّ وَبِٱلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانِ ؟

وَافَى إِلَى ٱللهِ مَظْلُوماً فَضَجَّ لَهُ ... أَهْلُ ٱلسَّمَاوَاتِ مِنْ مَثْنىً وَوُحْدَانِ

وَسَوْفَ تَأْتِيكُمُ أُخْرَىٰ مُسَوَّمَةً ... تَوَقَّعُوهَا لَهَا شَأْنٌ مِنَ ٱلشَّانِ

فَٱبْكُوا عَلَىٰ جَعْفَرٍ وَٱرْثُوا خَلِيفَتَكُمْ ... فَقَدْ بَكَاهُ جَمِيعُ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجَانِ

قالَ : فأصبحتُ فإذا النَّاسُ يُخبِرونَ أنَّ جعفراً قد قُتِلَ في هٰذهِ اللَّيلةِ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ : ثمَّ رأيتُ المُتوكِّلَ بعدَ هٰذا بأشهرٍ كأنَّهُ بينَ يدَيِ اللهِ تعالىٰ ، فقلتُ : ما فعلَ بكَ ربُّكَ ؟ قالَ : غفرَ لي .

قلتُ : بماذا ؟ قالَ : بالقليلِ مِنَ السُّنَّةِ تمسَّكتُ بها .

قلتُ : فما تصنعُ ها هنا ؟ قالَ : أنتظرُ محمَّداً ابني ، أخاصمُهُ إلى اللهِ الحليمِ العظيمِ الكريمِ [٢]

حكاية

[هل بقيَ مَن ينصحُ ؟]

٧٣ ـ وبهِ قالَ : ثنا يحيى بنُ عليٍّ الدَّسْكَريُّ ، أنا أبو بكرٍ ابنُ المُقرِئِ الأصبهانيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ [محمَّدِ] [٣] بنِ عبدِ الكريمِ أبو القاسمِ ابنُ أخي أبي زرعةَ ، ثنا جعفرُ بنُ إبراهيمَ بنِ عمرَ بنِ حبيبٍ الخَلَّالُ قالَ : سمعتُ سعيدَ بنَ يعقوبَ الطَّالَقانيَّ يقولُ : قالَ رجلٌ لابنِ المُبارَكِ : هل بقيَ مَن يَنصَحُ ؟ قالَ : فقالَ : وهل تعرفُ مَنْ يَقبَلُ ؟ [٤]

---

(١) مولد المُتوكِّل جعفر بن محمَّد المُعتصِم بن هارون الرَّشيد سنة سبع ومئتين ، وبويع له في أواخر ذي الحجَّة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين ، وقُتل في أوائل شوَّال سنة سبع وأربعين ، رحمه الله . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) يعني : ابنه المنتصر ؛ وذٰلك لأنَّه قتله بالتَّواطؤ مع جماعة من الأمراء ، ليُبايَع بعدها بالخلافة .
وأخرج الخبرَ الخطيبُ البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٥٣ ـ ٥٤) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧٢/١٦٥ ـ ١٦٦) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أحمد) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (١٥/٢٣٣) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٧٠ ـ ٧١) ، وابن المقرئ في « المعجم » (١٠٣٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/١٦٦) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣/٤٨٢) .

حِكَايَةٌ

[في حنكةِ المُعتضِدِ واستشرافِهِ]

٧٤ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ القاضي .

(ح) وأنبأَنيَ ابنُ وَرِّيدةَ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ أبي منصورٍ ، وأبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنبأَنا عليُّ بن المُحسِّنِ قالَ : حدَّثَني أبي ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ محمَّدٍ الأنباريُّ الكاتبُ قالَ : سمعتُ دِلُّوَيهِ الكاتبَ يحكي عن صافي الخادمِ مولى المُعتضِدِ أنَّهُ قالَ : مشيتُ يوماً بينَ يدَيِ المُعتضِدِ وهوَ يُريدُ دورَ الحُرَمِ ، فلمَّا بلغَ إلىٰ بابِ أُمِّ المُقتدِرِ . . وقفَ يتسمَّعُ ، ويطَّلعُ مِن خَلَلٍ في السِّترِ ، فإذا هوَ بالمُقتدِرِ ، ولهُ إذ ذاكَ خمسُ سنينَ أو نحوُها ، وهوَ جالسٌ وحوالَيهِ مقدارُ عشرِ وصائفَ مِن أقرانِهِ في السِّنِّ ، وبينَ يدَيهِ طبقٌ فيهِ عنقودُ عنبٍ في وقتٍ فيهِ العنبُ عزيزٌ جدّاً ، والصَّبيُّ يأكلُ عنبةً واحدةً ، ثمَّ يُطعِمُ الجماعةَ عنبةً عنبةً على الدَّورِ ، حتَّىٰ إذا بلغَ الدَّورُ إليهِ . . أكلَ واحدةً مثلَما أكلوا ، حتَّىٰ فَنِيَ العنقودُ ، والمُعتضِدُ يتميَّزُ غيظاً ، قالَ : فرجعَ ولم يدخلِ الدَّارَ .

ورأيتُهُ مهموماً فقلتُ : يا مولايَ ؛ ما سببُ ما فعلتَهُ ، وما قد بانَ عليكَ ؟ فقالَ : يا صافي ؛ واللهِ لولا النَّارُ والعارُ . . لَقتلتُ هٰذا الصَّبيَّ اليومَ ؛ فإنَّ في قتلِهِ صلاحاً للأُمَّةِ !!

فقلتُ : يا مولايَ ؛ حاشاهُ ، أيَّ شيءٍ عملَ ؟ أُعيذُكَ باللهِ يا مولايَ ، العنْ إبليسَ .

فقالَ : ويحَكَ !! أنا أبصرُ بما أقولُهُ ، أنا رجلٌ قد سُسْتُ الأمورَ ، وأصلحتُ الدُّنيا بعدَ فسادٍ شديدٍ ، ولا بُدَّ مِن موتي ، وأعلمُ أنَّ النَّاسَ بعدي لا يختارونَ غيرَ ولدي ، وسيُجلِسونَ ابني عليّاً ـ يعني : المُكتفيَ ـ ما أظنُّ عمرَهُ يطولُ للعلَّةِ الَّتي بهِ ـ قالَ صافي : يعني الخنازيرَ الَّتي كانَتْ في حلقِهِ[1] ـ فيتلفُ عن قربٍ ، ولا يرى النَّاسُ إخراجَها عن ولدي ، ولا يجدونَ بعدَهُ أكبرَ مِن جعفرٍ ، فيُجلِسونَهُ وهوَ صبيٌّ ، ولهُ مِنَ الطَّبعِ في السَّخاءِ هٰذا الَّذي رأيتَ ؛ مِن أنَّهُ أطعمَ الصِّبيانَ مثلَ ما أكلَ ، وساوىٰ بينَهُم وبينَهُ في شيءٍ عزيزٍ في العالَمِ ، والشُّحُّ علىٰ مثلِهِ في طِباعِ الصِّبيانِ ، فتحتوي عليهِ النِّساءُ لقربِ عهدِهِ بهِنَّ ،

---

(١) الخنزير : ورم يحدث في الرَّقبة وغيرها ، وقد يتقرَّح .

فيقسمُ ما جمعتُهُ مِنَ الأموالِ كما قسمَ العنبَ ، ويَبذُرُ ارتفاعَ الدُّنيا ، فتضيعُ الثُّغورُ ، وتنتشرُ الأمورُ ، وتخرجُ الخوارجُ ، وتحدثُ الأسبابُ الَّتي يكونُ فيها زوالُ الملكِ عن بني العبَّاسِ أصلاً .

فقلتُ : يا مولايَ ؛ بل يُبقيكَ اللهُ حتَّىٰ ينشأَ في حياتِكَ ، ويصيرَ كهلاً في أيَّامِكَ ، ويتأدَّبَ بآدابِكَ ، ويتخلَّقَ بخُلُقِكَ ، ولا يكونُ هٰذا الَّذي ظننتَ .

فقالَ : احفظْ عنِّي ما أقولُهُ ، فإنَّهُ كما قلتُ ، قالَ : ومكثَ يومَهُ مهموماً .

وضربَ الدَّهرُ ضربَهُ ، وماتَ المُعتضِدُ ، ووليَ المُكتفي ، فلم يطلْ عمرُهُ ، وماتَ .

ووليَ المُقتدِرُ ، فكانَتِ الصُّورةُ كما قالَهُ المُعتضِدُ بعينِها !! وكنتُ كلَّما وقفتُ علىٰ رأسِ المُقتدِرِ ، وهوَ يشربُ ، ورأيتُهُ قد دعا بالأموالِ فأُخرِجَتْ إليهِ ، وحُلِّلَتِ البِدَرُ[1] ، وجعلَ يُفرِّقُها على الجواري والنِّساءِ ، ويلعبُ بها ، ويمحقُها ويهبُها . . ذكرتُ قولَ مولايَ المُعتضِدِ ، وبكيتُ[2]

حكاية

[في كتابةٍ علىٰ سمكةٍ !!]

٧٥ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا أبو سعيدٍ محمَّدُ بنُ موسى بنِ الفضلِ الصَّيْرفيُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ يعقوبَ الأصمُّ ، ثنا الحسنُ بنُ إسحاقَ العَطَّارُ ببغدادَ قالَ : سمعتُ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ هارونَ يقولُ : كنَّا في البحرِ سائرينَ إلىٰ إفريقيا ، فركدَتْ علينا الرِّيحُ ، فأرسيْنا إلىٰ موضعٍ يُقالُ لهُ : البرطونُ ، وكانَ معَنا صبيٌّ يُقالُ لهُ : أيمنُ ، وكانَ معَهُ شِصٌّ يصطادُ بهِ السَّمكَ[3] ، فاصطادَ سمكةً نحواً مِن شبرٍ أو أقلَّ ، فكانَ علىٰ صَنِفةِ أُذُنِها اليُمنىٰ مكتوباً : (لا إلٰهَ إلَّا اللهُ) ، وعلىٰ قَذالِها وصَنِفةِ أُذُنِها اليُسرىٰ مكتوباً : (محمَّدٌ رسولُ اللهِ)[4]

---

(١) البِدَر : أكياس الدَّراهم .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢٩/٨ ـ ١٣١) ، والتنوخي في « نشوار المحاضرة » (٢٨٧/١ ـ ٢٨٩) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣٨٥/٧ ـ ٣٨٦) من طريق الخطيب ، وانظر « تاريخ دمشق » (٢٠٣/٧١ ـ ٢٠٤) .

(٣) الشِّصُّ : الصِّنارَّة .

(٤) صَنِفة الأذن : طرفها ، والقَذال : جماع مؤخر الرَّأس .

قالَ : وكانَ أَبْيَنَ مِن نقشٍ علىٰ حجرٍ ، وكانَتِ السَّمكةُ بيضاءَ ، والكتابةُ كتابةً سوداءَ ؛ كأنَّهُ كُتِبَ بحبرٍ .

قالَ : فقذفْناها في البحرِ ، ومُنِعَ النَّاسُ أن يصيدوا مِن ذٰلكَ الموضعِ [١] .

حكاية

[ليسَ في الخيرِ إسرافٌ]

٧٦ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني أبو القاسمِ الأزهريُّ ، أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسنِ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عرفةَ قالَ : سنةُ ستٍّ وثلاثينَ ـ يعني : ومئَتينِ ـ فيها ماتَ الحسنُ بنُ سهلٍ ، وقد أتَتْ لهُ سبعونَ سنةً ، وكان مِن أسمحِ النَّاسِ وأكرمِهم .

فحدَّثَني بعضُ ولدِهِ أنَّهُ رأىٰ سقَّاءً يمرُّ في دارِهِ ، فدعا بهِ فقالَ : ما حالتُكَ ؟ فشكا إليهِ ضيقَهُ ، وذكرَ أنَّ لهُ ابنةً يريدُ زفافَها ، فأخذَ ليُوقِّعَ لهُ بألفِ درهمٍ ، فأخطأَ فوقَّعَ لهُ بألفِ ألفِ درهمٍ ، فأتىٰ بها السَّقَّاءُ وكيلَهُ ، فأنكرَ ذٰلكَ ، وتعجَّبَ أهلُهُ منهُ واستعظموهُ ، وتهيَّبوا مراجعتَهُ .

فأتَوا غَسَّانَ بنَ عبَّادٍ ، وكانَ غَسَّانُ أيضاً مِنَ الكُرَماءِ [٢] ، فأتى الحسنَ بنَ سهلٍ ، فقالَ لهُ : أيُّها الأميرُ ؛ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُسرِفينَ ، فقالَ لهُ الحسنُ : ليسَ في الخيرِ إسرافٌ ، ثمَّ ذكرَ أمرَ السَّقَّاءِ ، فقالَ : واللهِ ؛ لا رجعتُ في شيءٍ خطَّتْهُ يدي ، فصُولِحَ السَّقَّاءُ علىٰ جُملةٍ منها ودُفِعَتْ إليهِ [٣] .

٧٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ أبي جعفرٍ القَطِيعيُّ [٤] ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ ابنِ همامٍ الشَّيْبانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ الحافظِ أبي طاهرٍ السِّلَفيِّ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٢٣٤) ، والمهرواني في « المهروانيات » (١٠٩) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٢٠٤) من طريق الخطيب ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/١٤٥) .

(٢) وهو ابن عمِّ الحسن بن سهل .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٢٨٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٤٤٩ ـ ٤٥٠) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٥/٢٣٨٦) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٧/١٣٢ ـ ١٣٣) .

(٤) هو أبو الحسن ، أحمد بن محمَّد بن أحمد ، العَتِيقيُّ ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (٧/١١٧) .

عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ العَتِيقيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ المُطَّلِبِ الحافظُ قالا : ثنا أبو مزاحمٍ موسى بنُ عبيدِ اللهِ بنِ يحيى بنِ خاقانَ المُقرئُ ، حدَّثَني أبي ، عن أبيهِ قالَ : حضرتُ الحسنَ بنَ سهلٍ ، وجاءَهُ رجلٌ يستشفعُ بهِ في حاجةٍ ، فقضاها ، فأقبلَ الرَّجلُ يشكرُهُ ، فقالَ لهُ الحسنُ بنُ سهلٍ : علامَ تشكرُنا ، ونحنُ نرىٰ للجاهِ زكاةً كما أنَّ للمالِ زكاةً ؟

ثمَّ أنشأَ يقولُ [1] : [من الكامل]

فُرِضَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَا مَلَكَتْ يَدِي ... وَزَكَاةُ جَاهِي أَنْ أُعِينَ وَأَشْفَعَا

فَإِذَا مَلَكْتَ فَجُدْ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ... فَاْجْهَدْ بِوُسْعِكَ كُلِّهِ أَنْ تَنْفَعَا [2]

* * *

٧٨ ـ وبهِ قالَ : أنا القاضي أبو القاسمِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عن أبي القاسمِ التَّنُوخيّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحيمِ المازنيُّ ، ثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ ، ثنا جعفرُ بنُ أبي العيناءِ قالَ : لمَّا ماتَ الحسنُ بنُ سهلٍ . . قالَ أبي : واللهِ ؛ لئن أتعبَ المادحينَ . . لقد أطالَ بكاءَ الباكينَ ، ولقد أُصيبَتْ بهِ الأيَّامُ ، وخرِسَتْ بموتِهِ الأقلامُ ، ولقد كانَ بقيَّةً ، وفي النَّاسِ بقيَّةٌ ، فكيفَ اليومَ وقد بادَتِ البريَّةُ ؟! [3]

* * *

٧٩ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ مِن أصلِهِ .

(ح) وأنبأَني أبو الفرجِ بنُ أبي الفرجِ البغداديُّ ، عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ الأمينيِّ ، وأبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، عن قاضي المارستانِ محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ المُظفَّرِ ، حدَّثَني الحسنُ بنُ أبي طيبةَ المصريُّ ، ثنا أحمدُ بنُ صالحٍ قالَ : قالَ ابنُ وهبٍ : (كنَّا عندَ مالكٍ ،

---

(١) هي له كما في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/٣٤٦) ، ومصادر التخريج .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٣١٠) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٢٥٥) ، وانظر « شرح أدب الكاتب » للجواليقي (ص ٢٤) ، و« وفيات الأعيان » (٢/١٢٠) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٢٨٧) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٥/٢٣٨٧) من طريقه .

فذُكِرَتِ السُّنَّةُ ، فقالَ مالكٌ : السُّنَّةُ سفينةُ نوحٍ ؛ مَن ركبَها . . نجا ، ومَن تخلَّفَ عنها . . غرقَ) [1]

حكاية

[وفرَّجَ اللهُ ، ولهُ الحَمْدُ]

٨٠ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ منهُمُ المُؤيَّدُ الطُّوسيُّ ، عن أبي بكرِ بنِ أبي طاهرٍ الأنصاريِّ ، عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ الجَوْهَريِّ ، أنا محمَّدُ بنُ عمرانَ بنِ موسى المَرْزُبانيُّ ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ محمَّدٍ الخَصِيبيُّ ، ثنا أبو خازمٍ القاضي ، وأبو عليٍّ أحمدُ بنُ إسماعيلَ قالا : ثنا أبو سهلٍ الرَّازيُّ قالَ : حدَّثَني أبو حسَّانَ الزِّياديُّ [2] قالَ : ضِقْتُ ضيقةً بلغتُ فيها الغايةَ ، حتَّىٰ ألحَّ عليَّ القصَّابُ والبقَّالُ والخبَّازُ وسائرُ المُعامِلينَ ، ولم يبقَ لي حيلةٌ .

فإنِّي علىٰ تلكَ الحالِ وأنا مُفكِّرٌ في الحيلةِ . . إذ دخلَ عليَّ الغلامُ ، فقالَ : حاجِّيٌّ بالبابِ يستأذنُ ، فقلتُ : ائذنْ لهُ .

فدخل الخُراسانيُّ ، فسلَّمَ وقالَ : ألستَ أبا حسَّانَ ؟ قلتُ : نعم ، فما حاجتُكَ ؟ قالَ : أنا رجلٌ غريبٌ ، وأُريدُ الحجَّ ، ومعي عشرةُ آلافِ درهمٍ ، واحتجتُ إلىٰ أن تكونَ قِبَلَكَ إلىٰ أن أقضيَ حجِّي وأرجعَ ، فقلتُ : هاتِها ، فأحضرَها وخرجَ بعدَ أن وزنَها وختَمها ، فلمَّا خرجَ . . فككتُ الخاتَمَ عنِ المكانِ ، ثمَّ أحضرتُ المُعامِلينَ ، فقضيتُ كلَّ مَن لهُ عليَّ دَينٌ ، واتَّسعتُ وأنفقتُ ، وقلتُ : أضمنُ هٰذا المالَ للخُراسانيِّ ، فإلىٰ أن يجيءَ [يكونُ] [3] قد أتى اللهُ بفرجٍ مِن عندِهِ ، فكنتُ يومي ذٰلكَ في سَعةٍ ، وأنا لا أشكُّ في خروجِ الخُراسانيِّ .

فلمَّا أصبحتُ مِن غدِ ذٰلكَ اليومِ . . دخلَ إليَّ الغلامُ ، فقالَ : الخُراسانيُّ الحاجِّيُّ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٠٩/٨) ، والهروي في « ذم الكلام وأهله » (٨٨٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/١٤) من طريق الخطيب .

(٢) أبو حسَّان الزِّياديُّ : هو الحسن بن عثمان بن حمَّاد بن حسَّان بن عبد الرَّحمٰن بن يزيد ، كان أحد العلماء الثِّقات ، وله معرفة بأيَّام النَّاس ، وكان كريماً ، وله تاريخ حسن ، ولي قضاء الشَّرقيَّة في خلافة المُتوكِّل سنة إحدىٰ وأربعين ومئتين ، ومات في رجب سنة اثنتين وأربعين ومئتين ، عن تسع وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من « المنتظم » .

بالبابِ يستأذنُ ، فقلتُ : ائذنْ لهُ ، فدخلَ فقالَ لي : كنتُ عازماً علىٰ ما أعلمتُكَ ، ثمَّ وردَ عليَّ الخبرُ بوفاةِ والدي ، وقد عزمتُ على الرُّجوعِ إلىٰ بلدي ، فتأمرُ لي بالمالِ الَّذي أعطيتُكَ أمسِ ، فوردَ عليَّ أمرٌ لم يردْ عليَّ مثلُهُ قطُّ ، وتحيَّرتُ فلم أدرِ بمَ أُجِيبُهُ ، وفكَّرتُ فقلتُ : ما أقولُ للرَّجلِ ؟

ثمَّ قلتُ لهُ : نعم ، عافاكَ اللهُ ، منزلي هـٰذا ليسَ بالحَرِيزِ ، ولمَّا أخذتُ مالَكَ . . وجَّهتُ بهِ إلىٰ مَن هوَ قِبَلَهُ ، فتعودُ في غدٍ لتأخذَهُ ، فانصرفَ .

وبقيتُ مُتحيِّراً لا أدري ما أعملُهُ ؛ إن جحدتُهُ . . قدَّمَني واستحلفَني ، وكانَتِ الفضيحةُ في الدُّنيا والآخرةِ ، وإن دافعتُهُ . . صاحَ وهتكَني ، وغَلُظَ الأمرُ عليَّ جدّاً ، وأدركَنيَ اللَّيلُ ، وفكَّرتُ في بُكُورِ الخُراسانيِّ إليَّ ، فلم يأخذْنيَ النَّومُ ، ولا قدرتُ على الغمضِ .

فقمتُ إلى الغلامِ فقلتُ : أسرِجِ [ليَ] البغلةَ ، فقالَ : يا مولايَ ؛ هـٰذهِ العَتَمةُ ، وما مضىٰ مِنَ اللَّيلِ شيءٌ ، فإلىٰ أينَ تمضي ؟ فرجعتُ إلىٰ فراشي ، وإذا النَّومُ مُمتنِعٌ ، فلم أزلْ أقومُ إلى الغلامِ وهوَ يردُّني حتَّىٰ فعلتُ ذٰلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، وأنا لا يأخذُنيَ القرارُ .

وطلعَ الفجرُ ، فأسرجَ البغلةَ ، وركبتُ وأنا لا أدري أينَ أتوجَّهُ ، وطرحتُ عنانَ البغلةِ ، وأقبلتُ أُفكِّرُ وهيَ تسيرُ حتَّىٰ بلغَتِ الجسرَ ، فعدلَتْ بي إليهِ ، فتركتُها فعبرَتْ ، ثمَّ قلتُ : إلىٰ أينَ أعبرُ ؟ وإلىٰ أينَ أمضي ؟ ولـٰكنْ إن رجعتُ . . وجدتُ الخُراسانيَّ علىٰ بابي ، أَدَعُها تمضي حيثُ شاءَتْ .

ومضَتِ البغلةُ ، وأخذَتْ بي يمنةً ناحيةَ دارِ المأمونِ ، فتركتُها إلىٰ أن قاربَتْ بابَ المأمونِ ، والدُّنيا بعدُ مُظلِمةٌ ، وإذا فارسٌ قد تلقَّاني ، فنظرَ في وجهي ، ثمَّ سارَ وتركَني ، ثمَّ رجعَ إليَّ فقالَ : ألستَ بأبي حسَّانَ الزِّياديِّ ؟ قلتُ : بلىٰ ، قالَ : الأميرُ الحسنُ بنُ سهلٍ يدعوكَ ، فقلتُ في نفسي : وما يريدُ الحسنُ بنُ سهلٍ منِّي ؟ ثمَّ سرتُ معَهُ حتَّىٰ صرتُ إلىٰ بابِهِ .

واستأذنَ لي عليهِ فدخلتُ ، فقالَ : أبا حسَّانَ ؛ ما خبرُكَ ؟ وما حالُكَ ؟ ولِمَ انقطعتَ عنَّا ؟ فقلتُ : لأسبابٍ ، وذهبتُ لأعتذرَ ، فقالَ : دَعْ هـٰذا عنكَ ، أنتَ في لُوثةٍ أو في أمرٍ (١) ، فما هوَ ؟ فإنِّي قد رأيتُكَ البارحةَ في النَّومِ في تخليطٍ كثيرٍ .

---

(١) لُوثة : ضعف .

فابتدأتُ فشرحتُ لهُ قصَّتي مِن أوَّلِها إلىٰ أن لقيَني صاحبُهُ ودخلتُ عليهِ ، فقالَ : لا يغمُّكَ اللهُ يا أبا حسَّانَ ، قد فرَّجَ اللهُ عنكَ ، هٰذه بَدْرةٌ للخُراسانيِّ مكانَ بَدْرتِهِ ، وبَدْرةٌ أُخرىٰ لكَ تتَّسعُ بها ، وإذا نَفِدَتْ . . أَعلِمْنا .

فرجعتُ مِن مكاني ، فقضيتُ الخُراسانيَّ واتَّسعتُ ، وفرَّجَ اللهُ ، ولهُ الحَمْدُ (١)

نُكْتَةٌ
[في شقاءِ الكذَّابِ]

٨١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عليِّ بنِ عياضٍ القاضي بصُورَ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ جُمَيعٍ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ سليمانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سليمانَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ مصعبٍ ـ أبو بكرٍ اللَّخْميُّ ـ يقولُ : سمعتُ هشامَ بنَ عمَّارٍ يقولُ : سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ : (لا يُفلِحُ كذَّابٌ أبداً ، ولا يأتي بخيرٍ) (٢)

نُكْتَةٌ
[كُلْ (لا) واشربْ (لا)]

٨٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أبي جعفرٍ الأخرمُ [قالَ] : أنا أبو عليٍّ عيسى بنُ محمَّدٍ الطُّوماريُّ قالَ : سمعتُ أبا عمرَ محمَّدَ بنَ يوسفَ القاضيَ يقولُ : اعتلَّ أبي عِلَّةً شهوراً ، فأتيتُهُ ذاتَ يومٍ ، ودعا بي وبأخويَّ ؛ أبي بكرٍ وأبي عبدِ اللهِ ، فقالَ لنا : رأيتُ في النَّومِ كأنَّ قائلاً يقولُ : كُلْ (لا) ، واشربْ (لا) ؛ فإنَّكَ تبرأُ !!

فقالَ لهُ أخي أبو بكرٍ : إنَّ (لا) كلمةٌ ، وليسَتْ بجسمٍ ، وما ندري ما معنىٰ ذٰلكَ .

وكانَ ببابِ الشَّامِ رجلٌ يُعرَفُ بأبي عليٍّ الخيَّاطِ (٣) ، حسنُ المعرفةِ بعبارةِ الرُّؤيا ،

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٣٤٢ ـ ٣٤٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/١٣٦ ـ ١٣٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٤٩٧ ـ ٤٩٩) كلاهما من طريق الخطيب .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٣٧٢) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/٣١٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/٣١٩ ـ ٣٢٠) من طريق الخطيب .

(٣) هو أبو عليٍّ ، الحسين بن بشَّار بن موسى ، الخَيَّاط ، وثَّقه الخطيب ، وقال : إنَّه مات سنة ستٍّ وثمانين ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

فجئْناهُ بهِ فقصَّ عليهِ المَنامَ ، فقالَ : ما أعرفُ تفسيرَ ذٰلكَ ، ولٰكنِّي أقرأُ في كلِّ ليلةٍ نصفَ القرآنِ ، فأجِّلوني اللَّيلةَ حتَّىٰ أقرأَ رسمي مِنَ القرآنِ ، وأُفكِّرَ في ذٰلكَ .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . جاءَنا فقالَ : مررتُ البارحةَ وأنا أقرأُ علىٰ هٰذهِ الآيةِ : ﴿ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾[1] ، فنظرتُ إلىٰ (لا) وهيَ تتردَّدُ فيها ، وهيَ شجرةُ الزَّيتونِ ، اسقوهُ زيتاً ، وأَطعِموهُ زيتوناً .

قالَ : ففعلْنا فكانَ ذٰلكَ سببَ عافيتِهِ[2]

حكاية

[في حيلةِ الحلَّاجِ والمُتزامِنِ]

٨٣ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ أبي عليٍّ المُعدَّلُ ، عن أبي الحسنِ أحمدَ بنِ يوسفَ الأزرقِ ، حدَّثَني غيرُ واحدٍ مِنَ الثِّقاتِ مِن أصحابِنا أنَّ الحسينَ بنَ منصورٍ الحلَّاجَ كانَ قد أنفذَ أحدَ أصحابِهِ إلىٰ بلدٍ مِن بلدانِ الجبلِ ، ووافقَهُ علىٰ حيلةٍ يعملُها ، فخرجَ الرَّجلُ فأقامَ عندَهُم سنينَ ، يُظهِرُ النُّسكَ والعبادةَ ، وإقراءَ القرآنِ والصَّومَ ، فغلبَ على البلدِ حتَّىٰ إذا علمَ أنَّهُ قد تمكَّنَ . . أظهرَ أنَّهُ قد عَمِيَ ، فكانَ يُقادُ إلىٰ مسجدِهِ ، ويتعامىٰ علىٰ كلِّ أحدٍ شهوراً ، ثمَّ أظهرَ أنَّهُ قد زَمِنَ ، فكانَ يحبو أو يُحمَلُ إلى المسجدِ ، حتَّىٰ مضَتْ سنةٌ علىٰ ذٰلكَ ، وتقرَّرَ في النُّفوسِ زمانتُهُ وعماهُ .

فقالَ لهُم بعدَ ذٰلكَ : إنِّي رأيتُ في النَّومِ كأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ لي : إنَّهُ يطرقُ هٰذا البلدَ عبدٌ للهِ ، صالحٌ مُجابُ الدَّعوةِ ، تكونُ عافيتُكَ علىٰ يدِهِ وبدعائِهِ ، فاطلبوا لي كلَّ مَن يجتازُ مِنَ الفقراءِ أو مِنَ الصُّوفيَّةِ ؛ فلعلَّ اللهَ أن يُفرِّجَ عنِّي علىٰ يدِ ذٰلكَ العبدِ كما وعدَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فتعلَّقَتِ النُّفوسُ إلىٰ ورودِ العبدِ الصَّالحِ ، ومضى الأجلُ الَّذي كانَ بينَهُ وبينَ الحلَّاجِ ، فقدمَ البلدَ ، ولَبِسَ الثِّيابَ الصُّوفَ الرِّقاقَ ، وتفرَّدَ في الجامعِ بالدُّعاءِ والصَّلاةِ ، وتنبَّهوا علىٰ خبرِهِ ، فقالوا للأعمىٰ ، فقالَ : احمِلوني إليهِ .

---

(١) سورة النور : (٣٥) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٥٤٥) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٣٢٤ ـ ٣٢٥) من طريقه .

فلمَّا حصلَ عندَهُ وعلمَ أنَّهُ الحلَّاجُ . . قالَ لهُ : يا عبدَ اللهِ ؛ إنِّي رأيتُ في المَنامِ كيتَ وكيتَ ، فتدعو اللهَ لي ؟ فقالَ : ومَن أنا ؟ وما محلِّي ؟ فما زالَ يدعو لهُ ، ثمَّ مسحَ يدَهُ عليهِ ، فقامَ المُتزامِنُ صحيحاً مُبصِراً !! فانقلبَ البلدُ ، وكَثُرَ النَّاسُ على الحلَّاجِ ، فتركَهُم وخرجَ مِنَ البلدِ .

وأقامَ المُتعامي المُتزامِنُ فيهِ شهوراً ، ثمَّ قالَ لهُم : إنَّ مِن حقِّ اللهِ عندي وردِّهِ جوارحي عليَّ أن أتفرَّدَ بالعبادةِ انفراداً أكثرَ مِن هٰذا ، وأن يكونَ مُقامي في الثَّغرِ ، وقد عملتُ على الخروجِ إلىٰ طَرَسُوسَ ، فمَن كانَتْ لهُ حاجةٌ . . تحمَّلتُها ، وإلَّا . . فأنا أستودعُكُمُ اللهَ .

قالَ : فأخرجَ هٰذا ألفَ درهمٍ فأعطاهُ ، وقالَ : اغزُ بها عنِّي ، وأعطاهُ هٰذا مئةَ دينارٍ ، وقالَ : أَخرِجْ بها غزاةً مِن هناكَ ، وأعطاهُ هٰذا مالاً ، وهٰذا مالاً ، حتَّى اجتمعَ لهُ ألوفٌ دنانيرَ ودراهمَ ، فلحقَ بالحلَّاجِ فقاسمَهُ عليها(١)

حكاية

[بينَ المُنجِّمِ الحاذقِ والحلَّاجِ]

٨٤ ـ وبهِ قالَ : وأخبرَنا عليُّ بنُ أبي عليٍّ ، حدَّثَني أبي قالَ : أخبرَني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الشَّاهدُ الأهوازيُّ قالَ : أخبرَني فلانٌ المُنجِّمُ ـ وسمَّاهُ ووصفَهُ بالحِذْقِ والفراهةِ ـ قالَ : بلغَني خبرُ الحلَّاجِ وما كانَ يفعلُهُ مِن إظهارِ تلكَ العجائبِ الَّتي يدَّعي أنَّها كراماتٌ ، فقلتُ : أمضي وأنظرُ مِن أيِّ جنسٍ هيَ .

فجئتُهُ كأنِّي مُسترشِدٌ في الدِّينِ ، فخاطبَني وخاطبتُهُ ، ثمَّ قالَ لي : تَشَهَّ السَّاعةَ ما شئتَ حتَّىٰ أجيئَكَ بهِ ، فكنَّا في بعضِ بلدانِ الجبلِ الَّتي لا يكونُ فيها الأنهارُ ، فقلتُ لهُ : أُريدُ سمكاً طريّاً في الحياةِ السَّاعةَ ، فقالَ : أفعلُ ، اجلسْ مكانَكَ ، فجلستُ وقامَ ، فقالَ : أدخلُ البيتَ ، وأدعو اللهَ أن يبعثَ لكَ بهِ .

قالَ : فدخلَ بيتاً حيالي ، وأغلقَ بابَهُ ، وأبطأَ ساعةً طويلةً ، ثمَّ جاءَني وقد خاضَ وَحْلاً إلىٰ ركبتِهِ وماءً ، ومعَهُ سمكةٌ تضطربُ كبيرةٌ ، فقلتُ لهُ : ما هٰذا ؟ فقالَ : دعوتُ اللهَ فأمرَني أن أقصدَ البطائحَ ، فمضيتُ إلى البطائحِ فخضتُ الأهوازَ ، فهٰذا الطِّينُ منها ، حتَّىٰ أخذتُ هٰذهِ !!

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٧٠٠ ـ ٧٠١) ، وانظر « وفيات الأعيان » (٢/١٤٢ ـ ١٤٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/٣١٩ ـ ٣٢٠) .

فعلمتُ أنَّ هٰذهِ حيلةٌ ، فقلتُ لهُ : تدعُني أدخلُ البيتَ ، فإن لم ينكشفْ لي حيلةٌ فيهِ . . آمنتُ بكَ ، فقالَ : شأنُكَ ، فدخلتُ البيتَ ، وأغلقتُ علىٰ نفسي ، فلم أجدْ فيهِ طريقاً ولا حيلةً ، فندمتُ وقلتُ : إن وجدتُ فيهِ حيلةً وكشفتُها . . لم آمنْ أن يقتلَني في الدَّارِ ، وإن لم أجدْ . . طالبَني بتصديقِهِ ، كيفَ أعملُ ؟

قالَ : وفكَّرتُ في البيتِ ، فرفعتُ تأزيرةً (١) ، وكانَ مُؤزَّراً بإزارِ ساجٍ ، وإذا بعضُ التَّأزيرِ فارغاً ، فحرَّكتُ جَسْريَّةً خمَّنتُ عليها (٢) ، وإذا قدِ انقلعَتْ ، فدخلتُ فيها فإذا هيَ بابُ ممرٍّ ، فولجتُ فيهِ إلىٰ دارٍ كبيرةٍ ، فيها بستانٌ عظيمٌ ، فيهِ صنوفُ الأشجارِ والثِّمارِ والرَّيحانِ ، وإذا الخزائنُ مُفتَّحةٌ ، فيها أنواعُ الأطعمةِ ، وإذا بركةٌ كبيرةٌ في الدَّارِ ، فخضتُها فإذا هيَ مملوءةٌ سمكاً كِباراً وصِغاراً ، فاصطدتُ واحدةً كبيرةً ، وخرجتُ فإذا رِجلي قد صارَتْ بالوَحْلِ والماءِ إلىٰ حدٍّ ما رأيتُ رِجلَهُ ، فقلتُ : الآنَ إن خرجتُ ورأى السَّمكةَ معي . . قتلَني ، فقلتُ : أحتالُ عليهِ في الخروجِ .

فلمَّا رجعتُ إلى البيتِ . . أقبلتُ أقولُ : آمنتُ وصدَّقتُ ، فقالَ لي : ما لكَ ؟ قلتُ : ما ها هنا حيلةٌ ، وليسَ إلَّا التَّصديقُ بكَ ، قالَ : فاخرجْ ، فخرجتُ وقد بَعُدَ عنِ البابِ وتموَّهَ عليهِ قولي .

فحينَ خرجتُ أقبلتُ أعدو ، أطلبُ بابَ الدَّارِ ، ورأى السَّمكةَ معي ، فقصدَني وعلمَ أنِّي قد عرفتُ حيلتَهُ ، فأقبلَ يعدو خلفي فلحقَني ، فضربتُ بالسَّمكةِ صدرَهُ ووجهَهُ ، وقلتُ لهُ : أتعبتَني حتَّىٰ مضيتُ إلى البحرِ فاستخرجتُ لكَ هٰذهِ منهُ ، فاشتغلَ بصدرِهِ وبعينِهِ وما لحقَهُما مِنَ السَّمكةِ وخرجتُ .

فلمَّا صرتُ خارجَ الدَّارِ . . طرحتُ نفسي مُستلقياً لِمَا لحقَني مِنَ الجزعِ والفزعِ ، فخرجَ إليَّ وضاحكَني ، وقالَ : ادخلْ ، فقلتُ : هيهاتَ !! فقالَ : اسمعْ ، واللهِ ؛ لئن شئتُ قتلَكَ علىٰ فراشِكَ لأفعلَنَّ ، ولئن سمعتُ بهٰذهِ الحكايةِ لأقتلَنَّكَ ، ولو كنتَ في تخومِ الأرضِ ، وما دامَ خبرُها مستوراً . . فأنتَ آمِنٌ علىٰ نفسِكَ ، امضِ الآنَ حيثُ شئتَ ، وتركَني ودخلَ .

---

(١) التَّأزير ـ هنا ـ : ما يوضع أسفل الحائط ليدعمه فيكون كالإزار .

(٢) خمَّنت عليها : ظننت فيها شيئاً .

فعلمتُ أنَّهُ يقدرُ علىٰ ذٰلكَ ؛ بأن يدُسَّ أحداً ممَّن يُطيعُهُ ويعتقدُهُ فيقتلَني ، فما حكيتُ الحكايةَ إلىٰ أن قُتِلَ [١]

فائدة

[في أنَّ كفَّارةَ ضربِ العبدِ بغيرِ حدٍّ . . عتقُهُ]

٨٥ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ، ثنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ المَرْوَزيُّ ، ثنا أبو إسحاقَ محمَّدُ بنُ هارونَ الهاشميُّ ، ثنا حُمَيدُ بنُ الصَّباحِ مولى المنصورِ ، حدَّثَني أبي قالَ : أرادَ المنصورُ أن يَذْرَعَ الكَرْخَ ، فقالَ ليَ : احملِ الذِّراعَ معَكَ [٢] ، فخرجَ وخرجتُ معَهُ ، ونسيتُ أن أحملَ الذِّراعَ .

فلمَّا صِرْنا ببابِ الشَّرقيَّةِ [٣] . . قالَ لي : أينَ الذِّراعُ ؟ فدهشتُ وقلتُ : أُنسيتُهُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فضربَني بالمِقْرَعةِ فشجَّني [٤] ، وسالَ الدَّمُ علىٰ وجهي .

فلمَّا رآني . . قالَ : أنتَ حُرٌّ لوجهِ اللهِ ؛ حدَّثَني أبي ، عن أبيهِ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ ضَرَبَ عَبْدَهُ فِي غَيْرِ حَدٍّ حَتَّىٰ يَسِيلَ دَمُهُ . . فَكَفَّارَتُهُ عِتْقُهُ » [٥]

حكاية

[سببُ تسميةِ حاتمٍ أصمَّ]

٨٦ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القُشَيريُّ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عليٍّ الدَّقَّاقَ يقولُ : جاءَتِ امرأةٌ فسألَتْ حاتِماً عن مسألةٍ ، فاتَّفقَ أنَّهُ خرجَ منها في تلكَ الحالةِ صوتٌ ، فخجلَتْ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧٠١/٨ ـ ٧٠٢) ، والتنوخي في « نشوار المحاضرة » (١٦٥/١ ـ ١٦٨) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٢٣/١٤ ـ ٣٢٤) .

(٢) يَذْرَع : يقيس ، والذِّراع : ما يُقاس به ، والكَرْخ : قرية فوق بغداد بالجانب الغربيّ منها .

(٣) الشَّرقيَّة : محلَّة بالجانب الغربيّ من بغداد ، سمّيت بذٰلك ؛ لأنَّها شرقيَّ مدينة المنصور . « معجم البلدان » (٣٣٧/٣) .

(٤) المِقْرَعة : خشبة أو سوط يُضرب بها للتَّأديب .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٧/٩) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٤٤/٥ ـ ٢٤٥) من طريقه ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٤٠٣/١) ، وأخرج الحديثَ مسلمٌ (١٦٥٧/٣٠) ، وأحمدُ (٤٥/٢) ، والطبرانيُّ في « المعجم الكبير » (٢٦٣/١٢) كلُّهم بنحوه عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

فقالَ حاتِمٌ : ارفعي صوتَكِ ، وأرىٰ مِن نفسِهِ أنَّهُ أصمُّ ، فسُرَّتِ المرأةُ بذٰلكَ ، وقالَتْ : إنَّهُ لم يسمعِ الصَّوتَ ، فغلبَ عليهِ اسمُ الصَّممِ (١) .

حِكَايَة

[في لطفِ السَّيِّدِ بعبدِهِ]

٨٧ ـ وبهِ قالَ : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ عليٍّ الوَرَّاقُ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الهَمَذانيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ ابنِ حفصٍ ، عن عليِّ بنِ المُوفَّقِ قالَ : سمعتُ حاتِماً ـ وهوَ الأصمُّ ـ يقولُ : لقيْنا التُّركَ وكانَ بينَنا جَولةٌ ، فرماني تركيٌّ فأقلبَني عن فرسي ، ونزلَ عن دابَّتِهِ ، فقعدَ علىٰ صدري ، وأخذَ بلحيتي هٰذهِ الوافرةِ ، وأخرجَ مِن خُفِّهِ سكِّيناً ليذبحَني .

فَوَحَقِّ سيِّدي ؛ ما كانَ قلبي عندَهُ ولا عندَ سكِّينِهِ ، إنَّما كانَ قلبي عندَ سيِّدي أنظرُ ماذا يَنْزِلُ بهِ القضاءُ منهُ ، فقلتُ : سيِّدي ؛ قضيتَ عليَّ أن يذبحَني هٰذا ، فعلى الرَّأسِ والعينِ ، إنَّما أنا لَكَ وملكُكَ .

فبينا أنا أُخاطِبُ سيِّدي وهوَ قاعدٌ علىٰ صدري ، آخذٌ بلحيتي ليذبحَني . . إذ رماهُ بعضُ المسلمينَ بسهمٍ ، فما أخطأَ حلقَهُ ، فسقطَ عنِّي ، فقمتُ أنا إليهِ ، فأخذتُ السِّكِّينَ مِن يدِهِ فذبحتُهُ .

فما هوَ إلَّا أن تكونَ قلوبُكُم عندَ السَّيِّدِ حتَّىٰ ترَوا مِن عجائبِ لطفِهِ ما لم ترَوا مِنَ الآباءِ والأُمَّهاتِ !! (٢)

حِكَايَة

[حاجتُهُم للمالِ لم تمنعْهُم مِن إيثارِ أصحابِهِم]

خ ٨٨ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني الأزهريُّ ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عثمانَ بنِ يحيىٰ قالَ : أنا أحمدُ بنُ جعفرٍ المُنادي إجازةً قالَ : وحدَّثَني أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ القرشيُّ قالَ : سمعتُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/١٥٢) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ١٣٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٤٦٠) من طريق الخطيب ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/١٢٩ ـ ١٣٠) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٢٨) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (٨/٤٣ ـ ٤٤) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/١٥٢ ـ ١٥٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٤٦١) من طريقه ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ١٣٧) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٢٦٢ ـ ٢٦٣) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٢٨) .

أبا جعفرٍ محمَّدَ بنَ عبدِ الرَّحمـٰنِ الصَّيْرفيَّ يقولُ : بعثَ إليَّ الحكمُ بنُ موسىٰ في أيَّامِ عيدٍ أنَّهُ يحتاجُ إلىٰ نفقةٍ ، ولم يكنْ عندي إلَّا ثلاثةُ آلافِ درهمٍ ، فوجَّهتُ إليهِ بها .

فلمَّا صارَتْ في قبضتِهِ . . وجَّهَ إليهِ خلَّادُ بنُ أسلمَ أنَّهُ يحتاجُ إلىٰ نفقةٍ ، فوجَّهَ بها كلِّها إليهِ .

واحتجتُ أنا إلىٰ نفقةٍ ، فوجَّهتُ إلىٰ خلَّادٍ أنِّي أحتاجُ إلىٰ نفقةٍ ، فوجَّهَ بها كلِّها إليَّ .

فلمَّا رأيتُها مصرورةً في خِرْقتِها وهيَ الدَّراهمُ بعينِها . . أنكرتُ ذٰلكَ ، فبعثتُ إلىٰ خلَّادٍ : حدِّثْني بقصَّةِ هـٰذهِ الدَّراهمِ ، فأخبرَني أنَّ الحكمَ بنَ موسىٰ بعثَ بها إليهِ ، فوجَّهتُ إلى الحكمِ منها بألفٍ ، وإلىٰ خلَّادٍ بألفٍ ، وأخذتُ أنا منها ألفاً (١)

نُكْتَةٌ

[في إيثارِهِمُ الصِّدقَ حيثُ يضرُّ]

خ ٨٩ ـ وبهِ قالَ : أنا حمزةُ بنُ محمَّدِ بنِ طاهرٍ ، ثنا الوليدُ بنُ بكرٍ الأَنْدَلُسيُّ ، ثنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ زكريَّا الهاشميُّ ، ثنا أبو مسلمٍ صالحُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ العِجْليُّ ، حدَّثَني أبي قالَ : ورِبْعيُّ بنُ حِراشٍ كُوفيٌّ تابعيٌّ ثقةٌ ، ويُقالُ : إنَّهُ لم يكذبْ كذبةً قطُّ !!

كانَ ابنانِ لهُ عاصيانِ زمنَ الحجَّاجِ ، فقيلَ للحجَّاجِ : إنَّ أباهُما لم يكذبْ كذبةً قطُّ ، لو أرسلتَ إليهِ فسألتَهُ عنهُما ، فأرسلَ إليهِ فقالَ : أينَ ابناكَ ؟ قالَ : هما في البيتِ ، قالَ : قد عفوْنا عنهُما بصدقِكَ (٢)

نُكْتَةٌ

[لم يضحكْ إلَّا بعدَ موتِهِ]

خ ٩٠ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ المُعدَّلُ ، أنا الحسينُ بنُ صفوانَ البَرْذَعيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ أبي الدُّنيا ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الحسينِ ، ثنا محمَّدُ بنُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/٣٠٤ ـ ٣٠٥) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٣٧) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٦/٢٨٧٨ ـ ٢٨٧٩) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٨/٣٥٢ ـ ٣٥٣) كلُّهم من طريق الخطيب .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/٤٣٣ ـ ٤٣٤) ، والعجلي في « معرفة الثقات » (٤٤٧) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٥/٢٠٦٣) بنحوه ، والنووي في « بستان العارفين » (ص ١٤١) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٣٦٧) .

جعفرِ بنِ عونٍ ، أخبرَني بكرُ بنُ محمَّدٍ العابدُ ، عنِ الحارثِ الغَنَويِّ قالَ : (آلىٰ ربيعُ بنُ حِراشٍ ألَّا يفترَّ لسانُهُ ضاحكاً حتَّىٰ يعلمَ أينَ مصيرُهُ ، فما ضحكَ إلَّا بعدَ موتِهِ ، وآلىٰ أخوهُ رِبْعيٌّ بعدَهُ ألَّا يضحكَ حتَّىٰ يعلمَ أفي الجنَّةِ هوَ أو في النَّارِ) .

قالَ الحارثُ الغَنَويُّ : (فلقد أخبرَني غاسلُهُ أنَّهُ لم يزلْ مُتبسِّماً علىٰ سريرِهِ ونحنُ نغسلُهُ حتَّىٰ فرغْنا منهُ)[1]

* * *

٩١ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ العَتِيقيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الخَزَّازُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ ابنُ أخي الأصمعيِّ قالَ : سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ : أمرَ المنصورُ أبا دُلامةَ بالخروجِ نحوَ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ ، فقالَ لهُ أبو دُلامةَ : نشدتُكَ اللهَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنْ تُحضِرُني شيئاً مِن عساكرِكَ ؛ فإنِّي شهدتُ تسعةَ عساكرَ انهزمَتْ كلُّها ، وأخشىٰ أن يكونَ عَسْكَرُكَ العاشرَ ، فضحكَ منهُ وأعفاهُ[2]

* * *

٩٢ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ السِّمْسارُ ، أنا الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ الدَّقَّاقُ ، ثنا محمَّدُ بنُ عثمانَ ابنِ أبي شيبةَ ، ثنا أحمدُ بنُ طارقٍ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ بشيرٍ قالَ : شهدَ أبو دُلامةَ عندَ ابنِ أبي ليلىٰ لامرأةٍ علىٰ حمارٍ ، هوَ ورجلٌ آخرُ مِن أصحابِ القاضي .

قالَ : فعُدِّلَ الرَّجلُ ولم يُعدَّلْ أبو دُلامةَ ، فقالَ القاضي للمرأةِ : زيديني شهوداً ، فأتَتِ المرأةُ أبا دُلامةَ فأخبرَتْهُ ، فأتىٰ أبو دُلامةَ ابنَ أبي ليلىٰ ، فأنشدَهُ فقالَ[3] : [من الطويل]

إِنِ ٱلنَّاسُ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمُ ... وَإِنْ بَحَثُونِي كَانَ فِيهِمْ مَبَاحِثُ

وَإِنْ حَفَرُوا بِئْرِي حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ ... لِيَعْلَمَ قَوْمٌ كَيْفَ تِلْكَ ٱلنَّبَائِثُ[4]

فقالَ ابنُ أبي ليلىٰ : يا أبا دُلامةَ ؛ قد أجزْنا شهادتَكَ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٣٤/٩) ، وابن أبي الدنيا في « من عاش بعد الموت » (١٢) ، والمستغفري في « دلائل النبوة » (٥١٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٢) ، وانظر « الأنساب » (١٤٢/٤) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣٦٧/٢) ، و« بستان العارفين » للنووي (ص ١٤١) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥١٨/٩ ـ ٥١٩) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٩٥/٥) من طريقه ، وانظر « وفيات الأعيان » (٣٢١/٢) .

(٣) هي لأبي دلامة كما في « ديوانه » (ص ٣٧) ، و« الكامل » للمبرد (٥٦٠/٢) ، و« أخبار القضاة » لوكيع (١٣٩/٣) .

(٤) النَّبائث : جمع نبيثة ؛ وهي التُّراب المستخرج من البئر أو النَّهر .

وبعثَ ابنُ أبي ليلىٰ إلى المرأةِ ، فقالَ لها : كم ثمنُ حمارِكِ ؟ قالَتْ : أربعُ مئةٍ ، فأعطاها أربعَ مئةٍ[١] .

٩٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ الوكيلُ ، أنا إسماعيلُ بنُ سعيدٍ المُعدَّلُ ، ثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ ، ثنا أبو جعفرٍ النَّوفليُّ ، أخبرَني محمَّدُ بنُ صالحٍ الهاشميُّ ، عن أبيهِ قالَ : دخلَ أبو دُلامةَ الشَّاعرُ علىٰ أبي جعفرٍ فحدَّثَهُ وأنشدَهُ ، فأجازَهُ وكساهُ ، وكانَ فيما كساهُ ساجٌ .

ثمَّ خرجَ مِن عندِهِ إلىٰ بني داوودَ بنِ عليٍّ ، فشربَ عندَهُم حتَّى اشتدَّ سكرُهُ ، فبلغَ ذٰلكَ أبا جعفرٍ ، فأرسلَ إليهِ فأُتِيَ بهِ .

وجاذبَ أبو دُلامةَ الرَّسولَ حتَّىٰ تخرَّقَ ساجُهُ ، ثمَّ أمرَ بهِ إلى السِّجنِ ، وأمرَ السَّجَّانَ يسجنُهُ في بيتٍ معَ دجاجٍ ؛ ليُصغِّرَ إليهِ نفسَهُ ، ففعلَ ذٰلكَ بهِ السَّجَّانُ .

فانتبهَ في جوفِ اللَّيلِ ، فنادىٰ جاريتَهُ ، فأجابَهُ صاحبُ السِّجنِ : طعنةٌ في كبدِكَ ، فقالَ لهُ أبو دُلامةَ : ويلَكَ !! مَن أنتَ ؟ وأينَ أنا ؟ قالَ : سَلْ نفسَكَ ، وأينَ كنتَ عشيَّةَ أمسِ ؟ فاستحلفَهُ أبو دُلامةَ : مَن أنتَ ؟ قالَ السَّجَّانُ : أنا فلانٌ صاحبُ السِّجنِ ، قالَ : ومَن أدخلَني عليكَ ؟ قالَ : بعثَ بكَ أميرُ المؤمنينَ وأنتَ سكرانُ ، وأمرَني أن أحبسَكَ معَ الدَّجاجِ .

فقالَ له أبو دُلامةَ : أُحِبُّ أن تأتيَني بدَواةٍ وقِرْطاسٍ ولكَ عندي صلةٌ ، ففعلَ السَّجَّانُ ، فقالَ أبو دُلامةَ[٢] : [من الوافر]

أَمِنْ صَهْبَاءَ صَافِيَةِ ٱلْمِزَاجِ ... كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ ٱلسِّرَاجِ

أُقَادُ إِلَى ٱلسُّجُونِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... كَأَنِّي بَعْضُ عُمَّالِ ٱلْخَرَاجِ ؟

وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَكَانَ ذَاكُمْ ... وَلَـٰكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ ٱلدَّجَاجِ

دَجَاجَاتٌ يُطِيفُ بِهِنَّ دِيكٌ ... يُنَادِي بِٱلصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي

وَقَدْ كَانَتْ تُحَدِّثُنِي ذُنُوبِي ... بِأَنِّي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥١٩/٩) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٠١) .
(٢) هي له ، انظر « ديوانه » (ص ٩٢ ـ ٩٣) ، و« البصائر والذخائر » للتوحيدي (٢٨/٩ ـ ٢٩) .

عَـــلَــىٰ أَنِّـــي وَإِنْ لَاقَـــيْـــتُ شَـــرّاً   لِـخَـيْــرِكَ بَـعْــدَ ذَاكَ ٱلــشَّــرِّ رَاجِــي

فلمَّا أصبحَ . . أُنشِدَ أبو جعفرٍ هٰذهِ الأبياتَ ، فضحكَ منهُ ، وخلَّىٰ سبيلَهُ (١)

* * *

خ ٩٤ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسينُ بنُ عمرَ بنِ بَرْهانٍ الغزَّالُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا إبراهيمُ بنُ الوليدِ قالَ : سمعتُ سليمانَ أبا أيُّوبَ الضَّريرَ ـ وكانَ مِنَ الصَّالحينَ ـ قالَ : أنا داوودُ بنُ المُحبَّرِ ، عن مُبارَكِ بنِ فَضالةَ ، عن ثابتٍ البُنانيِّ قالَ : أفضتُ مِن عرفاتٍ وقد مضى النَّاسُ ، فبينَما أنا أسيرُ وحدي . . إذا أنا برجلَينِ يقولُ أحدُهُما لصاحبِهِ : يا حبيبُ ، فقالَ الآخرُ : لبَّيكَ يا مُحِبُّ ، ما تقولُ ؟ قالَ : أتُرى الَّذي تحابَبْنا فيهِ يُعذِّبُنا ؟

قالَ : فسمعوا صوتاً : ليسَ بفاعلٍ ، ليسَ بفاعلٍ (٢)

* * *

٩٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو حازمٍ ـ يعني : عمرَ بنَ أحمدَ بنِ إبراهيمَ [العَبْدَويَّ] (٣) ـ قالَ : أنا أبو عمرٍو ابنُ مطرٍ قالَ : حضرتُ مجلسَ أبي عثمانَ الحِيريِّ الزَّاهدِ (٤) ، فخرجَ وقعدَ علىٰ موضعِهِ الَّذي كانَ يقعدُ عليهِ للتَّذكيرِ ، فسكتَ حتَّىٰ طالَ سكوتُهُ ، فناداهُ رجلٌ كانَ يُعرَفُ بأبي العبَّاسِ : ترىٰ أن تقولَ في سكوتِكَ شيئاً ؟

فأنشأَ يقولُ (٥) :   [من الطويل]

وَغَـيْـرُ تَـقِـيٍّ يَـأْمُرُ ٱلـنَّـاسَ بِـٱلـتُّـقَـىٰ   طَـبِـيـبٌ يُـدَاوِي وَٱلـطَّـبِـيـبُ مَـرِيـضُ

فارتفعَتِ الأصواتُ بالبكاءِ والضَّجيجِ (٦)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/٥١٩ ـ ٥٢٠) ، وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (١٠/٣٧١٥ ـ ٣٧١٦) مطوَّلاً ، وانظر « نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري (٤/٥٢ ـ ٥٣) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٧١ ـ ٧٢) ، وابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢٣٧) ، وابن الأعرابي في « المعجم » (١٠٧٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٧٦ ـ ١٧٧) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (العبدي) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (١٣/١٤٣) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٨٨) .

(٤) هو أبو عثمان ، سعيد بن إسماعيل بن سعيد ، الزَّاهد الواعظ ، قيل : إنَّه كان مستجاب الدَّعوة ، توفِّي سنة ثمان وتسعين ومئتين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٥) ذكره ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٢/٣٧٠) وعزاه للحيري .

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/١٤٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٩٢١) ، وانظر « الأنساب » (٢/٢٩٨ ـ ٢٩٩) ، و« الجامع لأحكام القرآن » (١/٣٦٧) .

حِكَايَة

[في أرجىٰ أعمالِ أبي عثمانَ الحِيريّ]

خ ٩٦ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ الضَّبِّيُّ قالَ : سمعتُ أُمِّي تقولُ : سمعتُ مريمَ امرأةَ أبي عثمانَ تقولُ : صادفتُ مِن أبي عثمانَ خلوةً ، فاغتنمتُها فقلتُ : يا أبا عثمانَ ؛ أيُّ عملِكَ أرجىٰ عندَكَ ؟

فقالَ : يا مريمُ ؛ لمَّا ترعرعتُ وأنا بالرَّيِّ ، وكانوا يُريدونَني على التَّزويجِ فأمتنعُ . . جاءَتْنيَ امرأةٌ ، فقالَتْ : يا أبا عثمانَ ؛ قد أحببتُكَ حُبّاً أَذْهَبَ نومي وقراري ، وأنا أسأَلُكَ بمُقلِّبِ القلوبِ ، وأتوسَّلُ بهِ إليكَ أن تتزوَّجَ بي .

قلتُ : ألكِ والدٌ ؟ قالَتْ : نعم ، فلانٌ الخَيَّاطُ في موضعِ كذا وكذا ، فراسلتُ أباها أن يُزوِّجَها منِّي ، ففرحَ بذٰلكَ ، وأحضرتُ الشُّهودَ فتزوَّجتُ بها .

فلمَّا دخلتُ بها . . وجدتُها عوراءَ عرجاءَ ، مُشوَّهةَ الخَلْقِ !! فقلتُ : اللَّهُمَّ ؛ لكَ الحَمْدُ علىٰ ما قدَّرتَهُ عليَّ ، وكانَ أهلُ بيتي يلومونَني علىٰ ذٰلكَ فأزيدُها برّاً وإكراماً ، حتَّىٰ صارَتْ بحيثُ لا تدعُني أخرجُ مِن عندِها ، فتركتُ حضورَ المجالسِ ؛ إيثاراً لرضاها وحفظاً لقلبِها .

ثمَّ بقيتُ معَها علىٰ هٰذا الحالِ خمسَ عشرةَ سنةً ، وكأنِّي في بعضِ أوقاتي وأنا على الجَمْرِ ، وأنا لا أُبدي لها شيئاً مِن ذٰلكَ إلىٰ أن ماتَتْ ، فما شيءٌ أرجىٰ عندي مِن حفظي عليها ما كانَ في قلبِها مِن جهتي (١)

* *

خ ٩٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القُشَيريُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدٍ الشَّعرانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أقامَنيَ اللهُ في حالٍ فكرهتُهُ ، ولا نقلَني إلىٰ غيرِهِ فسَخِطتُهُ) (٢)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/١٤٥ ـ ١٤٦) ، والسراج القارئ في « مصارع العشاق » (٢/١٣٦ ـ ١٣٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٤٢٣) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « وفيات الأعيان » (٢/٣٧٠) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/١٤٦) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ١٥٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٢٤٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٤٢٣) من طريق الخطيب ، وانظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٢٠٩) ، و« الأنساب » (٢/٢٩٨) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٣٧٠) .

حكاية

[في موتِ المنصورِ ونجاةِ سفيانَ الثَّوْريِّ]

٩٨ ـ وبهِ قالَ : أنا ابنُ رزقٍ ، أنا إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ المُزكِّي ، أنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ إسحاقَ السَّرَّاجُ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ سهلِ بنِ عَسْكَرٍ قالَ : سمعتُ عبدَ الرَّزَّاقِ يقولُ : بعثَ أبو جعفرٍ الخشَّابينَ حينَ خرجَ إلىٰ مكَّةَ ، فقالَ : إن رأيتُم سفيانَ الثَّوْريَّ . . فاصلبوهُ .

قالَ : فجاءَ النَّجَّارونَ ونُصِبَ الخشبُ ، ونُودِيَ سفيانُ ؛ فإذا رأسُهُ في حِجْرِ الفُضَيلِ بنِ عياضٍ ، ورِجلاهُ في حِجْرِ ابنِ عُيَينةَ .

قالَ : فقالوا لهُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ اتَّقِ اللهَ ، ولا تُشمِتْ بنا الأعداءَ .

قالَ : فتقدَّمَ إلى الأستارِ [١] ، ثمَّ أخذَها ، ثمَّ قالَ : بَرِئْتُ منهُ إن دخلَها أبو جعفرٍ .

قالَ : فماتَ قبلَ أن يدخلَ مكَّةَ ، فأُخبِرَ بذٰلكَ سفيانُ ، قالَ : فلم يقلْ شيئاً [٢] .

❊ ❊ ❊

٩٩ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ شهريارَ الأصبهانيُّ ، أنا سليمانُ بنُ أحمدَ الطَّبرانيُّ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الطَّرَسُوسيُّ قالَ : سمعتُ حامدَ بنَ يحيى البَلْخيَّ يقولُ : سمعتُ سفيانَ بنَ عُيَينةَ يقولُ : رأيتُ كأنَّ أسناني كلَّها سقطَتْ !!

فذكرتُ ذٰلكَ للزُّهريِّ ، فقالَ : يموتُ أسنانُكَ وتبقىٰ أنتَ [٣]

فماتَ أسناني وبقيتُ ، فجعلَ اللهُ كلَّ عُدُولي مُحدِّثاً [٤] .

❊ ❊ ❊

خ ١٠٠ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ الأصبهانيُّ ، ثنا جعفرٌ الخُلْديُّ ،

---

(١) يعني : أستار الكعبة .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٢٢٧ ـ ٢٢٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/٤١ ـ ٤٢) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٥٤٢ ـ ٥٤٣) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (١/٥٢٨) ، و« تهذيب الكمال » (١١/١٦٧) .

(٣) أسنانك : أقرانك المساوون لك بالسِّنِّ .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٢٤٩) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢/٩٦٢) ، وانظر « تهذيب الكمال » (١١/١٨٨ ـ ١٨٩) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣/١٩٤) .

ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ مسروقٍ ، ثنا هارونُ بنُ سوارٍ قالَ : سمعتُ شعيبَ بنَ حربٍ[1] يقول : بينا أنا في طريقِ مكَّةَ . . إذ رأيتُ هارونَ الرَّشيدَ ، فقلتُ لنفسي : قد وجبَ عليكِ الأمرُ والنَّهيُ ، فقالَتْ لي : لا تفعلْ ؛ فإنَّ هـٰذا رجلٌ جبَّارٌ ، ومتىٰ أمرتَهُ . . ضربَ عنقَكَ ، فقلتُ لنفسي : لا بدَّ مِن ذٰلكَ .

فلمَّا دنا منِّي . . صِحْتُ : يا هارونُ ؛ أتعبتَ الأُمَّةَ ، وأتعبتَ البهائمَ ، فقالَ : خذوهُ ، فأُدخِلتُ عليهِ وهوَ علىٰ كرسيٍّ ، وبيدِهِ عمودٌ يلعبُ بهِ .

فقالَ : ممَّنِ الرَّجلُ ؟ فقلتُ : مِن أفناءِ النَّاسِ .

فقالَ : ممَّن ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فقلتُ : مِنَ الأبناءِ[2]

فقالَ : ما حملَكَ علىٰ أن تدعوَني باسمي ؟

قالَ شعيبٌ : فوردَ علىٰ قلبي كلمةٌ ما خطرَتْ لي قطُّ علىٰ بالٍ ، قالَ : قلتُ لهُ : أدعو اللهَ باسمِهِ فأقولُ : يا أللهُ يا رحمانُ ، ولا أدعوكَ باسمِكَ ؟! وما تُنكِرُ مِن دعائي باسمِكَ ؟ وقد رأيتُ اللهَ تعالىٰ سَمَّىٰ في كتابِهِ أَحَبَّ الخَلْقِ إليهِ محمَّداً ، وكَنَّىٰ أبغضَ الخَلْقِ إليهِ أبا لهبٍ ؛ فقالَ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾[3]

فقالَ : أَخرِجوهُ ، فأخرَجوهُ[4]

*

خ ١٠١ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ علَّانَ الشُّروطيُّ ، أنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ الحسينِ الأَزْديُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الأنطاكيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عيسىٰ قالَ : سمعتُ شعيبَ بنَ حربٍ يقولُ : (مَن أرادَ الدُّنيا . . فليتهيَّأْ للذُّلِّ)[5]

---

(١) هو أبو صالح ، شعيب بن حرب ، المدائنيُّ ، أحد المشهورين بالصَّلاح ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، توفِّي سنة تسع وتسعين ومئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) يعني : أبناء الفرس الَّذين نزلوا اليمن ممَّن جهَّزهم كسرىٰ مع سيف بن ذي يزن إلىٰ ملك الحبشة ، فطردوا الحبشة عن اليمن . « تبصرة المنتبه » لابن حجر (١/٣٥) .

(٣) سورة المسد : (١) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٣٣١) ، وقوام السنة في « سير السلف الصالحين » (٣/١١٢٢ ـ ١١٢٣) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧٣/٣٠٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣/١٠٦ ـ ١٠٧) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٤٧٠ ـ ٤٧١) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٣٣١ ـ ٣٣٢) ، وانظر « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٣/٦) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٤٧١) .

نُكتة

[أنتِ إذاً امرأتي]

١٠٢ ـ قالَ (١) : وأرادَ شعيبُ بنُ حربٍ أن يتزوَّجَ بامرأةٍ ، فقالَ لها : إنِّي سيِّءُ الخُلُقِ ، قالَتْ : أسوأُ منكَ خُلُقاً مَن أحوجَكَ إلىٰ أن تكونَ سيِّءَ الخُلُقِ .

فقالَ : أنتِ إذاً امرأتي (٢)

حكاية

[في صرامةِ شريكِ بنِ عبدِ اللهِ في القضاءِ]

خ ١٠٣ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ الطَّاهريُّ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ المُغيرةِ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الدِّمشقيُّ .

وأخبرَنا القاضي أبو الطَّيِّبِ الطَّبَريُّ ، ثنا المُعافى بنُ زكريَّا ، ثنا محمَّدُ بنُ مزيدٍ الخُزاعيُّ قالا : ثنا الزُّبيرُ قالَ : حدَّثَني عمِّي ، عن عمرَ بنِ الهيَّاجِ بنِ سعيدٍ قالَ : أتَتْهُ امرأةٌ يوماً ـ يعني : شريكاً (٣) ـ في مجلسِ الحكمِ ، فقالَتْ : أنا باللهِ ثمَّ بالقاضي امرأةٌ مِن ولدِ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ صاحبِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وردَّدَتِ الكلامَ .

فقالَ : مَن ظلمَكِ ؟ فقالَتِ : الأميرُ موسى بنُ عيسىٰ ، كانَ لي بستانٌ علىٰ شاطئِ الفُراتِ ، لي فيهِ نخلٌ ورثتُهُ عن آبائي ، فقاسمتُ إخوتي ، وبنيتُ بيني وبينَهُم حائطاً ، وجعلتُ فيهِ فارسيّاً في بيتٍ ، يحفظُ النَّخلَ ويقومُ ببستاني ، فاشترى الأميرُ موسى بنُ عيسىٰ مِن إخوتي ، وساومَني وأرغبَني فلم أبعْهُ .

فلمَّا كانَ في هٰذهِ اللَّيلةِ . . بعثَ بخمسِ مئةِ فاعلٍ ، فاقتلعوا الحائطَ ، فأصبحتُ لا أعرفُ مِن نخلي شيئاً ، واختلطَ بنخلِ إخوتي .

فقالَ : يا غلامُ ؛ طينةً ، فختمَ ثمَّ قالَ لها : امضي إلىٰ بابهِ حتَّىٰ يحضرَ معَكِ ، فجاءَتِ

---

(١) يعني : محمَّد بن عيسى بن حيَّان المدائنيَّ المتقدِّم ذِكْرُه .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٣٣٢) ، وانظر « الأنساب » (٥/٢٣١) ، و« الأذكياء » لابن الجوزي (ص١٩٦) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٤٧١) .

(٣) هو شريك بن عبد الله ، أبو عبد الله ، النَّخَعيُّ الكُوفيُّ القاضي ، توفِّي سنة سبع ـ أو ثمان ـ وسبعين ومئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

المرأةُ بالطِّينةِ ، فأخذَها الحاجبُ ، ودخلَ علىٰ موسىٰ ، فقالَ : أعدىٰ شريكٌ عليكَ ، قالَ : ادعُ لي صاحبَ الشُّرطةِ ، فدعا بهِ ، فقالَ لهُ : امضِ إلىٰ شريكٍ ، فقلْ : يا سبحانَ اللهِ !! ما رأيتُ أعجبَ مِن أمرِكَ !! امرأةٌ ادَّعَتْ دعوىٰ لم تصحَّ أعديتَها عليَّ ؟!

قالَ : يقولُ لهُ صاحبُ الشُّرطةِ : إن رأى الأميرُ أن يُعفيَني . . فليفعلْ ، فقالَ : امضِ ويلكَ !!

فخرجَ فأمرَ غلمانَهُ أن يتقدَّموا إلى الحبسِ بفراشٍ وغيرِهِ مِن آلةِ الحبسِ ، فلمَّا جاءَ ووقفَ بينَ يدَي شريكٍ ، وأدَّى الرِّسالةَ . . قالَ : خُذْ بيدِهِ فضعْهُ في الحبسِ ، قالَ : قد ـ واللهِ يا أبا عبدِ اللهِ ـ عرفتُ أنَّكَ تفعلُ بي هٰذا ، فقدَّمتُ ما يُصلِحُني إلى الحبسِ .

وبلغَ موسى بنَ عيسىٰ ـ يعني : الخبرَ ـ فوجَّهَ الحاجبَ إليهِ ، فقالَ : هٰذا مِن ذاكَ رسولٌ ، أيُّ شيءٍ عليهِ ؟ فلمَّا وقفَ بينَ يدَيهِ وأدَّى الرِّسالةَ . . قالَ : أَلحِقْهُ بصاحبِهِ ، فحُبِسَ .

فلمَّا صلَّى الأميرُ العصرَ . . بعثَ إلىٰ إسحاقَ بنِ الصَّباحِ الأشعثيِّ ، وجماعةٍ مِن وجوهِ الكُوفةِ مِن أصدقاءِ شريكٍ ، فقالَ : امضوا إليهِ ، وأَبلِغوهُ السَّلامَ ، وأَعلِموهُ أنَّهُ قدِ استخفَّ بي ، وأنِّي لستُ كالعامَّةِ ، فمضَوا وهوَ جالسٌ في مسجدِهِ بعدَ العصرِ ، فدخلوا وأبلغوهُ الرِّسالةَ .

فلمَّا انقضىٰ كلامُهُم . . قالَ : مَن ها هنا مِن فتيانِ الحيِّ ؟ فيأخذَ كلُّ واحدٍ منكُم بيدِ رجلٍ ، فيذهبَ بهِ إلى الحبسِ ، لا بِتُّم ـ واللهِ ـ إلَّا فيهِ ، قالوا : أجادٌّ أنتَ ؟ قالَ : حقّاً حتَّىٰ لا تعودوا برسالةِ ظالمٍ ، فحبسَهُم .

وركبَ موسى بنُ عيسىٰ في اللَّيلِ إلىٰ بابِ الحبسِ ، ففتحَ البابَ ، وأخرجَهُم جميعاً .

فلمَّا كانَ الغدُ ، وجلسَ شريكٌ للقضاءِ . . جاءَ السَّجَّانُ فأخبرَهُ ، فدعا بالقِمَطْرِ فختمَها ، ووجَّهَ بها إلىٰ منزلِهِ ، وقالَ لغلامِهِ : الحقْني بثقلي إلىٰ بغدادَ ، واللهِ ؛ ما طلبْنا هٰذا الأمرَ منهُم ، ولٰكنْ أكرهونا عليهِ ، ولقد ضمنوا لنا الإعزازَ فيهِ إذ تقلَّدْناهُ لهُم .

ومضىٰ نحوَ قَنْطَرةِ الكُوفةِ إلىٰ بغدادَ ، وبلغَ موسى بنَ عيسى الخبرُ ، فركبَ في موكبِهِ فلحقَهُ ، وجعلَ يُناشِدُهُ اللهَ ويقولُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ تثبَّتِ انظرْ ، إخوانُكَ تحبسُهُم ، دعْ إخواني .

قالَ : نعم ؛ لأنَّهُم مشَوا لكَ في أمرٍ لم يجبْ عليهِمُ المشيُ فيهِ ، ولستُ ببارحٍ أو يُرَدُّوا جميعاً إلى الحبسِ ، وإلَّا . . مضيتُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فاستعفيتُهُ ممَّا قلَّدَني .

فأمرَ بردِّهِم جميعاً إلى الحبسِ ، وهوَ ـ واللهِ ـ واقفٌ مكانَهُ حتَّىٰ جاءَهُ السَّجَّانُ ، فقالَ لهُ : قد رجعوا إلى الحبسِ .

فقالَ لأعوانِهِ : خذوا بلجامِهِ قودوهُ بينَ يدَيَّ جميعاً إلىٰ مجلسِ الحكمِ ، فمرُّوا بينَ يدَيهِ حتَّىٰ أُدخِلَ المسجدَ ، وجلسَ مجلسَ القضاءِ .

ثمَّ قالَ : الجُويريةَ المُتظلِّمةَ مِن هٰذا ، فجاءَتْ ، فقالَ : هٰذا خصمُكِ قد حضرَ ، وهوَ جالسٌ بينَ يدَيهِ معَها ، فقالَ : أولئكَ يُخرَجونَ مِنَ الحبسِ قبلَ كلِّ شيءٍ ، قالَ : أمَّا الآنَ . . فنعم ، أَخرِجوهُم .

قالَ : ما تقولُ فيما تدَّعيهِ هٰذهِ ؟ قالَ : صدقَتْ .

قالَ : فرُدَّ جميعَ ما أُخِذَ منها ، وابنِ حائطَها كما هُدِمَ ، قالَ : أفعلُ .

قالَ : بقيَ لكِ شيءٌ ؟ قالَ : تقولُ المرأةُ : بيتُ الفارسيِّ ومتاعُهُ ، قالَ : يقولُ موسى بنُ عيسىٰ : ويُرَدُّ ذٰلكَ .

قالَ : بقيَ لكِ شيءٌ تدَّعينَهُ ؟ قالَتْ : لا ، وجزاكَ اللهُ خيراً ، قالَ : قومي ، وزبرَها .

ثمَّ وثبَ مِن مجلسِهِ ، فأخذَ موسى بنَ عيسىٰ ، فأجلسَهُ في مجلسِهِ ، ثمَّ قالَ : السَّلامُ عليكَ أيُّها الأميرُ ، تأمرُ بشيءٍ ؟ قالَ : أيَّ شيءٍ آمرُ ؟! وضحكَ (١)

* * *

خ ١٠٤ ـ وبهِ قالَ : أنا القاضي أبو الطَّيِّبِ طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ الطَّبَريُّ ، ثنا المُعافى بنُ زكريَّا ، أنا محمَّدُ بنُ القاسمِ الأنباريُّ ، حدَّثَني محمَّدُ ابنُ المَرزُبانِ ، ثنا أبو بكرٍ العامريُّ ، ثنا مصعبُ بنُ عبدِ اللهِ الزُّبيريُّ ، حدَّثَني أبي قالَ : تقدَّمَ إلىٰ شريكِ بنِ عبدِ اللهِ وكيلٌ لمُؤنِسةَ معَ خصمٍ لهُ ، فجعلَ يستطيلُ علىٰ خصمِهِ ؛ إدلالاً بموضعِهِ مِن مُؤنِسةَ .

فقالَ شريكٌ : كُفَّ لا أبا لَكَ !! قالَ : أتقولُ لي هٰذا وأنا وكيلُ مُؤنِسةَ ؟ فأمرَ بهِ فصُفِعَ عشرَ صفعاتٍ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٣٩٥ ـ ٣٩٧) ، ووكيع في « أخبار القضاة » (٣/١٧٠ ـ ١٧١) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢/٣٩ ـ ٤٣) عن الأمير عيسىٰ والد المذكور ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/١٤ ـ ١٦) عن الأمير عيسىٰ .

فانصرفَ ودخلَ علىٰ مُؤنِسةَ وشكا ، فكتبَتْ مُؤنِسةُ إلى المهديِّ ، فعزلَ شريكاً [1]

حِكَايَةٌ

[لا يكونُ قتلُهُ وقتلُ أهلِ بيتِهِ إلَّا علىٰ يدَيهِ]

١٠٥ ـ وبهِ قالَ : أنا الأزهريُّ ، أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عرفةَ ، أخبرَني أبو العبَّاسِ المنصوريُّ ، عنِ القُثميِّ قالَ : دخلَ عبدُ اللهِ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ [2] علىٰ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، فأدنىٰ مجلسَهُ حتَّىٰ أقعدَهُ معَهُ ، وأكرمَ لقاءَهُ وأظهرَ برَّهُ ، ثمَّ قالَ : ما أَقْدَمَكَ ؟ فذكرَ لهُ حاجتَهُ .

وخرجَ بُنَيٌّ لهشامِ بنِ عبدِ الملكِ صغيرٌ ، معَهُ قوسٌ ونشَّابٌ ، وهوَ يلعبُ كما يلعبُ الصِّبيانُ ، فجعلَ الصَّبيُّ يأخذُ السَّهمَ فيرمي بهِ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ حتَّىٰ فعلَ ذٰلكَ مرَّاتٍ ، وعبدُ اللهِ ينظرُ إليهِ ، ثمَّ قامَ عبدُ اللهِ فخرجَ ، وذٰلكَ بعينِ مَسْلَمةَ بنِ عبدِ الملكِ .

فقالَ مَسْلَمةُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أما رأيتَ ما صنعَ الصَّبيُّ ؟ واللهِ ؛ لا يكونُ قتلُهُ وقتلُ رجالِ أهلِ بيتِهِ إلَّا علىٰ يدَيهِ .

فقالَ هشامٌ : لا تقلْ هٰذا ؛ فإنَّكَ لا تزالُ تأتينا بشيءٍ لا نعرفُهُ ، فقالَ : هوَ ـ واللهِ ـ ذاكَ وما أقولُ لكَ .

قالَ : فواللهِ ؛ ما مضَتِ الأيَّامُ واللَّيالي حتَّىٰ وردَ عبدُ اللهِ والياً على الشَّامِ مِن قِبَلِ أبي العبَّاسِ ، فقتلَ ثلاثةً وثمانينَ رجلاً مِن بني أُميَّةَ ، فأُتِيَ بالصَّبيِّ فيمَن أُتِيَ بهِ ، فقالَ : أنتَ صاحبُ القوسِ ، فقُدِّمَ فضُرِبَتْ عنقُهُ [3]

١٠٦ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ طاهرٍ الدَّقَّاقُ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ المُكتفي ، ثنا جحظةُ قالَ : قالَ جعفرُ بنُ يحيىٰ : نظرَ أميرُ المؤمنينَ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٣٩٧) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢/٤٦) ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٦/١٤٨ ـ ١٤٩) .

(٢) هو عبد الله بن عليِّ بن عبد الله بن العبَّاس بن عبد المطَّلب ، حبسه أبو جعفر المنصور ببغداد ، ووقع عليه البيت الَّذي حبس فيه فقتله سنة سبع وأربعين ومئة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة . **انتهىٰ** من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/١٧٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/٥٧ ـ ٥٨) .

السَّفَّاحُ[1] في المرآةِ ـ وكانَ مِن أجملِ النَّاسِ ـ فقالَ : اللَّهُمَّ ؛ إنِّي لا أقولُ كما قالَ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ[2] : (أنا الملكُ الشَّابُّ) ، ولٰكنِّي أقولُ : اللَّهُمَّ ؛ عَمِّرْني طويلاً في طاعتِكَ ، مُمتَّعاً بالعافيةِ ، فما استتمَّ كلامَهُ حتَّىٰ سمعَ غلاماً يقولُ لغلامٍ آخرَ : الأجلُ بيني وبينَكَ شهرانِ وخمسةُ أيَّامٍ ، فتطيَّرَ مِن كلامِهِ ، وقالَ : حسبيَ اللهُ ، لا قوَّةَ إلَّا باللهِ ، عليهِ توكَّلتُ وبهِ أستعينُ .

فما مضَتِ الأيَّامُ حتَّىٰ أخذَتْهُ الحُمَّىٰ ، فجعلَ يومٌ يتَّصلُ إلىٰ يومٍ حتَّىٰ ماتَ بعدَ شهرَينِ وخمسةِ أيَّامٍ[3]

* * *

١٠٧ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ، أنا عثمانُ بنُ أحمدَ الدَّقَّاقُ ، [ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ البراءِ][4] ، حدَّثَني أحمدُ بنُ هشامٍ قالَ : قالَ الرَّبيعُ : بينا أنا معَ أبي جعفرٍ المنصورِ[5] في طريقِ مكَّةَ . . تبرَّزَ فنزلَ يقضي حاجةً ؛ فإذا الرِّيحُ قد ألقَتْ إليهِ رقعةً فيها مكتوبٌ : [من الطويل]

أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتُكَ وَٱنْقَضَتْ ... سِنُوكَ وَأَمْرُ ٱللهِ لَا بُدَّ وَاقِعُ

قالَ : فناداني : يا ربيعُ ؛ تنعي إليَّ نفسي في رقعةٍ ؟! فقلتُ : لا واللهِ ما أعرفُ رقعةً ، ولا أدري ما هيَ .

قالَ : فما رجعَ مِن وجهِهِ حتَّىٰ ماتَ بمكَّةَ .

هٰكذا روى الخطيبُ[6]

---

(١) هو أبو العبَّاس السَّفَّاح ، عبد الله بن محمَّد بن عليِّ بن عبد الله بن العبَّاس ، أوَّل خلفاء بني العبَّاس ، ولد سنة خمس ومئة ، واستخلف سنة اثنتين وثلاثين ، وتوفِّي سنة ستٍّ وثلاثين . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) كذا في (أ ، ب ، ج) ، وفي « تاريخ بغداد » : (كما قال عبد الملك) خلافاً للمشهور .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٢٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٢٨٩ ـ ٢٩٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٦١ ـ ٦٢) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « الكامل » لابن الأثير (٥/٥٠) .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج ، وانظر ما سيأتي ضمن الخبر (١٢١) .

(٥) هو أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمَّد بن عليٍّ ، أخو السَّفَّاح ، مولده سنة خمس وتسعين ، استخلف بعد أخيه السَّفَّاح ، وتوفِّي ببئر ميمون ظاهر مكَّة وهو محرم لستٍّ خلون من ذي الحجَّة سنة ثمان وخمسين ومئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٢٥١ ـ ٢٥٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٣٤١ ـ ٣٤٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٦٩) كلاهما من طريق الخطيب .

وروىٰ غيرُهُ عن أبي إسحاقَ الخُتَّليّ قالَ : لمَّا حجَّ المنصورُ في آخِرِ عمرِهِ . . دخلَ بعضَ المنازلِ بطريقِ مكَّةَ ، فرأىٰ كتاباً على الحائطِ ، فقرأَهُ فإذا هوَ : [من الطويل]

أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتُكَ وَٱنْقَضَتْ سِنُوكَ وَأَمْرُ ٱللهِ لَا بُدَّ وَاقِعُ

أَبَا جَعْفَرٍ هَلْ كَاهِنٌ أَوْ مُنَجِّمٌ لَكَ ٱلْيَوْمَ عَنْ حَرِّ ٱلْمَنِيَّةِ دَافِعُ ؟ (١)

وتُوُفِّيَ أبو جعفرٍ قبلَ وصولِهِ إلىٰ مكَّةَ ، فحُمِلَ على السَّريرِ وطِيفَ بهِ سبعاً ، ودُفِنَ بالمعلىٰ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

أخبرَني بذٰلكَ إجازةً أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وتاجُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ ابنُ أبي عصرونٍ ، وزينبُ ابنةُ كِنْديٍّ ، وشمسُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ العبَّاسيُّ ، عن أبي رَوْحٍ عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويّ قالَ : أنا عبدُ الكريمِ بنُ محمَّدٍ المَرْوَزيُّ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ الخَيَّاطُ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنُ النَّقُّورِ .

(ح) وبهِ إلىٰ عبدِ الكريمِ بنِ محمَّدٍ قالَ : وأخبرَناهُ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحافظُ .

(ح) وأُنبئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديّ ، وغيرِهِ ، عن إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ قالَ : أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ البُنْدارُ قراءةً عليهِ قالا : أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ موسى بنِ القاسمِ المُجبِّرُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ النَّحْويُّ ، حدَّثَني أبي ، ثنا أبو عبدِ اللهِ ابنُ المَطْبَخيّ ، ثنا أبو إسحاقَ الخُتَّليُّ . . . فذكرَهُ ، واللهُ أعلمُ .

١٠٨ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : قرأتُ على ابنِ رزقٍ ، عن عثمانَ بنِ أحمدَ ، ثنا ابنُ البراءِ ، ثنا الحسنُ بنُ هشامٍ ، عنِ الرَّبيعِ قالَ : حججتُ معَ المنصورِ أبي جعفرٍ ، فلمَّا كنَّا بالقادسيَّةِ . . قالَ لي : يا ربيعُ ؛ إنِّي مُقيمٌ بهٰذا المنزلِ ثلاثاً ، فنادِ في النَّاسِ ، فناديتُ .

فلمَّا كانَ الغدُ . . قالَ لي : يا ربيعُ ؛ نادِ بالرَّحيلِ ، فرحلَ ورحلَ النَّاسُ ، وقرَّبتُ لهُ ناقةً ليركبَ ، وجاؤوهُ بمِجمَرٍ يتبخَّرُ ، فقمتُ بينَ يدَيهِ ، فقالَ : ما عندَكَ ؟ فقلتُ : رحلَ النَّاسُ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣٩/٣٢ ـ ٣٤٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٦٨/٥ ـ ٢٦٩) ، وانظر « تاريخ الأمم والملوك » للطبري (١٠٧/٨) .

فأخذَ فحمةً مِنَ المِجمَرِ فبلَّها بريقِهِ ، وقامَ إلى الحائطِ ، فجعلَ يكتبُ على الحائطِ بريقِهِ حتَّىٰ كتبَ أربعةَ أسطرٍ ، ثمَّ قالَ : اركبْ يا ربيعُ ، فكانَ في نفسي هَمٌّ ؛ لأعلمَ ما كتبَ .

ثمَّ حججْنا فكانَ مِن أمرِ وفاتِهِ ما كانَ ، ثمَّ رجعتُ مِن مكَّةَ ، فبُسِطَ لي في الموضعِ الَّذي بُسِطَ لهُ فيهِ بالقادسيَّةِ ، فدخلتُ وفي نفسي أن أعلمَ ما كتبَهُ على الحائطِ ؛ فإذا هوَ قد كتبَ على الحائطِ : [من مجزوء الكامل]

اَلْمَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيــ ـشَ وَطُولُ عُمْرٍ قَدْ يَضُرُّهْ
تَبْلَىٰ بَشَاشَتُهُ وَيَبْـ ـقَىٰ بَعْدَ حُلْوِ ٱلْعَيْشِ مُرُّهْ
وَتَخُونُهُ ٱلْأَيَّامُ حَتَّـ ـىٰ لَا يَرَىٰ شَيْئاً يَسُرُّهْ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْـ ـتُ وَقَائِلٍ : لِلَّهِ دَرُّهْ

هٰكذا روى الخطيبُ[1]

وأنبأَني غيرُ واحدٍ منهُم أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الظَّاهريُّ ، عن أبي عبدِ اللهِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أخبرَتْنا فرحةُ بنتُ قراطاش بقراءتي عليها قالَتْ : أنا أبو القاسمِ ابنُ السَّمَرْقَنْديّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديّ ، وغيرِهِ ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديّ ، أنا أبو الحسينِ ابنُ النَّقُّورِ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ موسى بنِ القاسمِ المُجبِّرُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ محمَّدِ بنِ بشَّارٍ الأنباريُّ إملاءً ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ المُقدّميُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ التَّميميُّ ، ثنا منصورُ بنُ أبي مزاحمٍ ، ثنا أبو سهلٍ الحاسبُ ، حدَّثَني طيفورٌ قال : [ثنا][2] الرَّبيعُ قالَ : إنَّ المنصورَ خرجَ إلى الحجِّ وخرجْنا معَهُ ، حتَّىٰ إذا انتهىٰ إلى الكُوفةِ نزلَ النَّجَفَ ، فأقامَ أيَّاماً ، ثمَّ أمرَ بالرَّحيلِ ، فتقدَّمَتْ جَنائبُهُ وجندُهُ وبقيَ في القصرِ ، وشاكريَّتُهُ بالبابِ[3]

فقالَ : يا ربيعُ ؛ جِئْني بفحمةٍ مِنَ المَطْبَخِ ، فجئتُهُ بها ، فقامَ إلى الحائطِ يكتبُ ، وقالَ : اخرجْ فكنْ معَ دابَّتي إلىٰ أن أخرجَ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٢٥٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٣٣٨ ـ ٣٣٩) من طريقه .

(٢) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق ، وفي (أ) بياض بمقدار كلمة .

(٣) **شاكريته** : جمع شاكري ؛ وهو المستخدم أو الأجير .

فلمَّا خرجَ فركبَ . . رجعتُ إلى الموضعِ كأنِّي أطلبُ شيئاً ، فوجدتُهُ قد كتبَ على الحائطِ بفحمةٍ : [من مجزوء الكامل]

اَلْـمَـرْءُ يَـهْـوَىٰ أَنْ يَـعِـيـ ـشَ . . . .

الأبياتَ ، غيرَ أنَّهُ ذكرَ في هٰذهِ الرِّوايةِ بدلَ (تَبْلَىٰ) : (تَفْنَىٰ) ، وبدلَ (وَتَخُونُهُ) : (وَتَصَرَّفُ) ، واللهُ أعلمُ [١]

* *

١٠٩ ـ وأنبأَني الطَّواشيُّ افتخارُ الدِّينِ ياقوتُ المسعوديُّ قالَ : أنا أبو بكرٍ الهاشميُّ ـ يعني : محمَّدَ بنَ محمَّدِ بنِ سعيدٍ العبَّاسيَّ المأمونيَّ ـ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ السِّلَفيُّ قراءةً عليهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ الحسينِ الفَرَّاءُ ، أنا عليُّ بنُ صالحٍ الرُّوذْباريُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ البغداديُّ ، أنا أبو عبدِ اللهِ ـ يعني : إبراهيمَ بنَ محمَّدٍ ـ قالَ : قالَ أحمدُ بنُ يحيىٰ : مكثَ النَّابغةُ دهراً لا ينطقُ بالشِّعرِ ، وكانَ حاجباهُ قد سقطا علىٰ عينَيهِ ، فأمرَ بناتِهِ فعصبْنَ لهُ حاجبَيهِ علىٰ جبهتِهِ ، ثمَّ خرجَ على النَّاسِ ، فلمَّا نظرَ إليهِم . . أنشأَ يقولُ [٢] : [من مجزوء الكامل]

اَلْـمَـرْءُ يَـهْـوَىٰ أَنْ يَـعِـيـ ـشَ وَطُـولُ عَـيْـشٍ قَـدْ يَـضُـرُّهْ
تَـفْـنَـىٰ بَـشَـاشَـتُـهُ وَيَـبْـ ـقَـىٰ بَـعْـدَ حُـلْـوِ ٱلْـعَـيْـشِ مُـرُّهْ
وَتَـصَـرَّفُ ٱلْأَيَّـامُ حَـتَّـ ـىٰ مَـا يَـرَىٰ شَـيْـئـاً يَـسُـرُّهْ
كَـمْ شَـامِـتٍ بِـي إِنْ هَـلَـكْـ ـتُ وَقَـائِـلٍ : لِلّٰهِ دَرُّهْ [٣]

١١٠ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنُ أبي الفوارسِ الحافظُ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ العُكْبَريُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ الرَّاجِيانيِّ ، ثنا أبو نصرٍ الفتحُ بنُ شخرف قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ خُبَيقٍ يقولُ : كتبَ حكيمٌ إلىٰ حكيمٍ : (يا أخي ؛ كيفَ أصبحتَ ؟) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٣٤٠ ـ ٣٤١) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٦٧ ـ ٢٦٨) .
(٢) انظر الأبيات في « ديوان النابغة الجعدي » (ص ٩٢ ـ ٩٣) ، وأوردها له القالي في « الأمالي » (٢/٨) ، والمرتضىٰ في « أماليه » (١/١٩١ ـ ١٩٢) ، وابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (٦/٤١ ـ ٤٢) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٥/٢٥٨ ـ ٢٥٩) .
(٣) انظر « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (١/١٥٩ ـ ١٦٠) ، و« جمهرة أشعار العرب » لأبي زيد القرشي (١/١٩٧) وفيهما عن النابغة الذبياني ، و« البصائر والذخائر » للتوحيدي (٨/١٦٥) عن سيدنا النابغة الجعدي رضي الله عنه .

فكتبَ إليهِ [1] : (أصبحتُ وبنا مِن نِعَمِ اللهِ ما لا نُحصيهِ معَ كثرةِ ما نعصيهِ ، فما ندري أيَّها نشكرُ ؛ جميلَ ما ينشرُ ، أم قبيحَ ما يسترُ ؟) [2]

❋ ❋ ❋

١١١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طالبٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ الفقيهُ ، وأبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ محمَّدٍ الخَلَّالُ ، أنا إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ الكاتبُ ، ثنا أحمدُ بنُ الحسنِ المُقرِئُ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ الدَّوْرَقيَّ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ شقيقٍ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : (كانَ ابنُ المُبارَكِ [3] إذا كانَ وقتُ الحجِّ . . اجتمعَ إليهِ إخوانُهُ مِن أهلِ مَرْوَ ، فيقولونَ : نصحبُكَ يا أبا عبدِ الرَّحمـٰنِ ؟ فيقولُ لهُم : هاتوا نفقتَكُم ، فيأخذُها فيجعلُها في صندوقٍ ، ويُقفِلُ عليهِ .

ثمَّ يكتري لهُم ، ويُخرِجُهُم مِن مَرْوَ إلىٰ بغدادَ ، فلا يزالُ يُنفِقُ عليهِم ، ويُطعِمُهُم أطيبَ الطَّعامِ وأطيبَ الحلواءِ .

ثمَّ يُخرِجُهُم مِن بغدادَ بأحسنِ زيٍّ حتَّىٰ يصلوا إلىٰ مدينةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإذا وصلوا إليها . . قالَ لكلِّ رجلٍ منهُم : ما أَمَرَكَ عيالُكَ أن تشتريَ لهُم مِنَ المدينةِ مِن طُرَفِها ؟ فيقولُ : كذا ، فيشتريهِ لهُم .

ثمَّ يُخرجُهُم إلىٰ مكَّةَ ، فإذا وصلوا إليها فقضَوا حجَّهُم . . قالَ لكلِّ واحدٍ منهُم : ما أَمَرَكَ عيالُكَ أن تشتريَ لهُم مِن متاعِ مكَّةَ ؟ فيقولُ : كذا وكذا ، فيشتري لهُم .

ويُخرجُهُم مِن مكَّةَ ، فلا يزالُ يُنفِقُ عليهِم إلىٰ أن يصلوا إلىٰ مَرْوَ ، فإذا كانَ بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ . . صنعَ لهُم وليمةً وكساهُم ، فإذا أكلوا وشربوا . . دعا بالصُّندوقِ ففتحَهُ ، ودفعَ إلىٰ كلِّ رجلٍ منهُم صُرَّتَهُ بعدَ أن كتبَ عليها اسمَهُ) .

قالَ أبي : (وأخبرَني أنَّهُ عملَ آخِرَ سفرةٍ سافرَها دعوةً ، فقدَّمَ إلى النَّاسِ خمسةَ عشرَ [4] خواناً فالوذجَ) .

---

(١) ورد في « الزهد الكبير » ، و« الطيوريات » : أنه ذو النون .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٤٥/١١) ، وابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٩٠) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٤٠٩) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٥٨٥) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٠٦٠) .

(٣) مات عبد الله بن المبارك سنة إحدىٰ وثمانين ومئة . **انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج)** .

(٤) في مصادر التخريج : (خمسة وعشرين) .

قالَ أبي : (وكانَ يُنفِقُ على الفقراءِ في كلِّ سنةٍ مئةَ ألفِ درهمٍ)[1]

*

١١٢ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنِي ابنُ يعقوبَ ـ هوَ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ـ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عليٍّ النَّحْويُّ ، ثنا [أحمدُ بنُ محمَّدٍ][2] بنِ عليِّ بنِ رزينٍ ، ثنا عليُّ بنُ خَشْرَمٍ ، حدَّثَني سلمةُ بنُ سليمانَ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ ، فسألَهُ أن يقضيَ دَيناً عليهِ ، فكتبَ لهُ إلىٰ وكيلٍ لهُ .

فلمَّا وردَ عليهِ الكتابُ . . قالَ لهُ الوكيلُ : كمِ الدَّينُ الَّذي سألتَ عبدَ اللهِ أن يقضيَهُ عنكَ ؟ قالَ : سبعُ مئةِ درهمٍ .

فكتبَ إلىٰ عبدِ اللهِ : (إنَّ هـٰذا الرَّجلَ سألَكَ أن تقضيَ عنهُ سبعَ مئةِ درهمٍ ، وكتبتَ لهُ بسبعةِ آلافِ درهمٍ ، وقد فنيَتِ الغلَّاتُ) .

فكتبَ إليهِ عبدُ اللهِ : (إن كانَتِ الغلَّاتُ قد فنيَتْ . . فإنَّ العمرَ أيضاً قد فنيَ ، فأَجِزْ لهُ ما سبقَ بهِ قلمي لهُ)[3]

١١٣ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني [يحيى بنُ عليٍّ][4] ابنِ الطَّيِّبِ الدَّسْكَريُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الإسماعيليُّ ، أنا أبو الحسينِ الرَّازيُّ عبيدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ ، ثنا محمَّدُ بنُ عليٍّ الهَمَذانيُّ ، ثنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ مُدرِكٍ ، ثنا القاسمُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ .

(ح) وأنبأَني عالياً غيرُ واحدٍ ، عن عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا أبو سعدٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ البغداديُّ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ الوَزْوِينيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ موسى بنِ مردويهِ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٩٥/١١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥٢/٣٢ ـ ٤٥٣) ، وابن الجوزي في « مثير الغرام الساكن » (ص ٨٦ ـ ٨٧) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٣٨٥/٨ ـ ٣٨٦) كلُّهم من طريق الخطيب ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤٧٦/٣) ، و« تهذيب الكمال » (٢١/١٦ ـ ٢٢) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (محمد) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥٢٣/١٤) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٩٦/١١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٤٤٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥٣/٣٢) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٩٥/٤) من طريق الخطيب ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤٧٦/٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣٨٦/٨) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (علي) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣١٤/٢٩ ـ ٣١٥) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (١٣٦ ، ١٤٨) .

الحافظُ ، ثنا محمَّدُ بنُ عليٍّ ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ يزيدَ الهَمَذانيُّ بمكَّةَ قالَ : ثنا عبيدُ بنُ القاسمِ الرَّقِّيُّ قالا ـ واللَّفظُ للقاسمِ ـ : ثنا أشعثُ بنُ شعبةَ المَصِّيصيُّ قالَ : قدمَ هارونُ الرَّشيدُ أميرُ المؤمنينَ الرَّقَّةَ ، فانجفلَ النَّاسُ خلفَ عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ [1] ، وتقطَّعَتِ النِّعالُ ، وارتفعَتِ الغبرةُ ، فأشرفَتْ أُمُّ ولدٍ لأميرِ المؤمنينَ مِن برجٍ مِن قصرِ الخشبِ ، فلمَّا رأَتِ النَّاسَ . . قالَتْ : ما هٰذا ؟

قالوا : عالمٌ مِن أهلِ خُراسانَ قدمَ الرَّقَّةَ ، يُقالُ لهُ : عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ .

فقالَتْ : هٰذا ـ واللهِ ـ المُلْكُ ، لا مُلْكُ هارونَ الَّذي لا يجمعُ النَّاسَ إلَّا بشُرَطٍ وأعوانٍ [2]

* * *

خ ١١٤ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا عليُّ بنُ أحمدَ الرَّزَّازُ ، أنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ يحيى النَّيْسابوريُّ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ ، ثنا أبو أحمدَ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ قالَ : سمعتُ الخليلَ أبا محمَّدٍ قالَ : كانَ ابنُ المُبارَكِ إذا خرجَ إلىٰ مكَّةَ . . يقولُ [3] : [من البسيط]

بُغْضُ ٱلْحَيَاةِ وَخَوْفُ ٱللهِ أَخْرَجَنِي ... وَنَفْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنَا
إِنِّي وَزَنْتُ ٱلَّذِي يَبْقَىٰ لِيَعْدِلَهُ ... مَا لَيْسَ يَبْقَىٰ فَلَا وَٱللهِ مَا ٱتَّزَنَا [4]

* * *

١١٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الطَّيِّبِ عبدُ العزيزِ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ القرشيُّ ، أنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ هارونَ المُقرِئُ ، ثنا محمَّدُ بنُ حمدويهِ المَرْوَزيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ مسعودٍ المَرْوَزيُّ ، ثنا أبو حاتمٍ الرَّازيُّ قالَ : سمعتُ عبدةَ بنَ سليمانَ يقولُ : (كنَّا في سريَّةٍ معَ عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ في بلادِ الرُّومِ ، فصادفْنا العدوَّ .

---

(١) انجفلَ النَّاسُ خلفَهُ : ذهبوا مسرعين نحوه .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٣٩٣) ، وأبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ٢٢) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٤/١٨٨٥ ـ ١٨٨٦) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣/٤٧٥) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (١/٦٥٩) ، و« وفيات الأعيان » (٣/٣٣) .

(٣) هي له ، انظر « ديوانه » (ص ٦٦) ، و« وفيات الأعيان » (٣/٣٣ ـ ٣٤) ، وفيهما : (وبيع نفسي) بدلاً من : (ونفع نفسي) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٠٥ ـ ٤٠٦) ، وانظر « إنباه الرواة » للقفطي (١/٣٤٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/٣٩٤) .

فلمَّا التقى الصَّفَّانِ . . خرجَ رجلٌ مِنَ العدوِّ فدعا إلى البِرازِ ، فخرجَ رجلٌ إليهِ ، فطارَدَهُ ساعةً ، فطعنَهُ فقتلَهُ ، ثمَّ آخَرُ فقتلَهُ ، ثمَّ آخَرُ فقتلَهُ ، ثمَّ دعا إلى البِرازِ ، فخرجَ إليهِ رجلٌ ، فطارَدَهُ ساعةً ، فطعنَهُ فقتلَهُ .

ثمَّ ازدحمَ إليهِ النَّاسُ فكنتُ فيمَنِ ازدحمَ إليهِ ، فإذا هوَ يُلثِّمُ وجهَهُ بكمِّهِ ، فأخذتُ بطرفِ كمِّهِ فجبذتُهُ ؛ فإذا هوَ عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ)[1]

١١٦ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني ابنُ يعقوبَ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ ، أنا أبو العبَّاسِ قاسمُ بنُ قاسمٍ السَّيَّاريُّ ، ثنا عيسى بنُ محمَّدِ بنِ عيسىٰ ، ثنا العبَّاسُ بنُ مصعبٍ قالَ : حدَّثَني بعضُ أصحابِنا قالَ : سمعتُ أبا وهبٍ يقولُ : (مرَّ ابنُ المُبارَكِ برجلٍ أعمىٰ ، فقالَ : أسأَلُكَ أن تدعوَ ليَ اللهَ أن يَرُدَّ عليَّ بصري ، قالَ : فدعا اللهَ ، فَرَدَّ عليهِ بصرَهُ وأنا أنظرُ !!)[2]

حكاية

[سيِّدُ القومِ خادمُهُم]

خ ١١٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عمرَ الحسنُ بنُ عثمانَ الواعظُ ، أنا جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحكمِ الواسِطيُّ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ الحسنِ الكِسائيُّ ، ثنا سليمانُ ابنُ الفضلِ النَّهْروانيُّ ، حدَّثَني يحيى بنُ أكثمَ قالَ : بتُّ ليلةً عندَ المأمونِ[3] ، فعطشْتُ في جوفِ اللَّيلِ ، فقمتُ لأشربَ ماءً ، فرآني المأمونُ ، فقالَ : ما لَكَ يا يحيىٰ ؟

قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أنا ـ واللهِ ـ عطشانُ ، قالَ : ارجعْ إلىٰ موضعِكَ ، فقامَ ـ واللهِ ـ إلى البرَّادةِ[4] ، فجاءَني بكُوزِ ماءٍ ، وقامَ علىٰ رأسي فقالَ : اشربْ يا يحيىٰ ، فقلتُ : يا أميرَ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٠٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٤٤٨) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/٩٦) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « لباب الآداب » لابن منقذ (ص ٢٢٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣/٤٧٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٠٦ ـ ٤٠٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٤٣٤ ـ ٤٣٥) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/٩٦) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣/٤٧٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/٣٩٥) .

(٣) توفِّي المأمون سنة ثمان عشرة ومئتين ، وله سبع وأربعون ـ وقيل : ثمان وأربعون ـ سنة ، كانت خلافته عشرين سنة ونحو أربعة أشهر ، رحمه الله تعالى . **انتهىٰ من هامش** (أ ، ب ، ج) .

(٤) **البرَّادة** : إناء يُبرَّد فيه الماء .

المؤمنينَ ؛ فهلَّا وَصِيفٌ أو وَصِيفةٌ ؟ فقالَ : إِنَّهُم نيامٌ ، قلتُ : كنتُ أنا أقومُ للشُّربِ ، فقالَ لي : لؤمٌ بالرَّجلُ أن يستخدمَ ضيفَهُ .

ثمَّ قالَ : يا يحيىٰ ، فقلتُ : لبَّيكَ يا أميرَ المؤمنينَ ، قالَ : ألا أُحدِّثُكَ ؟ قلتُ : بلىٰ يا أميرَ المؤمنينَ ، قالَ : حدَّثَني الرَّشيدُ قالَ : حدَّثَني المهديُّ قالَ : حدَّثَني المنصورُ ، عن أبيهِ ، عن عكرمةَ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : حدَّثَني جريرُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « سَيِّدُ ٱلْقَوْمِ خَادِمُهُمْ »(١)

* * *

١١٨ ـ وبهِ قالَ : أنا الجَوْهَريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ، ثنا الصُّوليُّ ، ثنا عونُ بنُ محمَّدٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ البوَّابِ قالَ : كانَ المأمونُ يَحْلُمُ حتَّىٰ يُغيظَنا في بعضِ الأوقاتِ !!

جلسَ ببستانٍ علىٰ دِجلةَ مِن بغدادَ ، مِن وراءِ سترةٍ ، ونحنُ قيامٌ بينَ يدَيهِ ، فمرَّ ملَّاحٌ وهوَ يقولُ بأعلىٰ صوتِهِ : أتظنُّونَ أنَّ هٰذا المأمونَ يَنبُلُ في عيني وقد قتلَ أخاهُ ؟

قالَ : فواللهِ ؛ ما زادَ علىٰ أن تبسَّمَ ، وقالَ لنا : ما الحيلةُ حتَّىٰ أنبلَ في عينِ هٰذا الرَّجلِ الجليلِ ؟!(٢)

* * *

١١٩ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنيَ الحسنُ بنُ محمَّدٍ الخَلَّالُ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدٍ المَوْصِليُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمودٍ المَرْوَزيُّ قالَ : سمعتُ يحيى بنَ أكثمَ القاضيَ يقولُ : ما رأيتُ أكملَ آلةً مِنَ المأمونِ ، وجعلَ يُحدِّثُ بأشياءَ استحسنَها مَن كانَ في مجلسِهِ .

ثمَّ قالَ : كنتُ عندَهُ ـ يعني : ليلةً ـ أُذاكِرُهُ وأُحدِّثُهُ ، ثمَّ نامَ وانتبهَ فقالَ : يا يحيى ؛ انظرْ أيشٍ عندَ رِجلي ، فنظرتُ فلم أرَ شيئاً ، فقالَ : شمعةً ، فتبادرَ الفرَّاشونَ ، فقالَ : انظروا ، فنظروا فإذا تحتَ فراشِهِ حيَّةٌ بطولِهِ ، فقتلوها .

فقلتُ : قدِ انضافَ إلىٰ كمالِ أميرِ المؤمنينَ عِلْمُ الغيبِ ؟ فقالَ : معاذَ اللهِ ، ولٰكنْ هتفَ بي هاتفٌ السَّاعةَ وأنا نائمٌ ، فقالَ : [من مجزوء الكامل]

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٣٦/١١) ، والسلمي في « آداب الصحبة » (١١٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧٧/٦ ـ ٧٨) من طريق الخطيب ، والرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٥٧/٤) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٣٨/١١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٢/٣٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧٨/٦ ـ ٧٩) كلاهما من طريق الخطيب .

يَـا رَاقِـدَ ٱلـلَّـيْـلِ ٱنْـتَـبِـهْ إِنَّ ٱلْـخُـطُـوبَ لَـهَـا سُـرَىٰ
ثِـقَـةُ ٱلْـفَـتَـىٰ بِـزَمَـانِـهِ ثِـقَـةٌ مُـحَـلَّـلَـةُ ٱلْـعُـرَىٰ

قالَ : فانتبهتُ فعلمتُ أن قد حدثَ أمرٌ ؛ إمَّا قريبٌ ، وإمَّا بعيدٌ ، فتأمَّلتُ ما قَرُبَ فكانَ ما رأيتَ [1]

حكاية

[في حِلْمِ المأمونِ علىٰ خدَّامِهِ]

خ ١٢٠ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ عليٍّ المُقرِئُ ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ النَّيْسابوريُّ الحافظُ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ داوودَ بنِ سليمانَ الزَّاهدَ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ الرَّحمٰنِ السَّاميَّ يقولُ : سمعتُ أبا الصَّلتِ عبدَ السَّلامِ بنَ صالحٍ يقولُ : حبسَني الخليفةُ المأمونُ ليلةً ، فكنَّا نتحدَّثُ حتَّىٰ ذهبَ مِنَ اللَّيلِ ما ذهبَ ، وطُفِئَ السِّراجُ ، وقامَ القيِّمُ الَّذي كانَ يُصلِحُ السِّراجَ ، فدعاهُ فلم يُجِبْهُ ، وكانَ نائماً ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أُصلِحُهُ ؟ فقالَ : لا ، فأصلحَهُ هوَ .

ثمَّ انتبهَ الخادمُ فظنَنَّا أنَّهُ يُعاقِبُهُ ؛ لأنَّهُ كانَ يُناديهِ وهوَ نائمٌ فلم يُجِبْهُ ، قالَ : فتعجَّبتُ أنا ، فسمعتُهُ يقولُ : ربَّما أكونُ وأنا في المُتوضَّأ فيشتموني ـ وأظنُّهُ قالَ : ويفترونَ عليَّ ـ ولا يدرونَ أنِّي أسمعُ ، فأعفو عنهُم [2]

نكتة

[فيمَن حفظَ القرآنَ مِنَ الخلفاءِ]

خ ١٢١ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنيَ الخَلَّالُ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ يعقوبَ المُقرِئُ ، أنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الوكيلُ ، ثنا القاسمُ بنُ محمَّدِ بنِ عبَّادٍ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : (لم يحفظِ القرآنَ أحدٌ مِنَ الخلفاءِ إلَّا عثمانُ بنُ عفَّانَ [رضيَ اللهُ عنهُ] والمأمونُ) [3]

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٣٧ ـ ٤٣٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/٢٩٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٧٢) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « التدوين في أخبار قزوين » للرافعي (٤/٤ ـ ٥) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٣٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/٣١٢) من طريقه .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/٢٨٨) ،

نُكتة

[في سببِ بُحوحةِ صوتِ المأمونِ]

١٢٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الفرجِ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ عثمانَ ، أنا جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ نُصَيرٍ الخُلْديُّ ، ثنا أحمدُ ابنُ مسروقٍ ، ثنا الحسنُ بنُ أبي سعيدٍ ، أنا ذو الرِّياستَينِ في شوَّالٍ سنةَ ثنتَينِ ومئتَينِ : (أنَّ المأمونَ ختمَ في شهرِ رمضانَ ثلاثاً وثلاثينَ ختمةً ، أما سمعتُم في صوتِهِ بُحوحةً ؛ أنَّ محمَّدَ بنَ أبي محمَّدٍ اليزيديَّ في أُذنِهِ صممٌ ، فكانَ يرفعُ صوتَهُ ليسمعَ ، وكانَ يأخذُ عليهِ)[١]

حكاية

[في موعظةِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ زيادٍ الإفريقيِّ للمنصورِ]

١٢٣ ـ وبهِ قالَ : أنا الأزهريُّ ، أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عرفةَ ، أخبرَني أبو العبَّاسِ المنصوريُّ ، أنا محمَّدُ بنُ يوسفَ ، أنا محمَّدُ بنُ يزيدَ ، عنِ ابنِ إدريسَ ، عن عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ زيادِ بنِ أنعُمٍ الإفريقيِّ[٢] قالَ : أرسلَ إليَّ أبو جعفرٍ ، فقدمتُ عليهِ ، فدخلتُ والرَّبيعُ قائمٌ علىٰ رأسِهِ ، فاستدناني ثمَّ قالَ لي : يا عبدَ الرَّحمٰنِ ؛ كيفَ ما مررتَ بهِ مِن أعمالِنا إلىٰ أن وصلتَ إلينا ؟

قالَ : قلتُ : رأيتُ يا أميرَ المؤمنينَ أعمالاً سيِّئةً ، وظلماً فاشياً ، ظننتُهُ لبُعدِ البلادِ منكَ ، فجعلتُ كلَّما دنوتُ منكَ . . كانَ أعظمَ للأمرِ .

قالَ : فنكَّسَ رأسَهُ طويلاً ، ثمَّ رفعَهُ إليَّ فقالَ : كيفَ لي بالرِّجالِ ؟

قلتُ : أَفَليسَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ كانَ يقولُ : (إنَّ الواليَ بمنزلةِ السُّوقِ يُجلَبُ إليها

وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٦٨) كلاهما من طريق الخطيب ، وقال الجلال السيوطي في « تاريخ الخلفاء » (ص ٩٥) بعد أن أورد الخبر : (قلت : وهٰذا الحصر ممنوع ، بل حفظه أيضاً الصِّدِّيق رضي الله عنه على الصَّحيح ، وصرَّح به جماعة منهم النَّوويُّ في « تهذيبه » [٢/٤٠٨] ، وعليٌّ رضي الله عنه ورد من طريق أنَّه حفظه كلَّه بعد موت النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم) .

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/٢٨٨) من طريقه ، وانظر طرفاً منه في « المنتظم » (٦/٦٨) ، و« التدوين في أخبار قزوين » للرافعي (٤/٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/٢٧٥) .

(٢) توفِّي عبد الرَّحمٰن بن زياد بن أنعُم سنة ستٍّ وخمسين ومئة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

ما يُنفَقُ فيها ؛ فإن كانَ بَرّاً . . أتوهُ ببِرِّهِم ، وإن كانَ فاجراً . . أتوهُ بفجورِهِم) ؟

قالَ : فأطرقَ طويلاً ، فقالَ ليَ الرَّبيعُ وأومأَ إليَّ أنِ اخرجْ ، فخرجتُ وما عدتُ إليهِ [1]

حكاية

[المُثني على القاضي هوَ القاضي]

١٢٤ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني الأزهريُّ ، أنا [عبيدُ اللهِ] [2] بنُ عثمانَ بنِ يحيىٰ ، أنا [أبو الفرجِ] [3] عليُّ بنُ الحسينِ الأصبهانيُّ ، أخبرَني جعفرُ بنُ قدامةَ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ يزيدَ الضَّريرُ ، حدَّثَني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ مسهرٍ قالَ : ولَّاني أبو يوسفَ القاضي القضاءَ بجَبُّلَ [4] ، وبلغَني أنَّ الرَّشيدَ ينحدرُ إلى البصرةِ ، فسألتُ أهلَ جَبُّلَ أن يُثنوا عليَّ ، فوعدوني أن يفعلوا ذٰلكَ إذا انحدرَ .

فلمَّا قَرُبَ منَّا . . سألتُهُمُ الحضورَ ، فلم يفعلوا وتفرَّقوا ، فلمَّا آيَسوني مِن أنفسِهِم . . سرَّحتُ لحيتي ، وخرجتُ فوقفتُ لهُ ، فوافىٰ وأبو يوسفَ معَهُ في الحَرَّاقةِ [5] ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ نِعْمَ القاضي قاضي جَبُّلَ ؛ قد عدلَ فينا وفعلَ وصنعَ ، وجعلتُ أُثني علىٰ نفسي .

ورآني أبو يوسفَ فطأطأَ رأسَهُ وضحكَ ، فقالَ لهُ هارونُ : ممَّ ضحكتَ ؟ قالَ : إنَّ المُثنِيَ على القاضي هوَ القاضي ، فضحكَ هارونُ حتَّىٰ فَحَصَ برِجلَيهِ [6] ، وقالَ : هٰذا شيخٌ سخيفٌ سَفِلةٌ ، فاعزلْهُ ، فعزلَني .

فلمَّا رجعَ . . جعلتُ أختلفُ إليهِ ، وأسألُهُ أن يُولِّيَني قضاءَ ناحيةٍ أُخرىٰ فلم يفعلْ ،

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٧٦ ـ ٤٧٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/٣٥٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٤١) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (١٧/١٠٨ ـ ١٠٩) كلُّهم من طريق الخطيب ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٩/٤٧٨) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/٢٠٠) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (١٠٨) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو الفتح) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٦/١٤٣) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (١٦٥) .

(٤) **جَبُّل** : بليدة بين النُّعمانية وواسِط في الجانب الشَّرقيِّ من بغداد . « معجم البلدان » (٢/١٠٣) .

(٥) **الحَرَّاقة** : ضرب من السُّفن ، فيها مرامي نيرانٍ يُرمىٰ بها العدوُّ في البحر .

(٦) **فَحَصَ برجلَيهِ** : ضرب بهما الأرض من شدَّة الضَّحك .

فحدَّثتُ النَّاسَ عن مجالدٍ ، عنِ الشَّعْبيِّ : أنَّ كُنيةَ الدَّجَّالِ أبو يوسفَ .

وبلغَهُ ذٰلكَ فقالَ : هـٰذهِ بتلكَ فحسبُكَ ، وصِرْ إليَّ حتَّىٰ أُولِّيَكَ ناحيةً أُخرىٰ ، ففعلَ وأمسكتُ عنهُ (١) .

حكاية

[في الحَمْدِ قبلَ الشَّكوىٰ]

١٢٥ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني أبو الفضلِ عبدُ الصَّمدِ بنُ محمَّدٍ الخطيبُ ، ثنا الحسنُ بنُ الحسينِ الفقيهُ الهَمَذانيُّ ، حدَّثَني أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عثمانَ بنِ عبدويهِ المعروفُ بابنِ أبي عمرٍو البَزَّازُ ، ثنا أبي قالَ : سمعتُ عبدَ الرَّحمـٰنِ الطَّبيبَ ـ وهوَ طبيبُ أحمدَ ابنِ حنبلٍ وبشرٍ الحافي ـ قالَ : اعتلَّا جميعاً في مكانٍ واحدٍ ، فكنتُ أدخلُ إلىٰ بشرٍ ، وأقولُ لهُ : كيفَ تجدُكَ يا أبا نصرٍ ؟ قالَ : فيحمدُ اللهَ ، ثمَّ يُخبِرُني فيقولُ : أحمدُ اللهَ إليكَ ، أجدُ كذا وكذا .

وأدخلُ إلىٰ أبي عبدِ اللهِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، فأقولُ : كيفَ تجدُكَ يا أبا عبدِ اللهِ ؟ فيقولُ : بخيرٍ .

فقلتُ لهُ يوماً : إنَّ أخاكَ بشراً عليلٌ ، وأسألُهُ عن خبرِهِ فيبدأُ بحمدِ اللهِ ، ثمَّ يُخبِرُني ، فقالَ لي : سَلْهُ عمَّن أخذَ هـٰذا ؟ فقلتُ لهُ : إنِّي أهابُ أن أسألَهُ ، قالَ : قلْ لهُ : قالَ لكَ أخوكَ أبو عبدِ اللهِ : عمَّن أخذتَ هـٰذا ؟ قالَ : فدخلتُ عليهِ فعرَّفتُهُ ما قالَ .

فقالَ لي : أبو عبدِ اللهِ لا يُريدُ الشَّيءَ إلَّا بإسنادٍ : [أزهرُ] (٢) ، عن ابنِ عونٍ ، عن ابنِ سيرينَ : (إذا حَمِدَ اللهَ العبدُ قبلَ الشَّكوىٰ . . لم تكنْ شكوىٰ) ، وإنَّما أقولُ لكَ : أجدُ كذا ؛ أُعرِّفُ قدرةَ اللهِ فيَّ .

قالَ : فخرجتُ مِن عندِهِ ، فمضيتُ إلىٰ أبي عبدِ اللهِ ، فعرَّفتُهُ ما قالَ ، وكنتُ بعدَ ذٰلكَ إذا دخلتُ إليهِ . . يقولُ : أحمدُ اللهَ إليكَ ، ثمَّ يذكرُ ما يجدُ (٣) .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٥١١) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٥٧ ـ ٥٨) من طريقه ، وانظر « المجموع اللفيف » للأفطسي (ص١٩٨ ـ ١٩٩) ، و« ميزان الاعتدال » للذهبي (٢/٥٩٠ ـ ٥٩١) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٥٦٧ ـ ٥٦٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/١٣٤) من طريقه ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٢/٨٠ ـ ٨١) .

حكاية

[بِحُبِّكَ ليَ ؛ اغفرْ لي]

١٢٦ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الصَّابونيُّ إملاءً ، ثنا عمرُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ سلمٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ يونسَ ، ثنا رافعُ بنُ دحيةَ ، حدَّثَني عبيدُ اللهِ بنُ الحسنِ قاضي البصرةِ قالَ : كانَتْ عندي جاريةٌ عجميَّةٌ وضيئةٌ ، وكنتُ بها مُعجَباً ، وكانَتْ ذاتَ ليلةٍ نائمةً إلىٰ جنبي ، فانتبهتُ فلم أجدْها ، فقلتُ : شرٌّ .

فلمَّا وجدتُها . . وجدتُها ساجدةً وهيَ تقولُ : بِحُبِّكَ ليَ ؛ اغفرْ لي .

قلتُ لها : لا تقولي هٰكذا ، قولي : بِحُبِّي لكَ ؛ اغفرْ لي .

فقالَتْ : يا بطَّالُ ؛ حُبُّهُ لي أخرجَني مِنَ الشِّركِ إلى الإسلامِ ، وبِحُبِّهِ لي أيقظَ عيني وأنامَ عينَكَ .

قلتُ : اذهبي فأنتِ حُرَّةٌ لوجهِ اللهِ تعالىٰ .

قالَتْ : يا مولايَ ؛ أسأتَ إليَّ ؛ كانَ لي أجرانِ صارَ لي أجرٌ واحدٌ (١)

نكتة

[في جوابِ ابنِ عائشةَ المُسكِتِ]

١٢٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ السِّمَنانيُّ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المُقرِئُ ، ثنا أبو بكرٍ الصُّوليُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ زكريَّا قالَ : حضرتُ مجلساً فيهِ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ عائشةَ التَّيميُّ (٢) ، وفيهِ جعفرُ بنُ القاسمِ بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ الهاشميُّ ، فقالَ لابنِ عائشةَ : ها هنا آيةٌ نزلَتْ في بني هاشمٍ خصوصاً ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَ : قولُهُ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾ (٣)

فقالَ لهُ ابنُ عائشةَ : قومُهُ قريشُ وهيَ لنا معَكُم ، قالَ : بل هيَ لنا خصوصاً .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/١٢) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١١٨٩) ، وانظر « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٢٨/٤) .

(٢) توفِّي ابن عائشة سنة ثمان وعشرين ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) سورة الزخرف : (٤٤) .

قالَ : فخُذْ معَها : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾[1] ، قالَ : فسكتَ لهُ جعفرٌ فلم يُحِرْ جواباً[2]

* *

١٢٨ ـ وبهِ قالَ : أنا الأزهريُّ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عمرَ الخَلَّالُ ، ثنا [أبو بكرِ ابنُ شيبةَ][3] قالَ : قالَ جدّي : (أنفقَ ابنُ عائشةَ علىٰ إخوانِهِ أربعَ مئةِ ألفِ دينارٍ في اللهِ ، حتَّى التجأَ أن باعَ سقفَ بيتِهِ !!)[4]

* * *

١٢٩ ـ وبهِ أنا الحسينُ أخو الخَلَّالِ ، أنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ الشَّطِّيُّ ، ثنا أبو عليٍّ شعبةُ ، ثنا الحسنُ بنُ أبي الحسنِ النَّجيرميُّ ، ثنا الحسنُ بنُ كثيرٍ قالَ : قدمَ رجلٌ إلى البصرةِ ، فسألَ عن أجودِ أهلِ البصرةِ ، فقيلَ لهُ : ابنُ عائشةَ ، قالَ : فسألَ عنهُ فقيلَ : إنَّ عليهِ دَيناً وقد حُبِسَ في دارِهِ .

قالَ : فجاءَ إلىٰ حاجبِهِ ومعَهُ رقعةٌ ، فقالَ : أَوصِلْ هٰذهِ الرُّقعةَ إلىٰ أبي عبدِ الرَّحمٰنِ ، فأخذَها فأوصلَها إليهِ ؛ فإذا فيها مكتوبٌ : [من الوافر]

إِذَا كَانَ ٱلْجَوَادُ لَهُ حِجَابٌ ... فَمَا فَضْلُ ٱلْجَوَادِ عَلَى ٱلْبَخِيلِ

قالَ : فقرأَها ابنُ عائشةَ ، وكتبَ تحتَها : [من الوافر]

إِذَا كَانَ ٱلْجَوَادُ عَدِيمَ مَالٍ ... وَلَمْ يُعْذَرْ تَعَلَّلَ بِٱلْحِجَابِ[5]

نُكْتَةٌ

[في كمالِ حِلْمِ عبدِ اللهِ بنِ حسنٍ]

١٣٠ ـ وبهِ قالَ : ثنا الحسنُ بنُ أبي طالبٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ همامٍ

---

(١) سورة الأنعام : (٦٦) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢١/١٢) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (١٥١/١٩) من طريقه ، وانظر « الأذكياء » لابن الجوزي (ص ١١٩ ـ ١٢٠) .

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج ، وفي (أ) بياض .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٠/١٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣٦٩/٦) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (١٥١/١٩) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧٣/١٦) ، و« الوافي بالوفيات » (٤٠٨/١٩) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٠/١٢) ، وانظر « العقد الفريد » (٧٤/١) عن أبي دلف ، و« المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص١٦٣) عن عبد الله بن طاهر ، و« الوافي بالوفيات » (٤٠٨/١٩) .

أبو المُفضَّلِ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ الحسينِ بنِ إبراهيمَ العلويُّ النَّصِيبيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عيسى بنِ زيدِ بنِ عليٍّ العلويُّ ، حدَّثَني أبي قالَ : سمعتُ عمِّيَ الحسينَ بنَ زيدٍ يقولُ : سبَّ رجلٌ عبدَ اللهِ بنَ حسنِ بنِ حسنٍ ، فأعرضَ عنهُ عبدُ اللهِ ، فقيلَ لهُ : لِمَ لا تُجيبُهُ ؟ قالَ : لم أعرفْ مساوئَهُ ، وكرهتُ بَهْتَهُ بما ليسَ فيهِ [١]

نُكْتَةٌ

[في أوَّلِ مَن سُمِّيَ عبدَ الملكِ وأحمدَ في الإسلامِ]

خ ١٣١ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ على الجَوْهَرِيِّ ، عن أبي عبيدِ اللهِ المَرْزُبانيِّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا أحمدُ بنُ أبي خيثمةَ قالَ : سمعتُ مصعبَ بنَ عبدِ اللهِ الزُّبيريَّ يقولُ : (أوَّلُ مَن سُمِّيَ في الإسلامِ عبدَ الملكِ : عبدُ الملكِ بنُ مروانَ) [٢]

قالَ أبو بكرِ بنُ أبي خيثمةَ [٣] : (وأوَّلُ مَن سُمِّيَ في الإسلامِ أحمدَ : أبو الخليلِ بنِ أحمدَ العَرُوضيِّ) [٤]

*

١٣٢ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَنيَ الأزهريُّ لفظاً ، أنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ، ثنا محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ أبي العتاهيةِ قالَ : لمَّا بلغَ أبي موتُ الأصمعيِّ . . جزعَ عليهِ [٥] ، ورثاهُ فقالَ : [من الطويل]

لَهَفِي لِفَقْدِ ٱلْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ مَضَىٰ ... حَمِيداً لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
تَقَضَّتْ بَشَاشَاتُ ٱلْمَجَالِسِ بَعْدَهُ ... وَوَدَّعَنَا إِذْ وُدِّعَ ٱلْأُنْسُ وَٱلْعِلْمُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢/٦٥ ـ ٦٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧/٣٧٨) من طريقه .

(٢) أخرج هٰذا القولَ ابنُ أبي شيبة في « المصنف » (٣٧١٩٣) ، وإبراهيمُ البيهقيُّ في « المحاسن والمساوئ » (ص ٣٦٦) ، وانظر « المعارف » لابن قتيبة (ص ٥٥٦) ، و« تهذيب الكمال » (١٨/٤٠٩) .

(٣) انظر هٰذا القولَ في « الأوائل » لأبي هلال العسكري (٢/١٤١) ، و« معجم الأدباء » (٣/١٢٦٠) ط . دار الغرب الإسلامي ، و« نور القبس » لليغموري (ص ٥٦) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١/٤٦٩) ، و« تهذيب الكمال » (٨/٣٢٧) .

(٤) أخرج القولين الخطيبُ البغداديُّ في « تاريخ بغداد » (١٢/١٢٨) ، وانظرهما في « ربيع الأبرار » (٣/٤٥) .

(٥) الخبر يصحُّ علىٰ قول مَن قال : إنَّ الأصمعيَّ توفِّي سنة (٢١٠ هـ) خلافاً للمشهور ، وأبا العتاهية توفِّي سنة (٢١١ هـ) ، وهو ما رجَّحه ابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٢١٣ ـ ٢١٤) .

وَقَدْ كَانَ نَجْمَ ٱلْعِلْمِ فِينَا حَيَاتَهُ   فَلَمَّا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَفَلَ ٱلنَّجْمُ[1]

نُكْتَةٌ

[رأيتُ كأنّي ولدتُ هدهداً]

خ ١٣٣ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ في كتابِ أبي الفتحِ عبيدِ اللهِ بنِ أحمدَ النَّحْويّ بخطّهِ ، حدَّثَنا القاضي أبو بكرِ بنُ كاملٍ قالَ : حُكِيَ أنَّ أُمَّ أبي قِلابةَ قالَتْ : لمَّا حملتُ بأبي قِلابةَ . . رأيتُ كأنّي ولدتُ هدهداً ، فقيلَ لها : إن صدقَتْ رؤياكِ . . ولدتِ ولداً يُكثِرُ الصَّلاةَ .

قالَ ابنُ كاملٍ : أخبرَني بذٰلكَ أبو خازمٍ القاضي ، وحكىٰ أنَّهُ كانَ يُصلِّي في اليومِ واللَّيلةِ أربعَ مئةِ ركعةٍ !![2]

* * *

١٣٤ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَنا أبو طالبٍ يحيى بنُ عليّ بنِ الطَّيِّبِ الدَّسْكَريُّ لفظاً قالَ : سمعتُ أبا محمَّدٍ الحسنَ بنَ أحمدَ بنِ سعيدٍ البُخاريَّ يقولُ : سمعتُ الفضلَ بنَ العبَّاسِ الهَرَويَّ يقولُ : سمعتُ عاصماً المَرْوَزيَّ يقولُ : سمعتُ عمرَو بنَ عليّ يقولُ : (كانَتْ غَلَّةُ عبدِ الوهَّابِ بنِ عبدِ المجيدِ في كلِّ سنةٍ [ما بينَ أربعينَ][3] ألفاً إلىٰ خمسينَ ألفاً ، وكانَ إذا أتَتْ عليهِ السَّنةُ . . لم يُبقِ شيئاً ؛ كانَ يُنفِقُها علىٰ أصحابِ الحديثِ)[4]

حِكَايَةٌ

[في هيبةِ أبي خازمٍ في الحكمِ]

١٣٥ ـ وبهِ قالَ : قالَ أبو الحسينِ ـ يعني : عبدَ الواحدِ بنَ محمَّدٍ الخَصِيبيَّ ـ : وبلغَ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦٨/١٢ ـ ١٦٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٩/٣٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢١٣/٦ ـ ٢١٤) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « تاريخ العلماء النحويين » للمفضل التنوخي (ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤) ، و« نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص ١١٢) ، و« الوافي بالوفيات » (١٩٢/١٩) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٧٩/١٢) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٤٠٣/١٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧٨/١٣ ـ ١٧٩) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (مئتين وأربعين) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٧٤/١٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٦/٦) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٥٠٧/١٨) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٢٣٩/٩) كلُّهم من طريق الخطيب ، وانظر « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (٧١٤/١) .

مِن شدَّتِهِ في الحكمِ ـ يعني : أبا خازمٍ عبدَ الحميدِ بنَ عبدِ العزيزِ القاضيَ [1] ـ : أنَّ المُعتضِدَ وجَّهَ إليهِ بطريفٍ المَخْلديِّ ، فقالَ لهُ : قلْ لأبي خازمٍ : إنَّ لي على الضَّبعيِّ مالاً ، وقد بلغَني أنَّ غرماءَهُ أُثبِتوا عندَكَ ، وقد قسَّطتَ مِن مالِهِ ، فاجعلْنا كأحدِهِم .

فقالَ لهُ أبو خازمٍ : قلْ لهُ : أميرُ المؤمنينَ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ـ قالَ لي وقتَ قلَّدَني : إنَّهُ أخرجَ الأمرَ مِن عنقِهِ وجعلَهُ في عنقي ، ولا يجوزُ لي أن أحكمَ في مالِ رجلٍ لمُدَّعٍ إلَّا ببيِّنةٍ .

فرجعَ إليهِ طريفٌ فأخبرَهُ ، فقالَ : قلْ لهُ : فلانٌ وفلانٌ يشهدانِ ـ يعني : رجلَينِ جليلَينِ ـ ، فقالَ : يشهدانِ عندي وأسألُ عنهُما ؛ فإن زُكِّيا . . قبلتُ شهادتَهُما ، وإلَّا أمضيتُ ما قد ثبتَ عندي .

فامتنعَ أولئكَ مِنَ الشَّهادةِ فزعاً ، ولم يدفعْ إلى المُعتضِدِ شيئاً [2]

حكاية

[أبي خازمٍ معَ وقوفِ الحسنِ بنِ سهلٍ]

خ ١٣٦ ـ وبهِ قالَ : أنا التَّنُوخيُّ .

(ح) وأنبأَني ابنُ وَرِيدةَ ، عن أبي أحمدَ الأمينيِّ ، وأبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ التَّنُوخيِّ قالَ : أخبرَني أبي قالَ : حدَّثَني أبو الحسينِ عليُّ بنُ هشامِ بنِ عبدِ اللهِ الكاتبُ المعروفُ أبوهُ بأبي قيراطٍ قالَ : حدَّثَني أبي قالَ : حدَّثَني وكيعٌ القاضي قالَ : كنتُ أتقلَّدُ لأبي خازمٍ وقوفاً في أيَّامِ المُعتضِدِ ، منها وقوفُ الحسنِ بنِ سهلٍ ، فلمَّا استكثرَ المُعتضِدُ مِن عمارةِ القصرِ الحسنيِّ [3] . . أدخلَ إليهِ بعضَ وقوفِ الحسنِ بنِ سهلٍ الَّتي كانَتْ في يدي ، وبلغَتِ السَّنةُ آخِرَها ، وقد جبيتُ مالَها إلَّا ما أخذَهُ المُعتضِدُ .

---

(١) توفِّي القاضي أبو خازم هٰذا في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومئتين ، ولي القضاء بالشَّام والكُوفة والكَرْخ من بغداد ، وكان تقيّاً ، ورعاً ، عالماً ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢/٣٣٩ ـ ٣٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/٨٠ ـ ٨١) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٣٦٤ ـ ٣٦٥) كلاهما من طريق الخطيب .

(٣) القصر الحسني : قصر بناه الوزير جعفر البَرْمَكيُّ في الجانب الشَّرقيِّ من بغداد ، وكان يسمَّى : القصر الجعفريَّ ، وعندما استوهبه الحسن بن سهل من المأمون وحسَّنه ووسَّعه . . سمِّي : القصر الحسنيَّ .

فجئتُ إلىٰ أبي خازمٍ فعرَّفتُهُ اجتماعَ مالِ السَّنةِ ، واستأذنتُهُ في قسمتِهِ في سُبُلِهِ ، فقالَ لي : هل جبيتَ ما علىٰ أميرِ المؤمنينَ ؟ فقلتُ : ومَن يجسرُ علىٰ مطالبةِ الخليفةِ ؟

فقالَ : واللهِ ؛ لا قسمتَ الارتفاعَ أو تأخذَ ما عليهِ[1] ، وواللهِ ؛ لئن لم يُزِحِ العلَّةَ . . لا وَلِيتُ لهُ عملاً ، ثمَّ قالَ : امضِ إليهِ السَّاعةَ وطالبْهُ .

فقلتُ : مَن يوصلُني إليهِ ؟ قالَ : امضِ إلىٰ صافي الحرميِّ ، وقلْ : إنَّكَ رسولٌ أنفذتُكَ في مُهِمٍّ ، فإذا وصلتَ . . فعرِّفْهُ ما قلتُ لكَ ، فجئتُ فقلتُ لصافي ذٰلكَ ، فأوصلَني وكانَ آخرَ النَّهارِ .

فلمَّا مَثُلتُ بينَ يدَيِ الخليفةِ . . ظنَّ أنَّ أمراً عظيماً قد حدثَ ، فقالَ : هِيْ قلْ ، فقلتُ لهُ : إنِّي أَلِي لعبدِ الحميدِ قاضي أميرِ المؤمنينَ وقوفَ الحسنِ بنِ سهلٍ ، وفيها ما قد أدخلَهُ أميرُ المؤمنينَ إلىٰ قصرِهِ ، ولمَّا جبيتُ مالَ هٰذهِ السَّنةِ . . امتنعَ مِن تفرقتِهِ إلىٰ أن أجبيَ ما علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، وأنفذَني السَّاعةَ قاصداً بهٰذا السَّببِ ، وأمرَني أن أقولَ : إنِّي حضرتُ في مُهِمٍّ لأصلَ .

قالَ : فسكتَ ساعةً مُفكِّراً ، ثمَّ قالَ : أصابَ عبدُ الحميدِ ، يا صافي ؛ هاتِ الصُّندوقَ ، قالَ : فأحضرَ صندوقاً لطيفاً ، فقالَ : كم يجبُ لكَ ؟ قلتُ : الَّذي جبيتُ عامَ أوَّلَ مِن ارتفاعِ هٰذهِ العقاراتِ أربعُ مئةِ دينارٍ .

قالَ : كيفَ حِذْقُكَ بالنَّقدِ والوزنِ ؟ قلتُ : أعرفُهُما ، قالَ : هاتوا ميزاناً ، فجاؤوا بميزانٍ ، فأخرجَ مِنَ الصُّندوقِ دنانيرَ عيناً[2] ، فوزنَ لي منها أربعَ مئةِ دينارٍ ، وقبضتُها وانصرفتُ إلىٰ أبي خازمٍ بالخبرِ .

فقالَ : أَضِفْها إلىٰ ما اجتمعَ للوقفِ عندَكَ ، وفرِّقْها في غدٍ في سُبُلِهِ ، ولا تُؤخِّرْ ذٰلكَ ، ففعلتُ ، فكَثُرَ شكرُ النَّاسِ لأبي خازمٍ وللمُعتضِدِ في إنصافِهِ[3]

---

(١) الارتفاع : ما يجمع من غَلَّة الأوقاف .

(٢) دينار عين : ما يكون راجحاً وميَّالاً في كفَّة الميزان .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢/٣٤٠ ـ ٣٤١) ، والتنوخي في « نشوار المحاضرة » (٨/٢٠ ـ ٢٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/٨١ ـ ٨٢) من طريق الخطيب ، وانظر « التذكرة الحمدونية » (٣/١٨٣ ـ ١٨٤) .

حكاية

[في إنصافِ أبي خازمٍ في القضاءِ]

١٣٧ ـ وبهِ إلى التَّنُوخيِّ قالَ : حدَّثَني أبي [قالَ] : حدَّثَني أبو الفرجِ طاهرُ بنُ محمَّدٍ الصِّلْحيُّ ، حدَّثَنيَ القاضي أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ نصرٍ قالَ : بلغَني أنَّ أبا خازمٍ القاضيَ جلسَ في الشَّرقيَّةِ ـ وهوَ قاضيها ـ للحكمِ ، فارتفعَ إليهِ خصمانِ ، فأجرىٰ أحدُهُما بحضرتِهِ إلىٰ ما أوجبَ التَّأديبَ ، فأمرَ بتأديبِهِ ، فأُدِّبَ فماتَ في الحالِ .

فكتبَ إلى المُعتضِدِ مِنَ المجلسِ : (أُعلِمُ أميرَ المؤمنينَ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ـ أنَّ خصمَينِ حضراني ، فأجرىٰ أحدُهُما إلىٰ ما وجبَ عليهِ معَهُ الأدبُ عندي ، فأمرتُ بتأديبِهِ ، فأُدِّبَ فماتَ ، وإذا كانَ المُرادُ بتأديبِهِ مصلحةَ المسلمينَ فماتَ في الأدبِ . . فالدِّيَةُ واجبةٌ في بيتِ مالِ المسلمينَ ، فإن رأىٰ أميرُ المؤمنينَ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ـ أن يأمرَ بحملِ الدِّيَةِ ؛ لأحملَها إلىٰ ورثتِهِ . . فعلَ) .

قالَ : فعادَ الجوابُ إليهِ بأنَّا قد أمرْنا بحملِ الدِّيَةِ إليكَ ، وحملَ إليهِ عشرةَ آلافِ درهمٍ ، وأحضروا ورثةَ المُتوفَّىٰ ودفعَها إليهِم [١] .

❊

١٣٨ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سليمانَ بنِ عليٍّ المُقرِئُ الواسِطيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ فارسٍ البَزَّازُ ، أنا عليُّ بنُ الحسينِ النَّديمِ ، أنا الحسينُ بنُ عمرَ الثَّقفيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ سعيدٍ الكِنْديُّ ، ثنا عمرُ ابنُ أبي الرُّطَيلِ ، عن أبي بلالٍ الأشعريِّ ، عن جعفرِ بنِ يحيى بنِ خالدٍ قالَ : ما رأيْنا في القرَّاءِ مثلَ عيسى بنِ يونسَ ، أرسلْنا إليهِ فأتانا بالرَّقَّةِ ، فاعتلَّ قبلَ أن يرجعَ .

فقلتُ لهُ : يا أبا [عمرٍو] [٢] ؛ قد أُمِرَ لكَ بعشرةِ آلافٍ ، فقالَ : هِيهِ ، فقلتُ : هيَ خمسونَ ألفاً ، قالَ : لا حاجةَ لي فيها ، فقلتُ : لِمَ ؟ أَمَ واللهِ ؛ لأُهنِّيَنَّكَها ، هيَ ـ واللهِ ـ مئةُ ألفٍ [درهمٍ] .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢/٣٤١ ـ ٣٤٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/٨٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٣٦٦) كلاهما من طريق الخطيب .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عمر) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٨/٤٨٩) .

قالَ : لا واللهِ ؛ لا يتحدَّثُ أهلُ العلمِ أنِّي أكلتُ للسُّنَّةِ ثمناً ، ألا كانَ هٰذا قبلَ أن تُرسِلوا إليَّ ؟ فأمَّا على الحديثِ . . فلا واللهِ ، ولا شربةَ ماءٍ ، ولا هليلجةً !![1]

* * *

١٣٩ ـ وبهِ قالَ : أنا الصَّيْمَريُّ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الأسَديُّ ، ثنا أبو بكرٍ الدَّامَغانيُّ الفقيهُ ، ثنا أبو جعفرٍ الطَّحاويُّ قالَ : سمعتُ أبا خازمٍ القاضيَ يقولُ : ما رأيتُ لأهلِ بغدادَ حَدَثاً أذكىٰ مِن عيسى بنِ أبانٍ[2] وبشرِ بنِ الوليدِ .

وقالَ أبو خازمٍ : كانَ عيسىٰ رجلاً سخيّاً جدّاً ، وكانَ يقولُ : واللهِ ؛ لو أُتيتُ برجلٍ يفعلُ في مالِهِ كفعلي . . لحجرتُ عليهِ .

قالَ : وقدَّمَ إليهِ رجلٌ محمَّدَ بنَ عبَّادٍ المُهلَّبيَّ ، فادَّعىٰ عليهِ بأربعِ مئةِ دينارٍ ، فسألَهُ عيسىٰ عمَّا ادُّعِيَ عليهِ ، فأقرَّ لهُ بذٰلكَ ، فقالَ لهُ الرَّجلُ : احبسْهُ لي ، فقالَ لهُ عيسىٰ : أمَّا الحبسُ . . فواجبٌ ، ولٰكنِّي لا أرىٰ حبسَ أبي عبدِ اللهِ وأنا أقدرُ علىٰ فدائِهِ مِن مالي ، فغرِمَها عنهُ عيسىٰ مِن مالِهِ[3]

قالَ الخطيبُ : ويُحكَىٰ عن عيسىٰ أنَّه كانَ يذهبُ إلى القولِ بخَلْقِ القرآنِ[4]

* * *

١٤٠ ـ وبهِ قالَ : وقالَ لي عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عيسى المُتوكِّليُّ : قالَ لي هلالُ بنُ محمَّدٍ الحفَّارُ : قالَ لي جدُّكَ عيسى بنُ موسى بنِ محمَّدِ بنِ المُتوكِّلِ[5] : (مكثتُ ثلاثينَ سنةً أشتهي أن أُشارِكَ العامَّةَ في أكلِ هريسةِ السُّوقِ فلا أقدرُ علىٰ ذٰلكَ ؛ لأجلِ البُكورِ إلىٰ سماعِ الحديثِ)[6]

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٧٥/١٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/٤٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥٥٣/٥) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٧٣/٢٣ ـ ٧٤) كلهم من طريق الخطيب ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٩٣/٨) ، **والهليلجة** : ثمرة معروفة ، ينبت شجرها في الهند والصِّين ، وثمرها علىٰ هيئة حبِّ الصَّنوبر ، لها فوائد جمَّة .

(٢) هو عيسى بن أبان بن صدقة ، أبو موسى ، البغداديُّ ، أحد الفقهاء بالعراق ، ولي قضاء البصرة سنة إحدىٰ عشرة ومئتين ، وتوفِّي سنة إحدىٰ وعشرين ، رحمه الله تعالى . **انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج)** .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٨١/١٢) ، والصيمري في « أخبار أبي حنيفة وأصحابه » (ص ١٤٩) ، وانظر « الأنساب » (٤٣١/٤ ـ ٤٣٢) .

(٤) تاريخ بغداد (٤٨٢/١٢) .

(٥) توفِّي أبو الفضل عيسى بن موسىٰ هٰذا سنة ثلاث وستِّين وثلاث مئة ، رحمه الله . **انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج)** .

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥١٣/١٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣٩١/٨) من طريقه .

حكاية

[في دفاعِ عمرَ بنِ حبيبٍ عن سيّدِنا أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ]

١٤١ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنيَ الأزهريُّ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ حمدانَ العُكْبَريُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ النَّحْويُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ يونسَ الكُدَيميُّ ، ثنا يزيدُ بنُ مُرَّةَ الذَّارعُ ، ثنا عمرُ بنُ حبيبٍ قالَ(١) : حضرتُ مجلسَ هارونَ [الرَّشيدِ] ، فجرَتْ مسألةٌ ، فتنازَعَها الحضورُ وعلَتْ أصواتُهُم ، فاحتجَّ بعضُهُم بحديثٍ يرويهِ أبو هريرةَ ، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فدفعَ بعضُهُمُ الحديثَ ، وزادَتِ المُدافعةُ والخصامُ حتَّىٰ قالَ قائلونَ منهُم : لا يُحمَلُ هٰذا الحديثُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّ أبا هريرةَ مُتَّهَمٌ فيما يرويهِ ، وصرَّحوا بتكذيبِهِ !!

ورأيتُ الرَّشيدَ قد نحا نحوَهُم ونصرَ قولَهُم ، فقلتُ أنا : الحديثُ صحيحٌ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأبو هريرةَ صحيحُ النَّقلِ ، صدوقٌ فيما يرويهِ عن نبيِّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وغيرِهِ .

فنظرَ إليَّ الرَّشيدُ نظرَ مُغضَبٍ ، فقمتُ مِنَ المجلسِ ، فانصرفتُ إلىٰ منزلي ، فلم ألبثْ حتَّىٰ قيلَ : صاحبُ البريدِ بالبابِ ، فدخلَ فقالَ لي : أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ إجابةَ مقتولٍ ، وتحنَّطْ وتكفَّنْ .

فقلتُ : اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ تعلمُ أنِّي دفعتُ عن صاحبِ نبيِّكَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أن يُطعَنَ علىٰ أصحابِهِ(٢) ، فسلِّمْني منهُ .

فأُدخِلتُ على الرَّشيدِ وهوَ جالسٌ علىٰ كرسيٍّ مِن ذهبٍ ، حاسرٌ عن ذراعَيهِ ، بيدِهِ السَّيفُ ، وبينَ يدَيهِ النِّطْعُ ، فلمَّا بَصُرَ بي . . قالَ لي : يا عمرَ بنَ حبيبٍ ؛ ما تلقَّاني أحدٌ مِنَ الرَّدِّ والدَّفعِ لقولي بمثلِ ما تلقَّيتَني بهِ .

فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الَّذي قلتَهُ وجادلتَ عليهِ فيهِ إزراءٌ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعلىٰ ما جاءَ بهِ ؛ إذا كانَ أصحابُهُ كذَّابينَ . . فالشَّريعةُ باطلةٌ ، والفرائضُ والأحكامُ في الصَّلاةِ والصِّيامِ ، والطَّلاقِ والنِّكاحِ والحدودِ كلُّهُ مردودٌ وغيرُ مقبولٍ .

---

(١) توفِّي عمر بن حبيب قاضي البصرة هٰذا سنة سبع ومئتين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .
(٢) في « تاريخ بغداد » : (وأجللتُ نبيَّكَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أن يُطعَنَ في أصحابِهِ) .

فرجعَ إلىٰ نفسِهِ ، ثمَّ قالَ لي : أحييتَني يا عمرَ بنَ حبيبٍ أحياكَ اللهُ ، أحييتَني يا عمرَ بنَ حبيبٍ أحياكَ اللهُ ، وأمرَ لي بعشرةِ آلافِ درهمٍ[1]

* * *

١٤٢ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أخبرَني أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ موسى الشِّيرازيُّ الواعظُ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرانَ .

(ح) وبالأسانيدِ المُتقدِّمةِ إلى التَّنُوخيِّ قالَ[2] : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحيمِ قالَ : ثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ الكُدَيميُّ ، ثنا عمرُ بنُ حبيبٍ العدويُّ القاضي قالَ : وفدتُ معَ وفدٍ مِن أهلِ البصرةِ حتَّىٰ دخلْنا علىٰ أميرِ المؤمنينَ المأمونِ ، فجلسْنا ـ وكنتُ أصغرَهُم سنّاً ـ نطلبُ قاضياً يُولَّىٰ علينا بالبصرةِ .

فبينا نحنُ كذٰلكَ . . إذ جيءَ برجلٍ مُقيَّدٍ بالحديدِ ، مغلولةٍ يدُهُ إلىٰ عنقِهِ ، فحُلَّتْ يدُهُ مِن عنقِهِ ، ثمَّ جيءَ بنِطْعٍ فوُضِعَ في وسطِهِ ، ومُدَّتْ عنقُهُ ، وقامَ السَّيَّافُ شاهراً السَّيفَ ، واستأذنَ أميرَ المؤمنينَ في ضربِ عنقِهِ فأذنَ لهُ .

فرأيتُ أمراً فظيعاً ، فقلتُ في نفسي : واللهِ ؛ لأتكلَّمَنَّ فلعلَّهُ أن ينجوَ ، فقمتُ فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ اسمعْ مقالتي ، فقالَ لي : قلْ .

فقلتُ : إنَّ أباكَ حدَّثَني ، عن جدِّكَ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ ٱلْعَرْشِ[3] : لِيَقُمْ مَنْ عَلَى ٱللهِ أَجْرُهُ ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْ ذَنْبِ أَخِيهِ »[4] ؛ فاعفُ عنهُ ، عفا اللهُ عنكَ يا أميرَ المؤمنينَ .

فقالَ لي : آللهِ ؛ إنَّ أبي حدَّثَكَ ، عن جدِّي ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟ فقلتُ : آللهِ ؛ إنَّ أباكَ حدَّثَني ، عن جدِّكَ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٢٨ ـ ٢٩) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٣/١٠٥ ـ ١٠٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/١٦١ ـ ١٦٢) من طريق الخطيب ، وانظر « الجامع لأحكام القرآن » (١٦/٢٩٨ ـ ٢٩٩) .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١١) .

(٣) من بُطْنان العرش : أي : من وسطه ، وقيل : من دواخل العرش .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٧٦) ، وابن أبي عاصم في « الديات » (٢٣١) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٣/١١٣٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٦٠) كلُّهم عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه .

فقالَ : صدقتَ ، يا غلامُ ؛ أَطلِقْ سبيلَهُ ، فأطلقَ سبيلَهُ ، وأمرَ أن أُولَّى القضاءَ .

ثمَّ قالَ لي : عمَّن كتبتَ ؟ قلتُ : أقدمُ منَ كتبتُ عنهُ داوودُ بنُ أبي هندٍ ، فقالَ : تُحدِّثُ ؟ فقلتُ : لا ، قالَ : بلىٰ فحدِّثْ ؛ فإنَّ نفسي ما طلبَتْ شيئاً إلَّا وقد نالَتْهُ ما خلا هٰذا الحديثَ ؛ فإنِّي كنتُ أُحِبُّ أن أقعدَ علىٰ كرسيٍّ ، ويُقالَ لي : مَن حدَّثَكَ ؟ فأقولُ : حدَّثَني .

قالَ : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فلِمَ لا تُحدِّثُ ؟

قالَ : لا يصلحُ الملكُ والخلافةُ معَ الحديثِ للنَّاسِ (١)

❊

١٤٣ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا البَرْقانيُّ ، ثنا أبو بكرٍ الإسماعيليُّ في حديثِ لأبي الآذانِ (٢) ، قالَ الإسماعيليُّ : هوَ بغداديٌّ ، وأثنىٰ عليهِ جدّاً .

قالَ الإسماعيليُّ : يُحكَىٰ أنَّهُ طالَتْ خصومةٌ بينَهُ وبينَ يهوديٍّ أو غيرِهِ ، فقالَ لهُ : أَدخِلْ يدَكَ النَّارَ وأنا كذٰلكَ ؛ فمَن كانَ مُحِقّاً . . لم تحترقْ يدُهُ .

فذُكِرَ أنَّ يدَهُ لم تحترقْ ، واحترقَتْ يدُ اليهوديِّ (٣)

نُكتةٌ

[في رثاءٍ يشغلُ عن عزاءٍ]

١٤٤ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ أبي عليٍّ ، ثنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ المُظفَّرِ الحاتِميُّ ، ثنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ الزَّاهدُ قالَ : دخلتُ علىٰ أبي الحسينِ بنِ أبي عمرَ القاضي (٤) مُعزِّياً لهُ عن أبيهِ ، فلمَّا وقعَ طرفُهُ عليَّ . . قلتُ : [من الطويل]

وَمَا مَاتَ مَنْ تَبْقَىٰ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ... وَلَا غَابَ مَنْ أَمْسَىٰ لَهُ مِنْكَ شَاهِدُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٣٠ ـ ٣١) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٣/١١٧ ـ ١١٨) .

(٢) هو الحافظ أبو بكر ، عمر بن إبراهيم ، المعروف بأبي الآذان ، توفِّي سنة تسعين ومئتين ، وله ثلاث وستُّون سنة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/٥٤٢) من طريقه ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢١/٢٦٨ ـ ٢٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/٨٢) .

(٤) هو أبو الحسين ، عمر بن أبي عمر محمَّد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن درهم ، ولي

قالَ : فكتبَهُ بيدِهِ في الوقتِ ولم تشغلْهُ الحالُ (١)

حكاية

[موتُ القاضي أبي الحسينِ بنِ أبي عمرَ]

١٤٥ ـ وبهِ قالَ : أنا القاضي أبو الطَّيِّبِ طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ الطَّبَريُّ قالَ : سمعتُ القاضيَ أبا الفرجِ المُعافى بنَ زكريَّا يقولُ : كنتُ أحضرُ مجلسَ أبي الحسينِ بنِ أبي عمرَ يومَ النَّظرِ ، فحضرتُ يوماً أنا وجماعةٌ مِن أهلِ العلمِ في الموضعِ الَّذي جرَتِ العادةُ بجلوسِنا فيهِ ننتظرُهُ حتَّىٰ يخرجَ .

قالَ : فدخلَ أعرابيٌّ لهُ حاجةٌ إليهِ ، فجلسَ بقربِنا ، فجاءَ غرابٌ فقعدَ علىٰ نخلةٍ في الدَّارِ ، وصاحَ ثمَّ طارَ ، فقالَ الأعرابيُّ : هـٰذا الغرابُ يقولُ : إنَّ صاحبَ هـٰذهِ الدَّارِ يموتُ بعدَ سبعةِ أيَّامٍ ، قالَ : فصحْنا عليهِ وزبرْناهُ ، فقامَ وانصرفَ .

واحتبسَ خروجُ أبي الحسينِ ، وخرجَ إلينا الغلامُ وقالَ : القاضي يستدعيكُم ، قالَ : فقمْنا ودخلْنا إليهِ ، وإذا بهِ مُتغيِّرُ اللَّونِ ، مُنكَسِرُ البالِ ، مُغتَمٌّ .

فقالَ : اعلموا أنِّي أُحدِّثُكُم بشيءٍ قد شغلَ قلبي ، وهوَ أنِّي رأيتُ البارحةَ في المَنامِ شخصاً وهوَ يقولُ : [من الوافر]

مَنَازِلَ آلِ حَمَّادِ بنِ زَيْدٍ ... عَلَىٰ أَهْلِيكِ وَٱلنِّعَمِ ٱلسَّلَامُ

وقد ضاقَ لذٰلكَ صدري ، فدعوْنا لهُ وانصرْفنا .

فلمَّا كانَ في اليومِ السَّابعِ مِن ذٰلكَ اليومِ . . دُفِنَ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ (٢)

* * *

١٤٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الخطَّابِ عبدُ الصَّمدِ بنُ محمَّدِ بنِ نصرِ بنِ مُكرمٍ ، أنا إسماعيلُ بنُ سعيدِ بنِ إسماعيلَ المُعدِّلُ ، ثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ ، ثنا

القضاء ببغداد خلافة عن أبيه ، ثمَّ ولي القضاء بعد أبيه إلىٰ أن مات سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة ، وكانت مدَّة ولايته من ابتداء خلافته عن أبيه إلىٰ يوم توفِّي سبع عشرة سنة وعشرين يوماً ، واستخلفه أبوه وله عشرون سنة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٨٤) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٨٤ ـ ٨٥) ، والمقدسي في « تكملة تاريخ الطبري » (١١/ ٣٢٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٨/ ١٨٩ ـ ١٩٠) كلاهما من طريق الخطيب .

أبو الفضلِ الرَّبَعيُّ ، حدَّثَني أبي قالَ : استقضىٰ بعضُ أمراءِ المدينةِ عثمانَ بنَ طلحةَ بنِ عمرَ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ معمرٍ ، فامتنعَ عليهِ مِن ذٰلكَ ، فأسرفَ عليهِ بضربِ السِّياطِ ، فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ . . قضىٰ بينَ النَّاسِ حتَّى استوجبَ رزقَ عشرةِ أشهرٍ .

قالَ : وقَدِمَ المهديُّ المدينةَ حاجّاً ، فدخلَ عليهِ عثمانُ بنُ طلحةَ ، فسألَهُ أن يعزلَهُ عنِ القضاءِ ، فقالَ : ليسَ إلىٰ ذٰلكَ سبيلٌ .

قالَ لهُ عثمانُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ واللهِ ، لو علمتُ أن بلدَ الرُّومِ يُجيرُني ولا يمنعُني مِنَ الصَّلاةِ . . لاستجرتُ بهِ .

قالَ المهديُّ : وإنَّكَ لَعلىٰ ما قلتَ ؟ قالَ : واللهِ ؛ إنِّي لَعلىٰ ما قلتُ .

قالَ : فإنِّي قد عزلتُكَ ، فاقبضْ ما لكَ عندَنا مِنَ الرِّزقِ .

قالَ : واللهِ ؛ ما بي عنهُ غنىً ، ولٰكنَّهُ كانَ لي نظراءُ وأشباهٌ يكرهونَ مِن هٰذا العملِ ما أكرهُ ، ثمَّ أُكرهوا عليهِ فدخلوا فيهِ ، فلمَّا عُزِلوا . . كرهوا العزلَ ، فلم أجدْ معناهُم في كراهتِهِم العزلَ إلَّا هٰذا الرِّزقَ ؛ فلذٰلكَ كرهتُ أخذَهُ[1]

*

ك ١٤٧ ـ وبهِ قالَ : أنا عبيدُ اللهِ بنُ أبي الفتحِ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ يعقوبَ المُقرِئُ ، حدَّثَني عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ سليمانَ بنِ عليِّ بنِ الجعدِ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : لمَّا أحضرَ المأمونُ أصحابَ الجَوْهَرِ فساومَهُم علىٰ متاعٍ كانَ معهُم ، ثمَّ نهضَ المأمونُ لبعضِ حاجتِهِ ، ثمَّ خرجَ فقامَ لهُ كلُّ مَن كانَ في المجلسِ إلَّا ابنَ الجعدِ فإنَّهُ لم يقمْ ، قالَ : فنظرَ إليهِ كهيئةِ المُغضَبِ ، ثمَّ استخلاهُ ، فقالَ لهُ : يا شيخُ ؛ ما منعَكَ أن تقومَ لي كما قامَ أصحابُكَ ؟

قالَ : أجللتُ أميرَ المؤمنينَ للحديثِ الَّذي نأثُرُهُ عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ : وما هوَ ؟

قالَ عليُّ بنُ الجعدِ : سمعتُ المُبارَكَ بنَ فَضالةَ يقولُ : سمعتُ الحسنَ يقولُ : قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ ٱلرِّجَالُ قِيَاماً . . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[2]

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/١٥١ ـ ١٥٢) ، والبلاذري في « جمل من أنساب الأشراف » (١٠/١٥١) مختصراً ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٨٣ ـ ٢٨٤) من طريق الخطيب .

(٢) أخرجه أبو داوود (٥١٨٦) ، والترمذي (٢٧٥٥) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٧٧) ، والبغوي في « الجعديات » (١٥٣٢) كلُّهم عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

قالَ : فأطرقَ المأمونُ مُتفكِّراً في الحديثِ ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ فقالَ : لا يُشترىٰ إلَّا مِن هٰذا الشَّيخِ ، قالَ : فاشترىٰ منهُ في ذٰلكَ اليومِ بثلاثينَ ألفَ دينارٍ [1]

حكاية

[الكِسائيُّ معَ رجلٍ مِنَ العامَّةِ]

خ ١٤٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الثَّابتيُّ [قالَ] : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ موسى القرشيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ، ثنا عونُ بنُ محمَّدٍ الكِنْديُّ ، ثنا سلمةُ بنُ عاصمٍ قالَ : قالَ الكِسائيُّ : حلفتُ أَنْ لا أُكلِّمَ عامياً إلَّا بما يُوافِقُهُ ويُشبِهُ كلامَهُ .

وقفتُ علىٰ نجَّارٍ ، فقلتُ : بكم هٰذانِ البابانِ ؟ فقالَ : بسَلْحَتانِ يا مَصْفَعانِ [2] ، فحلفتُ أَنْ لا أُكلِّمَ عامياً إلَّا بما يصلحُ [3]

حكاية

[في تمنِّي عليِّ بنِ عيسى الماءَ المثلوجَ بمكَّةَ]

١٤٩ ـ وبالأسانيدِ المُتقدِّمةِ إلى التَّنُوخيِّ قالَ [4] : ثنا أبي [قالَ] : ثنا القاضي أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ المعروفُ بابنِ قُرَيعةَ ، وأبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ داسَهْ قالا : ثنا أبو سهلٍ ابنُ زيادٍ القَطَّانُ صاحبُ عليِّ بنِ عيسىٰ قالَ : كنتُ معَ عليِّ بنِ عيسىٰ [5] لمَّا نُفِيَ إلىٰ مكَّةَ ، فدخلْنا في حرٍّ شديدٍ ، وقد كدْنا نتلفُ ، قالَ : فطافَ عليُّ بنُ عيسىٰ وسعىٰ ، وجاءَ فألقىٰ نفسَهُ وهوَ كالميِّتِ مِنَ الحرِّ والتَّعبِ ، وقَلِقَ قلقاً شديداً ، وقالَ : أشتهي على اللهِ شربةَ ماءٍ مثلوجٍ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٢٨٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٣٨٨) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٢٠/٣٥٠ ـ ٣٥١) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٠/٤٦٦ ـ ٤٦٧) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٠/٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

(٢) المَصْفَعان : هو الرَّجل الَّذي يضرب علىٰ قَفاه .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٣٥٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٥٣٢) من طريقه ، وانظر « معجم الأدباء » (٥/١١٦ ـ ١١٧) ، و« إنباه الرواة » للقفطي (٢/٢٦٧) .

(٤) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١١) .

(٥) هو عليُّ بن عيسى بن داوود بن الجرَّاح ، أبو الحسن ، وزير المُقتدِر بالله والقاهر بالله ، توفِّي سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة ، وكان مولده سنة خمس وأربعين ومئتين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

فقلتُ لهُ : سيِّدُنا ـ أيَّدَهُ اللهُ ـ يعلمُ أنَّ هٰذا ما لا يوجدُ بهٰذا المكانِ ، فقالَ : هوَ كما قلتَ ، ولٰكنَّ نفسي ضاقَتْ عن سَترِ هٰذا القولِ ، فاستروحتُ إلى المُنىٰ .

قالَ : وخرجتُ مِن عندِهِ ، فرجعتُ إلى المسجدِ الحرامِ ، فما استقررتُ فيهِ حتَّىٰ نشأَتْ سحابةٌ وكثفَتْ ، فبرقَتْ ورعدَتْ رعداً مُتَّصِلاً شديداً ، ثمَّ جاءَتْ بمطرٍ يسيرٍ وبَرَدٍ كثيرٍ ، فبادرتُ إلى الغلمانِ فقلتُ : اجمعوا ، قالَ : فجمعْنا منهُ شيئاً عظيماً ، وملأْنا منهُ جراراً كثيرةً ، وجمعَ أهلُ مكَّةَ منهُ شيئاً عظيماً .

قالَ : وكانَ عليُّ بنُ عيسىٰ صائماً ، فلمَّا كانَ وقتُ المغربِ . . خرجَ إلى المسجدِ الحرامِ ليُصلِّيَ المغربَ ، فقلتُ لهُ : أنتَ ـ واللهِ ـ مقبلٌ ، والنَّكبةُ زائلةٌ ، وهٰذهِ علاماتُ الإقبالِ ، فاشربِ الثَّلجَ كما طلبتَ .

قالَ : وجئتُهُ إلى المسجدِ بأقداحٍ مملوءةٍ مِن أصنافِ الأسوِقةِ والأشربةِ مكبوسةٍ بالبَرَدِ [1]

قالَ : فأقبلَ يسقي ذٰلكَ مَن يقربُ منهُ مِنَ الصُّوفيَّةِ والمجاورينَ والضُّعفاءِ ، ويستزيدُ ونحنُ نأتيهِ بما عندَنا مِن ذٰلكَ ، وأقولُ لهُ : اشربْ ، فيقولُ : حتَّىٰ يشربَ النَّاسُ ، فخبَّأتُ مقدارَ خمسةِ أرطالٍ ، وقلتُ لهُ : لم يبقَ شيءٌ .

فقالَ : الحَمْدُ للهِ ، ليتَني كنتُ تمنَّيتُ المغفرةَ بدلاً مِن تمنِّي الثَّلجِ ؛ فلعلِّي كنتُ أُجابُ .

فلمَّا دخلَ البيتَ . . حلفتُ عليهِ أن يشربَ منهُ ، وما زلتُ أُداريهِ حتَّىٰ شربَ منهُ بقليلِ سَويقٍ ، وتقوَّتَ ليلتَهُ بباقيهِ [2]

نُكتةٌ

[في مدحِ الوزيرِ عليّ بنِ عيسىٰ]

خ ١٥٠ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ

---

(١) السَّويق : طعام يتَّخذ من مدقوق الحنطة والشَّعير ، سُمِّيَ بذٰلك لانسياقه في الحلق .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٤٦٠ ـ ٤٦١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤/١٢١ ـ ١٢٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٨/٢٤٣ ـ ٢٤٤) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « تكملة تاريخ الطبري » للمقدسي (١١/٣٥٩) .

الضَّبِّيُّ ، أنا أحمدُ بنُ زيدٍ الطُّوسيُّ قالَ : سمعتُ [الحسينَ][1] بنَ الحسنِ بنِ أيُّوبَ يقولُ : دخلَ شاعرٌ علىٰ عليِّ بنِ عيسى الوزيرِ بعدَ أن رُدَّتْ إليهِ الوزارةُ ، فأنشأَ يقولُ[2] : [من الطويل]

بِحَسْبِكَ أَنِّي لَا أَرَىٰ لَكَ عَائِباً سِوَىٰ حَاسِدٍ وَٱلْحَاسِدُونَ كَثِيرُ
وَإِنَّكَ مِثْلُ ٱلْغَيْثِ أَمَّا سَحَابُهُ فَمُزْنٌ وَأَمَّا مَاؤُهُ فَطَهُورُ[3]

* * *

١٥١ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو طالبٍ يحيى بنُ عليٍّ الدَّسْكَريُّ بحُلْوانَ ، أنا أبو بكرٍ ابنُ المُقرِئ بأصبهانَ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الحميدِ الغَضائريَّ بحلبَ يقولُ[4] : سمعتُ السَّريَّ السَّقَطيَّ ودققتُ عليهِ البابَ ، فقامَ إلىٰ عضادتَيِ البابِ ، فسمعتُهُ يقولُ : اللَّهُمَّ ؛ اشغلْ مَن يشغلُني عنكَ بكَ .

قالَ ابنُ المُقرِئ : وزادَني بعضُ أصحابِنا عنهُ أنَّهُ قالَ : وكانَ مِن بركةِ دعائِهِ أنِّي حججتُ أربعينَ حجَّةً علىٰ رِجلَيَّ مِن حلبَ ذاهباً وراجعاً !![5]

فائدة

[فيمَن حلقَ رأسَ سيِّدِنا آدمَ عليهِ السَّلامُ]

١٥٢ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسنِ ابنِ زيادٍ المُقرِئُ النَّقَّاشُ ، ثنا الحسينُ ابنُ حمَّادٍ المُقرِئُ ، ثنا الحسينُ بنُ مروانَ الأنباريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يحيى المُعاذيُّ قالَ : قالَ يحيى بنُ أكثمَ في مجلسِ الواثقِ والفقهاءُ بحضرتِهِ : مَن حلقَ رأسَ آدمَ حينَ حجَّ ؟ فتعايا القومُ عنِ الجوابِ .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحسن) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٥/١٨٨ ـ ١٨٩) .

(٢) البيتان لمالك بن الريب كما في « ديوانه » (ص ٧٣) ، و« الحماسة البصرية » (٢/٤٨٣) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٤٦١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/١٢٤ ـ ١٢٥) من طريقه ، وانظر « تكملة تاريخ الطبري » للمقدسي (١١/٣٥٩) ، و« الأنساب » (٥/٦٠١) .

(٤) الغَضائري : نسبة إلىٰ عمل (الغَضارة) ، وهي إناء يُؤكل فيه الطَّعام . « الأنساب » (٤/٢٩٩) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٤٨١ ـ ٤٨٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١١٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٨/٦٧ ـ ٦٨) من طريق الخطيب ، وانظر « الأنساب » (٤/٢٩٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٤٨١) .

فقالَ الواثقُ : أنا أُحضِرُ مَن يُنبِئُكُم بالخبرِ ، فبعثَ إلىٰ عليِّ بنِ محمَّدِ[1] بنِ عليِّ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، فأُحضِرَ ، فقالَ : يا أبا الحسنِ ؛ مَن حلقَ رأسَ آدمَ ؟

فقالَ : سألتُكَ باللهِ يا أميرَ المؤمنينَ إلَّا أعفيتَني ، قالَ : أقسمتُ لتقولَنَّ .

قالَ : أما إذ أبيتَ . . فإنَّ أبي حدَّثَنا ، عن جدِّي ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ قالَ[2] : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرَ جِبْرِيلُ أَنْ يَنْزِلَ بِيَاقُوتَةٍ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، فَهَبَطَ بِهَا يَمْسَحُ بِهَا رَأْسَ آدَمَ ، فَتَنَاثَرَ ٱلشَّعْرُ مِنْهُ ، فَحَيْثُ بَلَغَ نُورُهَا صَارَ حَرَماً »[3]

فائدة

[في تفسيرِ الكثرةِ]

ك **١٥٣** ـ وبهِ قالَ : أنا الأزهريُّ ، ثنا أبو أحمدَ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ المُقرِئُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يحيى النَّديمُ ، ثنا الحسينُ بنُ يحيىٰ قالَ : اعتلَّ المُتوكِّلُ في أوَّلِ خلافتِهِ ، فقالَ : لئن بَرَأْتُ . . لأتصدَّقَنَّ بدنانيرَ كثيرةٍ .

فلمَّا بَرَأَ . . جمعَ الفقهاءَ فسألَهُم عن ذٰلكَ ، فاختلفوا ، فبعثَ إلىٰ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ موسى بنِ جعفرٍ ، فقالَ : يتصدَّقُ بثلاثةٍ وثمانينَ ديناراً ، فعجبَ قومٌ مِن ذٰلكَ ، وتعصَّبَ قومٌ عليهِ ، وقالوا : سَلْهُ يا أميرَ المؤمنينَ : مِن أينَ لهُ هٰذا ؟

فردَّ الرَّسولَ إليهِ ، فقالَ : قلْ لأميرِ المؤمنينَ : في هٰذا الوفاءُ بالنَّذرِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[4] ، فروىٰ أهلُنا جميعاً أنَّ المواطنَ في الوقائعِ والسَّرايا والغزواتِ كانَتْ ثلاثةً وثمانينَ موطناً ، وأنَّ يومَ حنينٍ كانَ الرَّابعَ والثَّمانينَ ، وكلَّما زادَ أميرُ المؤمنينَ في فعلِ الخيرِ . . كانَ أنفعَ لهُ ، وأجدىٰ عليهِ في الدَّارِ الآخرةِ[5]

❊ ❊

---

(١) في (أ ، ب ، ج) زيادة : (بن جعفر) ، وليست في نسبه ، ولا في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١٨/١٩) ، و« الأئمة الاثنا عشر » لابن طولون (ص ٨١) .

(٢) يعني : جعفراً الصَّادق .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥١٨/١٣ ـ ٥١٩) .

(٤) سورة التوبة : (٢٥) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥١٩/١٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧٠/٧) من طريقه ، وانظر « الأنساب » (١٩٦/٤) .

١٥٤ ـ وبهِ قالَ : أنا الجَوْهَريُّ ، أنا أبو عبيدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عمرانَ المَرْزُبانيُّ ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ محمَّدٍ الخَصِيبيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ إسماعيلَ قالَ : دخلَ العبَّاسُ بنُ الحسنِ العلويُّ العبَّاسيُّ على المأمونِ ، فتكلَّمَ فأحسنَ ، فقالَ لهُ المأمونُ : واللهِ ؛ ما علمتُكَ [إلَّا] (١) تقولُ فتُحسِنُ ، وتشهدُ فتُزيِّنُ ، وتغيبُ فتُؤتَمَنُ (٢)

* * *

خ ١٥٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ الخَلَّالُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرانَ بنِ عثمانَ بنِ بكرٍ ، ثنا عبدُ اللهِ ابنُ أبي سعدٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ مسلمٍ قالَ : جاءَ العبَّاسُ بنُ الحسنِ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ العبَّاسِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ إلىٰ بابِ المأمونِ ، فنظرَ إليهِ الحاجبُ ثمَّ أطرقَ ، فقالَ لهُ : لو أُذِنَ لنا . . لدخلْنا ، ولوِ اعتُذِرَ إلينا . . لقبلْنا ، ولو صُرِفْنا . . لانصرفْنا ؛ فأمَّا الفَترةُ بعدَ النَّظرةِ . . فلا أعرفُها .

ثمَّ أنشدَ (٣) : [من الطويل]

وَمَا عَنْ رِضاً كَانَ ٱلْحِمَارُ مَطِيَّتِي ... وَلَـٰكِنَّ مَنْ يَمْشِي سَيَرْضَىٰ بِمَا رَكِبْ (٤)

حكاية

[موعظةُ عمرِو بنِ عبيدٍ للمنصورِ]

١٥٦ ـ وبهِ قالَ : أنا القاضي أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليٍّ الصَّيْمَريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عمرانَ بنِ موسى الكاتبُ ، أنا عليُّ بنُ هارونَ ، أنا [عبيدُ اللهِ] (٥) بنُ أحمدَ بنِ أبي طاهرٍ ، عن أبيهِ ، عن عقبةَ بنِ هارونَ قالَ : دخلَ عمرُو بنُ عبيدٍ (٦) علىٰ أبي جعفرٍ

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « تاريخ بغداد » .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/١٤) ، وابن طيفور في « كتاب بغداد » (ص ٥١) بنحوه ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١١٤/٧) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٣٠/٣) ، وفيهما عن أيوب بن جعفر بن سليمان .

(٣) نسبه الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٦٢٥/٤) إلىٰ جحظة البرمكي .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/١٤) ، والباخرزي في « دمية القصر » (٢٤٤/١) عن ابنه عبد الله بن العباس ، وانظره عن عبد الله في « نثر الدر » للآبي (٣٨٧/١) ، و« التذكرة الحمدونية » (١٩٩/٨ ـ ٢٠٠) ، و« نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري (٩٠/٦) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ بغداد » (٦٥/١٢) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٩٠٧ ، ٩١١) .

(٦) هو أبو عثمان ، عمرو بن عبيد بن باب ، وباب من سبي فارس ، مولىً لقوم من حنظلة تميم ، جالس عمرٌو الحسنَ

المنصورِ وعندَهُ المهديُّ بعدَ أن بايعَ لهُ ببغدادَ ، فقالَ : يا أبا عثمانَ ؛ عِظْني .

فقالَ : إنَّ هٰذا الأمرَ الَّذي أصبحَ في يدِكَ لو بقيَ في يدِ غيرِكَ ممَّن كانَ قبلَكَ . . لم يصلْ إليكَ ، فأُحذِّرُكَ ليلةً تَمَخَّضُ بيومٍ لا ليلةَ بعدَهُ .

وأنشدَهُ[1] : [من البسيط]

يَا أَيُّهَـٰذَا ٱلَّـذِي قَـدْ غَـرَّهُ ٱلْأَمَـلُ ... وَدُونَ مَا يَـأْمُلُ ٱلتَّـنْغِيصُ وَٱلْأَجَـلُ

أَلَا تَـرَىٰ أَنَّـمَا ٱلدُّنْيَا وَزِينَـتُهَا ... كَمَنْزِلِ ٱلرَّكْبِ حَلُّوا ثُمَّتَ ٱرْتَحَلُوا

حُتُوفُهَا رَصَدٌ وَعَيْشُهَا نَكَدٌ ... وَصَفْوُهَا كَدَرٌ وَمُلْكُهَا دُوَلُ

تَظَلُّ تُفْزِعُ بِٱلرَّوْعَاتِ سَاكِنَهَا ... فَمَا يَسُوغُ لَهُ لِينٌ وَلَا جَذَلُ

كَأَنَّهُ لِلْمَنَايَا وَٱلرَّدَىٰ غَرَضٌ ... تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ ٱلدَّهْرِ تَنْتَضِلُ[2]

تُدِيرُهُ مَا أَدَارَتْهُ دَوَائِرُهَا ... مِنْهَا ٱلْمُصِيبُ وَمِنْهَا ٱلْمُخْطِئُ ٱلزَّلِلُ

وَٱلنَّفْسُ زَاهِيَةٌ وَٱلْمَوْتُ يَرْصُدُهَا ... وَكُلُّ عَثْرَةِ رِجْلٍ عِنْدَهَا جَلَلُ

وَٱلْمَرْءُ يَسْعَىٰ بِمَا يَسْعَىٰ لِوَارِثِهِ ... وَٱلْقَبْرُ وَارِثُ مَا يَسْعَىٰ لَهُ ٱلرَّجُلُ

قالَ : فبكى المنصورُ[3]

حكاية

[لقاءُ عمرِو بنِ عبيدٍ بالمنصورِ والمهديِّ]

خ ١٥٧ ـ وبهِ قالَ : وأخبرَنا الصَّيمَريُّ ، وعليُّ بنُ أيُّوبَ القُمِّيُّ ، قالَ القُمِّيُّ : ثنا ، وقالَ الآخرُ : أنا أبو عبيدِ اللهِ المَرْزُبانيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، ثنا أبو عليٍّ عِسْلُ بنُ ذكوانَ العَسْكَريُّ قالَ : ثنا بعضُ أهلِ الأدبِ ، عن صالحِ بنِ سليمانَ ، عنِ الفضلِ بنِ

البصريَّ ، وحفظ عنه وصحبه ، ثمَّ صحب واصلَ بن عطاء ، وقال بالقدر ، واعتزل أصحاب الحسن ، وعدل عن مذهب أهل السُّنَّة ، وكان أبوه عبيد نسَّاجاً ، ثمَّ تحوَّل فكان شرطيّاً للحجَّاج ، وهو من سبي سِجِسْتان ، توفِّي عمرو بن عبيد سنة ثمان ـ وقيل : أربع ـ وأربعين ومئة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(١) نسبها ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٨٣) إلى ابن أبي عمرة .

(٢) تنتضل : تستبق .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٣٢١ ـ ٣٢٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/١١٧ ـ ١١٨) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « مروج الذهب » للمسعودي (٤/١٥٧ ـ ١٥٨) .

يعقوبَ ابن عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ [عبَّاسٍ] [١] بنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ .

قالَ المَرْزُبانيُّ : وحدَّثَنا أبو الحسينِ عبدُ الواحدِ بنُ محمَّدٍ الخَصِيبيُّ ، وأحمدُ بنُ محمَّدٍ المكّيُّ قالا : ثنا أبو العيناءِ محمَّدُ بنُ القاسمِ ، ثنا الفضلُ بنُ يعقوبَ الهاشميُّ ، ثنا عمّي إسحاقُ بنُ الفضلِ قالَ : بينا أنا علىٰ بابِ المنصورِ .

قالَ المَرْزُبانيُّ : وحدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ مرزوقٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ زكريَّا الغَلَابيُّ [٢] ، ثنا رجاءُ بنُ سلمةَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ إسحاقَ الهاشميُّ ، عن أبيهِ إسحاقَ بنِ الفضلِ قالَ : إنّي لعلىٰ بابِ المنصورِ وإلىٰ جنبي عُمارةُ بنُ حمزةَ . . إذ طلعَ عمرُو بنُ عبيدٍ علىٰ حمارٍ ، فنزلَ عن حمارِهِ ، ونحَّى البساطَ برِجلَيهِ ، وجلسَ دونَهُ ، فالتفتَ إليَّ عُمارةُ فقالَ : لا تزالُ بَصْرتُكُم قد رمَتْنا بأحمقَ ، فما فصلَ كلامَهُ مِن فيهِ حتَّىٰ خرجَ الرَّبيعُ ، وهوَ يقولُ : أبو عثمانَ عمرُو بنُ عبيدٍ .

قالَ : فواللهِ ؛ ما دلَّ علىٰ نفسِهِ حتَّىٰ أُرشِدَ إليهِ ، فأتْكَأَهُ يدَهُ ، ثمَّ قالَ لهُ : أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ جعلَني اللهُ فداكَ ، فمرَّ مُتوكّئاً عليهِ ، فالتفتُّ إلىٰ عُمارةَ فقلتُ : إنَّ الرَّجلَ الَّذي استحمقتَ قد دُعِيَ وتُرِكْنا .

فقالَ : كثيراً ما يكونُ مثلُ هٰذا ، فأطالَ اللُّبثَ ، ثمَّ خرجَ الرَّبيعُ وعمرٌو مُتَّكِئٌ عليهِ ، وهوَ يقولُ : يا غلامُ ؛ حمارُ أبي عثمانَ ، فما برحَ حتَّىٰ أقرَّهُ علىٰ سرجِهِ ، وضمَّ إليهِ نشرَ ثوبِهِ ، واستودعَهُ اللهَ .

فأقبلَ عُمارةُ على الرَّبيعِ ، فقالَ : لقد فعلتُمُ اليومَ بهٰذا الرَّجلِ فعلاً لو فعلتُموهُ بوليِّ عهدِكُم . . لكنتُم قد قضيتُم حقَّهُ .

قالَ : فما غابَ عنكَ ـ واللهِ ـ ممَّا فعلَهُ أميرُ المؤمنينَ أكثرُ وأعجبُ .

قالَ : فإنِ اتَّسعَ لكَ الحديثُ . . فحدِّثْنا .

فقالَ : ما هوَ إلَّا أن سمعَ أميرُ المؤمنينَ بمكانِهِ ، فما أمهلَ حتَّىٰ أمرَ بمجلسٍ ، ففُرِشَ لُبُوداً ، ثمَّ انتقلَ هوَ والمهديُّ ، وعلى المهديِّ سوادُهُ وسيفُهُ ، ثمَّ أُذِنَ لهُ ، فلمَّا دخلَ . .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عياش) ، والمثبت موافق لما في « تلخيص المتشابه » للخطيب البغدادي (٣٩٩/١) .

(٢) الغَلَابي : نسبة إلىٰ (غَلَاب) ، وهو أحد أجداد المنتسب إليه . « الأنساب » (٣٢١/٤) .

سلَّمَ عليهِ بالخلافةِ فردَّ عليهِ ، وما زالَ يُدنيهِ حتَّىٰ أتْكَأَهُ فَخِذَهُ ، وتحفَّىٰ بهِ ، ثمَّ سألَهُ عن نفسِهِ ، وعن عيالِهِ يُسمِّيهِم رجلاً رجلاً ، وامرأةً امرأةً .

ثمَّ قالَ : يا أبا عثمانَ ؛ عِظْني .

فقالَ : أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ، بسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرَّحيمِ ، ﴿ وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ يا أبا جعفرٍ ﴿ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (١)

قالَ : فبكىٰ بكاءً شديداً كأنَّهُ لم يسمعْ تلكَ الآياتِ إلَّا تلكَ السَّاعةَ ، وقالَ : زِدْني .

فقالَ : إنَّ اللهَ قد أعطاكَ الدُّنيا بأسرِها ، فاشترِ نفسَكَ منهُ ببعضِها ، واعلمْ أنَّ هـٰذا الأمرَ الَّذي صارَ إليكَ إنَّما كانَ في يدِ مَن كانَ قبلَكَ ، ثمَّ أفضىٰ إليكَ ، وكذٰلكَ يخرجُ منكَ إلىٰ مَن هوَ بعدَكَ ، وإنِّي أُحذِّرُكَ ليلةً تَمخَّضُ صبيحتُها عن يومِ القيامةِ .

قالَ : فبكىٰ ـ واللهِ ـ أشدَّ مِن بكائِهِ الأوَّلِ حتَّىٰ رجفَ جنباهُ .

فقالَ لهُ سليمانُ [بنُ مجالدٍ] (٢) : رفقاً بأميرِ المؤمنينَ ؛ قد أتعبتَهُ منذُ اليومِ .

فقالَ لهُ عمرٌو : بمثلِكَ ضاعَ الأمرُ وانتشرَ ، لا أبا لكَ !! وماذا خفتَ علىٰ أميرِ المؤمنينَ أن بكىٰ مِن خشيةِ اللهِ ؟!

فقالَ لهُ أميرُ المؤمنينَ : يا أبا عثمانَ ؛ أعنِّي بأصحابِكَ . . أستعنْ بهِم .

قالَ : أظهِرِ الحقَّ . . يتَّبعْكَ أهلُهُ .

قالَ : بلغَني أنَّ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ حسنِ بنِ حسنٍ ـ وقالَ ابنُ دُريدٍ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ حسنٍ ـ كتبَ إليكَ كتاباً .

قالَ : قد جاءَني كتابٌ يُشبِهُ أن يكونَ كتابَهُ .

---

(١) سورة الفجر : (١ ـ ١٤) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو مجالد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٦٥/٢٢) .

قالَ : فبِمَ أجبتَهُ ؟

قالَ : أَوَليسَ قد عرفتَ رأيي في السَّيفِ أيَّامَ كنتَ تختلفُ إلينا ، إنّي لا أراهُ .

قالَ : أجلْ ، ولٰكنْ تحلفُ لي ؛ ليطمئنَّ قلبي .

قالَ : لئن كذبتُكَ تقيَّةً . . لأحلفَنَّ لكَ تقيَّةً .

قالَ : أنتَ ـ واللهِ ـ الصَّادقُ البَرُّ ، قد أمرتُ لكَ بعشرةِ آلافِ درهمٍ تستعينُ بها علىٰ سفرِكَ وزمانِكَ ، قالَ : لا حاجةَ لي فيها ، قالَ : واللهِ ؛ لتأخذَنَّها ، قالَ : واللهِ ؛ لا أخذتُها .

فقالَ لهُ المهديُّ : يحلفُ أميرُ المؤمنينَ وتحلفُ ؟! فتركَ المهديَّ وأقبلَ على المنصورِ ، فقالَ : مَن هٰذا الفتىٰ ؟ فقالَ : هوَ ابني محمَّدٌ ، وهوَ المهديُّ ، ووليُّ العهدِ .

قالَ : واللهِ ؛ لقد أسميتَهُ اسماً ما استحقَّهُ عملُهُ ، وأَلْبَستَهُ لَبوساً ما هوَ مِن لَبوسِ الأبرارِ ، ولقد مَهدتَ لهُ أمراً أمتعَ ما يكونُ بهِ ، أشغلَ ما يكونُ عنهُ .

ثمَّ التفتَ إلى المهديِّ ، فقالَ : يا بنَ أخي ؛ إذا حلفَ أبوكَ . . حلفَ عمُّكَ ؛ لأنَّ أباكَ أقدرُ على الكفَّارةِ مِن عمِّكَ .

ثمَّ قالَ : يا أبا عثمانَ ؛ هل مِن حاجةٍ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَ : لا تبعثْ إليَّ حتَّىٰ آتيَكَ ، قالَ : إذاً لا نلتقي ، قالَ : عن حاجتي سألتَني .

قالَ : فاستحفظَهُ اللهَ وودَّعَهُ ونهضَ ، فلمَّا ولَّىٰ . . أمدَّهُ بصرَهُ وهوَ يقولُ[1] : [من مجزوء الرمل]

كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدْ

كُلُّكُمْ يَطْلُبُ صَيْدْ

غَيْرَ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدْ[2]

---

(١) نسبها السهيلي في « الروض الأنف » (٦/١٨٤) والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٦/١٠٥) إلى المنصور ، ونسبها ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٥/١١١) إلى المهدي .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٦٥ ـ ٦٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/١١٨ ـ ١٢٠) من طريقه ، وانظر « أمالي السيد المرتضىٰ » (١/١٢٠ ـ ١٢٢) ، وانظر طرفاً منه في « العقد الفريد » (٣/١٦٤ ـ ١٦٥) ، و« مروج الذهب » للمسعودي (٤/١٥٦ ـ ١٥٧) ، و« آثار البلاد » للقزويني (ص ٣١٢) .

حكاية

[في ردِّ قُريشِ بنِ أنسٍ علىٰ عمرِو بنِ عبيدٍ]

١٥٨ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القَطَّانُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يونسَ ، ثنا قُريشُ بنُ أنسٍ قالَ : حدَّثَنا .

وأخبرَنا أبو الحسينِ زيدُ بنُ جعفرِ بنِ الحسينِ العلويُّ المُحمَّديُّ ، ثنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ موسى التَّمَّارُ بالبصرةِ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ بحرٍ العَطَّارُ ، ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ حبيبِ بنِ الشَّهيدِ ، ثنا قُريشُ بنُ أنسٍ قالَ : سمعتُ عمرَو بنَ عبيدٍ يقولُ : يُؤتىٰ بي يومَ القيامةِ ، فأُقامُ بينَ يدَيِ اللهِ تعالىٰ ، فيقولُ لي : لِمَ قلتَ : إنَّ القاتلَ في النَّارِ ؟

فأقولُ : أنتَ قلتَهُ ، ثمَّ تلا هٰذهِ الآيةَ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ . . . ﴾ حتَّىٰ فرغَ مِنَ الآيةِ[١]

قلتُ لهُ ـ وما في البيتِ أصغرُ منِّي ـ : أرأيتَ إن قالَ لكَ : فإنِّي قد قلتُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢] ، مِن أينَ علمتَ أنِّي لا أشاءُ أن أغفرَ لهٰذا ؟ فما ردَّ عليَّ شيئاً .

واللَّفظُ للعلويِّ[٣]

نكتة

[في سببِ تركِ حمَّادِ بنِ سلمةَ الرِّوايةَ عن عمرِو بنِ عبيدٍ]

١٥٩ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ الضَّبِّيُّ قالَ : سمعتُ يوسفَ بنَ يعقوبَ السُّوسيَّ [يقولُ] : سمعتُ محمَّدَ بنَ إبراهيمَ البُوشَنْجيَّ يقولُ : سمعتُ كاملَ بنَ طلحةَ يقولُ : قلتُ لحمَّادِ بنِ سلمةَ : كيفَ رويتَ عنِ النَّاسِ وتركتَ عمرَو بنَ عبيدٍ ؟

---

(١) سورة النساء : (٩٣) .

(٢) سورة النساء : (١١٦) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٨٢ ـ ٨٣) ، وابن قتيبة في « تأويل مختلف الحديث » (ص ١٣٨) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٣/٩٩٨) ، والدارقطني في « أخبار عمرو بن عبيد » (١) .

قالَ : إنِّي رأيتُ ـ يعني : في المَنامِ ـ النَّاسَ يومَ الجمعةِ وهم يُصلُّونَ للقِبلةِ ، ورأيتُ عمرَو بنَ عبيدٍ وهوَ يُصلِّي لغيرِ القِبلةِ وحدَهُ !! فعلمتُ أنَّهُ علىٰ بدعةٍ ، فتركتُ حديثَهُ[(١)]

* * *

١٦٠ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني عبدُ اللهِ بنُ أبي الحسينِ الشَّاهدُ ، أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ اليقطينيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ أبي شيخٍ ، ثنا جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ فضيلٍ الرَّاسبيُّ ، ثنا إسماعيلُ بنُ مسلمةَ ـ وهوَ القَعْنَبيُّ ـ قالَ : رأيتُ الحسنَ بنَ أبي جعفرٍ بعَبَّادانَ في المَنامِ[(٢)] ، فقالَ لي : أيُّوبُ ويونسُ بنُ عبيدٍ في الجنَّةِ[(٣)]

قلتُ : فعمرُو بنُ عبيدٍ ؟ قالَ : في النَّارِ .

ثمَّ رأيتُهُ [في] اللَّيلةِ الثَّانيةِ ، فقالَ لي : أيُّوبُ ويونسُ في الجنَّةِ .

قلتُ : فعمرُو بنُ عبيدٍ ؟ قالَ : في النَّارِ .

ثمَّ رأيتُهُ [في] اللَّيلةِ الثَّالثةِ ، فقالَ لي : أيُّوبُ ويونسُ في الجنَّةِ .

قلتُ : فعمرُو بنُ عبيدٍ ؟ قالَ : في النَّارِ ، كم أقولُ لكَ !![(٤)]

حكاية

[في صلةِ المنصورِ عمرَو بنَ ميمونٍ]

١٦١ ـ وبهِ قالَ : أنا الأزهريُّ ، والحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ النَّرْسيُّ قالا[(٥)] : ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ ابنِ جامعٍ الدَّهَّانُ ، ثنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ سعيدِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الحَرَّانيُّ ، ثنا عبدُ الملكِ ـ هوَ ابنُ عبدِ الحميدِ ـ الميمونيُّ قالَ : حدَّثتُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٨٣) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٣/٩٩٥) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١٣٧٤) .

(٢) عَبَّادان : جزيرة تحت البصرة ، قرب البحر المالح ؛ سمِّيت بذٰلك نسبة إلىٰ عبَّاد بن الحصين أوَّلِ من رابط فيها . « معجم البلدان » (٤/٧٤) .

(٣) يعني : أيُّوبَ بن أبي تميمة كيسان السَّخْتِيانيَّ ، أبا بكرٍ ، العَنَزيَّ ، ويونسَ بن عبيد بن دينار ، أبا عبد الله ، البصريَّ .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٨٨ ـ ٨٩) ، وأحمد ابن حنبل في « العلل » (٥٣١) ط . الدار السلفية ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٥/٩٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/٣٧٣ ـ ٣٧٤) ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٢/١٣٣) .

(٥) النَّرْسي : نسبة إلى (النَّرْس) ، وهو نهر من أنهار الكُوفة . « الأنساب » (٥/٤٧٩) .

أبا عبدِ اللهِ أحمدَ ابنَ حنبلٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قلتُ : حدَّثَنا أبي قالَ : لمَّا رأيتُ قَدْرَ عمِّي ـ يعني : عمرَو بنَ ميمونِ بنِ مهرانَ[١] ـ عندَ أبي جعفرٍ . . قلتُ : يا عمِّ ؛ لو سألتَ أميرَ المؤمنينَ أبا جعفرٍ أن يُقطِعَكَ قَطِيعةً .

قالَ : فسكتَ عنِّي ، قالَ : فلمَّا ألححتُ عليهِ . . قالَ : يا بُنَيَّ ؛ إنَّكَ لتسألُني أن أسألَهُ شيئاً قدِ ابتدأَني بهِ هوَ غيرَ مرَّةٍ .

ولقد قالَ لي يوماً : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ إنِّي أُريدُ أن أُقطِعَكَ قَطِيعةً ، وأجعلَها لكَ طيِّبةً ، وإنَّ أحبابي وولدي يسألوني ذٰلكَ فآبىٰ عليهِم ؛ فما يمنعُكَ أن تقبلَها ؟

قالَ : قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنِّي رأيتُ هَمَّ الرَّجلِ علىٰ قَدْرِ انتشارِ ضيعتِهِ ، وإنِّي يكفيني مِن هَمِّي ما أحاطَتْ بهِ داري ، فإن رأىٰ أميرُ المؤمنينَ أن يعفيَني . . فعلَ ، قالَ : قد فعلتُ .

فقالَ ابنُ حنبلٍ : أَعِدْهُ عليَّ ، فأعدتُهُ عليهِ حتَّىٰ حفظَهُ[٢]

*

١٦٢ ـ وقالَ الميمونيُّ : ثنا أبي قالَ : كانَ عمِّي عمرٌو يعطشُ فلا يستسقي مِن أحدٍ ماءً حتَّىٰ يشربَهُ مِن بيتِهِ ؛ ويقولُ : كلُّ معروفٍ صدقةٌ ، وما أُحِبُّ أن يُتصدَّقَ عليَّ[٣]

* *

١٦٣ ـ وقالَ : حدَّثَنا أبي قالَ : (ما سمعتُ عَمراً اغتابَ أحداً قطُّ ـ أو قالَ : عابَهُ ـ ، ولقد ذُكِرَ عندَهُ يوماً رجلٌ ، فلم يجدْ فيهِ شيئاً يذكرُهُ بهِ ـ يعني : مِنَ الخيرِ ـ ، فقالَ : إنَّهُ لحسنُ الأكلِ)[٤]

---

(١) هو أبو عبد الله ، عمرو بن ميمون بن مهران ، الجزريُّ ، نزيل بغداد ، كان جدُّه مكاتباً لبني نصر بن معاوية فعتق ، وكان أبوه ميمون مملوكاً لامرأة من الأَزْد ، وثَّقه يحيى بن معين وغيره ، توفِّي سنة خمس وأربعين ـ وقيل : سنة أربعين ـ ومئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٩٠) ، وأبو علي الحراني في « تاريخ الرقة » (٩٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦/٤٣٣) من طريق الخطيب ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٢/٢٥٦ ـ ٢٥٧) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٩١) ، وأبو علي الحراني في « تاريخ الرقة » (١٠٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦/٤٣٤) من طريق الخطيب .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٩١) ، وأبو علي الحراني في « تاريخ الرقة » (١١٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦/٤٣٤) من طريق الخطيب ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٢/٢٥٨) .

نُكتة

[في سببِ تسميةِ سِيبَوَيْهِ سِيبَوَيْهِ]

١٦٤ ـ وبهِ قالَ : أنا العَتيقيُّ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ [قالَ] : أنا سليمانُ بنُ إسحاقَ الجَلَّابُ قالَ : وسمعتُهُ ـ يعني : إبراهيمَ الحَرْبيَّ ـ يقولُ : (سُمِّيَ سِيبَوَيْهِ : سِيبَوَيْهِ [١] ؛ لأنَّ وجنتَيهِ كانتا كأنَّهُما تفَّاحةٌ) [٢]

قالَ الخطيبُ : وتفسيرُ (سِيبَوَيْهِ) بالفارسيَّةِ : رائحةُ التُّفَّاحِ [٣]

حِكاية

[في عودةِ الجاحظِ عمَّا بدرَ منهُ]

١٦٥ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ الحسينِ بنِ العبَّاسِ النِّعاليُّ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ الحسينِ الأصبهانيُّ ، أنا يحيى بنُ عليٍّ ، ثنا أبي قالَ : قلتُ للجاحظِ [٤] : إنِّي قرأتُ في فصلٍ مِن كتابِكَ المُسمَّىٰ بـ : « البيانِ والتَّبيُّنِ » [٥] : إنَّ ممَّا يُستحسَنُ مِنَ النِّساءِ اللَّحنَ في الكلامِ ، واستشهدتَ ببيتَي مالكِ بنِ أسماءَ [٦] : [من الخفيف]

وَحَـدِيـثٍ أَلَـذُّهُ هُـوَ مِـمَّـا ... يَـنْـعَـتُ ٱلـنَّـاعِـتُـونَ يُـوزَنُ وَزْنَـا

مَـنْـطِـقٌ صَـائِـبٌ وَتَـلْـحَـنُ أَحْـيَـا ... نـاً وَخَـيْـرُ ٱلْـحَـدِيـثِ مَـا كَـانَ لَـحْـنَـا

---

(١) وسِيبَوَيْهِ : هو أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قُنبر ، من أهل البصرة ، مولىً لبني الحارث بن كعب ، وقيل : مولىٰ آل الرَّبيع بن زياد الحارثيِّ ، توفِّي سنة ثمانين ـ وقيل : سنة أربع وتسعين ـ ومئة ، وقيل : إنَّه مات عن اثنتين وثلاثين سنة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠٠/١٤) ، والقفطي في « إنباه الرواة » (٣٥٤/٢) من طريق الخطيب ، وانظر « المنتظم » (٤٣٥/٥) ، و« وفيات الأعيان » (٤٦٥/٣) ، و« برنامج التجيبي » (ص ٢٧٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣٥٢/٨) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠٠/١٤) .

(٤) هو أبو عثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب ، الجاحظ البصريُّ ، أحد شيوخ المعتزلة ، تلميذ أبي إسحاق النَّظَّام ، كنانيٌّ ؛ قيل : صليبة ، وقيل : مولىً ، توفِّي في المحرَّم سنة خمس وخمسين ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٥) هٰكذا وجدت بخطِّ المؤلِّف بتشديد الياء .

(٦) هي له كما في « البيان والتبيُّن » للجاحظ (١٤٧/١) ، و« الشعر والشعراء » لابن قتيبة (٧٨٢/٢) ، و« مجالس ثعلب » (٥٣١/٢) .

قالَ : هوَ كذاكَ .

قلتُ : أفما سمعتَ بخبرِ هندَ بنتِ أسماءَ بنِ خارجةَ معَ الحجَّاجِ ؟ حينَ لحنَتْ في كلامِها ، فعابَ ذٰلكَ عليها ، فاحتجَّتْ ببيتَي أخيها ، فقالَ لها : إنَّ أخاكِ أرادَ أنَّ المرأةَ فَطِنةٌ ، فهيَ تلحَنُ بالكلامِ إلىٰ غيرِ المعنىٰ في الظَّاهرِ ؛ لتسترَ معناهُ ، وتُورِّيَ عنهُ ، وتُفهِمَهُ مَن أرادَتْ بالتَّعريضِ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ (١) ، ولم يُرِدِ الخطأَ مِنَ الكلامِ ، والخطأُ لا يُستحسَنُ مِن أحدٍ .

فوجمَ الجاحظُ ساعةً ، وقالَ : لو سقطَ إليَّ هٰذا الخبرُ . . لَمَا قلتُ ما تقدَّمَ ، فقلتُ لهُ : فأَصلِحْهُ ، فقالَ : آلآنَ وقد سارَ الكتابُ في الآفاقِ ؟! (٢)

نُكتةٌ

[في غلبةِ الجاحظِ]

ك ١٦٦ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ محمَّدٍ الخَلَّالُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ يحيى النَّديمُ ، ثنا يموتُ بنُ المُزرِّعِ قالَ : قالَ لنا عمرُو بنُ بحرٍ الجاحظُ : ما غلبَني أحدٌ قطُّ إلَّا رجلٌ وامرأةٌ .

فأمَّا الرَّجلُ . . فإنِّي كنتُ مُجتازاً في بعضِ الطُّرقِ ، فإذا أنا برجلٍ قصيرٍ بَطِينٍ ، كبيرِ الهامةِ ، طويلِ اللِّحيةِ ، مُتَّزرٍ بمِئزَرٍ ، وبيدِهِ مشطٌ يمشُطُ لحيتَهُ بهِ ، فقلتُ في نفسي : رجلٌ قصيرٌ بَطِينٌ ألحىٰ ، فاستزريتُهُ .

فقلتُ : أيُّها الشَّيخُ ؛ قد قلتُ فيكَ شِعراً ، فتركَ المشطَ مِن يدِهِ ، وقالَ : قلْ ، فقلتُ : [من الوافر]

كَأَنَّكَ صَعْوَةٌ فِي أَصْلِ حُشٍّ ... أَصَابَ ٱلْحُشَّ طَشٌّ بَعْدَ رَشِّ (٣)

فقالَ لي : اسمعْ جوابَ ما قلتَ ، فقلتُ : هاتِ ، فقالَ :

كَأَنَّكَ كُنْدُبٌ فِي ذَنْبِ كَبْشٍ ... يُدَلْدَلُ هٰكَذَا وَٱلْكَبْشُ يَمْشِي

---

(١) سورة محمد ﷺ : (٣٠) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/١٢٦ ـ ١٢٧) ، وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (١٨/٦٥٣٦ ـ ٦٥٣٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٤٣٨ ـ ٤٣٩) من طريق الخطيب .

(٣) الصَّعْوة : عصفورة صغيرة حمراء الرَّأس ، والرَّشُّ : المطر الخفيف ، والطَّشُّ : الشَّديد منه .

وأمَّا المرأةُ . . فإنِّي كنتُ مُجتازاً في بعضِ الطُّرقاتِ ، فإذا أنا بامرأتَينِ ، وكنتُ راكباً علىٰ حمارةٍ ، فضرَطَتِ الحمارةُ ، فقالَتْ إحداهُما للأُخرىٰ : وَيْ ؛ حمارةُ الشَّيخِ تضرِطُ ، فغاظَني قولُها .

قلتُ لهُما : إنَّهُ ما حملَتْني أُنثىٰ قطُّ إلَّا ضرَطَتْ ، فضربَتْ بيدِها علىٰ كتفِ الأُخرىٰ ، وقالَتْ : كانَتْ أُمُّ هٰذا منهُ تسعةَ أشهرٍ في جَهْدٍ جَهِيدٍ (١)

نُكتةٌ

[في ولعِ الجاحظِ]

خ ١٦٧ ـ وبهِ قالَ : أنا الصَّيْمَريُّ ، ثنا المَرْزُبانيُّ ، ثنا أبو بكرٍ الجُرْجانيُّ ، ثنا المُبرِّدُ ، ثنا الجاحظُ قالَ : وقفتُ أنا وأبو حربٍ علىٰ قاصٍّ ، فأردتُ الولعَ بهِ ، فقلتُ لمَن حولَهُ : إنَّهُ رجلٌ صالحٌ ، لا يُحِبُّ الشُّهرةَ ، فتفرَّقوا عنهُ ، فتفرَّقوا ، فقالَ لي : اللهُ حسيبُكَ ، إذا لم يرَ الصَّيَّادُ طيراً . . كيفَ يَمُدُّ شبكتَهُ ؟(٢)

* * *

ك ١٦٨ ـ وبهِ قالَ : ثنا الصَّيْمَريُّ ، ثنا المَرْزُبانيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ يحيىٰ ، ثنا أبو العيناءِ قالَ : كانَ الجاحظُ يأكلُ معَ محمَّدِ بنِ عبدِ الملكِ الزَّيَّاتِ ، فجاؤوا بفالوذجةٍ ، فتولَّعَ محمَّدٌ بالجاحظِ ، فأمرَ أن يُجعَلَ مِن جهتِهِ ما رقَّ مِنَ الجامِ ، فأسرعَ في الأكلِ فتنظَّفَ ما بينَ يدَيهِ .

فقالَ ابنُ الزَّيَّاتِ : تقشَّعَتْ سماؤُكَ قبلَ سماءِ النَّاسِ !! فقالَ لهُ الجاحظُ : لأنَّ غيمَها كانَ رقيقاً(٣)

* * *

ك ١٦٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عبيدٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ النَّيْسابوريُّ قالَ : سمعتُ أبا عمرٍو ابنَ حمدانَ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ سعيدَ بنَ إسماعيلَ الواعظَ الرَّازيَّ يقولُ :

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/١٢٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٤٣٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٨٣) كلاهما من طريق الخطيب .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/١٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٤٣٨) من طريقه ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٨/٣٧٣) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/١٣٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٤٣٧) من طريقه ، وانظر « لطائف اللطف » للثعالبي (١٢٥) ، و« نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص ١٧١) .

دخلتُ معَ أبي حفصٍ ـ يعني : عمرَو بنَ [سلمٍ] [1] النَّيْسابوريَّ [2] ـ علىٰ مريضٍ ، فقالَ المريضُ : آهٍ ، فقالَ : ممَّن ؟ فسكتَ ، فقالَ : معَ مَن ؟ [3]

*

ك ١٧٠ ـ وبهِ قالَ : أنا ابنُ التَّوَّزيِّ ، ثنا أبو عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلَميُّ قالَ : سمعتُ أبا أحمدَ بنَ عيسىٰ يقولُ : سمعتُ محفوظَ بنَ محمودٍ يقولُ : سمعتُ أبا حفصٍ يقولُ : (الكرمُ طرحُ الدُّنيا لمَن يحتاجُ إليها ، والإقبالُ على اللهِ لاحتياجِكَ إليهِ) [4]

*

ك ١٧١ ـ وبهِ قالَ : ثنا الأَزَجيُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الهَمَذانيُّ ، ثنا الخُلْديُّ قالَ : سمعتُ الجُنَيدَ وذُكِرَ عندَهُ أبو حفصٍ النَّيْسابوريُّ فقالَ : كانَ رجلاً مِن أهلِ الحقائقِ ، ولو رأيتَهُ . . لَاستغنيتَ ، وقد كانَ بعيدَ الغَوْرِ .

ولقد قالَ لهُ يوماً رجلٌ مِن أصحابِهِ : كانَ مَن مضىٰ لهُمُ الآياتُ الظَّاهرةُ ، وليسَ لكَ مِن ذٰلكَ شيءٌ .

فقالَ لهُ : تعالَ ، فجاءَ بهِ إلىٰ سوقِ الحَدَّادينَ إلىٰ كورٍ مُحمّىً عظيمٍ ، فيهِ حديدةٌ عظيمةٌ ، فأدخلَ يدَهُ فأخذَها ، فبردَتْ في يدِهِ !!

فقالَ لهُ : تُجزِئُكَ ؟

قالَ : فأَعْظَمَ ذٰلكَ وأَكْبَرَهُ ، ثمَّ مضىٰ [5]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (مسلم) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٤٢/٢٠) .

(٢) توفِّي أبو حفص النَّيْسابوريُّ سنة أربع ـ وقيل : خمس ـ وستِّين ، وقيل : سبعين ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) في « سير أعلام النبلاء » زيادة : (قالَ : فكيفَ أقولُ ؟ قالَ : لا يكنْ أنينُكَ شكوىٰ ، ولا سكوتُكَ تجلُّداً ، ولٰكنْ بينَ ذٰلكَ) ، وأخرج الخبرَ الخطيبُ البغداديُّ في « تاريخ بغداد » (١٣٤/١٤) ، وابنُ الجوزي في « المنتظم » (١٦٤/٧) من طريقه ، وانظر « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٣٣/١٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥١١/١٢) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣٤/١٤) ، والسلمي في « طبقات الصوفية » (ص ١١٨ ـ ١١٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٣٠/١٠) ، وانظر « الأنساب » (١٨٢/٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١٢٤/٤) ، و« تاريخ الإسلام » (١٤٥/٢٠) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣٤/١٤) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٣١١/١) ، و« الأنساب » (١٨٢/٢) ، و« صفة الصفوة » لابن الجوزي (٨٠/٤) .

حكاية

[في سَعةِ مجلسِ عاصمِ بنِ عليٍّ الواسِطيِّ]

١٧٢ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو محمَّدٍ الخَلّالُ قالَ : ذكرَ أبو القاسمِ منصورُ بنُ جعفرِ بنِ ملاعبٍ : أنَّ إسماعيلَ بنَ عليٍّ العاصميَّ حدَّثَهُم قالَ : ثنا عمرُ بنُ حفصٍ قالَ : وجَّهَ المُعتصِمُ بمَن يَحْزِرُ مجلسَ عاصمِ بنِ عليِّ بنِ عاصمٍ [١] ، في رحبةِ النَّخلِ الَّتي في جامعِ الرُّصافةِ .

قالَ : وكانَ عاصمُ بنُ عليٍّ يجلسُ علىٰ سطحِ المُسقَّطاتِ ، وينتشرُ النَّاسُ في الرَّحبةِ وما يليها ، فيَعظُمُ الجمعُ جدّاً ، حتَّىٰ سمعتُهُ يوماً يقولُ : أنا اللَّيثُ بنُ سعدٍ ، ويُستعادُ ، فأعادَ أربعَ عشرةَ مرَّةً ، والنَّاسُ لا يسمعونَ !!

قالَ : وكانَ هارونُ المُستملي يركبُ نخلةً معوجَّةً ، ويستملي عليها ، فحَزَروا المجلسَ عشرينَ ومئةَ ألفٍ !! [٢]

حكاية

[محنةُ عفَّانَ في القولِ بخَلْقِ القرآنِ]

خ ك ١٧٣ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ، أنا عثمانُ بنُ أحمدَ الدَّقَّاقُ ، ثنا حنبلُ بنُ إسحاقَ قالَ : حضرتُ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ ويحيى بنَ معينٍ عندَ عفَّانَ [٣] بعدَما دعاهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ للمحنةِ [٤] ، وكانَ أوَّلَ مَنِ امتُحِنَ مِنَ النَّاسِ عفَّانُ ، فسألَهُ يحيى بنُ معينٍ مِنَ الغدِ بعدَما امتُحِنَ ، وأبو عبدِ اللهِ حاضرٌ ونحنُ معَهُ ، فقالَ لهُ : يا [أبا عثمانَ] [٥] ؛ أَخبِرْنا بما قالَ لكَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ وما رددتَ عليهِ .

---

(١) هو أبو الحسين ، عاصم بن عليّ بن عاصم بن صُهَيب ، مولىٰ قريبة بنت محمَّد بن أبي بكر الصِّدِّيق ، واسِطيٌّ نزل بغداد ، توفِّي سنة إحدىٰ وعشرين ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ) ، ويَحْزِر : يُقدِّر .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٧١/١٤) ، والسمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ١٦ ـ ١٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣١٠/٦) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٥١٣/١٣ ـ ٥١٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٦٣/٩) .

(٣) هو أبو عثمان ، عفَّان بن مسلم ، الصَّفَّار البصريُّ ، مولىٰ عزرة بن ثابت الأنصاريِّ ، سكن بغداد ، ومات بها سنة عشرين ومئتين ، وله خمس وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٤) هو المعروف بصاحب الجسر ، وَلِيَ إمرة بغداد مدَّة طويلة ، وعلىٰ يده امتُحِن العلماء بأمر المأمون ، وأكرهوا على القول بخَلْق القرآن ، انظر « تاريخ الإسلام » (٩١/١٧ ـ ٩٢) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ج) : (أبا عمرو) ، وفي (ب) : (عمرو) ، والمثبت موافق لما في هامش (أ) المتقدِّم ، ولما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢٠١/١٤) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (١٦٥) .

فقالَ عفَّانُ ليحيىٰ : يا أبا زكريَّا ؛ لم أُسَوِّدْ وجهَكَ ولا وجوهَ أصحابي ؛ إنِّي لم أُجِبْ .

فقالَ لهُ : فكيفَ كانَ ؟ قالَ : دعاني إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، فلمَّا دخلتُ عليهِ . . قرأَ عليَّ الكتابَ الَّذي كتبَ بهِ المأمونُ مِن أرضِ الجزيرةِ مِنَ الرَّقَّةِ ، فإذا فيهِ : (امتحِنْ عفَّانَ وادعُهُ إلىٰ أن يقولَ : القرآنُ كذا وكذا ، فإن قالَ ذٰلكَ . . فأَقِرَّهُ علىٰ أمرِهِ ، وإن لم يُجِبْكَ إلىٰ ما كتبتُ بهِ إليكَ . . فاقطعْ عنهُ الَّذي يُجرىٰ عليهِ) ، وكانَ المأمونُ يُجري عليهِ خمسَ مئةِ درهمٍ كلَّ شهرٍ .

قالَ عفَّانُ : فلمَّا قرأَ الكتابَ عليَّ . . قالَ لي إسحاقُ بنُ إبراهيمَ : ما تقولُ يا عفَّانُ ؟

فقرأتُ عليهِ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ حتَّىٰ ختمتُها[1] ، فقلتُ : أمخلوقٌ هٰذا ؟!

فقالَ لي إسحاقُ : يا شيخُ ؛ إنَّ أميرَ المؤمنينَ يقولُ : إنَّكَ إن لم تُجِبْهُ إلىٰ ما يدعوكَ إليهِ . . يقطعْ عنكَ ما يُجري عليكَ ، وإن قطعَ عنكَ أميرُ المؤمنينَ . . قطعْنا عنكَ نحنُ أيضاً .

فقلتُ لهُ : يقولُ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[2] ، قالَ : فسكتَ عنِّي إسحاقُ وانصرفتُ .

فسُرَّ بذٰلكَ أبو عبدِ اللهِ ويحيى بنُ معينٍ ، ومَن حضرَ مِن أصحابِنا[3]

حكاية

[عنايةُ اللهِ للصَّادقينَ]

خ ١٧٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عيسى بنِ عبدِ العزيزِ البَزَّازُ الهَمَذانيُّ ، ثنا أبو الفضلِ صالحُ بنُ أحمدَ التَّميميُّ الحافظُ قالَ : سمعتُ القاسمَ بنَ أبي صالحٍ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ ـ يعني : ابنَ الحسينِ ابنِ دَيْزِيلَ ـ يقولُ : لمَّا دُعِيَ عفَّانُ للمحنةِ . .

---

(١) سورة الإخلاص : (١ ـ ٤) .

(٢) سورة الذاريات : (٢٢) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٢٠٣ ـ ٢٠٤) ، وابن بطة في « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية » (٢٤٧٧) ، وانظر « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٤/٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤/٨ ـ ٩) ، و« تهذيب الكمال » (٢٠/١٦٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/٢٤٤) .

كنتُ آخِذاً بلجامِ حمارِهِ ، فلمَّا [حضرَ][1] . . عُرِضَ عليهِ القولُ فامتنعَ ، فقيلَ لهُ : يُحبَسُ عطاؤُكَ ، قالَ : وكانَ يُعطىٰ في الشَّهرِ ألفَ درهمٍ ، فقالَ : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[2] .

قالَ : فلمَّا رجعَ إلىٰ دارِهِ . . عذلَهُ نساؤُهُ ومَن في دارِهِ ، قالَ : وكانَ في دارِهِ نحوٌ مِن أربعينَ إنساناً ، قالَ : فدقَّ عليهِ داقٌّ البابَ ، فدخلَ عليهِ رجلٌ شبَّهتُهُ بسمَّانٍ أو زيَّاتٍ ، ومعَهُ كيسٌ فيهِ ألفُ درهمٍ ، فقالَ : يا أبا عثمانَ ؛ ثبَّتَكَ اللهُ كما ثبَّتَّ الدِّينَ ، وهٰذا في كلِّ شهرٍ[3] .

حكاية

[في أجوبةِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ لابنِ الأزرقِ]

ك ١٧٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الكاتبُ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ بنِ سليمانَ النَّخَّاسُ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ سليمِ بنِ إسحاقَ المُقرِئُ ، ثنا الحسنُ بنُ عرفةَ ، عن أبيهِ ، ثنا عاصمُ بنُ سليمانَ الحَذَّاءُ البصريُّ ، عنِ ابنِ جريجٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي رَباحٍ قالَ : جاءَ نافعُ بنُ الأزرقِ إلى ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما فقالَ : والَّذي نفسي بيدِهِ ؛ لَتُفَسِّرَنَّ لي آياً مِن كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ أو لَأَكْفُرَنَّ بهِ .

فقالَ لهُ ابنُ عبَّاسٍ : (ويحَكَ !! أنا لها اليومَ ، أيُّ آيٍ ؟) .

قالَ : أَخبِرْني عن قولِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾[4] ، وقالَ في آيةٍ أُخرىٰ : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ ﴾[5] ، فكيفَ علموا وقد قالوا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ ؟

وأَخبِرْني عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[6] ، وقالَ في آيةٍ أُخرىٰ : ﴿ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ ﴾[7] ، فكيفَ يختصمونَ وقد قالَ : ﴿ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ ﴾ ؟

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

(٢) سورة الذاريات : (٢٢) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٠٤/١٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣٠٣/٦) من طريقه ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٩/٤) ، و« تهذيب الكمال » (١٦٦/٢٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٤٥/١٠) .

(٤) سورة المائدة : (١٠٩) .

(٥) سورة القصص : (٧٥) .

(٦) سورة الزمر : (٣١) .

(٧) سورة قٓ : (٢٨) .

وأَخبِرْني عن قولِ اللهِ تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾ [١] ، فكيفَ شهدوا وقد خَتَمَ على الأفواهِ ؟

فقالَ ابنُ عبَّاسٍ : (ثكلَتْكَ أُمُّكَ يا بنَ الأزرقِ !! إنَّ للقيامةِ أحوالاً وأهوالاً وفظائعَ وزلازلَ ، فإذا تشقَّقَتِ السَّماواتُ ، وتناثرَتِ النُّجومُ ، وذهبَ ضوءُ الشَّمسِ والقمرِ ، وذَهَلَتِ الأُمَّهاتُ عنِ الأولادِ ، وقذفَتِ الحواملُ ما في البطونِ ، وسُجِّرَتِ البحارُ ، ودُكدِكَتِ الآكامُ ، ولم يلتفتْ والدٌ إلىٰ ولدٍ ، ولا ولدٌ إلىٰ والدٍ .

وجِيءَ بالجنَّةِ ؛ تلوحُ فيها قبابُ الدُّرِّ والياقوتِ حتَّىٰ تُنصَبَ عن يمينِ العرشِ .

ثمَّ جِيءَ بجهنَّمَ ؛ تُقادُ بسبعينَ ألفَ زمامٍ مِن حديدٍ ، مُمسِكٌ بكلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ ، لها عينانِ زرقاوانِ ، تجرُّ الشَّفةَ السُّفلىٰ أربعينَ عاماً ، تخطِرُ كما يخطِرُ الفحلُ ، لو تُرِكَتْ . . لأَتَتْ علىٰ كلِّ مُؤمِنٍ وكافرٍ .

ثمَّ يُؤتىٰ بها حتَّىٰ تُنصَبَ عن يسارِ العرشِ ، فتستأذنُ ربَّها في السُّجودِ فيأذنُ لها ، فتحمدُهُ بمحامدَ لم يسمعِ الخلائقُ بمثلِها ؛ تقولُ [٢] : لكَ الحَمْدُ إلٰهي ؛ إذ جعلتَني أنتقمُ مِن أعدائِكَ ، ولم تجعلْ شيئاً ممَّا خلقتَ يُنتَقَمُ بهِ منِّي ، إليَّ بأهلي ، فلَهِيَ أَعْرَفُ بأهلِها مِنَ الطَّيرِ بالحَبِّ علىٰ وجهِ الأرضِ .

حتَّىٰ إذا كانَتْ مِنَ الموقفِ علىٰ مسيرةِ مئةِ عامٍ ، وهوَ قولُ اللهِ تعالىٰ : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٣] . . زفرَتْ زفرةً ، فلا يبقىٰ مَلَكٌ مُقرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ ، ولا صديقٌ مُنتخَبٌ ، ولا شهيدٌ ما هنالكَ . . إلَّا خرَّ جاثياً علىٰ ركبتَيهِ .

قالَ : ثمَّ تَزفِرُ الثَّانيةَ زفرةً ، فلا يبقىٰ قطرةٌ مِنَ الدُّموعِ إلَّا نَدَرَتْ [٤] ، فلو كانَ لكلِّ آدميٍّ يومَئذٍ عملُ سبعينَ نبيّاً . . لظَنَّ أنَّهُ سيُواقِعُها !!

ثمَّ تَزفِرُ الثَّالثةَ زفرةً ، فتقلعُ القلوبَ مِن أماكنِها ، فتصيرُ في اللَّهَواتِ والحناجرِ ، ويعلو سوادَ العيونِ بياضُها ، ويُنادي كلُّ آدميٍّ يومَئذٍ : يا ربِّ ؛ نفسي نفسي ، لا أسألُكَ غيرَها .

---

(١) سورة يسۤ : (٦٥) .

(٢) عُنْوِنَ ها هنا في هامش (أ) بـ : (فائدة) .

(٣) سورة الفرقان : (١٢) .

(٤) نَدَرَتْ : سَقَطَتْ .

حتَّىٰ إنَّ إبراهيمَ [عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ] لَيَتعلَّقُ بساقِ العرشِ يُنادي : « يا ربِّ ؛ نفسي نفسي ، لا أسأَلُكَ غيرَها » .

ونبيُّكُم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « يَا رَبِّ ؛ أُمَّتِي أُمَّتِي » ، لَا همَّةَ لهُ غيرَكُم .

قالَ : فعندَ ذٰلكَ يُدعىٰ بالأنبياءِ والرُّسلِ ، فيُقالُ لهُم : ﴿ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآ ﴾ [1] ، طاشَتِ الأحلامُ ، وذَهَلَتِ العقولُ !!

فإذا رجعَتِ القلوبُ إلىٰ أماكنِها . . ﴿ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ ﴾) [2]

قالَ : (وأمَّا قولُهُ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴾ [3] . . فهٰذا وهُمْ بالموقفِ يختصمونَ ؛ فيُؤخَذُ للمظلومِ مِنَ الظَّالمِ ، وللمملوكِ مِنَ المالكِ ، وللضَّعيفِ مِنَ الشَّديدِ ، وللجَمَّاءِ مِنَ القَرْناءِ ، حتَّىٰ يُؤدَّىٰ إلىٰ كلِّ ذي حقٍّ حقُّهُ .

فإذا أُدِّيَ إلىٰ كلِّ ذي حقٍّ حقُّهُ . . أُمِرَ بأهلِ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ ، وأهلِ النَّارِ إلى النَّارِ ، فلمَّا أُمِرَ بأهلِ النَّارِ إلى النَّارِ . . اختصموا فقالوا : ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا ﴾ [4] ، و﴿ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴾) [5]

قالَ : (فيقولُ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴾ [6] ، إنَّما الخصومةُ بالموقفِ ، وقد قضيتُ بينَكُم بالموقفِ ، فلا تختصموا لديَّ .

وأمَّا قولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم ﴾ [7] فهٰذا يومَ القيامةِ ، حيثُ يرى الكفَّارُ ما يُعطي اللهُ عزَّ وجلَّ أهلَ التَّوحيدِ مِنَ الفضائلِ والخيرِ ، يقولونَ : تعالَوا حتَّىٰ نحلفَ باللهِ ما كنَّا مُشرِكينَ) ، قالَ : (فتكلَّمُ الأيدي بخلافِ ما قالَتِ الألسنُ ، وتشهدُ الأرجلُ تصديقاً للأيدي) ، قالَ : (ثمَّ يأذَنُ للأفواهِ فتنطقُ : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ [8] ؛ يعني : جوارحَهُم) [9]

---

(1) سورة المائدة : (١٠٩) .
(2) سورة القصص : (٧٥) .
(3) سورة الزمر : (٣١) .
(4) سورة الأعراف : (٣٨) .
(5) سورة صۤ : (٦١) .
(6) سورة قۤ : (٢٨) .
(7) سورة يسۤ : (٦٥) .
(8) سورة فصلت : (٢١) .
(9) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٤٨/١٤ ـ ٢٥٠) .

حكاية

[لا آمَنُ حيلةً في ديني]

خ ١٧٦ ـ وبالأسانيدِ المُتقدِّمةِ إلى التَّنُوخيِّ قالَ[١] : أنا أبي ، ثنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ هشامٍ الكاتبُ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ سعدٍ مولىٰ بني هاشمٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضي ، عن أشياخِهِ قالَ : كانَ عافيةُ القاضي[٢] يتقلَّدُ للمهديِّ القضاءَ بأحدِ جانبَي مدينةِ السَّلامِ ، وكانَ عالماً زاهداً ، فصارَ إلى المهديِّ في وقتِ الظُّهرِ في يومٍ مِنَ الأيَّامِ وهوَ خالٍ ، فاستأذنَ عليهِ فأدخلَهُ ، فإذا معَهُ قِمَطْرٌ[٣] ، فاستعفاهُ مِنَ القضاءِ ، واستأذنَهُ في تسليمِ القِمَطْرِ إلىٰ مَن يأمرُ بذٰلكَ ، فظنَّ المهديُّ أنَّ بعضَ الأولياءِ قد غضَّ منهُ وأضعفَ يدَهُ في الحكمِ ، فقالَ لهُ ذٰلكَ ، فقالَ : ما جرىٰ مِن هٰذا شيءٌ .

فقالَ : فما كانَ سببُ استعفائِكَ ؟

قالَ : كانَ تقدَّمَ إليَّ خصمانِ مُوسِرانِ وجيهانِ مذ شهرَينِ في قصَّةٍ مُعضِلةٍ مُشكِلةٍ ، وكلٌّ يدَّعي بيِّنةً وشهوداً ، ويُدلي بحُجَجٍ تحتاجُ إلىٰ تأمُّلٍ وتثبُّتٍ ، فرددتُ الخصومَ رجاءَ أن يَصطَلِحوا ، أو يَعِنَّ لي وجهُ فَصْلِ ما بينَهُما .

قالَ : فوقفَ أحدُهُما مِن خبَري علىٰ أنِّي أُحِبُّ الرُّطَبَ السُّكَّرَ ، فعمدَ في وقتِنا ـ وهوَ أوَّلُ أوقاتِ الرُّطبِ ـ إلىٰ أن جمعَ رُطَباً سُكَّراً لا يتهيَّأُ في وقتِنا جَمْعُ مثلِهِ [إلَّا][٤] لأميرِ المؤمنينَ ، وما رأيتُ أحسنَ منهُ ، ورشا بوَّابي جملةَ دراهمَ علىٰ أن يُدخِلَ الطَّبقَ إليَّ ، ولا يُباليَ أن يُرَدَّ ، فلمَّا أُدخِلَ إليَّ . . أنكرتُ ذٰلكَ ، وطردتُ بوَّابي ، وأمرتُ بردِّ الطَّبقِ فرُدَّ .

فلمَّا كانَ اليومُ . . تقدَّمَ إليَّ معَ خصمِهِ ، فما تساويا في قلبي ولا في عيني !! وهٰذا يا أميرَ المؤمنينَ ولم أقبلْ ، فكيفَ يكونُ حالي لو قبلتُ ؟!

---

(١) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١١) .

(٢) هو عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شدَّاد بن ثمامة بن سلمة ، الكُوفيُّ ، من ولد يعرب بن قحطان ، ولَّاه المهديُّ القضاء سنة إحدىٰ وستِّين ومئة ، وكان من أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، وثَّقه يحيى بن معين في رواية ، وعنه تضعيفه في الحديث . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) القِمَطْر : ما تُصان به الكتب .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

ولا آمَنُ يقعُ عليَّ حيلةٌ في ديني فأهلكَ ، وقد فسدَ النَّاسُ ، فأَقِلْني أقالَكَ اللهُ وأَعفِني ، فأعفاهُ (١)

حكاية

[في زهدِ أبي ترابٍ النَّخْشَبيِّ]

خ ك ١٧٧ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا عبيدُ اللهِ بنُ أبي الفتحِ ، وعمرُ بنُ الحسينِ بنِ إبراهيمَ الخَفَّافُ قالا : ثنا أبو الفضلِ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ الزُّهريُّ ، ثنا أبو الطَّيِّبِ أحمدُ بنُ جعفرٍ الحَذَّاءُ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسينَ ابنَ خَيْرانَ الفقيهَ يقولُ : مرَّ أبو ترابٍ النَّخْشَبيُّ (٢) بمُزيِّنٍ ، فقالَ لهُ : تحلقُ رأسي للهِ عزَّ وجلَّ ؟ فقالَ : اجلسْ ، فجلسَ .

ففيما يحلقُ رأسَهُ . . مرَّ بهِ أميرٌ مِن أهلِ بلدِهِ ، فسألَ حاشيتَهُ فقالَ لهُم : أليسَ هـٰذا أبو ترابٍ ؟ قالوا : نعم ، قالَ : أليسَ معَكُم مِنَ الدَّنانيرِ ؟ فقالَ لهُ رجلٌ مِن خاصَّتِهِ : معي خريطةٌ فيها ألفُ دينارٍ (٣) ، فقالَ : إذا قامَ . . فأَعطِهِ واعتذرْ إليهِ ، وقلْ لهُ : لم يكنْ معَنا غيرُ هـٰذهِ .

فجاءَ الغلامُ إليهِ ، فقالَ لهُ : إنَّ الأميرَ يقرأُ عليكَ السَّلامَ ، وقالَ لكَ : ما حضرَ معَنا غيرُ هـٰذهِ الدَّنانيرِ ، فقالَ لهُ : ادفعْها إلى المُزيِّنِ ، فقالَ المُزيِّنُ : أيشٍ أعملُ بها ؟ فقالَ : خُذْها ، فقالَ : لا واللهِ ، ولو أنَّها ألفَي (٤) دينارٍ . . ما أخذتُها .

فقالَ لهُ أبو ترابٍ : مُرَّ إليهِ ، فقلْ لهُ : إنَّ المُزيِّنَ ما أخذَها ، خُذْها أنتَ ، فاصرِفْها في مهمَّاتِكَ (٥)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٥٥/١٤ ـ ٢٥٦) ، والتنوخي في « نشوار المحاضرة » (١٥١/٨ ـ ١٥٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٤٣٣/٥ ـ ٤٣٤) من طريق الخطيب .

(٢) هو أبو تراب ، عَسْكَر بن الحُصَين ، النَّخْشَبيُّ الزَّاهد المشهور ، توفِّي بالبادية ، قيل : نهشته السِّباع ، سنة خمس وأربعين ومئتين ، قدم بغداد غير مرَّة ، وكان كثير السَّفر إلىٰ مكَّة ، والنَّخْشَبيُّ : نسبة إلىٰ نَخْشَب ؛ مدينة من بلاد ما وراء النَّهر ، وعُرِّبت فقيل لها : نَسَف . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) **الخريطة** : وعاء أو كيس من خرق .

(٤) كذا في (أ ، ب ، ج) ، وصوابها : (ألف) ، وكُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٦٦/١٤ ـ ٢٦٧) ، ومحمد بن عبد الباقي في « مشيخته » (٧٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٤/٤٠) من طريق الخطيب ، وابن الظاهري في « مشيخة ابن البخاري » (٩٢٦/٢ ـ ٩٢٨) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٨/٢) .

حكاية

[كُلْها بعدَ سبعينَ جلدةً]

ك ١٧٨ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ الأصغرُ ، أنا أبو عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا العبَّاسِ محمَّدَ بنَ الحسنِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا ترابٍ يقولُ : ما تمنَّتْ عليَّ نفسي قطُّ إلَّا مرَّةً ؛ تمنَّتْ عليَّ جُبْناً (١) وبيضاً ، وأنا في سفرٍ ، فعدلتُ مِنَ الطَّريقِ إلىٰ قريةٍ ، فلمَّا دخلتُها . . وثبَ إليَّ رجلٌ ، فتعلَّقَ بي وقالَ : إنَّ هٰذا كانَ معَ اللُّصوصِ .

قالَ : فبطحوني فضربوني سبعينَ جلدةً ، فوقفَ علينا رجلٌ فصرخَ : هٰذا أبو ترابٍ ، فأقاموني واعتذروا إليَّ ، وأدخلَني الرَّجلُ منزلَهُ ، وقدَّمَ خبزاً وبيضاً !!

فقلتُ : كُلْها بعدَ سبعينَ جلدةً (٢)

* *

ك ١٧٩ ـ وبهِ قالَ : [أنا] مكِّيُّ بنُ عليٍّ المُؤذِّنُ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ يحيى المُزكِّي ، قالَ : سمعتُ أبا عبيدٍ دارمَ ابنَ أبي دارمٍ يقولُ : سمعتُ أخي أحمدَ بنَ محمَّدٍ قالَ : قالَ أبو ترابٍ النَّخْشَبيُّ : وقفتُ خمساً وخمسينَ وقفةً ، فلمَّا كانَ مِن قابلٍ . . رأيتُ النَّاسَ بعرفاتٍ ما رأيتُ قطُّ أكثرَ منهُم ، ولا أكثرَ خشوعاً وتضرُّعاً ودعاءً ، فأعجبَني ذٰلكَ ، فقلتُ : اللَّهُمَّ ؛ مَن لم تتقبَّلْ حجَّتَهُ مِن هٰذا الخَلْقِ . . فاجعلْ ثوابَ حجَّتي لهُ .

وأفضْنا مِن عرفاتٍ وبتْنا بجَمْعَ (٣) ، فرأيتُ في المَنامِ هاتفاً يهتفُ بي : تتسخَّىٰ علينا وأنا أسخى الأسخياءِ ؟! وعزَّتي وجلالي ؛ ما وقفَ هٰذا الموقفَ أحدٌ قطُّ إلَّا غفرتُ لهُ .

فانتبهتُ فَرِحاً بهٰذهِ الرُّؤيا ، فرأيتُ يحيى بنَ مُعاذٍ الرَّازيَّ ، وقصصتُ عليهِ الرُّؤيا ، فقالَ : إن صدقَتْ رؤياكَ . . فإنَّكَ تعيشُ أربعينَ يوماً .

---

(١) كذا ، وفي مصادر التخريج : (خبزاً) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٦٧/١٤) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤٧/١٠) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ١٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٥/٤٠) من طريق الخطيب ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٣١٥/١) .

(٣) جَمْع : مزدلفة .

فلمَّا كانَ يومُ أحدٍ وأربعينَ . . جاؤوا إلىٰ يحيى بنِ مُعاذٍ ، وقالوا : إنَّ أبا ترابٍ ماتَ ، فغسلَهُ ودفنَهُ [1] .

حكاية

[عِلَّةُ أبي زرعةَ الرَّازيِّ]

١٨٠ ـ وبالأسانيدِ المُتقدِّمةِ إلى التَّنُوخيِّ قالَ [2] : أنا طلحةُ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ ، أنا قاضي القضاةِ أبو السَّائبِ ، حدَّثني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي حاتمٍ الرَّازيُّ قالَ : اعتلَّ أبو زرعةَ الرَّازيُّ ، فمضيتُ معَ أبي لعيادتِهِ ، فسألَهُ أبي عن سببِ هٰذهِ العِلَّةِ .

فقالَ : بتُّ وأنا في عافيةٍ ، فوقعَ في نفسي أنِّي إذا أصبحتُ . . أخرجتُ مِنَ الحديثِ ما أخطأَ فيهِ سفيانُ الثَّوْريُّ .

فلمَّا أصبحتُ . . خرجتُ إلى الصَّلاةِ ، وفي دربِنا كلبٌ ما نبحَني قطُّ ، ولا رأيتُهُ عدا علىٰ أحدٍ ، فعدا عليَّ ، فعقرَني وحُمِمْتُ ، فوقعَ في نفسي أنَّ هٰذا عقوبةٌ لِمَا وضعتُ في نفسي ، فأضربتُ عن ذٰلكَ الرَّأيِ [3] .

حكاية

[ستصيرونَ آيةً للعالَمينَ]

١٨١ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ رزقٍ ، ومحمَّدُ بنُ الحسينِ ابنِ الفضلِ قالا : أنا دَعْلَجُ بنُ أحمدَ قالَ : ثنا ـ وفي حديثِ ابنِ الفضلِ : أنا ـ أحمدُ بنُ عليٍّ الأَبَّارُ ، ثنا يحيى بنُ أيُّوبَ ، ثنا أبو المُنذِرِ الكُوفيُّ قالَ : كنَّا بمكَّةَ ، فقدمَ عطاءُ بنُ عجلانَ البصريُّ فأخذَ في الطَّوافِ ، فجاءَ غِيَاثُ بنُ إبراهيمَ ، وكِدَامُ بنُ مِسْعَرِ بنِ كِدَامٍ ، وآخَرُ قد سمَّاهُ ، فجعلوا يكتبونَ حديثَ عطاءٍ ، فإذا مرُّوا بعشرةِ أحاديثَ . . أدخلوا حديثاً مِن غيرِ حديثِهِ ، حتَّىٰ كتبوا أحاديثَ وهوَ يطوفُ .

فقالَ لهُم حفصُ بنُ غياثٍ : ويلَكُمْ !! اتَّقوا اللهَ ؛ فإنِّي أراكُم ستصيرونَ آيةً للعالَمينَ ،

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٢٦٧ ـ ٢٦٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٢٢٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/٣٤٧ ـ ٣٤٨) من طريق الخطيب ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/١٥) .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١١) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٢٧٤) .

تريدونَ أن تنتهكوا حرمةَ الشَّهرِ ، وحرمةَ البلدةِ ، وحرمةَ الإسلامِ ؟! قالَ : فانتهروهُ ، وصاحوا بهِ وقالوا : أنتَ أحمقُ ، قالَ : فقامَ وتركَهُم .

فلمَّا فرغَ . . كلَّموهُ أن يُحدِّثَهُم ورفقوا ، فأخذَ الكتابَ فجعلَ يقرأُ ، حتَّى [انتهىٰ][1] إلىٰ حديثٍ ، فمرَّ فيهِ فقرأَهُ ، فنظرَ بعضُهُم إلىٰ بعضٍ ، ثمَّ قرأَ آخرَ ، حتَّى انتهىٰ إلى الثَّالثِ ، فانتبهَ الشَّيخُ واستضحكوا ، قالَ : فقالَ لهُم : إن كنتُم أردتُم شَيْني . . فعلَ اللهُ بكُم وفعلَ .

قالَ أبو المُنذِرِ : فوثبتُ خشيةَ أن تُصيبَني ؛ فأمَّا كِدَامٌ . . فاختلطَ ووسوسَ ، وكوىٰ رأسَهُ أربعَ كيَّاتٍ ، وأمَّا غِيَاثٌ . . فبطَلَ حديثُهُ ولم يُصدَّقْ ، حتَّىٰ لو حدَّثَ بالصِّدقِ . . لم يُصدَّقْ[2]

حكاية

[إنَّ في العِلَلِ لنعماءَ]

١٨٢ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ المُنْكَدِريُّ ، ثنا أبو أحمدَ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المُقرِئُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ، ثنا القاسمُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ العبَّاسِ الصُّوليُّ الكاتبُ قالَ : اعتلَّ الفضلُ بنُ سهلٍ ذو الرِّياستَينِ[3] عِلَّةً بخُراسانَ ، ثمَّ برئَ فجلسَ للنَّاسِ ، فهنَّؤوهُ بالعافيةِ .

فقالَ : إنَّ في العِلَلِ لَنعماءَ ينبغي للعقلاءِ أن يعرفوها : تمحيصُ الذُّنوبِ ، وتعرُّضٌ لثوابِ الصَّبرِ ، وإيقاظٌ مِنَ الغفلةِ ، وإذكارٌ للنِّعمةِ في حالِ الصِّحَّةِ ، واستدعاءٌ للتَّوبةِ ، وحضٌّ على الصَّدقةِ ، **وفي قضاءِ اللهِ وقدرِهِ بُعْدُ الخِيارِ** .

فنسيَ النَّاسُ ما تكلَّموا بهِ ، وانصرفوا بكلامِ الفضلِ بنِ سهلٍ[4]

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٢٧٨) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٣/١٠٩٧) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٠/٩٧ ـ ٩٨) .

(٣) هو أبو العبَّاس ، الفضل بن سهل بن عبد الله ، الملقَّب : ذا الرِّياستين ، المشهور ، كان من أولاد ملوك المجوس ، قتل في الحمَّام سنة اثنتين ومئتين ، فقتل به المأمون جماعة ، وكان عمره يوم قتل إحدىٰ وأربعين سنة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٣٠٢) ، والمهرواني في « المهروانيات » (١٤٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/١١٨) من طريق الخطيب ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١/١٨٨) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٢/١٤٢) ، و« لطائف اللطف » للثعالبي (٧٩) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤/٣٣٤) .

نُكْتَةٌ

[فضلُ الفضلِ]

١٨٣ ـ وبـهِ قـالَ : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ النَّرْسيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ المُكتفي باللهِ ، ثنا ابنُ الأنباريِّ قالَ : (قالَ رجلٌ للفضلِ بنِ سهلٍ : أسكتَني عن وصفِكَ تساوي أفعالِكَ في السُّؤددِ ، وحيَّرَني فيها كثرةُ عددِها ، فليسَ إلىٰ ذِكْرِ جميعِها سبيلٌ ، وإذا أردتُ وصفَ واحدةٍ . . اعترضَتْ أختُها ؛ إذ كانَتِ الأُولىٰ بالذِّكْرِ ، فلستُ أَصِفُها إلَّا بإظهارِ العجزِ عن وصفِها)[١]

* * *

خ ١٨٤ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ أبي طاهرٍ الدَّقَّاقُ ، وعليُّ بنُ أحمدَ الرَّزَّازُ ، قالَ محمَّدٌ : ثنا ، وقالَ عليٌّ : أنا أحمدُ بنُ سلمانَ النَّجَّادُ ، ثنا الفتحُ بنُ شخرف العابدُ قالَ[٢] : سمعتُ أبا بكرٍ ابنَ زنجويهِ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرَّزَّاقِ يقولُ : سمعتُ سفيانَ الثَّوْريَّ يقولُ لوُهَيبِ بنِ الوردِ وهوَ ينظرُ إلى الكعبةِ : وربِّ هٰذهِ البَنِيَّةِ[٣] ؛ إنِّي لَأُحِبُّ الموتَ[٤]

فقالَ لهُ وُهَيبٌ : ولِمَ يا أبا عبدِ اللهِ ؟

قالَ : فقالَ سفيانُ : يا أبا أُميَّةَ ؛ تستقبلُكَ أمورٌ عِظامٌ ، تستقبلُكَ أمورٌ عِظامٌ[٥]

نُكْتَةٌ

[في عاقبةِ مَن كسروا رَباعِيَةَ المُصطفىٰ ﷺ]

خ ١٨٥ ـ وبـهِ قـالَ : أنا إبراهيـمُ بنُ مخلدٍ الـمُعدَّلُ ، ثنا محـمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيـمَ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٠٢/١٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١١٧/٦) من طريقه ، وانظر « الحيوان » للجاحظ (٩٢/٢) لكن عن جعفر الضبي .

(٢) مات الفتح بن شخرف العابد المشهور في شوَّال سنة ثلاث وسبعين ومئتين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) البَنِيَّة : الكعبة ، وكانت تدعىٰ بَنِيَّة سيِّدنا إبراهيم عليه السَّلام ؛ لأنَّه بناها .

(٤) لا يُناسِبُ المعنىٰ إلَّا زيادة ألف بعد (لا) ، قاله محمَّد المُظفَّريُّ . انتهىٰ من هامش (أ) .
ويُؤيِّده : أنَّ سفيان الثَّوْريَّ كان رأساً في الزُّهد والتَّألُّه والخوف ، حتَّىٰ إنَّه كان إذا أخذ في ذِكْر الآخرة . . بالَ دماً !! وذكر الذَّهبيُّ عنه أنَّه قال : (الله أرحم من الوالدة الشَّفيقة الرَّفيقة ، إنَّه جواد كريم ، وكيف لي أن أُحِبَّ لقاءه وأنا أكره الموتَ ؟!) ، وغير ذٰلك من القصص ، انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٤١/٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٦٣/١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣١/٤٨ ـ ٢٣٢) .

الحَكِيميُّ [١] ، ثنا الفتحُ بنُ شخرف أبو نصرٍ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ خلفٍ العَسْقَلانيَّ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ يوسفَ الفِرْيابيَّ يقولُ : (لقد بلغَني أنَّ الَّذينَ كسروا رَباعِيَةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يُولَدْ لهُم صبيٌّ فنبتَتْ لهُ رَباعِيَةٌ !!) [٢]

❊

خ ك ١٨٦ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني أبو سعدٍ المالينيُّ قراءةً ، ثنا أبو الحسنِ حامدُ بنُ إدريسَ بنِ محمَّدِ بنِ إدريسَ المَوْصِليُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ عليِّ العمريُّ ، ثنا فتحُ بنُ شخرف ، ثنا محمَّدُ بنُ يزيدَ بنِ سنانٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ أيُّوبَ ، عن ميمونِ بنِ مهرانَ ، عنِ ابنِ عمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَلَّمَا يُوجَدُ فِي آخِرِ أُمَّتِي دِرْهَمُ حَلَالٍ ، وَأَخٌ يُوْثَقُ بِهِ » [٣]

نُكْتَةٌ

[في غسلِ الفتحِ بنِ شخرف]

ك ١٨٧ ـ وبهِ قالَ : ثنا عبدُ العزيزِ الأَزَجيُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الهَمَذانيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ جعفرٍ قالَ : سمعتُ أبا محمَّدٍ الجُرَيريَّ يقولُ : (غسلْنا الفتحَ بنَ شخرف ، فرأيْنا على فَخِذِهِ مكتوباً : « لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ » ، فتوهَّمْناهُ مكتوباً ، فإذا عِرقٌ داخلَ الجلدِ !!) [٤]

نُكْتَةٌ

[في الصَّلاةِ على الفتحِ بنِ شخرف]

ك ١٨٨ ـ وبهِ قالَ : أنا إسماعيلُ الحِيريُّ ، أنا أبو عبدِ الرَّحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ محمَّدَ ابنَ شاذانَ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ سائبٍ يقولُ : سمعتُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ بنِ هانئٍ يقولُ : (لمَّا ماتَ فتحُ بنُ شخرف بنِ داوودَ ببغدادَ . . صُلِّيَ عليهِ ثلاثاً وثلاثينَ مرَّةً ،

---

(١) الحَكِيمي : نسبة إلىٰ (حَكِيم) ، وهو أحد أجداده ، كذا في « الأنساب » (٢/٢٤٤) ، وغيره ، وضبطت في (أ ، ب ، ج) : (الحُكَيمي) بضمّ ففتح .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٣٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/٢٣٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢/٢٦٦) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « شرف المصطفىٰ » للخركوشي (٧٣٠) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٣٦٤) ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٦/٢٦٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٥/١٠٦) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٣٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/٢٣٥) من طريقه ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤/١٨٥) .

أقلُّ قومٍ كانوا يُصلُّونَ عليهِ كانوا يُعَدُّونَ خمسةً وعشرينَ ألفاً إلىٰ ثلاثينَ !!)[1]

نُكْتَةٌ

[بينَ موسى الكاظمِ والعمريِّ]

ك ١٨٩ ـ وبـهِ قـالَ : أنا الحسنُ ـ يعني : ابنَ أبي بكرٍ ـ قـالَ : أنا الحسنُ ـ يعني : ابنَ محمَّدِ بنِ يحيى العلويَّ ـ قالَ : قالَ جدِّي يحيى بنُ الحسنِ ، وذكرَهُ لي غيرُ واحدٍ مِن أصحابِنا : أنَّ رجلاً مِن ولدِ عمرَ بنِ الخطَّابِ [رضيَ اللهُ عنهُ] كانَ يُؤذيهِ ـ يعنونَ : موسى بنَ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ ـ ويشتمُ عليّاً ، قالَ : وكانَ قد قالَ لهُ بعضُ حاشيتِهِ : دعْنا نقتلْهُ ، فنهاهُم عن ذٰلكَ أشدَّ النَّهيِ ، وزجرَهُم أشدَّ الزَّجرِ ، وسألَ عنِ العمريِّ ، فذُكِرَ لهُ أنَّهُ يزدرعُ بناحيةٍ مِن نواحي المدينةِ .

فركبَ إليهِ في مزرعتِهِ ، فوجدَهُ فيها ، فدخلَ المزرعةَ بحمارِهِ ، فصاحَ بهِ العمريُّ : لا يُوطَأُ زرعُنا ، فتوطَّأَهُ بالحمارِ حتَّىٰ وصلَ إليهِ ، فنزلَ فجلسَ عندَهُ وضاحكَهُ ، وقالَ لهُ : كم غَرِمتَ في زرعِكَ هٰذا ؟ قالَ : مئةَ دينارٍ .

قالَ : فكم ترجو أن تُصيبَ ؟ قالَ : أنا لا أعلمُ الغيبَ .

قـالَ : إنَّـما قلتُ لـكَ : كم ترجو أن يجيئَكَ فيـهِ ؟ قـالَ : أرجـو أن يجيئَني مئتا دينارٍ .

قالَ : فأعطاهُ ثلاثَ مئةِ دينارٍ ، وقالَ : هٰذا زرعُكَ علىٰ حالِهِ ، قالَ : فقامَ العمريُّ فقبَّلَ رأسَهُ وانصرفَ .

قالَ : فراحَ إلى المسجدِ فوجدَ العمريَّ جالساً ، فلمَّا نظرَ إليهِ . . قالَ : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾[2]

قالَ : فوثبَ أصحابُهُ فقالوا لهُ : ما قصَّتُكَ ؟ قد كنتَ تقولُ خلافَ هٰذا ، قالَ : فخاصمَهُم وشاتمَهُم ، وجعلَ يدعو لأبي الحسنِ موسىٰ كلَّما دخلَ وخرجَ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٦٨/١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٦/٤٨) من طريقه ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٢٠٣/٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١٨٥/٤) .

(٢) سورة الأنعام : (١٢٤) ، وهي قراءة الجميع عدا ابن كثير وحفص ، انظر « النشر في القراءات العشر » (٢٦٢/٢) .

قالَ : فقالَ أبو الحسنِ موسىٰ لحامَّتِهِ الَّذينَ أرادوا قتلَ العمريِّ [١] : أيُّما كانَ خيرٌ : ما أردتُم ، أو ما أردتُ أن أُصلِحَ أمرَهُ بهٰذا المقدارِ ؟ [٢]

* * *

١٩٠ ـ وبهِ قالَ : أنا سلامةُ بنُ الحسينِ المُقرِئُ ، وعمرُ بنُ محمَّدِ بنِ [عبيدِ اللهِ] [٣] المُؤدِّبُ قالا : أنا عليُّ بنُ عمرَ الحافظُ ، ثنا القاضي الحسينُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا عبدُ اللهِ ابنُ أبي سعدٍ ، حدَّثني محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ المجيدِ اللَّيثيُّ ، حدَّثني عيسى بنُ محمَّدِ بنِ مُغيثٍ القُرضيُّ ـ وبلغَ تسعينَ سنةً ـ قالَ : زرعتُ بِطِّيخاً وقِثَّاءً وقَرْعاً في موضعٍ بالجَوَّانِيَّةِ علىٰ بئرٍ يُقالُ لها : أُمُّ عظامٍ [٤] ، فلمَّا قَرُبَ الخيرُ واستوى الزَّرعُ . . بيَّتَنيَ الجرادُ ، فأتىٰ على الزَّرعِ كلِّهِ ، وكنتُ غَرِمتُ على الزَّرعِ وفي ثمنِ جملَينِ مئةً وعشرينَ ديناراً .

فبينا أنا جالسٌ . . طلعَ موسى بنُ جعفرِ بنِ محمَّدٍ ، فسلَّمَ ثمَّ قالَ : أيشٍ حالُكَ ؟ فقلتُ : أصبحتُ كالصَّريمِ [٥] ؛ بيَّتَنيَ الجرادُ فأكلَ زرعي .

قالَ : فقالَ : كم غَرِمتَ فيهِ ؟ قلتُ : مئةً وعشرينَ ديناراً ، فقالَ : يا عرفةُ ؛ زِنْ لأبي المُغيثِ مئةً وخمسينَ ديناراً ، نربحُكَ ثلاثينَ ديناراً .

فقلتُ : يا مُبارَكُ ؛ ادخلْ وادعُ فيهِ ، فدخلَ ودعا ، وحدَّثني عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « تَمَسَّكُوا بِبَقَايَا ٱلْمَصَائِبِ » [٦]

ثمَّ علَّقتُ [عليهِ] [٧] الجملَينِ ، وسقيتُهُ ، فجعلَ اللهُ فيهِ البركةَ ، زكَتْ فبعتُ منها بعشرةِ آلافٍ [٨]

---

(١) **الحامَّة** : الخاصَّة .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/١٥ ـ ١٦) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٤٥/٢٩ ـ ٤٦) من طريقه ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٧٣/٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٧١/٦ ـ ٢٧٢) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٤٩/١٣) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٢٢) .

(٤) **القَرْع** : اليقطين ، **والجَوَّانيَّة** : قرية قرب المدينة المنوَّرة حرسها الله .

(٥) **الصَّريم** : المجذوذ المقطوع .

(٦) ذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » (٦٦٥٩) وعزاه لابن صصرىٰ في « أماليه » مرسلاً .

(٧) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (علىٰ) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٨) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/١٥) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٤٦/٢٩ ـ ٤٧) من طريقه ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٧٤/٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٧٢/٦) .

حكاية

[مِن مكارمِ الأخلاقِ]

خ ك ١٩١ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ الضَّبِّيُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ موسى القاضيَ يقولُ : حضرتُ مجلسَ موسى بنِ إسحاقَ القاضي بالرَّيِّ سنةَ ستٍّ وثمانينَ ومئتَينِ ، وتقدَّمَتِ امرأةٌ ، فادَّعىٰ وليُّها علىٰ زوجِها خمسَ مئةِ دينارٍ مهراً فأنكرَ .

فقالَ القاضي : شهودَكَ ، قالَ : قد أحضرتُهُم ، فاستدعىٰ بعضُ الشُّهودِ أن ينظرَ إلى المرأةِ ؛ ليُشيرَ إليها في شهادتِهِ ، فقامَ الشَّاهدُ وقالوا للمرأةِ : قومي .

فقالَ الزَّوجُ : تفعلونَ ماذا ؟ قالَ الوكيلُ : ينظرونَ إلى امرأتِكَ وهيَ مُسفِرةٌ ؛ لتصحَّ عندَهُم معرفتُها .

فقالَ الزَّوجُ : فإنِّي أُشهِدُ القاضيَ أنَّ لها عليَّ هٰذا المهرَ الَّذي تدَّعيهِ ، ولا تُسفِرُ عن وجهِها ، فرُدَّتِ المرأةُ وأُخبِرَتْ بما كانَ مِن زوجِها ، فقالَتِ المرأةُ : فإنِّي أُشهِدُ القاضيَ أنِّي قد وهبتُ منهُ هٰذا المهرَ ، وأبرأتُهُ منهُ في الدُّنيا والآخرةِ .

قالَ القاضي : يُكتَبُ هٰذا في مكارمِ الأخلاقِ (١)

حكاية

[في سببِ سكنىٰ منصورِ بنِ عمَّارٍ مصرَ]

١٩٢ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني الحسنُ بنُ محمَّدٍ الخَلَّالُ ، ثنا يوسفُ بنُ عمرَ القَوَّاسُ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ سليمانَ السلميُّ ، ثنا أبو شعيبٍ الحَرَّانيُّ ، ثنا عليُّ بنُ خَشْرَمٍ قالَ : قالَ منصورُ بنُ عمَّارٍ ـ قلتُ : سمعتَهُ منهُ ؟ قالَ : نعم ـ قالَ : لمَّا قدمتُ مصرَ . . كانَ النَّاسُ قد قُحِطوا ، فلمَّا صلَّوُا الجمعةَ . . رفعوا أصواتَهُم بالبكاءِ والدُّعاءِ ، فحضرَتْني النِّيَّةُ ، فصرتُ إلىٰ صحنِ المسجدِ ، فقلتُ : يا قومُ ؛ تقرَّبوا إلى اللهِ تعالىٰ بالصَّدقةِ ؛ فإنَّهُ ما تُقُرِّبَ إليهِ بشيءٍ أفضلَ منها .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٣/١٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣١٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٣٢٢/٧) من طريق الخطيب .

ثمَّ رميتُ بكِسائي ، ثمَّ قلتُ : اللَّهُمَّ ؛ هـٰذا كِسائي وهوَ جهدي ، [فجعلَ النَّاسُ يتصدَّقونَ ويعطوني ، ويلقونَ على الكِساءِ] [١] ، حتَّىٰ جعلَتِ المرأةُ تُلقي خُرْصَها وسِخابَها [٢] ، حتَّىٰ فاضَ الكِساءُ مِن أطرافِهِ !! ثمَّ هطلَتِ السَّماءُ ، فخرجَ النَّاسُ في الطِّينِ والمطرِ .

فلمَّا صلَّيتُ العصرَ . . قلتُ : يا أهلَ مصرَ ؛ أنا رجلٌ غريبٌ ، ولا علمَ لي بفقرائِكُم ، فأينَ فقهاؤُكُم ؟ فدُفِعتُ إلى اللَّيثِ بنِ سعدٍ وابنِ لهيعةَ ، فنظرا إلىٰ كثرةِ المالِ ، فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ : لا تُحرِّكْ ، ووكَّلوا بهِ الثِّقاتَ حتَّىٰ أصبحوا .

فرحتُ ـ أو قالَ : فأدلجتُ ـ إلى الإسكندريَّةِ ، فأقمتُ بها شهرَينِ ، فبينا أنا أطوفُ علىٰ حصنِها وأُكبِّرُ . . إذا أنا برجلٍ يرمُقُني ، فقلتُ : ما لَكَ ؟ قالَ : يا هـٰذا ؛ أنتَ قدمتَ مصرَ ؟ قلتُ : نعم .

قالَ : أنتَ المُتكلِّمُ يومَ الجمعةِ ؟ قلتُ : نعم .

قالَ : فإنَّكَ صرتَ فتنةً علىٰ أهلِ مصرَ ، قلتُ : وما ذاكَ ؟ قالَ : قالوا : كأنَّ ذاكَ الرَّجلَ الخَضِرُ ؛ دعا فاستُجيبَ لهُ .

قالَ : قلتُ : ما كانَ الخَضِرَ بل أنا العبدُ الخاطئُ ، قالَ : فأدلجتُ فقدمتُ مصرَ ، فلقيتُ اللَّيثَ بنَ سعدٍ ، فلمَّا نظرَ إليَّ . . قالَ : أنتَ المُتكلِّمُ يومَ الجمعةِ ؟ قالَ : قلتُ : نعم .

قالَ : فهل لكَ في المُقامِ عندَنا ؟ قالَ : قلتُ : وكيفَ أُقيمُ وما أملكُ إلَّا جُبَّتي وسراويلي ؟ قالَ : قد أقطعتُكَ خمسةَ عشرَ فدَّاناً .

ثمَّ صرتُ إلى ابنِ لهيعةَ ، فقال لي مثلَ مَقالتِهِ ، وأقطعَني خمسةَ فَدَادِينَ [٣] ، فأقامَ بمصرَ [٤] .

حكاية

[نحلةٌ بألفِ درهمٍ !!]

خ ك ١٩٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الدَّقَّاقُ ، ثنا

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

(٢) الخُرْص : الحلقة من الذَّهب والفضَّة ، والسِّخاب : القلادة .

(٣) الفَدَادِين : البقر الَّتي تحرث ، واستُعير للدَّلالة علىٰ جزء من الأرض المحدودة علىٰ أربعة وعشرين قيراطاً .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/٨٢ ـ ٨٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/٣٣٢) من طريقه ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٣/٤١٠ ـ ٤١١) .

أبو نصرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ شجاعٍ الصَّفَّارُ ، أنا خلفُ بنُ محمَّدٍ الخَيَّامُ ، ثنا سهلُ بنُ شاذويهِ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ خَشْرَمٍ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عمَّارٍ يقولُ : رأيتُ كأنِّي دنوتُ مِن جُحْرٍ ، فخرجَ عليَّ عشرُ نحلاتٍ فلدغَتْني .

فقصصتُها علىٰ أبي المُثنَّى المُعبِّرِ البصريِّ ، فقالَ : آلجِدُّ ما تقولُ ؟ أَعطِني شيئاً ، قالَ : إن صدقَتْ رؤياكَ . . تصلُكَ امرأةٌ بعشرةِ آلافٍ ، لكلِّ نحلةٍ ألفٌ[1]

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . وجَّهَتْ إليَّ زُبَيدةُ بعشرةِ آلافِ درهمٍ[2]

* * *

خ ك ١٩٤ ـ وبهِ قالَ : أنا الأزهريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ جعفرٍ النَّجَّارُ ، أنا أبو محمَّدٍ العَتَكيُّ ، ثنا يموتُ بنُ المُزرِّعِ ، عنِ الجاحظِ قالَ : طلبَ المُعتصِمُ جاريةً كانَتْ لمحمودٍ الوَرَّاقِ ـ وكانَ نخَّاساً ـ بسبعةِ آلافِ دينارٍ[3] ، فامتنعَ محمودٌ مِن بيعِها .

فلمَّا ماتَ محمودٌ . . اشتُرِيَتْ للمُعتصِمِ مِن ميراثِ محمودٍ بسبعِ مئةِ دينارٍ ، فلمَّا دخلَتْ إليهِ . . قالَ لها : كيفَ رأيتِ ؟ تركتُكِ حتَّى اشتريتُكِ مِن سبعةِ آلافٍ بسبعِ مئةٍ .

قالَتْ : أجل ، إذا كانَ الخليفةُ ينتظرُ بشهَواتِهِ المواريثَ . . فإنَّ سبعينَ ديناراً كثيرةٌ في ثمني فضلاً عن سبعِ مئةٍ ، فأخجلَتْهُ[4]

نُكتة

[رجلٌ يُرضِعُ !!]

١٩٥ ـ وبهِ : أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أسدِ بنِ عليِّ بنِ سعيدٍ الكاتبُ ، والحسنُ بنُ أبي بكرٍ قالا : أنا أبو عمرٍو عبدُ الملكِ بنُ الحسنِ بنِ يوسفَ المُعدَّلُ ، ثنا أحمدُ بنُ أبي عوفٍ قالَ : سمعتُ أبي وعمِّي يقولانِ : كنَّا في مجلسِ يزيدَ بنِ هارونَ في بستانِ

---

(١) في « تاريخ بغداد » : (قالَ منصورٌ : فقلتُ لأبي المُثنَّى : مِن أينَ قلتَ هٰذا ؟ قالَ : لأنَّهُ ليسَ شيءٌ مِنَ الخَلْقِ يُنتفَعُ ببطنِهِ مِن ولدِ آدمَ إلَّا النِّساءَ ؛ فإنَّهُنَّ ولدْنَ الصِّدِّيقينَ والأنبياءَ ، والطَّيرُ ليسَ فيها شيءٌ يُنتفَعُ ببطنِهِ إلَّا النَّحلَ) .

(٢) هي زُبَيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، أُمُّ جعفر ، العبَّاسيَّة ، والدة الأمين ، وأخرج الخبرَ الخطيبُ البغداديُّ في « تاريخ بغداد » (١٥/٨٤ ـ ٨٥) ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/٣٣٥) من طريقه .

(٣) وكان اسمُها نشوىٰ كما في « وفيات الأعيان » .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/١٠٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٣٢٥) من طريقه ، وانظر « وفيات الأعيان » (٧/٥٦ ـ ٥٧) ، و« تاريخ الإسلام » (١٦/٤٠٤) .

أُمِّ جعفرٍ ، فرأيْنا فيهِ رجلاً خِلاسِيّاً طُوَّالاً [1] ، وعلىٰ يدَيهِ صبيٌّ يرضعُ منهُ !!

فقالَ ذٰلكَ الرَّجلُ : إنَّ أُمَّ هٰذا الصَّبيِّ ولدَتْهُ ، وتُوُفِّيَتْ بأرضِ مَفازةٍ أو أرضِ فلاةٍ ، فألقيتُهُ علىٰ ثديي أُعلِّلُهُ ، فأجرى اللهُ لهُ هٰذا الرِّزقَ ، فرأيْناهُ والثَّديُ يدُرُّ عليهِ !!

روىٰ هٰذهِ الحكايةَ أحمدُ بنُ كاملٍ القاضي ، عنِ ابنِ أبي عوفٍ قالَ : حدَّثني أبي وعمِّي [2] .

نُكْتَةٌ

[بركةُ معروفٍ الكَرْخيِّ]

ك ١٩٦ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ ، أنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ زيادٍ القَطَّانُ فيما أذنَ لي أن أرويَهُ عنهُ قالَ : حدَّثَني أبو العبَّاسِ المُؤدِّبُ [قالَ] : حدَّثني جارٌ لي هاشميٌّ في سوقِ يحيىٰ [3] ، وكانَتْ حالُهُ رقيقةً قالَ : وُلِدَ لي مولودٌ ، فقالَتْ لي زوجتي : هوَ ذا ترىٰ حالي وصورتي ، ولا بُدَّ لي مِن شيءٍ أتغذَّىٰ بهِ ، ولا يُمكِنُنيَ الصَّبرُ علىٰ هٰذهِ الحالِ ؛ فاطلبْ شيئاً .

فخرجتُ بعدَ عشاءِ الآخرةِ ، فجئتُ إلىٰ بقَّالٍ كنتُ أُعامِلُهُ ، فعرَّفتُهُ حالي وسألتُهُ شيئاً يدفعُهُ إليَّ ، وكانَ لهُ عليَّ دَينٌ ، فلم يفعلْ ، فصرتُ إلىٰ غيرِهِ ممَّن كنتُ أرجو أن يُغيِّرَ حالي ، فلم يدفعْ إليَّ شيئاً ، فبقيتُ مُتحيِّراً لا أدري إلىٰ أينَ أتوجَّهُ .

فصرتُ إلىٰ دِجلةَ ، فرأيتُ ملَّاحاً يُنادي : (فُرْضَةُ عثمانَ ، قصرُ عيسىٰ ، أصحابُ السَّاجِ) ، فصحتُ بهِ ، فقَرُبَ إلى الشَّطِّ ، فجلستُ معَهُ وانحدرَ بي ، فقالَ لي : إلىٰ أينَ تريدُ ؟ فقلتُ : لا أدري أينَ أُريدُ .

فقالَ : ما رأيتُ أعجبَ أمراً منكَ ، تجلسُ معي في مثلِ هٰذا الوقتِ ، وأنحدرُ بكَ ، وتقولُ : لا أدري أينَ أتوجَّهُ ؟!

فقصصتُ عليهِ قصَّتي ، فقالَ ليَ الملَّاحُ : لا تغتمَّ ؛ فإنِّي مِن أصحابِ السَّاجِ ، وأنا أقصدُ بكَ إلىٰ بغيتِكَ ، إن شاءَ اللهُ .

---

(١) **الخِلاسِيُّ** : الرَّجل من أبوين أبيض وأسود ، **والطُّوَّال** : شديد الطُّول .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/١٤٦ ـ ١٤٧) .

(٣) **سوق يحيىٰ** : نسبة إلىٰ يحيى بن خالد البَرْمَكي ، وهي بالجانب الشَّرقيِّ من بغداد علىٰ شاطئ دِجلة . « معجم البلدان » (٣/٢٨٤) .

فحملَني إلىٰ مسجدِ معروفٍ الكَرْخيِّ [١] الَّذي علىٰ دِجلةَ في أصحابِ السَّاجِ ، وقالَ لي : هٰذا معروفٌ الكَرْخيُّ يبيتُ في المسجدِ ويُصلِّي فيهِ ، تطهَّرْ للصَّلاةِ ، فامضِ إليهِ إلى المسجدِ ، وقصَّ عليهِ حالَكَ ، وسلْهُ أن يدعوَ لكَ .

ففعلتُ ودخلتُ المسجدَ ، وإذا معروفٌ الكَرْخيُّ يُصلِّي في المحرابِ ، فسلَّمتُ وصلَّيتُ ركعتَينِ وجلستُ .

فلمَّا سلَّمَ . . ردَّ عليَّ السَّلامَ ، وقالَ لي : مَن أنتَ رحمَكَ اللهُ ؟ فقصصتُ عليهِ قصَّتي وحالي ، فسمعَ ذٰلكَ منِّي وقامَ يُصلِّي ، ومطرَتِ السَّماءُ مطراً كثيراً ، فاغتممتُ وقلتُ : كيفَ جئتُ إلىٰ هٰذا الموضعِ ، ومنزلي سوقُ يحيىٰ ، وقد جاءَ هٰذا المطرُ ؟ كيفَ أرجعُ إلىٰ منزلي ؟ واشتغلَ قلبي بذٰلكَ .

فبينا نحنُ كذٰلكَ . . إذ سمعتُ صوتَ حافرِ دابَّةٍ ، فقلتُ : في مثلِ هٰذا الوقتِ حافرُ دابَّةٍ !! فإذا هوَ رجلٌ يُريدُ المسجدَ ، فنزلَ فدخلَ المسجدَ ، وسلَّمَ وجلسَ .

فسلَّمَ معروفٌ وقالَ : مَن أنتَ رحمَكَ اللهُ ؟ فقالَ لهُ الرَّجلُ : أنا رسولُ فلانٍ ، وهوَ يقرأُ عليكَ السَّلامَ ، ويقولُ لكَ : كنتُ نائماً علىٰ وِطاءٍ [٢] ، وفوقي دِثارٌ ، فانتبهتُ علىٰ صورةِ نعمةِ اللهِ عليَّ ، فشكرتُ اللهَ ، ووجَّهتُ إليكَ بهٰذا الكيسِ تدفعُهُ إلىٰ مُستحِقِّهِ ، فقالَ لهُ : ادفعْهُ إلىٰ هٰذا الرَّجلِ الهاشميِّ ، فقالَ لهُ : إنَّهُ خمسُ مئةِ دينارٍ !! فقالَ لهُ : أَعطِهِ ، فدفعَها إليَّ ، فشددتُها في وسطي ، وخضتُ الوَحْلَ والطِّينَ ، حتَّىٰ صرتُ إلىٰ منزلي .

وجئتُ إلى البقَّالِ ، فقلتُ لهُ : افتحْ بابَكَ ، ففتحَ فقلتُ : هٰذهِ خمسُ مئةِ دينارٍ قد رزقَنيَ اللهُ ، فخُذْ ما لَكَ عليَّ ، وخُذْ ثمنَ ما أُريدُ ، فقالَ لي : دعْها معَكَ إلىٰ غدٍ ، وخُذْ ما تُريدُ .

فأخذَ مفاتيحَهُ وصارَ إلىٰ دكَّانِهِ ، ودفعَ إليَّ عسلاً وسكَّراً وشَيْرَجاً [٣] ، وأَرُزّاً وشحماً ، وما يُحتاجُ إليهِ ، وقالَ لي : خُذْ ، فقلتُ : لا أُطيقُ حملَهُ ، فقالَ لي : أنا أحملُ معَكَ ، فحملَ بعضَهُ ، وحملتُ أنا بعضَهُ .

---

(١) هو أبو محفوظ ، معروف بن الفِيرزان ، العابد المشهور ، المعروف بالكَرْخيِّ ؛ نسبة إلىٰ كَرْخ بغداد ، وتوفِّي سنة إحدىٰ ـ وقيل : أربع ـ ومئتين ، وقيل : سنة مئتين ببغداد ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) الوطاء : المهاد الوطيء ، وهو ضدُّ الغطاء .

(٣) الشَّيْرَج : دهن السمسم ، معرَّب .

وجئتُ إلىٰ منزلي والبابُ مفتوحٌ ، ولم يكنْ فيها نهوضٌ لغَلْقِهِ ، وقد كادَتْ تتلفُ ـ يعني : زوجتَهُ ـ فوبَّخَتْني علىٰ تركي إيَّاها علىٰ مثلِ صورتِها ، فقلتُ لها : هٰذا عسلٌ وسكَّرٌ وشَيْرَجٌ ، وجميعُ ما تحتاجينَ إليهِ ، فسُرِّيَ عنها بعضُ ما كانَتْ تجدُهُ ، ولم أُعلِمْها بالدَّنانيرِ ؛ خوفاً أن تتلفَ فرحاً .

فلمَّا أصبحْنا أَريتُها الدَّنانيرَ ، وشرحتُ لها القصَّةَ ، واشتريتُ بها عقاراً ، ونحنُ نستغلُّهُ ونعيشُ مِن غَلَّتِهِ .

وكشفَ اللهُ عنَّا ما كنَّا فيهِ ببركةِ معروفٍ الكَرْخيِّ (١)

خ ك ١٩٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ التَّوَّزيُّ ، ثنا الحسنُ بنُ الحسينِ بنِ حَمَكانَ الهَمَذانيُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عثمانَ البَزَّازُ ، ثنا أبو بكرِ بنُ الزَّيَّاتِ قالَ : سمعتُ ابن شِيرُويهِ يقولُ : جاءَ رجلٌ إلىٰ معروفٍ الكَرْخيِّ ، فقالَ : يا أبا محفوظٍ ؛ جاءَني البارحةَ مولودٌ ، وجئتُ لأتبرَّكَ بالنَّظرِ إليكَ ، فقالَ : اقعدْ عافاكَ اللهُ ، وقلْ مئةَ مرَّةٍ : (ما شاءَ اللهُ . . كانَ) ، فقالَ الرَّجلُ .

فقالَ : قلْ مئةً أُخرىٰ ، فقالَها .

فقالَ لهُ : قلْ مئةً أُخرىٰ ، حتَّىٰ قالَ ذٰلكَ لهُ خمسَ مرَّاتٍ ، فقالَها خمسَ مئةِ مرَّةٍ .

فلمَّا استوفى الخمسَ مئةِ مرَّةٍ . . دخلَ عليهِ خادمُ أُمِّ جعفرٍ ، وبيدِهِ رُقعةٌ وصُرَّةٌ ، فقالَ لهُ : يا أبا محفوظٍ ؛ ستُّنا تقرأُ عليكَ السَّلامَ ، وقالَتْ لكَ : خُذْ هٰذهِ الصُّرَّةَ ، وادفعْها إلىٰ قومٍ مساكينَ .

فقالَ لهُ : ادفعْها إلىٰ ذٰلكَ الرَّجلِ ، قالَ : يا أبا محفوظٍ ؛ فيها خمسُ مئةِ درهمٍ !! فقالَ : قد قالَ خمسَ مئةِ مرَّةٍ : (ما شاءَ اللهُ . . كانَ) .

ثمَّ أقبلَ على الرَّجلِ فقالَ : يا عافاكَ اللهُ ؛ لو زدتَنا . . لَزِدْناكَ (٢)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/٢٦٨ ـ ٢٧٠) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥/٣٩ ـ ٤١) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/٢٧٠) ، والمستغفري في « دلائل النبوة » (٦٠٨) .

نُكْتَةٌ

[في كثرةِ صلاةِ أبي حنيفةَ]

١٩٨ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني عبدُ الباقي بنُ عبدِ الكريمِ ، أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عمرَ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ يعقوبَ ، ثنا جدِّي ، ثنا محمَّدُ بنُ بكرٍ قالَ : سمعتُ أبا عاصمٍ النَّبيلَ يقولُ : (كانَ أبو حنيفةَ يُسمَّى الوَتِدَ ؛ لكثرةِ صلاتِهِ)[1]

نُكْتَةٌ

[في قراءةِ القرآنِ في ركعةٍ !!]

خ ١٩٩ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنيَ الصَّيْمَريُّ قالَ : قرأْنا على الحسينِ بنِ هارونَ ، عنِ ابنِ سعيدٍ قالَ : ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ نوحٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ يزيدَ السلميُّ ، ثنا حفصُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ قالَ : (كانَ أبو حنيفةَ يُحيِي اللَّيلَ بقراءةِ القرآنِ في ركعةٍ ثلاثينَ سنةً !!)[2] .

حِكَايَةٌ

[وَفرةُ عقلِ أبي حنيفةَ رحمَهُ اللهُ]

ك ٢٠٠ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ محمَّدٍ الخَلَّالُ ، أنا عليُّ بنُ [عمرٍو][3] الحريريُّ : أنَّ عليَّ بنَ محمَّدٍ ابنَ كاسٍ النَّخَعيَّ حدَّثَهُم قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عفَّانَ ، ثنا نمرُ بنُ جِدارٍ ، عن أبي يوسفَ قالَ : دعا المنصورُ أبا حنيفةَ[4] ، فقالَ الرَّبيعُ حاجبُ المنصورِ ـ وكانَ يُعادي أبا حنيفةَ ـ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هـٰذا أبو حنيفةَ يُخالِفُ جدَّكَ ؛ كانَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ يقولُ : (إذا حلفَ على اليمينِ ، ثُمَّ استثنىٰ بعدَ ذٰلكَ بيومٍ أو يومَينِ . . جازَ الاستثناءُ) ، وقالَ أبو حنيفةَ : لا يجوزُ الاستثناءُ إلَّا مُتَّصِلاً باليمينِ .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/٤٨٤) ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٦/٢٠٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥/٩٥) ، و« مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه » للذهبي (ص ١٢) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/٤٨٤) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥/٩٥) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (٢/٤٦٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/٣٩٩) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عمر) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (١٣/٤٧٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٦/٦٦٣) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٢٠٨) .

(٤) مات الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في رجب سنة خمسين ومئة عن سبعين سنة ، وقيل : توفِّي سنة إحدىٰ ـ وقيل : ثلاث ـ وخمسين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

فقالَ أبو حنيفةَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الرَّبيعَ يزعمُ أنَّهُ ليسَ لكَ في رقابِ جُندِكَ بيعةٌ ، قالَ : وكيفَ ؟ قالَ : يحلفونَ لكَ ، ثُمَّ يرجعونَ إلىٰ منازلِهِم ، فيستثنونَ فتبطلُ أيمانُهُم .

قالَ : فضحكَ المنصورُ وقالَ : يا ربيعُ ؛ لا تَعَرَّضْ لأبي حنيفةَ .

فلمَّا خرجَ أبو حنيفةَ . . قالَ لهُ الرَّبيعُ : أردتَ أن تَشِيطَ بدمي ؟! قالَ : لا ، ولٰكنَّكَ أردتَ أن تَشِيطَ بدمي ، فخلَّصتُكَ وخلَّصتُ نفسي [1]

نُكتة

[رَحَبةُ الحُبِّ وضيقُ البغضِ]

ك ٢٠١ ـ وبهِ قالَ : أنا إبراهيمُ بنُ مخلدٍ إجازةً ، وحدَّثَنيهِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ قَفَرْجَلٍ الكاتبُ عنهُ ، ثنا المُظفَّرُ بنُ يحيى الشَّرابيُّ ، ثنا العَنَزيُّ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ سعدانَ [قالَ] : حدَّثَنيَ الأثرمُ قالَ : دخلَ اليزيديُّ على الخليلِ بنِ أحمدَ يوماً وعندَهُ جماعةٌ ، وهوَ علىٰ وسادةٍ جالسٌ ، فأوسعَ لهُ فجلسَ معَهُ اليزيديُّ علىٰ وسادتِهِ .

فقالَ لهُ اليزيديُّ : أحسبُني قد ضيَّقتُ عليكَ .

فقالَ الخليلُ : ما ضاقَ شيءٌ على اثنينِ مُتحابَّينِ ، والدُّنيا لا تَسَعُ مُتباغِضَينِ [2]

حكاية

[موقفٌ ليحيى بنِ أكثمَ ليسَ لأحدٍ مثلُهُ]

خ ك ٢٠٢ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنيَ القاضي أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليٍّ الصَّيمَريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عمرانَ المَرْزُبانيُّ ، أخبرَنيَ الصُّوليُّ ، ثنا أبو العيناءِ ، ثنا أحمدُ بنُ أبي دؤادٍ .

قالَ الصُّوليُّ : وحدَّثَنا محمَّدُ بنُ موسى بنِ [حمَّادٍ] [3] ، ثنا المُشرِّفُ بنُ سعيدٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ منصورٍ ـ واللَّفظُ لأبي العيناءِ ـ قالَ : كنَّا معَ المأمونِ في طريقِ الشَّامِ ، فأمرَ

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/٤٩٩ ـ ٥٠٠) ، وانظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٢/٢٤٠) ، و« وفيات الأعيان » (٥/٤١١ ـ ٤١٢) ، و« مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه » للذهبي (ص ٣٠) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٢٢١ ـ ٢٢٢) ، وانظر « نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص ٧٨) ، و« المنتظم » (٦/١١٩) ، و« إنباه الرواة » للقفطي (٤/٢٧) ، و« وفيات الأعيان » (٦/١٨٤) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (داوود) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ بغداد » (٤/٣٩٧) .

فنُودِيَ بتحليلِ المتعةِ ، فقالَ لنا القاضي يحيى بنُ أكثمَ [1] : بكِّرا غداً إليهِ ، فإن رأيتُما للقولِ وجهاً . . فقولا ، وإلَّا . . فاسكُتا إلىٰ أن أدخلَ .

قالَ : فدخلْنا إليهِ وهوَ يَستاكُ ، ويقولُ وهوَ مُغتاظٌ : مُتعتانِ كانتا علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعلىٰ عهدِ أبي بكرٍ ، وأنا أنهىٰ عنهُما !!

ومَن أنتَ يا أحولُ حتَّىٰ تنهىٰ عمَّا فعلَهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟![2]

فأمسكْنا وجاءَ يحيىٰ ، فجلسَ وجلسْنا ، فقالَ المأمونُ ليحيىٰ : ما لي أراكَ مُتغيِّراً ؟ قالَ : هوَ غَمٌّ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لِمَا حدثَ في الإسلامِ .

قالَ : وما حدثَ فيهِ ؟ قالَ : النِّداءُ بتحليلِ الزِّنا ، قالَ : الزِّنا !! قالَ : نعم ، المتعةُ .

قال : ومِن أينَ قلتَ هٰذا ؟ قالَ : مِن كتابِ اللهِ ، وحديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[3]

يا أميرَ المؤمنينَ ؛ زوجةُ المتعةِ ملكُ يمينٍ ؟ قالَ : لا

قالَ : فهيَ الزَّوجةُ الَّتي عنى اللهُ ؛ تَرِثُ وتُورَثُ ، وتُلحَقُ الولدَ ، ولها شرائطُها ؟ قالَ : لا

قالَ : فقد صارَ مُتجاوِزُ هٰذَينِ مِنَ العادينَ .

وهٰذا الزُّهريُّ ـ يا أميرَ المؤمنينَ ـ روىٰ عن عبدِ اللهِ والحسنِ ابنَي محمَّدِ ابنِ الحنفيَّةِ ، عن أبيهِما محمَّدٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ قالَ : « أَمَرَنِي رَسُولُ ٱللهِ

---

(١) توفِّي القاضي أبو محمَّد يحيى بن أكثم بن قطن بن سمعان ، من ولد أكثم بن صيفيٍّ في غرَّة سنة ثلاث وأربعين ومئتين ، وقيل : في منتصف ذي الحجَّة سنة اثنتين وأربعين ، بعد منصرفه من الحجِّ ، ودفن بالرَّبَذة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) في « تاريخ بغداد » : (ومَنْ أنتَ يا أحولُ حتَّىٰ تنهىٰ عمَّا فعلَهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأبو بكرٍ ؟! فأومأتُ إلىٰ محمَّدِ بنِ منصورٍ أن أَمسِكْ ؛ رجلٌ يقولُ في عمرَ بنِ الخطَّابِ ما يقولُ ، نُكلِّمُهُ نحنُ ؟!) .
وهٰذا ما تمسَّك به بعضُ النَّاس ـ ومنهم المأمون هنا ـ ؛ لظنِّهم أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه هو مَن حرَّم نكاح المتعة دون رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، **والصَّحيح الثَّابت** : أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هو من حرَّمها **تحريماً مؤبَّداً عامَ الفتح** .

(٣) سورة المؤمنون : (١ ـ ٧) .

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُنَادِيَ بِٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُتْعَةِ وَتَحْرِيمِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَمَرَ بِهَا »[١]

فالتفتَ إلينا المأمونُ ، فقالَ : أمحفوظٌ هٰذا مِن حديثِ الزُّهريِّ ؟ فقلْنا : نعم ، يا أميرَ المؤمنينَ ، رواهُ جماعةٌ منهُم مالكٌ[٢]

فقالَ : أستغفرُ اللهَ ، نادُوا بتحريمِ المتعةِ ، فنادَوا بها .

قالَ الصُّوليُّ : فسمعتُ إسماعيلَ بنَ إسحاقَ يقولُ وقد ذُكِرَ يحيى بنُ أكثمَ فعظَّمَ أمرَهُ قالَ : كانَ لهُ يومٌ في الإسلامِ لم يكنْ لأحدٍ مثلُهُ ، وذَكَرَ هٰذا اليومَ .

فقالَ لهُ رجلٌ : فما كانَ يُقالُ ؟ قالَ : معاذَ اللهِ أن تزولَ عدالةُ مثلِهِ بكذبِ باغٍ وحاسدٍ .

وكانَتْ كتبُهُ في الفقهِ أجلَّ كتبٍ ، فتركَها النَّاسُ لطولِها[٣]

حكاية

[شيبةٌ في الإسلامِ وِقايةٌ مِنَ النِّيرانِ]

ك **٢٠٣** ـ وبهِ قالَ : أنا أبو العلاءِ الواسِطيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ المُفيدُ ، ثنا عمرُ بنُ سعيدِ ابنِ سنانٍ الطَّائيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ سَلْمٍ الخوَّاصُ الشَّيخُ الصَّالحُ قالَ : رأيتُ يحيى بنَ أكثمَ القاضيَ في المَنامِ ، فقلتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟

قالَ : أوقَفَني بينَ يدَيهِ ، وقالَ لي : (يا شيخَ السُّوءِ ؛ لولا شيبتُكَ . . لَأَحرقتُكَ بالنَّارِ) ، فأخذَني ما يأخذُ العبدَ مِن مولاهُ .

فلمَّا أفقتُ . . قالَ لي : (يا شيخَ السُّوءِ ؛ لولا شيبتُكَ . . لَأَحرقتُكَ بالنَّارِ) ، فأخذَني ما يأخذُ العبدَ بينَ يدَي مولاهُ .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٦) ، ومسلم (١٤٠٧/٣٠) بنحوه ، وفيهما : (يَوْمَ خَيْبَرَ) ؛ وبهٰذا يكون هٰذا الحديث خاصَّة دليلاً على التَّحريم الأوَّلِ لا الثَّاني المؤبَّدِ ، قال النَّوويُّ في « شرح صحيح مسلم » (١٨١/٩) : (والصَّواب المختار : أنَّ التَّحريم والإباحة كانا مرَّتين ، وكانت حلالاً قبل خيبر ، ثمَّ حُرِّمت يومَ خيبر ، ثمَّ أُبيحت يومَ فتح مكَّة ـ وهو يوم أَوطاس لاتِّصالهما ـ ، ثمَّ حُرِّمت يومئذ بعد ثلاثة أيَّام تحريماً مؤبَّداً إلىٰ يومِ القيامة) .

(٢) الموطأ (٥٤٢/٢) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٩١/١٦ ـ ٢٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧١/٦٤ ـ ٧٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥١٠/٦ ـ ٥١١) كلاهما من طريق الخطيب ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٥٥٠/٢ ـ ٥٥٢) ، و« وفيات الأعيان » (١٤٩/٦ ـ ١٥١) ، و« تهذيب الكمال » (٢١٤/٣١ ـ ٢١٥) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

فلمَّا أفقتُ . . قالَ لي : (يا شيخَ السُّوءِ . . .) ، فذكرَ الثَّالثةَ مثلَ الأُولَيَيْنِ .

فلمَّا أفقتُ . . قلتُ : يا ربِّ ؛ ما هٰكذا حُدِّثتُ عنكَ ، فقالَ اللهُ : (وما حُدِّثتَ عنِّي ؟) ، وهوَ أعلمُ بذٰلكَ .

فقلتُ : حدَّثَني عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ همَّامٍ قالَ : حدَّثَنا مَعْمَرُ بنُ راشدٍ ، عنِ ابنِ شهابٍ الزُّهريِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن نبيِّكَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، عن جبريلَ ، عنكَ يا عظيمُ : أنَّكَ قلتَ : « مَا شَابَ لِي عَبْدٌ فِي ٱلْإِسْلَامِ شَيْبَةً إِلَّا ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ أَنْ أُعَذِّبَهُ بِٱلنَّارِ » (١)

فقالَ اللهُ [عزَّ وجلَّ] : (صدقَ عبدُ الرَّزَّاقِ ، وصدقَ مَعْمَرٌ ، وصدقَ الزُّهريُّ ، وصدقَ أنسٌ ، وصدقَ نبيِّي ، وصدقَ جبريلُ ، أنا قلتُ ذٰلكَ ، انطلقوا بهِ إلى الجنَّةِ) (٢)

حكاية

[كانَ ينظرُ بعينِ عقلِهِ]

ك ٢٠٤ ـ وبهِ قالَ : وحُكِيَ أنَّ والدَ أبي يوسفَ ماتَ ، وخلَّفَ أبا يوسفَ طفلاً صغيراً ، وأنَّ أُمَّهُ هيَ الَّتي أنكرَتْ عليهِ حضورَهُ حَلْقةَ أبي حنيفةَ .

كذٰلكَ أخبرَنيَ الحسنُ بنُ أبي بكرٍ قالَ : ذكرَ محمَّدُ بنُ الحسنِ ابنِ زيادٍ النَّقَّاشُ : أنَّ محمَّدَ بنَ عبدِ الرَّحمٰنِ السَّاميَّ أخبرَهُم بهَرَاةَ قالَ : أنا عليُّ بنُ الجعدِ قالَ : أخبرَني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ أبو يوسفَ القاضي قالَ : تُوُفِّيَ أبي ؛ إبراهيمُ بنُ حبيبٍ ، وخلَّفَني صغيراً في حجرِ أُمِّي ، فأسلمَتْني إلىٰ قصَّارٍ أخدمُهُ ، فكنتُ أدعُ القصَّارَ ، وأمرُّ إلىٰ حَلْقةِ أبي حنيفةَ ، فأجلسُ أستمعُ ، فكانَتْ أُمِّي تجيءُ خلفي إلى الحَلْقةِ ، فتأخذُ بيدي وتذهبُ بي إلى القصَّارِ ، وكانَ أبو حنيفةَ يُعنىٰ بي ؛ لِمَا يرىٰ مِن حضوري وحرصي على التَّعلُّمِ .

فلمَّا كَثُرَ ذٰلكَ علىٰ أُمِّي ، وطالَ عليها هربي إلىٰ أبي حنيفةَ . . قالَتْ لأبي حنيفةَ : ما

---

(١) انظر « اللآلىء المصنوعة » للجلال السيوطي (١/١٣٦) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٢٩٦ ـ ٢٩٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٤/٩١) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٥١٤ ـ ٥١٥) كلاهما من طريق الخطيب ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢/٦١٢ ـ ٦١٣) .

لهٰذا الصَّبيِّ فسادٌ غيرُكَ ، هٰذا الصَّبيُّ يتيمٌ لا شيءَ لهُ ، وإنَّما أُطعِمُهُ مِن مِغزَلي ، وآمُلُ أن يكسبَ دانِقاً يعودُ بهِ على نفسِهِ [١] .

فقالَ لها أبو حنيفةَ : مُرِّي يا رَعْناءُ [٢] ، هٰذا هوَ ذا [٣] يتعلَّمُ أكلَ الفالوذجِ بدُهنِ الفُسْتقِ ، فانصرفَتْ عنهُ وقالَتْ لهُ : أنتَ شيخٌ قد خرِفتَ وذهبَ عقلُكَ .

ثمَّ لَزِمتُهُ ، فنفعَنيَ اللهُ بالعلمِ ورفعَني ، حتَّىٰ تقلَّدتُ القضاءَ ، وكنتُ أُجالِسُ الرَّشيدَ ، وآكلُ معَهُ علىٰ مائدتِهِ .

فلمَّا كانَ في بعضِ الأيَّامِ . . قُدِّمَ إلىٰ هارونَ فالوذجةٌ ، فقالَ لي هارونُ : يا يعقوبُ ، كُلْ منهُ ، فليسَ في كلِّ يومٍ يُعمَلُ لنا مثلُها ، فقلتُ : وما هٰذهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : هٰذهِ فالوذجةٌ بدُهنِ الفُسْتقِ ، فضحكتُ ، فقالَ لي : مِمَّ ضحكُكَ ؟ فقلتُ : خيراً ، أبقى اللهُ أميرَ المؤمنينَ .

قالَ : لَتُخبِرَنِّي ، وألحَّ عليهِ ، فخبَّرتُهُ بالقصَّةِ مِن أوَّلِها إلىٰ آخرِها ، فعجبَ مِن ذٰلكَ ، وقالَ : **لَعَمري ؛ إنَّ العلمَ لَيرفعُ وينفعُ ديناً ودنيا** ، وترحَّمَ علىٰ أبي حنيفةَ ، وقالَ : كانَ ينظرُ بعينِ عقلِهِ ما لا يراهُ بعينِ رأسِهِ !! [٤]

حكاية

[بينَ الرَّشيدِ والقاضي أبي يوسفَ]

ك ٢٠٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عمرَ بنِ روحٍ النَّهْروانيُّ ، ومحمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدٍ الجازريُّ ، قالَ أحمدُ : أنا ، وقالَ محمَّدٌ : ثنا المُعافى بنُ زكريَّا الجَرِيريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أبي الأزهرِ ، ثنا حمَّادُ بنُ إسحاقَ المَوْصِليُّ [قالَ] : حدَّثَني أبي ، حدَّثَني بشرُ بنُ الوليدِ

---

(١) الدَّانِق : سُدس الدِّرهم .

(٢) الرَّعْناء : الحمقاء .

(٣) كذا ، وفي « المنتظم » ، و« وفيات الأعيان » : (ها هو ذا) .

(٤) وذكر ابن عبد البرّ : (كانَ أبو يوسفَ القاضي يقولُ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ : اللَّهُمَّ ؛ اغفرْ لي ولأبي حنيفةَ) ، وهٰذا من أجلِّ ما انتهىٰ إلينا من وفاء الطَّلَبة لأشياخهم ، رحم الله القوم ونفعنا بهم ، انظر « الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء » (ص ٣٣١) .

وأخرج الخبرَ الخطيبُ البغداديُّ في « تاريخ بغداد » (٣٦٢/١٦) ، وابنُ الجوزي في « المنتظم » (٤٥٢/٥) من طريقه ، وانظر « وفيات الأعيان » (١٨٠/٦ ـ ١٨١) .

وسألتُهُ مِن أينَ جاءَ ، قالَ : كنتُ عندَ أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ إبراهيمَ القاضي ، وكنَّا في حديثٍ طريفٍ ، فقلتُ لهُ : حدِّثْني بهِ .

فقالَ : قالَ لي يعقوبُ : بينا أنا البارحةَ قد أويتُ إلىٰ فراشي . . فإذا داقٌّ يدقُّ البابَ دقّاً شديداً ، فأخذتُ عليَّ إزاري وخرجتُ ، فإذا هرثمةُ بنُ أعينَ ، فسلَّمتُ عليهِ ، فقالَ : أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ ، فقلتُ : يا أبا حاتمٍ ؛ لي بكَ حرمةٌ ، وهـٰذا وقتٌ كما ترىٰ ، ولستُ آمنُ أن يكونَ دعاني لأمرٍ مِنَ الأمورِ ، فإن أَمكنَكَ أن تدفعَ بذٰلكَ إلىٰ غدٍ ، فلعلَّهُ أن يحدثَ لهُ رأيٌ .

قالَ : ما لي إلىٰ ذٰلكَ سبيلٌ ، قلتُ : كيفَ كانَ السَّببُ ؟

قالَ : خرجَ إليَّ مسرورٌ الخادمُ ، فأمرَني أن آتيَ بكَ أميرَ المؤمنينَ .

فقلتُ : تأذنُ لي أصبُّ عليَّ ماءً وأتحنَّطُ ؛ فإن كانَ أمرٌ مِنَ الأمورِ . . كنتُ قد أحكمتُ شأني ، وإن رزقَ اللهُ العافيةَ . . فلن يضرَّ .

فأذنَ لي ، فدخلتُ فلَبِستُ ثياباً جُدُداً ، وتطيَّبتُ بما أمكنَ مِنَ الطِّيبِ ، ثمَّ خرجْنا .

فمضيْنا حتَّىٰ أتيْنا دارَ أميرِ المؤمنينَ الرَّشيدِ ، وإذا مسرورٌ واقفٌ ، فقالَ لهُ هرثمةُ : قد جئتُ بهِ ، فقلتُ لمسرورٍ : يا أبا هاشمٍ ؛ حرمتي وخدمتي وميلي ، وهـٰذا وقتُ ضيقٍ ، فتدري لِمَ طلبَني أميرُ المؤمنينَ ؟ قالَ : لا

قلتُ : فمَن عندَهُ ؟ قالَ : عيسى بنُ جعفرٍ ، قلتُ : ومَن ؟ قالَ : ما عندَهُ ثالثٌ .

قالَ : مُرَّ ، فإذا صرتَ إلى الصَّحنِ . . فإنَّهُ في الرِّواقِ ، وهوَ ذاكَ جالسٌ ، فحرِّكْ رِجلَكَ بالأرضِ ؛ فإنَّهُ سيسألُكَ ، فقلْ : أنا .

فجزتُ ففعلتُ ، فقالَ : مَن هـٰذا ؟ قلتُ : يعقوبُ ، قالَ : ادخلْ ، فدخلتُ ، فإذا هوَ جالسٌ وعن يمينِهِ عيسى بنُ جعفرٍ ، فسلَّمتُ فردَّ عليَّ السَّلامَ ، وقالَ : أظنُّنا روَّعْناكَ ، قلتُ : إي واللهِ ، وكذٰلكَ مَن خلفي ، قالَ : اجلسْ ، فجلستُ حتَّىٰ سكنَ رَوْعي ، ثمَّ التفتَ إليَّ فقالَ : يا يعقوبُ ؛ تدري لِمَ دعوتُكَ ؟ قلتُ : لا ، قالَ : دعوتُكَ لأُشهِدَكَ علىٰ هـٰذا ؛ إنَّ عندَهُ جاريةً سألتُهُ أن يهبَها لي فامتنعَ ، وسألتُهُ أن يبيعَنيها فأبىٰ ، وواللهِ ؛ لئن لم يفعلْ . . لَأقتلَنَّهُ .

قالَ : فالتفتُّ إلىٰ عيسىٰ ، فقلتُ : وما بلغَ اللهُ بجاريةٍ تمنعُها أميرَ المؤمنينَ ، وتُنزِلُ نفسَكَ هـٰذهِ المنزلةَ ؟

قالَ : فقالَ لي : عَجِلتَ عليَّ في القولِ قبلَ أن تعرفَ ما عندي ، قلتُ : وما في هٰذا مِنَ الجوابِ ؟

قالَ : إنَّ عليَّ يميناً بالطَّلاقِ والعتاقِ ، وصدقةِ ما أملكُ ألَّا أبيعَ هٰذهِ الجاريةَ ولا أهبَها .

فالتفتَ إليَّ الرَّشيدُ ، فقالَ : هل لهُ في ذٰلكَ مِن مخرجٍ ؟ قلتُ : نعم ، قالَ : وما هوَ ؟

قلتُ : يهبُ لكَ نصفَها ، ويبيعُكَ نصفَها ، فيكونُ لم يبعْ ولم يهبْ .

قالَ عيسىٰ : ويجوزُ ذٰلكَ ؟ قلتُ : نعم ، قالَ : فأُشهِدُكَ أنِّي قد وهبتُ لهُ نصفَها ، وبعتُهُ النِّصفَ الباقيَ بمئةِ ألفِ دينارٍ .

فقالَ : الجاريةَ ، فأُتِيَ بالجاريةِ وبالمالِ ، فقالَ : خُذْها يا أميرَ المؤمنينَ ، باركَ اللهُ لكَ فيها .

قالَ : يا يعقوبُ ؛ بقيَتْ واحدةٌ ، قلتُ : وما هيَ ؟

قالَ : هيَ مملوكةٌ ولا بدَّ أن تُستبرَأَ ، وواللهِ ؛ إن لم أبتْ معَها ليلتي . . إنِّي أظنُّ أنَّ نفسي ستخرجُ .

قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ تعتقُها وتتزوَّجُها ، فإنَّ الحُرَّةَ لا تُستَبرأُ .

قالَ : فإنِّي قد أعتقتُها ، فمَن يُزوِّجُنيها ؟ قلتُ : أنا .

فدعا [بمسرورٍ][1] وحسينٍ ، فخطبتُ وحمدتُ اللهَ ، ثمَّ زوَّجتُهُ علىٰ عشرينَ ألفَ دينارٍ ، ودعا بالمالِ فدفعَهُ إليها .

ثمَّ قالَ لي : يا يعقوبُ ؛ انصرفْ ، ورفعَ رأسَهُ إلىٰ مسرورٍ فقالَ : يا مسرورُ ، قالَ : لبَّيكَ يا أميرَ المؤمنينَ ، قالَ : احملْ إلىٰ يعقوبَ مئتَي ألفِ درهمٍ ، وعشرينَ تختاً ثياباً ، فحُمِلَ ذٰلكَ معي .

قالَ : فقالَ بشرُ بنُ الوليدِ : فالتفتَ إليَّ يعقوبُ فقالَ : هل رأيتَ بأساً فيما فعلتُ ؟ قلتُ : لا ، قالَ : فخُذْ منها حقَّكَ ، قلتُ : وما حقِّي ؟ قالَ : العُشرُ ، قالَ : فشكرتُهُ ودعوتُ لهُ .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (بمسروق) ، والمثبت من مصادر التخريج .

وذهبتُ لأقومَ ، فإذا بعجوزٍ قد دخلَتْ فقالَتْ : يا أبا يوسفَ ؛ بنتُكَ تُقرِئُكَ السَّلامَ ، وتقولُ لكَ : واللهِ ؛ ما وصلَ إليَّ في ليلتي هٰذهِ مِن أميرِ المؤمنينَ إلَّا المهرُ الَّذي قد عرفتَهُ ، وقد حملتُ إليكَ النِّصفَ منهُ ، وخلَّفتُ الباقيَ لِمَا أحتاجُ إليهِ .

قالَ : رُدِّيهِ ، فواللهِ ؛ لا قبلتُهُ ، أخرجتُها مِنَ الرِّقِّ ، وزوَّجتُها أميرَ المؤمنينَ ، وترضىٰ لي بهٰذا ؟ فلم نزلْ نطلبُ إليهِ أنا وعمومتي حتَّىٰ قبلَها ، وأمرَ لي منها بألفِ دينارٍ [1]

* * *

٢٠٦ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ، أنا محمَّدُ ابنُ نُعَيمٍ الضَّبِّيُّ ، ثنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ العَتَكيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ حفصِ بنِ عمرَ الفقيهُ بجُرْجانَ ، ثنا عليُّ بنُ سلمةَ اللَّبَقيُّ ، ثنا يحيى بنُ يحيىٰ قالَ : (سمعتُ أبا يوسفَ القاضيَ [2] عندَ وفاتِهِ يقولُ : كلُّ ما أفتيتُ بهِ . . فقد رجعتُ عنهُ إلَّا ما وافقَ كتابَ اللهِ ، وسُنَّةَ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) [3]

* * *

٢٠٧ ـ وبالإسنادَينِ المُتقدِّمَينِ إلى التَّنُوخيِّ قالَ [4] : أنا طلحةُ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ ، حدَّثَني مُكرمُ بنُ أحمدَ ، ثنا أحمدُ بنُ عطيَّةَ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ سماعةَ يقولُ : (سمعتُ أبا يوسفَ في اليومِ الَّذي ماتَ فيهِ يقولُ : اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ تعلمُ أنِّي لم أَجُرْ في حكمٍ حكمتُ بهِ بينَ عبادِكَ مُتعمِّداً .

ولقدِ اجتهدتُ في الحكمِ بما وافقَ كتابَكَ وسُنَّةَ نبيِّكَ ، وكلُّ ما أشكلَ عليَّ جعلتُ أبا حنيفةَ بيني وبينَكَ ، وكانَ عندي ـ واللهِ ـ ممَّن يعرفُ أمرَكَ ، ولا يخرجُ عنِ الحقِّ) [5]

*

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٣٦٨ ـ ٣٧٠) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٤١٦ ـ ٤١٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٤٥٥ ـ ٤٥٧) من طريق الخطيب ، وانظر « وفيات الأعيان » (٦/٣٨٤ ـ ٣٨٦) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

(٢) مات القاضي أبو يوسف سنة اثنتين وثمانين ومئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٣٧٣) ، وانظر « مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه » للذهبي (ص ٤١) .

(٤) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١١) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٣٧٣) ، وانظر « وفيات الأعيان » (٦/٣٨٨) .

٢٠٨ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أخبرَنيَ الخَلَّالُ ، أنا عليُّ بنُ عمرٍو : أنَّ عليَّ بنَ محمَّدٍ النَّخَعيَّ حدَّثَهُم قالَ : ثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الزُّهريُّ ، ثنا بشرُ بنُ الوليدِ الكِنْديُّ يقولُ : (سمعتُ أبا يوسفَ يقولُ في مرضِهِ الَّذي ماتَ فيهِ : اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ تعلمُ أنِّي لم أطأْ فرجاً حراماً قطُّ ، وأنا أعلمُ .

اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ تعلمُ أنِّي لم آكلْ درهماً حراماً ، وأنا أعلمُ)[١]

حكاية

[صبرُ الإمامِ البُوَيطيِّ في فتنةِ خَلْقِ القرآنِ]

٢٠٩ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عيسى بنِ عبدِ العزيزِ البَزَّازُ إملاءً بهَمَذانَ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أحمدَ الأنماطيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ حمدانَ الطَّرائفيُّ ، ثنا الرَّبيعُ بنُ سليمانَ قالَ : رأيتُ البُوَيطيَّ[٢] علىٰ بغلٍ ، في عنقِهِ غُلٌّ ، وفي رِجلَيهِ قيدٌ ، وبينَ الغُلِّ والقيدِ سلسلةُ حديدٍ ، فيها طُوبةٌ وزنُها أربعونَ رطلاً[٣] ، وهوَ يقولُ : إنَّما خلقَ اللهُ الخَلْقَ بـ (كُنْ) ، فإذا كانَتْ (كُنْ) مخلوقاً . . فكأنَّ مخلوقاً خلقَ مخلوقاً ، فواللهِ ؛ لأموتَنَّ في حديدي حتَّىٰ يأتيَ مِن بعدي قومٌ يعلمونَ أنَّهُ قد ماتَ في هٰذا الشَّأنِ قومٌ في حديدِهِم ، ولئن أُدخِلتُ إليهِ . . لَأَصدُقَنَّهُ ؛ يعني : الواثقَ[٤]

قالَ الرَّبيعُ[٥] : وكتبَ إليَّ مِنَ السِّجنِ : إنَّهُ ليأتي عليَّ أوقاتٌ لا أَحُسُّ بالحديدِ أنَّهُ علىٰ بدني حتَّىٰ تمسَّهُ يدي ، فإذا قرأتَ كتابي هٰذا . . فأَحسِنْ خُلُقَكَ معَ أهلِ حَلْقتِكَ ، واستوصِ بالغرباءِ خاصَّةً خيراً .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٣٧٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٦٦٠) من طريقه ، وانظر « مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه » للذهبي (ص ٤٥) .

(٢) توفِّي أبو يعقوب يوسف بن يحيى البُوَيطيُّ في السِّجن والقيد ببغداد ، سنة إحدىٰ ـ وقيل : اثنتين ـ وثلاثين ومئتين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) ، والبُوَيطيُّ : نسبة إلىٰ (بُوَيط) ، وهي قرية من صعيد مصر الأدنى . « الأنساب » (١/٤١٦) .

(٣) الطُّوبة : الآجُرَّة .

(٤) انظر هٰذا القولَ في « وفيات الأعيان » (٧/٦٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٩/٣٥٥ ـ ٣٥٦) .

(٥) أخرج هٰذا القولَ أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٤٨) ، والبيهقيُّ في « مناقب الشافعي » (٢/١٠٠ ـ ١٠١) ، وأبو سعد السمعانيُّ كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٧٩) مخطوط ، وأبو طاهر السلفيُّ في « الطيوريات » (٣٥٦) ، وانظره في « وفيات الأعيان » (٧/٦٣ ـ ٦٤) .

فكثيراً ما كنتُ أسمعُ الشَّافعيَّ يتمثَّلُ بهٰذا البيتِ[1] : [من الطويل]

أُهِينُ لَهُمْ نَفْسِي [لِأُكْرِمَهَا بِهِمْ][2] وَلَا تُكْرَمُ ٱلنَّفْسُ ٱلَّتِي لَا تُهِينُهَا[3]

* * *

٢١٠ ـ وبالأسانيدِ المُتقدِّمةِ إلى التَّنُوخيِّ قالَ[4] : أنا طلحةُ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ قالَ : (يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسماعيلَ بنِ حمَّادِ بن زيدٍ[5] كانَ رجلاً صالحاً ، عفيفاً ، خيِّراً ، حسنَ العلمِ بصناعةِ القضاءِ ، شديداً في الحكمِ ، لا يُراقِبُ فيهِ أحداً ، وكانَتْ لهُ هيبةٌ ورياسةٌ ، وحملَ النَّاسُ عنهُ حديثاً كثيراً ، وكانَ ثقةً أميناً)[6]

حِكَايَة

[الحكمُ عمودُ السُّلطانِ]

٢١١ ـ وبهِما إليهِ قالَ : أخبرَني أبي ، حدَّثَني أبي قالَ[7] : سمعتُ القاضيَ أبا عمرَ ـ وهوَ محمَّدُ بنُ يوسفَ ـ يقولُ : قدمَ خادمٌ مِن وجوهِ خدمِ المُعتضِدِ باللهِ إلىٰ أبي في حكمٍ ، فجاءَ فارتفعَ في المجلسِ ، فأمرَهُ الحاجبُ بموازاةِ خصمِهِ ، فلم يفعلْ ؛ إدلالاً بعظمِ محلِّهِ مِنَ الدَّولةِ ، فصاحَ أبي عليهِ وقالَ : قِفَاهُ ، أتُؤمَرُ بموازاةِ خصمِكَ فتمتنعُ ؟! يا غلامُ ؛ عمرَو بنَ أبي عمرٍو النَّخَّاسَ السَّاعةَ ؛ لأتقدَّمَ إليهِ ببيعِ هٰذا العبدِ ، وحملِ ثمنِهِ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ .

ثمَّ قالَ لحاجبِهِ : خُذْ بيدِهِ ، وسَوِّ بينَهُ وبينَ خصمِهِ ، فأُخِذَ كَرْهاً وأُجلِسَ معَ خصمِهِ .

---

(١) ذكرت في « ديوان الشافعي » (ص ١٣٥) ، وهي للحسن بن عبد الحميد في « العقد الفريد » (١/٧٠) ، وفي « حدائق الأزاهر » لأبي بكر الغرناطي (ص ١١٠) ، وقيل غير ذٰلك .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (لكي يكرمونها) ، والمثبت من « وفيات الأعيان » .

(٣) أخرج الخبرَ كاملاً الخطيبُ البغداديُّ في « تاريخ بغداد » (١٦/٤٤٢ ـ ٤٤٣) ، وابنُ الجوزي في « المنتظم » (٦/٣٩٩) من طريقه ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/٥٩ ، ٦١) .

(٤) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١١) .

(٥) مولد أبي محمَّد يوسف بن يعقوب هٰذا سنة ثمان ومئتين ، وتوفِّي في شهر رمضان سنة سبع وتسعين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٤٥٧) .

(٧) ذُكِرَ ها هنا القضاة التَّنُوخيُّون الثَّلاثة ؛ فآخِرُهم القاضي أبو القاسم ، عليُّ بن محمَّد ، المتوفَّىٰ سنة (٣٤٢هـ) ، وقبلَه ابنُه القاضي أبو عليٍّ ، المُحسِّن بن عليٍّ ، المتوفَّىٰ سنة (٣٨٤هـ) ، صاحب « نشوار المحاضرة » ، وأوَّلُهم القاضي أبو القاسم ، عليُّ بن المُحسِّن ، المتوفَّىٰ سنة (٤٤٧هـ) ، انظر « تاريخ الإسلام » (٢٥/٢٦٥ ، ٢٧/٨٨ ، ٣٠/١٦١) .

فلمَّا انقضى الحكمُ . . انصرفَ الخادمُ ، فحدَّثَ المُعتضِدَ بالحديثِ ، وبكىٰ بينَ يدَيهِ ، فصاحَ عليهِ المُعتضِدُ وقالَ : لو باعَكَ . . لَأجزتُ بيعَهُ ، وما رددتُكَ إلىٰ ملكي أبداً ، وليسَ خصوصُكَ بي يُزيلُ مرتبةَ الحكمِ ؛ فإنَّهُ عمودُ السُّلطانِ وقوامُ الأديانِ (١)

نُكْتَةٌ

[في معرفةِ أقدارِ النُّفوسِ]

٢١٢ ـ وبهِ إلى الخطيبِ قالَ : أنا الخَلّالُ [قالَ] : حدَّثَني عبدُ الواحدِ بنُ عليٍّ ، ثنا أحمدُ بنُ سلمانَ قالَ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ ذا النُّونِ المصريَّ يقولُ : (مَن جهلَ قدرَهُ . . هتكَ سترَهُ) (٢)

حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ

[يا أحمقُ ؛ إنَّما جرَّبْناكَ]

٢١٣ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني عبدُ العزيزِ بنُ أبي طاهرٍ الصُّوفيُّ بدِمشقَ قالَ (٣) : أنا أبو طالبٍ عقيلُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ عبدانَ السِّمْسارُ ، أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ ابنِ الجُنَيدِ الرَّازيُّ قالَ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ الرَّازيَّ الصُّوفيَّ يقولُ : قيلَ لي : إنَّ ذا النُّونِ المصريَّ يعرفُ اسمَ اللهِ الأعظمَ ، فدخلتُ مصرَ فذهبتُ إليهِ ، فنظرَني وأنا طويلٌ ، طويلُ اللِّحيةِ ، ومعيَ رَكْوةٌ طويلةٌ ، فاستبشعَ منظري ولم يلتفتْ إليَّ .

قالَ أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ : وكانَ يوسفُ يُقالُ : إنَّهُ أعلمُ أهلِ زمانِهِ بالكلامِ وعلمِ الصُّوفيَّةِ .

فلمَّا كانَ بعدَ أيَّامٍ . . جاءَ إلىٰ ذي النُّونِ رجلٌ صاحبُ كلامٍ ، فناظرَ ذا النُّونِ فلم يقمْ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٤٥٧) ، والتنوخي في « نشوار المحاضرة » (١/٢٤٥) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢/٨١٢ ـ ٨١٣) من طريق الخطيب .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٤٦٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٢٤١) ، وابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (٢/٥٦٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٤١٣) .

(٣) هو أبو محمَّد ، عبد العزيز بن أحمد بن محمَّد ، المحدِّث الكَتَّانيُّ التَّميميُّ ، المتوفَّىٰ سنة (٤٦٦ هـ) ، انظر « ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » لابن الأكفاني (ص ٤١) .

ذو النُّونِ بالحجَّةِ عليهِ ، قالَ : فاجتذبتُهُ إليَّ وناظرتُهُ فقطعتُهُ ، فعرفَ ذو النُّونِ مكاني ، فقامَ إليَّ وعانقَني ، وجلسَ بينَ يدَيَّ ، وهوَ شيخٌ وأنا شابٌّ ، وقالَ : اعذرْني فلم أعرفْكَ ، فعذرتُهُ وخدمتُهُ سنةً واحدةً .

فلمَّا كانَ رأسُ السَّنةِ . . قلتُ لهُ : يا أستاذُ ؛ إنِّي قد جئتُكَ ، وقد وجبَ حقِّي عليكَ ، وقيلَ لي : إنَّكَ تعرفُ اسمَ اللهِ الأعظمَ ، وقد عرفتَني ، ولا تجدُ لهُ موضعاً مثلي ، وأُحِبُّ أن تُعلِّمَني إيَّاهُ .

قالَ : فسكتَ عنِّي ذو النُّونِ ولم يُجِبْني ، وكأنَّهُ أومأَ إليَّ أنَّهُ يُخبِرُني .

قالَ : فتركَني بعدَ ذٰلكَ ستَّةَ أشهرٍ ، ثمَّ أخرجَ إليَّ مِن بيتِهِ طبقاً ومكبَّةً مشدوداً في منديلٍ (١) ، وكانَ ذو النُّونِ يسكنُ في الجيزةِ ، فقالَ : تعرفُ فلاناً صديقَنا مِنَ الفسطاطِ ؟ قلتُ : نعم ، قالَ : فأُحِبُّ أن تُؤدِّيَ هٰذا إليهِ .

قالَ : فأخذتُ الطَّبقَ وهوَ مشدودٌ عليهِ ، أمشي طولَ الطَّريقِ وأنا مُتفكِّرٌ فيهِ : مثلُ ذي النُّونِ يُوجِّهُ إلىٰ فلانٍ بهديَّةٍ ، تُرىٰ أيشٍ هيَ ؟ قالَ : فلم أصبرْ إلىٰ أن بلغتُ الجسرَ ، فحللتُ المنديلَ وشلتُ المكبَّةَ ، فإذا فأرةٌ قفزَتْ مِنَ الطَّبقِ ومرَّتْ !!

قالَ : فاغتظتُ غيظاً شديداً ، وقلتُ : ذو النُّونِ يسخرُ بي ، ويُوجِّهُ معَ مثلي فأرةً إلىٰ فلانٍ ، فرجعتُ علىٰ ذٰلكَ الغيظِ .

فلمَّا رآني . . عرفَ ما في وجهي ، قالَ : يا أحمقُ ؛ إنَّما جرَّبْناكَ ، ائتمنتُكَ علىٰ فأرةٍ فخُنْتَني ، أفأأتمنُكَ على اسمِ اللهِ الأعظمِ ؟! وقالَ : مُرَّ عنِّي (٢)

* * *

ك ٢١٤ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ أحمدَ الرَّزَّازُ ، أنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ يحيى النَّيْسابوريُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الأزهرِ قالَ : سمعتُ الحسنَ بنَ عرفةَ بنِ يزيدَ العَبْديَّ يقولُ : رأيتُ يزيدَ بنَ هارونَ بواسِطَ ، وهوَ مِن أحسنِ النَّاسِ عينَينِ ، ثمَّ رأيتُهُ بعينٍ واحدةٍ ، ثمَّ رأيتُهُ وقد ذهبَتْ عيناهُ .

---

(١) المكبَّة : الغطاء .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٤٦٤ ـ ٤٦٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/٣٨٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٤٦٠ ـ ٤٦١) من طريق الخطيب ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٧٣ ـ ٧٤) ، و« وفيات الأعيان » (١/٤٢٨ ـ ٤٢٩) .

فقلتُ : يا أبا خالدٍ ؛ ما فعلَتِ العينانِ الجميلتانِ ؟ قالَ : ذهبَ بهِما بكاءُ الأسحارِ [١]

حكاية

[مُحالٌ أن تكونَ إلَّا أختَ بشرٍ]

خ ك **٢١٥** ـ وبهِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ ، ثنا أبو عليٍّ عيسى بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ الطُّوماريُّ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ يقولُ : كنتُ معَ أبي يوماً مِنَ الأيَّامِ في المنزلِ ، فدقَّ داقٌّ البابَ ، قالَ ليَ : اخرجْ وانظرْ مَن بالبابِ .

قالَ : فخرجتُ فإذا امرأةٌ ، قالَ : قالَتْ ليَ : استأذنْ لي علىٰ أبي عبدِ اللهِ ؛ يعني : أباهُ ، قالَ : واستأذنتُهُ ، فقالَ : أَدخِلْها .

قالَ : فدخلَتْ فجلسَتْ وسلَّمَتْ عليهِ ، وقالَتْ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ أنا امرأةٌ أغزلُ باللَّيلِ والسِّراجَ ، فربَّما طُفِئَ فأغزلُ في القمرِ ، فعَلَيَّ أن أُبيِّنَ غزلَ القمرِ مِن غزلِ السِّراجِ ؟

قالَ : فقالَ لها : إن كانَ عندَكِ بينَهُما فرقٌ . . فعليكِ أن تُبيِّني ذٰلكَ .

قالَ : قالَتْ لهُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ أنينُ المريضِ شكوىٰ ؟ قالَ : أرجو ألَّا يكونَ شكوىٰ [٢] ، قالَ : فودَّعَتْهُ وخرجَتْ .

قالَ : فقالَ لي : يا بُنَيَّ ؛ ما سمعتُ قطُّ إنساناً سألَ عن مثلِ هٰذا ، اتبعْ هٰذهِ المرأةَ ، وانظرْ أينَ تدخلُ .

قالَ : فاتَّبعتُها ، فإذا قد دخلَتْ إلىٰ بيتِ بشرِ بنِ الحارثِ ، فإذا هيَ أختُهُ .

قالَ : فرجعتُ فقلتُ لهُ ، فقالَ : مُحالٌ أن تكونَ مثلُ هٰذهِ إلَّا أختَ بشرٍ [٣]

خ ك **٢١٦** ـ وبهِ قالَ : حدَّثَني عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ الكَتَّانيُّ ، ثنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عبدِ اللهِ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٤٩٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/١٥٧) من طريق الخطيب ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٣/٥٠٤) .

(٢) في « تاريخ بغداد » : (ولٰكنَّهُ اشتكاءٌ إلى اللهِ) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٦٢٤) ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٢/٥٨٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥/٢٧٩) ، و« وفيات الأعيان » (١/٢٧٦) ، و« الوافي بالوفيات » (١٠/١٤٧ ـ ١٤٨) .

المُرّيُّ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ الأحنفَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ببغدادَ يقولُ : جاءَتْ مُخَّةُ أختُ بشرِ بنِ الحارثِ إلىٰ أبي ، فقالَتْ لهُ : إنِّي امرأةٌ رأسُ مالي دانِقانِ ، أشتري القطنَ فأُردِنُهُ [١] ، فأبيعُهُ بنصفِ درهمٍ ، فأتقوَّتُ بدانِقٍ مِنَ الجمعةِ إلى الجمعةِ ، فمرَّ ابنُ طاهرٍ الطَّائفُ ومعَهُ مِشعَلٌ ، فوقفَ يُكلِّمُ أصحابَ المَسالحِ [٢] ، فاستغنمتُ ضوءَ المِشعَلِ فغزلتُ طاقاتٍ ، ثمَّ غابَ عنِّيَ المِشعَلُ ، فعلمتُ أنَّ للهِ فيَّ مطالبةً ، فخلِّصْني خلَّصَكَ اللهُ .

فقالَ لها : تُخرجينَ الدَّانِقَينِ ، ثمَّ تبقَينَ بلا رأسِ مالٍ حتَّىٰ يُعوِّضَكِ اللهُ خيراً منهُ .

ثمَّ قالَ : مَن هٰذهِ ؟ قلتُ : مُخَّةُ أختُ بشرِ بنِ الحارثِ ، فقالَ : مِن ها هنا أُتيتُ [٣]

حكاية

[تبرُّكُ الشَّافعيِّ بأبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُما]

خ ٢١٧ ـ وبهِ قالَ : أنا القاضي أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليّ بنِ محمَّدٍ الصَّيْمَريُّ ، أنا عمرُ بنُ إبراهيمَ المُقرِئُ ، ثنا مُكرمُ بنُ أحمدَ ، ثنا عمرُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، ثنا عليُّ بنُ ميمونٍ قالَ : سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ : (إنِّي لأتبرَّكُ بأبي حنيفةَ ، وأجيءُ إلىٰ قبرِهِ في كلِّ يومٍ ـ يعني : زائراً [٤] ـ فإذا عرضَتْ لي حاجةٌ . . صلَّيتُ ركعتَينِ ، وجئتُ إلىٰ قبرِهِ ، وسألتُ اللهَ تعالى الحاجةَ عندَهُ ، فما تبعدُ عنِّي حتَّىٰ تُقضىٰ) [٥]

نكتة

[ليسَ يَرِدُ القيامةَ أكثرُ كباشاً منها]

٢١٨ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني أحمدُ بنُ أبي جعفرٍ القَطِيعيُّ قالَ : سمعتُ الحسينَ بنَ

---

(١) أُردِنُه : أجعل له رُدْناً ؛ وهو الكُمُّ .

(٢) المَسالح : جمع مَسلحة ؛ قوم في عُدَّة بموضع رَصَد ، قد وُكِّلوا به بإزاء ثغر .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٦٢٤ ـ ٦٢٥) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٣٤٦) من طريقه ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٢/٥٨١ ـ ٥٨٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥/٢٧٨ ـ ٢٧٩) ، و« وفيات الأعيان » (١/٢٧٦ ـ ٢٧٧) .

(٤) وقبره في مقبرة الخَيْزُران بالجانب الشَّرقيِّ من بغداد . « تاريخ بغداد » (١/٤٤٥) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/٤٤٥) ، والصيمري في « أخبار أبي حنيفة وأصحابه » (ص ٩٤ ـ ٩٥) .

محمَّدِ بنِ عبيدٍ الدَّقَّاقَ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ محمَّدَ بنَ إسحاقَ الشَّاهدَ يقولُ : سألتُ الزُّبيرَ بنَ بكَّارٍ : منذ كم زوجتُكَ معَكَ ؟

قالَ : لا تسألْني ، ليسَ يَرِدُ القيامةَ أكثرُ كباشاً منها ؛ ضحَّيتُ عنها سبعينَ كبشاً (١)

٭

٢١٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ يوسفَ بنِ دُوسْت ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الحَكِيميُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ القاسمِ قالَ : سُئِلَ بعضُ المُجَّانِ فقيلَ لهُ : كيفَ أنتَ في دينِكَ ؟ قالَ : أُخرِّقُهُ بالمعاصي ، وأُرَقِّعُهُ بالاستغفارِ (٢)

٭ ٭ ٭

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦٢/٢) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٠٩) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٢٩٨/٩ ـ ٢٩٩) من طريق الخطيب ، وانظر « الأنساب » (١٣٧/٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣١٤/١٢) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨٧/٢) ، وانظر « العقد الفريد » (٤٤١/٣) ، و« نثر الدر » للآبي (٢١٩/٢) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (١٠٣/٤) ، و« أخبار الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي (١٩٣) .

نُكْتَةٌ (1)

[خُذْ جملَكَ والدَّنانيرَ لكَ]

٢٢٠ ـ أخبرَنا أبو الفضلِ أحمدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنُ عساكرَ الدِّمشقيُّ ، والشَّيخُ تاجُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ المُطهَّرِ بنِ أبي سعدٍ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ ابنُ أبي عصرونِ التَّميميُّ ، وأُمُّ محمَّدٍ زينبُ بنةُ عمرَ بنِ كِنْديِّ الدِّمشقيَّةُ إجازةً قالوا : أنبأَنا أبو المُظفَّرِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ الحافظِ أبي سعدٍ عبدِ الكريمِ بنِ الإمامِ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ أبي المُظفَّرِ منصورٍ ابنُ السَّمْعانيِّ قالَ : أخبرَنا أبي قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ببُخارىٰ قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ المُقرِئُ إن شاءَ اللهُ ، أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنُ المُسْلِمةِ ، أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ المُخلِّصُ ، أنا أحمدُ بنُ سليمانَ الطُّوسيُّ ، أنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، حدَّثَني يوسفُ بنُ [عيَّاشٍ] (2) قالَ : ابتاعَ حمزةُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ جملاً مِن أعرابيٍّ بخمسينَ ديناراً ، ثمَّ نقدَهُ ثمنَهُ ، فجعلَ الأعرابيُّ ينظرُ إلىٰ جملِهِ ويقولُ : [من الطويل]

[وَقَدْ] (3) تَنْزِعُ ٱلْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... كَرَائِمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنَّ ضَنِينِ

فقالَ لهُ حمزةُ : (خُذْ جملَكَ والدَّنانيرَ لكَ) ، فانصرفَ بجملِهِ وبالدَّنانيرِ (4)

نُكْتَةٌ

[في خصالٍ أهلكَتِ القُرَّاءَ]

ك ٢٢١ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ كاملٍ العَسْقَلانيُّ إجازةً شافهَني بها بدِمشقَ ، أنا أبو البركاتِ ابنُ قَفَرْجَلٍ الكاتبُ في كتابِهِ إليَّ مِن بغدادَ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ ابنِ بِشْرانَ المُعدَّلُ قراءةً عليهِ ، أنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَّاكِ ، ثنا أبو الحسينِ الحسنُ بنُ عمرٍو المَرْوَزيُّ يقولُ : سمعتُ بشرَ بنَ

---

(١) من هنا كتب من « ذيل السَّمْعاني » . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) ؛ أي من الخبر (٢٢٠) إلىٰ (٦٣٢) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عباس) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (قد) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ؛ لضرورة الوزن .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٣) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، والدارقطني في « المؤتلف والمختلف » (١٥٧١/٣) ، وانظر « معجم الأدباء » (٤٧٥/٤) .

الحارثِ يقولُ : (هلكَ القرَّاءُ في هاتَينِ الخصلتَينِ : الغيبةُ والعجبُ) [١]

نُكتة

[الشَّهواتُ للضُّعفاءِ]

٢٢٢ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ بشراً يقولُ : (أوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلىٰ داوودَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « يا داوودُ ؛ إنّي لم أخلقِ الشَّهَواتِ إلَّا للضُّعفاءِ مِن عبادي ، فأمَّا الأبطالُ . . فما لَهُم ولَها ؟! ») [٢]

*

٢٢٣ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ قالَ : أنا أبو القاسمِ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ ، أنا أبو الفضلِ ابنُ المَحامِليِّ ، أنا أبو الحسينِ ابنُ بِشْرانَ ، أنا البَرْذَعيُّ ، ثنا ابنُ أبي الدُّنيا ، حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ أشهبَ التَّميميُّ ، عن أبيهِ قالَ : (كانوا يقفونَ في الجاهليَّةِ بالموقفِ ، فيسمعونَ صوتاً مِنَ الجبلِ : [من الكامل]

اَلْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَيُحِلُّهُمْ ... دَارَ ٱلْمَذَلَّةِ وَٱلْمَعَاطِسُ رُغَّمُ [٣]

فيطيفونَ بالجبلِ فلا يرونَ شيئاً ، ويسمعونَ الصَّوتَ بذٰلكَ) [٤]

نُكتة

[فيما كُتِبَ علىٰ قبرِ يعقوبَ بنِ اللَّيثِ]

٢٢٤ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ المُبارَكِ الحافظُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنُ الجَبَّانِ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ ابنِ بِشْرانَ السُّكَّريُّ قراءةً عليهِ ، ثنا القاضي عمرُ بنُ الحسنِ الأُشْنانيُّ ، حدَّثَني

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٦١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/٢١٠) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/١٠٨٣) .

(٢) أخرجه أحمد ابن حنبل في « الزهد » (٤٦١) ، وأبو الحسين ابن بشران في « فوائده » ضمن كتاب « الفوائد » (٧٥٤) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/١٠٨٣) .

(٣) **المعاطس** : جمع مَعطِس ؛ وهو الأنف ، **والرَّغْم** : الذُّلُّ .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم البغي » (٩) .

أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ زيدِ بن عليِّ بنِ الحسينِ الواسطيُّ قالَ : رأيتُ قبرَ يعقوبَ بنِ اللَّيثِ وعلىٰ أربعِ جوانبِهِ مكتوبٌ على الجانبِ الأوَّلِ : [من الطويل]

[فَقُلْ][1] لِلْعُدَاةِ ٱلشَّامِتِينَ بِمَوْتِنَا ... أَفِي ظَنِّكُمْ أَنْ سَوْفَ تَبْقَوْنَ خُلَّدَا ؟

فَإِنْ تَشْمَتِ ٱلْأَعْدَاءُ يَوْماً بِمَوْتِنَا ... فَإِنَّ ٱلْمَنَايَا قَدْ أَتَيْنَ مُحَمَّدَا

قالَ : وإذا على الجانبِ الثَّاني مكتوبٌ[2] : [من الطويل]

سَلَامٌ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱلدَّوَارِسِ ... كَأَنَّهُمُ لَمْ يَجْلِسُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ

وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ ٱلْمَاءِ شَرْبَةً ... وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْ كُلِّ رَطْبٍ وَيَابِسِ

قالَ : وإذا على الجانبِ الثَّالثِ مكتوبٌ[3] : [من الطويل]

أَبَا يُوسُفٍ أَمَّا ذُرَاكَ فَوَاسِعٌ ... وَقَبْرُكَ مَعْمُورُ ٱلْجَوَانِبِ مُحْكَمُ

وَمَا يَنْفَعُ ٱلْمَقْبُورَ عُمْرَانُ قَبْرِهِ ... إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ ؟

قالَ : وإذا على الجانبِ الرَّابعِ مكتوبٌ[4] : [من الطويل]

سَلَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا وَطِيبِ نَسِيمِهَا ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْقُوبُ فِيهَا تَمَلَّكَا

حكاية

[بادرْ ثمَّ بادرْ ثمَّ بادرْ]

ك ٢٢٥ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : وقريبٌ مِن هٰذهِ القصَّةِ حكايةٌ استحسنتُها جدّاً ، ذكرتُها ها هنا لينتفعَ بها السَّامعُ والنَّاقلُ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وهيَ ما أخبرَنا أبو الحسينِ المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ ببغدادَ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ الصُّوريُّ الحافظُ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عمرَ المالكيُّ ، ثنا أبو هريرةَ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ ، ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ ابنُ مسروقٍ الخَصِيبُ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ البُرْجُلانيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ العمريُّ ، ثنا

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (قل) ، والمثبت لضرورة الوزن .

(٢) قيل : هي لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في « ديوانه » (ص ١٥٠) ، وقيل : لأبي العتاهية كما في « ديوانه » (ص ١٨٩) .

(٣) هي لأبي العتاهية يرثي حميداً الطوسي في « ديوانه » (ص ٦٣٥) وفيه : (أبا غانم) .

(٤) البيت بلا نسبة في « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١٤١/٨) .

عبيدُ اللهِ بنُ صدقةَ بنِ يزيدَ ، عن أبيهِ قالَ : نظرتُ إلىٰ ثلاثةِ أقبرٍ علىٰ شَرَفٍ مِنَ الأرضِ بجَبَّانةِ طَرابُلُسَ [1] ؛ أحدُها مكتوبٌ عليهِ : [من الطويل]

فَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ كَانَ عَالِماً ... بِأَنَّ إِلَـٰهَ ٱلْخَلْقِ لَا بُدَّ سَائِلُهْ ؟

فَيَأْخُذُ مِنْهُ ظُلْمَهُ لِعَبِيدِهِ ... وَيَجْزِيهِ بِٱلْخَيْرِ ٱلَّذِي هُوَ فَاعِلُهْ

وعلى القبرِ الثَّاني :

وَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ ... بِأَنَّ ٱلْمَنَايَا بَغْتَةً سَتُعَاجِلُهْ ؟

وَتَسْلُبُهُ مُلْكاً عَظِيماً وَنَخْوَةً ... وَتُسْكِنُهُ ٱلْبَيْتَ ٱلَّذِي هُوَ آهِلُهْ

وعلى القبرِ الثَّالثِ :

وَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ هُوَ صَائِرٌ ... إِلَىٰ جَدَثٍ تُبْلِي ٱلشَّبَابَ مَنَازِلُهْ ؟

وَيَذْهَبُ رَسْمُ ٱلْوَجْهِ مِنْ بَعْدِ ضَوْئِهِ ... سَرِيعاً وَيَبْلَىٰ جِسْمُهُ وَمَفَاصِلُهْ

وإذا هيَ قبورٌ مُسنَّمةٌ علىٰ قدرٍ واحدٍ ، بعضُها إلىٰ بعضٍ ، فنزلتُ قريةً بالقربِ منها ، فقلتُ لشيخٍ بها : لقد رأيتُ عجباً ، قالَ : وما ذاكَ ؟ فقلتُ : هـٰذهِ القبورُ .

فقالَ : حديثُها أعجبُ ممَّا رأيتَ عليها ، فقلتُ : حدِّثْني .

قالَ : كانوا ثلاثةَ إخوةٍ ؛ واحدٌ يصحبُ السُّلطانَ ويُؤمَّرُ على المدنِ والجيوشِ ، وآخرُ تاجرٌ مُوسِرٌ مُطاعٌ في تجارتِهِ ، وآخرُ زاهدٌ قد تخلَّىٰ وتفرَّدَ لعبادةِ ربِّهِ عزَّ وجلَّ .

فحضرَتِ العابدَ الوفاةُ ، فأتاهُ أخوهُ صاحبُ السُّلطانِ ، وكانَ عبدُ الملكِ قد ولَّاهُ بلادَنا [2] ، وأتاهُ التَّاجرُ فقالا : أَوْصِ ، فقالَ : واللهِ ؛ ما لي مالٌ فأُوصيَ فيهِ ، ولا عليَّ دَينٌ فأُوصيَ بهِ .

فقالَ ذو السُّلطانِ : هـٰذا مالي يا أخي ، فاعهدْ إلىٰ ما أحببتَ ، فأَمسكَ عنهُ .

وقالَ التَّاجرُ : قد عرفتَ مكسبي ، ولعلَّكَ في قلبِكَ غصَّةٌ مِنَ الخيرِ لم تبلغْها إلَّا بالإنفاقِ ، فاحكمْ في مالي بما أُنفِذُهُ لكَ .

---

(١) الجَبَّانة : المقبرة .

(٢) يعني : عبد الملك بن مروان الخليفة الأمويَّ .

قالَ : لا حاجةَ لي في مالِكُما ، ولٰكنْ أعهدُ إليكُما عهداً فلا تُخالِفانِهِ : إذا متُّ . . فادفناني علىٰ نَشْزٍ مِنَ الأرضِ[1] ، واكتُبا علىٰ قبري : [من الطويل]

وَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ هُوَ عَالِمٌ ... بِأَنَّ إِلَـٰهَ ٱلْخَلْقِ لَا بُدَّ سَائِلُهْ ؟

فَيَأْخُذُ مِنْهُ ظُلْمَهُ لِعِبَادِهِ ... وَيَجْزِيهِ بِٱلْخَيْرِ ٱلَّذِي هُوَ فَاعِلُهْ

ثمَّ زورا قبري ثلاثاً ؛ لعلَّكُما تتَّعظانِ بي .

ففعلا ذٰلكَ ، وكانَ أخوهُ يركبُ في جنودِهِ حتَّىٰ يأتيَ قبرَهُ ، فيقرأُ عليهِ ويبكي .

فلمَّا كانَ في اليومِ الثَّالثِ . . أتى القبرَ ، فلمَّا أرادَ الانصرافَ . . سمعَ مِن داخلِ القبرِ هَدَّةً أرعبَتْهُ وأفزعَتْهُ[2] ، فانصرفَ مذعوراً وَجِلاً .

فلمَّا كانَ اللَّيلُ . . رأىٰ أخاهُ في مَنامِهِ ، فقالَ : أي أخي ؛ ما الَّذي سمعتُ في قبرِكَ ؟

قالَ : تلكَ هَدَّةُ المِقمَعةِ[3] ؛ قيلَ : رأيتَ مظلوماً فلم تنصرْهُ !!

فأصبحَ فَزِعاً ، فدعا أخاهُ وخاصَّتَهُ ، فقالَ : ما أرىٰ أخي أرادَ بما أوصانا أن نكتبَ علىٰ قبرِهِ إلَّا لنعتبرَ ونراجعَ ونتوبَ ، وإنِّي أُشهِدُكُم أنِّي لا أُقيمُ بينَ ظهرانَيكُم أبداً ، فتركَ الإمارةَ ولزمَ العبادةَ ، وبلغَ ذٰلكَ عبدَ الملكِ فقالَ : خلُّوهُ وما اختارَ لنفسِهِ .

فكانَ مأواهُ البراريَ والجبالَ وبطونَ الأوديةِ ، فحضرَتْهُ الوفاةُ وهوَ معَ بعضِ الرِّعاءِ ، فأتى الرَّاعي أخاهُ فأعلمَهُ ، فأتاهُ فحملَهُ إلىٰ منزلِهِ قبلَ موتِهِ ، وقالَ لهُ : يا أخي ؛ ألا تُوصِي ؟

فقالَ : ما لي مالٌ ، ولا عليَّ دَينٌ فأُوصيَكَ ، ولٰكنْ أعهدُ إليكَ : إذا أنا متُّ . . فاجعلْ قبري إلىٰ جنبِ قبرِ أخي ، واكتبْ علىٰ قبري : [من الطويل]

وَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِناً ... بِأَنَّ ٱلْمَنَايَا بَغْتَةً سَتُعَاجِلُهْ ؟

وَتَسْلُبُهُ مُلْكاً عَظِيماً وَنَخْوَةً ... وَتُسْكِنُهُ ٱلْبَيْتَ ٱلَّذِي هُوَ آهِلُهْ

ثمَّ تعاهدْ قبري ، وادعُ اللهَ عزَّ وجلَّ لي ؛ لعلَّهُ أن يرحمَني .

فلمَّا ماتَ . . فعلَ بهِ أخوهُ ذٰلكَ ، فلمَّا كانَ في اليومِ الثَّالثِ مِن إتيانِهِ القبرَ ، وأرادَ

---

(١) النَّشْز : المكان المرتفع .

(٢) الهَدَّة : صوت وقع الحائط ونحوه .

(٣) المِقمَعة : خشبة يُضرب بها الرَّأس إذلالاً

أن ينصرفَ . . سمعَ وَجْبةً مِنَ القبرِ كادَتْ أن تُذهِلَ عقلَهُ (١) ، فرجعَ مرعوباً .

فلمَّا كانَ في اللَّيلِ . . رأىٰ أخاهُ في مَنامِهِ ، قالَ : فوثبتُ إليهِ لِمَا تداخلَ قلبي مِنَ السُّرورِ ، فقلتُ : أي أخي ؛ أتيتَنا زائراً أم داعياً ؟

قالَ : هيهاتَ هيهاتَ !! بَعُدَ المَزارُ ، واطمأنَّتْ بنا الدَّارُ ، فليسَ لنا فرارٌ .

قلتُ : فكيفَ أنتَ ؟ قالَ : بخيرٍ ، وما أجمعَ التَّوبةَ لكلِّ خيرٍ .

قلتُ : كيفَ أخي ؟ قالَ : ذاكَ معَ الأئمَّةِ الأبرارِ .

قالَ : قلتُ : فما أَمْرُنا قِبلَكُم ؟ قالَ : مَن قدَّمَ شيئاً . . وجدَهُ ، فاغتنمْ وُجْدَكَ قبلَ فقدِكَ (٢) .

وأصبحَ أخوهُ الثَّالثُ مُعتزِلاً للدُّنيا ، وفرَّقَ مالَهُ ، وقسَّمَ متاعَهُ ، وأقبلَ علىٰ ربِّهِ عزَّ وجلَّ .

ونشأَ لهُ ابنٌ ، فأقبلَ على المكاسبِ حتَّىٰ حضرَتْ أباهُ الوفاةُ ، فقالَ : يا أبتِ ؛ ألا تُوصِي ؟

فقالَ : ما لأبيكَ مالٌ يُوصِي ، ولٰكنْ أعهدُ إليكَ : إذا أنا متُّ أن تدفنَني معَ عمَّيكَ ، وأن تكتبَ علىٰ قبري :

[من الطويل]

وَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ هُوَ صَائِرٌ إِلَىٰ جَدَثٍ تُبْلِي ٱلشَّبَابَ مَنَازِلُهْ ؟

وَيَذْهَبُ رَسْمُ ٱلْوَجْهِ مِنْ بَعْدِ ضَوْئِهِ سَرِيعاً وَيَبْلَىٰ جِسْمُهُ وَمَفَاصِلُهْ

ثمَّ تعاهدْ قبري ثلاثاً ، فادعُ اللهَ لي .

ففعلَ الفتىٰ ذٰلكَ ، فلمَّا أن كانَ اليومُ الثَّالثُ . . سمعَ مِنَ القبرِ صوتاً هالَهُ ، وانصرفَ محزوناً .

فلمَّا كانَ اللَّيلُ . . رأىٰ أباهُ في مَنامِهِ ، فقالَ : أي بُنَيَّ ؛ أنتَ عندَنا عن قليلٍ ، والأمرُ جِدٌّ ؛ فاستعدَّ لسفرِكَ ، وتأهَّبْ لرحيلِكَ ، وحوِّلْ جهازَكَ مِنَ المنزلِ الَّذي أنتَ عنهُ ظاعنٌ إلى المنزلِ الَّذي أنتَ بهِ قاطنٌ .

---

(١) الوَجْبة : السَّقْطة .

(٢) الوُجْد : الغنىٰ .

ولا تغترَّ بما اغترَّ بهِ البطَّالونَ مِن طولِ آمالِهم ، فقصَّروا في أمرِ مَعادِهم ، فندموا عندَ الموتِ ، وأَسِفوا علىٰ تضييعِ العمرِ ، فلا النَّدامةُ عندَ الموتِ نفعَتْهُم ، ولا الأسفُ على التَّقصيرِ أنقذَهُم .

أي بُنَيَّ ؛ بادرْ ثمَّ بادرْ ثمَّ بادرْ .

قالَ الشَّيخُ : فدخلتُ على الفتىٰ صبيحةَ ثالثةٍ مِن رؤياهُ ، فقصَّها عليَّ وقالَ : ما أرى الأمرَ الَّذي قالَ أبي إلَّا قد أظلَّني .

فجعلَ يُفرِّقُ مالَهُ ، ويقضي دَينَهُ ، ويستحلُّ مُعامِليهِ ، ويُودِّعُهُم وداعَ مَن أُنذِرَ أمراً فهوَ يتوقَّعُهُ .

وكانَ يقولُ : قالَ أبي : بادرْ ثمَّ بادرْ ثمَّ بادرْ ، ولا أحسبُها إلَّا ثلاثةَ أشهرٍ ، وأنَّىٰ لي بها !! أو ثلاثةَ أيَّامٍ ، فلعلِّي لا أُدرِكُها ؛ لأنَّهُ أنذرَني بالمبادرةِ ثلاثاً .

فلمَّا كانَ في آخرِ اليومِ الثَّالثِ . . دعا أهلَهُ وولدَهُ ، فودَّعَهُم ، واستقبلَ القِبلةَ ، وجعلَ يدعو ويستغفرُ .

فلمَّا وجدَ ألَمَ الموتِ . . سجَّىٰ نفسَهُ ، ومدَّ الثَّوبَ علىٰ نفسِهِ ، ثمَّ ماتَ مِنَ اللَّيلِ ، فمكثَ النَّاسُ ينتابونَ قبرَهُ .

فهٰذهِ قصَّةُ القبورِ ، وإنَّ فيهِم ـ يا بنَ أخي ـ لَمُعتبَراً .

قالَ : فما ذكرتُها إلَّا كدَّرَتْ عليَّ عيشي (١)

نُكتةٌ

[في الاعتصامِ]

ك **٢٢٦** ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ الحافظَ بأصبهانَ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ بنَ أبي سعدٍ يقولُ : (مَنِ اعتصمَ بالمخلوقينَ . . ذلَّ ، ومَنِ اعتصمَ بالمالِ . . قلَّ ، ومَنِ اعتصمَ بالمولىٰ . . جلَّ) (٢)

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٢١٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/٤٣ ـ ٤٥) ، وابن قدامة في « كتاب التوابين » (٥٨) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٥) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي .

حكاية

[وما هٰذهِ الأيَّامُ إلَّا مُعارةٌ]

ك ٢٢٧ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ الحافظُ إملاءً مِن لفظِهِ ، أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ أبي سعدٍ البغداديُّ في كتابِهِ ، أنا أبو الفضلِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ المُقرئُ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ بُشرى السِّجِسْتانيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدٌ ابنُ بُطَّةَ ، ثنا أبو ذرٍّ البغداديُّ ، ثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ ، ثنا أبو سعيدٍ عبدُ الملكِ بنُ قُرَيبٍ الأصمعيُّ قالَ : حججتُ معَ المهديِّ ، فلمَّا بلغْنا واقِصةَ[1] . . استطابَ المهديُّ موضعاً ، فقالَ : نطعمُ طعاماً ها هنا ، فوُضِعَ المائدةُ ، فإذا نحنُ بأعرابيٍّ يؤمُّنا مِنَ الباديةِ يقودُ أمةً سوداءَ ، فقالَ المهديُّ : سيُفسِدُ علينا هٰذا الأعرابيُّ طعامَنا .

فلمَّا دنا وسلَّمَ . . قلتُ لهُ : ادنُ وكُلْ ، قالَ : إنِّي صائمٌ ، فقلتُ لهُ : في مثلِ هٰذا اليومِ معَ ما ترىٰ مِن حرِّهِ وشدَّةِ وَعْكِهِ ؟!

فقالَ لي : يا بنَ أخي ؛ كانَتِ الدُّنيا ولم أكنْ ، وتكونُ ولا أكونُ ، وإنَّما لي منها أيَّامٌ قلائلُ ، فلا أتركُها تذهبُ تغابُناً .

ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الطويل]

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ ... فَمَا ٱسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَيَّةِ بَلْدَةٍ ... تَمُوتُ وَلَا مَا يُحْدِثُ ٱلدَّهْرُ فِي غَدِ

يَقُولُونَ : لَا تَبْعَدْ وَمَنْ يَكُ فَوْقَهُ ... ذِرَاعَانِ مِنْ تُرْبِ ٱلْحَفِيرَةِ يَبْعَدِ[2]

قالَ : وبكى الأعرابيُّ ، وقالَ : أفيكُم مَن يكتبُ ؟ قلتُ : نعم .

فأخرجَ صخرةً بيضاءَ فناولَنيها ، وقالَ : اكتبْ ، ولا تَعْدُ ما أُملي عليكَ : (بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ، هٰذا ما أعتقَ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عَقيلٍ أمتَهُ لؤلؤةَ السَّوداءَ ؛ خوفاً مِنِ اقتحامِ العَقَبةِ ، ورجاءَ ثوابِ اللهِ ، فهيَ حُرَّةٌ لوجهِ اللهِ لا سبيلَ لي عليها ، ولا لأحدٍ مِن بعدي إلَّا سبيلَ الولاءِ ، والمنَّةُ لي وعليها واحدةٌ ، ونحنُ في الحقِّ سواءٌ) ، وأخذَ الكتابَ .

فقالَ ليَ المهديُّ : أحسنَ ـ واللهِ الَّذي لا إلٰهَ إلَّا هوَ ـ الشَّيخُ فيما طرقَ العَقَبةَ

---

(١) واقِصة : منزل بطريق مكَّة . « معجم البلدان » (٥/٣٥٣ ـ ٣٥٤) .

(٢) بَعِدَ ـ من باب تعب ـ : هَلَكَ .

مِنَ العَشْرةِ[١] ، ونشدتُكَ باللهِ ؛ إلَّا ما اشتريتَ لي ألفَ عبدٍ ، وكتبتَ شرطَهُم مثلَ هٰذا الشَّرطِ[٢] .

حِكَايَةٌ جَيِّدَةٌ

[في سببِ سماعِ القَعْنَبيِّ مِن شعبةَ حديثاً واحداً]

٢٢٨ ـ وبِهِ قالَ : أنا أبو نصرٍ واضحُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الأصبهانيُّ بقراءتي عليهِ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدٍ الحافظُ ، سمعتُ أبا القاسمِ الفضلَ بنَ محمَّدِ بنِ شِيرِ مَرْدان ، سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ محمَّدِ بنِ سليمانَ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ ابنَ سعيدٍ يقولُ : سمعتُ أبا خليفةَ يقولُ : كانَ السَّببُ أن لم يسمعِ القَعْنَبيُّ مِن شعبةَ غيرَ هٰذا الحديثِ . . أنَّهُ وافى البصرةَ نحوَ شعبةَ ؛ ليسمعَ منهُ ويُكثِرَ ، فصادفَ المجلسَ قدِ انقضىٰ ، وقدِ انصرفَ شعبةُ إلىٰ منزلِهِ ، فحملَهُ الشَّرَهُ إلىٰ أن سألَ عن منزلِ شعبةَ ، فأُرشِدَ إليهِ ، فوجدَ البابَ مفتوحاً ، فدخلَ مِن غيرِ استئذانٍ ، فصادفَ شعبةَ جالساً على البالوعةِ يبولُ !!

فقالَ : السَّلامُ عليكُم ، رجلٌ غريبٌ ، قدمتُ مِن بلدٍ بعيدٍ ؛ لتُحدِّثَني بحديثٍ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فاستعظمَ شعبةُ ذٰلكَ ، فقالَ : يا هٰذا ؛ دخلتَ منزلي بغيرِ إذنٍ ، وتُكلِّمُني علىٰ مثلِ هٰذا الحالِ ، وتأخذُ عنِّي !! حتَّىٰ أُصلِحَ مِن شأني ، فقالَ : إنِّي أخشى الفَوتَ !!

فقالَ : تخشى الفَوتَ بمقدارِ ما أُصلِحُ مِن شأني !!

فأكثرَ عليهِ الإلحاحَ ، وشعبةُ يُخاطِبُهُ وذَكَرُهُ في يدِهِ يستبرئُ ، فلمَّا أكثرَ . . قالَ : اكتبْ[٣] : حدَّثَنا منصورُ بنُ المُعتمِرِ ، عن رِبْعيِّ بن حِراشٍ ، عن أبي مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ ٱلنَّاسُ مِنْ كَلَامِ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلْأُولَىٰ : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ . . فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ »[٤]

---

(١) أي : أتى الشَّيء من أعسر طرقه .

(٢) أخرجه ابن الظاهري في « مشيخة ابن البخاري » (٣/١٥٣٥ ـ ١٥٣٨) ، وذكره مغلطاي في « إكمال تهذيب الكمال » (٨/١٨٠ ـ ١٨١) وعزاه لأبي سعد السمعاني في « الذيل » .

(٣) عُنْونَ ها هنا في هامش (ج) بـ : (فائدة) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٨٤) ، وابن حبان (٦٠٧) ، وأبو داوود (٤٧٩٧) .

ثمَّ قالَ : واللهِ ؛ لا حدَّثتُكَ بغيرِ هـٰذا الحديثِ ، ولا حدَّثتُ قوماً تكونُ فيهم [1]

٢٢٩ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : وقد وقعَ لي هـٰذا الحديثُ عالياً مِن حديثِ أبي خليفةَ : أخبرَناهُ القاضي أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ البَزَّازُ بقراءتي عليهِ غيرَ مرَّةٍ .

(ح) وأنبأَني عبدُ الرَّحمـٰنِ ابنُ وَرِّيدةَ البغداديُّ ، عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ الأمينيّ قالَ : أنبأَني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي قالَ : أنا القاضي أبو الطَّيِّبِ طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ الطَّبَريُّ قراءةً عليهِ سنةَ سبعٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ ، أنا أبو أحمدَ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ الغطريفِ بجُرْجانَ ، ثنا أبو خليفةَ ـ هوَ الفضلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحيُّ ـ ، ثنا القَعْنَبيُّ ، عن شعبةَ ، عن منصورٍ ، عن رِبْعيّ ، عن أبي مسعودٍ البدريّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ ٱلنَّاسُ مِنْ كَلَامِ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلْأُولَىٰ : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ . . فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ » [2]

٢٣٠ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ الطَّلْحيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ الكامخيُّ ، أنا أبو نصرٍ منصورُ بنُ الحسينِ المُفسِّرُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يعقوبَ الأصمُّ ، ثنا عبدُ اللهِ ابنُ الفُراتِ الرَّبَعيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ أبي الحواري ، ثنا الوليدُ بنُ عتبةَ قالَ : كتبَ إليَّ أخٌ : (أمَّا بعدُ يا أخي ؛ بلغَني أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : « كلُّ إخاءٍ ينقطعُ إلَّا إخاءً كانَ علىٰ غيرِ الطَّمعِ ») [3]

حكاية

[فداءُ الفأرةِ أختَها]

ك ٢٣١ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا المناقبِ محمَّدَ بنَ حمزةَ بنِ إسماعيلَ العلويَّ مذاكرةً يقولُ : ذكرَ أبو بكرٍ ابنُ الخاضبةِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ كانَ ليلةً مِنَ اللَّيالي قاعداً ينسخُ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني في « المنتخب من معجم شيوخه » (٣/١٨٠١ ـ ١٨٠٣) ، وانظر « المنتظم » (٩/٥٩٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٢/٨٤) .

(٢) تقدم تخريجه في الحكاية السابقة .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٦) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٦٢٦) ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢/١٤٤) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٤٣٩٨) وعزواه لأبي سعد السمعاني .

شيئاً مِنَ الحديثِ بعدَ أن مضىٰ قطعةٌ مِنَ اللَّيلِ ، قالَ : وكنتُ ضيّقَ اليدِ ، فخرجَتْ فأرةٌ كبيرةٌ ، وجعلَتْ تعدو في البيتِ ، وإذا بعدَ ساعةٍ خرجَتْ أُخرىٰ ، وجعلا يلعبانِ بينَ يدَيَّ ، ويتقافزانِ إلىٰ أن دنَوَا مِن ضوءِ السِّراجِ ، وتقدَّمَتْ إحداهُما إليَّ ، وكانَتْ بينَ يدَيَّ طاسةٌ ، فأكببتُها عليها ، فجاءَتْ صاحبتُها وشمَّتِ الطَّاسةَ ، وجعلَتْ تدورُ حوالَي الطَّاسةِ ، وتضربُ بنفسِها عليها ، وأنا ساكتٌ أنظرُ مُشتغِلٌ بالنَّسخِ .

فدخلَ سَرَبَهُ(١) ، وإذا بعدَ ساعةٍ خرجَ ، وفي فِيهِ دينارٌ صحيحٌ ، وتركَهُ بينَ يدَيَّ ، فنظرتُ إليهِ وسكتُّ واشتغلتُ بالنَّسخِ .

وقعدَ ساعةً بينَ يدَيَّ ينظرُ إليَّ ، فرجعَ وجاءَ بدينارٍ آخرَ ، وقعدَ ساعةً أُخرىٰ وأنا ساكتٌ أنظرُ وأنسخُ ، وكانَ يمضي ويجيءُ [إليَّ] إلىٰ أن جاءَ بأربعةِ دنانيرَ أوْ خمسةٍ ـ الشَّكُّ منِّي ـ ، وقعدَ زماناً طويلاً أطولَ مِن كلِّ نوبةٍ ، ورجعَ ودخلَ سَرَبَهُ وخرجَ ، وإذا في فِيهِ جُلَيدةٌ كانَتْ فيها الدَّنانيرُ ، وتركَها فوقَ الدَّنانيرِ ، فعرفتُ أنَّهُ ما بقيَ معَهُ شيءٌ ، فرفعتُ الطَّاسةَ ، فقفزا ودخلا البيتَ ، وأخذتُ الدَّنانيرَ ، وأنفقتُها في مُهِمٍّ لي ، وكانَ في كلِّ دينارٍ دينارٌ وربعٌ(٢) .

حكىٰ لي أبو المناقبِ العلويُّ هٰذا أو معناهُ ، فإنِّي كتبتُ مِن حفظي ، والعُهدةُ عليهِ فيما حكىٰ وروىٰ ؛ فإنِّي ذاكرتُ بهٰذهِ الحكايةِ بعضَ أهلِ العلمِ بدِمشقَ فنسبَها إلىٰ غيرِ ابنِ الخاضبةِ ، واللهُ أعلمُ .

سمعتُ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ ناصرِ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ السَّلاميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ ابنَ الخاضبةِ يحكي هٰذهِ الحكايةَ عن مُؤدِّبِهِ أبي طالبٍ المعروفِ بابنِ الدَّلوِ(٣) ، كانَ يسكنُ بنهرِ طابَقٍ(٤) ، وكانَ رجلاً صالحاً ، وحكىٰ عنهُ حكاياتٍ أُخَرَ أيضاً في إجابةِ الدُّعاءِ ، ولم يحكِها ابنُ الخاضبةِ عن نفسِهِ ، فذهبَ علىٰ أبي المناقبِ ، ولم يكنْ ضابطاً ، كانَ مُتساهِلاً في الرِّوايةِ(٥) .

---

(١) هٰكذا العبارة ، وفي « معجم الأدباء » : (فجرىٰ صاحبُها فدخلَ سَرَبَهُ) ، والسَّرَب : بيت في الأرض أو حفرة .

(٢) انظر « الأذكياء » لابن الجوزي (ص٢٠٨) لكن عن أبي طالب ابن الدَّلو ، وذكره ياقوت في « معجم الأدباء » (٦/٤١٤) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٣) وهو ما ذكره ابن الجوزي في « الأذكياء » .

(٤) ببغداد من الجانب الغربيِّ . « معجم البلدان » (٥/٣٢١) .

(٥) من كلام أبي سعد السمعاني كما في « معجم الأدباء » (٦/٤١٥) .

٢٣٢ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : ومثلُ هـٰذهِ القصَّةِ وقعَتْ للمقدادِ رضيَ اللهُ عنهُ في زمانِ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

أخبرَنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ عليّ السَّرْخَسيُّ بمَرْوَ ، أنا أبو عليّ الحسنُ ابنُ محمَّدٍ الوَخْشيُّ الحافظُ ببَلْخ[١] ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عمرَ ابنُ النَّحَّاسِ بمصرَ ، أنا أبو سعيدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ زيادٍ ابنُ الأعرابيّ بمكَّةَ .

(ح) وأخبرَنا أبو منصورٍ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ القَزَّازُ ببغدادَ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ ، أنا أبو عمرَ القاسمُ بنُ جعفرِ بنِ عبدِ الواحدِ الهاشميُّ ، أنا أبو عليّ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرٍو اللُّؤلؤيُّ .

(ح) وأخبرَنا أبو بكرٍ هبةُ اللهِ بنُ الفرجِ بنِ الفرجِ الهَمَذانيُّ بها بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليّ ابنِ عبدِ الحميدِ البَجَليُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليّ ابنُ لالَ الإمامُ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ بكرِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ ابنُ داسَةَ التَّمَّارُ قالوا : أنا أبو داوودَ سليمانُ بنُ الأشعثِ السِّجِسْتانيُّ ، حدَّثَنا جعفرُ بنُ مسافرٍ ، ثنا ابنُ أبي فُدَيكٍ ، ثنا الزَّمْعيُّ ، عن عمَّتِهِ قُرَيبةَ بنتِ عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ ، عن أُمِّها كريمةَ بنتِ المقدادِ ، عن ضُباعةَ بنتِ الزُّبيرِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ أنَّها أخبرَتْها قالَتْ : ذهبَ المقدادُ لحاجةٍ ببقيعِ الخنجبة[٢] ؛ فإذا جُرَذٌ يُخرِجُ مِن جُحْرٍ ديناراً ، ثمَّ لم يزلْ يُخرِجُ ديناراً ديناراً حتَّىٰ أخرجَ سبعةَ عشرَ ديناراً ، ثمَّ أخرجَ خِرْقةً حمراءَ ؛ يعني فيها ديناراً ، كانَتْ[٣] ثمانيةَ عشرَ ديناراً ، فذهبَ بها إلى النَّبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأخبرَهُ وقالَ لهُ : خُذْ صدقتَها ، فقالَ لهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هَلْ هَوَيْتَ لِلْجُحْرِ ؟ » ، قالَ : لا ، فقالَ لهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بَارَكَ ٱللهُ لَكَ فِيهَا » .

قلتُ : هـٰكذا روىٰ أبو داوودَ في « سننِهِ » هـٰذا الحديثَ[٤]

---

(١) الوَخْشي : نسبة إلىٰ (وَخْش) ، وهي بليدة بنواحي بَلْخ . « الأنساب » (٥/٥٧٨ ـ ٥٧٩) .

(٢) الخنجبة ـ بخاء ونون وجيم ـ : كذا في (أ ، ب ، ج) ، قيل فيها : (الخبجبة) عن ياقوت وغيره ، و(الجبجبة) عن صاحب « القاموس » ، وذكره ياقوت ، و(الخبخبة) عن ابن الأثير ، و(الخنجبة) عن ابن مكتوم ، وهو موضع بالمدينة المنوَّرة يسار بقيع الغرقد ، انظر « معجم البلدان » (١/٤٧٤) ، و« القاموس المحيط » (١/١٩٠) ، و« النهاية » (٣/١١٠٧) مادة (خبخب) ، وتعليق العلامة محمَّد عوَّامة في « سنن أبي داوود » (٣/٦٦٦) .

(٣) كذا ، وفي « سنن أبي داوود » : (فكانت) .

(٤) سنن أبي داوود (٣٠٨١) .

غيرَ أنَّ في روايةِ اللُّؤلؤيِّ : « هَلْ هَوَيْتَ إِلَى ٱلْجُحْرِ ؟ »[1]

وفي روايةِ ابنِ داسَهْ : « لِلْجُحْرِ »[2] ، وإسنادُهُ حسنٌ .

أخبرَني بهِ مِن طريقِ اللُّؤلؤيِّ المُسنِدُ العدلُ أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ عمرَ بنِ حسينِ بنِ أبي بكرٍ الخُتَنيُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ بالقاهرةِ قالَ : أخبرَنا الحافظُ زكيُّ الدِّينِ أبو محمَّدٍ عبدُ العظيمِ بنُ عبدِ القويِّ المُنذِريُّ ، وأبو الفضلِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ ابنُ البَكْريِّ قالا : أنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ مُعمَّرٍ ابنُ طَبَرْزَدٍ البغداديُّ .

(ح) وأنبأَني أبو الفرجِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ بنِ محمَّدٍ المُقرِئُ ، عن أبي حفصٍ ابنِ طَبَرْزَدٍ المذكورِ قالَ : أنا أبو الفتحِ مُفلِحُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الدُّوميُّ سماعاً ، والقاضي أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ أبي يعلىٰ محمَّدِ[3] بنِ الحسينِ ابنُ الفَرَّاءِ ، وأبو البدرِ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ منصورٍ الكَرْخيُّ ، وغيرُهُما إجازةً إن لم يكنْ سماعاً .

(ح) وأنبأَني أبو الفرجِ بنُ أبي الفرجِ ابنُ وَرِّيدةَ ، عن أبي الفضلِ سليمانَ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ المَوْصِليِّ ، وأبي محمَّدٍ عبدِ العزيزِ بنِ معالي ابنِ مَنِينا قالا : أنا أبو البدرِ الكَرْخيُّ قراءةً عليهِ ونحنُ نسمعُ قالوا : أنا الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ .

(ح) وأنبأَني غيرُ واحدٍ ، عن أبي الحسنِ ابنِ المُقَيَّرِ ، عن أبي المعالي الفضلِ بنِ سهلٍ الإِسْفَرايِنيِّ .

(ح) وأنبأَني أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ المُنعِمِ ابنِ غديرٍ الدِّمشقيُّ ، وغيرُهُ ، عن أبي اليُمنِ زيدِ بنِ الحسنِ الكِنْديِّ ، عن أبي منصورٍ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ محمَّدٍ القَزَّازِ ، كلاهُما عنِ الحافظِ أبي بكرٍ الخطيبِ بإسنادِهِ كما تقدَّمَ .

ورواهُ ابنُ ماجهْ في « سننِهِ » أتمَّ مِن روايةِ أبي داوودَ : أخبرَنا سيِّدي والدي ـ تغمَّدَهُ اللهُ تعالىٰ برحمتِهِ ـ بقراءتي عليهِ قالَ : أخبرَنا الشَّيخُ الإمامُ تاجُ الدِّينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ الحسنِ القَسْطلانيُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : أنا أبو الفتوحِ

---

(١) سنن أبي داوود رواية اللؤلؤي (ق/٢١٦) مخطوط .

(٢) سنن أبي داوود رواية ابن داسه (ق/١٢٦) مخطوط .

(٣) في (أ ، ب ، ج) : (بن محمد) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (١٩/٦٠١) .

نصرُ بنُ أبي الفرجِ بنِ عليٍّ الحُصْريُّ سماعاً ، والحافظُ أبو محمَّدٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمودِ بنِ المُبارَكِ ابنُ الأخضرِ إجازةً .

(ح) وأنبأَني أعلىٰ بدرجةٍ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ أبي الفرجِ شيخُ المُستنصِريَّةِ ، عن عبدِ العزيزِ ابنِ الأخضرِ .

(ح) وأخبرَتْني الشَّيخةُ الصَّالحةُ ستُّ الفقهاءِ بنةُ إبراهيمَ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ فضلٍ الواسِطيِّ بدِمشقَ قالَتْ : أنا أبو طالبٍ عبدُ اللَّطيفِ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ ابنُ القُبَّيطيِّ قالا[1] : ثنا أبو زُرعةَ طاهرُ بنُ محمَّدِ بنِ طاهرٍ المَقْدِسيُّ قالَ : ثنا الإمامُ أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ الهيثمِ المُقوِّميُّ قالَ : أنا أبو طلحةَ القاسمُ بنُ أبي المُنذِرِ الخطيبُ قالَ : ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ سلمةَ بنِ بحرٍ القَطَّانُ قالَ : ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ يزيدَ ابنُ ماجهْ قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ بشَّارٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ خالدٍ ابنُ عَثْمةَ ، ثنا موسى بنُ يعقوبَ الزَّمْعيُّ ، حدَّثَتْني عمَّتي قُرَيبةُ بنتُ عبدِ اللهِ : أنَّ أُمَّها كريمةَ بنتَ [المقدادِ][2] بنِ عمرٍو أخبرَتْها ، عن ضُباعةَ بنتِ الزُّبيرِ ، عنِ المقدادِ بنِ عمرٍو : أنَّهُ خرجَ ذاتَ يومٍ إلى البقيعِ ـ وهوَ المقبرةُ ـ لحاجةٍ ، وكانَ النَّاسُ لا يذهبُ أحدُهُم في حاجتِهِ إلَّا في اليومَينِ والثَّلاثةِ ، وإنَّما يبعَرُ كما تبعَرُ الإبلُ .

ثـمَّ دخـلَ خـربةً ، فبينا هـوَ جالـسٌ لحاجتِهِ . . إذ رأىٰ جُـرَذاً أخـرجَ مِـن جُحْـرٍ ديناراً ، ثـمَّ دخلَ فأخرجَ آخرَ ، حتَّىٰ أخرجَ سبعةَ عشرَ ديناراً ، ثـمَّ أخرجَ طرفَ خِرْقةٍ حمراءَ .

قالَ المقدادُ : فسُلْتُ الخِرْقةَ ، فوجدتُ فيها ديناراً ، فتمَّمَتْ ثمانيةَ عشرَ ديناراً ، فخرجتُ حتَّىٰ أتيتُ بها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأخبرتُهُ خبرَها .

قالَ : قلتُ : خُذْ صدقتَها يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « ٱرْجِعْ بِهَا ، لَا صَدَقَةَ فِيهَا ، بَارَكَ ٱللهُ لَكَ فِيهَا » ، ثمَّ قالَ : « لَعَلَّكَ أَتْبَعْتَ يَدَكَ فِي ٱلْجُحْرِ ؟ » ، قلتُ : لا والَّذي أكرمَكَ بالحقِّ ، قالَ : فلم يفنَ آخرُها حتَّىٰ ماتَ[3]

❊

(١) القُبَّيطي : نسبة إلى (القُبَّيط) ، وهو نوع من الحلوىٰ يسمَّى : النَّاطف . « لب اللباب » (ص ٢٠٤) .
(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (المقدام) ، والمثبت من « سنن ابن ماجه » .
(٣) سنن ابن ماجه (٢٦٢٥) .

ك **٢٣٣** ـ وبالإسنادِ المُتقدِّمِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ قالَ[١] : سمعتُ أبا العلاءِ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ الفضلِ الحافظَ يقولُ : ذكرَ أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ طاهرٍ المَقْدِسيُّ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ الدَّقَّاقَ المعروفَ بابنِ الخاضبةِ[٢] يقولُ : (لمَّا كانَتْ سنةُ الغرقِ[٣] وقعَتْ داري علىٰ قماشي وكتبي ، ولم يكنْ لي شيءٌ ، وكانَ لي عائلةٌ ؛ الوالدةُ والزَّوجةُ والبناتُ ، فكنتُ أُورِّقُ للنَّاسِ ، وأُنفِقُ على الأهلِ ، فأعرفُ أنِّي كتبتُ « صحيحَ مسلمٍ » في تلكَ السَّنةِ سبعَ مرَّاتٍ .

فلمَّا كانَتْ ليلةٌ مِنَ اللَّيالي . . رأيتُ في المَنامِ كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، ومُنادٍ يُنادي : أينَ ابنُ الخاضبةِ ؟ فأُحضِرتُ ، فقيلَ ليَ : ادخلِ الجنَّةَ .

فلمَّا دخلتُ البابَ ، وصرتُ مِن داخلٍ . . استلقيتُ علىٰ قفايَ ، ووضعتُ إحدىٰ رجليَّ على الأُخرىٰ ، وقلتُ : آهِ استرحتُ ـ واللهِ ـ مِنَ النَّسخِ)[٤]

نُكْتَةٌ

[في خصامِ أبي بكرٍ النَّجَّارِ وابنِ الخاضبةِ]

ك **٢٣٤** ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ عبدِ العزيزِ الصُّوفيَّ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ جدِّي أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ الحسينِ النَّجَّارَ يقولُ : وكانَ رفيقاً لأبي بكرٍ ابنِ الخاضبةِ عدَّةَ سنينَ ، فجرىٰ بينَهُما شيءٌ ، فهجرَهُ جدِّي ، وقطعَ الكلامَ ، ومضىٰ علىٰ ذٰلكَ ثلاثٌ ، فرأىٰ جدِّي أبو بكرٍ اللَّيلةَ الثَّالثةَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في النَّومِ كأنَّهُ كانَ جالساً في موضعٍ .

قالَ : فتقدَّمتُ إليهِ ، وسلَّمتُ عليهِ ، فأعرضَ عنِّي ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أنا دائماً أُصلِّي عليكَ ، وأسألُ اللهَ تعالىٰ رؤيتَكَ ، فما هٰذا الإعراضُ عنِّي ؟

---

(١) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٢٢٠) .

(٢) توفِّي الحافظ أبو بكر محمَّد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور بن إبراهيم الدَّقَّاق المعروف بابن الخاضبة البغداديُّ في شهر ربيع الأوَّل سنة تسع وثمانين وأربع مئة ببغداد ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) .

(٣) يعني : سنة (٤٦٦ هـ) ، وانظر خبرها في « المنتظم » (٥١٣/٩ ـ ٥١٦) .

(٤) أخرجه ابن القيسراني في « المنثور من الحكايات والسؤالات » (٦٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٩/١٠) ، وابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٧/٢١) ، وذكره ياقوت في « معجم الأدباء » (٤١٣/٦ ـ ٤١٤) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١١٢/١٩) ، و« الوافي بالوفيات » (٩٠/٢) .

فقالَ لي : « لِمَ هَجَرْتَ أَبَا بَكْرٍ ، وَقَطَعْتَ ٱلْكَلَامَ عَنْهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ ؟ سَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ ٱلْحَدِيثَ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ فِي ٱلْجُزْءِ ٱلثَّالِثِ ـ أَوِ : ٱلرَّابِعِ ـ مِن كِتَابِ (مُوَطَّأ مَالِكٍ) » ، الشَّكُّ مِن أبي نصرٍ .

قالَ جدِّي : وكانَ ابنُ الخاضبةِ مِن مدَّةٍ طويلةٍ في طلبِ ذٰلكَ الحديثِ ، قالَ : فتوضَّأتُ سَحَراً وصلَّيتُ ركعتَينِ ، ومضيتُ إليهِ ، ودققتُ عليهِ البابَ .

فقالَ : مَن ؟ قلتُ : أبو بكرٍ النَّجَّارُ .

فقالَ : مرحباً ، كنتُ علىٰ عزمِ أن أجيءَ إليكَ بعدَ أن أُصلِّيَ الفرضَ ؛ لقولِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَهْجُرُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ »[1]

فقلتُ : أنا جئتُ إليكَ قبلَ أن أُصلِّيَ الفرضَ ، وحكيتُ لهُ المَنامَ ، وقولَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلْحَدِيثَ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ فِي ٱلْجُزْءِ ٱلْفُلَانِيِّ » ، فقالَ ليَ : اصبرْ ، وفي الحالِ حطَّ « المُوطَّأَ » مِنَ الرَّفِّ ، وأخرجَ الجزءَ والحديثَ في الموضعِ الَّذي قالَهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وفرحَ بذٰلكَ ، وشكرَ اللهَ تعالىٰ .

نُكتة

[في حفظِ العلمِ]

ك **٢٣٥** ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أخبرَنا السَّيِّدُ أبو الرِّضا حيدرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ العلويُّ الواعظُ بقراءتي عليهِ ، ثنا أبو بكرٍ ابنُ الخاضبةِ الحافظُ مِن لفظِهِ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ المُقرِئُ ، ثنا الحسنُ بنُ الحسينِ الشَّافعيُّ [قالَ] : حدَّثَني أبو أحمدَ العَسْكَريُّ ، سمعتُ إبراهيمَ ابنَ عَرَفةَ يحكي عن ثعلبٍ ، عنِ ابنِ الأعرابيِّ أنَّهُ قالَ : (كانَ يُقالُ : مِن ثمرةِ العلمِ حفظُهُ)[2]

وكانَ الخليلُ بنُ أحمدَ يقولُ[3] : (اجعلْ ما في كتابِكَ رأسَ مالِكَ ، وما في صدرِكَ للنَّفقةِ)[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣٧) ، ومسلم (٢٥٦٠) ، وابن حبان (٥٦٦٩) ، والترمذي (١٩٣٢) كلُّهم بنحوه عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) أخرج هٰذا القولَ أبو أحمد العسكري في « المصون في الأدب » (ص ١٣٢) .

(٣) انظر هٰذا القولَ في « الحث علىٰ طلب العلم » لأبي هلال العسكري (ص ٣٥) .

(٤) أخرج القولين ابنُ حمكان في « الفوائد والأخبار والحكايات » (٨) .

نُكتةٌ

[في ألغازٍ في القرآنِ الكريمِ]

٢٣٦ ـ وبهِ إليهِ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ عبدِ الرَّزَّاقِ المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ أستاذي أبا نصرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ عليٍّ المُقرِئَ يسألُ ويقولُ : أينَ في القرآنِ كلمةٌ مُتَّصِلةٌ عشرةُ أحرفٍ ؟ فأُفحِمْنا .

فقالَ : ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١)

ثمَّ قالَ : أينَ جاءَ في القرآنِ [أربعُ كلماتٍ بينَ ثماني نوناتٍ] ؟ (٢) فلَمْ نُجِزْ جواباً .

فقالَ المُقرِئُ أبو نصرٍ رحمَهُ اللهُ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ (٣)

حكايةٌ

[في الشَّابِّ الَّذي أرادَ امتحانَ الشَّيخِ أبي الخيرِ التِّيناتيِّ]

ك ٢٣٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الصُّوفيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي المُنى البرُوجِرْديُّ بها (٤) ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ البَيْضاويُّ [قالَ] : سمعتُ أبا الأزهرِ عبدَ الواحدِ بنَ محمَّدِ بنِ حيَّانَ لفظاً يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ المصريَّ يقولُ : سمعتُ بعضَ المشايخِ يقولُ : قصدَ بعضُ البغداديِّينَ مِن أهلِ اللِّسانِ أبا الخيرِ التِّيناتيَّ ؛ ليمتحنَهُ ـ ومعهُ تلامذةٌ لهُ ـ ويُرِيَ تلامذتَهُ أنَّ أبا الخيرِ لا يُحسِنُ شيئاً ، فدخلوا عليهِ وحولَهُ أصحابُهُ ، فسلَّموا عليهِ ، وقالَ : أيُّها الشَّيخُ ؛ مسألةٌ ، فقالَ : ليسَ هٰذا موضعُ مسألتِكَ ، ولٰكنِ اجلسْ حتَّىٰ يخلوَ الموضعُ .

---

(١) سورة النور : (٥٥) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (بين أربع نونات) ، ولا يستقيم .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٧) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، وذكره ياقوت في « معجم الأدباء » (٦/٤١٧) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٢/٨٩) ، والآيتان من سورة (يوسف ﷺ) : (٢ ـ ٣) .
و(قرآناً عربيّاً لعلَّكم) أربع كلمات ، وفي (إنَّا أنزلناه) أربع نونات ، وفي (نحن نقصُّ) أربع نونات ؛ فهٰذه ثماني نونات بينها أربع كلمات ، والله أعلم .

(٤) البرُوجِرْدي : نسبة إلىٰ (برُوجِرْد) ، وهي بلدة بين هَمَذان والكَرَج ، خصبة كثيرة الخيرات . « معجم البلدان » (١/٤٠٤) .

فلمَّا تفرَّقَ النَّاسُ . . قامَ الشَّيخُ ، فأخذَ بيدِ البغداديِّ ، وأدخلَهُ إلىٰ مسجدٍ يأوي إليهِ للخلوةِ في وسطِ الأَجَمةِ[1] ، وأجلسَهُ في المسجدِ ، وقامَ هوَ يركعُ ؛ فإذا بصياحِ الأسدِ مِن كلِّ جانبٍ ، فارتعدَ البغداديُّ ، واصفرَّ لونُهُ ، فسلَّمَ أبو الخيرِ ، وقالَ : هاتِ مسألتَكَ ، فغُشِيَ عليهِ ، فحملَهُ أبو الخيرِ علىٰ ظهرِهِ وردَّهُ إلىٰ أصحابِهِ ، وقالَ : خذوا شيخَكُم .

فلمَّا أفاقَ . . هربَ مِن عندِهِ خَفيّاً[2]

نُكتةٌ

[في ميزانِ الصَّداقةِ]

ك ٢٣٨ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ عليَّ بنَ طرادِ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ الزَّينبيَّ ببغدادَ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الأنصاريَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ عليِّ ابنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الكُوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ جعفرِ بنِ محمَّدٍ المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عمرَ ابنَ خَزَرٍ [الصُّوفيَّ][3] يقولُ : سمعتُ أبا منصورٍ أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ الهَرَويَّ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ الرَّازيَّ يقولُ : (بئسَ الصَّديقُ صديقاً يحتاجُ أن يُقالَ لهُ : اذكرْني في دعائِكَ ، وبئسَ الصَّديقُ صديقاً يحتاجُ أن تعتذرَ إليهِ ، وبئسَ الصَّديقُ صديقاً يحتاجُ أن تعيشَ معَهُ بالمُداراةِ)[4]

نُكتةٌ

[لِمَ إذا قيلَ لكَ الحقُّ تغضبُ ؟!]

٢٣٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو البركاتِ عمرُ بنُ إبراهيمَ ابنِ حمزةَ الحسينيُّ بقراءتي عليهِ بالكُوفةِ ، أنبأَنا محمَّدُ بنُ عليِّ ابنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الحسنيُّ ، أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ الكريمِ الخُزاعيُّ [قالَ] : سمعتُ الحسنَ ابنَ سعيدٍ يقولُ : سمعتُ

---

(١) الأَجَمة : الشَّجر الكثيف الملتفُّ ، وهي مأوى الأسد .

(٢) أخرج نحواً من ذٰلك ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/١٦٧) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (١٠/٤٤٤٠) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الصيرفي) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٢/٣٦٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/٢١٨) .

(٤) انظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٤١٧) ، و« الصداقة والصديق » للتوحيدي (ص ٩٨) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٢٨١) ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة) .

أبا خليفةَ القاضيَ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المازِنيَّ يقولُ : سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ : بينما أنا أطوفُ حولَ الكعبةِ . . إذا برجلٍ علىٰ قَفاهُ كارةٌ[1] ، وهوَ يطوفُ .

فقلتُ لهُ : أتطوفُ وعليكَ كارةٌ ؟ فقالَ : هٰذهِ والدتي الَّتي حملَتْني في بطنِها تسعةَ أشهرٍ ، أُريدُ أن أُؤدِّيَ حقَّها .

فقالَ لهُ الأصمعيُّ : ألا أدلُّكَ علىٰ ما تُؤدِّي بهِ حقَّها ؟

قالَ لي : وما هوَ ؟ قالَ : تُزوِّجُها .

فقالَ : يا عدوَّ اللهِ ؛ تستقبلُني في أُمِّي بمثلِ هٰذا ؟!

قالَ : فرفعَتْ يدَها فصفعَتْ قَفا ابنِها ، فقالَتْ : لِمَ إذا قيلَ لكَ الحقُّ تغضبُ ؟![2]

* * *

٢٤٠ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ أحمدَ بنِ الحسينِ اليَزْديَّ يقولُ[3] : سمعتُ أبا اليُسرِ المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الزَّنْجانيَّ يقولُ : (كانَ أبو بكرٍ الشَّاشيُّ يتفقَّهُ معَنا ، وكانَ يُسمَّى : الجُنَيدَ ؛ لدينِهِ ، وورعِهِ ، وزهدِهِ)[4]

* * *

٢٤١ ـ وبهِ قالَ : أنا والدي رحمَهُ اللهُ إذناً ، سمعتُ محمَّدَ بنَ أحمدَ الأصبهانيَّ بمكَّةَ يقولُ : سمعتُ أبا منصورٍ مُعمَّرَ بنَ أحمدَ الصُّوفيَّ يقولُ : (اليومُ ضيفٌ ، والوقتُ سيفٌ ، وتَرْكُ الزَّادِ فيهِما حَيفٌ) .

* * *

٢٤٢ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ سعدٍ العِجْليَّ يقولُ : كنتُ يوماً مُتكسِّراً ، فأردتُ أن أقومَ ، فعضدَني ـ يعني : الأَبِيوَرْديَّ ـ ثمَّ قالَ : أُمويٌّ يعضدُ عِجْليّاً ، كفىٰ بذٰلكَ شرفاً[5]

قالَ أبو سعدٍ : وكانَ يكتبُ في نسبتِهِ : (المُعاويَّ) ، ينسبُ إلىٰ معاويةَ الأصغرِ

---

(١) الكارة : ثوب تُوضع فيه الأشياءُ ، ثمَّ تُجمع أطرافُه فيُحمل .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٧) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، وانظر « المنتظم » (٢١٣/٦) .

(٣) اليَزْدي : نسبة إلىٰ (يَزْد) ، وهي مدينة متوسِّطة بين نَيْسابور وشِيراز وأصبهان . « معجم البلدان » (٤٣٥/٥) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٨) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٩٤/١٩) .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٩) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، وانظر « إنباه الرواة » للقفطي (٥١/٣) ، و« معجم الأدباء » (٤٢١/٦) .

ـ هوَ ابنُ محمَّدِ بنِ عثمانَ ابنِ عتبةَ ـ لا معاويةَ بنِ أبي سفيانَ [1]

* * *

٢٤٣ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ نصرٍ المَرَنْديَّ الخطيبَ بمَرْوَ يقولُ [2] : كتبَ الأَبِيوَرْديُّ قصَّةً إلى الخليفةِ [3] ، وكتبَ علىٰ رأسِها : (الخادمُ المُعاويُّ) ، فكرهَ الخليفةُ النِّسبةَ إلىٰ معاويةَ ، فأمرَ بكشطِ الميمِ مِنَ (المُعاويّ) ، وردَّ القصَّةَ ، فصارَ : (الخادمُ العاوي) [4]

نُكْتَةٌ

[في أوَّلِ ما يُطعَمُ المملوكُ]

٢٤٤ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَنا المُبارَكُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ الأَزَجيُّ مِن لفظِهِ ، أنا أبو غالبٍ القَزّازُ الحريريُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الحسنِ ابنُ زوجِ الحُرَّةِ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ محمَّدِ بنِ شاذانَ مِن لفظِهِ ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ خيرِ بنِ حوثرةَ بنِ يعيشَ بنِ المُوفَّقِ بنِ أُبيِّ بنِ النُّعمانِ الطَّائيُّ الحِمْصيُّ بحِمْصَ ، ثنا أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ يحيى بنِ أبي النُّعاسِ الزُّبَيديُّ ، ثنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الجبَّارِ الخَبائريُّ [5] ، ثنا الحكمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ خُطَّافٍ ، حدَّثَني الزُّهريُّ ، عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنِ ٱبْتَاعَ مَمْلُوكاً . . فَلْيَحْمَدِ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا يُطْعِمُهُ ٱلْحَلْوَاءُ ؛ فَإِنَّهُ أَطْيَبُ لِنَفْسِهِ » [6]

---

(١) انظر « الأنساب » (٥/٣٣٦) ، و« تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٩) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، والأَبِيوَرْدي : هو محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن إسحاق بن محمَّد بن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية الأصغر ابن محمَّد بن عثمان بن عنبسة بن عتبة بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

(٢) المَرَنْدي : نسبة إلىٰ (مَرَنْد) ، وهي بلدة من بلاد أَذْرَبِيجان . « الأنساب » (٥/٢٦١) .

(٣) في « الأنساب » : هو المُستظهِر بالله الخليفة العبَّاسيُّ .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/١٩) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، والقفطي في « المحمدون من الشعراء » (ص ٤٩) ، وانظر « المنتظم » (١٠/١٢٣) ، و« معجم الأدباء » (٦/٤٢٠) ، وذكره ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤/٤٤٥ ـ ٤٤٦) وعزاه لأبي سعد السمعاني في « الذيل » .

(٥) الخَبائري : نسبة إلى (الخَبائر) ، وهو بطن من قبيلة الكلاع ؛ وهو خَبائر بن سواد بن عمرو بن الكلاع . « الأنساب » (٢/٣١٧ ـ ٣١٨) .

(٦) أخرجه ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٢/٢٠٤) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٣٧٩) ، والذهبي في « ميزان الاعتدال » (١/٥٧٣) .

نُكتة

[ليسَ إلىٰ رضا النَّاسِ سبيلٌ]

ك ٢٤٥ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ سعدَ اللهِ بنَ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ طاهرٍ الدَّقَّاق مذاكرةً يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ [الحسينِ][1] النَّجَّارَ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ ابنَ المُذهِبِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ محمَّدَ بنَ المُظفَّرِ الحافظَ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الطَّحاويَّ بمصرَ يقولُ : سمعتُ المُزَنيَّ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ليسَ لكَ إلىٰ رضا النَّاسِ سبيلٌ ؛ فعليكَ بما يُصلِحُكَ)[2]

حِكاية

[فيما قالَهُ الحجَّاجُ قبلَ موتِهِ]

ك ٢٤٦ ـ وبهِ قالَ : حدَّثَنا [أبو المكارمِ][3] حمزةُ بنُ إبراهيمَ الخُداباذيُّ مِن لفظِهِ ببُخارىٰ[4] ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ السَّوْسَقانيُّ ـ قدمَ علينا ـ [قالَ][5] : أنا أبو حامدٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ الشُّجاعيُّ ببَلْخَ ، أخبرَني بعضُ أهلِ العلمِ : أنَّ أبا عبدِ اللهِ طاهرَ بنَ محمَّدٍ الحَدَّاديَّ أخبرَهُ : أنَّهُ سمعَ أبا حامدٍ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ الحسنِ المُقرِئَ يقولُ : دخلَ الحاجبُ على الحجَّاجِ بنِ يوسفَ وهوَ في النَّزعِ ، فقالَ : أيُّها الأميرُ ؛ إنَّ النَّاسَ يقولونَ : إنَّ هـٰذا الكافرَ يُساقُ إلى النَّارِ بما ارتكبَ مِنَ الكبائرِ ، وسفكَ دماءَ المسلمينَ .

ففتحَ عينَيهِ ، وأنشأَ يقولُ[6] : [من البسيط]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحسن) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » للبنداري ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٢٤/١١ ـ ٢٢٥) ط . دار الغرب الإسلامي ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٢٣٤) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/٢١) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، وابن أبي حاتم في « آداب الشافعي ومناقبه » (ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩) ، وأبو سليمان الخطابي في « العزلة » (ص ٨٩) بنحوه ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٤٧/٩ ـ ١٤٨) بنحوه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٢/٥١ ـ ٤١٣) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥٢/١٠) ، وسيأتي ضمن الخبر (٢٩٥) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو محمد) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٣٢٩/٢) .

(٤) **الخُداباذي** : نسبة إلىٰ (خُداباذ) ، وهي قرية من قرىٰ بُخارى . « الأنساب » (٣٢٩/٢) .

(٥) **السَّوْسَقاني** : نسبة إلىٰ (سَوْسَقان) ، وهي قرية من قرىٰ مَرْو . « الأنساب » (٣٣٤/٣) .

(٦) هما لعبيد بن أيوب العنبري في « ربيع الأبرار » (١٩١/١) ، و« الحماسة البصرية » (١٦٨٦/٤) ، و« منتهى

يَـا رَبِّ قَـدْ شَـهِـدَ ٱلْأَقْـوَامُ كُـلُّـهُـمُ   بِـأَنَّـنِـي كَـافِـرٌ مِـنْ سَـاكِـنِـي ٱلـنَّـارِ
وَيَـشْـهَـدُونَ عَـلَى ٱلْـعَـمْـيَـاءِ وَيْـلَـهُـمُ   مَـا عِـلْـمُـهُـمْ بِـعَـظِـيـمِ ٱلْـعَـفْـوِ غَـفَّـارِ ؟!

قالَ : وكانَ الحسنُ البصريُّ يقولُ : إنِّي أخافُ أن يُغفَرَ لذٰلكَ الفاسقِ بهٰذَينِ البيتَينِ [١]

حكاية

[في كرمِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ]

٢٤٧ ـ وأُنبِئتُ عن أبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ السَّمْعانيِّ كما تقدَّمَ [٢]

وأنبأَني أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وابنُ أبي عصرونٍ ، وابنةُ كِنْديٍّ المُتقدِّمُ ذِكْرُهُم ، والمُعمَّرُ شمسُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ هاشمِ بنِ عبدِ القاهرِ العبَّاسيُّ ، عن أبي رَوْحٍ عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ الهَرَويِّ قالا : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي .

(ح) وأنبأَنيَ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي الفرجِ المُقرِئُ ، عن عبدِ الوهَّابِ ابنِ سُكَينةَ ، وأحمدُ بنُ هبةِ اللهِ الدِّمشقيُّ ، وغيرُهُ ، عن أبي الحسنِ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ ، وأبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ المُنعِمِ ، وجماعةٌ ، عن أبي اليُمنِ ، كلُّهُم عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الوَرَّاقُ ، أنا الرَّشِيقيُّ ، أنا ابنُ خلَّادٍ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الحسنِ الأَزْديُّ ، ثنا أبو الفضلِ الرِّياشيُّ ، ثنا مسعودُ بنُ بشرٍ مِن ولدِ عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنيِّ قالَ : وفدَ رجلٌ مِن ضِنَّةَ إلىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ [٣] ، فدخلَ عليهِ ، فقالَ [٤] :   [من الكامل]

وَٱللهِ مَـا نَـدْرِي إِذَا مَـا فَـاتَـنَـا   طَـلَـبٌ إِلَـيْـكَ مَـنِ ٱلَّـذِي نَـتَـطَـلَّـبُ

الطلب » لابن ميمون (٣/٢٤٣) ، ولعبيد بن سفيان العكلي في « وفيات الأعيان » (٢/٥٢ ـ ٥٣) ، و« الوافي بالوفيات » (١١/٣٠٨) .

(١) أخرجه عبد العزيز ابن الأخضر في « العمدة في مشيخة شهدة » (١١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/١٩٤ ـ ١٩٥) كلاهما مختصراً ، وانظر « المنتظم » (٤/٤٧٥) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٥٢ ـ ٥٣) ، و« آثار البلاد » للقزويني (ص ١٠٠) .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٢٢٠) .

(٣) يعني : ضِنَّة بن سعد ؛ بطن من قضاعة . « الأنساب » (٤/٢٢) .

(٤) البيتان الثاني والثالث لبكر بن النَّطَّاح في « طبقات الشعراء » لابن المعتز (ص ٤٣٥) ، والثالث له في « المنتحل » للثعالبي (ص ٦٢) .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا فِي ٱلْبِلَادِ فَلَمْ نَجِدْ ... أَحَداً سِوَاكَ إِلَى ٱلْمَكَارِمِ يُنْسَبُ

فَٱصْبِرْ لِعَادَتِنَا ٱلَّتِي عَوَّدْتَنَا ... أَوْ لَا فَأَرْشِدْنَا إِلَىٰ مَنْ نَذْهَبُ

قالَ : فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : إليَّ ، وأمرَ لهُ بألفِ دينارٍ .

ثمَّ أتاهُ العامَ المُقبِلَ ، فقالَ : [من الطويل]

يَرُبُّ ٱلَّذِي يَأْتِي مِنَ ٱلْعُرْفِ أَنَّهُ ... إِذَا فَعَلَ ٱلْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَّمَا

وَلَيْسَ كَبَانٍ حِينَ تَمَّ بِنَاؤُهُ ... تَتَبَّعَهُ بِٱلنَّقْضِ حَتَّىٰ تَهَدَّمَا

فأعطاهُ ألفَي دينارٍ .

ثمَّ عادَ إليهِ في العامِ الثَّالثِ ، فقالَ : [من الطويل]

إِذَا ٱسْتُمْطِرُوا كَانُوا مَغَازِيرَ فِي ٱلنَّدَىٰ ... يَجُودُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ عَوْداً عَلَىٰ بَدْءِ

فأعطاهُ ثلاثةَ آلافِ دينارٍ[1]

* * *

٢٤٨ ـ وبالإسنادَينِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو المحاسنِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ اللهِ البَزَّازُ ، أنا أبو غالبٍ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الصَّيْقَليُّ ، أنا أبو الفتحِ المُظفَّرُ بنُ حمزةَ الفقيهُ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ ، أنا [أبو سعيدٍ][2] أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ زيادٍ ابنُ الأعرابيِّ ، ثنا يحيى بنُ أبي طالبٍ ، أنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، أنا أبو ريحانةَ ، عن سَفِينةَ مولىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : (كنتُ في سفرٍ ، فعرضَ ليَ الأسدُ ، فقلتُ : أبا الحارثِ ؛ إنِّي سَفِينةُ مولىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فولَّىٰ رافعاً ذنبَهُ يُهَمْهِمُ)[3]

* * *

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٧) مخطوط ، والقالي في « الأمالي » (٢/٢٨٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨/١٥٨ ـ ١٥٩) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٢١٣) ، وانظر « الزهرة » لأبي بكر الأصفهاني (٢/١٤٠ ـ ١٤١) ، و« ربيع الأبرار » (٣/٣٣٧) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو منصور) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢٥/١٨٤) ، وقد سبق على الصواب ضمن الخبر (٢٣٢) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٩ ـ ٢٠) مخطوط واللفظ له ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٦٠٦) ، ومعمر بن راشد في « الجامع » (٢٠٥٤٤) ، وابن سعد في « الطبقات الكبير » (٥/١٠١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/٨٠ ـ ٨١) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٤٥) كلُّهم بنحوه .

٢٤٩ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا عبدُ الرَّحيمِ بنُ أبي المعالي الحافظُ بقراءتي عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الدَّامَغانيُّ ، ثنا أبو القاسمِ بنُ أبي عمرٍو الفقيهُ مِن لفظِهِ ، ثنا أبو مسلمٍ غالبُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الرَّازيُّ ، ثنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ الحسنِ ، ثنا جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ القاسمِ ، ثنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ شبيبٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ التَّرْجُمانيُّ ، عن كثيرِ بنِ مروانَ ، عن أنسِ بنِ سيرينَ ـ أو عن [أُبَينِ] (١) بنِ سفيانَ ـ ، عن غالبِ بنِ [عبيدِ اللهِ] (٢) العقيليِّ قالَ : (كُنيةُ آدمَ في الدُّنيا : أبو البَشَرِ ، وفي الجنَّةِ : أبو محمَّدٍ) (٣)

نُكتة

[في حِلْمِ الفضيلِ بنِ غزوانَ]

٢٥٠ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ الهَرَويِّ كما تقدَّمَ قالَ (٤) : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ جعفرٍ الأصبهانيُّ ، أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ الحافظُ ، أنا الحسنُ ابنُ أحمدَ المَدِينيُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ العَبْديُّ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ القرشيُّ ، ثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ مهديٍّ ، عنِ النُّعمانِ أبي المُنذِرِ (٥) قالَ : قالَ رجلٌ للفضيلِ بنِ غزوانَ : إنَّ فلاناً يقعُ فيكَ ، قالَ : لأغيظَنَّ مَن أَمَرَهُ ؛ غفرَ اللهُ لهُ .

قيلَ لهُ : مَن أَمَرَهُ ؟ قالَ : الشَّيطانُ (٦)

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أنس) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (٧/١) ، و« تاريخ الإسلام » (٦٢/٩) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٥٦٧/٩) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٢٠) مخطوط ، والجرجاني في « تاريخ جرجان » (ص ١٨٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨٩/٧) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٩٠٤) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

(٥) في (أ ، ب ، ج) : (النعمان بن أبي المنذر) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٢٥/١٢) .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الإشراف في منازل الأشراف » (٣٦٧) ، وابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ٣٠٧) ، وانظر « الرعاية » للحارث المحاسبي (ص ١٩٥) ، و« طبقات المحدثين بأصبهان » لأبي الشيخ (١٣/٢) .

٢٥١ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : سمعتُ ظافرَ بنَ معاويةَ بنِ خُلَيفٍ المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الرَّاذانيَّ (١) ـ هوَ محمَّدُ بنُ الحسنِ ـ وأرادَ أن يخرجَ إلى الصَّلاةِ ، فجاءَ ابنُهُ إليهِ وكانَ صغيراً ، وقالَ : يا أبي ؛ أُريدُ غزالاً ألعبُ بهِ ، فسكتَ الشَّيخُ ، فلحَّ الصَّبيُّ وقالَ : لا بُدَّ لي مِن غزالٍ ، فقالَ لهُ الشَّيخُ : اسكتْ ، يا بُنَيَّ ؛ غداً يجيئُكَ غزالٌ .

فمِنَ الغدِ كانَ الشَّيخُ قاعداً في بيتِهِ ، فجاءَ غزالٌ ، ووقفَ علىٰ بابِ الشَّيخِ ، وكانَ يضربُ بقرنَيهِ البابَ إلىٰ أن فتحوا لهُ البابَ ودخلَ !! فقالَ الشَّيخُ لابنِهِ : يا بُنَيَّ ؛ جاءَكَ الغزالُ (٢)

نُكْتَةٌ

[في معنىٰ : « خَيْرُ عَمَلِ ٱلْمَرْءِ كَسْبُ يَمِينِهِ »]

٢٥٢ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ قالَ : أنا أبو سعدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ الحافظُ ، ثنا أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ ابنُ البَنَّاءِ الواعظُ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ غالبِ ابنَ المُبارَكِ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ [عبدِ اللهِ] (٣) ابنِ تعويذٍ يقولُ : سمعتُ الشِّبْليَّ يقولُ وقد سُئِلَ عن قولِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَيْرُ كَسْبِ ٱلْمَرْءِ عَمَلُ يَمِينِهِ » ، قالَ : إذا كانَ اللَّيلُ . . فخُذْ ماءً وتهيَّأْ للصَّلاةِ ، وصلِّ ما شئتَ ، ومُدَّ يدَكَ وسلِ اللهَ عزَّ وجلَّ ؛ فذاكَ كسبُ يمينِكَ (٤)

❊ ❊ ❊

٢٥٣ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ قالَ : أنا أبو جعفرٍ الهَمَذانيُّ كتابةً ، سمعتُ والدي أبا عليٍّ الحسنَ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الصُّوفيَّ الزَّاهدَ يقولُ : (إذا رأيتَ الشَّابَّ [يتكلَّمُ] (٥) بحضرةِ الأكابرِ والشُّيوخِ ولا يحترمُهُم . . فلا ترجو خيرَهُ أبداً) (٦)

---

(١) الرَّاذاني : نسبة إلىٰ (رَاذان) ، وهي قرية من قرىٰ بغداد . « الأنساب » (٣/٢١) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/٦٠) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، وانظر « المنتظم » (١٠/٥٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٤/١٩٧ ـ ١٩٨) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أحمد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (١١/٢٧٠) .

(٤) انظر « طبقات الأولياء » لابن الملقن (ص ٢٠٥) .

(٥) ما بين معقوفين كلمة غير واضحة في (أ) ، وليست في (ب ، ج) ، والمثبت موافق لما في ما في مصادر التخريج .

(٦) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٢٨) ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب

نُكْتَةٌ

[الشَّرُّ لا يُصلِحُهُ إلَّا الشَّرُّ]

٢٥٤ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ الحسنِ البُخاريُّ ، أنا غانمُ بنُ محمَّدِ بنِ [عبيدِ اللهِ][1] البُرْجيُّ[2] ، أنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ فاذْشاه ، أنا سليمانُ بنُ أحمدَ الطَّبرانيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ هاشمِ البَغَويُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عَرْعَرةَ ، ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، ثنا حسينُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ ضميرةَ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يشكو جارَهُ ، فقالَ : الحجارةُ تجيئُني مِنَ اللَّيلِ يرمي بها ، فقالَ : (أَعِدْها مِن حيثُ تجيئُكَ) .

ثمَّ قالَ : (إنَّ الشَّرَّ لا يُصلِحُهُ إلَّا الشَّرُّ)[3]

نُكْتَةٌ

[في العلمِ والعملِ والإخلاصِ]

٢٥٥ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ الحافظُ بقراءتي عليهِ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ ابنِ سليمٍ ، أنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ أحمدَ الواعظُ ، سمعتُ أبا زُرعةَ الطَّبَريَّ ، سمعتُ ابنَ دُرُسْتويهِ صاحبَ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ ونحنُ بينَ يدَيهِ ؛ إذ أقبلَ أصحابُ الحديثِ ومعَهُمُ المحابرُ ، فقالَ : قالَ سهلٌ : اجتهدوا ألَّا تلقَوُا اللهَ إلَّا ومعَكُمُ المحابرُ .

فغمزتُ بعضَهُم وقلتُ لهُ : يُملي شيئاً ، فقالَ : يا أيُّها الشَّيخُ ؛ قد مدحتَها فذكِّرْنا بشيءٍ .

فقالَ : اكتبوا : الدُّنيا كلُّها لا شيءَ . . إلَّا ما كانَ منها علمٌ .

السامع » (٣٥٩) وفيهما عن إبراهيم بن أدهم ، والبيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرىٰ » (٦٧٩) عن سفيان الثوري .

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٣١١/١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣٢٠/١٩) .

(٢) البُرْجي : نسبة إلىٰ (بُرْج) ، وهي قرية من قرىٰ أصبهان . « الأنساب » (٣١١/١) .

(٣) انظر « ربيع الأبرار » (١١/٢ ـ ١٢) ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (١٤٤/٢) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٦٠٥) وعزواه لأبي سعد السمعاني .

والعلمُ كلُّهُ حجَّةٌ . . إلَّا ما كانَ معَهُ عملٌ .

والعملُ كلُّهُ هباءٌ . . إلَّا ما كانَ منهُ إخلاصٌ .

وأهلُ الإخلاصِ علىٰ وَجَلٍ ، ثمَّ تلا : ﴿ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (١)

* * *

٢٥٦ ـ وأنبأَني ابنُ عساكرَ ، وابنُ أبي عصرونٍ ، وابنةُ كِنْديّ المُتقدِّمُ ذِكْرُهُم ، عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ عليّ الطُّوسيّ ، وأبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ الحافظِ أبي سعدٍ عبدِ الكريمِ السَّمْعانيّ ، كلاهُما عن أبي سعدٍ السَّمْعانيّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي سعدٍ الواعظُ ، والجُنَيدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليّ الصُّوفيُّ ، وعبدُ الكريمِ بنُ محمَّدِ بنِ منصورٍ الرُّمَّانيُّ قالوا : ثنا أبو سعدٍ الحَرَميُّ قالَ : سمعتُ أبا حفصٍ عمرَ بنَ أحمدَ بنِ عيسى بنِ كاملٍ يقولُ : سمعتُ القاضيَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ الحسينِ الأنطاكيَّ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ سليمانَ الشَّرابيَّ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ عبدَ اللهِ بنَ المُعتزّ باللهِ يقولُ : (نعمةُ الجاهلِ كروضةٍ علىٰ مزبلةٍ) (٢)

نُكْتَةٌ
[في الظُّلمةِ والنُّورِ]

٢٥٧ ـ وبهِ إلى المُؤيَّدِ ، وأبي المُظفَّرِ ، عن أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو منصورٍ موهوبُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ الخضرِ اللُّغَويُّ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنِ البُنْدارِ قالا : أنا أبو أحمدَ عبيدُ اللهِ بنُ أبي مسلمٍ الفَرَضيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ، ثنا الحسنُ بنُ موسىٰ ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ ، عن زكريَّا العشاريّ وَصِيّ أبي نواسٍ قالَ : قلتُ لأبي نواسٍ : لا أرىٰ في بيتِكَ مُصحَفاً ؟! قالَ : النُّورُ والظُّلمةُ لا يجتمعانِ (٣)

* * *

٢٥٨ ـ وبهِ إليهما قالا : أنبأَنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا أبو أحمدَ عبدُ السَّلامِ بنُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٩٤) بنحوه ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١٠٢) ، وانظر طرفاً منه في « تاريخ الإسلام » (٢١/١٨٧) ، والآية من سورة (المؤمنون) : (٦٠) .

(٢) انظر « التمثيل والمحاضرة » للثعالبي (ص ٤٣٩) ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٨٦) ، و« ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (٢٠/٥٤) .

(٣) انظر « حدائق الأزاهر » لابن عاصم الغرناطي (ص ٩٤) .

الحسنِ [١] بنِ عليِّ بنِ زُرعةَ الصُّوريُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ ، ثنا أبو الفتحِ نصرُ بنُ إبراهيمَ بنِ نصرٍ المَقْدِسيُّ لفظاً بصُورَ ، ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ زهيرٍ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ مَرْزُبانَ ، ثنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ محمَّدٍ النَّحْويُّ الأصبهانيُّ ، أنا ابنُ فضيلٍ النَّحْويُّ ، أنا عبدُ الكريمِ بنُ عليٍّ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ النُّعمانِ ، ثنا محمَّدُ بنُ روحٍ ، عنِ الهلاليِّ محمَّدِ بنِ حربٍ قالَ : دخلتُ المدينةَ فأتيتُ قبرَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فزرتُ وجلستُ بحذائِهِ .

فجاءَ أعرابيٌّ فزارَهُ ، ثمَّ قالَ : يا خيرَ الرُّسلِ ؛ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنزلَ علينا كتاباً صادقاً قالَ فيهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [٢] ، وإنِّي جئتُكَ مُستغفِراً ربَّكَ مِن ذنوبي ، مُستشفِعاً بكَ فيها .

ثمَّ بكىٰ وأنشأَ يقولُ : [من البسيط]

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِٱلْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ ٱلْقَاعُ وَٱلْأَكَمُ
نَفْسِي ٱلْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ ٱلْعَفَافُ وَفِيهِ ٱلْجُودُ وَٱلْكَرَمُ

ثمَّ استغفرَ [اللهَ] وانصرفَ ، فرقدتُ فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في نومي ، وهوَ يقولُ : « ٱلْحَقِ ٱلرَّجُلَ ، فَبَشِّرْهُ بِأَنَّ ٱللهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ بِشَفَاعَتِي » ، فاستيقظتُ ، فخرجتُ أطلبُهُ ، فلم أجدْهُ [٣] .

وأخبرَني أعلىٰ مِن هٰذهِ الرِّوايةِ بأربعِ درجاتٍ بالسَّماعِ المُتَّصلِ الشَّيخُ المُسنِدُ أمينُ الدِّينِ عبدُ المُحسِنِ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ محمودٍ المحموديُّ الصَّابونيُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : أنا جدِّي محمَّدُ بنُ عليٍّ قالَ : أنا أبو الغيثِ فرجُ بنُ عبدِ اللهِ القُرْطُبيُّ قالَ : أنا أبو المعالي أسعدُ بنُ حمزةَ بنِ أسدٍ التَّميميُّ ، أنا الفقيهُ نصرٌ المَقْدِسيُّ قالَ : وأخبرَني أبو الحسنِ السلميُّ ـ هوَ عليُّ بنُ الخضرِ بنِ سليمانَ بنِ سعيدٍ ـ ، أنا أبو القاسمِ

---

(١) في (أ ، ب ، ج) : (بن الحسن بن الحسن) ، والمثبت موافق لما في « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (١٠٦٦/٢) .

(٢) سورة النساء : (٦٤) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق١٦١/١ ـ ١٦٢) مخطوط من مكتبة باريس بسند آخر ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٣٨٠) بنحوه ، وابن بشكوال في « القربة إلىٰ رب العالمين » (١٢٥ ـ ١٢٦) بنحوه ، وابن الجوزي في « مثير الغرام الساكن » (ص ٤٩٠) ، وابن النجار في « الدرة الثمينة » (ص ١٥٨ ـ ١٥٩) ، وأبو اليمن ابن عساكر في « إتحاف الزائر » (ص ٥٤ ـ ٥٥) .

عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ الإمامِ ، ثنا أبو محمَّدٍ ابنُ الوردِ ، ثنا يحيى ابنُ بُكَيرٍ ، ثنا ابنُ أبي مريمَ قالَ : كنتُ حاجّاً في بعضِ السِّنينَ ، فأتيتُ مسجدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإذا أنا بأعرابيٍّ يركضُ علىٰ بعيرِهِ حتَّىٰ أتىٰ مسجدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فعقلَ بعيرَهُ ، ثمَّ دخلَ يَؤُمُّ القبرَ .

فلمَّا نظرَ إلىٰ قبرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالَ : السَّلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ ، بأبي أنتَ وأُمِّي ، لقد بعثَكَ اللهُ بشيراً ونذيراً ، وأنزلَ عليكَ كتاباً مستقيماً ، أعلمَكَ فيهِ علمَ الأوَّلينَ والآخرينَ ، فقالَ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (١) ، وإنِّي لأعلمُ أنَّ ربَّكَ مُنجِزٌ لكَ ما وعدَكَ ، وها أنا قد أتيتُكَ ، مُقِرٌّ بالذُّنوبِ ، مُستشفِعٌ بكَ علىٰ ربِّكَ عزَّ وجلَّ .

ثمَّ مضىٰ وأنشأَ يقولُ : [من البسيط]

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ . . . .

البيتَينِ (٢)

❊ ❊ ❊

٢٥٩ ـ وبهِ إليهِما عن أبي سعدٍ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ يحيىٰ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ ، أنا محمَّدُ بنُ عليٍّ ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، أنا [الحسينُ] (٣) بنُ صفوانَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ، ثنا مطهرُ بنُ النُّعمانِ ، عن محمَّدِ بنِ جُبَيرٍ : أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ مرَّ ببقيعِ الغرقدِ ، فقالَ : (السَّلامُ عليكُم يا أهلَ القبورِ ، أخبارُ ما عندَنا : أنَّ نساءَكُم قد تزوَّجنَ ، ودورَكُم قد سُكِنَتْ ، وأموالَكُم قد فُرِّقَتْ) .

فأجابَهُ هاتفٌ : أخبارُ ما عندَنا : أنَّ ما قدَّمْناهُ وجدْناهُ ، وما أنفقْناهُ ربحْناهُ ، وما خلَّفْناهُ . . فقد خسرْناهُ (٤)

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النساء : (٦٤) .

(٢) أخرجه أبو الفتح المقدسي في « أماليه » المجلس الحادي والعشرون بعد المئة (ق/٣١) مخطوط .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحسن) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (١٨٩/٢٥) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٩٠) وسيأتي ضمن الخبر (٢٧١ ، ٤٨٩) .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الهواتف » (١٠٠) ، وانظر « الجامع لأحكام القرآن » (٧٣/٢) ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (١٢٥٦/١) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٢٩٧٧) وعزواه لأبي سعد السمعاني .

٢٦٠ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ الهَرَوِيّ كما تقدَّمَ قالَ [١] : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الحافظُ ، أنا مسعودُ بنُ ناصرٍ الحافظُ ، أنا عليُّ بنُ بُشرى اللَّيثيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ الآبُريُّ [٢] ، أنا أبو العبَّاسِ محمودُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ بنِ الصَّباحِ المازنيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ الأسودِ الحنفيُّ ، وعبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ ـ يعني : الفقيهَ الرَّقِّيَّ ـ قالا : ثنا أبو حسَّانَ الزِّياديُّ قالَ : (بلغَني أنَّ أبا حنيفةَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ لَمَّا أحسَّ بالموتِ . . سجدَ ، فخرجَتْ نفسُهُ وهوَ ساجدٌ) [٣]

٢٦١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا [أبو سعدٍ قالَ : أنا] إبراهيمُ بنُ سهلٍ ، أنا محمَّدُ بنُ حَمُّويهِ الإمامُ ، أنا جدِّي ، ثنا أبو بكرٍ الحديثيُّ ، أنا أبو عليٍّ الشَّافعيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ ابنِ عزرةَ ، ثنا سريعُ بنُ يزيدَ ، ثنا أبو جعفرٍ المُؤدِّبُ ، عنِ الأصمعيِّ قالَ : خرجتُ في بعضِ البوادي في بعضِ اللَّيالي ، فرأيتُ جاريةً كأنَّها قمرٌ ، فراودتُها عن نفسِها فأبَتْ عليَّ ، ثمَّ عدتُ إليها ، فقالَتْ : يا شيخُ ؛ أما لكَ زاجرٌ مِن عقلٍ إذا لم يكنْ ناهٍ مِن دينٍ ؟ قالَ : قلتُ : واللهِ ؛ ما يرانا إلَّا كوكبٌ ، قالَتْ : يا شيخُ ؛ فأينَ مُكوكِبُها ؟! [٤]

نكتة

[في أنبلِ المراتبِ]

٢٦٢ ـ وأنبأَني جماعةٌ مِن مشايخي ، عنِ الحافظِ زكيِّ الدِّينِ أبي محمَّدٍ عبدِ العظيمِ المُنذِرِيِّ قالَ : أنا الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُفضَّلِ المَقْدِسيُّ قالَ : أنا الإمامانِ ؛ الشَّريفُ أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ العثمانيُّ ، وأبو الطَّاهرِ إسماعيلُ بنُ مكِّيِّ بنِ إسماعيلَ ابنِ عوفٍ الزُّهريُّ قالا : أنا الإمامُ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الوليدِ الفِهْريُّ الطُّرْطُوشيُّ [٥]

---

(١) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

(٢) **الآبُري** : نسبة إلىٰ (آبُر) ، وهي قرية من قرىٰ سِجِسْتان . « معجم البلدان » (١/ ٤٩) .

(٣) انظر « مروج الذهب » للمسعودي (٤/ ١٥٩) ، و« أخبار أبي حنيفة وأصحابه » للصيمري (ص ٩٣) ، و« مناقب أبي حنيفة » للكردري (٢/ ٣٠١) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٥٢) ، والوشاء في « الموشىٰ » (ص ١٣) ، وابن الجوزي في « تنوير الغبش في فضل السودان والحبش » (٩٧) .

(٥) **الطُّرْطُوشي** : نسبة إلىٰ (طُرْطُوشة) ، وهي بلدة من بلاد الأَنْدَلُس . « الأنساب » (٤/ ٦٢) .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ الحافظِ زكيِّ الدِّينِ ، عن أبي طاهرٍ بركاتِ الخُشُوعيِّ ، عنِ الطُّرطُوشيِّ قالَ : أنا الفقيهُ أبو تمَّامٍ بمكَّةَ إجازةً ، ثنا هبةُ اللهِ بنُ [عبدِ الوارثِ][1] الشِّيرازيُّ ، أنا أبو محمَّدٍ عليُّ بنُ الحسينِ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ محمَّدٍ الرَّقِّيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبيدٍ الصَّفَّارُ .

(ح) وأنبأَني أعلىٰ مِن هٰذا أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وابنُ أبي عصرونٍ ، وابنةُ كِنْديٍّ ، عن عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويِّ[2] قالَ : أنا أبو سعدٍ قالَ : كتبَ إليَّ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدٍ المَرْوَروذيُّ يذكرُ : أنَّ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ طاهرٍ المَقْدِسيَّ حدَّثَهُ مِن لفظِهِ ، ثنا أبو محمَّدٍ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنُ الحَدَّادِ بقراءتي عليهِ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الرَّقِّيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ الصَّفَّارُ[3] ، ثنا أحمدُ بنُ عليٍّ الحافظُ ، ثنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ المُقرِئُ ـ وقالَ الشِّيرازيُّ في روايتِهِ : محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ المُقرِئُ ـ ، ثنا يحيى بنُ أكثمَ قالَ : قالَ الرَّشيدُ : ما أنبلُ المراتبِ ؟ قلتُ : ما أنتَ فيهِ يا أميرَ المؤمنينَ .

قالَ : أفتعرفُ أجلَّ منِّي ؟ قلتُ : لا

قالَ : لٰكنِّي أعرفُهُ ؛ رجلٌ في حَلْقةٍ يقولُ : حدَّثَنا فلانٌ ، عن فلانٍ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ : قلتُ : هٰذا خيرٌ منكَ وأنتَ ابنُ عمِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ووليُّ عهدِ المسلمينَ ؟! قالَ : نعم ، ويلكَ هٰذا خيرٌ منِّي ؛ لأنَّ اسمَهُ مقترنٌ باسمِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يموتُ أبداً ، ونحنُ نموتُ ونفنىٰ ، والعلماءُ باقونَ ما بقيَ الدَّهرُ[4]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الرزاق) ، والمثبت موافق لما في « أدب الإملاء والاستملاء » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٦٥/٣٣) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٥٤٧ ، ٥٧٨ ، ٨٥٧) .

(٢) من قوله : (وأنبأني جماعة من مشايخي) إلىٰ : (عن عبد المعزّ بن محمَّد الهرويّ) مثبت من (ب ، ج) ، وهو في (أ) من جُذاذةٍ وجدت قبل بضع ورقات ، وهي الآن في مُستقَرِّها .

(٣) كذا في (أ ، ب ، ج) ، وفي « مسألة العلو والنزول في الحديث » : (أحمد بن عبيد بن أحمد الصفار) ، موافقاً لما في مصادر التخريج .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « شرف أصحاب الحديث » (٢١٩) ، وابن القيسراني في « مسألة العلو والنزول في الحديث » (٨) ، وأبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ٢٠) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/١٧٦) مخطوط .

نُكْتَةٌ

[في الكلبِ المُسلَّطِ علىٰ مَن يشتمُ أبا بكرٍ وعمرَ رضيَ اللهُ عنهُما]

٢٦٣ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أخبرَتْنا أُمُّ الضِّياءِ غنيمةُ بنتُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ الصَّالحانيّ قالَتْ : أنا أبو الوفاءِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ المَقْدِسيُّ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ الكُرْكانيُّ ، أنا أبو منصورٍ طاهرُ بنُ المَرْوَزيِّ ، ثنا أبو عليٍّ أحمدُ ابنُ عليٍّ النُّهاوَنْديُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ الفضلِ العَطَّارُ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الغفَّارِ ، ثنا يوسفُ بنُ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، ثنا مخلدُ بنُ يزيدَ ، سمعتُ سفيانَ الثَّوْريَّ يقولُ : كانَ عندَنا بالكُوفةِ كلبٌ عضوضٌ ، فبينا أنا أمشي لحاجةٍ . . إذ رأيتُ الكلبَ ، فهبتُهُ فوقفتُ ، فقالَ : ما لكَ يا سفيانُ ؟ قلتُ : هبتُكَ فوقفتُ .

قالَ : لا تهابُني ؛ فإنِّي لم أُسلَّطْ عليكَ ، إنَّما سُلِّطتُ علىٰ مَن يشتمُ أبا بكرٍ وعمرَ رضيَ اللهُ عنهُما (١)

٢٦٤ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ حامدَ بنَ محمودِ بنِ عليٍّ الرَّازيَّ بها يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الأَرْغِيانيَّ بنَيْسابورَ يقولُ (٢) : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ أحمدَ الواحديَّ يقولُ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ (٣) : إنَّ ريحَ الصَّبا استأذنَتْ ربَّها في أن تأتيَ يعقوبَ بريحِ يوسفَ قبلَ أن يأتيَهُ البشيرُ بالقميصِ ، فأُذِنَ لها فأتَتْهُ بها ؛ فلذٰلكَ يستروحُ كلُّ محزونٍ بريحِ الصَّبا ، ويتنسَّمُها المكروبونَ فيجدونَ لها رَوْحاً .

وهيَ مِن ناحيةِ المَشرِقِ ؛ إذا هبَّتْ على الأبدانِ . . نعَّمَتْها وليَّنَتْها ، وهيَّجَتِ الأشواقَ إلى الأحبابِ ، والحنينَ إلى الأوطانِ .

وأنشدَ فيهِ (٤) : [من الطويل]

---

(١) أخرجه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢٣٧١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧٤/٧) ، والمستغفري في « دلائل النبوة » (٥٦٧) ، والضياء المقدسي في « النهي عن سب الأصحاب » (٦٠) .

(٢) الأَرْغِياني : نسبة إلىٰ (أَرْغِيان) ، وهي كورة من نواحي نَيْسابور . « معجم البلدان » (١٥٣/١) .

(٣) سورة يوسف ﷺ : (٩٤) .

(٤) ينسبان لمجنون ليلىٰ كما في « ديوانه » (ص ٢٥١) ، و« الزهرة » لأبي بكر الأصفهاني (٣٠٣/١ ـ ٣٠٤) ، و« الأغاني » (٤٤٣/٢ ـ ٤٤٤) .

أَيَا جَبَلَيْ نَعْمَانَ بِٱللهِ خَلِّيَا نَسِيمَ ٱلصَّبَا يَخْلُصْ إِلَيَّ نَسِيمُهَا
فَإِنَّ ٱلصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَىٰ نَفْسِ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا [(١)]

وهٰذانِ البيتانِ لامرأةٍ مِن أهلِ نجدٍ ، تزوَّجَتْ برجلٍ مِن أهلِ تهامةَ ، فقالَتْ : ما فعلَتْ ريحٌ كانَتْ تأتينا بنجدٍ لا تأتينا ؟ فقيلَ لها : يحجزُها عنَّا هٰذانِ الجبلانِ ، فقالَتْ : [من الطويل]

أَيَا جَبَلَيْ نَعْمَانَ . . . .

البيتَينِ [(٢)]

* * *

٢٦٥ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو عثمانَ إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ [العَصائديُّ] [(٣)] ، سمعتُ إسماعيلَ بنَ زاهرٍ الطُّوسيَّ [يقولُ] : سمعتُ محمَّدَ بنَ الحسينِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ الحسنِ بنِ خالدٍ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ صالحٍ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدونٍ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ بنَ رزقِ اللهِ يقولُ : خرجتُ يوماً مِنَ المسجدِ ؛ فإذا صبيانٌ يلعبونَ بالجَوْزِ ومشايخُ قعودٌ ، فقلتُ : يا صبيانُ ؛ أما تستحيونَ ؛ مشايخُ قعودٌ وأنتُم تلعبونَ ؟! فقالَ بعضُ الصِّبيانِ : جُزْ يا عمُّ ، قلَّ ورعُهُم . . فقلَّتْ هيبتُهُم [(٤)]

نُكْتَةٌ

[في علاماتِ الإنسانِ الكاملِ]

٢٦٦ ـ وبهِ إلىٰ أبي الفرجِ البصريِّ قالَ : ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ الحسينِ ، ثنا محمَّدُ بنُ المُعلَّىٰ ، ثنا ابنُ دُرَيدٍ ، ثنا أبو حاتمٍ ، عنِ العُتْبيِّ ، عن أبيهِ قالَ : قالَ عمرُ بنُ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/٩٧) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي ، وانظر « الوسيط » للواحدي (٦٣٢/٢ ـ ٦٣٣) ، و« تفسير القرآن » لمنصور السمعاني (٦٣/٣) ، و« وفيات الأعيان » (٢٢١/٤ ـ ٢٢٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٤٨/٣) .

(٢) أخرجه القالي في « الأمالي » (١٨١/٢) ، وانظر « أخبار النساء » لابن الجوزي (٢١) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الغضائري) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٢٠٠/٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٩٠/٣٧ ـ ٣٩١) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٥٥٣) ، والعَصائدي : نسبة إلىٰ عمل (العَصيدة) ، وهي دَقِيق يُخلط بالسَّمن ويُطبخ .

(٤) انظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ١٧٣) ، و« الرسالة القشيرية » (ص ٣٢٨) وفيهما عن علي بن ميمون الرقي ، و« شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (١٨٧/١١) بلا نسبة .

عبدِ العزيزِ : (ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ . . فقد كملَ : مَن إذا غضبَ . . لم يُخرِجْهُ غضبُهُ عنِ الحقِّ ، وإذا رضيَ . . لم يُدخِلْهُ رضاهُ في الباطلِ ، ومَن إذا قدرَ . . عفا وكفَّ)[1]

نُكتةٌ

[في ثلاثةٍ لا عيبَ فيها]

٢٦٧ ـ وبهِ إلىٰ أبي الفرجِ البصريِّ أيضاً قالَ : ثنا القاضي أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأنبأَني [أعلىٰ بدرجتَينِ] ابنُ وَرِّيدةَ ، عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وأبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ قالَ : أنبأَنا عليُّ [بنُ][2] المُحسِّنِ قالَ : أنا المَرْزُبانيُّ ، ثنا ابنُ دُرَيدٍ ، أنا أبو حاتمٍ ، عنِ الأصمعيِّ ، ثنا العلاءُ بنُ حَرِيزٍ ، عن أبيهِ قالَ : قالَ الأحنفُ بنُ قيسٍ : (ثلاثةُ مجالسَ لا عيبَ على الرَّجلِ أن يجلسَها : انتظارُ العلمِ ، وانتظارُ إذنِ السُّلطانِ ، وانتظارُ الجِنازةِ .

وثلاثةٌ لا عيبَ فيهِنَّ : أن يخدمَ الرَّجلُ أباهُ ، وضيفَهُ ، وفرسَهُ)[3]

٢٦٨ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عليٍّ الأنصاريُّ بقراءتي عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ القاضي ، ثنا أبو القاسمِ التَّنُوخيُّ القاضي .

(ح) قالَ أبو سعدٍ : وأخبرَناهُ أبو بكرِ بنُ أبي طاهرٍ الشَّاهدُ بقراءتي عليهِ ، أنبأَنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وكتبَ إليَّ مِن بغدادَ ابنُ وَرِّيدةَ ، ومِن دمشقَ أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ بسندِهِما المُتقدِّمِ إلى التَّنُوخيِّ قالَ[4] : ثنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، عن عبدِ الرَّحمٰنِ ـ هوَ ابنُ أخي الأصمعيِّ ـ ، عن عمِّهِ قالَ : قالَ

---

(١) انظر « الفاضل » للمبرد (ص ٨٩) ، و« نثر الدر » للآبي (١٢١/٢) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٨١٥/٤) بلا نسبة ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٣٠٥٩) ، ونُسب لغيره أيضاً .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه أبو أحمد العسكري في « المصون في الأدب » (ص ٢٠٢) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (١٣١٢/٣) من طريق السمعاني .

(٤) انظر الخبر السابق ، وما تقدم ضمن الخبر (١١) .

سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ يوماً والشُّعراءُ عندَهُ : قد قلتُ نصفاً فأَجيزوهُ ، فقالوا : كيفَ هوَ ؟ فقالَ :

[من الطويل]

نَـــرُوحُ إِذَا رَاحُـــوا وَنَـــغْـــدُو إِذَا غَـــدَوْا

فلم يصنعوا شيئاً ، فدخلَ إلىٰ جاريةٍ لهُ فأخبرَها ، فقالَتْ : كيفَ قلتَ ؟ فأنشدَها ، فقالَتْ :

[من الطويل]

وَعَـــمَّـــا قَـــلِـــيـــلٍ لَا نَـــرُوحُ وَلَا نَـــغْـــدُو [1]

* * *

٢٦٩ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ الهَرَوِيِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ عبدُ الكريمِ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ بقراءتي عليهِ ، أنبأَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليِّ الجَوْهَرِيُّ [قالَ] : أنا أبو الحسنِ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ حمدويهِ الأَرْدُبيليُّ الوزيرُ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي حاتمٍ الرَّازيُّ ، ثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ ، عن يحيى بنِ يمانٍ قالَ : قالَ سفيانُ : (فتنةُ الحديثِ أَشدُّ مِن فتنةِ الذَّهبِ والفضَّةِ) [2]

* * *

٢٧٠ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ المُبارَكِ الحافظُ بقراءتي عليهِ [قالَ] : أنا أبو سعدِ ابنُ نظيفٍ ، أنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ روحٍ النَّهْروانيُّ ، أنا أبو محمَّدٍ طلحةُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ الصُّوفيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي مهزولٍ ، سمعتُ أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ شعيبَ بنَ حربٍ يقولُ : قالَ سفيانُ الثَّوْريُّ : (ما زالَ العلمُ عزيزاً حتَّىٰ حُمِلَ إلىٰ أبوابِ الملوكِ ، فأخذوا عليهِ أجراً ، فنزعَ اللهُ الحَلاوةَ مِن قلوبِهِم ، ومنعَهُمُ العملَ بهِ) [3]

* * *

٢٧١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرِ بنُ أبي حامدِ ابنِ عمرَ بقراءتي عليهِ [قالَ] : أنا أبو القاسمِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٦/٧٠) ، وانظر « المجتنىٰ » لابن دريد (ص ٩٢) ، و« البلدان » لابن الفقيه الهمذاني (ص ١٠٤) عن مسلمة بن عبد الملك .

(٢) أخرجه ابن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٧٢٧/١) ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٨٣/١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٦٣/٦) ، والخطيب البغدادي في « شرف أصحاب الحديث » (٢٧٧) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٢٨٩) مخطوط .

(٣) انظر « الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٤٦٧/١) .

يحيى بنُ أحمدَ بنِ أحمدَ ابنُ السِّيبيِّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْرانَ ، أنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ ، ثنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ ابنُ أبي الدُّنيا ، حدَّثَني أيُّوبُ بنُ معمرٍ قالَ : حاصرَ هارونُ الرَّشيدُ حصناً ؛ فإذا سهمٌ قد جاءَ ، ليسَ لهُ نصلٌ ، حتَّىٰ وقعَ بينَ يدَيهِ ، مكتوبٌ عليهِ : [من الوافر]

إِذَا شَابَ ٱلْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي ... وَصَارَ ٱلْقَارُ كَٱللَّبَنِ ٱلْحَلِيبِ

قالَ هارونُ : اكتبوا عليهِ وردُّوهُ[1] : [من الوافر]

عَسَى ٱلْكَرْبُ ٱلَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ ... يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

قالَ : فافتتحَ الحصنَ بعدَ ذٰلكَ بيومَينِ أو ثلاثةٍ ، فكانَ الرَّجلُ صاحبُ السَّهمِ ممَّن تخلَّصَ ، وكانَ مأسوراً محبوساً فيهِ سنينَ[2] .

نُكْتَةٌ

[في موعظةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ للأحنفِ بن قيسٍ]

٢٧٢ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ بسِنْجَ ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الكريمِ البغداديُّ بها ، أنا الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ ابنِ شاذانَ البَزَّازُ ، أنا أبو محمَّدٍ ميمونُ بنُ إسحاقَ بنِ الحسنِ البصريُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ الفضلِ بنِ السَّمحِ البُوصَرائيُّ[3] ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ عائشةَ .

(ح) وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا خُزَيفةُ بنُ سعدٍ الأَزَجيُّ بقراءتي عليهِ [قالَ] : أنا أحمدُ بنُ الحسنِ المُقرِئُ ، أنا الحسنُ بنُ أحمدَ البَزَّازُ ، أنا أحمدُ بنُ كاملٍ القاضي ، ثنا أحمدُ بنُ حربٍ [قالَ] : ثنا العَيْشيُّ قالَ : ثنا [دُوَيدُ][4] بنُ مجاشعٍ ، عن غالبٍ القَطَّانِ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ ، عنِ الأحنفِ بنِ قيسٍ قالَ : قالَ عمرُ : (يا أحنفُ ؛ مَن كَثُرَ ضحكُهُ . . قلَّتْ هيبتُهُ ، ومَن مَزَحَ . . استُخِفَّ بهِ ، ومَن أكثرَ مِن شيءٍ . . عُرِفَ بهِ ، ومَن

---

(١) هو لهدبة بن خشرم كما في « ديوانه » (ص ٥٩) ، و« الزهرة » لأبي بكر الأصفهاني (١/٤٦٦) ، و« الأمالي » للقالي (١/٧١ ـ ٧٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » (٩٠) .

(٣) البُوصَرائي : نسبة إلىٰ (بُوصَرا) ، وهي قرية من قرىٰ بغداد . « معجم البلدان » (١/٥٠٩) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (دريد) ، والمثبت موافق لما في « المؤتلف والمختلف » للدارقطني (٢/١٠٠٨) ، و« الإكمال » لابن ماكولا (٣/٣٨٦) .

كَثُرَ كلامُهُ . . كَثُرَ سَقَطُهُ ، ومَن كَثُرَ سَقَطُهُ . . قلَّ حياؤُهُ ، ومَن قلَّ حياؤُهُ . . قلَّ ورعُهُ ، ومَن قلَّ ورعُهُ . . ماتَ قلبُهُ)[1]

نكتة

[في شدَّةِ الورعِ]

٢٧٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عبيدٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المُقرِئُ ببُخارىٰ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الحميدِ العوفيُّ إملاءً ، ثنا أبو نصرٍ الشِّيرازيُّ ، ثنا أبو المشهورِ معروفُ بنُ محمَّدِ بنِ معروفٍ ، ثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ الدَّقَّاقُ ، ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ البراءِ العَبْديُّ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ كثيرٍ ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عنِ المسعوديِّ ، عن عونٍ قالَ : كانَ أخوانِ ، فقالَ أحدُهُما لأخيهِ : يا أخي ؛ أيُّ ذنبٍ أذنبتَهُ عندَكَ أعظمُ ؟ قالَ : إذا قمتُ إلى الصَّلاةِ . . أتَّكئُ علىٰ أحدِ قدميَّ أكثرَ مِنَ الأُخرىٰ .

قالَ : فما أعظمُ ذنبٍ عندَكَ أذنبتَهُ ؟ قالَ : أخذتُ سُنبلةً مِن قَراحٍ[2] ، ثمَّ رميتُ بها ، فلا أدري في أيِّ القَراحَينِ طرحتُها .

قال : وأبوهُما يسمعُ فقالَ : اللَّهُمَّ ؛ إن كانا صادقَينِ . . فأَمِتْهُما قبلَ أن يُفتَتَنا ، فخرَّا ميِّتَينِ .

وكانوا يُرَوْنَ أنَّ أباهُما أفضلُ منهُما[3]

نكتة

[في ثلاثةِ أشياءَ عزيزةٍ أو معدومةٍ]

٢٧٤ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ الفَرَضيَّ ، سمعتُ أبا محمَّدٍ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ محمَّدٍ الجَوْهَريَّ ، سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الحسينَ بنَ محمَّدِ بنِ عبيدٍ العَسْكَريَّ ، سمعتُ أبا العبَّاسِ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ مسروقٍ ، سمعتُ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الحلم » (١٢٦) ، وابن دريد في « المجتنىٰ » (ص ٣٨) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٩٧) ، والقالي في « ذيل الأمالي والنوادر » (ص ١١٨ ـ ١١٩) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٢٨٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٦٤٠) .

(٢) القَراح : الحقل .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٤٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٤٩/٤) كلاهما بنحوه ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٨٦٣/٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (١٦٥/١) .

حارثاً المُحاسِبيَّ يقولُ : (ثلاثةُ أشياءَ عزيزةٌ أو معدومةٌ : حسنُ الوجهِ معَ الصِّيانةِ ، وحسنُ الخُلُقِ معَ الدِّيانةِ ، وحسنُ الإخاءِ معَ الأمانةِ)[1]

وأنبأَني بهٰذهِ الحكايةِ ابنُ وَرِّيدةَ ، عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ الأمينيِّ ، وأبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ السَّلامِ ابنُ أبي عصرونٍ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي بسندِهِ . . . فذكرَها .

حكاية

[في توبةِ عشرينَ شخصاً بسببِ بِطِّيخةٍ]

٢٧٥ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ قالَ : أنا والدي ، ومحمَّدُ بنُ أبي بكرٍ السِّنْجيُّ ، وعبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الحُلْوانيُّ فيما أجازوا لي قالوا : أنا أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سهلانَ العجليُّ بالكَرَجِ[2] ، أنا أبو مسلمٍ عمرُ بنُ عليٍّ اللَّيثيُّ الحافظُ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ الملكِ بنُ جمكِ بنِ حجارةَ الطَّبيبُ ببُخارىٰ ، ثنا أبو محمدٍ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ النَّسَفيُّ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ جَهْضَمٍ الهَمَذانيُّ بمكَّةَ ، حدَّثَتْنا فاطمةُ بنتُ أحمدَ أختُ أبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ قالَتْ : سمعتُ أخي يقولُ : كانَ عندَنا ببغدادَ عشرةُ فتيانٍ ، معَهُم عشرةُ أحداثٍ ، معَ كلِّ رجلٍ واحدٌ ، وكانوا مُجتمِعينَ في موضعٍ ، فوجَّهوا واحداً مِنَ الأحداثِ ؛ ليأخذَ لهُم حاجةً ، فأبطأَ عليهِم ، وغضبوا لتأخُّرِهِ عنهُم .

ثمَّ أقبلَ وهوَ يضحكُ ، وبيدِهِ بِطِّيخةٌ ، يُقلِّبُها ويَشَمُّها ، فقالوا : قدِ احتبستَ علينا ثمَّ جئتَنا وأنتَ تضحكُ ؟!

فقالَ : جئتُكُم بفائدةٍ ؛ رأيتُ بشرَ بنَ الحارثِ وضعَ يَدهُ علىٰ هٰذهِ البِطِّيخةِ ، فلم أزلْ واقفاً حتَّى اشتريتُها بعشرينَ درهماً ؛ أتبرَّكُ بموضعِ يدِهِ عليها ، فأخذَ كلُّ واحدٍ منهُمُ البِطِّيخةَ ، وجعلَ يُقلِّبُها ، ويضعُها علىٰ عينَيهِ .

---

(١) أخرجه أبو نصر الطوسي في « اللمع » (ص ٣٧١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٧٥) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/١٠٦) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٢٩) ، وابن الظاهري في « مشيخة ابن البخاري » (١/٦٣٥ ـ ٦٣٦) .

(٢) الكَرَج : مدينة بين أصبهان وهَمَذان . « معجم البلدان » (٤/٤٤٦) .

فقالَ واحدٌ منهُم : بشرٌ كانَ معَنا صاحبَ عصبيَّةٍ أمسِ ، أيُّ شيءٍ بلغَ بهِ هٰذا كلَّهُ حتَّىٰ تفعلوا هٰذا ؟ فقالوا : تقوى اللهِ ، والعملُ الصَّالحُ .

فقالَ : أنا أُشهِدُ اللهَ تعالىٰ وأُشهِدُكُم أنِّي تائبٌ إلى اللهِ تعالىٰ مِن كلِّ شيءٍ لا يرضاهُ منِّي ، فتابوا جميعُهُم ، وخرجوا إلىٰ طَرَسُوسَ ، وغزَوا ، واستُشهِدوا كلُّهُم في موضعٍ واحدٍ [1] .

* * *

٢٧٦ ـ وبهِ إليهِ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ أبي القاسمِ السَّاويَّ بأصبهانَ [2] ، سمعتُ محمَّدَ بنَ عمرَ بنِ القاسمِ يقولُ : [سمعتُ] أبا يوسفَ عبدَ السَّلامِ ابنَ يوسفَ القاضيَ قالَ : رأيتُ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ في المَنامِ ، فقلتُ : أُريدُ أن أقرأَ عليكَ مِن إنشائِكَ شيئاً ، فقالَ : اقرأْ .

فقلتُ : ما أقرأُ ؟ فقالَ : اقرأْ [3] : [من الوافر]

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مُتْنَا تُرِكْنَا ... لَكَانَ ٱلْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيِّ

وَلَٰكِنَّا إِذَا مُتْنَا بُعِثْنَا ... فَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيِّ [4]

حكاية

[إنَّ هٰذا العلمَ مُتَّبَعٌ]

٢٧٧ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو موسى المَدينيُّ مِن لفظِهِ .

(ح) وأنبأَني والدي تغمَّدَهُ اللهُ تعالىٰ برحمتِهِ ، عن أبي الفضلِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ العراقيِّ قالَ : أنبأَنا أبو موسى المَدينيُّ قالَ : أنا أبو طاهرٍ عبدُ الكريمِ ابنُ عبدِ الواحدِ العارفُ ، أنا أبو الحسنِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الملكِ الفارسيُّ فيما كتبَ إليَّ ، ثنا

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٢ ـ ٣) مخطوط ، وابن قدامة في « كتاب التوابين » (ص ٢١٢) ، وانظر « ربيع الأبرار » (١/٢٧٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٩/٢٨٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٣٧٣) .

(٢) **السَّاوي** : نسبة إلىٰ (سَاوة) ، وهي بلدة بين الرَّيِّ وهَمَذان . « الأنساب » (٣/٢٠٦) .

(٣) البيتان لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في « ديوانه » (٢٧٩) ، و« الفاضل » للمبرد (ص ١٣) ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ١٩٧) ، وقيل : لأبي العتاهية ، انظر « ديوانه » (ص ٢٨٧) ط . دار صادر ، وقيل غير ذٰلك .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٣ ـ ٤) مخطوط .

أبو منصورٍ عبدُ الحميدِ بنُ عبدِ اللهِ الفارسيُّ ، ثنا أبو شجاعٍ الفضلُ بنُ العبَّاسِ الهَرَويُّ ، ثنا شَكَّرٌ ، ثنا يحيى بنُ سعيدٍ قاضي غزَّةَ ، ثنا محمَّدُ بن عمرِو بنِ الجرَّاحِ الغَزِّيُّ قالَ : لمَّا نزلَ هارونُ الرَّشيدُ مكَّةَ . . بعثَ إلىٰ مالكِ بنِ أنسٍ ؛ ليُسمِعَ بنيهِ ، فكتبَ إليهِ مالكٌ : (اتَّقِ اللهَ عزَّ وجلَّ يا أميرَ المؤمنينَ ، ولا تضعْ منزلةً رفعَها اللهُ عزَّ وجلَّ ؛ فإنَّ هٰذا العلمَ مُتَّبَعٌ وليسَ بتابعٍ) .

قالَ : فقالَ هارونُ الرَّشيدُ : صدقَ الشَّيخُ ، ارحلوا إليهِ [(١)]

نُكتةٌ

[في النَّظرِ إلىٰ وجهِ البخيلِ]

٢٧٨ ـ وبهِ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ عمرَ الهاشميُّ مِن لفظِهِ ، ثنا الإمامُ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ فاعلٍ السُّرْخَكَتيُّ إملاءً [قالَ] [(٢)] : ثنا القاضي الرَّئيسُ أبو عبدِ اللهِ البَرَقيُّ إمـلاءً [(٣)] ، أنا أبو سعدٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ المالينيُّ الصُّوفيُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ ابنُ جعفرِ بنِ حيَّانَ ، ثنا إسحاقُ ابنُ بيانٍ ، ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ العَطَّارُ ، سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : (النَّظرُ إلىٰ وجهِ البخيلِ يُقسِّي القلبَ) [(٤)]

حكايةٌ

[في لذَّةٍ مِن لذَّاتِ الدُّنيا لم ينلْها المنصورُ]

٢٧٩ ـ وبالأسانيدِ الثَّلاثةِ المُتقدِّمةِ إلىٰ محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ [(٥)] : ثنا القاضي أبو الحسينِ ابنُ الغريقِ مِن لفظِهِ ، ثنا أبو حاتمٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدِ بنِ زكريَّا بنِ يحيى الرَّازيُّ الخُزاعيُّ ـ قدمَ علينا مِنَ الحجِّ ـ في صفرَ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وثلاثِ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٤) مخطوط .

(٢) السُّرْخَكَتي : نسبة إلىٰ (سُرْخَكَت) ، وهي بليدة بغَرْجِستان سَمَرْقَنْد . « معجم البلدان » (٣/٢٠٩) .

(٣) البَرَقي : نسبة إلىٰ (بَرَق) ، وهو بيت كبير من خوارزم . « الأنساب » (١/٣٢٥) .

(٤) أخرجه السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٤ ـ ٥) مخطوط ، وابن أبي الدنيا في « العقل وفضله » (٨٥) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٧٢) ، والسلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٤٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٣٥٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٤٠٨) ، والخطيب البغدادي في « البخلاء » (٨١) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/١٢٣) .

(٥) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٢٤٧) .

مئةٍ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ العَنْبَرِيُّ الأصفهانيُّ ، سمعتُ الفضلَ بنَ الحُبابِ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ سلَّامٍ الجُمَحيَّ يقولُ : قيلَ للمنصورِ : هل بقيَ مِن لذَّاتِ الدُّنيا شيءٌ لم تنلْهُ ؟

قالَ : بقيَتْ خصلةٌ ؛ أن أقعدَ في مِصْطَبَّةٍ وحولي أصحابُ الحديثِ ، فيقولُ المُستملي : مَن ذكرتَ رحمَكَ اللهُ ؟

قالَ : فغدا عليهِ النُّدَماءُ وأبناءُ الوزراءِ بالمحابرِ والدَّفاترِ ، فقالَ : لستُم بهِم ؛ إنَّما هُمُ الدَّنِسةُ ثيابُهُمْ ، المُتشقِّقةُ أرجلُهُمْ ، الطَّويلةُ شعورُهُم ، بُرْدُ الآفاقِ ، ونقلةُ الحديثِ (١)

* * *

٢٨٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ طرادِ بنِ محمَّدِ بنِ عليّ الزَّينبيُّ ، وأبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ المَقْدِسيُّ الحنفيُّ بقراءتي عليهِما قالا : أنا قاضي القضاةِ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليّ الدَّامَغانيُّ ، ثنا القاضي أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليّ الصَّيْمَريُّ ، أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ البصريُّ الفَرَضيُّ ، أنا الحسنُ بنُ محمَّدٍ الفَسَويُّ ، ثنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، ثنا أحمدُ ابنُ يونسَ ، ثنا زائدةُ ، عن هشامٍ ، عنِ الحسنِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : (كانَ الرَّجلُ إذا طلبَ العلمَ . . لم يلبثْ أن يُرىٰ ذٰلكَ في تخشُّعِهِ ، ولسانِهِ ، ويدِهِ ، وبصرِهِ ، وزهدِهِ ، وصلاتِهِ) (٢)

حكاية

[في تسبيحِ داوودَ عليهِ السَّلامُ والضِّفْدِعِ]

٢٨١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو جعفرِ بنُ أبي زيدٍ الصَّبَّاغُ ، ثنا أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ عمرَ المُقرِئُ ، ثنا القاضي أبو عبدِ اللهِ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ سعيدٍ الرَّازيُّ إملاءً مِن لفظِهِ ، ثنا الحسينُ بنُ أحمدَ الجُرْجانيُّ ، ثنا إسماعيلُ بنُ يعقوبَ أبو القاسمِ البغداديُّ ، ثنا أحمدُ بنُ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٦) مخطوط ، ومحمد بن عبد الباقي في « مشيخته » (٥٢) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٣١٢) مخطوط ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٣٢٩ ـ ٣٣٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٥٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٩/٤٧٠) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧٩) ، وأحمد ابن حنبل في « الزهد » (١٤٦٣) ، وهناد بن السري في « الزهد » (١٠٩٩) ، والدارمي في « مسنده » (٣٩٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٧٠) ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٧٨) .

محمَّدِ بنِ غالبٍ ، حدَّثَني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللهِ ، عن إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ ، عن بُردِ بنِ سنانٍ ، عن مكحولٍ ، عن كعبِ الأحبارِ قالَ : قامَ داوودُ النَّبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ليلةً علىٰ ساحلِ البحرِ ، يُصلِّي ويُسبِّحُ اللهَ ويحمدُهُ ، ويقولُ في دعائِهِ : « إِلَـٰهِي ؛ هَدَأَتِ ٱلْأَصْوَاتُ ، وَغَارَتِ ٱلنُّجُومُ ، وَنَامَتِ ٱلْعُيُونُ ، وَعَيْنَا دَاوُودَ لَمْ تَنَمْ ، وَأَنْتَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ » ، فهوَ مُعجَبٌ بليلِهِ .

فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ ضِفْدِعٍ أَنْ أجيبيهِ ، فقالَتْ لهُ الضِّفْدِعُ : يا داوودُ ؛ أعجبَكَ قيامُ ليلةٍ واحدةٍ ، وأنا في مكاني هٰذا منذُ سبعينَ عاماً ، لم يفترْ لساني مِنَ التَّسبيحِ والتَّقديسِ لربِّي ؟!

قالَ داوودُ : « فَبِأَيِّ شَيْءٍ تُسَبِّحِينَ ٱللهَ ؟ » ، قالَتْ : فإنِّي أقولُ[1] : سبحانَ ربِّيَ المعبودِ بكلِّ مكانٍ ، سبحانَ ربِّيَ المشكورِ بكلِّ لسانٍ ، سبحانَ ربِّيَ المحمودِ في كلِّ أوانٍ[2] .

فائدة

[في معاني أصواتِ بعضِ الحيواناتِ]

٢٨٢ ـ وقال كعبٌ : (وصياحُ الأسدِ : أنا كلبُ اللهِ ، سلَّطَني علىٰ مَن يشاءُ مِن خَلْقِهِ ؛ لرزقيَ الَّذي قُدِّرَ لي) .

قالَ : (وصهيلُ الفرسِ والدَّابَّةِ ؛ فإنَّهُ يقولُ : اللَّهُمَّ ؛ حبِّبْني إلىٰ مولايَ ، واجعلْني أَحَبَّ إليهِ مِن أهلِهِ ومالِهِ وولدِهِ ؛ فلذٰلكَ يُستحَبُّ الخيلُ) .

قالَ : (وأمَّا العصافيرُ . . فإنَّها إذا اجتمعَتْ بالغداةِ وجاوبَتْ بعضُها بعضاً بالصِّياحِ . . تُقدِّسُ اللهَ تعالىٰ ، وتسألُهُ قوتَ يومِها) .

٢٨٣ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ الفضلِ الإمامُ بقراءتي عليهِ ، سمعتُ أبا القاسمِ القُشَيريَّ ، سمعتُ غالبَ بنَ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ ، سمعتُ أبا القاسمِ يوسفَ بنَ يحيى الأُشْنانيَّ البغداديَّ صاحبَ الجُنَيدِ يقولُ : قالَ رجلٌ للجُنَيدِ : أُحِبُّ أن تدعوَ لي .

---

(١) عُنْونَ ها هنا في هامش (أ) بـ : (فائدة) .

(٢) انظر « المجالس الوعظية » للسفيري (١/٤٦٢) .

فقالَ جُنَيدٌ : جمعَ اللهُ همَّكَ ، ولا شتَّتَ سرَّكَ ، وقطعَكَ عن كلِّ قاطعٍ يقطعُكَ عنهُ ، وأوصلَكَ إلىٰ كلِّ ما يُوصِلُ إليهِ ، وجعلَ غناكَ في قلبِكَ ، وأدَّبَكَ بأحسنِ آدابِهِ (١) .

* * *

٢٨٤ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ الفضلِ (٢) الحفصيُّ ، أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ العَبْديُّ ، أنا أبي ، أنا إسماعيلُ بنُ عمرٍو ، ثنا محمَّدُ بنُ حامدِ بنِ حُمَيدٍ ، ثنا عليُّ بنُ إسحاقَ ، ثنا محمَّدُ بنُ مروانَ قالَ : قالَ سفيانُ بنُ سعيدٍ : (إذا عرفتَ نفسَكَ . . لا يضرُّكَ ما قيلَ فيكَ) (٣) .

يعني : إذا مُدِحتَ وأُثنيَ عليكَ ، فعرفتَ أنَّكَ لستَ كذٰلكَ . . لم يضرُّكَ .

* * *

٢٨٥ ـ وبهِ قالَ : أنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحافظُ بقراءتي عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ كما تقدَّمَ عن أبي اليُمنِ زيدِ بنِ الحسنِ الكِنْديِّ قالَ : أنبأَنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المُعدِّلُ ، أنا عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الواعظُ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عليٍّ الكِنْديُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ السَّامَرِّيُّ ، ثنا أبو يوسفَ [الزُّهريُّ] (٤) ، ثنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ عيسى بنِ بكَّارٍ ، عن فُلَيحِ بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرِ بنِ أبي كثيرٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ صالحٍ ، عن عمِّهِ سليمانَ بنِ عليٍّ ، عن عكرمةَ قالَ : إنَّا لَمَعَ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ عشيَّةَ عرفةَ . . إذ أقبلَ فتيةٌ يحملونَ فتىً آدمَ مِن بني عُذرةَ (٥) ، قد بَلِيَ بدنُهُ ، وكانَتْ لهُ حلاوةٌ وجمالٌ ،

---

(١) أخرجه الماليني في « الأربعين في شيوخ الصوفية » (ص٢٢٧) ، والرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٢/٣٨٥) كلاهما بنحوه ، وسيأتي بنحوه ضمن الخبر (٦٣٩) ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة) .

(٢) في (أ ، ب ، ج) : (أبي الفضل) ، والمثبت موافق لما في « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (٣/١٥٧٣ ـ ١٥٧٤) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » من رواية نعيم بن حماد (٥٦) ، وأحمد ابن حنبل في « الزهد » (٢١٣٥) ، والفريابي في « صفة النفاق وذم المنافقين » (ص ٨١) ، وأبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (١٦٢٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/٣٩٠) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الزبيري) ، والمثبت موافق لما في « اعتلال القلوب » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٥/٤٥٣) .

(٥) الآدم : الأسمر .

حتَّىٰ وقفوهُ بينَ يدَيهِ ، ثمَّ قالوا : استشفِ لهٰذا يا بنَ عمِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : (وما بهِ ؟) ، قالَ : فترنَّمَ الفتىٰ بصوتٍ ضعيفٍ حتَّىٰ لا يَبِينُ ، وهوَ يقولُ [1] : [من الطويل]

بِنَا مِنْ جَوَى ٱلْأَحْزَانِ وَٱلْحُبِّ لَوْعَةٌ ... تَكَادُ لَهَا نَفْسُ ٱلشَّفِيقِ تَذُوبُ
وَلَٰكِنَّمَا أَبْقَىٰ حُشَاشَةَ مُعْوِلٍ ... عَلَىٰ مَا بِهِ عُودٌ هُنَاكَ صَلِيبُ
وَمَا عَجَبٌ مَوْتُ ٱلْمُحِبِّينَ فِي ٱلْهَوَىٰ ... وَلَٰكِنْ بَقَاءُ ٱلْعَاشِقِينَ عَجِيبُ

ثمَّ شهقَ شهقةً فماتَ .

قالَ عكرمةُ : فكانَ ابنُ عبَّاسٍ بقيَّةَ يومِهِ يتعوَّذُ باللهِ مِنَ الحُبِّ [2] .

* *

٢٨٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ أبي بكرٍ السِّنْجيُّ بمَرْوَ ، أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ الطَّيِّبِ الصَّبَّاغُ ، وأبو منصورٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ الخيَّاطُ قالا : أنا أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ ابنِ بِشْرانَ الواعظُ ، ثنا أبو محمَّدٍ دَعْلَجُ بنُ أحمدَ بنِ دَعْلَجٍ ، ثنا إبراهيمُ بنُ أبي طالبٍ ، ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، أنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا قطبةُ ، عنِ الأعمشِ ، عن مجاهدٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (ما مِن يومٍ يمضي مِن أيَّامِ الدُّنيا . . إلَّا قالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي أخرجَني فلا أرجعُ أبداً) [3]

* *

٢٨٧ ـ وبهِ قالَ : أنا ناصرُ بنُ أبي القاسمِ الواعظُ بقراءتي عليهِ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الغازي إملاءً ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ الكُرَيزيُّ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ الصُّوفيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأصبهانيُّ ، ثنا سهلُ بنُ عليٍّ [4] ، سمعتُ

---

(١) هي لعروة بن حزام كما في « ديوانه » (ص ٢٥ ـ ٢٦) .

(٢) أخرجه البلاذري في « جمل من أنساب الأشراف » (٤/٦٧) ، وثعلب في « مجالسه » (١/٩٤) ، والخرائطي في « اعتلال القلوب » (٧٦٥) ، وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (٢٨/٩٥٨٢) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (١٠٥٢) ، وانظر « الموشىٰ » للوشاء (ص ٩٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٥٩٤) ، وابن أبي الدنيا في « كلام الليالي والأيام لابن آدم » (٦٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/٢٨٤) ، وأبو سعد السمعاني في « المنتخب من معجم شيوخه » (٢/٨٥٠ ـ ٨٥١) كلُّهم من قول مجاهد .

(٤) في مصادر التخريج زيادة : (ثنا أبو عمرانَ الجصَّاصُ قالَ) .

أبا سليمانَ الدَّارانيَّ يقولُ : (إذا جاعَ القلبُ وعطشَ . . صفا ورقَّ ، وإذا شبعَ ورويَ . . عميَ وبَلُدَ)[1]

وقالَ : (استجلبِ الزُّهدَ بقصرِ الأملِ ، وارفعْ أسبابَ الطَّمعِ بالإياسِ والقنوعِ ، [وتخلَّصْ][2] إلىٰ راحةِ القلبِ بصحَّةِ التَّفويضِ)[3]

نكتة

[في نصابِ الوعظِ]

٢٨٨ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ في كتابٍ كتبَهُ أبو حامدٍ الغزاليُّ إلىٰ أبي حامدٍ أحمدَ بنِ سلامةَ بالمَوْصِلِ ، وقالَ في خلالِ فصولِهِ : (أمَّا الوعظُ . . فلستُ أرىٰ نفسي أهلاً لهُ ؛ لأنَّ الوعظَ زكاةٌ نصابُهُ الاتِّعاظُ ، فمَن لا نصابَ لهُ . . كيفَ يُخرِجُ الزَّكاةَ ؟ وفاقدُ النُّورِ كيفَ يستنيرُ بهِ غيرُهُ ؟ ومتىٰ يستقيمُ الظِّلُّ والعودُ أعوجُ ؟

وقد أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ عيسى ابنِ مريمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « عظْ نفسَكَ ؛ فإنِ اتَّعظَتْ . . فعظِ النَّاسَ ، وإلَّا . . فاستحي منِّي »)[4]

* * *

٢٨٩ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ مِن لفظِهِ ، أنا أبو الفتحِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أزدشيرَ ، أنا جدِّي أزدشيرُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ سعيدٍ المَعْدانيُّ ، سمعتُ أبا الحسنِ بنَ سَبُّويهِ ، سمعتُ أبا واثلةَ يحكي عن بعضِهِم ، عن صدقةَ بنِ الفضلِ قالَ : وكانَ قد حجَّ سبعَ مرارٍ راجلاً قالَ : دخلتُ بغدادَ مرَّةً ، وأنا تَعِبٌ جائعٌ ، فدخلتُ مسجداً ، وتوسَّدتُ لَبِنةً ونمتُ ، وإذا إنسانٌ

---

(١) أخرج هٰذا القولَ السلميُّ في « طبقات الصوفية » (ص٧٨ ـ ٧٩) ، والبيهقيُّ في « شعب الإيمان » (٥٣١٣) ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢٩/٣٤) ، وانظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٢٦٠) ، و« إحياء علوم الدين » (٣٠٤/٥) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (تخلص) ، والمثبت من « حلية الأولياء » .

(٣) أخرج القولين أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٦٦/٩) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ٦٣/١) مخطوط من مكتبة باريس ، وذكره التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢١٦/٦) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « المطالب العلية في مناقب الشافعية » لمحمد بن الحسن الواسطي (ق/١٤٧) مخطوط ، وأخرج الأثرَ أحمدُ ابن حنبل في « الزهد » (٣٠٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٨٢/٢) .

يُوقِظُني ، فاستيقظتُ ؛ فإذا أنا بأحمدَ ابنِ حنبلٍ ، وهوَ يستنهضُني ، فقلتُ لهُ : كيفَ عرفتَ أنِّي ها هنا ؟

قالَ : اعلمْ أنِّي كنتُ نائماً ، فرأيتُ في المَنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ : إنَّ صديقَكَ صدقةَ بنَ الفضلِ قد وافىٰ جائعاً كالّاً ، وهوَ نائمٌ في محلَّةِ كذا ، في مسجدِ كذا ، فجئتُ على العلامةِ ، وذهبَ بي إلىٰ منزلٍ لهُ (١)

فَائِدَةٌ

[في حالِ ذاكرِ حِبِّهِ]

٢٩٠ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ المُظفَّرِ ابنُ المُسْلِمةِ ـ هوَ الصُّوفيُّ ـ بقراءتي عليهِ ، أنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ الحاجبُ ، أنا عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القَنْديُّ (٢) ، أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عليِّ الكِنْديُّ بمكَّةَ ، أنا محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ السَّامَرِّيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ سعيدٍ الأُمويُّ ، ثنا العبَّاسُ بنُ الفضلِ ، عن أبي عوانةَ ، عن واقدِ بنِ المُعتمِرِ الضَّبِّيِّ قالَ : رأيتُ رجلاً يسعىٰ بينَ الصَّفا والمروةِ وهوَ يقولُ : [من الطويل]

فَيَا حَبَّذَا سَعْياً إِلَيْهَا مُكَاتِماً ... عَلَىٰ خُفْيَةٍ مِنْ حَاسِدٍ وَمُرَاقِبِ
وَوَٱللهِ لَا أَنْسَىٰ تَكَاتُمَنَا ٱلْهَوَىٰ ... إِذَا مَا جَلَسْنَا بَيْنَ لَاحٍ وَكَاذِبِ
يُخَاطِبُهَا طَرْفِي فَيَفْهَمُ طَرْفُهَا ... وَلَيْسَ لَنَا لَفْظٌ بِغَيْرِ ٱلْحَوَاجِبِ

فقلتُ : يا هٰذا ؛ ما للهِ حججتَ ؟ قالَ : وهلِ الحجُّ إلَّا لهُ ؟! ولٰكنَّها فيضةُ صدرٍ أمدَّهُ بحرٌ مِنَ الحُبِّ ، ما ركبَ فيهِ أحدٌ إلَّا غرقَ ، فاعذرْ مَن لوِ ابتُليتَ بدائِهِ . . عذرَكَ .

واللهِ يا هٰذا ؛ لقد وصلَ إلىٰ قلبي مِن لذَّةِ ذِكْرِ مَن أُحِبُّ في هٰذا الموضعِ . . ما لم يُوصِلْهُ إليهِ شيءٌ مِنَ النَّعيمِ ولو خُلِّدتُ في نعيمِ الدُّنيا كلِّها إلى انقضائِها .

ثمَّ أُغمِيَ عليهِ ساعةً ، ثمَّ أفاقَ فقلتُ : ما أَحلَّ بكَ ما أرىٰ ؟ قالَ : توهَّمتُها جالسةً معي كعادتِها ، ثمَّ ذكرتُ بُعْدَ النَّوىٰ ، فأصابَني ما رأيتَ ، هٰذا لذِكْرِها على البُعْدِ ، فكيفَ تظنُّني والشَّعْبُ مُلتئِمٌ ؟!

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ١/٧١) مخطوط من مكتبة باريس ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/١١٢٩ ـ ١١٣٠) .

(٢) القَنْدي : نسبة إلى (القَنْد) ، وهو شيء من الحلاوة معمول من السُّكَّر . « الأنساب » (٤/٥٤٨) .

قلتُ : أظنُّ أكثرَ مِن هٰذا ، قالَ : إي واللهِ بما لا يُحصيهِ إلَّا الرَّبُّ .

قلتُ : وما [يُبكيكَ وهٰذا] [١] فرحُكَ ؟ فقالَ : أخافُ انقطاعَ المُنىٰ قبلَ اللِّقاءِ .

فعذرتُهُ على الأمرَينِ ، ثمَّ انصرفتُ وأنا لهُ راحمٌ [٢]

حِكَايَة

[المرأةُ النَّاقضةُ عهدَ زوجِها]

٢٩١ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ المُظفَّرِ الصُّوفيُّ بسندِهِ المُتقدِّمِ إلىٰ محمَّدِ بنِ جعفرٍ قالَ : ثنا عمارةُ بنُ وَثِيمةَ المصريُّ ، ثنا أبي ، عنِ الهيثمِ بنِ عديٍّ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (عاهدَ رجلٌ امرأتَهُ وعاهدَتْهُ أَنْ لا يتزوَّجُ الباقي منهُما ، فهلكَ الرَّجلُ ، فلم تلبثِ المرأةُ أن تزوَّجَتْ .

فلمَّا كانَ ليلةُ البِناءِ بها . . نامَتْ في أوَّلِ اللَّيلِ ، فأتاها آتٍ في المَنامِ ، فقالَ : [من البسيط]

حَيَّيْتُ سَاكِنَ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ كُلَّهُمُ ... إِلَّا ٱلرَّبَابَ فَإِنِّي لَا أُحَيِّيهَا

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهَا لِلْعَهْدِ حَافِظَةً ... حَتَّىٰ تَمُوتَ وَمَا جَفَّتْ مَآقِيهَا

اِسْتَبْدَلَتْ بَدَلاً غَيْرِي وَقَدْ عَلِمَتْ ... أَنَّ ٱلْقُبُورَ تُوارِي مَنْ ثَوَىٰ فِيهَا

أَمْسَتْ عَرُوساً وَأَمْسَىٰ مَنْزِلِي جَدَثاً ... تَحْتَ ٱلتُّرَابِ وَإِنِّي لَا أُلَاقِيهَا

فقامَتِ المرأةُ فزعةً ، فقالَتْ : لا يجتمعُ رأسي ورأسُ هٰذا أبداً ، فاختلعَتْ مِن زوجِها ، ودفعَتْ إليهِ كلَّ قليلٍ وكثيرٍ هوَ لها) [٣]

* * *

٢٩٢ ـ وبهِ قالَ : وقريبٌ مِن هٰذهِ الحكايةِ ما أخبرَنا بهِ أبو القاسمِ عليُّ بنُ طرادِ بنِ محمَّدٍ الزَّينبيُّ ببغدادَ ، وأبو سعدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ الحافظُ بمكَّةَ ، وأبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ نصرِ بنِ محمَّدٍ الجُهَنيُّ بالمَوْصِلِ ، وأبو الكرمِ المُبارَكُ بنُ مسعودِ ابنِ خميسٍ بقراءتي عليهِم قالوا : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ البغداديُّ قالَ :

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من « اعتلال القلوب » .

(٢) أخرجه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (٤٦٨) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٢٣٥) ، والخرائطي في « اعتلال القلوب » (٤٤٧) ، وانظر « المنازل والديار » لابن منقذ (ص٤٠٧) ، و« أخبار النساء » لابن الجوزي (١٧٦) .

أنا أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدٍ الواعظُ ، أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ الكِنْديُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ السُّرَّمَرِّيُّ ، ثنا الحسنُ بنُ عليٍّ الخَزَّازُ الكُوفيُّ ، عن أبي الحسنِ المدائنيِّ قالَ : احتُضِرَ رجلٌ مِنَ العربِ ، فنظرَ إلى ابنِهِ يَدِبُّ بينَ يدَيهِ ، وأُمُّ الصَّبيِّ عندَ رأسِهِ جالسةٌ ، واسمُ الصَّبيِّ : مَعمَرٌ ، قالَ : [من الطويل]

وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ أَنْ أَمُوتَ فَتُنْكَحِي ... وَيُقْذَفَ فِي أَيْدِي ٱلْمَرَاضِعِ مَعْمَرُ

وَتُرْخَىٰ سُتُورٌ دُونَهُ وَقَلَائِدٌ ... وَأَشْغَلُكُمْ عَنْهُ خَلُوقٌ[1] وَمِجْمَرُ

قالَ : فما لبثَ أن ماتَ ، فتزوَّجتَ وصارَ مَعمَرٌ إلىٰ ما ذكرَ[2]

نُكْتَة

[في خصالٍ يحتاجُ إليها طالبُ العلمِ]

٢٩٣ ـ وبهِ قالَ : أنا عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الفَرْغُوليُّ[3] ، أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ منصورٍ الفقيرُ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الفارسيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ شاذانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ يعقوبَ الوَرَّاقِ ، سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ الإمامَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (يحتاجُ طالبُ العلمِ إلىٰ ثلاثِ خصالٍ : الأوَّلُ : العمرُ ، والثَّاني : سَعةُ اليدِ ، والثَّالثُ : الذَّكاءُ)[4]

٢٩٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ بمَرْوَ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ محمودٍ الجَوْهَريُّ ، أنا أبو طالبٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ ابنِ غيلانَ البَزَّازُ ، ثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ يحيى المُزَكِّي ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ الماسَرْجِسيُّ[5] ، ثنا الحسنُ بنُ عيسىٰ ، ثنا ابنُ المُبارَكِ ، ثنا رباحُ بنُ زيدٍ ، ثنا

---

(١) الخَلُوق : ضرب من الطِّيب يتَّخذ من الزَّعْفَران .

(٢) أخرجه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١١٥/٤ ـ ١١٦) ، وابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٢٧٣) ، والخرائطي في « اعتلال القلوب » (٤٤٢) ، وانظر « الموشىٰ » للوشاء (ص ١٠٥ ـ ١٠٦) .

(٣) الفَرْغُولي : نسبة إلىٰ (فَرْغُول) ، وهي قرية من قرىٰ دِهِسْتان . « معجم البلدان » (٢٥٤/٤) .

(٤) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (١٤٢/٢) ، والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (٨٣٥) ، ومحمد بن عبد الباقي في « مشيخته » (٦٠) ، وقوام السنة في « سير السلف الصالحين » (١١٧٢/٣) ، والصريفيني في « المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور » (ص ٨٢) .

(٥) الماسَرْجِسي : نسبة إلىٰ (ماسَرْجِس) ، وهو أحد أجداده . « الأنساب » (١٦٨/٥) .

[عبدُ العزيزِ][1] بنُ حَوْرانَ[2] ، سمعتُ وهبَ بنَ مُنبِّهٍ يقولُ : (مَثَلُ الدُّنيا والآخرةِ كمَثَلِ رجلٍ لهُ ضَرَّتانِ ؛ إن أرضىٰ إحداهُما . . أسخطَ الأُخرىٰ)[3]

* * *

٢٩٥ ـ وبهِ قالَ : أنا والدي إجازةً ، وأبو القاسمِ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ طاهرِ بنِ سعيدٍ المَيْهَنيُّ ببغدادَ[4] ، وأبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السِّنْجيُّ بقراءتي عليهِما قالوا : أنا محمَّدُ بنُ أبي حاتمٍ القَزْوينيُّ إملاءً بمكَّةَ ، أنا والدي أبو حاتمٍ محمودُ بنُ الحسنِ ، ثنا أبو حامدٍ الإسْفَرايِنيُّ ، ثنا ابنُ عبدكٍ الرَّازيُّ ، ثنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ أبي حاتمٍ الرَّازيُّ ، ثنا أبي ، أخبرَني يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ قالَ : قالَ ليَ الشَّافعيُّ رحمَهُ اللهُ : (اعلمْ أنَّهُ ليسَ إلى السَّلامةِ مِنَ النَّاسِ سبيلٌ ، فانظرِ الَّذي فيهِ صلاحُكَ فالزمْهُ)[5]

* * *

٢٩٦ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ محمودٍ الشُّجاعيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ زيدٍ الحسينيُّ ، أنا أبو الفضلِ ثابتُ بنُ يوسفَ بنِ إبراهيمَ السَّهْميُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سليمانَ الحضرميُّ ، ثنا محمَّدُ ابنُ نُمَيرٍ .

[(ح)][6] ثنا أبي[7] ، ثنا أبو نُعَيمٍ ، ثنا عمَّارُ بنُ رجاءٍ ، سمعتُ أحمدَ بنَ أبي طيبةَ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الكريم) ، والمثبت موافق لما في « حلية الأولياء » ، و« الضعفاء » ، و« الزهد » ، وانظر « لسان الميزان » لابن حجر (١٩٦/٥) .

(٢) كذا في (أ ، ب ، ج) بحاء مهملة ، وفي « ميزان الاعتدال » (٦٢٧/٢) : (والأصحُّ بجيمٍ) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٥٩٤) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (٦٤) ، والختلي في « الديباج » (ص ٩٦) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٧٧٥/٣) ، والدارقطني في « المزكيات » (١٤٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥١/٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٩٤/٦٣) .

(٤) المَيْهَني : نسبة إلىٰ (مَيْهَنة) ، وهي قرية من قرىٰ خابران بخُراسان . « معجم البلدان » (٢٤٧/٥) .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق/٢١) مخطوط من مكتبة تشستر بيتي بنحوه ، وابن أبي حاتم في « آداب الشافعي ومناقبه » (ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩) ، وأبو سليمان الخطابي في « العزلة » (ص ٨٩) بنحوه ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٤٧/٩ ـ ١٤٨) بنحوه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٢/٥١ ـ ٤١٣) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥٢/١٠) ، وفي هامش (أ) : (مكرور) ، وقد تقدم ضمن الخبر (٢٤٥) .

(٦) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق ، وقد استأنسنا بإسناد الصريفيني في « المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور » .

(٧) يعني : والد ثابت بن يوسف السَّهميَّ ؛ وهو يوسف بن إبراهيم بن موسى ، السَّهميُّ الجُرْجانيُّ ، توفِّي سنة (٣٨٦هـ) ، انظر « تاريخ الإسلام » (١٣١/٢٧) .

يقولُ : (أبناءُ الكرامِ إذا تعلَّموا . . تواضعوا ، وأبناءُ السَّفِلِ إذا تعلَّموا . . تجبَّروا) [1]

نُكْتَةٌ

[في دلالةِ العلمِ علىٰ تَرْكِ الدُّنيا]

٢٩٧ ـ وبهِ إلىٰ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ زيدٍ قالَ : أنا أبو القاسمِ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الحافظُ ، ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ابنُ حَيُّويهِ الخَزَّازُ ، ثنا أبو بكرِ بنُ أبي داوودَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ خُبَيقٍ قالَ : قالَ ابنُ المُبارَكِ : (طلبْنا العلمَ للدُّنيا فدلَّنا علىٰ تَرْكِ الدُّنيا) [2]

حِكَايَةٌ

[محمَّدُ بنُ منصورٍ الطُّوسيّ معَ السَّفرجلةِ]

٢٩٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو العزِّ محمَّدُ بنُ المُختارِ البغداديُّ ، أنا [أبو محمَّدٍ] [3] الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ حمدانَ ، ثنا العبَّاسُ بنُ يوسفَ الشِّكْليُّ ، ثنا سعيدُ بنُ عثمانَ قالَ : كنَّا عندَ محمَّدِ بنِ منصورٍ يوماً ، وعندَهُ جماعةٌ مِن أصحابِ الحديثِ ، وجماعةٌ مِنَ الزُّهادِ ، وسمعتُهُ يقولُ : صمتُ يوماً وقلتُ : لا آكلُ إلَّا حلالاً ، فمضىٰ يومي ولم أجدْ شيئاً ، فواصلتُ اليومَ الثَّانيَ واليومَ الثَّالثَ والرَّابعَ ، حتَّىٰ كانَ عندَ الفطرِ . . قلتُ : لأجعلَنَّ فطري عندَ مَن يُزَكِّي اللهُ عزَّ وجلَّ طعامَهُ ، فصرتُ إلىٰ معروفٍ الكَرْخيِّ ، فسلَّمتُ عليهِ ، [وقعدتُ حتَّىٰ صلَّى المغربَ ، وخرجَ مَن كانَ معَهُ في المسجدِ ، فما بقيَ إلَّا أنا] [4] وهوَ ورجلٌ آخرُ ، فالتفتَ إليَّ فقالَ لي : يا طُوسيُّ ، قلتُ : لبَّيكَ .

---

(١) أخرجه أبو عثمان البحيري في « فوائده » (ق/٦٢) مخطوط بنحوه ، والصريفيني في « المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور » (ص ٦٠) .

(٢) أخرجه أبو طاهر السلفي في « منتقىً من السفينة البغدادية » (٦) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٩٧/٤) ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٢٧/٧) ، و« تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٧٩٣) ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ١٣٨) ، و« وفيات الأعيان » (٣٤/٣) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو علي) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (٦٨/١٨) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٢٦٩ ، ٢٧٤) .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

فقالَ لي : تحوَّلْ إلىٰ أخيكَ فتعشَّ معَهُ ، فقلتُ في نفسي : صمتُ الأيَّامَ وأُفطِرُ علىٰ ما لا أعلمُ ؟! فقلتُ : ما بي مِن عَشاءٍ .

ثمَّ ردَّ القولَ ، فقلتُ : ما بي مِن عَشاءٍ ، ثمَّ فعلَ ذٰلكَ الثَّالثةَ ، فقلتُ : ما بي مِن عَشاءٍ .

فسكتَ عنِّي ساعةً ، ثمَّ قالَ لي : تقدَّمْ إليَّ ، فتحاملتُ ، وما بي مِن تحامُلٍ مِن شدَّةِ الضَّعفِ ، فقعدتُ عن يسارِهِ ، فأخذَ كفِّيَ اليُمنىٰ ، فأدخلَها في كمِّهِ الأيسرِ ، فأخذتُ مِن كمِّهِ سفرجلةً معضوضةً ، فأكلتُها ، فوجدتُ فيها طعمَ كلِّ طعامٍ طيِّبٍ ، واستغنيتُ بها عنِ الماءِ ، وما أكلتُ منذُ ذٰلكَ حُلواً ولا غيرَهُ إلَّا أصبتُ فيهِ طعمَ تلكَ السَّفرجلةِ .

ثمَّ التفتَ محمَّدُ بنُ منصورٍ إلىٰ أصحابِهِ وقالَ : نشدتُكُم باللهِ ؛ إن حدَّثْتُم بهٰذا عنِّي وأنا حيٌّ[1]

نُكتَةٌ

[في سُكرٍ وصُلحٍ]

٢٩٩ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ ناصرٍ السَّلاميَّ ، سمعتُ أبا محمَّدٍ رزقَ اللهِ بنَ عبدِ الوهَّابِ التَّميميَّ ، سمعتُ عمِّي أبا الفضلِ التَّميميَّ يقولُ : (رأيتُ مجنوناً ببابِ الشَّامِ سكرانَ قد أخذَ مِن رجلٍ نبيذاً ، فقلبَهُ على الأرضِ ، فقيلَ لهُ : أنتَ سكرانُ وتفعلُ هٰذا ؟! فقالَ : ألا أتركُ للصُّلحِ موضعاً ؟!) .

حِكَايَةٌ

[صخرُ بنُ عمرٍو ابنِ الشَّريدِ معَ أُمِّهِ وامرأتِهِ]

٣٠٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو العزِّ أحمدُ بنُ عبيدِ اللهِ ابنِ كادِشٍ العُكْبَريُّ كتابةً ، أنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ الحسينِ الجازريُّ ، أنا أبو الفرجِ المُعافى بنُ زكريَّا النَّهْروانيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، أنا أبو حاتمٍ ، ثنا الأصمعيُّ قالَ : التقىٰ صخرُ بنُ عمرٍو ابنِ الشَّريدِ ورجلٌ مِن بني أسدٍ ، فطعنَ الأَسَديُّ صخراً ، فقيلَ لصخرٍ : كيفَ طعنَكَ ؟ قالَ : كانَ رمحُهُ أطولَ مِن رمحي بأنبوبٍ ، فضَمِنَ صخرٌ منها ، فطالَ مرضُهُ .

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق١/١٠٠) مخطوط من مكتبة باريس ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/٤٠٧ ـ ٤٠٨) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٢٦/٥٠١ ـ ٥٠٢) ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٢/٣٥٦ ـ ٣٥٧) .

وكانَتْ أُمُّهُ إذا سُئِلَتْ عنهُ . . قالَتْ : نحنُ بخيرٍ ما رأيْنا سوادَهُ بينَنا ، وكانَتْ امرأتُهُ إذا سُئِلَتْ عنهُ . . قالَتْ : لا حيٌّ فيُرجىٰ ، ولا ميّتٌ فيُنعىٰ .

فقالَ صخرٌ[1] : [من الطويل]

أَرَىٰ أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي ... وَمَلَّتْ سُلَيْمَىٰ مَضْجَعِي وَمَكَانِي

إِذَا مَا ٱمْرُؤٌ سَوَّىٰ بِأُمٍّ حَلِيلَةً ... فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي أَذىً وَهَوَانِ

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيْقَظْتِ لَوْ كَانَ نَائِماً ... وَأَسْمَعْتِ لَوْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

بَصِيراً بِوَجْهِ ٱلْحَزْمِ لَوْ يَسْتَطِيعُهُ !! ... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ ٱلْعَيْرِ وَٱلنَّزَوَانِ[2]

قالَ المُعافىٰ : (فضِمنَ) : معناهُ : [سَقِمَ][3] وبَلِيَ جسمُهُ[4]

حكاية

[الفقيهُ الطُّرْطُوشيُّ وهِمْيانُهُ الضَّائعُ]

٣٠١ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ [أبا الحسينِ][5] إبراهيمَ بنَ مهديٍّ الإسكندريَّ مذاكرةً بنَيْسابورَ يقولُ : وردَ شيخُنا الفقيهُ الطُّرْطُوشيُّ[6] بغدادَ ، وكانَ في طريقِهِ عليهِ كِساءٌ وقَلَنسوةٌ ، وكانَ معَهُ هِمْيانٌ فيهِ مئتا دينارٍ ، فاتَّفقَ أن في الطَّريقِ أرادَ أن يتوضَّأَ ، فوضعَهُ في موضعٍ ونسيَهُ ، فوجدَهُ رجلٌ فيهِ دينٌ وخيرٌ ، فصبرَ يومَينِ ، فرآهُ لا يضطربُ ولا يطلبُ شيئاً .

---

(١) هي له كما في « الأصمعيات » (ص١٤٦ ـ ١٤٧) ، و« الشعر والشعراء » لابن قتيبة (١/٣٤٤ ـ ٣٤٥) ، و« الحماسة البصرية » (٣/١٤٥٣ ـ ١٤٥٤) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٢٣ ـ ٢٤) مخطوط ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢/١٠٠ ـ ١٠١ ، ١٨٥ ـ ١٨٦) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (سلم) ، والمثبت من « الجليس الصالح » .

(٤) انظر « الجليس الصالح » (٢/١٨٦) ، و« مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٢٤) مخطوط ، وفيه : (وقولُها : « ما رأيْنا سوادَهُ » ؛ يعني : شخصَهُ ، و« العَيْرُ » ها هنا : الحمارُ ، وهوَ اسمٌ يقعُ علىٰ أشياءَ ذواتِ عددٍ ، منها اسمُ جبلٍ ، ويُقالُ للملكِ وللوتدِ : عَيْرٌ ، و« النَّزَوانُ » : التَّوثُّبُ والتَّحرُّكُ صعداً) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحسين بن) ، والمثبت موافق لما في « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (١/٣٥٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٧/٣٥٥) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٣٠٢) .

(٦) توفِّي الطُّرْطُوشيُّ سنة عشرين وخمس مئة عن سبعين سنة في جمادى الأولىٰ ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

فقالَ لهُ الرَّجلُ : هل ضاعَ منكَ شيءٌ ؟ قالَ : خيرٌ ، وما قالَ لهُ شيئاً ، فأخرجَ الهِمْيانَ وقالَ : هٰذا لكَ ؟ قالَ : بلىٰ ، وأخذَهُ منهُ .

فقالَ لهُ الرَّجلُ : ما لكَ سكتَّ ؟ فقالَ : إذا قلتُ : ضاعَ منِّي مئتا دينارٍ وعليَّ هٰذهِ البزَّةَ . . مَن كانَ يُصدِّقُني ؟! (1)

* * *

٣٠٢ ـ وسمعتُهُ يقولُ : (كانَ باللَّيلِ الفقهاءُ يُكرِّرونَ وينامونَ ، فيجيءُ الفقيهُ الطُّرْطُوشيُّ ويتركُ الدَّنانيرَ الصِّحاحَ في فِيهِم ، فكانَ الفقيهُ إذا انتبهَ . . يجدُ الذَّهبَ في فِيهِ ، ولا يعلمُ مَن تركَهُ فيهِ) (2)

* * *

٣٠٣ ـ وسمعتُ أبا الحسينِ الإسكندريَّ يقولُ : جاءَ بعضُ المغاربةِ إلى الفقيهِ الطُّرْطُوشيِّ ، وتركَ عندَهُ ثلاثَ مئةِ دينارٍ ، وقالَ : إن رجعتُ . . فهيَ لي ، وإن متُّ . . فهيَ للفقهاءِ تُفرِّقُها عليهِم .

فلمَّا رجعَ الحاجُّ . . تأخَّرَ الرَّجلُ ، فقالَ جماعةٌ : ماتَ فلانٌ ، وغسَّلْناهُ ودفنَّاهُ في الموضعِ الفلانيِّ .

فلمَّا سمعَ الفقيهُ هٰذا . . قامَ ودخلَ الدَّارَ ، وأخرجَ الدَّنانيرَ ، وفرَّقَها على الفقهاءِ .

فبعدَ أشهرٍ قدمَ المغربيُّ صاحبُ الوديعةِ ، وطلبَ منهُ ما أودعَ ، فقالَ : أليسَ قد مُتَّ ؟ فقالَ : لا ، ها أنا حيٌّ ، فاستدعىٰ بالفقهاءِ وقالَ : الدَّنانيرُ الَّتي فرَّقتُها عليكُم كانَتْ للرَّجلِ ، ودخلَ دارَهُ ، وأخرجَ عوضَ ذهبِ الرَّجلِ ـ أوِ استدانَ ـ وردَّها على المغربيِّ ، وقالَ : قد تأذَّيْنا بوديعتِكَ .

* * *

٣٠٤ ـ وبهِ قالَ : أنشدَنا أبو الفرجِ عبدُ الخالقِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ القادرِ الحافظُ ، أنشدَنا الشَّيخُ الإمامُ أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ هبةِ اللهِ البَنْدَنيجيُّ الضَّريرُ نزيلُ مكَّةَ (3) ولم يُسَمِّ قائلاً (4) :

[من مجزوء الرمل]

---

(1) انظر « سراج الملوك » (ص ٥٧٤ ـ ٥٧٥) . (2) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/٤٩٢) .

(3) توفِّي أبو نصر هٰذا بعد سنة تسعين وأربع مئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) ، والبَنْدَنيجي : نسبة إلىٰ (بَنْدَنيجين) بلفظ التثنية ؛ وهي بلدة مشهورة بطرف النَّهْروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد . « معجم البلدان » (١/٤٩٩) .

(4) الأبيات لمِسْعَر بن كِدَام كما في « آداب الصحبة » للسلمي (٢٠١) ، ونسبت لناصر الدولة في « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٢/٥٧٣) .

مَـــنْ دَعَـــانَـــا فَـــأَبَـــيْـــنَـــا   فَـــلَـــهُ ٱلْـــفَـــضْـــلُ عَـــلَـــيْـــنَـــا
فَـــإِذَا نَـــحْـــنُ أَتَـــيْـــنَـــا   رَجَـــعَ ٱلْـــفَـــضْـــلُ إِلَـــيْـــنَـــا

٣٠٥ ـ وبهِ قالَ : أنشدَنا أبو سعدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ الحافظُ إملاءً بمكَّةَ باستملائي عليهِ قالَ : أنشدَنا أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ هبةِ اللهِ البَنْدَنيجيُّ فقيهُ أهلِ مكَّةَ[1] : [من الوافر]

قَـطَـعْـتُ ٱلْأَرْضَ فِـي شَـهْـرَيِ رَبِـيـعٍ   إِلَـىٰ مِـصْـرٍ وَعُـدْتُ إِلَى ٱلْـعِـرَاقِ
وَقَـالَ لِـيَ ٱلْـحَـبِـيـبُ وَقَـدْ رَآنِـي   سَبُـوحـاً فِـي ٱلْـجِـيَـادِ مِـنَ ٱلْـعِـتَـاقِ :
رَكِـبْـتَ عَـلَى ٱلْـبُـرَاقِ ؟ فَـقُـلْـتُ : كَـلَّا   وَلَـٰـكِـنِّـي رَكِـبْـتُ عَـلَـى ٱشْـتِـيَـاقِ

حكاية

[في مسألةِ أبي حنيفةَ والثَّوْريِّ وزُفَرَ]

٣٠٦ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ الصَّائغُ الدَّقَّاقُ بقراءتي عليهِ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ابنُ النَّقُّورِ البَزَّازُ ، أنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ كثيرٍ الكَتَّانيُّ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ الفضلِ الدَّقَّاقُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ أيُّوبَ الخَزَّازُ المُقرِئُ ، ثنا سعيدُ بنُ يحيى الأُمويُّ ، ثنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ مالكِ بنِ مِغْوَلٍ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ أبي حنيفةَ رحمَهُ اللهُ فقالَ : يا أبا حنيفةَ ؛ شربتُ البارحةَ نبيذاً ، فلا أدري أطلَّقتُ امرأتي أم لا ، فقالَ لهُ : المرأةُ امرأتُكَ حتَّىٰ تستيقنَ أنَّكَ قد طلَّقتَها .

قالَ : فتركَهُ ، ثمَّ جاءَ إلىٰ سفيانَ الثَّوْريِّ ، فقالَ لهُ : شربتُ البارحةَ نبيذاً ، فلا أدري أطلَّقتُ امرأتي أم لا ، قالَ : اذهبْ فراجِعْها ؛ فإن كنتَ طلَّقتَها . . فقد راجعتَها ، وإن لم تكُ طلَّقتَها . . فلا يضرُّكَ مِنَ المراجعةِ شيءٌ .

ثمَّ تركَهُ ، وجاءَ إلىٰ شريكِ بنِ عبدِ اللهِ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ شربتُ البارحةَ

---

(١) هي للوزير المغربي أبي القاسم في « دمية القصر » للباخرزي (١/١٠٥) ، و« معجم الأدباء » (٣/١١٠١) ط . دار الغرب الإسلامي ، و« ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (١٩/١٢٦) ، ونسبت للقاضي عبد الوهاب المالكي في « الذخيرة » لابن بسام (٤/٣٢٠) ، و« وفيات الأعيان » (٣/٢٢١) .

نبيذاً ، فلا أدري أطلَّقتُ امرأتي أم لا ، قالَ : اذهبْ فطلِّقْها ثمَّ راجِعْها .

قالَ : فتركَهُ ، ثمَّ جاءَ إلىٰ زُفَرَ بنِ الهُذَيلِ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ[1] ؛ شربتُ البارحةَ نبيذاً ، فلا أدري أطلَّقتُ امرأتي أم لا ، قالَ : هل سألتَ أحداً قبلي ؟ قالَ : نعم ، قالَ : مَن ؟ قلتُ : أبا حنيفةَ .

قالَ : ما قالَ لكَ ؟ قالَ : المرأةُ امرأتُكَ حتَّىٰ تستيقنَ أنَّكَ قد طلَّقتَها أم لا ، قالَ : الصَّوابَ قالَ لكَ .

قالَ : هل سألتَ غيرَهُ ؟ قالَ : سفيانَ الثَّوْريَّ .

قالَ : فما قالَ لكَ ؟ قلتُ : قالَ ليَ : اذهبْ فراجِعْها ؛ فإن كنتَ قد طلَّقتَها . . فقد راجعتَها ، وإن لم تكُ طلَّقتَها . . فلا يضرُّكَ .

قالَ : فما أحسنَ ما قالَ لكَ !! هل سألتَ غيرَهُ ؟ قلتُ : شريكَ بنَ عبدِ اللهِ .

قالَ : فما قالَ لكَ ؟ قالَ : قالَ ليَ : اذهبْ فطلِّقْها ثمَّ راجِعْها .

قالَ : فضحكَ زُفَرُ بنُ الهُذَيلِ ثلاثاً ، ثمَّ قالَ : لأضربَنَّ لهُم مثلاً ؛ رجلاً مرَّ بمَثْعَبٍ يسيلُ[2] ، فأصابَ الماءُ ثوبَهُ .

قالَ لكَ أبو حنيفةَ : ثوبُكَ طاهرٌ ، وصلاتُكَ تامَّةٌ حتَّىٰ تستيقنَ أمرَ الماءِ .

وقالَ لكَ سفيانُ الثَّوْريُّ : اغسلْهُ ؛ فإن يكُ نجساً . . فقد طَهُرَ ، وإن يكُ طاهراً . . فقد زدتَهُ طهارةً إلىٰ طهارتِهِ .

وقالَ لكَ شريكُ بنُ عبدِ اللهِ : بُلْ عليهِ ثمَّ اغسلْهُ[3]

* * *

٣٠٧ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا سعدٍ محمَّدَ بنَ الهيثمِ السلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا مسعودٍ سليمانَ بنَ إبراهيمَ الحافظَ ، سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ الحسنِ بنِ راهَوَيهِ بنِ عليٍّ

---

(١) كذا وردت تكنيته موافقاً لما في « منازل الأئمة الأربعة » للسلماسي (ص١٧٨) ، وهي في أكثر المصادر : (أبو الهذيل) .

(٢) المَثْعَب : المرزاب .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ١/١٣٤) مخطوط من مكتبة باريس ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٥٠٤ ـ ٥٠٥) ، وأبو الفتوح الطائي في « الأربعين في إرشاد السائرين » (ص ١٧١ ـ ١٧٢) .

الصُّوفيَّ الإِصْطَخْريَّ بها ، سمعتُ أبا العبَّاسِ أحمدَ بنَ محمَّدٍ ، سمعتُ أبا محمَّدٍ الحسنَ بنَ محمَّدِ بنِ سعيدٍ الدِّينَوَريَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ الفضلِ الفقيهَ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ الزَّينبيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ سالماً المدنيَّ يقولُ : بينَما الشَّافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ببغدادَ يومَ جمعةٍ في حَلْقةٍ ينتظرُ أصحابَهُ للمناظرةِ . . إذ طُرِحَتْ بينَ يدَيهِ رقعةٌ ، فقرأَها فإذا فيها شِعرٌ : [من الطويل]

عَفَا ٱللهُ عَنْ عَبْدٍ أَعَانَ بِدَعْوَةٍ ... خَلِيلَيْنِ كَانَا دَائِمَيْنِ عَلَى ٱلْوُدِّ

إِلَىٰ أَنْ وَشَىٰ وَاشِي ٱلْهَوَىٰ بِنَمِيمَةٍ ... إِلَىٰ ذَاكَ مِنْ هَـٰذَا فَحَالَا عَنِ ٱلْعَهْدِ

قالَ : فمدَّ الشَّافعيُّ رحمَهُ اللهُ يدَهُ ، فدعا لصاحبِ الرُّقعةِ (١)

*

٣٠٨ ـ وذكرَ أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ هـٰذهِ الحكايةَ بزيادةٍ في موضعٍ آخرَ مِن « ذيلِهِ » علىٰ غيرِ هـٰذا الوجهِ فقالَ : أنا هبةُ اللهِ بنُ المُكرَّمِ الصُّوفيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا إبراهيمُ بنُ عليٍّ النَّوْبَنْدَجانيُّ قراءةً عليهِ (٢) ، أنا سعدُ بنُ عليٍّ الزَّنْجانيُّ .

(ح) وقرأتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ عليٍّ الخيَّاطِ المُقرِئِ ، عن أبي القاسمِ سعدِ بنِ عليٍّ الزَّنْجانيِّ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرٍ السَّاحليُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ السَّخليُّ ، ثنا أبو الميمونِ محمَّدُ ابنُ أحمدَ ابنِ مُطرِّفٍ ، ثنا أبو بكرٍ ابنُ الحَدَّادِ قالَ : كنتُ في مجلسِ أبي عبيدٍ القاضي بمصرَ ؛ إذ أقبلَ خادمٌ مُسرِعاً ، حسنُ الصُّورةِ ، جميلُ الهيئةِ ، طيِّبُ الرَّائحةِ ، ثمَّ وقفَ علىٰ رأسِهِ ، وطرحَ رقعةً في حجرِهِ ، فقرأَها أبو عبيدٍ ، ثمَّ قالَ : اللَّهُمَّ ؛ اجمعْ بينَهُما علىٰ رضاكَ .

قالَ : ثمَّ أنشأَ ـ يعني : الخادمَ ـ يقولُ : [من مخلع البسيط]

أَنْكَرْتَ حُبِّي وَأَيُّ شَيْءٍ ... أَبْيَنُ مِنْ ذِلَّةِ ٱلْمُحِبِّ

أَلَيْسَ شَوْقِي وَفَيْضُ دَمْعِي ... وَضَعْفُ جِسْمِي شُهُودَ حُبِّي ؟

فقالَ أبو عبيدٍ : هـٰؤلاءِ شهودٌ ثقاتٌ .

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ١/١٢٧) مخطوط من مكتبة باريس ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٩٩) ، وانظر « معجم الأدباء » (٦/٢٤٠٦) ط . دار الغرب الإسلامي ، وذكره ابن الدجاجي في « سفط الملح » (ص ١٦٧) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٢) النَّوْبَنْدَجاني : نسبة إلىٰ (نَوْبَنْدَجان) ، وهي بلدة من بلاد فارس . « الأنساب » (٥/٥٣٠) .

قالَ أبو بكرٍ : ثمَّ رمىٰ بالرُّقعةِ الَّتي قرأَها ؛ فإذا فيها : [من الطويل]

عَـفَـا ٱللهُ عَـنْ عَـبْـدِ . . . .

البيتَينِ المُتقدِّمَينِ (١)

وأُنبِئتُ أيضاً بهٰذهِ الحكايةِ مِن هٰذا الوجهِ عن عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ .

[حكاية]

[أتاكَ غياثُ اللهِ مِن حيثُ لا تدري]

٣٠٩ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : قرأتُ بخطِّ الإمامِ والدي رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : سمعتُ القاضيَ أبا العلاءِ صاعدَ بنَ منصورِ بنِ إسماعيلَ بنِ صاعدٍ بنَيْسابورَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ أبي زكريَّا المُزكِّيَ ـ هوَ محمَّدُ بنُ يحيى بنِ إبراهيمَ ـ يقولُ : حججتُ فانقطعَتِ القافلةُ في الباديةِ ، فأخذَنيَ الأعرابُ ، واسترعَوني إبلاً لهُم وغنماً ، وبقيتُ معَهُم مدَّةً في جَهْدٍ جهيدٍ .

فاشتدَّ عليَّ الأمرُ يوماً وضاقَ ، وتعذَّرَتْ عليَّ وجوهُ الحيلِ ، فسمعتُ مُنشِداً يُنشِدُ : [من الطويل]

إِذَا بَـلَـغَ ٱلْـمَـكْـرُوهُ أَقْـصَـىٰ نِـهَـايَـةٍ   أَتَـاكَ غِـيَـاثُ ٱللهِ مِـنْ حَـيْـثُ لَا تَـدْرِي

قالَ : فتفاءلتُ بذٰلكَ وتسلَّيتُ ، فلم أمكثْ إلَّا قليلاً حتَّىٰ أتاني راكبٌ مِنَ الأعرابِ ، فقالَ لي : هل لكَ أن تصحبَني ؟ فقلتُ : إلىٰ أينَ ؟ قالَ : إلىٰ مكَّةَ .

قالَ : ففرحتُ وأجبتُ ، فأردفَني وسارَ بي عشرةَ أيَّامٍ ، فوصلْنا إلىٰ مكَّةَ قبلَ الحجيجِ بمدَّةٍ (٢)

* * *

٣١٠ ـ وبه قالَ : أنا أبو بكرٍ وجيهُ بنُ طاهرِ بنِ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الشَّحَّاميُّ بقراءتي عليهِ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨/٢٥٤ ـ ٢٥٥) ، وذكره ابن حجر في « رفع الإصر عن قضاة مصر » (ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣) وعزاه لأبي سعد السمعاني في « الذيل » .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ١/١٦٠) مخطوط من مكتبة باريس .

(ح) وأنبأني أبو العبَّاسِ الظَّاهريُّ ، وغيرُهُ ، عن عبدِ الخالقِ النِّشْتَبريّ[1] ، وأبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، عن عبدِ الرَّحيمِ السَّمْعانيّ ، كلاهُما عن وجيهٍ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى المُزكِّي قراءةً عليهِ ، أنا أبو عبدِ الرَّحمـٰنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ ، سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ العبَّاسِ العُصْميَّ يقولُ : سمعتُ أبا محمَّدٍ الدِّيناريَّ يقولُ : حدَّثَني أبو محمَّدٍ جعفرُ ابنُ شاكرٍ الحافظُ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الحسينِ البُرْجُلانيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الخُراسانيُّ قالَ : دخلتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ الصَّادقِ رضيَ اللهُ عنهُ وقد أُهدِيَ لهُ جامٌ مِن بِلَّوْرٍ ، فيهِ سافاتٌ مِنَ اللَّوزينقِ[2] ، محشوّاً باللَّوزِ المُفرَّكِ ، مُخلَّطاً بالسُّكَّرِ ، مُغلّىً بالعسلِ ، مذروراً عليهِ الطَّبَرْزَدُ ، مُندّىً بالماوَرْدِ ، إذا قلعتَهُ مِنَ الجامِ . . سمعتَ لهُ صوتاً ، فإذا مسستَهُ بيدِكَ . . سمعتَ لهُ صريراً ، وإذا أدخلتَهُ إلىٰ فِيكَ . . سمعتَ لهُ نشيشاً ؛ كنشيشِ الحديدِ إذا أخرجتَهُ مِنَ النَّارِ وطرحتَهُ في الماءِ .

قالَ : فأخذَ واحدةً فأكلَها ولم يُطعِمْني ، ثمَّ أخذَ ثانيةً فأكلَها ولم يُطعِمْني .

قلتُ : ﴿ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾[3] ، فأخذَ واحدةً فأطعمَنيها ، فقلتُ : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾[4] ، فأطعمَني أُخرىٰ .

فقلتُ : ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾[5] ، فأطعمَني أُخرىٰ ، فقلتُ : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ ﴾[6] ، فأطعمَني أُخرىٰ .

فقلتُ : ﴿ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[7] ، فأطعمَني ثنتَينِ ، قلتُ : ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾[8] ، فأطعمَنيها .

قلتُ : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴾[9] ، فأطعمَنيها ، قلتُ : ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾[10] ، فأطعمَنيها .

---

(١) **النِّشْتَبري** : نسبة إلىٰ (نَشْتَبرىٰ) ، وهي قرية كبيرة ذات نخل وبساتين ، تختلط بساتينها ببساتين شهرابان من طريق خُراسان من نواحي بغداد . « معجم البلدان » (٥/٢٨٦) .

(٢) **سافات** : صفوف ، **واللَّوزينق** : من الحلواء شبه القطائف ، تؤدم بدُهن اللَّوز .

(٣) سورة الصافات : (٤) .
(٤) سورة التوبة : (٤٠) .
(٥) سورة يسٓ : (١٤) .
(٦) سورة البقرة : (٢٦٠) .
(٧) سورة الكهف : (٢٢) .
(٨) سورة البقرة : (١٩٦) .
(٩) سورة الحاقة : (١٧) .
(١٠) سورة النمل : (٤٨) .

قلتُ : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[1] ، فأطعمَنيها[2] ، قلتُ : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ ﴾[3] ، فأطعمَنيها .

قلتُ : ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً ﴾[4] ، فأطعمنيها ، فقلتُ : ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[5] ، فأطعمَنيها .

قلتُ : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[6] ، فأطعمَنيها ، قلتُ : ﴿ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾[7] ، فأطعمَنيها .

قلتُ : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾[8] ، فأطعمَنيها ، قلتُ : ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾[9] ، فأطعمَنيها .

قلتُ : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾[10] ، فأطعمَنيها ، قلتُ : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ ﴾[11] ، قالَ : فرمىٰ بالجامِ إليَّ ، وقالَ : كلْ يا بنَ البغيضةِ ، قلتُ : واللهِ ؛ لو لم ترمِ إليَّ بالجامِ . . لقلتُ : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[12]

* * *

٣١١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الخيرِ جامعُ ابنُ أبي نصرٍ بقراءتي عليهِ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ يحيى الحافظَ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ الحسينِ الأَزْديَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدِ بنِ عليٍّ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ يقولُ : سمعتُ يونسَ بنَ عبدِ الأعلىٰ يقولُ : سألتُ الشَّافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ عن إباحةِ أهلِ المدينةِ السَّماعَ ، فقالَ الشَّافعيُّ : لا أعلمُ أحداً مِن علماءِ الحجازِ كَرِهَ السَّماعَ إلَّا ما كانَ منهُ في الأوصافِ ، فأمَّا الحُداءُ ، وذكرُ الأطلالِ والمرابعِ ، وتحسينُ الأصواتِ بألحانِ الشِّعرِ . . فمُباحٌ[13]

---

(١) سورة البقرة : (١٩٦) .

(٢) زاد السخاوي في « البلدانيات » : (فقلتُ : ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [يوسف ﷺ : ٤] ، فأطعمَنيها ، فقلتُ : ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقرة : ٦٠] ، فأطعمَنيها) .

(٣) سورة الأنفال : (٦٥) .

(٤) سورة الأعراف : (١٤٢) .

(٥) سورة الأعراف : (١٤٢) .

(٦) سورة العنكبوت : (١٤) .

(٧) سورة المجادلة : (٤) .

(٨) سورة التوبة : (٨٠) .

(٩) سورة النور : (٤) .

(١٠) سورة صٓ : (٢٣) .

(١١) سورة الأنفال : (٦٦) .

(١٢) أخرجه السخاوي في « البلدانيات » (ص ١٧٩ ـ ١٨٠) ، والآية من سورة (الصافات) : (١٤٧) .

(١٣) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٢٠٩) ، وابن القيسراني في « صفوة التصوف » (ص ٣٢٩) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٤/٤٦٢) .

٣١٢ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الحسينَ بنَ عبدِ الملكِ الأصبهانيَّ بها ، سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ يحيى النَّيْسابوريَّ ـ قدمَ علينا ـ ، سمعتُ أبا طاهرٍ أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ مهرويهِ المَرْوَزيَّ إملاءً قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ محمَّدَ بنَ محمودٍ المَرْوَزيَّ الفقيهَ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ محمَّدِ بنِ مُصعَبٍ السِّنْجيَّ يقولُ : سمعتُ أبا داوودَ سليمانَ بنَ معبدٍ السِّنْجيَّ يقولُ : كانَ الأصمعيُّ يقولُ : (مَن لم يحتملْ ذُلَّ التَّعليمِ ساعةً . . بقيَ في ذُلِّ الجهلِ أبداً)(١)

نُكتة

[متىٰ يستوجبُ العبدُ الولايةَ مِنَ اللهِ ؟]

٣١٣ ـ وبـهِ قـالَ : أنـا أبو طاهـرِ بنُ أبي طالـبِ بـنِ أبي الفضـلِ بـنِ أبي محمَّـدٍ الإِسْتِراباذيُّ ، ثنا جدِّي ظفرُ بنُ الدَّاعي إملاءً ، ثنا والدي رحمَهُ اللهُ ، ثنا أبو الفضلِ عمرُو بنُ عبدِ اللهِ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ ، ثنا الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ ، حدَّثَني خرزادُ بنُ قيسٍ ـ وكانَ صاحبَ ذي النُّونِ ـ قالَ : سمعتُ ذا النُّونِ يقولُ : بينا أنا سائرٌ علىٰ نيلِ مصرَ . . إذ سمعتُ تلاطمَ الأمواجِ بعضِها ببعضٍ ، فرجعتُ إلىٰ ورائي ؛ فإذا أنا بغلامٍ أسودَ كأنَّهُ فحمةٌ ، عليهِ أطمارٌ مِنَ الشَّعرِ(٢) ، بيدِهِ عكَّازةٌ ، وإذا على العكَّازةِ مكتوبٌ(٣) :

[من البسيط]

مَنْ كَانَ هِمَّتُهُ ٱلدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا ... فَسَوْفَ يَوْماً عَلَىٰ رَغْمٍ يُخَلِّيهَا

لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ يَسْكُنُهَا ... إِلَّا لِمَنْ كَانَ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ يَبْنِيهَا

فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ كَانَ مُغْتَبِطاً ... وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا

فَٱغْرِسْ أُصُولَ ٱلتُّقَىٰ لِلهِ مُجْتَهِداً ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ تَجْنِيهَا

قالَ ذو النُّونِ : فقلتُ : السَّلامُ عليكَ يا زَنْجيُّ ، فقالَ : وعليكَ [السَّلامُ] يا ذا النُّونِ .

---

(١) أخرجه البيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرىٰ » (٤٠٣) ، وأبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ١٤٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٢/٣٧) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٣٨٨/١٨) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (٢٧/٧) .

(٢) أطمار : جمع طمر ؛ الثَّوب الخَلَق .

(٣) نسب البيتان الثاني والثالث لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما في « ديوانه » (ص ٢٦٧) ، ولإبراهيم الصولي كما في « ديوانه » ضمن كتاب « الطرائف الأدبية » (ص ١٨٠) ، وانظر الأبيات في « الإشراف في منازل الأشراف » لابن أبي الدنيا (١٤٢) .

فقلتُ : يا غلامُ ؛ ومِن أينَ عرفتَني ؟ قالَ : عرفَتْ روحي روحَكَ .

قالَ : بِمَ عرفتَ ؟ قالَ : خرقَتِ المعرفةُ عيونَ آماقِ أبصارِ القلوبِ ، فعرفتُكَ بمعرفةِ الجبَّارِ .

قلتُ : ما اسمُكَ يا غلامُ ؟ قالَ : صندلٌ .

قلتُ : متىٰ يستوجبُ العبدُ الولايةَ مِنَ اللهِ ؟ قالَ : إذا نشرَ عليهِ ثوبَ العنايةِ ، وقلَّدَهُ سيفَ الكفايةِ ، وعلا علىٰ نجائبِ المحبَّةِ ، وعُقِدَتْ لهُ راياتُ الإرادةِ ، فيا لها مِن ولايةٍ !! ما أهنأَها مِن ولايةٍ !!

ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من المنسرح]

قَدْ كُشِفَ ٱلْحُجْبُ عَنْ بَوَاطِنِهِ ... فَنُورُ مَوْلَاهُ قَدْ تَغَشَّاهُ

يَقُولُ : يَا غَايَتِي وَيَا أَمَلِي ... مَا خَابَ عَبْدٌ تَكُونُ مَوْلَاهُ

نُكتةٌ

[في تسليطِ الكفرةِ على الفجرةِ]

٣١٤ ـ وبهِ قالَ : سمعتُهُ ـ يعني : محمَّدَ بنَ أبي نصرِ بنِ محمَّدٍ المايِنيَّ الصُّوفيَّ ـ يقولُ : دخلتُ بيتَ المَقْدِسِ ، وكانَ في أيدي المسلمينَ ، وخرجتُ منهُ وقتَ استيلاءِ أهلِ مصرَ عليهِ ، ورجعتُ إليهِ بعدَ أنِ استولىٰ عليهِ الإفرنجُ .

فكانَ في بعضِ قُرىٰ بيتِ المَقْدِسِ رجلٌ مِن أهلِ اليمنِ ، وكانَ زاهداً جميلَ الأمرِ ، فمضيْنا إليهِ في جماعةٍ مِنَ الصُّوفيَّةِ ؛ لنتبرَّكَ بدعائِهِ ، فقلتُ لهُ : يا شيخُ ؛ ما تسألُ اللهَ تعالىٰ أن يُخرِجَ مثلَ هـٰذا الموضعِ مِن أيدي هـٰؤلاءِ الملاعينِ ؟

فقالَ لي : يا بُنَيَّ ؛ كنتُ أدعو عليهِم وألعنُهُم ، إلىٰ أن سمعتُ ليلةً مِنَ اللَّيالي هاتفاً مِن زاويةِ البيتِ يقولُ لي : إلىٰ كم تدعو عليهِم ؟ إنَّا سلَّطْنا الكفرةَ على الفجرةِ (١)

* * *

٣١٥ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أبي النَّصرِ المُقرِئُ نزيلُ حلبَ إجازةً ، وعبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ الحسنِ الجُرْجانيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو شجاعٍ محمَّدُ بنُ سعدانَ المقاريضيُّ ، سمعتُ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ١/١٦٧ ـ ١٦٨) مخطوط من مكتبة باريس .

أبا الفضلِ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ أحمدَ بنِ الحسنِ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ جعفرٍ السِّيرَوانيَّ بمكَّةَ يقولُ[1] : دخلَ لصٌّ بيتَ بعضِ المشايخِ ، فلم يرَ في البيتِ شيئاً ؛ إلَّا رجلاً واقفاً يُصلِّي ، وأرادَ الخروجَ ، فأسرعَ الشَّيخُ الصَّلاةَ ، ثمَّ قالَ لهُ : يا فتىٰ ؛ لا تخرجْ مِن عندي بلا شيءٍ ، وقدَّمَ إليهِ الإناءَ ، فقالَ لهُ : توضَّأْ ، فلمَّا فرغَ . . قالَ : قمْ فصلِّ ركعتَينِ ، فطابَ السَّارقُ لذٰلكَ ، وصارَ مِن كبارِ النَّاسِ ، ثمَّ قالَ الشَّيخُ : جاءَ ليسرقَ فسرقوهُ[2]

٣١٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ البَزْدَويُّ[3] ـ هوَ محمَّدُ بنُ أبي بكرِ بنِ عثمانَ بنِ محمَّدٍ الصَّابونيُّ ـ قالَ : ثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ إبراهيمَ الفَضْليُّ إملاءً ، أنا القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ الكَسْبَويُّ[4] ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ مسلمٍ ، أنا محمَّدُ بنُ عمرَ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ يعقوبَ ، ثنا داوودُ بنُ أبي العوَّامِ ، ثنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ ، سمعتُ يزيدَ بنَ هارونَ يقولُ : أدركتُ النَّاسَ فما رأيتُ أعقلَ ولا أورعَ مِن أبي حنيفةَ رحمةُ اللهِ عليهِ رحمةً واسعةً[5]

مررتُ يوماً بهِ وهوَ جالسٌ في الشَّمسِ بالهاجرةِ ، فقلتُ لهُ : ما يمنعُكَ عنِ الظِّلِّ ؟ فقالَ : لي علىٰ ربِّ هٰذهِ الدَّارِ شيءٌ ، فأكرَهُ أن أنتفعَ بظلِّه[6]

٣١٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الصَّابونيُّ ، أنا أبو محمَّدٍ الزُّبيريُّ ، أنا أبو محمَّدٍ

---

(١) **السِّيرَواني** ـ بكسر السِّين ـ : نسبة إلىٰ (سِيرَوان) ، وهي بلدة بالجبل ، قاله ياقوت في « معجم البلدان » (٢٩٦/٣) ، وأبو سعد السمعاني في « الأنساب » (٣٥٩/٣) ، وغيرهما ، وضبطت (أ) : بفتح السِّين .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ١٦٨/١) مخطوط من مكتبة باريس .

(٣) **البَزْدَوي** : نسبة إلىٰ (بَزْدَة) ، وهي قلعة بنَسَف . « الأنساب » (٣٣٩/١ ـ ٣٤٠) .

(٤) **الكَسْبَوي** : نسبة إلىٰ (كَسْبَة) ، وهي قرية من قرىٰ نَسَف . « الأنساب » (٦٨/٥ ـ ٧٠) .

(٥) أخرجه إلىٰ هنا الصيمري في « أخبار أبي حنيفة وأصحابه » (ص ٤١ ـ ٤٢) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٤٣٩/٢٩) ، وانظره في « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٢١٤/٩) ، و« مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه » للذهبي (ص ٢٧) .

(٦) أخرجه كاملاً أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١) مخطوط ، وكما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ١٧٠/١ ـ ١٧١) مخطوط من مكتبة باريس ، وفي هامش (أ) : (وقال : **بلغني عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال** : « **كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعاً . . فَهُوَ رِباً** ») ، والحديث أخرجه البيهقي في « السنن الكبير » (٣٥٠/٥) برقم (١١٠٣٧) عن سيدنا فضالة بن عبيد رضي الله عنه موقوفاً .

الأَزْديُّ إملاءً ، ثنا سهلُ بنُ عثمانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ سعيدٍ الرَّازيُّ ، ثنا العبَّاسُ بنُ حمزةَ ، ثنا أحمدُ بنُ أبي الحواري قالَ : قالَ سلمٌ الخوَّاصُ : [من مشطور الرجز]

يَا صَاحِبَ ٱلدُّنْيَا تَفَكَّرْ فِي ٱلْعَجَبْ

فِي سَبَبِ ٱلرِّزْقِ وَلِلرِّزْقِ سَبَبْ

كُلٌّ سَيَأْتِيكَ فَأَجْمِلْ فِي ٱلطَّلَبْ (١)

* * *

٣١٨ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ أبي القاسمِ السَّاويَّ بأصبهانَ ، سمعتُ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ طاهرٍ الحافظَ بهَمَذانَ ، سمعتُ المُرتضىٰ أبا الحسنِ المُطهَّرَ بنَ عليٍّ العلويَّ بالرَّيِّ يقولُ : سمعتُ أبا سعدٍ السَّمَّانَ إمامَ المعتزلةِ يقولُ : (مَن لم يكتبِ الحديثَ . . لم يتغرغرْ بحَلاوةِ الإسلامِ) (٢)

فَائِدَةٌ

[في الفرقِ بينَ البيتِ الَّذي يُتلىٰ فيهِ القرآنُ والبيتِ الَّذي لا يُتلىٰ فيهِ]

٣١٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ السَّمَرْقَنْديُّ بها ، ثنا الإمامُ أبو المُعينِ ميمونُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ النَّسَفيُّ إملاءً ، ثنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ منصورٍ البَزَّازُ ، أنا أبو الفضلِ أحمدُ بنُ عليٍّ السُّليمانيُّ الحافظُ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ مَرْدَكٍ ، أنا عمرُ بنُ حفصٍ ، أنا عليُّ بنُ إسحاقَ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ ، عن سليمانَ بنِ المُغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ قالَ : « ٱلْبَيْتُ إِذَا تُلِيَ فِيهِ كِتَابُ ٱللهِ . . ٱتَّسَعَ بِأَهْلِهِ ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ ، وحَضَرَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ ٱلشَّيَاطِينُ .

وَإِنَّ ٱلْبَيْتَ إِذَا لَمْ يُتْلَ فِيهِ كِتَابُ ٱللهِ . . ضَاقَ بِأَهْلِهِ ، وَقَلَّ خَيْرُهُ ، وَحَضَرَتْهُ ٱلشَّيَاطِينُ ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ » (٣)

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١) مخطوط ، وابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٥٠١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٧٨/٨) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق١٧٣/١) مخطوط من مكتبة باريس ، وابن القيسراني في « مسألة العلو والنزول في الحديث » (١٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/٩) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (١٧١١/٤ ـ ١٧١٢) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١١١/٣٠) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٣٢) مخطوط ، وكما في « تاريخ بغداد » ←

نُكتة

[في جليسٍ لا يُمَلُّ]

٣٢٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ حاتمٍ الدِّينَوَريُّ بقراءتي عليهِ [قالَ] : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ أبي القاسمِ بنِ محمَّدٍ السِّجْزيُّ ببَلْخَ ، أنا أبي ، أنا أبو الفضلِ عبدُ الصَّمدِ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ العاصميُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عمرَ بنِ مهرانَ الخطيبُ التِّرمذيُّ ، ثنا أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ ، ثنا أحمدُ بنُ أبي عمرانَ قالَ : كنَّا عندَ أبي أيُّوبَ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ شجاعٍ ، وقد تخلَّفَ في منزلِهِ ، فبعثَ غلاماً مِن غلمانِهِ إلىٰ أبي عبدِ اللهِ ابنِ الأعرابيِّ صاحبِ « الغريبِ » ، يسألُهُ المجيءَ إليهِ .

فعادَ إليهِ الغلامُ فقالَ : قد سألتُهُ ذٰلكَ ، فقالَ لهُ : عندي قومٌ مِنَ الأعرابِ ؛ فإذا قضيتُ أَرَبي منهُم . . أتيتُ ، قالَ الغلامُ : وما رأيتُ عندَهُ أحداً ؛ إلَّا أنَّ بينَ يدَيهِ كتباً ينظرُ فيها ، فينظرُ في هٰذا مرَّةً ، وفي هٰذا مرَّةً .

ثمَّ ما شعرْنا حتَّىٰ جاءَ ، فقالَ لهُ أبو أيُّوبَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ سبحانَ اللهِ العظيمِ ، تخلَّفتَ وحرمتَنا الأنسَ بكَ !! ولقد قالَ لي الغلامُ : إنَّهُ ما رأىٰ عندَكَ أحداً ، وقد قلتَ لهُ : أنا معَ قومٍ مِنَ الأعرابِ ؛ إذا قضيتُ أَرَبي منهُم . . أتيتُ .

فقالَ : [من الطويل]

لَنَا جُلَسَاءُ مَا يُمَلُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْباً وَمَشْهَدَا

يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَىٰ ... وَعَقْلاً وَتَأْدِيباً وَرَأْياً مُسَدَّدَا

فَإِنْ قُلْتَ : أَمْوَاتٌ فَمَا أَنْتَ كَاذِبٌ ... وَإِنْ قُلْتَ : أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدَا (١)

٣٢١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو غالبٍ المُبارَكُ بنُ عبدِ الوهَّابِ القَزَّازُ بقراءتي عليهِ [قالَ] : أنا أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ الباقِلَّانيُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ ابنِ شاذانَ البَزَّازُ ، أنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ زيادٍ القَطَّانُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضي ،

للبنداري (ق ١٣/٢) مخطوط من مكتبة باريس ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٩٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٦٥٠) ، والدارمي في « مسنده » (٣٣٥٢) ، وابن الضريس في « فضائل القرآن » (١٨٥) .

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٣٤ ـ ٣٥) مخطوط ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٤١٥) ، وانظر « معجم الأدباء » (٦/٦٢٩ ـ ٦٣٠) .

ثنا نصرُ بنُ عليّ الجَهْضَميُّ ، أنا حسينُ بنُ عروةَ قالَ : قدمَ المهديُّ المدينةَ ، فبعثَ إلىٰ مالكٍ ـ يعني : ابنَ أنسٍ ـ بألفي دينارٍ ، فقالَ [١] : أميرُ المؤمنينَ يُحِبُّ أن تُعادِلَهُ إلىٰ مدينةِ السَّلامِ .

فقالَ لهُ مالكٌ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَٱلْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » [٢] ، والمالُ عندي علىٰ حالِهِ [٣] .

* *

٣٢٢ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ المُبارَكِ الحافظُ ، أنا أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ الكَرَجيُّ [٤] ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ البَزَّازُ ، ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ نَجيحٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ [هشامٍ] [٥] ، ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ قالَ : كنَّا عندَ أيُّوبَ [٦] ، فسمعَ لَغَطاً [٧] ، فقالَ : ما هٰذا اللَّغَطُ ؟ أما بلغَهُم أنَّ رفعَ الصَّوتِ عندَ الحديثِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كرفعِ الصَّوتِ عليهِ في حياتِهِ ؟! [٨]

نُكْتَةٌ

[في ألطفِ آيةٍ في القرآنِ]

٣٢٣ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ صاحبَنا أبا الحجَّاجِ يوسفَ بنَ محمَّدِ بنِ مُقلِّدٍ التَّنُوخيَّ

---

(١) ذكر في مصادر التخريج : أنَّ القائلَ : الرَّبيعُ بن يونس ، حاجبُ المهديّ ، وأنَّ قوله هٰذا وقع بعد إعطائه العطيَّة بمدَّةٍ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مالك في « الموطأ » (٢/٨٨٧ ـ ٨٨٨) ، والبخاري (١٨٧٥) ، ومسلم (١٣٨٨) عن سيدنا سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن حبان في « المجروحين من المحدثين » (١/٤٢) ، والهروي في « ذم الكلام وأهله » (٨٨٨) ، وانظر « الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء » لابن عبد البر (ص ٨٣ ـ ٨٤) ، و« سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/١٠٤٧) ، ويروىٰ عن الرشيد ، وعن المأمون أيضاً .

(٤) الكَرَجي : نسبة إلى (الكَرَج) ، وهي بلدة من بلاد الجبل بين أصبهان وهَمَذان . « الأنساب » (٥/٤٦) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (هاشم) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ بغداد » (٤/٥٧٤) .

(٦) يعني : أيُّوب بن أبي تميمة كيسان ، السَّخْتِيانيَّ ، أبا بكرٍ ، العَنَزيَّ .

(٧) اللَّغَط : الصَّوت والجلبة .

(٨) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٣٧) مخطوط ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٣٣٥) ، وأبو موسى المديني في « اللطائف من دقائق المعارف » (٧٩٦) ، ويروىٰ عن حماد بن زيد أيضاً .

يقولُ : سمعتُ الإمامَ الصَّالحَ أبا الفضلِ أحمدَ بنَ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ ابنَ العالمةِ يقولُ : (ألطفُ آيةٍ في القرآنِ آيتانِ ؛ وهما في سورةِ « الكهفِ » : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [1] ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾) [2]

٣٢٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ ظفرٍ المَغازليُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو طالبٍ أحمدُ بنُ الحسينِ ابنُ البصريِّ ، ثنا أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ ابنِ بِشْرانَ الواعظُ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ الحافظُ ، ثنا القاضي الحسينُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا عبدُ اللهِ ابنُ أبي سعدٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ الرَّبيعِ بنِ سعيدِ بنِ زُرارةَ قالَ : قالَ صالحُ بنُ جناحٍ : اعتبرْ ما لم ترَهُ مِنَ الأشياءِ بما قد رأيتَهُ ، وما لم تسمعْهُ بما قد سمعتَهُ ، وما لم يُصِبْكَ بما قد أصابَكَ ، وما بَقِيَ مِن عمرِكَ بما قد مضىٰ ، وما لم يبلَ منكَ بما قد بَلِيَ .

واعلمْ بـ : [من مجزوء الرمل]

أَنَّـمَـا أَنْـتَ نَـهَـارُ ضَـوْءُهُ ضَـوْءٌ مُـعَـارُ
بَـيْـنَـمَـا غُـصْـنُـكَ غَـضٌّ نَـاضِـرٌ فِـيـهِ ٱخْـضِـرَارُ
إِذْ رَمَـاهُ زَمَـنَـاهُ فَـإِذَا فِـيـهِ ٱصْـفِـرَارُ
وَكَـذَاكَ ٱلـلَّـيْـلُ يَـأْتِـي ثُـمَّ يَـمْـحُـوهُ ٱلـنَّـهَـارُ

فهٰذهِ صفتُها ، وما لا أصفُهُ أدهىٰ وأَمَرُّ ، فما أصنعُ بأمرٍ إذا أقبلَ . . غرَّ ، وإذا أدبرَ . . ضرَّ ؟!

وأنشدَ [3] : [من الطويل]

نَـمُـوتُ وَنُـنْـسَـىٰ غَـيْـرَ أَنَّ ذُنُـوبَـنَـا وَإِنْ نَـحْـنُ مُـتْـنَـا لَا تَـمُـوتُ وَلَا تُـنْـسَـىٰ
أَلَا رُبَّ ذِي عَـيْـنَـيْـنِ لَا تَـنْـفَـعَـانِـهِ وَهَـلْ تَـنْـفَـعُ ٱلْـعَـيْـنَـانِ مَـنْ قَـلْـبُـهُ أَعْـمَـىٰ ؟! [4]

---

(١) سورة الكهف : (٥٠) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق ٢/٥٢) مخطوط من مكتبة باريس ، والآية من سورة (الكهف) : (١٠٢) .

(٣) هي لأبي نواس ، انظر « تاريخ دمشق » (١٣/٤٥٤) ، و« البداية والنهاية » لابن كثير (١٠/٥٢٥) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٤٠) مخطوط ، وعبد الملك ابن بشران في « الأمالي » (١٢٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣/٣٢٧ ـ ٣٢٨) .

نُكْتَةٌ جَيِّدَةٌ

[في قولِ القدريَّةِ]

٣٢٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ أبي غالبٍ ابنُ الطَّلَّايةِ الوَرَّاقُ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ عليّ الحَرْبيُّ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ القَزْوينيُّ الزَّاهدُ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ ابنِ شاذانَ البَزَّازُ ، أنا أبو عبدِ اللهِ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عرفةَ النَّحْويُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثنا يعقوبُ بنُ محمَّدٍ الزُّهريُّ ، ثنا الزُّبيرُ بنُ خُبيبٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ قالَ : (واللهِ ؛ ما قالَتِ القدريَّةُ كما قالَ اللهُ تعالىٰ ، ولا كما قالَتِ الملائكةُ ، ولا كما قالَ النَّبيُّونَ ، ولا كما قالَ أهلُ الجنَّةِ ، ولا كما قالَ أهلُ النَّارِ ، ولا كما قالَ إبليسُ .

قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (1)

وقالَتِ الملائكةُ : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ (2)

وقالَ شعيبٌ [عليهِ السَّلامُ] : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ (3)

وقالَ أصحابُ الجنَّةِ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (4) ، وقالَ أصحابُ النَّارِ : ﴿ غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ (5)

وقالَ إبليسُ : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾) (6)

* * *

٣٢٦ ـ وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ السَّمْعانيِّ كما تقدَّمَ (7) ، كلاهُما عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا أحمدُ بنُ سعدٍ الهَمَذانيُّ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ محمَّدِ ابنِ عبدِ الحميدِ البَجَليُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو بكرٍ

---

(١) سورة التكوير : (٢٩) .
(٢) سورة البقرة : (٣٢) .
(٣) سورة الأعراف : (٨٩) .
(٤) سورة الأعراف : (٤٣) .
(٥) سورة المؤمنون : (١٠٦) .
(٦) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٤١) مخطوط ، والآجري في « الشريعة » (٤٣٠/١) ، وابن بطة في « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية » (١٣٠٣) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١٠١٢) ، والآية من سورة (الحجر) : (٣٩) .
(٧) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٢٥٦) .

أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ لالَ الإمامُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يحيىٰ ، ثنا محمودٌ الواسِطيُّ ، ثنا زكريَّا بنُ يحيىٰ ، ثنا [سنانُ] [١] بنُ هارونَ ، عن أشعثَ ، عنِ الحسنِ قالَ : قالَ موسىٰ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « أَيْ رَبِّ ؛ أَيُّ عِبادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ » ، قالَ : (عالمٌ يطلبُ علماً) [٢]

حكاية

[في موعظةِ الشَّابِّ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ]

٣٢٧ ـ وبهِ إليهما ، عن أبي سعدٍ قالَ : أنا أحمدُ بنُ سعدِ البديعُ بهَمَذانَ ، أنا أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الأصبهانيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الجُرْجانيُّ ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ عليٍّ ، ثنا محمَّدُ بنُ زكريَّا ، ثنا ابنُ عائشةَ ، حدَّثَني أبي : عن عمِّي قالَ : قدمَ وفدُ العراقِ علىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وفيهِم غلامٌ ، فجعلَ يتكلَّمُ ، فقالَ عمرُ : كبِّروا كبِّروا ، قدِّموا مشايخَكُم ، فقالَ الغلامُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ليسَ بالكِبَرِ ولا بالصِّغَرِ ، ولو كانَ كذٰلكَ . . لوليَ هٰذا الأمرَ مَن هوَ أسنُّ منكَ .

قالَ : تكلَّمْ عافاكَ اللهُ ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّا ما أتيْناكَ لرغبةٍ ولا لرهبةٍ ، قالَ : فما أنتُم ؟ قالَ : نحنُ وفدُ الشُّكرِ ، أتيْناكَ شوقاً إليكَ ، وشكراً للهِ عزَّ وجلَّ إذ مَنَّ بكَ علينا .

قالَ : عِظْني أيُّها الرَّجلُ ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ مِنَ النَّاسِ ناساً غرَّهُمُ الأملُ ، وأفسدَهُم ثناءُ النَّاسِ عليهِم ؛ فلا يغرَّنَّكَ مَنِ اغترَّ باللهِ عزَّ وجلَّ فيكَ ، فمدحَكَ بما عَلِمَ اللهُ خلافَهُ ، وما قالَ رجلٌ في رجلٍ شيئاً إذا رضيَ إلَّا وهوَ يقولُ فيهِ علىٰ حسبِ ذٰلكَ إذا سخطَ .

قالَ : فتهلَّلَ وجهُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ ثمَّ قالَ [٣] : [من الطويل]

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ ٱلْمَرْءُ يُولَدُ عَالِماً ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
وَإِنَّ كَبِيرَ ٱلْقَوْمِ لا عِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إِذَا ٱلْتَفَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَحَافِلُ [٤]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (سيار) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (١١/١٥١ ـ ١٥٢) ، و« تهذيب الكمال » (٣/٢٧٧) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٤٣) مخطوط ، وانظر « ربيع الأبرار » (٤/٨٨) .

(٣) البيتان لابن المبارك كما في « ديوانه » (ص ٨٧) ، و« المروءة » لابن المرزبان (ص ٩١) ، و« تاريخ دمشق » (٣٢/٤٤٣) ، وقيل : للشافعي ، انظر « ديوانه » (ص ١١٠) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٤٣) مخطوط ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »

نُكْتَةٌ

[ستَّةٌ لا ينجبونَ]

٣٢٨ ـ وبهِ إليهما ، عن أبي سعدٍ قالَ : وأخبرَنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السِّنْجيُّ ، وأبو المُظفَّرِ عبدُ اللهِ بنُ طاهرِ ابنِ فارسٍ التَّاجرُ البغداديُّ قالا : أنا أبو المعالي ثابتُ بنُ بُنْدارٍ المُقرئُ قالَ : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ الحسينِ ابنُ دُوما النِّعاليُّ .

(ح) قالَ أبو سعدٍ : وأخبرَناهُ عالياً أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ سعيدِ ابنِ نبهانَ الكاتبُ إجازةً ، أنا أبو عليٍّ ابنُ دُوما ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ نصرِ بنِ عبدِ اللهِ ابنُ الذَّارعِ النَّهْروانيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الكاتبُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ نصرٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ حمَّادٍ ، عن عبدِ اللهِ الأنصاريِّ ، عن رفاعةَ بنِ موسىٰ ، سمعتُ الصَّادقَ يقولُ : (ستَّةٌ لا ينجبونَ : الملَّاحُ والمُكاري ، والحمَّاميُّ والحجَّامُ ، والبَيْطارُ والحائكُ)[1]

* * *

٣٢٩ ـ وبهِ إليهما ، عن أبي سعدٍ قالَ : سمعتُ أبا منصورٍ أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ الهاشميَّ يقولُ : سمعتُ الشَّريفَ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ عليِّ ابنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ يقولُ : قدمَ علينا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليٍّ الصُّوريُّ وكانَ حافظاً ، وسمعَ منِّيَ الحديثَ ، وكانَ يُظهِرُ مذهبَ التَّسنُّنِ ، ويترحَّمُ علىٰ أبي بكرٍ وعمرَ رضيَ اللهُ عنهُما ويذكرُ فضائلَهُما ، فثارَ أهلُ الكُوفةِ ليقتلوهُ ، فجاءَ إليَّ فقالَ : لا قدرةَ لي بهِم ، فدللتُهُ على الشَّريفِ أبي طالبِ بنِ عمرَ العلويِّ ؛ لأنَّهُ كانَ مُحتشِماً ، وكانَتْ لهُ [يدٌ][2] يدفعُ بها .

فمضىٰ إليهِ فقالَ لهُ : جئتُكَ مُستكِيناً خائفاً ؛ لأنَّ أهلَ الكُوفةِ قد ثاروا عليَّ ليقتلوني ، وأسألُكَ أن تُجيرَني إلىٰ أن أخرجَ مِنَ الكُوفةِ ـ وكانَ الشَّريفُ أبو طالبٍ هـٰذا رافضيّاً ـ ، فقالَ : نعم ، وأُريدُ أن تحضرَ عندي كلَّ يومٍ ، وترويَ لي ما سمعتَ في فضائلِ الصَّحابةِ .

(١٩٥/٦٨) ، وانظر « العقد الفريد » (١٤٠/٢ ـ ١٤١) ، و« مروج الذهب » للمسعودي (٢٠/٤ ـ ٢١) ، و« سراج الملوك » للطرطوشي (ص ١٤٥ ـ ١٤٦) ، و« سفط الملح » لابن الدجاجي (ص ١٣٥) .

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٤٤) مخطوط ، وابن المقير في « جزئه » ضمن كتاب « الفوائد » (١٣٢٦) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « المشيخة البغدادية » ، وكُتب موضعَها في (ج) : (كذا) .

فحضرَ عندَهُ مدَّةً في ضيافتِهِ ، وقرأ عليهِم مِن فضائلِهِم ما أمكنَ ، فتابَ الشَّريفُ أبو طالبٍ ، وأنابَ إلى اللهِ تعالىٰ ممَّا سبقَ .

وقالَ : قد عشتُ أربعينَ سنةً أسبُّ الصَّحابةَ ، وأشتهي أن أعيشَ مثلَها حتَّىٰ أذكرَهُم بخيرٍ [1]

نُكْتَةٌ

[لا يُكذَبُ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وأنا حيٌّ]

٣٣٠ ـ وأنبأني مَن تقدَّمَ ذِكْرُهُم [2] ، عن عبدِ المُعِزِّ الهَرَويّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ حامدَ بنَ أبي الفتحِ أحمدَ بنِ أبي بكرٍ المَدِينيَّ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا العزِّ أحمدَ بنَ [عبيدِ اللهِ] [3] ابنِ كادِشٍ العُكْبَريَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ محمَّدَ بنَ عليِّ ابنِ [عبيدِ اللهِ] [4] المعروفَ بابنِ الغريقِ القاضيَ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ عمرَ الدَّارَقُطْنيَّ يقولُ : (يا أهلَ بغدادَ ؛ لا تظنُّوا أنَّ أحداً يقدرُ أن يكذبَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأنا حيٌّ) [5]

حِكَايَةٌ

[في ذِكْرِ أرقِّ بيتٍ قالَتْهُ العربُ]

٣٣١ ـ وأنبؤوني عن عبدِ المُعِزِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ قالَ : أنا أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ الفارسيُّ إجازةً ، وحدَّثَنا عنهُ أبو اللَّيثِ أسدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ الزَّنْجانيُّ الفقيهُ مِن لفظِهِ ، قالَ عبدُ الغافرِ : أنا أبو صالحٍ أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ المُؤذِّنُ ، أنا الشَّريفُ أبو طالبٍ عليُّ بنُ الحسينِ الحسينيُّ قالَ : أخبرَني أبو عليٍّ ابنُ سينا قالَ : دخلَ أعرابيٌّ علىٰ ثعلبٍ ، فقالَ : أنتَ الَّذي تزعمُ أنَّكَ أعلمُ النَّاسِ بالأدبِ ؟ فقالَ : كذا يزعمونَ .

---

(١) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/ ٧٠) مخطوط ، وانظر « المنتظم » (٩/ ٣٥٠) .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/ ٥٠) مخطوط ، و« تاريخ الإسلام » (٣٦/ ١٤١) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٣٠٠) ، وسيأتي ضمن الخبر (٤٩٨) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣١/ ١٨٦) .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/ ٥٠) مخطوط ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ٣٢) .

فقالَ : أَنشِدْني أرقَّ بيتٍ قالَتْهُ العربُ وأسلسَهُ ، فقالَ : قولُ جريرٍ[١] : [من البسيط]

إِنَّ ٱلْعُيُونَ ٱلَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ   قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا

يَصْرَعْنَ ذَا ٱللُّبِّ حَتَّىٰ لَا حَرَاكَ بِهِ   وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ ٱللهِ إِنْسَانَا

فقالَ : هٰذا الشِّعرُ غثٌّ رثٌّ ، قد لاكَهُ السَّفِلةُ بألسنتِها ، هاتِ غيرَهُ .

فقالَ ثعلبٌ : أَفِدْنا مِن عندِكَ يا أعرابيُّ ، قالَ : قولُ مسلمِ بنِ الوليدِ صريعِ الغواني[٢] : [من الطويل]

نُبَارِزُ أَبْطَالَ ٱلْوَرَىٰ فَنُبِيدُهُمْ   وَيَقْتُلُنَا فِي ٱلسِّلْمِ لَحْظُ ٱلْكَوَاعِبِ

وَلَيْسَتْ سِهَامُ ٱلْحَرْبِ تُفْنِي نُفُوسَنَا   وَلَٰكِنْ سِهَامٌ فُوِّقَتْ فِي ٱلْحَوَاجِبِ

فقالَ ثعلبٌ لأصحابِهِ : اكتبوها على الحناجرِ ولو بالخناجرِ[٣]

* * *

٣٣٢ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو بكرٍ ابنُ التَّبَّانِ الفقيهُ ، أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ طلحةَ النِّعاليُّ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ ابنِ بِشْرانَ المُعدَّلُ السُّكَّريُّ ، ثنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا أحمدُ بنُ منصورٍ الرَّماديُّ ، ثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أنا الثَّوْريُّ ، عن نُسَيرِ بنِ ذُعْلوقٍ ، سمعتُ نوفاً يقولُ : (﴿ فِى سِلْسِلَةٍ [ذَرْعُهَا سَبْعُونَ] ذِرَاعًا ﴾[٤] ، كلُّ ذراعٍ سبعونَ باعاً ، كلُّ باعٍ مثلُ ما بينَكَ وبينَ مكَّةَ) ، وهوَ يومَئذٍ برَحَبةِ الكُوفةِ[٥]

حِكَايَةٌ

[بغلةُ الإمامِ الشَّافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ]

٣٣٣ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو نصرٍ أحمدُ بنُ عمرَ الأصبهانيُّ بها ، أنا مسعودُ بنُ ناصرٍ

---

(١) انظر « ديوانه » (١/١٦٣) ، وفيه : (أركانا) بدلاً من : (إنسانا) .

(٢) هي له كما في « تشنيف السمع » للصفدي (ص ١٧ ـ ١٨) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٥٤ ـ ٥٥) مخطوط ، وانظر « المنتظم » (٦/١٨٥ ـ ١٨٦) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٤/٥١) .

(٤) سورة الحاقة : (٣٢) .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٥٧) مخطوط ، وابن المبارك في « الزهد » من رواية نعيم بن حماد (٢٨٨) ، وعبد الرزاق في « تفسير القرآن » (٣٣١٦) ، وابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٥٩) ، والطبري في « تفسيره » (٣٤٨٢٤) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/٤٩) .

السِّجْزيُّ الحافظُ فيما قرأتُ عليهِ فأقرَّ بهِ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ بُشرى الصُّوفيُّ ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ ابنِ عاصمٍ السِّجْزيُّ ، حدَّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ الرَّقِّيُّ إملاءً بالرَّقَّةِ ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ سعيدٍ ، عن صالحِ بنِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ قالَ : جاءَ الشَّافعيُّ رحمَهُ اللهُ يوماً إلىٰ أبي يعودُهُ وكانَ عليلاً ، قالَ : فوثبَ أبي إليهِ فقبَّلَ ما بينَ عينَيهِ ، ثمَّ أجلسَهُ في مكانِهِ ، وجلسَ بينَ يدَيهِ ، قالَ : فجعلَ يُسائِلُهُ ساعةً ، قالَ : فلمَّا وثبَ الشَّافعيُّ ليركبَ . . قامَ أبي فأخذَ بركابِهِ ، ومشىٰ معَهُ .

فبلغَ يحيى بنَ معينٍ ، فوجَّهَ إلىٰ أبي فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ يا سبحانَ اللهِ !! اضطرَّكَ الأمرُ إلىٰ أن تمشيَ إلىٰ جانبِ بغلةِ الشَّافعيِّ !!

فقالَ لهُ أبي : وأنتَ يا أبا زكريَّا لو مشيتَ مِنَ الجانبِ الآخرِ . . لانتفعتَ .

قالَ : ثمَّ قالَ أبي : مَن أرادَ الفقهَ . . فَلْيَشَمَّ ذَنَبَ هـٰذهِ البغلةِ (١)

نُكْتَةٌ

[في ذبِّ الكذبِ عن حديثِ النَّبيِّ ﷺ]

٣٣٤ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ أحمدَ بنَ عمرَ الحافظَ ، سمعتُ أبا القاسمِ المُطهَّرَ بنَ بَحِيرِ بنِ محمَّدٍ البَحِيريَّ العدلَ ، سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الحافظَ ، سمعتُ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ كاملِ ابنِ شجرةَ القاضيَ يقولُ : سمعتُ أبا سعدٍ يحيى بنَ منصورٍ [الـهَرَويَّ] (٢) يذكرُ عن أبي بكرِ بنِ خلَّادٍ قالَ : قلتُ ليحيى بنِ سعيدٍ : أما تخشىٰ أن يكونَ هـٰؤلاءِ الَّذينَ تركتَ حديثَهُم خُصَماءَكَ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ ؟

قالَ : لَأَنْ يكونَ هـٰؤلاءِ خصمي أَحَبُّ إليَّ مِن أن يكونَ خصمي رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ يقولُ : « لِمَ حَدَّثْتَ عَنِّي بِحَدِيثٍ تَرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ ؟ » (٣)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩٩/٩) بنحوه ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢٥٣/٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٠٦/٢) مختصراً ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥٤/٥١ ـ ٣٥٥) بنحوه ، وانظر « معجم الأدباء » (٤٦٦/٦) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (النهروي) ، والمثبت موافق لما في « الكفاية في علم الرواية » ، وانظر « تاريخ بغداد » (٣٣١/١٦) ، و« المنتظم » (٣٣١/٧) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٦٠) مخطوط ، والخطيب البغدادي في « الكفاية في علم الرواية » (٤٤/١) ، وانظر « إكمال المعلم بفوائد مسلم » للقاضي عياض (١٦٠/١) ، و« تاريخ دمشق » (٣٩٣/٥٤) .

نُكتة

[العلمُ عندَ مالكٍ وسفيانَ الثَّوْريِّ]

٣٣٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عمرَ الحافظُ ، أنا عثمانُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ الجُمَحيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ الحافظُ ، ثنا أبو الطَّيِّبِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ المُؤذِّنُ ، ثنا أبو عمرٍو الحِيريُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ الحارثِ الصَّنْعانيُّ ، سمعتُ أبا سهلٍ عبدَ الصَّمدِ بنَ حسَّانَ ـ كذا قالَ أبو نصرٍ ، والصَّوابُ : أبو يحيىٰ ، قاضي مَرْوَ[1] ـ يقولُ : خرجتُ معَ سفيانَ الثَّوْريِّ مِن مكَّةَ إلى المدينةِ ، فاستقبلَنا مالكُ بنُ أنسٍ ، وقالَ : يا سفيانُ ؛ العلمُ عندَنا باضَ ، فقالَ سفيانُ : إن كانَ العلمُ عندَكُم باضَ . . فعندَنا فرَّخَ ، قالَ : فخجلَ مالكٌ .

فقالَ : يا سفيانُ ؛ العلمُ شجرةٌ : أصلُها مِن مكَّةَ ، وأغصانُها بالمدينةِ ، وورقُها سقطَ إلى العراقِ ، وثمرُها بخُراسانَ[2] .

حِكاية

[عزُّ الخطيبِ وذُلُّ العلويِّ]

٣٣٦ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الفتحِ مسعودَ بنَ محمَّدِ بنِ أبي نصرٍ الخطيبَ بمَرْوَ يقولُ : سمعتُ الفضلَ بنَ عمرَ [النَّسَويَّ][3] ـ يُعرَفُ : بابنِ ليلىٰ ـ يقولُ : كنتُ في جامعِ صُورَ عندَ الخطيبِ ـ يعني : أحمدَ بنَ عليِّ بنِ ثابتٍ ـ ، فدخلَ عليهِ بعضُ العلويَّةِ ، وفي كُمِّهِ دنانيرُ ، وقالَ للخطيبِ : فلانٌ ـ وذكرَ بعضَ المُحتشِمينَ مِن أهلِ صُورَ ـ يُسلِّمُ عليكَ ، ويقولُ : هٰذا تصرفُهُ في بعضِ مهمَّاتِكَ ، فقالَ الخطيبُ : لا حاجةَ لي فيهِ ، وقطَّبَ وجهَهُ .

فقالَ العلويُّ : فتصرفُهُ إلىٰ بعضِ أصحابِكَ ، قالَ : قلْ لهُ : يصرفُهُ إلىٰ مَن يُريدُ .

فقالَ العلويُّ : كأنَّكَ تستقلُّهُ ، ونفضَ كُمَّهُ علىٰ سجَّادةِ الخطيبِ ، وطرحَ الدَّنانيرَ

---

(١) وهو كما ذكر المؤلِّف ، انظر ترجمته في « تاريخ الإسلام » (١٤/٢٣٦) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٦٠) مخطوط ، وانظر « ترتيب المدارك » للقاضي عياض (٢/٦٣) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (النَّسَفي) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

عليها ، وقالَ : هٰذهِ ثلاثُ مئةِ دينارٍ ، فقامَ الخطيبُ مُحمرّاً وجهُهُ ، وأخذَ السَّجَّادةَ ، ونفضَ الدَّنانيرَ على الأرضِ ، وخرجَ مِنَ المسجدِ .

قالَ الفضلُ ابنُ ليلىٰ : ما أنسىٰ عزَّ خروجِ الخطيبِ ، وذُلَّ ذٰلكَ العلويِّ ، وهوَ قاعدٌ على الأرضِ يلتقطُ الدَّنانيرَ مِن شقوقِ الحصيرِ ويجمعُها[1] .

٣٣٧ ـ وبهِ قالَ : أنا سعيدُ بنُ عليٍّ الشُّجاعيُّ ، أنا أبو حامدٍ أحمدُ بنُ عليٍّ الإمامُ ، أنا أبو سعدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ حمدانَ ، سمعتُ أبا الحسنِ ابنَ مِقْسَمٍ ببغدادَ يقولُ : (سمعتُ الشِّبْليَّ يقولُ في وقتِ احتضارهِ ، وما بقيَ لخروجِ الرُّوحِ إلَّا شيءٌ يسيرٌ ، فقالَ لهُ أحدُ غلمانِهِ : يا سيِّديَ ؛ اذكرِ اللهَ ، فقالَ : ويحَكَ !! وهل في وقتي سوى اللهِ عزَّ وجلَّ ؟!)[2] .

٣٣٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ السِّنْجيُّ بمَرْوَ ، أنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ الطِّيبيُّ ، ثنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ عليِّ ابنِ محمَّدٍ المُهتدي باللهِ الهاشميُّ ، أنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ أحمدَ ابنُ شاهينٍ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا يوسفُ بنُ سعيدٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ ربيعةَ ، عنِ ابنِ المُبارَكِ ، عن جعفرٍ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ قالَ : (مكتوبٌ في التَّوراةِ : « يا علماءَ السَّوءِ ؛ شوَّقْناكُم فلم تشتاقوا ، وخوَّفْناكُم فلم تخافوا ، ونُحْنا لكمُ فلم تبكوا »)[3] .

٣٣٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طالبٍ المُبارَكُ بنُ عليِّ ابنِ [خُضَيرٍ][4] الصَّيْرفيُّ الكَرابيسيُّ بقراءتي عليهِ[5] ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ بدرانَ الحلْوانيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٦٣) مخطوط ، وذكره ياقوت في « معجم الأدباء » (٢٣/٢ ـ ٢٤) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٩٣/٣١ ـ ٩٤) ، وعزواه لأبي سعد السمعاني في « الذيل » ، ولله تلك النُّفوس !!

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٦٨ ـ ٦٩) مخطوط .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٧٠) مخطوط ، وانظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ١١٢) ، و« الرسالة القشيرية » (ص ٦٦٩) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (خضر) ، والمثبت موافق لما في « إكمال الإكمال » لابن نقطة (٤٢٩/٢) ، و« تاريخ الإسلام » (١٤٠/٣٩) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٤٢٧) .

(٥) الكَرابيسي : نسبة إلىٰ بيع الكَرابيس ؛ وهي الثِّياب . « الأنساب » (٤٢/٥) .

أبو عليّ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدٍ الجازِريُّ [1] ، ثنا القاضي أبو الفرجِ المُعافى بنُ زكريَّا النَّهْروانيُّ ، ثنا عمرُ بنُ الحسنِ [2] بنِ عليّ بنِ مالكٍ الشَّيْبانيُّ ، ثنا الغَلَابيُّ ، ثنا ابنُ سلَّامٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ سعيدٍ قالَ : بعثَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ إلى الشَّعْبيِّ فقالَ : يا شعْبيُّ ؛ عهدي بكَ وإنَّكَ لغلامٌ في الكتَّابِ ، فحدِّثْني فما بقيَ معي شيءٌ إلَّا وقد مَلِلتُهُ سوى الحديثِ ، وأنشدَ [3] : [من الكامل]

وَمَلِلْتُ إلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنِ ٱلْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمَا

قالَ القاضي أبو الفرجِ : ونظيرُ هٰذا قولُ ابنِ الرُّوميِّ [4] : [من مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مَآرِبِي فَجَمِيعُ طَيِّبِهَا خَبِيثُ
إِلَّا ٱلْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ ٱسْمِهِ أَبَداً حَدِيثُ [5]

***

٣٤٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ عليّ الصُّوفيُّ فيما أذنَ لي أن أرويَهُ عنهُ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنِ هَزارمَرْدَ .

(ح) قالَ أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ : وأخبرَناهُ أبو منصورٍ عليُّ بنُ عليّ بنِ عبدِ اللهِ الأمينُ ، وأبو البركاتِ عبدُ الوهَّابِ بنُ المُبارَكِ ، وأبو سعدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليّ بنِ محمودٍ الصُّوفيُّ بقراءتي عليهِم قالوا : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ قراءةً عليهِ ، أنا أبو القاسمِ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ ابنِ حَبَابةَ البَزَّازُ ، ثنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ البَغَويُّ ، حدَّثَني عليُّ بنُ مسلمٍ ، ثنا سعيدُ بنُ عامرٍ ،

---

(١) **الجازري** : نسبة إلىٰ (جازر) أو (جازرة) ، وهي قرية من نواحي النَّهْروان من أعمال بغداد قرب المدائن ، كذا ذكر ياقوت في « معجم البلدان » (٢/٩٤) ، وأبو سعد السمعاني في « الأنساب » (٢/١٠) ، وغيرُهما ، وضبطت في (أ ، ج) بفتح الزاي .

(٢) (عمر بن الحسن) : في (أ) : (عمر بن محمد بن الحسن) ، وفي (ب ، ج) : (عمر بن محمد بن الحسين) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٣/٩٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٥/١٧٥) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٢٢٤) .

(٣) هو لبشار بن برد كما في « ديوانه » (٤/٢٠٩) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٣/٦٢٩) .

(٤) انظر « ديوانه » (١/٣٩٧) ، و« معجم الأدباء » (٦/٦٣١) .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٧١) مخطوط ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢/٧٩ ـ ٨٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/١٤٥ ـ ١٤٦) ، وانظر « الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (١/٢٠٧ ـ ٢٠٨) .

عن أسماءَ بنِ عبيدٍ ، عن يونسَ بنِ عبيدٍ قالَ : (ليسَ شيءٌ أعزَّ مِن شيئَينِ : درهمٍ طيِّبٍ ، ورجلٍ يعملُ علىٰ سُنَّةٍ)[1]

٣٤١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو المعالي أحمدُ بنُ عليٍّ الحِيريُّ إجازةً شافهَني بها ، أنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ الأسديُّ قراءةً عليهِ ، أنبأَنا أبو القاسمِ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الصَّيْرفيُّ ، ثنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ابنُ حَيُّويهِ الخَزَّازُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ بنِ بسَّامٍ المُحوَّليُّ ، حدَّثَني أبو عليٍّ الحسنُ بنُ مسرورٍ البصريُّ ، حدَّثَني سعيدُ بنُ محمَّدٍ الجَرْميُّ قالَ : خرجتُ في الهاجرةِ أُريدُ حاجةً ، فمررتُ بالمقابرِ ، فإذا أنا بجاريةٍ قد وضعَتْ خدَّها علىٰ قبرٍ مِن تلكَ القبورِ ، وهيَ تُنشِدُ شِعراً لم أسمعْ شِعراً أسبقَ إلى القلبِ ، ولا أقربَ إلىٰ سمعٍ منهُ .

فلمَّا دنوتُ منها . . خفضَتْ صوتَها ، فأتيتُها فكلَّمتُها ، فشغلَها البكاءُ عن كلامي ، ثمَّ أشارَتْ إليَّ أن تنحَّ ، فتنحَّيتُ حيثُ لا تراني ، فرفعَتْ صوتَها تُنشِدُ : [من الطويل]

أَنُوحُ عَلَىٰ دَهْرٍ مَضَىٰ بِغَضَارَةٍ ... إِذِ ٱلْعَيْشُ غَضٌّ وَٱلزَّمَانُ مُوَاتِ
أُبَكِّي زَمَاناً صَالِحاً قَدْ فَقَدْتُهُ ... يُقَطِّعُ قَلْبِي مِنْهُ بِٱلزَّفَرَاتِ
أَيَا زَمَناً وَلَّىٰ عَلَىٰ رَغْمِ أَهْلِهِ ... أَلَا عُدْ كَمَا قَدْ كُنْتَ مُذْ سَنَوَاتِ
تَمَطَّىٰ عَلَيَّ ٱلدَّهْرُ فِي مَتْنِ قَوْسِهِ ... فَصَدَّعَنِي مِنْهُ بِسَهْمِ شَتَاتِ[2]

٣٤٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ البَيِّعِ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ المُظفَّرِ اللَّوْهَوْريُّ[3] ، ثنا أحمدُ بنُ الفضلِ الجصَّاصُ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ التَّاجرُ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمودٍ ، سمعتُ أبا مضرَ المَرْوَزيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ خَشْرَمٍ يقولُ : قيلَ لبُزُرْجُمِهْرَ : العلمُ أفضلُ أمِ المالُ ؟ فقالَ : العلمُ .

فقيلَ لهُ : فما بالُ العلماءِ يأتونَ أهلَ الأموالِ ، وأهلُ الأموالِ لا يأتونَ العلماءَ ؟

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٧٤) مخطوط ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٧/٣) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٩١٤) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٤٧٠) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥٧٥/٨) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٧٦ ـ ٧٧) مخطوط ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٤/١١) عن الأصمعي بنحوه ، وانظر « التذكرة الحمدونية » (٣٠٩/٤) .

(٣) اللَّوْهَوْري : نسبة إلىٰ (لَوْهور) أو (لَهاوور) ، وهي مدينة كبيرة من بلاد الهند . « اللباب » لابن الأثير (١٣٦/٣) .

قالَ : لعلمِ العلماءِ منفعةَ المالِ ، ولقلَّةِ علمِ أهلِ الأموالِ بمنفعةِ العلمِ [١]

* * *

٣٤٣ ـ وبهِ قالَ : أنا زاهرُ بنُ طاهرٍ المُستملي في منزلِهِ ، أنا أبو جعفرٍ الصُّوفيُّ المعروفُ بكاكُو قراءةً عليهِ ، أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ جُمَيعٍ الغَسَّانيُّ بصَيْداءَ ، ثنا أبي ، ثنا إبراهيمُ ابنُ المُولِّدِ ، ثنا أبو عليِّ بنُ سعيدٍ ، ثنا أحمدُ بنُ مروانَ الخزاعيُّ ، ثنا يحيى بنُ المُختارِ ، سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : (كانَ سفيانُ الثَّوْريُّ عليلاً ، وكانَ بلبلٌ يجيءُ فيصيحُ في دارِ الثَّوْريِّ ، فلمَّا أن ماتَ وحُمِلَتْ جِنازتُهُ . . طارَ فوقَ الجِنازةِ ، فلمَّا دُفِنَ . . تمرَّغَ على القبرِ وماتَ) [٢]

* * *

٣٤٤ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الصُّوفيُّ ، ثنا شكند حرد ، أنا عبدُ العزيزِ بنُ صالحٍ الجِيليُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ المُبارَكِ الحافظُ ، أنا أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدٍ الأنباريُّ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ الحسنِ الرَّازيُّ ، ثنا أبو الزِّنباعِ ، ثنا زيدُ بنُ بشرٍ ، ثنا يحيى بنُ سليمٍ الطَّائفيُّ المكِّيُّ : أنَّ سفيانَ الثَّوْريَّ حدَّثَهُ قالَ : بلغَني أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ ـ رضيَ اللهُ [تعالىٰ] عنهُ ـ كانَ يتمثَّلُ بهٰذا البيتِ : [من الرمل]

لَا يَغُرَّنْكَ عِشَاءٌ سَاكِنٌ قَدْ تُوَافَىٰ بِٱلْمَنِيَّاتِ ٱلسَّحَرْ [٣]

* * *

٣٤٥ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الأزرقُ بقراءتي عليهِ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنِ الأعينِ القاضي ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ القاسمِ بنِ إسماعيلَ المَحامِليُّ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسنِ ابنِ زيادٍ النَّقَّاشُ ، ثنا الحسنُ بنُ سفيانَ بنَسَا [٤] ، ومحمَّدُ بنُ [سفيانَ بنِ المنذرِ] [٥] بالرَّمْلةِ ، والفضلُ بنُ محمَّدٍ العَطَّارُ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٧٩) مخطوط ، وانظر « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (٣١٢) ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٧٣) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٠) مخطوط .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٠) مخطوط ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٩٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١١٩) .

(٤) نَسَا : مدينة بخُراسان . « معجم البلدان » (٥/٢٨١ ـ ٢٨٢) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (المنذر بن سفيان) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢١/٢٦٢) .

قالوا : ثنا عبيدُ بنُ هشامٍ الحلبيُّ ، ثنا الأصبغُ بنُ محمَّدٍ الرَّقِّيُّ ابنُ أخي عبيدِ اللهِ بنِ عمرٍو ، عن كُلْثُومِ بنِ جَوْشَنٍ القُشَيريِّ ، عن [عبيدِ اللهِ] [١] بنِ العَيْزارِ قالَ : كانَ ابنُ مسعودٍ إذا رأى الشَّبابَ يطلبونَ العلمَ . . قالَ : (مرحباً بكُم ، ينابيعَ الحكمةِ ، ومصابيحَ الظُّلَمِ ، خُلْقانَ الثِّيابِ ، جُدُدَ القلوبِ ، حَرَسَ البيوتِ ، رَيحانَ كلِّ قبيلةٍ) ، واللَّفظُ لابنِ سفيانَ [٢]

حكاية

[في إسماعِ فقيرٍ « جزءَ طالوتَ »]

٣٤٦ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ مسعودِ بنِ الوزيرِ الدِّمشقيِّ بمَرْوَ يقولُ : كانَ أبو الحسينِ ابنُ النَّقُّورِ [٣] يأخذ علىٰ « جُزءِ طالوتَ بنِ عبَّادٍ » ديناراً [٤] ، فجاءَ غريبٌ فقيرٌ ، وأرادَ أن يسمعَ « جُزءَ طالوتَ بنِ عبَّادٍ » ، وما كانَ معَهُ شيءٌ ، فقرأَ المؤتمنُ بنُ أحمدَ السَّاجيُّ عليهِ عواليَ حديثِ طالوتَ ؛ مثلَ : حديثِ فضالِ بنِ جبيرٍ ، وما سمَّىٰ طالوتَ وكنَّاهُ ، وقالَ : (قالَ : حدَّثَنا أبو عثمانَ الصَّيْرفيُّ) ، فما عرفَ ابنُ النَّقُّورِ أنَّهُ يقرأُ عليهِ حديثَ [طالوتَ] [٥] ، وحصلَ مقصودُ الغريبِ [٦]

وذكرَهُ أبو الفضلِ محمَّدُ [٧] بنُ ناصرٍ السَّلاميُّ فقالَ : إنَّما فعلَ أبو الحسينِ ابنُ النَّقُّورِ ذٰلكَ ؛ لأنَّ الشَّيخَ أبا إسحاقَ الشِّيرازيَّ أفتاهُ بجوازِ أخذِ الأجرةِ على الحديثِ ؛ لأنَّ أصحابَ الحديثِ كانوا يمنعونَهُ عنِ الكسبِ لعيالِهِ [٨]

❊

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢١٥/٩) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨١) مخطوط ، وأبو منصور الديلمي كما في « زهر الفردوس » (٢٤٢٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٠٠) .

(٣) هو أبو الحسين ، أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الله ، ابن النَّقُّور ، الكَرْخيُّ البَزَّاز ، كان ثقة مسنداً مكثراً ، توفِّي ليلة السَّبت سادس عشر رجب سنة سبعين وأربع مئة ببغداد ، رحمه الله تعالىٰ ، وكان مولده في جمادى الأولىٰ سنة إحدىٰ وثمانين وثلاث مئة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٤) انظر « المنتظم » (٥٤٧/٩) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٦/٨) .

(٥) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق ، وكُتب موضعَها في (ج) : (كذا) .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٣١٤/٣١) .

(٧) في (أ ، ب ، ج) : (بن محمد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٤٠٤/٣٧) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٦٥٦ ، ٧٠١ ، ٧١١ ، ٧٧٦ ، ٨٣٥ ، ٨٥١) .

(٨) انظر « المنتظم » (٥٤٧/٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٣١٤/٣١) .

٣٤٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ [هبةِ اللهِ][١] بنِ عبدِ السَّلامِ الكاتبُ ، وأبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ الخيَّاطُ بقراءتي عليهِما ببغدادَ قالا : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنُ النَّقُّورِ ، ثنا عيسى بنُ عليِّ بنِ عيسى الوزيرُ إملاءً قالَ : قُرِئَ علىٰ أبي القاسمِ بدرِ بنِ الهيثمِ وأنا أسمعُ قيلَ لهُ : حدَّثَكُمُ الفضلُ بنُ العبَّاسِ بنُ عميرةَ البُرْجُميُّ ، ثنا عبيدُ بنُ يعيشَ ، ثنا بكرُ بنُ محمَّدٍ العابدُ قالَ : سألتُ سفيانَ الثَّوْريَّ قالَ : قلتُ : دُلَّني علىٰ رجلٍ أجلسُ إليهِ .

قالَ : تلكَ ضالَّةٌ لا تُوجَدُ[٢]

نُكْتَةٌ

[مَثَلُ الصَّحابةِ مَثَلُ العيونِ]

٣٤٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو المعالي أحمدُ بنُ منصورِ بنِ المُؤمِّلِ الغزَّالُ بقراءتي عليهِ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الرَّزَّازُ إملاءً ، ثنا أبو الحسينِ ابنُ سمعونٍ الواعظُ إملاءً ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا أبو العيناءِ ، ثنا العُتْبيُّ ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، عن أبي هارونَ ، عن أبي سعيدٍ قالَ : (مَثَلُ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَثَلُ العيونِ ، ودواءُ العيونِ تَرْكُ مَسِّها)[٣]

٣٤٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الفتحِ مُفلِحُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الدُّوميُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ الخوارزميُّ ، أنا إسماعيلُ بنُ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ الصَّرْصَريُّ ، ثنا الحسينُ بنُ إسماعيلَ المَحامِليُّ القاضي ، ثنا عليُّ بنُ مسلمٍ ، ثنا زافرُ بنُ سليمانَ ، ثنا ابنُ المُبارَكِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسلمٍ ـ رجلٌ مِن أهلِ مَرْوَ ـ قالَ : كنتُ أُجالِسُ ابنَ سيرينَ ،

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٥١٢/٣٦) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٧٥٧) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨١) مخطوط ، والبلاذري في « جمل من أنساب الأشراف » (٣١٣/١١) وفيه عن الفضيل بن عياض بدلاً من بكر العابد ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥٢/٧) ، وانظر « بهجة المجالس » لابن عبد البر (٦٧٣/١) عن الفضيل أيضاً ، و« سير السلف الصالحين » لقوام السنة (١٠٠٤/٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥٥٩/٢) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٢) مخطوط ، وابن سمعون في « أماليه » (٧٥) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٤٤) مخطوط ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١٩/٤) عن ابن عيينة ، و« ربيع الأبرار » (٤٩٤/١) عن طاووس .

فتركتُ مجالستَهُ ، فجلستُ إلىٰ قومٍ مِنَ المعتزلةِ ، فرأيتُ في المَنامِ أنِّي معَ قومٍ يحملونَ جِنازةَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فقالَ[1] : ما لَكَ ؟! مَن جالستَ ؟ إنَّكَ معَ قومٍ يُريدونَ أن يدفنوا ما جاءَ بهِ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ !![2]

حكاية

[تأديبُ أُمِّ سفيانَ الثَّوْريِّ لهُ]

٣٥٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو المعالي الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ البَزَّازُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ صاعدٍ القاضي ، أنا الحاكمُ [أبو سعيدٍ][3] الهيثمُ بنُ عتبةَ بنِ خيثمةَ ، أنا أبو عمرٍو محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ حمدانَ ، حدَّثَني أبي ، ثنا حرميٌّ البَلْخيُّ ، ثنا أحمدُ ابنُ حنبلٍ ، سمعتُ وكيعَ بنَ الجرَّاحِ يقولُ : قالَتْ أُمُّ سفيانَ الثَّوْريِّ لسفيانَ رحمَهُ اللهُ : (يا بُنَيَّ ؛ اذهبْ فاكتبِ الحديثَ ؛ فإذا كتبتَ عشرةَ أحاديثَ . . فانظرْ هل ترىٰ في نفسِكَ زيادةً حتَّىٰ أعولَكَ بمِغزَلي ، وإلَّا . . فلا تتعنَّ)[4]

[حكاية]

[بينَ موسىٰ عليهِ السَّلامُ والضِّفْدِعِ]

٣٥١ ـ وبهِ قالَ : أنا [أبو الحسنِ][5] عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الصُّوفيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو يعلىٰ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ المالكيُّ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ بنِ بلالٍ ، ثنا عليُّ بنُ أحمدَ المَصِّيصيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ خُلَيدٍ ، ثنا ابنُ رحمةَ ، ثنا

---

(١) يعني : ابن سيرين .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٢) مخطوط ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١٣٧٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٢/٥٣) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/١٣٤) مخطوط ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣٨٤/٤ ـ ٣٨٥) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو الأسعد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣٥٩/٢٩ ـ ٣٦٠) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٤) مخطوط ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٩٧/٣) بنحوه ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٢٥/١٠) ، و« الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٤٦٢/١ ـ ٤٦٣) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو الحسين) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٧٨/٣٧) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٢٣٧) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٣٥٣ ، ٤٤٢ ، ٦١٦) .

عبدُ المُنعِمِ بنُ إدريسَ ، عن أبيهِ ، عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ قالَ : أقامَ موسى بنُ عمرانَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ اثنَي عشرَ هلالاً مُعتكِفاً مُجتهِداً في العبادةِ ؛ مِن أجلِ القتيلِ الَّذي قتلَهُ بمصرَ ، ثمَّ قالَ : « إِلَـٰهِي ؛ قَدْ طَالَ لَيْلِي ، وَكَثُرَ دُعَائِي ، وَٱنْحَنَىٰ صُلْبِي ، وَلَا أَدْرِي إِلَامَ يَؤُولُ أَمْرِي » .

فأوحى اللهُ إليهِ أنِ امضِ إلىٰ نيلِ مصرَ ، وأوحى اللهُ إلىٰ ضِفْدِعٍ مِنَ النِّيلِ أن كلِّميهِ ، فقالَتْ لهُ الضِّفْدِعُ : وا سوءَتاهُ يا بنَ عمرانَ ؛ أَتَمُنُّ على اللهِ تعالىٰ بعبادتِكَ واجتهادِكَ لهُ سنةً ، وقدِ اصطفاكَ اللهُ نبيّاً ؟!

فوالَّذي بعثَكَ بالحقِّ نبيّاً ؛ إنِّي لعلىٰ ظهرِهِ منذ ثلاثِ مئةٍ [وستِّينَ] (١) سنةً ، أُسبِّحُ ربِّي بالغدوِّ والآصالِ ، وإنَّ مفاصلي لترتعدُ مَخافةَ أن يَمْكُرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بي فيقذفَني في النَّارِ .

قالَ لها موسىٰ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « فَبِٱلَّذِي أَنْطَقَكِ ؛ إِلَّا عَلَّمْتِنِي مَاذَا تَقُولِينَ إِذَا جَنَّكِ ٱللَّيْلُ » .

قالَتْ : نعم يا بنَ عمرانَ ، إذا جنَّنيَ اللَّيلُ . . لَطِئتُ بينَ الماءَينِ (٢) ، ووضعتُ فَخِذِيَ اليُمنىٰ علىٰ فَخِذِيَ اليُسرىٰ ، وسبَّحتُ اللهَ تعالىٰ تسبيحاتٍ (٣) : (سبحانَ المعبودِ في لُجَجِ البحارِ ، سبحانَ المعبودِ في رؤوسِ الجبالِ ، سبحانَ المعبودِ في البلدِ القِفارِ ، سبحانَ المذكورِ بكلِّ شفةٍ ولسانٍ ، سبحانَ مَن لا يعلمُ كيفَ هوَ إلَّا هوَ) .

قالَ عبدُ المُنعِمِ بنُ إدريسَ : فواللهِ ؛ ما زالَ هـٰذا التَّسبيحُ بموسى بنِ عمرانَ حتَّىٰ قبضَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ (٤) .

حكاية

[اللَّهُمَّ ؛ اغفرْ لي ولا أراكَ تفعلُ !!]

٣٥٢ ـ وبهِ قالَ : أنا جابرُ بنُ محمَّدِ بنِ جابرٍ الشَّاهدُ بالبصرةِ ، ثنا أبو يعلىٰ أحمدُ بنُ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (ستين) ، وفي (ب ، ج) : (سنين) ، والمثبت موافق لما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » .

(٢) لَطِئت : لصقت .

(٣) عُنْوِنَ ها هنا في هامش (أ) : بـ (فائدة) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٦ ـ ٨٧) مخطوط .

محمَّدِ بنِ الحسنِ العَبْديُّ إملاءً ، ثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ طلحةَ بنِ غَسَّانَ البصريُّ ، ثنا أبو القاسمِ عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ سيفٍ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، ثنا أبو مُعاذٍ ، ثنا أبو عثمانَ المازنيُّ ، ثنا أبو يعقوبَ يوسفُ الكُوفيُّ ـ وكان قد روى الأحاديثَ والأشعارَ عن رجلٍ قد سمَّاهُ سقطَ اسمُهُ مِنَ الأصلِ ، وهوَ بخطِّ أبي الحسنِ الزَّيَّاتِ ، وأظنُّهُ : عن أبيهِ ، واللهُ أعلمُ [١] ـ قالَ : حججتُ ذاتَ سنةٍ ، فإذا أنا برجلٍ عندَ البيتِ وهوَ يقولُ : اللَّهُمَّ ؛ اغفرْ لي ولا أراكَ تفعلُ !! فقلتُ : يا هٰذا ؛ ما أعجبَ يأسَكَ ممَّا عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ !!

فقالَ : إنَّ لي ذنباً عظيماً ، قالَ : قلتُ : أَخبِرْني .

قالَ : كنتُ معَ محمَّدِ بنِ يحيى بنِ محمَّدٍ بالمَوْصِلِ ، فأمرَنا يومَ جمعةٍ ، فاعترضْنا المسجدَ ، فنرىٰ أنَّا قتلْنا فيهِ ثلاثينَ ألفاً ، ثمَّ نادىٰ مُناديهِ : مَن علَّقَ سوطَهُ علىٰ دارٍ . . فالدَّارُ وما فيها لهُ .

فعلَّقتُ سوطي علىٰ دارٍ ، ثمَّ دخلتُها ، فإذا برجلٍ وامرأةٍ وابنَينِ لهُما ، فقدَّمتُ الرَّجلَ فقتلتُهُ ، ثمَّ قلتُ للمرأةِ : هاتي ما عندَكِ ، وإلَّا . . ألحقتُ ابنَيكِ بهِ .

فجاءَتْني بسبعةِ دنانيرَ ومُتَيِّعٍ [٢] ، قالَ : قلتُ : هاتي ما عندَكِ ، فقالَتْ : ما عندي غيرُ هٰذا ، فقدَّمتُ أحدَ ابنَيها فقتلتُهُ ، ثمَّ قلتُ : هاتي ما عندَكِ ، وإلَّا . . ألحقتُ الآخرَ بهِ .

فلمَّا رأَتْ منِّيَ الجِدَّ . . قالَتِ : ارفقْ ؛ فإنَّ عندي شيئاً كانَ أودعَنيهِ أبوهُما ، فجاءَتْني بدِرعٍ مُذهَّبةٍ ، لم أَرَ في حُسنِها ، فجعلتُ أُقلِّبُها عجباً بها ، فإذا عليها مكتوبٌ بالذَّهبِ : [من الوافر]

إِذَا جَـارَ ٱلْأَمِـيـرُ وَحَـاجِـبَـاهُ ... وَقَـاضِـي ٱلْأَرْضِ دَاهَـنَ فِـي ٱلْـقَـضَـاءِ

فَـوَيْـلٌ ثُـمَّ وَيْـلٌ ثُـمَّ وَيْـلٌ ... لِـقَـاضِـي ٱلْأَرْضِ مِـنْ قَـاضِـي ٱلـسَّـمَـاءِ

فسقطَ السَّيفُ مِن يدي وارتعدتُ ، وخرجتُ مِن وجهي إلىٰ حيثُ ترىٰ [٣]

---

(١) هي عن أبيه كما قال ، انظر « الأمالي » لأبي القاسم الزجاجي (ص ٣٦) .

(٢) مُتَيِّع : تصغير متاع ؛ وهو السِّلعة .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٧) مخطوط ، وأبو القاسم الزجاجي في « الأمالي » (ص ٣٥ ـ ٣٦) .

حكاية

[في اعتذارِ الصَّديقِ والعدوّ]

٣٥٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ اليعقوبيُّ مولاهُم بقراءتي عليهِ ، أنا أبو يعلىٰ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ العَبْديُّ قراءةً عليهِ ، ثنا [أبو الحسينِ][1] أحمدُ بنُ محمَّدٍ ابنُ سِمنانَ السِّمَنانيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ المُزَنيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ حسينٍ التَّميميُّ ، ثنا حاجبُ بنُ سليمانَ قالَ : قالَ لي وكيعُ بنُ الجرَّاحِ : اعتلَّ سفيانُ الثَّوْريُّ ، فتأخَّرتُ عن عيادتِهِ .

ثمَّ عدتُهُ بعدَ ذٰلكَ فاعتذرتُ إليهِ ، فقالَ لي : يا بنَ أخي ؛ لا تعتذرْ ، فقلَّ مَنِ اعتذرَ إلَّا كذبَ .

واعلمْ أنَّ الصَّديقَ لا يُحتسَبُ عليهِ شيءٌ ، والعدوَّ لا يُحتسَبُ لهُ شيءٌ[2]

* * *

٣٥٤ ـ وبهِ قالَ : أنا جابرُ بنِ محمَّدِ بنِ جابرِ العدلُ ، ثنا أبو يعلىٰ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ العَبْديُّ إملاءً ، ثنا أبو تمَّامٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ موسى المُقرِئُ ، ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ محمَّدٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرٍو الحنفيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يونسَ القرشيُّ ، ثنا قبيصةُ بنُ عقبةَ : سمعتُ سفيانَ بنَ سعيدٍ الثَّوْريَّ ؛ يعني : يتمثَّلُ بهٰذا[3] : [من البسيط]

تَفْنَى ٱللَّذَاذَاتُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا ... مِنَ ٱلْحَرَامِ وَيَبْقَى ٱلْإِثْمُ وَٱلْعَارُ

تَبْقَىٰ عَوَاقِبُ سَوْءٍ فِي مَغَبَّتِهَا ... لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا ٱلنَّارُ[4]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو الحسن) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (٤١/٦) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٤٨٣) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٧) مخطوط ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٩٥) .

(٣) هي لمِسْعَر بن كِدَام كما في « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٦٣/٣) ، و« الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٦٢١/١) ، وقيل غير ذٰلك .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٧) مخطوط ، والخرائطي في « اعتلال القلوب » (١٣١) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٥٤١) .

نُكْتَةٌ

[أمثالُ العربِ والعجمِ في القرآنِ]

٣٥٥ ـ وبهِ قالَ[١] : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أبي سعيدٍ الدَّرْغانيُّ بقراءتي عليهِ[٢] ، أنا أبو العبَّاسِ ابنُ الباغبانِ الأصبهانيُّ[٣] ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي عبدِ اللهِ ابنِ مَنْدَهْ الحافظُ ، أنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ الحِيريُّ أبو عبدِ الرَّحمٰنِ الضَّريرُ ، ثنا الأستاذُ أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدِ ابنِ حبيبٍ ، سمعتُ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ مضاربِ بنِ إبراهيمَ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سألتُ الحسينَ بنَ الفضلِ فقلتُ : إنَّكَ تُخرجُ أمثالَ العربِ والعجمِ مِنَ القرآنِ ، فهل تجدُ في كتابِ اللهِ : خيرُ الأمورِ أوساطُها ؟[٤] ، فقالَ : نعم ، في ثلاثةِ مواضعَ :

أوَّلُها في قصَّةِ البقرةِ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ لَا فَارِضٌ ﴾ ؛ وهيَ المُسِنَّةُ ، ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ ؛ وهيَ الفَتيَّةُ ، ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾[٥]

والثَّاني قولُهُ تباركَ وتعالىٰ في النَّفقةِ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٦]

والثَّالثُ قولُهُ تعالىٰ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، والآيةُ في الصَّلاةِ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[٧]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ : مَن جهلَ شيئاً . . عاداهُ ؟ قالَ : نعم ، في موضعَينِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾[٨]

---

(١) أخرج الخبرَ كاملاً أبو سعد السمعانيُّ كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٨ ـ ٨٩) مخطوط .

(٢) **الدَّرْغاني** : نسبة إلىٰ (دَرْغان) ، وهي مدينة علىٰ شاطئ جَيْحون ، وهي أوَّل حدود خوارزم . « معجم البلدان » (٤٥١/٢) .

(٣) ابن الباغبان : هو أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن عمر بن عمر بن القاسم بن إسحاق ، الأصبهانيُّ ، أبو القاسم ، ويقال : أبو العبَّاس ، كان رجلاً صالحاً ، توفِّي ببغداد في شعبان سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) ، **والباغبان** : نسبة إلىٰ حفظ الباغ ـ وهو الكَرْم ـ والبستان . « الأنساب » (٢٦١/١) .

(٤) انظر « مجمع الأمثال » (٥٨٩/١) .

(٥) سورة البقرة : (٦٨) .

(٦) سورة الفرقان : (٦٧) .

(٧) الآية من سورة (الإسراء) : (١١٠) ، وفي هامش (ج) : (وفي موضع رابع : **قولُهُ تعالىٰ** : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً . . . الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩]) ، وانظر « الإتقان في علوم القرآن » للجلال السيوطي (١٩٣٩/٥) .

(٨) سورة يونس ﷺ : (٣٩) .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾ (١)

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ : احذرْ شرَّ مَن أحسنتَ إليهِ ؟ (٢) ، قالَ : نعم (٣) : ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ (٤)

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ : « لَيۡسَ ٱلۡخَبَرُ كَٱلۡمُعَايَنَةِ » ؟ (٥) ، قالَ : نعم ، في قصَّةِ إبراهيمَ ، قولُهُ تعالىٰ : ﴿ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ (٦)

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ : أقصرَ لمَّا أبصرَ ؟ (٧) ، قالَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾ (٨)

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ : كما تَدينُ تُدانُ ؟ (٩) ، قالَ : نعم ، قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ (١٠)

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ : كما تزرعُ تحصدُ ؟ (١١) ، قالَ : نعم ، قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا ﴾ (١٢)

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ : لا في العِيرِ ، ولا في النَّفيرِ ؟ (١٣) ، قالَ : نعم ، قولُهُ تعالىٰ في وصفِ المُنافِقينَ : ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (١٤)

---

(١) انظر « الكشف والبيان » للثعلبي (١٣٣/٥) ، و« خاص الخاص » للثعالبي (ص ٢٧) ، والآية من سورة (الأحقاف) : (١١) .

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٣٧٤/١) .

(٣) ومعنى : (اتَّقِ شرَّ مَن أحسنتَ إليهِ) في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ ـ ٧] . انتهىٰ من هامش (ج) .

(٤) انظر « المدهش » لابن الجوزي (٦٣/١) ، و« الجامع لأحكام القرآن » (٢٠٨/٨) ، والآية من سورة (التوبة) : (٧٤) .

(٥) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣٢١/٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « مجمع الأمثال » (١١٤/٣) .

(٦) انظر « المدهش » لابن الجوزي (٦٣/١) ، والآية من سورة (البقرة) : (٢٦٠) .

(٧) انظر « مجمع الأمثال » (٥٨٠/٢) .

(٨) سورة آل عمران : (١٣٥) .

(٩) انظر « مجمع الأمثال » (٥٣/٣) .

(١٠) انظر « الإتقان في علوم القرآن » للجلال السيوطي (١٩٤٠/٥) ، والآية من سورة (النساء) : (١٢٣) .

(١١) انظر « مجمع الأمثال » (٧١/٣) .

(١٢) سورة آل عمران : (٣٠) .

(١٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٩٦/٣) .

(١٤) سورة النساء : (١٤٣) .

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ : حينَ تقلينَ تدرينَ ؟ [١] ، قالَ : نعم ، قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [٢]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قولَهُم : ما لا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ ؟ قالَ : نعم ، قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [٣]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ [تعالىٰ] قولَهُم : « لَا يُلْدَغُ ٱلْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » ؟ [٤] ، قالَ : نعم ، في قصَّةِ يوسفَ عليهِ السَّلامُ ، قولُ يعقوبَ عليهِ السَّلامُ : ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ [٥]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قولَهُم : لا يفلحُ منصورٌ حتَّىٰ يُنفَخَ في الصُّورِ ؟ قالَ : نعم ، قولُهُ [تعالىٰ] : ﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [٦]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قولَهُم : إلى اللهِ يلهفُ اللَّهفانُ ؟ قالَ : نعم ، قولُهُ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [٧]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ قولَهُم : « مَنْ أَعَانَ ظَالِماً . . سَلَّطَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ » ؟ [٨] ، قالَ : نعم ، قولُهُ تعالىٰ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ ﴾ [٩]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ قولَهُم : العَوْدُ أحمدُ ؟ [١٠] ، قالَ : نعم ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [١١]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٥٠٧/١) .
(٢) انظر « الإتقان في علوم القرآن » للجلال السيوطي (١٩٤٠/٥) ، والآية من سورة (الفرقان) : (٤٢) .
(٣) سورة يونس ﷺ : (٩٦ ـ ٩٧) .
(٤) أخرجه البخاري (٦١٣٣) ، ومسلم (٦٣) ، وأبو داوود (٤٨٦٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٥) انظر « الإتقان في علوم القرآن » للجلال السيوطي (١٩٤٠/٥) ، والآية من سورة (يوسف ﷺ) : (٦٤) .
(٦) سورة الكهف : (٢٠) .
(٧) سورة النحل : (٥٣) .
(٨) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤/٣٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(٩) انظر « المدهش » لابن الجوزي (٦٤/١) ، والآية من سورة (الحج) : (٤) .
(١٠) انظر « مجمع الأمثال » (٤٣٠/٢) .
(١١) سورة القصص : (٨٥) .

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ : ويلٌ للشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ ؟[1] ، قالَ : نعم ، ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾[2]

قلتُ : فهل تجدُ فيهِ : الحديدُ بالحديدِ يُفلَحُ ؟[3] ، قالَ : نعم ، قولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[4]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ قولَهُم : لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ ؟[5] ، قالَ : نعم ، قولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[6]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ : لا تلدُ الحيَّةُ إلَّا الحيَّةَ ؟[7] ، قالَ : نعم ، قولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[8]

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ قولَهُم : الأطرافُ منازلُ الأشرافِ ؟ قالَ : نعم ، قولُهُ تباركَ وتعالىٰ في (القصصِ) : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾[9] ، وفي (يسٓ) : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ ﴾[10]

نُكْتَةٌ
[في التَّغافلِ]

٣٥٦ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ المُبارَكِ بنِ أحمدَ البُنْدارُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الفتحِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ سعيدٍ الحَدَّادُ ، أنا عليُّ بنُ يحيى بنِ جعفرٍ الشَّرابيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الخازنُ ، ثنا محمَّدُ بنُ المُعافى بنِ أبي حنظلةَ الصَّيْداويُّ ،

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٥٠٥) .
(٢) سورة الفرقان : (٢٠) .
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٨٠) ، **والفَلْح** : الشَّقُّ .
(٤) سورة الشورىٰ : (٤٠) .
(٥) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٣٦) .
(٦) انظر « المقاصد الحسنة » للسخاوي (٨٦٨) ، والآية من سورة (قٓ) : (١٨) .
(٧) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٢٧٤) .
(٨) انظر « المدهش » لابن الجوزي (١/٦٤) ، والآية من سورة (نوح ﷺ) : (٢٧) .
(٩) سورة القصص : (٢٠) .
(١٠) انظر « خزانة الأدب » لابن حجة الحموي (١/٤١٦) ، والآية من سورة (يسٓ) : (٢٠) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

ثنا الرَّبيعُ بنُ سليمانَ ، سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ : (اللَّبيبُ العاقلُ هوَ الفَطِنُ المُتغافِلُ)[1]

نُكْتَةٌ

[في ليلةٍ مِن وَجْدٍ واضطرابٍ]

٣٥٧ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الفضلِ مسعودَ بنَ محمودٍ الطَّرَازيَّ ببُخارىٰ يقولُ : سمعتُ شيخَنا الحسنَ بنَ الحسينِ الأَنْدَقيَّ يقولُ[2] : قالَ ليَ الإمامُ محمَّدٌ الصَّكَّاكُ الواعظُ البُخاريُّ : اجتمعْنا ليلةً معَ أحمدَ الغزاليِّ[3] في مسجدِ الشُّونيزيَّةِ ببغدادَ ، وكانَ فيهِ جماعةٌ مِنَ الصُّوفيَّةِ والغرباءِ ، فلمَّا صلَّيْنا العِشاءَ . . أخذَ القوَّالُ يقولُ شيئاً ، فقالَ في أثناءِ المجلسِ بالفارسيَّةِ :

رَازِي ستْ مَرَا بَا شَبْ وُ رَازِي ستْ عَجَبْ
شَبْ دَانَد وُمَنْ دَانَم وُمَنْ دَانَم وُ شَبْ[4]

فقامَ أحمدُ يتواجدُ ، واضطربَ وقامَ علىٰ رأسِهِ ورِجلاهُ في الهواءِ ، والجمعُ والقوَّالُ قيامٌ موافقةً لهُ ، فذهبَتْ طائفةٌ مِنَ اللَّيلِ وهوَ علىٰ تلكَ الحالِ ، وأعيا الجمعَ وما وضعَ يدَهُ ورِجلَيهِ على الأرضِ[5]

حِكَايَةٌ

[بينَ أحمدَ ومحمَّدٍ الغزاليَّينِ]

٣٥٨ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ [أبا المكارمِ][6] حمزةَ بنَ إبراهيمَ الخُداباذيَّ ببُخارىٰ ، سمعتُ أبا الرِّضا الخُوجَانيَّ يقولُ : حضرَ أحمدُ الغزاليُّ جمعةً مِنَ الجُمَعِ عندَ أخيهِ

---

(١) أخرجه ابن المقرئ في « المعجم » (٦٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١٢٣) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/ ١٣) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤/ ٣٢٦) .

(٢) الأَنْدَقي : نسبة إلىٰ (أَنْدَق) ، وهي قرية بينها وبين بُخارىٰ عشرة فراسخ . « معجم البلدان » (١/ ٢٦١) .

(٣) مات أحمد الغزاليُّ بقَزْوين في حدود سنة عشرين وخمس مئة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٤) معناه : إنَّ بيني وبين اللَّيل لسرّاً عجيباً ، لا يعلمه أحدٌ سِوانا .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/ ٩٣) مخطوط ، وذكره ابن حجر في « لسان الميزان » (١/ ٦٤٨) دون الأبيات .

(٦) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبا محمد) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٢/ ٣٢٩) .

أبي حامدٍ ، وهوَ في زاويةٍ يقرأُ سورةَ (الأنعامِ) ، فوقفَ أحمدُ على البابِ ساعةً كالمُتفكِّرِ ورجعَ ، فأُخبِرَ الإمامُ أبو حامدٍ بحضورِ أحمدَ بعدَ ذٰلكَ .

فلمَّا رآهُ مِنَ الغدِ . . قالَ لهُ : سمعتُ أنَّكَ حضرتَ بالأمسِ ، وما دخلتَ عليَّ ، ولم أشعرْ بذٰلكَ ؛ لأنِّي كنتُ أقرأُ سورةَ (الأنعامِ) .

قالَ لهُ أحمدُ : ما سمعتُ سورةَ (الأنعامِ) ، ولٰكنْ كنتُ أسمعُ بحسابِ البقَّالِ !!

فقالَ لهُ الإمامُ أبو حامدٍ : نعم يا أخي ، أخذْنا الحوائجَ مِنَ البقَّالِ ، فبلغَ الحسابُ مبلغاً ، واشتغلَ قلبي بذٰلكَ ، وغلبَني في حالِ القراءةِ [1] .

* * *

٣٥٩ ـ وبهِ قالَ : وقرأتُ في بعضِ مجالسِهِ [يعني : أحمدَ الغزاليَّ] : (مَن لم يكنْ بينَ ليلِ الوِصالِ والهِجرانِ ، والهمومِ والفرحِ ، والقَبولِ والرَّدِّ . . فليسَ مِنَ اللهِ في شيءٍ) .

ثمَّ أنشدَ [2] : [من الطويل]

تَـزَايَـدَ مَـا أَلْـقَـىٰ فَـقَـدْ جَـاوَزَ ٱلْـحَـدَّا ... وَكَـانَ ٱلْـهَـوَىٰ مَـزْحـاً فَـصَـارَ ٱلْـهَـوَىٰ جِـدَّا

وَقَـدْ كُـنْـتُ جَـلْـداً ثُـمَّ أَوْبَـقَـنِـي ٱلْـهَـوَىٰ ... كَـذَاكَ ٱلْـهَـوَىٰ مَـا زَالَ يَـسْـتَـوْهِـنُ ٱلْـجَـلْـدَا

أَتَـيْـتُـكَ أَسْـتَـعْـدِي إِلَـيْـكَ مِـنَ ٱلْـهَـوَىٰ ... وَمَـنْ كَـانَ مِـثْـلِـي لَا يُـلَامُ إِذَا ٱسْـتَـعْـدَىٰ

غَـلَـبْـتُـمْ عَـلَـىٰ أَمْـرِي فَـصِـرْتُـمْ أَحَـقَّ بِـي ... وَأَمْـلَـكَ بِـي مِـنِّـي فَـصِـرْتُ لَـكُـمْ عَـبْـدَا [3]

* * *

٣٦٠ ـ وبهِ قالَ : مِن جملةِ كلماتِهِ : (مَن كانَ في اللهِ تَلَفُهُ . . كانَ على اللهِ خَلَفُهُ) [4] .

* * *

٣٦١ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ هبةِ اللهِ ابنِ يوسفَ الصُّوفيَّ يقولُ :

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٩٣) مخطوط ، وانظر « لسان الميزان » لابن حجر (٦٤٨/١) .

(٢) الأبيات لأبي بكر الصنوبري كما في « تاريخ دمشق » (٢٤١/٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥٥/١٧ ـ ١٥٦) كلُّهم عدا البيت الثالث .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٩٤) مخطوط لكن دون القول .

(٤) ذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (٣٩٩/١ ـ ٤٠٠) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « الوافي بالوفيات » (١١٦/٨) .

(خرجَ أحمدُ الغزاليُّ إلى المُحوَّلِ وخرجْنا معَهُ[1] ، فركبْنا إلى البساتينِ والنَّواعيرِ الَّتي على الفُراتِ ، فوقفَ عندَ ناعورةٍ تَئِنُّ أنينَ المُصابةِ ، فطابَ وقتُهُ ، وأخذَ الطَّيلسانَ مِن رأسِهِ ، ورماهُ على النَّاعورةِ ، فأدارَها الماءُ فصارَ نتفةً نتفةً)[2]

٣٦٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو العزِّ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الصُّوفيُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الأَبَرْقُوهيُّ بمكَّةَ[3] ، أنا أبو الخيرِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ هارونَ إمامُ الجامعِ بأصبهانَ ، ثنا والدي ، ثنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ جعفرٍ ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ أبي صالحٍ الوَرَّاقُ العَسْكَريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ زكريَّا بنِ دينارٍ الغَلَابيُّ ، ثنا الحكمُ بنُ أسلمَ قالَ : قالَ أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ : رأيتُ في مَنامي ثلاثَ ليالٍ هٰذا البيتَ : [من الطويل]

وَكَيْفَ تَنَامُ ٱلْعَيْنُ وَهْيِ قَرِيرَةٌ ... وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ ٱلْمَحَلَّيْنِ تَنْزِلُ[4]

حكاية

[قلتُ : وما الحُبُّ ؟]

٣٦٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ ـ هوَ أبو سعدٍ البغداديُّ ـ بقراءتي عليهِ بفَيْدَ[5] ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ ابنُ العلَّافِ المُقرِئُ ببغدادَ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القَنْديُّ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عليٍّ الكِنْديُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ الخرائطيُّ ، ثنا العبَّاسُ بنُ الفضلِ الرَّبَعيُّ ، ثنا أبو حيَّانَ المَرْوَزيُّ ، عنِ ابنِ أحمرَ النَّحْويِّ قالَ : بينا أنا أطوفُ بالبيتِ . . إذ بصُرتُ بامرأةٍ مُتبرقِعةٍ تطوفُ بالبيتِ ، وتقولُ : [من البسيط]

لَا يَقْبَلُ ٱللهُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ عَمَلاً ... يَوْماً وَعَاشِقُهَا غَضْبَانُ مَهْجُورُ

---

(١) **المُحوَّل** : بليدة حسنة طيبة نُزْهة ، كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه ، بينها وبين بغداد فرسخ . « معجم البلدان » (٥/٦٦) .

(٢) ذكره الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٨/١١٧) وعزاه لأبي سعد السمعاني وابن النجار .

(٣) **الأَبَرْقُوهي** : نسبة إلىٰ (أَبَرْقُوه) ، وهو بلد مشهور بأرض فارس . « معجم البلدان » (١/٦٩) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٩٥) مخطوط ، وابن أبي الدنيا في « المنامات » (١٤٥) .

(٥) **فَيْد** : بليدة في نصف طريق مكَّة من الكُوفة . « معجم البلدان » (٤/٢٨٢) .

لَيْسَتْ بِمَأْجُورَةٍ فِي قَتْلِ عَاشِقِهَا ... لَكِنَّ عَاشِقَهَا فِي ذَاكَ مَأْجُورُ

فقلتُ لها : في هٰذا الموضعِ رحمَكِ اللهُ ؟! فقالَتْ : إليكَ عنِّي ؛ لا يَعْلَقْكَ الحُبُّ .

قلتُ : وما الحُبُّ ؟

قالَتْ : جلَّ ـ واللهِ ـ عن أن يَخفىٰ ، وخَفِيَ عن أن يُرىٰ ، فهوَ كالنَّارِ في أحجارِها ؛ إذا حرَّكتَهُ . . أَوْرىٰ ، وإن تركتَهُ . . توارىٰ .

ثمَّ أنشأَتْ تقولُ [1] : [من الكامل]

غِيدٌ غَرَائِرُ مَا هَمَمْنَ بِرِيبَةٍ ... كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ

يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ ٱلْحَدِيثِ زَوَانِياً ... وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ ٱلْخَنَا ٱلْإِسْلَامُ [2]

نُكْتَةٌ

[مِن حكمةِ الشَّافعيِّ رحمَهُ اللهُ]

٣٦٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ العبَّاسيُّ بأصبهانَ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الشَّافعيُّ بمكَّةَ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ ابنِ فراسٍ العَبْقَسيُّ ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ الفتحِ بنِ نصرٍ الفقيهُ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ حمدانَ بنِ سفيانَ يقولُ : سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ : (ما رفعتُ أحداً فوقَ منزلتِهِ إلَّا وضعَ منِّي بمقدارِ ما رفعتُ منهُ) [3]

❊ ❊

---

(١) هي لعبد الله بن حسن ابن علي بن أبي طالب في « جمل من أنساب الأشراف » (٣/٣١٠) ، و« ثمار القلوب » للثعالبي (١/٦٠٤) ، و« زهر الآداب » للقيرواني (١/٨٠) ، وغيرها ، وقيل : لغيره ، انظر « البيان والتبيُّن » للجاحظ (١/٢٧٦) ، و« ديوان عروة بن أذينة » (ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥) ، و« تاريخ دمشق » (٥٩/٢٤٩) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٠٤) مخطوط ، والخرائطي في « اعتلال القلوب » (١٤١) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢/١٦٣ ـ ١٦٤) بنحوه عن عبد الله بن حسن ، والسراج القارئ في « مصارع العشاق » (٢/١٧٧) بنحوه عن عبد الله بن حسن ، وانظر « الزهرة » لأبي بكر الأصفهاني (١/١١٨ ـ ١١٩) عن الأصمعي ، و« الموشىٰ » للوشاء (ص ٩٢) عن الأصمعي أيضاً .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٠٦) مخطوط ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٤٦) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/١٩٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/٤١٢) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٥٥٩) ، وانظر « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (١/١٨٣) .

٣٦٥ ـ وبهِ إلى الشَّافعيِّ قالَ : (إذا أخطأَتْكَ الصَّنيعةُ إلىٰ مَن يتَّقي اللهَ . . فاصنعْها إلىٰ مَن يتَّقي العارَ)(١)

٣٦٦ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ النَّصْرويُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ أحمدَ ابنِ طلحةَ النِّعاليُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ يوسفَ الحِنَّائيُّ ، ثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ابنُ السَّمَّاكِ الدَّقَّاقُ ، ثنا أبو القاسمِ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ الخُتَّليُّ ، حدَّثَني محمَّدُ ابنُ أبي رجاءٍ أبو جعفرٍ ، حدَّثَني أبو بكرٍ ـ شيخٌ مِنَ الشُّعراءِ ـ قالَ : رُئِيَ علىٰ قبرٍ مكتوبٌ : [من البسيط]

اَلْمَوْتُ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِ مَمْلَكَتِي ... فَٱلتُّرْبُ مُضْطَجَعِي مِنْ بَعْدِ تَتْرِيفِ
لِلهِ عَبْدٌ رَأَىٰ قَبْرِي فَأَحْزَنَهُ ... وَهَابَ مِنْ دَهْرِهِ رَيْبَ ٱلتَّصَارِيفِ
هَـٰذَا مَصِيرُ ذَوِي ٱلدُّنْيَا وَإِنْ جَمَعُوا ... فِيهَا وَغَرَّهُمُ طُولُ ٱلتَّسَاوِيفِ
أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ مِنْ عَمْدِي وَمِنْ خَطَئِي ... وَأَسْأَلُ ٱللهَ فَوْزِي يَوْمَ تَوْقِيفِي(٢)

نُكتةٌ

[في التَّحذيرِ مِن مصاحبةِ الأنذالِ]

٣٦٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ هالةَ الرُّنَانيُّ بقراءتي عليهِ بأصبهانَ(٣) ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ محمَّدِ(٤) بنِ إسحاقَ الباقَرْحيُّ ببغدادَ(٥) ، أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ ابنِ حسنونٍ النَّرْسيُّ ، أنا أبو حاتمٍ محمَّدُ بنُ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٠٦) مخطوط ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٤٦/٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٤٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٢/٥١) ، وانظر « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (١٨٤/١) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١١٠) مخطوط ، وابن أبي الدنيا في « القبور » (٢١٢) ، والختلي في « الديباج » (١٧) ، وابن الجوزي في « مثير الغرام الساكن » (ص ٥٠٨) .

(٣) الرُّنَاني : نسبة إلىٰ (رُنَان) ، وهي إحدىٰ قرىٰ أصبهان . « الأنساب » (٩٤/٣) .

(٤) (الحسن بن محمد) : في (أ ، ب ، ج) : (الحسن بن أحمد بن محمد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣٩٨/٣٥) .

(٥) الباقَرْحي : نسبة إلىٰ (باقَرْح) ، وهي قرية من نواحي بغداد . « الأنساب » (٢٦٤/١) .

عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدٍ اللَّبَّانُ ، ثنا أبو مُعاذٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ الحريريُّ بقَزْوينَ ، ثنا أبو موسىٰ هارونُ بنُ موسى ابنِ حيَّانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ إدريسَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ رجاءٍ قالَ : قالَ قيسُ بنُ محمَّدٍ : يا بُنَيَّ ؛ إيَّاكَ ومصاحبةَ الأنذالِ ؛ فإنَّ مصافاتَهُم إلىٰ زوالٍ ، وهم أهلُ خلافٍ وإتلافٍ ، وسرعةِ إفتاكٍ وانصرافٍ [1] ، إن رَأَوْكَ بخيرٍ . . نهبوكَ ، وإن رَأَوْكَ في عظيمةٍ . . أَسْلَموكَ .

وكُنْ كما قالَ الشَّاعرُ : [من الوافر]

إِذَا ٱلْـوَاشِـي لَـدَيْـكَ نَـعَـىٰ صَـدِيـقـاً ... فَـلَا تَـجْـفُ ٱلـصَّـدِيـقَ بِـقَـوْلِ وَاشِ

وَلَا تَـصْـحَـبْ قَـرِيـنَ ٱلـسَّـوْءِ وَٱنْـظُـرْ ... لِـنَـفْـسِـكَ مَـنْ تُـجَـالِـسُ أَوْ تُـمَـاشِـي

وَلَا تُـخْـبِـرْ بِـسِـرِّكَ كُـلَّ سِـرٍّ ... إِذَا مَـا جَـاوَزَ ٱلْإِثْـنَـيْـنِ فَـاشِ [2]

* * *

٣٦٨ ـ وبـهِ إلىٰ أبي حاتمِ اللَّبَّانِ قالَ : أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ جعفرِ بنِ عيسى السَّمَرْقَنْديُّ قالَ : أنشدَنا أبو غالبٍ زاهرُ بنُ عبدِ اللهِ السَّمَرْقَنْديُّ : [من الكامل]

لَا تَـرْضَ مِـنْ رَجُـلٍ حَـلَاوَةَ قَـوْلِـهِ ... حَـتَّـىٰ يُـصَـدِّقَ مَـا يَـقُـولُ فَـعَـالُ

فَـإِذَا وَزَنْـتَ فَـعَـالَـهُ بِـمَـقَـالِـهِ ... فَـتَـوَازَنَـا فَـإِخَـاءُ ذَاكَ جَـمَـالُ [3]

حكاية

[فإذا عصمتُهُم . . فعلىٰ مَن أتفضَّلُ ؟!]

٣٦٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ بمَرْوَ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ المُظفَّرِ ابنِ سَوْسَنٍ البغداديُّ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمٰنِ ابنُ عبدِ اللهِ

---

(١) (إفتاك وانصراف) : في (ب ، ج) : (إقبال وانصراف) .

(٢) (الإثنين) ـ بهمزة قطع ـ : ضرورة ، وأخرج الخبرَ أبو سعد السمعانيُّ كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١١١) مخطوط ، وأبو طاهر السلفيُّ في « المشيخة البغدادية » (ق/٢٥٥) مخطوط ، وفيه : (وإيَّاكَ ومصاحبةَ بني الأعمامِ ؛ فإنَّهُم كما قالَ : [من البسيط]

لَا تَـصْـحَـبَـنَّ بَـنِـي ٱلْأَعْـمَـامِ إِنَّـهُـمُ ... قَـدْ يَـشْـمَـتُـونَ إِذَا مَـا زَلَّـتِ ٱلْـقَـدَمُ

واصحبْ مَن هوَ دونَكَ ؛ فإنَّكَ إنِ احتجتَ إليهِم . . كانوا معَكَ ، وإنِ احتاجوا إليكَ . . كنتَ سيِّدَهُم) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١١١) مخطوط .

الحُرْفيُّ [1] ، ثنا أحمدُ بنُ سلمانَ النَّجَّادُ الفقيهُ ، ثنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محفوظٍ ، ثنا أحمدُ بنُ عليلٍ البَزَّازُ ، عن محمَّدِ بنِ عمرِو بنِ حَنانٍ الحِمْصيِّ ، عن بقيَّةَ بنِ الوليدِ ، عن إبراهيمَ بنِ أدهمَ قالَ : (أقمتُ بمكَّةَ سنةً مِنَ السِّنينَ ، فأتَتْ عليَّ ليلةٌ شديدةُ الظُّلمةِ شديدةُ المطرِ ، فقلتُ : خلا ليَ الطَّوافُ ، فلم أزلْ أطوفُ إلى السَّحَرِ الأعلىٰ ، فرفعتُ يديَّ إلى السَّماءِ ، فقلتُ : اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ أن تعصمَني عن كلِّ ما تكرهُ ، وإذا بقائلٍ يقولُ مِنَ الهواءِ : أنتَ تسألُنيَ العصمةَ ، وكلُّ عبادي يسألونيَ العصمةَ ؛ فإذا عصمتُهُم . . فعلىٰ مَن أتفضَّلُ ؟!) [2]

حكاية

[خوفُ المهديِّ ومناجاتُهُ ربَّهُ]

٣٧٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ مُقرَّبٍ الكَرْخيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الفوارسِ طرادُ بنُ محمَّدٍ الزَّينبيُّ قراءةً عليهِ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الهاشميُّ ، ثنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ عمرِو بنِ البخْتَريِّ الرَّزَّازُ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ البراءِ العَبْديُّ ، حدَّثَني عبيدُ اللهِ بنُ فرقدٍ مولى المهديِّ رحمَهُ اللهُ قالَ : (هاجَتْ ريحٌ زمنَ المهديِّ ، فدخلَ المهديُّ بيتاً في جوفِ البيتِ ، فألزقَ خدَّهُ بالتُّرابِ ، ثمَّ قالَ : اللَّهُمَّ ؛ إنَّهُ بريءٌ مِن هٰذهِ الجنايةِ كلُّ هٰذا الخَلْقِ غيري ، فإن كنتُ المطلوبَ مِن بينِ خَلْقِكَ . . فها أنا ذا بينَ يدَيكَ ، اللَّهُمَّ ؛ لا تُشمِتْ بي أهلَ الأديانِ .

فلم يزلْ كذٰلكَ حتَّى انجلَتِ الرِّيحُ) [3]

٣٧١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ بشَّارٍ الجُرْجانيُّ ، أنا أبو المحاسنِ عبدُ الواحدِ بنُ إسماعيلَ الرُّويانيُّ ، ثنا مالكُ بنُ سنانٍ ، سمعتُ القاضيَ

---

(١) **الحُرْفي** : هٰذه النِّسبة للبقَّال ببغداد ومن يبيع الأشياء الَّتي تتعلَّق بالبزور والبقَّالين . « الأنساب » (٢/٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١١٥) مخطوط ، وابن الجوزي في « مثير الغرام الساكن » (ص ٣٤٩) ، وانظر « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (١/٢٢٠) ، و« الرسالة القشيرية » (ص ٣٦٤) ، و« إحياء علوم الدين » (٧/٥٠٠) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٥٧ ـ ٥٨) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١١٦) مخطوط ، والعيسوي في « فوائده » ضمن كتاب « مجموع فيه عشرة أجزاء حديثية » (٦١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٣٩٣ ـ ٣٩٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٦٣) .

العالمَ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ محمَّدٍ المُطهَّريَّ[1] ، سمعتُ أبا طاهرٍ محمَّدَ بنَ عبدِ الرَّحمـٰنِ ، سمعتُ أبا القاسمِ البَغَويَّ قالَ : ثنا عثمانُ ابنُ أبي شيبةَ ، سمعتُ أبا نعيمٍ يقولُ : كتبَ سفيانُ إلى ابنِ أبي ذئبٍ : (مِن سفيانَ بنِ سعيدٍ إلىٰ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ :

سلامٌ عليكَ ، فإنِّي أحمدُ إليكَ اللهَ الَّذي لا إلـٰهَ إلَّا هوَ ، وأُوصيكَ بتقوى اللهِ ؛ فإنَّكَ إنِ اتَّقيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ . . كفاكَ النَّاسَ ، وإنِ اتَّقيتَ النَّاسَ . . فلن يُغنوا عنكَ مِنَ اللهِ شيئاً ؛ فعليكَ بتقوى اللهِ)[2]

* * *

٣٧٢ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ الشَّاهدُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، والمُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ الأمينيِّ ، وغيرِهِم ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنا أبو العزِّ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ الجُوريُّ قالَ[3] : سمعتُ أبا منصورٍ عبدَ الجبَّارِ بنَ عبدِ العزيزِ المضريَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ العبَّاسِ الكِرْمانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا زُهرٍ عبدَ الواحدِ بنَ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ يقولُ : جاءَ إلىٰ شِيرازَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرَّازيُّ ولهُ شيبةٌ حسنةٌ ، فلَبِسَ دَسْتَ ثيابِ سَوادٍ[4] ، فكانَ أحسنَ شيءٍ ، فصعدَ الكرسيَّ فاجتمعَ إليهِ النَّاسُ ، فأوَّلَ ما بدأَ بهِ أنشأَ يقولُ : [من السريع]

مَوَاعِظُ ٱلْوَاعِظِ لَنْ تُقْبَلَا ... حَتَّىٰ يَعِيَهَا قَلْبُهُ أَوَّلَا
يَا قَوْمُ مَا أَظْلَمُ مِنْ وَاعِظٍ ... خَالَفَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي ٱلْمَلَا ؟
أَظْهَرَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ إِحْسَانَهُ ... وَبَارَزَ ٱلرَّحْمَـٰنَ لَمَّا خَلَا

وسقطَ عنِ الكرسيِّ وغُشِيَ عليهِ ، ولم يتكلَّمْ في ذٰلكَ اليومِ .

---

(١) **المُطهَّري** : نسبة إلىٰ (مُطهَّر) ، وهي قرية بطَبَرستان . « معجم البلدان » (١٥١/٥) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢١) مخطوط ، وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٩٧/١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦٨/٧) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٦٩٣) ، وذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (٣١٦/١) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٣) **الجُوري** : نسبة إلىٰ (جُور) ، وهي مدينة بفارس ، بينها وبين شِيراز عشرون فرسخاً . « معجم البلدان » (١٨١/٢) .

(٤) **الدَّسْت من الثِّياب** : ما يَلْبَسُه الإنسان ويكفيه لتردُّده في حوائجه .

ثمَّ إنَّهُ ملكَ قلوبَ أهلِ شِيرازَ بعدَ ذٰلكَ ، حتَّىٰ إذا أرادَ أن يُبكيَهُم . . أبكاهُم ، وأخذَ سبعةَ آلافِ دينارٍ مِنَ البلدِ (١)

حكاية

[سماعُ أبي إسحاقَ الشِّيرازيِّ مِنَ النَّبيِّ ﷺ]

٣٧٣ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ حيدرَ بنَ محمودِ بنِ حيدرٍ الشِّيرازيَّ بمَرْوَ يقولُ : سمعتُ الإمامَ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ عليٍّ الشِّيرازيَّ (٢) ببغدادَ سنةَ اثنتَينِ وسبعينَ وأربعِ مئةٍ يقولُ : كنتُ نائماً فرأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المَنامِ ، ومعَهُ صاحباهُ أبو بكرٍ وعمرُ رضيَ اللهُ عنهُما ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ بلغَني عنكَ أحاديثُ كثيرةٌ عن ناقلي الأخبارِ ، فأُريدُ أن أسمعَ منكَ خبراً أتشرَّفُ بهِ في الدُّنيا ، وأجعلُهُ ذخيرةً في الآخرةِ .

فقالَ : « يَا شَيْخُ » ، وسمَّاني شيخاً ، وخاطبَني بهِ .

قالَ لنا حيدرُ بنُ محمودٍ الفارسيُّ : كانَ الشَّيخُ أبو إسحاقَ يفرحُ بهٰذا ويقولُ : سمَّاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيخاً (٣)

ثمَّ قالَ لي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قُلْ عَنِّي : مَنْ أَرَادَ ٱلسَّلَامَةَ . . فَلْيَطْلُبْهَا فِي سَلَامَةِ غَيْرِهِ » (٤)

*

٣٧٤ ـ وبهِ قالَ : ومثلُ هٰذهِ الحكايةِ ما سمعتُ أبا عمرانَ موسى بنَ غريبِ بنِ شُبانةَ التِّبريزيَّ يقولُ : سمعتُ القاضيَ أبا العبَّاسِ أحمدَ بنَ سلامةَ بنِ عبيدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الإمامَ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ عليِّ بنِ يوسفَ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ القاضيَ أبا الطَّيِّبِ طاهرَ بنَ عبدِ اللهِ الطَّبَريَّ الشَّافعيَّ قالَ : رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٢) مخطوط ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١١٧/٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٩/٣٧٤ ـ ٣٧٥) .

(٢) ولد الشَّيخ أبو إسحاق سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة ، وتوفِّي يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ستٍّ وسبعين وأربع مئة ببغداد ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) انظر « المنتظم » (٩/٥٧٧) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » لابن الصلاح (١/٣١٠) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (٢/٣٧١) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٣) مخطوط ، وذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٥٤) ، والصفدي في « الوافي بالوفيات » (٦/٦٣) ، وابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٣٩) وعزوه لأبي سعد السمعاني .

النَّوم ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ بلغَني أنَّكَ قلتَ : « نَضَّرَ ٱللَّهُ ٱمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي ، فَوَعَاهَا ، فَبَلَّغَهَا كَمَا سَمِعَ ؛ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ »[1]

فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَعَمْ يَا فَقِيهُ » ؛ ثلاثَ مرَّاتٍ .

فكانَ يروي بعدَ ذٰلكَ الحديثَ عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ القاضي أبو الطَّيِّبِ : ففرحتُ بسماعيَ الحديثَ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبقولِهِ لي : « يَا فَقِيهُ »[2]

نُكْتَةٌ

[في شهرةِ الإمامِ أبي إسحاقَ الشِّيرازيِّ]

٣٧٥ ـ وبهِ قالَ : وسمعتُهُ ـ يعني : الشَّيخَ حيدرَ بنَ محمودٍ ـ يقولُ : سمعتُ الشَّيخَ أبا إسحاقَ يقولُ : (خرجتُ إلىٰ خُراسانَ ، فما دخلتُ بلدةً ولا قريةً إلَّا كانَ قاضيها أو خطيبُها أو مُفتيها تلميذي ومِن أصحابي)[3]

* * *

٣٧٦ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ أحمدَ بنِ الحسينِ الإِصْطَخْرِيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ إبراهيمَ بنِ عليٍّ الفارقيَّ يقولُ : سمعتُ شيخَنا أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ عليٍّ الفِيرُوزاباذيَّ يقولُ : (كنتُ أُعيدُ كلَّ قياسٍ ألفَ مرَّةٍ ، فإذا فرغتُ مِن إعادتِهِ ألفَ مرَّةٍ . . أخذتُ قياساً آخرَ علىٰ هٰذا ، وكنتُ أُعِيدُ كلَّ درسٍ مئةَ مرَّةٍ ، وإذا كانَ في المسألةِ بيتٌ يُستشهَدُ بهِ . . حفظتُ القصيدةَ الَّتي فيها ذٰلكَ البيتُ لأجلِهِ)[4]

* *

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢) ، والحاكم في « المستدرك » (١/٨٦ ـ ٨٧) عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٣) مخطوط ، وكما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق١/٢٥) مخطوط من مكتبة باريس بسند آخر بنحوه .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٥) مخطوط ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٦١/٣٢) ، و« تاريخ ابن الوردي » (٥٣٠/١) ، وذكره ابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٣٨/٢) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٤) مخطوط ، وانظر « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٤٢/٤ ـ ٤٣) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » لابن الصلاح (٣١٠/١) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (٣٧١/٢) ، و« تاريخ الإسلام » (١٥٥/٣٢) .

٣٧٧ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ بخطِّ أبي جعفرٍ محمَّدِ بنِ أبي عليٍّ الهَمَذانيِّ ، سمعتُ الإمامَ إبراهيمَ بنَ عليِّ بنِ يوسفَ الشِّيرازيَّ ـ وهوَ أوَّلُ عالمٍ تَلْمذتُ عليهِ ببغدادَ ـ يقولُ : (العلمُ الَّذي لا ينتفعُ صاحبُهُ بهِ أن يكونَ الرَّجلُ عالماً ولا يكونَ عاملاً) .

ثمَّ أنشدَ لنفسِهِ مِن لفظِهِ [١] : [من البسيط]

عَلِمْتَ مَا حَلَّلَ ٱلْمَوْلَىٰ وَحَرَّمَهُ فَٱعْمَلْ بِعِلْمِكَ إِنَّ ٱلْعِلْمَ لِلْعَمَلِ [٢]

٣٧٨ ـ وبهِ قالَ : وقرأتُ بخطِّ أبي جعفرٍ أيضاً ، سمعتُ أبا إسحاقَ الشِّيرازيَّ يقولُ ـ وهوَ يُوبِّخُنا في مجلسِهِ للدَّرسِ ببغدادَ ـ : [من البسيط]

بِٱلْمِلْحِ يُصْلَحُ مَا يُخْشَىٰ تَغَيُّرُهُ فَكَيْفَ بِٱلْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ ٱلْغِيَرُ ؟!

ثمَّ قالَ : الجاهلُ بالعالمِ يقتدي ، فإذا كانَ العالمُ لا يكونُ بعلمِهِ عاملاً . . فالجاهلُ ما يرجو مِن نفسِهِ ؟

فاللهَ اللهَ يا أولادي ، نعوذُ باللهِ مِن علمٍ يصيرُ حُجَّةَ اللهِ علينا [٣]

وكلُّ ما رويتُهُ عنِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ . . فأنبأَنيهِ عالياً المُسنِدانِ : أبوا حفصٍ العُمَرانِ ابنُ القَوَّاسِ والعَقِيميُّ ، وأبو الفضلِ عبدُ الرَّحيمِ الدَّميريُّ ، وتاجُ الدِّينِ عبدُ الخالقِ بنُ عبدِ السَّلامِ ، [وابنُ] [٤] أبي عصرونٍ ، عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ السَّمَرْقَنْديِّ .

وابنُ عساكرَ ، وابنُ أبي عصرونٍ ، وابنةُ كِنْديِّ المُتقدِّمِ ذِكْرُهُم ، عن عبدِ الرَّحيمِ ابنِ السَّمْعانيِّ ، عن أبي الأسعدِ هبةِ الرَّحمٰنِ القُشَيريِّ ، كلاهُما عنِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

---

(١) البيت له كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق١/٦٩) مخطوط من مكتبة باريس .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٣) مخطوط ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٥٤/٣٢) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٣ ـ ١٢٤) مخطوط ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٥٤/٣٢ ـ ١٥٥) دون البيت .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (ابن) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢٧١/٥٢ ، ٣٠٠) ، فهما رجلان لا رجل واحد .

حكاية

[وقد يسودُ الفتىٰ بالعلمِ والأدبِ]

٣٧٩ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ المُبارَكِ الأنماطيُّ بقراءتي عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهما ، عن عبدِ الوهَّابِ الأنماطيِّ ، أنا إبراهيمُ بنُ عبدِ الواحدِ القَطَّانُ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ غالبٍ البَرْقانيُّ قالَ : قُرِئَ علىٰ أبي عليِّ ابنِ الصَّوَّافِ وأنا أسمعُ ، حدَّثَكُم جعفرُ بنُ محمَّدٍ الفِرْيابيُّ ، ثنا مزاحمٌ ، أنا أبو إسحاقَ الطَّالَقانيُّ ، أنا بشرُ بنُ السَّريِّ ، عن محمَّدِ بنِ مسلمٍ ، عنِ ابنِ بريدةَ قالَ : سألَ معاويةُ دَغْفَلاً عن أنسابِ العربِ ، وعنِ النُّجومِ ، وعنِ العربيَّةِ ، وعن أنسابِ قريشٍ ، فإذا رجلٌ عالمٌ .

قالَ : فقالَ معاويةُ : (مِن أينَ حفظتَ هـٰذا ؟) ، قالَ : بلسانٍ سَؤولٍ ، وقلبٍ عَقولٍ ، وإنَّ غائلةَ العلمِ النِّسيانُ (١) .

قالَ : فقالَ معاويةُ : (قمْ يا يزيدُ فتعلَّمْ) ، ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من البسيط]

اَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَمَنْجَاةٌ لِصَاحِبِهِ ... مِنَ ٱلْمَهَالِكِ وَٱلْآفَاتِ وَٱلْعَطَبِ
وَٱلْجَهْلُ أَعْدَىٰ عَدُوِّ ٱلْجَاهِلِينَ بِهِ ... وَقَدْ يَسُودُ ٱلْفَتَىٰ بِٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ
وَٱلْعَقْلُ أَفْضَلُ شَيْءٍ نَالَهُ بَشَرٌ ... وَٱلْحِلْمُ زَيْنٌ لِذِي عِلْمٍ وَذِي حَسَبِ (٢)

* *

٣٨٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ صالحٍ القارئُ بنَيْسابورَ ، أنا إسماعيلُ بنُ زاهرٍ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ ، أنا أبو سعيدٍ ابنُ الأعرابيِّ ، ثنا العبَّاسُ بنُ محمَّدٍ الدُّوريُّ ، ثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، ثنا مالكٌ ، عن عمِّهِ أبي سهيلِ بنِ مالكٍ ، عن أبيهِ ، عن كعبِ الأحبارِ قالَ : (إذا أحببتُم أن تعلموا ما للعبدِ عندَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ . . فانظروا ماذا يَتبعُهُ مِنَ الثَّناءِ) (٣) .

---

(١) أخرجه إلىٰ هنا البغويُّ في « معجم الصحابة » (٦٤٦) ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩١/١٧) .
(٢) أخرجه كاملاً أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٨) مخطوط .
(٣) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٦٩/٧) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً .

حكاية

[هجرتُ الخَلْقَ طرّاً في هواكا]

٣٨١ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو البركاتِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ الفُراويُّ مِن لفظِهِ (١) ، ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ السَّاويُّ إملاءً (٢) ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ الفضلِ ، ثنا عبدُ الجبَّارِ بنُ عبدِ الصَّمدِ ، ثنا الحسنُ بنُ أحمدَ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأَرْدُبيليُّ ، عن أبي شعيبٍ قالَ : سألتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ أن أصحبَهُ إلىٰ مكَّةَ ، فقالَ لي : علىٰ شريطةٍ ؛ علىٰ أنَّكَ لا تنظرُ إلَّا للهِ وباللهِ ، فشرطتُ لهُ ذٰلكَ علىٰ نفسي ، وخرجتُ معَهُ .

فبينا نحنُ في الطَّوافِ . . إذا أنا بغلامٍ قدِ افتُتِنَ النَّاسُ بهِ في الطَّوافِ ؛ لحُسنِهِ وجمالِهِ ، فجعلَ إبراهيمُ يُديمُ النَّظرَ إليهِ ، فلمَّا أطالَ ذٰلكَ . . قلتُ : يا أبا إسحاقَ ؛ أليسَ شرطتَ عليَّ أنْ : لا تنظرُ إلَّا للهِ وباللهِ ؟! قالَ : بلىٰ ، قلتُ : فإنِّي أراكَ تُديمُ النَّظرَ إلىٰ هٰذا الغلامِ .

فقالَ لي : إنَّ هٰذا ابني وولدي ، وهٰؤلاءِ غلماني وخدمي الَّذينَ معَهُ ، ولولا شيءٌ . . لقبَّلتُهُ ، ولٰكنِ انطلقْ فسلِّمْ عليهِ منِّي ، وعانقْهُ عنِّي .

قالَ : فمضيتُ إليهِ ، وسلَّمتُ عليهِ مِن والدِهِ وعانقتُهُ ، فجاءَ إلىٰ والدِهِ وسلَّمَ عليهِ ، ثمَّ صرفَهُ معَ الخدمِ .

وأنشأَ يقولُ : [من الوافر]

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَا ... وَأَيْتَمْتُ ٱلْعِيَالَ لِكَيْ أَرَاكَا
فَلَوْ قَطَّعْتَنِي فِي ٱلْحُبِّ إِرْباً ... لَمَا حَنَّ ٱلْفُؤَادُ إِلَىٰ سِوَاكَا (٣)

حكاية

[في أدبِ النَّصيحةِ]

٣٨٢ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ بخطِّ والدي رحمَهُ اللهُ ، سمعتُ أبا عليٍّ إسماعيلَ بنَ عليٍّ

---

(١) الفُراوي : نسبة إلىٰ (فُراوة) ، وهي بليدة قرب خوارزم . « الأنساب » (٤/٣٥٦) .

(٢) السَّاوي : نسبة إلىٰ (سَاوة) ، وهي بلدة بين الرَّيِّ وهَمَذان . « الأنساب » (٣/٢٠٦) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٣٠٦) ، وابن الجوزي في « مثير الغرام الساكن » (ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦) .

الجاجَرْميَّ يقولُ[1] : كانَ الإمامُ شيخُ الإسلامِ أبو عثمانَ الصَّابونيُّ يُذكِّرُ ذاتَ يومٍ ، وكانَ الشَّيخُ أحمدُ بنُ الحسينِ البيهقيُّ في مجلسِهِ ، فجرىٰ علىٰ لسانِ الصَّابونيِّ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَىٰ أَعْمَالِكُمْ !! » .

فقامَ البيهقيُّ وقالَ : ليسَ الحديثُ كذٰلكَ عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولٰكنَّهُ : « أَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »[2]

فقالَ شيخُ الإسلامِ : غلطٌ جرىٰ .

قالَ : فبعدَ ذٰلكَ قالَ لي شيخُ الإسلامِ : قلْ لهُ : أما علمتَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ المُبارَكِ قالَ : (مَن نصحَ أخاهُ سرّاً . . فقد نصحَهُ ، ومَن نصحَهُ جهراً . . فقد فضحَهُ) ؟[3]

قالَ : فجاءَ البيهقيُّ واعتذرَ إليهِ ، ووقعَ في رِجلَيهِ[4]

نُكتة

[في عزَّةِ العلماءِ]

٣٨٣ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ طلحةَ بنِ عليِّ الرَّازيُّ ، أنا إسماعيلُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ الجاجَرْميُّ ، ثنا أبو سعدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ حمدانَ العدلُ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ زيادٍ ، ثنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ إسحاقَ الثَّقفيُّ ، ثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ ، ثنا أبو عاصمٍ قالَ : زعمَ لي سفيانُ قالَ : جاءَ ابنٌ لسليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فجلسَ إلىٰ جنبِ طاووسٍ ، فلم يلتفتْ إليهِ ، فقيلَ لهُ : جلسَ إليكَ ابنُ أميرِ المؤمنينَ فلم تلتفتْ إليهِ !! قالَ : أردتُ أن يعلمَ أنَّ للهِ عباداً يزهدونَ فيما في يدَيهِ[5]

---

(١) **الجاجَرْمي** : نسبة إلىٰ (جاجَرْم) ، وهي بلدة مليحة بين نَيْسابور وجُرْجان . « الأنساب » (٢/٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٣٤/٢٥٦٤) ، وابن ماجه (٤٣٠٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) لم أجده له ، وهو عن الشافعي في « حلية الأولياء » (١٤٠/٩) ، و« مناقب الشافعي » للبيهقي (١٩٨/٢) ، و« مناقب الإمام الشافعي » للرازي (ص ٣٣٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣٣٦/٤) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٣٣ ـ ١٣٤) مخطوط .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٣٤) مخطوط ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٦/٤) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٣٧٢/١٣) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٨٢٧/٣) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١٦٩/٣) ، و« السلوك في طبقات العلماء والملوك » للجندي (١٠٤/١) ، وفيه : أنَّ الابن كان أيُّوب بن سليمان بن عبد الملك .

حكاية

[في حرقِ التَّقويمِ]

٣٨٤ ـ وبهِ قالَ : وقرأتُ بخطِّ والدي رحمَهُ اللهُ ، سمعتُ أبا سعيدٍ إسماعيلَ بنَ عمرٍو البَحِيريَّ يقولُ : كنتُ عندَ الإمامِ أبي عثمانَ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ الصَّابونيِّ في جماعةٍ ، فأتاهُ فقيهٌ بتقويمٍ ، وكانَ بينَ يدَيهِ نارٌ مُوقَدةٌ .

قالَ : فأمرَ لذٰلكَ الفقيهِ بخمسينَ مَنّاً مِنَ الحنطةِ[1] ، فلمَّا خرجَ . . قالَ لواحدٍ بينَ يدَيهِ : اقطعْ موضعَ : (بسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرَّحيمِ) مِن هـٰذا التَّقويمِ ، فقطعَهُ .

ثمَّ قالَ : ضعْهُ على النَّارِ ، فوضعَهُ على النَّارِ وأحرقَهُ .

٣٨٥ ـ وبـهِ قـالَ : أنـا [أبو الفتحِ][2] سهلُ بنُ محمَّدِ بنِ ناصرٍ العياضيُّ ، أنا أبو عبدِ اللهِ إسماعيلُ بنُ عبدِ الغافرِ الفارسيُّ ، ثنا أبو سعدٍ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ دُوسْت ، أنا أبو حامدٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ الحسينِ الجلُوديُّ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ يقولُ : سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إذا رويتُ خبراً عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولم أعملْ بهِ . . فاشهدوا علىٰ ذهابِ عقلي)[3]

نكتة

[في علمَيِ الفقهِ والكلامِ]

٣٨٦ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدٍ الدَّقَّاقُ الحافظُ مِن لفظِهِ بمَرْوَ ، أنا أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي الحسينِ الفَسَويُّ فيما قرأتُ عليهِ ، قلتُ لهُ : أخبرَكُم محمَّدُ بنُ أبي زكريَّا في كتابِهِ : أنَّهُ سمعَ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ محمَّدٍ الطِّرمَّاحيَّ في مرضِهِ

---

(١) المَنُّ : رطلان ، علىٰ لغة تميم .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (أبو محمد) ، وفي (ب ، ج) : (محمد بن) ، والمثبت موافق لما في « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (٢/٨٧٤) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٣٥) مخطوط ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٠٦) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (١/٤٧٣ ـ ٤٧٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/٣٨٧) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٠/٣٤) .

الَّذي تُوُفِّيَ فيهِ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ الأصمَّ يقولُ : سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ لأصحابِهِ : (إذا دخلتُم خُراسانَ . . فعليكُم بالفقهِ ؛ فإنَّهُ درهمٌ في دينارٍ ، ودينارٌ في درهمٍ ، وشرفٌ في شرفٍ ، ونعمةٌ في نعمةٍ ، وعافيةٌ في عافيةٍ ، وعزٌّ في عزٍّ .

وإيَّاكُم والكلامَ ؛ فإنَّهُ لطامٌ في لطامٍ ، وصفعٌ في صفعٍ ، وسيفٌ في سكِّينٍ ، وسكِّينٌ في سيفٍ ، وشرٌّ في شرٍّ ، وفتنةٌ في فتنةٍ ، وبليَّةٌ في بليَّةٍ)(١)

* * *

٣٨٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ الخَباقيُّ(٢) ، أنا أبو سعدٍ الإسماعيليُّ ، أنا أبو الحارثِ الأُسْتُوائيُّ(٣) ، أنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ ، أنا الحسينُ بنُ أحمدَ الشَّمَّاخيُّ ، ثنا الحسنُ ابنُ عَلُّويهِ ، سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ وسُئِلَ : مَن أغبطُ النَّاسِ ؟ قالَ : جسدٌ في ترابٍ ، قد أَمِنَ العقابَ ، ينتظرُ الثَّوابَ(٤)

* * *

٣٨٨ ـ وبهِ قالَ : أنا سليمانُ بنُ أبي القاسمِ الهَمَذانيُّ ، أنا إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ عثمانَ الحافظُ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ يحيى الفقيهُ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ الزَّعْفَرانيُّ ، أنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا العبَّاسُ بنُ عبدِ اللهِ التَّرْقُفيُّ ، سمعتُ الفِرْيابيَّ يقولُ : قالَ لي سفيانُ الثَّوْريُّ وقدِ اجتمعَ النَّاسُ عليهِ : (ترىٰ هـٰؤلاءِ ما أكثرَهُم : ثلثٌ يموتونَ ، وثلثٌ يتركونَ الَّذي يسمعونَهُ ، ومِنَ الثُّلثِ الأخير قلَّ مَن يَنجُبُ)(٥)

نُكتةٌ
[في حثِّ الفقيهِ علىٰ طلبِ الحديثِ]

٣٨٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو المناقبِ محمَّدُ بنُ حمزةَ العلويُّ إجازةً شافهَني بها ، أنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ البَيِّعُ ، أنا سبطُ بَحْرُويهِ ـ هوَ أبو القاسمِ إبراهيمُ بنُ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٣٥) مخطوط .

(٢) الخَباقي : نسبة إلىٰ (خَباق) ، وهي قرية من قرىٰ مَرْو . « الأنساب » (٢/٣١٧) .

(٣) الأُسْتُوائي : نسبة إلىٰ (أُسْتُوا) ، وهي كورة من نواحي نَيْسابور . « معجم البلدان » (١/١٧٥) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٣٦) مخطوط .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٣٧) مخطوط ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع » (٩٥) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٧/٦٠) .

منصورٍ السلميُّ ـ ، أنا أبو بكرٍ ابنُ المُقرِئ ، سمعتُ أبا عروبةَ الحَرَّانيَّ يقولُ : (الفقيهُ إذا لم يكنْ صاحبَ حديثٍ . . يكونُ أعرجَ)[1]

٣٩٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو المُظفَّرِ عبدُ الكريمِ بنُ عبدِ الوهَّابِ الجُوَينيُّ بنَيْسابورَ ، وأبو شجاعٍ عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الإمامُ ببَلْخَ ، وأبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الحَمْدويُّ بمَرْوَ قالوا : أنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بنُ أحمدَ البيهقيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ مرثدٍ الصُّوفيُّ السِّجْزيُّ ، أنا أبو سهلٍ الضَّحَّاكُ بنُ عليِّ بنِ الفضلِ المَرْوَروذيُّ ، سمعتُ الشَّريفَ أبا الحسنِ محمَّدَ بنَ عليٍّ الحسنيَّ يقولُ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ محمَّدٍ الصَّفَّارَ يقولُ : سمعتُ المُبرِّدَ يقولُ : كنتُ غلاماً جميلاً حسناً ، وكانَ صاحبٌ يهواني ، وكانَ يُقبِلُ عليَّ بكلِّ خيرٍ ، وأُقبِلُ عليهِ بالجَفاءِ .

قالَ : فماتَ ، فجزعتُ عليهِ جزعاً شديداً لمحبَّتِهِ إيَّايَ ، فزرتُ قبرَهُ وترحَّمتُ عليهِ ، فحملَتْني عيناايَ علىٰ قبرِهِ ، فرأيتُهُ فيما يرى النَّائمُ وهوَ يقولُ : [من الوافر]

أَتَبْكِي بَعْدَ قَتْلِكَ لِي عَلَيَّا ... وَمِنْ قَبْلِ ٱلْمَمَاتِ تُسِي إِلَيَّا ؟!

سَكَبْتَ عَلَيَّ دَمْعَكَ بَعْدَ مَوْتِي ... فَهَلَّا كَانَ ذَاكَ وَكُنْتُ حَيَّا

تَجَافَ عَنِ ٱلْبُكَاءِ فَلَا تَزِدْهُ ... فَإِنِّي مَا أَرَاكَ صَنَعْتَ شَيَّا

قالَ : فما ذكرتُ هٰذهِ الأبياتَ إلَّا ترحَّمتُ عليهِ[2]

حكاية

[ولستُ بهيَّابٍ لمَن لا يَهابُني]

٣٩١ ـ وبهِ قالَ : ثنا إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ الطَّلْحيُّ إملاءً ، أنا أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الذَّكْوانيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ موسى الحافظُ ، ثنا الحسينُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسينِ ، ثنا الحسنُ بنُ عليٍّ ، ثنا سوارُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : مرضَ ابنُ عائشةَ ، فعادَهُ إبراهيمُ بنُ رياحٍ ،

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « شرف أصحاب الحديث » (١٤٩) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٢٣٠) مخطوط .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٣٧ ـ ١٣٨) مخطوط ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/٢٥٧) .

فلم يَهَشَّ لهُ ، فقالَ لهُ مَن عندَهُ : يجيئُكَ مثلُ ابنِ رياحٍ فلا تَهَشُّ لهُ ؟! قالَ ابنُ عائشةَ : أليسَ هوَ الَّذي سُئِلَ عنِّي فقالَ : لا أعرفُهُ ؟

ثمَّ تمثَّلَ [1] : [من الطويل]

وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَىٰ لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَىٰ لِيَا
فَإِنْ تَدْنُ مِنِّي تَدْنُ مِنْكَ مَوَدَّتِي وَإِنْ تَنْأَ عَنِّي تُلْفِنِي عَنْكَ نَائِيَا
كِلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ إِذَا مُتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا [2]

نُكتة

[في معرفةِ أقدارِ الرِّجالِ]

٣٩٢ ـ وبهِ قالَ : أنا إسماعيلُ بنُ أبي القاسمِ الفُوشَنْجيُّ بمَرْوَ ، أنا أبو صالحٍ المُؤذِّنُ الحافظُ ، ثنا أبو حازمٍ الحافظُ إملاءً ، أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ التَّميميُّ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الحِيريَّ ، سمعتُ قطنَ بنَ إبراهيمَ يقولُ : سمعتُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ الحنظليَّ يقولُ : جاءَ فتىً إلىٰ سفيانَ بنِ عُيَينةَ مِن خلفِهِ واجتذبَهُ ، وقالَ : يا سفيانُ ؛ حدِّثْني !!

فالتفتَ إليهِ سفيانُ وقالَ : يا بُنَيَّ ؛ مَن جهلَ أقدارَ الرِّجالِ . . فهوَ بقدرِ نفسِهِ أجهلُ [3]

نُكتة

[الملاهي إلىٰ سقرَ]

٣٩٣ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ محمَّدٍ الأصبهانيَّ بها ، سمعتُ أبا العلاءِ [حَمْدَ] [4] بنَ نصرٍ الهَمَذانيَّ بها يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ عبدَ الكريمِ بنَ هوازنَ القُشَيريَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الدِّمشقيَّ يقولُ : سُئِلَ أبو عليٍّ

---

(١) قيل : الأبيات للمغيرة بن حبناء ، وقيل : لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وقيل غير ذٰلك ، انظر « العقد الفريد » (٢/٣٤٨) ، و« الصحاح » (٦/٢٤٥٠) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٤٢) مخطوط .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٤٢) مخطوط ، والسلمي في « آداب الصحبة » (١٨٥) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أحمد) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (١٩/٢٧٦) .

الرُّوذْباريُّ عمَّن سمعَ الملاهيَ ويقولُ : هوَ لي حلالٌ ؛ لأنِّي قد وصلتُ إلىٰ درجةٍ لا يُؤثِّرُ فيَّ اختلافُ الأحوالِ ، قالَ : نعم ، قد وصلَ ، ولٰكنْ إلىٰ سقرَ (١) .

٣٩٤ ـ وبهِ قالَ : ثنا إسماعيلُ بنُ أبي الفضلِ الحافظُ مِن لفظِهِ ، أنا عبدُ الواحدِ بنُ إسماعيلَ الرُّويانيُّ ، أنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الصَّابونيُّ ، ثنا أبو يعقوبَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الهَرَويُّ ، أنا عبدُ الصَّمدِ ابنُ يَحِيدَ (٢) ، ثنا الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ نصرٍ الرُّويانيُّ ، ثنا يوسفُ بنُ الحسينِ ، سمعتُ ذا النُّونِ يقولُ : خرجتُ حاجّاً إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ ، فإذا أنا بغلامٍ أمردَ ، ليسَ بعارضَيهِ نباتٌ ، وليسَ معَهُ زادٌ ولا راحلةٌ ، يتبختَرُ في الباديةِ فيقولُ : مَن مثلي وأنتَ ربِّي ؟ مَن مثلي وأنتَ حبيبي ؟ حبيبي إن غابَ عن طرفي . . فلا يغيبُ ذِكْرُهُ عن قلبي .

فسلَّمتُ عليهِ وقلتُ : إلىٰ أينَ ؟ قالَ : إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ ، فقلتُ : زِدْ في الخُطا ؛ فإنَّ الطَّريقَ بعيدٌ ، قالَ لي : يا عمُّ ؛ عليَّ المشيُ وعليهِ البلاغُ .

فتركتُهُ لاستيحاشِهِ منِّي ، ودخلتُ مكَّةَ ، فلمَّا غدوتُ إلى الطَّوافِ . . نظرتُ إلى الغلامِ يطوفُ معَ النَّاسِ حولَ البيتِ ، ويقولُ : [من الرمل]

رُبَّ مَكْحُولٍ بِمُلْمُولِ ٱلْأَرَقْ ... قَلْبُهُ رَهْنٌ بِنِيرَانِ ٱلْحُرَقْ (٣)

إِنْ يُفَكِّرْ جَعَلَ ٱلْفِكْرَ لَهُ ... وَبِهِ يَفْتَحُ فَاهُ إِنْ نَطَقْ

قَائِلٍ [قَدْ] طَالَ شَوْقِي فَمَتَىٰ ... آنَ لِلْعَاشِقِ يَلْقَىٰ مَنْ عَشِقْ ؟

قالَ : فدنوتُ منهُ وقلتُ : يا هٰذا ؛ لقد شغلتَ النَّاسَ عنِ الطَّوافِ بمثلِ هٰذا الشِّعرِ ، فأقبلَ عليَّ كالمُغضَبِ ، فقالَ لي : يا هٰذا ؛ البيتُ بيتُكَ أم بيتُهُ ؟ فقلتُ : بيتُهُ ، قالَ : والنَّاسُ عبيدُكَ أم عبيدُهُ ؟ فقلتُ : بل عبيدُهُ ، فقالَ لي : يا مُكلَّفُ ؛ فما هٰذا الاعتراضُ ؟! دَعْني أتدلَّلُ عليهِ كما استزارَني إليهِ .

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٤٣) مخطوط ، والسلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٣٥٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٣٥٦) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ١٩٨) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٣٧٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/٥٣٦) .

(٢) **يَحِيد** ـ بفتحٍ فكسرٍ ـ : كذا في « الإكمال » لابن ماكولا (١/١٨٩) ، و« توضيح المشتبه » لابن ناصر الدين (١/٣٦٥) ، وضبط في (أ ، ب ، ج) بضمٍّ ففتحٍ .

(٣) **المُلْمول** : الميل الَّذي يكتحل به .

ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الطويل]

أَهِيمُ لَهُ حَتَّى ٱلْمَمَاتِ بِحُبِّهِ ... وَحَوْلِي مِنَ ٱلْحُبِّ ٱلْحَقِيقِيِّ خَنْدَقُ

وَفَوْقِي سَحَابٌ يُمْطِرُ ٱلشَّوْقَ وَٱلْأَسَىٰ ... وَتَحْتِي بُحُورٌ لِلْهَوَىٰ تَتَدَفَّقُ

وَكَمْ مَجْلِسٍ فِيهِ خَلَوْتُ بِذِكْرِهِ ... فَمَا قُمْتُ حَتَّىٰ كِدْتُ بِٱلدَّمْعِ أَغْرَقُ

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ أَرْعَىٰ نُجُومَهَا ... كَأَنَّ فُؤَادِي بِٱلثُّرَيَّا مُعَلَّقُ

نُكْتَةٌ

[لا ثناءَ في الإخاءِ]

٣٩٥ ـ وبهِ قالَ : أنا إسحاقُ بنُ أبي بكرٍ الصَّابونيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ المُطرِّزُ ، ثنا أبو سعدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ ، ثنا سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ أيُّوبَ ، ثنا أبو خليفةَ الفضلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحيُّ ، ثنا أبي ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ مهديٍّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ قالَ : (إذا تأكَّدَ الإخاءُ . . قَبُحَ الثَّناءُ) [١]

نُكْتَةٌ

[في مراتبِ العبادةِ]

٣٩٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أنسُ بنُ ماجدٍ الهَمَذانيُّ بها ، أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ حَمْدٍ الدُّونيُّ [٢] ، ثنا أبو سعدٍ ابنُ زِيرَكَ الهَمَذانيُّ ، أنا أبو غانمٍ النُّهاوَنْديُّ بها [قالَ] : ثنا عليُّ ابنُ عامرٍ ، ثنا الوليدُ بنُ أبي بكرٍ ، ثنا عمرٌو النَّاقدُ ، ثنا يحيى بنُ اليمانِ ، سمعتُ سفيانَ الثَّوْريَّ يقولُ : (أوَّلُ العبادةِ الصَّمتُ ، ثمَّ طلبُ العلمِ ، ثمَّ حفظُهُ ، ثمَّ العملُ بهِ ، ثمَّ نشرُهُ) [٣]

* * *

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٤٥) مخطوط ، وابن المقرئ في « المعجم » (٥٤٥) ، وأبو سليمان الخطابي في « العزلة » (ص ٥٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٠٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦٩/٣٢) .

(٢) الدُّوني : نسبة إلىٰ (دُون) ، وهي قرية من أعمال دَينَوَر . « معجم البلدان » (٤٩٠/٢) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٤٨) مخطوط ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٩٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٦٢/٦) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٩٢/٦) ، وانظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٦٨٨) .

٣٩٧ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا محمَّدٍ عبدَ الحليمِ بنَ محمَّدٍ [البَرَّانيَّ] [(١)] يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ بكرَ بنَ محمَّدٍ الزَّرَنْجَريَّ إملاءً يقولُ [(٢)] : سمعتُ الإمامَ الأستاذَ أبا محمَّدٍ عبدَ العزيزِ بنَ أحمدَ الحَلْوانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ محمَّدَ بنَ الحسنِ بنِ عنبسةَ البُوزْجانيَّ يقولُ [(٣)] : سمعتُ أبا عمرٍو أحمدَ بنَ عليٍّ الوَرَّاقَ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ بكرٍ الدِّينَوَريَّ يقولُ : سمعتُ أسدَ بنَ نصرٍ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ صَبيحٍ ابنَ السَّمَّاكِ يقولُ : يا بنَ آدمَ ؛ إنَّكَ تغدو وتروحُ في كسبِ الأرباحِ ، فاجعلْ نفسَكَ ممَّا تكسبُها ؛ إنَّكَ لن تربحَ مثلَها .

ثمَّ قالَ [(٤)] : [من الوافر]

أَرَاكَ تُـحِـبُّ أَنْ تُـدْعَـىٰ حَـكِـيـمـاً ... وَأَنْـتَ لِـكُـلِّ مَـا تَـهْـوَىٰ رَكُـوبُ

وَتَـضْـحَـكُ دَائِـبـاً ظَـهْـراً لِـبَـطْـنٍ ... وَتَـذْكُـرُ مَـا عَـمِـلْـتَ فَـلَا تَـتُـوبُ [(٥)]

٭

٣٩٨ ـ وأُنبئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ كما تقدَّمَ [(٦)] ، عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا أبو النَّجمِ بدرُ بنُ عبدِ اللهِ الأَرْمَنيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا القاضي أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ البَيْضاويُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرانَ بنِ موسىٰ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ يحيى الجَلُوديُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ زكريَّا ، ثنا ابنُ عائشةَ قالَ : أتيتُ إسحاقَ بنَ يوسفَ الأزرقَ يوماً ، فلمَّا رآني . . بكىٰ ، قلتُ : ما يُبكيكَ ؟ قالَ : هٰذا أبو نواسٍ ، قلتُ : ما لهُ ؟

فقالَ : يا جاريةُ ؛ ائتيني بالقِرْطاسِ ، فإذا فيهِ مكتوبٌ : [من المنسرح]

يَـا سَـاحِـرَ ٱلْـمُـقْـلَـتَـيْـنِ وَٱلْـجِـيـدِ ... وَقَـاتِـلِـي مِـنْـكَ بِـٱلْـمَـوَاعِـيـدِ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (البراثي) ، والبَرَّاني : نسبة إلىٰ (بَرَّان) ، وهي من قرىٰ بُخارىٰ علىٰ خمس فراسخ منها ، ويقال لها : فوران ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (١/٣٠٥ ـ ٣٠٦) ، و« معجم البلدان » (١/٣٦٧) .

(٢) الزَّرَنْجَري : نسبة إلىٰ (زَرَنْجَرىٰ) ، وهي من قرىٰ بُخارى . « الأنساب » (٣/١٤٨) .

(٣) البُوزْجاني : نسبة إلىٰ (بُوزْجان) ، وهي بليدة بين نَيْسابور وهَرَاة . « الأنساب » (١/٤١١) .

(٤) البيتان لأبي العتاهية كما في « ديوانه » (ص ٢٢ ـ ٢٣) باختلاف يسير .

(٥) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٥١) مخطوط ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٣٥٠ ـ ٣٥١) ، والضياء المقدسي في « المنتقىٰ من مسموعات مرو » (ق/٧٤) مخطوط .

(٦) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٢٥٦) .

تُوعِدُنِي ٱلْوَعْدَ ثُمَّ تُخْلِفُنِي ... فَوَا بَلَائِي مِنْ خُلْفِ مَوْعُودِي

حَدَّثَنِي ٱلْأَزْرَقُ ٱلْمُحَدِّثُ عَنْ ... عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودِ :

لَا يُخْلِفُ ٱلْوَعْدَ غَيْرُ كَاذِبَةٍ ... أَوْ كَاذِبٍ فِي ٱلْجَحِيمِ مَصْفُودِ

كذبَ ـ واللهِ ـ عليَّ ، وعلى التَّابعينَ ، وعلىٰ أصحابِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (١)

* * *

٣٩٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُما ، عن أبي سعدٍ قالَ : ثنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ الحافظُ إملاءً مِن لفظِهِ ، أنا أبو رجاءٍ بشَّارُ بنُ أحمدَ الأصبهانيُّ ، أنا أبو الحسنِ الجُرْجانيُّ ـ سيِّدٌ مِن ساداتِ أهلِ السُّنَّةِ ـ ، ثنا أبو الحسينِ الفارسيُّ ، ثنا عليُّ بنُ أحمدَ ؛ هوَ ابنُ الحَمَّاميِّ .

(ح) وأنبأَني أعلىٰ مِن هٰذهِ الرِّوايةِ بثلاثِ درجاتٍ أبو الفرجِ بنُ المُكبِّرِ شيخُ المُستنصِريَّةِ فيما كتبَ إليَّ مِن بغدادَ ، عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ الأمينِ قالَ : أنبأَنا أبو بكرِ بنُ أبي طاهرِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الشَّاهدُ قالَ : أنا والدي أبو طاهرٍ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ حفصٍ المُقرِئُ المعروفُ بابنِ الحَمَّاميِّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ النَّقَّاشُ ، قالَ : قالَ لي أحمدُ بنُ يحيىٰ ثعلبٌ : دخلتُ علىٰ أحمدَ ابنِ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ يوماً ، فسمعتُهُ يقولُ : كنتُ بالبصرةِ في بعضِ مجالسِ العلماءِ ، فرأيتُ شيخاً ، فسألتُ عنهُ فقيلَ لي : أبو نواسٍ ، فقلتُ : أَنشِدْني شيئاً مِن شِعرِكَ في الزُّهدِ ، فأنشأَ يقولُ (٢) : [من الطويل]

إِذَا مَا خَلَوْتَ ٱلدَّهْرَ يَوْماً فَلَا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَٰكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ... وَلَا أَنَّ مَا يُخْفَىٰ عَلَيْهِ يَغِيبُ

لَهَوْنَا عَنِ ٱلْأَيَّامِ حَتَّىٰ تَتَابَعَتْ ... عَلَيْنَا ذُنُوبٌ بَعْدَهُنَّ ذُنُوبُ

فَيَا لَيْتَ أَنَّ ٱللهَ يَغْفِرُ مَا مَضَىٰ ... وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ

أَقُولُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي ... وَحَلَّ بِقَلْبِي لِلْهُمُومِ نُدُوبُ :

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٥٣) مخطوط ، وكما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق١/٥٥) مخطوط من مكتبة باريس بسند آخر ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٢٤٢) مخطوط ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة) .

(٢) انظر الأبيات الأربعة الأولىٰ في « ديوان أبي نواس » (ص ٧٠٩ ـ ٧١٠) .

لِطُولِ جِنَايَاتِي وَعُظْمِ خَطِيئَتِي هَلَكْتُ وَمَا لِي فِي ٱلْمَتَابِ نَصِيبُ
فَأَغْرَقُ فِي بَحْرِ ٱلْمَخَافَةِ آيِساً وَتَرْجِعُ نَفْسِي تَارَةً فَتَتُوبُ (١)
وَتُذْكِرُنِي عَفْوَ ٱلْكَرِيمِ عَنِ ٱلْوَرَىٰ فَأَحْيَا وَأَرْجُو عَفْوَهُ فَأُنِيبُ
وَأَخْضَعُ فِي قَوْلِي وَأَرْغَبُ سَائِلاً عَسَىٰ كَاشِفُ ٱلْبَلْوَىٰ عَلَيَّ يَتُوبُ (٢)

٤٠٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ، وأبي المُظفَّرِ، عن أبي سعدٍ قالَ: أنا الحسينُ بنُ عبدِ الملكِ الخَلَّالُ، أنا الحسنُ ابنُ بابشاذَ البصريُّ، أنا تمَّامُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ القرشيُّ، ثنا أبو محمَّدٍ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ هارونَ العَبَّادانيُّ، ثنا عليُّ بنُ الحسنِ الإمامُ، ثنا الحسنُ بنُ عثمانَ، ثنا أبو زرعةَ، ثنا العبَّاسُ بنُ الوليدِ الدِّمشقيُّ، ثنا مروانُ بنُ محمَّدٍ، عن رِفدةَ بنِ قضاعةَ الغَسَّانيِّ، عن ثابتِ بنِ عجلانَ قالَ: (إنَّ اللهَ تعالىٰ إذا أرادَ بأهلِ الأرضِ بليَّةً.. نظرَ إلى الصِّبيانِ في الكُتَّابِ يتعلَّمونَ الحكمةَ، فصرفَها عنهُم) (٣)

نُكتةٌ

[في أمورٍ حقيقٍ أن تُضامَّ إلىٰ غيرِها]

٤٠١ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ: أنا عمِّيَ الشَّهيدُ أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ أبي المُظفَّرِ السَّمْعانيُّ بمَرْوَ، ثنا أبي، أنا الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ السُّوريُّ، ثنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الجَوْهَريُّ، أنا [أبو عبيدِ اللهِ] (٤) محمَّدُ بنُ عمرانَ بنِ موسى المَرْزُبانيُّ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عيسى المكِّيُّ، ثنا [أبو العيناءِ محمَّدُ بنُ القاسمِ] (٥) قالَ: كانَ يُقالُ: لا خيرَ في القولِ إلَّا معَ الفعلِ، ولا في المَنظَرِ إلَّا معَ المَخبَرِ.

---

(١) أي: ترجعُ إلى اللهِ. انتهىٰ من هامش (أ).

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٥٥) مخطوط، ومحمد بن عبد الباقي في « مشيخته » (٢٨٢)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/٤٥٦ ـ ٤٥٧)، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/٤٤٩) بنحوه دون الأبيات الخمسة الأخيرة، وكذا ابن نقطة في « التقييد » (١/٣٤٦).

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٨٢) مخطوط، والدارمي في « مسنده » (٣٣٨٨) وفيه: (قالَ مروانُ: يعني بالحكمةِ القرآنَ)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨/١٥٥).

(٤) ما بين معقوفين في (أ، ب، ج): (أبو عبد الله)، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (١٦/٤٤٧).

(٥) ما بين معقوفين في (أ، ب، ج): (أبو القاسم محمد بن العيناء)، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (١٣/٣٠٨).

ولا في المالِ إلَّا معَ الجودِ ، ولا في الصِّدقِ إلَّا معَ الوَقارِ .

ولا في الفقهِ إلَّا معَ الورعِ ، ولا في الصَّدقةِ إلَّا معَ النِّيَّةِ .

ولا في الحياةِ إلَّا معَ الصِّحَّةِ ، ولا في السُّرورِ إلَّا معَ الأمنِ .

ومَن لم يركبِ المصاعبَ . . لم ينلِ الرَّغائبَ (١)

* * *

٤٠٢ ـ وأنبأَني ابنُ عساكرَ ، وابنُ أبي عصرونٍ ، وشمسُ الدِّينِ العبَّاسيُّ ، وابنةُ كِنْديٍّ المُتقدِّمُ ذِكْرُهُم ، عن عبدِ المُعِزِّ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المُستملي بأصبهانَ ، أنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ ، أنا أبو الحسينِ عبدُ الواحدِ بنُ محمَّدِ بنِ شاهٍ ، ثنا أبو الفرجِ عبدُ الواحدِ بنُ بكرٍ [الوَرْثانيُّ] (٢) ، ثنا الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عيسىٰ ، ثنا يوسفُ بنُ الحسينِ ، سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحواري يقولُ : درتُ بالكُوفةِ علىٰ بابِ الكُناسةِ (٣) ، فرأيتُ مجنوناً واقفاً قد حجزَ النَّاسَ عنِ الطَّريقِ ، فلمَّا رآني . . قالَ لي : مرَّ يا أحمدُ ، أنا بهلولٌ وأنا أعرفُكَ ، فأنشأَ يقولُ (٤) : [من الوافر]

حَقِيقٌ بِٱلتَّوَاضُعِ مَنْ يَمُوتُ ... وَحَسْبُ ٱلْمَرْءِ مِنْ دُنْيَاهُ قُوتُ

فَيَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحُ ذَا ٱغْتِمَامٍ ... وَحِرْصٍ لَا تَقُومُ لَهُ ٱلنُّعُوتُ

صَنِيعُ مَلِيكِنَا حَسَنٌ جَمِيلٌ ... وَمَا أَرْزَاقُهُ مِمَّا يَفُوتُ

فَيَا هَـٰذَا سَتَرْحَلُ عَنْ قَرِيبٍ ... إِلَىٰ قَوْمٍ كَلَامُهُمُ ٱلسُّكُوتُ (٥)

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٨٣) مخطوط ، وانظر « كليلة ودمنة » (ص ١٥٢) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٨١٩/٤) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢٦٢/١) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الوثاني) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٥٨٧/٥) ، و« معجم البلدان » (٣٧٠/٥ ـ ٣٧١) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٥٣٤) ، والوَرْثاني : نسبة إلىٰ (وَرْثان) ، وهو بلد آخر حدود أَذْرَبِيجان .

(٣) الكُناسة : محلَّة بالكُوفة ، وعندها واقَعَ يوسفُ بن عمر الثَّقفيُّ زيدَ بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب . « معجم البلدان » (٤٨١/٤) .

(٤) هي لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في « ديوانه » (ص ٨٣) ، و« تاريخ دمشق » (٥٢٨/٤٢) .

(٥) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٢٤٥) .

حكاية

[احذرْ أولياءَهُ]

٤٠٣ ـ وأنبأَني ابنُ عساكرَ ، وابنُ أبي عصرونٍ ، وابنةُ كِنْديّ المُتقدِّمُ ذِكْرُهُم ، عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ ، وعبدِ الرَّحيمِ بن أبي سعدٍ السَّمْعانيّ ، كلاهُما عن أبي سعدٍ السَّمْعانيّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحافظُ .

(ح) وأخبرَني أبوا حفصٍ : العَقِيميُّ وابنُ القَوَّاسِ ، ومُحيِي الدِّينِ الدَّميريُّ ، وتاجُ الدِّينِ البَعْليُّ المُتقدِّمُ ذِكْرُهُم إذناً قالوا : أنبأَنا أبو اليُمنِ زيدُ بنُ الحسنِ الكِنْديُّ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ قالَ : أنا أبو القاسمِ يوسفُ بنُ محمَّدٍ المِهْروانيُّ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدِ بنِ نصرٍ السُّتوريُّ ، ثنا أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدٍ الحُضْريُّ ، ثنا أحمدُ بنُ بكرٍ القراطيسيُّ ، سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ يقولُ : كنتُ في بعضِ سياحتي ، فبينا أنا سائرٌ . . فإذا أنا بكوخٍ مِن قصبٍ في بعضِ البوادي ، فقصدتُ نحوَهُ ، فإذا أنا برجلٍ مُبتلىً قد أكلَ الدُّودُ لحمَهُ ، ليسَ فيهِ شيءٌ صحيحٌ غيرَ لسانِهِ ؛ رطبٌ مِن ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ ، فرَحِمْتُهُ فقلتُ لهُ : حبيبي ؛ أتُحِبُّ أن أسألَ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُبرِئَكَ ؟

فانتفضَ ورفعَ رأسَهُ إليَّ ، وقالَ : يا يحيى بنَ مُعاذٍ ؛ وأنّىٰ لكَ عندَهُ هٰذهِ الدَّالَّةُ ؟! فلِمَ لَمْ تسألْهُ أن يُبغِّضَ إليكَ شهوةَ الرُّمَّانِ ؟! وكنتُ قدِ اعتقدتُ معَ اللهِ تَرْكَ الشَّهَواتِ فما قدرتُ علىٰ تَرْكِ الرُّمَّانِ .

قالَ : ثمَّ قالَ لي : يا يحيى بنَ مُعاذٍ ؛ احذرْ أن تعترضَ بينَ اللهِ وبينَ أوليائِهِ ؛ فتُفتضَحَ عندَهُم[١]

حكاية

[شيخٌ وأيُّ شيخٍ !!]

٤٠٤ ـ وأخبروني إذناً عنِ المُؤيَّدِ ، وعبدِ الرَّحيمِ ، عن أبي سعدٍ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ فُطَيمةَ البيهقيُّ ، أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي حامدٍ الإمامِ ، مِن أهلِ خُسْروجِرْدَ مِن نواحي بيهقَ وهوَ قاضيها ، شيخٌ مُسِنٌّ ، كثيرُ

---

(١) أخرجه المهرواني في « المهروانيات » (٧٤) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١١٣٩) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢٦٨/٤) .

السَّماعِ ، يُكرِمُ الغرباءَ الواردينَ عليهِ مِن كلِّ جنسٍ ، ويقصدُهُ النَّاسُ مِن كلِّ جانبٍ ، ما رأيتُ في سفري أخفَّ روحاً منهُ ، ولا ألطفَ ولا أضحكَ سنّاً منهُ ، معَ سخاءِ النَّفسِ وبذلِ الموجودِ .

قرأتُ عليهِ « رسالةَ الشَّافعيِّ الإمامِ » ، وكانَ سمعَها مِن أبي بكرٍ أحمدَ بنِ الحسينِ البيهقيِّ ، عن أبي عبدِ اللهِ الحافظِ ، عنِ الأصمِّ ، عنِ الرَّبيعِ ، عنهُ ، وكتبَ لي أجزاءً بخطِّهِ .

ومِن أعجبِ ما رأيتُ أنَّهُ ما كانَتْ لهُ الأصابعُ العشرُ !! فإنَّها قُطِعَتْ بكَرْمانَ لعلَّةٍ لَحِقَتْها ، وكانَ يأخذُ القلمَ بكفَّيهِ ، ويتركُ الورقَ تحتَ رِجلِهِ ، ويكتبُ بكفَّيهِ خطّاً مليحاً مِن أسرعِ ما يكونُ ، وكانَ يكتبُ في كلِّ يومٍ خمسَ كراريسَ خطّاً واسعاً مقروءاً !!

أقامَ بمَرْوَ مدَّةً ، وتفقَّهَ علىٰ جدِّي أبي المُظفَّرِ السَّمْعانيِّ .

وردَ بغدادَ حاجّاً بعدَ العشرِ وخمسِ مئةٍ ، وأقامَ بها أيَّاماً قلائلَ ، ورجعَ في عشرِ التِّسعينَ .

تُوُفِّيَ في شهرِ رمضانَ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ بخُسْروجِرْدَ[1]

حكاية

[سكرانُ في عهدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ]

٤٠٥ ـ وأنبؤوني عنهُما ، عن أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليٍّ الخيَّاطُ المُقرِئُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ النَّديمُ الفارسيُّ قراءةً عليهِ [قالَ] : أنا أبو محمَّدٍ جَناحُ بنُ نَذيرِ بنِ جَناحِ بنِ إسحاقَ المحاربيُّ قراءةً عليهِ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ حمدانَ ابنُ بَطَّةَ العُكْبَرِيُّ ـ قدمَ علينا حاجّاً ـ ، ثنا أبو صالحٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ ثابتٍ ، ثنا أبو مسلمٍ إبراهيمُ بنُ عبدِ الصَّمدِ[2] ، ثنا محمَّدُ بنُ أبي بكرٍ المُقدَّميُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عليٍّ الشَّاميُّ ، ثنا

---

(١) انظر « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (٢/٦٨٨ ـ ٦٩٣) ، وذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٣٦/٤١٠) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٢) كذا ذكره المؤلِّف عن : (إبراهيم بن عبد الصَّمد) ، ولعلَّه : (إبراهيم بن عبد الله الكشِّيُّ ، أبو مسلم) ، كما في « معجمِ أصحاب القاضي أبي علي الصدفي » لابن الأبار (ص ٢٢٤) ، و« البدرِ المنير » لابن الملقن (٨/٦١١) ، وسندِ ابن النجار الآتي (ص ٣٠٠) ، والله أعلم .

أبو عمرانَ الجَوْنيُّ قالَ : قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لأجلدَنَّ في الشَّرابِ كما فعلَ جدِّي عمرُ بنُ الخطَّابِ ـ رضيَ اللهُ [تعالىٰ] عنهُ ـ ، ثمَّ أمرَ صاحبَ عَسَسِهِ ، وضمَّ إليهِ صاحبَ خبرِهِ ، وقالَ لهُما : مَن وجدتُماهُ سكرانَ . . فأتياني بهِ .

قالَ : فطافا ليلتَهُما حتَّى انتهيا إلىٰ بعضِ الأسواقِ ، فإذا هما بشيخٍ حسنِ الشَّيبةِ ، بهيِّ المنظرِ ، عليهِ ثيابٌ حسنةٌ ، مُتلوِّثٌ في أثوابِهِ ، سكرانُ ، وهوَ يتغنَّىٰ[1] : [من الطويل]

سَقَوْنِي وَقَالُوا : لَا تَغَنَّ وَلَوْ سَقَوْا   جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا سَقَوْنِي لَغَنَّتِ

فحرَّكاهُ بأرجلِهِما وقالا لهُ : يا شيخُ ؛ ما تستحيي لهٰذهِ الشَّيبةِ الحسنةِ مِن مثلِ هٰذا الحالِ ؟

فقالَ : ارفقا بي ؛ فإنَّ لي إخواناً أحداثَ الأسنانِ شربتُ عندَهُم ليلتي هٰذهِ ، فلمَّا عملَ الشَّرابُ فيَّ . . أخرَجوني ، فإن رأيتُما أن تعفوا عنِّي . . فافعلا .

فقالَ صاحبُ العَسَسِ لصاحبِ الخبرِ : اكتُمْ عليَّ أمرَهُ حتَّىٰ أُطلِقَهُ ، قالَ : قد فعلتُ ، قالَ : انصرفْ يا شيخُ ولا تعُدْ ، فقالَ : نعم وأنا تائبٌ .

فلمَّا كانَ في اللَّيلةِ الثَّانيةِ . . طافا حتَّى انتهيا إلى الموضعِ ، فإذا هُما بالشَّيخِ علىٰ تلكَ الحالةِ في اللَّيلةِ الأُولىٰ وهوَ يتغنَّىٰ : [من مجزوء الخفيف]

إِنَّمَا هَيَّجَ ٱلْبِلَىٰ   حِينَ عَضَّ ٱلسَّفَرْجَلَا

فَرَمَانِي وَقَالَ لِي :   كُنْ بِعَيْنَيَّ مُبْتَلَىٰ

وَلَقَدْ قَامَ لَحْظُهُ   لِي عَلَى ٱلْقَلْبِ بِٱلْغِلَا[2]

فحرَّكاهُ بأرجلِهِما وقالا لهُ : يا شيخُ ؛ أينَ التَّوبةُ منكَ ؟

فقالَ : ارفقا بي واسمعا منِّي ، إنَّ إخواني الَّذينَ ذكرتُهُم لكُما البارحةَ غدَوا عليَّ اللَّيلةَ في يومِهِم هٰذا ، وحلفوا لي ؛ أنَّهُ متىٰ عملَ الشَّرابُ فيَّ . . لم يُخرِجوني ، فعملَ فيَّ وفيهِم ، فخرجتُ وهم لا يعلمونَ ، فإن رأيتُما أن تزيدا بالعفوِ . . فافعلا .

فقالَ صاحبُ العَسَسِ لصاحبِ الخبرِ : اكتُمْ عليَّ أمرَهُ حتَّىٰ أُطلِقَهُ ، قالَ : قد فعلتُ ، قالَ : انصرفْ يا شيخُ ، فانصرفَ .

---

(١) هو للحلاج ، انظر « ديوانه » (ص ٨٤) .

(٢) **الغِلا** : مقصور (الغِلاء) ، والمعنىٰ : قام لحظُه بفَعال السِّهام ، فرمىٰ من قلبه مكاناً قَصِيّاً .

وطافا اللَّيلةَ الثَّالثةَ حتَّى انتهيا إلى الموضعِ ، فإذا هما بالشَّيخِ علىٰ مثلِ تلكَ الحالِ ، وهوَ يتغنَّىٰ : [من الخفيف]

اِرْضَ عَنِّي فَطَالَمَا سَخِطْتَا أَنْتَ مَا زِلْتَ جَافِياً مُذْ عُرِفْتَا

أَنْتَ مَا زِلْتَ جَافِياً لَا وَصُولاً بَلْ بِهَـٰذَا فَدَتْكَ نَفْسِي أُلِفْتَا

مَا كَذَا تَفْعَلُ ٱلْكِرَامُ بَنُو ٱلنَّا سِ بِأَحْبَابِهِمْ فَكُنْ أَنْتَ أَنْتَا

قالَ : فحرَّكاهُ بأرجلِهما وقالا لهُ : هـٰذهِ الثَّالثةُ ولا عفوَ .

قالَ : أخطأتُما ، قالا : كيفَ ؟ قالَ : حدَّثَني محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ ، عن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ ، عن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ [تعالىٰ] عنهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ شَرِبَ ٱلْخَمْرَ . . لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَإِنْ تَابَ . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ شَرِبَهَا ٱلثَّانِيَةَ . . لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَإِنْ تَابَ . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ شَرِبَهَا ٱلثَّالِثَةَ . . لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَإِنْ تَابَ . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ شَرِبَهَا ٱلرَّابِعَةَ . . لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، [فَإِنْ][١] تَابَ . . لَمْ يَتُبِ ٱللهُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ حَقّاً عَلَى ٱللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ ٱلْخَبَالِ » .

قالَ عمرُ[٢] : (وما طينةُ الخَبالِ ؟) ، قالَ : « عُصَارَةُ أَهْلِ ٱلنَّارِ فِي ٱلنَّارِ »[٣]

قالَ : فعفواً ، مِنَ الثَّالثةِ واجبٌ ، ومِنَ الرَّابعةِ غيرُ واجبٍ .

قالَ صاحبُ العَسَسِ لصاحبِ الخبرِ : محنةٌ !! اكتُمْ عليَّ أمرَهُ حتَّىٰ أُطلِقَهُ ، قالَ : قد فعلتُ ، قالَ : انصرفْ .

فلمَّا كانَ في الرَّابعةِ . . طافا حتَّى انتهيا إلى الموضعِ ، فإذا هما بالشَّيخِ علىٰ مثلِ تلكَ الحالِ ، وهو يتغنَّىٰ : [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَمَا حَنَّتْ لَهُمْ إِبِلُ فَمَا أَقُولُ إِذَا مَا حُمِّلَ ٱلثَّقَلُ ؟[٤]

كَأَنَّنِي بِكَ نِضْواً لَا حَرَاكَ بِهِ تُدْعَىٰ وَأَنْتَ عَنِ ٱلدَّاعِينَ مُشْتَغِلُ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (ثم) ، وكُتب فوقها في (ج) : (كذا) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) يعني : سيدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٦٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٩١) لـٰكن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) الثَّقَل : متاع السَّفر .

فَـقَـلَّـبُـوكَ بِـأَيْـدِيـهِـمْ هُـنَـاكَ وَقَـدْ ... سَـارَتْ بِـأَحْـمَـالِـكَ ٱلْـمَـهْـرِيَّـةُ ٱلـذُّلُـلُ[1]

حَـتَّىٰ إِذَا ٱسْـتَـيْـأَسُـوا مِـنْ أَنْ تُـجِـيـبَـهُـمُ ... غَـطَّـوْا عَـلَـيْـكَ وَقَـالُـوا : قَـدْ قَـضَـى ٱلـرَّجُـلُ

فحرَّكاه بأرجلِهِما وقالا : هٰذهِ الرَّابعةُ ولا عفوَ .

قالَ : لستُ أسألُكُما عفواً بعدَها ، فافعلا ما بدا لكُما .

قالَ : فأوقَفاهُ بحضرةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقصَّا عليهِ قصَّتَهُ مِن أوَّلِها إلىٰ آخرِها ، فأمرَ عمرُ باستنكاهِهِ[2] ، فوجدَ منهُ رائحةً ، فأمرَ بحبسِهِ حتَّىٰ أفاقَ .

فلمَّا كانَ الغدُ . . أقامَ عليهِ الحدَّ ، فجلدَهُ ثمانينَ جلدةً ، فلمَّا فرغَ . . قالَ لهُ عمرُ : أنصفْ ـ يا شيخُ ـ مِن نفسِكَ ولا تَعُدْ ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قد ظلمتَني ، قالَ : وكيفَ ؟ قالَ : لأنَّني عبدٌ ، وقد حددتَني حدَّ الأحرارِ .

قالَ : فاغتمَّ عمرُ ، وقالَ : أخطأتَ علينا وعلىٰ نفسِكَ ، أفلا أخبرتَنا أنَّكَ عبدٌ ؟!

فلمَّا رأى اهتمامَ عمرَ بهِ . . رَدَّ عليهِ وقالَ : لا يسوءُكَ اللهُ يا أميرَ المؤمنينَ ، لتكنْ بقيَّةُ هٰذا الحدِّ سلفاً عندَكَ ؛ لعلِّي أُرفَعُ إليكَ مرَّةً أُخرىٰ .

قالَ : فضحكَ عمرُ ـ وكانَ قليلَ الضَّحكِ ـ حتَّى استلقىٰ علىٰ مسندِهِ ، وقالَ لصاحبِ عَسَسِهِ وصاحبِ خبرِهِ : إذا رأيتُما مثلَ هٰذا الشَّيخِ في هيئتِهِ وعلمِهِ وفهمِهِ وأدبِهِ . . فاحمِلا أمرَهُ على الشُّبهةِ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱدْرَؤُوا ٱلْحُدُودَ بِٱلشُّبْهَةِ »[3]

وهٰذهِ الحكايةُ أنسبَها ابنُ النَّجَّارِ قالَ : أخبرَنا أبو أحمدَ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ .

وعنِ ابنِ وَرّيدةَ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ السَّمَرْقَنْديُّ ، أنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ عبدِ العزيزِ العُكْبَريُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ محمَّدٍ الفحَّامُ ، ثنا أبو الطَّيِّبِ محمَّدُ بنُ الفَرُّخانِ ، ثنا عمِّي عليُّ بنُ رُوزَنَةَ ، وأحمدُ بنُ عليٍّ الرَّقِّيُّ قالا : ثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ الكَشِّيُّ ، حدَّثَني

---

(١) المَهْرِيَّة : إبل تنسب إلىٰ أبي قبيلةٍ اسمُه مَهْرة بن حيدان ، وهم حيٌّ عظيم ، والذُّلُل : اللَّيِّنة سهلة الانقياد .

(٢) استنكهه : تشمَّم ريحه ليعلم أشارب هو أم لا

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨/١٨٩ ـ ١٩١) ، وابن الأبار في « معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي » (ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦) ، وذكره السخاوي مختصراً في « المقاصد الحسنة » للسخاوي (٤٦) وعزاه لأبي سعد السمعاني في « الذيل » .

أبو بكرٍ المُقدَّميُّ ، عنِ الشَّاميِّ ، عن أبي عمرانَ الجَوْنيِّ . . . الحكايةَ ، وفيها بعضُ مخالفةٍ .

نُكْتَةٌ

[في ثناءِ النَّاسِ]

٤٠٦ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : أنا أبو منصورٍ عبدُ الباقي بنُ محمَّدٍ العَطَّارُ ، وأبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمَّدٍ ابنُ النَّقُّورِ البَزَّازُ قالا : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ المُخلِّصُ ، ثنا أبو محمَّدٍ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ السُّكَّريُّ ، ثنا أبو يعلىٰ زكريَّا بنُ يحيى بنِ خلَّادٍ المِنْقَريُّ ، ثنا الأصمعيُّ عبدُ الملكِ بنُ قُرَيبٍ قالَ : قيلَ لأعرابيٍّ : ما أحسنَ ثناءَ النَّاسِ عليكَ !!

قالَ : بلاءُ اللهِ عندي أحسنُ مِن مدحِ المادحينَ وإن أحسنوا ، وذنوبي أكثرُ مِن ذمِّ الذَّامِّينَ وإن أكثروا ، فيا أسفي علىٰ ما فرَّطتُ ، ويا سوءَتاهُ ممَّا قدَّمتُ [١] .

* * *

٤٠٧ ـ وبالإسنادَينِ المُتقدِّمَينِ إلىٰ أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : أنا حمزةُ بنُ عليٍّ البُنْدارُ ، أنا أبو الحسينِ ابنُ بِشْرانَ المُعدَّلُ ، أنا [أبو عليٍّ الحسينُ] [٢] بنُ صفوانَ البَرْذَعيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ القرشيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الحسينِ ، حدَّثَني صدقةُ المُقرِئُ ، حدَّثَني صاحبٌ لنا يُكنىٰ : أبا سعيدٍ مِن حفظةِ القرآنِ قالَ : (نمتُ ذاتَ ليلةٍ مِن جُزئي ، فأُريتُ في مَنامي كأنَّ قائلاً يقولُ : [من السريع]

عَجِبْتُ مِنْ جِسْمٍ وَمِنْ صِحَّةٍ ... وَمِنْ فَتىً نَامَ إِلَى ٱلْفَجْرِ

وَٱلْمَوْتُ لَا تُؤْمَنُ خَطْفَاتُهُ ... فِي ظُلَمِ ٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي

مِنْ بَيْنِ مَنْقُولٍ إِلَىٰ حُفْرَةٍ ... يَفْتَرِشُ ٱلْأَعْمَالَ فِي ٱلْقَبْرِ

وَبَيْنَ مَأْخُوذٍ عَلَىٰ غِرَّةٍ ... بَاتَ طَوِيلَ ٱلْكِبْرِ وَٱلْفَخْرِ

---

(١) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٥١٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٣٥) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو الحسين) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (١٥/٤٤٢) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٩٠ ، ٢٧١) ، وسيأتي على الصواب أيضاً ضمن الخبر (٤٨٩) .

عَاجَلَهُ ٱلْمَوْتُ عَلَىٰ غَفْلَةٍ   فَبَاتَ مَحْسُوراً إِلَى ٱلْحَشْرِ

فكأنَّها ـ واللهِ ـ حَجَرٌ أُلقِمتُهُ ، فما نسيتُها بعدُ)[1]

٤٠٨ ـ وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ ، وأبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ ابنِ السَّمْعانيِّ ، عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا حمزةُ بنُ سعادةَ الصُّوفيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو المُظفَّرِ موسى بنُ عمرانَ الصُّوفيُّ ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ الحسنيُّ ، أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ سعدٍ الهَرَويُّ ، ثنا أبو الحسينِ الخلَّاديُّ ، ثنا بشرُ بنُ مطرٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ قدامةَ الجَوْهَريُّ ، سمعتُ شعيبَ بنَ حربٍ يقولُ : قالَ سفيانُ الثَّوْريُّ : (انظرْ درهمَكَ مِن أينَ هوَ ، وصَلِّ في الصَّفِّ الأخيرِ)[2]

نُكْتَةٌ

[في العَوْدِ إلى الأوطانِ]

٤٠٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُما عن أبي سعدٍ قالَ : ثنا حامدُ بنُ أبي الفتحِ المَدِينيُّ مِن لفظِهِ بمَرْوَ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ المُقرِئُ بأصبهانَ ، أنا أبو نُعَيمٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ إسحاقَ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي المُثنَّىٰ ، ثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، ثنا هشامُ بنُ عروةَ ، عن أبيهِ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : حُفِرَ بعضُ حفائرِ عادٍ ، فأُصيبَ فيهِ سهمٌ أكبرُ ما يكونُ مِن رماحِكُم هٰذهِ ، وإذا عليهِ مكتوبٌ :

[من الطويل]

أَلَا هَلْ إِلَىٰ أَجْبَالِ صُبْحٍ بِذِي ٱللِّوَىٰ   لَدَى ٱلْخَبْتِ مِنْ قَبْلِ ٱلْمَمَاتِ مَعَادُ[3]

بِلَادٌ بِهَا كُنَّا وَكُنَّا نُحِبُّهَا   إِذِ ٱلنَّاسُ نَاسٌ وَٱلْبِلَادُ بِلَادُ[4]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٦٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٩/٥٤ ـ ٥٥) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٧٦) مخطوط ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦٨/٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٩٤) ، وانظر « الشكوىٰ والعتاب » للثعالبي (٣٩٥) ، و« ربيع الأبرار » (٦٢٥/٣) ، و« وفيات الأعيان » (٣٨٧/٢) .

(٣) **أجبال صُبح** : موضع بأرض الجِناب ، **وصُبح** : رجل من عاد كان ينزلها علىٰ وجه الدَّهر ، **والخَبْت** : ما اتَّسع واطمأنَّ من الأرض . « معجم البلدان » (١/١٠٠ ، ٢/٣٤٣) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٧١) مخطوط ، وابن الظاهري في « مشيخة ابن البخاري » (١٧٦٩/٣) .

٤١٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُما عن أبي سعدٍ قالَ : أنشدَنا حامدُ بنُ أبي الفتحِ الأصبهانيُّ مِن لفظِهِ قالَ : أنشدَنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليٍّ البُلغاريُّ قالَ : أنشدَنا أبو القاسمِ ابنُ صاحبيَ الفقيهِ البُلغاريِّ : [من الطويل]

تَقَرَّبْ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ بِٱلْفِقْهِ فِي ٱلدِّينِ ... وَعَاشِرْ عِبَادَ ٱللهِ بِٱلرِّفْقِ وَٱللِّينِ
وَكُنْ مِثْلَ ضَيْفٍ حَلَّ دَاراً لِغَيْرِهِ ... وَلَا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَاءٍ وَلَا طِينِ
وَلَا تَلْتَمِسْ حُبَّ ٱلرِّيَاسَةِ إِنَّهَا ... لِأَصْحَابِهَا كَٱلذَّبْحِ مِنْ غَيْرِ سِكِّينِ (١)

حكاية

[لو قبلْنا البِرْطِيلَ . . لَمَا كانَ ذٰلكَ الجاهُ]

٤١١ ـ وبهِ قالَ : أنا راشدُ بنُ مُلَيكٍ الرَّقيقيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ البَرَدانيُّ الحافظُ ، أنا محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ موسى المُقرئُ الخيَّاطُ .

(ح) قالَ : وأخبرَناهُ عالياً أبو محمَّدٍ يحيى بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ ابنُ الطَّرَّاحِ المُديرُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ موسى الخيَّاطُ المُقرئُ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ الحسينِ الفقيهُ الشَّافعيُّ ، سمعتُ أبا العبَّاسِ الكِنْديَّ بهَمَذانَ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ مخلدٍ العَطَّارَ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ المعروفَ بالفلَّاسِ يقولُ : سمعتُ إدريسَ بنَ عبدِ الكريمِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدٍ ابنَ أخي معروفٍ يقولُ : سمعتُ عمِّي معروفاً يقولُ : قالَ لي زُرَيقٌ الصَّيَّادُ : جلستُ علىٰ شاطئِ الدِّجلةِ ثلاثةَ أيَّامٍ بلياليها ، كلَّما ألقيتُ شبكتي . . لم يخرجْ فيها شيءٌ ، فلمَّا كانَ اليومُ الرَّابعُ . . ألقيتُ شبكتي ، وقلتُ : بجاهِ بشرٍ إلَّا رزقتَني ، ثمَّ إنِّي جذبتُها فلم تخرجْ ، فاستعنتُ بمَن يُعينُني ، فأخرجتُها فإذا شَبُّوطةٌ قد خرجَتْ (٢)

فألقيتُها ثانيةً وسألتُ ببشرٍ ، فأخرجتُها فإذا هيَ شَبُّوطةٌ أُخرىٰ أحسنَ مِنَ الأُولىٰ ، فحملتُهُما وشويتُهُما ، واشتريتُ رُقاقاً (٣) ، وحملتُ واحدةً إلىٰ بيتي ، وحملتُ الأُخرىٰ إلىٰ بيتِ بشرٍ .

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٧١) مخطوط .
(٢) الشَّبُّوطة : ضربٌ من السَّمك ، دقيقُ الذَّنَب ، عريضُ الوسط ، ليِّنُ المسِّ ، صغيرُ الرَّأس .
(٣) الرُّقاق : الخبز .

فقالَ لي بشرٌ مِن داخلِ البيتِ : يا زُرَيقُ ؛ لو قبلْنا البِرْطِيلَ[1] . . لَمَا كانَ ذٰلكَ الجاهُ ، ولم يقبلْها ، فرجعتُ بها[2] .

٤١٢ ـ وبهِ قالَ : أخبرَني زاهرُ بنُ طاهرٍ النَّيسابوريُّ ، أنا أبو الحسنِ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ البَحِيريُّ ، ثنا الحاكمُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ البَيِّعُ إملاءً ، أخبرَني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ داوودَ الصُّوفيُّ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ عمرَ بنِ نُصَيرٍ البَزَّازُ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ إبراهيمَ البَلْخيُّ قالَ : قالَ رجلٌ لأبي سهلٍ الحارثيِّ الصُّوفيِّ : أَوْصِني ، فقالَ : نَمْ عنِ الدُّنيا وزهرتِها . . تستيقظْ برَوْحِ الآخرةِ ونعيمِها[3] .

٤١٣ ـ وبهِ قالَ : أنشدَنا أبو الفضلِ زيادُ بنُ عليٍّ الحنفيُّ مِن لفظِهِ ، ولم يُسَمِّ قائلاً[4] : [من الكامل]

إنْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَا أَقُولُ وَتَعْقِلُ ... فَٱرْحَلْ بِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ بِكَ يُرْحَلُ

وَذَرِ ٱلتَّشَاغُلَ بِٱلذُّنُوبِ وَخَلِّهَا ... حَتَّىٰ مَتَىٰ وَإِلَىٰ مَتَىٰ تَتَعَلَّلُ ؟!

٤١٤ ـ وبهِ قالَ : وللبيتَينِ قصةٌ أنا بها أبو القاسمِ الجُنَيدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ الفارسيُّ ، أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي جعفرٍ الطَّبَسيُّ[5] ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ القاسمِ الفارسيُّ ، ثنا أبو الحسنِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ إبراهيمَ المُعدَّلُ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ الواعظُ ، حدَّثَنيَ الحسينُ بنُ هارونَ ، سمعتُ أبا بكرِ بنَ أبي هاشمٍ يقولُ : قالَ محمَّدٌ ابنُ السَّمَّاكِ : خرجتُ مِنَ العراقِ أُريدُ بعضَ الثُّغورِ ؛ فبينا أنا أسيرُ في جبلِ لُكَّام[6] . . إذ نظرتُ إلىٰ عابدٍ علىٰ رأسِ الجبلِ ، قدِ انفردَ مِنَ المخلوقينَ ، واستأنسَ بربِّ العالَمينَ ، فسلَّمتُ عليهِ ، فردَّ السَّلامَ ، ثمَّ قالَ : مِن أينَ أقبلتَ ؟ قلتُ : مِنَ العراقِ ، وأُريدُ بعضَ الثُّغورِ .

---

(١) البِرْطِيل : الرِّشْوة .

(٢) أخرجه ابن حمكان في « الفوائد والأخبار والحكايات » (٨٦) .

(٣) أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (٢٧٥) .

(٤) الأبيات بلا نسبة في « المجالسة وجواهر العلم » للدينوري (٢٢٩) .

(٥) الطَّبَسي : نسبة إلىٰ (طَبَس) ، وهي بلدة في برّيّة تقع بين نَيسابور وأصبهان وكَرْمان . « الأنساب » (٤/٤٨) .

(٦) جبل اللُّكَّام : الجبل المشرف علىٰ أنطاكِيَة والمَصِّيصة وتلك الثُّغور . « معجم البلدان » (٥/٢٢) .

فقالَ : إلىٰ أمرٍ تُوقِنونَهُ أو إلىٰ أمرٍ لا تُوقِنونَهُ ؟ قلتُ : لا ، بل إلىٰ أمرٍ لا نُوقِنُهُ .

قالَ : آهِ ، قلتُ : مِمَّ يا راهبُ ؟ قالَ : ذكرتُ عيشَ المُسترخينَ ، وفرحةَ قلوبِ الواصلينَ ، فقلتُ لهُ : إنِّي رجلٌ مهمومٌ ، قالَ : وفيمَ همُّكَ ؟ قلتُ : في ثلاثٍ ، قالَ : وما هيَ ؟

قلتُ : ما دليلُ الخوفِ ؟ قالَ : الحُزنُ .

فقلتُ : ما دليلُ الشَّوقِ ؟ قالَ : الطَّلبُ .

قلتُ : ما دليلُ الرَّجاءِ ؟ قالَ : العملُ .

قلتُ : فمِن أينَ ضعفُنا ؟ قالَ : لأنَّكُم وثقتُم بعفوِ اللهِ عنكُم ، ولو عاجلَكُم بالعقوبةِ . . لهربتُم مِن معصيتِهِ إلىٰ طاعتِهِ ، ولٰكنَّ حلمَهُ وسَترَهُ حملَكُم علىٰ معصيتِهِ .

ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الكامل]

إنْ كُـنْـتَ تَـفْـهَـمُ . . . .

البيتَينِ [١]

* * *

٤١٥ ـ وبهِ قالَ : أنا سعدُ اللهِ بنُ نصرٍ الدَّجاجيُّ الواعظُ الحَيَوانيُّ مذاكرةً [٢] يقولُ : كنتُ خائفاً مِنَ الخليفةِ ؛ لحادثٍ نزلَ ، واشتدَّ الطَّلبُ فاختفيتُ ، فرأيتُ في النَّومِ ليلةً مِنَ اللَّيالي كأنَّني في غُرفةٍ ، جالساً علىٰ كرسيٍّ وأنا أكتبُ شيئاً ، فجاءَ رجلٌ فوقفَ بإزائي ، وقالَ : اكتبْ ما أُملي عليكَ ، فأنشدَ : [من الكامل]

اِدْفَـعْ بِـصَـبْـرِكَ حَـادِثَ ٱلْأَيَّـامِ ... وَتَـرَجَّ لُـطْـفَ ٱلْـوَاحِـدِ ٱلْـعَـلَّامِ
لَا تَـيْـئَـسَـنَّ وَإِنْ تَـضَـايَـقَ كَـرْبُـهَـا ... وَرَمَـاكَ رَيْـبُ صُـرُوفِـهَـا بِـسِـهَـامِ
فَـلَـهُ تَـعَـالَـىٰ بَـيْـنَ ذَٰلِـكَ فُـرْجَـةٌ ... تَـخْـفَـىٰ عَـلَى ٱلْأَبْـصَـارِ وَٱلْأَوْهَـامِ
كَـمْ مَـنْ نَـجَـا مِـنْ بَـيْـنِ أَطْـرَافِ ٱلْـقَـنَـا ... وَفَـرِيـسَـةٍ سَـلِـمَـتْ مِـنَ ٱلـضِّـرْغَـامِ [٣]

*

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٢٠٧ ـ ٢٠٨) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٦٨٠) عن أحمد بن عاصم الأنطاكي مختصراً ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/٢٠٣ ـ ٢٠٤) عن أحمد أيضاً ، وأبو موسى المديني في « اللطائف من دقائق المعارف » (٧٠٦) مختصراً .

(٢) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (١٠/٤٩٠) ، وابن الدبيثي في « ذيل تاريخ مدينة السلام » (٣/٣٠٦) ، وانظر « الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٢/٣٣٤) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٢١/١٥٢) .

٤١٦ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدٍ الدَّقَّاقَ الحافظَ بمَرْوَ لفظاً يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ سعدَ بنَ محمَّدٍ الأَسَداباذيَّ الصُّوفيَّ [(١)] عندَ قبرِ أبي يزيدَ البِسْطاميِّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ عليٍّ بعَسْقَلانَ [يقولُ] : سمعتُ طاهرَ بنَ محمَّدٍ يقولُ : ثنا الحسنُ بنُ حبيبٍ الدِّمشقيُّ ، حدَّثَني الرَّبيعُ بنُ سليمانَ قالَ : رأيتُ الشَّافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ في المَنامِ ، فقلتُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ ما صنعَ اللهُ بكَ ؟

قالَ : أجلسَني علىٰ كرسيٍّ مِن ذهبٍ ، ونثرَ عليَّ اللُّؤلؤَ الرَّطْبَ [(٢)]

٤١٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الفخرِ بنُ أبي منصورِ بنِ أبي الفضلِ الصُّوفيُّ بهَمَذانَ ، أنا جدِّي ، أنا أبو بكرٍ ابنُ لالَ كتابةً ، ثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ عثمانَ الفَسَويُّ ، ثنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ عثمانَ ، ثنا عبدُ اللهِ ، أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ زيدٍ ، عن عبدِ الرَّحمـٰنِ ـ رجلٌ مِن أهلِ صَنْعاءَ ـ قالَ : أرسلَ النَّجاشيُّ إلىٰ جعفرٍ وأصحابِهِ ، فدخلوا عليهِ وهوَ في بيتِهِ وعليهِ خُلْقانٌ ، جالسٌ على التُّرابِ ، قالَ جعفرٌ : (فأشفقْنا منهُ حينَ رأيْناهُ علىٰ تلكَ الحالِ .

فلمَّا رأىٰ ما في وجوهِنا . . قالَ : إنِّي أُبشِّرُكُم بما يسرُّكُم ؛ إنَّهُ جاءَني مِن نحوِ أرضِكُم عَينٌ لي ، فأخبرَني أنَّ اللهَ تعالىٰ قد نصرَ نبيَّهُ ، وأهلكَ عدوَّهُ ، وأُسِرَ فلانٌ وفلانٌ ، وقُتِلَ فلانٌ وقُتِلَ فلانٌ ، فالتقَوا بوادٍ يُقالُ لهُ : بدرٌ ؛ كانَ كثيرَ الأراكِ ، كأنِّي أنظرُ إليهِ ، كنتُ أرعىٰ بهِ لسيِّدي ـ رجلٌ مِن ضمرةَ ـ إبلَهُ) .

قالَ جعفرٌ : (فما بالُكَ ؛ جالسٌ على التُّرابِ ، ليسَ تحتَكَ بِساطٌ ، وعليكَ هـٰذهِ الأخلاقُ ؟) .

قالَ : إنَّ فيما أنزلَ اللهُ علىٰ عيسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ حَقّاً عَلَىٰ عِبَادِ ٱللهِ أَنْ يُحْدِثُوا تَوَاضُعاً عِنْدَمَا يُحْدِثُ ٱللهُ لَهُمْ مِنْ نِعَمِهِ » ، فلمَّا أحدثَ اللهُ لنا نصرَ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أحدثتُ لهُ هـٰذا التَّواضعَ [(٣)]

---

(١) الأَسَداباذي : نسبة إلىٰ (أَسَداباذ) ، وهي مدينة قريبة من هَمَذان . « معجم البلدان » (١٧٦/١) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤١١/٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣٥/٥١) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١٤١/٦) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٤٢٥٩/٩) ، وانظر « الأنساب » (٣٨٠/٣) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » من رواية نعيم بن حماد (١٩٢) ، وابن أبي الدنيا في « الشكر » (ص ٤٠ ـ ٤١) ،

نُكتةٌ

[في كلامِ اللِّسانِ بما لا يعنيهِ]

٤١٨ ـ وبهِ قالَ : أنا سعيدُ بنُ أبي الرَّجاءِ الصَّيْرفيُّ [قالَ] : أنا أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمودٍ الثَّقفيُّ ، ومنصورُ بنُ الحسينِ ابنِ القاسمِ قالا : أنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ابنُ المُقرِئِ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ السَّلامِ مكحولٌ البيروتيُّ ، ثنا الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ الصُّوريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ قدامةَ ، ثنا جريرٌ ، عن مُغيرةَ قالَ : (إذا تكلَّمَ اللِّسانُ بما لا يعنيهِ . . قالَ القَفا : وا حزناهُ !!)[١]

حِكايةٌ

[في العشقِ ومصارعِهِ]

٤١٩ ـ وبهِ قالَ : أنا سعيدُ بنُ أحمدَ الرُّصافيُّ بقراءتي عليهِ ، ثنا أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الحسنِ ابنِ خيرونٍ الباقِلَّانيُّ مِن لفظِهِ ، أنا أبو القاسمِ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الصَّيْرفيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ ابنِ شاذانَ البَزَّازُ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ دفعاتٍ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عرفةَ النَّحْويُّ قالَ : دخلتُ علىٰ محمَّدِ بنِ داوودَ في مرضِهِ الَّذي ماتَ فيهِ ، فقلتُ : ما بكَ يا سيِّدي ؟

فقالَ : حبُّ مَن تعلمُ أورثَني ما ترىٰ ؛ يعني : ابنَ جامعٍ الصَّيْدَلانيَّ .

قلتُ : فما منعَكَ مِنَ الاستمتاعِ بهِ معَ القدرةِ عليهِ ؟

فقالَ : الاستمتاعُ علىٰ وجهَينِ : أحدُهُما : النَّظرُ المُباحُ ، والثَّاني : اللَّذَّةُ المحظورةُ .

فأمَّا النَّظرُ المُباحُ . . فأورثَني ما ترىٰ .

وأمَّا اللَّذَّةُ المحظورةُ . . فمنعَني ما حدَّثَني أبي ، عن سويدِ بنِ سعيدٍ الحَدَثانيّ ، عن عليِّ بنِ مُسهِرٍ ، عن أبي يحيى القَتَّاتِ ، عن مجاهدٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُما ـ :

والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/١٣٣ ـ ١٣٤) ، وانظر « المغازي » للواقدي (١/١٢٠ ـ ١٢١) ، و« تاريخ الإسلام » (٢/١١٣ ـ ١١٤) .

(١) أخرجه ابن المقرئ في « المعجم » (٧٢) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٨/٤٠٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/٦) ، و« نكت الهميان » للصفدي (ص ٣٠٩) .

أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ عَشِقَ فَكَتَمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ . . غَفَرَ ٱللهُ لَهُ ، وَأَدْخَلَهُ ٱلْجَنَّةَ »[1]

قالَ : وأنشدَني لنفسِهِ : [من الخفيف]

مَا لَهُمْ أَنْكَرُوا سَوَاداً بِخَدَّيْـ ـهِ وَلَا يُنْكِرُونَ وَرْدَ ٱلْغُصُونِ

إِنْ يَكُنْ عَيْبُ خَدِّهِ بُدَدَ ٱلشَّعْـ ـرِ فَعَيْبُ ٱلْعُيُونِ شَعْرُ ٱلْجُفُونِ[2]

فقلتُ لهُ : نفيتَ القياسَ في الفقهِ ، وأثبتَّهُ في الشِّعرِ ؟! فقالَ : غلبةُ الهوىٰ ، وملكةُ النُّفوسِ [دعَتَا][3] إليهِ[4]

نُكْتَةٌ

[في صِبا سفيانَ بنِ عُيَينةَ]

٤٢٠ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ الحافظُ إملاءً مِن لفظِهِ ، أنا أبو مسعودٍ سليمانُ بنُ إبراهيمَ الحافظُ ، [أنا][5] أبو العلاءِ محمَّدُ بنُ عليٍّ الواسِطيُّ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ موسى السَّلاميُّ فيما أذنَ لنا أن نرويَ عنهُ ، سمعتُ عمَّارَ بنَ عليٍّ اللُّوريَّ[6] ، سمعتُ أحمدَ بنَ النَّضرِ الهِلاليَّ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : كنتُ في مجلسِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، فنظرَ إلىٰ صبيٍّ دخلَ المسجدَ ، فتهاونوا بهِ ؛ لصغرِ سنِّهِ ، فقالَ سفيانُ : ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾[7]

ثمَّ قالَ لي : يا نضرُ ؛ لو رأيتَني ولي عشرُ سنينَ ، طولي خمسةُ أشبارٍ ، ووجهي كالدِّينارِ ،

---

(١) أخرجه أبو بكر الأصفهاني في « الزهرة » (١/١١٧) ، والخرائطي في « اعتلال القلوب » (١٠٦) ، وابن حبان في « المجروحين من المحدثين » (١/٤٤٧) كلُّهم بنحوه ، وانظر « المقاصد الحسنة » للسخاوي (١١٥٣) ، وقد ألف فيه أبو الفيض الغماري جزءاً سماه : « درء الضعف عن حديث من عشق فعف » .

(٢) بُدَد الشَّعر : المتفرِّق منه .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (دعوتا) ، والمثبت من « مصارع العشاق » .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/١٦٥ ـ ١٦٧) ، والسراج القارئ في « مصارع العشاق » (١/١٣ ـ ١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/١٩٥ ـ ١٩٦) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١١٢) ، والقفطي في « المحمدون من الشعراء » (ص ٣١٨ ـ ٣١٩) .

(٥) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق .

(٦) اللُّوري : نسبة إلىٰ (لُور) ، وهي كورة واسعة بين خُوزستان وأصبهان ، معدودة في عمل خُوزستان . « معجم البلدان » (٥/٢٥) .

(٧) سورة النساء : (٩٤) .

وأنا كشُعْلَةِ نارٍ ، ثيابي صغارٌ ، وأكمامي قصارٌ ، وذَيلي بمقدارٍ ، ونَعلي كآذانِ الفارِ ، أختَلِفُ إلىٰ علماءِ الأمصارِ ؛ مثلَ : الزُّهريِّ وعمرِو بنِ دينارٍ ، أجلسُ بينَهُم كالمسمارِ ، مِحبرتي كالجَوْزةِ ، ومقلمتي كالموزةِ ، وقلمي كاللَّوزةِ ، وإذا دخلتُ المجلسَ . . قالوا : أَوْسِعوا للشَّيخِ الصَّغيرِ ، أَوْسِعوا للشَّيخِ الصَّغيرِ .

قالَ : ثمَّ تبسَّمَ ابنُ عُيَينةَ وضحكَ [1]

نُكتة

[في أبياتٍ كتبَها ابنُ الزَّيَّاتِ قبلَ موتِهِ]

٤٢١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الفضلِ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ السَّعدوينيُّ [2] ، وأبو الفضلِ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدٍ المَغازِليُّ قالا : أنا أبو مسعودٍ سليمانُ بنُ إبراهيمَ الحافظُ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ بُنْدارِ بنِ أحمدَ بنِ فوركٍ الأديبُ ، ثنا أبو الحسينِ زيدُ بنُ رفاعةَ ، ثنا أبو بكرٍ الصُّوليُّ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ محمَّدٍ قالَ : (لمَّا خرجَ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ الزَّيَّاتُ مِنَ التَّنُّورِ الَّذي حُبِسَ فيهِ ميِّتاً . . وُجِدَ قد كتبَ علىٰ ذراعِهِ بدمٍ [3] : [من البسيط]

هِيَ ٱلسَّبِيلُ فَمِنْ يَوْمٍ إِلَىٰ يَوْمِ ... كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ ٱلْعَيْنُ فِي ٱلنَّوْمِ

لَا تَعْجَلَنَّ رُوَيْداً إِنَّهَا دُوَلٌ ... دُنْيَا تَنَقَّلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَىٰ قَوْمِ) [4]

حكاية

[النِّسوةُ الأربعُ معَ الغربانِ الأربعةِ]

٤٢٢ ـ وبهِ قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ سليمانَ بنِ أحمدَ السَّرَقُسْطيُّ الأَدَميُّ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « الكفاية في علم الرواية » (ص ٥٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/٢٧٢ ـ ٢٧٣) ، وأبو موسى المديني في « اللطائف من دقائق المعارف » (٥٢٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٨١ ـ ٨٢) ، وانظر « الدراري في ذكر الذراري » لابن العديم (ص ٣٠ ـ ٣١) .

(٢) كذا في (أ ، ب ، ج) ، ولعلَّها : (السَّعدويُّ) ، نسبة إلىٰ جده (سعدويه) ، والله أعلم .

(٣) هي له كما في « ديوانه » (ص ٢٨٢) ، وتنسب لأبي العتاهية كما في « ديوانه » (ص ٣٤١) .

(٤) انظر « مروج الذهب » للمسعودي (٥/٧ ـ ٨) ، و« العقد الفريد » (٢/١٦٤) ، و« الأنساب » (٣/١٨٤) ، و« وفيات الأعيان » (٥/١٠٠) ، و« الوافي بالوفيات » (٤/٣٢ ـ ٣٣) .

بقراءتي عليهِ[١] ، أنا والدي أبو الرَّبيعِ قراءةً عليهِ في سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ وأربعِ مئةٍ ، أنا أبو القاسمِ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ الصَّيْرفيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ابنُ حَيُّويهِ الخَزَّازُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأهوازيُّ ، أخبرَني بعضُ أهلِ الأدبِ : أنَّ بعضَ البصريِّينَ أخبرَهُ قالَ : كنَّا لُمَّةً نجتمعُ ولا يُفارِقُ بعضُنا بعضاً ، وكنَّا علىٰ عددِ أيَّامِ الجمعةِ ، كلُّ يومٍ عندَ أحدِنا ، فضجرْنا مِنَ المُقامِ في المنازلِ ، فخرجْنا إلىٰ بعضِ البساتينِ ؛ إلىٰ بستانٍ قريبٍ منَّا ، فبينا نحنُ فيهِ . . إذ سمعْنا ضجَّةً راعَتْنا ، فقلتُ للبستانيِّ : ما هٰذا ؟ فقالَ : هٰؤلاءِ نسوةٌ لهُنَّ قصَّةٌ .

فقلتُ أنا لهُ دونَ أصحابي : وما هيَ ؟ قالَ : العيانُ أكثرُ مِنَ الخبرِ ؛ فقمْ حتَّىٰ أُرِيَكَ وحدَكَ .

فقلتُ لأصحابي : أقسمتُ عليكُم ؛ إنْ يبرحُ أحدٌ منكُم حتَّىٰ أعودَ ، فنهضتُ وحدي ، فصعدتُ إلىٰ موضعٍ أُشرِفُ عليهِنَّ ، وأراهُنَّ ولا يريْنَني ، فرأيتُ نسوةً أربعاً ؛ كأحسنِ ما يكونُ مِنَ النِّساءِ وأَشكلِهِنَّ ، ومعَهُنَّ خدمٌ لهُنَّ ، وأشياءُ قد أُصلِحَتْ مِن طعامٍ وشرابٍ وآلةٍ .

فلمَّا اطمأنَّ بهِنَّ المجلسُ . . جاءَ خادمٌ لهُنَّ ، ومعَهُ خمسةُ أجزاءٍ ، فدفعَ إلىٰ كلِّ واحدةٍ منهُنَّ جزءاً ، ووضعَ الجزءَ الخامسَ بينَهُنَّ ، فقرأْنَ أحسنَ قراءةٍ ، ثمَّ أخذْنَ الجزءَ الخامسَ ، فقرأَتْ كلُّ واحدةٍ منهُنَّ ربعَ الجزءِ .

ثمَّ أخرجْنَ صورةً معَهُنَّ في ثوبٍ دَبِيقيٍّ[٢] ، فبسطْنَها بينَهُنَّ ، فبكيْنَ عليها ودعَوْنَ لها .

ثمَّ أخذْنَ في النَّوحِ ، فقالَتِ الأُولىٰ[٣] : [من الكامل]

خَلَسَ ٱلزَّمَانُ أَعَزَّ مُخْتَلَسِ ... وَيَدُ ٱلزَّمَانِ كَثِيرَةُ ٱلْخُلَسِ

لِلَّهِ هَالِكَةٌ فُجِعْتُ بِهَا ... مَا كَانَ أَبْعَدَهَا مِنَ ٱلدَّنَسِ !!

أَتَتِ ٱلْبِشَارَةُ وَٱلنَّعِيُّ لَنَا ... يَا قُرْبَ مَأْتَمِهَا مِنَ ٱلْعُرُسِ

---

(١) السَّرَقُسْطي : نسبة إلىٰ (سَرَقُسْطة) ، وهي بلدة من بلاد الأَنْدَلُس علىٰ ساحل البحر . « الأنساب » (٣/٢٤٦) .
(٢) الثَّوب الدَّبِيقي : نسبة إلىٰ (دَبِيق) ، وهي بلدة من أعمال مصر .
(٣) هي ليعقوب بن الربيع البغدادي كما في « الكامل » للمبرد (٣/١٤٦٤) دون البيت الأول .

ثمَّ قالَتِ الثَّانيةُ[1] : [من الكامل]

ذَهَبَ ٱلزَّمَانُ بِأُنْسِ نَفْسِيَ عَنْوَةً ... وَبَقِيتُ فَرْداً لَيْسَ لِي مِنْ مُؤْنِسِ

أَوْدَىٰ بِمُلْكَ فَلَوْ تُفَادَىٰ نَفْسُهَا ... لَفَدَيْتُهَا مِمَّنْ أُعِزُّ بِأَنْفُسِ

ظَلَّتْ تُكَلِّمُنِي كَلاماً مُطْمِعاً ... لَمْ أَسْتَرِبْ مِنْهُ بِشَيْءٍ مُؤْيِسِ

حَتَّىٰ إِذَا فَتَرَ ٱللِّسَانُ وَأَصْبَحَتْ ... لِلْمَوْتِ قَدْ ذَبُلَتْ ذُبُولَ ٱلنَّرْجِسِ

وَتَسَهَّلَتْ مِنْهَا مَحَاسِنُ وَجْهِهَا ... وَعَلَا ٱلْأَنِينُ تَحُثُّهُ بِتَنَفُّسِ

جَعَلَ ٱلرَّجَاءُ مَطَامِعِي يَأْساً كَمَا ... قَطَعَ ٱلرَّجَاءُ صَحِيفَةَ ٱلْمُتَلَمِّسِ

ثمَّ قالَتِ الثَّالثةُ[2] : [من مخلع البسيط]

جَرَتْ عَلَىٰ عَهْدِهَا ٱللَّيَالِي ... وَأُحْدِثَتْ بَعْدَهَا أُمُورُ

فَٱعْتَضْتُ بِٱلْيَأْسِ مِنْكِ صَبْراً ... فَٱعْتَدَلَ ٱلْيَأْسُ وَٱلسُّرُورُ

فَلَسْتُ أَرْجُو وَلَسْتُ أَخْشَىٰ ... مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكِ ٱلدُّهُورُ

فَلْيَبْلُغِ ٱلدَّهْرُ فِي مَسَاتِي ... فَمَا عَسَىٰ جَهْدَهُ يَضِيرُ ؟

ثمَّ قالَتِ الرَّابعةُ[3] : [من البسيط]

عِلْقٌ نَفِيسٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا فُجِعْتُ بِهِ ... أَفْضَىٰ إِلَيْهِ ٱلرَّدَىٰ فِي حَوْمَةِ ٱلْقَدَرِ

وَيْحَ ٱلْمَنَايَا أَمَا تَنْفَكُّ أَسْهُمُهَا ... مُعَلَّقَاتٍ بِصَدْرِ ٱلْقَوْسِ وَٱلْوَتَرِ ؟!

يَبْلَى ٱلْجَدِيدَانِ وَٱلْأَيَّامُ بَالِيَةٌ ... وَٱلدَّهْرُ يَبْلَىٰ وَتَبْلَىٰ جِدَّةُ ٱلْحَجَرِ

ثمَّ قُمْنَ فقلْنَ بصوتٍ واحدٍ : [من مجزوء الرجز]

كُنَّا مِنَ ٱلْمُسَاعَدَةْ ... نَحْيَا كَنَفْسٍ وَاحِدَةْ

---

(١) هي ليعقوب بن الربيع البغدادي كما في « الحيوان » للجاحظ (٦/٥٠٤) ، و« الكامل » للمبرد (٣/١٤٦٥) ، و« ثمار القلوب » للثعالبي (١/٣٥٤) ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (٢/٣٧٢) دون الثلاثة الأولىٰ ، ومما يدل علىٰ أنها له ذكره اسم جاريته (مُلْك) فيها كما فعل في كثير من أشعاره .

(٢) الأبيات في « ديوان إبراهيم الصولي » ضمن كتاب « الطرائف الأدبية » (ص ١٧٠) ، وقيل لغيره ، انظر « معجم الشعراء » للمرزباني (ص ٤١٩) ، و« الحماسة البصرية » (٢/٧٣٤) .

(٣) الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي كما في « ديوانه » ضمن كتاب « الطرائف الأدبية » (ص ١٧٠) دون البيت الأخير .

فَمَاتَ نِصْفُ نَفْسِي حِينَ ثَوَىٰ فِي ٱلرَّمْسِ
فَمَا بَقَائِي بَعْدَهُ وَشَطْرُ نَفْسِي عِنْدَهُ ؟
فَهَلْ سَمِعْتَ قَبْلِي فِيمَنْ مَضَىٰ بِمِثْلِي ؟
عَاشَ بِنِصْفِ رُوحِ فِي بَدَنٍ صَحِيحِ

ثمَّ تنحَّيْنَ ، وقلْنَ لبعضِ الخدمِ : كم عندَكَ منهُم ؟ قالَ : أربعةٌ ، قلْنَ : ائتِ بهِم ، فلم ألبثْ إلَّا قليلاً حتَّىٰ طلعَ بقفصٍ فيهِ أربعةُ غربانٍ مُكتَّفةٍ ، فوضعَ القفصَ بينَ أيديهِنَّ ، فدعَوْنَ بعيدانٍ ، فأخذَتْ كلُّ واحدةٍ منهُنَّ عودَها .

فغنَّتِ الأُولىٰ [1] : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ صَاحَ ٱلْغُرَابُ بِبَيْنِهِمْ فَأَوْجَعَ قَلْبِي بِٱلْحَدِيثِ ٱلَّذِي يُبْدِي
فَقُلْتُ لَهُ : أَفْصَحْتَ لَا طِرْتَ بَعْدَهَا بِرِيشٍ فَهَلْ لِلْقَلْبِ وَيْحَكَ مِنْ رَدِّ ؟!

ثمَّ أخذْنَ واحداً مِنَ الغربانِ ، فنتفْنَ ريشَهُ ؛ حتَّىٰ تركْنَهُ كأنْ لم يكنْ عليهِ ريشٌ قطُّ ، ثمَّ ضربْنَهُ بقضبانٍ معَهُنَّ ـ لا أدري ما هيَ ـ حتَّىٰ قتلنَهُ .

ثمَّ غنَّتِ الثَّانيةُ [2] : [من المتقارب]

أَشَاقَكَ وَٱللَّيْلُ مُلْقِي ٱلْجِرَانِ [3] غُرَابٌ يَنُوحُ عَلَىٰ غُصْنِ بَانِ
أَحَصُّ ٱلْجَنَاحِ شَدِيدُ ٱلصِّيَاحِ يُبَكِّي بِعَيْنَيْنِ مَا تَهْمُلَانِ
وَفِي نَعَبَاتِ ٱلْغُرَابِ ٱغْتِرَابٌ وَفِي ٱلْبَيْنِ بَيْنٌ بَعِيدُ ٱلتَّدَانِي

ثمَّ أخذْنَ الثَّانيَ ، فشددْنَ في رجلَيهِ خيطَينِ ، وباعدْنَ بينَهُما ، ثمَّ جعلْنَ يقلْنَ لهُ : أتبكي بلا دمعٍ ، وتُفرِّقُ بينَ الأُلَّافِ ؟! فمَن أحقُّ بالقتلِ منكَ ؟! ثمَّ فعلْنَ بهِ ما فعلْنَ بصاحبِهِ .

ثمَّ غنَّتِ الثَّالثةُ [4] : [من الطويل]

---

(١) هما لقيس بن ذريح كما في « ديوانه » (ص ٨١) ، و« الأغاني » (٨٠٦١/٢٣) .
(٢) هما لأبي الشيص الخزاعي كما في « ديوانه » (ص ١٠٥) ، و« الشعر والشعراء » لابن قتيبة (٨٤٦/٢) ، و« طبقات الشعراء » لابن المعتز (ص ٧٨) .
(٣) الجِرَان : مقدم عنق البعير ، يقال : ألقى البعير جرانه ؛ أي : برك ، والمقصود هنا : ظلمة اللَّيل .
(٤) هي لمجنون ليلى كما في « ديوانه » (ص ١٤١) ، ونُسِب البيتان الأول والثالث لقيس بن ذريح كما في « ديوانه » (ص ٨٩) ، و« الزهرة » لأبي بكر الأصبهاني (٣٣٧/١) .

أَلَا يَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ لَوْنُكَ شَاحِبٌ وَأَنْتَ بِلَوْعَاتِ ٱلْفِرَاقِ جَدِيرُ

فَبَيِّنْ لَنَا مَا قُلْتَ إِذْ أَنْتَ وَاقِعٌ وَبَيِّنْ لَنَا مَا قُلْتَ حِينَ تَطِيرُ

فَإِنْ يَكُ حَقّاً مَا تَقُولُ فَأَصْبَحَتْ هُمُومُكَ شَتَّىٰ وَٱلْجَنَاحُ كَسِيرُ

فَلَا زِلْتَ مَطْرُوداً عَدِيماً لِنَاصِرٍ كَمَا لَيْسَ لِي مِنْ ظَالِمِيَّ نَصِيرُ

ثمَّ قالَتْ : أمَّا الدَّعوةُ . . فقدِ استُجِيبَتْ ، ثمَّ كسرَتْ جناحَهُ ، وأمرَتْ بهِ ، ففعلْنَ بهِ مثلَ ذٰلكَ .

ثمَّ غنَّتِ الرَّابعةُ[1] : [من الطويل]

عَشِيَّةَ مَا لِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنَّنِي بِلَقْطِ ٱلْحَصَىٰ وَٱلْخَطِّ فِي ٱلدَّارِ مُولَعُ

أَخُطُّ وَأَمْحُو كُلَّ مَا قَدْ خَطَطْتُهُ بِدَمْعِيَ وَٱلْغِرْبَانُ فِي ٱلدَّارِ وُقَّعُ

ثمَّ قالَتْ لأخواتِها : [أيَّ قتلةٍ أقتلُهُ ؟][2] ، فقلْنَ لها : علِّقيهِ برِجلَيهِ وشدِّي في رأسِهِ شيئاً ثقيلاً حتَّىٰ يموتَ ، ففعلَتْ بهِ ذٰلكَ .

ثمَّ وضعْنَ عيدانَهُنَّ ، ودعَوْنَ بالغداءِ فأكلْنَ ، ودعَوْنَ بالشَّرابِ ، وجعلْنَ كلَّما شربْنَ قَدَحاً . . شربْنَ للصُّورةِ مثلَهُ ، وأخذْنَ عيدانَهُنَّ فغنَّيْنَ .

فغنَّتِ الأُولىٰ ؛ كأنَّها تُودِّعُ : [من البسيط]

أَبْكَىٰ فِرَاقُهُمُ عَيْنِي وَأَرَّقَهَا إِنَّ ٱلْمُحِبَّ عَلَى ٱلْأَحْبَابِ بَكَّاءُ

مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمُ حَتَّىٰ تَفَانَوْا وَرَيْبُ ٱلدَّهْرِ عَدَّاءُ

ثمَّ غنَّتِ الثَّانيةُ[3] : [من الطويل]

أَمَا وَٱلَّذِي أَبْكَىٰ وَأَضْحَكَ وَٱلَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَٱلَّذِي أَمْرُهُ ٱلْأَمْرُ

لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ ٱلْوَحْشَ أَنْ أَرَىٰ أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا ٱلزَّجْرُ

---

(١) البيتان لذي الرمة كما في « ديوانه » (٢/٧٢٠ ـ ٧٢١) ، و« المخصص » لابن سيده (١٣/٢٠٧) ، وقيل لغيره ، انظر « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (٢٠/٢٠٢) ، و« الزهرة » لأبي بكر الأصفهاني (١/٢٧١) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أي اقتلنه اقتلنه) ، وكُتب فوقها في (ج) : (كذا) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

(٣) هما لأبي صخر الهذلي كما في « شرح أشعار الهذليين » للسكري (٢/٩٥٧) ، و« عيون الأخبار » لابن قتيبة (٤/١٣٨) ، و« الأغاني » (٢٨/٩٥٤٦) .

ثمَّ غنَّتِ الثَّالثةُ[1] : [من الطويل]

سَأَبْكِي عَلَىٰ مَا فَاتَ مِنْكِ صَبَابَةً ... وَأَنْدُبُ أَيَّامَ ٱلسُّرُورِ ٱلذَّوَاهِبِ

أَحِينَ دَنَا مَنْ كُنْتُ أَرْجُو دُنُوَّهُ ... رَمَتْنِي عُيُونُ ٱلنَّاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ ؟!

فَأَصْبَحْتُ مَرْحُوماً وَكُنْتُ مُحَسَّداً ... فَصَبْراً عَلَىٰ مَكْرُوهِ مُرِّ ٱلْعَوَاقِبِ

ثمَّ غنَّتِ الرَّابعةُ[2] : [من الطويل]

سَأُفْنِي بِكِ ٱلْأَيَّامَ حَتَّىٰ يَسُرَّنِي ... بِكِ ٱلدَّهْرُ أَوْ تَفْنَىٰ حَيَاتِي مَعَ ٱلدَّهْرِ

عَزَاءً وَصَبْراً أَسْعَدَانِي عَلَى ٱلْهَوَىٰ ... وَأَحْمَدُ مَا جَرَّبْتُ عَاقِبَةُ ٱلصَّبْرِ

ثمَّ أخذَتِ الصُّورةَ فعانقَتْها ، وبكَتْ وبكيْنَ ، ثمَّ شكَوْنَ إليها جميعَ ما كُنَّ فيهِ ، ثمَّ أمرْنَ بالصُّورةِ فطُويَتْ ، ففرِقتُ أن يتفرَّقْنَ قبلَ أن أُكلِّمَهُنَّ ، فرفعتُ رأسي إليهِنَّ ، فقلتُ : لقد ظلمتُنَّ الغربانَ ، فقالَتْ إحداهُنَّ : لو قضيتَ حقَّ السَّلامِ ، وجعلتَهُ سبباً للكلامِ . . لأخبرْناكَ بقصَّةِ الغربانِ .

قالَ : قلتُ : إنَّما أخبرتُكُنَّ بالحقِّ ، قلْنَ : وما الحقُّ في هٰذا ؟! وكيفَ ظلمْناهُنَّ ؟!

قالَ : إنَّ الشَّاعرَ يقولُ : [من الكامل]

نَعَبَ ٱلْغُرَابُ بِرُؤْيَةِ ٱلْأَحْبَابِ ... فَلِذَاكَ صِرْتُ أُحِبُّ كُلَّ غُرَابِ

قالَتْ : صحَّفتَ وأحلتَ المعنىٰ ؛ إنَّما قالَ : [من الكامل]

. . . . بِفُرْقَةِ ٱلْأَحْبَابِ ... فَلِذَاكَ صِرْتُ عَدُوَّ كُلِّ غُرَابِ

فقلتُ لهُنَّ : فبالَّذي خصَّكُنَّ بهٰذا المجلسِ ، وبحقِّ صاحبةِ الصُّورةِ ؛ إلَّا أخبرتُنَّني بخبرِكُنَّ .

قلنَ : لولا أنَّكَ أقسمتَ علينا بحقِّ مَن يجبُ علينا حقُّهُ . . ما أخبرْناكَ ؛ كنَّا صواحبَ مُجتمِعاتٍ على الأُلفةِ ، لا تشربُ واحدةٌ منَّا الباردَ دونَ صاحبتِها ، فاختُرِمَتْ صاحبةُ الصُّورةِ مِن بينِنا ، فنحنُ نصنعُ في كلِّ موضعٍ نجتمعُ فيهِ مثلَ الَّذي رأيتَ ، وأقسمْنا أن نقتلَ في كلِّ يومٍ نجتمعُ فيهِ ما وجدْنا مِنَ الغربانِ ؛ لعِلَّةٍ كانَتْ .

---

(١) هي لمجنون ليلى كما في « ديوانه » (ص ٧٥) مع اختلاف يسير ، وينسب البيتان الثاني والثالث للبحتري كما في « ديوانه » (١/٣٢٨) .

(٢) ينسب البيت الثاني لمجنون ليلى كما في « ديوانه » (ص ١٦٤) .

قلتُ : وما تلكَ العِلَّةُ ؟

قلنَ : فرَّقَ بينَها وبينَ آنِسٍ كانَ لها ، ففارقَتِ الحياةَ ، وكانَتْ تذمُّهُنَّ عندَنا ، وتأمرُ بقتلِهِنَّ ، فأقلُّ ما لها عندَنا أن نمتثلَ ما أمرَتْ بهِ .

ثمَّ نهضْنَ فمضيْنَ ، ورجعتُ إلىٰ أصحابي ، فأخبرتُهُم بما رأيتُ ، ثمَّ طلبتُهُنَّ بعدَ ذٰلكَ ، فما وقفتُ لهُنَّ علىٰ خبرٍ ، ولا رأيتُ لهُنَّ أثراً (١)

حكاية

[حقٌّ لكلِّ عالمٍ أن يتعرَّفَ بالسُّلطانِ]

٤٢٣ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا محمَّدٍ عبدَ اللهِ بنَ عيسى ابنَ أبي حبيبٍ الأَنْدَلُسيَّ الحافظَ بهَرَاةَ يقولُ : لمَّا وصلَ أبو الوليدِ الباجيُّ (٢) إلىٰ بلادِ الأَنْدَلُسِ . . نزلَ سَرَقُسْطةَ علىٰ فقرٍ مُدْقعٍ وخمولٍ ، وكانَ يكتبُ الشُّروطَ ، ثمَّ توسَّلَ إلى السُّلطانِ وعرفَهُ ، فنهضَ بهِ ، وأقبلَ النَّاسُ عليهِ ، فكانَ يقولُ مُتعجِّباً مِن حالِهِ : عجباً للنَّاسِ !! كأنَّهُم لم يعلموا أنِّي مِن أهلِ العلمِ ، فلمَّا عرفَنِيَ السُّلطانُ ونهضَ بي . . أقبلوا عليَّ ، فحقٌّ لكلِّ عالمٍ أن يتعرَّفَ بالسُّلطانِ .

ووليَ القضاءَ في بعضِ الثُّغورِ وتركَهُ (٣)

* * *

٤٢٤ ـ وبهِ قالَ : أنا سليمانُ بنُ محمَّدٍ البَلَديُّ قاضي الكَرَجِ بقراءتي عليهِ بها ، ثنا أبو سهلٍ غانمُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الحافظُ إملاءً مِن لفظِهِ بأصبهانَ ، ثنا أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدٍ الفقيهُ ، ثنا عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمَّدِ [بنِ] (٤) الفاخرِ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ ، [أنا داوودُ بنُ المُحبَّرِ] (٥) ، حدَّثَني أعينُ الخيَّاطُ [قالَ] : سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ يقولُ : رأيتُ

---

(١) أخرجه السراج القارئ في « مصارع العشاق » (١/١٤١ ـ ١٤٦) ، وانظر « التذكرة الحمدونية » (٩/٥٦ ـ ٦٠) .

(٢) توفِّي الباجيُّ سنة ثمانين وأربع مئة ، أو قبلها بقليل . **انتهىٰ من هامش** (أ ، ب ، ج) .

(٣) انظر « مفتاح السعيدية » لابن عمار المالكي (ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦) .

(٤) ما بين معقوفين ليس في (أ ، ب ، ج) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٣/٢٥١) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٨/١١٩) .

(٥) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

أبا عبدِ اللهِ مسلمَ بنَ يسارٍ في مَنامي بعدَ موتِهِ بسنةٍ ، فسلَّمتُ عليهِ فلم يردَّ عليَّ السَّلامَ ، فقلتُ لهُ : لِمَ لَمْ تردَّ عليَّ السَّلامَ ؟ قالَ : أنا ميِّتٌ فكيفَ أردُّ السَّلامَ ؟!

قالَ : قلتُ : وماذا لقيتَ يومَ الموتِ ؟ فدمعَتْ عينا مالكِ بنِ دينارٍ ، قالَ : لقد لقيتُ ـ واللهِ ـ أهوالاً وزلازلَ عظاماً شداداً !!

قلتُ : فما كانَ بعدَ ذٰلكَ ؟ قالَ : وما تراهُ يكونُ مِنَ الكريمِ ؟ قَبِلَ منَّا الحسناتِ ، وعفا لنا عنِ السَّيِّئاتِ ، وضمنَ عنَّا التَّبعاتِ .

ثمَّ شهقَ مالكٌ شهقةً خرَّ مغشيّاً عليهِ ، فلبثَ بعدَ ذٰلكَ أيَّاماً مريضاً مِن غشيتِهِ ، ثمَّ ماتَ في مرضِهِ ، فيُرَوْنَ أنَّ قلبَهُ انصدعَ [1]

حكاية

[هجاءُ أبي الهَوْلِ للفضلِ بنِ يحيىٰ ثمَّ اعتذارُهُ إليهِ]

٤٢٥ ـ وبِه قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أبي البركاتِ الصُّوفيُّ ، أنا أبو القاسمِ الأنصاريُّ ، أنا أبو سعيدِ بنُ أبي الخيرِ الصُّوفيُّ ، ثنا أبو عليٍّ زاهرُ بنُ أحمدَ الإمامُ إملاءً ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يزيدَ المُبرِّدُ ، ثنا أبو هفَّانَ ، عن سعدِ بنِ هُرَيمٍ قالَ : هجا أبو الهَوْلِ الحِمْيَريُّ الفضلَ بنَ يحيى بنِ خالدٍ ـ يعني : البَرْمَكيَّ ـ فقالَ : [من الطويل]

غُـلَامٌ كَـأَنَّ ٱلـسَّـيْـفَ مِـنْـهُ مُـعَـلَّـقٌ ... عَلَىٰ بِنْتِ عَشْرٍ ثَدْيُهَا حِينَ فَلَّكَا [2]

لَـهُ رِيـقَـةٌ كَـٱلْـبَـارِدِ ٱلْـعَـذْبِ طَـعْـمُـهَـا ... إِذَا هُـوَ شَـابَ ٱلْـخَـنْـدَرِيسَ ٱلْـمُـمَـسَّـكَا

فلمَّا وليَ الفضلُ خُراسانَ . . أتاهُ أبو الهَوْلِ ، فأنشدَهُ [3] : [من الطويل]

سَرَىٰ نَحْوَهُ مِنْ عُصْبَةِ ٱلْفَضْلِ عَارِضٌ ... لَـهُ لُـجَّـةٌ فِـيـهِ ٱلْـبَـوَارِقُ وَٱلـرَّعْـدُ

وَكَـيْـفَ يَـنَـامُ ٱلـلَّـيْـلَ مُـلْـقٍ فِـرَاشَـهُ ... عَـلَـىٰ مَـدْرَجٍ تَـعْـتَـادُهُ ٱلْأُسْـدُ ٱلْـوُرْدُ ؟!

فقالَ لهُ الفضلُ : بأيِّ وجهٍ جئتَني ؟ فقالَ : جئتُكَ ـ أيُّها الأميرُ ـ بالوجهِ الَّذي تقفُ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٣٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٢٩٤ ـ ٢٩٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٨/١٤٩ ـ ١٥٠) ، وانظر « العاقبة » لعبد الحق الإشبيلي (ص ٨٨) .

(٢) فلَّك : استدار .

(٣) هما له كما في « الفخري في الآداب السلطانية » لابن الطقطقا (ص ٢٠٢) .

بينَ يدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وذنوبُكَ إليهِ أكثرُ مِن ذنوبي إليكَ ، فتطلبُ عفوَهُ .

فعفا عنهُ ووَصَلَهُ [١]

نُكْتَة

[في أَحَبِّ البلادِ إلىٰ جاريةٍ]

٤٢٦ ـ وبهِ إلىٰ محمَّدِ بنِ يحيى الصُّوليِّ قالَ : ثنا أحمدُ بنُ يحيىٰ ثعلبٌ النَّحْويُّ قالَ : ثنا عبدُ اللهِ بنُ شبيبٍ أبو سعيدٍ ، ثنا حفصٌ الأروعيُّ الطَّائيُّ قالَ : كنتُ أسيرُ في بلادِ طيِّءٍ ، فرأيتُ جاريةً تسوقُ أعنزاً لها ، فقلتُ لها : يا جاريةُ ؛ أيُّ البلادِ أَحَبُّ إليكِ ؟

فقالَتْ [٢] : [من الطويل]

أَحَبُّ بِلَادِ ٱللهِ مَا بَيْنَ مَنْعِجٍ [٣] ... إِلَيَّ وَسَلْمَىٰ أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا

بِلَادٌ بِهَا حَلَّ ٱلشَّبَابُ تَمِيمَتِي ... وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا [٤]

حِكَايَة

[شكرُ اللهِ أحسنُ النِّعَمِ]

٤٢٧ ـ وأنبأَني ابنُ عساكرَ ، وابنُ أبي عصرونٍ ، وشمسُ الدِّينِ العبَّاسيُّ ، وأُمُّ محمَّدٍ ابنةُ كِنْديِّ المُتقدِّمُ ذِكْرُهُم ، عن عبدِ المُعزِّ الهَرَويِّ قالَ : أنا الحافظُ أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا أبو طالبٍ المُبارَكُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدِ ابنِ خُضَيرٍ الصَّيْرفيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا

---

(١) انظر « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٢/٢٩) ، و« نثر الدر » للآبي (٢/١٧٤) ، و« تاريخ بغداد » (١٤/١٥٥ ـ ١٥٦) ، و« ربيع الأبرار » (٢/٣١٨ ـ ٣١٩) ، و« سفط الملح » لابن الدجاجي (ص ٨٠) .

(٢) ينسبان لامرأة من طيئ ، وقيل : لرقاع (أو : رفاعة) بن قيس الأسدي ، وقيل : لرفاعة بن عاصم الفقعسي ، وقيل : لابن الدمينة ، وقيل غير ذٰلك ، انظر « سمط اللآلي » للبكري (١/٢٧٢ ـ ٢٧٣) ، و« الأزمنة والأمكنة » للمرزوقي (١/١٧) ، و« البحر المحيط » (٣/١٤٥) ، و« لسان العرب » (٧/٤١٨) ، و« تاج العروس » (٢٠/١٦٠) ، و« المحب والمحبوب » للسري الرفاء (٢/١٣٥) ، وهما بلا نسبة في « الكامل » للمبرد (٣/١٣٢٠) ، و« الأمالي » للقالي (١/٨٣) .

(٣) مَنْعِج : وادٍ يأخذ بين حَفْرِ أبي موسى الأشعريِّ والنِّباجِ الَّتي علىٰ طريق البصرة ، ويدفع في بطن فَلج بين البصرة واليمامة . « معجم البلدان » (٥/٢١٢ ـ ٢١٣) .

(٤) أخرجه ابن طيفور في « بلاغات النساء » (ص ٢٧٤) ، وأبو بكر الأصفهاني في « الزهرة » (٢/٣٠٠) ، والحاتمي في « حلية المحاضرة » (٥٥٠) ، وانظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٤/٥٨٨ ـ ٥٨٩) ، و« المنازل والديار » لابن منقذ (ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩) .

أبو غالبٍ شجاعُ بنُ فارسٍ الذُّهْليُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو طاهرٍ عبدُ الواحدِ بنُ الحسينِ ابنِ قُرْقُرٍ الحَذَّاءُ ، أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ سعيدِ ابنِ سويدٍ الشَّاهدُ ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ القاسمِ الكوْكَبيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبيدٍ ، أنا اليزيديُّ قالَ : دخلتُ على المأمونِ يوماً والدُّنيا غضَّةٌ ، وعندَهُ نُعْمُ ـ وكانَتْ مِن أجملِ أهلِ دهرِها ـ تُغنِّيهِ [١] : [من الكامل]

وَزَعَمْتِ أَنِّي ظَالِمٌ فَهَجَرْتِنِي ... وَرَمَيْتِ فِي قَلْبِي بِسَهْمٍ نَافِذِ
وَنَعَمْ هَجَرْتُكِ فَٱغْفِرِي وَتَجَاوَزِي ... هَـٰذَا مَقَامُ ٱلْمُسْتَجِيرِ ٱلْعَائِذِ
وَلَقَدْ أَخَذْتُمْ مِنْ فُؤَادِي لُبَّهُ ... لَا شَلَّ رَبِّي كَفَّ ذَاكَ ٱلْآخِذِ

فاستعادَها الصَّوتَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، ثمَّ قالَ : يا يزيديُّ ؛ ويكونُ شيءٌ أحسنُ ممَّا نحنُ فيهِ ؟ قلتُ : نعم يا أميرَ المؤمنينَ .

فقالَ : وما هوَ ؟ قلتُ : الشُّكرُ لِمَن خوَّلَكَ هـٰذا الإنعامَ العظيمَ الجليلَ .

فقالَ : أحسنتَ وصدقتَ ، ووصلَني وأمرَ بمئةِ ألفٍ يُتصدَّقُ بها ، فكأنِّي أنظرُ إلى البِدَرِ وقد أُخرجَتْ ، والمالُ يُفرَّقُ [٢] .

حكاية

[ليلىٰ ومجنونُها]

٤٢٨ ـ وأنبؤوني عن عبدِ المُعِزِّ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليِّ ابنُ الجُلَّابيِّ بواسِطَ ، وأبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ ببغدادَ فيما أجازَ لي مشافهةً .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ قالا : أنا أبو غالبِ ابنُ بِشْرانَ الواسِطيُّ في كتابِهِ إلينا ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ دينارٍ النَّحْويُّ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ الحسينِ الأصبهانيُّ ، أنا عمِّي ،

---

(١) البيتان الأولان لإبراهيم الموصلي كما في « الأغاني » (١٨٦٤/٥) ، و« المحب والمحبوب » للسري الرفاء (٣٤٤/٤) ، وقيل لغيره ، انظر « يتيمة الدهر » للثعالبي (١١٧/١) .

(٢) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الديارات » (ص ٤٥ ـ ٤٧) بنحوه ، والقفطي في « إنباه الرواة » (٣١/٤ ـ ٣٢) ، وانظر « الديارات » للشابشتي (ص٢٠٦ ـ ٢٠٨) ، و« وفيات الأعيان » (١٨٥/٦) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (١٠٣/٥) .

وحبيبُ بنُ نصرٍ ، ومحمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ قالوا : ثنا عبدُ اللهِ ابنُ أبي سعدٍ ، أخبرَني عبدُ العزيزِ بنُ صالحٍ ، عن أبيهِ ، عنِ ابنِ دابٍ ، عن رياحِ بنِ حبيبٍ العامريِّ : أنَّهُ سألَهُ عن ليلىٰ والمجنونِ ، فقالَ : كانَتْ ليلىٰ مِن بني الحَريشِ ، وهيَ بنتُ مهديِّ [بنِ] سعدِ بنِ مهديِّ بنِ ربيعةَ بنِ الحَريشِ ، وكانَتْ مِن أجملِ النِّساءِ ، وأحسنِهِنَّ جسماً وعقلاً ، وأفضلِهِنَّ أدباً ، وأملحِهِنَّ شكلاً .

وكانَ المجنونُ كَلِفاً بمحادثةِ النِّساءِ ، صبّاً بهِنَّ ، فبلغَهُ خبرُ ليلىٰ ونُعِتَتْ لهُ ، فصبا إليها ، وعزَم علىٰ زيارتِها ، فتأهَّبَ لذٰلكَ ، وارتحلَ إليها وأتاها ، وسلَّمَ فردَّتْ عليهِ السَّلامَ ، وتحفَّتْ في المسألةِ ، وجلسَ إليها ، فحادثَتْهُ وحادثَها ، وكلُّ واحدٍ منهُما مُقبِلٌ علىٰ صاحبِهِ ، مُعجَبٌ بهِ ، فلم يزالا كذٰلكَ . . حتَّىٰ أمسيا ، فانصرفَ إلىٰ أهلِهِ ، فباتَ بأطولِ ليلةٍ ؛ شوقاً إليها .

حتَّىٰ إذا أصبحَ عادَ إليها ، فلم يزلْ عندَها حتَّىٰ أمسىٰ ، ثمَّ انصرفَ إلىٰ أهلِهِ ، فباتَ بأطولَ مِنَ اللَّيلةِ الأُولىٰ ، واجتهدَ أن يُغمِضَ فلم يقدرْ علىٰ ذٰلكَ ، فأنشأَ يقولُ (١) : [من الطويل]

نَهَارِي نَهَارُ ٱلنَّاسِ حَتَّىٰ إِذَا بَدَا ... لِيَ ٱللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكِ ٱلْمَضَاجِعُ
أُقَضِّي نَهَارِي بِٱلْحَدِيثِ وَبِٱلْمُنَىٰ ... وَيَجْمَعُنِي وَٱلْهَمَّ بِٱللَّيْلِ جَامِعُ
لَقَدْ نَبَتَتْ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْكِ مَوَدَّةٌ ... كَمَا نَبَتَتْ فِي ٱلرَّاحَتَيْنِ ٱلْأَصَابِعُ (٢)

* * *

٤٢٩ ـ وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي المُظفَّرِ السَّمْعانيِّ ، كلاهُما عنِ الحافظِ أبي سعدٍ قالَ : سمعتُ أبا سعدٍ [عبدَ اللهِ بنَ] (٣) أسعدَ ابنِ حيَّانَ الصُّوفيَّ ، سمعتُ أبا بكرِ بنَ أبي الحسينِ الشِّيرازيَّ ، سمعتُ أبا عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلَميَّ ، سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ ابنَ المُولَّدِ يقولُ : دخلتُ علىٰ إبراهيمَ القصَّارِ فقالَ : ادعُ

---

(١) هي له كما في « ديوانه » (ص ١٨٥) ، وقيل : لقيس بن ذريح كما في « ديوانه » (ص ١٠٧) ، و« الأمالي » للقالي (٣١٦/٢) .

(٢) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (٤٦٢/٢ ـ ٤٦٣) ، والسراج القارئ في « مصارع العشاق » (٤٦/٢ ـ ٤٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٥٦/٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١٥/٥ ـ ٢١٦) .

(٣) ما بين معقوفين ليس في (أ ، ب ، ج) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ دمشق » ، وانظر « الأنساب » (٢٩٦/٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٥١/٣٦) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٤٤٠) .

لي فلاناً القوّالَ ـ صبيّاً كانَ بالرَّقَّةِ ـ فدعوتُهُ لهُ ، فقالَ : غنِّني الأبياتَ الَّتي كنتَ تُغنِّيها أمسِ في باغِ فلانٍ[١] ، فأخذَ الصَّبيُّ يُغنِّي[٢] : [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ تَجْفُونِي وَأَنْتَ ذَخِيرَتِي وَمَوْضِعُ شَكْوَائِي فَمَا أَنَا صَانِعُ ؟!

نَهَارِي نَهَارُ ٱلنَّاسِ حَتَّىٰ إِذَا بَدَا لِيَ ٱللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ ٱلْمَضَاجِعُ

أُقَضِّي نَهَارِي بِٱلْحَدِيثِ وَبِٱلْمُنَىٰ وَيَجْمَعُنِي وَٱلْهَمَّ بِٱللَّيْلِ جَامِعُ

قالَ : فأخذَ الشَّيخُ يبكي ويصيحُ ، ويقولُ : وا شوقاهُ إلىٰ مَن هٰذا وصفُهُ ، وإلىٰ زمانٍ كشفَ لنا عن بوادي هٰذهِ الأحوالِ[٣] .

٤٣٠ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : سمعتُ محمَّدَ ابنَ الفضلِ المِهْرِجانيَّ ببغدادَ[٤] ، ومحمَّدَ بنَ أبي القاسمِ السَّاويَّ بأصبهانَ قالا : سمعْنا شِيرُويهِ بنَ شهردارَ الدَّيْلَميَّ بهَمَذانَ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ عثمانَ المُفسِّرَ يقولُ : سمعتُ أبا محمَّدٍ جعفرَ بنَ محمَّدٍ الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ القُومَسانيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ شيبانَ يقولُ : (كنتُ أربعَ سنينَ بناحيةِ جبلِ لُبْنانَ بينَ أربعةِ آلافِ ذئبٍ ، سلمتُ منها ولم أسلمْ مِنَ النَّاسِ) .

نكتة

[في تأخيرِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ الصَّلاةَ]

٤٣١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو سعدٍ قالَ : أنا صالحُ بنُ شافعٍ الجِيليُّ بقراءتي عليهِ ، أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ ، أنا أبو طالبٍ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ الفتحِ الحَرْبيُّ ، أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ أخي ميمي الدَّقَّاقُ ، أنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ

---

(١) الباغ : الحديقة ، أو البستان ، أو الرَّوضة ، فارسي معرَّب ، وكُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٢) نسب الراغب الأصبهاني البيت الأول في « محاضرات الأدباء » (١/٥٦٣) لليزيدي ، وسلف تخريج البيتين الثاني والثالث في الحكاية السابقة .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/٣٢٠ ـ ٣٢١) بنحوه ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٢/٦١٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٢٥٧) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (٨/٩٠) .

(٤) المِهْرِجاني : نسبة إلىٰ (مِهْرِجان) ، وهي بلدة كبيرة بإِسْفَراين . « الأنساب » (٥/٤١٤) ، و« معجم البلدان » (٥/٢٣٣) .

البَرْذَعيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ أبي الدُّنيا ، حدَّثَنيَ المُغيرةُ بنُ محمَّدٍ ، حدَّثَني هارونُ بنُ موسىٰ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ عبدِ العزيزِ ، وغيرُهُ قالوا : (أَخَّرَ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ صلاةَ العصرِ بمنىً حتَّىٰ صارَتِ الشَّمسُ علىٰ رؤوسِ الجبالِ كالعمائمِ علىٰ رؤوسِ الرِّجالِ ، فسمعَ صائحاً يصيحُ مِن [رأسِ] الجبلِ : صلِّ ، لا صلَّى اللهُ عليكَ ، صلِّ ، لا صلَّى اللهُ عليكَ)[١]

* * *

٤٣٢ ـ وأُنبِئتُ عن أبي المُظفَّرِ ، والمُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا صافي بنُ عبدِ اللهِ الدَّعَّاءُ بقراءتي عليهِ ، أنا مالكُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ الفَرَّاءُ ، ثنا أبو الفتحِ ابنُ أبي الفوارسِ الحافظُ إملاءً ، ثنا أحمدُ بنُ جعفرِ ابنِ سلمٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، ثنا أبو حاتمٍ ، عن أبي عبيدةَ ، عن أبي عمرِو بنِ العلاءِ قالَ : لمَّا حضرَتْ معاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ الوفاةُ . . قيلَ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ألا تُوصي ؟

فقالَ : [من الطويل]

هُوَ ٱلْمَوْتُ لَا مَنْجَىٰ مِنَ ٱلْمَوْتِ وَٱلَّذِي ... نُحَاذِرُ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ أَدْهَىٰ وَأَفْظَعُ

ثمَّ قالَ : (اللَّهُمَّ ؛ أقِلِ العثرةَ ، واعفُ عنِ الزَّلَّةِ ، وتجاوزْ بحلمِكَ عن جهلِ مَن لم يرجُ غيرَكَ ؛ فما وراءَكَ مذهبٌ) ، ثمَّ ماتَ[٢]

حكاية

[في جوابِ الشِّبْليِّ المُسكِتِ لابنِ مجاهدٍ]

٤٣٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُما ، عن أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو بكرٍ فضلُ اللهِ بنُ المُفضَّلِ بنِ فضلِ اللهِ بنِ أبي الخيرِ الصُّوفيُّ بقراءتي عليهِ [قالَ] : أنا ابنُ عمِّي أبو الفتحِ طاهرُ بنُ سعيدِ بنِ أبي سعيدٍ قراءةً عليهِ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ غالبِ بنِ عليٍّ المُبارَكيُّ ، سمعتُ أبا القاسمِ عيسى بنَ عليِّ بنِ عيسى الوزيرِ يقولُ : كانَ ابنُ مجاهدٍ يوماً عندَ أبي ، فقيلَ لهُ : الشِّبْليُّ على البابِ ، فقالَ : يدخلُ ، فقالَ ابنُ مجاهدٍ : سأُسكِتُهُ السَّاعةَ بينَ يدَيكَ .

---

(١) أخرجه الفاكهي في « أخبار مكة » (٢٥٦٦) بنحوه ، وابن أبي الدنيا في « الهواتف » (٩٣) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (١١٠) بنحوه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩/٢٢٧) ، وانظر « العقد الفريد » (٣/١٨٠) ، و« مروج الذهب » للمسعودي (٣/٢٤١ ـ ٢٤٢) ، و« البصائر والذخائر » للتوحيدي (١/٢٢٣) .

وكانَ مِن عادةِ الشِّبْليِّ إذا لَبِسَ شيئاً . . خرقَ فيهِ موضعاً ، فلمَّا جلسَ . . قالَ لهُ ابنُ مجاهدٍ : يا أبا بكرٍ ؛ أينَ في العلمِ : إفسادُ ما يُنتفَعُ بهِ ؟ فقالَ لهُ الشِّبْليُّ : فأينَ في العلمِ : ﴿ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ ؟![(١)]

قالَ : فسكتَ ابنُ مجاهدٍ ، فقالَ لهُ : إنَّكَ أردتَ أن تُسكِتَهُ فأسكتَكَ .

ثمَّ قالَ لهُ : قد أجمعَ النَّاسُ أنَّكَ مُقرئُ الوقتِ ؛ أينَ في القرآنِ : الحبيبُ لا يُعذِّبُ حبيبَهُ ؟ قالَ : فسكتَ ابنُ مجاهدٍ ، فقالَ لهُ أبي : قلْ يا أبا بكرٍ ، فقالَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾[(٢)] ، فقالَ ابنُ مجاهدٍ : كأنَّني ما سمعتُها قطُّ[(٣)]

حكاية

[علينا أن نعبدَهُ ، وعليهِ أن يرزقَنا]

٤٣٤ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو بكرٍ الغَضائريُّ الصُّوفيُّ بمَرْوَ ، أنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ التِّبْريزيُّ ، ثنا بُنْدارُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ القاضي ، سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ القاضيَ ، سمعتُ عليَّ بنَ الحسنِ القَزْوينيَّ ، سمعتُ الفَرُّخانيَّ ، سمعتُ عليَّ بنَ [عبدِ الحميدِ][(٤)] الغَضائريَّ يقولُ : سمعتُ سريّاً السَّقَطيَّ يقولُ : دخلتُ المقابرَ ، فرأيتُ [بهلولاً][(٥)] المجنونَ قد دلَّىٰ رجلَيهِ في قبرٍ محفورٍ ، وهوَ يلعبُ بالتُّرابِ ، فقلتُ : ما تصنعُ ها هنا ؟ قالَ : أنا عندَ قومٍ لا يُؤذونَ جيرانَهُم ، وإن غبتُ عنهُم . . لا يغتابونَ .

فقلتُ : أجائعٌ أنتَ ؟ قالَ : لا واللهِ .

قلتُ لهُ : إنَّ الخبزَ قد غلا ، فقالَ : لا أُبالي ، علينا أن نعبدَهُ كما أمرَنا ، وعليهِ أن يرزقَنا كما وعدَنا[(٦)]

---

(١) سورة صٓ : (٣٣) . (٢) سورة المائدة : (١٨) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٥٦٧ ـ ٥٦٨) ، وذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٤٨٩ ـ ٤٩٠) وعزاه **لأبي سعد السمعاني** ، وانظر « تاريخ دمشق » (٦٦/٥٨ ـ ٥٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٢٩٤) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الصمد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (١٣/٤٨٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٣/٤٥٧) ، وقد تقدم ضمن الخبر (١٥١) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (بهلول) .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (١٢/٩٠) .

٤٣٥ ـ وقد روينا هـٰذهِ الحكايةَ مِن وجهٍ آخرَ بزيادةٍ : أُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الفتوحِ داوودَ بنِ معمرٍ القرشيِّ ، عن أبي سعدٍ [أحمدَ بنِ محمَّدٍ] [١] البغداديِّ قالَ : كتبَ إليَّ أبو عديٍّ محمَّدُ بنُ عليٍّ الأَبِيـوَرْديُّ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ مِن لفظِهِ ، أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الخطيبُ السِّجْزيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ ، حدَّثني أبو منصورٍ محمَّدُ ابنُ سمعانَ ، ثنا أبو محمَّدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ البَلاذُريُّ الطُّوسيُّ قالَ : سمعتُ القاسمَ بنَ شاكرٍ البغداديَّ ببُخارىٰ قالَ : سمعتُ الجُنَيدَ يقولُ : سمعتُ سريّاً السَّقَطيَّ يقولُ . . . الحكايةَ بمعناها .

وزادَ في هـٰذهِ الروايةِ : ثمَّ ولَّىٰ عنِّي وهوَ يقولُ : [من البسيط]

يَا مَنْ تَمَتَّعَ بِالدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا ... وَلَا تَنَامُ عَنِ اللَّذَّاتِ عَيْنَاهُ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِيمَا لَسْتَ تُدْرِكُهُ ... تَقُولُ لِلهِ مَاذَا حِينَ تَلْقَاهُ ؟! [٢]

حكاية

[في موتِ النَّوَارِ امرأةِ الفَرَزْدَقِ]

٤٣٦ ـ وبهِ قالَ : أنا ظافرُ بنُ معاويةَ الحَرْبيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الكريمِ ابنِ خُشَيشٍ السَّلَّاميُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ ابنِ شاذانَ البَزَّازُ ، أنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ زيادٍ القَطَّانُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ روحٍ المدائنيُّ ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنا أبو موسى التَّميميُّ قالَ : تُوُفِّيَتِ النَّوَارُ امرأةُ الفَرَزْدَقِ ، فخرجَ في جِنازتِها وجوهُ أهلِ البصرةِ ، وخرجَ فيها الحسنُ ، فقالَ الحسنُ للفَرَزْدَقِ : يا أبا فراسٍ ؛ ما أعددتَ لهـٰذا اليومِ ؟ قالَ : شهادةَ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ مذ ثمانينَ سنةً .

فلمَّا دُفِنَتْ . . قامَ الفَرَزْدَقُ علىٰ قبرِها ، فقالَ [٣] : [من الطويل]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (محمد بن أحمد) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (٢٠/١١٩) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٤٦٠ ، ٥٣٧ ، ٨٠٣ ، ٩١٩) .

(٢) أخرجه ابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/٦٥) ، وأبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٢٣٦) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٦٨١) ، وانظر « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٢/٣١١) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٥٠٧) ، و« الوافي بالوفيات » (١٠/٣١٠) ، و« فوات الوفيات » للكتبي (١/٢٢٩) .

(٣) هي له كما في « ديوانه » (٢/١٣٨) ، و« الكامل » للمبرد (١/١٥٦ ـ ١٥٧) .

أَخَـافُ وَرَاءَ ٱلْـقَـبْـرِ إِنْ لَـمْ يُـعَـافِـنِـي أَشَـدَّ مِـنَ ٱلْـقَـبْـرِ ٱلْـتِـهَـاباً وَأَضْـيَـقَـا
إِذَا جَـاءَنِـي يَـوْمَ ٱلْـقِـيَـامَـةِ قَـائِـدٌ عَـنِـيـفٌ وَسَـوَّاقٌ يَـسُـوقُ ٱلْـفَـرَزْدَقَـا
لَـقَـدْ خَـابَ مِـنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَـنْ مَـشَـىٰ إِلَى ٱلـنَّـارِ مَـغْـلُـولَ ٱلْـقِـلَادَةِ أَزْرَقَـا

قالَ : فبكىٰ وأبكاهُم (١)

نُكْتَةٌ

[في مدحِ سيِّدِنا عليٍّ لسيِّدِنا طلحةَ رضيَ اللهُ عنهُما]

٤٣٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو مُقيمٍ ظاعنُ بنُ محمَّدِ بنِ محمودٍ الخيَّاطُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الواعظُ إملاءً ، أنا عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ ابنِ فاذويهِ ، أنا أبو الشَّيخِ ـ هوَ أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرِ بنِ حيَّانَ ـ ، أنا محمَّدُ بنُ سليمانَ ، أخبرَني محمَّدُ بنُ زكريَّا الغلَابيُّ ، حدَّثَني العبَّاسُ ابنُ بكَّارٍ ، ثنا أبو بكرٍ الهُذَليُّ ، عنِ الشَّعْبيِّ قالَ : مرَّ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ بقبرِ طلحةَ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ (٢) : [من الطويل]

كَـأَنَّ ٱلـثُّـرَيَّـا عُـلِّـقَـتْ فِـي جَـبِـيـنِـهِ وَفِـي خَـدِّهِ ٱلـشِّـعْـرَىٰ وَفِـي ٱلْآخَـرِ ٱلْـبَـدْرُ (٣)

فَائِدَةٌ

[في دعاءِ الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللهِ في أسرِهِ]

٤٣٨ ـ وبهِ قالَ : دفعَ إليَّ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ اليَزْديُّ الفقيهُ جزءاً في آخرِهِ بخطِّ محمودِ بنِ الفضلِ أبي نصرٍ الأصبهانيِّ . . دعاءُ الإمامِ القائمِ بأمرِ اللهِ أميرِ المؤمنينَ لمَّا أخذَهُ البَساسِيريُّ ، وحملَهُ إلى الحَدِيثةِ ، وهوَ في السِّجنِ ، فعملَ هٰذا الدُّعاءَ ، وسلَّمَهُ إلىٰ بدويٍّ ، وأمرَهُ أن يُعلِّقَهُ على الكعبةِ : (إلى اللهِ العظيمِ ، مِن عبدِكَ المسكينِ ، اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ العالمُ بالسَّرائرِ ، والمحيطُ بمكنوناتِ الضَّمائرِ .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٨٢) ، والبلاذري في « جمل من أنساب الأشراف » (١٢/٧٧) ، وابن أبي الدنيا في « القبور » (١٠٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٦٨٩) مطوَّلاً ، وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (٢٥/٨٦٧٢) مطوَّلاً

(٢) هو لقيس ابن عنقاء الفزاري كما في « قواعد الشعر » لثعلب (ص ٤٢) ، و« الأمالي » للقالي (١/٢٣٧) ، و« معجم الشعراء » للمرزباني (ص ٢٤١) .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/٣٧٣) ، وانظر « مروج الذهب » للمسعودي (٣/١٠٩ ـ ١١٠) ، و« العقد الفريد » (٤/٣٢٢) .

اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ غنيٌّ بعلمِكَ واطِّلاعِكَ علىٰ أمورِ خَلْقِكَ ، عن إعلامي بما أنا فيهِ ؛ عبدٌ مِن عبيدِكَ ، قد كفرَ بنعمتِكَ وما شكرَها ، وألقى العواقبَ وما ذكرَها ، أطغاهُ حِلْمُكَ ، وتجبَّرَ بأناتِكَ ، حتَّىٰ تعدَّىٰ علينا بَغياً ، وأساءَ إلينا عُتُوّاً وعدواناً .

اللَّهُمَّ ؛ قلَّ النَّاصرونَ لنا ، واعتزَّ الظَّالمُ ، وأنتَ المُطَّلِعُ العالمُ ، والمُنصِفُ الحاكمُ ، بكَ نعتزُّ عليهِ ، وإليكَ نهربُ مِن يدَيهِ ، فقد تعزَّزَ علينا بالمخلوقينَ ، ونحنُ نعتزُّ بكَ يا ربَّ العالَمينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنَّا حاكمْناهُ إليكَ ، وتوكَّلْنا في إنصافِنا منهُ عليكَ ، وقد رفعتُ ظُلامَتي إلىٰ حَرَمِكَ ، ووثقتُ في كشفِها بكرمِكَ ؛ فاحكمْ بيني وبينَهُ ، وأنتَ خيرُ الحاكمينَ ، وأَرِنا بهِ ما نرتجيهِ ، فقد أخذَتْهُ العِزَّةُ بالإثمِ .

اللَّهُمَّ ؛ فاسلُبْهُ عِزَّهُ ، ومكِّنَّا بقدرتِكَ مِن ناصيتِهِ ، يا أرحمَ الرَّاحمينَ) .

فحملَها البدويُّ ، وعُلِّقَتْ على الكعبةِ ، فحُسِبَ ذٰلكَ اليومُ ، فوُجِدَ أنَّ البَساسِيريَّ قُتِلَ ، وجيءَ برأسِهِ بعدَ سبعةِ أيَّامٍ مِنَ التَّاريخِ (١) .

حِكَايَةٌ

[في رؤيةِ القائمِ بأمرِ اللهِ النَّبيَّ ﷺ وتحذيرِهِ إيَّاهُ]

٤٣٩ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا سعدٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ الخليلِ الحافظَ بنُوقانَ مذاكرةً يقولُ : سمعتُ أبا إسحاقَ الزَّاهدَ الصُّوفيَّ صاحبَ أبي القاسمِ السَّرْخَسيِّ الإمامِ يقولُ : رأى القائمُ بأمرِ اللهِ في اللَّيلةِ الَّتي أُطلِقَ في غدِها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المَنامِ ، وهوَ يقولُ لهُ : « لَا تَأْكُلِ ٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي يُقَدَّمُ إِلَيْكَ غَداً ؛ فَإِنَّهُ مَسْمُومٌ ، وَقَدْ قَرُبَ خَلَاصُكَ » .

قالَ : فأصبحَ ، وقُدِّمَ إليهِ دجاجٌ مسمومٌ ، فامتنعَ مِن أكلِهِ ، وأُطلِقَ في عصرِ هٰذا اليومِ ، ورُدَّ إلىٰ بغدادَ (٢) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٤/٥٣) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (١٣٥٥/٣ ـ ١٣٥٦) من طريق السمعاني ، وانظر « تاريخ دمشق » لابن القلانسي (١٧١/٢ ـ ١٧٢) ، و« المنتظم » (٤٠٩/٩) ، و« أخبار الدول المنقطعة » لابن ظافر الأزدي (ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

(٢) انظر « المصباح المضيء » لابن الجوزي (ص ٤٩٠ ـ ٤٩١) ، و« أخبار الدول المنقطعة » لابن ظافر الأزدي (ص ٣٣٩) .

٤٤٠ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ اللهِ بنُ أسعدَ النَّسائيُّ الصُّوفيُّ ، أنا أحمدُ بنُ عليِّ ابنِ خلفٍ الشِّيرازيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ ابنِ موسى الصُّوفيُّ قالَ : قالَ بعضُهُم : خرجَتْ أُمُّ اليُمنِ فاطمةُ امرأةُ أبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ مِن مصرَ ، في وقتِ خروجِ الحاجِّ إلى الصَّحراءِ ، والجمالُ تمرُّ بها ، وهيَ تبكي وتقولُ : وا ضعفاهُ !! وتُنشِدُ على إثرِ قولِها : [من الطويل]

فَقُلْتُ : دَعُونِي وَٱتِّبَاعِي رِكَابَكُمْ   أَكُنْ طَوْعَ أَيْدِيكُمْ كَمَا يَفْعَلُ ٱلْعَبْدُ

وَمَا بَالُ زَعْمِي لَا يَهُونُ عَلَيْهِمُ   وَقَدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُمُ بُدُّ ؟!

وتقولُ : هٰذهِ حسرةُ مَنِ انقطعَ عنِ الوصولِ إلى البيتِ ؛ فكيفَ تكونُ حسرةُ مَنِ انقطعَ عن ربِّ البيتِ ؟![١]

٤٤١ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدٌ وعثمانُ ابنا أبي بكرٍ عتيقِ بنِ يعقوبَ بنِ عليٍّ الصُّوفيِّ بقراءتي عليهِما قالا : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ الطَّبَسيُّ الحافظُ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليٍّ العُمَيريُّ ، ثنا أبو الفضلِ بنُ أبي سعدٍ إملاءً ، أنا أبو العبَّاسِ عبدُ اللهِ بنُ [محمَّدِ][٢] بنِ جعفرٍ الحَيَّانيُّ ، سمعتُ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ أبي حاتمٍ ، سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (قراءةُ الحديثِ خيرٌ مِن صلاةِ التَّطوُّعِ)[٣]

حكاية
[في فضلِ إكرامِ الشَّبابِ للشُّيوخِ]

٤٤٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الصُّوفيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ الحسينِ السَّعيدانيُّ بالبصرةِ قالَ : قالَ لنا عليُّ بنُ عمرَ بنِ بلالِ بنِ عبدكٍ قالَ : قالَ لنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الخاركيُّ قالَ[٤] : قالَ لنا أبو سليمانَ

---

(١) أخرجه السلمي في « ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات » (ص٨٦) ، وابن الجوزي في « مثير الغرام الساكن » (ص ٨٩) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥/٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عمر) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « الأنساب » (٢/٢٩٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٨/٢٩٠) ط . دار الغرب الإسلامي .

(٣) أخرجه الهروي في « ذم الكلام وأهله » (١١١٥) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/٥١٨) .

(٤) **الخاركي** : نسبة إلىٰ (خارك) ، وهي جزيرة وسط البحر الفارسيّ ، قريبة من عمان ، من أعمال فارس . « معجم البلدان » (٢/٣٣٧) .

ابنُ المنذرِ القَزَّازُ : صحبتُ جِنازةً إلىٰ موضعٍ يُقالُ لهُ : الجَراميزُ[1] ، وكانَ وقتُ القائلةِ ، فدخلتُ مسجداً هناكَ ؛ لأستظلَّ بهِ مِن حرِّ الشَّمسِ ، فإذا بشيخٍ جالسٍ بفناءِ القِبْلةِ ، فسلَّمتُ عليهِ ، وقلتُ : الشَّيخُ سَمِعَ مِنَ الحديثِ شيئاً ؟ فقالَ : حدَّثَني أنسُ بنُ مالكٍ ، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وذكرَ حديثَ : « مَا أَكْرَمَ[2] شَابٌّ شَيْخاً . . . »[3]

فقلتُ [لهُ] : هـٰذا الحديثُ حدَّثَنا بهِ يزيدُ بنُ بيانٍ العقيليُّ ، عن أبي الرَّحَّالِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ : قد كفاكَ اللهُ تعالىٰ يزيدَ بنَ بيانٍ ، أنا أبو الرَّحَّالِ ، حدَّثَنا أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

نُكْتَةٌ

[في عبادةِ سليمانَ التَّيميِّ]

٤٤٣ ـ وبهِ قالَ : أنا جابرُ بنُ محمَّدِ بنِ جابرٍ الشَّاهدُ بقراءتي عليهِ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ الحسينِ السَّعيدانيُّ ، ثنا أبو إسحاقَ ابنُ غَسَّانَ ، ثنا [عبيدُ اللهِ][4] بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ بنِ بابويهِ البغداديُّ ، ثنا الفِيريابيُّ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ الأعلىٰ يقولُ : سمعتُ المُعتمِرَ بنَ سليمانَ يقولُ : (مكثَ أبي ـ سليمانُ التَّيميُّ ـ أربعينَ سنةً يُصلِّي الغداةَ بوضوءِ العِشاءِ ، ويصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً)[5]

فَائِدَةٌ

[في الدُّعاءِ الَّذي علَّمَهُ سيِّدُنا الخَضِرُ لسيِّدِنا عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ]

٤٤٤ ـ وبـهِ قـالَ : أنا أبو نصرٍ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ محمَّدٍ الحافظُ بقراءتي عليهِ ، أنا

---

(١) **الجَراميز** : موضع باليمامة . « معجم البلدان » (٢/١١٧) .

(٢) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٢٢) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٨٩٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٤٨٥) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١٩٧) ، وأبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ١٣٥) ، وهو : قول رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : « مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ ٱللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ » .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (١٢/٨٨) .

(٥) أخرجه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٢٣) ، وأبو الحسين ابن بشران في « فوائده » ضمن كتاب « الفوائد » (٦٩٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/٢٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٩٥٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/١٠٢) .

أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عليٍّ ببغدادَ ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنُ رزقويهِ إملاءً سنةَ ثمانٍ وأربعِ مئةٍ ، ثنا أبو عليٍّ حامدُ بنُ محمَّدٍ الرَّفَّاءُ الهَرَويُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ ابنِ حمَّادٍ ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ الوليدِ ، ثنا محمَّدُ بنُ جميلٍ الهَرَويُّ ، عن سفيانَ الثَّوْريِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مُحرَّرٍ ، عن يزيدَ بنِ الأصمِّ ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (بينا أنا أطوفُ بالكعبةِ . . إذا رجلٌ مُتعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ ، وهوَ يقولُ : يا مَن لا يشغلُهُ سمعٌ عن سمعٍ ، يا مَن لا يُغْلِطُهُ السَّائلونُ ، يا مَن لا يُبرِمُهُ إلحاحُ المُلِحِّينَ [١] ؛ أَذِقْني بَرْدَ عفوِكَ ، وحلاوةَ رحمتِكَ) .

فقالَ عليٌّ [رضيَ اللهُ عنهُ] : (أَعِدْ عليَّ الكلامَ يا عبدَ اللهِ) ، قالَ : وسمعتَ ؟ قالَ : (نعم) .

قال : والَّذي نفسُ الخَضِرِ بيدِهِ ـ وكانَ هوَ الخَضِرَ ـ ؛ ما مِن عبدٍ يقولُهُنَّ في دُبُرِ الصَّلاةِ المكتوبةِ إلَّا غفرَ اللهُ لهُ ذنوبَهُ ، وإن كانَتْ مثلَ رملِ عالجٍ ، أو مثلَ زبدِ البحرِ ، أو مثلَ عددِ ورقِ الشَّجرِ [٢]

٤٤٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ أبي بكرٍ السِّنْجيُّ بمَرْوَ ، أنا أبو نصرٍ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ الدَّبَّاسُ ببغدادَ ، أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ ، ثنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ابنُ حَيُّويهِ الخَزَّازُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ ـ هوَ ابنُ مسروقٍ ـ ، ثنا محمَّدُ بنُ المُثنَّىٰ ، سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : سمعتُ المُعافى بنَ عمرانَ يقولُ : سمعتُ سفيانَ الثَّوْريَّ يقولُ : (لسانُكَ عبدُكَ ؛ وإذا تكلَّمتَ . . صِرتَ عبدَهُ) [٣]

حكاية

[في عمى القلبِ والعينَينِ]

٤٤٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ ابنُ الفضلِ الحافظُ ، أنا عبدُ اللهِ ابنُ زكريِّ

---

(١) أي : لا يُعجِزه سؤالُ السَّائلين ، ولا يُضجِره إلحاحُ المُلِحِّين ، سبحانَه .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الهواتف » (٦٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٠٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/١٩٠ ـ ١٩١) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١٢٤١) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٧/٣٣٠٢ ـ ٣٣٠٣) من طريق السمعاني .

(٣) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٣/٣٧٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣/٢٤) وفيهما عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر « الموشىٰ » للوشاء (ص ١٠) بلا نسبة .

الدَّقَّاقُ ، أنا أبو الحسينِ ابنُ بِشْرانَ ، أنا أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ بمكَّةَ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ العَسْكَريُّ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الجُنَيدِ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الحسينِ البُرْجُلانيُّ ، حدَّثَني يحيى بنُ بِسْطامٍ قالَ : دخلتُ معَ نفرٍ مِن أصحابِنا علىٰ عُفَيرةَ العابدةِ ، وكانَتْ قد تعبَّدَتْ وبكَتْ حتَّىٰ عميَتْ ، فقالَ بعضُ أصحابِنا لرجلٍ إلىٰ جنبِهِ : ما أشدَّ العمىٰ علىٰ مَن كانَ بصيراً !!

فسمعَتْ عُفَيرةُ قولَهُ ، فقالَتْ : يا عبدَ اللهِ ؛ عمى القلبِ ـ واللهِ ـ عنِ اللهِ أشدُّ مِن عمى العينِ عنِ الدُّنيا ، واللهِ ؛ لوددتُ أنَّ اللهَ وهبَ لي كُنْهَ محبَّتِهِ ، وأنَّهُ لم تبقَ منِّي جارحةٌ إلَّا أخذَها [١]

حكاية

[في مرورِ ليلى الأَخْيَلِيَّةِ بقبرِ توبةَ]

٤٤٧ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الحسنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ الأَزَجيِّ ببغدادَ ، عن أبي الغنائمِ محمَّدِ بنِ عليِّ ابنِ الدَّجاجيِّ ، عنِ القاضي أبي الفرجِ المُعافى بنِ زكريَّا الجَرِيريِّ [٢] ، ثنا أبي ، ثنا أبو أحمدَ الخُتَّليُّ ، أنا عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحكمِ النَّسائيُّ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ زيدٍ النَّيْسابوريُّ : أنَّ ليلى الأَخْيَلِيَّةَ بعدَ موتِ توبةَ تزوَّجَتْ ، ثمَّ إنَّ زوجَها بعدَ ذٰلكَ مرَّ بقبرِ توبةَ وليلىٰ معَهُ ، فقالَ لها : يا ليلىٰ ؛ هل تعرفينَ هٰذا القبرَ ؟ قالَتْ : لا

قالَ : هٰذا قبرُ توبةَ ، فسلِّمي عليهِ ، فقالَتِ : امضِ لشأنِكَ ، فما تُريدُ مِن توبةَ وقد بَلِيَتْ عظامُهُ ؟

قالَ : أُريدُ تكذيبَهُ ؛ أليسَ هوَ الَّذي يقولُ [٣] : [من الطويل]

---

(١) أخرجه أبو إسحاق الختلي في « المحبة لله سبحانه » (١٨٩) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٤٩٤) ، وانظر « ربيع الأبرار » (١٠٧/٥) ، و« صفة الصفوة » لابن الجوزي (٢٠/٤) ، و« نكت الهميان » للصفدي (ص ٣٤) .

(٢) الجَرِيري ـ بفتحٍ فكسرٍ ـ : نسبة إلىٰ مذهب ابن جَرِير الطَّبَرِيّ ، ومن أشهر المنتسبين إليه : القاضي المعافى بن زكريَّا هٰذا ، كذا في « الأنساب » (٥٢/٢) ، وغيره من مصادر التراجم ، وضبطت في (أ ، ب ، ج) : (الجُرَيري) بضمِّ الجيم .

(٣) هما له كما في « ديوانه » (ص ٤٧ ـ ٤٨) ، و« الشعر والشعراء » لابن قتيبة (٤٤٦/١) ، و« ذم الهوىٰ » لابن الجوزي (٩٩٠) .

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى ٱلْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي تُرْبَةٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ ٱلْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدىً مِنْ جَانِبِ ٱلْقَبْرِ صَائِحُ

فواللهِ ؛ لا بَرِحْتِ أو تُسلِّمي عليهِ .

فقالَتِ : السَّلامُ عليكَ يا توبةُ ، ورحمَكَ اللهُ ، وباركَ لكَ فيما صرتَ إليهِ ؛ فإذا طائرٌ قد خرجَ مِنَ القبرِ حتَّىٰ ضربَ صدرَها ، فشهقَتْ شهقةً فماتَتْ ، فدُفِنَتْ إلىٰ جنبِ قبرِهِ ، فنبتَتْ علىٰ قبرِهِ شجرةٌ ، وعلىٰ قبرِها شجرةٌ ، فطالتا فالتفَّتا [1]

حِكَايَةٌ

[في حفظٍ ونسيانٍ لم يفعلْهُما أحدٌ]

٤٤٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحافظُ بقراءتي عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ [إسماعيلُ بنُ] [2] أحمدَ بنِ عمرَ قالَ : أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ ابنِ [هَزارمَرْدَ] [3] الصَّرِيفينيُّ ، أنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المُقرِئُ ، ثنا عليُّ بنُ محمَّدٍ الكاتبُ ، ثنا العبَّاسُ بنُ الفضلِ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ أبي السَّريِّ ـ بغداديٌّ ـ قالَ : قالَ هشامٌ ابنُ الكلبيِّ : (حفظتُ ما لم يحفظْ أحدٌ ، ونسيتُ ما لم ينسَهُ أحدٌ ؛ كانَ لي عمٌّ يُعاتِبُني علىٰ حفظِ القرآنِ ، فدخلتُ بيتاً ، وحلفتُ أَنْ لا أخرجُ منهُ حتَّىٰ أحفظَ القرآنَ ، فحفظتُهُ في ثلاثةِ أيَّامٍ ، ونظرتُ يوماً في المرآةِ ، فقبضتُ علىٰ لحيتي ؛ لآخذَ ما دونَ القبضةِ ، فأخذتُ ما فوقَ القبضةِ) [4]

---

(١) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٣٣٨ ـ ٣٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٠/٧٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٤/٣٢٠ ـ ٣٢١) .

(٢) ما بين معقوفين ليس في (أ ، ب ، ج) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣٦/٤٠٦) ، وقد تقدم على الصواب في بداية السند .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (هزامرد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣١/٢٩٢) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٣٤٠) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٦٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/٥٨) ، وابن الجوزي في « الحث علىٰ حفظ العلم » (ص ١٠٣) ، وانظر « الأنساب » (٥/٨٦) ، و« نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص ٨٤) .

فَائِدَةٌ

[روايةٌ عن ذئبٍ !!]

٤٤٩ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو الفضلِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ البغداديُّ مِن لفظِهِ بأصبهانَ ، أنا أبو الفتحِ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ الصُّوفيُّ ، أنا أبو الوليدِ الحسنُ بنُ محمَّدٍ الدَّربنديُّ .

(ح) وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : وأخبرَناهُ عبدُ الرَّحيمِ وعبدُ المُنعِمِ ابنا أبي القاسمِ القُشَيريِّ قالا : أنا أبو الوليدِ الدَّربنديُّ قراءةً عليهِ ونحنُ نسمعُ ، أنا أبو نصرٍ عبدُ الوهَّابِ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ محمَّدٍ المُرِّيُّ الدِّمشقيُّ بها ، ثنا أبو عليٍّ [الحسينُ] (١) بنُ إبراهيمَ بنِ جابرٍ الفَرائضيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عثمانَ بنِ معبدٍ بصَيْداءَ قالَ (٢) : خرجَ بنو يعقوبَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى الصَّحراءِ ، فأمسكوا ذئباً ، فشدُّوا وَثاقَهُ ، وأتَوا بهِ إلىٰ أبيهِم يعقوبَ ، فقالوا : يا أبانا ؛ هٰذا الَّذي أكلَ أخانا ، قالَ : « حُلُّوا وَثَاقَهُ » .

وقالَ لهُ يعقوبُ عليهِ السَّلامُ : « أَنْتَ أَكَلْتَ حَبِيبِي يُوسُفَ ؟ » ، قالَ : يا نبيَّ اللهِ ؛ ألستَ تعلمُ أنَّهُ مُحرَّمٌ علينا لحومُ الأنبياءِ ؟!

قالَ : « صَدَقْتَ ، فَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ » ، قالَ : مِن مصرَ .

قالَ : « وَإِلَىٰ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ » ، قالَ : إلىٰ خُراسانَ .

قالَ : « وَفِيمَاذَا تَمُرُّ ؟ » ، قالَ : في زيارةِ أخٍ لي .

قالَ : « وَمَا بَلَغَكَ فِيهِ ؟ » ، قالَ : حدَّثني أبي ، عن جدِّي ، عنِ الأنبياءِ السَّالفينَ : « أَنَّهُ مَنْ زَارَ أَخاً لَهُ فِي ٱللهِ . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ » .

فقالَ يعقوبُ لبنيهِ : « ٱكْتُبُوا هَـٰذَا ٱلْحَدِيثَ عَنِ ٱلذِّئْبِ » ، فقالَ : معاذَ اللهِ أن أُمليَ عليهِم ؛ لأنَّهُم كذبوا عليَّ ، وقالوا عليَّ ما لم أفعلْ (٣)

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحسن) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ دمشق » ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/١٤٠) .

(٢) في « تاريخ دمشق » بعده : (نا أحمدُ بنُ محمَّدٍ الجُبَيْليُّ ، نا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، نا غندرٌ محمَّدُ بنُ جعفرٍ ، عن أبي عوانةَ ، عن كعبِ الأحبارِ) .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١٢٦٨) ، ومحمد بن إبراهيم الجرجاني في « أماليه » (ق/١٩٠ ـ ١٩١)

نُكْتَةٌ

[في موتِ زُرارةَ بنِ أوفىٰ بسببِ آيةٍ]

٤٥٠ ـ وبهِ قالَ : أنا عبيدُ اللهِ بنُ حمزةَ المُوسَويُّ بقراءتي عليهِ بجامعِ هَرَاةَ ، أنا أبو عامرٍ محمودُ بنُ القاسمِ الأَزْديُّ ، أنا عبدُ الجبَّارِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ المَرْوَزيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محبوبٍ الفُضَيليُّ ، ثنا أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ عيسى التِّرمذيُّ بها ، ثنا عبَّاسُ بنُ عبدِ العظيمِ العَنْبَريُّ ، ثنا عتَّابُ بنُ المُثنَّىٰ ، عن بَهْزِ بنِ حكيمٍ قالَ : كانَ زُرارةُ بنُ أوفىٰ قاضيَ البصرةِ ، فكانَ يؤمُّ بني قُشَيرٍ ، فقرأَ يوماً في صلاةِ الصُّبحِ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ (١) ، [فخرَّ] (٢) ميِّتاً ، فكنتُ فيمَنِ احتملَهُ إلىٰ دارِهِ (٣)

٤٥١ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الخَلَّالَ الرَّازيَّ بأصبهانَ يقولُ : دخلَ أبو الفضلِ الرَّازيُّ (٤) كِرْمانَ في هيئةٍ رثَّةٍ ، وعليهِ أخلاقٌ وأسمالٌ (٥) ، وكانَ وحدَهُ ، فأُخِذَ وحُمِلَ إلى الملكِ ، وقالوا لهُ : قد ظفرْنا بجاسوسٍ .

فقالَ لهُ الملكُ : ما الخبرُ ؟ فقالَ لهُ : تسألُني عن خبرِ الأرضِ أو خبرِ السَّماءِ ؟ فإن كنتَ تسألُني عن خبرِ السَّماءِ . . ف : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (٦) ، وإن كنتَ تسألُني عن خبرِ الأرضِ . . ف : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٧)

مخطوط ، وابن مرجى المقدسي في « فضائل بيت المقدس » (٤٨٦/٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨٢/٥) ، وأبو المنجىٰ في « مشيخته » (ص٥٢٣ ـ ٥٢٤) .

(١) سورة المدثر : (٨ ـ ٩) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (خرَّ) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « تاريخ بغداد » للبنداري (ق٢٠/١) مخطوط من مكتبة باريس بسند آخر ، وابن سعد في « الطبقات الكبير » (١٥٠/٩ ـ ١٥١) ، وأحمد ابن حنبل في « الزهد » (١٣٨٢ ، ١٣٨٣) ، والترمذي بعد الحديث (٤٤٧) ط . جمعية المكنز الإسلامي ، وابن أبي خيثمة في « التاريخ الكبير » (٤٥١٩) ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (١٠٦/٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٥٨/٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١١) .

(٤) هو أبو الفضل ، عبد الرَّحمٰن بن أحمد بن الحسن بن بُنْدار بن إبراهيم ، المقرئ العِجليُّ الرَّازيُّ ، مولده تقديراً سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة ، وكان في جمادى الأولىٰ سنة أربع وخمسين وأربع مئة حيّاً ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٥) أسمال : جمع سَمَل ؛ ثوب خَلَقٌ بالٍ .

(٦) سورة الرحمٰن : (٢٩) .

(٧) سورة الرحمٰن : (٢٦) .

فتعجَّبَ الملكُ مِن كلامِهِ وأكرمَهُ ، وعرضَ عليهِ مالاً ، فأبىٰ أن يقبلَهُ ، فخلَّىٰ سبيلَهُ[1]

حكاية

[في ورعِ أبي الحسنِ الدَّاووديِّ]

٤٥٢ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا المحاسنِ أسعدَ بنَ عليِّ ابنِ زيادٍ الماليني مذاكرةً يقولُ : كانَ شيخُنا أبو الحسنِ الدَّاووديُّ ـ يعني : عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ محمَّدِ بنِ المُظفَّرِ[2] ـ بقيَ أربعينَ سنةً لا يأكلُ اللَّحمَ وقتَ تشويشِ التُّركمانِ ، واختلاطِ النَّاسِ ، والنَّهبِ والإغارةِ ، فأضرَّ بهِ ، فكانَ بعدَ ذٰلكَ يأكلُ السَّمكَ ، ويُصطادُ لهُ مِن نهرٍ كبيرٍ .

فحُكِيَ لهُ أنَّ بعضَ الأمراءِ أكلَ علىٰ حافَةِ النَّهرِ الَّذي يُصطادُ لهُ منهُ السَّمكُ ، ونُفِضَتْ سُفرتُهُ ، وما فَضَلَ منهُ في النَّهرِ ، فما أكلَ السَّمكَ بعدَ ذٰلكَ[3]

* * *

٤٥٣ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ بخطِّ والدي رحمَهُ اللهُ ، سمعتُ الفقيهَ أبا القاسمِ عبدَ اللهِ بنَ عليِّ بنِ إسحاقَ الطُّوسيَّ يقولُ : دخلَ نظامُ الملكِ على الإمامِ أبي الحسنِ الدَّاووديِّ ، وقعدَ بينَ يدَيهِ ، وتواضعَ لهُ غايةَ التَّواضعِ ، فقالَ لهُ الإمامُ أبو الحسنِ : أيُّها الرَّجلُ ؛ إنَّ اللهَ سلَّطَكَ علىٰ عبيدِهِ ؛ فانظرْ كيفَ تُجيبُهُ إذا سألَكَ عنهُم[4]

نكتة

[في كريمِ خُلُقِ أبي عاصمٍ النَّبيلِ]

٤٥٤ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدٌ وعثمانُ ابنا أبي بكرٍ عتيقِ بنِ يعقوبَ الصُّوفيِّ بقراءتي عليهِما قالا : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ الطَّبَسيُّ الحافظُ ، أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ

---

(١) انظر « معرفة القراء الكبار » للذهبي (٧٩٨/٢) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (١٣١/٥) .

(٢) مولد الدَّاووديّ في شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وثلاث مئة ، وتوفِّي في شوَّال سنة سبع وستِّين وأربع مئة بفُوشَنْج ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) ذكره ابن نقطة في « التقييد » (٦١٥/٢) ، وابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (٥٣٧/١) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٣٤/٣١) وعزوه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « إفادة النصيح » لابن رشيد السبتي (ص١٢٦) ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة) .

(٤) أخرجه ابن العديم في « بغية الطلب » (٢٤٩١/٥) من طريق السمعاني ، وذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (٥٤٠/١) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « المنتظم » (٥٢٧/٩) ، و« الكامل » لابن الأثير (٢٥٨/٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٢٥/١٨) .

عليّ بنِ محمَّدٍ التَّاجرُ ، أنا أبو أحمدَ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الفَرَضيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ إملاءً ، ثنا أبو العيناءِ قالَ : زوَّرَ رجلٌ رقعةً علىٰ أبي عاصمٍ النَّبيلِ إلىٰ إسحاقَ بنِ العبَّاسِ بنِ محمَّدٍ أميرِ البصرةِ ، فأعطاهُ خمسينَ ديناراً .

وإنَّهُ لفي ذٰلكَ . . إذ دخلَ أبو عاصمٍ ، فقالَ إسحاقُ كالمُعتذِرِ إليهِ : جاءَ رجلٌ بكتابِكَ ، فأعطيتُهُ خمسينَ ديناراً ، لم يحضرْنا سواها .

فقالَ لهُ أبو عاصمٍ : لو زدتَ . . لاستحقَّتْ ذٰلكَ مروءتُكَ ومنزلتُكَ ، ولاستحقَّتْ ذاكَ أيضاً خلَّتُهُ وحاجتُهُ ، ولم يقلْ : إنَّ الكتابَ مُزوَّرٌ !!

حكاية

[في سببِ تسميةِ شقائقِ النُّعمانِ]

٤٥٥ ـ وبهِ قالَ : أنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ قراءةً عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديّ ، عن إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أحمدَ الطَّبَريُّ ، أنا أبو أحمدَ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المُقرِئُ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدٍ الكَبْشيُّ [١] ، ثنا الشَّعرانيُّ ، ثنا خُزَيمةُ بنُ أحمدَ الكِنانيُّ قالَ : كنتُ في بُستاني بنهرِ عيسىٰ [٢] ، فبتُّ ليلةً مِنَ اللَّيالي ، فصلَّيتُ الغداةَ ، وقد سقطَ الطَّلُّ على الزَّهرةِ ، فاستحسنتُها ، ورأيتُ شقائقَ النُّعمانِ فيها ، ففكَّرتُ في نفسي ، وقلتُ : ليتَ شعري ؛ مَنِ النُّعمانُ الَّذي نُسِبَتْ هٰذهِ الرَّيحانةُ إليهِ ؟

ثمَّ غلبَنيَ النَّسيمُ فنمتُ ، فرأيتُ في مَنامي كأنَّ قائلاً يقولُ لي : إنَّ النُّعمانَ وليٌّ مِن أولياءِ اللهِ تعالىٰ ، سألَ اللهَ [تعالىٰ] أن يُرِيَهُ لباسَهُ في الجنَّةِ ، فأُنبِتَتْ هٰذهِ الرَّيحانةُ ، فنُسِبَتْ إليهِ ، وكانَ إذا رآها . . يقولُ : رحمَ اللهُ النُّعمانَ .

فذكرتُهُ للبُحْتريّ ، فأنشدَني [٣] : [من البسيط]

---

(١) الكَبْشي : نسبة إلىٰ (كَبْش) ، وهو موضع ببغداد وراء الحَرْبية . « الأنساب » (٥/٢٦ ـ ٢٧) .

(٢) نهر عيسىٰ : كورة وقرىً كثيرة في غربيّ بغداد ، نسبة إلىٰ عيسى بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس . « معجم البلدان » (٥/٣٢١ ـ ٣٢٢) .

(٣) ينسبان للأخيطل الأهوازي كما في « المحب والمحبوب » للسري الرفاء (٣/٨٤) ، و« معجم الشعراء » للمرزباني (ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠) .

هَـٰذِي ٱلشَّقَائِقُ قَدْ أَبْصَرْتَ حُمْرَتَهَا فَوْقَ ٱلسَّوَادِ عَلَىٰ أَغْصَانِهَا ٱلذُّلُلِ
كَأَنَّهَا دَمْعَةٌ قَدْ غَسَّلَتْ كُحُلاً فَاضَتْ بِهَا عَبْرَةٌ فِي وَجْنَتَيْ خَجِلِ (١)

حكاية

[في حسدِ يحيى بنِ أكثمَ]

٤٥٦ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ الشَّيْبانيُّ قراءةً عليهِ بالجانبِ الشَّرقيِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ الشَّيْبانيُّ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ الحافظُ قالَ : أنا الأزهريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ، ثنا محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ بنِ بسَّامٍ ، حدَّثني أبو العبَّاسِ أحمدُ ابنُ يعقوبَ قالَ : كانَ يحيى بنُ أكثمَ يحسُدُ حسداً شديداً ، وكانَ مُفتَنّاً ؛ فكانَ إذا نظرَ إلىٰ رجلٍ يحفظُ الفقهَ . . سألَهُ عنِ الحديثِ ، وإذا رآهُ يحفظُ الحديثَ . . سألَهُ عنِ النَّحْوِ ، وإذا رآهُ يعلمُ النَّحْوَ . . سألَهُ عنِ الكلامِ ؛ ليقطعَهُ ويُخجِلَهُ .

فدخلَ إليهِ رجلٌ مِن أهلِ خُراسانَ ، ذكيٌّ حافظٌ ، فناظرَهُ فرآهُ مُفتَنّاً ، فقالَ لهُ : نظرتَ في الحديثِ ؟ فقالَ : نعم .

قالَ : فما تحفظُ مِنَ الأصولِ ؟ قالَ : أحفظُ : شريكٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عنِ الحارثِ : (أنَّ عليّاً عليهِ السَّلامُ رجمَ لوطيّاً) (٢) ، فأمسكَ فلم يُكلِّمْهُ (٣)

* * *

٤٥٧ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ طاهرٍ المَيْهَنيُّ ، أنا موسى بنُ عمرانَ الصُّوفيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ العلويُّ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ ابنُ الشَّرقيِّ ، ثنا عليُّ بنُ سعيدٍ النَّسَويُّ ، ثنا عبدُ الصَّمدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، ثنا شعبةُ ، ثنا حُصَينٌ ، عن سالمِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩٥/٦٣) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٨٩٢٧) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (١٤٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٠٠٦) ، والخطيب البغدادي في « تالي تلخيص المتشابه » (٢٣٥) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٨٦/١٦ ـ ٢٨٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٤/٦٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥١٢/٦ ـ ٥١٣) ، وانظر « التذكرة الحمدونية » (٢٥٤/٧) ، و« تهذيب الكمال » (٢١٣/٣١) ، و« الشعور بالعور » للصفدي (ص ٢٤٠) .

أبي الجعدِ قالَ : قالَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما : (ما منَّا أحدٌ أدركَ الدُّنيا إلَّا مالَتْ بِهِ ومالَ بها ؛ غيرَ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما)[1]

نُكْتَةٌ

[في طلبِ الحاجةِ]

٤٥٨ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ طاهرٍ الصُّوفيُّ إجازةً شافهَني بها ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المُؤذِّنُ إملاءً ، أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ ابنُ حمدانَ العدلُ ، أنا عمرُ بنُ أحمدَ المُذكِّرُ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، ثنا عبدُ الرَّحمـٰنِ ابنُ أخي الأصمعيِّ ، عن عمِّهِ قالَ : (سمعتُ أعرابيّاً يقولُ : فَوْتُ الحاجةِ خيرٌ مِن طلبِها مِن غيرِ أهلِها)[2]

نُكْتَةٌ

[في ردِّ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما علىٰ مبتدعٍ]

٤٥٩ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عمرَ المَوْنيُّ بقراءتي عليهِ بهَمَذانَ[3] ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عمرَ الصُّنْدُوقيُّ البَزَّازُ إجازةً ، أنا أبو الحسنِ طاهرُ بنُ حَمْدِ بنِ سعدويهِ الهَمَذانيُّ ، أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ الأهوازيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنُ الأثرمِ المُقرِئُ ، ثنا عليُّ بنُ حربٍ ، ثنا خالدُ بنُ يزيدَ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبي رَوَّادٍ ، سمعتُ عطاءً يقولُ : كنتُ جالساً عندَ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، فجاءَهُ رجلٌ ، فقالَ : يا بنَ عبَّاسٍ ؛ أرأيتَ مَن صدَّني عنِ الهدىٰ ، وأوردَني دارَ الضَّلالةِ والرَّدىٰ ، ألا تراهُ قد ظلمَني ؟

فقالَ : (إن كانَ الهدىٰ شيئاً هوَ لكَ عندَهُ فمنعَهُ . . فقد ظلمَكَ ، وإن كانَ الهدىٰ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٩٩٨) ، وأحمد ابن حنبل في « فضائل الصحابة » (١٦٩٩) ، وابن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/٤٩٠) ، والبغوي في « معجم الصحابة » (١٤٣٧) ، وابن الأعرابي في « المعجم » (٢٤٤٠) ، وأبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (١٠٧٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٥٦٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/٢٩٤) .

(٢) أخرجه ابن دريد في « الفوائد والأخبار » (٣٣) ، والقالي في « الأمالي » (٢/١٦٧) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٢٠٤ ـ ٢٠٥) ، وأبو سعد السمعاني في « المنتخب من معجم شيوخه » (١/٤٨٥ ـ ٤٨٦) .

(٣) المَوْني : نسبة إلىٰ (مَوْنة) ، وهي قرية من قرىٰ هَمَذان . « الأنساب » (٥/٤١٠ ـ ٤١١) .

هوَ لهُ يُؤتيهِ مَن يشاءُ . . فلم يظلمْكَ ، قُمْ عنِّي ولا تُجالِسْني) [١]

حِكَايَة

[بينَ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ وامرأةٍ مُغيبةٍ]

٤٦٠ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي العبَّاسِ ابنُ الإخوةِ إجازةً ، وأبو سعدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ الحافظُ بمكَّةَ ، وأبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ نصرِ ابنِ خميسٍ الجُهَنيُّ بالمَوْصِلِ ، وأبو محمَّدٍ عبدُ الغنيّ بنُ محمَّدِ بنِ سعدٍ الغَسَّانيُّ ببغدادَ ، وأبو الكرمِ المُبارَكُ بنُ مسعودِ ابنِ خميسٍ الكَرابيسيُّ ، وأبو معشرٍ رزقُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الملكِ البَلَديُّ قالوا : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليّ المُقرِئُ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القَنْديُّ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ الكِنْديُّ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ السَّامَرِّيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ منصورٍ الرَّماديُّ ، ثنا موسى بنُ إسماعيلَ المِنْقَريُّ ، ثنا جريرُ بنُ حازمٍ ، عن يعلى بنِ حكيمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قالَ : كانَ عمرُ إذا أمسىٰ أخذَ دِرَّتَهُ ، ثمَّ طافَ بالمدينةِ ، فإذا رأىٰ شيئاً يكرهُ . . أنكرَهُ ، فخرجَ ذاتَ ليلةٍ ، فإذا بامرأةٍ علىٰ سطحٍ ، وهيَ تُغنِّي ـ قالَ جريرٌ : سمعتُ هٰذا مِن غيرِ يعلىٰ ـ : [من الطويل]

تَطَاوَلَ هَٰذَا ٱللَّيْلُ وَٱخْضَلَّ جَانِبُهْ ... وَأَرَّقَنِي أَنْ لَا خَلِيلَ أُلَاعِبُهْ

وَلَوْلَا إِلَٰهِي وَٱلتُّقَىٰ خَشْيَةَ ٱلرَّدَىٰ ... لَزُعْزِعَ مِنْ هَٰذَا ٱلسَّرِيرِ جَوَانِبُهْ

قالَ ـ ثمَّ عادَ إلىٰ حديثِ يعلىٰ ـ : فضربَ بابَ الدَّارِ ، فقالَتْ : ومَن هٰذا الَّذي يأتي بابَ امرأةٍ مُغِيبةٍ هٰذهِ السَّاعةَ يستفتحُ عليها ؟ فقالَ : (افتحي) ، فجعلَتْ تأبىٰ ، فلمَّا أكثرَ عليها . . قالَتْ : أما واللهِ لو بلغَ أميرَ المؤمنينَ خبرُكَ . . لعاقبَكَ .

قالَ : (افتحي فأنا أميرُ المؤمنينَ) ، قالَتْ : كذبتَ ، ما أنتَ بأميرِ المؤمنينَ ، فرفعَ بها صوتَهُ وجاهرَها ، فعرفَتْ أنَّهُ هوَ ، ففتحَتْ لهُ ، فقالَ : (هيهِ كيفَ قلتِ ؟) ، فأعادَتْ عليهِ ما قالَتْ ، قالَ : (أما واللهِ لولا أنَّكِ بدأْتِ بالإلٰهِ . . لأوجعتُكِ ضرباً ، أينَ زوجُكِ ؟) ،

---

(١) أخرجه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١٢٢٧) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٦/٦٤) ، وانظر « الانتصار في الرد على المعتزلة » للعمراني (٢/٥٠٦) .

قالَتْ : في بعثِ كذا وكذا ، فبعثَ إلىٰ عاملِ ذٰلكَ الجُندِ : أن سرِّحْ فلانَ بنَ فلانٍ ، فلمَّا قدمَ عليهِ . . قالَ : (اذهبْ إلىٰ أهلِكَ) .

قالَ أبو سلمةَ : يقولونَ : إنَّ هـٰذهِ المرأةَ كانَتْ أُمَّ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ [1]

نُكْتَةٌ

[أصلُ هـٰذا الأمرِ الانفرادُ]

٤٦١ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ الجبَّارِ الفاميُّ بقراءتي عليهِ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ أبي أحمدَ الدَّبَّاسُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو إسماعيلَ أحمدُ بنُ حمزةَ بنِ محمَّدٍ الصُّوفيُّ ، سمعتُ عليَّ بنَ أحمدَ الطَّرَسُوسيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمَّدٍ البَرْذَعيَّ يقولُ : سمعتُ العبَّاسَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ حسناً القَزَّازَ يقولُ : (أصلُ هـٰذا الأمرِ الانفرادُ ، ولا تسأَلْ ، ولا تَرُدَّ ، ولا تدَّخرْ ، ولا تُصلِّ صلاتَينِ في موضعٍ) .

٤٦٢ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ الحسنِ الفارسيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ يوسفَ الهَكَّاريُّ قراءةً عليهِ [2] ، أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ عليّ ابنِ التَّرْجُمانِ الصُّوفيُّ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ اللَّيثِ الفقيهُ ، ثنا القاضي أبو عمرانَ موسى بنُ الأشيبِ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ أبي العوَّامِ ، ثنا أبو بكرِ بنُ [عفَّانَ] [3] الصُّوفيُّ ، سمعتُ أبا معاويةَ الأسودَ باللَّيلِ علىٰ سورِ طَرَسُوسَ يقولُ : ألا مَن كانَتِ الدُّنيا همَّهُ . . طالَ في القيامةِ غداً غمُّهُ .

ومَن خافَ ما بينَ يدَيهِ . . ضاقَ ذرعاً بما لديهِ .

ومَن خافَ الوعيدَ . . لَهِيَ في الدُّنيا عمَّا يُريدُ .

يا مسكينُ ؛ إن كنتَ تُريدُ لنفسِكَ الجزيلَ . . فلا تنامَنَّ اللَّيلَ ولا تقيل .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٢٥٩٣ ـ ١٢٥٩٤) بنحوه ، وابن شبة في « تاريخ المدينة المنورة » (٧٥٩/٢ ـ ٧٦٠) بنحوه ، وابن أبي الدنيا في « العيال » (٤٩٤) بنحوه ، والخرائطي في « اعتلال القلوب » (٤٠٠) .

(٢) الهَكَّاري : نسبة إلى (الهَكَّارية) ، وهي ولاية تشتمل علىٰ حصون وقرىً ، من أعمال المَوْصِل . « الأنساب » (٦٤٥/٥) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عقال) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٤٢/١٧) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٣٩) .

اقبلْ مِنَ اللَّبيبِ النَّاصحِ ؛ إذا أتاكَ بأمرٍ واضحٍ .

لا تهتمَّنَّ بأرزاقِ مَن تُخلِّفُ ؛ فلستَ بأرزاقِهِم تُكلَّفُ .

وَطِّنْ نفسَكَ للمقالِ ؛ إذا وقفتَ غداً بينَ يدَي ربِّ العزَّةِ للسُّؤالِ .

قدِّمْ صالحَ الأعمالِ ، ودعْ عنكَ كثرةَ الأشغالِ .

بادرْ ثمَّ بادرْ ، قبلَ نزولِ ما تُحاذِرُ .

إذا بلغَتْ روحُكَ التَّراقيَ ، وانقطعَ عنكَ مَن أحببتَ أن تُلاقِيَ ، فكأنِّي بها وقد بلغَتِ الحلقومَ ، وأنتَ في سكراتِ الموتِ مغمومٌ ، وقدِ انقطعَتْ حاجتُكَ إلىٰ أهلِكَ ، وأنتَ تراهُم حولَكَ ، وأنتَ مُرتهَنٌ بعملِكَ ؛ فاجعلْ ذِكْرَ اللهِ تعالىٰ شانَكَ ، واملكْ في سوىٰ ذٰلكَ لسانَكَ .

ثمَّ قالَ : أوِّه مِن يومٍ يتلجلجُ فيهِ لساني ، ويتغيَّرُ فيهِ لوني ، ويجفُّ ريقي ، ويقلُّ زادي ، ثمَّ بكىٰ بكاءً شديداً .

فقلتُ : يا أبا معاويةَ ؛ مَن قالَ هٰذا ؟ قالَ : قالَهُ حكيمٌ مِنَ الحكماءِ [1]

نُكْتَةٌ

[في شكرِ اللهِ علىٰ نعمِهِ]

٤٦٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ الجُرْجانيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو سعدِ ابنُ خُشَيشٍ البغداديُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الدَّوْرَقيُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سلمانَ النَّجَّادُ ، ثنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ ابنُ أبي الدُّنيا القرشيُّ قالَ : (بلغَني عن بعضِ الحكماءِ قالَ : لو لم يُعذِّبِ اللهُ عزَّ وجلَّ علىٰ معصيتِهِ . . لكانَ ينبغي ألَّا يُعصىٰ لشكرِ نعمتِهِ) [2]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٧٢/٨ ـ ٢٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٤/٦٧) ، وابن الجوزي في « تنوير الغبش في فضل السودان والحبش » (١٠٨) ، وعمر الدنيسري في « تاريخ دنيسر » (ص ٧٢ ـ ٧٣) .

(٢) أخرجه أبو إسحاق الختلي في « المحبة لله سبحانه » (٢٠٥) ، وابن أبي الدنيا في « الشكر » (ص ٦١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٢٢٧) ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٨٨/٨) ونسبه لسيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام .

حكاية

[في توبةِ سيّدِنا أبي مِحْجَنٍ رضيَ اللهُ عنهُ مِنَ الخمرِ]

٤٦٤ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عدنانَ الهاشميُّ بقراءتي عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الكريمِ الخُشَيشيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الفارسيُّ ، أنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ زيادٍ القَطَّانُ ، ثنا أبو جعفرٍ حامدُ بنُ سهلٍ الثَّغْريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ كثيرٍ المَصِّيصيُّ ، عن مخلدِ بنِ الحسينِ ، عن هشامٍ ، عنِ ابنِ سيرينَ : أنَّ سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ [رضيَ اللهُ عنهُ] أخذَ أبا مِحْجَنٍ الثَّقفيَّ في الخمرِ فضربَهُ ، ثمَّ عادَ فضربَهُ ، ثمَّ عادَ فضربَهُ ، وقيَّدَهُ وحبسَهُ في قصرٍ لهُ .

قال : فحضرَهُمُ العدوُّ فانتصفوا ، وأبو مِحْجَنٍ ينظرُ مِنَ القصرِ ، فأنشأَ يقولُ [1] : [من الطويل]

كَفَىٰ حَزَناً أَنْ تَلْتَقِي ٱلْخَيْلُ بِٱلْقَنَا ... وَأُتْرَكَ مَشْدُوداً عَلَيَّ وَثَاقِيَا

إِذَا شِئْتُ عَنَّانِي ٱلْحَدِيدُ وَغُلِّقَتْ ... مَصَارِيعُ دُونِي قَدْ تُصِمُّ ٱلْمُنَادِيَا

ثمَّ بعثَ إلى امرأةِ سعدٍ ، فقالَ لها : (أَطلِقوني ، وأعطوني فرساً وسلاحاً ؛ حتَّىٰ أخرجَ إليهِم ، فإن قُتِلتُ . . فهوَ الَّذي تُريدونَ ، وإن رجعتُ . . فلَكُمُ اللهُ عليَّ ؛ لأرجعَنَّ فلأضعَنَّ نفسي كما كنتُ) .

قالَ : فأطلَقوهُ ، وأعطَوهُ فرساً وسلاحاً ، فشدَّ ها هنا وها هنا ، حتَّى انتصفَ المسلمونَ ، فقالَ سعدٌ : (تاللهِ ؛ ما رأيتُ أحداً أشبَهَ بأبي مِحْجَنٍ مِن هـٰذا الرَّجلِ !! لولا أنِّي تركتُهُ في الحديدِ . . ما صدقتُ إلَّا أنَّهُ هـٰذا) .

ثمَّ رجعَ سعدٌ ، فأخبرَ امرأتَهُ بما صنعَ اللهُ تعالىٰ بهِم ، وبما رأىٰ مِن ذٰلكَ الرَّجلِ ، قالَتِ امرأتُهُ : فإنَّهُ أبو مِحْجَنٍ .

قالَتْ : فأرسلَ إليهِ ـ تعني : سعداً ـ فأخرجَهُ ، وقالَ : (اذهبْ ، فواللهِ ؛ لا ضربْناكَ ولا حبسْناكَ) .

---

(١) انظر « ديوانه » (ص ١٧) ، و« طبقات فحول الشعراء » لابن سلام (١/٢٦٨) .

فقالَ : (وأنا ـ واللهِ ـ لا تدخلُ لي رأساً أبداً ؛ إنَّما كنتُ أشربُها ؛ لكيما لا ترونَ أنِّي إنَّما تركتُها مِن أجلِ سِياطِكُم)[1]

* *

٤٦٥ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الرِّضا عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الفَسَويَّ مذاكرةً يقولُ : سمعتُ أبا الوفاءِ عليَّ بنَ عَقيلٍ الإمامَ لفظاً يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ غالبِ ابنَ المُبارَكِ[2] المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ محمَّدَ بنَ أحمدَ ابنِ [عَنْبَسٍ][3] ابنَ سمعونِ الواعظَ صاحبَ الاسمِ الأعظمِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ جَحْدَرٍ الشِّبْليَّ يقولُ : رأيتُ في يومِ جمعةٍ معتوهاً ، عندَ جامعِ الرُّصافةِ قائماً عرياناً ، وهوَ يقولُ : أنا مجنونُ اللهِ ، أنا مجنونُ اللهِ .

قالَ : فاستجلبَ الشِّبْليُّ خاطرَهُ ، وقالَ لهُ : لِمَ لا تدخلُ الجامعَ وتتوارىٰ وتُصلِّي ؟

فأنشأَ مُعتذِراً[4] : [من الطويل]

يَقُولُونَ : زُرْنَا وَٱقْضِ وَاجِبَ حَقِّنَا ... وَقَدْ أَسْقَطَتْ حَالِي حُقُوقَهُمْ عَنِّي

إِذَا هُمْ رَأَوْا حَالِي وَلَمْ يَأْنَفُوا لَهَا ... وَلَمْ يَأْنَفُوا مِنْهَا أَنِفْتُ لَهُمْ مِنِّي[5]

حكاية

[قِرىٰ مَلَكِ الموتِ]

٤٦٦ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الفتحِ بنَ أبي الغنائمِ ابنَ الإخوةِ البغداديَّ مذاكرةً قالَ :

---

(١) أخرجه أبو يوسف في « الخراج » (ص ٣١) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٧٠٧٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٤٤٣٥) ، وابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١٨٧/١) ، والطبري في « تاريخ الأمم والملوك » (٥٤٧/٣ ـ ٥٥٠) كلُّهم بنحوه .

(٢) في هامش (أ) : (نسخة : علي) ، وهو الحسن بن غالب بن عليٍّ ، أبو عليٍّ ، المقرئ البغداديُّ ، المعروف بابن المبارك ، توفِّي (٤٥٨ هـ) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٤٠٨/٨ ـ ٤٠٩) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ج) : (عبيس) دون نقط الباء ، وفي (ب) : (عنيس) ، والمثبت موافق لما في « المشتبه » للذهبي (٤٣٩/٢) ، و« توضيح المشتبه » لابن ناصر الدين (١٤٣/٦) .

(٤) البيتان لجحظة البرمكي كما في « ديوانه » (ص ١٧٨) ، و« ديوان المعاني » لأبي هلال العسكري (١٠٠٦/٢) ، وقيل : لأحمد بن محمد البدجاني كما في « تاريخ دمشق » (٤٨٨/٥) .

(٥) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (٢٢١/٨) ، وانظر « وفيات الأعيان » (٢٧٦/٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٧/١٤) ، و« تاريخ ابن الوردي » (٣٨٨/١) .

سمعتُ الرَّئيسَ أبا الحسنِ ابنَ مسهرٍ المَوْصِليَّ يقولُ : بِتْنا ليلةً بالمَوْصِلِ ، عندَ الرَّئيسِ أبي الحسنِ بنِ العَيْنِ زَرْبيّ المَوْصِليّ[1] ، فلمَّا أصبحْنا . . وجدْناهُ واجماً مُنكسِراً ، فحثثْناهُ على النَّشاطِ ، والخروجِ إلىٰ بعضِ المُتنزَّهاتِ فامتنعَ ، فسأَلْناهُ عنِ السَّببِ ، فقالَ : أبياتٌ أنشدتُها البارحةَ في المَنامِ ؛ وهوَ أنِّي رأيتُ شخصاً قد أتاني مُسلِّماً ، فرددتُ عليهِ السَّلامَ ، وقلتُ : مَن تكونُ ؟ فقالَ : مَلَكُ الموتِ ، وأنا ضيفُكَ ، فما القِرىٰ ؟ قالَ : فكأنِّي نظمتُ في تلكَ الحالةِ هٰذَينِ البيتَينِ ؛ وهما : [من الطويل]

قَضَى ٱللهُ أَنْ أَقْضِي وَتُقْضَىٰ مَنِيَّتِي   وَلَمْ أَقْضِ فِي ٱلدُّنْيَا مُنَايَ وَمُنْيَتِي

فَلِلهِ ضَيْفٌ زَارَنِي فَقَرَيْتُهُ   حَيَاتِي فَوَلَّىٰ ظَاعِناً حِينَ وَلَّتِ

ثمَّ قالَ : وقد تفاءلتُ بهٰذا البيتِ ، فكأنِّي بي وقد قَرُبَ وقتي .

قالَ : فبينا هوَ علىٰ تلكَ الحالِ . . إذ وردَ عليهِ كتابُ مخدومِهِ مِنَ الثَّغرِ ؛ يستحثُّهُ علىٰ قصدِهِ إلى الخدمةِ ، واستصحابِ مَن تخلَّفَ مِنَ الأجنادِ معَهُ .

قالَ : فنهضَ ، وأوصىٰ لوقتِهِ إلىٰ بعضِ مَن حضرَ ، ثمَّ خرجَ مِن ليلتِهِ ، فلم يمضِ علىٰ هٰذهِ الحالةِ إلَّا نحوٌ مِن أسبوعٍ حتَّىٰ عادَ غلمانُهُ وأصحابُهُ [بهِ] ، وأخبروا أنَّ سهمَ غربٍ صادفَ مقتلَهُ فماتَ[2] .

٤٦٧ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا سعدٍ عبدَ العزيزِ بنَ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الحافظيَّ بالكَرْخِ مذاكرةً يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ المُبارَكِ اليمنيَّ الإمامَ يقولُ : كانَ الإمامُ أبو نصرٍ القُشَيريُّ[3] يُحِبُّ العزلةَ والانزواءَ ، فلمَّا صارَ مُقدَّماً . . احتاجَ إلى الخروجِ ، وحضورِ المحافلِ للتَّهاني والتَّعازي ، فخرجَ يوماً إلىٰ تعزيةِ بعضِ النَّاسِ ، وكانَ يوماً كثيرَ الوحلِ ، فأصابَ ثيابَهُ وتلوَّثَتْ .

فلمَّا رجعَ إلىٰ منزلِهِ . . نظرَ إليَّ ، وقالَ : [من مجزوء الكامل]

لَهفِي عَلَىٰ مَا كُنْتُ فِيـ   ـهِ مِنَ ٱلْفَرَاغَةِ وَٱلدَّعَةْ

---

(١) العَيْن زَرْبي : نسبة إلىٰ (عَيْن زَرْبة) ، وهي بلدة من ثغور الشَّام ، تقع نواحي المَصِّيصة . « معجم البلدان » (٤/١٧٧) .

(٢) أخرجه ابن العديم في « بغية الطلب » (١٠/٤٥٤٦) مختصراً ، وانظر « تاريخ دمشق » (٦٧/١٢٤) .

(٣) هو أبو نصر بن الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن ، القُشَيريُّ ، توفِّي سنة أربع عشرة وخمس مئة بنَيْسابور ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

قَـدْ كَـانَ قَـلْـبِـي سَـالِـيـاً فَـقَـلَـى ٱلـسُّـلُـوَّ وَوَدَّعَـهْ[1]

* * *

٤٦٨ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ سهلَ بنَ عبدِ الرَّحمـٰنِ السَّرَّاجَ بالطَّابَرانِ يقولُ[2] : سمعتُ أبا نصرٍ عبدَ الرَّحيمِ بنَ القُشَيريِّ يقولُ : سمعتُ والدي يقولُ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وعبدِ الرَّحيمِ ابنِ السَّمْعانيِّ ، عن أبي الأسعدِ هبةِ الرَّحمـٰنِ ابنِ الأستاذِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ القُشَيريِّ ، عن والدِهِ قالَ : ادعُ اللهَ ، وقلْ : أنتَ أخبرتَ بأنَّكَ تحولُ بينَ المرءِ وقلبِهِ ، فقلبي كما تعلمُ غافلٌ ، لا حكمَ لي عليهِ ، فابعثْ إليهِ مِن عَسْكَرِ التَّوفيقِ مَن يردُّهُ إليكَ .

قالَ : فإن فعلَ . . فهوَ الظَّنُّ بفضلِهِ ، وإن تكنِ الأُخرىٰ[3] : [من الطويل]

فَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ ٱلْغَضَا بِـأَوَّلِ رَاجِـي حَـاجَـةٍ لَا يَـنَـالُـهَـا

* * *

٤٦٩ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ الفُوشَنْجيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو عدنانَ عبدُ العزيزِ بنُ صالحِ بنِ المُظفَّرِ الصُّوفيُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ المُبارَكِ الحافظُ ، سمعتُ أبا الحسنِ الخليلَ بنَ محمَّدِ بنِ الخليلِ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمَّدِ بنِ نُصَيرٍ الخُلْديَّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الجُنَيدَ بنَ محمَّدٍ يقولُ : (مَن هَمَّ بذنبٍ لم يفعلْهُ . . بُلِيَ بهَمٍّ لم يعرفْهُ)[4]

نُكْتَةٌ

[في ذمِّ القُرَّاءِ المُرائينَ]

٤٧٠ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ الصُّوفيُّ ، أنا أبو يعلىٰ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ العَبْديُّ المالكيُّ بالبصرةِ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ بنِ بلالٍ ، ثنا بشرُ بنُ معروفٍ القرشيُّ ، ثنا عليُّ بنُ محمَّدٍ الهاشميُّ ، ثنا عليُّ ابنُ زنجويهِ الدِّينَوَريُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ عمرٍو ، أنا العوَّامُ بنُ حَوْشَبٍ ، عن مجاهدٍ قالَ : انطلقَ غلامٌ مِن

---

(١) ذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٥٤٨) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٢) الطَّابَران : إحدىٰ مدينتي طُوس ، وهي أكبرهما . « معجم البلدان » (٤/٣) .

(٣) البيت لأبي القمقام الفقعسي كما في « الزهرة » لأبي بكر الأصفهاني (١/٣٨٠) .

(٤) أخرجه ابن الجوزي في « التبصرة » (١/١٥٠) .

بني إسرائيلَ بفخٍّ ، فنصبَهُ مُنتبذاً عنِ الطَّريقِ ، فجاءَ عصفورٌ فوقعَ قريباً منهُ ، وأنطقَ اللهُ العصفورَ ، وأفهمَ الفخَّ ، فقالَ العصفورُ : ما لي أراكَ مُنتبذاً عنِ الطَّريقِ ؟ قالَ : اعتزلتُ شرورَ النَّاسِ .

قالَ : فما لي أراكَ نحيفَ الجسمِ ؟ قالَ : أنهكَتْنيَ العبادةُ .

قالَ : فما هٰذهِ الحَبَّةُ في فِيكَ ؟ قالَ : أرصدُ بها مسكيناً أوِ ابنَ السَّبيلِ .

قالَ : فأنا مسكينٌ وابنُ السَّبيلِ ، قالَ : فدونَكَها .

قالَ : فوثبَ العصفورُ ليأخذَها ، فوثبَ الفخُّ فوقعَ في عنقِهِ ، فجعلَ العصفورُ يقولُ : عِقْ عِقْ ، وعزَّةِ ربِّي ؛ لا غرَّني بعدَها قارئٌ مُراءٍ أبداً .

قالَ مجاهدٌ : فهٰذا مثلُ قُرَّاءٍ مُرائينَ يكونونَ [في] آخِرِ الزَّمانِ (١)

نُكتةٌ

[في طلبِ الحاجةِ إلى الأراذلِ]

٤٧١ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحيمِ بنُ عليٍّ الأصبهانيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ الحافظُ لفظاً قالَ : ذكرَ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ روحٍ العدلُ : أنَّ محمَّدَ بنَ عليٍّ الجمَّالَ حدَّثَهُم ، ثنا الفضلُ بنُ سهلٍ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ ابنُ الجارودِ ، ثنا المُزَنيُّ ، ثنا الشَّافعيُّ رحمَهُ اللهُ قالَ : (أكلُ التُّرابِ على المزابلِ أهونُ مِن طلبِ الحوائجِ إلى الأراذلِ) .

٤٧٢ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ ابنِ المُهتدي باللهِ الخطيبُ بقراءتي عليهِ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ بالمُحوَّلِ مِن لفظِهِ ، أنا الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ الخالعُ الرَّافِقيُّ بقراءةِ الصُّوريِّ عليهِ (٢) ، أنا أبو القاسمِ سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ أيُّوبَ الطَّبرانيُّ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ يحيىٰ ثعلبٌ ، عنِ ابنِ الأعرابيِّ قالَ : قالَ عمرُو بنُ العاصي [رضيَ اللهُ عنهُ] لعبدِ اللهِ ابنِهِ : (يا بُنَيَّ ؛ سلطانٌ عادلٌ خيرٌ مِن مطرٍ وابلٍ ، وأسدٌ حَطومٌ خيرٌ مِن سلطانٍ ظَلومٍ ، وسلطانٌ غَشومٌ ظَلومٌ خيرٌ مِن فتنةٍ تدومُ .

---

(١) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٢٤٦) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٣٣٠) بنحوه ، وذكره ياقوت في « معجم الأدباء » (٦/٢٩٧) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٢) الرَّافِقي : نسبة إلى (الرَّافِقة) ، وهي بلدة كبيرة على الفُرات ، يقال عنها اليوم : الرَّقَّة . « الأنساب » (٣/٢٨) .

يا بُنَيَّ ؛ زلَّةُ الرِّجْلِ عظمٌ يُجبَرُ ، وزلَّةُ السُّلطانِ[1] لا تُبقي ولا تذرُ .

يا بُنَيَّ ؛ استراحَ مَن لا عقلَ لهُ) ، فأرسلَها مثلاً[2]

نُكْتَةٌ

[في موعظةِ يحيى البَرْمَكيّ لابنِهِ]

٤٧٣ ـ وبهِ إلى الحسينِ بنِ محمَّدِ بنِ جعفرٍ قالَ : أنا عمِّي أبو عمرٍو عثمانُ بنُ جعفرٍ الجَواليقيُّ ، أنا أبو مُقاتِلٍ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ أحمدَ بنِ مجاشعٍ ، ثنا سعيدُ بنُ العبَّاسِ الخُرْسيُّ ، ثنا الجاحظُ عمرُو بنُ بحرٍ قالَ : قالَ جعفرُ بنُ يحيى البَرْمَكيُّ لأميرِ المؤمنينَ هارونَ الرَّشيدِ : (يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قالَ لي أبي يحيىٰ : إذا أقبلَتِ الدُّنيا عليكَ . . فأَعطِ ؛ فإنَّها لا تفنىٰ ، وإذا أدبرَتْ عنكَ . . فأَعطِ ؛ فإنَّها لا تبقىٰ)[3]

قالَ جعفرٌ : وأنشدَنا أبي[4] : [من البسيط]

لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهْيَ مُقْبِلَةٌ ... فَلَيْسَ يُنْقِصُهَا ٱلتَّبْذِيرُ وَٱلسَّرَفُ

وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَىٰ أَنْ تَجُودَ بِهَا ... فَٱلْحَمْدُ مِنْهَا إِذَا مَا أَدْبَرَتْ خَلَفُ[5]

نُكْتَةٌ

[في الصَّبرِ على الظُّلمِ]

٤٧٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ الفَسَويُّ في كتابِهِ إليَّ ، أنا أبو المعالي عبدُ الملكِ بنُ عبدِ اللهِ الجُوَينيُّ ، أنا أبو سعدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ حمدانَ

---

(١) في هامش (أ ، ج) : (كأنَّه : اللِّسان) ، وهو ما في مصادر التخريج .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٣/٤٦ ـ ١٨٤) ، وانظر « الفاخر » للمفضل بن سلمة (ص ٥٢) ، و« تاريخ اليعقوبي » (٢١١/٢) ، و« جمهرة الأمثال » لأبي هلال العسكري (١٤٧/١) ، و« البصائر والذخائر » للتوحيدي (٩٩/٥) ، و« نثر الدر » للآبي (٨٤/٢) .

(٣) القول ليحيى البرمكي في « تاريخ بغداد » (١٣٦/١٤) ، و« المنتظم » (٥٤٦/٥) ، وقيل : لبزرجمهر كما في « العقد الفريد » (٢٢٨/١) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٢١٦٩) ، وقيل غير ذٰلك .

(٤) البيتان لخلف بن خليفة في « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٣٧/٣) ، وقيل : لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في « ديوانه » (ص ١٨٠) ، وقيل : للخثعمي كما في « التذكرة الحمدونية » (٢٦٨/٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٨٨/٧) ، وقيل غير ذٰلك .

(٥) انظر القول مع الأبيات في « تاريخ دمشق » (١٧٥/٧٢) .

العدلُ ، أنا عمرُ بنُ أحمدَ الواعظُ ، ثنا شعيبُ بنُ محمَّدٍ الذَّارعُ ، حدَّثَني يحيى بنُ نُعَيمٍ قالَ : لمَّا أُخرِجَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ إلى المُعتصِمِ يومَ ضُرِبَ . . قالَ لهُ العَوْنُ المُوكَّلُ بهِ : ادعُ علىٰ ظالمِكَ ، قالَ : ليسَ بصابرٍ مَن دعا علىٰ ظالمٍ (١)

نُكْتَةٌ

[في الموتِ وأشدَّ منهُ]

٤٧٥ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الفتحِ خُسرو بنَ حمزةَ الشَّيْبانيَّ يقولُ : سمعتُ القاضيَ أبا القاسمِ عبدَ الملكِ ابنَ المُعافىٰ بقَزْوِينَ يقولُ : قيلَ لرجلٍ مِنَ العلماءِ : ما الموتُ ؟ قالَ : سؤالُ الرِّجالِ .

فقيلَ لهُ : فهل شيءٌ أشدُّ منهُ ؟ قالَ : معاشرةُ النَّاسِ .

٤٧٦ ـ وبهِ إلىٰ عبدِ الملكِ ابنِ المُعافىٰ قالَ : (في تقلُّبِ الأحوالِ علمُ جواهرِ الرِّجالِ) (٢)

٤٧٧ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ الملكِ بنُ أبي القاسمِ البَزَّازُ بقراءتي عليهِ ، أنا الإمامُ أبو إسماعيلَ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الأنصاريُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ السِّيرجانيُّ (٣) ، أنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ الصَّائغُ ببَلْخَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ [أحمدَ] (٤) المُستملي ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ النَّهْروانيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنِ الأشقرِ ، سمعتُ الفضلَ بنَ زيادٍ يقولُ : سمعتُ أحمدَ ابنَ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما أحدٌ أمسكَ في يدِهِ محبرةً وقلماً إلَّا وللشَّافعيِّ في عنقِهِ منَّةٌ) (٥)

---

(١) أخرجه ابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (٥٤١/٢) ، وابن الجوزي في « مناقب الإمام أحمد ابن حنبل » (ص ٤١٣ ـ ٤١٤) ، وانظر « الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٦٢٠/١) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني في « المنتخب من معجم شيوخه » (٧٨٣/٢) ، وانظر « المجتنىٰ » لابن دريد (ص ٥٨) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢٥٢/١) وفيهما عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقيل غير ذٰلك .

(٣) **السِّيرجاني** : نسبة إلىٰ (سِيرجان) ، وهي مدينة بين كِرْمان وفارس . « معجم البلدان » (٢٩٥/٣) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (محمد) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٢٨٧/٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٨٩/٢٦) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (١٠٦٥) .

(٥) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢٥٥/٢) ، والخطيب البغدادي في « مسألة الاحتجاج بالشافعي » (ص ٤٠) ، وابن عبد البر في « الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء » (ص ١٢٨ ـ ١٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٩/٥١) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (١١٧٠/٣) .

حكاية

[في توبةِ نبَّاشٍ]

٤٧٨ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو الفضلِ التَّميميُّ إملاءً بأَسَداباذَ مِن أصلِهِ ، أنا إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الأصبهانيُّ المُحتسِبُ بجَرْباذْقانَ [١] ، أنا عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ ابنِ فاذويهِ ، أنا أبو الشَّيخِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرِ بنِ حيَّانَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ ، ثنا أبو موسىٰ عمرانُ بنُ موسىٰ ، ثنا هارونُ بنُ زيادٍ المَصِّيصيُّ ، ثنا أبو إسحاقَ الفَزاريُّ قالَ : كانَ رجلٌ نبَّاشٌ يُكثِرُ الجلوسَ إلينا ، ونصفُ وجهِهِ مُغطّىً ، فقلتُ لهُ : إنَّكَ تُكثِرُ الجلوسَ إلينا ، ونصفُ وجهِكَ مُغطّىً ، أَطلِعْني عليها .

قالَ : تُعطِيني الأمانَ ؟ قلتُ : نعم .

قالَ : كنتُ نبَّاشاً ، فدُفِنَتِ امرأةٌ ، فأتيتُ قبرَها ، فنبشتُ حتَّىٰ وصلتُ إلى اللَّبِنِ ، ثمَّ رفعتُ اللَّبِنَ ، فضربتُ يدي إلى الرِّداءِ ، ثمَّ ضربتُ يدي إلى اللِّفافةِ ، فمددتُ ، وجعلَتْ تمدُّ هيَ أيضاً .

فقلتُ : أتُراها تغلبُني ؟ فجثيتُ علىٰ رُكبتَيَّ ، فمددتُ ، فرفعَتْ يدَها فلطمَتْني ، فكشفَ وجهَهُ ؛ فإذا أثرُ خمسِ أصابعَ في وجهِهِ .

فقلتُ : ثمَّ مَهْ ؟ قالَ : ثمَّ رددتُ عليها لِفافتَها وإزارَها ، ثمَّ رددتُ التُّرابَ ، وجعلتُ علىٰ نفسي أَنْ لا أنبشُ ما عشتُ .

قالَ : فكتبتُ ذٰلكَ إلى الأَوْزاعيِّ ، فكتبَ إليَّ الأَوْزاعيُّ : (ويحَكَ !! سَلْهُ عمَّن ماتَ مِن أهلِ التَّوحيدِ وكانَ وُجِّهَ إلى القِبْلةِ ، أحُوِّلَ وجهُهُ أم تُرِكَ وجهُهُ إلى القِبْلةِ ؟) .

قالَ : فجاءَني ، فقلتُ لهُ : أَخبِرْني عمَّن ماتَ مِن أهلِ الإسلامِ ، تُرِكَ وجهُهُ علىٰ ما كانَ أم لا ؟ قالَ : فقالَ : أكثرُ ذٰلكَ حُوِّلَ وجهُهُ عنِ القِبْلةِ .

فكتبتُ بذٰلكَ إلى الأَوْزاعيِّ ، فكتبَ إليَّ : (إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ؛ ثلاثَ مرَّاتٍ ، أمَّا مَن حُوِّلَ وجهُهُ عنِ القِبْلةِ . . فإنَّهُ ماتَ علىٰ غيرِ السُّنَّةِ) [٢]

---

(١) جَرْباذْقان : هي بلدة كبيرة قريبة من هَمَذان ، تقع بين أصبهان والكَرَج ، أو : بلدة من نواحي طَبَرستان ، تقع بين إسْتِراباذ وجُرْجان . « معجم البلدان » (٢/١١٨) .

(٢) أخرجه ابن قدامة في « كتاب التوابين » (ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥) .

نُكْتَةٌ

[في آياتٍ اكتفىٰ بهنَّ عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ من جميعِ الخلائقِ]

٤٧٩ ـ وأنبأَني مَن تقدَّمَ ذِكْرُهُم [(١)] ، عن عبدِ المُعزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ عبدُ الكريمِ السَّمْعانيُّ قالَ [(٢)] : ثنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمشٍ الزِّياديُّ بنَيْسابورَ إملاءً ، أنا حاجبُ بنُ أحمدَ الطُّوسيُّ ، ثنا عبدُ الرَّحيمِ بنُ مُنيبٍ ، ثنا مُعاذُ بنُ خالدٍ ، ثنا صالحٌ المُرِّيُّ ، عن سعيدٍ الرَّبَعيُّ ، عن عامرِ بنِ عبدِ قيسٍ أنَّهُ كانَ يقولُ : (ثلاثُ آياتٍ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ اكتفيتُ بهِنَّ مِن جميعِ الخلائقِ :

أُولاهُنَّ : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ . . . ﴾ الآيةَ [(٣)]

والآيةُ الثَّانيةُ : ﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا . . . ﴾ الآيةَ [(٤)]

والثَّالثةُ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا . . . ﴾ الآيةَ) [(٥)]

نُكْتَةٌ

[في دعاءِ سيِّدِنا أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا مُدِحَ]

٤٨٠ ـ وأنبؤوني عن عبدِ المُعزِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عبدِ الملكِ الخَلَّالُ بأصبهانَ ، أنا أبو الفتحِ عبدُ الجبَّارِ ابنُ بُرزةَ الرَّازيُّ ، ثنا أبو سعدٍ عبدُ الملكِ بنُ أبي عثمانَ الواعظُ ، ثنا أبو مسلمٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ الكاتبُ بمصرَ ، ثنا

---

(١) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

(٢) كذا في (أ ، ب ، ج) ، والسَّند منقطع بين أبي سعد السَّمْعانيِّ (ت ٥٦٢ هـ) وأبي طاهر ابن محمش (ت ٤١٠ هـ) ، وعندما يروي أبو سعد السَّمْعانيُّ في « المنتخب من معجم شيوخه » عن ابن محمش (١/٢٤٤ ، ٣٨٠) . . يذكر بينه وبين ابن محمش رجلين ، وقد جاء سند هٰذا الخبر متَّصلاً عند ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥/٢٦ ـ ٣٦) قال : (أخبرَنا أبو المحاسنِ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ محمَّدِ بنِ أبي نصرٍ ، وأبو الفتوحِ عبدُ الصَّمدِ بنُ المُظفَّرِ بنِ محمَّدٍ الطَّبَسيَّانِ قالا : أنا أبو الفضلِ محمَّدُ ابنُ أبي جعفرٍ الطَّبَسيُّ قالا : أنا أبو طاهرٍ ابنُ محمشٍ . . .) ، وقد نصَّ أبو سعد السَّمْعانيُّ في « الأنساب » (٤/٤٨) علىٰ سماعه من عبد الرَّزَّاق بن محمَّد الطَّبَسيِّ ، عن محمَّد ابن أبي جعفر الطَّبَسيِّ ، وبهٰذا يكون السَّند قد اتَّصل ، والله أعلم .

(٣) سورة يونس ﷺ : (١٠٧) . (٤) سورة فاطر : (٢) .

(٥) أخرجه أبو عبيد بن سلام في « فضائل القرآن » (٥٤٣) ، وابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (٨٨) ، والسمرقندي في « بحر العلوم » (٢/١١٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٢٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥/٢٦ ـ ٣٦) ، والآية من سورة (هود ﷺ) : (٦) .

أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، أنا أبو حاتمٍ ، عنِ الأصمعيِّ : (كانَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا مُدِحَ . . قالَ : « اللَّهُمَّ ؛ أنتَ أعلمُ بي مِن نفسي ، وأنا أعلمُ بنفسي منهُم .

اللَّهُمَّ ؛ اجعلْني خيراً ممَّا يحسبونَ ، واغفرْ لي ما لا يعلمونَ ، ولا تُؤاخِذْني بما يقولونَ ») (١)

حكاية

[في سببِ إحرامِ المنصورِ قبلَ وفاتِهِ]

٤٨١ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا عبدُ الجبَّارِ بنُ أحمدَ الأَسَديُّ بقراءتي عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ ابنِ عبدِ العزيزِ النَّديمُ قراءةً عليهِ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ موسى بنِ القاسمِ بنِ الصَّلتِ المُجبِّرُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ ابنِ بشَّارٍ الأنباريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ المُقدَّميُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ التَّميميُّ ، ثنا منصورُ بنُ أبي مزاحمٍ ، ثنا أبو سهلٍ الحاسبُ ، حدَّثَني طيفورٌ قالَ : كانَ سببُ إحرامِ المنصورِ مِن خضراءِ مدينةِ السَّلامِ . . أنَّهُ نامَ ليلةً فانتبهَ فزعاً ، ثمَّ عاودَ النَّومَ فانتبهَ فزعاً ، ثمَّ راجعَ النَّومَ فانتبهَ فزعاً ، فقالَ : يا ربيعُ ، فقالَ : لبَّيكَ يا أميرَ المؤمنينَ .

قالَ : لقد رأيتُ في مَنامي عجباً ، قالَ : ما رأيتَ ؟ جعلَني اللهُ فداءَكَ يا أميرَ المؤمنينَ .

قالَ : رأيتُ كأنَّ آتياً أتاني ، فهَيْنَمَ بشيءٍ لم أفهمْهُ ، فانتبهتُ فزعاً ، ثمَّ عاودتُ النَّومَ ، فعاودَني يقولُ ذٰلكَ الشَّيءَ ، ثمَّ عاودَني بقولِهِ حتَّىٰ حفظتُهُ وفهمتُهُ ؛ وهوَ : [من الطويل]

كَأَنِّي بِهَـٰذَا ٱلْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ ... وَعُرِّيَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهْ

وَصَارَ رَئِيسُ ٱلْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ ... إِلَىٰ جَدَثٍ تُبْنَىٰ عَلَيْهِ جَنَادِلُهْ

وما أحسبُني يا ربيعُ إلَّا قد حانَتْ وفاتي ، وحضرَ أجلي ، وما لي غيرُ ربِّي ، قُمْ فاجعلْ لي غِسْلاً ، ففعلتُ ، فقامَ فاغتسلَ ، وصلَّىٰ ركعتَينِ ، وقالَ : أنا عازمٌ على الحجِّ ، فهيَّأْنا [لهُ] آلةَ الحجِّ ، فخرجَ ـ يعني : إلى الحجِّ ـ وخرجْنا (٢)

---

(١) أخرجه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/٢٧٦) ، وابن دريد في « المجتنىٰ » (ص ٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/٣٣١ ـ ٣٣٢) ، وابن الأثير في « أسد الغابة » (٣/٣٢٥) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٩/٤٠٠٥) .

(٢) أخرجه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/٣١٠ ـ ٣١١) بنحوه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » ←

ورويْنا هٰذا عن جماعةٍ بالإجازةِ ؛ منهُم : أبو اليُمنِ الكِنْديُّ ، وغيرُهُ ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ ، أنا أبو الحسينِ ابنُ النَّقُّورِ قالَ : أنا أبو [الحسنِ] [1] المُجبِّرُ . . . فذكرَهُ بنحوِهِ .

حِكَايَةٌ

[مِن عجائبِ جهلِ العوامِّ]

٤٨٢ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : سمعتُ أبا يعلى بنَ أبي خازمِ بنِ أبي يعلى ابنَ الفَرَّاءِ الفقيهَ الحنبليَّ يومَ خرجْنا للصَّلاةِ علىٰ شيخِنا أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، ورأى ازدحامَ العوامِّ لحملِ الجِنازةِ . . فقالَ : العوامُّ فيهِم جهلٌ عظيمٌ ؛ سمعتُ أنَّ في اليومِ الَّذي ماتَ فيهِ الشَّريفُ أبو جعفرِ بنُ أبي موسىٰ رحمَهُ اللهُ حملوهُ ودفنوهُ في قبرِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، وما قدرَ أحدٌ أن يقولَ لهُم : لا تنبشوا قبرَ الإمامِ ، وادفنوهُ بجنبِهِ .

فقالَ أبو محمَّدٍ التَّميميُّ مِن بينِ الجماعةِ : كيفَ تدفنونَهُ في قبرِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ وبنتُ أحمدَ مدفونةٌ معَهُ في القبرِ ؟! فإن جازَ دفنُهُ معَ الإمامِ . . لا يجوزُ دفنُهُ معَ بنتِهِ !!

فقالَ بعضُ العوامِّ : اسكتْ فقد زوَّجْنا بنتَ أحمدَ مِنَ الشَّريفِ أبي جعفرٍ !! فسكتَ التَّميميُّ وقالَ : ليسَ ذا يومَ الكلامِ [2]

ذكرَ لي أبو يعلى ابنُ الفَرَّاءِ هٰذا أو معناهُ ؛ فإنِّي كتبتُهُ مِن حفظي .

حِكَايَةٌ

[يُسائِلُني عن عِلَّتي وهوَ عِلَّتي]

٤٨٣ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا [عبدُ الخالقِ] [3] ابنُ البَدَنِ النَّحَّاسُ ، أنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ السِّمنانيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ موسى ابنِ الصَّلتِ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ ابنِ بشَّارٍ الأنباريُّ ، حدَّثَنِي ابنُ المَرْزُبانِ ، ثنا محمَّدُ بنُ هارونَ

(٣٢/٣٤٠ ـ ٣٤١) مطوَّلاً ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٦٧ ـ ٢٦٨) مطوَّلاً ، وانظر « سراج الملوك » للطرطوشي (ص ١١٠ ـ ١١١) .

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (القاسم) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢٨/١٠٩) ، وقد تقدم على الصواب في بداية الخبر .

(٢) ذكره ابن رجب الحنبلي في « الذيل علىٰ طبقات الحنابلة » (١/٤٦) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الحق) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣٦/٤٦٥) .

المُقرئُ ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ راشدٍ قالَ : علقَتْ فتاةٌ مِنَ العربِ فتىً مِن قومِها ، وكانَ الفتىٰ عاقلاً فاضلاً ، فجعلَتْ تُكثِرُ التَّردُّدَ إليهِ ؛ تسألُهُ عن أمورٍ مِن أمورِ الدُّنيا ، وما في قلبِها إلَّا النَّظرُ إليهِ ، واستماعُ كلامِهِ .

فلمَّا طالَ ذٰلكَ عليها . . مرضَتْ وتغيَّرَتْ ، واحتالَتْ في أن خلا لها وجهُهُ وقتاً ، فعرَّضَتْ لهُ ببعضِ الأمرِ ، فصرفَها ودفعَها عنهُ ، فتزايدَ المرضُ بها حتَّىٰ سقطَتْ على الفراشِ .

فقالَتْ لهُ أُمُّهُ : إنَّ فلانةَ قد مرضَتْ ، ولها علينا حقٌّ ، قالَ : فعوديها ، وقولي لها : يقولُ لكِ : ما خبرُكِ ؟

فصارَتْ إليها أُمُّهُ ، فقالَتْ لها : ما بكِ ؟ قالَتْ : وجعٌ في فؤادي هوَ أصلُ عِلَّتي .

قالَتْ : فإنَّ ابني يقولُ لكِ : ما عِلَّتُكِ ؟ فتنفَّسَتِ الصُّعَداءَ ، وقالَتْ : [من الطويل]

يُسَائِلُنِي عَنْ عِلَّتِي وَهْوَ عِلَّتِي ... عَجِبْتُ مِنَ ٱلْإِنْبَاءِ جَاءَ بِهِ ٱلْخَبَرْ [1]

فانصرفَتْ أُمُّهُ إليهِ ، فأخبرَتْهُ ، وقالَتْ لهُ : قد كنتُ أُحِبُّ أن تسألَها المصيرَ إلينا ؛ لنقضيَ حقَّها ، ونليَ خدمتَها .

قالَ : فسليها ذٰلكَ ، قالَتْ : قد أردتُ أن أفعلَهُ ، ولٰكنْ أحببتُ أن يكونَ علىٰ رأيِكَ ، فمضَتْ إليها فذكرَتْ لها ذٰلكَ عنهُ ، فبكَتْ وقالَتْ : [من الطويل]

يُبَاعِدُنِي مِنْ قُرْبِهِ وَلِقَائِهِ ... فَلَمَّا أَذَابَ ٱلْجِسْمَ مِنِّي تَعَطَّفَا

فَلَسْتُ بِآتٍ مَوْضِعاً فِيهِ قَاتِلِي ... كَفَىٰ بِي سَقَاماً أَنْ أَمُوتَ كَذَا كَفَىٰ

فألحَّتْ عليها فأبَتْ ، وترامَتْ بها العِلَّةُ ، وتزايدَ المرضُ حتَّىٰ ماتَتْ [2]

حكاية

[الشُّعراءُ علىٰ بابِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ]

٤٨٤ ـ وأُنبِئتُ كما تقدَّمَ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي المُظفَّرِ السَّمْعانيِّ [3] ،

---

(١) في مصادر التخريج : (عَجِيبٌ مِنَ ٱلْأَنْبَاءِ جَاءَ بِهِ ٱلْخَبَرْ) ، وهو أحسن .

(٢) أخرجه السراج القارئ في « مصارع العشاق » (٢/١٠٨ ـ ١٠٩) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٧٢٢) .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٢٥٦) .

عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا أبو الفضلِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ أميرويهِ الأديبُ بكِرْمانَ ، ثنا أبو الفضلِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ الرَّازيُّ المُقرئُ ، أنا أبو حازمٍ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الحافظُ قراءةً عليهِ ، وأبي ؛ أحمدُ بنُ الحسنِ الرَّازيُّ إجازةً قالا : ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ الإسماعيليُّ الفقيهُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ خلفٍ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ زكريَّا البصريُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ الضَّحَّاكِ ، ثنا الهيثمُ بنُ عديٍّ ، عن عوانةَ قالَ : لمَّا استُخلِفَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ . . وفدَ عليهِ الشُّعراءُ ، فأقاموا ببابِهِ أيَّاماً لا يُؤذَنُ لهُم ، فبينا هم كذٰلكَ يوماً وقد أزمعوا الرُّجوعَ . . إذ مرَّ بهِم رجاءُ بنُ حَيْوَةَ ، وكانَ مِن خطباءِ أهلِ الشَّامِ ، فلمَّا رآهُ جريرٌ داخلاً علىٰ عمرَ . . أنشأَ يقولُ : [من البسيط]

يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْمُرْخِي عِمَامَتَهُ ... هَٰذَا زَمَانُكَ فَٱسْتَأْذِنْ لَنَا عُمَرَا

قالَ : فدخلَ ولم يذكرْ مِن أمرِهِم شيئاً ، ومرَّ بهِم عديُّ بنُ أرطاةَ ، فقالَ لهُ جريرٌ[1] :

يَا أَيُّهَا ٱلرَّاكِبُ ٱلْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ ... هَٰذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَىٰ زَمَنِي

أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ ... أَنِّي لَدَى ٱلْبَابِ كَٱلْمَصْفُودِ فِي قَرَنِ

لَا تَنْسَ حَاجَتَنَا لُقِّيتَ مَغْفِرَةً ... قَدْ طَالَ مُكْثِيَ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

قالَ : فدخلَ عديٌّ علىٰ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ الشُّعراءُ ببابِكَ ، وسِهامُهُم مسمومةٌ ، وأقوالُهُم نافذةٌ .

فقالَ : ويحَكَ يا عديُّ ؛ ما لي وللشُّعراءِ ؟!

فقالَ : أعزَّ اللهُ أميرَ المؤمنينَ ، إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قدِ امتُدِحَ فأعطىٰ ، ولكَ في ذٰلكَ أُسوةٌ .

فقالَ : كيفَ ؟ قالَ : امتدحَهُ عبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَميُّ ، فأعطاهُ حُلَّةً قطعَ بها لسانَهُ .

فقالَ : وتروي مِن قولِهِ شيئاً ؟ قالَ : نعم ، فأنشدَهُ[2] : [من الطويل]

رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ ٱلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... نَشَرْتَ كِتَاباً جَاءَ بِٱلْحَقِّ مُعْلِمَا

شَرَعْتَ لَنَا دِينَ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ جَوْرِنَا ... عَنِ ٱلْحَقِّ لَمَّا أَصْبَحَ ٱلْحَقُّ مُظْلِمَا

---

(١) انظر « ديوانه » (ص ٤٨٦) ط . دار بيروت .

(٢) انظر « ديوانه » (ص ١٤٥) عدا البيتين الثاني والخامس .

وَنَــوَّرْتَ بِــٱلْــبُــرْهَــانِ أَمْــراً مُــدَنَّــســاً　　وَأَطْــفَــأْتَ بِــٱلْــبُــرْهَــانِ نَــاراً مُــضَــرَّمَــا
فَــمَــنْ مُــبْــلِــغٌ عَــنِّــي ٱلــنَّــبِــيَّ مُــحَــمَّــداً　　وَكُــلُّ ٱمْــرِئٍ يُــجْــزَىٰ بِــمَــا قَــدْ تَــكَــلَّــمَــا
أَقَمْتَ سَبِيلَ ٱلْحَقِّ بَعْدَ ٱعْوِجَاجِهَا　　وَكَــانَ قَــدِيــمــاً رُكْــنُــهُ قَــدْ تَــهَــدَّمَــا
تَــعَــالَــىٰ عُــلُــوّاً فَــوْقَ عَــرْشٍ إِلَــٰهُــنَــا　　وَكَــانَ مَــكَــانُ ٱللهِ أَعْــلَــىٰ وَأَعْــظَــمَــا

قالَ : ويحَكَ يا عديُّ ؛ ومَن بالبابِ منهُم ؟ قالَ : عمرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي ربيعةَ ، قالَ : أليسَ الَّذي يقولُ[1] : [من الخفيف]

ثُــمَّ نَــبَّــهْــتُــهَــا فَــهَــبَّــتْ كَــعَــابــاً　　طَــفْــلَــةً مَــا تُــبِــيــنُ رَجْــعَ ٱلْــكَــلَامِ
سَــاعَــةً ثُــمَّ إِنَّــهَــا بَــعْــدُ قَــالَــتْ :　　وَيْــلَــتَــا قَــدْ عَــجِــلْــتَ يَــا بْــنَ ٱلْــكِــرَامِ
أَعَــلَــىٰ غَــيْــرِ مَــوْعِــدٍ جِــئْــتَ تَــسْــرِي　　تَــتَــخَــطَّــىٰ إِلَــىٰ رُؤُوسِ ٱلــنِّــيَــامِ ؟
مَــا تَــجَــشَّــمْــتُ مَــا تَــرَيْــنَ مِــنَ ٱلْأَمْــ　　ــرِ وَلَا جِــئْــتُ طَــالِــبــاً لِــخِــصَــامِ

فلو كانَ إذ فَجَرَ كتمَ علىٰ نفسِهِ !! لا يدخلُ عليَّ ـ واللهِ ـ أبداً ، فمَن بالبابِ سِواهُ ؟ قالَ : همَّامُ بنُ غالبٍ ؛ يعني : الفَرَزْدَقَ ، قالَ : أَوَليسَ هوَ الَّذي يقولُ[2] : [من الطويل]

هُــمَــا دَلَّــتَــانِــي مِــنْ ثَــمَــانِــيــنَ قَــامَــةً　　كَــمَــا ٱنْــقَــضَّ بَــازٍ أَرْثَــمُ ٱلــرِّيــشِ كَــاسِــرُهْ
فَــلَــمَّــا ٱسْــتَــوَتْ رِجْــلَايَ بِــٱلْأَرْضِ قَــالَــتَــا :　　أَحَــيٌّ يُــرَجَّــىٰ أَمْ قَــتِــيــلٌ نُــحَــاذِرُهْ

لا يطأُ ـ واللهِ ـ بساطي أبداً ، فمَن سِواهُ بالبابِ منهُم ؟ قالَ : الأخطلُ ، قالَ : يا عديُّ ؛ أليسَ هوَ الَّذي يقولُ[3] : [من الوافر]

وَلَــسْــتُ بِــصَــائِــمٍ رَمَــضَــانَ طَــوْعــاً　　وَلَــسْــتُ بِــآكِــلٍ لَــحْــمَ ٱلْأَضَــاحِــي
وَلَــسْــتُ بِــزَاجِــرٍ عَــنْــســاً بَــكُــوراً　　إِلَــىٰ بَــطْــحَــاءِ مَــكَّــةَ لِــلــنَّــجَــاحِ[4]
وَلَــسْــتُ بِــزَائِــرٍ بَــيْــتــاً بَــعِــيــداً　　بِــمَــكَّــةَ أَبْــتَــغِــي فِــيــهِ صَــلَاحِــي
وَلَــسْــتُ بِــقَــائِــمٍ كَــٱلْــعَــيْــرِ يَــدْعُــو　　قُــبَــيْــلَ ٱلــصُّــبْــحِ : حَــيَّ عَــلَــى ٱلْــفَــلَاحِ

---

(١) انظر « ديوانه » (ص ٣٥٦) عدا البيتين الأخيرين .
(٢) انظر « ديوانه » (١/٣٥٨ ـ ٣٥٩) .
(٣) انظر « ديوانه » (ص ٥٨) عدا البيت الثالث .
(٤) العَنْس : النَّاقة القويَّة .

وَلَـٰكِـنِّـي سَـأَشْـرَبُـهَـا شَـمُـولاً وَأَسْـجُـدُ عِـنْـدَ مُـنْـبَـلَـجِ ٱلـصَّـبَـاحِ

واللهِ ؛ لا يدخلُ عليَّ وهوَ كافرٌ أبداً ، فهل بالبابِ سوىٰ مَن ذكرتَ ؟ قالَ : نعم ، الأحوصُ ، قالَ : أَوَليسَ الَّذي يقولُ ـ وقد أفسدَ علىٰ رجلٍ مِن أهلِ المدينةِ جاريتَهُ حتَّىٰ هربَ بها منهُ ـ[1] : [من المنسرح]

اَللهُ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَ سَـيِّـدِهَـا يَـفِـرُّ مِـنِّـي بِـهَـا وَأَتْـبَـعُـهُ

غَرِّبْ عنهُ ، فما هوَ بدونِ مَن ذكرتَ ، فمَن ها هنا ؟ قال : جميلُ ابنُ معمرٍ ، قالَ : يا عديُّ ؛ هوَ الَّذي يقولُ[2] : [من الطويل]

أَلَا لَـيْـتَـنَـا كُـنَّـا جَـمِـيـعـاً وَإِنْ نَـمُـتْ يُـوَافِقْ فِي ٱلْمَوْتَىٰ ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا

فَـمَـا أَنَـا فِـي طُولِ ٱلْـحَـيَـاةِ بِـرَاغِـبٍ إِذَا قِيلَ قَدْ سَوَّىٰ عَلَيْهَا صَفِيحُهَا

فلو كانَ عدوُّ اللهِ تمنَّىٰ لقاءَها في الدُّنيا فيعملَ بعدَ ذٰلكَ صالحاً !! واللهِ ؛ لا يدخلُ عليَّ أبداً .

فهل سوىٰ مَن ذكرتَ أحدٌ ؟ قالَ : نعم ، جريرٌ ، قالَ : أما إنَّهُ يقولُ[3] : [من الكامل]

طَـرَقَـتْـكَ صَـائِـدَةُ ٱلْـقُـلُـوبِ وَلَـيْـسَ ذَا حِـيـنُ ٱلـزِّيَـارَةِ فَـٱرْجِـعِـي بِـسَـلَامِ

فإن كانَ ولا بدَّ . . فهوَ ، قالَ : فأُذِنَ لجريرٍ ، فدخلَ وهوَ يقولُ[4] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلَّـذِي بَـعَـثَ ٱلـنَّـبِـيَّ مُـحَـمَّـداً جَـعَـلَ ٱلْـخِـلَافَـةَ لِـلْإِمَـامِ ٱلْـعَـادِلِ

وَسِـعَ ٱلْـخَـلَائِـقَ عَـدْلُـهُ وَوَفَـاؤُهُ حَـتَّـى ٱرْعَـوَىٰ وَأَقَـامَ سُـبْـلَ ٱلْـمَـائِـلِ

إِنِّـي لَأَرْجُـو مِـنْـكَ خَـيْـراً عَـاجِـلاً وَٱلـنَّـفْـسُ مُـولَـعَـةٌ بِـحُـبِّ ٱلْـعَـاجِـلِ

فلمَّا مثلَ بينَ يدَيهِ . . قالَ : ويحَكَ يا جريرُ ؛ اتَّقِ اللهَ ولا تقلْ إلَّا حقّاً ، فأنشأَ يقولُ[5] : [من البسيط]

أَأَذْكُـرُ ٱلْـجَـهْـدَ وَٱلْـبَـلْـوَى ٱلَّـتِـي نَـزَلَـتْ أَمَـا كَـفَـانِـيَ مَـا بُـلِّـغْـتَ مِـنْ خَـبَـرِي

---

(١) انظر « ديوانه » (ص ١٧٩) باختلاف يسير .

(٢) انظر « ديوانه » (ص ٥١) .

(٣) انظر « ديوانه » (ص ٤٥٢) ط . دار بيروت .

(٤) انظر « ديوانه » (٧٣٧/٢) عدا البيت الثاني .

(٥) انظر « ديوانه » (٤١٤/١ ـ ٤١٦) عدا البيتين الأخيرين وباختلاف في ترتيب الأبيات .

كَـمْ بِـٱلْـيَـمَـامَـةِ مِـنْ شَـعْـثَـاءَ أَرْمَـلَـةٍ ... وَمِـنْ يَـتِـيـمٍ ضَـعِـيـفِ ٱلـصَّـوْتِ وَٱلـنَّـظَـرِ

مِـمَّـنْ يَـعُـدُّكَ تَـكْـفِـي فَـقْـدَ وَالِـدِهِ ... كَٱلْفَرْخِ فِي ٱلْعُشِّ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِرِ

يَـدْعُـوكَ دَعْـوَةَ مَـلْـهُـوفٍ كَـأَنَّ بِـهِ ... خَبْلاً مِنَ ٱلْجِنِّ أَوْ مَسّاً مِنَ [ٱلنُّشَرِ](1)

مَـا زِلْـتُ بَـعْـدَكَ فِـي هَـمٍّ يُـؤَرِّقُـنِـي ... قَدْ طَالَ فِي ٱلْحَيِّ إِصْعَادِي وَمُنْحَدَرِي

لَا يَـنْـفَـعُ ٱلْـحَاضِـرُ ٱلْـمَـجْـهُـودُ بَادِيَـنَـا ... وَلَا يَـعُـودُ لَـنَـا بَـادٍ عَـلَـىٰ حَـضَـرِي

إِنَّـا لَـنَـرْجُـو إِذَا مَـا ٱلْـغَـيْـثُ أَخْـلَـفَـنَـا ... مِـنَ ٱلْـخَـلِـيـفَـةِ مَـا نَـرْجُـو مِـنَ ٱلْـمَـطَـرِ

زَانَ ٱلْـخِـلَافَـةَ إِذْ كَـانَـتْ لَـنَـا قَـدَراً ... كَـمَـا أَتَـىٰ رَبَّـهُ مُـوسَـىٰ عَـلَـىٰ قَـدَرِ

هَـٰذِي ٱلْأَرَامِـلُ قَـدْ قَـضَّـيْـتَ حَـاجَـتَـهَـا ... فَـمَـنْ لِـحَـاجَـةِ هَـٰذَا ٱلْأَرْمَـلِ ٱلـذَّكَـرِ

اَلْـخَـيْـرُ مَـا دُمْـتَ حَـيّـاً لَا يُـفَـارِقُـنَـا ... بُـورِكْـتَ يَـا عُـمَـرَ ٱلْـخَـيْـرَاتِ مِـنْ عُـمَـرِ

فقالَ : ويحَكَ يا جريرُ ؛ ما أرىٰ لكَ فيما ها هنا حقّاً ، فقالَ : بلىٰ يا أميرَ المؤمنينَ ، أنا ابنُ سبيلٍ ومنقطعٌ بي ، فأعطاهُ مِن صلبِ مالِهِ مئةَ درهمٍ .

قالَ : وذُكِرَ أنَّهُ قالَ لهُ : ويحَكَ يا جريرُ ؛ لقد وَلِينا هـٰذا الأمرَ وما نملكُ إلَّا ثلاثَ مئةِ درهمٍ ؛ فمئةٌ أخذَها عبدُ اللهِ ، ومئةٌ أخذَتْها أُمُّ عبدِ اللهِ ، يا غلامُ ؛ أَعطِهِ المئةَ الباقيةَ ، قالَ : فأخذَها وقالَ : واللهِ ؛ هيَ أَحَبُّ مالٍ اكتسبتُهُ .

قالَ : ثمَّ خرجَ ، فقالَتْ لهُ الشُّعراءُ : ما وراءَكَ ؟

قالَ : ما يسوءُكُم ؛ خرجتُ مِن عندِ أميرِ المؤمنينَ وهوَ يعطي الفقراءَ ، ويمنعُ الشُّعراءَ ، وإنِّي عنهُ لَراضٍ .

وأنشأَ يقولُ : [من الطويل]

رَأَيْـتُ رُقَى ٱلـشَّـيْـطَـانِ لَا تَـسْـتَـفِـزُّهُ ... وَقَـدْ كَـانَ شَـيْـطَـانِـي مِـنَ ٱلْـجِـنِّ رَاقِـيَـا(2)

* * *

٤٨٥ ـ وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ [الطُّوسيِّ] ، وأبي المُظفَّرِ ، عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ إجازةً

---

(١) النُّشَر : جمع نُشْرة ؛ وهي كالتَّعويذ والرُّقية ، يعالج بها المجنون أو المريض ، وما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (البشر) ، والمثبت من الديوان .

(٢) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٢٥١ ـ ٢٥٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٤/٥٠٨ ـ ٥١٢) ، وانظر « أحكام القرآن » لابن العربي (٣/١٤٤٢ ـ ١٤٤٥) .

إن لم يكنْ سماعاً قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ الفضلِ المِهْرجانيَّ بإِسْفَرايِنَ قالَ : سمعتُ أبا الفتحِ عبدَ الرَّزَّاقِ بنَ أبي عليٍّ المَنِيعيَّ ، سمعتُ نظامَ الملكِ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ إسحاقَ ، سمعتُ أميركَ بنَ أحمدَ بنِ زيتارةَ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ الحسنِ بنِ عبيدِ اللهِ الصَّيْقَليَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عليٍّ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ ذا النُّونِ المصريَّ يقولُ : (لا مِنَ الدُّنيا نُعطىٰ آمالَنا ، ولا للآخرةِ نُحسِنُ أعمالَنا ، ولا عندَ اللهِ ندري ما حالُنا)[1]

ثمَّ أنشأَ يقولُ[2] : [من المنسرح]

كَيْفَ ٱحْتِيَالِي وَدَائِيَ ٱلْأَمَلُ ... وَلَيْسَ لِي فِي صَحِيفَتِي عَمَلُ ؟
زَادِي قَلِيلٌ وَرِحْلَتِي قَرُبَتْ ... مَنْ عَدِمَ ٱلزَّادَ كَيْفَ يَرْتَحِلُ ؟

نُكْتَةٌ

[في عذابِ السَّفرِ]

٤٨٦ ـ وأنبأَني مَن تقدَّمَ ذِكْرُهُم[3] ، عن عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الصُّوفيِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : سمعتُ أبا شجاعٍ عمرَ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ البِسْطاميَّ الإمامَ مذاكرةً غيرَ مرَّةٍ يقولُ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ أبي سعدٍ الصُّوفيَّ يقولُ : قدمَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ القُشَيريُّ بغدادَ ، فعقدَ مجلسَ الوعظِ ، فروىٰ في أوَّلِ مجلسٍ عندَهُ الحديثَ المشهورَ عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلسَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلْعَذَابِ ؛ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ . . . » الحديثَ[4]

فقامَ سائلٌ وقالَ لهُ : لِمَ سُمِّيَ السَّفرُ قطعةً مِنَ العذابِ ؟ قالَ : لأنَّهُ سببُ فُرْقةِ الأحبابِ .

فاضطربَ النَّاسُ وتواجدوا ، وما أمكنَهُ أن يُتِمَّ المجلسَ ، فنزلَ[5]

---

(١) أخرج هٰذا القولَ أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٥٦) عن يحيى بن معاذ الرازي بنحوه .

(٢) البيتان في « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (٢/٨٠٠) لأبي الوفاء ابن أبي هاشم ، وانظر « مرشد الزوار إلىٰ قبور الأبرار » لموفق الدين ابن عثمان (ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣) .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

(٤) أخرجه البخاري (١٨٠٤) ، ومسلم (١٩٢٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وتمامه : « فَإِذَا قَضَىٰ نَهْمَتَهُ . . فَلْيُعَجِّلْ إِلَىٰ أَهْلِهِ » .

(٥) انظر « معجم الأدباء » (٤/١٥٧٠ ـ ١٥٧١) ط . دار الغرب الإسلامي ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٩/٢٦٦) .

نُكتة

[في بديهةِ أبي القاسمِ القُشَيريِّ]

٤٨٧ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : سمعتُ أبا المعالي عبدَ اللهِ بنَ عبدِ المُعِزِّ الأنصاريَّ يقولُ : سمعتُ والدي يقولُ : جلسَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ القُشَيريُّ في [خانقاهِهِ][1] بنَيْسابورَ ليلةَ النِّصفِ مِن شعبانَ ، فقرأَ القارئُ بينَ يدَيهِ هٰذهِ الآيةَ : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[2]

فقالَ على البديهةِ : وعندَنا مَقابحُ العيبِ لا يعلمُها إلَّا هوَ ، فتواجدَ النَّاسُ[3]

وأنشدَ في خلالِ كلامِهِ[4] : [من الخفيف]

لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ ٱلْحَبِيبَ يَجِينَا ... لَفَرَشْنَا ٱلطَّرِيقَ بِٱلْيَاسَمِينِ

حكاية

[في ذِكْرِ وفاةِ الإمامِ أبي القاسمِ القُشَيريِّ]

٤٨٨ ـ وبهِ إليهِ قالَ : قرأتُ بخطِّ أبي الحسنِ عبدِ الغافرِ بنِ إسماعيلَ الفارسيِّ الخطيبِ : (تُوُفِّيَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القُشَيريُّ صبيحةَ يومِ الأحدِ ـ قبلَ طلوعِ الشَّمسِ ـ السَّادسَ عشرَ مِن شهرِ ربيعِ الآخرِ ، سنةَ خمسٍ وستِّينَ وأربعِ مئةٍ .

وصلَّىٰ عليهِ ابنُهُ الأكبرُ أبو سعدٍ عبدُ اللهِ علىٰ بابِ الطَّاقِ مَعَ الخَلْقِ الكثيرِ الَّذينَ ما عُهِدَ قبلَهُمُ اجتماعٌ مثلُهُ[5]

ودُفِنَ في المدرسةِ بجنبِ شيخِهِ الأستاذِ أبي عليٍّ الدَّقَّاقِ .

ولزمَ الأئمَّةُ تربتَهُ ليلاً ونهاراً ، وكانوا يبيتونَ عندَها ، ولم يدخلْ أحدٌ منهُم بيتَهُ ولا مسَّ ثيابَهُ ولا كتبَهُ ولا أجزاءَهُ إلَّا بعدَ سنينَ ؛ احتراماً وتعظيماً لهُ .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (خانقانه) ، **والخانقاه** : زاوية للعبَّاد وأهل العلم والصُّوفيَّة ، معرَّب .

(٢) سورة الأنعام : (٥٩) .

(٣) انظر « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٩/٢٦٦) وفيه : (وعندنا مفاتح الغيب) .

(٤) البيت بلا نسبة في « المنتحل » للثعالبي (ص٢١٦) ، وفيه : (الزِّيارة حقٌّ) بدلاً من : (الحبيب يجينا) .

(٥) باب الطَّاق : محلَّة كبيرة ببغداد بالجانب الشَّرقيِّ . « معجم البلدان » (١/٣٠٨) .

ومِن عجائبِ ما وقعَ أنَّ الفرسَ الَّذي كانَ يركبُهُ ـ وكانَتْ رَمَكةً أُهدِيَتْ إليهِ مِن قريبٍ مِن عشرينَ سنةً[1] ، ما كانَ يركبُ غيرَها ـ . . ما ركبَها أحدٌ بعدَهُ ، وحُكِيَ أنَّها لم تعتلفْ بعدَ وفاتِهِ ، حتَّىٰ إنَّها نَفقَتْ يومَ الجمعةِ سادسَ يومِ وفاتِهِ ، وقدِ انصرفْنا مِنَ الجمعةِ ، فأُخبِرْنا أنَّها سقطَتْ في الإسطبلِ .

وكانَ ذٰلكَ مِن نوادرِ ما رأيْناهُ)[2]

حكاية

[الدَّهرُ قُلَّبٌ ، واللَّيالي حبالىٰ]

٤٨٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، وغيرِهِ ، عن إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ قالَ : أنا عبدُ الكريمِ بنُ الحسنِ ابنِ رزمةَ الكَرْخيُّ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السُّكَّريُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ البَرْذَعيُّ ، ثنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ القرشيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ الوليدِ بنِ أبانٍ ، ثنا أحمدُ بنُ زيدٍ ، ثنا عليُّ بنُ حَرْمَلةَ ، عن مالكِ بنِ مِغْوَلٍ ، عنِ الشَّعْبيِّ ، عن إسحاقَ بنِ طلحةَ بنِ عبيدِ اللهِ قالَ : دخلتُ علىٰ حُرَقةَ بنتِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ ، وقد ترهَّبَتْ في دَيرٍ لها بالحِيرةِ ، وهيَ في ثلاثينَ جاريةً لم يُرَ مثلُ حسنِهِنَّ قطُّ ، فقلتُ لها : يا حُرَقةُ ؛ كيفَ رأيتِ عثراتِ الملكِ ؟

قالَتْ : ما نحنُ فيهِ اليومَ خيرٌ ممَّا كنَّا فيهِ أمسِ ، إنَّا نجدُ في الكتبِ : (أنَّهُ ليسَ مِن أهلِ بيتٍ يعيشونَ في حَبْرةٍ إلَّا سيُعقَبونَ بعدَها عَبْرةً ، إنَّ الدَّهرَ لم يَظهرْ لقومٍ بيومٍ يُحِبُّونَهُ إلَّا بَطَنَ لهُم بيومٍ يكرهونَهُ) .

وإنِّي قد قلتُ في ذٰلكَ قولاً ، قلتُ : وما هوَ ؟

قالَتْ : [من الطويل]

[فَبَيْنَا][3] نَسُوسُ ٱلنَّاسَ وَٱلْأَمْرُ أَمْرُنَا ... إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

---

(١) الرَّمَكة : الفَرس والبِرذَونة الَّتي تتَّخذ للنَّسل .

(٢) انظر « المنتظم » (٩/٥٠٧ ـ ٥٠٨) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » لابن الصلاح (٢/٥٦٨) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٩/٢٦٦) ، و« الوافي بالوفيات » (١٩/٩٤) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (بينا) ، والمثبت من « الآداب الشرعية » .

فَـأُفٍّ لِـدُنْـيَـا لَا يَـدُومُ نَـعِـيـمُـهَـا تَـقَـلَّـبُ تَـارَاتٍ بِـنَـا وَتَـصَـرَّفُ[1]

* *

٤٩٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ الأنصاريُّ الدَّبَّاسُ بقراءتي عليهِ ، أنا عبدُ الكريمِ بنُ الحسنِ الخبَّازُ ، أنا أبو الحسينِ ابنُ بِشْرانَ ، أنا الحسينُ بنُ صفوانَ بنِ إسحاقَ ، ثنا أبو بكرٍ ابنُ أبي الدُّنيا ، ثنا خلفُ بنُ هشامٍ البزَّارُ ، ثنا خالدُ بنُ عبدِ اللهِ ، عن يونسَ ، عنِ الحسنِ : أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (خالِطوا النَّاسَ بالأخلاقِ ، وزايِلوهُم بالأعمالِ)[2]

نُكْتَةٌ

[في أجرِ الحاجِّ]

٤٩١ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا العزِّ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ محمَّدٍ البُسْتيَّ ، سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ عطيَّةَ بنِ عليٍّ القرشيَّ القَيْرَوانيَّ ، سمعتُ أبا معشرٍ عبدَ الكريمِ بنَ عبدِ الصَّمدِ الطَّبَريَّ المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ الحسينِ المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمَّدٍ الهَرَويَّ المالينيَّ يقولُ : سمعتُ أبا إسحاقَ عبدَ الملكِ بنَ حِبَّانَ يقولُ : سمعتُ أبا سهلٍ يونسَ ابنَ عبدِ الأعلىٰ[3] أنَّهُ قالَ : (رأيتُ فيما يرى النَّائمُ كأنِّي في مُصلَّى الجنائزِ الَّذي بخَوْلانَ[4] ، وكانَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مركبٍ ، والمركبُ يجري علىٰ يَبَسِ الأرضِ كجَرْيِهِ في الماءِ ، فتعلَّقتُ بمِقْذافٍ مِن مقاذيفِ المركبِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان » (١٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢/٩٩) ، وانظر « الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (١/٥٧٧) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٢١) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٥/١٨٦) .

(٣) هـٰكذا وقع في الأصول : (أبا سهل ، يونس بن عبد الأعلىٰ) ، وإنَّما كُنيةُ يونس بن عبد الأعلىٰ : أبو موسىٰ ، وفي « مناسك ابن الحاج » روىٰ هـٰذه الحكاية عن أبي سهل ابن يونس ، ولم ينسبه ، وزاد ونقص ، فالله تعالىٰ أعلم . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

والصَّواب ما وقع في الأصول ، موافقاً لما في « الأربعين في شيوخ الصوفية » للماليني (ص ١٩١ ـ ١٩٢) ، فإنَّ أبا موسىٰ هو يونس بن عبد الأعلى ، المتوفَّىٰ سنة (٢٦٤هـ) ، وأمَّا أبو سهل هـٰذا . . فهو يونس بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى ، المتوفَّىٰ سنة (٣٣١هـ) ، وهو حفيد أبي موسىٰ ، ويروي عنه عبد الملك بن حِبَّان كما ذكر الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٥/٦٥) ، والله أعلم .

(٤) بمصر ، ويسمَّىٰ : مُصلَّىٰ خَوْلان ؛ عُرِف بطائفة من العرب الَّذين شهدوا فتح مصر يُقال لهم : خَوْلان ؛ وهم من قبائل اليمن . « المواعظ والاعتبار » للمقريزي (٢/٤٥٤ ـ ٤٥٥) .

أَوْصِني ، فقالَ لي : « رَأْسٌ حُلِقَ بِمِنىً لَا تَمَسُّهُ ٱلنَّارُ ، خَلِّ عَنِ ٱلْمِقْذَافِ »)[1]

حكاية

[رَحِمَ فرُحِمَ]

٤٩٢ ـ وبهِ قالَ : أنا البِيكَنْديُّ بها ـ هوَ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ ـ قالَ : أنا الأَنْدَقيُّ[2] إملاءً ـ هوَ عبدُ الكريمِ بنُ أبي حنيفةَ بنِ العبَّاسِ ـ قالَ : أنا أبو نصرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الفضلِ الخَيْزاخَزيُّ[3] ، ثنا أبو سهلٍ إسحاقُ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ الأمينُ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سعدِ بنِ نصرٍ ، ثنا أبو محمَّدٍ جعفرُ بنُ محمَّدٍ ، حدَّثَني إبراهيمُ المنصوريُّ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ بشَّارٍ ، سمعتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ يقولُ : (بلغَني أنَّهُ كانَ في بني إسرائيلَ رجلٌ ذبحَ عجلاً بينَ يدَي أُمِّهِ ، فأَيْبَسَ اللهُ عزَّ وجلَّ يدَهُ ، فبينا هوَ ذاتَ يومٍ جالسٌ . . إذا بفرخٍ قد سقطَ مِن وَكْرِهِ ، وهوَ يتبصبصُ إلىٰ أبوَيهِ ، وأبواهُ يتبصبصانِ إليهِ ، فأخذَهُ فردَّهُ إلىٰ وَكْرِهِ رحمةً لهُ ، فرحمَهُ اللهُ برحمتِهِ ، وردَّ اللهُ تعالىٰ عليهِ يدَهُ بما صنعَ)[4]

حكاية

[أبياتٌ بقافيةٍ منوَّنةٍ !!]

٤٩٣ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ المجيدِ بنُ القاسمِ الحاجِّيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ إسماعيلَ بنِ الحسينِ العلويُّ ، ثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عليٍّ الصَّفَّارُ ، أنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ عليِّ ابنِ سعدويهِ النَّسائيُّ ـ قدمَ علينا ـ قراءةً عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ الطَّيِّبِ بنِ العبَّاسِ ، ثنا أبو إسحاقَ ـ يعني : إبراهيمَ بنَ إسحاقَ الغَسِيليَّ ـ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ مزيدٍ ، حدَّثَني بعضُ أصحابِنا قالَ : نظرَ رجلٌ إلىٰ بِناءِ أحمدَ بنِ أبي خالدٍ الأحولِ ، فاستشرفَ بِناءَهُ وهالَهُ علوُّ البِناءِ ، ونظرَ إلىٰ أبياتٍ مكتوبةٍ على الحائطِ : [من الطويل]

يَمُوتُ ٱلَّذِي يَبْنِي وَيَبْقَىٰ بِنَاؤُهُ ... أَلَيْسَ يَرَىٰ بِٱللهِ فِي ذَاكَ عِبْرَةً ؟

---

(١) أخرجه الماليني في « الأربعين في شيوخ الصوفية » (ص١٩٢) .

(٢) أَنْدَقا : قرية من قرىٰ بُخارى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) ، وانظر « اللباب » لابن الأثير (١/٨٨) .

(٣) خَيْزاخَزا : من قرىٰ بُخارى . انتهىٰ من هامش (ج) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٥٧١) .

فَيَا غَافِلاً عَنْ نَفْسِهِ أَيْنَ مَنْ بَنَىٰ مَدَائِنَ أَضْحَتْ بَعْدَهُ ٱلْيَوْمَ قَفْرَةً ؟
رَمَتْ بِهِمُ ٱلْأَيَّامُ فِي عُرْضَةِ ٱلْبِلَىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا زِينَةَ ٱلْأَرْضِ مَرَّةً
لَقَدْ شَقِيَتْ نَفْسِي بِفُرْقَةِ مَعْشَرٍ هُمُ أَوْرَثُونِي آخِرَ ٱلدَّهْرِ حَسْرَةً
فَمَا زَالَ هَٰذَا ٱلْمَوْتُ يَغْشَىٰ دِيَارَهُمْ يَكِرُّ عَلَيْهِمْ كَرَّةً ثُمَّ كَرَّةً
فَأَجْلَاهُمُ عَنْهَا جَمِيعاً فَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ لَحْداً وَحُفْرَةً [1]

فأنشدتُ عبيدَ اللهِ بنَ العبَّاسِ القلانسيَّ هٰذهِ الأبياتَ ، فاستغربَها واستحسنَها وتعجَّبَ منها ، وقالَ : لم أسمعْ قطُّ في الشِّعرِ قافيةً مُنوَّنةً غيرَها .

حكاية

[مِن جهلِهِ يحسبُ الشِّعرَ قرآناً]

٤٩٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو المجدِ الإِسْترِاباذيُّ ـ هوَ عبدُ المجيدِ بنُ عبدِ الغفَّارِ بنِ محمَّدٍ ـ قالَ : أنا أبو الحسنِ بنُ أبي جعفرٍ العلويُّ ، أنا أبي ، أنا أبو طالبٍ يحيى بنُ الحسينِ بنِ هارونَ الهارونيُّ العلويُّ ، أنا أبو الحسنِ بنُ مهديّ ، أنا ابنُ دُرَيدٍ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ ، عن عمِّهِ الأصمعيّ : أنَّ أصبغَ بنَ عتَّابِ بنِ ورقاءَ الرِّياحيَّ أُتِيَ بامرأةٍ مِنَ الخوارجِ ، فقالَ : يا عدوَّةَ اللهِ ؛ ما حَمَلَكِ على الخروجِ علينا ؟ أما سمعتِ اللهَ يقولُ [2] : [من الخفيف]

كُتِبَ ٱلْقَتْلُ وَٱلْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلْمُحْصَنَاتِ جَرُّ ٱلذُّيُولِ ؟

فقالَتِ المرأةُ : جهلُكَ كتابَ اللهِ حَمَلَني على الخروجِ عليكَ وعلىٰ أئمَّتِكَ يا عدوَّ اللهِ [3]

* * *

٤٩٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ الفارسيُّ في كتابِهِ إليَّ قالَ : أخبرَتْنا أُمُّ البنينَ فاطمةُ بنتُ أبي عليٍّ الدَّقَّاقِ قالَتْ : سمعتُ أبا عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ ابنَ الخشَّابِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ جعفراً الخُلْديَّ يقولُ :

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٣١٥) بنحوه دون البيت الرابع .
(٢) هو لعمر ابن أبي ربيعة كما في « ديوانه » (ص ٣٠٤) ، و« العقد الفريد » (٤٠٧/٤) .
(٣) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٣٦٥/٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧٥/١٦) ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١٢٥/١) ، و« نثر الدر » للآبي (٢١٢/٥ ـ ٢١٣) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٧٦٣) ، كلُّهم عن عتَّاب بن ورقاء .

سمعتُ أبا محمَّدٍ الجُرَيريَّ يقولُ : قالَ أبو بكرٍ الخبَّازُ : (العيالُ عقوبةُ تنفيذِ شهَواتِ الحلالِ) (١)

حكاية
[عقوبةُ التَّعرُّضِ للسَّاداتِ]

٤٩٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحارثِ عبدُ المُؤمِنِ بنُ أحمدَ الطَّبَريُّ ، أنا عبدُ الواحدِ بنُ إسماعيلَ الإمامُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الصَّابونيُّ ، أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ المُزكِّي ابنُ المُزكِّي ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ بنِ الخليلِ القَطَّانُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يزيدَ ، ثنا حمَّادُ بنُ قيراطٍ ، ونوحُ بنُ يزيدَ البَلْخيُّ قالا : ثنا صفوانُ ـ وأثنيا عليهِ خيراً ـ قالَ : اكتريتُ إبلاً إلى الشَّامِ ، فدخلتُ مسجداً فصلَّيتُ خلفَ إمامٍ ، فلمَّا انفتلَ مِن صلاتِهِ . . أقبلَ على النَّاسِ بوجهِهِ ، وذكرَ أبا بكرٍ وعمرَ بسُوءٍ .

قالَ : فخرجتُ مِن ذٰلكَ المسجدِ ورجعتُ مِن قابلٍ ، ودخلتُ ذٰلكَ المسجدَ فصلَّيتُ خلفَ إمامٍ آخرَ ، فلمَّا انفتلَ مِن صلاتِهِ . . أقبلَ على النَّاسِ بوجهِهِ ، وقالَ : اللَّهُمَّ ؛ ارحمْ أبا بكرٍ وعمرَ .

فقلتُ لرجلٍ بجنبي : ما فعلَ الَّذي كانَ يلعنُهُما ؟ فقالَ : تشاءُ أن أُريَكَهُ ؟ فقلتُ : بلىٰ ، فأدخلَني داراً ، فأراني كلباً مربوطاً إلىٰ ساريةٍ ، فقالَ للكلبِ : هٰذا رجلٌ ممَّن صلَّىٰ خلفَكَ عامَ أوَّلَ وأنتَ تشتمُ أبا بكرٍ وعمرَ ، فأومأَ الكلبُ برأسِهِ أن : نعم !!

قالَ : فقالَ الرَّجلُ : قد مسخَهُ اللهُ تعالىٰ كما ترىٰ (٢)

حكاية
[في اختبارِ الهُجَيميِّ بعدَ المئةِ]

٤٩٧ ـ وأنبأَني مَن تقدَّمَ ذِكْرُهُم (٣) ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي المُظفَّرِ ، عن أبي سعدٍ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا أبو نصرٍ الفَضْلوسيُّ ـ هوَ عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ الملكِ بنِ محمَّدِ بنِ أبي سعدٍ الكَرَجيُّ ـ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الرَّازيُّ بالإسكندريَّةِ ،

---

(١) انظر « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/٢٣٨) بلا نسبة .

(٢) أخرجه الضياء المقدسي في « النهي عن سب الأصحاب » (٤٦) من طريق السمعاني .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

سمعتُ أبا زكريَّا عبدَ الرَّحيمِ بنَ أحمدَ بنِ نصرٍ الحافظَ البُخاريَّ بمصرَ يقولُ : رأىٰ [أبو إسحاقَ][1] الهُجَيميُّ في مَنامِهِ أنَّهُ تعمَّمَ فدوَّرَ علىٰ رأسِهِ مئةً وثلاثَ دوراتٍ ، فعُبِّرَ لهُ أنَّهُ يعيشُ مئةَ سنةٍ وثلاثَ سنينَ ، فلم يُحدِّثْ حتَّىٰ بلغَ المئةَ ، ثمَّ حدَّثَ ، فقرأَ القارئُ عليهِ ، وأرادَ أن يختبرَ عقلَهُ : [من مشطور الرجز]

إِنَّ ٱلْـجَـبَـانَ حَـتْـفُـهُ مِـنْ فَـوْقِـهِ

كَـٱلْـكَـلْـبِ يَـحْـمِي جِـلْـدَهُ بِـرَوْقِـهِ [2]

فقالَ الهُجَيميُّ : قلْ : (كَٱلثَّوْرِ) يا ثورُ ؛ فإنَّ الكلبَ لا رَوْقَ لهُ ، ففرحَ النَّاسُ بصحَّةِ عقلِهِ [3]

حكاية

[مدحُ الفَرَزْدَقِ لزينِ العابدينَ]

٤٩٨ ـ وأنبؤوني عنهُما ، عن أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو بكرٍ هبةُ اللهِ بنُ الفرجِ الهَمَذانيُّ بها بقراءتي عليهِ ، أنا ظاهرُ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ إجازةً ، أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ الوَرَّاقُ ببغدادَ .

(ح) وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : وأخبرَناهُ أبو العزِّ أحمدُ بنُ عبيدِ اللهِ ابنِ كادِشٍ العُكْبَريُّ فيما كتبَ إليَّ مِن بغدادَ ، أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ ابنُ الوَرَّاقِ قراءةً عليهِ ، ثنا عبدُ السَّلامِ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طيفورٍ البصريُّ قالَ : قرأتُ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو الحسن) ، والمثبت من مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥١/٢٦) .

(٢) هـٰذان بيتان مُقتطَعان من بُيَيتات لعمرو ابن مامة اللَّخْميّ ، والقطعة كاملةً : (من مشطور الرجز)

لَـقَـدْ عَـرَفْـتُ ٱلْـمَـوْتَ قَـبْـلَ ذَوْقِـهِ

إِنَّ ٱلْـجَـبَـانَ حَـتْـفُـهُ مِـنْ فَـوْقِـهِ

كُـلُّ ٱمْـرِئٍ مُـقَـاتِـلٌ عَـنْ طَـوْقِـهِ

كَـٱلـثَّـوْرِ يَـحْـمِي جِـلْـدَهُ بِـرَوْقِـهِ

والطَّوْق : العنق أو الطَّاقة ؛ يعني : أقصىٰ غايتِه ، والرَّوْق : القَرْن ، انظر « من اسمه عمرو من الشعراء » لمحمد بن داوود (ص ٦٦) ، و« معجم الشعراء » للمرزباني (ص ٢٩) ، و« لسان العرب » (٢٣٣/١٠) ، مادة (طوق) ، و« تاج العروس » (٤٦٩/٣٣) ، مادة (موم) .

(٣) أخرجه ابن الحطاب الرازي في « مشيخته » (١٠١) ، وانظر « ترتيب المدارك » للقاضي عياض (١٦٦/٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٥١/٢٦) .

علىٰ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ يعقوبَ المَتُّوثيِّ بالبصرةِ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ علىٰ بابِ دارِهِ ، وكتبتُهُ مِن كتابٍ أملاهُ مِن أصلِهِ ، ثمَّ قرأتُهُ بعدَ ذٰلكَ بعشرِ سنينَ علىٰ أبي الحسينِ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ جعفرِ ابنِ لَنجكَ اللُّغويِّ ، ولم يكنْ لهُ أصلٌ يرجعُ إليهِ ، وذكرَ أنَّهُ قد سمعَهُ . . قالا : ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ زكريَّا بنِ دينارٍ ، ثنا [عبيدُ اللهِ][1] بنُ محمَّدٍ ـ يعني : ابنَ عائشةَ ـ ، حدَّثَني أبي ، وغيرُهُ قالوا : حجَّ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ في زمنِ عبدِ الملكِ أوِ الوليدِ ، فطافَ بالبيتِ ، فجَهَدَ أن يصلَ إلى الحجرِ فيستلمَهُ ، فلم يقدرْ عليهِ ، فنُصِبَ لهُ منبرٌ ، وجلسَ عليهِ ينظرُ إلى النَّاسِ ومعَهُ أهلُ الشَّامِ ، إذ أقبلَ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ مِن أحسنِ النَّاسِ وجهاً ، وأطيبِهِم أرَجاً ، فطافَ بالبيتِ ، فكلَّما بلغَ إلى الحجرِ . . تنحَّىٰ لهُ النَّاسُ حتَّىٰ يستلمَهُ .

فقالَ رجلٌ مِن أهلِ الشَّامِ : مَن هٰذا الَّذي قد هابَهُ النَّاسُ هٰذهِ الهيبةَ ؟ فقالَ هشامٌ : لا أعرفُهُ ؛ مخافةَ أن يرغبَ فيهِ أهلُ الشَّامِ .

وكانَ الفَرَزْدَقُ حاضراً ، فقالَ الفَرَزْدَقُ : لٰكنِّي أعرفُهُ ، قالَ الشَّاميُّ : مَن هٰذا يا أبا فراسٍ ؟

قالَ الفَرَزْدَقُ[2] : [من البسيط]

هَـٰذَا ٱلَّـذِي تَـعْـرِفُ ٱلْـبَـطْـحَـاءُ وَطْأَتَـهُ ... وَٱلْـبَـيْـتُ يَـعْـرِفُـهُ وَٱلْـحِـلُّ وَٱلْـحَـرَمُ

هَـٰذَا ٱبْـنُ خَـيْـرِ عِـبَـادِ ٱللهِ كُـلِّـهِـمُ ... هَـٰذَا ٱلـتَّـقِـيُّ ٱلـنَّـقِـيُّ ٱلـطَّـاهِـرُ ٱلْـعَـلَـمُ[3]

إِذَا رَأَتْـهُ قُـرَيْـشٌ قَـالَ قَـائِـلُـهَـا : ... إِلَـىٰ مَـكَـارِمِ هَـٰذَا يَـنْـتَـهِـي ٱلْـكَـرَمُ

يُـنْـمَـىٰ إِلَـىٰ ذِرْوَةِ ٱلْـعِـزِّ ٱلَّـتِـي قَـصُـرَتْ ... عَـنْ نَـيْـلِـهَـا عَـرَبُ ٱلْإِسْـلَامِ وَٱلْـعَـجَـمُ

يَـكَـادُ يُـمْـسِـكُـهُ عِـرْفَـانَ رَاحَـتِـهِ ... رُكْـنُ ٱلْـحَـطِـيـمِ إِذَا مَـا جَـاءَ يَـسْـتَـلِـمُ[4]

يُـغْـضِـي حَـيَـاءً وَيُـغْـضَـىٰ مِـنْ مَـهَـابَـتِـهِ ... فَـلَا يُـكَـلَّـمُ إِلَّا حِـيـنَ يَـبْـتَـسِـمُ

مَـنْ جَـدُّهُ دَانَ فَـضْـلُ ٱلْأَنْـبِـيَـاءِ لَـهُ ... وَفَـضْـلُ أُمَّـتِـهِ دَانَـتْ لَـهُ ٱلْأُمَـمُ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٥/٦٢٧) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (١٢٧ ، ٢٧١) .

(٢) انظر « ديوانه » (٢/٣٥٣ ـ ٣٥٦) عدا البيتين السادس عشر والخامس والعشرين ، ومع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض الكلمات .

(٣) يُروى : الطَّاهر ؛ بالمهملة والمعجمة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٤) رُكن الحَطِيم : الحجر الأسود .

يَنْشَقُّ نُورُ ٱلْهُدَىٰ عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ كَٱلشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا ٱلْقَتَمُ

مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ نَبْعَتُهُ طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَٱلْخِيمُ وَٱلشِّيَمُ (١)

هَٰذَا ٱبْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ ٱللهِ قَدْ خُتِمُوا

ٱللهُ شَرَّفَهُ قِدْماً وَفَضَّلَهُ جَرَىٰ بِذَاكَ لَهُ مِنْ لَوْحِهِ ٱلْقَلَمُ

فَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هَٰذَا ؟ بِضَائِرِهِ ٱلْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَٱلْعَجَمُ

هٰذا البيتُ الواحدُ لم يروِهِ إلَّا ابنُ لَنككَ :

كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا يُسْتَوْكَفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا ٱلْعَدَمُ

سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَىٰ بَوَادِرُهُ يَزِينُهُ ٱثْنَانِ حُسْنُ ٱلْخَلْقِ وَٱلْكَرَمُ

حَمَّالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فُدِحُوا حُلْوُ ٱلشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ (نَعَمُ)

لَا يُخْلِفُ ٱلْوَعْدَ مَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ رَحْبُ ٱلْفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ

عَمَّ ٱلْبَرِيَّةَ بِٱلْإِحْسَانِ فَٱنْقَشَعَتْ عَنْهُ ٱلْغَيَابَةُ وَٱلْإِمْلَاقُ وَٱلْعَدَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ

إِنْ عُدَّ أَهْلُ ٱلتُّقَىٰ كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ أَوْ قِيلَ : مَنْ خَيْرُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ ؟ قِيلَ : هُمُ

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ وَلَا يُدَانِيهِمُ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

هُمُ ٱلْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ وَٱلْأُسْدُ أُسْدُ ٱلشَّرَىٰ وَٱلْبَأْسُ مُحْتَدِمُ

لَا يَنْقُصُ ٱلْعُسْرُ بَسْطاً مِنْ أَكُفِّهِمُ سِيَّانِ ذَٰلِكَ إِنْ أَثْرَوْا وَإِنْ عَدِمُوا

يُسْتَدْفَعُ ٱلسُّوءُ وَٱلْبَلْوَىٰ بِحُبِّهِمُ وَيُسْتَرَبُّ بِهِ ٱلْإِحْسَانُ وَٱلنِّعَمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ ٱللهِ ذِكْرُهُمُ فِي كُلِّ بِرٍّ وَمَخْتُومٌ بِهِ ٱلْكَلِمُ

يَأْبَىٰ لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ ٱلذَّمُّ سَاحَتَهُمْ خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِٱلنَّدَىٰ هُضُمُ (٢)

أَيُّ ٱلْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمُ لِأَوَّلِيَّةِ هَٰذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ ؟!

مَنْ يَعْرِفِ ٱللهَ يَعْرِفْ أَوَّلِيَّةَ ذَا وَٱلدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَٰذَا نَالَهُ ٱلْأُمَمُ

قالَ : فغضبَ هشامٌ ، وأمرَ بحبسِ الفَرَزْدَقِ بعُسْفانَ ؛ بينَ مكَّةَ والمدينةِ .

---

(١) الخِيم : السَّجيَّة والطَّبيعة .

(٢) أيدٍ بالنَّدىٰ هُضُم ؛ أي : تسخو عن طِيب نفسٍ .

فبلغَ ذٰلكَ عليَّ بنَ الحسينِ ، فبعثَ إلى الفَرَزْدَقِ باثنَي عشرَ ألفَ درهمٍ ، وقالَ : اعذُرْ أبا فراسٍ ، فلو كانَ عندَنا أكثرُ مِن هٰذا . . لَوصلْناكَ .

فردَّها الفَرَزْدَقُ وقالَ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ ما قلتُ الَّذي قلتُ إلَّا غضباً للهِ ولرسولِهِ ، وما كنتُ لِأَرْزَأَ عليهِ شيئاً .

فقالَ : شكرَ اللهُ لكَ ذٰلكَ ، إلَّا أنَّا أهلُ بيتٍ إذا أنفذْنا أمراً . . لم نَعُدْ فيهِ .

فقبلَها وجعلَ يهجو هشاماً وهوَ في الحبسِ ، فأخرجَهُ (١)

انتهىٰ ما حكاهُ أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ (٢)

وقد روِيْنا في « مُعجَمِ الطَّبرانيِّ الكبيرِ » : أنَّ الفَرَزْدَقَ أنشدَ في عليِّ بنِ الحسينِ مِنَ الأبياتِ المُتقدِّمةِ ثمانيةً ، وتاسعاً ليسَ في الأبياتِ المُتقدِّمةِ ؛ وهوَ :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... بِكَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ (٣)

وروى الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ أنَّ هٰذا البيتَ والبيتَ السَّادسَ مِنَ الأبياتِ المُتقدِّمةِ قالَهُما الحَزِينُ الشَّاعرُ في عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الملكِ (٤)

وفي « الحماسةِ » : أن الحَزِينَ الشَّاعرَ قالَ في عليِّ بنِ الحسينِ خمسةَ أبياتٍ مِنَ الأبياتِ المُتقدِّمةِ ، وهيَ : الثَّالثُ ، ثمَّ الأوَّلُ ، ثمَّ الخامسُ ، ثمَّ السَّادسُ والعشرونَ ، ثمَّ السَّادسُ ، ثمَّ :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ

البيتَ (٥)

---

(١) في « الجليس الصالح » (٤/١٠٩) : (فكانَ ممَّا هجاهُ بهِ : [من الطويل]

أَيَحْبِسُنِي بَيْنَ ٱلْمَدِينَةِ وَٱلَّتِي ... إِلَيْهَا قُلُوبُ ٱلنَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا

يُقَلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ ... وَعَيْنَيْنِ حَوْلَاوَيْنِ بَادٍ عُيُوبُهَا)

(٢) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٤/١٠٧ ـ ١٠٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/١٣٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/٤٠١ ـ ٤٠٣) ، والتاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١/٢٩٠ ـ ٢٩٣) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٠/٤٠٠ ـ ٤٠٢) .

(٣) المعجم الكبير (٣/١٠١ ـ ١٠٢) .

(٤) ذكره الجلال السيوطي في « شرح شواهد المغني » (٢٥٠) وعزاه للزبير بن بكار في « الأخبار الموفقيات » ، وانظر « نسب قريش » للزبيري (ص ١٦٤) ، و« تاريخ دمشق » (٢٩/٣٤٤) .

(٥) انظر « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي (٢/١٦٢١ ـ ١٦٢٢) وفيه عن الفرزدق ، و« شرح حماسة أبي تمام »

٤٩٩ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السِّنْجيُّ ، أنا أبو طالبٍ عبدُ القادرِ بنُ محمَّدِ ابنِ يوسفَ البغداديُّ ، أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ البَرْمَكيُّ الحنبليُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ خلفِ بنِ بُخَيتٍ الدَّقَّاقُ ، ثنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ ابنِ بَدِينا ، ثنا أبو مسلمٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ مسروقٍ ، ثنا سيَّارُ بنُ حاتمٍ العَنَزيُّ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، سمعتُ حبيباً أبا محمَّدٍ يقولُ : (واللهِ ؛ إنَّ الشَّيطانَ ليلعبُ بالقرَّاءِ كما يلعبُ الصِّبيانُ بالأُكْرةِ)(١)

* * *

٥٠٠ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا عبدُ القادرِ بنُ أبي صالحٍ الحنبليُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ المُظفَّرِ ابنِ سَوْسَنٍ التَّمَّارُ ، أنا عبدُ العزيزِ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ الفضلِ الأَزَجيُّ مِن لفظِهِ ، سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المُفيدَ ، سمعتُ أبا القاسمِ الجُنَيدَ بنَ محمَّدِ بنِ الجُنَيدِ يقولُ : (احذرْ أَلَّا تكونَ ثناءً منشوراً ، وعيباً مستوراً)(٢)

* * *

٥٠١ ـ وبهِ إلىٰ أبي بكرٍ المُفيدِ قالَ : ثنا الحسنُ بنُ إسماعيلَ الرَّبَعيُّ ، ثنا الفِهْريُّ ، عنِ ابنِ السَّمَّاكِ أنَّهُ كانَ يُعاتِبُ نفسَهُ فيقولُ فيما يُعاتِبُها بهِ : تقولينَ قولَ الزَّاهدينَ ، وتعملينَ عملَ المُنافِقينَ ، وفي الجنَّةِ تطمعينَ أن تدخلينَ ، هيهاتَ !! للجنَّةِ قومٌ آخرونَ ، ولهُم أعمالٌ غيرُ ما تعملينَ(٣)

حكاية

[جوابُ أحمدَ ابنِ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ عنِ الصُّوفيَّةِ]

٥٠٢ ـ وبـهِ إلىٰ أبي سعدٍ قـالَ : سمعتُ أبا محمَّدٍ عبدَ الغنيِّ بنَ محمَّدِ بنِ سعدٍ

للشنتمري (٢/٩٣٥ ـ ٩٣٦) وفيه ذكر الخلاف في نسبتها ، و« شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٤/١٦٧ ـ ١٦٩) وفيه عن الحزين ، وليس في أحد منها الترتيب المذكور ، والله أعلم .

(١) **الأُكْرة** : لُغَيَّة في الكُرَة ، وأخرج الخبرَ أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/١٥٢) ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/٥٧) ، والمزيُّ في « تهذيب الكمال » (٥/٣٩٢) ، وكلُّهم ذكر : (بالجَوْز) بدلاً من : (بالأُكْرة) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١١٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٥٤٩) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٩/٤٢٢٣) ، كلُّهم عن السري السقطي ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٦٨) عن الجنيد .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/٣٥٠) ، وانظر « منهاج العابدين » للغزالي (ص ١٩٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٤/٣٩١) .

الغَسَّانيَّ الحنبليَّ ، سمعتُ أبا الحسينِ المُبارَكَ بنَ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ الصَّيْرفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ العَتِيقيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ الحسنِ الصُّوفيَّ الطَّرَسُوسيَّ يقولُ : سمعتُ سليمانَ بنَ أحمدَ الطَّبرانيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ يقولُ : سمعتُ أبي وقد قيلَ لهُ : إنَّ هٰؤلاءِ الصُّوفيَّةَ جلوسٌ في المساجدِ على التَّوكُّلِ بغيرِ علمٍ ، فقالَ : العلمُ أقعدَهُم .

قيلَ لهُ : فإنَّ هِمَمَهُم كِسرةٌ وخِرْقةٌ !! فقالَ : لا أعلمُ أنَّ قوماً أعظمُ قدراً مِن قومٍ تكونُ هِمَمُهُم في الدُّنيا كِسرةً وخِرْقةً .

قيلَ : فإنَّهُم إذا سمعوا السَّماعَ . . يقومونَ يرقصونَ !! فقالَ أبي رحمَهُ اللهُ : دعوهُم يفرحونَ معَ اللهِ ساعةً[1]

حكاية

[نصائحُ أبي حازمٍ القاضي لسليمانَ بنِ عبدِ الملكِ]

٥٠٣ ـ [وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ] : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ المُظفَّرِ الفُوشَنْجيُّ بها ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الحَمُّوييُّ ـ قدمَ علينا ـ ، أنا أبو عمرانَ عيسى بنُ عمرَ السَّمَرْقَنْديُّ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الدَّارميُّ الحافظُ ، أنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا محمَّدُ بنُ عمرَ الكميتُ ، ثنا عليُّ بنُ وهبٍ الهَمْدانيُّ ، أنا الضَّحَّاكُ بنُ موسىٰ قالَ : كنتُ معَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ بالمدينةِ وهوَ يُريدُ مكَّةَ ، فأقامَ بها أيَّاماً ، فقالَ : هل بالمدينةِ أحدٌ أدركَ أحداً مِن أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟ قالوا لهُ : أبو حازمٍ ، فأرسلَ إليهِ ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . قالَ لهُ : يا أبا حازمٍ ؛ ما هٰذا الجَفاءُ ؟

قالَ أبو حازمٍ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ وأيَّ جَفاءٍ رأيتَ منِّي ؟

قالَ : أنا في وجوهِ أهلِ المدينةِ ولم تأتِني .

قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أُعيذُكَ باللهِ أن تقولَ ما لم يكنْ ، ما عرفتَني قبلَ هٰذا اليومِ ولا أنا رأيتُكَ .

قالَ : فالتفتَ سليمانُ إلىٰ محمَّدِ بنِ شهابٍ الزُّهريِّ ، فقالَ : أصابَ الشَّيخُ وأخطأتُ .

---

(١) أخرجه أبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٣٥) ، وانظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص٣٨) ، و« الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (١/٦٨٥) .

قالَ سليمانُ : يا أبا حازمٍ ؛ ما لنا نكرهُ الموتَ ؟ قالَ : لأنَّكُم أخربتُمُ الآخرةَ ، وعمرتُمُ الدُّنيا ، فكرهتُم أن تُنقَلوا مِنَ العمرانِ إلى الخرابِ .

قالَ : أصبتَ يا أبا حازمٍ ، فكيفَ القدومُ غداً على اللهِ تعالىٰ ؟ قالَ : أمَّا المُحسِنُ . . فكالغائبِ يَقدُمُ علىٰ أهلِهِ ، وأمَّا المُسيءُ . . فكالآبِقِ يَقدُمُ علىٰ مولاهُ .

فبكىٰ سليمانُ وقالَ : ليتَ شعري ؛ ما لنا عندَ اللهِ ؟ قالَ : اعرضْ عملَكَ علىٰ كتابِ اللهِ ، قالَ : وأيَّ مكانٍ أجدُهُ ؟ قالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ (١)

قالَ سليمانُ : فأينَ رحمةُ اللهِ يا أبا حازمٍ ؟ قالَ أبو حازمٍ : ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

قالَ لهُ سليمانُ : فأيُّ عبادِ اللهِ أكرمُ ؟ قالَ : أولو المروءةِ والنُّهىٰ .

قالَ لهُ سليمانُ : فأيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قالَ أبو حازمٍ : أداءُ الفرائضِ واجتنابُ المحارمِ .

قالَ سليمانُ : فأيُّ الدُّعاءِ أسمعُ ؟ قالَ أبو حازمٍ : دعاءُ المُحسَنِ إليهِ للمُحسِنِ .

قالَ : فأيُّ الصَّدقةِ أفضلُ ؟ قالَ : للسَّائلِ البائسِ ، وجُهدُ المُقِلِّ ليسَ فيها مَنٌّ ولا أذىً .

قالَ : فأيُّ القولِ أعدلُ ؟ قالَ : قولُ الحقِّ عندَ مَن تخافُهُ أو ترجوهُ .

قالَ : فأيُّ المؤمنينَ أكيسُ ؟ قالَ : رجلٌ عملَ بطاعةِ اللهِ ودلَّ النَّاسَ عليها .

قالَ : فأيُّ المؤمنينَ أحمقُ ؟ قالَ : رجلٌ انحطَّ في هوىٰ أخيهِ وهوَ ظالمٌ ، فباعَ آخرتَهُ بدنيا غيرِهِ .

قالَ لهُ سليمانُ : أصبتَ ، فما تقولُ فيما نحنُ فيهِ ؟ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أَوَيُعفىٰ ؟ قالَ لهُ سليمانُ : لا ، ولٰكنْ نصيحةٌ تُلقيها إليَّ .

قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ آباءَكَ قهروا النَّاسَ بالسَّيفِ ، وأخذوا هٰذا الملكَ عنوةً علىٰ غيرِ مشورةٍ مِنَ المسلمينَ ولا رضاً بهِم ، حتَّىٰ قتلوا منهُم مَقتَلةً عظيمةً ، فقدِ ارتحلوا عنها ، فلو شعرتَ ما قالوا وما قيلَ لهُم .

فقالَ رجلٌ مِن جلسائِهِ : بئسَ ما قلتَ يا أبا حازمٍ .

قالَ أبو حازمٍ : كذبتَ ، إنَّ اللهَ أخذَ ميثاقَ العلماءِ : لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا يكتمونَهُ .

---

(١) سورة الانفطار : (١٣ ـ ١٤) .

(٢) سورة الأعراف : (٥٦) .

قالَ لهُ سليمانُ : فكيفَ لنا أن نصلحَ ؟ قالَ : تدَعونَ الصَّلفَ ، وتمسكونَ بالمروءةِ ، وتقسمونَ بالسَّويَّةِ .

قالَ لهُ سليمانُ : كيفَ لنا بالمَأخَذِ بهِ ؟ قالَ أبو حازمٍ : تأخذُهُ مِن حلِّهِ وتضعُهُ في أهلِهِ .

قالَ لهُ سليمانُ : هل لكَ ـ يا أبا حازمٍ ـ أن تصحبَنا فتُصيبَ منَّا ونُصيبَ منكَ ؟ قالَ : أعوذُ باللهِ ، قالَ لهُ سليمانُ : ولِمَ ذاكَ ؟ قالَ : أخشىٰ أن أركنَ إليكُم شيئاً قليلاً فيُذيقَنيَ اللهُ ضعفَ الحياةِ وضعفَ المماتِ .

قالَ لهُ سليمانُ : ارفعْ إلينا حوائجَكَ ، قالَ : تُنجيني مِنَ النَّارِ وتُدخِلُني الجنَّةَ ، قالَ سليمانُ : ليسَ ذٰلكَ إليَّ ، قالَ أبو حازمٍ : فما لي إليكَ حاجةٌ غيرُها .

قالَ : فادعُ اللهَ ، قالَ أبو حازمٍ : اللَّهُمَّ ؛ إن كانَ سليمانُ وليَّكَ . . فيسِّرْهُ لخيرِ الدُّنيا والآخرةِ ، وإن كانَ عدوَّكَ . . فخُذْ بناصيتِهِ إلىٰ ما تُحِبُّ وترضىٰ .

قالَ سليمانُ : قَطْ ؟ قالَ أبو حازمٍ : قد أوجزتُ وأكثرتُ إن كنتَ مِن أهلِهِ ، وإن لم تكنْ مِن أهلِهِ . . فما ينفعُني أن أرميَ عن قوسٍ ليسَ لها وترٌ ؟!

قالَ لهُ سليمانُ : أَوْصِني ، قالَ : سأُوصيكَ وأُوجزُ : عظِّمْ ربَّكَ ، ونزِّهْهُ أن يراكَ حيثُ ينهاكَ أو يفقدَكَ مِن حيثُ أمرَكَ .

فلمَّا خرجَ مِن عندِهِ . . بعثَ إليهِ بمئةِ دينارٍ ، وكتبَ أَنْ : أَنفِقْها ولكَ عندي مثلُها كثيرٌ .

قالَ : فردَّها عليهِ وكتبَ إليهِ : (يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أُعيذُكَ باللهِ أن يكونَ سؤالُكَ إيَّايَ هزلاً ، وردِّي عليكَ بذلاً ، وما أرضاها لكَ فكيفَ أرضاها لنفسي ؟!)(١)

وكتبَ إليهِ : (إنَّ موسى بنَ عمرانَ لمَّا وردَ ماءَ مدينَ . . وجدَ عليهِ رِعاءً يسقونَ ، ووجدَ مِن دونِهِم جاريتَينِ تذودانِ ، فسألَهُما فقالتا : لا نسقي حتَّىٰ يصدرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخٌ كبيرٌ ، فسقىٰ لهُما ثمَّ تحوَّلَ إلى الظِّلِّ ، فقالَ : « رَبِّ ؛ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » ، وذٰلكَ أنَّهُ كانَ جائعاً خائفاً لا يأمنُ ، فسألَ ربَّهُ ولم يسألِ النَّاسَ ، فلم يفطنِ الرِّعاءُ وفطنَتِ الجاريتانِ .

---

(١) أخرجه إلىٰ هنا ابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٩٤ ـ ٩٥) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٣/٥٦١ ـ ٥٦٣) .

فلمَّا رجعتا إلىٰ أبيهِما . . أخبرَتاهُ بالقصَّةِ وبقولِهِ ، فقالَ أبوهُما ـ وهوَ شعيبٌ ـ : « هـٰذَا رَجُلٌ جَائِعٌ » .

قالَ لإحداهُما : « ٱذْهَبِي فَٱدْعِيهِ » ، فلمَّا أَتَتْهُ . . عظَّمَتْهُ وغطَّتْ وجهَها ، وقالَتْ : إنَّ أبي يدعوكَ ليجزيَكَ أَجْرَ ما سقيتَ لنا ، فشقَّ ذٰلكَ علىٰ موسىٰ حينَ ذكرَتْ : (أَجْرَ ما سقيتَ لنا) ، ولم يجدْ بُدّاً مِن أن يتبعَها ؛ أنَّهُ كانَ بينَ الجبالِ جائعاً مُستوحِشاً .

فلمَّا تبعَها . . هبَّتِ الرِّيحُ ، فجعلَتْ تَصفِقُ ثيابُها علىٰ ظهرِها فتصفُ لهُ عجيزتَها ، وكانَتْ ذاتَ عجزٍ ، وجعلَ موسىٰ يُعرِضُ مرَّةً ويغُضُّ مرَّةً ، فلمَّا عِيلَ صبرُهُ . . ناداها : « يَا أَمَةَ ٱللهِ ؛ كُونِي خَلْفِي وَأَرِينِيَ السَّمْتَ بِقَوْلِكِ » .

فلمَّا دخلَ علىٰ شعيبٍ . . إذا هوَ بالعَشاءِ مُهيَّأٌ ، فقالَ لهُ شعيبٌ : « ٱجْلِسْ ـ يَا شَابُّ ـ فَتَعَشَّ » ، فقالَ لهُ موسىٰ : « أَعُوذُ بِٱللهِ » ، فقالَ لهُ شعيبٌ : « لِمَ ؟ أَمَا أَنْتَ جَائِعٌ ؟ » ، قالَ : « بَلَىٰ ، وَلَـٰكِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَـٰذَا عِوَضاً لِمَا سَقَيْتُ لَهُمَا ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ لَا نَبِيعُ شَيْئاً مِنْ دِينِنَا بِمِلْءِ ٱلْأَرْضِ ذَهَباً » ، فقالَ لهُ شعيبٌ : « لَا يَا شَابُّ ، وَلَـٰكِنَّهَا عَادَتِي وَعَادَةُ آبَائِي ؛ نَقْرِي ٱلضَّيْفَ ، وَنُطْعِمُ ٱلطَّعَامَ » ، فجلسَ موسىٰ فأكلَ .

فإن كانَتْ هـٰذهِ المئةُ دينارٍ عوضاً لِمَا حدَّثتُ . . فالمِيتةُ ولحمُ الخنزيرِ في حالِ الاضطرارِ أحلُّ مِن هـٰذهِ ، وإن كانَ لِحَقٍّ لي في بيتِ المالِ . . فلي فيها نظراءُ ، فلو سَوَّيتَ بينَنا ، وإلَّا . . فليسَ لي فيها حاجةٌ)[١]

نُكتةٌ

[في قسمِ الخيرِ والشَّرِّ]

٥٠٤ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويِّ كما تقدَّمَ قالَ[٢] : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا يحيى بنُ عليٍّ المُديرُ بقراءَتي عليهِ ، أنا عبدُ الباقي بنُ أحمدَ الواعظُ ، أنا أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ البادا ، أنا أبو محمَّدٍ دَعْلَجُ بنُ أحمدَ بنِ دَعْلَجٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ زيدٍ الصَّائغُ ، ثنا سعيدُ بنُ منصورٍ ، ثنا سفيانُ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عميرٍ ،

---

(١) أخرجه الدارمي في « مسنده » (٦٧٣) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٤٥٦) بنحوه ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/٢٣٤ ـ ٢٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٢٢ ـ ٣٤) .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

سمعتُ ابنَ علاقةَ هـٰذا يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ يقولُ : (قِسْمُ الخيرِ قسمانِ ؛ فتسعةُ أعشارِهِ بالمَغرِبِ ، وعشرُهُ بالمَشرِقِ ، وقِسْمُ الشَّرِّ قسمانِ ؛ فتسعةُ أعشارِهِ بالمَشرِقِ ، وعشرُهُ بالمَغرِبِ) (١)

٥٠٥ ـ وبهِ إلىٰ سفيانَ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيّبِ قالَ : رأَتْ عائشةُ [رضيَ اللهُ عنها] كأَنَّهُ وقعَ في بيتِها ثلاثةُ أقمارٍ ، فقصَّتْها علىٰ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما وكانَ مِن أعبرِ النَّاسِ ، فقالَ : (إن صدقَتْ رؤياكِ . . لَيُدفَنَنَّ في بيتِكِ خيرُ أهلِ الأرضِ ؛ ثلاثةٌ) .

فلمَّا قُبِضَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قالَ : (يا عائشةُ ؛ هـٰذا خيرُ أقمارِكِ) (٢)

٥٠٦ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ قالَ : أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أبي عليٍّ الطَّحَّانُ الحافظُ في كتابِهِ إليَّ مِن هَمَذانَ ، أنا أبو ترابٍ عبدُ الباقي بنُ يوسفَ المَراغيُّ بنَيْسابورَ (٣) ، أنا أبو حاتمٍ أحمدُ بنُ الحسنِ الواعظُ بالرَّيِّ ، أنا عليُّ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدٍ الواعظُ ، سمعتُ أبا بكرِ بنَ بُرْدٍ الأَبْهَريَّ ، سمعتُ أبا بكرِ بنَ طاهرٍ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الشِّبْليَّ يقولُ : كنتُ في الطَّوافِ ، فسمعتُ صوتاً شجيّاً مِن قلبٍ حزينٍ وهوَ يقولُ : [من الطويل]

رَأَيْتُ ٱلْهَوَىٰ حُلْواً إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلشَّمْلُ ... وَمُرّاً عَلَى ٱلْهِجْرَانِ لَا بَلْ هُوَ ٱلْقَتْلُ

---

(١) المقصود بـ (المشرق) ها هنا : العراق وما وراءها ، وبـ (المغرب) : الشَّام ، ويؤيِّده : ما أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/١٥٩) عن كعب الأحبار : أنَّه قال حين استشار عمرُ النَّاسَ : بأيِّها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين ؟ قال : بالعراق ، قال : فلا تفعل ؛ فإنَّ الشَّرَّ عشرة أجزاء ، والخير عشرة أجزاء ، فجزء من الخير بالمشرق وتسعة بالمغرب ، وإنَّ جزءاً من الشَّرِّ بالمغرب وتسعة بالمشرق ، وبها قرن الشَّيطان وكلُّ داء عضال ، فعزم على الشَّام . انتهىٰ بتصرف .

وحديث وجود تسعة أعشار الخير بالشَّام أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/١٥٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً ، والله أعلم .

(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » (١/٢٣٢) ، وأبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٣٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/٤٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٦٠) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٧/٢٦٢) .

(٣) المَراغي : نسبة إلى (المَراغة) ، وهي مشهورة عظيمة ، أعظم وأشهر بلاد أَذْرَبِيجان . « معجم البلدان » (٥/٩٣) .

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ لِلْهَجْرِ طَعْماً فَإِنَّهُ إِذَا ذَاقَ طَعْمَ ٱلْوَصْلِ لَمْ يَدْرِ مَا ٱلْوَصْلُ
وَقَدْ ذُقْتُ طَعْمَيْهِ عَلَى ٱلْقُرْبِ وَٱلنَّوَىٰ فَأَوَّلُهُ خُرْقٌ وَآخِرُهُ قَتْلُ

قالَ : فنظرتُ ورأيتُ ، وتفرَّستُ فيهِ الخيرَ ، فنظرَ الفتىٰ إلى امرأةٍ تطوفُ ، فإذا سهمٌ أصابَ عينَهُ ، فقال : عيني عيني !! فذهبتُ وأخرجتُ السَّهمَ ، فإذا عليهِ مكتوبٌ : (نظرتَ بطرفِكَ إلىٰ غيرِنا ففقأْناهُ ، ولو نظرتَ بقلبِكَ إلىٰ غيرِنا . . لكويْناهُ) .

وقيلَ : (نظرتَ نظرةَ عبرةٍ فرميْناكَ بسهمِ الأدبِ ، ولو نظرتَ نظرَ شهوةٍ . . لرميْناكَ بسهمِ القَطِيعةِ)[1]

نُكْتَةٌ

[في أربعِ كلماتٍ تكفي]

٥٠٧ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو صابرٍ عبدُ الصَّبورِ بنُ عبدِ السَّلامِ الفاميُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو إسماعيلَ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ الأنصاريُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الجارُوديُّ الإمامُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ الأَزْديُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ نصرٍ العَطَّارُ المَرْوَزيُّ ، ثنا سعيدُ بنُ هُبَيرةَ ، ثنا حمَّادُ بنُ سلمةَ ، عن ثابتٍ البُنانيِّ قالَ : (أخرجَ رجلٌ مِن جميعِ كتبِهِ أربعَ كلماتٍ ، فقالَ : إنِ استعملتُ هٰذا . . فإنَّهُ يكفيني :

لا تغترَّنَّ بمالٍ وإن كَثُرَ ، ولا تثقَنَّ بامرأةٍ وإن طالَتْ صحبتُها معَكَ ، ولا تحملَنَّ علىٰ معدتِكَ ما لا تُطيقُ ، واطلبْ مِنَ العلمِ ما تنتفعُ بهِ)[2]

نُكْتَةٌ

[في خشيةِ العُتْبيِّ فسادَ ابنِهِ]

٥٠٨ ـ وأنبأَني مَن تقدَّمَ ذِكْرُهُ[3] ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ السَّمْعانيِّ ، كلاهُما عن أبي سعدٍ والدِ أبي المُظفَّرِ هٰذا إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ :

---

(١) بلغ مقابلة . انتهىٰ من هامش (ج) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٤١٢) عن إبراهيم بن علي الذهلي ، وانظر « بهجة المجالس » لابن عبد البر (١٣٦/٢) عن العتبي .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

أنا عبدُ المُنعِمِ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ القُشَيريُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو عثمانَ سعيدُ بنُ محمَّدٍ البَحِيريُّ ، أنا أبو أحمدَ محمَّدُ ابنُ محمَّدِ بنِ حمدانَ المَراريُّ (١) ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ، ثنا أبو العيناءِ قالَ : قلتُ للعُتْبيِّ : طلبتَ الولدَ بعدَ سبعينَ سنةً ، ولم تطلبْهُم قبلَ ذٰلكَ ، فلأيِّ شيءٍ فعلتَ هٰذا ؟

قالَ : لفسادِ الأبناءِ ، أردتُ أن أُذِلَّهُم باليُتمِ قبلَ أن يُذِلُّوني بالعقوقِ (٢)

نُكتةٌ

[في الاستقامةِ]

٥٠٩ ـ وبهِ إلى القُشَيريِّ قالَ : سمعتُ والدي يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ الرَّحمٰنِ محمَّدَ بنَ الحسينِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الشَّبُّويَّ (٣) يقولُ : رأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المَنامِ ، فقلتُ لهُ : رُوِيَ عنكَ أنَّكَ قلتَ : « شَيَّبَتْنِي هُودٌ » (٤) ، فما الَّذي شيَّبَكَ منهُ ؟ قصصُ الأنبياءِ وهلاكُ الأُمَمِ ؟

قالَ : « لَا ، وَلَـٰكِنْ قَوْلُهُ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ » (٥)

٥١٠ ـ وأُنبِئتُ عن أبي المُظفَّرِ ، وعبدِ المُعزِّ الهَرَويِّ قالا : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا أبو الفتوحِ بنُ أبي سهلٍ الشَّاهدُ ـ هوَ عبدُ المُنعِمِ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ سعدويهِ الأصبهانيُّ ـ ، أنا أبو الخيرِ ابنُ رَرَا ـ هوَ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ ابنِ هارونَ ابنُ رَرَا ، إمامُ جامعِ أصبهانَ ـ ، أنا أبو بكرٍ ابنُ مردويهِ الأصبهانيُّ ،

---

(١) المَراري : نسبة إلىٰ بيع المَرار ؛ وهو نوع من الحبال المتَّخذة من جلد الكَتَّان . « الأنساب » (٥/٢٤٨) .

(٢) أخرجه أبو عثمان البحيري في « فوائده » (ق/٦٠) مخطوط .

(٣) أبو عليٍّ هٰذا هو أحمد بن عمر بن شبُّويه . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) ، كذا قال ، وصوابه : محمَّد بن عمر بن شبُّويه ، ولعلَّه توهَّم ذٰلك لاشتباهه بأحمد بن عمر بن محمَّد بن شبُّويه ، أبي الهيثم ، انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/٤٢٣) ، و« تكملة الإكمال » لابن نقطة (٣/٤٠٠) ، والله أعلم .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢٩٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٣٤٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/٣٥٠) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (١/٣٥٧ ـ ٣٥٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٤٧٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢١٥) ، وابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٢/٢٢٩) ، وابن الدبيثي في « ذيل تاريخ مدينة السلام » (١/٥٣١) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/٤٢٣ ـ ٤٢٤) ، والآية من سورة (هود ﷺ) : (١١٢) .

ثنا الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الطَّيَّانُ ، ثنا محمَّدُ بنُ هارونَ بنِ شعيبٍ الأنصاريُّ ، ثنا [جَبْرونُ](١) بنُ عيسى الإفريقيُّ ، ثنا يحيى بنُ سليمانَ الحُفْريُّ(٢) ، سمعتُ فُضَيلَ بنَ عياضٍ يقولُ : (لَقَلْعُ الجبالِ بالإبَرِ أَهْوَنُ مِن قَلْعِ رِياسةٍ قد ثبتَتْ في القلبِ)(٣)

حكاية

[اعتبرْ أوِ انفعْ بشيءٍ]

٥١١ ـ وأُنبِئتُ عنهُما قالا : أنا أبو سعدٍ قالَ : أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخطيبُ بمَرْوَ ، أنا أبو الفضلِ(٤) عبدُ الكريمِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سهلانَ العجليُّ بالكَرَجِ ، ثنا أبو الفضلِ عبدُ الواحدِ بنُ سعيدٍ الأصبهانيُّ ، أنا أبو مسلمٍ عمرُ بنُ عليٍّ اللَّيثيُّ بأصبهانَ .

(ح) وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : وأخبرَناهُ أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ كاملِ بنِ دَيْسَمٍ العَسْقَلانيُّ إجازةً شافهَني بها بدِمشقَ قالَ : أنا عمرُ بنُ عليٍّ اللَّيثيُّ الحافظُ في كتابِهِ إليَّ قالَ : سمعتُ حمزةَ بنَ عليِّ بنِ يوسفَ أبا طاهرٍ الصُّوفيَّ ببُخارىٰ ، سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ الحسنِ بنِ زكريَّا المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ بعضَ المشيخةِ يقولُ : كنَّا معَ الدُّقِّيِّ ـ يعني : شيخَ الصُّوفيَّةِ ، مِن كبارِهِم ـ نسيرُ معَهُ . . إذ رأيْنا بِيعةً فيها النَّصارىٰ(٥) ، فدخلْنا نحنُ البِيعةَ لننظرَ ما فيها ، ثمَّ خرجْنا ، فإذا بالشَّيخِ واقفٌ مُتَّكِئٌ على العصا ، فقالَ لهُم : هلِ اعتبرتُم بشيءٍ أوِ انتفعوا منكُم بشيءٍ ؟ قلْنا : لا

فانصرفَ الشَّيخُ ودخلْنا معَهُ البِيعةَ مرَّةً أُخرىٰ ، فإذا بيتُ اللَّحمِ مفتوحٌ ، وإذا بصورةٍ في ذٰلكَ البيتِ ، وهيَ صورةُ عيسىٰ [عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ] مُصوَّرةً على الحائطِ .

فقالَ الشَّيخُ : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ؟(٦)

فقالَتِ الصُّورةُ : لا !!

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (خيرون) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « المؤتلف والمختلف » للدارقطني (٨٤٩/٢) ، و« الإكمال » لابن ماكولا (٢٠٧/٣ ـ ٢٠٨) ، و« تاريخ الإسلام » (١١٤/٢٢) .
(٢) إنَّما قيل له : **الحُفْري** ؛ لأنَّ داره كانت علىٰ حفرة بدَرْب أُمّ أيُّوب بالقَيْرَوان . « اللباب » لابن الأثير (٣٧٥/١) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٣٣٥/١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥/١٤) .
(٤) كذا ذكر ها هنا ، وقد مرَّ ضمن الخبر (٢٧٥) : (أبو القاسم) ، والله أعلم .
(٥) البِيعة : كنيسة النَّصارىٰ .
(٦) سورة المائدة : (١١٦) .

فتعجَّبوا منهُ ؛ النَّصارىٰ ، وأسلمَ علىٰ يدِ الشَّيخِ الدُّقِّيِّ سبعةٌ منهُم ، وخرجَ مِنَ البِيعةِ والنَّصارىٰ معَهُ مسلمونَ .

فقالَ الشَّيخُ : إذا دخلتُمُ البِيعةَ . . ادخلوا هٰكذا ، وإلَّا . . فلا تدخلوها .

حِكَايَةٌ

[أرادا الغَوايةَ فسبقَتْ لهُما العنايةُ]

٥١٢ ـ قالَ أبو مسلمٍ اللَّيثيُّ : فذكرتُ هٰذهِ الحكايةَ لشيخٍ مِن شيوخِ الصُّوفيَّةِ فقالَ : هٰذا بالسَّماعِ ، وأنا رأيتُ بعينيَّ : كنتُ بالقدسِ في جماعةٍ ، فقدمَ علينا شابَّانِ ظريفانِ مِنَ المُتصوِّفةِ مِن أهلِ مَرْوَ ، فمكثا معَنا في القدسِ ، ثمَّ خرجا إلى الخليلِ صلواتُ اللهِ عليهِ .

ثمَّ انصرفا إلىٰ تِنِّيسَ [١] ، وهناكَ رباطٌ للصُّوفيَّةِ ، وبحذائِهِ دَيرٌ للنَّصارىٰ ، فنهضا مِنَ الرِّباطِ إلى الدَّيرِ ؛ لتفرُّجِ القلبِ والاعتبارِ بالنَّظرِ إلىٰ أهلِ الذِّمَّةِ ، فحينَ أرادا الدُّخولَ إلى الدَّيرِ . . إذا بصبيٍّ منهُم كالبدرِ جمالاً وحُسناً ، فوقعَ نظرُ أحدِ الشَّابَّينِ عليهِ ، فتحيَّرَ في الحالِ ؛ كالمدهوشِ لا عقلَ لهُ ، فلمَّا أفاقَ . . أخذَهُ صاحبُهُ إلى الرِّباطِ ، فمكثَ سبعةَ أيَّامٍ ما يأكلُ شيئاً ، فكانَ إذا جاءَ وقتُ الصَّلاةِ . . قامَ إلى الصَّلاةِ ، فمكثَ على الطَّهارةِ سبعةَ أيَّامٍ .

فبعدَ السَّبعةِ الأيَّامِ قالَ لصاحبِهِ : اخرجْ واشترِ لي زُنَّاراً أشدُّهُ علىٰ وسطي ؛ لكي أوافقَ الصَّبيَّ [٢] .

فخرجَ واشترىٰ زُنَّارَينِ ، وقالَ : أنا أُوافِقُكَ علىٰ شدِّ الزُّنَّارِ كما وافقتَني في السَّفرِ مِن مَرْوَ إلىٰ ها هنا .

فخرجا إلى الدَّيرِ ـ وكانَ يومَ الأحدِ ، والنَّصارىٰ في أشغالِهِم ـ فقرعا البابَ قرعاً بعدَ قرعٍ ، فبعدَ ساعةٍ جاءَ واحدٌ ليفتحَ البابَ ، فإذا ذٰلكَ الصَّبيُّ ، فقصَّا عليهِ القصَّةَ ، وقالا : جئْنا لموافقتِكَ .

فقالَ الصَّبيُّ : يا هٰذانِ ؛ أيَّ شيءٍ تقولانِ ؟ فمنذ دخلتُما مِن ذٰلكَ اليومِ كنتُ في حالٍ لا أدري أنا في أيِّ مكانٍ ، فإذا كانَ الأمرُ علىٰ هٰذا . . فأنتُما مِن أهلِ الإسلامِ واثنانِ ،

---

(١) تِنِّيس : جزيرة في بحر مصر قريبة من البرّ . « معجم البلدان » (٢/٥١) .

(٢) الزُّنَّار : ما يَلْبَسُه المجوسيُّ والنَّصرانيُّ يشدُّه علىٰ وسطه .

وأنا مِن أهلِ الذِّمَّةِ وأَحَدٌ ؛ فالواجبُ عليَّ أن أُوافِقَكُم في دينِكُم دينِ الإسلامِ ، وهوَ خيرُ الأديانِ ، فوافقَهُما في الإسلامِ وأسلمَ ، وخرجَ معَهُما .

* * *

٥١٣ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ كاملِ ابنِ مجاهدٍ المَقْدِسيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو مسلمٍ عمرُ بنُ عليٍّ اللَّيثيُّ الحافظُ إجازةً ، أنا أبو عليٍّ عليُّ بنُ عمرَ السَّمَرْقَنْديُّ الحافظُ ، أخبرَني أبو حنيفةَ عبدُ الصَّمدِ بنُ يحيى الصَّيْرفيُّ ببُخارىٰ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ موسى السَّلاميُّ ، سمعتُ العبَّاسَ بنَ الفضلِ الكُوفيَّ ، سمعتُ الحسينَ بنَ هارونَ الضَّبِّيَّ يقولُ : قالَ عليُّ بنُ المَدِينيِّ : (تَدرونَ مَنِ الطُّفَيليُّ في أصحابِ الحديثِ ؟ الَّذي يكتبُ مِن محابرِ النَّاسِ) [١]

* * *

٥١٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الفرجِ سعيدُ بنُ أبي الرَّجاءِ ابنِ منصورٍ الدُّوريُّ بقراءتي عليهِ [قالَ] : أنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ الكَرَجيُّ قدمَ علينا سنةَ خمسٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ ، أنا أبو القاسمِ هبةُ اللهِ بنُ الحسنِ الطَّبَريُّ الحافظُ اللَّالكائيُّ ببغدادَ ، ثنا محمَّدُ بنُ عثمانَ بنِ محمَّدٍ الدَّقِيقيُّ ، ثنا الحسينُ بنُ محمَّدِ ابنِ عَبادةَ الواسِطيُّ ، ثنا مسلمُ بنُ عيسى الأحمرُ ، ثنا إبراهيمُ بنُ [بشَّارٍ] [٢] ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ سُوقةَ ، عن مكحولٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (قرآناً غيرَ ذي عِوَجٍ) ؛ قالَ : (غيرَ مخلوقٍ) [٣]

نُكْتَةٌ
[في خاتَمِ الأعمشِ]

٥١٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ المُظفَّرِ الشَّهْرَزُوريُّ بالمَوْصِلِ بقراءتي عليهِ ، أنا عمرُ بنُ عبيدِ اللهِ ابنُ البقَّالِ ، أنا أبو القاسمِ بكرُ بنُ شاذانَ الواعظُ ، ثنا أبو محمَّدٍ جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ نُصَيرٍ الخُلْديُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ مسروقٍ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ١٥٥ ـ ١٥٦) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (بشر) ، والمثبت من « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٦/٥٨) ، و« تبصير المنتبه » لابن حجر (١/٨٣) .

(٣) أخرجه الآجري في « الشريعة » (١٦٠) ، وابن بطة في « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية » (٢٠٧١) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٣٥٤) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٣١١) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٧٠٣) .

الطُّوسيُّ ، ثنا أبو حميدٍ ، ثنا جريرٌ قالَ : (كانَ الأعمشُ قد نقشَ علىٰ خاتَمٍ : « قد أَبْرَمْتَ فقُمْ » ، فإذا ثقَّلَ عليهِ جليسٌ لهُ . . تختَّمَ بهِ ثمَّ رمىٰ بهِ قُدَّامَهُ ، فإذا قرأَهُ . . قامَ)[1]

نُكتةٌ

[في مُؤاكلةِ الحبيبِ والبغيضِ]

٥١٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ ابنُ الشَّهْرَزُوريِّ بالمَوْصِلِ ، وأبو القاسمِ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ ببغدادَ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ قالا : أنا عمرُ بنُ عبيدِ اللهِ ابنُ البقَّالِ بسندِهِ المُتقدِّمِ إلى الطُّوسيِّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ شبيبٍ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ البَكْريُّ ، سمعتُ الخليلَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ بعضَ أهلِ الأدبِ يقولُ : (مُؤاكلةُ الحبيبِ جَوارشنٌ[2] ، ومُؤاكلةُ البغيضِ تُخَمةٌ) .

نُكتةٌ

[في طلبِ الحديثِ دونَ النَّحْوِ]

٥١٧ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ التَّيميُّ الحافظُ إملاءً بجامعِ أصبهانَ ، أنا عمرُ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ سعدويهِ الدِّهِسْتانيُّ الحافظُ قالَ : قرأتُ في « نوادرِ ابنِ الأعرابيِّ » فيما رواهُ عنِ الطَّيِّبِ بنِ عليٍّ التَّميميِّ ، عن أبي عبدِ اللهِ نِفْطويهِ[3] ، عن ثعلبٍ ، عنِ ابنِ الأعرابيِّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ سلَّامٍ الجُمَحيُّ ، أخبرَني عبدُ اللهِ بنُ الحارثِ قالَ : قالَ حمَّادُ بنُ سلمةَ : (مَثَلُ الَّذي يطلبُ الحديثَ ولا يعرفُ النَّحْوَ مَثَلُ الحمارِ عليهِ مِخْلاةٌ ليسَ فيها شعيرٌ)[4]

---

(١) انظر « المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ٥٨٩) بلا نسبة ، و« العقد الفريد » (٢/٢٩٦) بلا نسبة ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/٧٣٨) عن مسهر بن عبد الأعلىٰ .

(٢) جَوارشن ـ بفتح الجيم كما ضبطها المؤلِّف ـ : الدَّواءُ يهضم الطعامَ .

(٣) (نِفْطويه) : في (أ ، ب ، ج) : (بن نِفْطويه) ، والصواب المثبت ، وإنَّما لقِّب (نِفْطويه) لشبهه بالنِّفط ؛ لدمامته وأُدْمته ، وانظر « نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص ٢٢٨) ، و« معجم الأدباء » (١/٢٣٦) ، و« وفيات الأعيان » (١/٤٧) ، و« بغية الوعاة » (١/٤٢٨) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٠٨١) ، وانظر « معجم الأدباء » (١/٨٨) ، و« إنباه الرواة » للقفطي (١/٣٢٩) .

حكاية اللص والقاضي عجيبة[1]

٥١٨ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ الهَرَوِيِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ القويّ المَصِّيصيُّ اللَّاذِقيُّ بقراءتي عليهِ بدِمشقَ في جامعِها قالَ : أنا أستاذيَ الفقيهُ أبو الفتحِ نصرُ بنُ إبراهيمَ بنِ نصرٍ النَّابُلُسيُّ المَقْدِسيُّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً ، أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ محبوبٍ النَّحْويُّ في جامعِ بيتِ المَقْدِسِ ، ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ الحسينِ القاضي بنهاوَنْدَ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ الرَّازيُّ ، ثنا أبي ، عن جدِّي ، عن محمَّدِ بنِ مقاتلٍ قاضي الرَّيِّ قالَ : كانَ محمَّدُ بنُ الحسينِ القاضي يُكثِرُ الادِّلاجَ إلىٰ بساتينِهِ ، فيُصلِّي الصُّبحَ ، ثمَّ يعودُ إلىٰ منزلِهِ إذا ارتفعتِ الشَّمسُ وعلا النَّهارُ .

قالَ محمَّدُ بنُ مقاتلٍ : فسألتُهُ عن ذٰلكَ ، فقالَ : بلغَني في حديثٍ عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « حُبِّبَ إِلَيَّ ٱلصَّلَاةُ فِي ٱلْحِيطَانِ »[2] ، وذٰلكَ أنَّ أهلَ اليمنِ يُسمُّونَ البستانَ : الحائطَ .

قالَ محمَّدُ بنُ الحسينِ : فخرجتُ إلىٰ حائطٍ لأُصلِّيَ فيهِ صلاةَ الفجرِ رغبةً في الثَّوابِ والأجرِ ، فعارضَني لصٌّ جريءُ القلبِ ، خفيفُ الوَثْبِ ، في يدِهِ خَنْجَرٌ كلسانِ الكلبِ ، ماءُ المنايا تجولُ في فِرِنْدِهِ[3] ، والآجالُ تلوحُ في حدِّهِ ، فضربَ بيدِهِ إلىٰ صدري ، ومكَّنَ الخَنْجَرَ مِن نحري ، وقالَ لي بفصاحةِ لسانٍ ، وجُرأةِ جَنانٍ : انزعْ ثيابَكَ ، واحفظْ إهابَكَ ، ولا تُكثِرْ كلامَكَ ، فتلقىٰ حِمامَكَ ، ودعْ عنكَ التَّلوُّمَ وكثرةَ الخطابِ ، فلا بدَّ لكَ مِن نزعِ هٰذهِ الثِّيابِ .

فقلتُ لهُ : يا سبحانَ اللهِ !! أنا شيخٌ مِن شيوخِ البلدِ ، وقاضٍ مِن قضاةِ المسلمينَ ، يُسمَعُ كلامي ، ولا تُرَدُّ أحكامي ، ومعَ ذٰلكَ فإنِّي مِن نقلةِ حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منذ أربعينَ سَنَةً ، ومِن علماءِ الإسلامِ بكلِّ فريضةٍ وسُنَّةٍ ، أما تستحيي مِنَ اللهِ أن يراكَ حيثُ نهاكَ ؟!

فقالَ لي : بلىٰ ، يا سبحانَ اللهِ !! أنتَ أيضاً أما تراني شابّاً مِلْءَ بدني ، أروقُ النَّاظرَ ،

---

(١) حكاية اللِّصِّ مع القاضي ، وفيها فوائد علميَّة ؛ فلينظر ثمَّة . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٤) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٣) الفِرِنْد : السَّيف .

وأملأُ الخاطرَ ، آوي الكهوفَ والغِيرانَ ، وأشربُ ماءَ القيعانِ والغُدرانِ ، وأسلكُ مَخُوفَ المسالكِ ، وأُلقي بيدي إلى المهالكِ ، ومعَ ذلكَ فإنِّي وَجِلٌ مِنَ السُّلطانِ ، مُشَرَّدٌ عنِ الأهلِ والأوطانِ ؟! حتَّىٰ إذا عَثَرتُ في النَّدْرةِ برجلٍ مثلِكَ . . أفأتركُهُ يمضي إلىٰ منزلٍ رحبٍ ، وعيشٍ رطبٍ ، وماءٍ عذبٍ ، وأبقىٰ أنا ها هنا أُكابِدُ التَّعبَ ، وأُناصِبُ النَّصَبَ ، وأُجاهِدُ العيشَ الشَّغِبَ ؟![1] ، إنَّ هٰذا لعجزٌ مِنَ الرَّأيِ ، وضَرْبٌ مِنَ المُحالِ .

وأنشدَ : [من الوافر]

تُـرِي عَـيْـنَـيْـكَ مَـا لَـمْ تَـرْأَيَـاهُ كِـلَانَـا عَـالِـمٌ بِـالـتُّـرَّهَـاتِ[2]

قالَ أبو العبَّاسِ : قالَ القاضي : إنِّي أراكَ شابّاً فاضلاً ، ولصّاً عاقلاً ، ذا وجهٍ صَبيحٍ ، ولسانٍ فصيحٍ ، ومنظرٍ وإشارةٍ ، وبراعةٍ وعبارةٍ ، وهذاذةٍ وبذاذةٍ[3] ؛ فهل لكَ إلىٰ خَصْلةٍ تُعقِبُكَ أجراً ، وتُكسِبُكَ شكراً ، وتُحفيكَ ذخراً ، ولا تهتكُ منِّي ستراً ؟

ومعَ ذلكَ فإنِّي مُسلِّمٌ الثِّيابَ إليكَ ، وخالِعُها عليكَ ، تمضي معي إلى البستانِ ، فأتوارىٰ بالجدرانِ ، وأُسلِّمُ إليكَ الثِّيابَ ، وتمضي على المَسارِّ والمَحابِّ .

قالَ اللِّصُّ : يا سبحانَ اللهِ !! تشهدُ لي بالعقلِ ، وتُخاطِبُني بالجهلِ ؟! ويحَكَ !! مَن يُؤمِّنُني منكَ ؛ أن يكونَ لكَ في البستانِ غلامانِ عِلْجانِ جَلْدانِ ، ذوا سواعدَ شديدةٍ ، وقلوبٍ غيرِ رِعْدِيدةٍ[4] ، فيشدَّاني وَثاقاً ، ويُسلِّماني إلى السُّلطانِ ، فيُحكِّمَ فيَّ آراءَهُ ، ويقضيَ عليَّ ما شاءَهُ ، فإمَّا أن يُورِدَنيَ الحَتْفَ ، وإمَّا أن يسومَنيَ الخَسْفَ ؟!

قالَ القاضي : لَعَمري ؛ إنَّهُ مَن لم يُفكِّرْ في العواقبِ . . فليسَ الدَّهرُ له بصاحبٍ ، وحقيقٌ بالوَجَلِ مَن كانَ لهُ السُّلطانُ مُراصِداً ، وخليقٌ بإعمالِ الحِيَلِ مَن كانَ لهٰذا الشَّأنِ قاصداً ، وسبيلُ العاقلِ ألَّا يغترَّ بعدوِّهِ بل يكونُ منهُ علىٰ حذرٍ ، وإن كانَ لا حذرَ مِن قَدَرٍ ، ولٰكنِّي أحلفُ لكَ أَلِيَّةَ مُسلِمٍ ، وجُهدَ مُقسِمٍ ؛ أنِّي لا أُوقِعُ بكَ مَكْراً ، ولا أُضمِرُ لكَ غَدْراً .

---

(١) عيش شَغِب : مُخاصِم مُخالِف لا يُواتيه .

(٢) البيت لسراقة البارقي كما في « ديوانه » (ص٧٨) وفيه : (أُري عينيَّ) ، وأمَّا قوله : (ترأياه) . . فتلخيص المسألة ما ذكره أبو القاسم الزَّجَّاجيُّ في « الأمالي » (ص٥٦) : (أمَّا قوله : « ما لم ترأياه » . . فإنَّه ردَّهُ إلىٰ أصله ، والعربُ لم تستعمل « أرىٰ » و« يرىٰ » و« ترىٰ » و« نرىٰ » إلَّا بإسقاط الهمزة تخفيفاً ، فأمَّا في الماضي . . فالهمزة مثبتةٌ ، وكان المازنيُّ يقول : الاختيارُ عندي أن أرويَهُ : « لم ترياه » ؛ لأنَّ الزِّحافَ أيسرُ من ردِّ هٰذا إلىٰ أصله) .

(٣) أي : ذا سَبْقٍ وغَلَبٍ ، وسرعةٍ في الحديث .

(٤) غير رِعْدِيدة : ثابتة غير مضطربة .

قالَ لهُ اللِّصُّ : لَعَمري ؛ لقد حسَّنتَ عبارتَكَ ونَمَّقتَها ، وجَنَّستَ إشارتَكَ وطبَّقتَها ، ونثرتَ حَبَّ خيرِكَ علىٰ فخِّ غيرِكَ ، وقد قيلَ في المثلِ السَّائرِ علىٰ ألسنةِ العربِ ، والمُستفيضِ في عَرَصاتِ الأدبِ : (أنجزَ حُرٌّ ما وعدَ)[1] ، ووفىٰ بما عهدَ ، أَدرِكِ الأسدَ مِن قبلِ أن يلتقيَ على الفَرِيسةِ لَحْياهُ ، ولا يُعجِبَنَّكَ مِن عدوٍّ حُسنُ مُحيَّاهُ .

وأنشدَ : [من الخفيف]

لَا تَـخْـدِشَـنْ وَجْـهَ ٱلْـحَـدِيـثِ فَـإِنَّـا ... قَـدْ كَـشَـفْـنَـاهُ قَـبْـلَ كَـشْـفِـكَ عَـنْـهُ

وَٱطَّـلَـعْـنَـا عَـلَـيْـهِ وَٱلْـمُـتَـوَلِّـي ... قَـطْـعَ أُذْنِ ٱلْـعَـيَّـارِ أَعْـيَـرُ مِـنْـهُ[2]

ثمَّ قالَ اللِّصُّ : ألم يزعمِ القاضي أنَّهُ كتبَ الحديثَ زماناً ، ولقيَ فيهِ مِنَ الشُّيوخِ كهولاً وشُبَّاناً ، حتَّىٰ فازَ ببِكْرِهِ وعُونِهِ ، وحازَ فِقَرَ مُتونِهِ وعيونِهِ ؟

قالَ القاضي : أجل .

قالَ اللِّصُّ : فأيَّ شيءٍ كتبتَ في هٰذا المَثَلِ ، الَّذي ضربتُ لكَ فيهِ المُثُلَ ، وأعملتُ لكَ فيهِ الحِيَلَ ؟

قالَ القاضي : ما يحضرُني في هٰذا المَقامِ ، الحَرِجِ الالتزامِ ، المُؤذِنِ صاحبَهُ بالإرغامِ ، [حديثٌ][3] أُسنِدُهُ ، ولا [خبرٌ][4] أُورِدُهُ ؛ فقد قطعَتْ هيبتُكَ كلامي ، وصَدَعَتْ قبضتُكَ عظامي ، وأخذَتْ منِّي بالكَظَمِ[5] ، ومنعَتْني لذيذَ النَّسَمِ ، فلساني كليلٌ ، وجَناني عليلٌ ، وخاطري نافرٌ ، ولُبِّي طائرٌ .

قالَ اللِّصُّ : فَلْيسكنْ لُبُّكَ ، وَلْيطمئنَّ قلبُكَ ، فليسَتْ لي حاجةٌ إلَّا ثيابَكَ ، اسمعْ هٰذا الحديثَ ويكونُ بثيابِكَ ، حتَّىٰ لا يذهبَ منكَ شيءٌ إلَّا بفائدةٍ[6]

قالَ القاضي : هاتِ ، ما هٰذهِ الفائدةُ ؟

قالَ اللِّصُّ : حدَّثني أبي ، عن جدِّي ، عن ثابتٍ البُنانيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ اللهُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٤٣٣/٣) .

(٢) العَيَّار : النَّشيط كثير المجيء والذَّهاب في الأرض ، وربَّما سمِّي به الأسدُ أو الفرسُ .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (حديثاً) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (خبراً) .

(٥) الكَظَم : مخرج النَّفَس من الحلق .

(٦) ويكون بثيابك : الباء فيه باء البدل ؛ يعني : ويكون سماعُك هٰذا الحديثَ بدلاً مِن ثيابك .

عنهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَمِينُ ٱلْمُكْرَهِ لَا يُلْزِمُهُ ؛ فَإِنْ حَلَفَ وَحَنِثَ . . فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ » ، انزعِ الثِّيابَ .

قالَ القاضي : يا هٰذا ؛ قد أعييتَني بمَضاءةِ جَنانِكَ ، وذَرابةِ لسانِكَ ، وأَخْذِكَ عليَّ الحُجَجَ مِن كلِّ جانبٍ ، وجئتَ بألفاظٍ كأنَّها لَسْعُ العقاربِ ، أقمْ ها هنا حتَّىٰ أمضيَ إلى البستانِ ، وأتوارىٰ بالجدرانِ ، وأنزعَ هٰذهِ الخُلْقانَ ، وأدفعَها إلىٰ صبيٍّ ضَرَعٍ غيرِ بالغٍ[1] ، تأمنُ مَكرَهُ ، وتغلبُ شرَّهُ ، ولا يلزمُهُ حقٌّ ، ولا يجبُ عليهِ حكمٌ ، ولا أَنْهَتِكُ أنا علىٰ هٰذهِ الحالةِ ، فتكثرَ فيَّ وفيكَ القالةُ .

قالَ اللِّصُّ : أيُّها الشَّيخُ ؛ قد أطلتَ المناظرةَ ، وأكثرتَ المحاورةَ ، ونحنُ علىٰ طريقٍ ذي غَرَرٍ ، ومكانٍ علىٰ ميلٍ وَعِرٍ ، وأَمْرُنا في ذٰلكَ علىٰ خطرٍ ، وهٰذهِ المراوغةُ لا تنتجُ لكَ نفعاً ، ولا تستطيعُ لِمَا أَرومُهُ منكَ دفعاً ، ومعَ هٰذا فتزعمُ أنَّكَ مِن أهلِ العلمِ والرِّوايةِ ، والفهمِ والدِّرايةِ ؟ وقد رُوِيَ عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱلشَّرِيعَةُ شَرِيعَتِي وَٱلسُّنَّةُ سُنَّتِي ؛ فَمَنِ ٱبْتَدَعَ فِي شَرِيعَتِي وَسُنَّتِي . . فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ٱللهِ » .

قالَ القاضي : يا هٰذا ؛ وما ها هنا مِنَ البِدَعِ أشدُّ ممَّا ابتدعتَ ؟

قالَ اللِّصُّ : نعم ، اللُّصوصيَّةُ بنَسِئَةٍ بدعةٌ[2] ، انزعِ الثِّيابَ ، فقد أَرخَيتُ لكَ في طِوَلِكَ ، وأوسعتُ لكَ في ساحةِ مجالِكَ ، ولم أشددْ عِقالَكَ ؛ حياءً مِن حسنِ عبارتِكَ ، وفِقَرِ بلاغتِكَ ، وتقلُّبِكَ في المُناظرةِ ، وصبرِكَ تحتَ المُخاطرةِ .

فنزعَ القاضي ثيابَهُ ، ودفعَها إليهِ ، وبقيَ السَّراويلُ .

فقالَ اللِّصُّ : انزعِ السَّراويلَ حتَّىٰ تتمَّ الخِلْعةُ .

فقالَ القاضي : ما أشرهَكَ وأرغبَكَ !! وأشدَّ كَلَبَكَ وطلبَكَ !![3] ، دَعِ الاغتنامَ ، وامضِ بسلامٍ ، ففيما أخذتَ كفايةٌ ، ودعْ هٰذا السَّراويلَ ، فإنَّهُ لي سَترٌ ووِقايةٌ ، لا سيَّما وهٰذهِ صلاةُ الفجرِ قد أَزِفَ حضورُها ، وقَرُبَ وقوعُها ، وأخافُ أن تفوتَني فأُصلِّيَها في غيرِ وقتِها ، وقد تعمَّدتُ تركَها ؛ رجاءَ أن أفوزَ بها في مكانٍ يحبَطُ فيهِ وِزري ، ويُضاعَفُ

---

(١) الضَّرَع : الصَّغيرُ السِّنِّ الضَّعيفُ الضَّاوي النَّحيفُ .

(٢) النَّسِئة : التَّأخير .

(٣) الكَلَب : الحرص .

أجري ، ومتىٰ منعتَني مِن ذٰلكَ . . كنتُ كما قالَ الشَّاعرُ : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً ... فِيمَا مَضَىٰ مِنْ سَالِفِ ٱلْأَحْوَالِ

حَسَدَ ٱلْقَطَاةَ فَرَامَ يَمْشِي مَشْيَهَا ... فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْعُقَّالِ (١)

فَأَضَلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا ... فَلِذَاكَ كَنَّوْهُ : أَبَا ٱلْمِرْقَالِ

قالَ اللِّصُّ : القاضي ـ أيَّدَهُ اللهُ تعالىٰ ـ يرجعُ إلىٰ خِلْعةٍ غيرِها أحسنَ منها منظراً ، وأجودَ خطراً ، وأنا لا أملكُ سواها ، ومتىٰ لم يكنِ السَّراويلُ في جملتِها . . ذهبَ حسنُها ، وقلَّ ثمنُها ، ولا سيَّما والتِّكَّةُ مُنَمَّقةٌ (٢) ، مليحةٌ وسيمةٌ ، ولها مقدارٌ وقيمةٌ ، فدعْ عنكَ ضربَ الأمثالِ ، وأقلعْ عن تَردادِ المَقالِ ، فإنِّي لستُ ممَّن يلينُ بالمِحالِ (٣) ، ما دامَتِ الحاجةُ ماسَّةً إلى السِّروالِ .

ثمَّ أنشأَ اللِّصُّ يقولُ : [من الكامل]

لَا تَطْلُبَنْ مِنِّي ٱلْخَلَاصَ فَإِنَّنِي ... أُفْتِي إِذَا مَا جِئْتَنِي بِسُؤَالِ

وَلَأَنْتَ إِنْ أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَ ذَا ... قَوْلٍ وَعِلْمٍ كَامِلٍ وَفَعَالِ

جَارَتْ عَلَيْهِ يَدُ ٱللَّيَالِي فَٱنْثَنَىٰ ... يَبْغِي ٱلْمَعَاشَ بِصَارِمٍ فَصَّالِ

فَٱلْمَوْتُ فِي ضَنْكِ ٱلْمَوَاقِفِ دُونَ أَنْ ... أَلْقَى ٱلرِّجَالَ بِذِلَّةِ ٱلتَّسْآلِ

وَٱلْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ ... أَوْ لَا فَقَوِّمْهُ عَلَى ٱلْبَقَّالِ

ثمَّ قالَ : ألم يذكرِ القاضي أنَّهُ يتفقَّهُ في الدِّينِ ، ويتصرَّفُ في فتاوى المسلمينَ ؟

قالَ القاضي : أجل .

قالَ اللِّصُّ : فمَن صاحبُكَ مِن أئمَّةِ الفقهاءِ وصدورِ العلماءِ ؟

قالَ القاضي : صاحبي محمَّدُ بنُ إدريسَ الشَّافعيُّ .

قالَ اللِّصُّ : يا لها مِن نادرةٍ ما أغربَها !! وحكايةٍ ما أعجبَها !! أيخفىٰ عليكَ هٰذا المقدارُ ، وأنتَ تُعتزىٰ إلى الفقهاءِ والنُّظَّارِ ؟! وإنَّها لَهُجْنةٌ على الإسلامِ ، ومَعَرَّةٌ على

---

(١) **العُقَّال** : داءٌ في رِجل الدَّابَّة ، إذا مشىٰ . . عرج ساعة ثمَّ انبسط .

(٢) **التِّكَّة** : رباط السَّراويل .

(٣) **المِحال** : المَكْر والخديعة .

الحكَّامِ[1] ، علىٰ أيِّ شيءٍ قالَ صاحبُكَ في صلاةِ الفجرِ وغيرِها وأنتَ عُريانٌ ؟

قالَ القاضي : لا أدري .

قالَ اللِّصُّ : اسمعْ هٰذا ويكونُ بالسَّراويلِ حتَّىٰ لا تذهبَ ثيابُكَ إلَّا بالفوائدِ .

قالَ القاضي : قلْ .

قالَ اللِّصُّ : حدَّثَني أبي ، عن جدِّي ، عن محمَّدِ بنِ إدريسَ الشَّافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ يرفعُهُ في إسنادِهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صَلَاةُ ٱلْعُرْيَانِ جَائِزَةٌ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ » ، وتأوَّلَ في ذٰلكَ غرقى البحرِ إذا عطِبوا وسلِموا إلى السَّاحلِ[2] .

فنزعَ القاضي السَّراويلَ ، وقالَ : خُذْهُ فأنتَ أشبهُ بالقضاءِ منِّي ، وأنا باللُّصوصيَّةِ أشبهُ ، يا مَن درسَ علىٰ أخذِ ثيابي « مُوطَّأَ مالكٍ » و« كتابَ المُزَنيِّ » .

ومدَّ يدَهُ ليدفعَهُ إليهِ ، فرأى الخاتَمَ في إصبَعِهِ اليُمنىٰ ، فقالَ : انزِعِ الخاتَمَ .

فقالَ القاضي : إنَّ هٰذا ليومٌ عصيبٌ ، ما رأيتُ أثقلَ منهُ ، ولا أنحسَ صباحاً ، ولا أقلَّ نجاحاً ؛ إذ رماني بهٰذا الأمرِ المُنكَرِ ، وقصدَني بأُمِّ حَبَوْكَرٍ[3] ، ويحَكَ !! ما أشرهَكَ وأرغبَكَ !! وأشدَّ تطلُّبَكَ وكَلَبَكَ !! دعْ ما أنتَ فيهِ ، وأقلعْ عمَّا أنتَ عليهِ ، فالخاتَمُ لا سبيلَ لكَ إليهِ .

قالَ : وَلِمَ ؟

قالَ : لأنَّهُ عاريةٌ معي ، وأُنسيتُهُ في إصبَعي ، فلا تُلزِمْني بأَخْذِكَ إيَّاهُ غرامتَهُ ، فأتحمَّلَ أكثرَ مِن قيمتِهِ .

قالَ اللِّصُّ : أَوَلم يزعمِ القاضي أنَّهُ شافعيُّ المذهبِ ، وهوَ فيهِ طويلُ الباعِ والمَنكِبِ ؟

قالَ القاضي : فنعم ، هاتِ ، ما الَّذي بقيَ مِن درسِكَ ؟

قالَ اللِّصُّ : فَلِمَ تختَّمتَ في اليمينِ ، وهوَ شعارُ المُضادِّينَ ؟

قالَ القاضي : أَوَليسَ ذاكَ بجائزٍ ؟

---

(١) المَعَرَّة : الإثم .

(٢) انظر « الأم » للشافعي (٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥) في باب صلاة العراة .

(٣) أُمُّ حَبَوْكَر : أعظم الدَّواهي .

قالَ اللِّصُّ : بلىٰ ، إلَّا أنَّهُ قد صارَ التَّختُّمُ في اليمينِ مِن شعارِ المُضادِّينَ ، فحصلَ فرقٌ بينَ المُخالِفِ والمُؤالِفِ .

قالَ القاضي : إن أردتَ الخلافَ في المذهبِ . . فليسَ عندَ صاحبِ المذهبِ بهِ مِن بأسٍ .

قالَ : لا ، أردتُ الخلافَ بينَ أهلِ السُّنَّةِ والرَّافضةِ .

قالَ القاضي : فأنا أعتقدُ ولاءَ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، وتفضيلَهُ علىٰ سائرِ المسلمينَ ، مِن غيرِ طعنٍ على السَّلفِ الماضينَ الرَّاشدينَ ، ولا عدولٍ عنِ السُّنَّةِ والدِّينِ ، وهٰذا جَلِيَّةُ اعتقادي ، وعلىٰ مذهبِ الشَّافعيِّ في الحكومةِ اعتمادي ، وعليهِ سائرُ أهلِ بلادي .

قالَ اللِّصُّ : نِعْمَ ما ذهبتَ إليهِ ، واعتمدتَ عليهِ ، إن قالَ قائلٌ أو نازعَكَ مُنازعٌ : بِمَ استحقَّ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ أن يكونَ أفضلَ النَّاسِ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟

قالَ القاضي : الجوابُ في ذٰلكَ : أنَّ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ إنَّما استحقَّ الفضلَ علىٰ مَن سِواهُ مِنَ الصَّحابةِ والقرابةِ ؛ لأنَّهُ أقربُهُم منهُ لُحْمةً ، وأدناهُم حُرمةً ، وأزكاهُم مَركَباً ، وأطيبُهُم مَنصِباً [1] ، وكانَ صهرَهُ النَّاسكَ ، وسيفَهُ الفاتكَ ، وهوَ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فرعانِ مِن شجرةٍ .

قالَ اللِّصُّ : أذٰلكَ الَّذي أوجبَ لهُ الفضلَ علىٰ مَن سِواهُ مِنَ المهاجرينَ السَّابقينَ ، والأوَّلينَ الصَّادقينَ ؟

قالَ القاضي : نعم .

قالَ اللِّصُّ : فالعبَّاسُ إذاً أفضلُ منهُ ؛ لأنَّهُ أقربُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منهُ ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ في كتابِهِ : ﴿ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [2] ، وقد أجمعَ المسلمونَ أنَّهُ لو أنَّ رجلاً هلكَ فتركَ عمّاً وابنَ عمٍّ . . لَكانَ المالُ للعمِّ دونَ ابنِ العمِّ ، وهٰذا ما لا خلافَ فيهِ .

قالَ القاضي : فإنَّ العبَّاسَ لا هجرةَ لهُ ، وعليٌّ لهُ هجرةٌ .

---

(١) المَنصِب : الأصل .

(٢) سورة الأنفال : (٧٥) .

قالَ اللِّصُّ : فبَطَلَتْ علَّةُ القرابةِ ، وصارَ الفضلُ للهجرةِ .

قالَ القاضي : نعم .

قالَ اللِّصُّ : فجعفرُ بنُ أبي طالبٍ لهُ هجرةٌ ، وهوَ ابنُ عمِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلو نازعَكَ مُنازِعٌ في أنَّهُ أفضلُ مِن عليٍّ ، فما يكونُ جوابُهُ ؟

قالَ القاضي : فعليٌّ لم يُشرِكْ باللهِ طرفةَ عَينٍ ، ولا عُلِمَ منهُ خُلْفٌ ولا مَيْنٌ[1] ، وهوَ أقدمُ إيماناً منهُ ومِنَ العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ .

قالَ اللِّصُّ : فبَطَلَ إذاً الوجهُ الثَّاني ، وصارَ الفضلُ لِقِدَمِ الإيمانِ .

قالَ القاضي : نعم .

قالَ اللِّصُّ : أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ أقدمُ إيماناً مِنَ الكلِّ .

قالَ القاضي : أبو بكرٍ انتقلَ عن شركٍ .

قالَ اللِّصُّ : أليسَ مَن لم يُشرِكْ أفضلَ عندَكُم ممَّن أشركَ ؟

قال القاضي : نعم .

قالَ اللِّصُّ : فأيُّما أفضلُ عندَكُم : عائشةُ ، أو خديجةُ رضيَ اللهُ عنهُما ، أو غيرُهُما مِن نساءِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم اللَّواتي لم يُشرِكْنَ باللهِ ؟

قالَ القاضي : خديجةُ أفضلُ .

قالَ اللِّصُّ : فبَطَلَ إذاً علَّةُ قِدَمِ الإيمانِ .

قالَ القاضي : إلَّا أنَّ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ معَ قِدَمِ إيمانِهِ ، وحسنِ إيقانِهِ ، وإيضاحِ برهانِهِ . . لهُ اتِّصالٌ بنسبٍ ، ومواشجةُ مَنصِبٍ[2] ، وقوَّةُ سببٍ .

قالَ اللِّصُّ : أَوَكلُّ مَن قَرُبَ كانَ أفضلَ ؟

قالَ القاضي : أجل .

قالَ اللِّصُّ : ففاطمةُ رضيَ اللهُ عنها أقربُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أم عليٌّ ؟

---

(١) المَيْن : الكذب .

(٢) المواشجة : الاشتباك والتَّداخل .

قالَ القاضي : فاطمةُ .

قالَ اللّصُّ : فبَطَلَتْ علَّةُ القرابةِ .

قالَ القاضي : فإنَّ علياً تقدَّمَ إيمانُهُ إيمانَ فاطمةَ ، ولهُ جهادٌ .

قالَ اللّصُّ : فكذٰلكَ أيضاً إيمانُ أبي بكرٍ تقدَّمَ إيمانَ عليٍّ ، ولهُ جهادٌ ؛ لأنَّهُ أوَّلُ مَن آمنَ باللهِ عزَّ وجلَّ ، وجاهدَ وسبقَ إلى التَّصديقِ ، ونصرَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ لا مُعِينَ لهُ مِن أهلِ بيتِهِ وأقاربِهِ ، وأدنىٰ عَشيرتِهِ وأصحابِهِ ، وهوَ أوَّلُ مَن سارعَ إلىٰ إجابتِهِ ، ودعا النَّاسَ إلىٰ بيعتِهِ ، وبذَلَ بينَ يدَيهِ الأموالَ ، ولاقىٰ بمهجتِهِ الأهوالَ .

قالَ القاضي : كيفَ تُقدِّمُ أبا بكرٍ علىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ يعترفُ أنَّ لهُ شيطاناً يعتريهِ ؛ يقولُ : (ألَا وإنَّ لي شيطاناً يعتريني ؛ فإذا رأيتُم ذٰلكَ . . فلا تقرَبوني ؛ لا أُؤثِّرُ في أشعارِكُم وأبشارِكُم) ؟ (١)

قالَ اللّصُّ : لقد قالَ هٰذا في ملأٍ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ ، إلَّا أنَّهُ ليسَ علىٰ وجهِ الأرضِ ذو عقلٍ فاضلٍ ، ولا لبٍّ حاصلٍ . . يرىٰ أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ انَ مجنوناً ، ولا مُعترىً مأفوناً ، ولو كانَ علىٰ مثلِ هٰذهِ الحالِ . . لَمَا خَفِيَ أمرُهُ على الصَّحابةِ والقرابةِ ، ولا تركوا بأَسْرِهِم دفعَهُ عنِ الخلافةِ ؛ بالاحتجاجِ أنَّهُ مجنونٌ يحتاجُ إلىٰ علاجٍ دونَ إمامةِ الأُمَّةِ وخلافةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهٰذا جهلٌ ممَّن بلغَ إليهِ ، وتكلَّمَ عليهِ .

وإنَّما قالَ ذٰلكَ لقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ يَعْتَرِيهِ » ، قالوا : ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمُ » (٢) ، وإنَّما قالَ ـ يعني : أبا بكرٍ ـ ذٰلكَ ؛ ليتَّقوا وقتَ غلظتِهِ .

قالَ القاضي : أليسَ صاحبُكَ القائلَ : (وَلِيتُكُم ولستُ بخيرِكُم) ؟ (٣)

قالَ اللّصُّ : في هٰذا وجوهٌ :

منها : أنَّهُ قالَ ذٰلكَ مُحتجّاً على الأنصارِ ؛ لأنَّهُ قد وَلِيَهُم بالصَّلاةِ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حاضرٌ ، ولَعَمري ؛ إنَّهُ لا يجوزُ أن يكونَ خيرَ قومٍ أحدُهُم رسولُ اللهِ

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٣/١٩٤) ، والطبري في « تاريخ الأمم والملوك » (٣/٢٢٤) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٤١٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/٣٠٩) عن سيدنا شريك بن طارق رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٣/١٦٧) ، والطبري في « تاريخ الأمم والملوك » (٣/٢١٠) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فكأنَّهُ قالَ : فكيفَ لا أَلِيكُم معَ عدمِهِ وقد وَلِيتُكُم في وجودِهِ ولستُ بخيرِكُم ؟!

ومنها : أنَّهُ أرادَ : ولستُ بخيرِكُم قبيلةً ؛ لأنَّ بني هاشمٍ أعلىٰ منهُ في ذُروةِ النَّسبِ ، وأبعدُ في الصِّيتِ والمذهبِ ، فدلَّهُم بهٰذا أنَّ الأمرَ لا يُستحَقُّ بعلوِّ النَّسبِ ، ولا هوَ مقصورٌ علىٰ بني هاشمٍ دونَ غيرِهِم مِن قريشٍ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ »(١)

قالَ القاضي : كيفَ تحقَّقَ لهُ هٰذا الأمرُ وهوَ يقولُ : (أَقيلوني أَقيلوني) ؟(٢)

قالَ اللِّصُّ : قد قالَ ذٰلكَ لِمَا في إقامةِ الأمرِ مِن تحمُّلِ ثِقَلِ الإمامةِ ؛ وذٰلكَ لفضلِهِ وعقلِهِ ، وورعِهِ وخشيتِهِ ، وثخانةِ ديانتِهِ ، لا لِمَا يُقعِدُهُ عن ذٰلكَ ، ولَمَا(٣) ينبغي لفاضلٍ إن عُرِضَتْ عليهِ أن يُظهِرَ المسارعةَ إليها ، والوثوبَ عليها ؛ فإنَّ ذٰلكَ يُلقيهِ في الظِّنَّةِ ، ويُورِّطُهُ في التُّهَمةِ .

قالَ القاضي : كيفَ تُثبِتونَ لهُ هٰذا الأمرَ وعمرُ يقولُ على المنبرِ سمعَهُ الأسودُ والأحمرُ : (أَلَا إنَّ بيعةَ أبي بكرٍ كانَتْ فلتةً وقى اللهُ شَرَّها ؛ فمَن عادَ إلىٰ مثلِها . . فاقتلوهُ) ؟(٤)

قالَ اللِّصُّ : مهما شككْنا في شيءٍ . . فإنَّا لا نشكُّ وإيَّاكُم في أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ عاقلاً ، ولم يكنْ مجنوناً مُختلِطاً ، وهٰذا الكلامُ إن حُمِلَ علىٰ ما قلتُم . . صارَ في حكمِ الجنونِ مِن قائلِهِ ؛ لأنَّ عمرَ يُحتَجُّ في إثباتِ إمامتِهِ ؛ بعقدِ إمامتِهِ ، والدُّعاءِ إلىٰ خلافتِهِ . . بعقدِ عهدِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ إليهِ ، ودعاءِ النَّاسِ إلى اتِّباعِهِ مِن بعدِهِ ، فإذا كانَتْ بيعةُ أبي بكرٍ باطلاً . . وجبَ أن تكونَ بيعةُ عمرَ باطلاً ، ووجبَ أيضاً أن يكونَ عهدُهُ

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٤/٧٦ ـ ٧٧) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١/١٥٢) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال أبو سليمان الخطَّابي أيضاً : (مذهبُ هٰذا الكلامِ وطريقةُ مذهبُ التَّواضعِ ، وتَرْكِ الاعتدادِ بالولايةِ ، والتَّباعُدِ مِن كبرياءِ السَّلطنةِ ، ولم يزلْ مِن شِيَمِ الأبرارِ ، ومذاهبِ الصَّالحينَ والأخيارِ أن يهتَضِموا أنفسَهُم ، وأن يُسوِّغوا مِن حقوقِهِم ، وقد كانَ لهُ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ أُسوةٌ) . انظر « غريب الحديث » (٢/٣٥) .

(٢) أخرجه أحمد ابن حنبل في « فضائل الصحابة » (١٣٣) .

(٣) (ما) في (لَمَا) نافيةٌ ، ودخلت عليها لام الابتداء لشبهها بـ (ما) الموصولة في اللفظ .

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٦٨٣٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

كذٰلكَ ، ووجبَ أن يقولَ لهُ النَّاسُ مِنَ الصَّحابةِ والقرابةِ والأنصارِ : (فأنتَ أيضاً ممَّن يجبُ قتلُكَ ، ولا يجبُ العملُ علىٰ عهدِكَ مِنَ الشُّورىٰ على المنبرِ) .

والمعنىٰ في هٰذا القولِ : أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يعتقدُ أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ أفضلَ النَّاسِ والأُمَّةِ ، وأنَّهُ كانَ يستحقُّ أخذَ الخلافةِ بالحجَّةِ والمُناظرةِ ، وأنَّ مَن بعدَهُ يتقاربونَ في الرُّتبةِ والقوَّةِ ، ولا يستحقُّونَها علىٰ ذٰلكَ الوجهِ .

وقولُهُ : (كانَتْ فلتةً) ؛ أي : تمَّتْ علىٰ غيرِ إعمالِ فكرٍ ورويَّةٍ ، واستَوْسقَتْ فجأةً[1]

وقولُهُ : (وقى اللهُ شَرَّها) ؛ أي : شرَّ الخلافِ عليها ، وشقِّ العصا عندَ تمامِها .

وقولُهُ : (مَن عادَ إلىٰ مثلِها . . فاقتلوهُ) : إنَّما أرادَ إلىٰ مثلِ قولِ الأنصارِ : (منَّا أميرٌ ومنكُم أميرٌ)[2] ، وإرادةِ إخراجِ الأمرِ مِن قريشَ إلىٰ غيرِهم ، وهٰذانِ الأمرانِ حرامٌ فِعْلُهُما في الدِّينِ ، فتنةٌ بينَ المسلمينَ .

قالَ القاضي : فإذا كنتَ قد فضَّلتَ أبا بكرٍ علىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما . . فقد غضضتَ مِن عليٍّ .

قالَ اللِّصُّ : مَن قصدَ إلىٰ ذٰلكَ . . فهوَ ضالٌّ غيرُ مُهتَدٍ ، ولا مُوفَّقٍ مُسدَّدٍ ، وإنَّما هٰذا اتِّباعُ السُّنَّةِ ، وجَرْيٌ على الشَّريعةِ الحسنةِ ، ولو كانَ علىٰ ما تذهبُ إليهِ وتظنُّهُ ، وتُضمِرُهُ في نفسِكَ وتُكِنُّهُ . . لَكانَ مَن فضَّلَ عليّاً علىٰ فاطمةَ والحسنِ والحسينِ رضوانُ اللهِ عليهِم . . فقد غضَّ منهُم ، وعَدَلَ بالفضلِ عنهُم ، وهٰذا ما لا يقولُهُ مسلمٌ ولا يعتقدُهُ مؤمنٌ ؛ فإنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ ـ وقد حملَ الحسنَ والحسينَ عليهِما السَّلامُ علىٰ عاتقِهِ ـ : « نِعْمَ ٱلْمَطِيُّ مَطِيُّكُمَا ، وَنِعْمَ ٱلرَّاكِبَانِ أَنْتُمَا ، وَأَبُوكُمَا خَيْرٌ مِنْكُمَا »[3] ، ولم يُرِدْ بذٰلكَ غضاضةً ولا عدولاً بالفضلِ عنهُما ، ولٰكنَّهُ تحرَّىٰ في ذٰلك الصِّدقَ ، وقصدَ في كلامِهِ الحقَّ .

قالَ القاضي : فإنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حملَ عليّاً يومَ قلعَ الأصنامَ ، وأظهرَ اللهُ الإسلامَ .

---

(١) استَوْسقَتْ : انتظمَتْ واجتمعَتْ .

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٦٨٣٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/٦٥) عن سيدنا سلمان رضي الله عنه .

قالَ اللِّصُّ : هٰذهِ فضيلةٌ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ غيرُ مجحودةٍ ولا مردودةٍ ، ولٰكنَّهُ قد حملَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها وهيَ صغيرةٌ[١] ، وحملَ أمامةَ بنتَ أبي العاصِ بنِ الرَّبيعِ علىٰ كتفِهِ[٢] ، وهٰذا في الرِّوايةِ مأثورٌ ، وعن ثقاتِ أهلِ الحديثِ مشهورٌ .

قالَ القاضي : فقد قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَنَا مِنْ عَلِيٍّ وَعَلِيٌّ مِنِّي »[٣]

قالَ اللِّصُّ : هٰذا ما لا ندفعُهُ ولا نمنعُهُ ، ولٰكنَّهُ قالَ أيضاً للعبَّاسِ : « أَنَا مِنَ ٱلْعَبَّاسِ وَٱلْعَبَّاسُ مِنِّي »[٤] ، فأيُّ فضلٍ لعليٍّ على العبَّاسِ في هٰذا الاختصاصِ ؟

قالَ القاضي : فقد قالَ لعليٍّ : « أَنْتَ أَخِي »[٥]

قالَ اللِّصُّ : لَعَمري ؛ لقد [قالَ] ذٰلكَ مراراً ، وأشارَ إليهِ إعلاناً وإجهاراً ، ولٰكنْ قالَ ذٰلكَ لهُ علىٰ مذهبِ الفضلِ والرِّفعةِ لمكانِهِ أم علىٰ طريقِ الحقيقةِ ؟

قالَ القاضي : علىٰ مذهبِ المَجازِ .

قالَ اللِّصُّ : فنحنُ وأنتُم نروي عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « وَا شَوْقَاهُ إِلَىٰ إِخْوَانِيَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِنُبُوَّتِي وَلَمْ يَلْحَقُونِي ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِشَرِيعَتِي وَيُصَدِّقُونِي »[٦]

وقالَ أيضاً لأبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : « أَنْتَ أَخِي وَرَفِيقِي ، وَصَاحِبِي وَصَدِيقِي »[٧]

وقالَ لهُ : « إِنَّ ٱللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَتَّخِذَ أَبَا بَكْرٍ وَالِداً ، وَعَلِيّاً أَخاً ومُعَاضِداً »[٨] ، والوالدُ في مذهبِ الإكرامِ وسبيلِ الإعظامِ أفضلُ مِنَ الأخِ منزلةً ، وأرفعُ درجةً .

وقالَ : « وُزِنْتُ بِٱلْأُمَّةِ فَرَجَحْتُ بِهَا ، وَوُزِنَ أَبُو بَكْرٍ بِٱلْأُمَّةِ فَرَجَحَ بِهَا »[٩]

---

(١) أخرجه أحمد ابن حنبل (٦/٢١٠ ـ ٢١١) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٥١٦) ، ومسلم (٥٤٣) عن سيدنا أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧١٩) عن سيدنا حبشي بن جنادة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٥٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٣٢٥) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٢٠) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/١٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/٨٦ ـ ٨٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنحوه .

(٧) أخرجه البخاري (٣٦٥٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ومسلم (٢٣٨٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفيهما : (أَخِي وَصَاحِبِي) .

(٨) أخرجه أبو نعيم في « فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم » (٢٣٥) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/٣٤٨) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيهما : (وَأَنْتَ ـ يَا عَلِيُّ ـ ظَهِيراً) ، وقد تقدَّم قبل بضعة أسطر أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ : « أَنْتَ أَخِي » .

(٩) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/١٣٥) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

وما أراكُم تُورِدونَ فضيلةً إلَّا ولنا أمثالُها ، ولا تُظهِرونَ مَنقَبةً إلَّا وعندَنا أشكالُها ، ولا تحتجُّونَ في دفعِ فضلٍ لنا إلَّا وعندَنا في نقضِهِ حجَّةٌ قاطعةٌ ، وبراهينُ لامعةٌ ، وليسَ كلُّ خبرٍ يُورَدُ ، ولا كلُّ حديثٍ يُسنَدُ ، إلَّا وعندَنا مِن تأويلِهِ فنونٌ ، ومِن علمِهِ متونٌ وعيونٌ .

فإن حملتُمُ الفضلَ علىٰ مثلِ هٰذهِ الأخبارِ . . قلْنا : فقد قالَ في عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : « لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ . . لَكَانَ عُمَرَ »(١)

وإن قلتُم : إنَّما فُضِّلَ بالشَّجاعةِ . . فقد شهدَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للزُّبيرِ رضيَ اللهُ عنهُ بها .

وقالَ في حمزَة : « أَسَدُ ٱللهِ »(٢)

وفي خالدٍ : « سَيْفُ ٱللهِ »(٣)

ثمَّ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَنَا فِي مِيزَانِ عَمِّيَ ٱلْعَبَّاسِ » .

فلمَّا سمعَ القاضي جَودةَ منطقِهِ ، وحسنَ سبقِهِ ، وقدرتَهُ على الكلامِ ، وثباتَهُ في الخصامِ ، وقوَّتَهُ في النَّظرِ ، ومعرفتَهُ بالأثرِ ، وروايتَهُ للخبرِ . . علمَ أنَّهُ عَوْدٌ بازلٌ(٤) ، وقضاءٌ نازلٌ ، وعالمٌ لا يُجارىٰ ، وفقيهٌ لا يُبارىٰ ، ومُتكلِّمٌ لا يُصطلىٰ بنارِهِ ، ولا يُبصَرُ في غبارِهِ ، وأنَّهُ إنَّما حَمَلَهُ علىٰ ذٰلكَ ضرورةُ القلَّةِ والإعدامِ ، والأَنَفةُ مِنَ الحاجةِ إلى السَّفِلةِ واللِّئامِ ، نزعَ الخاتَمَ مِن إصبَعِهِ ، وقالَ : هاكَ يا مُتكلِّمُ ، يا فقيهُ ، يا شاعرُ ، يا مُحدِّثُ ، يا لصُّ .

فأخذَهُ منهُ ، وحلَّ عِقالَهُ ، وأوسعَ مجالَهُ ، ونفَّسَ خناقَهُ ، وأطلقَ وَثاقَهُ .

ومضىٰ وهوَ يقولُ : [من البسيط]

أُعْـذُرْ أَخَـاكَ خَـلَاكَ ٱلـذَّمُّ مِـنْ رَجُـلٍ ... صَـلْـبِ ٱلْـمَـجَـسِّ لَـهُ نَـابٌ وَأُظْـفُـورُ
[لَـوْلَا](٥) تُـفَـنِّـدُنِـي سَـلْـمَـىٰ لَـمَـا بَـكَـرَتْ ... فِـي نَـحْـوِ مَـا كُـنْـتَ تَـخْـشَـاهُ ٱلْـمَـقَـادِيرُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٨٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٩٨/١٧) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١٩٨/٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٤٩/٣) عن سيدنا أبي لبيبة الأشهلي رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن حبان (٧٠٤٨) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨١٢١) عن سيدنا أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه .

(٤) **العَوْد** : المسنُّ من الإبل ، والبازل : ما طلع نابه ، شبَّهه به لحكمته واستحكام رأيه .

(٥) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (لو لم) ، والمثبت من مصادر التخريج .

قَالَتْ وَقَدْ رَاعَهَا عُدْمِي : ثَكِلْتُكَ مِنْ رَاضٍ بِبَرْضِ مَعَاشٍ فِيهِ تَكْدِيرُ[1]

مَهْلاً سُلَيْمَىٰ سَيُنْقِي ٱلْعَارَ عَنْ هِمَمِي هَمٌّ وَعَزْمٌ وَإِدْلَاجٌ وَتَشْمِيرُ[2]

سَأَنْزِعُ ٱلرِّزْقَ مِنْ أَيْدِي مَعَاشِرِهَا فِيهِمْ كَرِيمٌ لَهُ خِيمٌ وَلَا خِيرُ[3]

قَوْمٌ إِذَا أَحْوَجَ ٱلدَّهْرُ ٱلْخَؤُونُ فَتىً إِلَيْهِمُ مَقَلَتْهُ أَعْيُنٌ زُورُ

مَاذَا أُؤَمِّلُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أَدَبٍ مَعْ مَعْشَرٍ كُلُّهُمْ حَوْلَ ٱلنَّدَىٰ عُورُ ؟!

تَٱللهِ أَطْلُبُ مِنْ أَيْدِيهِمُ أَبَداً رِزْقاً وَلِي فَاتِكُ ٱلْغَرْبَيْنِ مَأْثُورُ[4]

ثمَّ مضى القاضي إلىٰ منزلِهِ ، وقد ملأَ قلبَهُ ما رأىٰ مِن شجاعتِهِ ، وشاهدَهُ مِن براعتِهِ ، وما راقَهُ مِن علمِهِ ، وشاقَهُ مِن فهمِهِ ، فلَبِسَ مِن جديدِ ثيابَهُ ، وخرجَ إلىٰ عُدولِهِ وأصحابِهِ .

فلمَّا استقرَّ وثابَ إليهِ حسُّهُ وأُنسُهُ . . حدَّثَ عُدولَهُ ما لقيَ في ليلِهِ مِنَ التَّعبِ ، وقاسىٰ مِنَ النَّصَبِ ، وأخذَ في وصفِ اللِّصِّ فأطنبَ ، ومرَّ في مدحِهِ فأسهبَ ، فأراقَ وأعجبَ ، ثمَّ قالَ : ولقد قلتُ فيه أبياتاً أنعتُهُ فيها وأصفُهُ ، وأذكرُ مقامَهُ وموقفَهُ .

فقيلَ لهُ : وما الأبياتُ أيُّها القاضي ؟

فأنشأَ يقولُ : [من البسيط]

لِلّٰهِ لِصٌّ جَرِيءُ ٱلْقَلْبِ مُخْتَنِكٌ مُجَرَّبُ ٱلْعَزْمِ قَتَّالٌ مَعَ ٱلسَّحَرِ

أَبْصَرْتُهُ فَكَأَنَّ ٱلْمَوْتَ صُورَتُهُ فِي كَفِّهِ خَنْجَرٌ أَمْضَىٰ مِنَ ٱلْقَدَرِ

وَمَدَّ نَحْوِي يَداً كَادَتْ بِرَاحَتِهَا تَفِيضُ نَفْسِيَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرِ

وَمَكَّنَ ٱلنَّصْلَ مِنْ نَحْرِي وَقَالَ : أَلَا أَلْقِ ٱلثِّيَابَ وَلَا تُقْدِمْ عَلَى ٱلْخَطَرِ

فَقُلْتُ : دُونَكَ عَنِّي إِنَّنِي رَجُلٌ شَيْخٌ فَقِيهٌ وَقَاضٍ مِنْ بَنِي عُمَرِ

يَرَى ٱلْوَرَىٰ كُلُّهُمْ فَضْلِي وَيَرْفَعُنِي عِلْمِي وَيُشْهَدُ لِي فِي ٱلْبَدْوِ وَٱلْحَضَرِ

أَمَا تَخَافُ أَمَا تَخْشَى ٱلْإِلَٰهَ بِأَنْ يَرَاكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرْضَاكَ فَٱقْتَصِرِ

---

(١) البَرْض : القليل .

(٢) سيُنقي : سيُخرج .

(٣) الخيم : السَّجيَّة والطَّبيعة ، والخِير : الكرم .

(٤) الغَرْب : الحِدَّة ، وسيف غَرْب : قاطعٌ حديدٌ ، والمأثور : قيل : هو السَّيف الَّذي يعمله الجنُّ .

فَـقَــالَ لِـي بِـلِـسَــانٍ نَـاطِـقٍ ذَرِبٍ ... كَـأَنَّـمَـا قُـدَّ مَـا يُـلْـقِـيـهِ مِـنْ حَـجَـرِ :

أَمَـا تَـرَانِـي فَـتـىً لِـصّـاً تَـعَـوَّذَ بِـي ... مَـنْ قَـدْ رَآنِـيَ مِـنْ أُنْـثَـىٰ وَمِـنْ ذَكَـرِ

آوِي ٱلْـقِـفَـارَ وَأَحْـمِـيـهَـا وَيُـؤْنِـسُـنِـي ... سَـيْـفِـي وَتُـرْسِـي وَقَـلْـبٌ مُـحْـصَـدُ ٱلْـمِـرَرِ[1]

تَنْبُو ٱلْمَضَاجِعُ عَنْ جَنْبِي لِتَحْمِلَنِي ... نَفْسِي عَلَى ٱلْكُرْهِ بَيْنَ ٱلْوِرْدِ وَٱلصَّدَرِ

سَلْ إِنْ جَهِلْتَ مَقَامِي ٱللَّيْلَ عَنْ خَبَرِي ... يُخْبِرْكَ إِنْ شِئْتَ أَوْ لَا فَٱقْتَحِمْ أَثَرِي

أَنَـا ٱلَّـذِي أَسْـبِـقُ ٱلْأَقْـدَارَ فِـي مَـهَـلٍ ... مِنِّي وَأَكْحُلُ جَفْنَ ٱلْعَيْنِ بِٱلسَّهَرِ

وَلَا أَنَــامُ عَــلَــىٰ ثَــأْرٍ يُـؤَرِّقُــنِــي ... عَلَى ٱلْمُلُوكِ وَلَوْ ثَأْرِي عَلَى ٱلْقَمَرِ

مَـا كُـنْـتُ أَحْـسَـبُ أَنِّـي قَـبْـلَ ذَاكَ أَرَىٰ ... لَـيْـثـاً تَـجَـلَّـىٰ لَـنَـا فِـي صُـورَةِ ٱلْـبَـشَـرِ

وَعَــالِـمـاً ضَـمَّـهُ فِـي بُـرْدِهِ عَـلَـمٌ ... فَـرْدٌ يَـكَـادُ لِـمَـعْـنَـاهُ تُـرَىٰ فِـكَـرِي

فَـلَـوْ أَبُـو هَـاشِـمٍ وَٱلـشَّـافِـعِـي وَأَبُـو ... حَنِيفَةٍ وَٱبْنُ دُنْيَا ٱلْمُجْبِرُ ٱلْقَدَرِي

وَمَـالِـكٌ مَـقَـلَـتْـهُـمْ عَـيْـنُـهُ لَـقَـضَـىٰ ... عَلَىٰ ثِيَابِهِمُ فِي مَجْلِسِ ٱلنَّظَرِ

أَوْ لَـوْ تَـأَبَّـطَ أَوْ لَـوْ أَنَّ عُـرْوَةَ أَوْ ... عَمْرَو بْنَ مَعْدِيَ أَوْ ذَا ٱلنَّابِلِ ٱلْغَمَرِ

لَـقِـيَـهُـمْ وَلَـظَـى ٱلْـهَـيْـجَـاءِ مُـسْـعَـرَةٌ ... تَرْمِي حِذَاهَا كُمَاةَ ٱلنَّاسِ بِٱلشَّرَرِ

لَأَوْرَدَتْـهُـمْ ظِـبَـاهُ مَـوْرِداً كَـدِراً ... ضَنْكاً وَكَيْفَ لَهُمْ بِٱلْمَوْرِدِ ٱلْكَدِرِ ؟

فَـمَـنْ عَـذِيـرِيَ مِـمَّـا قَـدْ بُـلِـيـتُ بِـهِ ... فِـي صُـبْـحِ يَـوْمٍ بَـدَا عَـنْ حَـيَّـةٍ ذَكَـرِ ؟[2]

فقالَ القومُ : ما يقولُ القاضي في هٰذا الرَّجلِ ؟!

قالَ : ما أقولُ في رجلٍ تُنْبي شمائلُهُ عن أُبوَّتِهِ ، وتنطقُ مخايلُهُ عن مروءتِهِ ؟! هوَ مِن قِبَلي في أوسعِ عذرٍ وأفسحِ أجرٍ ؛ فإنِّي لا أرىٰ أن يُعذِّبَ اللهُ عزَّ وجلَّ رجلاً مِن أهلِ العلمِ بالنَّارِ[3] .

وروىٰ أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قصةَ اللِّصِّ هٰذهِ مُختصَرةً ، لٰكنْ معَ عبدِ الملكِ ابنِ الماجِشُونِ لا معَ محمَّدِ بنِ الحسينِ القاضي ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) قلبٌ مُحصَد المِرَر : مُحكَمٌ شديدٌ .

(٢) فلان حَيَّةٌ ذَكَر : شجاعٌ شديدٌ .

(٣) أخرجه التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/٣٢٨ ـ ٣٣٥) مختصراً ، والجلال السيوطي في « المحاضرات والمحاورات » (ص ٤٣١ ـ ٤٤٥) .

نُكتةٌ

[في شراءِ حمارٍ]

٥١٩ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزّ قالَ : أنا أبو سعدٍ قالَ : أنا الشَّريفُ أبو البركاتِ عمرُ بنُ إبراهيمَ العلويُّ بقراءتي عليهِ بالكُوفةِ ، أنا محمَّدُ بنُ عليِّ ابنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ العلويُّ إذناً ، ثنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدِ ابنِ بُدَيلٍ الخُزاعيُّ المُقرِئُ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بشِيرازَ ، ثنا ابنُ دُرَيدٍ ، ثنا أبو حاتمٍ ، حدَّثَني مَن سمعَ الهيثمَ بنَ عديٍّ يقولُ : بينا أنا بالكُناسةِ بالكُوفةِ . . إذ أتىٰ رجلٌ مكفوفٌ نخَّاساً ، فقالَ لهُ : أطلبُ حماراً ليسَ بالصَّغيرِ المُحتقَرِ ، ولا بالكبيرِ المُشتهَرِ ، إن خلا الطَّريقُ . . تدفَّقَ ، وإن كثُرَ الزِّحامُ . . ترفَّقَ ، لا يُصادِمُ السَّواريَ ، ولا يُدخِلُني تحتَ البواري ، إن أقللتُ علفَهُ . . صبرَ ، وإن أكثرتُ . . شكرَ ، إن ركبتُهُ . . هامَ ، وإن ركبَهُ غيري . . قامَ .

فقالَ لهُ النَّخَّاسُ : اصبرْ ، فإن مسخَ اللهُ القاضي حماراً . . قضيتُ حاجتَكَ (١)

حِكايةٌ

[بينَ الرَّشيدِ وبهلولٍ المجنونِ]

٥٢٠ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ محمَّدٍ الشَّاشيُّ بقراءتي عليهِ بفاشانَ (٢) ، أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ أحمدَ التَّميميُّ ، أنا الفقيهُ أبو نصرٍ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الحَفْصويُّ ، أنا الحاكمُ أبو جعفرٍ محمَّدٌ ابنُ البَحَّاثِ ، سمعتُ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ الحسنِ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الأنصاريَّ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ شَبَّةَ يقولُ : سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ : لمَّا خرجَ الرَّشيدُ حاجّاً . . رأىٰ يومَ خروجِهِ مِنَ الكُوفةِ بهلولاً المجنونَ على الطَّريقِ يهذي ، فقالَ لهُ الرَّبيعُ (٣) : أَمسِكْ ؛ فقد أقبلَ أميرُ المؤمنينَ ، فأمسكَ حتَّىٰ حاذى الهودجَ ، فقامَ علىٰ قدمَيهِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ سمعتُ أيمنَ بنَ

---

(١) أخرجه القالي في « الأمالي » (٢/١٤٠) ، وانظر « العقد الفريد » (٦/٤٤٨) ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/٥٦٤) .

(٢) فاشان : قرية من نواحي مَرْو . « معجم البلدان » (٤/٢٣١) .

(٣) كذا رواه ها هنا عن الرَّبيع ، والرَّبيع الحاجب لم يدرك الرَّشيد أميراً للمؤمنين ، وسيأتي في الرِّواية التَّالية أنَّها عن الفضل بن الرَّبيع حاجب الرَّشيد ، فلعلَّه الصَّواب ، والله أعلم .

نابلٍ يقولُ : سمعتُ قدامةَ بنَ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : « رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَاقَتِهِ ٱلْعَضْبَاءِ ، لَيْسَ هُنَاكَ طَرْدٌ وَلَا ضَرْبٌ وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ »(١) ، وكانَ خيراً منكَ ، وإنَّ تواضُعَكَ في شرفِكَ أحسنُ مِن تكبُّرِكَ .

فقالَ : عِظْنا يا بهلولُ .

فقالَ : مَن آتاهُ اللهُ تعالىٰ مالاً وجمالاً وسلطاناً ، فواسىٰ مِن مالِهِ ، وعفَّ في جمالِهِ ، وعدلَ في سلطانِهِ . . كانَ في ديوانِ اللهِ تعالىٰ مِنَ المُقرَّبينَ .

قالَ : قد أمرْنا لكَ بجائزةٍ .

قالَ : لا حاجةَ لنا في الجائزةِ .

قالَ : إن كانَ عليكَ دَينٌ . . قضيْناهُ عنكَ .

قالَ : إنَّ الدَّينَ لا يُقضىٰ بالدَّينِ ، فاقضِ دَينَ نفسِكَ .

قالَ : فأنا مُجرٍ عليكَ .

قالَ : سبحانَ اللهِ !! أنا وأنتَ عبدانِ للهِ عزَّ وجلَّ ، تُراهُ يذكرُكَ وينساني ؟!

ثمَّ مرَّ وهوَ يترنَّمُ ، فبعثَ خلفَهُ مَن يسمعُ ما يترنَّمُ بهِ ، فإذا هوَ يقولُ : [من الهزج]

دَعِ ٱلْحِرْصَ عَلَى ٱلدُّنْيَا ... وَفِي ٱلْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعْ
وَلَا تَجْمَعْ مِنَ ٱلْمَالِ ... فَلَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعْ
وَأَمْرُ ٱلرِّزْقِ مَقْسُومٌ ... وَسُوءُ ٱلظَّنِّ لَا يَنْفَعْ
وَلَا تَدْرِي أَفِي أَرْضِـ ... ـكَ أَمْ فِي غَيْرِهَا تُصْرَعْ
فَقِيرٌ مَنْ لَهُ حِرْصٌ ... غَنِيٌّ كُلُّ مَنْ يَقْنَعْ(٢)

وقد رويتُ هٰذا الشِّعرَ بعلوٍّ عمَّن سمعَهُ مِن بهلولٍ : أخبرَني بهِ إجازةً جماعةٌ منهُم : أبو العبَّاسِ الظَّاهريُّ ، عن أبي عبدِ اللهِ بنِ أبي الفضلِ المُؤرِّخِ قالَ : أنبأَنا الحَذَّاءُ ، عنِ ابنِ الشَّهْرَزُوريِّ قالَ : ثنا الأَرْدَسْتانيُّ في كتابِهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ المُفسِّرُ قالَ : سمعتُ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٢٨٧٨) ، والترمذي (٩٠٣) ، والنسائي (٥/٢٧٠) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/٣٨) .

(٢) أخرجه ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/١٣٣ ـ ١٣٤) من طريق السمعاني .

أبا عمرانَ موسى بنَ عبدِ الرَّحمٰنِ السِّنديَّ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدٍ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ ابنَ مخلدٍ الواسِطيَّ يقولُ : أنشدَني بهلولٌ المجنونُ :

دَعِ ٱلْـــحِــــرْصَ . . . .

الأبياتَ .

غيرَ أنَّهُ قالَ بدلَ (وَأَمْرُ ٱلرِّزْقِ) : (فَإِنَّ ٱلرِّزْقَ) ، وقالَ بدلَ قولِهِ : (مَنْ لَهُ حِرْصٌ) : (كُلُّ ذِي حِرْصٍ)(١)

وقد رويتُ قصَّةَ [البهلولِ معَ الرَّشيدِ مِن غيرِ الوجهِ الَّذي قدَّمْناهُ : أخبرَنا غيرُ واحدٍ مِن مشايخي إجازةً عنِ الحافظِ رشيدِ الدِّينِ أبي الحسينِ يحيى بنِ عليٍّ القرشيِّ قالَ : أنا أبو الطَّاهرِ إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الأنصاريُّ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا الشَّريفُ أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ يحيى العثمانيُّ سماعاً عليهِ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُؤمِّلِ بنِ غسَّانَ الكاتبُ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ المُعلِّمُ ، أنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ الفَرْغانيُّ ، ثنا أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدِ ابنِ حبيبٍ المُفسِّرُ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ أحمدَ الخيَّاطَ الفَسَويَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ أحمدَ البُرْزاباذانيَّ يقولُ(٢) : سمعتُ عمَّارَ بنَ هاشمٍ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ سعيدٍ الكِنْديَّ يقولُ : خرجَ الرَّشيدُ إلى الحجِّ ، فلمَّا صارَ بظهرِ الكُوفةِ . . إذا هوَ ببهلولٍ المجنونِ علىٰ قصبتِهِ ، وخلفَهُ صبيانٌ وهوَ يعدو ، فقالَ : مَن ذاكَ ؟ قالوا : بهلولٌ المجنونُ ، فقالَ : كنتُ أشتهي أراهُ ، فادعوهُ غيرَ مُروَّعٍ ، فقالوا لهُ : أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ ، فعدا علىٰ قصبتِهِ .

فقالَ الرَّشيدُ : السَّلامُ عليكَ يا بهلولُ ، فقالَ : وعليكَ السَّلامُ يا أميرَ المؤمنينَ .

قالَ : كنتُ إليكَ بالأشواقِ ، قالَ : لٰكنِّي لم أشتقْ إليكَ .

قالَ : عِظْني يا بهلولُ ، قالَ : وبِمَ أعظُكَ ؟ هٰذهِ قصورُهُم وهٰذهِ قبورُهُم .

قالَ : زِدْني ؛ فقد أحسنتَ .

قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ مَن رزقَهُ اللهُ مالاً وجمالاً ، فعفَّ في جمالِهِ وواسىٰ في مالِهِ . . كُتِبَ في ديوانِ الأبرارِ .

---

(١) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٢٨٦) .

(٢) البُرْزاباذاني : نسبة إلىٰ (بُرْزاباذان) ، وهي من قرىٰ أصبهان . « معجم البلدان » (١/٣٨١) .

فظنَّ الرَّشيدُ أنَّهُ يُريدُ شيئاً ، فقالَ : قد أمرْنا أن يُقضىٰ دَينُكَ .

فقالَ : لا تقضي دَيناً بدَينٍ ، اردِدِ الحقَّ علىٰ أهلِهِ ، واقضِ دَينَ نفسِكَ مِن نفسِكَ .

قالَ الرَّشيدُ : فإنَّا قد أمرْنا أن يُجرىٰ عليكَ .

فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ اللهَ لا يُعطيكَ وينساني .

ثمَّ ولَّىٰ هارباً(١)

وبهٰذا الإسنادِ إلىٰ أبي القاسمِ ابنِ حبيبٍ المُفسِّرِ قالَ : سمعتُ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ عبدِ اللهِ الشَّاشيَّ ـ قدمَ علينا حاجّاً ـ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ محمَّدِ بنِ سعيدٍ الكُوفيَّ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ القرشيَّ يقولُ : سمعتُ الفضلَ بنَ الرَّبيعِ يقولُ : حججْنا معَ الرَّشيدِ ، فمررْنا بالكُوفةِ في طاقِ المحاملِ إذا ببهلولٍ . . . ، وزادَ فيهِ : أنَّهُ قالَ للرَّشيدِ : فكيفَ لو أقامَكَ اللهُ بينَ يدَيهِ ، فسألَكَ عنِ النَّقيرِ والفتيلِ والقطميرِ ؟

قالَ : فخنقَتْهُ العَبرةُ ، فقالَ الحاجبُ : حسبُكَ يا بهلولُ ؛ فقد أوجعتَ أميرَ المؤمنينَ .

فقالَ الرَّشيدُ : دَعْهُ .

فقالَ بهلولٌ : إنَّما أفسدَهُ أنتَ وأضرابُكَ .

فقالَ الرَّشيدُ : إنِّي أُريدُ أن أصلَكَ بصلةٍ .

فقالَ بهلولٌ : ردَّها علىٰ مَن أخذتَها منهُ .

فقالَ الرَّشيدُ : فحاجةً .

قالَ : ألَّا تراني ولا أراكَ ، ثمَّ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَنا أيمنُ بنُ نابلٍ ، عن قدامةَ بنِ عبدِ اللهِ . . . الحديثَ المُتقدِّمَ في روايةِ الأصمعيِّ ، وقالَ : ثمَّ ولَّىٰ بقصبتِهِ ، وأنشأَ يقولُ : [من الوافر]

فَعُدَّكَ قَدْ مَلَكْتَ ٱلْأَرْضَ طُرّاً ... وَدَانَ لَكَ ٱلْعِبَادُ فَكَانَ مَاذَا ؟

أَلَسْتَ تَمُوتُ فِي قَبْرٍ وَيَحْوِي ... تُرَاثَكَ بَعْدُ هَذَا ثُمَّ هَذَا](٢)

---

(١) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٢٣٧) .

(٢) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٢٣٨) .

فَائِدَة

[مِن تفسيرِ الشَّافعيِّ رحمَهُ اللهُ]

٥٢١ ـ وبهِ قالَ : أنا عمرُ بنُ محمَّدٍ الشَّاشيُّ قالَ : أنا أبو الفضلِ التَّميميُّ قالَ : أنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ عليِّ الأَبِيوَرْدِيُّ ، سمعتُ السَّيِّدَ أبا الحسنِ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ حسَّانَ المصريَّ بمكَّةَ يقولُ : سمعتُ المُزَنيَّ يقولُ : سُئِلَ الشَّافعيُّ عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (١)

قالَ : معناهُ : ما تقدَّمَ مِن ذنبِ أبيكَ آدمَ صلواتُ اللهِ عليهِ وهبتُهُ لكَ ، وما تأخَّرَ مِن ذنوبِ أُمَّتِكَ أدخلتُهُمُ الجنَّةَ بشفاعتِكَ (٢)

نُكْتَة

[في شكرِ سفيانَ الثَّوْريِّ]

٥٢٢ ـ وبهِ قالَ : أنا عمرُ بنُ ظفرٍ الشَّيْبانيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الحسينِ المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ منصورٍ العَتِيقيُّ ، ثنا الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ الكاتبُ ، ثنا ابنُ أبي الأزهرِ ، ثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ .

(ح) وبهِ قالَ : أنا حنبلُ بنُ عليِّ الصُّوفيُّ ، أنا أبي ، أنا أبو الطَّيِّبِ طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ الطَّبَريُّ ، ثنا أبو الفرجِ المُعافى بنُ زكريَّا الجَرِيريُّ القاضي ، ثنا محمَّدُ بنُ مزيدٍ الفُوشَنْجيُّ ، سمعتُ سفيانَ بنَ وكيعٍ ، سمعتُ سفيانَ بنَ عُيَينةَ يقولُ : دعانا سفيانُ بنُ سعيدٍ الثَّوْريُّ ، فقدَّمَ إلينا تمراً ولبناً خاثراً ، فلمَّا توسَّطْنا الأكلَ . . قالَ : قوموا حتَّىٰ نُصلِّيَ ركعتَينِ شكراً للهِ تعالىٰ .

قالَ سفيانُ بنُ وكيعٍ : (لو قدَّمَ إليهِم مِن هٰذا اللَّوزينجِ المُحدَثِ . . لَقالَ لهُم : قوموا بنا نُصلِّي التَّراويحَ !!) (٣)

---

(١) سورة الفتح : (١ ـ ٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في « أحكام القرآن » (ص ٤٨) .

(٣) اللَّوزينج : من الحلواء شبه القطائف ، تُؤدم بدُهن اللَّوز ، وأخرج الخبرَ أبو طاهر السلفيُّ في « الطيوريات » (٦٨٩) .

حِكَايَةٌ

[دعاءُ عُلَيَّانَ المجنونِ]

٥٢٣ ـ وبـهِ قـالَ : ثنا عمرُ بنُ أبي الحسنِ الحافظُ مِن لفظِهِ بمَرْوَ ، أنا والدي : أنَّ الإمامَ أبا حامدٍ أحمدَ بنَ محمَّدٍ الشُّجاعيَّ حدَّثَهُم ، ثنا أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ [الحسنِ][1] النَّيْسابوريُّ بإسنادٍ لهُ ، عن أبي جعفرٍ النَّسَّاجِ القَزْوينيِّ قالَ : لقيتُ عُلَيَّانَ المجنونَ يومَ العيدِ علىٰ شدَّةِ شوقي إليهِ وقد قصدَ مقبرةً ، فلمَّا توسَّطَها . . رفعَ رأسَهُ ، وقالَ : اللَّهُمَّ ؛ لكَ صامَ الصَّائمونَ ، ولكَ قامَ القائمونَ ، وقرَّبوا قُربانَهُم ، ودخلوا منازلَهُم ، وأَنِسوا بأهاليهِم ، وقد قرَّبتُ قُرباني ، فليتَ شِعْري ؛ ما صنعتَ بقُرباني .

اللَّهُمَّ ؛ لا منزلَ لي ولا عندي طعامٌ ؛ فاجعلْ قِرايَ منكَ المغفرةَ .

فلمَّا رآني أرمُقُهُ . . وثبَ ، وهامَ علىٰ وجهِهِ[2]

نُكْتَةٌ

[في العقلِ والكَيْسِ]

٥٢٤ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا شجاعٍ عمرَ بنَ أبي الحسنِ البَلْخيَّ بهَرَاةَ يقولُ : سمعتُ [أبا منصورٍ][3] عبدَ القاهرِ بنَ طاهرِ بنِ محمَّدٍ الإسْفَرايِنيَّ ببَلْخَ يقولُ : (النَّاسُ في زمانِنا أكيسُ ، وهم في الزَّمانِ الأوَّلِ أعقلُ ؛ فإنَّ العاقلَ مَن ينظرُ في عواقبِ الأمورِ ، والكيِّسَ مَن ينظرُ في المنافعِ العاجلةِ) .

نُكْتَةٌ

[في بخلِ عبدٍ وسيِّدِهِ]

٥٢٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو منصورٍ موهوبُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ الخضرِ الجَواليقيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ البُنْدارُ ، أنا أبو أحمدَ عبيدُ اللهِ بنُ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحسين) ، والمثبت موافق لما في « معجم الأدباء » (٣/٩٩٦) ط . دار الغرب الإسلامي ، و« بغية الوعاة » (١/٥١٩) .

(٢) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٣٠٤) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبا المعالي) ، والمثبت موافق لما في « المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور » للصريفيني (ص ٣٦٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٩/٢٦٥) .

محمَّدِ بنِ أحمدَ الفَرَضيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ، ثنا يموتُ قالَ : قالَ الجاحظُ : (قالَ رجلٌ مِنَ البخلاءِ لغلامِهِ : هاتِ الطَّعامَ وأغلقِ البابَ ، فقالَ : هٰذا خطأٌ ، بل أُغلِقُ البابَ وآتي بالطَّعامِ ، فقالَ : أنتَ حُرٌّ لأَخْذِكَ بالحزمِ) (١)

نُكْتَةٌ

[في شكوى الدَّهرِ وضيقِ اليدِ]

٥٢٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ المُفيدُ ، أنا عليُّ بنُ إبراهيمَ النَّاتِليُّ (٢) ، ثنا محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ الصَّرَّامُ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ ، حدَّثَني الزُّبيرُ بنُ عبيدِ اللهِ البغداديُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عامرٍ المُؤدِّبُ قالَ : قالَ لي أبو عبدِ اللهِ اليزيديُّ : كيفَ تجدُكَ ؟ (٣) ، قلتُ : أجدُني أشتهي ما لا أجدُ ، وأجدُ ما لا أشتهي ، في زمانِنا هٰذا مَن جادَ لم تَجِدْ ، ومَن وَجَدَ لم يَجُدْ .

ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الطويل]

أَتَـعْـرِفُ فِـي ٱلـدُّنْـيَـا كَـرِيـمـاً تَـؤُمُّـهُ ... لِـدَفْـعِ مُـلِـمٍّ أَوْ لِـبَـذْلِ جَـزِيـلِ ؟
فَذُو ٱلْجُودِ مَقْتُورٌ عَلَيْهِ وَذُو ٱلْغِنَىٰ ... يَـضِـنُّ بِـمَـا يَـحْـوِيـهِ غَـيْـرُ بَـذُولِ
فَلِلَّهِ دَهْـرٌ خَـيْـرُهُ لِـلِـئَـامِـهِ ... وَأَحْـرَارُهُ صَـرْعَـىٰ بِـكُـلِّ سَـبِـيـلِ
هُـوَ ٱلصَّـبْـرُ حَتَّـىٰ يَـأْذَنَ ٱللهُ بِـٱلْغِـنَـىٰ ... وَإِلَّا فَـمَـا يُـغْـنِـي ٱحْـتِـيَـالُ حَـيُـولِ
فَـلَـوْ أَنَّ مَـالاً بِـٱحْـتِـيَـالٍ وَحِـيـلَـةٍ ... لَـقَـدْ كُـنْـتُ أَحْـوِي مِـنْـهُ غَـيْـرَ قَـلِـيـلِ (٤)

حِكَايَةٌ

[خطبةُ الحجَّاجِ في أهلِ العراقِ لمَّا أرجفوا بموتِهِ]

٥٢٧ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا فاطمةُ بنتُ أبي حكيمٍ الخَبْرِيِّ قالَتْ (٥) : أنا عليُّ بنُ الحسنِ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « البخلاء » (١٢٨) ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١٩٨/٢) ، و« نثر الدر » للآبي (٢٨٨/٣) ، و« ربيع الأبرار » (٨٠/٢) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٢٣٢٥) .

(٢) النَّاتِلي : نسبة إلىٰ (ناتِل) أو (ناتِلة) ، وهي مدينة بطَبَرستان . « معجم البلدان » (٢٥٠/٥) .

(٣) في « شعب الإيمان » : (قالَ لي أبو عبدِ اللهِ اليزيديُّ : دخلتُ علىٰ أبي العبَّاسِ ثعلبٍ أعودُهُ ، فقلتُ : يا أبا العبَّاسِ ؛ كيفَ تجدُكَ ؟) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٤٢٨) عن ثعلب .

(٥) الخَبْري : نسبة إلىٰ (خَبْر) ، وهي بليدة قرب شِيراز من أرض فارس . « معجم البلدان » (٣٤٤/٢) .

الشَّاعرُ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خالدٍ الكاتبُ ، أنا أبو محمَّدٍ ابنُ المُغيرةِ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الدِّمشقيُّ ، ثنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، حدَّثَني عليُّ بنُ صالحٍ ، عن عامرِ بنِ صالحٍ قالَ : مرضَ الحجَّاجُ مرضاً شديداً ، فأرجفَ أهلُ العراقِ بموتِهِ ، فخرجَ مُندمِلاً مِن مرضِهِ حتَّىٰ أوفىٰ علىٰ ذروةِ المنبرِ ، فقالَ : (ألا إنَّ أهلَ العراقِ أهلُ الشِّقاقِ والنِّفاقِ ، نفخَ الشَّيطانُ في مناخرِهِم ، فقالوا : ماتَ الحجَّاجُ ، وماتَ الحجَّاجُ ، وإن متُّ . . فمَهْ ؟! واللهِ ؛ ما أُحِبُّ ألَّا أموتَ ، وهل أرجو الخيرَ كلَّهُ إلَّا بعدَ الموتِ ؟!

وما رأيتُ اللهَ ـ علا ذِكْرُهُ ، وتقدَّسَتْ أسماؤُهُ ـ رضيَ بالتَّخليدِ لأحدٍ مِن خَلْقِهِ إلَّا لأخسِّهِم وأهونِهِم عليهِ ؛ إبليسَ ، ولقد سألَ العبدُ الصَّالحُ ربَّهُ ، فقالَ : « [رَبِّ] ؛ هَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » ، ففعلَ ، ثمَّ اضمحلَّ فكأنْ لم يكنْ .

يا أيُّها الرَّجلُ ؛ وكلُّكُم ذٰلكَ الرَّجلُ ، واللهِ ؛ لكأنِّي بي وبكُم قد صارَ كلُّ حيٍّ منَّا ميّتاً ، وكلُّ رطبٍ يابساً ، ونُقِلَ امرؤٌ في ثيابِ طهرِهِ إلىٰ أربعِ أذرعٍ طولاً ، في ذراعَينِ عرضاً ، وأكلَتِ الأرضُ شَعرَهُ وبَشَرَهُ ، ومصَّتْ صديدَهُ ودمَهُ ، ورجعَ الحبيبانِ ؛ أهلُهُ وولدُهُ ، يقتسمانِ حبيبَهُ مِن مالِهِ .

ألا إنَّ الَّذينَ يعلمونَ يعلمونَ ما أقولُ حقّاً) ، ثمَّ نزلَ (١)

* * *

٥٢٨ ـ وبِهِ إلىٰ عامرِ بنِ صالحٍ قالَ : وخطبَ الحجَّاجُ أهلَ العراقِ بعدَ دَيْرِ الجماجمِ (٢) ، فقالَ : (يا أهلَ العراقِ ؛ إنَّ الشَّيطانَ قدِ استبطنَكُم فخالطَ اللَّحمَ والدَّمَ ، والأسماعَ والأطرافَ ، والأعضاءَ والشَّغافَ ، ثمَّ أفضىٰ إلى الأمخاخِ والأسماخِ (٣) ، ثمَّ ارتفعَ فعَشَّشَ ، ثمَّ باضَ وفرَّخَ ؛ فحشاكُم شِقاقاً ونِفاقاً ، وأشعرَكُم خِلافاً ، اتَّخذتُموهُ دليلاً تتَّبعونَهُ ، وقائداً تُطيعونَهُ ، ومُؤامِراً تستشيرونَهُ ؛ فكيفَ تنفعُكُم تجرِبةٌ أو تعظُكُم موعظةٌ ؟! أو يحجزُكُم إسلامٌ أو يردُّكُم تِبيانٌ ؟!

---

(١) أخرجه أبو الحسن المدائني في « التعازي » (ص ٨٧ ـ ٨٨) بنحوه ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٤٣١) ، والمسعودي في « مروج الذهب » (٣/٣٥٠ ـ ٣٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/١٩٢ ـ ١٩٤) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٥/٢٠٨١ ـ ٢٠٨٢) من طريق السمعاني .

(٢) وتقع علىٰ بُعد سبعة فراسخ من الكُوفة ، وفيها كانت الوقعة بين الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيِّ وعبد الرَّحمٰن ابن الأشعث الَّتي كسر فيها ابن الأشعث وقتل القرَّاء . « معجم البلدان » (٢/٥٠٣ ـ ٥٠٤) .

(٣) الأسماخ : لغة في الأصماخ ؛ وهو ثقب الأذن الَّذي يدخل منه الصَّوت .

ألستُم أصحابي بالأهوازِ ؟ حيثُ رمتُمُ الكفرَ ، وسعيتُم بالغرورِ ، واستجمعتُم للمكرِ ، وظننتُم أنَّ اللهَ يخذلُ دينَهُ وخلافتَهُ ، وأنا أرميكُم بطرفي ، وأنتم تَسَلَّلونَ لِواذاً ، وتنهزمونَ سِراعاً .

ثمَّ يومُ الزَّاويةِ[1] ، وما يومُ الزَّاويةِ !! بها كانَ فشلُكُم وتنازعُكُم ، وبراءةُ اللهِ منكُم ، ونكوصُ وليِّكُم عنكُم ؛ إذ ولَّيتُم كالإبلِ الشَّواردِ إلىٰ أعطانِها[2] ، النَّوافرِ إلىٰ أوطانِها ، لا يسألُ المرءُ عن أخيهِ ، ولا يلوي الشَّيخُ علىٰ بنيهِ ، حتَّىٰ عضَّكُمُ السِّلاحُ ، وتقعقعَتْ فيكُمُ الرِّماحُ .

ثمَّ يومُ الجماجمِ ، بها كانَتِ المعاركُ والملاحمُ[3] : [من الرجز]

ضَرْبٌ يُزِيلُ ٱلْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ[4] وَيُذْهِلُ ٱلْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

يا أهلَ العراقِ ؛ الكفراتُ بعدَ الفجراتِ ، والغدراتُ بعدَ الختراتِ ، والنَّزواتُ بعدَ النَّزواتِ ، إن بعثتُكُم إلىٰ ثغورِكُم . . غلَلْتُم وخزْتُم[5] ، وخنْتُم وجبُنْتُم ، وإن أُمِنْتُم . . أرجفْتُم واخترصْتُم[6] ، وطعنْتُم ونافقْتُم ، لا تذكرونَ حسنةً ، ولا تشكرونَ نعمةً ، هلِ استخفَّكُم ناكثٌ ، أوِ استغواكُم غاوٍ ، أوِ استنفرَكُم عاصٍ ، أوِ استفزَّكُم ظالمٌ ، أوِ استعضدَكُم خالعٌ . . إلَّا اتَّبعتُموهُ وآويتُموهُ ونصرتُموهُ ؟!

يا أهلَ العراقِ ؛ هل شغبَ شاغبٌ ، أو نعبَ ناعبٌ ، أو زفرَ زافرٌ . . إلَّا كنتُم أشياعَهُ وأنصارَهُ ؟! ألم تنهَكُمُ المواعظُ ؟! ألم تزجرْكُمُ الوقائعُ ؟!

ثمَّ التفتَ إلىٰ أهلِ الشَّامِ ، فقالَ : أنا كالظَّليمِ الرَّامحِ عن فراخِهِ[7] ، ينفي عنها القذرَ ، ويُباعِدُ عنها الحجرَ ، ويُكِنُّها مِنَ المطرِ ، ويحميها مِنَ الضِّبابِ ، ويحرسُها مِنَ الذِّئابِ .

---

(١) **الزَّاوية** : موضع قرب البصرة ، وبه كانت وقعة أخرىٰ بين الحجَّاج وابن الأشعث . « معجم البلدان » (١٢٨/٣) .

(٢) **العطن** : وطن الإبل ، وقد غلب علىٰ مبركها حول الحوض .

(٣) البيت لسيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كما في « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام (٢٢٣/١ ـ ٢٢٤) ، وقيل : لعمار بن ياسر كما في « وقعة صفين » لابن مزاحم (ص ٣٤٠ ـ ٣٤١) ، و« السيرة النبوية » لابن هشام (٣٧١/٢ ـ ٣٧٢) ، وانظر « فتح الباري » لابن حجر (٥٠١/٧) ، وتعليق العلامة محمود شاكر في « طبقات فحول الشعراء » .

(٤) **مَقِيل الرَّأس** : مغرزه بين الكتفين .

(٥) **خزتُم** : ضعفتُم وانكسرْتُم .

(٦) **اخترص** : كذب وافترىٰ .

(٧) **الظَّليم** : ذكر النَّعام .

يا أهلَ الشَّامِ ؛ أنتمُ الجُنَّةُ والرِّداءُ ، وأنتمُ العُدَّةُ والحذاءُ)[١]

حكاية

[بينَ داوودَ عليهِ السَّلامُ وراهبٍ في غارٍ]

٥٢٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الوفاءِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الواحدِ الصَّالحانيُّ بأصبهانَ ، أنا السَّيِّدُ أبو طالبٍ عليُّ بنُ الحسينِ الحسنيُّ الهَمَذانيُّ إملاءً ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ عيسى بنِ إبراهيمَ ، ثنا الفضلُ بنُ الفضلِ بنِ العبَّاسِ الكِنْديُّ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أحمدَ بنِ عبَّادٍ ، ثنا أبو صالح السَّوَّاقُ ، ثنا بشرُ بنُ محمَّدِ بنِ أبانٍ اليَشْكُريُّ ، ثنا الحسنُ بنُ عبيدِ اللهِ ، عن رجلٍ مِنَ الأنصارِ : أنَّ داوودَ عليهِ السَّلامُ عمدَ إلىٰ غارٍ ينتابُهُ العُبَّادُ ، قالَ : فصرخَ لصاحبِهِ فلم يُجِبْهُ ؛ فلمَّا أطالَ عليهِ . . أجابَهُ وقالَ : مَن هٰذا الَّذي يدعوني بصوتٍ عالٍ لم تُغيِّرْهُ العبادةُ ؟

فقالَ داوودُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « أَنَا دَاوُدُ » .

قالَ : داوودُ صاحبُ المدائنِ الحصينةِ ، والخيلِ المُسوَّمةِ ، والنِّساءِ والشَّهواتِ ؟ لئن نلتَ بهٰذا الجنَّةَ . . لأنتَ أنتَ .

فقالَ لهُ داوودُ عليهِ السَّلامُ : « فَمَنْ أَنْتَ ؟ » .

قالَ : راغبٌ راهبٌ مُترقِّبٌ .

فقالَ لهُ داوودُ : « فَمَنْ أَنِيسُكَ ؟ وَمَنْ جَلِيسُكَ ؟ » .

قالَ الرَّجلُ : ها هناكَ تراهُ إن أردتَ ذٰلكَ .

قالَ : فتخلَّلَ داوودُ الجبلَ ؛ فإذا غارٌ قد حاذىٰ رأسَ الجبلِ ، وإذا رجلٌ مُسجًّىً ، فقالَ : « هَـٰذَا أَنِيسُكَ ؟ وَهَـٰذَا جَلِيسُكَ ؟ » ، قالَ : نعم .

قالَ : « فَمَنْ هَـٰذَا ؟ » ، قالَ : ها تلكَ قصَّتُهُ عندَ رأسِهِ في لوحٍ مِن نحاسٍ ، قالَ : فأخذَهُ داوودُ ؛ فإذا فيهِ : (أنا ملكُ الأملاكِ ، عشتُ ألفَ عامٍ ، وهزمتُ ألفَ جيشٍ ، وفتحتُ ألفَ مدينةٍ ، وافتضضتُ ألفَ عذراءَ ، وأحصنتُ ألفَ امرأةٍ) .

---

(١) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٣/٣٠٠ ـ ٣٠١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/١٣٢ ـ ١٣٣) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٥/٢٠٧٥ ـ ٢٠٧٦) من طريق السمعاني ، وانظر « البيان والتبيُّن » للجاحظ (٢/١٣٨ ـ ١٤٠) ، و« جمل من أنساب الأشراف » للبلاذري (٧/٣٤٤ ـ ٣٤٥) .

قالَ : (فبينا أنا في مُلكي . . إذ أتاني مَلَكُ الموتِ ، فأخرجَني ممَّا أنا فيهِ ، فها أنا ذا ؛ التُّرابُ فراشي ، والدُّودُ جيراني ، والنَّارُ أمامي) .

قالَ : فخرَّ داوودُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مغشيّاً عليهِ (١)

*

٥٣٠ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا جعفرٍ حنبلَ بنَ عليّ البُخاريَّ ، سمعتُ أبي ، سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمودٍ الزَّوْزَنيَّ (٢) ، سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ ابنَ المُثنَّى الإِسْتِراباذيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الرَّحمنِ المُقرِئَ يقولُ : قالَ ذو النُّونِ : رأيتُ في الباديةِ فتىً ضعيفاً ، فذكرتُ لهُ بُعدَ الطَّريقِ ، فنظرَ إليَّ وقالَ : [من الطويل]

بَعِيدٌ عَلَى ٱلْكَسْلَانِ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ ... وَأَمَّا عَلَى ٱلْمُشْتَاقِ فَهْوَ قَرِيبُ (٣)

فَائِدَةٌ (٤)

[في تأويلِ الصِّدِّيقِ مَنامَ سمرةَ بنِ جندبٍ رضيَ اللهُ عنهُما]

٥٣١ ـ وبهِ قالَ : وحدَّثَنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليّ ابنِ ياسرٍ الجَيَّانيُّ بسَمَرْقَنْدَ (٥) ، وأبو عبدِ اللهِ حامدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المَدِينيُّ بمَرْوَ مِن لفظِهما قالا : أنا أبو القاسمِ هبةُ اللهِ بنُ محمَّدِ ابنِ الحُصَينِ الكاتبُ قالَ : أنا أبو طالبٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ غيلانَ البَزَّازُ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الشَّافعيُّ البَزَّازُ ، حدَّثَني إسحاقُ بنُ الحسنِ الحَرْبيُّ ، ثنا أبو سلمةَ ، ثنا حمَّادُ بنُ سلمةَ ، عن أبي عمرانَ الجَوْنيّ ، وعليّ بنِ زيدٍ ، عنِ الحسنِ : أنَّ سمرةَ بنَ جندبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنِّي رأيتُ في النَّومِ ؛ كأنِّي أفتِلُ شريطاً ، ثمَّ أضعُهُ إلىٰ جنبي ، ونفرٌ خلفي

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » (٥٠٥) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٨/١٩٥ ـ ١٩٦) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٧/٣٤١٦) من طريق السمعاني ، وانظر « عيون الحكايات » لابن الجوزي (ص ٤٧٤) .

(٢) **الزَّوْزَني** : نسبة إلىٰ (زَوْزَن) ، وهي كورة واسعة بين نَيْسابور وهَرَاة ، كانت تعرف بالبصرة الصُّغرىٰ ؛ لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم . « معجم البلدان » (٣/١٥٨) .

(٣) أخرجه الضياء المقدسي في « المنتقىٰ من مسموعات مرو » (ق/٥٧) مخطوط ، وانظر « التبصرة » لابن الجوزي (٢/١٤٣) عن سري السقطي .

(٤) في هامش (أ) : (مطلب تأمل) .

(٥) **الجَيَّاني** : نسبة إلىٰ (جَيَّان) ، وهي بلدة كبيرة في الأَنْدَلُس شرقيَّ قُرْطُبة . « معجم البلدان » (٢/١٩٥) .

يأكلُهُ)[١] ، فقالَ أبو بكرٍ [الصِّدِّيقُ] : (إن صدقَتْ رؤياكَ . . تزوَّجتَ امرأةً ذاتَ ولدٍ ، يأكلونَ كسبَكَ) .

قالَ : (ورأيتُ كأنَّ ثوراً خرجَ مِن جُحْرٍ ، ثمَّ ذهبَ يعودُ فيهِ فلم يستطعْ) ، قالَ : (تلكَ الكلمةُ العظيمةُ تخرجُ مِنَ الرَّجلِ ، ثمَّ لا تعودُ إلىٰ فيهِ) .

قالَ : (ورأيتُ كأنَّهُ قيلَ : خرجَ الدَّجَّالُ ، قالَ : فجعلتُ أقتحمُ جداراً ، ثمَّ ألتفتُ خلفي ؛ أقريبٌ منِّي ؟[٢] ، فانفرجَتْ ليَ الأرضُ ، فدخلتُها) ، فقالَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (إن صدقَتْ رؤياكَ . . أصبتَ قُحَماً في دينِكَ)[٣]

نُكْتَة

[في تقبيلِ المَلَكِ حافظَ القرآنِ]

٥٣٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي البَطِّيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا عليُّ بنُ الحسينِ الأيُّوبيُّ ، أنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ الصَّوَّافُ ، ثنا بشرُ بنُ موسىٰ إملاءً قالَ : حدَّثَني عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الضَّريرُ ـ جليساً كانَ لبشرٍ ـ قالَ : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن حبيبِ بنِ أبي عمرةَ قالَ : إذا ختمَ الرَّجلُ القرآنَ . . قبَّلَ المَلَكُ بينَ عينَيهِ .

قالَ : فحدَّثتُ بهِ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ حنبلٍ فاستحسنَهُ ، وقالَ : لعلَّ هٰذا مِن مُخبَّآتِ سفيانَ[٤]

* * *

٥٣٣ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الفتوحِ نصرَ بنَ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ المَراغيَّ بآمُلَ يقولُ مذاكرةً[٥] : اجتمعَ الإمامُ أبو حامدٍ الغزاليُّ ، وإسماعيلُ الحاكميُّ ، وأبو الحسنِ البصريُّ ،

---

(١) في مصادر التخريج : (ونَقَدٌ خلفي يأكلْنَهُ) ، والنَّقَد : جنسٌ من الغنم ؛ قصير الأرجل ، قبيح الشَّكل ، يكون بالبحرين ، وقيل : غنمٌ صغارٌ حجازيَّة .

(٢) في مصادر التخريج : (فإذا هوَ قريبٌ منِّي) .

(٣) يعني : أصبتَ في دينك أموراً عظيمةً شديدةً شاقَّةً ، وأخرج الخبرَ الحسنُ الأشيبُ في « جزئه » (٣٢) ، وابنُ أبي شيبة في « المصنف » (٣١١٥٦) ، وأبو بكر الشافعيُّ في « الغيلانيات » (٣٤) .

(٤) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٩٥) ، وابن خالويه في « إعراب القراءات السبع وعللها » (١/٤٥ ـ ٤٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٣٥٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٩١٠) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/٤٤) .

(٥) آمُل : أكبر مدينة بطَبَرستان في السَّهل . « معجم البلدان » (١/٥٧) .

وجماعةٌ كثيرةٌ مِنَ الأئمَّةِ الصُّوفيَّةِ ، في مهدِ عيسىٰ صلواتُ اللهِ عليهِ بمسجدِ الأقصىٰ ، فأنشدَ مُنشِدٌ هٰذَينِ البيتَينِ : [من الطويل]

فَدَيْتُكَ لَوْلَا ٱلْحُبُّ كُنْتَ فَدَيْتَنِي ... وَلَٰكِنْ بِسِحْرِ ٱلْمُقْلَتَيْنِ سَبَيْتَنِي

أَتَيْتُكَ لَمَّا ضَاقَ صَدْرِي مِنَ ٱلْهَوَىٰ ... وَلَوْ كُنْتَ تَدْرِي كَيْفَ شَوْقِي أَتَيْتَنِي

قالَ المَراغيُّ : فتواجدَ أبو الحسنِ البصريُّ وجداً أثَّرَ في الحاضرينَ ، وتُوُفِّيَ محمَّدٌ الكازَرُونيُّ مِن بينِ الجماعةِ في ذٰلكَ المجلسِ (١) ، ووقعَ ميِّتاً رحمةُ اللهِ تعالىٰ عليهِ (٢)

٥٣٤ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ المُقرِئُ قراءةً عليهِ ، أنا إسماعيلُ بنُ عبدِ القاهرِ الجُرْجانيُّ ، أنا أبو الحارثِ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحيمِ الأُسْتُوائيُّ الحافظُ ، سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الفرجِ الوَرْثانيَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ يعقوبَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ سهلٍ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ يقولُ : (عَفْوُهُ يستغرقُ الذُّنوبَ ، فكيفَ رِضوانُهُ ؟ ورِضوانُهُ يستغرقُ الأحوالَ ، فكيفَ حُبُّهُ ؟ وحُبُّهُ يُدهِشُ العقولَ ، فكيفَ وُدُّهُ ؟ ووُدُّهُ يُنسي ما دونَهُ ، فكيفَ لطفُهُ ؟) (٣)

نُكتةٌ

[في ثلاثةِ أشياءَ أعيَتِ الحسنَ البصريَّ]

٥٣٥ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ ابنُ السَّمَّاكِ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ أحمدَ الأنصاريُّ ، أنا عبدُ الودودِ بنُ عبدِ المُتكبِّرِ الهاشميُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الشَّافعيُّ البَزَّازُ إملاءً ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ الدُّوريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ قطنٍ ، ثنا حسينُ بنُ حسنٍ المَرْوَزيُّ ، ثنا ابنُ المُبارَكِ ، ثنا مُبارَكُ بنُ فضالةَ ، سمعتُ

---

(١) **الكازَرُوني** : نسبة إلىٰ (كازَرُون) ، وهي مدينة بفارس بين البحر وشِيراز ، عامرة كبيرة . « معجم البلدان » (٤/٤٢٩) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/٤٦) من طريق السمعاني ، وابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/١٤٣) ، وذكره التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/٤٨) وعزاه **لأبي سعد السمعاني في « لفتة المشتاق إلىٰ ساكني العراق »** ، وفي هامش (أ) : (**بلغ**) .

(٣) انظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ١٠٢ ـ ١٠٣) ، و« إحياء علوم الدين » (٨/٣٧٠) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٢٧٦) .

الحسنَ يقولُ : (أعياني ثلاثٌ : درهمٌ حلالٌ ، ومُداراةُ الأحمقِ ، ورفيقٌ صالحٌ)[1]

نُكْتَةٌ
[في تورُّعِ سفيانَ الثَّوْريِّ]

٥٣٦ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ عليِّ ابنُ الأمينِ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الصَّريفينيُّ ، أنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ البَزَّازُ ، ثنا عبدُ اللهِ ابنُ بنتِ أحمدَ بنِ مَنِيعٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ عليٍّ ، ثنا عبيدُ بنُ يعيشَ ، حدَّثَني رجلٌ مِن بني تميمٍ ، عن سُعَيرِ بنِ الخِمْسِ قالَ : جاءَنا مالٌ فلم يقبلْهُ سفيانُ ، وقبلَهُ سُعَيرٌ .

قالَ : فقلتُ لسفيانَ : ما يمنعُكَ أن تقبلَهُ ؟ قالَ : إنِّي لأعلمُ أنَّهُ لي حلالٌ ، ولكنْ أكرهُ أن تقعَ لهُم في قلبي مودَّةٌ[2]

حِكَايَةٌ
[الفتى العراقيُّ عاشقُ جاريةِ هارونَ الرَّشيدِ]

٥٣٧ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ عليِّ بنِ عبيدِ اللهِ الأمينُ إجازةً مشافهةً ، وأبو سعدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ الحافظُ بمكَّةَ ، وأبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ نصرِ بنِ محمَّدٍ الجُهَنيُّ بالمَوْصِلِ ، وأبو الحسنِ محمَّدُ بنُ المُظفَّرِ بنِ عليِّ بنِ الحسنِ ابنُ المُسْلِمةِ الوزيرُ ببغدادَ ، وأبو معشرٍ رزقُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الملكِ البَلَديُّ بفُوشَنْجَ ، وأبو الكرمِ المُبارَكُ بنُ مسعودِ بنِ عبدِ الملكِ الماوَرْديُّ بالسَّوارِقيَّةِ[3] ، وأبو المُظفَّرِ عبدُ اللهِ بنُ طاهرِ ابنِ فارسٍ الخَيَّاطُ ببَلْخَ قالوا : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ المُقرِئُ قراءةً عليهِ ببغدادَ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْرانَ الواعظُ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عليِّ الكِنْديُّ بمكَّةَ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ الخرائطيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليِّ المُخرِّميُّ قالَ : اشتُرِيَتْ لهارونَ الرَّشيدِ جاريةٌ مَدِينيَّةٌ ، فأُعجِبَ

---

(١) انظر « آداب الحسن البصري » لابن الجوزي (ص ٥١) ، ولفظه : (أعزُّ الأشياءِ : درهمٌ حلالٌ ، وأخٌ في اللهِ ؛ إن شاورتَهُ في دنياكَ . . وجدتَهُ متينَ الرَّأيِ ، وإن شاورتَهُ في دينِكَ . . وجدتَهُ بصيراً بهِ) .

(٢) أخرجه البغوي في « الجعديات » (١٩٠٨) ، وانظر « التذكرة الحمدونية » (٢١٦/١) ، و« ربيع الأبرار » (٢٢١/٥) وفيهما عن سعيد بن المسيب وسفيان الثوري .

(٣) السَّوارِقيَّة : قرية بين المدينة المنوَّرة ومكَّة المكرَّمة ، وتسمَّىٰ أيضاً : قرية أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه . « معجم البلدان » (٢٧٦/٣) .

بها ، فأمرَ الفضلَ بنَ الرَّبيعِ أن يبعثَ في حملِ أهليها ومواليها ؛ لينصرفوا بجوائزِها ، وأرادَ بذٰلكَ تشريفَها .

فوفدَ إلىٰ مدينةِ السَّلامِ ثمانونَ رجلاً ، ووفدَ معَهُم رجلٌ مِن أهلِ العراقِ استوطنَ المدينةَ ، كانَ يهوى الجاريةَ ، فلمَّا بلغَ الرَّشيدَ خبرُهُم . . أمرَ الفضلَ أن يخرجَ إليهِم ؛ ليكتبَ اسمَ كلِّ رجلٍ منهُم وحاجتَهُ ، ففعلَ حتَّىٰ بلغَ إلى العراقيِّ ، فقالَ لهُ : حاجتَكَ ، فقالَ : إن أنتَ كتبتَها ، وضمنتَ لي عرضَها معَ ما تعرضُ . . أنبأتُكَ بها ، فقالَ : أفعلُ ذٰلكَ .

فقالَ : حاجتي أن أجلسَ معَ فلانةَ ؛ حتَّىٰ تُغنِّيَني ثلاثةَ أصواتٍ ، وأشربَ ثلاثةَ أرطالٍ ، وأُخبِرَ بما تُجِنُّهُ ضُلوعي مِن محبَّتِها ، فقالَ الفضلُ : أنتَ مُوسوسٌ مدخولٌ عليكَ في عقلِكَ .

قالَ : يا هٰذا ؛ قد أُمِرتَ أن تكتبَ ما يقولُ كلُّ واحدٍ منَّا ، فاكتبْ ما أقولُ واعرضْهُ ؛ فإن أُجِبتُ إليهِ ، وإلَّا . . فأنتَ في أوسعِ الأمرِ .

فدخلَ الفضلُ مُغضَباً ، فوقفَ بينَ يدَيِ الرَّشيدِ ، فقرأَ عليهِ ما كُتِبَ ، فلمَّا فرغَ . . قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فيهِم واحدٌ مجنونٌ ، سألَ ما أُجِلُّ مجلسَ أميرِ المؤمنينَ عنِ التَّفوُّهِ فيهِ بهِ ، قالَ : قلْ ولا تجزعْ ، فقالَ : قالَ : كذا وكذا ، قالَ : اخرجْ إليهِ ، وقلْ لهُ : إذا كانَ بعدَ ثلاثٍ . . فاحضُرْ ؛ ليُنجزَ لكَ ما سألتَ ، وكنْ أنتَ تتولَّى الاستئذانَ لهُ ، ودعا بخادمٍ ، وقالَ : امضِ إلىٰ فلانةَ ، وقلْ لها : قد حضرَ رجلٌ ، فذكرَ كذا وكذا ، وقد أجبْناهُ إلىٰ ما سألَ ، فكوني علىٰ أُهبةٍ .

ثمَّ خرجَ الفضلُ إلى الفتىٰ ، فأدَّىٰ إليهِ ما قالَ الرَّشيدُ ، فانصرفَ الرَّجلُ .

فلمَّا كانَ في اليومِ الثَّالثِ . . حضرَ ، وعرفَ الرَّشيدُ خبرَهُ ، فقالَ : تُلقي لهُ بحيثُ أرىٰ كرسيّاً مِن فضَّةٍ ، وللجاريةِ كرسيّاً مِن ذهبٍ ، ولتخرجْ إليهِ ، وتُحضِرُ ثلاثةَ أرطالٍ ، فجلسَ الفتىٰ على الكرسيِّ والجاريةُ بإزائِهِ ، فحدَّثَها والرَّشيدُ يراهُما ، فقالَ الخادمُ : لم تدخلْ لتَشْتُوَ وتَصِيفَ ، فأخذَ رطلاً وخرَّ ساجداً ، وقالَ : إذا شئتِ أن تُغنِّي . . فغنِّي [1] : [من الطويل]

---

(١) هي لورد الجعدي كما في « الحماسة البصرية » (٣/١١٨٠) ، ونسب البيتان الأولان للمرقش الأكبر كما في « ديوانه » (ص ٤٨ ـ ٤٩) ، و« الأغاني » (١١/٤١٣٥ ـ ٤١٣٦) .

خَلِيلَيَّ عُوجَا بَارَكَ ٱللهُ فِيكُمَا ... وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ بِأَرْضِكُمَا قَصْدَا

وَقُولَا لَهَا : لَيْسَ ٱلضَّلَالُ أَجَارَنَا ... وَلَٰكِنَّنَا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمُ عَمْدَا

غَداً يَكْثُرُ ٱلْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمُ ... وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمُ بُعْدَا

فغنَّتْهُ ، ثمَّ شربَ الرَّطلَ ، وحادثَها ساعةً ، فاستحثَّهُ الخادمُ ، وأخذَ الرَّطلَ بيدِهِ ، وقالَ : غنِّي جعلَني اللهُ فداكِ[1] : [من الطويل]

تَكَلَّمُ مِنَّا فِي ٱلْوُجُوهِ عُيُونُنَا ... فَنَحْنُ سُكُوتٌ وَٱلْهَوَىٰ يَتَكَلَّمُ

وَنَغْضَبُ أَحْيَاناً وَنَرْضَىٰ بِطَرْفِنَا ... وَذَٰلِكَ فِيمَا بَيْنَنَا لَيْسَ يُعْلَمُ

فغنَّتْهُ ، وشربَ الرَّطلَ الثَّانيَ ، وحادثَتْهُ ساعةً ، فاستعجلَهُ الخادمُ ، فخرَّ ساجداً يبكي ، وأخذَ الرَّطلَ بيدِهِ واستودعَها اللهَ ، وقامَ علىٰ رجلِهِ ودموعُهُ تستبقُ استباقَ المطرِ ، وقالَ : إذا شئتِ أن تُغنِّي . . فغنِّي : [من السريع]

أَحْسَنَ مَا كُنَّا تَفَرَّقْنَا ... وَخَانَنَا ٱلدَّهْرُ وَمَا خُنَّا

فَلَيْتَ ذَا ٱلدَّهْرَ لَنَا مَرَّةً ... عَادَ لَنَا يَوْماً كَمَا كُنَّا

فغنَّتْهُ الصَّوتَ ، فقلبَ الفتىٰ طرفَهُ ، فبصُرَ بدرجةٍ في الصَّحنِ فأمَّها ، فاتَّبعَهُ الخدمُ ؛ [ليهدوهُ][2] الطَّريقَ ففاتَهُم ، وصعدَ الدَّرجةَ ، وألقىٰ نفسَهُ على الأرضِ علىٰ رأسِهِ ، فخرَّ ميِّتاً .

فقالَ الرَّشيدُ : عَجِلَ الفتىٰ ، ولو لم يعجلْ . . لوهبتُها لهُ[3]

حكاية

[ذاكَ عملُهُ الَّذي كانَ يعملُ]

٥٣٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ القويِّ اللَّاذِقيُّ فقيهُ أهلِ الشَّامِ بقراءتي عليهِ بجامعِ دِمشقَ قالَ : أنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الخطيبُ بالأنبارِ ، أنا أبو عمرَ عبدُ الواحدِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الفارسيُّ الدِّيباجيُّ ببغدادَ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ

---

(١) هي للعباس بن الأحنف كما في « ديوانه » (ص ٢٤٣) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (ليهدونه) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (٤٢٦) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٩١١) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣١٨/٧٣ ـ ٣١٩) .

الحسينُ بنُ يحيى بنِ عيَّاشٍ القَطَّانُ ، ثنا أبو الأشعثِ أحمدُ بنُ المقدامِ العِجْليُّ ، ثنا عبدُ الأعلى بنُ عبدِ الأعلىٰ ، ثنا هشامُ بنُ حسَّانَ ، عن واصلٍ ، عن عمرِو بنِ هَرِمٍ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ محمودٍ قالَ : كنتُ عندَ ابنِ عبَّاسٍ ، فأتاهُ رجلٌ فقالَ : أقبلْنا حجَّاجاً حتَّىٰ إذا كنَّا بالصِّفاحِ [1] . . تُوُفِّيَ صاحبٌ لنا ، فحفرْنا لهُ ؛ فإذا أسودُ قد أخذَ اللَّحدَ ، ثمَّ حفرْنا لهُ قبراً آخرَ ؛ فإذا أسودُ قد أخذَ اللَّحدَ ، فحفرْنا لهُ مثلَهُ آخرَ ؛ فإذا أسودُ قد أخذَ اللَّحدَ كلَّهُ !!

قالَ : فتركْناهُ وأتيْناكَ نسألُكَ ما تأمرُنا ، قالَ : (ذاكَ عملُهُ الَّذي كانَ يعملُ ، اذهبوا فادفنوهُ في بعضِها ، فواللهِ ؛ لو حفرتُم لهُ الأرضَ كلَّها . . لوجدتُم ذٰلكَ) .

قالَ : فألقيْناهُ في قبرٍ منها ، فلمَّا قضيْنا سفرَنا . . أتيْنا امرأتَهُ ، فسألْناها عنهُ ، فقالَتْ : كانَ رجلاً يبيعُ الطَّعامَ ، فيأخذُ قوتَ أهلِهِ كلَّ يومٍ ، ثمَّ ينظرُ مثلَهُ مِن قصبِ الشَّعيرِ ، فيقطعُهُ فيخلطُهُ في طعامِهِ مكانَ ما يأخذُ [2]

نُكْتَةٌ

[في اجتهادِ إِلْكِيا الهرَّاسيِّ في حفظِ الدُّروسِ]

٥٣٩ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ بعضَ الفقهاءِ يحكي عن إِلْكِيا الهرَّاسيِّ أنَّهُ قالَ [3] : (كانَتْ في مدرسةِ سَرْهَنْكَ بنَيْسابورَ قناةٌ لها سبعونَ درجةً ، وكنتُ إذا حفظتُ الدَّرسَ . . أنزلُ القناةَ ، وأُعيدُ الدَّرسَ في كلِّ درجةٍ مرَّةً في النُّزولِ والصُّعودِ) .

قالَ : (وكذا كنتُ أفعلُ في كلِّ درسٍ حفظتُهُ) [4]

نُكْتَةٌ

[في توبةِ الصَّاحبِ بنِ عبَّادٍ وعزمِهِ على الإملاءِ]

٥٤٠ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ بخطِّ أبي الوفاءِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنِ الحصينِ ، سمعتُ

---

(١) **الصِّفاح** : موضع بين حنين وأنصاب الحرم . « معجم البلدان » (٤١٢/٣) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١٢٨) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢١٥١) ، وعبد الملك ابن بشران في « الأمالي » (١٣٩٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٩٢٨) ، وانظر « تنبيه الغافلين » للسمرقندي (ص ٥٠ ـ ٥١) .

(٣) **إِلْكِيا** : كلمة أعجميَّة ؛ وتعني : الكبير القدر . انظر « وفيات الأعيان » (٢٨٩/٣) .

(٤) انظر « المنتظم » (١١٠/١٠ ـ ١١١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٢٣٢/٧) .

أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمَّدٍ الطَّبَريَّ الإمامَ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ زيدَ بنَ صالحٍ الحنفيَّ بطَبَرستانَ يقولُ : لمَّا عزمَ الصَّاحبُ إسماعيلُ بنُ عبَّادٍ على الإملاءِ ، وكانَ إذ ذاكَ في وِزارتِهِ ، فخرجَ يوماً مُتطلِّساً مُتحنِّكاً بزيِّ أهلِ العلمِ (١)

فقالَ : أيُّها النَّاسُ ؛ قد علمتُم قَدَمي في العلمِ ، فكلٌّ أقرَّ لهُ بذٰلكَ .

ثمَّ قالَ : قد علمتُم أنِّي مُتلبِّسٌ بهٰذا الأمرِ الَّذي أنا فيهِ ، وجميعُ ما أنفقتُهُ مِن صِغَري إلىٰ وقتي هٰذا مِن مالِ أبي وجدِّي ، ثمَّ معَ هٰذا كلِّهِ لا أخلو عن تبعاتٍ ، أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُكُم أنِّي تائبٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ مِن كلِّ ذنبٍ أذنبتُهُ .

واتَّخذَ لنفسِهِ بيتاً ، وسمَّاهُ : بيتَ التَّوبةِ ، ولبثَ أسبوعاً علىٰ ذٰلكَ ، ثمَّ أخذَ خطوطَ الفقهاءِ بصحَّةِ توبتِهِ ، ثمَّ خرجَ فقعدَ للإملاءِ ، وحضرَ مِنَ النَّاسِ الخَلْقُ الكثيرُ ، والجمُّ الغفيرُ إلىٰ غايةٍ كانَ المُستملي الواحدُ لا يقومُ بالإملاءِ ؛ حتَّى انضافَ إليهِ ستَّةٌ ، كلٌّ يُبلِّغُ صاحبَهُ ، فما بقيَ في المجلسِ أحدٌ مِن أهلِ العلمِ إلَّا وقد كتبَ ؛ حتَّىٰ كتبَ القاضي عبدُ الجبَّارِ بنُ أحمدَ (٢)

فَائِدَةٌ

[في قتلِ المؤمنِ بالكافرِ]

٥٤١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسينِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ أحمدَ ابنُ أبي الحديدِ السُّلَميُّ خطيبُ دِمشقَ بقراءتي عليهِ في منزلِهِ بدِمشقَ ، أنا جدِّي ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ موسى بنِ الحسينِ السِّمْسارُ ، أنا أبو سليمانَ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ ابنِ زَبْرٍ الرَّبَعيُّ ، أنا أبي ، ثنا موسى بنُ إسحاقَ الأنصاريُّ ، ثنا عليُّ بنُ عَمْرُوسٍ الأنصاريُّ ـ مِن ولدِ قَرَظةَ بنِ كعبٍ ـ قالَ : رُفِعَ إلىٰ أبي يوسفَ رحمَهُ اللهُ وهوَ قاضي هارونَ الرَّشيدِ أميرِ المؤمنينَ . . مسلمٌ قتلَ ذمِّيّاً نصرانيّاً ، وشهدَ عليهِ الشُّهودُ ، وثبتَ ذٰلكَ عندَهُ ، فكانَ أولياءُ النَّصرانيِّ يُطالِبونَهُ بالقَوَدِ ، فوعدَهُم يوماً للقَوَدِ منهُ .

---

(١) تطلَّس : ارتدى الطَّيلسان ، وتحنَّك : أدار العِمامة من تحت حنكه .

(٢) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٣٢٨ ـ ٣٢٩) مخطوط ، وانظر « المنتظم » (٣١/٩) ، و« معجم الأدباء » (٤٩٤/٢ ـ ٤٩٥) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٨١/١٨) ، و« الوافي بالوفيات » (١٢٨/٩) .

فلمَّا كانَ ذٰلكَ اليومُ . . جلسَ أبو يوسفَ ، وأمرَ بأخذِ الرِّقاعِ ، وجاءَ أبو المضرجيِّ [١] الشَّاعرُ فدسَّ رقعةً في الرِّقاعِ فيها أربعةُ أبياتٍ : [من السريع]

يَا قَاتِلَ ٱلْمُؤْمِنِ بِٱلْكَافِرِ   جُرْتَ وَمَا ٱلْعَادِلُ كَٱلْجَائِرِ

يَا مَنْ بِبَغْدَادَ وَأَطْرَافِهَا   مِنْ فُقَهَاءِ ٱلنَّاسِ أَوْ شَاعِرِ

جَارَ عَلَى ٱلدِّينِ أَبُو يُوسُفٍ   بِقَتْلِهِ ٱلْمُؤْمِنَ بِٱلْكَافِرِ

نُوحُوا وَبَكُّوا إِخْوَتِي دِينَكُمْ   وَٱصْطَبِرُوا فَٱلْأَجْرُ لِلصَّابِرِ

قالَ : فلمَّا قرأَها أبو يوسفَ ـ رحمَهُ اللهُ ـ . . . ختمَ قِمَطْرَهُ ، ثمَّ صارَ إلىٰ بابِ هارونَ ، فدخلَ عليهِ ، وأخبرَهُ بالخبرِ وأقرأَهُ الأبياتَ ، وأعلمَهُ باجتماعِ النَّاسِ ، وأنَّهُ يخافُ علىٰ نفسِهِ ، فقالَ لهُ هارونُ : اذهبْ فاحتلْ لنفسِكَ .

قالَ : فرجعَ فجلسَ في مجلسِهِ ، فجاءَ أولياءُ المقتولِ ، فتقدَّموا إليهِ فقالَ : شاهدَينِ عدلَينِ أنَّ صاحبَكُم كانَ يُؤدِّي الجزيةَ إلىٰ أن ماتَ .

قالَ ابنُ عُمْرُوسٍ : فأبطلَ دمَهُ ، وأبطلَ دِيَتَهُ [٢]

حكاية

[في موتِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ حزناً علىٰ جاريتِهِ]

٥٤٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ نصرِ بنِ محمَّدٍ الخميسيُّ بالمَوْصِلِ ، وأبو الحسنِ محمَّدُ بنُ المُظفَّرِ بنِ عليٍّ ابنُ المُسْلِمةِ الدَّاريُّ ببغدادَ ، وأبو المُظفَّرِ عبدُ اللهِ بنُ أبي المعالي الفارسيُّ ببَلْخَ قالوا : أنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ ابنُ العلَّافِ ، أنا عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الواعظُ ، أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عليٍّ المكِّيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ السَّامَرِّيُّ ، ثنا عليٌّ ابنُ الأعرابيِّ ، ثنا عليُّ بنُ عُمْرُوسٍ : أنَّ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ دخلَ يوماً بعدَ موتِ حَبَابةَ ـ وكانَ لها عاشقاً ـ إلىٰ خزائنِها ومقاصيرِها [٣] ، فطافَ فيها ، ومعَهُ جاريةٌ مِن جواريها ، فتمثَّلَتِ الجاريةُ : [من الطويل]

---

(١) كذا في (أ ، ب ، ج) ، وفي « تاريخ بغداد » : (المضرحي) .

(٢) أخرجه الصيمري في « أخبار أبي حنيفة وأصحابه » (ص ١٠٥) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٣٧٢ ـ ٣٧٣) ، وانظر « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٣/٣٧) ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة علىٰ أصله) .

(٣) المقاصير : جمع مقصورة ؛ وهي الدَّار الواسعة المحصَّنة بالحيطان ، أو هي أصغر من الدَّار .

كَـفَـىٰ حَـزَنـاً بِـالْـوَالِـهِ الـصَّـبِّ أَنْ يَـرَىٰ مَـنَـازِلَ مَـنْ يَـهْـوَىٰ مُـعَـطَّـلَـةً صِـفْـرَا

فصاحَ صيحةً خرَّ مغشيّاً عليهِ ، فلم يفقْ إلىٰ أن مضىٰ مِنَ اللَّيلِ هُوِيٌّ [1] ، ولم يزلْ بقيَّةَ اللَّيلِ باكياً ومِن غدِهِ .

فلمَّا كانَ اليومُ الثَّاني ، فانفردَ في بيتٍ يبكي عليها . . دخلوا إليهِ فوجدوهُ ميّتاً [2]

فَائِدَةٌ

[مِن حكمةِ الشَّافعيِّ]

٥٤٣ ـ وبهِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السِّنْجيُّ بمَرْوَ ، أنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ العراقيُّ بطُوسَ ، ثنا عمرُ بنُ أبي الحسنِ الدِّهِسْتانيُّ الحافظُ ـ قدمَ علينا ـ ، أخبرَتْنا عينُ اليمينِ بنةُ أبي عليٍّ الأنصاريِّ الواعظةُ بمصرَ ، أنا أحمدُ بنُ القاسمِ العلويُّ ، ثنا جدِّي ، ثنا أبو جعفرٍ الطَّحاويُّ ، ثنا جرير [3] سعيدٍ ، حدَّثَني أبو حفصٍ صاحبُ البُوَيطيِّ قالَ : قالَ البُوَيطيُّ : قالَ الشَّافعيُّ : (مَن أطراكَ في وجهِكَ بما ليسَ فيكَ . . فقد شتمَكَ .

ومَن نقلَ إليكَ . . نقلَ عنكَ ، ومَن نمَّ عندَكَ . . نمَّ بكَ .

ومَن إذا أرضيتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ . . فكذا إذا أسخطتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ) [4]

حِكَايَةٌ

[لو قمتَ لهُ . . كانَ يقومُ لكَ]

٥٤٤ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ أحمدَ بنِ الحسينِ ابنِ مَحْمُويهِ

---

(١) هُوِيٌّ : ساعة ممتدَّة من اللَّيل ، أو الحين الطَّويل منه .

(٢) أخرجه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (٤٠٢) ، وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (١٥/٥٤٤٥ ـ ٥٤٤٦) بنحوه ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (١٢٥٣) ، وانظر « جمل من أنساب الأشراف » للبلاذري (٨/٢٦٢) ، و« مروج الذهب » للمسعودي (٤/٣٣ ـ ٣٤) .

(٣) كُتب فوقها في (أ) : (كذا في الأصل) ، وصوابه : (خيرُ بنُ) كما في « مناقب الشافعي » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١/١٧٤) .

(٤) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/١٩٧ ـ ١٩٨) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٣٣٩) ، وانظر « مناقب الإمام الشافعي » للرازي (ص ٣٣٩) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (١/١٨٠) .

اليَزْديَّ يقولُ : دخلَ الإمامُ أبو بكرٍ الشَّاشيُّ علىٰ قاضي القضاةِ أبي الحسنِ الدَّامَغانيِّ زائراً ، فما قامَ القاضي لهُ ، فرجعَ الشَّاشيُّ وما قعدَ ، وكانَ ذٰلكَ في سنةِ نيِّفٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ .

فما اجتمعا في مجلسٍ إلىٰ أنِ اتَّفقَتْ تعزيةٌ بعدَ سنةِ خمسِ مئةٍ ، فسبقَ الشَّاشيُّ الدَّامَغانيَّ ، وجلسَ في التَّعزيةِ ، فلمَّا دخلَ القاضي . . ما قامَ لهُ الشَّاشيُّ ، ونهضَ الكلُّ غيرَهُ ، فإنَّهُ ما تزحزحَ عن مكانِهِ .

فكتبَ قاضي القضاةِ ابنُ الدَّامَغانيِّ إلى المُستظهِرِ باللهِ يشكو مِنَ الشَّاشيِّ أنَّهُ ما احترمَ نائبَ الشَّرعِ ، ومَن ولَّيتَهُ القضاءَ ، فكتبَ المُستظهِرُ في قصَّتِهِ : (ماذا أقولُ لهُ ؟ أكبرُ منكَ سِنّاً ، وأفضلُ منكَ ، وأورعُ منكَ ، لو قمتَ لهُ . . كانَ يقومُ لكَ) .

وكتبَ الإمامُ أبو بكرٍ الشَّاشيُّ إلى المُستظهِرِ فصلاً يقولُ فيهِ : (فعلَ في حقِّي وصنعَ ، ووضعَ حرمةَ العلمِ والشَّيخوخةِ) ، وأنشدَ في حقِّهِ في أثناءِ القصَّةِ[1] : [من الطويل]

حِجَابٌ وَإِعْجَابٌ وَفَرْطُ تَصَلُّفِ ... وَمَدُّ يَدٍ نَحْوَ ٱلْعُلَا بِتَكَلُّفِ

فَلَوْ كَانَ هَـٰذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةٍ ... لَهَانَ وَلَـٰكِنْ مِنْ وَرَاءِ تَخَلُّفِ

فكتبَ المُستظهِرُ في قصَّتِهِ : (يمضي الشَّاشيُّ إلى الدَّامَغانيِّ ، ويعتذرُ منهُ) .

قالَ : فمضى الإمامُ أبو بكرٍ الشَّاشيُّ إلىٰ قاضي القضاةِ ؛ امتثالاً للمراسمِ ، وكنَّا معَهُ ، فقامَ لهُ الدَّامَغانيُّ قياماً تامّاً ، وعانقَهُ واعتذرَ إليهِ ، وجلسا زماناً طويلاً يتحدَّثانِ ، فكانَ القاضي يقولُ : تكلَّمَ والدي في المسألةِ الفلانيَّةِ ، واعترضَ عليهِ فلانٌ ، وتكلَّمَ فلانٌ في مسألةِ كذا ، واعترضَ والدي عليهِ ، إلىٰ أن ذكرَ عدَّةَ مسائلَ ، فقالَ الشَّاشيُّ لهُ : نِعْمَ ما حفظتَ أسماءَ المسائلِ[2]

نُكْتَةٌ

[في فتيا الإمامِ الشَّافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ]

٥٤٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ الفِلَكيُّ ـ هوَ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ حمزةَ ـ بقراءتي عليهِ

---

(١) هي لابن أبي الشَّخْباء كما في « وفيات الأعيان » (٢/٩٠) ، و« الوافي بالوفيات » (١٢/٦٩ ـ ٧٠) ، وقيل : لأبي المفاخر النَّيرماني كما في « دمية القصر » للباخرزي (١/٣٧٤) .

(٢) ذكره ابن الجوزي في « المنتظم » (١٠/١٥٩ ـ ١٦٠) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

بسَمَرْقَنْدَ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ المُقرِئُ ، أنا [أبو نُعَيمٍ] [١] أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ .

(ح) وأخبرَني أعلىٰ مِن هٰذهِ الرِّوايةِ بدرجةٍ : الشَّيخُ الصَّالحُ الخطيبُ أبو عمرانَ موسى بنُ عليِّ بنِ يوسفَ القُطْبيُّ بقراءتي عليهِ في « الحليةِ » لأبي نُعَيمٍ قالَ : قُرِئَ علىٰ أبي الفرجِ بنِ أبي محمَّدٍ النُّمَيريِّ وأنا أسمعُ بالقاهرةِ ، عن أبي المكارمِ اللَّبَّانِ ، وغيرِهِ ، عنِ الحسنِ بنِ أحمدَ الحَدَّادِ قالَ : أنا أبو نُعَيمٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ الأصبهانيُّ [قالَ] [٢] : ثنا الحسنُ بنُ سعيدِ بنِ جعفرٍ ، ثنا أبو زُرارةَ الحَرَّانيُّ ، سمعتُ الرَّبيعَ يقولُ : كنتُ عندَ الشَّافعيِّ إذ جاءَهُ رجلٌ برُقعةٍ ، فقرأَها ووقَّعَ فيها .

فمضى الرَّجلُ ، وتبعتُهُ إلىٰ بابِ المسجدِ ، فقلتُ : واللهِ ؛ لا تفوتُني فتيا الشَّافعيِّ ، فأخذتُ الرُّقعةَ مِن يدِهِ ، فوجدتُ فيها : [من الطويل]

سَلِ ٱلْمُفْتِيَ ٱلْمَكِّيَّ : هَلْ فِي تَزَاوُرٍ وَضَمَّةِ مُشْتَاقِ ٱلْفُؤَادِ جُنَاحُ ؟

فإذا قد وقَّعَ الشَّافعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : [من الطويل]

أَقُولُ : مَعَاذَ ٱللهِ أَنْ يُذْهِبَ ٱلتُّقَىٰ تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ

قالَ الرَّبيعُ : فأنكرتُ على الشَّافعيِّ أن يُفتِيَ لحَدَثٍ بمثلِ هٰذا ، فقلتُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ تُفتي بمثلِ هٰذا لمثلِ هٰذا الشَّابِّ ؟!

فقالَ لي : يا أبا محمَّدٍ ؛ هٰذا رجلٌ هاشميٌّ قد عرَّسَ في هٰذا الشَّهرِ ـ يعني : شهرَ رمضانَ ـ وهو حَدَثُ السِّنِّ ، فسألَ : هل لهُ جناحٌ أن يُقبِّلَ أو يضمَّ مِن غيرِ وطءٍ ؟ فأفتيتُهُ بهٰذا .

قالَ الرَّبيعُ : فتبعتُ الشَّابَّ ، فسألتُهُ عن حالِهِ ، فذكرَ لي مثلَ ما قالَ الشَّافعيُّ ، قالَ : فما رأيتُ أحسنَ منها [٣]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو نصر) ، والمثبت موافق لما في « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (١٢٥٠/٢) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (قالا) ، والمثبت بناءً علىٰ ما سبق من التصويب .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٥٠/٩) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٩٤/٢ ـ ٩٥) ، والقفطي في « المحمدون من الشعراء » (ص ١٤٠ ـ ١٤١) ، والتاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣٠٣/١ ـ ٣٠٤) من طريق المؤلِّف ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣٣٧/٤) ، وكلُّهم ذكر : (فما رأيتُ فِراسةً أحسنَ منها) .

نُكْتَةٌ

[في ذمِّ الاعتراضِ]

٥٤٦ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ محمَّدٍ الكاتبَ بنَيْسابورَ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ سهلَ بنَ أحمدَ بنِ سهلِ بنِ الفضلِ بِبِسْطامَ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ الخطيبَ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبيدِ اللهِ الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ دادويهِ السِّمَنانيَّ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ الرَّازيَّ يقولُ : (كائناتٌ معدوداتٌ ، لأسباب معلوماتٍ ، بأوقاتٍ معروفاتٍ ، فالاعتراضُ لها رعوناتٌ)[1]

نُكْتَةٌ

[في طلبِ العلمِ]

٥٤٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو نصرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ شمرٍ القاضي بمَرْوَ ، أنا أبو القاسمِ هبةُ اللهِ بنُ عبدِ الوارثِ الشِّيرازيُّ الحافظُ ، أنا أبو سعدٍ عليُّ بنُ موسى بنِ محمَّدٍ الحافظُ بمكَّةَ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ الكِسائيُّ يقولُ : سمعتُ الإمامَ أبا سهلٍ محمَّدَ بنَ سليمانَ الحنفيَّ يقولُ : [سمعتُ أبا ترابٍ محمَّدَ بنَ سهلٍ يقولُ][2] : سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ : (لا يطلبُ هـٰذا العلمَ أحدٌ بالمُلكِ وعزِّ النَّفسِ فيفلحُ ، ولـٰكنَّهُ مَن طلبَهُ بذلَّةِ النَّفسِ ، وضيقِ العيشِ ، وخدمةِ العلمِ ، وتواضعِ النَّفسِ . . أفلحَ)[3]

٭

٥٤٨ ـ وبهِ قالَ : أنا الحسينُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ المُقرِئُ ببغدادَ ، أنا عليُّ بنُ موسى السُّكَّريُّ في كتابِهِ إليَّ مِنَ الحجازِ ، أنا الأستاذُ أبو إبراهيمَ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ النَّصْراباذيُّ ، سمعتُ والدي [يقولُ] : سمعتُ الحسنَ ابنَ عَلُّويهِ يقولُ : سُئِلَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرَّازيُّ : مَنِ الزَّاهدُ حقّاً ؟

---

(١) أخرجه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٣٠٤) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٣٤٩) وفيهما عن أبي بكر الفرغاني بنحوه ، وأبو سعد السمعاني في « المنتخب من معجم شيوخه » (٢/٨٢٧) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « مناقب الشافعي » للبيهقي .

(٣) أخرجه الرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (٨٤) ، والسلمي في « كلام الشافعي في التصوف » (١٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١١٩ ـ ١٢٠) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/١٤١) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٦٠٢) ، وانظر « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (١/١٧٥) .

قالَ : مَن يكونُ علىٰ تركِها أحرصَ مِنَ الحريصِ علىٰ طلبِها[1]

نُكْتَةٌ

[صيَّرَني ثواباً وصيَّرَهُ عقاباً]

٥٤٩ ـ وأُنبِئتُ عن أبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ السَّمْعانيِّ ، والمُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أبي طاهرٍ الشَّاهدُ قرأتُ عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ أبي طاهرٍ الشَّاهدِ قالَ : أنا الشَّريفُ أبو الفضلِ عبَّاسُ بنُ أحمدَ ابنِ بكرانَ الهاشميُّ ، أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ الحسنِ الغَضائريُّ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى النَّديمُ ، ثنا محمَّدُ بنُ سعيدٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ يوسفَ ، عن أبيهِ قالَ : خرجْنا بجاريةٍ للرَّشيدِ اشتريْناها لهُ نُشيِّعُها ، فمررْنا بخيامِ الأعرابِ ؛ فإذا رجلٌ قبيحُ الوجهِ يضربُ امرأةً ، وهيَ أحسنُ النَّاسِ وجهاً .

قالَ : فأومأْنا إليهِ نمنعُهُ ، فقالَتْ : دعوهُ ؛ فإنَّهُ أسدىٰ إلى اللهِ يداً ، وأذنبتُ ذنباً ، فصيَّرَني ثوابَهُ ، وصيَّرَهُ عقابي[2]

* * *

٥٥٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُما ، عن أبي سعدٍ قالَ : سمعتُ أبا البدرِ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ حَمْدِ بنِ جعفرِ بنِ الحسينِ بنِ جعفرٍ البَنْدَنيجيَّ بقَرْمِيسِينَ يقولُ[3] : سمعتُ أبي أبا السَّعاداتِ عليَّ بنَ حَمْدِ ابنِ الهَمَذانيِّ ببَنْدَنيجينَ ، سمعتُ عمَّ والديَ الرَّئيسَ أبا سعدٍ عَقِيلَ بنَ الحسينِ البَنْدَنيجيَّ يقولُ : أتاني في المَنامِ آتٍ ، فقالَ لي : أنتَ عَقِيلُ بنُ الحسينِ الموصوفُ بالأدبِ ؟ فقلتُ : أنا هوَ .

فقالَ : هل لكَ أن تُمَصْرِعَ وأُتمِّمَ ، أو أُمَصْرِعَ وتُتمِّمَ ؟ فقلتُ : لا بل أُمَصْرِعُ ، فقالَ لي : يا عيَّارُ ؛ هربتَ مِنَ القافيةِ ، ولٰكنْ قلْ .

---

(١) انظر « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (١/٢٥٢) ، و« تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ١٨٦) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٢/٢٩٩) .

(٢) أخرجه الصولي في « جزئه » ضمن كتاب « الفوائد » (١١٨٥) ، وأبو الفضل ابن مهدي في « مشيخته » (ق/٢١) مخطوط ، وأبو عثمان الحيري في « فوائده » (ق/٦٢) مخطوط ، ومحمد بن عبد الباقي في « مشيخته » (٦٠١) .

(٣) قَرْمِيسِين : بلد معروف ، بينه وبين هَمَذان ثلاثون فرسخاً ، قرب الدِّينَوَر . « معجم البلدان » (٤/٣٣٠) .

فقلتُ : [من البسيط]

هَـلْ عِـنْـدَكُـمْ رَحْـمَـةٌ يَـرْجُـو عَـوَاطِـفَـهَـا

فقالَ :

صَـبٌّ تَـشَـكَّـتْ إِلَى ٱلـشَّـكْـوَىٰ جَـوَارِحُـهُ

فقلتُ :

أَغْـلَـقْـتُـمْ كُـلَّ بَـابٍ عَـنْ مَـسَـرَّتِـهِ

فقالَ :

وَفِـي يَـدَيْ ظَـبْـيِـكُـمْ كَـانَـتْ مَـفَـاتِـحُـهُ

فقلتُ :

مَـا أَمْـسَـكَـتْ قَـلْـبَـهُ إِذْ لَـمْ يَـطِـرْ جَـزَعـاً

فقالَ :

مِـنْ فَـرْطِ بَـرْحِ ٱلْـهَـوَىٰ إِلَّا جَـوَانِـحُـهُ

فانتبهتُ وقد حفظتُ ما قالَ وقلتُ (١)

حكاية

[في عقوبةِ العقوقِ]

٥٥١ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ الحافظُ بقراءتي عليهِ بأصبهانَ ، أنا عبدوسُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ عبدوسٍ الهَمَذانيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ حَمْدويهِ الطُّوسيُّ ـ قدمَ علينا هَمَذانَ ـ ، ثنا محمَّدُ بنُ يعقوبَ بنِ يوسفَ إملاءً ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحيمِ الهَرَويُّ بالسَّافِريَّةِ (٢) ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ العزيزِ الواسِطيُّ ، ثنا شهابُ بنُ خِراشٍ الحَوْشَبيُّ ، عن عمِّهِ العوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ قالَ : نزلتُ مرَّةً حيّاً ، وإلىٰ

---

(١) أخرجه محمد بن موسى المراكشي في « مشيخة المراغي » (ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧) من طريق المؤلِّف ، وانظر « خريدة القصر » للعماد الأصبهاني (٥/١٤٨ ـ ١٤٩) من (قسم شعراء العراق) ، وذكره ابن ظافر الأزدي في « بدائع البدائه » (ص ١٢٥) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة علىٰ أصله) .

(٢) السَّافِريَّة : قرية إلىٰ جانب الرَّمْلة ، في فلسطين . « معجم البلدان » (٣/١٧١ ـ ١٧٢) .

جانبِ ذلكَ الحيِّ مقبرةٌ ، فلمَّا كانَ بعدَ العصرِ . . انشقَّ منها قبرٌ ، فخرجَ رجلٌ رأسُهُ رأسُ الحمارِ ، وجسدُهُ جسدُ إنسانٍ ، فنهقَ ثلاثَ نهقاتٍ ، ثمَّ انطبقَ عليهِ القبرُ .

فإذا عجوزٌ تغزلُ شَعراً أو صوفاً ، فقالَتِ امرأةٌ : ترىٰ تلكَ العجوزَ ؟ قلتُ : ما لها ؟ قالَتْ : تلكَ أُمُّ هٰذا ، قلتُ : وما كانَ قصَّتُهُ ؟ قالَتْ : كانَ يشربُ الخمرَ [1] ، فيقولُ لها : أنتِ تنهقينَ كما ينهقُ الحمارُ .

قالَتْ : فماتَ بعدَ العصرِ ، قالَتْ : فهوَ ينشقُّ عنهُ القبرُ بعدَ العصرِ كلَّ يومٍ ، فينهقُ ثلاثَ نهقاتٍ ، ثمَّ ينطبقُ عليهِ القبرُ .

قالَ أبو بكرٍ ابنُ حَمْدويهِ الطُّوسيُّ : حدَّثَ بهِ أبو العبَّاسِ الأصمُّ إملاءً بنَيْسابورَ بمشهدٍ مِنَ الحفَّاظِ وأهلِ العلمِ ، فلم يُنكِروهُ [2] .

* * *

٥٥٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الدُّرِّ ياقوتُ بنُ عبدِ اللهِ التَّاجرُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ ابنُ هَزارمَرْدَ الخطيبُ ، أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الذَّهبيُّ ، ثنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ البَغَويُّ ، ثنا [مُحْرِزُ] [3] بنُ عونٍ ، ثنا مُختارُ بنُ عونٍ ؛ أخي ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ قالَ : رأيتُ معَ مالكِ بنِ دينارٍ كلباً ، فقلتُ : ما هٰذا ؟ فقالَ : هٰذا خيرٌ مِن جليسِ السُّوءِ [4] .

نُكْتَةٌ

[في إعارةِ الكتابِ]

٥٥٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عثمانَ إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ العَصائديُّ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو القاسمِ الفضلُ بنُ أبي حربٍ الجُرْجانيُّ ، أنا القاضي أبو عبدِ اللهِ المالكيُّ ، ثنا الأميرُ

---

(١) في مصادر التخريج : (فإذا راحَ . . تقولُ لهُ أُمُّهُ : يا بُنَيَّ ؛ اتَّقِ اللهَ ، إلىٰ متىٰ تشربُ الخمرَ ؟) .

(٢) أخرجه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢١٥٧) دون القول الأخير ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٤٥٨) ، وانظر « الترغيب والترهيب » للمنذري (٢٦٩٣) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (محمد) ، والمثبت من مصادر التخريج ، وانظر « إكمال تهذيب الكمال » لمغلطاي (١١/٩٤) .

(٤) أخرجه ابن المرزبان في « فضل الكلاب » (٣٨) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٢٤٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٤٥) ، وأبو سليمان الخطابي في « العزلة » (ص ٥٩) ، وأبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (١٩٧٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٣٨٤) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٥٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/٣٥٥) .

أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عثمانَ ابنِ الواثقِ ، سمعتُ جدِّي يقولُ : تقدَّمَ إلىٰ إسماعيلَ بنِ إسحاقَ القاضي رجلانِ ، فادَّعىٰ أحدُهُما على الآخرِ سماعاً لهُ في كتابِهِ ، وأنَّهُ يلتمسُهُ منهُ ليكتبَهُ فيمنعُهُ عنهُ ، فسألَ القاضي المُدَّعىٰ عليهِ فاعترفَ بسماعِهِ ، وامتنعَ مِن إخراجِ الكتابِ إليهِ .

فقالَ لهُ إسماعيلُ : إن كانَ سماعُهُ في كتابِكَ بخطِّهِ . . فأنتَ بالخِيارِ في دفعِهِ ومنعِهِ ، وإن كانَ في كتابِكَ سماعُهُ بخطِّكَ . . فعليكَ أن تُخرِجَهُ إليهِ ، فقالَ : إنَّهُ يُعذِّبُني في كتبي إذا دفعتُها إليهِ .

فقالَ : أَخرِجْ إليهِ ما لزمَكَ بالحكمِ ، وقالَ للآخرِ : إذا أعارَكَ أخوكَ كتبَهُ . . فلا تُعذِّبْهُ ؛ فإنَّكَ تُطرِّقُ علىٰ نفسِكَ مَنْعَكَ ممَّا تستحقُّ ، فرضيا وقاما (١)

حكاية

[في عاقبةِ قَتَلةِ سيِّدِنا الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ]

٥٥٤ ـ وأنبأَني غيرُ واحدٍ تقدَّمَتْ أسماؤُهُم (٢) ، عن أبي رَوْحٍ عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : أنا مكِّيُّ بنُ زيدِ بنِ الفضلِ المدنيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ سعيدِ ابنِ نبهانَ الكَرْخيُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ ابنِ شاذانَ ، أنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ زيادٍ القَطَّانُ ، حدَّثَني أبو يوسفَ يعقوبُ المُتطبِّبُ ، ثنا أبو نعيمٍ ، ثنا ابنُ عُيَينةَ ، عن أُمِّهِ قالَتْ : أدركتُ مِن قَتَلةِ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ رجلَينِ ؛ أمَّا أحدُهُما : فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ طوَّلَ ذَكَرَهُ ، فكانَ يحملُهُ علىٰ عاتقِهِ !!

وأمَّا الآخرُ . . فكانَ يأتي عَزْلاءَ الرَّاويةِ (٣) ، فيضعُها علىٰ فِيهِ حتَّىٰ يستفرغَها ، ويصيحُ : العطشَ العطشَ !! ويدورُ إلى الجانبِ الآخرِ مِنَ الرَّاويةِ فيستفرغُها ولا يَروىٰ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ نظرَ إلى الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ وقد أهوىٰ إلىٰ فِيهِ ، فرماهُ بسهمٍ ، فقالَ الحسينُ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما لكَ ؟! لا أرواكَ اللهُ مِنَ الماءِ في دنياكَ ولا آخرتِكَ) (٤)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٤٨٢) ، والقاضي عياض في « الإلماع » (ص ١٨٨) ، وذكره الزركشي في « النكت علىٰ مقدمة ابن الصلاح » (٣/٥٩٧) وعزاه لابن النجار .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٧) .

(٣) العَزْلاء : مصبُّ الماء .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (٥٩) عن جَدَّة سفيان ، وأبو سهل القطان في « أماليه » (ق/٢١٩)

حكاية

[جاءَ بالشِّمالِ فَأْتِ باليمينِ]

٥٥٥ ـ وأنبؤوني عن عبدِ المُعِزِّ قالَ : أنا السَّمْعانيُّ قالَ : أنا أبو منصورٍ موهوبُ بنُ أحمدَ ابنُ الجَواليقيِّ بقراءتي عليهِ ، ثنا [أبو زكريَّا] [١] يحيى بنُ عليِّ التِّبْريزيُّ قالَ : حكىٰ لنا الرَّئيسُ أبو الجوائزِ الحسنُ بنُ عليِّ ابنِ بازي الواسِطيُّ قالَ : ثنا أبو الحسنِ المَخْلَديُّ الأديبُ ، وغيرُهُ : أنَّ المُتنبِّيَ كانَ بواسِطَ جالساً ، وعندَهُ ولدُهُ المُحسَّدُ قائماً ، وجماعةٌ يقرؤونَ عليهِ ، فوردَ إليهِ بعضُ النَّاسِ ، فقالَ لهُ : أُريدُ أن تُجيزَ لنا هٰذا البيتَ : [من الخفيف]

زَارَنَا فِي ٱلظَّلَامِ يَطْلُبُ سَتْراً ... فَٱفْتَضَحْنَا بِنُورِهِ فِي ٱلظَّلَامِ

فرفعَ رأسَهُ وقالَ : يا مُحسَّدُ ؛ قد جاءَكَ بالشِّمالِ فَأْتِهِ باليمينِ ، فقالَ : [من الخفيف]

فَٱلْتَجَأْنَا إِلَىٰ حَنَادِسِ شَعْرٍ ... سَتَرَتْنَا عَنْ أَعْيُنِ ٱللُّوَّامِ

قالَ الرَّئيسُ أبو الجوائزِ : معنىٰ قولِهِ لولدِهِ : (جاءَكَ بالشِّمالِ فَأْتِهِ باليمينِ) : أنَّ اليُسرىٰ لا يتمُّ بها عملٌ ، وباليُمنىٰ تتمُّ الأعمالُ ؛ فأرادَ أنَّ المعنىٰ يحتملُ زيادةً فأَورِدْها ، وقد ألطفَ المُتنبِّي في الإشارةِ ، وأحسنَ ولدُهُ في الأخذِ [٢]

حكاية

[في خفضِ الأيَّامِ]

٥٥٦ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو منصورٍ موهوبُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ اللُّغَويُّ ، ثنا أبو زكريَّا يحيى بنُ عليِّ التِّبْريزيُّ الخطيبُ قالَ : حكىٰ لنا الرَّئيسُ أبو الجوائزِ الواسِطيُّ قالَ : ثنا أبو الحسنِ بنُ أَذِينٍ البَصيرُ النَّحْويُّ قالَ : حضرتُ معَ والدي مجلسَ كافورٍ الإِخْشيديِّ وهوَ غاصٌّ بالنَّاسِ ، فدخلَ إليهِ رجلٌ وقالَ في دعائِهِ : أدامَ اللهُ أيَّامَ

مخطوط ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١١٩/٣) عن جدة سفيان ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢٦٢٠/٦ ـ ٢٦٢١) عن والد سفيان .

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو بكر) ، والمثبت من مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٧٣/٣٥) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٥٥٦ ، ٨٤٦) .

(٢) انظر « نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص ٣٢٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٤٢/٦) .

سيِّدِنا ، فكسرَ الميمَ مِنَ (الأيَّامِ) ، وفطنَ بذٰلكَ جماعةٌ مِنَ الحاضرينَ أحدُهُم صاحبُ المجلسِ حتَّىٰ شاعَ ذٰلكَ .

فقامَ مِن أوساطِ النَّاسِ رجلٌ ، فأنشأَ يقولُ[1] : [من البسيط]

لَا غَرْوَ إِنْ لَحَنَ ٱلدَّاعِي لِسَيِّدِنَا ... أَوْ غَصَّ مِنْ دَهَشٍ بِٱلرِّيقِ أَوْ بَهَرِ

فَمِثْلُ هَيْبَتِهِ حَالَتْ جَلَالَتُهَا ... بَيْنَ ٱلْأَدِيبِ وَبَيْنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْحَصَرِ

وَإِنْ يَكُنْ خَفَضَ (ٱلْأَيَّامَ) عَنْ غَلَطٍ ... فِي مَوْضِعِ ٱلنَّصْبِ لَا عَنْ قِلَّةِ ٱلْبَصَرِ

فَقَدْ تَفَاءَلْتُ مِنْ هَٰذَا لِسَيِّدِنَا ... وَٱلْفَأْلُ مَأْثُورَةٌ عَنْ سَيِّدِ ٱلْبَشَرِ

بِأَنَّ أَيَّامَهُ خَفْضٌ بِلَا نَصَبٍ ... وَأَنَّ أَوْقَاتَهُ صَفْوٌ بِلَا كَدَرِ[2]

نُكْتَةٌ

[في رؤيةِ ابنِ آدمَ عيبَ غيرِهِ وغضِّهِ الطَّرْفَ عن عيوبِهِ]

٥٥٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ مُقبِلُ بنُ أحمدَ الطَّاهريُّ القزَّازُ ، أنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ البغداديُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الفارسيُّ ، أنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ زيادٍ القطَّانُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يونسَ ، ثنا الحُرُّ بنُ مالكٍ العَنْبَريُّ ، ثنا أبو الأشهبِ العُطارِديُّ ، عنِ الحسنِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قالَ : (ابنَ آدمَ ؛ ترى القذىٰ في عينِ أخيكَ ، والجذعُ مُعترِضٌ في عينِكَ لا تراهُ !!)[3]

٥٥٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الخيَّاطُ بقراءتي عليهِ ، أنا مُسدَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ علكانَ الثَّغْريُّ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ الفَهْميُّ ،

---

(١) الأبيات لإبراهيم بن عبد الله النَّجيرمي في « زهر الآداب » للحصري القيرواني (٦١٩/٢) ، و« إنباه الرواة » للقفطي (١٧١/١) ، و« وفيات الأعيان » (١٠٢/٤ ـ ١٠٣) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٤/٦) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٥٠) ، وياقوت في « معجم الأدباء » (١٨٨/١ ـ ١٨٩) ، وانظر « نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣) ، و« إنباه الرواة » للقفطي (١٠٦/٤) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٤٠٦/١٧) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٢١١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٤٣٨) ، وأحمد ابن حنبل في « الزهد » (١٦٤٨) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٢٠٢) ، والخطيب البغدادي في « تلخيص المتشابه » (٢٤١/١) .

أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ الشَّيْبانيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ عَرْعَرةَ السَّاميُّ بنَصِيبينَ ، ثنا أحمدُ بنُ عبيدِ بنِ ناصحٍ ، سمعتُ الأصمعيَّ [يُحدِّثُ] عن أبيهِ قالَ : (كانَ يُقالُ : الصَّاحبُ والرَّفيقُ رقعةٌ في قميصِ الرَّجلِ ؛ فلينظرْ بِمَ يَرْقَعُهُ) [1]

* * *

٥٥٩ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا حفصٍ عمرَ بنَ محمَّدِ بنِ الحسنِ الجُرْجانيَّ الأديبَ بمَرْوَ ، سمعتُ أبا الفتيانِ عمرَ بنَ عبدِ الكريمِ بنِ سعدويهِ الحافظَ بدِهِسْتانَ ، سمعتُ مسافرَ بنَ أميركا بنِ يونسَ الجِيليَّ باليمامةِ ، سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ الحسنِ البُخاريَّ ـ قدمَ علينا جيلانَ ـ ، سمعتُ يوسفَ بنَ محمَّدِ بنِ يوسفَ الخطيبَ بهَمَذانَ ، سمعتُ أبا محمَّدٍ جعفرَ بنَ محمَّدِ بنِ الحسينِ الأَبْهَريَّ يقولُ : سمعتُ أبا سهلٍ ابنَ زيرَكٍ يقولُ : سمعتُ أبا منصورٍ أحمدَ بنَ بُنْدارٍ الإمامَ يقولُ [2] : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (يا داوودُ ؛ مَنْ مَدَحَ إذا باعَ ، وذمَّ إذا ابتاعَ . . ضيَّعَ مِن ربحِهِ الانتفاعَ) [3]

نُكْتَةٌ

[في ذكاءِ دنانيرَ جاريةِ محمَّدِ بنِ كُناسةَ]

٥٦٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ السَّمَرْقَنْديُّ قراءةً عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ بنِ الأمينِ ، وغيرِهِ ، عن إسماعيلَ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ عبدِ العزيزِ العُكْبَريُّ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ موسى بنِ القاسمِ بنِ الصَّلتِ المُجبِّرُ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدٍ الأصبهانيُّ قالَ : أخبرَني وكيعٌ قالَ : أخبرَنيَ ابنُ أبي الدُّنيا ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عَثَّامٍ ، عن أبيهِ قالَ : كنتُ عندَ محمَّدِ بنِ كُناسةَ ، فقالَ : أُعرِّفُكَ شيئاً مِن فهمِ دنانيرَ ؟ يعني : جاريتَهُ ، قلتُ : نعم .

---

(١) أخرجه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/٣) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٧٠٧) ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٧٧٥) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٦٠) مخطوط .

(٢) عُنْونَ ها هنا في هامش (ج) بـ : (فائدة) .

(٣) فيه من حديث أنس بن مالك أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان لا يصلِّي حتَّىٰ يفطر ولو علىٰ شربة من ماء . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) .

قالَ : كتبتُ إليها : (إنَّـكِ امرأةٌ خصمةٌ ، ورهاءُ خرقاءُ[1] ، فإذا أتاكِ كتابي هـٰذا . . فعجِّلي جوابي ، والسَّلامُ) .

فكتبَتْ : (قد ساءَني تهجينُكَ إيَّايَ عندَ أبي الحسنِ ، وإنَّ مِن أعيا العِيِّ الجوابُ عمَّا لا جوابَ لهُ ، والسَّلامُ)[2]

٥٦١ ـ وبهِ قالَ : أنا المُنوَّرُ ـ هوَ أبو الثَّناءِ المُنوَّرُ بنُ أسعدَ بنِ سعيدِ بنِ فضلِ اللهِ المَيْهَنيُّ الصُّوفيُّ ـ قالَ : أنا أبو الفضلِ ـ يعني : محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ أبي الحسنِ العارفَ المَيْهَنيَّ ـ ، أنا أبو سعيدٍ ـ يعني : محمَّدَ بنَ موسى بنِ الفضلِ الصَّيْرفيَّ ـ قالَ : ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الصَّفَّارُ ، ثنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ ابنُ أبي الدُّنيا القرشيُّ ، ثنا المُثنَّى بنُ عبدِ الكريمِ ، ثنا زافرُ بنُ سليمانَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ قالَ : قالَ الشَّعْبيُّ : (مَثَلُ الذَّنبِ والاستغفارِ والتَّوبةِ مَثَلُ الدَّاءِ والدَّواءِ والشِّفاءِ ؛ فالذَّنبُ هوَ الدَّاءُ ، والاستغفارُ هوَ الدَّواءُ ، والتَّوبةُ هيَ الشِّفاءُ)[3]

حكايةٌ لطيفةٌ

[في قراءةِ هارونَ الرَّشيدِ « المُوطَّأَ » على الإمامِ مالكٍ]

٥٦٢ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو الفرجِ مُجلِّي بنُ الفضلِ المَوْصِليُّ إملاءً بظاهرِ مَرْوَ ، أنا أبو شجاعٍ محمَّدُ بنُ سعدانَ المقاريضيُّ الصُّوفيُّ بشِيرازَ ، أنا أبو الوفاءِ المهديُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ ابنِ طرازٍ المُفسِّرُ ، ثنا أبو القاسمِ منصورُ بنُ خلفٍ بنَيْسابورَ ، ثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ حفصٍ الأَنْدَلُسيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ المصريُّ الواعظُ ، أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ عليٍّ المَعافِريُّ بمصرَ ، ثنا يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ ، ثنا ابنُ وهبٍ قالَ : لمَّا حجَّ هارونُ الرَّشيدُ أميرُ المؤمنينَ . . بدأَ بالمدينةِ .

فأرسلَ إلىٰ مالكِ بنِ أنسٍ : (احملْ إليَّ كتابَكَ الَّذي عملتَهُ) ، فقالَ : لا أفعلُ ،

(١) الورهاء : الحمقاء .

(٢) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الإماء الشواعر » (ص ٥٥) .

(٣) أخرجه أحمد ابن حنبل في « الزهد » (١٩٨٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠٨/٢) وفيهما عن الربيع بن خثيم بنحوه ، وانظر « ألف باء » لأبي الحجاج البلوي (٣٩٣/١) .

فاجتمعَ الأشرافُ إلىٰ مالكٍ فقالوا لهُ : هـٰذا الرَّجلُ جبَّارٌ ؛ احملْ إليهِ ولا تُسلِّطْهُ عليكَ ، فقالَ : إن كانَ ولا بُدَّ . . فأُذِلُّ نفسي ولا أُذِلُّ علمي .

فلَبِسَ وجاءَ إليهِ ، فاستأذنَ عليهِ ودخلَ ، وقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ اللهَ شرَّفَكَ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإنَّهُ حدَّثَني نافعٌ ، عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ رأسُهُ في حجرِ ابنِ أُمِّ مكتومٍ ، فنزلَتْ عليهِ : ﴿ لَا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فقالَ ابنُ أُمِّ مكتومٍ : أيشٍ أصنعُ يا رسولَ اللهِ وأنا ضريرٌ ؟ فرجعَ جبريلُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فنزلَ فقالَ : ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾[1]

فجبريلُ عليهِ السَّلامُ عرجَ ونزلَ في نصفِ حرفٍ مسيرةَ خمسِ مئةِ عامٍ ، وتأمرُني أن أحملَ إليكَ كتابي ، وقد عملتُ فيهِ الأحكامَ ، وجمعتُ فيهِ السُّننَ ؟! فقالَ : لا نسمعُهُ إلَّا في بيتِكَ ، فخرجَ معَهُ أميرُ المؤمنينَ .

فلمَّا أرادَ أن يركبَ . . قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَني نافعٌ ، عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ ؛ رِضاً بِمَا يَطْلُبُ »[2] ؛ فامشِ ولا تركبْ ، قالَ : أفعلُ ، فمشىٰ معَهُ حتَّىٰ صارَ إلىٰ منزلِهِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ اجلسْ حتَّىٰ أتأهَّبَ ، فدخلَ فنصَّ منصَّتَهُ وجلسَ عليها ، فأذنَ لهُ فأجلسَهُ إلىٰ جنبِهِ ، وكانَ مالكٌ إذا حدَّثَ بالحديثِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . تبخَّرَ بالنَّدِّ حتَّىٰ يفرغَ .

فقالَ لهُ : حدِّثْني ، فقالَ : حدَّثَني نافعٌ ، عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلْخَاصَّةَ إِذَا تَخَصَّصُوا بِٱلْعِلْمِ دُونَ ٱلْعَامِّ . . لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ لَا ٱلْخَاصُّ وَلَا ٱلْعَامُّ »[3] ، وهـٰذا الكتابُ قد عملتُهُ وما سمعَ بهِ أحدٌ مِن أصحابِ الحديثِ ، فنادِ في الموسمِ حتَّىٰ تسمعَهُ معَهُم ، فنادىٰ في الموسمِ فحضرَ أهلُ العلمِ وأصحابُ الحديثِ .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣١) ، ومسلم (١٤١/١٨٩٨) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما بنحوه ، والآية من سورة (النساء) : (٩٥) .

(٢) أخرجه أبو داوود (٣٦٣٦) ، والترمذي (٢٦٨٢) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٦٣/٨) واللفظ له عن سيدنا صفوان بن عسال رضي الله عنه .

(٣) ذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٥٥/١) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٩٢٨٨) كلاهما بنحوه وعزواه للديلمي .

فقالَ لهُ : حدِّثْنا ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَني نافعٌ ، عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلْعِلْمِ . . رَفَعَهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ » ؛ فانزلْ واجلسْ معَ أصحابِ الحديثِ ، فنزلَ وجلسَ معَهُم .

ورفعَهُ إلىٰ جنبِهِ ، فقالَ : ما نُسمِّي هـٰذا الكتابَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : سمِّهِ ـ يا أبا عبدِ اللهِ ـ ما شئتَ ، قالَ : سمَّيْناهُ : « المُوطَّأَ » ؛ لأنَّكَ توطَّأتَ لنا ، فحملَ إليهِ دابَّةً وبغلاً وحماراً وخمسَ مئةِ دينارٍ ، فردَّ [إليهِ] البهائمَ وقَبِلَ الدَّنانيرَ ، وقالَ : ما كنتُ لأركبَ في مدينةٍ والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ملحودٌ في ترابِها .

ورحلَ الرَّشيدُ إلىٰ مكَّةَ ، فأرسلَ إلىٰ سفيانَ بنِ عُيَينةَ : ([أنِ] احملْ إليَّ علمَكَ) ، فحملَ إليهِ ، فلمَّا قدمَ إلى العراقِ . . كانَ الرَّشيدُ يقولُ : رحمَ اللهُ مالكاً ؛ توطَّأْنا لهُ فانتفعْنا بعلمِهِ ، ورحمَ اللهُ سفيانَ ؛ توطَّأَ لنا فلم ننتفعْ بعلمِهِ (١)

هـٰكذا روىٰ أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ ، وهوَ يقتضي أنَّ إسماعَ مالكٍ « المُوطَّأَ » وتسميتَهُ بذٰلكَ . . كانَ بعدَ السَّبعينَ ومئةٍ ؛ لأنَّ هارونَ الرَّشيدَ وليَ الخلافةَ سنةَ سبعينَ (٢)

ثمَّ روىٰ أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ بعدَ ذٰلكَ بنَحْوٍ مِن كرَّاسَينِ : أنَّ الشَّافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ رحلَ إلىٰ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ ابنُ أربعَ عشرةَ سنةً ، وسمعَ منهُ « المُوطَّأَ » (٣) ، وذٰلكَ يقتضي إسماعَ مالكٍ « المُوطَّأَ » قبلَ السَّبعينَ ؛ لأنَّ مولدَ الشَّافعيِّ سنةَ خمسينَ ومئةٍ (٤) ، والمشهورُ : أنَّ الشَّافعيَّ حينَ أتىٰ مالكاً ، وسمعَ « المُوطَّأَ » . . كانَ ابنَ ثلاثَ عشرةَ سنةً ، وبهِ جزمَ النَّوويُّ رحمَهُ اللهُ في « تهذيبِ الأسماءِ » (٥) ، وقيلَ : كانَ ابنَ خمسَ عشرةَ سنةً (٦) ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٦/٣١١ ـ ٣١٢) مختصراً ، وانظر « الحث علىٰ طلب العلم » لأبي هلال العسكري (ص ٤٢) ، و« ترتيب المدارك » للقاضي عياض (٢/٢١ ـ ٢٣) ، و« منازل الأئمة الأربعة » للسلماسي (ص ١٨٩ ـ ١٩١) .

(٢) انظر « جمل من أنساب الأشراف » للبلاذري (٤/٣٧٣) ، و« تاريخ بغداد » (١٦/٩) .

(٣) انظر « منازل الأئمة الأربعة » للسلماسي (ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦) ، و« الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة » للبري (١/٣٠) .

(٤) انظر « مناقب الشافعي » للبيهقي (١/٧١ ـ ٧٥) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٦٢) ، وانظر « مناقب الشافعي » للبيهقي (١/١٠١) .

(٦) انظر « تاريخ أبي الفداء » (٢/٣٩) .

نُكْتَةٌ

[في عاقبةِ سوءِ الأدبِ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ]

٥٦٣ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا نصرُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الأَزْديُّ الواسِطيُّ بها ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليّ الحَوْزيُّ قراءةً عليهِ [١] ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الأعجميُّ الطَّرَسُوسيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهابِ الشِّمْشاطيُّ [٢] ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ السِّينِيزيُّ [٣] ، ثنا أبو العبَّاسِ حمدانُ ، ثنا عبدُ المجيدِ بنُ عبدِ العزيزِ قالَ : كانَ عندَنا بخُراسانَ رجلٌ كتبَ مُصحَفاً في ثلاثةِ أيَّامٍ ، فلقيَهُ رجلٌ عندَ فراغِهِ منهُ ، فقالَ : في كم كتبتَ هٰذا المُصحَفَ ؟ فقالَ بيدِهِ وأومأَ بالسَّبابةِ والوسطىٰ والإبهامِ ، وقالَ : في ثلاثٍ ، وما مسَّنا مِن لُغُوبٍ ، فجفَّتْ أصابعُهُ الثَّلاثُ ، فلم يستنفعْ بها فيما بعدُ !!

قالَ عبدُ المجيدِ : وهٰذا ـ واللهِ ـ رأيتُهُ مشاهدةً [٤]

* * *

٥٦٤ ـ قالَ عبدُ المجيدِ : ورأيتُ أعجبَ مِن هٰذا ؛ رأيتُ رجلاً كانَ يأتي امرأتَهُ حائضاً ، فحاضَ الرَّجلُ !! فلمَّا كثرَ بهِ . . تابَ ، فانقطعَ عنهُ !! [٥]

حِكَايَةٌ

[ملائكةُ الرَّحمةِ تُلقِّنُ أهلَ السُّنَّةِ]

٥٦٥ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو القاسمِ الجُنَيدُ بنُ أبي بكرِ بنِ المُظفَّرِ الغَزْنَويُّ مِن لفظِهِ بسَرْخَسَ [٦] ، أنا أبو سعدٍ ناصرُ بنُ محمَّدٍ الإِسْفَرايِنيُّ بمكَّةَ ، ثنا أبو الفتحِ نصرُ بنُ

---

(١) الحَوْزي : نسبة إلىٰ (حَوْز) ، وهي قرية شرقيَّ مدينة واسِط . « معجم البلدان » (٢/٣١٨) .

(٢) الشِّمْشاطي : نسبة إلىٰ (شِمْشاط) ، وهي مدينة علىٰ شاطئ الفُرات . « معجم البلدان » (٣/٣٦٢) .

(٣) السِّينِيزي : نسبة إلىٰ (سِينِيز) ، وهي بلدة قريبة من البصرة علىٰ ساحل البحر . « معجم البلدان » (٣/٣٠٠) .

(٤) أخرجه بحشل في « تاريخ واسط » (ص٢١٦) ، وابن حبان في « الثقات » (٥/٨) ، وانظر « صيد الخاطر » لابن الجوزي (ص ٢٨٠ ـ ٢٨١) .

(٥) انظر « صيد الخاطر » لابن الجوزي (ص ٢٨١) .

(٦) الغَزْنَوي : نسبة إلىٰ (غَزْنَة) ، وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خُراسان ، وهي الحدُّ بين خُراسان والهند . « معجم البلدان » (٤/٢٠١) .

إبراهيمَ بنِ نصرِ المَقْدِسيُّ بثغرِ صُورَ ، ثنا أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدِ ابنِ إبراهيـمَ الشَّافعيُّ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إبراهيـمَ ابـنِ شاذانَ ، سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عمرويهِ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ نصرِ الصَّائغَ يقولُ : كانَ أبي مُولَعاً بالصَّلاةِ على الجنائزِ ، مَن يعرفُ ومَن لا يعرفُ .

فقالَ لي : أي بُنَيَّ ؛ خرجتُ ذاتَ يومٍ إلى السُّوقِ أشتري حاجةً ، فصادفتُ جِنازةَ رجلٍ معَها خَلْقٌ مِنَ الخَلْقِ لا أعرفُ منهُم أحداً ، فقلتُ : أمضي معَ هـٰذهِ فأُصلِّي عليها ، وأقفُ حتَّىٰ توارىٰ فأربحُ قيراطَينِ مِنَ الثَّوابِ ؛ كما قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ »[1]

فصلَّيتُ عليها ، وأدخلوها إلى المقابرِ ، وجاؤوا إلىٰ قبرٍ محفورٍ ، فوُضِعَ النَّعشُ ، ونزلَ نفسانِ إلى القبرِ ، فجذبوا الميِّتَ وأنا أُراقِبُهُم ، فخرجَ واحدٌ وبقيَ الآخرُ ، وهالَ النَّاسُ التُّرابَ !!

فقلتُ : يا قومُ ؛ نزلَ اثنانِ وخرجَ واحدٌ وبقيَ الآخرُ ، يُدفَنُ حيٌّ معَ ميِّتٍ ؟! فقالوا : شُبِّهَ عليكَ ، فقلتُ : ما رأيتُ إلَّا اثنَينِ وبقيَ الآخرُ ، ما أبرحُ حتَّىٰ يكشفَ اللهُ عزَّ وجلَّ عمَّا رأيتُ .

فخرجَ النَّاسُ كلُّهُم مِنَ المقبرةِ وبقيتُ وحدي ، وجئتُ إلى القبرِ فقرأتُ (ياسينَ) عشرَ مرَّاتٍ ، و(تباركَ الملكَ) ، ثمَّ بكيتُ وسألتُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، فقلتُ : يا ربِّ ؛ اكشفْ لي عمَّا رأيتُ ، فإنِّي أخافُ علىٰ عقلي أن يزولَ ، فانشقَّ القبرُ ، وخرجَ منهُ شخصٌ !! فولَّىٰ ولم يلتفتْ إليَّ ، فقمتُ خلفَهُ فقلتُ : يا هـٰذا ؛ بمعبودِكَ ؛ إلَّا وقفتَ حتَّىٰ أسألَكَ ، فما التفتَ إلىٰ قولي .

فقلتُ : يا هـٰذا ؛ أنا شيخٌ ضعيفٌ ليسَ يمكنُنِيَ النُّهوضُ معَكَ ، فبمعبودِكَ ؛ إلَّا وقفتَ حتَّىٰ أسألَكَ ، فوقفَ والتفتَ إليَّ ، فقالَ : نصرٌ الصَّائغُ ؟! فقلتُ : نعم ، فقالَ : ما تعرفُني ؟ فقلتُ : لا ، فقالَ : نحنُ مَلَكانِ مِن ملائكةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ ملائكةِ الرَّحمةِ ، مُوكَّلانِ بأهلِ السُّنَّةِ ، إذا أُضجِعوا في قبورِهِم . . نزلْنا حتَّىٰ نُلقِّنَهُم الحجَّةَ ، وغابَ عنِّي[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧) ، ومسلم (٥٣/٩٤٥ ، ٥٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢١٤٥) ، وانظر « عيون الحكايات » لابن الجوزي (ص ٤٠٢) .

نُكْتَةٌ

[في قراءةِ حكمةٍ علىٰ حجرٍ]

٥٦٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أَنُوشْتِكينُ بنُ عبدِ اللهِ الرِّضوانيُّ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أبو الحسينِ عاصمُ بنُ الحسنِ ابنِ عليِّ بنِ عاصمٍ الكَرْخيُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْرانَ السُّكَّريُّ المُعدَّلُ ، أنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ بنِ إسحاقَ البَرْذَعيُّ ، ثنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ القرشيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ إدريسَ ، عن أبي زكريَّا التَّيميِّ قالَ : بينا سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ في المسجدِ الحرامِ . . إذ أُتِيَ بحجرٍ منقورٍ ، فطلبَ مَن يقرؤُهُ ، فأُتِيَ بوهبِ بنِ مُنبِّهٍ ، فقرأَهُ فإذا فيهِ : (ابنَ آدمَ ؛ لو رأيتَ قريبَ ما بقيَ مِن أجلِكَ . . لزهدتَ في طويلِ أملِكَ ، ولرغبتَ في الزِّيادةِ مِن عملِكَ ، ولقصرتَ مِن حرصِكَ وحِيَلِكَ .

وإنَّما يلقاكَ غداً ندمُكَ ، إذ قد زلَّتْ بكَ قدمُكَ ، وأسلمَكَ أهلُكَ وحشمُكَ ، فبانَ منكَ الولدُ القريبُ ، ورفضَكَ الوالدُ والنَّسيبُ ، فلا أنتَ إلىٰ دنياكَ عائدٌ ، ولا في حسناتِكَ زائدٌ ؛ فاعملْ ليومِ القيامةِ ، قبلَ الحسرةِ والنَّدامةِ) .

أظنُّهُ قالَ : فبكىٰ سليمانُ بكاءً شديداً (١)

فَائِدَةٌ

[في المودَّةِ بينَ كرامِ النَّاس ولئامِ النَّاسِ]

٥٦٧ ـ وبـهِ قـالَ : أنـا الأميـرُ أبو الحسـنِ نَـظَـرُ بـنُ عـبـدِ اللهِ الحبشيُّ بقراءتي عليهِ قالَ (٢) : أنا أبو الخطَّابِ نصرُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ القارئُ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ يحيى ابنُ البَيِّعِ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ إسماعيلَ المَحامِليُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حكيمٍ ، ثنا قُطْبةُ بنُ العلاءِ بنِ منهالٍ قالَ : جاءَ مُبارَكُ بنُ سعيدٍ إلىٰ

---

(١) أخرجه أحمد ابن حنبل في « الزهد » (٥١١) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٦٨) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١٥١/٤) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦٩/٤) ، ويروىٰ عن يزيد وعن مسلمة ابنَيْ عبد الملك .

(٢) هو نَظَر ـ بنون فظاء معجمة مفتوحتين ، كما في « توضيح المشتبه » (٩٨/٩) ـ ابن عبد الله ، أبو الحسن ، الكماليُّ الخادم أمير الحاجِّ ، المتوفَّىٰ سنة (٥٤٤هـ) ، وانظر « الأنساب » (٣٠٣/٢) ، و« المنتظم » (٣٨٥/١٠) .

مشايخِنا ، فقالَ : إنَّ لي إليكُم حاجةً ، وقد هممتُ أن أستشفعَ عليكُم بغيرِكُم ، فوثقتُ برغبتِكُم في المعروفِ .

قالَ : فقالَ لهُ خالي : فمَن أنتَ يرحمُكَ اللهُ ؟

قالَ : أنا مُبارَكٌ ولدُ سعيدِ بنِ مسروقٍ ، قالَ : حيَّاكَ اللهُ ، لو توسَّلَ بكَ إلينا مُتوسِّلٌ . . لقمْنا بحاجتِهِ ؛ فكيفَ بكَ ؟

قالَ : فقالَ مُبارَكٌ : أما لئن قلتَ ذاكَ . . لقد أتيتُ الأعمشَ ، فدققتُ عليهِ البابَ ، [فخرجَ إليَّ ، فشبَّكَ أصابعَهُ بأصابعي ، ثمَّ قالَ لي : يا مُبارَكُ ؛ أتيتُ الشَّعْبيَّ] (١) ، فخرجَ إليَّ ، فشبَّكَ أصابعَهُ في أصابعي كما فعلتُ بكَ ، ثمَّ قالَ : إنَّ المودَّةَ بينَ كرامِ النَّاسِ أسرعُ شيءٍ اتِّصالاً ، وأبطأُ شيءٍ انقطاعاً ، وإنَّما مَثَلُ ذٰلكَ مَثَلُ الكُوزِ مِنَ الفضَّةِ ؛ بطيءُ الانكسارِ ، سريعُ الانجبارِ .

وإنَّ مَثَلَ المودَّةِ بينَ لئامِ النَّاسِ مَثَلُ الكُوزِ مِنَ الفخَّارِ ؛ سريعُ الانكسارِ ، بطيءُ الانجبارِ (٢) .

حكاية

[في دقَّةِ الحسابِ يومَ العَرْضِ]

٥٦٨ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ وجيهَ بنَ طاهرٍ الشَّحَّاميَّ إملاءً يقولُ : سمعتُ الإمامَ أبا المعالي عبدَ الملكِ بنَ عبدِ اللهِ بنِ يوسفَ الجُوَينيَّ يقولُ في أثناءِ مجلسِهِ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (أنِ ائتِ الخَرِبةَ الفلانيَّةَ ؛ فإنَّ لي بها وليّاً مِن أوليائي) .

فأتىٰ موسى الخَرِبةَ ؛ فإذا هوَ برجلٍ قدِ افترشَ لنفسِهِ الرَّمادَ ، وتحتَ رأسِهِ ربعُ لَبِنةٍ ، وعلىٰ سوءتِهِ قطعةُ مِسْحٍ (٣) ، فقالَ لهُ : « هَلْ تَشْتَهِي شَيْئاً ؟ » ، قالَ : نعم ، جرعةً مِن ماءٍ .

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

(٢) أخرجه المحاملي في « أماليه » رواية ابن البيع (٣٧٣) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٥٦٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٠١٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٥/٢٨٧ ـ ٢٨٨) ، وانظر « نثر الدر » للآبي (٥/١٤٧) .

(٣) المِسْح : ثوب من الشَّعر غليظ .

فمضىٰ موسىٰ ليأتيَهُ بها ، فلمَّا أتاهُ . . وجدَهُ قد فارقَ الدُّنيا ، فتحيَّرَ موسىٰ في أمرِهِ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : (أتتعجَّبُ مِن أمرِهِ وحالِهِ ؟ وعزَّتي وجلالي ؛ لا تزولُ قدماهُ غداً عن موقفِهِ بينَ يدَيَّ حتَّىٰ أسألَهُ عن قطعةِ المِسْحِ ؛ مِن أينَ جاءَ بها ، وعن ربعِ اللَّبِنةِ ؛ مِن أينَ كانَتْ !!) .

قالَ وجيهٌ : ثمَّ وجدتُ إسنادَهُ في الكتبِ المعروفةِ : عنِ الزُّبيرِ بنِ عديٍّ ، عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ .

نُكتةٌ

[في صنوفِ الإخوانِ]

٥٦٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو زكريَّا يحيى بنُ أبي عمرٍو العَبْديُّ في كتابِهِ إليَّ ، سمعتُ أبا القاسمِ واصلَ بنَ حمزةَ بنِ عليٍّ الحافظَ في « فوائدِهِ » يقولُ : سمعتُ أبا حامدٍ أحمدَ بنَ محمَّدِ ابنِ ماما الحافظَ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ إدريسَ البغداديَّ [يقولُ] : سمعتُ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ أحمدَ البَلْخيَّ يقولُ : سمعتُ إسحاقَ القارئَ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ الفضلِ البُخاريَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ الحسينِ البَلْخيَّ يقولُ : (الإخوانُ ثلاثةٌ : فأَخٌ آخيتَهُ لأكلٍ وشربٍ ؛ فآخِرُها ندامةٌ ، وأَخٌ آخيتَهُ لفضلِ ما في يدَيهِ ؛ فآخِرُها الإياسُ ، وأَخٌ آخيتَهُ في اللهِ ؛ فتلكَ الأُخوَّةُ الدَّائمةُ) .

نُكتةٌ

[في خصالِ الكفالةِ]

٥٧٠ ـ وبهِ إلى ابنِ ماما قالَ : سمعتُ عمرَ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ المُتولِّيَ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ إسماعيلَ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ بنِ حُمَيدٍ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ الحسنِ الجزريَّ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عَسْكَرٍ يقولُ : سمعتُ أبا الضَّحَّاكِ عَيُّوقَ بنَ عاصمٍ السَّعْديَّ يقولُ : (يُقالُ : إنَّ في التَّوراةِ مكتوباً : « الكفالةُ فيها ستُّ خصالٍ : أوَّلُها : ندامةٌ ، والثَّاني : ملامةٌ ، والثَّالثُ : خسرانٌ ، والرَّابعُ : كفرانٌ ، والخامسُ : حبسٌ ، والسَّادسُ : ضربٌ ، فمَن لم يُصدِّقْ . . فليُجرِّبْ »)[1]

* * *

---

(١) انظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٢/٢١٨) عن الخليل .

٥٧١ ـ وبهِ إلى ابنِ ماما قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ البَرْقيَّ يقولُ : (الحكاياتُ خُبوتٌ يُصطادُ بها القلوبُ)[١]

حكاية

[ليسَ المُقامُ عليكَ حتماً واجباً]

٥٧٢ ـ وبهِ إلىٰ واصلِ بنِ حمزةَ : أنَّ أبا الحسينِ محمَّدَ بنَ أبي حفصٍ أخبرَهُم قالَ : ثنا أبو عليٍّ الخضرُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ الخضرِ ، ثنا جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ نُصَيرٍ الخوَّاصُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ مسروقٍ ، حدَّثَنيَ ابنُ أبي طاهرٍ ، حدَّثَني صدقةُ بنُ خالدٍ الغَسَّانيُّ ، حدَّثَني أبي ، حدَّثَني عليُّ بنُ مسمعٍ الباهليُّ قالَ : كلَّمَ جارٌ لبكرِ بنِ عجلانَ بكلامٍ أغلظَ لهُ فيهِ ، فتحوَّلَ بكرُ بنُ عجلانَ مِن ساعتِهِ ، وقالَ[٢] : [من الكامل]

وَإِذَا ٱلدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا ... فَدَعِ ٱلدِّيَارَ وَأَسْرِعِ ٱلتَّحْوِيلَا

لَيْسَ ٱلْمُقَامُ عَلَيْكَ حَتْماً وَاجِباً ... فِي مَنْزِلٍ يَدَعُ ٱلْعَزِيزَ ذَلِيلَا

فائدة

[في أربعِ كلماتٍ ما فوقَهُنَّ شيءٌ]

٥٧٣ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ قالَ : قرأتُ بخطِّ أبي الوفاءِ أحمدَ بنِ محمَّدِ ابنِ الحصينِ : سمعتُ أبا نصرٍ وَهرامَ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ الأصبهانيَّ ببغدادَ يقولُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ الحافظِ أبي طاهرٍ السِّلَفيِّ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ وَهرامَ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ المُستوفيَ الأصبهانيَّ ببغدادَ قالَ : سمعتُ أبا ساسانَ المُنشِئَ يقولُ : (سمعتُ بعضَ أهلِ العلمِ يقولُ : بلغَني أنَّ بُزُرْجُمِهْرَ وجدَ في منطقتِهِ أربعَ كلماتٍ ما فوقَهُنَّ شيءٌ ؛ الكلمةُ الأُولىٰ : إذا كانَ اللهُ تعالىٰ أجلَّ الأشياءِ . . فالعلمُ بهِ أجلُّ العلومِ .

والثَّانيةُ : إذا كانَ الرِّزقُ حظّاً مقسوماً . . فالحرصُ باطلٌ .

والثَّالثةُ : إذا كانَتِ الأمورُ بمقاديرِ اللهِ ومشيئتِهِ . . فما آفاتُنا ومصائبُنا إلَّا لعِلَلٍ أو أسباب عرفْناها أو جهلْناها .

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ٧٠) ، والخُبوت : الأودية .

(٢) هما لأبي دلف العجلي في « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٤/٥٦٧) ، وبلا نسبة في « الأشباه والنظائر » للخالديين (١/١٩٦) ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/٢٤١) .

والرَّابعةُ : إذا كانَ الإنسانُ عن تركيبٍ مختلفٍ . . فطلبُ الحالةِ الواحدةِ منهُ مُحالٌ)[1]

حِكَايَة

[في حبسِ بُزْرُجُمِهْرَ وصبرِهِ]

٥٧٤ ـ وبهِ إلىٰ وَهرامَ قالَ : سمعتُ أبا زيدٍ التَّميميَّ الكاتبَ بأصبهانَ يقولُ : بلغَني أنَّ كسرىٰ حبسَ بُزْرُجُمِهْرَ ، فبقيَ في الحبسِ سنينَ عديدةً لم يستخبرْ عن حالِهِ أحدٌ ، فوجَّهَ إليهِ كسرىٰ يبحثُ عن حالِهِ .

فلمَّا أُخبِرَ بهِ . . سألَهُ عن صبرِهِ ، فقالَ : إنِّي استعملتُ لنفسي جَوارشناً مِن ستَّةِ أشياءَ ، آكلُ كلَّ يومٍ خلطاً منها .

الأوَّلُ : الثِّقةُ باللهِ ، والثَّاني : الصَّبرُ خيرُ ما استعملَهُ المُمتحَنُ .

والثَّالثُ : إن لم أصبرْ . . فأيشٍ أعملُ ؟ والرَّابعُ : قد يقعُ شرٌّ ممَّا أنا فيهِ .

والخامسُ : مِن ساعةٍ إلىٰ ساعةٍ فرجٌ ، والسَّادسُ : الرِّضا بمقاديرِ اللهِ [تعالىٰ] رأسُ مالٍ حسنٌ[2]

نُكْتَة

[في الملوكِ والأشرافِ ، والسَّفِلةِ والغوغاءِ]

٥٧٥ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا هبةُ اللهِ بنُ أحمدَ البغداديُّ ، ثنا سليمانُ بنُ إبراهيمَ الحافظُ إملاءً ، أنا أبو القاسمِ يوسفُ بنُ الحسينِ بنِ شاذانَ الرَّازيُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدٍ الحافظُ ، ثنا أحمدُ بنُ الفضلِ البُخاريُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ يوسفَ بنِ يعقوبَ النَّيْسابوريُّ ، ثنا المأمونُ بنُ أحمدَ الهَرَويُّ ، ثنا عطيَّةُ بنُ هبةٍ ، سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ المُبارَكِ يقولُ : سألتُ سفيانَ الثَّوْريَّ : مَنِ النَّاسُ ؟ قالَ : العلماءُ .

قلتُ : فمَنِ الملوكُ ؟ قالَ : الزُّهَّادُ .

قلتُ : فمَنِ الأشرافُ ؟ قالَ : المُتَّقونَ .

قلتُ : فمَنِ السَّفِلةُ ؟ قالَ : الظَّلَمةُ .

---

(١) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٣٥٤) مخطوط ، وانظر « المنتظم » (١/٣٩٥) .

(٢) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٣٥٦) مخطوط ، وانظر « الفرج بعد الشدة » للتنوخي (١/١٥٩ ـ ١٦٠) ، و« المنتظم » (١/٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

قلتُ : فمَنِ الغوغاءُ ؟ قالَ : القُصَّاصُ [1]

* * *

٥٧٦ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الفوارسِ هبةَ اللهِ بنَ سعدٍ الطَّبَريَّ بآمُلَ يقولُ : سمعتُ جدِّي لأُمِّيَ الإمامَ أبا المحاسنِ عبدَ الواحدِ بنَ إسماعيلَ الرُّويانيَّ يقولُ : (الشُّهرةُ آفةٌ وكلٌّ يتحرَّاها ، والخمولُ راحةٌ وكلٌّ يتوقَّاها) [2]

نُكْتَةٌ

[نصيحةُ سليمانَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لابنِهِ]

٥٧٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ الحافظُ ، أنا أبو الحسنِ هبةُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّزَّاقِ الأنصاريُّ ، أنا أبو الفتحِ هلالُ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ الحفَّارُ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ يحيى بنِ عيَّاشٍ القَطَّانُ ، ثنا إبراهيمُ بنُ مُجَشِّرٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ ، عنِ الأَوْزاعيِّ ، عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ قالَ : (قالَ سليمانُ بنُ داوودَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لابنِهِ : « يا بُنَيَّ ؛ لَا تُكْثِرِ ٱلْغَيْرَةَ عَلَىٰ أَهْلِكَ ؛ فَتُرْمَىٰ بِٱلشَّرِّ مِنْ أَجْلِكَ وَإِنْ كَانَتْ بَرِيئَةً .

وَلَا تُكْثِرِ ٱلضَّحِكَ ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَخِفُّ فُؤَادَ ٱلرَّجُلِ ٱلْحَلِيمِ » .

قالَ : « وَعَلَيْكَ بِخَشْيَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهَا غَلَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ ») [3]

نُكْتَةٌ

[في استضافةِ رسولِ اللهِ ﷺ]

٥٧٨ ـ وبهِ قالَ : قرأتُ بخطِّ هبةِ اللهِ بنِ عبدِ الوارثِ الشِّيرازيِّ في « معجمِ شيوخِهِ » :

---

(١) أخرجه ابن حمكان في « الفوائد والأخبار والحكايات » (٤١) ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٢١) ، وأبو الفتوح الطائي في « الأربعين في إرشاد السائرين » (ص ١١٩) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/١٣٦) مخطوط ، وأبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٨٤ ـ ٨٥) مخطوط ، وذكره الدميري في « حياة الحيوان الكبرىٰ » (٣٢٢/٣) وعزاه لابن النجار .

(٢) ذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٩١/٣٧) ، والجلال السيوطي في « الحاوي للفتاوي » (٣٦٥/١) وعزواه لأبي سعد السمعاني .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٠٥) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٥٠٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٥/٢٢ ـ ٢٨٦) .

سمعتُ والدتي فاطمةَ بنتَ عليّ بنِ محمَّدٍ مِن لفظِها ـ رحمَها اللهُ [تعالىٰ] ، ونوَّرَ قبرَها ـ تقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الصُّوفيَّ المعروفَ بابنِ أبي زرعةَ الطَّبَريَّ يقولُ : سافرتُ معَ أبي ، ومعَ أبي عبدِ اللهِ بنِ خَفِيفٍ إلىٰ مكَّةَ ، فأصابَتْنا فاقةٌ شديدةٌ ، ودخلْنا مدينةَ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبتْنا طاوينَ ، وكنتُ دونَ البالغِ ، وكنتُ أجيءُ إلىٰ أبي غيرَ دفعةٍ ، وأقولُ : أنا جائعٌ ، فأتىٰ أبي إلى الحظيرةِ ، وقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أنا ضيفُكَ اللَّيلةَ ، وجلسَ على المراقبةِ .

فلمَّا كانَ بعدَ ساعةٍ . . رفعَ رأسَهُ وكانَ يبكي ساعةً ويضحكُ ساعةً ، فسُئِلَ عنهُ فقالَ : رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوضعَ في يدي دراهمَ ، ففتحَ يدَهُ وإذا فيها دراهمُ !! وباركَ اللهُ فيها إلىٰ أن رجعْنا إلىٰ شِيرازَ كنَّا نُنفِقُ منها (١)

حكاية

[رحلةُ الحسنِ بنِ سفيانَ لطلبِ العلمِ]

٥٧٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ سعيدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الطُّيوريُّ الأصبهانيُّ ، وأبو منصورٍ عليُّ بنُ محمَّدٍ الطُّرَيْثيثيُّ المُفيدُ بقراءتي عليهِما بنَيْسابورَ قالا (٢) : أنا أبو سعدٍ هبةُ اللهِ بنُ القاسمِ بنِ عطاءٍ المِهْرانيُّ قراءةً عليهِ ، أنا الرَّئيسُ أبو نعيمٍ بشرويهِ بنُ محمَّدٍ المَعْقِليُّ .

(ح) وأنبأَنِي الشَّيخُ شمسُ الدِّينِ أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أبي نصرٍ محمَّدِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ محمَّدٍ الشِّيرازيُّ قالَ : أخبرَني جدِّي أبو نصرٍ محمَّدٌ إذناً قالَ : أنا الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : أنا أبو سعدٍ هبةُ اللهِ بنُ القاسمِ بنِ عطاءٍ المِهْرانيُّ إجازةً بالرَّيِّ ، أنا أبو نعيمٍ المَعْقِليُّ ، حدَّثَنيَ الفقيهُ الزَّاهدُ أبو نصرٍ أحمدُ بنُ جعفرٍ الإِسْفَرايِنيُّ بها ، ثنا الفقيهُ أبو الحسنِ الصَّفَّارُ قالَ : كنَّا عندَ الشَّيخِ الإمامِ الزَّاهدِ الحسنِ بنِ سفيانَ الشَّيْبانيِّ النَّسَويِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ وقدِ اجتمعَ لديهِ طائفةٌ مِن أهلِ الفضلِ ، ارتحلوا إليهِ مِن أطباقِ الأرضِ والبلادِ البعيدةِ ، مختلفينَ إلىٰ مجلسِهِ ؛ لاقتباسِ العلمِ وكِتْبةِ الحديثِ .

---

(١) انظر « المنتظم » (٩/٦٥٤ ـ ٦٥٥) ، و« مصباح الظلام » للمراكشي (ص ٦٢ ـ ٦٣) .
(٢) الطُّرَيْثيثي : نسبة إلىٰ (طُرَيْثيث) ، وهي ناحية وقرىً كثيرة من أعمال نَيْسابور . « معجم البلدان » (٤/٣٣) .

فخرجَ يوماً إلىٰ مجلسِهِ الَّذي كانَ يُملي فيهِ الحديثَ ، فقالَ : اسمعوا ما أقولُ لكُم قبلَ أن نشرعَ في الإملاءِ : قد علمْنا أنَّكُم طائفةٌ مِن أبناءِ أهلِ النِّعَمِ وأهلِ الفضلِ ، هجرتُم أوطانَكُم ، وفارقتُم ديارَكُم وأصحابَكُم في طلبِ العلمِ واستفادةِ الحديثِ ، فلا يخطرَنَّ ببالِكُم أنَّكُم قضيتُم بهٰذا التَّجشُّمِ للعلمِ حقّاً ، أو أدَّيتُم بما تحمَّلتُم مِنَ الكَلَفِ والمشقَّةِ مِن فروضِهِ فرضاً !!

فإنِّي أُحدِّثُكُم ببعضِ ما تحمَّلتُهُ في طلبِ العلمِ مِنَ المشقَّةِ والجهدِ ، وما كشفَ اللهُ تعالىٰ عنِّي وعن أصحابي ببركةِ العلمِ وصفوِ العقيدةِ مِنَ الضِّيقِ ؛ اعلموا أنِّي كنتُ في عُنفوانِ شبابيَ ارتحلتُ مِن وطني ؛ لطلبِ العلمِ واستملاءِ الحديثِ ، فاتَّفقَ حصولي بأقصى الغربِ ، وحلولي بمصرَ في تسعةِ نفرٍ مِن أصحابي طلبةِ العلمِ وسامعي الحديثِ .

وكنَّا نختلفُ إلىٰ شيخٍ كانَ أرفعَ أهلِ عصرِهِ في العلمِ منزلةً ، وأرواهُم للحديثِ ، وأعلاهُم إسناداً ، وأصحَّهُم روايةً ، فكانَ يُملي علينا كلَّ يومٍ مقداراً يسيراً مِنَ الحديثِ ؛ حتَّىٰ طالَتِ المدَّةُ ، وخفَّتِ النَّفقةُ ، ودعَتِ الضَّرورةُ إلىٰ بيعِ ما صحبْنا مِن ثوبٍ وخِرْقةٍ ، وطويْنا ثلاثةَ أيَّامٍ بلياليها جوعاً وسوءَ حالٍ ، لم يذقْ أحدٌ منَّا فيها شيئاً !!

وأصبحْنا بكرةَ اليومِ الرَّابعِ بحيثُ لا حراكَ بأحدٍ مِن جملتِنا ؛ مِنَ الجوعِ وضعفِ الأطرافِ ، وأحوجَتِ الضَّرورةُ إلىٰ كشفِ قناعِ الحشمةِ ، وبذلِ الوجهِ للسُّؤالِ ، فلم تسمحْ أنفسُنا بذٰلكَ ، ولم تطبْ قلوبُنا بهِ ، وأَنِفَ كلُّ واحدٍ منَّا عن ذٰلكَ ، والضَّرورةُ تحوجُ إلى السُّؤالِ علىٰ كلِّ حالٍ .

فوقعَ اختيارُ الجماعةِ علىٰ كتبِ رقاعٍ بأسامي كلِّ واحدٍ منَّا وإرسالِها قُرْعةً ؛ فمَنِ ارتفعَ اسمُهُ . . كانَ هوَ القائمَ بالسُّؤالِ لنفسِهِ ولجميعِ أصحابِهِ ، فارتفعَتِ الرُّقعةُ الَّتي اشتملَتْ على اسمي ، فتحيَّرتُ ودهشتُ ، ولم تُسامِحْني نفسي بالمسألةِ واحتمالِ المذلَّةِ ، فعدلتُ إلىٰ زاويةٍ مِنَ المسجدِ أُصلِّي ركعتَينِ طويلتَينِ قدِ اقترنَ الاعتقادُ فيهِما بالإخلاصِ ، أدعو اللهَ سبحانَهُ [وتعالىٰ] بأسمائِهِ العظامِ وكلماتِهِ الرَّفيعةِ لكشفِ الضُّرِّ .

فلم أفرغْ عن إتمامِ الصَّلاةِ حتَّىٰ دخلَ المسجدَ شابٌّ حسنُ الوجهِ ، نظيفُ الثِّيابِ ، فقالَ : مَن منكُمُ الحسنُ بنُ سفيانَ ؟ فرفعتُ رأسي مِنَ السَّجدةِ ، فقلتُ : أنا الحسنُ بنُ سفيانَ ، فما الحاجةُ ؟

قالَ : إنَّ الأميرَ طُولُونَ [١] يُقرِئُكُمُ السَّلامَ والتَّحيَّةَ ، ويعتذرُ إليكُم في الغفلةِ عن تفقُّدِ أحوالِكُم ، والتَّقصيرِ الواقعِ في رعايةِ حقوقِكُم ، وقد بعثَ بما يكفي نفقةَ الوقتِ ، وهوَ زائرُكُم غداً بنفسِهِ ، ومُعتذِرٌ بلفظِهِ إليكُم ، ووضعَ بينَ يدَي كلِّ واحدٍ منَّا صُرَّةً فيها مئةُ دينارٍ ، فتعجَّبْنا مِن ذٰلكَ وتحيَّرْنا جدّاً .

وقلتُ للشَّابِّ : ما القصَّةُ في هٰذا ؟ فقالَ : أنا أحدُ خدمِ الأميرِ طُولُونَ المُختصِّينَ بهِ ، والمُتَّصِلينَ بأقربائِهِ وخواصِّ أصحابِهِ ، دخلتُ عليهِ بكرةَ يومي هٰذا مُسلِّماً في جملةِ أصحابي ، فقالَ لي وللقومِ : أنا أُحِبُّ أن أخلوَ يومي هٰذا ، فانصرفوا إلىٰ منازِلِكُم ، فانصرفتُ أنا والقومُ .

فلمَّا عدتُ إلىٰ منزلي . . لم يستوِ قعودي حتَّىٰ أتاني رسولُ الأميرِ مُسرِعاً مُستعجِلاً يطلبُني حثيثاً ، فأجبتُهُ مُسرِعاً ، فوجدتُهُ مُنفرِداً في بيتٍ ، واضعاً يمينَهُ علىٰ خاصرتِهِ ؛ لوجعٍ مُمضٍّ اعتراهُ في داخلِ حشاهُ .

فقالَ لي : أتعرفُ الحسنَ بنَ سفيانَ وأصحابَهُ ؟ فقلتُ : لا

فقالَ : اقصدِ المحلَّةَ الفلانيَّةَ والمسجدَ الفلانيَّ ، واحملْ هٰذهِ الصُّرَرَ وسلِّمْها في الحينِ إليهِ وإلىٰ أصحابِهِ ؛ فإنَّهُم منذُ ثلاثةِ أيَّامٍ جياعٌ بحالةٍ صعبةٍ ، ومهِّدْ عذري لديهِم ، وعرِّفْهُم أنِّي صبيحةَ الغدِ زائرُهُم ، ومُعتذِرٌ شِفاهاً إليهِم .

فقالَ الشَّابُّ : سألتُهُ عنِ السَّببِ الَّذي دعاهُ إلىٰ هٰذا ، فقالَ : دخلتُ هٰذا البيتَ مُنفرِداً علىٰ أن أستريحَ ساعةً ، فلمَّا هدأَتْ عيني . . رأيتُ في المَنامِ فارساً في الهواءِ ، مُتمكِّناً تمكُّنَ مَن يمشي علىٰ بسيطِ الأرضِ ، وبيدِهِ رُمحٌ ، وكنتُ أنظرُ إليهِ مُتعجِّباً ، حتَّىٰ نزلَ إلىٰ بابِ هٰذا البيتِ ، ووضعَ سافلةَ رُمحِهِ علىٰ خاصرتي ، فقالَ : قُمْ فأدرِكِ الحسنَ بنَ سفيانَ وأصحابَهُ ، قُمْ وأدرِكْهُم ، قُمْ وأدرِكْهُم ؛ فإنَّهُم منذُ ثلاثةِ أيَّامٍ جياعٌ في المسجدِ الفلانيِّ .

فقلتُ لهُ : مَن أنتَ ؟ فقالَ : أنا رضوانُ الجنَّةِ .

ومنذُ أصابَتْ سافلةُ رُمحِهِ خاصرتي أصابَني وجعٌ شديدٌ ، لا حراكَ لي بهِ ، فعجِّلْ إيصالَ هٰذا المالِ إليهِم ؛ ليزولَ هٰذا الوجعُ عنِّي .

---

(١) صوابه : ابن طُولُون . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) ، وكذا كلَّما مرَّ في هٰذه الحكاية .

قالَ الحسنُ : فتعجَّبْنا مِن ذٰلكَ ، وشكرْنا اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وأصلحْنا أمورَنا ، ولم تطِبْ أنفسُنا بالمُقامِ ؛ حتَّىٰ لا يزورَنا الأميرُ ، ولا يطَّلعَ النَّاسُ علىٰ أسرارِنا ، فيكونَ ذٰلكَ سببَ ارتفاعِ الاسمِ ، وانبساطِ الجاهِ ، ويتَّصلَ ذٰلكَ بنوعٍ مِنَ الرِّياءِ والسُّمعةِ ، وخرجْنا تلكَ اللَّيلةَ مِن مصرَ ، وأصبحَ كلُّ واحدٍ منَّا واحدَ عصرِهِ ، وفريدَ دهرِهِ في العلمِ والفضلِ .

فلمَّا أصبحَ الأميرُ طُولُونَ وأحسَّ بخروجِنا . . أمرَ بابتياعِ تلكَ المحلَّةِ بأسرِها ، ووَقْفِها علىٰ ذٰلكَ المسجدِ ، وعلىٰ مَن ينزلُ بهِ ؛ مِنَ الغرباءِ وأهلِ الفضلِ وطلبةِ العلمِ ، حتَّىٰ لا تختلَّ أمورُهُم ، ولا يصيبَهُم مِنَ الخللِ ما أصابَنا ، واللهُ تعالىٰ وليُّ التَّوفيقِ (١) .

قالَ الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ : كانَ في الأصلِ في المواضعِ : (طُولُونَ) ، والصَّوابُ : (ابنُ طُولُونَ) (٢) .

نُكْتَةٌ

[دليلُ العيوبِ كثرةُ ذِكْرِها]

٥٨٠ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ المُبارَكِ النِّعاليُّ مِن لفظِهِ ببغدادَ ، وأبو القاسمِ المُوفَّقُ بنُ أبي الفضلِ المَيْدانيُّ قالا : أنا هبةُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الحُصَينيُّ ، أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ بنِ عليٍّ الفَهْميُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، والمُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ ، ثنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ السَّريِّ ، أنا أبو بكرٍ ابنُ دُرَيدٍ ، أنا أبو حاتمٍ ، عنِ العُتْبيِّ قالَ : سمعتُ أعرابيّاً مِن تَنُوخَ يقولُ لآخرَ ـ وسمعَهُ يعيبُ قوماً ـ : قدِ استدللتُ علىٰ كثرةِ عيوبِكَ بكثرةِ ذِكْرِكَ [عيوبَ] النَّاسِ ؛ فإنَّ الطَّالبَ لها يطلُبُها بقدرِ ما فيهِ منها .

ثمَّ أنشدَ : [من الوافر]

وَأَجْـرَأُ مَـنْ رَأَيْـتُ بِـظَـهْـرِ غَـيْـبٍ ... عَـلَـىٰ ذِكْـرِ ٱلْـعُـيُـوبِ ذَوُو ٱلْـعُـيُـوبِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/١٠٣ ـ ١٠٥) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٤٥١ ـ ٤٥٣) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٥/٢٣٧٠ ـ ٢٣٧٢) ، وانظر « مرشد الزوار إلىٰ قبور الأبرار » لموفق الدين ابن عثمان (١/٦٥٣ ـ ٦٥٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/١٦١ ـ ١٦٢) ، وذكره المراكشي في « مصباح الظلام » (ص ٢٠٥ ـ ٢٠٩) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

(٢) تاريخ دمشق (١٣/١٠٥) .

وروىٰ غيرُهُ :

عَـلَـىٰ عَـيْـبِ ٱلـرِّجَـالِ ذَوُو ٱلْـعُـيُـوبِ[1]

نُكتةٌ

[في ضياعِ المروءةِ]

٥٨١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ المُوفَّقُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المَيْدانيُّ ، أنا هبةُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الشَّيْبانيُّ ، أنا القاضي أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ ، وابنِ سُكَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ ، ثنا عليُّ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ القاضي إجازةً ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ يعقوبَ بنِ شيبةَ ، ثنا جدِّي ، ثنا سعيدُ بنُ داوودَ الزَّنْبَريُّ[2] ، سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ : سمعتُ عامرَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ يقولُ : (لو كنتُ باكياً علىٰ شيءٍ مِنَ الدُّنيا . . لبكيتُ [على] المروءةِ) .

* * *

٥٨٢ ـ وبـهِ قـالَ : أنا هبةُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الباقِلَّانيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا عمِّي أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ الباقِلَّانيُّ ، أنا أبو عليِّ الحسنُ بنُ أبي بكرِ ابنِ شاذانَ الدَّوْرَقيُّ ، أنا أبو الحسينِ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ سِيما المُجبِّرُ ، ثنا محمَّدُ بنُ عيسى الواسِطيُّ ، ثنا عاصمُ بنُ عليٍّ ، ثنا شعبةُ ، عن قتادةَ قالَ : كانَ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ يقولُ : (أَصلِحْ قلبكَ ، والبَسْ ما شئتَ)[3] .

نُكتةٌ

[في قُربِ السُّلطانِ]

٥٨٣ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا العلاءِ وجيهَ بنَ هبةِ اللهِ بنِ المُبارَكِ المَيْدانيَّ يقولُ : سمعتُ والدي يقولُ : سمعتُ القاضيَ أبا المُظفَّرِ هنَّادَ بنَ إبراهيمَ ابنِ نصرِ النَّسَفيَّ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠) ، وانظر « عيون الأخبار » لابن قتيبة (١٤/٢) ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (٣٩٩/١) ، و« شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (٣٧/١٧) .

(٢) الزَّنْبَري : نسبة إلىٰ (أبي زَنْبَر) ، وهو أحد أجداده . « الأنساب » (١٦٧/٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥١٢٦) ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٥٢) ، والحكيم الترمذي في « المنهيات » (ص ٢٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٧٣/٢) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١١٠) .

(ح) وأخبرَناهُ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ النَّصْريُّ بقراءتي عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ سُكَينةَ ، والمُؤيَّدِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنا أبو المُظفَّرِ هنَّادُ بنُ إبراهيمَ ابنِ نصرٍ النَّسَفيُّ القاضي قراءةً عليهِ ، سمعتُ يحيى بنَ عليٍّ الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ أحمدَ البُخاريَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عليٍّ الحافظَ البَلْخيَّ يقولُ : سمعتُ الفضلَ بنَ أحمدَ العابدَ يقولُ : سمعتُ نصرَ بنَ أحمدَ بنِ أسدٍ يقولُ : سمعتُ خلفَ بنَ سليمانَ يقولُ : (مَن تحسَّىٰ مَرَقةَ السُّلطانِ . . احترقَتْ شفتاهُ ولو بعدَ حينٍ) (١)

نُكْتَة

[في تمثُّلِ الشِّبْليِّ بيتاً]

٥٨٤ ـ وبهِ قالَ : أنا هبةُ اللهِ بنُ المُكرَّمِ الكاتبُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو سعدٍ أحمدُ بنُ عبدِ الجبَّارِ ابنُ الطُّيوريِّ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عليٍّ الخَيَّاطِ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ جَهْضَمٍ الهَمَذانيُّ ، حدَّثَني عبيدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ قالَ : كنتُ عندَ الشِّبْليِّ في جامعِ الرُّصافةِ إذ أقبلَ إليهِ ناسٌ كثيرٌ ، فلمَّا قربوا منهُ . . تبادروا وقبَّلوا رأسَهُ ، وجلسوا بينَ يدَيهِ سكوتاً ، ليسَ منهُم مَن يسألُ ولا يتكلَّمُ ساعةً طويلةً ، فأنشأَ الشِّبْليُّ يقولُ : [من الطويل]

كَفَىٰ حَزَناً بِٱلْوَالِهِ ٱلصَّبِّ أَنْ يَرَىٰ ... مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَىٰ مُعَطَّلَةً صِفْرَا (٢)

حِكَايَة

[في مطالبةِ الشِّبْليِّ بدمِ مَن ماتَ مِن وعظِهِ]

٥٨٥ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ الشَّاهدُ إجازةً .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، والمُؤيَّدِ ، وأبي أحمدَ بنِ الأمينِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : سمعتُ هنَّادَ بنَ إبراهيمَ النَّسَفيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ القاسمِ بنِ

---

(١) انظر « التمثيل والمحاضرة » للثعالبي (ص ١٣١) ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/٣٥٤) ، و« مجمع الأمثال » (٣/٤٣٠) كلُّهم بلا نسبة ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة) .

(٢) انظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٢/٦٥٧) ، و« آداب المريدين » لضياء الدين السهروردي (ص ٥٥) .

الحسنِ الشَّاهدَ بالبصرةِ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ إبراهيمَ الأصبهانيَّ يقولُ : حضرتُ مجلسَ أبي بكرٍ الشِّبْليِّ وهوَ يتكلَّمُ في شيءٍ مِنَ المعرفةِ ، فصاحَ رجلٌ فصَعِقَ مِن وقتِهِ فماتَ .

فجاءَ والِدُهُ إلىٰ أبي بكرٍ الشِّبْليِّ ، فأخذَ بمجامعِ ثوبِهِ وأحضرَهُ إلى الخليفةِ ، فادَّعىٰ عليهِ دمَ ولدِهِ ، وطالبَهُ بالقَوَدِ .

فقالَ لهُ الخليفةُ : ما تقولُ يا أبا بكرٍ ؟

فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ رُوحٌ سمَتْ فنمَتْ ، فتاقَتْ فحنَّتْ فرنَّتْ (١) ، فدُعِيَتْ فأجابَتْ فماتَتْ ؛ فما على الشِّبْليِّ في ذٰلكَ ؟!

فانصرفَ مُكرَّماً (٢) .

نكتة

[وهل يقنعُ المُحِبُّ بشيءٍ دونَ مشاهدةِ حبيبِهِ]

٥٨٦ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أبي طاهرٍ الشَّاهدَ .

وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ ، [وابنِ سُكَينةَ] (٣) ، عن أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ أبي طاهرٍ قالَ : سمعتُ هنَّادَ بنَ إبراهيمَ النَّسَفيَّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ الرَّحمٰنِ محمَّدَ بنَ الحسينِ السُّلَميَّ قالَ : سمعتُ طاهرَ بنَ محمَّدٍ البَزَّازَ يقولُ : سمعتُ الشِّبْليَّ وسُئِلَ : هل يقنعُ المُحِبُّ بشيءٍ مِن حبيبِهِ دونَ مشاهدتِهِ ؟

فصاحَ الشِّبْليُّ ، وأنشأَ يقولُ (٤) : [من السريع]

وَٱللهِ لَوْ أَنَّكَ تَوَّجْتَنِي ... بِتَاجِ كِسْرَىٰ مَلِكِ ٱلْمَشْرِقِ

وَلَوْ بِأَمْوَالِ ٱلْوَرَىٰ جُدْتَ لِي ... أَمْوَالِ مَنْ بَادَ وَمَنْ قَدْ بَقِي

وَقُلْتَ لِي : لَا نَلْتَقِي سَاعَةً ... لَٱخْتَرْتُ يَا مَوْلَايَ أَنْ نَلْتَقِي (٥)

---

(١) رنَّتْ : صاحَتْ .

(٢) انظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٥٣٠) ، و« أسرار التنزيل » للرازي (ق/٢١ ـ ٢٢) مخطوط ، و« مفتاح الفلاح » لابن عطاء الله السكندري (ص ٣٣ ـ ٣٤) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (وابن أبي سكينة) ، وقد تقدم على الصواب مراراً .

(٤) الأبيات للجنيد في « المشيخة البغدادية » لأبي طاهر السلفي (ق/٣٥٦) مخطوط .

(٥) انظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ١٣٦) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (٢/٦٦١) ، و« تاريخ دمشق » (٦٦/٦٥) .

حكاية

[في رؤيا الرَّجلِ الغازي حوراءَ العينِ]

٥٨٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ الفضلُ بنُ يحيى بنِ صاعدٍ الكِنانيُّ قاضي هَرَاةَ بها بقراءتي عليهِ ، أنا أبو الفتحِ عبدُ الرَّزَّاقِ ابنُ سعيدِ بنِ حسَّانَ المَنِيعيُّ ، أنا أبو محمَّدٍ هيَّاجُ بنُ عبيدٍ الزَّاهدُ بمكَّةَ .

(ح) قالَ : وقرأتُ علىٰ أبي جعفرٍ حنبلِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ الصُّوفيِّ ، عن أبي محمَّدٍ هيَّاجِ بنِ عبيدٍ الحِطِّينيِّ قالَ : أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عمرَ البَرْمَكيُّ ببغدادَ .

(ح) قالَ : وأخبرَناهُ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ النَّصْريُّ إجازةً وغالبُ ظنِّي أنِّي قرأتُهُ عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، والمُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي النَّصْريِّ قالَ : أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عمرَ البَرْمَكيُّ إجازةً ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ خلفٍ العُكْبَريُّ ، ثنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ صالحٍ العُكْبَريُّ ، ثنا هنَّادُ بنُ السَّريِّ التَّميميُّ ، ثنا أبو هاشمٍ إسحاقُ بنُ عيسى البصريُّ ، ثنا عبَّادُ بنُ راشدٍ ، عن ثابتٍ البُنانيِّ قالَ : كنتُ عندَ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقدمَ عليهِ ابنٌ لهُ مِن غزاةٍ يُقالُ لهُ : أبو بكرٍ ، فسألَهُ ثمَّ قالَ لهُ : ألا أُخبِرُكَ عن صاحبِنا فلانٍ ؟ بينَما نحنُ في غزاتِنا قائلينَ . . إذ ثارَ وهوَ يقولُ : وا أهلاهُ ، وا أهلاهُ ، فثرْنا إليهِ ، وظننَّا أنَّ عارضاً عرضَ لهُ ، فقلْنا لهُ (١) ، فقالَ : إنِّي كنتُ أُحدِّثُ نفسي ألَّا أتزوَّجَ حتَّىٰ أستشهدَ ، فيُزوِّجَنيَ اللهُ عزَّ وجلَّ حوراءَ العينِ .

فلمَّا طالَتْ عليَّ الشَّهادةُ . . حدَّثتُ نفسي في سفري : إن أنا رجعتُ . . تزوَّجتُ ، فأتىٰ آتٍ ، فقالَ لي في مَنامي : أنتَ القائلُ : إنِّي إذا رجعتُ . . تزوَّجتُ ؟ قُمْ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد زوَّجَكَ العيناءَ ، فانطلقَ بي إلىٰ روضةٍ خضراءَ معشبةٍ ، فيها عشرُ جوارٍ ، في يدِ كلِّ واحدةٍ صنعةٌ تصنعُها ، لم أَرَ مثلَها في الحسنِ والجمالِ .

قلتُ : فيكُنَّ العيناءُ ؟ قلنَ : [لا] (٢) ، ونحنُ مِن خدمِها ، وهيَ أمامَكَ ، فانطلقتُ فإذا روضةٌ أعشبُ مِنَ الأُولىٰ وأحسنُ ، فيها عشرونَ جاريةً ، في يدِ كلِّ واحدةٍ

---

(١) في مصادر التخريج : (فقلْنا لهُ : ما لكَ ؟) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج ، وفي (أ) بياض بمقدار كلمة .

صنعةٌ تصنعُها ، ليسَ العشرُ إليهِنَّ بشيءٍ مِنَ الحسنِ والجمالِ .

قلتُ : فيكُنَّ العيناءُ ؟ قلنَ : لا ، ونحنُ مِن خدمِها ، وهيَ أمامَكَ ، فمضيتُ فإذا أنا بروضةٍ أعشبَ مِنَ الأُولىٰ والثَّانيةِ وأحسنَ ، فيها أربعونَ جاريةً ، في يدِ كلِّ واحدةٍ صنعةٌ تصنعُها ، ليسَ العشرُ والعشرونَ إليهِنَّ بشيءٍ في الحسنِ والجمالِ .

فقلتُ : فيكُنَّ العيناءُ ؟ قلنَ : لا ، نحنُ مِن خدمِها ، وهيَ أمامَكَ ، فانطلقتُ فإذا أنا بياقوتةٍ مُجوَّفةٍ ، فيها سريرٌ عليهِ امرأةٌ قد فضلَ جنباها السَّريرَ ، قلتُ : أنتِ العيناءُ ؟ قالَتْ : نعم مرحباً ، فذهبتُ أضعُ يدي عليها ، قالَتْ : مَهْ ؛ إنَّ فيكَ شيئاً مِنَ الرُّوحِ بعدُ ، ولٰكنَّ فِطرَكَ عندَنا اللَّيلةَ .

قالَ : فما فرغَ الرَّجلُ مِن حديثِهِ حتَّىٰ نادىٰ مُنادٍ : يا خيلَ اللهِ ؛ اركبي .

قالَ : فجعلتُ أنظرُ إلى الرَّجلِ ، وأنظرُ إلى الشَّمسِ ، ونحنُ مُصافُّو العدوِّ ، وأذكرُ حديثَهُ ، فما أدري أيُّهُما سقطَ قبلُ ؛ رأسُهُ أوِ الشَّمسُ .

فقالَ أنسٌ : (رحمَهُ اللهُ) [1]

فَائِدَةٌ

[في تركِ تدبيرِنا لتدبيرِ اللهِ]

٥٨٨ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ ، وأبو جعفرٍ حنبلُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ البُخاريُّ بقراءتي عليهِما .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، وغيرِهِ ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ قالا : أنا أبو محمَّدٍ هيَّاجُ بنُ عبيدِ بنِ الحسينِ الحِطِّينيُّ في كتابِهِ إلينا مِن مكَّةَ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ العزيزِ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ الوَرَّاقُ ببغدادَ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ ، سمعتُ أبا محمَّدٍ الإِصْطَخْريَّ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : (نظرتُ فإذا الشَّقاءُ والغمُّ في تدبيرِنا ، وإذا الرَّاحةُ والفرجُ في تدبيرِ اللهِ ؛ فاتركوا تدبيرَكُم لتدبيرِ اللهِ) [2]

---

(١) أخرجه هناد بن السري في « الزهد » (٢٥) ، وابن أبي الدنيا في « المنامات » (١٩٥) ، وأبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٩٢٤) ، والسراج المقرئ في « مصارع العشاق » (١/١٧٩ ـ ١٨٠) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (١٠/٤٣٤٣ ـ ٤٣٤٤) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢١٦) عن أبي العباس ابن عطاء بنحوه .

فَائِدَةٌ

[في غايتَيِ الزُّهدِ والتَّواضعِ]

٥٨٩ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو نصرٍ الفضلُ بنُ الحسنِ الطَّبرانيُّ ، أنا أبو المحاسنِ هادي بنُ إسماعيلَ الحسينيُّ ، أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحيمِ الكاتبُ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ ابنِ حيَّانَ الحافظُ ، ثنا أحمدُ بنُ رَوحٍ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ خُبَيقٍ ، حدَّثَني تميمُ بنُ [سلمةَ](١) قالَ : قلتُ ليوسفَ بنِ أسباطٍ : ما غايةُ الزُّهدِ ؟

قالَ : لا تفرحُ بما أقبلَ ، ولا تأسفُ علىٰ ما أدبرَ .

قلتُ : فما غايةُ التَّواضعِ ؟

قالَ : تخرجُ مِن بيتِكَ فلا تلقىٰ أحداً إلَّا رُئِيتَ أنَّهُ خيرٌ منكَ(٢)

*

٥٩٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو نصرٍ ابنُ الحنبليِّ البَيِّعُ ، أنا أبو الخطَّابِ نصرُ بنُ أحمدَ القارئُ ، أنا أبو القاسمِ الحُرْفيُّ ، أنا أبو بكرٍ النَّقَّاشُ ، حدَّثَني أحمدُ ابنُ حنبلٍ ببَلْخَ ، ثنا عمرُ بنُ محمَّدٍ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ عبدِ السَّلامِ الكُوفيُّ ، عن شُعَيثِ بنِ مُحرِزٍ ، حدَّثَني صالحٌ المُرِّيُّ ، عن يزيدَ الرَّقاشيِّ قالَ : بلغَني أنَّ نوراً يسطعُ في الجنَّةِ ، فيُقالُ : ما هٰذا ؟ قيلَ : حوراءُ ضحكَتْ في وجهِ زوجِها !!

قالَ صالحٌ : فشهقَ رجلٌ في ناحيةِ المجلسِ ، فلم يزلْ يشهقُ حتَّىٰ ماتَ(٣)

حِكَايَةٌ

[أعرابيٌّ عندَ قبرِ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ]

٥٩١ ـ وبهِ قالَ : أنا وجيهُ بنُ أبي عبدِ الرَّحمٰنِ الخطيبُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو بكرٍ يعقوبُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الصَّيْرفيُّ قراءةً عليهِ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (سلم) ، والمثبت من مصادر التخريج ، وانظر « تكملة الإكمال » لابن نقطة (٢/٣٩٨) .

(٢) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٤٥٥) ، وأبو الشيخ في « العوالي » (٤٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٢٣٨) ، والضياء المقدسي في « المنتقىٰ من مسموعات مرو » (ق/٣٧) مخطوط ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٥/١٧٦ ـ ١٧٧) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣٦٣) .

عبدوسٍ الحِيريُّ إملاءً ، أنا الحسنُ بنُ محمَّدٍ الإِسْفَرايِنيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ زكريَّا الغَلَابيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ الضَّحَّاكِ ، ثنا هشامُ بنُ محمَّدٍ قالَ : لمَّا أُجرِيَ الماءُ علىٰ قبرِ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ . . نضبَ بعدَ أربعينَ يوماً ، وامتحىٰ أثرُ القبرِ ، فجاءَ أعرابيٌّ مِن بني أسدٍ ، فجعلَ يأخذُ قبضةً قبضةً ويَشَمُّها ، حتَّىٰ وقعَ علىٰ قبرِ الحسينِ فشَمَّهُ وبكىٰ ، وقالَ : فداكَ أبي وأُمِّي ، ما كانَ أطيبَكَ حيّاً !! وما أطيبَ تربتَكَ ميّتاً !!

وأنشأَ يقولُ[1] : [من الطويل]

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ ... فَطِيبُ تُرَابِ ٱلْقَبْرِ دَلَّ عَلَى ٱلْقَبْرِ[2]

نُكْتَةٌ

[لا تغترَّ بصفاءِ الأوقاتِ]

٥٩٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ هبةُ اللهِ بنُ الفرجِ بنِ الفرجِ الهَمَذانيُّ ، أنا أبو القاسمِ يوسفُ بنُ محمَّدِ بنِ يوسفَ الخطيبُ ، أنا أبو عمرَ عبدُ الواحدِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ مهديّ الفارسيُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ نُصَيرٍ الخُلْديُّ قالَ : قالَ الجُنَيدُ : (لا تغترَّ بصفاءِ الأوقاتِ ؛ فإنَّ تحتَهُ غوامضَ الآفاتِ)[3]

* *

٥٩٣ ـ وبهِ إلىٰ يوسفَ بنِ محمَّدِ بنِ يوسفَ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ الأَبْهَريُّ المعروفُ ببابا ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسنِ الصَّيْقَليُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثنا أحمدُ بنُ عُلَيلٍ المَطِيريُّ ، ثنا سلمةُ بنُ شبيبٍ النَّيْسابوريُّ ، عن عبدِ الصَّمدِ بنِ معقلٍ ، عن أبيهِ ، عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ قالَ : لمَّا هربَ موسى بنُ عمرانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِن فرعونَ ، وبلغَ أرضَ مَدْيَنَ . . أخذَتْهُ الحُمَّىٰ ، وقد أصابَهُ الجوعُ بعدَ ذٰلكَ ، فشكا إلىٰ ربِّهِ تعالىٰ ، فقالَ : « يَا رَبِّ ؛ أَنَا ٱلْغَرِيبُ ، وَأَنَا ٱلْمَرِيضُ ، وَأَنَا ٱلْفَقِيرُ » .

---

(١) هو لصريع الغواني كما في « ديوانه » (ص ٣٢٠) ، و« الأغاني » (٢١/٧٢٦٦ ـ ٧٢٦٧) ، و« معجم الشعراء » للمرزباني (ص ٣٢٧) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٥٠) مخطوط ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/٢٤٤ ـ ٢٤٥) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٦/٢٦٥٧) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٦/٤٤٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣/٣١٧) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي كما في « المنتخب من الزهد والرقائق » (٥٨) عن أبي الحسن الحصري بنحوه ، وانظر « التحبير في التذكير » للقشيري (ص ٢٨) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٤/٦٢) وفيهما بلا نسبة .

فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : (أما تعرفُ مَنِ الغريبُ ، ومَنِ المريضُ ، ومَنِ الفقيرُ ؟ الغريبُ الَّذي ليسَ لهُ مثلي حبيبٌ ، والمريضُ الَّذي ليسَ لهُ مثلي طبيبٌ ، والفقيرُ الَّذي ليسَ لهُ مثلي وكيلٌ)[١]

نُكْتَة

[في وصيَّةِ الخَضِرِ عليهِ السَّلامُ]

٥٩٤ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو منصورٍ سعدُ بنُ سعيدِ بنِ يوسفَ بنِ محمَّدٍ الهَمَذانيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا جدِّي ، أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ ابنِ رزقٍ البَزَّازُ ، أنا عثمانُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يزيدَ ابنُ السَّمَّاكِ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ العَبْديُّ ، حدَّثَني أبو موسىٰ إسحاقُ بنُ موسى الأنصاريُّ ، سمعتُ ابنَ عُيَينةَ يقولُ : قالَ موسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للخَضِرِ عليهِ السَّلامُ : « أَوْصِنِي » ، قالَ : (لا تُعيِّرْ أحداً بذنبٍ)[٢]

٥٩٥ ـ وبهِ قالَ : أنا عبدُ المُنعِمِ بنُ أبي القاسمِ القُشَيريُّ ، وإسماعيلُ بنُ أبي بكرٍ الأشعثيُّ ـ دِمشقيٌّ ـ بقراءتي عليهِما .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي بكرٍ الأشعثيِّ قالا : أنا يوسفُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المِهْرَوانيُّ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السُّكَّريُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ البَرْذَعيُّ ، ثنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ أبي الدُّنيا القرشيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الحسينِ ، سمعتُ أبا محمَّدٍ عليَّ بنَ الحسنِ قالَ : قيلَ لابنِ يزيدَ الرَّقاشيِّ : كانَ أبوكَ يتمثَّلُ شيئاً مِنَ الشِّعرِ ؟

قالَ : كانَ يتمثَّلُ[٣] : [من البسيط]

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِٱلْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَىٰ يُدْنِي مِنَ ٱلْأَجَلِ[٤]

❊ ❊

---

(١) انظر « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » للشرواني (ص ٧) .

(٢) أخرجه أبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (٣٠٣٥) .

(٣) نسبه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » للفضيل بن عياض (٤٨/٤٥١) ، ولمحمد بن يزداد (٥٦/٢٣٨) ، ونُسب لأبي العتاهية كما في « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٤/٤٩) .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٤٨٩) ، والمهرواني في « المهروانيات » (٣٣) ، وابن عساكر في « تاريخ

٥٩٦ ـ وبهِ قالَ : أنا إسماعيلُ بنُ أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ بقراءتي عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن زيدِ بنِ الحسنِ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي بكرٍ قالَ : أنا يوسفُ بنُ الحسنِ الزَّنْجانيُّ ، ثنا الحسينُ بنُ محمَّدٍ القاضي الفلَّاكيُّ ، أنا أبو زرعةَ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ عليٍّ الرَّازيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ، أخبرَني أبو سعيدٍ الأصبهانيُّ ، عن زكريَّا بنِ عديٍّ ، عنِ ابنِ المُبارَكِ قالَ : (ليسَ علىٰ محابرِ أصحابِ الحديثِ إذنٌ) (١)

حكاية

[بينَ المأمونِ ويحيى بنِ يحيى النَّيْسابوريِّ]

ظ ٥٩٧ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحافظُ بقراءتي عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ قالَ : أنا أبو القاسمِ يوسفُ بنُ الحسنِ التَّفكُّريُّ (٢) ، سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ بُنْدارٍ الزَّنْجانيَّ يقولُ : كانَ هارونُ الرَّشيدُ بعثَ إلىٰ مالكِ بنِ أنسٍ يستحضرُهُ مجلسَهُ ؛ ليسمعَ منهُ ابناهُ الأمينُ والمأمونُ ، فتأبَّىٰ عليهِ وقالَ : إنَّ العلمَ يُؤتىٰ ولا يأتي .

فبعثَ إليهِ ثانياً ، وقالَ : أبعثُهُما إلىٰ عندِكَ ويسمعانِ معَ أصحابِكَ ، فقالَ ـ يعني : مالكاً ـ بشرطِهِ ؛ ألَّا يتخطَّيا رقابَ النَّاسِ ، ويجلسا حيثُ ينتهي بهِما المجلسُ ، فحضراهُ بهٰذا الشَّرطِ .

وكانَ يحيى بنُ يحيىٰ يحضرُ معَهُما المجلسَ ، فانكسرَ يوماً قلمُهُ وبجنبِهِ المأمونُ ، فناولَهُ قلماً مِن ذهبٍ أو قلماً مِن مقلمةِ ذهبٍ ، فامتنعَ مِن قبولِهِ ، فقالَ لهُ المأمونُ : ما اسمُكَ ؟ قالَ : يحيى بنُ يحيى النَّيْسابوريُّ ، فقالَ : تعرفُني ؟ فقالَ : نعم ، أنتَ المأمونُ بنُ أميرِ المؤمنينَ ، قالَ : فكتبَ المأمونُ علىٰ ظهرِ جزئِهِ : (ناولتُ يحيى بنَ يحيى النَّيْسابوريَّ قلماً في مجلسِ مالكٍ فلم يقبلْهُ) .

دمشق » (٨٩/٦٥) ، وانظر « بهجة المجالس » لابن عبد البر (٣٢٧/٢) ، و« تهذيب الكمال » (٧٤/٣٢) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) ، وهامش (ج) : (بلغ مقابلة إلىٰ آخر السَّطر) .

(١) أخرجه الهروي في « ذم الكلام وأهله » (١٠٢٧) ، وأبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ١٥٧) .

(٢) يعرف بالتَّفكُّري ؛ لكثرة تفكُّره في الآخرة . « طبقات الشافعية » للإسنوي (٣٠٥/١) .

فلمَّا أفضَتِ الخلافةُ إلى المأمونِ . . بعثَ إلىٰ عاملِهِ بنَيْسابورَ ، وأمرَهُ أن يُولِّيَ يحيى بنَ يحيى القضاءَ ، فبعثَ إليهِ يستدعيهِ ، فقالَ بعضُ النَّاسِ : إنَّهُ يمتنعُ مِنَ الحضورِ ، وليتَهُ يأذنُ للرَّسولِ ، فأنفذَ إليهِ كتابَ المأمونِ فقُرِئَ عليهِ ، فامتنعَ مِنَ القضاءِ ، فردَّ إليهِ ثانياً وقالَ : إنَّ أميرَ المؤمنينَ يأمرُكَ بشيءٍ ، وأنتَ مِن رعيَّتِهِ فتأبىٰ عليهِ ؟! فقالَ : قلْ لأميرِ المؤمنينَ : ناولَني قلماً وأنا شابٌّ فلم أقبلْهُ ، فيُجبِرُني الآنَ على القضاءِ وأنا شيخٌ ؟!

فرفعَ الخبرَ إلى المأمونِ بذٰلكَ ، فقالَ : علمتُ امتناعَهُ ولٰكنْ وَلِّ القضاءَ رجلاً يختارُهُ ، فبعثَ إليهِ العاملُ في ذٰلكَ ، فاختارَ رجلاً مِن نَيْسابورَ ، فوُلِّيَ القضاءَ .

قالَ : والرَّسمُ هناكَ أن يَلْبَسَ القضاةُ السَّوادَ ، فدخلَ ذٰلكَ القاضي علىٰ يحيىٰ وعليهِ سوادٌ ، فجلسَ بينَ يدَيهِ ، فضمَّ يحيىٰ فَرشاً كانَ جالساً عليهِ ؛ كراهةَ أن يجمعَهُ وإيَّاهُ .

فقالَ : أيُّها الشَّيخُ ؛ ألم تخترْ ؟! قالَ : إنَّما قلتُ : اختاروهُ ، وما قلتُ : يُقلَّدُ القضاءَ (١)

حكاية

[حيلةُ الحافظِ أبي داوودَ لإسماعِ الحديثِ]

٥٩٨ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ أبي بكرِ بنِ عمرَ الأشعثيَّ يقولُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن زيدٍ الكِنْديّ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي بكرٍ الأشعثيّ قالَ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسنِ التَّفكُّريَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عليّ بنِ بُنْدارٍ الشَّيخَ الصَّالحَ بزَنْجانَ يقولُ : كانَ أحمدُ بنُ صالحٍ يمتنعُ على المُرْدِ مِن روايةِ الحديثِ لهُم ؛ تعفُّفاً وتنزُّهاً ونفياً للظِّنَّةِ عن نفسِهِ .

وكانَ أبو داوودَ يحضرُ مجلسَهُ ويسمعُ منهُ ، وكانَ لهُ ابنٌ أمردُ يُحِبُّ أن يُسمِعَهُ حديثَهُ ، وعرفَ عادتَهُ في الامتناعِ عليهِ مِنَ الرِّوايةِ ، فاحتالَ أبو داوودَ بأن شدَّ علىٰ ذقنِ ابنِهِ (٢) قطعةً مِنَ الشَّعرِ ؛ ليتوهَّمَهُ مُلتحِياً ، ثمَّ أحضرَهُ المجلسَ وأسمعَهُ جزءاً .

فأُخبِرَ الشَّيخُ بذٰلكَ ، فقالَ لأبي داوودَ : مثلي يُعمَلُ معَهُ مثلُ هٰذا ؟! فقالَ : أيُّها

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٤/٢١٩ ـ ٢٢٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٣٤٩) ، وانظر « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٤/٣٣٤) ، وفي هامش (أ) : (فيه خطبة الحسين يوم استشهد ، وفضل العالم عن غيره) .

(٢) ابنه هٰذا هو أبو بكر . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) .

الشَّيخُ ؛ لا تُنكِرْ عليَّ ما فعلتُهُ ، واجمعِ ابني معَ شيوخِ الفقهاءِ والرُّواةِ ، فإن لم يُقاوِمْهُم بمعرفتِهِ . . فاحرمْهُ حينئذٍ مِنَ السَّماعِ .

قالَ : فاجتمعَ طائفةٌ مِنَ الشُّيوخِ ، فتعرَّضَ لهُم هٰذا الابنُ مُطارِحاً ، وغلبَ الجميعَ بفقهِهِ .

ولم يُخرِجْ لهُ ـ معَ ذٰلكَ ـ الشَّيخُ شيئاً مِن حديثِهِ ، وحصلَ لهُ ذٰلكَ الجزءُ الأوَّلُ ، وكانَ ابنُ أبي داوودَ يفتخرُ بروايةِ هٰذا الجزءِ الواحدِ (١)

حكاية

[في عقوبةِ إساءةِ الأدبِ معَ الأصحابِ]

٥٩٩ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا المُعمَّرِ المُبارَكَ بنَ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ الأَزَجيَّ مِن لفظِهِ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ يوسفَ بنَ عليٍّ الزَّنْجانيَّ يقولُ : سمعتُ شيخَنا الإمامَ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ عليِّ بنِ يوسفَ الفِيرُوزاباذيَّ يقولُ : سمعتُ القاضيَ أبا الطَّيِّبِ طاهرَ بنَ عبدِ اللهِ الطَّبَريَّ يقولُ : كنَّا في حَلْقةِ النَّظَرِ بجامعِ المنصورِ ، فجاءَ شابٌّ خُراسانيٌّ ، فسألَ عن مسألةِ المُصَرَّاةِ (٢) ، فطالبَ بالدَّليلِ ، فاحتجَّ المُستدِلُّ بحديثِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ الواردِ فيها (٣)

فقالَ الشَّابُّ ـ وكانَ حنفيّاً ـ : أبو هريرةَ غيرُ مقبولِ الحديثِ !!

قالَ القاضي : فما استتمَّ كلامَهُ حتَّىٰ سقطَتْ عليهِ حيَّةٌ عظيمةٌ مِن سقفِ الجامعِ ، فوثبَ النَّاسُ مِن أجلِها ، وهربَ الشَّابُّ مِن يدِها وهيَ تتبعُهُ ، فقيلَ لهُ : تُبْ تُبْ ، فقالَ : تبتُ ، فغابَتِ الحيَّةُ فلم يُرَ لها أثرٌ (٤)

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩/٨٠ ـ ٨١) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٣٦١) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/٢٢٦ ـ ٢٢٧) .

(٢) المُصَرَّاة : النَّاقة أو البقرة أو الشَّاة الَّتي يُشَدُّ ضرعها ، فيحبس فيه اللَّبن ؛ ليُزاد في ثمنها .

(٣) وهو ما أخرجه البخاري (٢١٥١) ، ومسلم (١٥٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال : « مَنِ ٱشْتَرَىٰ غَنَماً مُصَرَّاةً ، فَٱحْتَلَبَهَا ؛ فَإِنْ رَضِيَهَا . . أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ سَخِطَهَا . . فَفِي حَلْبَتِهَا صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ » ، واللفظ للبخاري .

(٤) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (١٠/٩٣) ، وذكره الذهبيُّ في « سير أعلام النبلاء » (٢/٦١٨ ـ ٦١٩) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، والدميريُّ في « حياة الحيوان الكبرىٰ » (٢/١٧٩ ـ ١٨٠) ، والسفيريُّ في « المجالس الوعظية » (١/٣٥٥ ـ ٣٥٦) وعزواه لابن النجار .

وأنبأني بها عالياً مَن تقدَّمَ ذِكْرُهُم ، عن أبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ ابنِ السَّمْعانيِّ ، عن أبي الأسعدِ هبةِ الرَّحمـٰنِ القُشَيريِّ ، عنِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ رحمَهُ اللهُ قالَ : سمعتُ القاضيَ أبا الطَّيِّبِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ . . . فذكرَها [١]

حكاية

[فِراسةُ الإمامِ يوسفَ البُوزَنَجِرْديِّ]

٦٠٠ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ أبا الفضلِ صافيَ بنَ عبدِ اللهِ الصُّوفيَّ الشَّيخَ الصَّالحَ ببغدادَ يقولُ : حضرتُ مجلسَ شيخِنا الإمامِ يوسفَ بنِ أيُّوبَ الهَمَذانيِّ [٢] في المدرسةِ النِّظاميَّةِ ، وكانَ قدِ اجتمعَ فيهِ العالَمُ ، فقامَ فقيهٌ يُعرَفُ بابنِ السَّقَّاءِ ، وأذلَّهُ وسألَهُ عن مسألةٍ ، فقالَ لهُ الإمامُ يوسفُ [البُوزَنَجِرْديُّ] [٣] : إنِّي أجدُ مِن كلامِكَ رائحةَ الكفرِ ، ولعلَّكَ تموتُ علىٰ غيرِ دينِ الإسلامِ .

قالَ أبو الفضلِ : فاتَّفقَ أن بعدَ هـٰذا القولِ بمدَّةٍ قدمَ رسولٌ نصرانيٌّ مِن ملكِ الرُّومِ إلى الخليفةِ ، فمضىٰ إليهِ ابنُ السَّقَّاءِ ، وسألَهُ أن يستصحبَهُ ، وقالَ لهُ : يقعُ لي أن أتركَ دينَ الإسلامِ ، وأدخلَ في دينِكُم ؟ فقبلَهُ النَّصرانيُّ وخرجَ معَهُ إلى القسطنطينيَّةِ ، والتحقَ بملكِ الرُّومِ ، وماتَ على النَّصرانيَّةِ [٤]

* * *

---

(١) وسيكرّرها المؤلِّف ضمن الخبر (٩١٨) .

(٢) هو أبو يعقوب ، يوسف بن أيُّوب بن يوسف بن الحسين بن وَهْرة ، الهَمَذانيُّ نزيل مَرْو ، الإمام العالم ، الورع التَّقيُّ ، العامل بعلمه ، المربّي المجاب الدَّعوة ، توفِّي في شهر ربيع الأوَّل سنة خمس وثلاثين وخمس مئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ج) : (الزنجرني) ، وفي (ب) : (الزنجيري) ، والمثبت موافق لما في « الأنساب » (٤١٢/١) ، و« معجم البلدان » (٥٠٧/١) ، والبُوزَنَجِرْدي : نسبة إلىٰ (بُوزَنَجِرْد) ، وهي من قرىٰ هَمَذان .

(٤) وقد أورد القاضي ابن خَلِّكان تتمَّة من أحوال ابن السَّقَّاء ؛ حيث نقل من « تاريخ ابن النَّجَّار » وهو يقول : سمعت أبا الكرم عبد السَّلام : كان ابن السَّقَّاء قارئاً للقرآن ، مجوِّداً بتلاوته .
حدَّثني من رآه بالقسطنطينيَّة ملقىً علىٰ دكَّة مريضاً ، وفي يده مروحة خلقة يدفع بها الذُّباب عن وجهه ، فسألته : هل القرآن علىٰ حفظك ؟ فقال : ما أذكر منه إلَّا آية واحدة : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر : ٢] ، والباقي أنسيته .
نعوذ بالله من سوء القضاء ، ونسأله الثَّبات علىٰ دين الإسلام ، آمين ، آمين ، آمين . انتهىٰ من هامش (أ) ، وانظر الخبر في « وفيات الأعيان » (٧٨/٧ ـ ٧٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٩٨/٣٦) ، وذكره الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٠٢/٢٩) وعزاه لأبي سعد السمعاني .

٦٠١ ـ وبهِ قالَ : وسمعتُ مَن أثقُ بهِ : أنَّ ابنَي الإمامِ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ الشَّاشيِّ الفقيهِ قاما في مجلسِ وعظِهِ في النِّظاميَّةِ ، وقالا لهُ : إن كنتَ تنتحلُ مُعتقَدَ الأشعريِّ . . نُخلِّيكَ تعظُ في هٰذهِ المدرسةِ ، وإلَّا . . فانزلْ ولا تعظْ ها هنا .

فقالَ الإمامُ يوسفُ : اقعدا لا متَّعَكُما اللهُ بشبابِكُما ، فسمعتُ جماعةً : أنَّهُما ماتا ، وما بلغا حدَّ الكهولةِ !! (١)

* * *

٦٠٢ ـ وبهِ قالَ : ثنا يوسفُ بنُ محمَّدِ بنِ مُقلِّدٍ الجُماهريُّ مِن لفظِهِ ، أنا أبو محمَّدٍ هبةُ اللهِ بنُ أحمدَ ابنُ الأكفانيِّ الأمينُ بدِمشقَ ، أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدٍ الحِنَّائيُّ ، أنا أبو القاسمِ تمَّامُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الرَّازيُّ الحافظُ ، ثنا أبو الحسنِ خيثمةُ بنُ سليمانَ مِن حفظِهِ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ ابنُ أبي الخناجرِ قالَ : (كنتُ في مجلسِ يزيدَ بنِ هارونَ ، فجاءَ أميرُ المؤمنينَ ، فوقفَ علينا في المجلسِ ، وفي المجلسِ ألوفٌ ، فالتفتَ إلىٰ أصحابِهِ وقالَ : هٰذا [هوَ] المُلكُ) (٢)

نكتة

[في دخولِ الوصيَّةِ]

٦٠٣ ـ وبهِ قالَ : أنا عليُّ بنُ أبي القاسمِ المَرْوَزيُّ بكُشْميهنَ (٣) ، أنا يحيى بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الإمامُ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ الوَرَّاقُ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ يعقوبَ الأصمَّ يقولُ : سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا يدخلُ أحدٌ في الوصيَّةِ إلَّا أحمقُ أو لِصٌّ) (٤)

نكتة

[هَبْ مُجرمَ قومٍ لوافدِهِم]

٦٠٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ الدِّينَوَريُّ

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩٨/٣٦ ـ ٣٩٩) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « شرف أصحاب الحديث » (٢٢٠) ، وأبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ٢٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦٩/٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧٢/٢٠) .

(٣) كُشْميهن : قرية من قرىٰ مَرْو . « معجم البلدان » (٤٦٣/٤) .

(٤) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢٠٣/٢) ، وأبو سعد السمعاني في « الأنساب » (١٦٥/٤ ـ ١٦٦) .

بقراءتي عليهِ ، أنا يحيى بنُ أحمدَ بنِ أحمدَ ابنُ السِّيبيِّ ، أنا [أبو الحسينِ] [١] عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ المُعدَّلُ ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ البَرْذَعيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ القرشيُّ قالَ : بلغَني عنِ العريانِ بنِ الهيثمِ ، عن أبيهِ : أنَّ عبيدَ اللهِ بنَ زيادٍ وجَّهَهُ إلىٰ يزيدَ بنِ معاويةَ في حاجةٍ ، قالَ : فدخلَ فإذا خارجيٌّ بينَ يدَي يزيدَ يُخاطِبُهُ ، فقالَ لهُ الخارجيُّ في بعضِ ما يقولُ : أي شقيُّ ، فقالَ : واللهِ ؛ لأقتلَنَّكَ ، فرآهُ مُحرِّكاً شفتَيهِ ، فقالَ : يا حرسي ؛ ما يقولُ ؟ قالَ يقولُ : [من الطويل]

عَسَىٰ فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ ٱللهُ إِنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

قالَ : أَخرِجاهُ فاضرِبا عنقَهُ .

ودخلَ الهيثمُ بنُ الأسودِ ، فقالَ : ما هٰذا ؟ فأُخبِرَ ، قالَ : كُفَّا عنهُ قليلاً ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هَبْ مُجرِمَ قومٍ لوافدِهِم ، قالَ : هوَ لكَ .

فأخذَ الهيثمُ بيدِهِ فأخرجَهُ ، والخارجيُّ يقولُ : الحمدُ للهِ على العافيةِ ، تَأَلَّىٰ على اللهِ فأَكْذَبَهُ ، وغالَبَ اللهَ عزَّ وجلَّ فغلبَهُ [٢] .

نُكْتَةٌ

[مِن نوادرِ الأعرابِ]

٦٠٥ ـ وبهِ قالَ : أنا يحيى بنُ أبي عمرٍو ابنِ مَنْدَهْ كتابةً ، أنا عمِّيَ الإمامُ ، أنا أبو عمرٍو الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ يحيى ابنُ فيلةَ المَدِينيُّ ، سمعتُ أبا الحسنِ أحمدَ بنَ محمَّدٍ اللُّنْبانيَّ [٣] ، سمعتُ محمَّدَ بنَ موسى النَّصْريَّ ، سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ : دخلتُ في الباديةِ إلىٰ مسجدٍ ، فقامَ الإمامُ فقرأَ (إنَّا أرسلْنا) ، فجعلَ يقولُ : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا ﴾ ، ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا ﴾ [٤]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبو الخير) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣٨٢/٢٨) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٧١ ، ٣٣٢ ، ٤٠٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » (٧٦) ، والتنوخي في « الفرج بعد الشدة » (١١٩/٤ ـ ١٢٠) ، وابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (١٦٦/٢٧ ـ ١٦٧) ، وانظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٧٦/٤) .

(٣) اللُّنْباني : نسبة إلىٰ (لُنْبان) ، وهي قرية كبيرة بأصبهان . « معجم البلدان » (٢٣/٥) .

(٤) سورة نوح ﷺ : (١) .

فقالَ أعرابيٌّ مِن ورائِهِ : يا هٰذا ؛ إن لم يذهبْ نوحٌ . . فأَرسِلْ غيرَهُ (١)

نُكْتَةٌ

[في كذبِ القُصَّاصِ]

٦٠٦ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو مسعودٍ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ الشَّاهدُ مِن لفظِهِ بأصبهانَ ، أنا يحيى بنُ عبدِ الوهَّابِ العَبْديُّ ، أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ أبي الحسينِ ابنِ عبدِ الرَّحيمِ الكاتبُ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ البغداديُّ ، ثنا أبو الفضلِ [العبَّاسُ بنُ] (٢) موسى بنِ إسحاقَ الأنصاريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يونسَ الكُدَيميُّ قالَ : كنتُ بالأهوازِ ، فسمعتُ شيخاً يَقُصُّ ، فقالَ : لمَّا أن زوَّجَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليّاً مِن فاطمةَ رضيَ اللهُ عنهُما . . أمرَ شجرةَ طُوبىٰ أن تنثرَ اللُّؤلؤَ الرَّطبَ ، فتهاداهُ أهلُ الجنَّةِ بينَهُم في الأطباقِ .

قالَ : فقلتُ لهُ : يا شيخُ ؛ هٰذا كذبٌ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ : فقالَ لي : ويحَكَ !! اسكتْ ، حدَّثَنيهِ النَّاسُ .

قلتُ : مَن حدَّثَكَ ؟ قالَ : يمانٌ البحريُّ ، عن حفصٍ السَّتريِّ ، عن وكيعِ بنِ الجرَّاحِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ !! عنِ الأعمشِ !! عن عطاءٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما (٣)

حِكَايَةٌ

[أكلتُ وما شبعتُ]

٦٠٧ ـ وبهِ قالَ : أنا يحيى بنُ عليِّ المُديرُ بقراءتي عليهِ ، أنا الشَّريفُ أبو الغنائمِ عبدُ الصَّمدِ بنُ عليِّ ابنِ المأمونِ الهاشميُّ ، أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ الفضلِ بنِ المأمونِ الهاشميُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ ابنِ بشَّارٍ الأنباريُّ ، ثنا محمَّدُ

---

(١) انظر « المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ٥٩٨) ، و« أخبار الحمقىٰ والمغفلين » لابن الجوزي (ص ١١٦) ، و« نور القبس » لليغموري (ص ١٦٥) ، و« وفيات الأعيان » (٦/ ١٧٠) .

(٢) مابين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (العامري) ، والمثبت موافق لما في مصدر التخريج ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٤/ ٥٢) .

(٣) انظر « تحذير الخواص من أكاذيب القصاص » للجلال السيوطي (ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦) .

ابنُ المَرْزُبانِ ، ثنا عبَّاسُ بنُ محمَّدٍ ، ثنا يحيى بنُ معينٍ قالَ : اشترىٰ غُنْدُرٌ يوماً سمكاً ، وقالَ لأهلِهِ : أَصلِحوهُ ، ونامَ .

فأكلَ عيالُهُ السَّمكَ ، ولطخوا يدَهُ بهِ ، فلمَّا انتبهَ . . قالَ : قدِّموا السَّمكَ ، قالوا : قد أكلتَ ، قالَ : لا ، قالوا : فشَمَّ يدَكَ ، ففعلَ فقالَ : صدقتُم ، ولٰكنِّي ما شبعتُ[1]

* *

٦٠٨ ـ وبهِ قالَ : أنا يحيى بنُ عليٍّ السَّلاميُّ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ إجازةً .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ الحسينِ بنِ هبةِ اللهِ [التَّغلبيِّ][2] ، وغيرِهِ ، عن أبي المعالي الفضلِ بنِ سهلٍ الإِسْفَرايِنيِّ ، عنِ الحافظِ أبي بكرٍ الخطيبِ قالَ : أنا أبو القاسمِ [عبيدُ اللهِ][3] بنُ عثمانَ بنِ يحيى الدَّقَّاقُ : أنَّ أبا الفضلِ عيسى ابنَ أبي محمَّدِ بنِ المُتوكِّلِ الهاشميَّ أخبرَهُم [قالَ] : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ ، أخبرَني إسحاقُ بنُ محمَّدِ ابنِ أبانٍ الكُوفيُّ ، حدَّثَني بشرُ بنُ حجرٍ قالَ : انقطعَ إلىٰ أبي علقمةَ غلامٌ يخدمُهُ ، فأرادَ أبو علقمةَ البُكورَ في بعضِ حوائجِهِ ، فقالَ لهُ : يا غلامُ ؛ أصقعَتِ العَتاريفُ ؟

فقالَ لهُ الغلامُ : زَقفَيْلَم !!

قالَ أبو علقمةَ : وما زَقفَيْلَم ؟

قالَ : وما العَتاريفُ ؟

قالَ : الدُّيوكُ .

قالَ : ما صاحَ منها شيءٌ بعدُ[4]

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (١٥/٦) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٩/٢٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٥٥/١٣) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (البعلي) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (٢٨٢/٢٢) ، وسيأتي ضمن الخبر (٦٣٥ ، ٩٣٦) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢٠٠/٢٧) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٨٨) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٩/٦٧) ، وانظر « أخبار الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي (٢٦٣) ، و« معجم الأدباء » (٤٦٢/٤) .

حكاية

[افرَنْقِعوا عنِّي]

٦٠٩ ـ وبالإسنادَينِ إلى ابنِ المَرْزُبانِ قالَ : ثنا أبو بكرٍ القرشيُّ ، حدَّثَني جعفرُ بنُ نصيرٍ قالَ : بينَما أبو علقمةَ النَّحْويُّ في طريقٍ مِن طرقِ البصرةِ . . إذ ثارَ بهِ مِرارٌ فسقطَ ، فظنَّ مَن رآهُ أنَّهُ مجنونٌ ، فأقبلَ رجلٌ يَعَضُّ أصلَ أُذنِهِ ويُؤَذِّنُ فيها ، فأفاقَ فنظرَ إلى الجماعةِ حولَهُ ، فقالَ : ما لَكُم قد تَكَأْكَأْتُم عليَّ كما تَتَكَأْكَؤُونَ على ذي جِنَّةٍ ؟! افرَنْقِعوا عنِّي .

قالَ : فقالَ بعضُهُم لبعضٍ : دَعوهُ ؛ فإنَّ شيطانَهُ يتكلَّمُ بالهنديَّةِ !! [١]

حكاية

[أفهمتُكَ كما أفهمتَني]

٦١٠ ـ وبهِما إلى ابنِ المَرْزُبانِ قالَ : قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسلمٍ : دخلَ أبو علقمةَ النَّحْويُّ على أعينَ الطَّبيبِ ، فقالَ لهُ : أمتعَ اللهُ بكَ ، إنِّي أكلتُ مِن لحومِ هٰذهِ الجوازلِ [٢] ، فَطَسِئْتُ طسأةً [٣] ، فأصابَني وجعٌ بينَ الوالبةِ إلى ذات العنقِ [٤] ، فلم يزلْ يربو وينمو حتَّى خالطَ الخِلْبَ والشَّراسيفَ [٥] ، فهل عندَكَ دواءٌ ؟

قالَ أعينُ : نعم ، خذْ حَرْقَفاً وسَلْقَفاً وشَرقفاً ، فزَهرِقْهُ وزَهزِقْهُ ، واغسلْهُ بماءِ روثٍ واشربْهُ .

فقالَ أبو علقمةَ : لم أفهمْ عنكَ ؟! فقالَ لهُ أعينُ : أفهمتُكَ كما أفهمتَني [٦]

---

(١) انظر « المحاسن والأضداد » للجاحظ (ص ١٠) ، و« المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ٤٤١) ، و« المحتسب » لابن جني (٢/١٩٣) ، و« أخبار الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي (٢٦٤) ، و« معجم الأدباء » (٤/٤٦٢) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٣٠٢) ، وتروى عن عيسى بن عمر أيضاً .

(٢) **الجوازل** : جمع جوزل ؛ فرخ الحَمَام .

(٣) **طَسِئ** : اتَّخم من إدخال طعامٍ على طعام ، أو من الدسم .

(٤) كذا في (أ ، ب ، ج) ، وفي « معجم الأدباء » : (بينَ الوابلةِ إلى دَأْيةِ العنقِ) ، **والوابلة** : طرف الكتف ، **ودَأْية العنق** : الفِقار في مجتمَع ما بين الكتفين .

(٥) **الخِلْب** : لُحَيمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، وقيل : حجابُ ما بين القلب والكبد ، **والشَّراسيف** : أطراف أضلاع الصَّدر الَّتي تُشرف على البطن .

(٦) انظر « المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ٤٤٠) ، و« أخبار الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي (٢٦٥) ، و« معجم الأدباء » (٤/٤٦٢ ـ ٤٦٣) .

حكاية

[المُعارِضِ أباهُ في السَّبِّ]

٦١١ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيّ قالَ : أنا يحيى بنُ عليٍّ المُديرُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنُ البُنْدارِ قراءةً عليهِ ، أنا أبو عبدِ اللهِ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ ابنُ بَطَّةَ الفقيهُ إذناً ، ثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ابنُ السَّمَّاكِ ، ثنا محمَّدُ ابنُ البراءِ قالَ : قالَ أعرابيٌّ اسمُهُ : حنظلةُ لابنٍ لهُ يُقالُ لهُ : مُرَّةُ : إنَّكَ لخبيثٌ كاسمِكَ ، قالَ : أخبثُ منِّي مَن سمَّاني .

قالَ : إنَّكَ لمُرٌّ يا مُرَّةُ ، قالَ : أعجبَتْني حلاوتُكَ يا حنظلةُ .

قالَ : إنَّكَ لمشؤومٌ حينَ ماتَ إخوتُكَ وبقيتَ ، قالَ : ما أكثرَ عمومتي يا مُبارَكُ !!

فقالَ : لعنَ اللهُ أُمّاً ولدَتْكَ ، قالَ : حينَ نُتِجَتْ منكَ .

قالَ : ما أَعْرَفَني بخبثِها !! قالَ : ما كانَتْ بأشرَّ مِن أُمِّ زوجِها .

قالَ : هممتُ أن أدعوَ اللهَ عليكَ ، قالَ : تدعو عالماً بكَ ، قالَ : ما يعلمُ منِّي إلَّا خيراً ، قالَ : مادحُ نفسِهِ يقرأُ عليكَ السَّلامَ .

قالَ : واللهِ ؛ لَهممتُ أن أُوجِعَكَ ضرباً ، قالَ : وتراكَ أشدَّ بطشاً منِّي ؟

قالَ : وتُراكَ فاعلاً ؟! قالَ : وأنتَ مِن ذاكَ في شكٍّ ؟![1]

حكاية

[مِن ذكاءِ أميرِ المؤمنينَ المنصورِ]

٦١٢ ـ وبهِ إلى ابنِ بَطَّةَ قالَ : ثنا الصُّوليُّ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيىٰ قالَ : ثنا المُسبِّحُ بنُ حاتمٍ العُكْليُّ أبو الحسنِ الصُّوفيُّ ، سمعتُ يعقوبَ بنَ جعفرٍ يقولُ : ممَّا يُعرَفُ ويُؤثَرُ مِن ذكاءِ المنصورِ أنَّهُ دخلَ المدينةَ ، فقالَ للرَّبيعِ : اطلبْ لي رجلاً يُعرِّفُني دُورَ النَّاسِ ؛ فإنِّي أُحِبُّ أن أعرفَ ذاكَ ، وركبَ .

فجاءَهُ برجلٍ يعرفُ الدُّورَ إلَّا أنَّهُ لا يَبتدئُهُ حتَّىٰ يسأَلَهُ المنصورُ ، فلمَّا فارقَهُ . . أمرَ لهُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤٦/٥ ـ ٤٤٧) بنحوه ، وانظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٦٨٨/١ ـ ٦٨٩) .

بألفِ درهمٍ ، فطالبَ الرَّجلُ بها الرَّبيعَ ، فقالَ : ما قالَ لي ، وأنا أهبُ لكَ ألفاً مِن عندي ، وسيركبُ ، فذكِّرْهُ .

فركبَ معَهُ ، وجعلَ يُعرِّفُهُ الدُّورَ على الرَّسمِ ولا يرىٰ موضعاً للكلامِ ، فلمَّا أرادَ المنصورُ أن يُفارِقَهُ . . قالَ لهُ الرَّجلُ مُبتدِئاً : وهٰذهِ ـ يا أميرَ المؤمنينَ ـ دارُ عاتكةَ الَّتي يقولُ فيها الأحوصُ (١) : [من الكامل]

يَـا بَـيْـتَ عَـاتِـكَـةَ ٱلَّـذِي [أَتَـعَـزَّلُ] (٢) حَـذَرَ ٱلْـعِـدَىٰ وَبِـهِ ٱلْـفُـؤَادُ مُـوَكَّـلُ

فأنكرَ المنصورُ ابتداءَهُ بهٰذا ، وأَمَرَّ القصيدةَ علىٰ قلبِهِ فإذا فيها :

وَأَرَاكَ تَـفْـعَـلُ مَـا تَـقُـولُ وَبَـعْـضُـهُـمْ مَـذِقُ ٱلـلِّـسَـانِ يَـقُـولُ مَـا لَا يَـفْـعَـلُ

فعلمَ أنَّهُ أرادَ الاقتضاءَ ، فضحكَ وقالَ : يا ربيعُ ؛ أَعطِهِ ألفَ درهمٍ وعدتُهُ بها وألفاً أُخرىٰ (٣) .

حكاية

[نفحةٌ بلمحةٍ]

٦١٣ ـ وبـهِ إلىٰ أبي سعدٍ قـالَ : أنا يحيى بنُ هبةِ اللهِ الخانيُّ بقراءتي عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ عليّ ابنُ أبي الصَّقرِ الواسِطيُّ ، ثنا [عبيدُ اللهِ] (٤) بنُ هارونَ القَطَّانُ ، ثنا أحمدُ بنُ عليٍّ ، ثنا أبو الحسنِ الواعظُ قالَ : لمَّا ماتَ حبيبٌ النَّجَّارُ . . رأيتُهُ في المَنامِ ووجهُهُ كدارةِ القمرِ في ليلةِ البدرِ ، في وجهِهِ نكتةٌ سوداءُ ، فقلتُ : حبيبُ ؛ أرىٰ في وجهِكَ هٰذهِ النُّكتةَ ؟!

فقالَ لي : كنتُ مارّاً يوماً بالبصرةِ في بني عبسٍ ، فرأيتُ غلاماً أمردَ عليهِ غِلالةٌ يَشِفُّ منها بدنُهُ (٥) ، فنظرتُ إليهِ ، فلمَّا حصلتُ بينَ يدَي ربِّي . . قالَ لي : ([يا] حبيبُ) ، قلتُ : لبَّيكَ ، قالَ : (جزْ على النَّارِ) ، فجزتُ عليها ، فنفحَتْني هٰذهِ النَّفحةُ ، فقلتُ :

---

(١) انظر هٰذا البيت والذي يليه في « ديوان الأحوص » (ص٢٠٧ ، ٢١٤) .
(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أتغزل) ، والمثبت من « ديوانه » .
(٣) أخرجه البلاذري في « جمل من أنساب الأشراف » (٢٧٨/٤ ـ ٢٧٩) بنحوه ، وانظر « ربيع الأبرار » (٤٥٤/٣ ـ ٤٥٥) ، و« وفيات الأعيان » (٢٩٦/٢ ـ ٢٩٧) .
(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (١٣٣/٢٩) .
(٥) الغِلالة : الشِّعار يُلبَس تحت الثَّوب .

أوِه ، فناداني : (نفحةٌ بلمحةٍ ، ولو زدتَ . . لزدْناكَ)[1]

* *

٦١٤ ـ وبهِ قالَ : أنا يحيى ابنُ عبدِ الغفَّارِ الهَمَذانيُّ بها ، أنا عبدوسُ بنُ عبدِ اللهِ الهَمَذانيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يعقوبَ الأصمُّ ، ثنا أبو عتبةَ أحمدُ بنُ الفرجِ ، ثنا بقيَّةُ ، عن أُمِّ عبدِ اللهِ بنتِ خالدِ بنِ معدانَ ، عن أبيها : أنَّها سمعَتْهُ يقولُ : (إنَّ الَّذينَ يسخرونَ مِنَ النَّاسِ في الدُّنيا يُقالُ لهُم يومَ القيامةِ : ادخلوا الجنَّةَ ، فإذا أتَوا أبوابَها ودنَوا منها . . يُقالُ لهُم : سُخِرَ بكُم كما كنتُم تسخرونَ بالنَّاسِ)[2]

حكاية

[سوادُ بنُ قاربٍ رضيَ اللهُ عنهُ ورَئِيُّهُ مِنَ الجنِّ]

٦١٥ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو البركاتِ إسماعيلُ بنُ أبي سعدٍ الصُّوفيُّ شيخُ الشُّيوخِ ، وأبو اليُمنِ يحيى بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ ابنِ رافعٍ الصُّوفيُّ بقراءتي عليهِما قالا : أنا أبو رَوْحٍ ياسينُ بنُ سهلٍ القاضي الصُّوفيُّ ـ قدَم علينا بغدادَ ـ ، أنا أبو الحسنِ رشأُ بنُ نظيفِ بنِ ما شاءَ اللهُ الدِّمشقيُّ ، أخبرَني عبدُ الوهَّابِ بنُ جعفرٍ المَيْدانيُّ ، ثنا أبو سليمانَ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ زَبْرٍ الرَّبَعيُّ ، أنا أحمدُ بنُ السَّريِّ بنِ سنانٍ ، ثنا يحيى بنُ حُجرٍ قالَ : ثنا عليُّ بنُ منصورٍ الأَبْناويُّ[3] ، عن عثمانَ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الوَقَّاصيِّ ، عن محمَّدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ قالَ : بينَما عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ ذاتَ يومٍ جالساً . . إذ مرَّ بهِ رجلٌ ، فقيلَ لهُ : أتعرفُ هٰذا المارَّ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : (ومَن هوَ ؟) ، قالوا : سوادُ بنُ قاربٍ الَّذي أتاهُ رَئِيُّهُ مِنَ الجنِّ بظهورِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : وكانَ سوادُ بنُ قاربٍ رجلاً مِن أهلِ اليمنِ لهُ شرفٌ ، وكانَ لهُ رَئِيٌّ مِنَ الجنِّ .

فأرسلَ إليهِ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لهُ : (أنتَ سوادُ بنُ قاربٍ ؟) ، قالَ : (نعم يا أميرَ المؤمنينَ) .

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٤١٣) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٣٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦/١٩٩) .

(٣) **الأَبْناوي** : نسبة إلىٰ أبناء الفرس الَّذين نزلوا اليمن ممَّن جهَّزهم كسرىٰ مع سيف بن ذي يزن إلىٰ ملك الحبشة ، فطردوا الحبشة عن اليمن . « تبصير المنتبه » لابن حجر (١/٣٥) .

قالَ : (فأنتَ الَّذي أتاكَ رَئِيُّكَ بظهورِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟) ، قالَ : (نعم) .

قالَ : (فأنتَ علىٰ ما كنتَ مِن كهانتِكَ ؟) ، قالَ : فغضبَ غضباً شديداً ، وقالَ : (ما استقبلَني بهٰذا أحدٌ منذ أسلمتُ يا أميرَ المؤمنينَ) .

فقالَ عمرُ : (يا سبحانَ اللهِ !! ما كنَّا عليهِ مِنَ الشِّركِ أعظمُ ممَّا كنتَ عليهِ مِن كهانتِكَ ، فأَخبِرْني بإتيانِكَ رَئِيُّكَ بظهورِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

قالَ : (نعم يا أميرَ المؤمنينَ ؛ بينَما أنا ذاتَ ليلةٍ بينَ النَّائمِ واليقظانِ . . إذ أتاني رَئِيٌّ ، فضربَني برجلِهِ وقالَ : قمْ يا سوادَ بنَ قاربٍ ؛ فاسمعْ مقالتي ، واعقلْ إن كنتَ تعقلُ : إنَّهُ قد بُعِثَ رسولٌ مِن لؤيِّ بنِ غالبٍ ، يدعو إلى اللهِ ـ عزَّ ذِكْرُهُ ـ وإلىٰ عبادتِهِ .

ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا ... وَشَدِّهَا ٱلْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا

تَهْوِي إِلَىٰ مَكَّةَ تَبْغِي ٱلْهُدَىٰ ... مَا صَادِقُ ٱلْجِنِّ كَكَذَّابِهَا

فَٱرْحَلْ إِلَى ٱلصِّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا

قلتُ لهُ : دعْني ؛ فإنِّي أمسيتُ ناعساً ، ولم أرفعْ بما قالَ رأساً .

فلمَّا كانَتِ اللَّيلةُ الثَّانيةُ . . أتاني ، فضربَني برجلِهِ وقالَ : قمْ يا سوادَ بنَ قاربٍ ؛ فاسمعْ مقالتي ، واعقلْ إن كنتَ تعقلُ : إنَّهُ قد بُعِثَ رسولٌ مِن لؤيِّ بنِ غالبٍ ، يدعو إلى اللهِ وإلىٰ عبادتِهِ .

ثمَّ أنشأَ يقولُ :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَخْبَارِهَا ... وَشَدِّهَا ٱلْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا

تَهْوِي إِلَىٰ مَكَّةَ تَبْغِي ٱلْهُدَىٰ ... مَا مُؤْمِنُو ٱلْجِنِّ كَكُفَّارِهَا

فَٱرْحَلْ إِلَى ٱلصِّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

فقلتُ : دعْني أنامُ ؛ فإنِّي أمسيتُ ناعساً ، ولم أرفعْ بما قالَ رأساً .

فلمَّا كانَ في اللَّيلةِ الثَّالثةِ . . أتاني ، فضربَني برجلِهِ وقالَ : قمْ يا سوادَ بنَ قاربٍ ؛ فاسمعْ مقالتي ، واعقلْ إن كنتَ تعقلُ : إنَّهُ قد بُعِثَ رسولٌ مِن لؤيِّ بنِ غالبٍ ، يدعو إلى اللهِ وإلىٰ عبادتِهِ .

وأنشأَ يقولُ :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَجْسَاسِهَا ... وَشَدِّهَا ٱلْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا

تَهْوِي إِلَىٰ مَكَّةَ تَبْغِي ٱلْهُدَىٰ ... مَا خَيِّرُ ٱلْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا

فَٱرْحَلْ إِلَى ٱلصِّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... وَٱسْمُ بِعَيْنَيْكَ إِلَىٰ رَأْسِهَا

قالَ : فأصبحتُ وقدِ امتحنَ اللهُ قلبي للإسلامِ .

قالَ : فرَحَلتُ ناقتي وأتيتُ المدينةَ ؛ فإذا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابُهُ ، فقلتُ : اسمعْ مقالتي يا رسولَ اللهِ ، فأنشأتُ أقولُ : [من الطويل]

أَتَانِي نَجِيِّي بَيْنَ هَدْءٍ وَرَقْدَةٍ ... وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ

ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ : ... أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ

فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِي ٱلْإِزَارَ وَوَسَّطَتْ ... بِيَ ٱلذِّعْلِبُ ٱلْوَجْنَاءُ بَيْنَ ٱلسَّبَاسِبِ [1]

فَأَشْهَدُ أَنَّ ٱللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَىٰ كُلِّ غَائِبِ

وَأَنَّكَ أَدْنَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً ... إِلَى ٱللهِ يَا بْنَ ٱلْأَكْرَمِينَ ٱلْأَطَايِبِ

فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَىٰ ... وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ ٱلذَّوَائِبِ

وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ ... سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

قالَ : ففرحَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابُهُ بمقالتي فرحاً شديداً حتَّىٰ رُئِيَ الفرحُ في وجوهِهِم) .

قالَ : فوثبَ إليهِ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ فالتزمَهُ ، وقالَ : (قد كنتُ أشتهي أن أسمعَ هٰذا الحديثَ منكَ ، فهل يأتيكَ رَئِيُّكَ اليومَ ؟) ، قالَ : (أمَّا مذ قرأتُ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ . . فلا ، ولَنِعْمَ العِوَضُ كتابُ اللهِ مِنَ الجنِّ) .

واقتصرَ أبو سعدٍ علىٰ هٰذا الطَّريقِ [2]

وقد وقعَ لِيَ الحديثُ مِن طرقٍ عاليةٍ : أخبرَنا بهِ أعلىٰ مِنَ الرِّوايةِ المُتقدِّمةِ بدرجةٍ

---

(١) الذِّعْلب : السَّريعة ، والوَجْناء : تامَّة الخَلْق غليظة عظيمة ، وهي من علامات النَّجابة ، والسَّباسب : جمع سَبْسَب ؛ وهي المفازة .

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في « المعجم » (٣٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٢/٣٢٤ ـ ٣٢٦) .

الحافظُ أبو محمَّدٍ عبدُ المُؤمِنِ بنُ خلفٍ الدِّمْياطيُّ إذناً قالَ : أنا الإمامُ مُحيِي الدِّينِ يوسفُ بنُ الحافظِ أبي الفرجِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عليِّ ابنِ الجَوْزيِّ بقراءتي عليهِ ببغدادَ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ قالَ : أنا والدي أبو الفرجِ قالَ : أنا أبو غالبٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ الماوَرْديُّ قالَ : أنا القاضي أبو همامٍ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الأيليُّ قالَ : ثنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ مهديٍّ قالَ : ثنا أبو عليٍّ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ شعبةَ قالَ : ثنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ حيَّانَ الأنصاريُّ قالَ : ثنا بشرُ بنُ حجرٍ [السَّاميُّ][1] ، ثنا عليُّ بنُ منصورٍ الأَبْناويُّ ، عن غياثٍ[2] بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ الوَقَّاصيِّ ، عن محمَّدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ قالَ : بينَما عمرُ بنُ الخطَّابِ قاعدٌ في المسجدِ . . إذ مرَّ بهِ رجلٌ في مُؤخَّرِ المسجدِ ، فقالَ لهُ رجلٌ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أتعرفُ المارَّ ؟ قالَ : (مَن هوَ ؟) ، قالَ : سوادُ بنُ قاربٍ ، وهوَ رجلٌ مِن أهلِ اليمنِ لهُ شرفٌ وموضعٌ ، وهوَ الَّذي أتاهُ رَئِيُّهُ بظهورِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فقالَ عمرُ : (عليَّ بهِ) ، فدُعِيَ بهِ فقالَ : (أنتَ سوادُ بنُ قاربٍ ؟) ، قال : (نعم) .

قالَ : (فأنتَ علىٰ ما كنتَ عليهِ مِن كهانتِكَ ؟) ، فغضبَ غضباً شديداً ، وقالَ : (يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما استقبلَني بهـٰذا أحدٌ منذ أسلمتُ) .

فقالَ عمرُ : (يا سبحانَ اللهِ !! واللهِ ؛ ما كنَّا عليهِ مِنَ الشِّركِ أعظمُ ممَّا كنتَ عليهِ مِن كهانتِكَ ، أَخبِرْني بإتيانِكَ رَئِيُّكَ بظهورِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

قالَ : (نعم يا أميرَ المؤمنينَ ؛ بينا أنا ذاتَ ليلةٍ بينَ النَّائِمِ واليقظانِ . . إذ أتاني آتٍ . . .) ، فذكرَ القصَّةَ بطولِها إلىٰ أن قالَ : (فقلتُ : اسمعْ مقالتي رسولَ اللهِ) ، فقالَ : « هَاتِ فَأَخْبِرْنِي بِإِتْيَانِكَ رَئِيُّكَ » ، فقلتُ :

(أَتَـانِـي نَـجِـيِّـي بَـعْـدَ هَـدْءٍ وَرَقْـدَةٍ وَلَـمْ يَـكُ فِـيـمَـا قَـدْ يَـكُـونُ بِـكَـاذِبِ

الأبياتَ باللَّفظِ المُتقدِّمِ) .

غيرَ أنَّ في هـٰذهِ الرِّوايةِ :

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الشامي) ، والمثبت موافق لما في « الإكمال » لابن ماكولا (٤/٥٥٧ ـ ٥٥٨) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٦١٥) .

(٢) كُتب فوقها في (أ ، ج) : (كذا) .

فَـإِنَّـكَ أَوْفَى ٱلْـمُـرْسَـلِـيـنَ وَسِـيـلَـةً

وفيها :

فَـمُـرْنَـا بِـمَـا يَـأْتِـيـكَ يَـا خَـيْـرَ مُـرْسَـلٍ

ووقعَ في سندِ هٰذهِ الرِّوايةِ : (غياثُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ) ، والصَّوابُ : (عثمانُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ) ؛ كما رويْناهُ أَوَّلاً (١) .

وأخبرَنا بهِ أعلىٰ مِن هٰذهِ الرِّوايةِ الثَّانيةِ بدرجةٍ ، ومِنَ الأُولىٰ بدرجتَينِ بالسَّماعِ المُتصِّلِ . . الشَّيخُ عفيفُ الدِّينِ إسحاقُ بنُ يحيى الآمديُّ سماعاً بدِمشقَ ، وعبدُ المُؤمِنِ الدِّمْياطيُّ إجازةً قالا : أنا الحافظُ أبو الحجَّاجِ يوسفُ بنُ خليلِ ابنِ عبدِ اللهِ الدِّمشقيُّ قالَ : أنا أبو الحسنِ مسعودُ بنُ أبي منصورٍ الجمَّالُ ، أنا أبو منصورٍ محمودُ بنُ أبي منصورٍ الصَّيْرفيُّ ، أنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ بنِ محمَّدِ بنِ فاذْشاه ، أنا أبو القاسمِ سليمانُ بنُ أحمدَ الطَّبرانيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمَّدٍ التَّمَّارُ البصريُّ ، ثنا بشرُ بنُ حجرٍ السَّاميُّ ، [ثنا عليُّ بن منصورٍ الأَبْناويُّ] (٢) ، عن عثمانَ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الوَقَّاصيِّ ، عن محمَّدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ . . . فذكرَهُ بنحوِهِ .

وقالَ في الشِّعرِ :

وَلَـمْ يَـكُ فِـيـمَـا قَـدْ بَـلَـوْتُ . . . .

وهوَ المعروفُ ؛ كما في الرِّوايةِ الأُولىٰ .

وقالَ :

وَأَنَّـكَ أَدْنَى ٱلْـمُـرْسَـلِـيـنَ وَسِـيـلَـةً

وقالَ :

فَـمُـرْنَـا بِـمَـا يَـأْتِـيـكَ يَـا خَـيْـرَ مَـنْ مَـشَـىٰ (٣)

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (١٠٦/٢ ـ ١٠٧) ، غير أنَّ فيه : (بَلَوْتُ) ، و(وَأَنَّكَ أَدْنَىٰ) على الرواية الأولىٰ بدلاً من : (يَكُونُ) ، و(فَإِنَّكَ أَوْفَىٰ) ، وكذا في « الوفا بأحوال المصطفىٰ ﷺ » (٢٤٣/١ ـ ٢٤٧) ، والله أعلم .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « المعجم الكبير » للطبراني ، موافقاً لما مرَّ من الأسانيد .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩٢/٧ ـ ٩٥) ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٦٢) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٣٢/١٩ ـ ١٣٤) .

وقد أخبرَني بهِ الشَّيخُ [. . .][1] ابنُ الصَّوَّافِ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : أنا لاحقُ بنُ عبدِ المُنعِمِ الأَرْتاحيُّ[2] ، أنبأَنا أبو محمَّدٍ المُبارَكُ بنُ عليّ ابنُ الطَّبَّاخِ ، أنا أبو الحسنِ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ البيهقيُّ ، أنا جدِّيَ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسينِ البيهقيُّ ، أنا أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدِ ابنِ حبيبٍ المُفسِّرُ مِن أصلِ سماعِهِ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الصَّفَّارُ الأصبهانيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ موسى الكُوفيُّ ، ثنا زيادُ بنُ يزيدَ أبو بكرٍ القَصْريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ ترَّاسٍ[3] الكُوفيُّ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ ، عن أبي إسحاقَ ، عنِ البراءِ قالَ : (بينَما عمرُ بنُ الخطَّابِ يخطُبُ علىٰ منبرِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . إذ قالَ : « أيُّها النَّاسُ ؛ أفيكُم سوادُ بنُ قاربٍ ؟ » . . . الحديثَ بنحوِهِ)[4]

لٰكنَّ قولَهُ : إنَّ عمرَ سألَ عن سوادٍ وهوَ يخطُبُ مُخالِفٌ لِمَا تقدَّمَ ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ .

حِكَايَةٌ

[لطفُ اللهِ بأميرِ المؤمنينَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ]

٦١٦ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيّ قالَ : أنا أبو الحسنِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ اليعقوبيُّ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أبو منصورٍ يَلْبَرُ بنُ خُطلغَ بنِ عبدِ اللهِ الفانيديُّ قراءةً عليهِ ببغدادَ بجامعِ المنصورِ ، أنا أبو عليّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الفارسيُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ حمدانَ بنِ مالكٍ القَطِيعيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ قالَ : ذكرَ مصعبُ بنُ عبدِ اللهِ الزُّبيريُّ قالَ : حدَّثَني أبي ؛ عبدُ اللهِ بنُ مصعبٍ ، عن ربيعةَ[5] بنِ عثمانَ الهُدَيريّ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبيهِ أسلمَ قالَ : خرجْنا معَ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ حَرَّةِ واقمٍ[6] ،

---

(١) في (أ ، ب ، ج) : بياض بمقدار خمس كلمات ، وكُتب موضعَها في (ج) : (كذا) .

(٢) **الأَرْتاحي** : نسبة إلىٰ (أَرْتاح) ، وهي مدينة من أعمال حلب . « معجم البلدان » (١/١٤٠) .

(٣) كُتب فوقها في (أ ، ج) : (كذا) .

(٤) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/٢٤٨ ـ ٢٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٢/٣٢٢ ـ ٣٢٤) .

(٥) في (أ ، ب ، ج) : (أبي ربيعة) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تهذيب الكمال » (٩/١٣٢) .

(٦) **الحَرَّة** : أرض ذات حجارة سود ، وحَرَّة واقم : إحدىٰ حَرَّتي المدينة المنوَّرة حرسها الله ، وفيها وقعت الوقعة المشهورة . « معجم البلدان » (٢/٢٤٩) .

حتَّىٰ إذا كنَّا بصِرارَ إذا نارٌ[١] ، فقالَ : (يا أسلمُ ؛ إنّي لأرىٰ ها هنا ركباً قصرَ بهمُ اللَّيلُ والبردُ ، انطلقْ بنا) .

فخرجْنا نُهروِلُ حتَّىٰ دنوْنا منهُم ، فإذا بامرأةٍ معَها صبيانٌ صغارٌ ، وقِدْرٌ منصوبةٌ علىٰ نارٍ ، وصبيانُها يتضاغونَ[٢] ، فقالَ عمرُ : (السَّلامُ عليكُم يا أصحابَ الضَّوءِ) ، وَكَرِهَ أن يقولَ : يا أصحابَ النَّارِ ، فقالَتْ : عليكَ السَّلامُ ، فقالَ : (أدنو ؟) ، فقالَتِ : ادنُ بخيرٍ أو دعْ .

قالَ : فدنا فقالَ : (ما بالُكُم ؟) ، قالَتْ : قصرَ بنا اللَّيلُ والبردُ ، فقالَ : (ما بالُ هٰؤلاءِ الصِّبيةِ يتضاغونَ ؟) ، قالَتِ : الجوعُ ، قالَ : (فأيُّ شيءٍ في هٰذا القِدْرِ ؟) ، قالَتْ : ما أُسكِتُهُم بهِ حتَّىٰ يناموا ، واللهُ بينَنا وبينَ عمرَ ، فقالَ : (أَيْ رحمَكِ اللهُ ؛ وما يُدري عمرَ بكُم ؟) ، قالَتْ : يتولَّىٰ أمرَنا ثمَّ يغفلُ عنَّا !! قالَ : فأقبلَ عليَّ فقالَ : (انطلقْ بنا) .

فخرجْنا نُهروِلُ حتَّىٰ أتيْنا دارَ الدَّقِيقِ ، فأخرجَ عِدْلاً مِن دَقِيقٍ وكُبَّةَ شحمٍ ، فقالَ : (احملْهُ عليَّ) ، فقلتُ : أنا أحملُهُ عنكَ ، فقالَ : (أنتَ تحملُ وِزْري يومَ القيامةِ لا أمَّ لكَ ؟!) ، فحملتُهُ عليهِ .

فانطلقَ وانطلقتُ معَهُ إليها نُهروِلُ ، فألقىٰ ذٰلكَ عندَها ، وأخرجَ مِنَ الدَّقِيقِ شيئاً ، فجعلَ يقولُ لها : (ذُرّي عليَّ وأنا أُحرِّكُ لكِ) ، وجعلَ ينفخُ تحتَ القِدْرِ ، ثمَّ أنزلَها فقالَ : (ابغيني شيئاً)[٣] ، فأتَتْهُ بصَحْفةٍ فأفرغَها فيها ، ثمَّ جعلَ يقولُ لها : (أَطعِميهِم وأنا أسطحُ لهُم) ، فلم يزلْ حتَّىٰ شبعوا ، وتركَ عندَها فضلَ ذٰلكَ ، وقامَ وقمتُ معَهُ ، فجعلَتْ تقولُ : جزاكَ اللهُ خيراً ، كنتَ أَوْلىٰ بهٰذا الأمرِ مِن أميرِ المؤمنينَ ، فيقولُ : (قولي خيراً إذا جئتِ أميرَ المؤمنينَ ، وحدِّثيني هناكَ إن شاءَ اللهُ [تعالىٰ]) ، ثمَّ تنحَّىٰ ناحيةً عنها ، ثمَّ استقبلَها فربضَ ، فقلتُ : لكَ شأنٌ غيرُ هٰذا ، فلا يُعلِمُني حتَّىٰ رأيتُ الصِّبيةَ يصطرعونَ ، ثمَّ ناموا وهَدَؤوا فقالَ : (يا أسلمُ ؛ إنَّ الجوعَ أسهرَهُم وأبكاهُم ، فأحببتُ ألَّا أنصرفَ حتَّىٰ أرىٰ ما رأيتُ)[٤]

❊

---

(١) صِرار : موضع علىٰ ثلاثة أميال من المدينة . « معجم البلدان » (٣/٣٩٨) .

(٢) يتضاغون : يتباكون .

(٣) ابغيني : أعطيني .

(٤) أخرجه أحمد ابن حنبل في « فضائل الصحابة » (٣٨٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/٣٥٣ ـ ٣٥٤) .

٦١٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الدُّرِّ ياقوتُ بنُ عبدِ اللهِ الرُّوميُّ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ ابنِ [هَزارمَرْدَ] [(١)] الصَّرِيفينيُّ ، أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ المُخلِّصُ ، ثنا يحيى بنُ محمَّدِ بنِ صاعدٍ ، ثنا الحسينُ بنُ الحسنِ ، ثنا ابنُ المُبارَكِ ، أنا مَعْمَرٌ : أنَّ الأحنفَ بنَ قيسٍ قيلَ لهُ : أَخبِرْنا عن مودَّةٍ بغيرِ مالٍ .

قالَ : الخُلُقُ السَّجيحُ ، والكفُّ عنِ القبيحِ ، وإن شئتُم . . أخبرتُكُم بأَدْوَأ الدَّاءِ : اللِّسانُ البَذيءُ ، والخُلُقُ الدَّنيءُ [(٢)]

* * *

٦١٨ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا بشارةُ بنتُ أبي طاهرِ ابنِ الفَيجِ ـ قرأتُ عليها ـ قالَتْ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدٍ ابنُ العلَّافِ المُقرِئُ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ ابنُ الحَمَّاميّ المُقرِئُ ، أنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَّاكِ ، ثنا حنبلُ بنُ إسحاقَ ، ثنا مُسدَّدٌ ، ثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيُّوبَ قالَ : سُئِلَ طاووسٌ عن شيءٍ ، فقالَ : تُريدُ أن تجعلَ في عنقي حبلاً ثمَّ يُطافَ بي ؟! [(٣)]

* * *

٦١٩ ـ وبهِ قالَ : أنبأَتْنا سعيدةُ بنتُ أحمدَ بنِ الحسنِ البغداديّ قالَتْ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدٍ ابنُ العلَّافِ ، أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحَمَّاميُّ المُقرِئُ ، ثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَّاكِ الدَّقَّاقُ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ يزيدَ الرِّياحيُّ ، سمعتُ أبي يُحدِّثُ ، عن شعيبِ بنِ حربٍ قالَ : قالَ عمرُ بنُ ذَرٍّ : (يا أهلَ معاصي اللهِ ؛ لا تغترُّوا بطولِ حِلْمِ اللهِ عنكُم ، واحذروا أسفَهُ ؛ فإنَّهُ قالَ : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾) [(٤)]

* * *

٦٢٠ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا الحرَّةُ سديدةُ بنتُ عليِّ بنِ عبدِ الباقي البغداديّ ـ قرأتُ عليها ـ قالَتْ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدٍ ابنُ العلَّافِ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (هزامرد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢٩٢/٣١) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٣٤٠) .

(٢) أخرجه محمد بن عبد الباقي في « مشيخته » (٢٠٩) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٥٦) مخطوط ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٣/٤) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٨٢٩/٣) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨٣٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/٤٥) ، وانظر « العقد الفريد » (١٧٨/٣ ـ ١٧٩) ، والآية من سورة (الزخرف) : (٥٥) .

عمرَ الحَمَّاميُّ ، أنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَّاكِ ، ثنا أبو حمزةَ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ المَرْوَزيُّ ، ثنا عليُّ بنُ الحسنِ بنِ شقيقٍ ، ثنا أبو معاويةَ ، عنِ الأعمشِ ، عن جويبرٍ ، عن أبي سهلٍ ، عنِ الحسنِ قالَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ للعلماءِ يومَ القيامةِ : « إنِّي لم أجعلْ في قلوبِكُم حكمتي إلَّا وأنا أريدُ بكُم خيراً ، قد غفرتُ لكُم »)[١]

حِكَايَةٌ

[نصرُ بنُ الحجَّاجِ وافتتانُ النِّساءِ بهِ]

٦٢١ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا شهدةُ بنتُ أبي نصرٍ أحمدَ بنِ الفرجِ الإبَريِّ إجازةً[٢] ، وأبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الدِّمشقيُّ ، وأبو محمَّدٍ عبدُ الغنيِّ بنُ محمَّدِ بنِ سعدٍ الغسَّالُ بقراءتي عليهِما .

(ح) وأنبأَني غيرُ واحدٍ مِن مشايخي ، عنِ ابنِ بنتِ الجُمَّيْزيِّ ، وغيرِهِ ، عن شهدةَ بنتِ الإبَريِّ .

وغيرُ واحدٍ ، عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، وغيرِهِ ، عن إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ قالوا : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ ابنُ العلَّافِ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القَنْديُّ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عليٍّ الكِنْديُّ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ الخرائطيُّ ، ثنا إبراهيمُ ابنُ الجُنَيدِ ، ثنا محمَّدُ بنُ سعيدٍ القرشيُّ البصريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ الجهمِ بنِ عثمانَ بنِ أبي الجهمِ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ ، وكانَ علىٰ ساقةِ غنائمِ خيبرَ حينَ افتتحَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[٣] ، قالَ : بينَما عمرُ في سكَّةٍ مِن سككِ المدينةِ . . إذ سمعَ امرأةً وهيَ تهتفُ في خِدْرِها[٤] : [من البسيط]

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَىٰ خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا ... أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَىٰ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ

إِلَىٰ فَتىً مَاجِدِ ٱلْأَعْرَاقِ مُقْتَبِلٍ ... سَهْلِ ٱلْمُحَيَّا كَرِيمٍ غَيْرِ مِلْجَاجِ[٥]

نَمَتْهُ أَعْرَاقُ صِدْقٍ حِينَ تَنْسُبُهُ ... أَخِي حِفَاظٍ عَنِ ٱلْمَكْرُوهِ فَرَّاجِ

---

(١) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/١٢٦) مخطوط .

(٢) الإبَري : نسبة إلىٰ بيع الإبَر وعملها . « الأنساب » (١/٧٣) .

(٣) أراد بـ (جدِّه) : أبا جهم ، عبيدَ بن حذيفة ، القرشيَّ العدويَّ ، الصَّحابيَّ ، والسَّاقة : مؤخَّرة الجيش .

(٤) هي الفُرَيعة بنت همام ، الملقَّبة بالذَّلْفاء ، أمُّ الحجَّاج بن يوسف .

(٥) مُقتبِل : كيِّس .

قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (أرىٰ معي في المصرِ رجلاً تهتفُ بهِ العواتقُ في خدورِها !! عليَّ بنصرِ بنِ الحجَّاجِ) .

فأُتِيَ بهِ ، فإذا هوَ مِن أحسنِ النَّاسِ وجهاً وعيناً وشعراً ، فأمرَ بشعرِهِ فجُزَّ ، فخرجَتْ له جبهةٌ كأنَّها شِقَّةُ قمرٍ ، فأمرَهُ أن يعتمَّ ، فاعتمَّ فافتُتِنَ النِّساءُ بعمَّتِهِ ـ وفي روايةٍ : بعينَيهِ ـ ، فقالَ عمرُ : (واللهِ ؛ لا تُساكِنِّي بلاداً أنا بها) ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ولِمَ ؟ قالَ : (هوَ ما أقولُ لكَ) ، فسيَّرَهُ إلى البصرةِ .

وخشيَتِ المرأةُ الَّتي سمعَ منها عمرُ أن يبدُرَ مِن عمرَ إليها شيءٌ ، فدسَّتْ إليهِ أبياتاً : [من البسيط]

قُلْ لِلْإِمَامِ ٱلَّذِي تُخْشَىٰ بَوَادِرُهُ : مَا لِي وَلِلْخَمْرِ أَوْ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ ؟!
إِنِّي مُنِيتُ أَبَا حَفْصٍ بِغَيْرِهِمَا شُرْبِ ٱلْحَلِيبِ وَطَرْفٍ فَاتِرٍ سَاجِ
إِنَّ ٱلْهَوَىٰ زَمَّهُ ٱلتَّقْوَىٰ فَخَيَّسَهُ[1] حَتَّىٰ أُقِرَّ بِإِلْجَامٍ وَإِسْرَاجِ
لَا تَجْعَلِ ٱلظَّنَّ حَقّاً أَوْ تَيَقَّنَهُ إِنَّ ٱلسَّبِيلَ سَبِيلُ ٱلْخَائِفِ ٱلرَّاجِي

قالَ : فبكىٰ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ وقالَ : (الحمدُ للهِ الَّذي حبسَ التَّقوى الهَوىٰ) .

قالَ : وأتىٰ علىٰ نصرٍ حينٌ ، واشتدَّ علىٰ أُمِّهِ غيبةُ ابنِها عنها ، فتعرَّضَتْ لعمرَ بينَ الأذانِ والإقامةِ ، فقعدَتْ لهُ على الطَّريقِ ، فلمَّا خرجَ يُريدُ صلاةَ العصرِ . . قالَتْ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لأُجاثيَنَّكَ بينَ يدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ثمَّ لأُخاصِمَنَّكَ ؛ أيبيتُ عبدُ اللهِ وعاصمٌ إلىٰ جنبِكَ ، وبيني وبينَ ابنيَ الفيافي والمَفاوزُ والجبالُ ؟

فقالَ لها : (يا أُمَّ نصرٍ ؛ إنَّ عبدَ اللهِ وعاصماً لم تهتفْ بهِما العواتقُ في خدورِهِنَّ) ، قالَ : وانصرفَتْ ومضىٰ عمرُ إلى الصَّلاةِ .

قالَ : فأبردَ عمرُ بريداً إلى البصرةِ ، قالَ : فمكثَ بالبصرةِ أيَّاماً ، ثمَّ نادىٰ مُناديهِ : مَن أرادَ أن يكتبَ إلى المدينةِ . . فلْيكتبْ ؛ فإنَّ بريدَ المسلمينَ خارجٌ .

قالَ : فكتبَ النَّاسُ ، وكتبَ نصرُ بنُ حجَّاجٍ : سلامٌ عليكَ ، أمَّا بعدُ يا أميرَ المؤمنينَ : [من الطويل]

---

(١) خيَّسَه : ذَلَّلَه أو حبسَه .

لَعَمْرِي لَئِنْ سَيَّرْتَنِي وَحَرَمْتَنِي فَمَا نِلْتَ مِنْ عِرْضِي عَلَيْكَ حَرَامُ
أَأَنْ غَنَّتِ ٱلذَّلْفَاءُ يَوْماً بِمُنْيَةٍ وَبَعْضُ أَمَانِيِّ ٱلنِّسَاءِ غَرَامُ
ظَنَنْتَ بِيَ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ بَقَاءٌ فَمَا لِي فِي ٱلنَّدِيِّ كَلَامُ ؟!
وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَقُولُ تَكَرُّمِي وَآبَاءُ صِدْقٍ سَالِفُونَ كِرَامُ
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا وَحَالٌ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامُ
فَهَاتَانِ حَالَانَا فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعِي ؟ فَقَدْ جُبَّ مِنَّا غَارِبٌ وَسَنَامُ

فقالَ عمرُ : (أَمَّا ولي إمارةٌ . . فلا) ، وأَقْطَعَهُ مالاً بالبصرةِ وداراً[1]

٦٢٢ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا غنيمةُ بنتُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ الأصبهانيِّ بقراءتي عليها بأصبهانَ قالَتْ : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ المصريُّ ، حدَّثَني عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدِ بنِ الفرجِ ، ثنا الحسنُ بنُ القاسمِ ، ثنا الفضلُ بنُ جعفرٍ ، خبَّرَني محمَّدُ بنُ الحسينِ اللُّؤلؤيُّ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ منصورٍ الطُّوسيَّ يقولُ : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : (أوَّلُ عقوبةٍ يُعاقَبُ بها ابنُ آدمَ في الدُّنيا مفارقةُ الأحبابِ)[2]

قالَ : وأنشدَني لبشرٍ مِن قولِهِ : [من الطويل]

تَصَبَّرْتُ لَمَّا فَرَّقَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا وَعَزَّيْتُ نَفْسِي بِٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

* *

٦٢٣ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا غنيمةُ بنتُ إسماعيلَ الأصبهانيِّ بقراءتي عليها قالَتْ : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ ، أنا عبدُ العزيزِ بنُ الحسنِ بنِ إسماعيلَ

---

(١) قال أبو بكر الخرائطي : (ما كان أَنْظَرَ عمرَ بنور الله في ذات الله وأَفْرَسَهُ !! وذلك أنَّ نصر بن حجَّاج لمَّا نفاه عمر رضي الله عنه إلى البصرة . . كان يدخل على أميرها مجاشع بنِ مسعودٍ ، وكانت لمجاشع امرأةٌ حسناء ، فكان مِن نصرٍ أَنْ غازلها في حضرة مجاشع ، ثمَّ استحيا منه ، وضَنِيَ حتَّىٰ شارف الفناء) . انتهىٰ من « اعتلال القلوب » (ص ٣٩٤) بتصرُّف ، وانظر ما سيأتي ضمن الخبر (٧٩٦) .
وأخرج الخبرَ الخرائطيُّ في « اعتلال القلوب » (٨٢٦) ، والسراجُ القارئُ في « مصارع العشاق » (٢/٢٦٦ ـ ٢٦٨) ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/٢٣ ـ ٢٥) ، وابنُ الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٤٠١) .
(٢) انظر « المستطرف في كل فن مستظرف » للأبشيهي (١/٤٤٧) .

المصريُّ ، أنا أبي ، ثنا الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ ، ثنا يموتُ بنُ المنذرِ ، ثنا محمَّدُ بنُ الصَّباحِ التَّمَّارُ ، ثنا بشرُ بنُ طابخةَ ، عن رجلٍ مِن هَمْدانَ قالَ : خطبَ الحسينُ بنُ عليّ رضيَ اللهُ عنهُما غداةَ اليومِ الَّذي استُشهِدَ فيهِ ، فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، ثمَّ قالَ : (عبادَ اللهِ ؛ اتَّقوا اللهَ ، وكونوا مِنَ الدُّنيا علىٰ حذرٍ ؛ فإنَّ الدُّنيا لو بقيَتْ لأحدٍ أو بقيَ لها أحدٌ . . لَكانَتِ الأنبياءُ أحقَّ بالبقاءِ ، وأَوْلىٰ بالرِّضا ، وأرضىٰ بالقضاءِ ، غيرَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ الدُّنيا للبلاءِ ، وخلقَ أهلَها للفناءِ ، فجديدُها بالٍ ، ونعيمُها مُضمحِلٌّ ، وسُرورُها مُكفهِرٌّ ، والمنزلُ بُلْغةٌ ، والدَّارُ قُلْعةٌ [1] ، فتزوَّدوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوىٰ ، واتَّقوا اللهَ لعلَّكُم تفلحونَ) [2]

* * *

٦٢٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ الشَّاهدُ ، وذكرَ جماعةً .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي الحسنِ بنِ محمَّدٍ ، وأبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ ، وغيرِهِما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ قالوا : أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ ابنُ المُسْلِمةِ ، أنا أبو الفضلِ [عبيدُ اللهِ] [3] بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الزُّهريُّ ، ثنا أبو بكرٍ جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ المستفاضِ ، ثنا أبو بكرٍ وعثمانُ ابنا أبي شيبةَ قالا : ثنا وكيعُ بنُ الجرَّاحِ ، عنِ الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ ، عن حذيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (المنافقونَ الَّذينَ فيكُمُ اليومَ شرٌّ مِنَ المنافقينَ الَّذينَ كانوا علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

قالَ : فقلْنا : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ وكيفَ ذاكَ ؟

قالَ : (إنَّ أولٰئكَ كانوا يُسِرُّونَ نفاقَهُم ، وإنَّ هٰؤلاءِ يُعلِنونَ) [4]

---

(١) قُلْعة : عاريَّة .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٨/١٤) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢٥٨٦/٦ ـ ٢٥٨٧) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣٦/٢٧) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (١٧٧) .

(٤) أخرجه وكيع بن الجراح في « الزهد » (٤٧٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٥٥١) ، والفريابي في « صفة النفاق وذم المنافقين » (ص٥٦) ، وأبو بكر الخلال في « السنة » (١٦٤٣) ، وابن بطة في « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية » (٩١١) .

فائدة

[في بيانِ حقِّ العالِمِ]

٦٢٥ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا فاطمةُ بنتُ أبي حكيمٍ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الشَّافعيِّ بقراءتي عليها قالَتْ : أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ الشُّروطيُّ إجازةً قالَ : ثنا القاضي أبو الفرجِ المُعافى بنُ زكريَّا الجَرِيريُّ [١] قال : ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ ابنِ بشَّارٍ الأنباريُّ ، ثنا أبي ، ثنا أحمدُ بنُ عبيدٍ ، أنا ابنُ الأعرابيِّ ، وسهلُ بنُ هارونَ قالا : قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (مِن حقِّ العالِمِ ألَّا تُكثِرَ عليهِ السُّؤالَ ، ولا تُعنِتَهُ في الجوابِ ، ولا تُلِحَّ عليهِ إذا كَسِلَ ، ولا تأخذَ بثوبِهِ إذا نهضَ ، ولا تُفشيَ لهُ سرّاً ، ولا تغتابَ عندَهُ أحداً .

وأن تجلسَ أمامَهُ ، وإذا أتيتَهُ . . خصصتَهُ بالتَّحيَّةِ وسلَّمتَ على القومِ عامَّةً ، وأن تحفظَ سرَّهُ ومغيبَهُ ما حفظَ أمرَ اللهِ تعالىٰ .

فإنَّما العالِمُ بمنزلةِ النَّخلةِ ؛ تنتظرُ متىٰ يسقطُ عليكَ منها شيءٌ .

والعالِمُ أفضلُ مِنَ الصَّائمِ القائمِ الغازي في سبيلِ اللهِ .

وإذا ماتَ العالِمُ . . شيَّعَهُ سبعةٌ وسبعونَ ألفاً مِن مُقرَّبي السَّماءِ ، وإذا ماتَ العالِمُ . . انثلمَ بموتِهِ في الإسلامِ ثُلْمةٌ لا تُسَدُّ إلىٰ يومِ القيامةِ) [٢]

حكاية

[خطبةُ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ في فتحِ إفريقيةَ]

٦٢٦ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا فاطمةُ بنتُ أبي حكيمٍ الخَبْريِّ قالَتْ : أنا أبو منصورٍ عليُّ بنُ الحسنِ الكاتبُ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الخالديُّ ، أنا أبو محمَّدٍ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ المُغيرةِ الجَوْهَريُّ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ سعيدٍ الدِّمشقيُّ ، ثنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، حدَّثَني عبيدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ عتيقِ بنِ عامرِ بنِ

---

(١) **الجَرِيري** ـ بفتحٍ فكسرٍ ـ : كذا الصواب ، نسبةً إلىٰ مذهب ابن جَرِير الطَّبَري ، وضبطت في (أ ، ب ، ج) : (الجُريري) بضم الجيم ، وانظر التعليق رقم (٢) فيما تقدم (ص ٣٢٩) .

(٢) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٣/٧٧ ـ ٧٨) ، والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (٨٥٦) .

عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ ، عن محمَّدِ بنِ معنٍ الغِفاريِّ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ قالَ : لمَّا قدمَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ بفتحِ إفريقيةَ علىٰ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُم فأخبرَهُ الخبرَ . . قالَ لهُ عثمانُ : (يا بُنَيَّ ؛ تكلَّمْ بهٰذا للنَّاسِ) ، فقالَ لهُ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ : (نعم يا أميرَ المؤمنينَ ، أنا لكَ أهيبُ منِّي لهُم) .

فلمَّا أصبحَ . . أمرَ عثمانُ بالنَّاسِ فجُمِعوا ، فصعدَ المنبرَ ، فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، ثمَّ قالَ : (أمَّا بعدُ : أيُّها النَّاسُ ؛ فإنَّ اللهَ قد فتحَ عليكُم إفريقيةَ ، وهٰذا عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ يُخبِرُكُم بخبرِها إن شاءَ اللهُ) ، ثمَّ جلسَ على المنبرِ .

فقامَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ إلىٰ جانبِ المنبرِ ـ وكانَ أوَّلَ منَ قامَ إلىٰ جانبِهِ ـ فقالَ : (الحَمْدُ للهِ الَّذي ألَّفَ بينَنا بعدَ الفُرْقةِ ، وجعلَنا مُتحابِّينَ بعدَ البِغْضةِ ، والحَمْدُ للهِ الَّذي لا تُجحَدُ نعماؤُهُ ، ولا يزولُ ملكُهُ ، لهُ الحَمْدُ كما حمدَ نفسَهُ ، وكما هوَ أهلُهُ .

ابتعثَ محمَّداً فاختارَهُ بعلمِهِ ، وانتخبَهُ لوحيِهِ ، فاختارَ لهُ مِنَ النَّاسِ أعواناً ، قذفَ في قلوبِهِم تصديقَهُ ، فآمنوا بهِ ، وعزَّروهُ ووقَّروهُ ونصروهُ ، وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِهِ ، واستشهدَ اللهُ منهُم مَنِ استشهدَ ، على المنهاجِ الواضحِ ، والبيعِ الرَّابحِ ، وبقيَ منهُم مَن بقيَ ، لا تأخذُهُم في اللهِ لومةُ لائمٍ .

أيُّها النَّاسُ رحمَكُم اللهُ ؛ إنَّا قد خرجْنا للوجهِ الَّذي قد علمتُم ، فكنَّا معَ والٍ بُلِيَ فحُمِدَ ، وقسمَ فعدلَ ، ولم يفقدْ مِن أميرِ المؤمنينَ شيئاً ، كانَ يَسيرُ بنا البَرْدَينِ[1] ، ويخفضُ بنا في الظَّهائرِ ، ويتَّخذُ اللَّيلَ جَمَلاً[2] ، يُعجِّلُ التَّرحُّلَ مِنَ المنزلِ القَفرِ ، ويُطيلُ اللَّباثَ في المنزلِ الخصبِ الرَّحبِ .

فلم نزلْ علىٰ أحسنِ حالةٍ يتعرَّفُها قومٌ مِن ربِّهِم حتَّى انتهيْنا إلىٰ إفريقيةَ ، فنزلَ منها بحيثُ يسمعونَ صهيلَ الخيلِ ، ورُغاءَ الإبلِ ، وقعقعةَ السِّلاحِ ، فأقامَ أيَّاماً يُجِمُّ كُراعَهُ[3] ، ويُصلِحُ سلاحَهُ .

ثمَّ دعاهُم إلى الإسلامِ والدُّخولِ فيهِ ، فأبعدوا منهُ ، وسألَهُمُ الجزيةَ والصُّلحَ ، فكانَتْ

---

(١) البَرْدان : الغداة والعشيُّ ، أو الظِّلُّ والفَيء فيهما .

(٢) اتَّخذ اللَّيلَ جَمَلاً : مَثَلٌ يُضرب لمن يجعل لعمله ليلَه كلَّه .

(٣) الكُراع : اسم يجمع الخيل ، ويُجِمُّ : يترك ركوبه ؛ طلباً للرَّاحة .

هٰذهِ أبعدَ ، وأقامَ عليهِم ثلاثةَ عشرَ ليلةً[١] ، يتأنَّاهُم وتختلفُ رسلُهُ إليهِم .

فلمَّا يَئِسَ منهُم . . قامَ خطيباً ، فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، ثمَّ ذكرَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأكثرَ الصَّلاةَ عليهِ ، وذكرَ فضلَ الجهادِ وما لصاحبِهِ إذا صبرَ واحتسبَ ، ثمَّ نَهَدَ إلىٰ عدوِّهِ ، فقاتَلهُم أشدَّ قتالٍ يومَهُ ذٰلكَ ، وصبرَ فيهِ الفريقانِ جميعاً ، وكانَتْ بينَنا وبينَهُم قتلىٰ كثيرةٌ ، استشهدَ اللهُ رجالاً مِنَ المسلمينَ ، فبتْنا وباتوا ؛ للمسلمينَ دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحلِ ، وباتَ المشركونَ في ملاهيهِم وخمرِهِم .

فلمَّا أصبحْنا . . أخذْنا مَصافَّنا الَّذي كنَّا عليهِ بالأمسِ ، وزحفَ بعضُنا إلىٰ بعضٍ ، فأُفرِغَ علينا الصَّبرُ ، ثمَّ أُنزِلَ علينا النَّصرُ ، ففتحْناها مِن آخرِ النَّهارِ ، فأصبْنا غنائمَ كثيرةً ، فبلغَ فيها الخُمسُ خَمسَ مئةِ ألفِ دينارٍ ، وتركتُ المسلمينَ قريرةً أعينُهُم ، قد أغناهُمُ النَّفَلُ[٢] ، ووَسِعَهُمُ الحقُّ .

وأنا رسولُهُم إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ، أُبشِّرُهُ وإيَّاكُم بما فتحَ اللهُ مِنَ البلادِ ، وأذلَّ مِنَ الشِّركِ ؛ فاحمَدوهُ علىٰ بلائِهِ ، وما أَحَلَّ بأعدائِهِ ، مِن بأسِهِ الَّذي لا يُرَدُّ عنِ القومِ المجرمينَ) ، ثمَّ صمتَ .

فنهضَ إليهِ الزُّبيرُ فقبَّلَ بينَ عينَيهِ ، وقالَ : (واللهِ ؛ ما زلتَ تتكلَّمُ بلسانِ أبي بكرٍ حتَّىٰ صمتَّ !!) ، وعجبَ النَّاسُ مِن بلاغةِ ابنِ الزُّبيرِ[٣] .

وكانَ أميرُ الجيشِ عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ العامريَّ[٤] .

نكتة

[في التماسِ الأعذارِ للإخوانِ]

٦٢٧ ـ وبهِ قالَ : أخبرَتْنا المُبارَكةُ بنتُ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ منصورٍ الكَرْخيِّ بقراءتي عليها قالَتْ : أنا أبو الحسينِ عاصمُ بنُ الحسنِ العاصميُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْرانَ السُّكَّريُّ ، أنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ بنِ

---

(١) كذا في (أ) ، وفي (ب ، ج) : (ثلاثة عشرة) ، وفي مصادر التخريج : (ثلاث عشرة) ، وهو الأصوب .

(٢) النَّفَل : الغنيمة .

(٣) انظر « العقد الفريد » (٤/١٠٨ ـ ١٠٩) ، و« الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء » لأبي الربيع الكلاعي (٤/٥٣ ـ ٥٤) .

(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (٣/٣٣) .

إسحاقَ البَرْذَعيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ القرشيُّ ، حدَّثني إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ النُّعمانِ المَوْصِليُّ ، عن مُبارَكِ بنِ فضالةَ ، عن حميدِ بنِ هلالٍ ، عن أبي قلابةَ قالَ : (التمسْ لأخيكَ العذرَ جَهْدَكَ ، فإن لم تجدْ لهُ عذراً . . فقلْ : لعلَّ لأخي عذراً لا أعلمُهُ)[١]

* * *

٦٢٨ ـ وبهِ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عبيدٍ ـ وهوَ ابنُ أبي الدُّنيا ـ قالَ : ثنا المُفضَّلُ بنُ غَسَّانَ ، ثنا مصعبُ بنُ عبدِ اللهِ ، حدَّثني عبدُ العزيزِ بنُ أبي حازمٍ ، عن هشامِ بنِ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ : أنَّ لقمانَ قالَ لابنِهِ : (كذبَ مَن قالَ : الشَّرُّ يُطفِئُ الشَّرَّ ؛ فإن كانَ صادقاً . . فَلْيُوقِدْ ناراً عندَ نارٍ ، ثمَّ لينظرْ هل تُطفِئُ إحداهُما الأُخرىٰ ، وإلَّا . . فإنَّ الخيرَ يُطفِئُ الشَّرَّ ؛ كما يُطفِئُ الماءُ النَّارَ)[٢]

* * *

٦٢٩ ـ وبهِ إلى ابنِ أبي الدُّنيا قالَ : ثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ الهَرَويُّ ، ثنا أبو معاويةَ ، عن أبي إسحاقَ الحُمَيْسيِّ ، عن يونسَ ، عنِ الحسنِ قالَ : (التَّودُّدُ إلى النَّاسِ نصفُ العيشِ)[٣]

نُكْتَةٌ

[في حالِهِم في اللَّيلِ والنَّهارِ]

٦٣٠ ـ وبهِ إلى ابنِ أبي الدُّنيا قالَ : حدَّثني سريجُ بنُ يونسَ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عنِ الأَوْزاعيِّ : أنَّهُ سمعَ بلالَ بنَ سعدٍ يقولُ : (كانوا يشتدُّونَ بينَ الأغراضِ ، ويضحكُ بعضُهُم إلىٰ بعضٍ ، فإذا جاءَ اللَّيلُ . . كانوا رهباناً)[٤]

حِكَايَةٌ

[بمثلِ هٰذا الصَّبرِ نالوا ما نالوا]

٦٣١ ـ وكتبَ إليَّ مِن بغدادَ أبو الفرجِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ بنِ محمَّدِ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٤٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٢٨٥) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (١٤١) ، وانظر « أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٥٥٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٤٤) ، وفيه : (نصفُ العقلِ) .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٧٤) ، وفي هامش (أ ، ب ، ج) : (آخر المنتقىٰ من « ذيل السَّمْعانيّ ») .

ابنُ المُكبّرِ المُقرِئُ شيخُ المُستنصِريَّةِ ، عنِ ابنِ سُكَينةَ عبدِ الوهَّابِ بنِ الأمينِ .

وأجازَ لي غيرُ واحدٍ مِن مشايخي منهُم أبو الفضلِ أحمدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنُ عساكرَ الدِّمشقيُّ قالوا : أنبأَنا أبو الحسنِ المُؤيَّدُ بنُ محمَّدٍ الطُّوسيُّ .

وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ زيدِ بنِ الحسنِ ، وعبدِ الصَّمدِ ابنِ الحرستانيّ ، وغيرِهِما قالوا : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أبي طاهرٍ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ إجازةً ، عن أبي محمَّدٍ الحسنِ بنِ عليّ الجَوْهَريّ قالَ : أنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ محمَّدٍ ابنُ حَيُّويهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ قالَ : أنا عبدُ اللهِ بنُ شبيبٍ قالَ : أنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ سلَّامٍ قالَ : حدَّثَني رجلٌ مِن قريشٍ ، عن خالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْريّ أخبرَهُ : أنَّهُ خرجَ يوماً يتصيَّدُ وهوَ أميرُ العراقِ ، وقد تفرَّدَ مِن أصحابِهِ ، فإذا هوَ بأعرابيّ علىٰ أتانٍ هزيلٍ ، ومعَهُ عجوزٌ لهُ ، فقالَ لهُ : ممَّنِ الرَّجلُ ؟ قالَ : مِن أهلِ المآثرِ والحَسَبِ .

قالَ : فأنتَ إذاً مِن مضرَ ، فمِن أيِّها أنتَ ؟ قالَ : مِنَ المُطاعِنينَ على الخيولِ ، والمُعانِقينَ عندَ النُّزولِ .

قالَ : فأنتَ إذاً مِن عامرٍ ، فمِن أيِّها أنتَ ؟ قالَ : مِنَ الطَّالبينَ الثَّأرَ ، والمانعينَ الجارَ .

قالَ : فأنتَ إذاً مِن كلابٍ ، فمِن أيِّها أنتَ ؟ قالَ : مِن أهلِ الوِفادةِ والرِّياسةِ .

قالَ : فأنتَ إذاً مِن جعفرٍ ، فمِن أيِّها أنتَ ؟ قالَ : مِن بدورِها وشموسِها ، وليوثِها في خِيسِها (١)

قالَ : فأنتَ إذاً مِن [الحُوصِ] (٢) ، فما أَقْدَمَكَ هٰذهِ البلادَ ؟ قالَ : تتابُعُ السِّنينَ وقلَّةُ رِفْدِ الرَّافدينَ (٣)

قالَ : فمَن أردتَ بها ؟ قالَ : هٰذا الَّذي رفعَتْهُ إمرتُهُ ، وحطَّتْهُ أسرتُهُ .

قالَ : فما أردتَ منهُ ؟ قالَ : كثرةَ دراهمِهِ لا كرمَ آبائِهِ .

قالَ : ما أراكَ إلَّا قد قلتَ فيهِ شِعراً ، قالَ : فقالَ لامرأتِهِ : أَنشِديه .

---

(١) **الخِيس** : موضع الأسد .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحرض) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، **والحُوص** : آلُ ربيعة بن جعفر بن كلاب ، الملقَّب بالأحوص ؛ لصغر عينيه . وانظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم (ص ٢٨٤) .

(٣) **الرِّفْد** : العطاء والصِّلة .

فقالَتْ : كم تُجَشِّمُنا مدحَ اللَّئيمِ منذ اليومِ !! إنَّ مدحَ اللَّئيمِ ذُلٌّ .

قالَ : فأَنشِديهِ ، فقالَتْ [1] : [من الطويل]

إِلَيْكَ ٱبْنَ عَبْدِ ٱللهِ بِٱلْحَمْدِ أَرْقَلَتْ ... بِنَا ٱلْبِيدَ عِيسٌ كَٱلْقِسِيِّ سَوَاهِمُ

عَلَيْهَا كِرَامٌ مِنْ ذُؤَابَةِ عَامِرٍ ... أَضَرَّ بِهِمْ جَذْبُ ٱلسِّنِينَ ٱلْعَوَارِمُ

يُرِدْنَ ٱمْرَأً يُعْطِي عَلَى ٱلْحَمْدِ مَالَهُ ... وَهَانَتْ عَلَيْهِ فِي ٱلثَّنَاءِ ٱلدَّرَاهِمُ

فَإِنْ يُعْطِ مَا نَهْوَىٰ فَهَـٰذَا ثَنَاؤُنَا ... وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ فَمَا ثَمَّ لَائِمُ

فقالَ لهُ خالدٌ : يا عبدَ اللهِ ؛ ما أعجبَكَ وشِعرَكَ !! جئتَ علىٰ أتانٍ هزيلٍ ، وتزعمُ أنَّكَ جئتَ علىٰ عيسٍ !! فقد ذكرتَ الرَّجلَ في شِعرِكَ بخلافِ ما ذكرتَهُ بهِ في كلامِكَ .

فقالَ : يا بنَ أخي ؛ ما تجشَّمْناهُ مِن مدحِ اللَّئيمِ كانَ أشدَّ مِنَ الكذبِ في شِعرِنا .

فقالَ لهُ خالدٌ : أتعرفُ خالداً ؟ قالَ : لا ، فقالَ خالدٌ : فأنا خالدٌ ، وإنِّي مُعطيكَ غيرُ مُكافيكَ .

فقالَ : يا أُمَّ جحشٍ ؛ اصرفي وجهَ أتانِكِ ، فقالَ لهُ خالدٌ : لا تفعلْ وأَقِمْ ؛ فإنِّي مُحسِنٌ إليكَ .

فقالَ : لا واللهِ ؛ لا رَزَأْتُ امرأً درهماً أسمعتُهُ ما يكرهُ ، وضربَ وجهَ أتانِهِ ومضىٰ .

فقالَ خالدٌ : بمثلِ هـٰذا الصَّبرِ [وأمثالِهِ] نالَ هـٰذا وآباؤُهُ ما نالوا [2]

* * *

٦٣٢ ـ وأنبأَني غيرُ واحدٍ ، عن أبي الحسنِ ابنِ المُقيَّرِ ، عن أبي المعالي الفضلِ بنِ سهلِ بنِ بشرٍ الإِسْفَرايِنيِّ قالَ : أنا والدي ، أنا القاضي أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عيسى بنِ عبدِ اللهِ السَّعْديُّ بمصرَ ، أنا أبي ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المُفيدُ ، ثنا أبو إسحاقَ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ وزيرُ المُتَّقي للهِ ، ثنا عمِّي ، عنِ العُتْبيِّ ، عن أبيهِ قالَ : قالَ سفيانُ بنُ عمرِو بنِ عُتبةَ : لمَّا بلغتُ خمسَ عشرةَ سنةً . .

---

(١) عُنْوِنَ ها هنا في هامش (ج) بـ : (فائدة) .

(٢) أخرجه الزبير بن بكار في « الأخبار الموفقيات » (٢٦) ، وانظر « جمل من أنساب الأشراف » للبلاذري (٩/٦٥ ـ ٦٦) .

دعاني أبي فقالَ لي : يا سفيانُ ؛ انقطعَتْ عنكَ شرائعُ الصِّبا ؛ فاختلطْ بالخيرِ . . تكنْ مِن أهلِهِ ، ولا تُزايِلْهُ فتَبِينَ منهُ كلَّهُ .

ولا يغرَّنَّكَ مَنِ اغترَّ باللهِ فيكَ ، فمَدَحَكَ بما تعلمُ خلافَهُ مِن نفسِكَ ؛ فإنَّهُ ليسَ أحدٌ يقولُ في أحدٍ مِنَ الخيرِ ما لا يعلمُهُ إذا رضيَ . . إلَّا قالَ فيهِ مِنَ الشَّرِّ ما لا يعلمُهُ إذا سخطَ .

واستأنِسْ بالوَحْدةِ مِن جُلَساءِ السُّوءِ ، ولا تنقلْ حسنَ ظنِّي فيكَ إلىٰ غيرِهِ .

قالَ سفيانُ : فصيَّرتُ كلامَ أبي قِبْلةً ، أميلُ معَها ولا أميلُ عنها ، وإنَّما يسعَدُ بالعلماءِ مَن أطاعَهُم [1]

* * *

---

(١) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢/٢٤٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦/٢٧٦ ـ ٢٧٧) .

فَائِدَةٌ (١)

[في قولِ : (لا إلهَ إلَّا اللهُ) مئةَ مرَّةٍ]

٦٣٣ - وأنبأَني غيرُ واحدٍ مِن مشايخي منهُمُ الحافظُ جمالُ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الظَّاهريُّ ، عنِ الحافظِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ محاسنَ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا القاضي أبو القاسمِ سعيدُ بنُ محمَّدٍ الهَمَذانيُّ : أنَّ أبا السُّعودِ أحمدَ بنَ عليٍّ ابنَ المُجْلي أخبرَهُ قالَ : أنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ العزيزِ العُكْبَريُّ ، ثنا أبو الفضلِ العبَّاسُ بنُ أحمدَ بنِ العبَّاسِ قراءةً عليهِ بعُكْبَرا ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ جعفرٍ الجَوْهَريُّ إملاءً بعُكْبَرا ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عامرٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ زكريَّا ، ثنا أحمدُ بنُ عيسى بنِ زيدِ بنِ عليِّ بنِ حسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، عنِ الحسينِ بنِ زيدٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ حسنٍ ، عن زيدِ بنِ عليٍّ ، عن أبيهِ قالَ : (مَن قالَ كلَّ يومٍ مئةَ مرَّةٍ : « لا إلهَ إلَّا اللهُ ، [الملكُ] الحقُّ المبينُ » . . كانَ لهُ أمانٌ مِنَ الفقرِ ، وأنسٌ مِن وَحْشةِ القبرِ ، واستجلبَ الغنىٰ ، واستقرعَ بابَ الجنَّةِ) (٢)

* * *

٦٣٤ - وأنبأَني غيرُ واحدٍ تقدَّمَ ذِكْرُهُم ، عن أبي اليُمنِ زيدِ بنِ الحسنِ الكِنْديِّ النَّحْويِّ ، وغيرِهِ قالوا : أنبأَنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ الحافظُ قالَ : سمعتُ أبا الفضلِ (٣) ابنَ الجَلَخْتِ (٤) يقولُ : سمعتُ القاضيَ أبا تمَّامٍ عليَّ بنَ محمَّدِ بنِ الحسنِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ القُدُوريَّ والدَ أبي الحسينِ يقولُ : رأيتُ الشِّبْليَّ في الجامعِ ، وقد كثُرَ النَّاسُ عليهِ في الرِّواقِ الوسطانيِّ ، وهوَ يقولُ : رحمَ اللهُ عبداً ورحمَ والدَيهِ ، دعا لرجلٍ كانَتْ لهُ بضاعةٌ ، وقد فقدَها ، وهوَ يسألُ اللهَ تعالىٰ أن يردَّها عليهِ ، والنَّاسُ صموتٌ .

فخرقَ الحَلْقةَ غلامٌ حَدَثٌ ، وقالَ لهُ : مَن هوَ صاحبُ البضاعةِ ؟ قالَ : أنا ، قالَ : فأيشٍ

---

(١) من هنا كتب من « تاريخ ابن النَّجَّار » . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) ، أي : من الخبر (٦٣٣) إلىٰ (٩٦٣) .
(٢) ذكره الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٥٣٠/٢) عن زين العابدين رحمه الله مقطوعاً .
(٣) كذا في (أ ، ب ، ج) ، موافقاً لما في « الأنساب » (٧٣/٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٢٢/٢٧) ، وهو في « ذيل تاريخ مدينة السلام » لابن الدبيثي (٩٤/٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٧١/٣٣) ، وغيرهما : (أبو المفضل) .
(٤) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

كانَتْ بضاعتُكَ ؟ قالَ : الصَّبرَ ، وقد فقدتُهُ ، فبكى النَّاسُ بكاءً عظيماً [١]

نُكْتَةٌ

[في مُحتضَرِ الإمامِ أبي بكرٍ الشَّاشيِّ]

٦٣٥ ـ وأجازَ لي أبو [. . .] [٢] قالَ : أنبأَني أبو القاسمِ الحسينُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ محفوظٍ التَّغلبيُّ : أنَّ يوسفَ بنَ محمَّدِ بنِ مُقلِّدٍ الدِّمشقيَّ أخبرَهُ قالَ : حدَّثَني الشَّيخُ الزَّاهدُ أبو الخيرِ سعدُ بنُ عليٍّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ القُرْطُبيُّ الفقيهُ قالَ : حضرتُ عندَ الإمامِ أبي بكرٍ الشَّاشيِّ [٣] وقد أُغمِيَ عليهِ في مرضِهِ ، فلمَّا أفاقَ . . أحضروا لهُ ماءً ليشربَهُ ، فقالَ : لا أحتاجُ ؛ قد سقانيَ الآنَ مَلَكٌ شربةً أغنَتْني عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ ، ثمَّ ماتَ مِن ساعتِهِ [٤]

٦٣٦ ـ وكتبَ إليَّ مِن بغدادَ أبو الفرجِ عبدُ الرَّحمـٰنِ ابنُ وَرِّيدةَ ، عن أبي أحمدَ الأمينِ : أنَّ عليَّ بنَ أحمدَ اليَزْديَّ أخبرَهُ قالَ : سمعتُ الشَّيخَ العالمَ الزَّاهدَ أبا العزِّ الواعظَ يقولُ : (كنتُ مُشرِفاً علىٰ غسلِ الشَّيخِ أبي بكرٍ الشَّاشيِّ ، فقلبَ الغاسلُ عليهِ الماءَ ، فانكشفَتِ الخِرْقةُ عن عورتِهِ ، فوضعَ يدَهُ علىٰ عورتِهِ وسترَها !!) [٥]

نُكْتَةٌ

[في طلبِ العزِّ]

٦٣٧ ـ وأنبأَنيَ الشَّيخُ أبو العبَّاسِ الظَّاهريُّ ، وغيرُهُ ، عن أبي عبدِ اللهِ ابنِ النَّجَّارِ المُؤرِّخِ قالَ : أنا أبو البقاءِ الخفَّافُ ، أنا عمرُ بنُ ظفرٍ المَغازِليُّ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ النَّجَّارَ الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ الزَّوْزَنيَّ الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ

---

(١) انظر « طبقات الأولياء » لابن الملقن (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

(٢) في (أ ، ب ، ج) : بياض بمقدار أربع كلمات ، وكُتب موضعَها في (ج) : (كذا) .

(٣) مولد أبي بكر محمَّد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشَّاشيِّ يوم الأحد سابع محرَّم سنة تسع وعشرين وأربع مئة ، وتوفِّي ليلة السَّبت خامس عشرين شوَّال سنة سبع وخمس مئة ، ودفن من الغد بتربة الشَّيخ أبي إسحاق الشِّيرازيِّ . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٤) أخرجه ابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/٦) .

(٥) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٧١/٦) .

السِّيرَوانيَّ بمكَّةَ يقولُ : سمعتُ الجُنَيدَ يقولُ : (مَن طلبَ عِزّاً بباطلٍ . . أورثَهُ اللهُ تعالىٰ ذُلّاً بحقٍّ)[1]

نُكْتَةٌ

[في مآلِ مَن قالَ بخَلْقِ القرآنِ]

٦٣٨ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ قالَ : أنبأَنا نصرُ بنُ عليٍّ الحافظُ ، ومكِّيُّ بنُ عبدِ اللهِ الحنبليُّ ، وأحمدُ بنُ يحيى الخازنُ قالوا : أنا هبةُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ السَّمَرْقَنْديُّ ، أنا أبو سهلٍ غانمُ بنُ أحمدَ الحَدَّادُ ، أنا أحمدُ بنُ الفضلِ الباطِرْقانيُّ[2] ، ثنا عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ الشَّاهدُ ، ثنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ ذريحٍ العُكْبَريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ المُثنَّىٰ قالَ : كانَ لنا جارٌ قريبُ الجوارِ ، وكانَ ضريراً مُعلِّماً مِنَ القرَّاءِ ، بلغني أنَّهُ قالَ : إن لم يكنِ القرآنُ مخلوقاً . . فمحا اللهُ كلَّ آيةٍ مِن صدرِهِ .

فحدَّثَني جارٌ لنا ثقةٌ ـ يُقالُ لهُ : محمَّدُ بنُ محمَّدٍ أبو هاشمٍ ـ قالَ : أتيتُهُ فقلتُ لهُ : بلغَني كذا وكذا ، فهل تحفظُ مِنَ القرآنِ شيئاً ؟ قالَ : لا واللهِ ، قد كنتُ أُقرِئُ النَّاسَ .

قالَ : قلتُ : فهل تحفظُ (قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ؟ قالَ : لا واللهِ ، وإن قرأَها إنسانٌ بينَ يدَيَّ فأخطأَ . . عرفتُ ذٰلكَ ، فأمَّا أن ألفظَ بهِ . . فلا .

قالَ أبو موسىٰ[3] : فواللهِ ؛ إنَّ في هٰذا لَمُتَّعَظاً[4]

فَائِدَةٌ

[مِن دعاءِ الجُنَيدِ رحمَهُ اللهُ]

٦٣٩ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ محمودٍ أيضاً قالَ : أنا إسماعيلُ بنُ عليٍّ القَطَّانُ ، أنا أبو غالبٍ ابنُ البَنَّاءِ ، أنا القاضي أبو عبدِ اللهِ ابنُ شاذه ، أنا أبو سعدٍ المالينيُّ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ يوسفَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ الجُنَيدَ يقولُ إذا سألَهُ رجلٌ أن يدعوَ لهُ :

---

(١) انظر « طبقات الأولياء » لابن الملقن (ص ١٢٧) .

(٢) الباطِرْقاني : نسبة إلىٰ (باطِرْقان) ، وهي إحدىٰ قرىٰ أصبهان . « معجم البلدان » (١/ ٣٢٤) .

(٣) يعني : محمَّد بن المُثنَّى ، العَنَزيَّ الزَّمِن ، المُتقدِّم ذِكْرُه .

(٤) أخرجه الآجري في « الشريعة » (١٩٥) ، وابن بطة في « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية » (٢٣٩١) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٣٤٦) .

(جمعَ اللهُ همَّكَ ، ولا شتَّتَ سرَّكَ ، وقطعَكَ عن كلِّ قاطعٍ يقطعُكَ عنهُ ، ووصلَكَ إلىٰ كلِّ واصلٍ يُوصِلُكَ إليهِ ، وجعلَ غِناهُ في قلبِكَ ، وشَغَلَكَ بهِ عمَّن سِواهُ ، ورزَقَكَ أدباً يصلحُ لمجالستِهِ ، وأخرجَ مِن قلبِكَ ما لا يرضىٰ ، وأسكنَ في قلبِكَ رضاهُ ، ودلَّكَ عليهِ مِن أقربِ الطُّرقِ)[1]

حكاية

[حسنُ احتسابِ ذي النُّونِ]

٦٤٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي ترابٍ ، أنا أحمدُ بنُ الحسنِ ابنُ البَنَّاءِ ، أنا القاضي أبو عبدِ اللهِ الأصبهانيُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ المالينيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الرَّازيُّ ، ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ السَّرْخَسيُّ بمكَّةَ قالَ : سمعتُ ذا النُّونِ يقولُ وفي يدِهِ الغُلُّ ، وفي رجلَيهِ القيدُ ، وهوَ يُساقُ إلى المُطبِقِ ، والنَّاسُ يبكونَ حولَهُ ، وهوَ يقولُ[2] : [من الخفيف]

لَكَ مِنْ قَلْبِيَ ٱلْمَكَانُ ٱلْمَصُونُ ... كُلُّ لَوْمٍ عَلَيَّ فِيكَ يَهُونُ

لَكَ عَزْمٌ بِأَنْ أَكُونَ قَتِيلاً ... فِيكَ فَٱلصَّبْرُ عَنْكَ مَا لَا يَكُونُ[3]

حكاية

[يا ربِّ ؛ أنا جائعٌ]

٦٤١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا إبراهيمُ بنُ عثمانَ بنِ يوسفَ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنُ النَّقُّورِ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ ، أنا [عبدُ العزيزِ][4] بنُ عليٍّ الأَزَجيُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ جَهْضَمٍ ، ثنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ ، أخبرَني خاليَ ابنُ أبي شعيبٍ العطَّافيُّ صاحبُ المأمونِ قالَ : حدَّثَني أبو طالبٍ السَّبِيعيُّ قالَ : كنتُ نائماً ذاتَ ليلةٍ في قصري مُتحصِّناً مِنَ السَّبُعِ ، حتَّىٰ سمعتُ زئيرَهُ ، فاطَّلعتُ فإذا هوَ

---

(١) أخرجه الماليني في « الأربعين في شيوخ الصوفية » (ص ٢٢٧) ، والرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٣٨٥/٢) ، وقد تقدم ضمن الخبر (٢٨٣) .

(٢) في مصادر التخريج : (وهوَ يقولُ : هٰذا مِن مواهبِ اللهِ ومِن عطاياهُ ، وكلُّ فعالِهِ عذبٌ حسنٌ طيِّبٌ ، ثمَّ أنشدَ) .

(٣) أخرجه المالیني في « الأربعين في شيوخ الصوفية » (ص ١٦٤ ـ ١٦٥) ، وانظر « وفيات الأعيان » (٣١٦/١) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (٢٥٠/٨) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٣/١١) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الواحد) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (١٨/١٨) ، وقد تقدم ضمن الخبر (٥٠٠) .

يقفِزُ قفزاتٍ يطلبُ السَّطحَ ، ثمَّ عجزَ عن ذٰلكَ ، فطافَ فلم يظفرْ بشيءٍ .

قالَ : فرأيتُهُ قد أَقْعىٰ ، ثمَّ أطرقَ كالرَّجلِ الذَّليلِ المُتخشِّعِ ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ إلى السَّماءِ ، فصاحَ بلسانٍ فصيحٍ : يا ربِّ ؛ أنا جائعٌ ، يا ربِّ ؛ أنا جائعٌ !!

قالَ العطَّافيُّ : قالَ أبو طالبٍ : فبعيشِ مَن أتوالاهُ ؛ لقد سمعتُ قائلاً يقولُ لهُ ـ أَسْمَعُ القولَ ولا أرى الشَّخصَ ـ : اذهبْ إلىٰ غنمِ فلانٍ الرَّاعي ، فخُذْ منها شاةً ؛ فإنَّها رزقُكَ ، وفلانٌ هوَ أكَّاريَّ (١)

ثمَّ غابَ عنِّيَ السَّبُعُ ، فطالَ عليَّ اللَّيلُ حتَّىٰ أصبحتُ ، فدعوتُ أكَّاريَّ ، فقلتُ لهُ : كم أدخلتَ البارحةَ مِنَ الغنمِ ؟ قالَ : أربعينَ شاةً ، قلتُ لهُ : ارجعْ فعُدَّها ، فجاءَ وهوَ يبكي ، فقلتُ : ما لكَ ؟ قالَ : فقدتُ منها شاةً وبابي مُغلَقٌ !! قلتُ : ارجعْ إلىٰ عملِكَ فلا بأسَ عليكَ ؛ فإنِّي قد عرفتُ مَن أخذَها .

حكاية

[وهل عاقلٌ يتمنَّىٰ أن يكونَ خليفةً ؟!]

٦٤٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا الشَّريفُ أبو البركاتِ عمرُ بنُ أحمدَ العلويُّ ، وأبو المعالي أحمدُ بنُ يحيى الأَزَجيُّ ، وأبو محمَّدٍ عبدُ الحقِ بنُ أبي شجاعٍ المُقرِئُ قالوا : ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنُ المادحِ ، أنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ الزَّينبيُّ ، أنا أبو سهلٍ محمودُ بنُ عمرَ العُكْبَريُّ ، ثنا أبو طالبٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ العُكْبَريُّ ، ثنا عبدُ الوهَّابِ بنُ [عمرٍو] (٢) العُكبَريُّ ، حدَّثَني أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ السَّقَطيُّ ، حدَّثَني عمرُ بنُ محمَّدٍ النَّسائيُّ ، حدَّثَنيَ العبَّاسُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الأنصاريُّ ، حدَّثَني أبي ، عن أبيهِ قالَ : كانَ لنا جارٌ يُقالُ لهُ : فُلَيتةُ ، وكانَ معتوهاً ، فقلتُ لهُ يوماً : فُلَيتُ ؛ يَسُرُّكَ أنَّكَ أميرُ المؤمنينَ ؟ قالَ : لا

قلتُ : ولِمَ ؟ قالَ : يَثقُلُ ظهري ، ويَكثُرُ هَمِّي ، وتُنسِيني النِّعَمُ ذِكْرَ ربِّي .

قالَ : وفي الأرضِ عاقلٌ يتمنَّىٰ أن يكونَ خليفةً ؟! (٣)

---

(١) الأكَّار : الفلَّاح .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عمر) ، والمثبت موافق لما في « ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (١٦/ ٢٢٠) .

(٣) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٣١٢) .

فائدة

[في القَصْدِ والسَّرَفِ]

٦٤٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ نصرٍ الصَّيْدَلانيُّ في كتابِهِ إليَّ .

(ح) وأُنبِئتُ [. . .][1] قالَ : أنا أبو عليٍّ الحَدَّادُ قراءةً ، أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ مهديٍّ ، ثنا الحسينُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، ثنا إسحاقُ بنُ وهبٍ ، حدَّثَني مسعودُ بنُ موسىٰ ، ثنا بشرٌ الأعورُ قالَ : قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ : (إيَّاكُم والبِطْنَةَ في الطَّعامِ والشَّرابِ ؛ فإنَّهُما مَفْسَدةٌ للجسدِ ، تُورِثُ السَّقمَ ، مَكْسَلةٌ عنِ الصَّلاةِ ، وعليكُم بالقَصْدِ فيهِما ؛ فإنَّهُ أصلحُ للجسدِ ، وأبعدُ مِنَ السَّرَفِ ، وإنَّ اللهَ لَيُبغِضُ الحَبْرَ السَّمينَ ، وإنَّ الرَّجلَ لن يهلكَ حتَّىٰ يُؤثِرَ شهوتَهُ علىٰ دينِهِ)[2]

فائدة

[في استباقِ الصَّبرِ والبلاءِ]

٦٤٤ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ طاهرٍ النَّهْروانيُّ ، أنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ ابنِ مالكٍ العاقوليُّ ، أنا أبو الغنائمِ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ ميمونٍ النَّرْسيُّ ، ثنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ العَطَّارُ الأنصاريُّ الكُوفيُّ ، حدَّثَني جدِّي لأُمِّيَ الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ أبي داوودَ الحَفَريُّ ، ثنا يزيدُ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ العامريُّ ، ثنا الحسينُ بنُ الحكمِ [الحِبَريُّ][3] ، ثنا حسنُ بنُ حسينٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ ، عن جعفرٍ قالَ : (إنَّ البلاءَ والصَّبرَ يَستَبِقانِ إلى المؤمنِ ، فيسبقُ الصَّبرُ البلاءَ ، فيأتيهِ البلاءُ وهوَ صابرٌ .

وإنَّهُما لَيَستَبِقانِ إلى الكافرِ ، فيسبقُ البلاءُ الصَّبرَ ، فيأتيهِ البلاءُ وليسَ بصابرٍ)[4]

---

(١) في (أ ، ج) بياض بمقدار سطر ، والغالب أنَّه أراد : (وأُنبِئتُ عنِ الشَّيخِ نجيبِ الدِّينِ الحَرَّانيِّ ، عن أبي المكارمِ اللَّبَّانِ الأصبهانيِّ قالَ : أنا أبو عليٍّ الحدَّادُ) ، وهو سند المؤلِّف إلىٰ أبي نعيمٍ ، انظر ما تقدم ضمن الخبر (٥٤٥) ، وما سيأتي ضمن الخبر (٧٧٥ ، ٩٣٥) .

(٢) أخرجه ابن دريد في « المجتنىٰ » (ص ٣٨) ، وأبو نعيم في « الطب النبوي » (١٢٧) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحيري) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (١٥٨/٢١) ، و« الأنساب » (١٦٧/٢) ، والحِبَري : نسبة إلىٰ ثياب يُقال لها : الحِبَرة ؛ وهي ضرب من برود اليمن .

(٤) انظر « من لا يحضره الفقيه » (١٧٧/١) .

حكاية

[لا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلَّا التُّرابُ]

٦٤٥ ـ وأُنبئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ سعيدُ بنُ محمَّدٍ المُؤدِّبُ ، عن أبي السُّعودِ أحمدَ بنِ عليٍّ ابنِ المُجْلي قالَ : حدَّثَني أخي أبو نصرٍ هبةُ اللهِ قالَ : حدَّثَنيَ المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ الصَّيْرفيُّ قالَ : حُدِّثتُ عن أبي البركاتِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ قَفَرْجَلٍ المُجهِزِ ـ وكانَ يُجهِّزُ إلىٰ مصرَ ـ قالَ : كنتُ أقولُ في نفسي : إن رزقَنيَ اللهُ أن يبلغَ ما معي أربعةَ آلافِ دينارٍ . . تركتُ السَّفرَ والتِّجارةَ ، فبلغَ مالي أكثرَ مِن ذٰلكَ مِراراً وأنا لا أدعُ السَّفرَ والتَّجهيزَ .

ففي بعضِ سفراتي أرسلَ رجلٌ علىٰ يدي نفقةً لأهلِهِ ، وكانوا يسكنونَ الحَرْبيَّةَ [1] ، فمضيتُ بها ، ودخلتُ مسجدَ القَزْوينيِّ ، فصلَّيتُ معَهُ وسألتُ عنِ القومِ ، فأمرَ بعضَ الحاضرينَ أن يُعلِمَهُم ، ثمَّ قالَ : لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، لو أنَّ لابنِ آدمَ واديَينِ مالاً . . لابتغىٰ إليهِما ثالثاً ، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلَّا التُّرابُ ، يقولُ إنسانٌ : لو حصلَ لي كذا وكذا . . لم أطلبْ زيادةً عليهِ ، فقد سهَّلَ اللهُ ألفاً وألفاً وألفاً وألفاً وزيادةً عليها .

قالَ ابنُ قَفَرْجَلٍ : وبلغَ ـ واللهِ الَّذي لا إلـٰهَ إلَّا هوَ ـ عَدُّ القَزْوينيِّ إلى الرَّابعةِ !! أو كما قالَ .

حكاية

[جودُ الجوادِ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ]

٦٤٦ ـ وأُنبئتُ عنهُ قالَ : أنا حمزةُ بنُ عليٍّ البغداديُّ ببغدادَ ، وأبو اليُمنِ الكِنْديُّ بدِمشقَ .

(ح) وأنبأَني غيرُ واحدٍ ، عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ قالا : أنا أبو الحسنِ ابنُ توبةَ ، أنا أبو بكرٍ الخطيبُ ، أنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ ، أنا عيسى بنُ موسى بنِ أبي محمَّدِ بنِ المُتوكِّلِ على اللهِ ، أخبرَني محمَّدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ قالَ : روى العبَّاسُ بنُ هشامٍ ، عن أخيهِ أُنَيفِ بنِ هشامٍ ، عن أبيهِ ، عن بعضِ المدنيِّينَ قالَ : مرَّ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ [2] ، ومعَهُ عدَّةٌ

---

(١) الحَرْبيَّة : محلَّة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حَرْب ، قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد ابن حنبل ، تنسب إلىٰ حَرْب بن عبد الله البَلْخيّ ؛ أحدِ قوَّاد أبي جعفر المنصور . « معجم البلدان » (٢/٢٣٧) .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أبو جعفر ، الهاشميُّ ، الجواد بن الجواد ، له صحبة ورواية . انظر « تاريخ الإسلام » (٥/٤٢٨) .

مِن أصحابِهِ بمنزلِ رجلٍ قد أعرسَ ، وإذا مُغنِّيةٌ تقولُ : [من الكامل]

قُــلْ لِـلْـكِـرَامِ بِـبَـابِـنَـا يَـلِـجُـوا مَـا فِـي ٱلـتَّـصَـابِـي عَـلَـى ٱلْـفَـتَـىٰ حَـرَجُ

فقالَ عبدُ اللهِ لأصحابِهِ : (لِجُوا فقد أذنَ لنا القومُ) ، فدخلوا ، فلمَّا رآهُ صاحبُ المنزلِ . . تلقَّاهُ وأجلسَهُ على الفرشِ ، فقالَ للرَّجلِ : (كم قد أنفقتَ علىٰ وليمتِكَ ؟) ، قالَ : مئتَي دينارٍ ، قالَ : (فكم مهرُ امرأتِكَ ؟) ، قالَ : كذا وكذا ، فأمرَ لهُ بمئتَي دينارٍ ومهرِ امرأتِهِ وبمئةِ دينارٍ بعدَ ذٰلكَ معونةً ، واعتذرَ إليهِ وانصرفَ [1]

حكاية

[في عيادةِ ابنِ مجاهدٍ]

٦٤٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو بكرٍ الجِيليُّ قالَ : أنا أبو الحسنِ ابنُ صِرْما ـ هوَ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ ـ قالَ : أنا أبو الحسينِ ابنُ النَّقُّورِ ، أنشدَنا أبو القاسمِ عيسى بنُ عليِّ ابنِ الجرَّاحِ ، أنشدَني أبو بكرٍ أحمدُ بنُ موسى ابنِ مجاهدٍ وقد جئتُهُ عائداً ، وأطالَ عندَهُ قومٌ كانوا قد حضروا لعيادتِهِ ، فقالَ لي : يا أبا القاسمِ ؛ عيادةً ثمَّ ماذا ؟ فصرفتُ مَن حضرَ ، وهممتُ بالانصرافِ معَهُم ، فأمرَني بالرُّجوعِ إليهِ ، ثمَّ أنشدَني عن محمَّدِ بنِ الجهمِ : [من البسيط]

لَا تُـضْـجِـرَنَّ مَـرِيـضـاً جِـئْـتَ عَـائِـدَهُ إِنَّ ٱلْـعِـيَـادَةَ يَـوْمٌ إِثْـرَ يَـوْمَـيْـنِ

بَـلْ سَـلْـهُ عَـنْ حَـالِـهِ وَٱدْعُ ٱلْإِلَـٰـهَ لَـهُ وَٱقْـعُـدْ بِـقَـدْرِ فُـوَاقٍ بَـيْـنَ حَـلْـبَـيْـنِ

مَـنْ زَارَ غِـبّـاً أَخـاً دَامَـتْ مَـوَدَّتُـهُ وَكَـانَ ذَاكَ صَـلَاحـاً لِـلْـخَـلِـيـلَـيْـنِ [2]

حكاية

[سأتلطَّفُ لهُ في الهديَّةِ]

٦٤٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ أحمدَ ، عن محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ نصرٍ قالَ [3] : أنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ منصورٍ إذناً ، عن أبي أحمدَ

---

(١) أخرجه البلاذري في « جمل من أنساب الأشراف » (٣١٤/٢) ، والخطيب البغدادي في « التطفيل » (ص ٩٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٢/٢٧) ، وانظر « العقد الفريد » (٢٠/٦) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٥٤/٦) ، وانظر « معجم الأدباء » (٢٢١/٢) .

(٣) (قال) : في (أ ، ب ، ج) مكرَّرة .

عبدِ السَّلامِ بنِ الحسينِ البصريّ قالَ : أنا أبو الفرجِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الصَّامتُ ببغدادَ في الجانبِ الشَّرقيّ قالَ : حدَّثَني أبي قالَ : ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ ابنُ بشرِ المَرْثَديُّ قالَ : فَصَدَ الحسنُ بنُ سهلٍ يوماً [١] ، فتنافسَ النَّاسُ إليهِ في الهدايا ، وكانَ رجلٌ مِن أهلِ الأدبِ مِنَ الكتَّابِ قد قعدَ بهِ الزَّمانُ ، فقالَ لأهلِهِ : قد تنافسَ النَّاسُ إلىٰ هٰذا الرَّجلِ في الهدايا ، ولو جمعتُ جميعَ ما تحوي عليهِ يدي . . ما بلغَ ألفَ دينارٍ ، ولٰكنْ سأتلطَّفُ لهُ في الهديَّةِ ، فعمدَ إلىٰ أُشْنانٍ وملحٍ مُطيّبٍ ، فجعلَهُما في جُونةٍ وختمَها [٢]

وكتبَ إليهِ : (واللهِ يا سيّدي ؛ لو كانَتِ الجِدَةُ علىٰ قدرِ الهمَّةِ . . لكنتُ أحدَ المُتنافِسينَ في برّكَ ، المُسارِعينَ [٣] إلىٰ وُدّكَ ، لٰكنَّ الجِدَةَ قعدَتْ بالهمَّةِ ، فقصَّرتُ عن مساواةِ أهلِ النّعمةِ .

ولمَّا رأيتُ صحائفَ البرّ تُنشَرُ وصحيفتي تُطوىٰ . . صبرتُ علىٰ ألمِ التَّقصيرِ ، والمُبلّغُ عنّي قولُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾) [٤]

وكتبَ في أسفلِها : [من الوافر]

تَنَافَسَ فِي ٱلْهَدِيَّةِ كُلُّ قَوْمٍ ... إِلَيْكَ غَدَاةَ فَصْدِ ٱلْبَاسَلِيقِ [٥]

فَلَمْ أَرَ كَٱلدُّعَاءِ أَعَمَّ نَفْعاً ... وَأَبْلَغَ فِي مُكَافَأَةِ ٱلصَّدِيقِ

فَوَجَّهْتُ ٱلدُّعَاءَ وَقُلْتُ : رَبِّي ... يَقِيكَ شُرُورَ آفَاتِ ٱلْعُرُوقِ

فكتبَ إليهِ : (واللهِ يا سيّدي ؛ ما وردَتْ عليَّ هديَّةٌ أحسنُ مِن هديَّتِكَ ، ولا تحفةٌ أنبلُ مِن تحفتِكَ ، وقد بعثتُ إليكَ بألفِ دينارٍ لتصرفَها في مهمَّاتِكَ) .

وأخذَ الرُّقعةَ ودخلَ بها على المُتوكّلِ ، فلمَّا قرأَها عليهِ . . قالَ لهُ : لا أُمَّ لكَ !! كم حملتَ إلىٰ هٰذا الرَّجلِ ؟ قالَ : ألفَ دينارٍ ، قالَ : فاحملْ إليهِ مِن خزائني مئةَ ألفِ درهمٍ [٦]

---

(١) أي : أخرج شيئاً من دم وريده ؛ يقصد العلاج .

(٢) الجُونة : سُلَيلة مُستديرة مُغشَّاة أدماً .

(٣) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٤) سورة التوبة : (٩١) .

(٥) الباسليق : وريد في اليد .

(٦) انظر نحواً من ذٰلك في « التذكرة الحمدونية » (٥/١٥ ـ ١٦) ، و« وفيات الأعيان » (٦/٢٢٦ ـ ٢٢٧) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٣٤٤٠) كلُّهم عن يحيى البرمكي وكاتبٍ له ، وانظر ما سيأتي ضمن الخبر (٦٩٠) .

فَائِدَةٌ

[جملةٌ مِنَ الحِكَمِ والأمثالِ]

٦٤٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عيسى بنُ عبدِ العزيزِ اللَّخْميُّ بالقاهرةِ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ مِن أصحابِ الحافظِ السِّلَفيِّ ، عنهُ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ قالَ : سمعتُ الحسنَ بنَ عليٍّ الجَوْهَريَّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِ ، عن أبي بكرِ بنِ أبي طاهرٍ الأنصاريِّ ، عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ الجَوْهَريِّ قالَ : سمعتُ أبا حاتمٍ محمَّدَ بنَ عبدِ الواحدِ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ الصَّغيرَ الكاتبَ يقولُ : كانَ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ يحيى الكاتبُ أبو الحسينِ يقولُ ـ فيما حكاهُ عنهُ القاضي أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ خلَّادٍ الرَّامَهُرْمُزيُّ ـ : الشِّعرُ ريحانةٌ يُحيِّي بها الرَّجلُ مَن أَحَبَّ ، تحصُّنُ الأسرارِ يُؤمِّنُكَ مِنَ العِثارِ ، إدمانُ التَّعاتُبِ يُؤدِّي إلى التَّجانُبِ .

رُبَّ طلبٍ قد جرَّ إلىٰ حَرَبٍ [1] ، اللُّطفُ في السُّؤالِ يُدني إلى النَّوالِ [2] ، مَن أَكْثَرَ الظَّنَّ . . أطالَ الفكرَ ، النَّظرُ أوَّلُهُ أسفٌ وآخرُهُ تلفٌ ، مَن جاعَ . . باعَ [3] ، إذا ماتَ أهلُ التَّفضُّلِ . . هلكَ أهلُ التَّجمُّلِ [4] ، شهاداتُ الفَعالِ أعدلُ مِن شهاداتِ الرِّجالِ [5]

نُكْتَةٌ

[في الدَّوامِ علىٰ طلبِ العلمِ]

٦٥٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا أبو الفرجِ ابنُ الجَوْزيِّ ، أنا عبدُ الملكِ بنِ عبدِ اللهِ الهَرَويُّ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الأنصاريُّ ، أنا أبو يعقوبَ الحافظُ ، حدَّثَني عمَّارُ

---

(١) من وصية سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في « البيان والتبيُّن » للجاحظ (٩٤/٤) ، و« العقد الفريد » (١٥٦/٣) ، و« ربيع الأبرار » (٣٧٦/٥) ، وانظر « مجمع الأمثال » (٦٥/٢) ، والحَرَب : أن يُسلب الرَّجلُ مالَه .

(٢) انظر « غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٢٠٠٥) .

(٣) انظر « نثر الدر » للآبي (٢٢٢/٤) .

(٤) من كلام المعتمد في « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١٦٥/١) ، وانظر « التمثيل والمحاضرة » للثعالبي (ص ٢٠١) .

(٥) انظر « جمهرة الأمثال » لأبي هلال العسكري (١٢٧/٢) ، و« مجمع الأمثال » (٢٥٢/٢) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) ، وهامش (ج) : (بلغ مقابلة) .

ابنُ مخلدٍ ، ثنا أبو عمرٍو محمَّدُ بنُ أحمدَ الدَّقَّاقُ ، ثنا صالحُ بنُ أحمدَ ابنِ حنبلٍ قالَ : رأىٰ رجلٌ معَ أبي محبرةً ، فقالَ لهُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ أنتَ قد بلغتَ هٰذا المَبلَغَ ، وأنتَ إمامُ المسلمينَ !! قالَ : معَ المحبرةِ إلى المقبرةِ (١) .

حكاية

[لا جزاكَ اللهُ مِن طارقٍ خيراً]

٦٥١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أحمدُ بنُ يحيى الخازنُ ، أنا الحسينُ بنُ عليٍّ الكُوفيُّ ، أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ ، أنا القاضي أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأنبأَني أبو الفرجِ بنُ أبي الفرجِ البغداديُّ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ الأمينِ قالَ : أنبأَنا محمَّدُ بنُ أبي طاهرٍ الشَّاهدُ قالَ : أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ إجازةً قالَ : أنا أبي قالَ : ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ الكاتبُ البغداديُّ المعروفُ والدُهُ بأبي اللَّيثِ الهَمَذانيِّ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ يزيعٍ العقيليُّ ـ أحدُ ساداتِهِم ووجوهِهِم في الحيِّ ـ قالَ : رأيتُ رجلاً مِن بني عقيلٍ في ظهرِهِ كلِّهِ شُرَطٌ كشُرَطِ الحجَّامِ إلَّا أنَّها أكثرُ ، فسألتُهُ عن سببِ ذٰلكَ .

فقالَ : إنِّي كنتُ هوِيتُ ابنةَ عمٍّ لي وخطبتُها ، فقالوا : لا نُزوِّجُكَ إلَّا أن تجعلَ الصَّداقَ الشَّبَكةَ ـ وهيَ فرسٌ سابقةٌ كانَتْ لبعضِ بني بكرِ بنِ كلابٍ ـ ، فتزوَّجتُها علىٰ ذٰلكَ ، وخرجتُ أحتالُ في أن أَسُلَّ الفرسَ مِن صاحبِهِ ؛ لأتمكَّنَ مِنَ الدُّخولِ بابنةِ عمِّي .

فأتيتُ الحيَّ الَّذي فيهِ الفرسُ بصورةِ جزَّارٍ ، وما زلتُ أُداخِلُهُم إلىٰ أن عرفتُ مبيتَ الفرسِ مِنَ الخباءِ الَّذي فيهِ الرَّجلُ ، ورأيتُ لها مُهْرةً ، فاحتلتُ حتَّىٰ دخلتُ البيتَ ، وحصلتُ خلفَ النَّضَدِ (٢) ، تحتَ عِهنٍ كانوا قد نفشوهُ ليُغزَلَ .

فلمَّا جاءَ اللَّيلُ . . وافىٰ صاحبُ البيتِ ، وقد أصلحَتْ لهُ المرأةُ عَشاءً ، فجاءَ فجعلا يأكلانِ ، وقدِ استحكمَتِ الظُّلمةُ ولا مصباحَ لهُم ، وكنتُ ساغباً ، فأخرجتُ يدي وأهويتُ إلى القصعةِ ، فأكلتُ معَهُم ، فأحسَّ الرَّجلُ بيدي ، فأنكرَها وقبضَ عليها ، فقبضتُ علىٰ يدِ المرأةِ بيديَ الأُخرىٰ ، فقالَتْ لهُ المرأةُ : ما لكَ ويدي ؟ فظنَّ

---

(١) انظر « الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (١/٤٧٠ ـ ٤٧١) .

(٢) النَّضَد : ما نُضِّدَ ـ أي : رُصِفَ ـ من متاع البيت .

أَنَّهُ قابضٌ علىٰ يدِ امرأتِهِ ، فخلَّىٰ يدي ، فخلَّيتُ يدَ المرأةِ فأكلْنا .

ثمَّ أنكرَتِ المرأةُ يدي ، فقبضَتْ عليها ، فقبضتُ علىٰ يدِ الرَّجلِ ، فقالَ لها : ما لكِ ؟ فخلَّتْ يدي ، فخلَّيتُ عن يدِهِ ، وانقضى الطَّعامُ ، واستلقى الرَّجلُ ونامَ .

فلمَّا استقلَّ [1] وأنا مُراصِدُهُم ، والفرسُ مُقيَّدةٌ في جانبِ البيتِ ، وابنتُها في البيتِ غيرُ مُقيَّدةٍ ، ومفتاحُ قيدِ الفرسِ تحتَ رأسِ المرأةِ . . فوافىٰ عبدٌ لهُ أسودُ ، فنبذَ حصاةً ، فانتبهَتِ المرأةُ فقامَتْ إليهِ ، وتركَتِ المفتاحَ في مكانِها ، وخرجَتْ مِنَ الخباءِ إلىٰ ظهرِهِ ، ورميتُها بعيني فإذا هوَ قد علاها .

فلمَّا حصلا في شأنِهما . . دببتُ فأخذتُ المفتاحَ ، وفتحتُ القفلَ ، وكانَ معي لجامُ شعرٍ ، فأوجرتُهُ الفرسَ وركبتُها ، وخرجتُ عليها مِنَ الخباءِ ، فقامَتِ المرأةُ مِن تحتِ الأسودِ ، ودخلَتِ الخباءَ ثمَّ صاحَتْ ، وذُعِرَ الحيُّ وأحسُّوا بي ، فركبوا في طلبي وأنا أكدُّ الفرسَ ، وخلفي خَلْقٌ منهُم ، فأصبحتُ ولستُ أرىٰ إلَّا فارساً واحداً برُمحٍ ، فلحقَني وقد طلعَتِ الشَّمسُ ، فأخذَ يطعنُني فلا يصلُ إلىٰ أكثَر ممَّا تراهُ في ظهري ، لا فرسُهُ تلحقُ بي فيتمكَّنَ منِّي ، ولا فرسي تبعدُ بي حتَّىٰ لا يمسَّنيَ الرُّمحُ .

حتَّىٰ وافيْنا إلىٰ نهرٍ ، فصحتُ بالفرسِ فوثبَتْهُ ، وصاحَ الفارسُ بفرسِهِ فلم تثبْ ، فلمَّا رأيتُ عجزَها عنِ العبورِ . . نزلتُ عن فرسي أستريحُ وأُريحُها ، فصاحَ بيَ الرَّجلُ ، فقلتُ : ما لكَ ؟

فقالَ : يا هٰذا ؛ أنا صاحبُ الفرسِ الَّذي تحتَكَ ، وهٰذهِ بنتُها ، فإذ قد أخذتَها فلا تُخدَعَنَّ عنها ؛ فإنَّها تساوي عشرَ دياتٍ وعشرَ دياتٍ ، وما طلبتُ عليها شيئاً قطُّ إلَّا أدركَتْهُ ، وكانَتْ كالشَّبَكةِ في التَّعلُّقِ بهِ .

فقلتُ لهُ : أَمَا إذ نصحتَني فواللهِ ؛ لأنصحَنَّكَ ولا أكذبُكَ : إنَّهُ كانَ مِن أمريَ البارحةَ كيتَ وكيتَ ، حتَّىٰ قصصتُ عليهِ قصَّةَ المرأةِ والعبدِ وحيلتي في الفرسِ .

فأطرقَ ساعةً ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ إليَّ ، فقالَ : لا جزاكَ اللهُ مِن طارقٍ خيراً ؛ أخذتَ فرسي ، وقتلتَ عبدي ، وطلَّقتَ زوجتي [2]

---

(١) أي : مضىٰ به النَّوم .

(٢) أخرجه التنوخي في « نشوار المحاضرة » (٣/٢٦١ ـ ٢٦٣) ، وابن الجوزي في « الأذكياء » (ص ١٧٢ ـ ١٧٣) .

فَائِدَةٌ

[في دخولِ الخوفِ علىٰ أصنافِ النَّاسِ]

٦٥٢ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ محمودٍ المُؤرِّخِ قالَ : أنبأَنَا أبو طاهرٍ المُبارَكُ ابنُ أبي القاسمِ العَطَّارُ : أنَّ أبا عليٍّ محمَّدَ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ ابنَ المهديِّ أخبرَهُ قالَ : أنا والدي قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ المُقرِئُ بالجانبِ الشَّرقيِّ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ الفقيهِ ، ثنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الأَدَميُّ بالبصرةِ ، ثنا أبي قالَ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : (إذا دخلَ الخوفُ على الجاهلِ . . دعاهُ إلى العلمِ ، وعلى العالِمِ . . دعاهُ إلى العملِ ، وعلى العاملِ . . دعاهُ إلى الإخلاصِ ، وعلى المُخلِصِ . . دعاهُ إلى الشُّكرِ ، وعلى الشَّاكرِ . . دعاه إلى المزيدِ)(١)

حِكَايَةٌ

[في رثاءِ امرأةٍ زوجَها]

٦٥٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ حامدِ بنِ محمَّدٍ الصُّوفيِّ بأصبهانَ ، عن محمَّدِ بنِ أبي نصرٍ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الشَّاهدُ في كتابِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عمرانَ بنِ موسىٰ قالَ : حدَّثَني أحمدُ بنُ محمَّدٍ الجَوْهَريُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ بدرٍ الأنباريُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ موسى الدَّقَّاقُ بالرَّيِّ ، عنِ الأصمعيِّ قالَ : خرجتُ إلىٰ مقابرِ البصرةِ ، فإذا بامرأةٍ علىٰ قبرٍ مِن أجملِ النَّاسِ ، وهيَ تندبُ صاحبَ القبرِ وتقولُ : [من مخلع البسيط]

هَلْ خَبَّرَ ٱلْقَبْرُ سَائِلِيهِ ... أَمْ قَرَّ عَيْناً بِزَائِرِيهِ ؟

أَمْ هَلْ تَرَاهُ أَحَاطَ عِلْماً ... بِٱلْجَسَدِ ٱلْمُسْتَكِنِّ فِيهِ ؟

لَوْ يَعْلَمُ ٱلْقَبْرُ مَنْ يُوَارِي ... تَاهَ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ

أَنْدُبُ مَنْ لَا يُحِيطُ عِلْماً ... بِوَصْفِهِ نَدْبُ نَادِبِيهِ

يَا جَبَلاً كَانَ ذَا ٱمْتِنَاعٍ ... وَرُكْنَ عِزٍّ لِآمِلِيهِ

يَا نَخْلَةً طَلْعُهَا نَضِيدٌ ... يَقْرُبُ مِنْ كَفِّ مُجْتَنِيهِ

---

(١) أخرجه أبو الفضل ابن المهدي في « مشيخته » (ق/١٣) مخطوط .

وَيَـا مَـرِيـضـاً عَـلَـىٰ فِـرَاشٍ تُـؤْذِيـهِ أَيْـدِي مُـمَـرِّضِـيـهِ
يَـا مَـوْتُ مَـاذَا أَرَدْتَ مِـنِّـي ؟ حَـقَّـقْـتَ مَـا كُـنْـتُ أَتَّـقِـيـهِ
دَهْـرٌ رَمَـانِـي بِـفَـقْـدِ إِلْـفِـي أَذُمُّ دَهْـرِي وَأَشْـتَـكِـيـهِ
أَمَّـنَـكَ ٱللهُ كُـلَّ رَوْعٍ وَكُـلَّ مَـا كُـنْـتَ تَـتَّـقِـيـهِ

قالَ : فقلتُ : مَن هٰذا منكِ ؟ قالَتْ : لو علمتُ بمكانِكَ . . ما أنشدتُ حرفاً ، هٰذا زوجي وأُنسي وسروري ، واللهِ ؛ لا زلتُ هٰكذا أبداً .

قلتُ : فأَعيدي عليَّ الشِّعرَ ، قالَتْ : هٰذا مِن ذاكَ ، قلتُ : فَخُذِي إليكِ ، فأنشدتُها إيَّاهُ ، قالَتْ : إن كانَ في الدُّنيا أصمعيٌّ . . فأنتَ الأصمعيُّ .

وقد رويتُ هٰذهِ الحكايةَ وبعضَ الشِّعرِ بزيادةٍ فيهِ مِن وجهٍ آخرَ بعلوِّ درجتَينِ : أُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، وأبي حفصٍ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، وعبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وغيرِهِم ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ابنُ البَنَّاءِ المُقرِئُ الفقيهُ الحنبليُّ بقراءتي عليهِ سنةَ تسعٍ وستِّينَ وأربعِ مئةٍ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ حفصٍ المُقرِئُ قالَ : ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ أحمدَ بمكَّةَ قالَ : ثنا أبو العبَّاسِ ثعلبٌ ، عنِ الأصمعيِّ قالَ : خرجتُ ذاتَ يومٍ في الباديةِ ، فإذا أنا بامرأةٍ إلىٰ جانبِ قبرٍ ، وهيَ تُشيرُ بيدِها ، فقلتُ : ينبغي أن تكونَ هٰذهِ المرأةُ تندبُ أو ترثي ، حتَّىٰ قربتُ منها ، فإذا هيَ تقولُ :

هَـلْ خَـبَّـرَ ٱلْـقَـبْـرُ سَـائِـلِـيـهِ ؟

الأبياتَ الثَّلاثةَ المُتقدِّمةَ بلفظِها ، وبعدَها :

يَـا مَـوْتُ لَـوْ تَـقْـبَـلُ ٱفْـتِـدَاءً كُـنْـتُ بِـنَـفْـسِـي سَـأَفْـتَـدِيـهِ
أَنْـعَـىٰ بُـرَيْـداً لِـمُـجْـتَـدِيـهِ أَنْـعَـىٰ بُـرَيْـداً لِـمُـعْـتَـفِـيـهِ
أَنْـعَـىٰ بُـرَيْـداً إِلَـىٰ حُـرُوبٍ تَـحْـسِـرُ عَـنْ مَـنْـظَـرٍ كَـرِيـهِ
أَنْـدُبُ مَـنْ لَا يُـحِـيـطُ عِـلْـمـاً

الأبياتَ الثَّلاثةَ المُتقدِّمةَ ، وبعدَها :

تَـحْـلُـو (نَـعَـمْ) عِـنْـدَهُ سَـمَـاحـاً وَلَـمْ تَـطِـبْ قَـطُّ (لَا) بِـفِـيـهِ

أَيَا صَبُوراً عَلَىٰ بَلَاءٍ   كَانَ بِهِ ٱللَّهُ يَبْتَلِيهِ (1)

* * *

٦٥٤ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا ذاكرُ بنُ كاملٍ ، عن ثعلبِ بنِ جعفرٍ السَّرَّاجِ قالَ : كتبَ إليَّ القاضي أبو عليٍّ زيدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي حيوةَ التِّنِّيسيُّ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ إسحاقَ بنِ جابرٍ ، ثنا أبو عليٍّ عبدُ الواحدِ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أبي الخَصِيبِ ، ثنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ سعيدٍ أبو سعدٍ الجَواليقيُّ الكِرْمانيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ بهرامَ بنِ عيسى بنِ القاسمِ بنِ بهرامٍ الهِيتيُّ ، حدَّثَني آدمُ بنُ عُيَينةَ الهلاليُّ ، عن جويبرِ بنِ سعيدٍ ، عنِ الضَّحَّاكِ ، عنِ النَّزَّالِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (أطفالُ المشركينَ خدمُ أهلِ الجنَّةِ ، وأطفالُ المسلمينَ ملوكٌ على الأسرَّةِ معَ آبائِهِم في الجنَّةِ يُخدَمونَ) (2)

فَائِدَةٌ

[في دعاءِ حدَّةِ البصرِ]

٦٥٥ ـ وأنبأَني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ البغداديُّ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ الأمينِ ، وغيرِهِما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ : أنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ الجَوْهَريَّ أخبرَهُ ، عن محمَّدِ بنِ العبَّاسِ الخَزَّازِ قالَ : أنا أبو بكرٍ مُكرمُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ مُكرمٍ قالَ : أخبرَني أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ جعفرٍ الخاقانيُّ : أنَّ جدَّهُ أبا يحيىٰ زكريَّا بنَ يحيى الخاقانيَّ كانَ وجدَ في بصرِهِ نقصاناً ، وكانَ لا يقدرُ علىٰ أن يقرأَ الخطَّ الدَّقِيقَ ، فكتمَ ذٰلكَ ولم يُشاوِرْ فيهِ مُتطبِّباً ، فرأىٰ في نومِهِ كأنَّ قائلاً يقولُ لهُ : قلْ علىٰ عينَيكَ : أُعيذُ نورَ بصري بنورِ اللهِ الَّذي لا يُطفَأُ ، وامسحْ يدَكَ علىٰ عينَيكَ .

وقيلَ : إنَّهُ قيلَ لهُ في ذٰلكَ أن يُتبِعَ هٰذا القولَ بقراءةِ آيةِ الكرسيِّ ، ففعلَ ذٰلكَ ، فعادَ بصرُهُ إلىٰ حالِهِ أو أَحَدَّ ، فحينَئذٍ تحدَّثَ بذٰلكَ .

قالَ محمَّدُ بنُ جعفرٍ : وأخبرَني بعضُ موالياتِ جدِّي أنَّها قالَتْ ذٰلكَ علىٰ عينِها ، فلم ترَ فيها سُوءاً ولا نقصاً .

---

(1) أخرجه الزبير بن بكار في « الأخبار الموفقيات » (٣٣) ، والقالي في « الأمالي » (٢/٣٢١ ـ ٣٢٢) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢/٢٥٠ ـ ٢٥٣) كلُّهم بنحوه مع اختلاف في عدد الأبيات وترتيبها ، وكذا في « نور القبس » لليغموري (ص ١٦٢) .

(2) ذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢/٥٤٦) وعزاه لابن النجار .

قالَ : وقد أسنَّيتُ حتَّىٰ جاوزتُ الثَّمانينَ أو قاربتُ ذٰلكَ ، وأنا أُدخِلُ السِّلكَ في الإبرةِ .

* * *

٦٥٦ ـ وأخبرَنيَ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ البغداديُّ المعروفُ بالفُوَيْرِهِ مكاتبةً (١) ، عن عبدِ العزيزِ ابنِ الأخضرِ ، وعبدِ الوهَّابِ بنِ أبي منصورٍ ، وأبي حفصٍ عمرَ بنِ محمَّدٍ الدَّارقَزِّيِّ (٢) ، عنِ الحافظِ أبي الفضلِ محمَّدِ بنِ ناصرٍ : أنَّ عليَّ بنَ أحمدَ البُنْدارَ أخبرَهُ ، عن أبي أحمدَ الفَرَضيِّ : أنَّ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ يحيى الصُّوليَّ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ يزيدَ قالَ : لمَّا عزمَ المُعتمِدُ على الخروجِ إلى الشَّامِ والدُّنيا مضطربةٌ . . أشارَ عليهِ أبو عيسىٰ (٣) أخوهُ ألَّا يفعلَ ، وحرصَ بهِ ، فأبىٰ عليهِ .

فقالَ أبو عيسىٰ : [من المتقارب]

أَقُولُ لَهُ عِنْدَ تَوْدَاعِهِ ... وَكُلٌّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسُ :
لَئِنْ قَعَدَتْ عَنْكَ أَجْسَامُنَا ... لَقَدْ سَافَرَتْ مَعَكَ ٱلْأَنْفُسُ (٤)

* * *

٦٥٧ ـ وبهِ إلى الصُّوليِّ قالَ : ثنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدٍ الأسديُّ قالَ : حدَّثَني مَن سمعَ أبا عيسىٰ ـ يعني : ابنَ المُتوكِّلِ ـ وقد أُمِرَ بالرُّكوبِ ليُحدَرَ مِن سُرَّ مَن رأىٰ . . يتمثَّلُ بقولِ أبي العتاهيةِ (٥) : [من مجزوء الخفيف]

سَيَكُونُ ٱلَّذِي قُضِي ... سَخِطَ ٱلْعَبْدُ أَوْ رَضِي
لَيْسَ هَٰذَا بِدَائِمٍ ... كُلُّ هَٰذَا سَيَنْقَضِي (٦)

---

(١) الفُوَيْره : تصغير فاره ؛ وهو الحاذق بالشَّيء . « توضيح المشتبه » لابن ناصر الدين (٧/١٣١ ـ ١٣٢) .
(٢) الدَّارقَزِّي : نسبة إلىٰ (دار القَزّ) ، وهي محلَّة كبيرة ببغداد في طرف الصَّحراء . « معجم البلدان » (٢/٤٢٢) .
(٣) هو أبو عيسىٰ ، محمَّد بن جعفر المُتوكِّل بن محمَّد المُعتصِم بن الرَّشيد ، كان له درس في القرآن كلَّ ليلة لا يخلِّيه ، وكان يلازم صلاة اللَّيل ، وسمع حديثاً كثيراً ، وله اشتغال بالفقه ، وكان يلزمه جماعة من العلماء لا يفارقونه ، مات سنة تسع وسبعين ومئتين بعد أن أُحدِر من سُرَّ مَن رأىٰ ، قاله الصُّوليُّ .
وقال غيره : إنَّه حزَّ رأسه بعد موته ، وألقي جسده في الماء في خلافة المُعتضِد بأمره ؛ خاف من وُثوبه على الخلافة . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .
(٤) أخرجه الصولي في « الأوراق » (أشعار أولاد الخلفاء) (ص ١٠٥) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٢/٢٢٢ ـ ٢٢٣) ، و« الوافي بالوفيات » (٢/٢٩٥) .
(٥) انظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٢/١٧٤) .
(٦) أخرجه الصولي في « الأوراق » (أشعار أولاد الخلفاء) (ص١٠٦) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٢/٢٢٣) .

حكاية

[مناظرةٌ في حضرةِ الواثقِ]

٦٥٨ ـ [. . .][1] قالَ : أنا عبدُ القادرِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ القادرِ ابنِ يوسفَ قراءةً عليهِ قالَ : أنا الحسنُ بنُ عليٍّ الشِّيرازيُّ قالَ : ثنا أبو عمرَ ابنُ حَيُّويهِ قالَ : أنا العبَّاسُ بنُ العبَّاسِ الجَوْهَريُّ ، ثنا أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ موسى الطُّوسيِّ ، حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ الجهمِ بنِ بدرٍ السَّاميُّ ـ وهوَ أخو عليِّ بنِ الجهمِ الشَّاعرِ ـ قالَ : حدَّثَني محمَّدُ بنُ الواثقِ قبلَ أن يُستخلَفَ بسنينَ كثيرةٍ ، وقد تجارَيْنا ذِكْرَ مَنِ امتُحِنَ مِنَ المُحدِّثينَ والفقهاءِ ، ومَن أجابَ ومَنِ امتنعَ ، فقالَ لي محمَّدُ بنُ الواثقِ : لقد امتحنَ أبي خَلْقاً كثيراً ، فكانَ إذا خالفوهُ . . أمرَ بهِم فضُرِبوا ، فماتَ منهُم ما شاءَ اللهُ ، وما نجا منهُم إلَّا شيخٌ ، لم أسمعْ أحسنَ لفظاً منهُ وحجَّةً .

وكانَ أبي إذا أرادَ أن يمتحنَ . . أحضرَني وأخي يُسمِعُنا الامتحانَ ، فجئتُ أنا وأخي ، وأبي جالسٌ على الكرسيِّ ، ومقعَدٌ مطروحٌ عليهِ أحمدُ بنُ أبي دؤادٍ[2] منفردٌ ، وبساطٌ مفروشٌ ، عليهِ أبو شعيبٍ ، وحسنٌ العَطَّارُ ، وبرغوثٌ ، والأَذْرَميُّ ، قالَ : وأُذِنَ لشيخٍ خضيبٍ طُوالٍ في رجلَيهِ كبلٌ ، فقالَ : السَّلامُ عليكَ ـ أميرَ المؤمنينَ ـ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، فقالَ لهُ أبي : لا سلَّمَ اللهُ عليكَ ، ولا حيَّاكَ .

قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ تركتَ الواجبَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾[3]

قالَ : فالتفتَ أبي إلىٰ أحمدَ بنِ أبي دؤادٍ يعجبُ مِنِ ابتدائِهِ الكلامَ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هٰذا رجلٌ يدعو إلى الكلامِ والحِجاجِ ، قالَ : فحاجُّوهُ وناظِروهُ وأَنصِفوهُ ، فإنِّي إن ناظرتُهُ فخالفَني . . خفتُ أن يدخلَنيَ التَّعزُّزُ فأُفرِطَ عليهِ .

فقالَ لهُ ابنُ أبي دؤادٍ : يا شيخُ ؛ نسألُكَ ؟

فقالَ لهُ الشَّيخُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ هٰذا أَوَّلُ الجَوْرِ ، لم يزلِ النَّاسُ علىٰ أمرٍ واحدٍ ، لا

---

(١) في (أ ، ج) : بياض بمقدار سطر ، ولعلَّه أراد : (وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأنا أبو القاسمِ ابنُ بَوْشٍ التَّاجرُ قالَ : أنا عبدُ القادرِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ القادرِ ابنِ يوسفَ) ، انظر ما سيأتي ضمن الخبر (٨٢٨ ، ١٠١٦) .

(٢) توفِّي أحمد بن أبي دؤاد أوَّل سنة أربعين ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) سورة النساء : (٨٦) .

يجادلونَ في القرآنِ أن يُسمُّوهُ كلامَ اللهِ ، فأحدثتَ حَدَثاً ذكرتَ أنَّهُ مُحدَثٌ ، ولم يكنْ فيما خلا ، فأنتَ الَّذي ينبغي أن يُسأَلَ : مِن أينَ قلتَ ذاكَ ؟ ومِن أينَ جئتَ بهِ ؟

أرأيتَ لو أنَّ رجلاً في يدِهِ دارٌ ، أكانَ يجبُ على القاضي أن يسأَلَهُ لخصمِهِ : مِن أينَ في يدِكَ هٰذهِ الدَّارُ وما حجَّتُكَ ؟ أو يسألَ خصمَهُ عن دعواهُ ؟ أنتَ المسؤولُ عن دعواكَ .

قالَ : فسلْ .

قالَ : نعم ، أَخبِرْني عن هٰذا الأمرِ الَّذي دعوتَ إليهِ ، هوَ شيءٌ دعا إليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُصرِّحاً بهِ لأُمَّتِهِ ؟ أو كانَ يعلمُهُ فقصَّرَ عنهُ ؟ أو وَسِعَهُ ألَّا يُسأَلَ عنهُ ، فلم يُحمِّلْ أُمَّتَهُ ما لم يسعْها ؟ أو لم يعلمْهُ ، فعلمتَهُ أنتَ ، ولم يعلمْهُ أبو بكرٍ ولا عمرُ ولا عثمانُ ولا عليٌّ ، ولا أئمَّةُ العدلِ بعدَهُم ؟

قالَ : بل عَلِموهُ ، قالَ : فتركوهُ ؟!

ثمَّ قالَ : واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لئن كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يعلمْهُ ، ولا أئمَّةُ العدلِ بعدَهُ يعلمونَهُ ، ويعلمُهُ هٰذا . . تبّاً لهٰذا أن يعلمَ ما لم يعلمْهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ولئن كانَ علمَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ ، وأئمَّةُ العدلِ بعدَهُم ، فوَسِعَهُم ألَّا يأخذوا النَّاسَ ولا يُجبِروهُم عليهِ . . إنَّ لكَ في رسولِ اللهِ أسوةً حسنةً .

قالَ : فأقبلَ برغوثٌ فقالَ لابنِ أبي دؤادٍ : قليلاً قليلاً ، [لقد] عقدتَ ـ واللهِ ـ عقدَ سوءٍ ؛ زعمتَ أنَّهُم علموهُ ، فهبْ أنَّكَ تتعلَّقُ بحديثِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في (البقرةِ) و(آلِ عمرانَ) : « أَنَّهُمَا يَجِيئَانِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ »[1] ، مِن أينَ تجدُ عن أبي بكرٍ ؟ مِن أينَ تجدُ عن عمرَ ؟ مِن أينَ تجدُ عن عثمانَ شيئاً تتعلَّقُ بهِ ؟

قالَ : فسكتَ .

قالَ : فقامَ أبي مُغضَباً ، فدخلَ إلىٰ بيتٍ ، فجئتُ أتسمَّعُ عليهِ وهوَ يُعاتِبُ نفسَهُ ، وهوَ يقولُ : يا هٰذا ؛ علمَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فوَسِعَهُ ألَّا يأخذَ بهِ النَّاسَ ، أنتَ مَن أنتَ حتَّىٰ تأخذَ النَّاسَ بهِ ؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

أَمَا كانَ لكَ في رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنةٌ لمَن كانَ يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ ؟! أَوَلم يعلمْهُ وعلمَهُ هٰذا ؟!

وأمرَ أن يُعطى الشَّيخُ أربعَ مئةِ دينارٍ ، وأن يُكتَبَ إلى البلدِ الَّذي أشخصَ منهُ أَنْ لا يُتعرَّضُ لهُ لسببٍ مِن الأسبابِ .

وقيلَ : إنَّهُ أشخصَ مِن أَذَنَةَ ، وكانَ مُؤذِّنَ مسجدِها [1]

نكتة

[في حُبِّ الدُّنيا]

٦٥٩ ـ وأُنبِئتُ عن أبي عبدِ اللهِ بنِ أبي الفضلِ البغداديِّ قالَ : أنبأَنا القاضي أبو القاسمِ سعيدُ بنُ محمَّدٍ الهَمَذانيُّ ، عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ المُوحِّدِ ، أنا القاضي أبو المُظفَّرِ هنَّادُ بنُ إبراهيمَ النَّسَفيُّ قالَ : سمعتُ أبا جعفرٍ محمَّدَ بنَ حامدٍ القاضي بالنُّعمانيَّةِ يقولُ [2] : سمعتُ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المُفيدَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ الحسنِ الواعظَ يقولُ : قالَ رجلٌ ليحيى بنِ مُعاذٍ الرَّازيِّ : إنَّكَ لتُحِبُّ الدُّنيا ، فقالَ يحيىٰ للرَّجلِ : أَخبِرْني عنِ الآخرةِ ؛ أبالطَّاعةِ تُنالُ أم بالمعصيةِ ؟ قالَ : لا ، بل بالطَّاعةِ .

قالَ : فأَخبِرْني عنِ الطَّاعةِ ؛ أبالحياةِ تُنالُ أم بالمماتِ ؟ قالَ : لا ، بل بالحياةِ .

قالَ : فأَخبِرْني عنِ الحياةِ ؛ أبالقوتِ تُنالُ أم بغيرِ القوتِ ؟ قالَ : لا ، بل بالقوتِ .

قالَ : فأَخبِرْني عنِ القوتِ ؛ أمِنَ الدُّنيا هوَ أمِ الآخرةِ ؟ قالَ : لا ، بل مِنَ الدُّنيا .

قالَ : فكيفَ لا أُحِبُّ دنيا قُدِّرَ لي فيها قوتٌ أكتسبُ بهِ حياةً أُدرِكُ بها طاعةً أنالُ بها الآخرةَ ؟!

فقالَ الرَّجلُ : أشهدُ أنَّ ذٰلكَ معنىٰ قولِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً » [3]

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/٢٤٧) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١٢/٧ ـ ١٣) كلاهما بنحوه ، وانظر « مروج الذهب » للمسعودي (٥/٩٩ ـ ١٠١) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧/٤٣ ـ ٤٤) .

(٢) النُّعمانية : بليدة بين واسط وبغداد . « معجم البلدان » (٥/٢٩٤) .

(٣) انظر « طبقات الأولياء » لابن الملقن (ص ٣٢٥) ، وأخرج الحديثَ البخاريُّ (٥١٤٦) ، وأبو داوود (٤٩٦٨) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

حكاية

[ما أخطأَتْ أُمُّهُ حيثُ سمَّتْهُ سالماً]

٦٦٠ ـ وكتبَ إليَّ مِن بغدادَ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي الفرجِ المُقرِئُ ، عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورِ بنِ عليٍّ : أنَّ إسماعيلَ بنَ أحمدَ السَّمَرْقَنْديَّ أخبرَهُ ، عن أبي منصورٍ محمَّدِ بنِ محمَّدِ ابنِ عبدِ العزيزِ العُكْبَرِيِّ قالَ : أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنُ رزقويهِ قراءةً عليهِ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الشَّافعيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ حامدِ بنِ يزيدَ بنِ بسَّامٍ الخِلميُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ هارونَ الخِلميُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ موسىٰ أبو محمَّدٍ القُهُنْدَزيُّ[١] ، عن منصورِ بنِ عبدِ الحميدِ الضَّبِّيِّ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ قالَ : جاؤوا بأسيرٍ إلى الحجَّاجِ ، فقالَ الحجَّاجُ : قمْ يا سالمُ ؛ فاضربْ عنقَ الأسيرِ ، فسلَّ سيفَهُ فأتاهُ ، فقالوا لأبيهِ عبدِ اللهِ : إنَّ ابنَكَ ذهبَ ليضربَ عنقَ الأسيرِ ، فقالَ : (ما كانَ ليفعلَ) ، قالوا : إنَّهُ قد سلَّ سيفَهُ وأتاهُ ، قالَ : (ما كانَ ليفعلَ) .

فأتاهُ فسارَّهُ فقالَ : يا هٰذا ؛ توضَّأتَ الغداةَ وُضوءاً حسناً ، وصلَّيتَ في الجماعةِ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : فغمدَ سيفَهُ ورجعَ .

فقالَ لهُ الحجَّاجُ : ما منعَكَ أن تضربَ الأسيرَ ؟ قالَ : ما سمعتُهُ مِن والدي يُحدِّثُ عن عمرَ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَيُّمَا رَجُلٍ تَوَضَّأَ لِصَلَاةِ ٱلْغَدَاةِ وُضُوءاً حَسَناً ، وَصَلَّىٰ فِي ٱلْجَمَاعَةِ . . كَانَ فِي جِوَارِ ٱللهِ » ، ما كنتُ لأقتلَ جارَ اللهِ يا حجَّاجُ .

قالَ : للهِ أبوهُ ؛ ما أخطأَتْ أُمُّهُ حيثُ سمَّتْهُ سالماً[٢]

حكاية

[افتحِ المشدودَ ، واشدُدِ المفتوحَ ، وادخلِ الجنَّةَ]

٦٦١ ـ وأُنبِئتُ عن جعفرِ بنِ عليٍّ الهَمْدانيِّ قال : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الدِّيباجيُّ قالَ : سمعتُ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ المُتقِنِ السَّبْتيَّ يقولُ : سمعتُ

---

(١) القُهُنْدَزي : نسبة إلىٰ (قُهُنْدَز) ؛ بمعنى : القلعة العتيقة ، وهو في مواضع كثيرة . « معجم البلدان » (٤/٤١٩) .

(٢) ذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (١/١٢٧١) وعزاه لابن النجار .

أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ الحنفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الرِّضا محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ يحيى النَّسَفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ محمَّدَ بنَ الحسنِ بنِ تُرْكانَ الخطيبَ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ شبيبٍ الكاغديَّ البَلْخيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عقيلٍ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ المُقرِئَ الفقيهَ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ محمَّدِ بنِ حفصٍ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ حاتمَ بنَ عنوانَ يقولُ : سمعتُ شقيقَ بنَ إبراهيمَ يقولُ : جاءَ رجلٌ إلىٰ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ، فقالَ : يا أستاذُ ؛ أتيتُكَ مِن شُقَّةٍ بعيدةٍ ، فأَوْصِني بشيءٍ أُدرِكُ بهِ الآخرةَ وأَوجِزْ .

فقالَ إبراهيمُ : افتحِ المشدودَ ، واشدُدِ المفتوحَ ، وادخلْ جنَّةَ ربِّكَ بسلامٍ .

فقالَ الرَّجلُ : زِدْني ، فقالَ : لا رحمَني اللهُ إن كانَ أبداً مزيدٌ .

فقالَ الرَّجلُ : فبيِّنْ لي ، فقالَ الشَّيخُ : افتحِ الكيسَ المشدودَ بالإنفاقِ علىٰ خَلْقِ اللهِ ، واشدُدِ اللِّسانَ المفتوحَ عن غيبةِ خَلْقِ اللهِ .

فقالَ الرَّجلُ : أوجزتَ وبالغتَ .

نُكتةٌ

[في أفضلِ النَّاسِ]

٦٦٢ ـ وأنبأَني السَّيِّدُ تاجُ الدِّينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ الغَرَّافيُّ الحسينيُّ [١] ، وغيرُهُ ، عنِ الحافظِ مُحِبِّ الدِّينِ أبي عبدِ اللهِ بنِ أبي الفضلِ المُؤرِّخِ قالَ : أنا أبو جعفرٍ وأبو بكرٍ ؛ محمَّدٌ ولامعٌ ابنا أحمدَ بنِ نصرٍ الصَّيْدَلانيِّ في كتابِهِما [٢] : أنَّ يحيى بنَ عبدِ الوهَّابِ بنِ محمَّدِ بنِ إسحاقَ ابنِ مَنْدَهْ أخبرَهُما قالَ : أنا أبي ، أنا أبي ، أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ إسماعيلَ المدائنيُّ ، ثنا زكريَّا بنُ يحيىٰ ، ثنا الأصمعيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ حربٍ الزِّياديُّ ، عن أبيهِ قالَ : قيلَ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ : مَن أفضلُ النَّاسِ ؟ قالَ : مَن تواضعَ عن رفعةٍ ، وزهدَ عن قدرةٍ ، وأنصفَ عن قوَّةٍ [٣] .

* * *

---

(١) الغَرَّافي : نسبة إلى (الغَرَّاف) ، وهو نهر تحت واسط عليه قرىً كبيرة . « لب اللباب » (ص ١٨٥) .

(٢) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٨٧٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤٤/٣٧) ، وانظر « بهجة المجالس » لابن عبد البر (٤٤٧/١) ، و« تهذيب الكمال » (٤١٠/١٨) ، و« تاريخ الإسلام » (١٤١/٦ ـ ١٤٢) .

٦٦٣ ـ وأُنبِئتُ عمَّن أجازَ لهُ الحافظُ أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ ، عنهُ قالَ : سمعتُ أبا الفرجِ الهِيتيَّ يقولُ : تكلُّفُ ما لا يُستطاعُ ممَّا لا تُؤثِرُهُ الطِّباعُ .

مَن كانَ الصَّمتُ شجرتَهُ . . كانَتِ السَّلامةُ ثمرتَهُ .

مَن كانَ الصَّمتُ أُولاهُ . . كانَتِ السَّلامةُ عُقباهُ .

في تيقُّظِ اللَّبيبِ ما يُغنيهِ عنِ الطَّبيبِ .

مَن تركَ المِراءَ . . استمالَ الورىٰ .

مَن أَحَبَّ العاجلَ . . كرهَ الآجِلَ .

مَن أرادَ الصُّحبةَ . . داومَ المحبَّةَ (١)

فَائِدَةٌ

[في خيرِ مكاسبِ الدُّنيا]

٦٦٤ ـ وأُنبِئتُ عن أبي محمَّدٍ عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ بنِ أحمدَ قالَ : أنبأَنا المُبارَكُ بنُ كاملٍ الخَفَّافُ قالَ : قرأتُ على المُبارَكِ بنِ جعفرٍ ، وعلىٰ أخي ؛ صالحِ بنِ كاملٍ ، أخبرَكُم محمَّدُ بنُ الحسينِ شَمذُويهِ المُقرِئُ ، أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ الفرجِ العُكْبَريُّ ، ثنا الحسنُ بنُ شهابٍ ، أنا ابنُ بَطَّةَ ، أنا أبو محمَّدٍ السُّكَّريُّ ، ثنا المِنْقَريُّ ، ثنا الأصمعيُّ قالَ : قالَ شبيبُ بنُ شيبةَ : (خيرُ مكاسبِ الدُّنيا إخوانُ الصَّفاءِ ؛ هم زَينٌ في الرَّخاءِ ، وعُدَّةٌ عندَ البلاءِ ، ومعونةٌ علىٰ حُسنِ المَعادِ والمَعاشِ) (٢)

حِكَايَةٌ

[في صفةِ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ]

٦٦٥ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ قالَ : أنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ بنِ كاملٍ الخَفَّافُ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ حَمْدِ بنِ خلفٍ البَنْدَنيجيُّ ، ثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ ابنُ البَنَّاءِ ، أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحَمَّاميُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ إسماعيلَ

---

(١) انظر « المشيخة البغدادية » (ص١٠٣) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣١/٧٣) ، وانظر « العقد الفريد » (٣٠٤/٢) ، و« البصائر والذخائر » للتوحيدي (١٥٣/٥) ، و« ربيع الأبرار » (٤٤٧/١) .

السُّكَّريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ اللَّيثِ ، ثنا عبدُ اللهِ ، عن أبي حمزةَ ، عنِ الأعمشِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ القَرْمِيسِينيّ ، ثنا عمرانُ بنُ موسىٰ ، ثنا أبو سهلٍ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ الفرجِ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَني عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ أبي عمرٍو الأسديُّ ، عنِ الكلبيّ ، عن أبي صالحٍ قالَ : قالَ معاويةُ يوماً لضرارٍ : (صِفْ لي عليّاً) ، فقالَ : أَوَتُعفيني يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : (بل صِفْهُ لي) ، قالَ : بل تُعفيني ، قالَ : (لا) ، أو قالَ : (لا بُدَّ) .

قالَ : فإنَّهُ كانَ بعيدَ المَدىٰ ، شديدَ القُوىٰ ، يقولُ فَصْلاً ، ويحكمُ عَدْلاً ، يتفجَّرُ العلمُ مِن جوانبِهِ ، وينطقُ الحقُّ مِن نواحيهِ ، ويستوحشُ مِنَ الدُّنيا وزهرتِها ، ويستأنسُ باللَّيلِ ووَحْدتِهِ .

وكانَ ـ واللهِ ـ غزيرَ الدَّمعةِ ، طويلَ الفكرةِ ، يُقلِّبُ كفَّهُ ، ويُخاطِبُ نفسَهُ ، يُعجِبُهُ مِنَ اللِّباسِ ما قصرَ ، ومِنَ الطَّعامِ ما خشنَ .

كانَ فينا كأحدِنا ؛ يُجيبُنا إذا سألْناهُ ، ويبتدئُنا إذا أتيْناهُ ، ونحنُ ـ واللهِ ـ معَ تقريبِهِ لنا ودنوِّهِ منَّا لا نُكلِّمُهُ لهيبتِهِ ، ولا نبتديهِ لعظمتِهِ ، وإن تبسَّمَ . . فعن مثلِ اللُّؤلؤِ المنظومِ ، لا يطمعُ القويُّ في باطلِهِ ، ولا ييئَسُ الضَّعيفُ مِن عدلِهِ .

فأشهدُ باللهِ ؛ لقد رأيتُهُ في بعضِ مواقفِهِ ، وقد أرخى اللَّيلُ سدولَهُ ، وغارَتْ نجومُهُ ، وقد مَثُلَ في محرابِهِ ، قابضاً علىٰ لحيتِهِ ، يتململُ كالسَّليمِ ، ويبكي بكاءَ الحزينِ ، فكأنِّيَ الآنَ أسمعُهُ وهوَ يقولُ : (يا دنيا يا دنيا ؛ ألي تعرَّضتِ ؟! أم لي تشوَّفتِ ؟! هيهاتَ هيهاتَ !! غُرِّي غيري ، لا حانَ حينُكِ ، فقد بتتُّكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي فيكِ ، فعمرُكِ قصيرٌ ، وعيشُكِ حقيرٌ ، وخطبُكِ كثيرٌ ، آهِ مِن قلَّةِ الزَّادِ ، وبُعْدِ السَّفرِ ، ووَحْشةِ الطَّريقِ !!) .

فوكفَتْ دموعُ معاويةَ ما يملكُها علىٰ لحيتِهِ ، وهوَ يَنْشَفُها بكمِّهِ ، وقدِ اختنقَ القومُ بالبكاءِ ، ثمَّ قالَ : (رحمَ اللهُ أبا حسنٍ ، كانَ ـ واللهِ ـ كذٰلكَ ، فكيفَ حزنُكَ عليهِ يا ضرارُ ؟) .

قالَ : حُزنُ ـ واللهِ ـ مَن ذُبِحَ واحدُها في حِجْرِها ، ولم تسكنْ حرارتُها !!

ثمَّ خرجَ [1]

---

(١) أخرجه القالي في « الأمالي » (٢/١٤٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/٨٤ ـ ٨٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/٤٠١ ـ ٤٠٢) ، وابن الجوزي في « التبصرة » (١/٤٥٠) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/١١٨ ـ ١١٩) .

نُكتة

[في تدافُعِ الدُّنيا والقرآنِ]

٦٦٦ ـ وأنبأَني أبو العبَّاسِ بنُ محمَّدٍ الكَرَجيُّ ، وغيرُهُ ، عن محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ البغداديّ قالَ : أنبأَنا محمَّدُ بنُ أبي السَّعاداتِ ، عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ قالَ : أنا شيخُنا أبو بكرٍ ابنُ الشَّوْكيّ الخطيبُ بالمُحوَّلِ المُقرِئُ ـ وكانَ ثقةً صالحاً ـ قالَ : كانَ رجلٌ يُحِبُّ الدُّنيا ويسعىٰ لها ، فلا تزدادُ منهُ إلَّا بُعْداً ، فجاءَ إليَّ وقالَ : قد أصابَني أمرٌ أُريدُ أن تكتمَهُ عليَّ ، فقلتُ : ما هوَ ؟

فقالَ : قد كنتَ ترىٰ منّي حُبَّ الدُّنيا وطلبَها ، فرأيتُ اللَّيلةَ في مَنامي قائلاً يقولُ لي : تبيعُني أربعَ سُوَرٍ ممَّا تحفظُهُ مِنَ القرآنِ بهٰذهِ العشرينَ ديناراً ؟ فقلتُ : نعم ، فطرحَ الدَّنانيرَ في كفِّي .

ثمَّ انتبهتُ فلم أرَ شيئاً ، فطلبتُ أن أقرأَ شيئاً مِنَ السُّوَرِ الَّتي عيَّنَها فلم أستطعْ !! وقد جئتُكَ تُلقِّنُنيها في خلوةٍ ، قالَ : فخلوتُ بهِ ، وجعلتُ أقرأُ الآيةَ مِنَ السُّورةِ فيقرؤُها معي ، فإذا أمسكتُ . . عجزَ عنِ القراءةِ ، فبقيْنا علىٰ ذٰلكَ مدَّةً ، فلم يحفظْ منها آيةً واحدةً ، فقالَ لي بعدَ مدَّةٍ : لا تتعبْ معي ؛ فإنَّها نُزِعَتْ منِّي (١)

نُكتة

[خُذْ حَقِّق وبَقِّق ونَقِّق !!]

٦٦٧ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ بنِ الحسنِ الأنماطيُّ ، عن يحيى بنِ الحسنِ بنِ أحمدَ ابنِ البَنَّاءِ قالَ : كتبَ إليَّ القاضي أبو تمَّامٍ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الواسِطيُّ : أنَّ أبا عمرَ محمَّدَ بنَ العبَّاسِ ابنَ حَيُّويهِ الخَزَّازَ أخبرَهُ قالَ : أنا أبو بكرٍ مُكرمُ بنُ أحمدَ قالَ : حدَّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ الحسنِ بنِ إسحاقَ الذَّارعُ البصريُّ قالَ : دفعَ إلينا إبراهيمُ بنُ حمَّادِ بنِ إسحاقَ كتاباً مِن كتبِهِ علىٰ ظهرِهِ مكتوبٌ : وفيما أجازَ الحارثُ ابنُ أبي أسامةَ لأبي ولي ، ثنا محمَّدُ بنُ زكريَّا البصريُّ ، عنِ العبَّاسِ ابنِ بكَّارٍ الضَّبِّيِّ ، عن أبي بكرٍ الهذليِّ قالَ : أصابَتْ عبيدَ اللهِ بنَ الحسنِ العَنْبَريَّ القاضيَ

---

(١) انظر « المجالس الوعظية » للسفيري (١/٢٤٣) .

عِلَّةٌ ، فدعا زكويهِ الطَّبيبَ فقالَ : ويحَكَ يا زكويهِ ؛ أُهدِيَ لنا زَغبدٌ في فَيْخةٍ ، فأكلتُهُ ، فأصابَني عِلَّوْصةٌ !!

فقالَ : خُذْ حَقَّق وبَقَّق ونَقَّق !! ومُرْهُم يسحقونَهُ سحقاً ناعماً ، وبندقْهُ واستفَّهُ .

فقال : ويحَكَ !! ما حَقَّق وبَقَّق ونَقَّق ؟!

قالَ : فما زَغبدٌ في فَيْخةٍ ؟! فقالَ : أُهدِيَ لنا زُبْدٌ في سُكُرُّجةٍ ، فأصابَتْني تُخَمةٌ[1]

فقالَ : خُذِ الآنَ زبيباً وحَبَّ رُمَّانٍ وصَعْتراً[2] ، فمُرْهُم أن يسحقوهُ ، واستفَّ منهُ[3]

نكتة

[في رضا النَّاسِ وسخطِهم]

٦٦٨ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ : أنَّ القاضيَ أبا الطَّيِّبِ طاهرَ بنَ عبدِ اللهِ الطَّبَريَّ أخبرَهُ قالَ : ثنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الدَّامَغانيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ الدَّامَغانيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ بسرٍ البَكْريُّ ، أنا محمَّدُ بنُ زيادٍ قالَ : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : كانَ سفيانُ الثَّوْريُّ يقولُ : (رضا النَّاسِ غايةٌ لا تُدرَكُ ؛ فإن أرضيتَهُم . . أسخطتَ ربَّكَ ، وإن أسخطتَهُم . . فتهيَّأْ للسِّهامِ) .

ثمَّ قالَ : (السِّهامُ أَحَبُّ إليَّ مِن أن يذهبَ ديني) .

نكتة

[في السَّخاءِ]

٦٦٩ ـ وأُنبِئتُ عنِ الشَّيخِ مُحِبِّ الدِّينِ محمَّدِ بنِ محمودٍ قالَ : أنا أبو الفرجِ الحَرَّانيُّ ـ يعني : عبدَ المُنعِمِ بنَ عبدِ الوهَّابِ ـ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أبو عليٍّ ابنُ نبهانَ قراءةً عليهِ [قالَ] : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ الحسينِ ابنُ دوما ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ نصرِ بنِ

---

(١) السُّكُرُّجة : إناء صغير يُؤكل فيه الشَّيء القليل من الأدم .

(٢) الصَّعْتر : ضرب من النَّبات ممَّا ينبت بأرض العرب ، منه سهليٌّ ومنه جبليٌّ .

(٣) انظر « لسان الميزان » لابن حجر (٧/١٤١) .

عبدِ اللهِ الذَّارعُ ، ثنا محمَّدُ بنُ يحيىٰ ، ثنا أبو العيناءِ ، ثنا أبو عاصمٍ قالَ : (سُئِلَ عمرُو بنُ عبيدٍ عنِ السَّخاءِ ، فقالَ : أن تكونَ بمالِكَ مُتبرِّعاً ، وعن مالِ غيرِكَ مُتورِّعاً)[1]

نُكتةٌ

[في خصالِ الكريمِ]

٦٧٠ ـ وبهِ إلى الذَّارعِ قالَ : ثنا الحسنُ بنُ العبَّاسِ ، ثنا محمَّدُ بنُ موسىٰ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ قالَ : قالَ زيدُ بنُ عليٍّ : (ثلاثُ خصالٍ لا يجتمعْنَ إلَّا في كريمٍ : حسنُ المحضرِ ، واحتمالُ زلَّاتِ الإخوانِ ، وقلَّةُ المَلامةِ للصَّديقِ)[2]

حكايةٌ

[في هربِ الفضلِ بنِ الرَّبيعِ مِنَ المأمونِ]

٦٧١ ـ وأُنبِئتُ عن أبي عبدِ اللهِ بنِ أبي الفضلِ قالَ : أنبأَنا أحمدُ بنُ يحيى الخازنُ قالَ : أنا الحسينُ بنُ عليٍّ الكُوفيُّ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ مِن أصحابِ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ ، عنهُ ، عنِ المُبارَكِ بنِ عبدِ الجبَّارِ قالَ : أنا القاضي أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ ، وغيرِهِ ، عن أبي بكرِ بنِ أبي طاهرِ بنِ محمَّدٍ الشَّاهدِ ، عن أبي القاسمِ عليِّ بنِ المُحسِّنِ قالَ : أنا أبي ، حدَّثَني عليُّ بنُ هشامٍ ابنُ أبي قيراطٍ الكاتبُ ، ثنا أبو عليٍّ ابنُ مقلةَ قالَ : حدَّثَني أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ سعيدٍ الدِّيناريُّ ، عن أبي أيُّوبَ سليمانَ بنِ وهبٍ ، عن أبي طالوتَ كاتبِ آلِ طاهرٍ قالَ : سمعتُ

---

(١) انظر « ديوان المعاني » لأبي هلال العسكري (١/٣١٦) بلا نسبة ، و« نثر الدر » للآبي (٧/١٧٦) ، و« التمثيل والمحاضرة » للثعالبي (ص ٤٠٩) بلا نسبة ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٢/٥٧٧) بلا نسبة ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٣٠٢) بلا نسبة ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/٢٦١) ، و« نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري (٣/٢٠٤) .

(٢) أخرجه ابن المقير في « جزئه » ضمن كتاب « الفوائد » (١٣٤٣) ، والماليني في « الأربعين في شيوخ الصوفية » (ص ١٦٤) عن ذي النون المصري ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٥٦٢) عن سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وأبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/٦٨) مخطوط عن ذي النون ، وانظره في « أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٥٤٩) ، و« سراج الملوك » للطرطوشي (ص ٦٥٩) وفيهما بلا نسبة .

الفضلَ بنَ الرَّبيعِ يقولُ : لمَّا استترتُ مِنَ المأمونِ . . أخفيتُ نفسي عن عيالي وولدي ، وكنتُ أتنقَّلُ وحدي .

فلمَّا قربَ المأمونُ مِن بغدادَ . . زادَ حذري وخوفي علىٰ نفسي ، فتشدَّدتُ في الاحتياطِ والتَّواري ، فأفضيتُ إلىٰ منزلِ بَزَّازٍ كنتُ أعرفُهُ ، وشدَّدَ المأمونُ في طلبي فلم يعرفْ لي خبراً ، فتذكَّرَني يوماً فاغتاظَ ، وجَدَّ بإسحاقَ بنِ إبراهيمَ في طلبي فلم يعرفْ لي خبراً .

فخرجَ إسحاقُ مِن حضرتِهِ ، فجَدَّ بأصحابِ الشُّرَطِ حتَّىٰ أوقعَ ببعضِهِم مكارهَ ، ونادىٰ في الجانبَينِ بأنَّ : مَن جاءَني بهِ . . فلهُ عشرةُ آلافِ دينارٍ ، وإقطاعٌ غَلَّتُهُ ثلاثةُ آلافِ دينارٍ في كلِّ سنةٍ ، وأنَّ مَن وُجِدتُ عندَهُ بعدَ النِّداءِ . . ضُرِبَ خمسَ مئةِ سوطٍ ، وهُدِمَتْ دارُهُ ، وأُخِذَ مالُهُ ، وحُبِسَ طولَ عمرِهِ .

فنُودِيَ بذٰلكَ عشيّاً ، فما شعرتُ إلَّا بصاحبِ الدَّارِ وقد دخلَ عليَّ ، فأخبرَني بخبرِ النِّداءِ ، وقالَ : واللهِ ؛ ما أقدرُ بعدَ هٰذا إلىٰ سَترِكَ ، ولا آمنُ زوجتي وجاريتي وغلامي أن تشرهَ نفوسُهُم إلى المالِ فيدلُّوا عليكَ ، وأَهْلِكَ بهلاكِكَ ، وإن صفحَ الخليفةُ عنكَ . . لم آمنْ أن تتَّهمَني أنتَ بأنِّي دللتُ عليكَ ، فيكونُ ذٰلكَ أقبحَ ، وليسَ الرَّأيُ في ذٰلكَ إلَّا أن تخرجَ عنِّي .

فوردَ عليَّ أعظمُ واردٍ ، وقلتُ : إذا جاءَ اللَّيلُ . . خرجتُ عنكَ ، قالَ : ومَن يُطيقُ الصَّبرَ علىٰ هٰذا القدرِ إلى اللَّيلِ ؟! فإن وُجِدتَ عندي قبلَ اللَّيلِ . . كيفَ يكونُ حالي ؟ وهٰذا وقتٌ حارٌّ ، وقد طالَ عهدُ النَّاسِ بكَ ، فتنكَّرْ واخرجْ .

فقلتُ : كيفَ أتنكَّرُ ؟ قالَ : تأخذُ أكثرَ لحيتِكَ ، وتُغطِّي رأسَكَ وبعضَ وجهِكَ ، وتَلْبَسُ قميصاً ضيِّقاً وتخرجُ ، فقلتُ : أفعلُ .

فجاءَ بمِقْراضٍ فأخذَ أكثرَ لحيتي ، وتنكَّرتُ وخرجتُ في أوَّلِ أوقاتِ العصرِ ، وأنا ميِّتٌ جَزَعاً ، فمشيتُ في الشَّارعِ وقد رُشَّ وهوَ مُتزلِّقٌ ، فلمَّا توسَّطتُهُ . . إذا [أنا] بفارسٍ مِنَ الجُندِ الَّذينَ كانوا ينوبونَ في داري أيَّامَ وزارتي قد قربَ منِّي فعرفَني ، وقالَ : طَلِبةُ أميرِ المؤمنينَ واللهِ !! وعدلَ إليَّ ليقبضَ عليَّ ، فلحلاوةِ النَّفسِ دفعتُهُ ودابَّتَهُ فزَلِقَ ، ووقعَ في سفنِ الجسرِ ، وتعادى النَّاسُ لخلاصِهِ ، وظنُّوا أنَّهُ قد زَلِقَ بنفسِهِ ، وتشاغلَ بهِم .

وزدتُ أنا في المشيِ مِن غيرِ أن أعدوَ ؛ لئلَّا يُنكَرَ حالي ، [إلىٰ] أن عبرتُ الجسرَ ،

ودخلتُ دَرْبَ سليمانَ [١] ، فوجدتُ امرأةً علىٰ بابِ دارٍ مفتوحٍ ، فقلتُ لها : أنا خائفٌ مِنَ القتلِ ؛ فأَجيريني واحفظي دمي ، فقالَتِ : ادخلْ ، وأومأَتْ إلىٰ غرفةٍ فصعدتُها .

فلمَّا كانَ بعدَ ساعةٍ . . فإذا بالبابِ قد دُقَّ ، ففتحَتْهُ ودخلَ زوجُها ، فتأمَّلْتُهُ فإذا هوَ صاحبي على الجسرِ !! وهوَ مشدودُ الرَّأسِ يتأوَّهُ مِن شَجَّةٍ لحقَتْهُ ، فسألَتْهُ المرأةُ عن خبرِهِ ، فأخبرَها القصَّةَ ، وقالَ لها : قد فاتَنيَ الغنىٰ ، وجعلَ يشتمُني ، وهوَ لا يعلمُ حصولي في دارِهِ ، وأقبلَتِ المرأةُ ترفقُ بهِ إلىٰ أن هدأَ .

فلمَّا صلَّيتُ المغربَ واختلطَ الظَّلامُ . . صعدَتِ المرأةُ إليَّ ، وقالَتْ : أظنُّكَ صاحبَ القصَّةِ معَ هـٰذا الرَّجلِ ، قلتُ : نعم ، قالَتْ : قد سمعتَ ما عندَهُ ، فاتَّقِ اللهَ في نفسِكَ واخرجْ ، فدعوتُ لها .

ونزلتُ ، ففتحتُ البابَ فتحاً رفيقاً وخرجتُ ، فلمَّا انتهيتُ إلىٰ آخرِ الدَّرْبِ . . وجدتُ الحرسَ قد أغلقوا فتحيَّرتُ ، ثمَّ رأيتُ رجلاً يفتحُ باباً بمفتاحٍ روميٍّ ، فقلتُ : هـٰذا عَزَبٌ ، وهوَ ممَّن يقبلُ مثلي ، فدنوتُ منهُ وقلتُ : استُرْني سترَكَ اللهُ ، فقالَ : ادخلْ ، فدخلتُ فوجدتُ رجلاً فقيراً وحيداً ، فأقمتُ ليلتي .

وبكَّرَ مِن غدٍ ، ثمَّ عادَ نصفَ النَّهارِ ومعَهُ حمَّالانِ علىٰ أحدِهِما حصيرٌ ومِخَدَّةٌ ، وجرارٌ وكيزانٌ وغَضائرُ ، وقِدْرٌ جديدٌ ، وعلى الآخرِ خبزٌ ولحمٌ وفاكهةٌ ، فتركَ ذٰلكَ عندي ، وأغلقَ البابَ ، فنزلتُ فعذلتُهُ ، وقلتُ لهُ : تكلَّفتَ هـٰذا ، فقالَ : أنا رجلٌ مُزيِّنٌ ، وأخافُ أن تستقذرَني ، وقد أفردتُ هـٰذا لكَ ، فاطبخْ وأَطعِمْني في غَضارةٍ أجيءُ بها مِن عندي ، فشكرتُهُ [٢] .

وكنتُ أفعلُ ذٰلكَ ثلاثةَ أيَّامٍ ، فلمَّا كانَ في اليومِ الثَّالثِ . . ضاقَ صدري ، فقلتُ لهُ في ليلةِ اليومِ الرَّابعِ : الضِّيافةُ ثلاثٌ ، وقد أحسنتَ وأجملتَ ، وأُريدُ الخروجَ ، فقالَ : لا تفعلْ ؛ فإنِّي وحيدٌ ، ولستُ ممَّن يُطرَقُ ، ولا يجوزُ أن يفشوَ خبرُكَ مِن عندي أبداً ، فأَقِمْ إلىٰ أن يُفرِّجَ اللهُ عزَّ وجلَّ عنكَ ، فلستُ أتثاقلُ بكَ ، فأبَيتُ .

---

(١) دَرْب سليمان : دَرْب كان ببغداد يقابل الجسر ، وفيه كانت دار سليمان بن جعفر بن أبي جعفرٍ المنصور . « معجم البلدان » (٢/٤٤٨) .

(٢) الغَضارة : إناء يُؤكل فيه الطَّعام .

وخرجتُ حتَّىٰ بلغتُ بابَ التِّبنِ أُريدُ منزلَ عجوزٍ مِن موالينا[١] ، فدققتُ البابَ عليها فخرجَتْ ، فلمَّا رأَتْني . . بكَتْ وحمدَتِ اللهَ تعالىٰ علىٰ رؤيتي وأدخلَتْني .

فلمَّا كانَ في السَّحَرِ . . بكَّرَتْ وأنا نائمٌ ، فسعَتْ بي إلىٰ بعضِ أصحابِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، فما شعرتُ إلَّا بإسحاقَ نفسِهِ في خيلِهِ ورَجِلِهِ قد أحاطَ بالدَّارِ ، ثمَّ كبسَها فاستخرجَني منها ، حتَّىٰ أوقفَني بينَ يدَيِ المأمونِ حافياً حاسراً .

فلمَّا بصُرَ بي . . سجدَ طويلاً ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ ، فقالَ : يا فضلُ ؛ أتدري لِمَ سجدتُ ؟ قلتُ : نعم ، شكراً للهِ أن ظفَّرَكَ بعدوِّ دولتِكَ ، المُغري بينَكَ وبينَ أخيكَ .

قالَ : ما أردتُ هٰذا ، ولٰكنِّي سجدتُ شكراً للهِ تعالىٰ علىٰ ما ألهمَنيهِ مِنَ العفوِ عنكَ ، حدِّثْني بخبرِكَ ، فشرحتُهُ لهُ مِن أوَّلِهِ إلىٰ آخرِهِ .

فأمرَ بإحضارِ المرأةِ مولاتِنا ، وكانَتْ في الدَّارِ تنتظرُ الجائزةَ ، فقالَ لها : ما حَمَلَكِ علىٰ ما فعلتِ معَ إنعامِهِ وإنعامِ أهلِهِ عليكِ ؟ قالَتْ : رغبتُ في المالِ ، قالَ : هل لكِ ولدٌ أو أخٌ أو زوجٌ ؟ قالَتْ : لا ، فأمرَ بضربِها مئتَي سوطٍ ، وتخليدِها الحبسَ .

ثمَّ قالَ لإسحاقَ : أَحضِرِ السَّاعةَ الجنديَّ وامرأتَهُ والمُزيِّنَ ، فأُحضِروا في المجلسِ ، واستثبتَني فيهِم فعرَّفتُهُ أنَّهُمُ القومُ بأعيانِهِم ، فسألَ الجنديَّ عنِ السَّببِ الَّذي حملَهُ علىٰ فعلِهِ ، فقالَ : الرَّغبةُ في المالِ ، وواللهِ ؛ إنَّهُ لهوَ الَّذي أثبتَني في الجيشِ ، ولٰكنِّي رغبتُ في العاجلِ .

قالَ : أنتَ بأن تكونَ حجَّاماً أولىٰ بكَ مِن أن تكونَ في أوليائِنا ، وأمرَ بأن يُسلَّمَ إلى المُزيِّنينَ في الدَّارِ ، ويُوكَلَ بهِ مَن يُعنِّفُهُ حتَّىٰ يتعلَّمَ الحِجامةَ ، وأمرَ باستخدامِ زوجتِهِ في قَهْرمةِ دورِ حُرَمِهِ[٢] ، وقالَ : هٰذهِ امرأةٌ عاقلةٌ ديِّنةٌ .

وأمرَ بتسليمِ دارِ الجنديِّ وقماشِهِ إلى المُزيِّنِ ، وأن يُجعَلَ رزقُهُ لهُ ، ويُجعَلَ جنديّاً مكانَ ذٰلكَ الجنديِّ ، وأطلقَني إلىٰ داري ، فرجعتُ إليها في آخرِ النَّهارِ آمناً مُطمئنّاً[٣]

---

(١) بابُ التِّبن : محلَّة كبيرة ببغداد بإزاء قَطِيعة أمِّ جعفر . « معجم البلدان » (٣٠٦/١) .

(٢) يعني : القيام بأمور الدُّور .

(٣) أخرجه التنوخي في « الفرج بعد الشدة » (٢٩٣/٤ ـ ٢٩٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١٧٨/٦ ـ ١٨١) .

نُكتة

[في مداواةِ العبدِ]

٦٧٢ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أخبرَني أبو الفتوحِ داوودُ بنُ معمرٍ القرشيُّ بأصبهانَ ، أنا الخضرُ بنُ [الفضلِ][١] الصَّفَّارُ ، عن إسماعيلَ بنِ مسعدةَ الإسماعيليِّ قالَ : أنا حمزةُ بنُ يوسفَ السَّهْميُّ ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ همامٍ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الثَّقفيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ سلمةَ الأُمويُّ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ القاسمِ الأُمويُّ ، عن أبيهِ القاسمِ بنِ بَهْرامٍ ، عن جعفرِ بنِ محمَّدٍ قالَ : (إذا اشتكى العبدُ ثمَّ عُوفِيَ ، فلم يُحدِثْ خيراً ، ولم يَكُفَّ عن سوءٍ . . لقيَتِ الملائكةُ بعضُها بعضاً ـ يعني : حَفَظَتَهُ ـ فقالَتْ : إنَّ فلاناً داويْناهُ ، فلم ينفعْهُ الدَّواءُ !!)[٢]

حكاية

[مِن محنةِ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ]

٦٧٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ أبي سعيدٍ الحنبليِّ بأصبهانَ ، عنِ القاسمِ بنِ الفضلِ بنِ عبدِ الواحدِ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليٍّ الهَرَويُّ في كتابِهِ ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ القرَّابِ قالَ : أنا أبو عصمةَ محمَّدُ بنُ جعفرٍ الوَرَّاقُ السِّجْزيُّ بهَرَاةَ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ المحموديُّ النَّيْسابوريُّ ، ثنا فارسُ بنُ حفيظٍ اليماني ، ثنا محمَّدُ بنُ صَبِيحٍ المناطقيُّ البغداديُّ ، ثنا معنُ بنُ زائدةَ ، ثنا ميمونُ بنُ الأصبغِ النَّصِيبيُّ قالَ : دخلتُ مدينةَ السَّلامِ فإذا النَّاسُ حِلَقٌ حِلَقٌ ، يُكثِرونَ الكلامَ فيما بينَهُم .

قالَ : فدنوتُ لأتعرَّفَ ما يقولونَ ، فإذا هم يقولونَ : إنَّ أميرَ المؤمنينَ يُريدُ أن يمتحنَ أحمدَ ابنَ حنبلٍ في خَلْقِ القرآنِ . . . وذكرَ حكايةً طويلةً ، وقصَّةَ ضَرْبِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، وأنَّهُ وَهبَ للبوَّابِ مالاً عظيماً حتَّىٰ أدخلَهُ دارَ الإمارةِ .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (إسماعيل) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (١٥٧/٣٩) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٨١٣) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (١٨٤٤/٣) ، وانظر « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٤٦/٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٣٣٧/٤) بلا نسبة ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٨٢٢/٢) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٨٧٥٩) ، وعزواه لابن النجار .

قالَ ميمونٌ : فمِن شدَّة الضَّربِ انقطعَتْ تكّتُهُ ، وانحلَّتْ سراويلُهُ .

قالَ ميمونٌ : فرأيتُ أحمدَ وقد لحظَ السَّماءَ بطَرْفِهِ ، وحرَّكَ شفتَيهِ بشيءٍ لا أدري ما هوَ ، فاشتدَّ سراويلُهُ !!

قالَ : فبكى الحاجبُ حتَّىٰ بلَّ دمعُهُ الأرضَ (١)

حكاية

[كنَّا لا نعرفُ في سوقِنا إلَّا الأمانةَ حتَّىٰ فسدَ النَّاسُ]

٦٧٤ ـ وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنا القاضي أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ بنِ عليٍّ التَّنُوخيُّ إذناً ، عن أبيهِ قالَ : ثنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الهاشميُّ المعروفُ بابنِ الجعفريَّةِ قالَ : حدَّثَني شيخٌ مِن شيوخِ الجَوْهَرِيِّينَ بالكَرْخِ قالَ : كنَّا لا نعرفُ في سوقِنا إلَّا الثِّقةَ والأمانةَ إلىٰ أن فسدَ النَّاسُ .

قالَ : وقالَ لي : حدَّثَني شيخٌ مِن شيوخِ سوقِنا : أنَّ البرامكةَ لمَّا نُكِبوا وزالَتْ نعمتُهُم . . حصلَ لجاريةٍ منهُم ولدٌ طفلٌ فربَّتْهُ ، فلمَّا ترعرعَ . . أرادَتْ أن تختنَهُ ، فأخرجَتْ عقداً فيهِ خمسونَ حبَّةً جوهراً ، كانَ سلَّمَهُ إليها أبوهُ ؛ لشدَّةٍ ولحالٍ تعرضُ .

فقالَتْ لجاريةٍ معَها : أُريدُ أن أُفرِحَ هٰذا اليتيمَ وأفرحَ بختانِهِ ، وقد كانَ أبوهُ سلَّمَ إليَّ هٰذا العقدَ لشدَّةٍ تلحقُنا ، وهيَ هٰذهِ ، فخُذِي هٰذا العقدَ وامضي بهِ إلىٰ سوقِ الجَوْهَرِيِّينَ ، واطلبي رجلاً موصوفاً بالدِّينِ والأمانةِ ، فسلِّمي إليهِ العقدَ ، وسليهِ في بيعِهِ والاحتياطِ في ثمنِهِ ، فإن حصلَ لكِ فيهِ مئةُ دينارٍ أو أكثرُ . . فخُذِي الثَّمنَ ، وإن دفعَ إليكِ أقلَّ مِن ذٰلكَ . . فلا تبيعيهِ واستأمريني .

قالَ : فجاءَتِ الجاريةُ إلى السُّوقِ ، فسألَتْ عمَّن لهُ دينٌ وأمانةٌ ، فقيلَ لها : كلُّ أهلِ السُّوقِ بهٰذا الوصفِ ، ولٰكنْ في آخرِ السُّوقِ شابٌّ قد نشأَ ، يأخذُ نفسَهُ بالزِّيادةِ في التَّحرُّزِ والتَّوقِّي .

فاستدلَّتْ عليهِ ومضَتْ إليهِ ، فرأى العقدَ واستحسنَهُ ، وقالَ لها : رُسِمَ لكِ في ثمنِهِ بشيءٍ ؟ قالَتْ : نعم ، وأخبرَتْهُ بما رُسِمَ لها ، قالَ : فقالَ للمُنادي الَّذي دلَّ الجاريةَ

---

(١) انظر « صفة الصفوة » (٢/٢١٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٣٢٨ ـ ٣٢٩) .

عليهِ : خُذْ هـٰذهِ الحبَّةَ ـ وحَلَّ حبَّةً واحدةً مِنَ العقدِ ـ وامضِ بها إلىٰ فلانٍ ، وقلْ لهُ : هـٰذا مِنَ المتاعِ الَّذي يصلحُ لكَ ، وهـٰذهِ الحبَّةُ رخيصةٌ بمئةِ دينارٍ ، فخُذْها وانقدِ الثَّمنَ إليَّ .

فمضى المُنادي وغابَ ساعةً ، وجاءَ بمئةِ دينارٍ ، وشدَّ العقدَ في إزارِ الجاريةِ ، وفيهِ تسعةٌ وأربعونَ حبَّةً والمئةُ دينارٍ ، وقالَ لها : يا هـٰذهِ ؛ كلُّ حبَّةٍ مِن عقدِكِ تُساوي أكثرَ مِن مئةِ دينارٍ ، فامضي بالدَّنانيرِ إلىٰ صاحبةِ العقدِ ، فإن كانَ لها رأيٌ بعدَ ذٰلكَ في بيعِ شيءٍ آخرَ . . فهاتيهِ ؛ فإنِّي أبيعُ لكِ كلَّ حبَّةٍ بمئةِ دينارٍ وزيادةٍ .

فبكَتِ الجاريةُ بكاءً شديداً ، فقالَ لها المُنادي : لِمَ تبكينَ وقد أحسنَ إليكِ وما ظلَمَكِ ، ووفَّرَ عليكِ مالاً عظيماً ؟

فقالَتْ : إنَّما بكائي لِمَا شاهدتُ مِن ثقتِهِ ، وأنَّهُ رجلٌ قد عفَّ عن خمسةِ آلافِ دينارٍ لامرأةٍ لا يعرفُها ، ولا تعرفُ هيَ قيمةَ ما سلَّمَتْهُ إليهِ ، ولا اطَّلعَ على الحديثِ إلَّا رجلٌ واحدٌ وهوَ أنتَ ، وقد كانَ يُمكِنُهُ أن يُرضيَكَ أو لا يُراعيَكَ فيما يُريدُ فِعْلَهُ لو كانَ ممَّن يخونُ ، ما ظننتُ أنَّ في الدُّنيا مَن هـٰذهِ صفتُهُ !! وردَّتِ العقدَ إلىٰ صاحبتِهِ فدعَتْ لهُ .

نُكْتَةٌ

[في قولِ اللهِ تعالىٰ في الحاسدِ]

٦٧٥ ـ وبهِ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ سعيدُ بنُ محمَّدٍ المُؤدِّبُ ، عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ المُوحِّدِ ، أنا القاضي أبو المُظفَّرِ هنَّادُ بنُ إبراهيمَ النَّسَفيُّ ، أنا أبو تغلبَ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الأغلبِ الخطيبُ بعُكْبَرا ، أنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ ابنِ حمدانَ العُكْبَريُّ ، ثنا أبو بكرٍ الأنباريُّ ، حدَّثني أبي ، ثنا أحمدُ بنُ عبيدٍ ، عنِ الأصمعيِّ [قالَ] : سمعتُ سفيانَ يقولُ : (يقولُ اللهُ تعالى : « الحاسدُ عدوٌّ لنعمتي ، مُتسخِّطٌ لقضائي ، رادٌّ لقدري ، غيرُ راضٍ بقسمي (١)

أنا أُحِبُّ غنىٰ عبدي ، وهوَ يُحِبُّ فقرَهُ ، فهوَ مُضادٌّ لي فيما أفعلُهُ ») .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٥٤٦٦) ، وأبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/١٣٤) مخطوط ، وانظر « الكشف والبيان » للثعلبي (٣/٣٣٠) ، و« الشكوىٰ والعتاب » للثعالبي (١٩٤) ، و« ربيع الأبرار » (٣/٥٧٨) .

قالَ سفيانُ : (ولولا أنَّهُ كذٰلكَ . . لَمَا أمرَ اللهُ أن يُتعوَّذَ منهُ كما يُتعوَّذُ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ؛ إذ يقولُ : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾)[1]

حكاية

[هٰذا مِن مكَّةَ الأكلةُ الثَّالثةُ]

٦٧٦ ـ وأنبأَني أبو الفرجِ ابنُ وَرِّيدةَ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليِّ بنِ عليٍّ قالَ : أنا أحمدُ بنُ طاهرِ بنِ سعيدٍ المَيْهَنيُّ بقراءتي عليهِ ، عن أبي بكرٍ أحمدَ بنِ عليِّ ابنِ خلفٍ الشِّيرازيُّ ، أنا أبو عبدِ الرَّحمٰنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ قالَ : سمعتُ نصرَ بنَ أبي نصرٍ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنَ المُثاقفِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ الجُنَيدَ يقولُ : وافىٰ أبو حمزةَ ـ يعني : محمَّدَ بنَ إبراهيمَ ـ مِن مكَّةَ ، وعليهِ وعثاءُ السَّفرِ ، فسلَّمتُ عليهِ وشهَّيتُهُ ، قالَ : سِكْباجٌ وعَصيدةٌ تُخليني بهِما[2]

فأخذتُ مَكُّوكَ دَقِيقٍ[3] ، وعشرةَ أرطالِ لحمٍ ، وباذنجاناً وخَلّاً ، وعشرةَ أرطالِ دبسٍ ، وعملْناهُ لهُ عَصيدةً وسِكْباجاً ، ووضعْناهُما لهُ ، وأدخلتُهُ الدَّارَ وأسبلتُ السِّتْرَ ، فدخلَ وأكلَ .

فلمَّا فرغَ مِن أكلِهِ . . دخلتُ إليهِ وقد أتىٰ علىٰ كلِّهِ ، فقالَ لي : يا أبا القاسمِ ؛ لا تعجبْ ؛ فهٰذا مِن مكَّةَ الأكلةُ الثَّالثةُ[4]

* * *

٦٧٧ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا عبدُ المولى بنُ أبي تمَّامٍ الهاشميُّ قالَ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ أحمدَ السَّمَرْقَنْديَّ إملاءً .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وعبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وغيرِهِم ، عن إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : سمعتُ حَمْدَ بنَ أحمدَ الأصبهانيَّ ، سمعتُ

---

(١) سورة الفلق : (٥) .

(٢) السِّكْباج : لحمٌ يُطبخ بخَلٍّ ، والعَصيدة : دَقِيق يُخلط بالسَّمن ويُطبخ .

(٣) المَكُّوك : مكيال يسع صاعاً ونصفاً .

(٤) أخرجه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٢٩٧) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/٢٧٨) ، وقوام السنة في « سير السلف الصالحين » (٤/١٢٧٦ ـ ١٢٧٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/٢٦١) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٢/٥٧٦ ـ ٥٧٧) .

أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ الحافظَ ، سمعتُ أبا الفضلِ نصرَ بنَ أبي نصرِ الطُّوسيَّ بنَيْسابورَ ، سمعتُ أبا بكرٍ ابنَ المُثاقفِ يقولُ : (سُئِلَ الجُنَيدُ بنُ محمَّدٍ عنِ التَّصوُّفِ ، فقالَ : الخروجُ عن كلِّ خُلُقٍ زَرِيٍّ ، والدُّخولُ في كلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ) (١)

فَائِدَةٌ

[في خصالٍ خيرٍ مِن ألوفٍ]

٦٧٨ ـ وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِ ، عن أبي بكرِ بنِ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ ، أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ إملاءً ، أنا أبو الفضلِ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الزُّهريُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ البَغَويُّ ، ثنا نصرُ بنُ عليٍّ الجَهْضَميُّ ، ثنا أبو أسامةَ ، أخبرَنِيَ المجالدُ بنُ سعيدٍ ، ثنا عامرٌ ـ يعني : الشَّعْبيَّ ـ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ [رضيَ اللهُ عنهُما] قالَ : قالَ ليَ العبَّاسُ : (يا بُنَيَّ ؛ إنِّي أرىٰ أميرَ المؤمنينَ ـ يعني : عمرَ [رضيَ اللهُ عنهُ] ـ يدعوكَ ويُقرِّبُكَ ويستشيرُكَ ، فاحفظْ عنِّي ثلاثَ خصالٍ : لا يُجرِّبَنَّ عليكَ كذباً ، ولا تُفشيَنَّ لهُ سِرّاً ، ولا تغتابَنَّ عندَهُ أحداً) .

قالَ عامرٌ : فقلتُ لابنِ عبَّاسٍ : يا أبا عبَّاسٍ ؛ كلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن ألفٍ .

فقالَ : (كلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن عشرةِ آلافٍ) (٢)

حِكَايَةٌ

[السُّدِّيُّ معَ أحدِ قَتَلةِ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ]

٦٧٩ ـ وأُنبِئتُ عن أبي محمَّدٍ ابنِ الأخضرِ ، وابنِ النَّجَّارِ ، وغيرِهِما ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ ، عن أبي غالبٍ شجاعِ بنِ فارسٍ الذُّهْليِّ : أنَّ أبا الحسنِ عليَّ بنَ أبي طالبٍ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ عطيَّةَ المكِّيَّ أخبرَهُ قالَ : ثنا القاضي أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ هارونَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/٢٢) ، والخطيب البغدادي كما في « المنتخب من الزهد والرقائق » (٣٣) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٨٥) عن أبي محمد الجُرَيري ، وانظر « اللمع » لأبي نصر الطوسي (ص ٣٧) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٥١٢) ، وكلُّهم ذكر : (دَنِيٍّ) بدلاً من : (زَرِيٍّ) ، ونُسِب لغيرهما أيضاً .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٠٤٠) ، وهناد بن السري في « الزهد » (١١٨٢) ، وأحمد ابن حنبل في « فضائل الصحابة » (١٨٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/٢٦٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/٣١٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/١٥٥) .

الضَّبِّيُّ إملاءً قالَ : وجدتُ في كتابِ والدي : حدَّثَني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ العزيزِ الجَوْهَريُّ البصريُّ قالَ : ثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ ، حدَّثَني عبيدٌ قالَ : أخبرَني عطاءُ بنُ مسلمٍ قالَ : قالَ [السُّدِّيُّ][1] : أتيتُ كربلاءَ أبيعُ البَزَّ بها ، فعملَ لنا شيخٌ مِن طيِّءٍ طعاماً ، فتعشَّيْنا عندَهُ ، فذكرْنا قتلَ الحسينِ عليهِ السَّلامُ فقلْنا : ما شَرِكَ في قتلِهِ أحدٌ إلَّا ماتَ بأسوأِ ميتةٍ .

فقالَ : ما أكذبَكُم يا أهلَ العراقِ !! فأنا ممَّن شَرِكَ في ذلكَ ، فلم يبرحْ حتَّىٰ خبا المصباحُ ، فذهبَ يُخرِجُ الفتيلةَ بإصبَعِهِ فأخذَتِ النَّارُ فيها ، فذهبَ يُطفِئُها بريقِهِ فأخذَتِ النَّارُ في لحيتِهِ ، فغدا فألقىٰ نفسَهُ في الماءِ ، فرأيتُهُ وكأنَّهُ حُمَمةٌ !![2]

نُكْتَةٌ
[في نارِ المحبَّةِ]

٦٨٠ ـ وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ قالَ : وسمعتُهُ ـ يعني : أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الحميدِ الفارقيَّ الزَّاهدَ ـ يقولُ : (المحبَّةُ نارٌ ؛ زنادُها جمالُ المحبوبِ ، وحُراقُها حرقُ القلوبِ ، وكبريتُها الكمدُ ، ووقودُها الفؤادُ والكبدُ)[3]

نُكْتَةٌ
[في تبشيرِ المُذنِبينَ وإنذارِ الصِّدِّيقينَ]

٦٨١ ـ وبالإسنادِ قبلَهُ إلىٰ ذاكرِ بنِ كاملٍ ، عن أبي نصرٍ محمَّدٍ ، وأبي غالبٍ أحمدَ ، وأبي عبدِ اللهِ يحيىٰ ؛ بني أبي عليٍّ الحسنِ بنِ أحمدَ ابنِ البَنَّاءِ قالوا : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ غالبِ ابنُ المُبارَكِ المُقرِئُ قراءةً عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ عثمانَ البصريُّ المُؤدِّبُ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ رجاءٍ القاضي المالكيُّ ، حدَّثَني أبي ، ثنا زيدُ بنُ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (السندي) ، وفي هامش (أ ، ب ، ج) : (صوابُه : السُّدِّيُّ) ، وهو ما في مصادر التخريج .

(٢) الحُمَمة : واحدة الحُمَم ؛ وهو الرَّماد والفحم وكلُّ ما احترق من النَّار ، وأخرج الخبرَ ثعلبٌ في « مجالسه » (٣٣٩/٢ ـ ٣٤٠) ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٣/١٤) ، وانظر « نثر الدر » للآبي (٤١٠/٧) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢٠٧/٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١١٩/٢ ـ ١٢٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣١٣/٣) .

(٣) أخرجه ابن الدبيثي في « ذيل تاريخ مدينة السلام » (٤١٣/١) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٠٩/٣٩) .

أخزمَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ خُبَيقٍ الأنطاكيُّ قالَ : أوحى اللهُ [تعالىٰ] إلىٰ داوودَ [عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ] : (بَشِّرِ المُذنِبينَ وأَنذِرِ الصِّدِّيقينَ) .

قالَ : « أَيْ رَبِّ ؛ بِمَ أُبَشِّرُ ٱلْمُذْنِبِينَ ؟ وَبِمَ أُنْذِرُ ٱلصِّدِّيقِينَ ؟ » .

قالَ : (بَشِّرِ المُذنِبينَ أنَّهُ لا يتعاظمُني ذنبٌ ألَّا أغفرَهُ ، وأَنذِرِ الصِّدِّيقينَ ألَّا يُعجَبوا بأعمالِهِم فيُسلَبوها)(١)

نُكتةٌ
[في ضعفِ ابنِ آدمَ]

٦٨٢ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ بنِ الحسنِ قالَ : أنبأَنا أبو طاهرٍ المُبارَكُ بنُ أبي المعالي العَطَّارُ ، عنِ الشَّريفِ أبي عليٍّ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ ابنِ المهديِّ قالَ : أنا والدي قراءةً عليهِ قالَ : سمعتُ نقيبَ النُّقَباءِ أبا الحسنِ محمَّدَ بنَ أبي تمَّامٍ عليِّ بنِ الحسنِ الزَّينبيَّ وهوَ يقرأُ علينا ، ثنا أبو العبَّاسِ إسحاقُ بنُ مروانَ القَطَّانُ ، ثنا أبي ، ثنا أبو حفصٍ الأعشىٰ ، ثنا زيادُ بنُ المنذرِ ، عنِ الأصبغِ بنِ نُباتةَ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في خطبتِهِ : (ابنُ آدمَ ، وما ابنُ آدمَ ؟ تُؤلِمُهُ بَقَّةٌ ، وتُنتِنُهُ عَرْقةٌ ، وتقتلُهُ شَرْقةٌ)(٢)

نُكتةٌ
[في ليلِ أهلِ المحبَّةِ]

٦٨٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو أحمدَ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ .

(ح) وأنبأَني ابنُ وَرِّيدةَ ، عن أبي أحمدَ الأمينِ قالَ : ثنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ ، أنا محمَّدُ بنُ عليٍّ الحَرْبيُّ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ محمَّدٍ الواعظُ إملاءً ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسينِ الآجُرِّيُّ بمكَّةَ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ العَسْكَريُّ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ

---

(١) أخرجه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٩١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٩٥/٨) كلاهما بنحوه ، وانظر « نوادر الأصول » للحكيم الترمذي (٣٨٩/٤) .

(٢) أخرجه أبو الفضل ابن المهدي في « مشيخته » (ق/٥) مخطوط ، وانظر « ربيع الأبرار » (٤٦٢/٢) ، وذكره الدميري في « حياة الحيوان الكبرىٰ » (٥٠٥/١) ، والجلال السيوطي في « المحاضرات والمحاورات » (ص ٣٦٤) وعزواه لابن النجار .

عبدِ اللهِ بنِ الجُنَيدِ ، ثنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحكمِ النَّسائيُّ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ [أبي الحواري][1] قالَ : دخلتُ علىٰ أبي سليمانَ الدَّارانيِّ يوماً وهوَ يبكي ، فقلتُ لهُ : ما يُبكيكَ ؟

فقالَ لي : يا أحمدُ ؛ إنَّهُ إذا جنَّ اللَّيلُ علىٰ أهلِ المحبَّةِ . . افترشوا أقدامَهُم ، ودموعُهُم تجري علىٰ خدودِهِم ، وقد أشرفَ الجليلُ جلَّ جلالُهُ عليهِم ، فنادىٰ : (يا جبريلُ ؛ بعيني مَن تلذَّذَ بكلامي ، واستراحَ إلىٰ مناجاتي ، وإنِّي لمُطَّلِعٌ عليهِم ، أسمعُ حنينَهُم ، وأرىٰ بكاءَهُم .

فنادِ فيهِم يا جبريلُ : ما هٰذا الجزعُ الَّذي أراهُ فيكُم ؟ هل أخبرَكُم عنِّي مُخبِرٌ أنَّ حبيباً يُعذِّبُ أحبَّاءَهُ بالنَّارِ ؟

وهل يجملُ بي أن أُبيِّتَ أقواماً ، وعندَ البياتِ أجدُهُم لي وقوفاً ، فإذا جنَّهُمُ اللَّيلُ تملَّقوني ؟!

حلفتُ ؛ لأجعلَنَّ هديَّتي إيَّاهُم وقد وردوا عليَّ القيامةَ أن أكشفَ لهُم عن وجهيَ الكريمِ ، أنظرُ إليهِم وينظرونَ إليَّ)[2]

نُكتة
[في ذُلِّ الدُّنيا]

٦٨٤ ـ وأُنبِئتُ عن أبي محمَّدٍ ابنِ الأخضرِ ، وابنِ النَّجَّارِ ، وغيرِهِما ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ ، عن أبي نصرٍ محمودِ بنِ الفضلِ الأصبهانيِّ قالَ : ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ الطُّرَيْثيثيُّ ، ثنا القاضي أبو عليٍّ الصَّرْصَريُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ حَيُّويهِ ، حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ محمَّدٍ الخَلَنْجيُّ ، سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ : ذُلُّ الدُّنيا ثمانيةُ أشياءَ : حضورُ مجلسِ العلمِ بلا نسخةٍ ، ودخولُ الحَمَّامِ بلا سطلٍ ، وعُبورُ الجسرِ بلا قَطْعةٍ .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الحواري) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/٨٥) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٤٠٢) .

(٢) أخرجه أبو إسحاق الختلي في « المحبة لله سبحانه » (٢٥٧) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ١٣٤ ـ ١٣٥) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٢٣٨) .

وذُلُّ العالمِ للجاهلِ ، وذُلُّ الشَّريفِ للوضيعِ ، وذُلُّ الدَّيِّنِ للفاجرِ ، وذُلُّ الرَّجلِ لزوجتِهِ يطلبُ رضاها ، وذُلُّ الرَّجلِ لعدوِّهِ لإزالةِ ما في نفسِهِ (١) .

ويُنشِدُ بعقبِ ذٰلكَ (٢) : [من البسيط]

لَا تَـأْمَـنَـنَّ ٱمْـرَأً أَسْـكَـنْـتَ مُـهْـجَـتَـهُ غَـيْـظاً وَإِنْ قُـلْـتَ : إِنَّ ٱلْـجُـرْحَ يَـنْـدَمِـلُ (٣)

نُكْتَةٌ

[في السِّعايةِ]

٦٨٥ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ محمودٍ المُؤرِّخِ قالَ : أخبرَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ .

(ح) وأنبأَني عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ أبو الفرجِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ البغداديُّ ، وغيرُهُما قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : أنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ عمرَ ابنُ المُسْلِمةِ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : كنتُ معَ أبي [عندَ] (٤) فخرِ الملكِ الوزيرِ أبي غالبٍ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ خلفٍ ، وقد رُفِعَتْ إليهِ سِعايةٌ برجلٍ ، فنظرَ فيها فقلبَها ، ووقَّعَ فيها : (السِّعايةُ قبيحةٌ ، وإن كانَتْ صحيحةً ، فإن كنتَ أجريتَها مُجرى النُّصحِ . . فخُسرانُكَ فيها أكثرُ مِنَ الرِّبحِ ، ومعاذَ اللهِ أن يُقبَلَ مِن مهتوكٍ في مستورٍ ، ولولا أنَّكَ في خفارةِ شيبِكَ . . لعاملْناكَ بما يُشبِهُ مقالَكَ ويردعُ أمثالَكَ ، فاكتُمْ هٰذا العيبَ ، واتَّقِ [اللهَ] مَن يعلمُ الغيبَ) .

ثـمَّ أمـرَ فـخرُ المـلكِ أن يُكتَبَ ويُطرَحَ في المكاتِبِ في جانبَيِ البلدِ ويُعلَّمَ الصِّبيانَ (٥) .

---

(١) أخرج هٰذا القولَ الرافعيُّ في « التدوين في أخبار قزوين » (٢/١٣٨) بنحوه ، وانظره في « مناقب الإمام الشافعي » للرازي (ص ٣٤٠) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (١/١٨٣) .

(٢) نسبه أبو بكر الأصفهانيُّ في « الزهرة » (٢/٢٢١) لطريح بن إسماعيل الثقفي ، والبيهقيُّ في « مناقب الشافعي » (٢/٢٠٣) للزهري .

(٣) أخرجه كاملاً البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٢٠٢ ـ ٢٠٣) بنحوه .

(٤) ما بين معقوفين في (أ) : (عبد) ، وفي (ب ، ج) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢٨/١٦٨) .

(٥) انظر « الأذكياء » لابن الجوزي (ص ٥٣) ، و« وفيات الأعيان » (٥/١٢٥ ـ ١٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/٢٨٣) ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة) .

حكاية

[في سماحةِ دَعْلَجِ بنِ أحمدَ وسخائِهِ]

٦٨٦ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ ، وعبدُ اللهِ بنُ مسلمِ بنِ ثابتٍ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ الأمينِ قالا : أنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الشَّيْبانيُّ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ قالَ : حدَّثَني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ الحَدَّادُ ـ كانَ مِن أهلِ الدِّينِ والصَّلاحِ ـ ، عن شيخٍ سمَّاهُ فذهبَ عنِّي حفظُ اسمِهِ قالَ : حضرتُ يومَ جمعةٍ مسجدَ الجامعِ بمدينةِ المنصورِ ، فرأيتُ رجلاً بينَ يدَيَّ في الصَّفِّ ، حسنَ الوقارِ ، ظاهرَ الخشوعِ ، دائمَ الصَّلاةِ ، لم يزلْ يتنفَّلُ مذ دخلَ المسجدَ إلىٰ قربِ قيامِ الصَّلاةِ ، ثمَّ جلسَ ، قالَ : فدخلَ قلبي محبَّتُهُ .

ثمَّ أُقيمَتِ الصَّلاةُ ، فلم يُصَلِّ معَ النَّاسِ الجمعةَ ، فكَبُرَ ذٰلكَ عليَّ مِن أمرِهِ ، وتعجَّبتُ مِن حالِهِ ، وغاظَني فِعْلُهُ .

فلمَّا قُضِيَتِ الصَّلاةُ . . تقدَّمتُ إليهِ ، وقلتُ لهُ : أيُّها الرَّجلُ ؛ ما رأيتُ أعجبَ مِن أمرِكَ ؛ أطلتَ النَّافلةَ وأحسنتَها ، وتركتَ الفريضةَ وضَيَّعتها !!

فقالَ : يا هـٰذا ؛ إنَّ لي عذراً وبي عِلَّةً منعَتْني عنِ الصَّلاةِ .

قلتُ : وما هيَ ؟

فقالَ : أنا رجلٌ عليَّ دَينٌ ، اختفيتُ في منزلي مدَّةً بسببِهِ ، ثمَّ حضرتُ اليومَ الجامعَ للصَّلاةِ ، فقبلَ أن تُقامَ التفتُّ ، فرأيتُ صاحبيَ الَّذي لهُ عليَّ الدَّينُ ورائي ، فمِن خوفِهِ أحدثتُ في ثيابي ، فهـٰذا خبري ، فأسألُكَ باللهِ ؛ إلَّا سترتَ عليَّ وكتمتَ أمري .

قالَ : فقلتُ : ومَنِ الَّذي لهُ عليكَ الدَّينُ ؟ قالَ : دَعْلَجُ بنُ أحمدَ .

قالَ : وكانَ إلىٰ جانبِهِ صاحبٌ لدَعْلَجٍ قد صلَّىٰ وهوَ لا يعرفُهُ ، فسمعَ هـٰذا القولَ ومضىٰ في الوقتِ إلىٰ دَعْلَجٍ ، فذكرَ لهُ القصَّةَ .

فقالَ لهُ دَعْلَجٌ : امضِ إلى الرَّجلِ ، واحملْهُ إلى الحَمَّامِ ، واطرحْ عليهِ خلعةً مِن ثيابي ، وأَجلِسْهُ في منزلي حتَّىٰ أنصرفَ مِنَ الجامعِ ، ففعلَ الرَّجلُ ذٰلكَ .

فلمَّا انصرفَ دَعْلَجٌ إلىٰ منزلِهِ . . أمرَ بالطَّعامِ فأُحضِرَ ، وأكلَ هوَ والرَّجلُ ، ثمَّ أخرجَ حسابَهُ فنظرَ فيهِ ، وإذا لهُ عليهِ خمسةُ آلافِ درهمٍ ، فقالَ لهُ : انظرْ ؛ لا يكونُ عليكَ في الحسابِ غلطٌ ، فقالَ الرَّجلُ : لا ، فضربَ دَعْلَجٌ علىٰ حسابِهِ ، وكتبَ تحتَهُ علامةَ الوفاءِ .

ثمَّ أحضرَ الميزانَ ووزنَ خمسةَ آلافِ درهمٍ ، وقالَ لهُ : أمَّا الحسابُ الأوَّلُ . . فقد حاللْناكَ ممَّا بينَنا وبينَكَ منهُ ، وأسألُكَ أن تقبلَ هٰذهِ الخمسةَ آلافِ درهمٍ ، وتجعلَنا في حلٍّ مِنَ الرَّوعةِ الَّتي دخلَتْ علىٰ قلبِكَ برؤيتِكَ لنا في المسجدِ الجامعِ ، أو كما قالَ (١)

نُكْتَةٌ

[في نصيحةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ]

٦٨٧ ـ وأُنبِئتُ عن أبي عبدِ اللهِ بنِ محمودٍ المُؤرِّخِ ، وغيرِهِ ، عن أبي القاسمِ بنِ كاملٍ الحَذَّاءِ : أنَّ أبا البركاتِ هبةَ اللهِ بنَ المُبارَكِ السَّقَطيَّ أخبرَهُ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ المُهيمِنِ العبَّاسيُّ ، ثنا عبدُ الودودِ بنُ عبدِ المُتكبِّرِ ابنِ المُهتدي باللهِ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الشَّافعيُّ ، ثنا الحسينُ بنُ محمَّدٍ الأنصاريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حميدٍ بمكَّةَ ، ثنا حفصُ بنُ عمرَ الأَيْليُّ ، ثنا عليُّ بنُ نوحٍ ، ثنا هشامُ بنُ سليمانَ ، عن عكرمةَ قالَ : قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَن كتمَ سِرّاً . . كانَتِ الخيرةُ في يدَيهِ ، ومَن عرَّضَ نفسَهُ للتُّهَمةِ . . فلا يلومَنَّ مَن أساءَ بهِ الظَّنَّ .

ولا تظنَّنَّ بكلمةٍ خرجَتْ مِن أخيكَ سوءاً تجدُ لها في الخيرِ مدخلاً ، وضعْ أمرَ أخيكَ علىٰ أحسنِهِ حتَّىٰ يأتيَكَ منهُ ما يغلبُكَ .

ولا تُكثِرِ الحلفَ فيُهينَكَ اللهُ تعالىٰ ، وما كافأتَ مَن عصى اللهَ فيكَ بمثلِ أن تُطيعَ اللهَ فيهِ .

وعليكَ بإخوانِ الصِّدقِ ، اكتسبْهُم ؛ فإنَّهُم زَينٌ في الرَّخاءِ ، عُدَّةٌ عندَ البلاءِ) (٢)

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/٣٦٨ ـ ٣٦٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٢٨٢ ـ ٢٨٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٨/٣١٢ ـ ٣١٣) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٧/٣٥٣٦) .

(٢) أخرجه أبو داوود في « الزهد » (٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/٣٥٩) ، وابن الظاهري في « مشيخة ابن البخاري » (١/٦٢٩ ـ ٦٣٢) ، وانظر « سفط الملح » لابن الدجاجي (ص ٨٥) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٦٩) ، ويروىٰ مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر « المحاسن والأضداد » للجاحظ (ص ٢٠) ، و« المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ٣٧٦) .

حكاية

[تسعينَ أم سبعينَ ؟!]

٦٨٨ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ البغداديِّ قالَ : أنبأَنا ابنُ الجَوْزيِّ ونقلتُهُ مِن خطِّهِ قالَ : ثنا ابنُ الرُّوميِّ : أنَّ رجلاً مِنَ النَّاسِ مضىٰ إلىٰ قريةٍ ، فلقيَهُ خطيبُهُم فضافَهُ ، فأقامَ عندَهُ أيَّاماً .

فقالَ لهُ الخطيبُ : لي مدَّةٌ أُصلِّي بهٰؤلاءِ القومِ ، وأشكلَ عليَّ في القرآنِ مواضعُ .

قالَ : سَلْني عنها .

قالَ : في (الحَمْدُ) : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ ﴾ أيُّ شيءٍ : (تسعينَ) أو (سبعينَ) ؟ أشكلَتْ هٰذهِ الكلمةُ عليَّ !! فأنا أقولُها : (تسعينَ) أخذاً بالاحتياطِ[١] .

حكاية

[في مَوْتٍ إثرَ تَوْبٍ]

٦٨٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ ، عن أبي غالبٍ شجاعِ بنِ فارسٍ الذُّهْليِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ أبي منصورٍ ، عن أبي القاسمِ ابنِ البَنَّاءِ ، عن شجاعِ بنِ فارسٍ قالَ : قالَ لي أبي : قالَ ليَ الرَّئيسُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ نصرٍ الكاتبُ : حدَّثَني أبو الحسينِ ابنُ الرَّفَّاءِ القارئُ قالَ : كانَ أبو الحسينِ ابنُ الخشَّابِ قارئاً مليحَ الصَّوتِ ، حسنَ التِّلاوةِ ، فحضرَ في ليلةٍ مِنَ اللَّيالي جامعَ المهديِّ بالرُّصافةِ ، وقرأَ صدراً مِنَ اللَّيلِ حتَّى انتهىٰ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٢]

قالَ : فتواجدَ رجلٌ مِنَ الحاضرينَ بزيِّ المُتصوِّفةِ ، ونهضَ فقالَ : بلىٰ واللهِ قد آنَ ، ثمَّ جلسَ ، فتركَ رأسَهُ علىٰ ركبتَيهِ ، وبكىٰ بكاءً شديداً بشهيقٍ ونحيبٍ ، ثمَّ سكتَ سكتةً طالَتْ وأرابَتْ ، فحرَّكَهُ بعضُ الحاضرينَ فسقطَ فإذا هو ميِّتٌ !!

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « أخبار الحمقىٰ والمغفلين » (ص ٧٧) ، وذكره الجلال السيوطي في « المحاضرات والمحاورات » (ص ٣٦٤) وعزاه لابن النجار .

(٢) سورة الحديد : (١٦) .

فقطعَ أبو الحسينِ القراءةَ ، واشتغلَ النَّاسُ بهِ ، وأصلحوا شأنَهُ ، وصلَّوْا عليهِ ، وانصرفَ النَّاسُ حَزِنينَ مُتعجِّبينَ (١)

حكاية

[في احتيالِ مُقِلٍّ بإهداءِ مُثْرٍ]

٦٩٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللهِ الواسِطيُّ ، أنا عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الخالقِ ، أنا أبو الغنائمِ محمَّدُ بنُ عليٍّ النَّرْسيُّ ، أنا الحسينُ بنُ محمَّدٍ الصَّرِيفينيُّ ، أنا أحمدُ بنُ عليٍّ الجعفريُّ ، أنا جعفرُ بنُ محمَّدٍ الأَحْمَسيُّ ، ثنا حبيبُ بنُ نصرٍ المُهلَّبيُّ ، ثنا جعفرُ بنُ أحمدَ ، ثنا هارونُ بنُ جعفرٍ العدنيُّ ، ثنا عبيدُ بنُ الهيثمِ قالَ : كانَ رجلٌ مُقِلٌّ ورجلٌ مُثْرٍ مُتواخِيَينِ ، فأولمَ المُوسِرُ وليمةً ، فأهدى النَّاسُ إليهِ ، فلم يكنْ عندَ أخيهِ المُعسرِ شيءٌ فيُهديَ إليهِ .

فاحتالَ حتَّىٰ هيَّأَ لهُ كيساً مِن ملحٍ مُطيِّبٍ ، وكيساً مِن أُشْنانٍ مُطيِّبٍ ، فأهداهُما إليهِ ، وكتبَ : (بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ، تولَّاكَ اللهُ بحفظِهِ ، وحاطَكَ بكلاءتِهِ ، وبفضلِهِ ورحمتِهِ ، لو تمَّتِ الإرادةُ ـ أعزَّكَ اللهُ بطاعتِهِ ـ بحسبِ النِّيَّةِ ، وساعدَتِ المقدرةُ بفرطِ الهمَّةِ . . لأتعبتُ السَّابقينَ في برِّكَ ، ولبرَّزتُ أمامَ المُهتدينَ في فضلِكَ ، ولٰكنَّ البضاعةَ قصرَتْ بالهمَّةِ عن مساواةِ أهلِ النِّعمةِ .

وخشيتُ أن تطوىٰ صحيفةُ البرِّ ، وليسَ لي فيها ذِكْرٌ ، فوجَّهتُ إليكَ ـ أكرمَكَ اللهُ ـ بالمبتدأِ بهِ ؛ ليُمنِهِ وبركتِهِ ، والمختومِ بهِ ؛ لطيبِهِ ونظافتِهِ ، مُصطبِراً علىٰ ألمِ العجزِ والتَّقصيرِ ، وكانَ المُعبِّرَ عنِّي قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾) (٢)

فقبلَ أخوهُ المُوسِرُ هديَّتَهُ ، وأعجبَهُ ما كتبَ بهِ إليهِ يعتذرُ بهِ ، ووجَّهَ إليهِ بكيسَينِ في كلِّ كيسٍ ألفُ دينارٍ ، فأغناهُ بها سائرَ دهرِهِ (٣)

---

(١) انظر « المنتظم » (٩/٨٦) .

(٢) سورة التوبة : (٩١) .

(٣) انظر نحواً من ذٰلك في « التذكرة الحمدونية » (٥/١٥ ـ ١٦) ، و« وفيات الأعيان » (٦/٢٢٦ ـ ٢٢٧) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٣٤٤٠) كلُّهم عن يحيى البرمكي وكاتبٍ له ، وانظر ما تقدم ضمن الخبر (٦٤٨) .

حكاية

[في دعاءٍ لقضاءِ الحاجاتِ]

٦٩١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو القاسمِ عبدُ الواحدِ بنُ القاسمِ بنِ الفضلِ بنِ عبدِ الواحدِ الأصبهانيُّ : أنَّ أبا الفرجِ رجاءَ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ روحٍ ، وعبدَ الخالقِ بنَ أبي شكرِ بنِ عبدِ الواحدِ الجَوْهَريَّ أخبراهُ قالا : أنا أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ ابنِ مَنْدَهْ قالَ : أنا أبي ، أنا محمَّدُ ابنُ أبي خُراسانَ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليٍّ الماهانيُّ الأنباريُّ ببَلْخَ ، ثنا روحُ بنُ هشامٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ يحيى بنِ ضريسٍ ، ثنا إسحاقُ بنُ موسىٰ ، عن أبي جنابٍ البصريِّ قالَ : كانَ لنا جارٌ يكونُ بالبصرةِ يومَ التَّرويةِ ، ويشهدُ عرفةَ بعرفاتٍ !!

قالَ : وكانَ يختلفُ إليهِ أيُّوبُ السَّخْتِيانيُّ وثابتٌ البُنانيُّ يسألانِهِ أن يُعلِّمَهُما ما يقولُ ، وكانَ يمتنعُ ، حتَّىٰ حضرَهُ الموتُ ، فبعثَ إليهِما فقالَ : إنِّي كنتُ أقولُ[١] : « يا قديمُ ، يا فردُ ، يا وترُ ، يا دائمُ ، يا أحدُ ، يا صمدُ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ بأسمائِكَ الحميدةِ المجيدةِ الكريمةِ ، الَّتي إذا وُضِعَتْ علىٰ أشياءَ . . ذلَّتْ ، وإذا طُلِبَتْ بها الحسناتُ . . أُدرِكَتْ ، وإذا دُرِئَتْ بها السَّيِّئاتُ . . صُرِفَتْ .

وأسألُكَ بكلماتِكَ اللَّاتي ﴿ لَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ »[٢] ، ثمَّ أذهبُ في حاجتي[٣]

* * *

٦٩٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ العزيزِ بنُ محمودٍ الحافظُ ؛ هوَ ابنُ الأخضرِ .

(ح) وكتبَ إليَّ مِن بغدادَ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي الفرجِ المُكبِّرِ ، عنِ ابنِ الأخضرِ قالَ : نقلتُ مِن خطِّ أبي الحسينِ أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ ابنِ المُنادي قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عمرانَ أبا جعفرٍ الخيَّاطَ ـ وكانَ مِن خيارِ النَّاسِ ـ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ حنبلٍ يقولُ : (بلغَني عن أخي منصورِ بنِ

---

(١) عُنْونَ ها هنا في هامش (أ) بـ : (فائدة) .

(٢) سورة لقمان : (٢٧) .

(٣) أورد شطرَه الديلميُّ في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٨٤٨) من دعاء سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « مباحث التفسير » لابن المظفر الرازي (٢٥٠) .

عمَّارٍ أنَّهُ كانَ يقولُ في دعائِهِ : « اللَّهُمَّ ؛ إنَّا قد أحاطَتْ بنا الشَّدائدُ ، وأنتَ ذخرٌ لنا ؛ فلا تُعذِّبْنا وأنتَ قادرٌ على العفوِ .

سيِّدي ؛ قد أَرَيْتَنا قدرتَكَ ولم تَزَلْ قادراً ، فأَرِنا عفوَكَ ولم تَزَلْ عفُوّاً ») [١]

حكاية

[في موتِ الحافظِ أبي موسىٰ رحمَهُ اللهُ]

٦٩٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ في كتابِ أبي بكرٍ عبيدِ اللهِ بنِ عليٍّ المارِستانيِّ قالَ : حدَّثَني أبو إبراهيمَ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ الخُجَنْديِّ قالَ [٢] : لمَّا ماتَ الحافظُ أبو موسىٰ ودُفِنَ بالمُصلَّىٰ [٣] . . لم يكادوا يفرغونَ مِن دفنِهِ حتَّىٰ جاءَ في الحالِ مطرٌ عظيمٌ جدّاً ، وكانَ الزَّمانُ شديدَ الحرِّ ، والماءُ بأصبهانَ قليلاً ، فما انفصلَ أحدٌ مِنَ المكانِ معَ كثرةِ الخَلْقِ إلَّا بليلاً .

قالَ : وكانَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قد ذكرَ في آخرِ إملاءٍ أملاهُ وماتَ بعدَهُ : أنَّهُ متىٰ ماتَ في كلِّ أُمَّةٍ مَن لهُ منزلةٌ عندَ اللهِ تعالىٰ . . فإنَّ اللهَ تعالىٰ يَبعثُ سحاباً يومَ موتِهِ علامةً للمغفرةِ لهُ ولمَن صلَّىٰ عليهِ !! ووقعَ ذٰلكَ بعدَ موتِهِ كما أخبرَ بهِ في حياتِهِ [٤]

حكاية

[دعاءُ أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها عندَ كربِها]

٦٩٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ .

(ح) وأنبأَنيَ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ أبو الفرجِ بنُ أبي الفرجِ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ قالَ : أنا أبو طالبٍ محمَّدُ بنُ عليٍّ ابنُ العُشاريِّ إذناً قالَ : ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبانٍ الهِيتيُّ التَّغلبيُّ إملاءً ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ

---

(١) انظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٢/٣٤٦) ، و« الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (١/٦٣٤) .

(٢) الخُجَنْدي : نسبة إلىٰ (خُجَنْدة) ، وهي بلدة مشهورة بما وراء النَّهر علىٰ شاطئ سَيْحُون . « معجم البلدان » (٢/٣٤٧) .

(٣) يعني : محمَّد بن أبي بكرٍ عمر بن أبي عيسىٰ أحمد ، أبا موسى ، الحافظ الكبير ، المَدِينيَّ الأصبهانيَّ ، المتوفَّىٰ سنة (٥٨١ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢١/١٥٢) .

(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢١/١٥٦) .

عمرَ البغداديُّ الحنبليُّ ، حدَّثَني أبي ؛ عمرُ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ الكاراتيُّ ، حدَّثَني إبراهيمُ الحَرْبيُّ قالَ : ضاقَ بي شيءٌ مِن أمورِ الدُّنيا ، فدعوتُ بدعواتٍ يُقالُ لها : دعاءُ الفرجِ .

فقلتُ : وما هيَ ؟ فقالَ لي : هوَ الدُّعاءُ الَّذي دَعَتْ بهِ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ عندَ كربِها ، فأنزلَ اللهُ براءتَها .

قالَ : فقلتُ : وما هيَ ؟ فقالَ : حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ حنبلٍ ، حدَّثَني سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، ثنا محمَّدُ بنُ واصلٍ الأنصاريُّ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : (كنتُ عندَ أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ لأُقِرَّ عينَها بالبراءةِ) ، قالَ : (وهيَ تبكي) ، فقالَتْ : (واللهِ ؛ لقد هجرَنيَ البعيدُ والقريبُ حتَّىٰ هجرَتْنيَ الهِرَّةُ !! فكنتُ أرقدُ وأنا جائعةٌ ظامئةٌ ، فرأيتُ في مَنامي فتىً ، فقالَ لي : ما لكِ ؟

فقلتُ : حزنتُ ممَّا ذكرَ النَّاسُ ، فقالَ : ادعي بهٰذهِ . . يُفَرِّجْ عنكِ .

فقلتُ : وما هيَ ؟ قالَ : قولي : « يا سابغَ النِّعَمِ ، ويا دافعَ النِّقَمِ ، ويا فارجَ الهِمَمِ ، ويا كاشفَ الظُّلَمِ ، يا أعدلَ مَن حَكَمَ ، يا حسيبَ مَن ظَلَمَ ، يا وليَّ مَن ظُلِمَ ، يا أوَّلُ بلا بدايةٍ ، يا آخِرُ بلا نهايةٍ ، يا مَن لهُ اسمٌ بلا كُنيةٍ ؛ اجعلْ لي مِن أمري فَرَجاً ومخرجاً » .

قالَ : فقلتُ وانتبهتُ وأنا ريَّانةٌ شبعانةٌ !! وقد أنزلَ اللهُ فَرَجي)[1]

نُكْتَةٌ
[في عَيْبِ النَّاسِ وسَترِهِم]

٦٩٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ العزيزِ بنُ محمودٍ الحافظُ ، وعمرُ بنُ محمَّدٍ السُّهْرَوَرْديُّ ، وعليُّ بنُ نصرِ بنِ منصورٍ الحَرَّانيُّ ، ومحمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أبي حربٍ الكاتبُ ، وعبدُ اللَّطيفِ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ التَّاجرُ ببغدادَ ، وأبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المَقْدِسيُّ بدِمشقَ .

---

(١) ذكره الدميري في « حياة الحيوان الكبرىٰ » (٤/١٥٥) ، والجلال السيوطي في « الدر المنثور » (٦/١٧٠) وعزواه لابن النجار .

(ح) وأنبأني عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ شيخُ المُستنصِريَّةِ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ محمودٍ ، والمُحدِّثُ أبو الهدىٰ عيسى بنُ يحيى بنِ أحمدَ السَّبْتيُّ ، عن عمرَ بنِ محمَّدٍ السُّهْرَوَرْديِّ ، وأبو الفداءِ إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عمرٍو الفَرَّاءُ ، وأبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ المُنعِمِ ابنِ غديرٍ الدِّمشقيُّ ، وغيرُهُما ، عنِ الشَّيخِ مُوفَّقِ الدِّينِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المَقْدِسيِّ قالوا : أنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ أحمدَ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أبي نصرٍ الحُمَيديُّ مِن لفظِهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ ، عنِ الحُمَيديِّ قالَ : أنا أبو القاسمِ عبدُ العزيزِ بنُ الحسنِ النَّاقدُ ، ثنا أبو القاسمِ المُؤمِّلُ بنُ أحمدَ الشَّيْبانيُّ ، ثنا أبو طالبٍ أحمدُ بنُ نصرٍ الحافظُ ، ثنا إسحاقُ الطَّبَّاعُ ، ثنا محمَّدُ بنُ حربِ بنِ زيادٍ المَدِينيُّ ، ثنا إسحاقُ الفَرْويُّ قالَ : سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ : (أدركتُ بهـٰذهِ البلدةِ ـ يعني : المدينةَ ـ أقواماً لم يكنْ لهُم عيوبٌ ، فعابوا النَّاسَ فصارَتْ لهُم عيوبٌ !!

وأدركتُ بهـٰذهِ البلدِ أقواماً كانَتْ لهُم عيوبٌ ، فسكتوا عن عيوبِ النَّاسِ فنُسِيَتْ عيوبُهُم !!)[1]

*

٦٩٦ ـ وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، وأبي حفصٍ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، وأبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ ، وغيرِهِم ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : دخلْنا على الشَّيخِ أبي عليٍّ محمَّدِ بنِ أبي جعفرٍ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ المُسْلِمةِ[2] الشَّيخِ الصَّالحِ لنسمعَ منهُ وهوَ يتنفَّلُ ، فكانَ يُخفِّفُ الرُّكوعَ والسُّجودَ ، فوقعَ في نفسي مِن تخفيفِهِ الرُّكوعَ والسُّجودَ شيءٌ .

فلمَّا سلَّمَ . . انفتلَ إليَّ ، وقالَ[3] : [من البسيط]

اِعْمَلْ بِعِلْمِي وَلَا تَنْظُرْ إِلَىٰ عَمَلِي ... يَنْفَعْكَ عِلْمِي وَلَا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي

---

(١) أخرجه الحميدي في « جزئه » ضمن كتاب « الفوائد » (١١٣٣) ، وانظر « المنتقىٰ » للباجي (٤٦٣/٩) .

(٢) هو أبو عليٍّ ، محمَّد بن أبي جعفر محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عمر ابن المُسْلِمة ، توفِّي في العشر الآخر من شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأربع مئة ببغداد ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٣) هو للخليل بن أحمد كما في « عيون الأخبار » لابن قتيبة (١٢٥/٢) ، و« سمط اللآلي » للبكري (٨١٥/٢) ، و« الحور العين » لنشوان الحميري (ص ١١٣) .

فائدة

[في معاملةِ الفاجرِ والمؤمنِ]

٦٩٧ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ بنِ كاملٍ ، وسليمانُ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ المَوْصِليُّ ، وإسماعيلُ بنُ مُظفَّرِ بنِ عليٍّ ابنُ المُنجِّمِ قالوا : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ ابنُ السَّلَّالِ ، أنا جابرُ بنُ ياسينَ ، أنا عمرُ بنُ إبراهيمَ الكَتَّانيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ ـ هوَ البَغَويُّ ـ ، ثنا داوودُ ـ يعني : ابنَ عمرٍو الضَّبِّيَّ ـ ، ثنا أبو حفصٍ الأَبَّارُ ، عن منصورٍ ، عنِ الشَّعْبيِّ ، عن صعصعةَ بنِ صُوحانَ : أنَّهُ قالَ لابنِ أخيهِ : (إنِّي كنتُ أَحَبَّ إلىٰ أبيكَ منكَ ، وأنتَ أَحَبُّ إليَّ مِنِ ابني ، خَلَّتانِ أُوصيكَ بهِما : خالقِ الفاجرَ وخالصِ المؤمنَ ؛ فإنَّ الفاجرَ يرضىٰ منكَ بخُلُقٍ حسنٍ ، وإنَّ حقّاً عليكَ أن تُخالِصَ المؤمنَ)[1]

حكاية

[في وفاءِ الكرامِ علىٰ تقادُمِ الأيَّامِ]

٦٩٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ العبَّاسيِّ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ ، وعبدِ الوهَّابِ بنِ أبي منصورٍ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي : أنَّ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ أبي نصرٍ الحُمَيديَّ أخبرَهُ قالَ : حدَّثَنيَ الرَّئيسُ أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أبي الحسينِ هلالِ بنِ المُحسِّنِ الكاتبُ ببغدادَ قالَ : حدَّثَني قاضي القضاةِ أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليٍّ ابنُ ماكولا قالَ : حدَّثَني بعضُ أهلِ بغدادَ قالَ : كانَ بالمُخرِّمِ عاملٌ مُتقدِّمٌ ينظرُ في الأعمالِ العليا مِن تَكْريتَ إلىٰ عُكْبَرا وأَوانا ، فحدَّثَ قالَ : انحدرتُ مِن عُكْبَرا في بعضِ الأيَّامِ نحوَ بغدادَ ، فخرجتُ إلى الجماعةِ المُرتَّبةِ في الطَّريقِ ، فتقدَّمتُ بأن ينحدرَ منهُم معيَ اثنانِ ، ثمَّ رأيتُ فيهِم غلاماً وضيءَ الوجهِ ، وكنتُ أميلُ إلى الصِّبيانِ ، فقلتُ : أُريدُ ذٰلكَ الغلامَ وحدَهُ ؛ فإنَّهُ يكفيني .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٧٤٣) ، وابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٢٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤/٩٩) ، وانظر « الأمثال » للقاسم بن سلام (ص ١٥٧ ـ ١٥٨) ، و« قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/٢١٤ ـ ٢١٥) .

فنزلَ الصَّبيُّ معي ، فقلتُ : ما اسمُكَ ؟ فقالَ : محمَّدٌ ، قلتُ : أبو مَن ؟ قالَ : أبو طاهرٍ ، قلتُ : ابنُ مَن ؟ قالَ : ابنُ بقيَّةَ ، فأعطيتُهُ رِجلي يغمزُها تدريجاً بهِ إلىٰ ما في نفسي منهُ .

فاتَّفقَ أنِّي أغفيتُ ، فرأيتُ في مَنامي كأنَّ الشَّمسَ والقمرَ قد هبطا وحصلا في حَجْرِ الغلامِ ، وضمَّ حَبْوَتَهُ عليهِما ، فانتبهتُ مُروَّعاً ، وعَظُمَ الغلامُ في عيني ، فلم أُقدِمْ علىٰ مكروهٍ معَهُ ، وعدلتُ إلىٰ أن قلتُ لهُ : يا صبيُّ ؛ قد رأيتُ لكَ في المَنامِ كذا وكذا ، وستبلغُ منزلةً عاليةً أنا مُبشِّرُكَ بها ، فأُريدُ أن تُعطيَني يدَكَ ؛ أنَّكَ ترعىٰ لي هٰذهِ البشرىٰ ، وتُحسِنُ إليَّ عندَ الحاجةِ إليكَ والحصولِ بينَ يدَيكَ إن أخَّرَ اللهُ في الأجلِ ، وتعمدُ الآنَ ما دمتَ ناظراً في هٰذا المكانِ إلىٰ جميعِ حوائجِكَ ومصالحِكَ ، فتُطلِعُني عليها ؛ فإنَّني أتوفَّرُ عليكَ وأُحسِنُ إليكَ ، وأخرجتُ مئةَ درهمٍ فوهبتُها لهُ وشيئاً مِن ثيابيَ الَّتي كانَتْ معي ونالَتْها يدي ، وأخذتُ يدَهُ وعاهدتُهُ ، وأصعدتُهُ مِنَ السُّمَيريَّةِ (١) ، وأعدتُهُ خوفاً مِن أن تُحدِّثَني نفسي بأمرٍ فيهِ ، وصرتُ بعدَ ذٰلكَ أقصدُهُ بالمنافعِ ، وأُراعيهِ مِن ماليَ الشَّيءَ بعدَ الشَّيءِ .

واتَّفقَ أن بقيَ للسُّلطانِ عليَّ بقيَّةٌ لم يكنْ لي وجهُها ، فهربتُ إلىٰ فارسَ وتعلَّمتُ بها ، وأقمتُ سنينَ كثيرةً ، فلم أشعرْ إلَّا بخبرِ ابنِ بقيَّةَ وتوليتِهِ الوزارةَ قد وافاني ، فغلبَ علىٰ ظنِّي أنَّهُ صاحبي ، وقصدتُ بغدادَ وما زلتُ أسألُ عنهُ طولَ طريقي إلىٰ أن صحَّ عندي أنَّهُ صاحبي ، ووقعَ اللُّصوصُ عليَّ ، فأخذوا ما معي وتركوني عرياناً .

وجئتُ إلىٰ داري في المُخرِّمِ ، فدققتُ البابَ علىٰ والدتي ليلاً ودخلتُ إليها ، ففرحَتْ بسلامتي وارتاعَتْ بمشاهدتي علىٰ تلكَ الحالِ ، وتسلَّيْنا بالسَّلامةِ ، وكنتُ خائفاً ، فالتمستُ منها ما آكلُهُ ، فلم يكنْ عندَها ، وخرجَتْ إلى الجيرانِ ، فطلبَتْ منهُم ما أحضرَتْهُ ونلتُ حاجتي منهُ ، وأنفذتُها إلىٰ صديقٍ كانَ لي هناكَ ، فأعلمتُهُ بمجيئي وما لحقَني في طريقي ، والتمستُ منهُ ما أَلْبَسُهُ فأنفذَهُ إليَّ .

ودخلتُ الحَمَّامَ مِن غدٍ ، وقصدتُ دارَ المملكةِ ، وسألتُ عنِ ابنِ بقيَّةَ حتَّىٰ لم يبقَ

---

(١) السُّمَيريَّة : ضرب من السُّفن .

عندي شكٌّ فيهِ ، وأنَّهُ الغلامُ الَّذي رأيتُ لهُ المَنامَ ، وجلستُ أنتظرُهُ ، وخرجَ مِنَ الدَّارِ وقتَ الظُّهرِ ، ونزلَ إلىٰ طيَّارةٍ والدُّنيا قدِ انقلبَتْ لهُ وبهِ[١]

فقلتُ لبعضِ الملَّاحينَ : أنا رجلٌ فقيرٌ أطلبُ مِنَ الوزيرِ شيئاً ، فتحملُني علىٰ أنَّني أُعطيكَ مِن رِفْدِهِ لي ما أُوفِّرُهُ لكَ ؟ فقالَ : انزلْ ، وطلبَ الملَّاحُ الزَّبْزَبَ[٢] ، فحينَ قربتُ منهُ قمتُ ودعوتُ لهُ ، وقلتُ : عبدُكَ فلانُ بنُ فلانٍ صاحبُ المَنامِ ، فتشوَّفَ إليَّ وقالَ : الدَّارَ الدَّارَ ، ومضىٰ ، وصعدتُ وقصدتُ دارَ الوِزارةِ ، فحينَ وصلتُ أخذَني بعضُ الحُجَّابِ ، وأدخلَني وأجلسَني في مجلسٍ مفردٍ منها ، وأخذَ الوزيرُ والنَّاسُ في أشغالِهِم وحوائجِهِم[٣] ، ونهضَ إلىٰ حجرةِ صلاتِهِ ، وبقيتُ علىٰ حالي إلى العصرِ ، فأردتُ قضاءَ الحاجةِ والوضوءَ والصَّلاةَ ، فقمتُ لأخرجَ وقد حصلَ في نفسي أنَّهُ نسيَني لعظمِ الأشغالِ وكثرةِ الصُّداعِ ، واعتقدتُ العودَ مِن غدٍ .

فلمَّا انتهيتُ إلى البابِ . . ردَّني السِّتْريُّ وقالَ : قد تقدَّمَ إلينا بألَّا تبرحَ ، فقلتُ : يا هٰذا ؛ أحتاجُ إلىٰ دخولِ بيتِ الماءِ والوضوءِ للصَّلاةِ ، ولذاكَ خرجتُ ، فأخذَ بيدي وسلَّمَني إلىٰ أحدِ الفرَّاشينَ حتَّىٰ قامَ بحوائجي ، واشتغلتُ بالصَّلاةِ ، فما فرغتُ منها حتَّىٰ خرجَ إليَّ حاجبٌ ، فقالَ : قمْ يا سيِّدي ، وحملَني إلىٰ حجرةِ حَمَّامٍ ، وحضرَ مملوكانِ ، فأدخلاني إليهِ ودخلا معي فخدماني ، وأحضرا ماءَ وردٍ فصبَّاهُ علىٰ رأسي وجسمي ، وألْبَساني ثيابَ قَصَبٍ[٤] صفرٍ[٥] ، وخاتَمَينِ ذهباً ، ونعلاً صفراً ، فقلتُ : ما هٰذا الزِّيُّ ؟ فقالا : الوزيرُ يشربُ اليومَ على الأصفرِ ، ولا تقعُ عينُهُ علىٰ شيءٍ مِنَ المشاهداتِ والمستعملاتِ والمأكولاتِ والمشروباتِ إلَّا أصفرَ .

وحُمِلتُ إلى الوزيرِ ، فدخلتُ عليهِ وقد جلسَ على الطَّعامِ ، وما عليهِ وبينَ يدَيهِ جميعُهُ أصفرُ ، فقالَ : عندي عندي ، وأجلسَني قريباً منهُ ، وبدأنا في الأكلِ وهوَ يسألُني عن حالي شيئاً شيئاً وحالاً حالاً ، وقالَ : سألتُ عنكَ مرَّاتٍ وطلبتُكَ دفعاتٍ ، فلم أجدْ

---

(١) الطَّيَّارة من السُّفن : السَّريعة الجري .

(٢) الزَّبْزَب : سفينةٌ صغيرةٌ .

(٣) بلغ نظراً . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٤) كُتب فوقها في (أ ، ج) : (كذا) .

(٥) ثياب قَصَب : ثيابٌ ناعمةٌ رقاقٌ ، تتَّخذ مِن كتَّان .

مَن يُخبِرُني عنكَ بشيءٍ ، حتَّىٰ ظننتُ أنَّكَ ميِّتٌ ، فالحَمْدُ للهِ الَّذي أرانيكَ علىٰ ما آثرُ بهِ وكما أحببتُهُ ، وأخذَ مِنَ الطَّعامِ يُقدِّمُ بينَ يدَيَّ ويُكرِمُني ، ثمَّ غسلْنا أيدِينا ، وانتقلْنا إلىٰ مجلسِ الشُّربِ ، ولَعَمري ؛ إنَّهُ لم تقعْ عيني في المجلسِ علىٰ غيرِ الأصفرِ مِن كلِّ شيءٍ !!

وكانَ سألَنيَ الحاجبُ أوَّلَ ما دخلتُ دارَ الوِزارةِ عنِ اسمي ونسبي ، وكتبَهُ في رُقعةٍ ، فظننتُ أنَّ الوزيرَ يُريدُ أن يتحقَّقَ أنِّي ذٰلكَ الرَّجلُ بعينِهِ ، ويزولَ الشَّكُّ فيَّ عندَهُ ، ولم يكنْ لذٰلكَ ، وشربْنا وهوَ في أثناءِ الزَّمانِ تجيئُهُ رقاعٌ صغارٌ صفرٌ ويُجيبُ عنها ، وينظرُ إليَّ ويسألُني عنِ الشَّيءِ بعدَ الشَّيءِ مِن أمري .

وتقضَّى اللَّيلُ ، وخرجَ النَّاسُ وخرجتُ معَهُم مُتحيِّراً لا أدري [إلىٰ] أينَ أمضي ، ولا أرىٰ أحداً يقولُ لي : نَمْ ها هنا ، أو يعدلُ بي إلىٰ موضعٍ مفردٍ ، وبلغتُ البابَ فما منعَني مِنَ الخروجِ البوَّابُ ، ورأيتُ مملوكَينِ أسودَينِ ؛ معَ أحدِهِما شمعةٌ ، ومعَ الآخرِ بغلةٌ حسنةٌ بمركبٍ حسنٍ ، فقدَّماها لي ، فقلتُ : قد شبَّهاني بصاحبِهِما لأجلِ ما عليَّ مِنَ الثِّيابِ الصُّفرِ ، فأردتُ أن أمتنعَ عنِ الرُّكوبِ ، ثمَّ قلتُ : أمضي إلىٰ دارِ صاحبِهِما ، وأبيتُ اللَّيلةَ عندَهُ ، وأُدبِّرُ أمري مِن هناكَ .

فركبتُ وأنا ضيِّقُ الصَّدرِ ، مُقسَّمُ الفكرِ ، قد زالَتْ عنِّي نشوةُ السُّكرِ ، وعدلتُ إلى الذَّمِّ للوزيرِ عنِ الشُّكرِ ، وجئتُ إلىٰ رحبةٍ كبيرةٍ مرشوشةٍ ، ودكَّةٍ علىٰ باب كبيرٍ نظيفٍ ، فنزلتُ فقامَ البوَّابُ وغلمانٌ كانوا في الدِّهليزِ إليَّ ، ودعَوا لي فشكرتُهُم .

وقعدتُ علىٰ دكَّةٍ في الدِّهليزِ عندَ البوَّابِ ، فأنكروا ذٰلكَ منِّي ، وقالوا : يا سيِّدَنا ؛ لِمَ تجلسُ ها هنا ؟ فقلتُ لهُم : لستُ بصاحبِ الدَّارِ ، وإنَّما جئتُ لأبيتَ اللَّيلةَ عندَكُم ، وأنصرفَ في غدٍ ، وصاحبُكُم في دارِ الوزيرِ ، فأَعيدوا البغلةَ والمملوكَينِ إليهِ ؛ فإنَّهُما شبَّهاني بهِ ؛ لهٰذهِ الثِّيابِ الَّتي عليَّ كما قد شبَّهتُموني أنتم .

فسمعتُهُم يقولونَ : هوَ سكرانُ ، ثمَّ قالوا : ما نعرفُ لنا وللدَّارِ صاحباً غيرَكَ ، فقُمْ وادخلْ ، وألزموني ذاكَ ، فقمتُ مُتعجِّباً مُتكرِّهاً وهم بينَ يدَيَّ ، إلىٰ أن دخلتُ داراً قَوْراءَ ذاتَ بستانٍ (١) ، وفيها فرشٌ جميلةٌ .

---

(١) القَوْراء : واسعة الجوف .

فقعدتُ في أحدِ المجالسِ ، وخرجَ الغلمانُ وبقيتُ وحدي ، فإذا امرأةٌ قد خرجَتْ ، فقمتُ أعدو للخروجِ مِنَ الدَّارِ ، فصاحَتْ : يا هٰذا ؛ ارجعْ فإنَّ هٰذهِ دارُكَ ابتاعَها الوزيرُ لكَ ، وأنا مِن جهةِ الوزيرِ قد جئتُ أُكلِّمُكَ بشيءٍ رسَمَهُ لي ، فحينَ سمعتُ ذٰلكَ عُدتُ إليها .

فقالَتِ : اعلمْ أنَّ الوزيرَ ابتاعَ لكَ هٰذهِ الدَّارَ ، وهٰذا كتابُها وأعطَتْنيهِ ، فتقدَّمتُ إلى الشَّمعةِ وقرأتُهُ فإذا هوَ باسمي ، وذٰلكَ السُّؤالُ مِنَ الحاجبِ كانَ لي عنِ اسمي حتَّىٰ كتبَ الكتابَ عليهِ ، وقالَتْ : تعبْنا اليومَ حتَّىٰ حصلَتْ دارٌ فيها حَمَّامٌ وبستانٌ ، ومعَها إصطبلٌ ؛ فإنَّ الوزيرَ قالَ : لا أُريدُ إلَّا داراً تجمعُ ذاكَ .

وأخرجَتْ إليَّ جاريتَينِ حسنتَينِ ، وكانَ الوزيرُ فيما سألَني عنهُ قالَ لي : ألكَ زوجةٌ ؟ فقلتُ : لا ، فقالَتْ : هاتانِ سُرِّيَّتانِ لكَ ، فانظرْ مَن تُريدُ منهُما اللَّيلةَ ، وتمامُ الحديثِ يكونُ غداً ، فقلتُ : هٰذهِ ، فتركَتْها وانصرفَتْ بالأُخرىٰ ، وعندي أنَّ جميعَ ما يجري في المَنامِ ؛ للسُّكرِ تارةً وللاستعظامِ أُخرىٰ ، وفرشَتْ لي فرشاً عاليةً ، ونمتُ معَ الجاريةِ .

فلمَّا كانَ السَّحَرُ . . جاءَتْ تلكَ المرأةُ ، فأنبهَتْنا وقالَتْ : قُمْ يا سيِّدي إلى الحَمَّامِ ، فقمتُ ودخلتُ الحَمَّامَ ، والجاريةُ معي تخدمُني ، فلمَّا خرجتُ . . قُدِّمَ لي دَسْتُ ثيابٍ جميلٌ ، فلَبِستُ وتبخَّرتُ ، وخرجتُ فصلَّيتُ .

وجاءَتْنيَ المرأةُ بثَبَتٍ (١) فيهِ جميعُ ما في الدَّارِ ممَّا تجمعُهُ دورُ الأكابرِ الأجلَّاءِ ؛ مِن جوارٍ وغلمانٍ ، وبهائمَ وآلةٍ ، ورحلٍ وقماشٍ ، وأثاثٍ وثيابٍ ، وعشرةِ آلافِ درهمٍ ، وتوقيعٌ بعقدِ البلادِ العليا جميعِها عليَّ وما تاخمَها وجاورَها بما أُبدِّلُهُ أنا وأقولُهُ ، وأن يوجبَ ليَ الجاري الَّذي برسمِ النَّاحيةِ لمَن ينظرُ فيها بالأمانةِ ، ولا يسقطَ معَ ضماني لها ، ويطلقَ لي واجبَ سنةٍ مُقدَّماً ؛ لأُصلِحَ بهِ حالي ، وأستعينَ بهِ علىٰ نظري ، فقصدتُهُ ودعوتُ لهُ وشكرتُهُ .

وتقدَّمَ إليَّ مَن مضىٰ معي إلى الدِّيوانِ حتَّىٰ كتبتُ في الوثائقِ ، وخرجتُ إلىٰ عملي ، وتماثلَتْ حالي ، وعَظُمَتْ نعمتي ، وصرتُ معدوداً في ذوي النِّعَمِ الكبارِ ، والمُتقدِّمينَ في أصحابِ الوزيرِ ، ومِن أجلَّاءِ نُدَمائِهِ وأخصَّائِهِ .

---

(١) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

حكاية

[فأنا الرَّجلُ وزوجتي قد ماتَتْ]

٦٩٩ ـ وبالإسنادَينِ إلىٰ محمَّدِ بنِ هلالِ بنِ المُحسِّنِ قالَ : حدَّثَنيَ الوزيرُ فخرُ الدَّولةِ أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ جَهيرٍ قالَ : حُدِّثتُ أنَّ رجلاً اجتازَ بشيخٍ يزرعُ جَوْزاً ، فقالَ لهُ : يا هٰذا ؛ أنتَ شيخٌ كبيرٌ ، والجَوْزُ بطيءُ النَّباتِ والحَمْلِ ، فكيفَ تطمعُ فيهِ ؟ فقالَ : أنا أزرعُهُ ؛ فإمَّا أن آكلَ منهُ أو يأكلَ منهُ ولدي وعقبي أو غيري كما أكلتُ ممَّا زرعَهُ وغرسَهُ غيري ، فقالَ : زوجتي طالقٌ إن عشتَ أنتَ حتَّىٰ تأكلَ مِن ثمرةِ هٰذا الجَوْزِ .

ومضَتْ سِنونَ ، واتَّفقَ أنِ اجتازَ الرَّجلُ بذٰلكَ المكانِ ، وقد أُنسِيَ ما جرىٰ لهُ في ذٰلكَ ، فرأىٰ شيخاً قدِ التقَتْ ركبتاهُ ورأسُهُ تحتَ جَوْزٍ حسنِ الحَمْلِ ، وبينَ يدَيهِ أولادُهُ وأولادُهُم ، يأكلونَ مِن ثمرتِهِ ، فقالَ لواحدٍ منهُمُ : امضِ إلىٰ ذٰلكَ البستانِ ، فاطلبْ لي مِن فلانٍ جَوْزاً آكلُهُ أنا ، فمضىٰ وجاءَهُ بجَوْزٍ ، وكسرَهُ لهُ .

وأخذَ في أكلِهِ منهُ ، فقلتُ : يا شيخُ ؛ لِمَ لا تأكلُ مِن هٰذا الجَوْزِ الحسنِ الَّذي أنتَ تحتَ شجرِهِ ؟ فقالَ : يا سيِّدي ؛ لهُ خبرٌ ، قلتُ : ما هوَ ؟

قالَ : كنتُ أزرعُهُ فاجتازَ بي رجلٌ أحمقُ ، فقالَ لي : تطمعُ أن تأكلَ مِن ثمرةِ هٰذا الزَّرعِ معَ السِّنِّ الَّتي قد بلغتَها ؟! فقلتُ : نعم ، فقالَ : زوجتي طالقٌ إن عشتَ حتَّىٰ تأكلَ مِن ثمرةِ هٰذا .

وقد تفضَّلَ اللهُ ببقائي إلىٰ أن صارَ هٰذا الشَّجرُ والحَمْلُ فيهِ كما ترىٰ ، وواللهِ ؛ إنِّي لأشتهي أن آكلَ منهُ ، غيرَ أنَّني إذا ذكرتُ قولَ الرَّجلِ . . لا أستحلُّ أن آكلَ منهُ ، فتطلقَ المرأةُ مِنَ الرَّجلِ وهوَ لا يعلمُ ، ولا إثمَ معَ ذٰلكَ عليهِ ، وأنا أعلمُ ؛ فيكونُ الإثمُ في رقبتي .

فذكرتُ الحديثَ ، وقلتُ لهُ : يا هٰذا ؛ كُلْ ، فأنا الرَّجلُ وزوجتي قد ماتَتْ ، ففرحَ بذاكَ وأكلَ .

٭

٧٠٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ الحافظِ مُحِبِّ الدِّينِ محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ

غنيمةَ بنِ عليٍّ الحَريميُّ قالَ[1] : ثنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ ابنُ الفَرَّاءِ مِن لفظِهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن [أبي القاسمِ][2] الحسينِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ محفوظٍ الدِّمشقيِّ ، وأبي الحسنِ بنِ أبي عبدِ اللهِ البغداديِّ ، عن أبي المعالي الفضلِ بنِ سهلٍ الإِسْفَرايِنيِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ بنِ عليِّ بنِ عليٍّ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ ، كلاهُما عن أبي بكرٍ الخطيبِ ، أنا أبو القاسمِ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الصَّيْرفيُّ ، أنا سهلُ بنُ أحمدَ الدِّيباجيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ الأشعثِ الكُوفيُّ ، ثنا موسى بنُ إسماعيلَ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ ، حدَّثَني أبي ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ عليِّ بنِ حسينٍ ، عن أبيهِ ، عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (الزَّاهدُ مَن علمَ فعملَ ، ومَن أيقنَ فحذِرَ ، فإن أمسىٰ علىٰ عُسرٍ . . حَمِدَ اللهَ ، وإن أصبحَ علىٰ يُسرٍ . . شكرَ اللهَ ، فهٰذا هوَ الزَّاهدُ)[3]

حكاية

[نحنُ المسلمونَ ومعَنا القرآنُ]

٧٠١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو بكرٍ الجِيليُّ ، عن محمَّدِ بنِ ناصرٍ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وابنِ المُقيَّرِ ، عن محمَّدِ بنِ ناصرٍ : أنَّ جعفرَ بنَ يحيى المكِّيَّ أخبرَهُ قالَ : أنا أبو نصرٍ عبيدُ اللهِ بنُ سعيدِ بنِ حاتمٍ السِّجْزيُّ قالَ : ثنا أبو زرعةَ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ المُفسِّرُ السِّجِسْتانيُّ ، ثنا أبو عليٍّ عيسى بنُ محمَّدٍ الطُّوماريُّ ببغدادَ ، ثنا الحسينُ ابنُ الفَهْمِ قالَ : حدَّثَني أبي محمَّدُ ابنُ فَهْمٍ قالَ : كنتُ معَ المأمونِ في بلادِ الرُّومِ ، فأقامَ علىٰ حصنٍ ليفتحَهُ ، فحصلَ الحربُ بينَهُم ، فلحقَ المأمونَ صداعٌ ، فأمرَ بالكفِّ عنِ الحربِ .

فاطَّلعَ البطريقُ فقالَ : ما بالُكُم كففتُم عنِ الحربِ ؟ فقالوا : نالَ أميرَ المؤمنينَ صداعٌ ،

---

(١) **الحَريمي** : نسبة إلى (الحَريم الطَّاهريّ) ، وهي محلَّة بأعلىٰ مدينةِ السَّلام بغدادَ في الجانب الغربيّ ، تنسب إلىٰ طاهر بن الحسين . « معجم البلدان » (٢/٢٥١) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (أبي محمد) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (٢٢/٢٨٢) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٦٣٥) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « اقتضاء العلم العمل » (٦٣) .

فأمرَ بالكفِّ عنِ الحربِ ، فرمىٰ إليهِم بقَلَنسوةٍ ، وقالَ : قولوا لهُ يَلْبَسُها ؛ فإنَّ الصَّداعَ يسكنُ ، فلَبِسَها فسكنَ .

فقالَ المأمونُ : ما هٰذا ؟! نحنُ المسلمونَ ومعَنا القرآنُ !! فأمرَ بفتقِها ، فوجدَ فيها قطعةَ رَقٍّ ، وفيهِ مكتوبٌ[١] : (سبحانَ مَن لا ينسىٰ مَن نسيَهُ ، ولا ينسىٰ مَن ذكرَهُ ، كم مِن نعمةٍ علىٰ عبدٍ شاكرٍ وغيرِ شاكرٍ ، في عرقٍ ساكنٍ وغيرِ ساكنٍ ، ﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ﴾)[٢]

هٰكذا روى ابنُ النَّجَّارِ[٣]

*

٧٠٢ ـ وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ الحافظِ أبي طاهرٍ السِّلَفيِّ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ بانتخابي عليهِ مِن أصولِ كتبِهِ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدٍ العَتِيقيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ [علَّانَ][٤] الوَرَّاقُ ، ثنا أبو [عليّ][٥] عيسى الطُّوماريُّ ، ثنا الحسينُ ابنُ فَهْمٍ ، حدَّثَني عمرُ[٦] قالَ : كنتُ معَ المُعتصِمِ في بعضِ الغزواتِ ، قالَ : فنزلْنا علىٰ حصنٍ ، فحاصرْناهُم وقاتلْناهُم ، فلحقَ أميرَ المؤمنينَ صداعٌ . . . الحكايةَ[٧]

نُكتةٌ
[في إفحامِ الشَّعْبيِّ]

٧٠٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي طاهرٍ العَطَّارِ ـ يعني : المُبارَكَ بنَ أبي المعالي بنِ هبةِ اللهِ ابنَ المعطوشِ ـ ، عن أبي عليٍّ ابنِ المهديِّ ـ هوَ الشَّريفُ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ ابنُ المهديِّ الخطيبُ ـ قالَ : أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ العَتِيقيُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسنِ ابنِ شاذانَ قالَ : ثنا

---

(١) عُنْوِنَ ها هنا في هامش (أ) بـ : (**فائدة**) .

(٢) سورة الشورىٰ : (١ ـ ٢) .

(٣) انظر « ربيع الأبرار » (٥/١٢٦ ـ ١٢٧) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (غالب) ، والمثبت موافق لما في « الطيوريات » ومصادر التخريج ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/١٥٧) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٧١ ، ١٠١) .

(٥) ما بين معقوفين زيادة ، والصواب إثباتها ، موافقاً لسند الحكاية السابقة ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/٦٤) ، وما تقدم ضمن الخبر (٤٤ ، ٨٢ ، ٢١٥ ، ٧٠١) .

(٦) كذا في (أ ، ب ، ج) ، وكذا في « الطيوريات » ، وهو في « بغية الطلب » : (عمي) ، والله أعلم .

(٧) أخرجه أبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٣٢١) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (١٠/٤٧٠٩) .

أبو بكرِ بنُ أبي الأزهرِ ، ثنا الرِّياشيُّ ، ثنا ابنُ عائشةَ قالَ : تكلَّمَ شابٌّ يوماً عندَ الشَّعْبيِّ ، فقالَ الشَّعْبيُّ : ما سمعْنا بهٰذا .

فقالَ الشَّابُّ : كلَّ العلمِ سمعتَ ؟ قالَ : لا

قالَ : فشطرَهُ ؟ قالَ : لا

قالَ : فاجعلْ هٰذا في الشَّطرِ الَّذي لم تسمعْهُ .

قالَ : فأُفحِمَ الشَّعْبيُّ (١)

حكاية

[أبى العلمُ إلَّا أن يكونَ للهِ]

٧٠٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عبدِ اللهِ العابدِ ، عنِ القاضي أبي حفصٍ عمرَ بنِ أحمدَ الخطيبِ الزَّنْجانيِّ قالَ : حدَّثني والدي أبو العبَّاسِ قالَ : كنَّا يوماً في حَلْقةِ الإمامِ أبي حامدٍ الغزاليِّ ، وقد جرىٰ في المذاكرةِ ما اقتضىٰ ذِكْرَ الحديثِ المشهورِ ؛ وهوَ : (تعلَّمْنا العلمَ لغيرِ اللهِ ، فأبىٰ أن يكونَ إلَّا للهِ) (٢) ، فأكثرَ الغزاليُّ التَّعجُّبَ عندَ سماعِهِ .

ثمَّ قالَ : أُخبِرُكُم بعجبٍ يشهدُ لصحَّةِ هٰذا الحديثِ : واللهِ ؛ لقد ماتَ والدي وخلَّفَ لي ولأخي مقداراً يسيراً ما بَعُدَ أن فنيَ ، وبقيْنا بحيثُ تعذَّرَ القوتُ علينا ، وصِرْنا إلىٰ بعضِ المدارسِ مُظهِرينَ لطلبِ الفقهِ ، وليسَ المُرادُ سوىٰ تحصيلِ القوتِ ، وكانَ تعلُّمُنا للعلمِ لذٰلكَ لا للهِ ، فأبىٰ أن يكونَ إلَّا للهِ (٣)

حكاية

[في صلاحِ والدِ الإمامِ الغزاليّ]

٧٠٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : وقرأتُ علىٰ أبي القاسمِ الأَسَديِّ بالثَّغرِ ، عن أبي بكرٍ

---

(١) انظر « الأذكياء » لابن الجوزي (ص ١٢٠ ـ ١٢١) ، وذكره الجلال السيوطي في « تدريب الراوي » (٣/٥١٥) وعزاه لابن النجار في « الذيل » .

(٢) من كلام سفيان الثوري ، انظر « إحياء علوم الدين » (٤/٣٠١) ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ١٣٨) .

(٣) ذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٣٥/١٢٧) وعزاه لابن النجار في « الذيل » ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٦/١٩٣ ـ ١٩٤) ، و« فتح المغيث » للسخاوي (٣/٢٢٥) .

عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ أبي العبَّاسِ النَّوْقانيّ قالَ : حدَّثَني والدي أبو سعدٍ قالَ : سمعتُ والدي أبا العبَّاس الخليليَّ يقولُ : كانَ والدُ الغزاليّ رجلاً صالحاً مجتهداً في كسبِ الحلالِ مِن صناعتِهِ في عملِ غزلِ الصُّوفِ ، ويطوفُ على المُتفقِّهةِ ويُجالِسُهُم ويتوفَّرُ علىٰ خدمتِهِم ، وكلُّ مَن وجدَهُ منهُم مُحتاجاً إلىٰ شيءٍ أعطاهُ مِن كسبِهِ بحسبِ وُسْعِهِ ، ويُنفِقُ علىٰ فقرائِهِم بمقدارِ ميسورِهِ .

وكانَ إذا سمعَ كلامَهُم . . يبكي ويتضرَّعُ ، ويدعو اللهَ تعالىٰ أن يرزقَهُ ابناً ويجعلَهُ فقيهاً .

وكانَ يُكثِرُ مِن حضورِ مجالسِ الوعظِ ، فإذا طابَ وقتُهُ فيها . . بكىٰ وسألَ اللهَ تعالىٰ أن يرزقَهُ ابناً وأن يجعلَهُ واعظاً .

قالَ : فواللهِ ؛ لقدِ استجابَ اللهُ تعالىٰ لهُ ؛ فإنَّهُ لم يَبعُدْ أن رزقَهُ اللهُ أبا حامدٍ وأحمدَ ؛ فأمَّا أبو حامدٍ . . فخرجَ فقيهَ زمانِهِ ، وأمَّا أحمدُ . . فواعظَ عصرِهِ وأوانِهِ [1]

حكاية

[تطفيلةٌ بمئةِ ألفِ درهمٍ]

٧٠٦ ـ وأُنبئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ هبةُ اللهِ بنُ أبي عليِّ الحسنِ بنِ أبي سعدٍ السِّبطِ ، عن أبيهِ قالَ : أنا والدي أبو سعدٍ المُظفَّرُ قالَ : ثنا أبو أحمدَ عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الفَرَضيُّ ، أنا جعفرُ بنُ محمَّدٍ الخُلْديُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ مسروقٍ الطُّوسيُّ ، حدَّثَني أبي قالَ : سمعتُ مُخارقاً المُغنِّيَ يقولُ : تطفَّلتُ تطفيلةً قامَتْ علىٰ أميرِ المؤمنينَ المُعتصِمِ بمئةِ ألفِ درهمٍ !!

فقيلَ لهُ : كيفَ ذاكَ ؟

قالَ : شربتُ معَ المُعتصِمِ ليلةً إلى الصُّبحِ ، فلمَّا أصبحْنا . . قلتُ لهُ : يا سيِّدي ؛ إن رأىٰ أميرُ المؤمنينَ أن يأذنَ لي فأخرجَ فأتنسَّمَ في الرُّصافةِ إلىٰ وقتِ انتباهِ أميرِ المؤمنينَ ، قالَ : نعم ، فأمرَ البوَّابينَ فتركوني .

قالَ : فجعلتُ أمشي في الرُّصافةِ ، فبينَما أنا أمشي . . إذ نظرتُ إلىٰ جاريةٍ كأنَّ

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٦/١٩٤) .

الشَّمسَ تطلعُ مِن وجهِها ، فتبعتُها ومعَها زِبِّيلٌ[1] ، فوقفَتْ علىٰ صاحبِ فاكهةٍ ، فاشترَتْ منهُ سفرجلةً بدرهمٍ ، ورُمَّانةً بدرهمٍ ، وكُمَّثْراةً بدرهمٍ .

فتبعتُها فالتفتَتْ ، فرأَتْني خلفَها أتبعُها ، فقالَتْ لي : يا بنَ الفاعلةِ ـ لا تُكنِّي !! ـ إلىٰ أينَ ؟

قلتُ : خلفَكِ يا سيِّدتي .

فقالَتِ : ارجعْ يا بنَ الفاعلةِ ؛ لا يراكَ أحدٌ فتُقتَلَ .

قالَ : ثمَّ التفتَتْ فنظرَتْ إليَّ ، فشتمَتْني ضعفَ ما شتمَتْني في المرَّةِ الأُولىٰ .

ثمَّ جاءَتْ إلىٰ بابٍ كبيرٍ فدخلَتْ فيهِ ، وجلستُ بحذاءِ البابِ ، وذهبَ عقلي ، ونزلَتِ الشَّمسُ وكانَ يوماً حارّاً ، فلم ألبثْ أن جاءَ فَتَيانِ علىٰ حمارَينِ مصريَّينِ ، فأُذِنَ لهُما فدخلا ، ودخلتُ معَهُما فظنَّ صاحبُ المنزلِ أنِّي جئتُ معَ صديقَيهِ ، وظنَّ صديقاهُ أنَّ صاحبَ المنزلِ قد دعاني ، وجيءَ بالطَّعامِ فأكلوا وغسلوا أيديَهُم .

ثمَّ قالَ لهُم صاحبُ المنزلِ : هل لكُم في فلانةَ ؟ قالوا : إن تفضَّلتَ .

فخرجَتْ تلكَ الجاريةُ بعينِها ، وقدَّامَها وَصِيفةٌ تحملُ عوداً لها ، فوضعَتْهُ في حِجْرِها ، فغنَّتْ فطربوا وشربوا ، وقالوا لها : لمَن هٰذا يا ستَّنا ؟ قالَتْ : لسيِّدي مُخارقٍ .

ثمَّ غنَّتْ صوتاً آخرَ ، فطربوا وازدادَ طربُهُم ، فقالوا : لمَن هٰذا الصَّوتُ يا ستَّنا ؟ قالَتْ : لسيِّدي مُخارقٍ .

ثمَّ غنَّتِ الثَّالثَ ، فطربوا وشربوا ، وهيَ تُلاحِظُني وتشكُّ فيَّ ، فقالوا : لمَن هٰذا يا ستَّنا ؟ قالَتْ : لسيِّدي مُخارقٍ .

قالَ : فلم أصبرْ ، فقلتُ لها : يا جاريةُ ؛ شُدِّي يدَكِ ، فشدَّتْ أوتارَها وخرجَتْ عن إيقاعِها الَّذي تقوىٰ عليهِ ، فدعوتُ بدواةٍ[2] وقضيبٍ ، فغنَّيتُ الصَّوتَ الَّذي غنَّتْهُ أوَّلاً ، فقاموا وقبَّلوا رأسي ـ قالَ أبي : وكانَ أحسنَ النَّاسِ صوتاً ، وكانَ يوقعُ بالقضيبِ ـ ، ثمَّ غنَّيتُ الثَّانيَ والثَّالثَ ، فجنُّوا وكادَتْ عقولُهُم تذهبُ .

فقالوا : مَن أنتَ يا سيِّدَنا ؟ قلتُ : أنا مُخارقٌ .

---

(١) الزِّبِّيل : القُفَّة أو الوعاء يُحمل فيه .

(٢) كُتب فوقها في (أ ، ج) : (كذا) .

قالوا : فما سببُ مجيئِكَ ؟ فقلتُ : طفيليٌّ أصلحَكُمُ اللهُ ، وخبَّرتُهم خبري .
فقال صاحبُ البيتِ لصديقَيهِ : قد تعلمانِ ؛ إنِّي أُعطيتُ بها ثلاثينَ ألفَ درهمٍ فأبيتُ أن أبيعَها وأردتُ الزِّيادةَ ، وقد نقصتُ مِن ثمنِها عشرةَ آلافِ درهمٍ ، فقالَ صديقاهُ : علينا عشرونَ ألفاً ، وملَّكونيَ الجاريةَ .

وقعدَ المُعتصِمُ فطلبَني في منازلِ أبناءِ القوَّادِ ، فلم أُصَبْ ، وتغيَّظَ عليَّ ، وقعدتُ عندَهُم إلى العصرِ ، وخرجتُ بها ، فكلَّما مررتُ بموضعٍ شتمَتْني فيهِ . . قلتُ لها : يا مولاتي ؛ أَعيدي شتمَكِ عليَّ فتأبىٰ ، فأحلفُ لتُعيدَنَّهُ .

وأخذتُ بيدِها حتَّىٰ جئتُ إلىٰ بابِ أميرِ المؤمنينَ ويدي في يدِها ، فلمَّا رآني المُعتصِمُ . . سبَّني وشتمَني ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لا تعجلْ عليَّ ، فحدَّثتُهُ فضحكَ ، وقالَ لي : نُكافِئُهُم عنكَ يا مُخارقُ ، فأمرَ لكلِّ رجلٍ منهُم بثلاثينَ ألفَ درهمٍ ، وأمرَ لي بعشرةِ آلافِ درهمٍ (1)

حكاية

[لا أقبلُ شهادتَهُ]

٧٠٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي القاسمِ عليِّ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الوَرَّاقِ ، عن أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ محبوبٍ قال : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ الحسينِ الشَّاشيَّ الشَّافعيَّ يقولُ : اتَّفقَتْ للسُّلطانِ ملكشاه حادثةٌ ، فاقتضَتْ عقدَ مجلسِ حكمٍ وإيرادَ شهادةٍ ، فعقدَ مجلساً عظيماً مشحوناً بالأماثلِ والأعيانِ مِن أصحابِ الخليفةِ والسُّلطانِ ، واستدعىٰ قاضيَ القضاةِ الشَّاميَّ ـ هوَ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ المُظفَّرِ بنِ بكرانَ بنِ عبدِ الصَّمدِ ، مِن أهلِ حَمَاةَ ـ إلى الحكمِ في تلكَ الحادثةِ ، وحضرَ المُشطَّبُ الفَرْغانيُّ ـ وكانَ إماماً في العلمِ ـ فأوردَ الشَّهادةَ الَّتي عندَهُ للسُّلطانِ .

فلمَّا أنهىٰ أداءَ الشَّهادةِ . . ردَّها قاضي القضاةِ ، وقالَ في ذٰلكَ المحفلِ العظيمِ : لا أقبلُ شهادتَهُ !!

قالوا : لِمَ ؟

---

(1) أخرجه الخطيب البغدادي في « التطفيل » (ص ١١١ ـ ١١٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٧/١٣٦ ـ ١٣٧) ، وانظر « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » للشرواني (ص ١٠ ـ ١١) .

قالَ : رأيتُ عليهِ قميصاً مِنَ الحريرِ ، ولابسُ الحريرِ فاسقٌ ، ولا شهادةَ لفاسقٍ [1]

نُكتةٌ

[في غَلَبةِ النِّساءِ على الرِّجالِ]

٧٠٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ .

وأنبأَني أبو الفرجِ ابنُ وَرِّيدةَ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ قالَ : أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ القاضي أبي عليٍّ المُحسِّنِ بنِ عليٍّ التَّنُوخيُّ إذناً ، عن أبيهِ قالَ : (تذاكرْنا في مجلسٍ ببغدادَ حضرَهُ أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ منصورٍ الشَّاهدُ المعروفُ بابنِ كرديٍّ . . حديثَ غَلَبةِ النِّساءِ على الرِّجالِ إلَّا النَّفَرَ مِنَ الرِّجالِ .

فقالَ لي أبو عليٍّ : كانَ لنا شيخٌ فاضلٌ مِن أهلِ القَطِيعةِ ، وكانَ يضربُ لنا في هٰذا مثلاً فيقولُ : إنَّ في جهازِ العروسِ إلىٰ زوجِها سَرْجاً ولِجاماً ، فإذا انقضَتْ أيَّامُ العرسِ : فإن سبقَ الرَّجلُ إلى السَّرْجِ ، فأسرجَ المرأةَ ووضعَ اللِّجامَ في رأسِها . . رَكِبَها وملكَ عليها أمرَها ، وإن تراخىٰ لحظةً . . وضعَتْ هيَ السَّرْجَ علىٰ قَفاهُ ، واللِّجامَ في فِيهِ ، ورَكِبَتْهُ ، فلم تنزلْ عنهُ إلَّا بطلاقٍ أو موتٍ) [2]

حكايةٌ

[في حالِ الحازميِّ كلَّ ليلةٍ]

٧٠٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ المُقرِئَ جارَنا ـ وكانَ صالحاً ـ يقولُ : كانَ الحازميُّ ـ يعني : أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ موسى بنِ عثمانَ بنِ موسى بنِ عثمانَ بنِ حازمٍ [3] ـ يسكنُ في رباطِ البديعِ ، وكانَ يدخلُ بيتَهُ كلَّ ليلةٍ ويُطالِعُ ويكتبُ إلىٰ أن يطلعَ الفجرُ ، ثمَّ يخرجُ إلى الصَّلاةِ .

فقالَ الشَّيخُ البديعُ لخادمِ الرِّباطِ : لا تدفعِ اللَّيلةَ إليهِ بزراً للسِّراجِ ، واعتذرْ إليهِ بأنَّا

---

(١) ذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٢٧٠) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٣/ ٢٧٧) .

(٢) أخرجه التنوخي في « نشوار المحاضرة » (٣/ ٣٠) .

(٣) توفِّي الحازميُّ في جمادى الأولىٰ سنة أربع وثمانين وخمس مئة ببغداد ، وكان مولده بهَمَذان سنة تسع وأربعين وخمس مئة . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) .

اشتغلْنا عن شرائِهِ ؛ فلعلَّهُ يستريحُ في هٰذهِ اللَّيلةِ مِن مُطالعةِ الكتبِ والكتابةِ ، ويجدُ بدنُهُ راحةً .

فلمَّا جاءَ اللَّيلُ . . جاءَ الخادمُ إليهِ ، واعتذرَ إليهِ لانقطاعِ بزرِ السِّراجِ ، فدخلَ وصفَّ قدمَيهِ ، ولم يزلْ يُصلِّي ويتلو القرآنَ إلىٰ أن طلعَ الفجرُ !!

وكانَ الشَّيخُ قد خرجَ يعلمُ خبرَهُ وكيفَ حالُهُ ، فوجدَهُ في الصَّلاةِ وتلاوةِ القرآنِ ليلَهُ أجمعَ ، فأمرَ الخادمَ بأن يعودَ إلىٰ عادتِهِ في دفعِ بزرِ السِّراجِ في كلِّ ليلةٍ ، وقالَ : إنَّما قصدْنا بذٰلكَ راحتَهُ ، فإذا كانَ قد أتعبَ نفسَهُ بنوعٍ آخرَ مِنَ الخيرِ . . فلا حاجةَ لنا في قَطْعِهِ عن مُطالعةِ العلمِ[1]

حكاية

[وجدْناهُ يُبغِضُ العُمَرَينِ فصرعْناهُ]

٧١٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ اللهِ بنُ عمرَ الدِّمشقيُّ قالَ : أنا أبو شجاعٍ الضَّحَّاكُ بنُ محمَّدٍ البوَّابُ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ الفضلِ الأَدَميُّ ـ قدمَ علينا ـ قالَ : أنا سليمانُ بنُ إبراهيمَ الحافظُ ، ثنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ عمرَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الأديبُ الهَمَذانيُّ ـ قدمَ علينا ـ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ موسى الأُرْمَويَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ العلاءِ الأَرْدُبيليَّ يقولُ : سمعتُ أبا زرعةَ الرَّازيَّ يقولُ : (بينا أنا مارٌّ في طرقاتِ البصرةِ . . إذا أنا بمجنونٍ قد صُرِعَ ، فتقدَّمتُ إليهِ فقرأتُ في أُذنِهِ : ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[2]

قالَ : فنطقَ الجنِّيُّ علىٰ لسانِهِ !! وقالَ : واللهِ ؛ ما نحنُ ممَّن يفتري الكذبَ على اللهِ ، ولٰكنْ وجدْناهُ يُبغِضُ أبا بكرٍ وعمرَ فصرعْناهُ) .

٧١١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ القادرِ بنُ خلفٍ ، وإسماعيلُ بنُ مُظفَّرٍ الدَّبَّاسُ قالا : ثنا محمَّدُ بنُ ناصرٍ إملاءً .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وأبي أحمدَ بنِ عليٍّ ، عن محمَّدِ بنِ

---

(١) ذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٢١/١٦٩) وعزاه لابن النجار .

(٢) سورة يونس ﷺ : (٥٩) .

ناصرٍ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ الواعظُ قراءةً عليهِ [قالَ] : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ المُقرِئُ ، أنا أحمدُ بنُ جعفرِ ابنِ سلمٍ ، ثنا أبو رَوْقٍ ـ يعني : [الهِزَّانيَّ] (١) ـ ، ثنا أبو حاتمٍ ، عنِ الأصمعيِّ قالَ : كانَ أشياخُنا وعجائزُنا يقولونَ : عاشروا النَّاسَ بخُلُقٍ حسنٍ ؛ إن غبتُم .. حنُّوا إليكُم ، وإن متُّم .. ترحَّموا عليكُم (٢) .

ثمَّ أنشأَ يقولُ (٣) : [من الكامل]

كُلُّ ٱلْأُمُورِ تَبِيدُ عَنْكَ وَتَنْقَضِي ... إِلَّا ٱلثَّنَاءَ فَإِنَّهُ لَكَ بَاقِ

لَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... مَا ٱخْتَرْتُ غَيْرَ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ (٤)

فَائِدَةٌ

[مِن نصيحةِ إبليسَ]

٧١٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَتْنا فاطمةُ ستُّ الكلِّ ابنةُ الفقيهِ أبي الحسنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ الآبَنُوسيِّ قالَتْ : أنا أبي قالَ : أنا أبي قالَ : ثنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ نصرٍ البصريُّ ـ وكانَ شيخاً صدوقاً صالحاً ـ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنَ المَحامِليِّ الفقيهَ يقولُ عن رجلٍ كانَ يدعو لإبليسَ ، قالَ : فتراءىٰ لهُ إبليسُ ، قالَ لهُ : ما رأيتُ أحداً يدعو لي إلَّا أنتَ ، فلكَ إليَّ حاجةٌ ؟

فقالَ : نعم ، أُريدُ أن تُعلِّمَني شيئاً أنتفعُ بهِ .

فقالَ : إيَّاكَ والوصيَّةَ ؛ فإنِّي لا أدعُ الوصيَّ حتَّىٰ يخونَ ، وإيَّاكَ والنَّذرَ ؛ فإنِّي لا أُخلِّي صاحبَ النَّذرِ أو أفسخَ عليهِ نذرَهُ ، وإذا هممتَ بحسنةٍ .. فعجِّلْ ؛ فإنِّي لا أدعُهُ حتَّىٰ أفسخَ عليهِ .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (الهمداني) ، والمثبت موافق لما في « معجم شيوخ السبكي » ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/٢٨٥) .

(٢) أخرج هٰذا القولَ ابنُ أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٣٥) عن جدِّ الأصمعيِّ ، والبلاذريُّ في « جمل من أنساب الأشراف » (١٣/٧٨) عن أكثم بن صيفي ، وانظره عن أعرابي في « العقد الفريد » (٣/٤٤٢) ، و« ربيع الأبرار » (١/٤٤٦) .

(٣) الأبيات بلا نسبة في « مكارم الأخلاق » لابن أبي الدنيا (٥٧) ، و« الجليس الصالح » (١/٣٢٠) ، و« الكشف والبيان » للثعلبي (٤/٣١٩) ، و« شعب الإيمان » (٨١٥١) ، و« تاريخ دمشق » (٢١/١٣٧) .

(٤) أخرج الخبرَ كاملاً ابنُ سعد المقدسيُّ في « معجم شيوخ السبكي » (ص ٤٩٩) .

فَائِدَةٌ

[في المؤاخاةِ]

٧١٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو منصورٍ الكُوفيُّ ـ هوَ محمَّدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ الحسينِ التَّميميُّ ـ قالَ : أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ يحيى النَّحْويُّ قالَ : أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ البجليُّ ، أنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ ابنُ الصَّبَّاغِ القرشيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ سفيانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : سمعتُ أبا الحسينِ محمَّدَ بنَ عليٍّ الحَلاويَّ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ الذُّهْليُّ الكُوفيُّ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ محمَّدٍ المُرهِبيَّ ، عن محمَّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ إسحاقَ العبَّاسيِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحجَّاجِ مولى المهديِّ ، عن إبراهيمَ ابنِ شَكْلَةَ ـ هوَ ابنُ المهديِّ ـ قالَ : إذا آخيتَ أخاً . . فلا تشكَّ أنَّهُ يُخطِئُ ويُصيبُ ، ويُحسِنُ ويُسيءُ ، ويحفظُ ويُضيعُ .

فوطِّنْ نفسَكَ على الشُّكرِ إذا حفظَ ، وعلى الصَّبرِ إذا ضيَّعَ ، وعلى المكافأةِ إذا أحسنَ ، وعلى المعاتبةِ إذا أساءَ ؛ فإنَّ في معاتبة الصَّديقِ استقامةَ الوُدِّ ، وقد قيلَ : (ظاهرُ العتابِ خيرٌ مِن مكنونِ الحقدِ) [١]

وفي ذٰلكَ أقولُ [٢] : [من الكامل]

كَافِ ٱلصَّدِيقَ عَلَى ٱلْمَوَدَّةِ مِثْلَهَا ... فَإِذَا أَسَاءَ فَكَافِهِ بِعِتَابِهِ

وَإِذَا غَضِبْتَ عَلَى ٱمْرِئٍ آخَيْتَهُ ... فَتَوَقَّ ظَاهِرَ عَتْبِهِ وَسِبَابِهِ

وَأَلِنْ جَنَاحَكَ مَا ٱسْتَلَانَ لِوُدِّهِ ... وَأَجِبْ أَخَاكَ إِذَا دَعَا بِجَوَابِهِ [٣]

حِكَايَةٌ

[لا يهلكُ على اللهِ إلَّا مَن قلبُهُ مَرِتٌ]

٧١٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الهاشميِّ ، عن محمَّدِ بنِ

---

(١) هو للعتابي في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (٧٢٦/١) ، و« الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٢٨٤/١) ، ولأكثم بن صيفي في « جمل من أنساب الأشراف » للبلاذري (٧٨/١٣) ، وانظر « مجمع الأمثال » (٣٦١/٢) .

(٢) الأبيات بلا نسبة في « غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٣٣٢٧) باختلاف يسير .

(٣) انظر « روضة العقلاء » لابن حبان (٦٨٩/٢ ـ ٦٩٠) .

عبيدِ اللهِ بنِ نصرٍ : أنَّ محمَّدَ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ النَّديمَ أخبرَهُ ، عن أبي عبيدِ اللهِ المَرْزُبانيِّ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ يحيىٰ ، ثنا الحسينُ بنُ يحيىٰ قالَ : رأى الواثقُ باللهِ في مَنامِهِ كأنَّهُ يسألُ اللهَ الجنَّةَ ، وأن يتغمَّدَهُ برحمتِهِ ، ولا يُهلِكَهُ بما هوَ فيهِ ، وأنَّ قائلاً قالَ لهُ : لا يهلكُ على اللهِ إلَّا مَن قلبُهُ مَرْتٌ .

فأصبحَ فسألَ الجُلَساءَ عن ذٰلكَ ، فلم يعرفوا حقيقتَهُ ، فوجَّهَ إلىٰ أبي مُحلِّمٍ ، فأحضرَهُ البابَ ، وسألَهُ عنِ الرُّؤيا والمَرْتِ ، فقالَ أبو مُحلِّمٍ : المَرْتُ مِنَ الأرضِ : القفرُ الَّذي لا نبتَ فيهِ ، فالمعنىٰ علىٰ هٰذا : لا يهلكُ على اللهِ إلَّا مَن قلبُهُ خالٍ مِنَ الإيمانِ خُلُوَّ المَرْتِ مِنَ النَّباتِ .

فوجَّهَ إليهِ الواثقُ : أُريدُ شاهداً مِنَ الشِّعرِ في المَرْتِ ، فأفكرَ أبو مُحلِّمٍ طويلاً ، فأنشدَهُ بعضُ مَن حضرَ بيتاً لبعضِ بني أسدٍ [١]

فقالَ لهُ أبو مُحلِّمٍ : ربَّما بَعُدَ الشَّيءُ عنِ الإنسانِ وهوَ أقربُ إليهِ ممَّا في كمِّهِ ، واللهِ ؛ لا تبرحُ حتَّىٰ أُنشِدَكَ ، فأنشدَهُ للعربِ مئةَ بيتٍ معروفٍ لشاعرٍ معروفٍ ، في كلِّ بيتٍ منها ذِكْرُ المَرْتِ !!

فبلغَ ذٰلكَ الواثقَ ، فأمرَ لهُ بألفِ دينارٍ .

وأرادَهُ لمجالستِهِ فأبىٰ أبو مُحلِّمٍ ، وقيلَ للواثقِ : إنَّهُ جافٍ جِلْفٌ ، فتركَهُ [٢]

حكاية

[إذا قالَ : يا مقبلُ . . قلتُ : لبَّيكَ]

٧١٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو محمَّدٍ ابنُ الأخضرِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ ، وعبدِ الوهَّابِ ابنِ سُكَينةَ ، وأبي حفصٍ الدَّارَقَزِّيِّ ، عن أبي الفضلِ بنِ ناصرٍ ، زادَ ابنُ الأخضرِ : وأبي منصورٍ ابنِ الجَواليقيِّ قالا : أنا أبو غالبٍ الذُّهْليُّ قراءةً عليهِ قالَ : ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ هلالِ بنِ أبي الجيشِ بنِ عليٍّ المُقرِئُ المعروفُ بابنِ الباقِلَّانيِّ قالَ : حدَّثَني أبو بكرٍ مُعبِّرُ الرُّؤيا المعروفُ بابنِ ثوابةَ

---

(١) والبيت في « نور القبس » : (من الطويل)

وَمَــرْتٍ مَــرَوْرَاةٍ يَحَـارُ بِهَـا ٱلْقَطَـا ... وَيُضْـبِحُ ذُو عِلْـمٍ بِهَـا وَهْـوَ جَاهِـلُ

(٢) انظر « نور القبس » لليغموري (ص ٢١١) .

قالَ : سافرتُ إلىٰ مكَّةَ في جماعةٍ مِنَ الصُّوفيَّةِ ، فلمَّا بلغوا ذاتَ عِرْقٍ . . لَبَّوا ولَبِسوا ثيابَ الإحرامِ ، وكانَ في جملةِ الصُّوفيَّةِ عبدٌ أسودُ ، وكانَ سِكِّيتاً ، فلم يُلَبِّ ذٰلكَ اليومَ معَ النَّاسِ .

فقالَ لهُ شيخٌ لنا مُتقدِّمٌ علينا : مِن شرطِ الحجِّ التَّلبيةُ ، وأنتَ ما لبَّيتَ ، فقالَ : أقولُ : لبَّيكَ ولم يقلْ لي : يا مقبلُ ، إذا قالَ لي : يا مقبلُ . . قلتُ : لبَّيكَ .

قالَ : فلمَّا كانَ في غدٍ . . صلَّىٰ بنا الشَّيخُ صلاةَ الفجرِ ، فسمعْنا مقبلاً يقولُ : لبَّيكَ اللَّهُمَّ لبَّيكَ ، ثمَّ وقعَ ميِّتاً ، قالَ : فقلْنا : قد دعاهُ مولاهُ ، ثمَّ واريْناهُ (١)

٧١٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ محمَّدِ بنِ أبي السَّعاداتِ ، عنِ القاسمِ بنِ الفضلِ بنِ عبدِ الواحدِ قالَ : كتبَ إليَّ عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ الدَّقَّاقُ ، أنا محمَّدُ بنُ المُظفَّرِ أبو طالبٍ ، أنا العبَّاسُ بنُ عمرَ أبو الحسنِ ، ثنا أبو بكرٍ الصُّوليُّ إملاءً ، ثنا أبو العيناءِ ، ثنا محمَّدُ بنُ يزدادَ قالَ : قالَ ليَ المأمونُ يوماً : يا محمَّدُ ؛ لَأَنْ أُخطِئَ مُعطياً أَحَبُّ إليَّ مِن أن أُصيبَ مانعاً (٢)

قالَ : فحدَّثتُ بهٰذا الهيَّاجيَّ الكُوفيَّ الشَّاعرَ ، فقالَ لابنِ رباحٍ ـ وأخذَ المعنىٰ ـ :

[من الطويل]

فَإِنْ لَا أَكُنْ أَهْلاً لِخَيْرٍ سَأَلْتُهُ ... فَكُنْ أَنْتَ أَهْلاً أَنْ تَمُنَّ وَتَشْفَعَا

فَإِنَّ خَطَاءَ ٱلْبَذْلِ خَيْرٌ مَغَبَّةً ... لِصَاحِبِهِ مِنْ أَنْ يُصِيبَ وَيَمْنَعَا

فائدة

[مِن دعاءِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ]

٧١٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو جعفرٍ ـ هوَ المُبارَكُ بنُ المُبارَكِ الواسِطيُّ ـ ، [وأبو جعفرٍ] (٣) وأبو بكرٍ ؛ محمَّدٌ ولامعٌ ابنا أحمدَ بنِ نصرٍ الأصبهانيَّانِ : أنَّ يحيى بنَ عبدِ الوهَّابِ بنِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ ابنِ مَنْدَهْ أخبرَهُما قالَ : أنا محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ

---

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (٥/١٦٧ ـ ١٦٨) .

(٢) انظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٥/١٣٧) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٨٧٢) .

(٣) ما بين معقوفين ليس في (أ ، ب ، ج) ، والصواب إثباته ، وانظر ما تقدم ضمن الخبر (٦٦٢) .

محمَّدٍ البغداديُّ كتابةً : أنَّ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ محمَّدٍ الحَرْبيَّ أخبرَهُ قالَ : ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ الـوَرَّاقُ ، ثنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ إسحاقَ البَغَويُّ ، ثنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ يعقوبَ الصَّفَّارُ بسُرَّ مَن رأىٰ قالَ : كنَّا عندَ أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ حنبلٍ ، فقلتُ : ادعُ اللهَ تعالىٰ لنا .

فقالَ : اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ تعلمُ أنَّا نعلمُ ؛ إنَّكَ لنا علىٰ أكثرِ ما نُحِبُّ ، فاجعلْنا لكَ علىٰ ما تُحِبُّ .

اللَّهُمَّ ؛ إنَّا نسألُكَ بالقدرةِ الَّتي قلتَ للسَّماواتِ والأرضِ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [1] ؛ وفِّقْنا لطاعتِكَ ومرضاتِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنَّا نعوذُ بكَ مِنَ الفقرِ إلَّا إليكَ ، ونعوذُ بكَ مِنَ الذُّلِّ إلَّا لكَ .

اللَّهُمَّ ؛ لا تُكثِرْ علينا فنطغىٰ ، ولا تُقلِلْ علينا فننسىٰ ، وهبْ لنا مِن رحمتِكَ وسَعةِ قُدرتِكَ ما يكونُ بلاغاً في دنياكَ ، وأَغْنِنا بفضلِكَ [2]

نُكتةٌ

[لئن قلَّ كلامُكَ لقد كثرَتْ فوائدُهُ]

٧١٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ .

(ح) وأنبأَني أبو أحمدَ بنُ أبي منصورٍ البغداديُّ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ [3] ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي : أنَّ أبا القاسمِ عليَّ بنَ المُحسِّنِ بنِ عليٍّ التَّنُوخيَّ أخبرَهُ في كتابِهِ ، عن أبيهِ ، عن أبي الفرجِ الأصبهانيِّ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ يونسَ الأنباريُّ الكاتبُ ، حدَّثَنيَ الحسينُ بنُ يحيىٰ ، عن إسحاقَ قالَ : كلَّمَ العَتَّابيُّ يحيى بنَ خالدٍ في حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ ، فقالَ لهُ يحيىٰ : لقد نَزُرَ كلامُكَ اليومَ وقلَّ .

فقالَ : وكيفَ لا يقلُّ وقد تكنَّفَني ذُلُّ المسألةِ ، وحَيْرةُ الطَّلَبِ ، وخوفُ الرَّدِّ .

---

(١) سورة فصلت : (١١) .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (١١/٢٢٩) ، و« البداية والنهاية » لابن كثير (١١/١٦٦) .

(٣) كذا في (أ ، ب ، ج) ، ولا يستقيم ؛ إذ أبو أحمد بن أبي منصور هو عبد الوهَّاب بن عليِّ المعروف بابن سُكَينة ، والغالب أنَّه أراد : (وأنبئت عنه ـ يعني : ابن النَّجَّار ـ ، (ح) وأنبأني أبو الفرج بن أبي الفرج البغداديُّ ـ يعني : ابن وَرِّيدة ـ قالا : أنبأنا عبد الوَّهاب بن عليٍّ) ، وهو سند المؤلِّف إلىٰ عليِّ بن المحسِّن التَّنوخيِّ ، وقد تكرَّر مراراً ، انظر ما تقدم ضمن الخبر (١١ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٣٦ ، ٢٦٧ ، ٦٥١) .

فقالَ : واللهِ ؛ لئن قلَّ كلامُكَ لقد كثُرَتْ فوائدُهُ ، وقضىٰ حاجتَهُ (١)

حكاية

[أعرفُ النَّاسِ بأخلاقِ المنصورِ]

٧١٩ ـ وبهِ إلىٰ محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : ثنا أبو يعلىٰ محمَّدُ بنُ الحسينِ ابنُ الفرَّاءِ الفقيهُ قراءةً عليهِ ، عن أبي عبيدِ اللهِ محمَّدِ بنِ عمرانَ المَرْزُبانيِّ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ، ثنا الحارثُ ابنُ أبي أسامةَ ، ثنا المدائنيُّ قالَ : قالَ أبانُ بنُ صدقةَ : كنتُ أخلفُ الرَّبيعَ علىٰ كتبِ المنصورِ ، فدخلتُ يوماً وعليَّ قباءُ خَزٍّ أسودُ جديدٌ ، والمنصورُ في قباءِ خَزٍّ خَلَقٍ ، فجعلَ ينظرُ إليَّ ، فضاقَتْ بيَ الدُّنيا .

وخرجتُ إلى الرَّبيعِ ، فقلتُ لهُ : إنِّي أخطأتُ خطأً عظيماً ، وعرَّفتُهُ الخبرَ ، فقالَ لي : ما ذاكَ إلَّا لخيرٍ فلا يحزنْكَ .

فلمَّا كانَ الغدُ . . دخلتُ في قباءِ خَزٍّ خَلَقٍ ، فقالَ ليَ المنصورُ : أما عندَكَ أحسنُ مِن هٰذا الخَزِّ ؟ فقلتُ : بلىٰ ، ولٰكنِّي رأيتُ أميرَ المؤمنينَ لَبِسَ قباءً خَلَقاً ، وكانَ عليَّ قباءٌ جديدٌ ، فضاقَتْ عليَّ الدُّنيا ؛ أَنْ لَبِستُ أفضلَ مِن لباسِهِ .

فقالَ : لا تفعلْ ، البَسْ خيرَ ما عندَكَ في خدمتي ؛ ليستبينَ للنَّاسِ إحساني إليكَ ، ولا تَلْبَسْ مثلَ هٰذا فتُظَنَّ بي إساءةٌ إليكَ ، وإنَّ النَّاسَ يعلمونَ أنِّي أقدرُ علىٰ أشرفِ اللِّباسِ وإن لم أَلْبَسْ ، وأنتَ فلا يُظَنُّ ذٰلكَ بكَ .

فعلمتُ أنَّ الرَّبيعَ أعرفُ النَّاسِ بأخلاقِ المنصورِ (٢)

حكاية

[أوراقٌ بخطِّ ابنِ مقلةَ]

٧٢٠ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ المُؤرِّخِ قالَ : حدَّثَنيَ القاضي أبو عليٍّ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ الأديبُ مِن لفظِهِ وحفظِهِ بحلبَ قالَ : سمعتُ إبراهيمَ

---

(١) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (٤٦٢٦/١٣) ، وانظر « معجم الأدباء » (٢٥٩/٦) ، و« فوات الوفيات » للكتبي (٢٢٠/٣) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٥٦/٢٤) .

(٢) انظر « ربيع الأبرار » (١٨/٥ ـ ١٩) ، و« وفيات الأعيان » (٢٩٩/٢) .

ابنَ حسَّانَ البَزَّازَ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ ابنَ الخازنِ الشَّاعرَ يقولُ : دخلتُ إلىٰ هَمَذانَ للقاءِ السُّلطانِ محمَّدِ بنِ ملكشاه ، فأخذَتْنا اللُّصوصُ ونحنُ قريبٌ مِن هَمَذانَ ، فما أحسستُ بنفسي إلَّا وأنا عريانُ حتَّىٰ مِنَ اللِّباسِ .

فدخلتُ هَمَذانَ ليلاً وأويتُ إلىٰ دَرْبٍ ، وكانَ الزَّمانُ بارداً ، فقلتُ لبعضِ الحاضرينَ في الدَّرْبِ : أنا رجلٌ غريبٌ مأخوذٌ ، فهل فيكُم مَن يُؤْويني هٰذهِ اللَّيلةَ ؟

فقالَ لي : أنا رجلٌ وَرَّاقٌ وعندي ورقٌ كثيرٌ ، فإن أردتَ أن تنامَ في وسطِهِ لتدفعَ عنكَ البردَ . . فعلتُ ذٰلكَ بكَ .

فقلتُ : نعم ، فأدخلَني وذهبَ بي إلىٰ موضعٍ فيهِ جُزازٌ كثيرٌ وأوراقٌ ، وغطَّاني بهِ إلىٰ أن أنامَني في وسطِهِ ، وأخرجَ رأسي منهُ ، فنمتُ إلى الغداةِ .

فلمَّا أضاءَتِ الدُّنيا . . رأيتُ في ذٰلكَ الورقِ الَّذي حولي أوراقاً بخطِّ ابنِ مقلةَ ، فلم أزلْ أُفتِّشُ حتَّىٰ وجدتُ سبعينَ ورقةً ، وهيَ جزآنِ مِن مجموعٍ بخطِّ ابنِ مقلةَ .

فبينا أنا في ذٰلكَ . . إذ جاءَ صاحبُ الورقِ ، فقالَ لي : كيفَ بِتَّ ؟ فقلتُ : طيِّباً والحَمْدُ للهِ ، وسألتُهُ أن يهبَ لي تلكَ الأوراقَ ، فوهبَها لي .

فأخذتُها وخرجتُ علىٰ تلكَ الحالِ ، فإذا أنا بمُجلِّدٍ كانَ يعرفُني ، فلمَّا رآني . . طرحَ عليَّ كِساءً وأقعدَني عندَهُ ، فأعطيتُهُ تلكَ الأوراقَ وجلَّدَها لي ، وكتبتُ ورقةً ونفذتُها إلى الوزيرِ أبي المحاسنِ الدِّهِسْتانيِّ ، أُعرِّفُهُ أنَّني قد وصلتُ إلىٰ هَمَذانَ ، ومعي قطعتانِ بخطِّ ابنِ مقلةَ ، وأُريدُ عرضَها على السُّلطانِ .

فنفذَ في الحالِ فأخذَها وعرضَها ، وأخذَ لي جبَّةً وعِمامةً ومئةَ دينارٍ ، فنفذتُ واشتريتُ ثياباً وفرشاً ، وبَركاً وقماشاً ، فما مضَتْ ساعةٌ حتَّىٰ صرتُ مُتجمِّلاً حسنَ الحالِ .

حكاية

[في ولادةِ إبراهيمَ بنِ أدهمَ]

٧٢١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أخبرَني ذاكرُ بنُ كاملٍ مشافهةً وإذناً قالَ : كتبَ إليَّ غيثُ بنُ عليِّ الصُّوريُّ قالَ : ثنا أبو بكرٍ الخطيبُ .

(ح) وأنبأَني تقيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الصُّوريُّ ، ومُحيِي الدِّينِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ

عبدِ المُنعِمِ الدَّمِيريُّ ، وغيرُهُما ، عنِ الحسينِ بنِ هبةِ اللهِ [التَّغلبيِّ] [1] ، وغيرُ واحدٍ ، عن أبي الحسنِ بنِ أبي عبدِ اللهِ بنِ أبي الحسنِ البغداديِّ ، كلاهُما عن أبي المعالي الفضلِ بنِ سهلٍ الإسْفَرايِنيِّ .

وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، عن أبي منصورٍ الشَّيْبانيِّ .

وأنبأَني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ شيخُ المُستنصِريَّةِ كتابةً مِن بغدادَ ، عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ الأمينِ .

وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، ثلاثتُهُم [2] عن أبي بكرٍ الخطيبِ قالَ : ثنا أبو حازمٍ العَبْدَويُّ ، أنا عليُّ بنُ عيسى ابنِ المُثنَّىٰ ، ثنا محمَّدُ بنُ المنذرِ شَكَّرٌ قالَ : سمعتُ عبدَ الملكِ بنَ عليٍّ بالرَّمْلةِ يقولُ : سمعتُ أيُّوبَ بنَ إسحاقَ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ شمَّاسٍ يقولُ : سمعتُ الفضلَ بنَ موسىٰ يقولُ : (حجَّ أدهمُ أبو إبراهيمَ بأُمِّ إبراهيمَ ، وكانَتْ بهِ حبلىٰ ، فولدَتْ إبراهيمَ بمكَّةَ ، فجعلَتْ تطوفُ بهِ على الخَلْقِ في المسجدِ ، وتقولُ : ادعوا لابني أن يجعلَهُ اللهُ [تعالىٰ] رجلاً صالحاً) [3]

٧٢٢ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أبي الخيرِ الحَدَّادُ ببغدادَ ، وسفيانُ بنُ إبراهيمَ ابنِ مَنْدَهْ ، وآخرونَ بأصبهانَ قالوا : أنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الصَّالحانيُّ ، أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ ابنِ مَنْدَهْ ، أنا أبي قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدِ ابنِ الحارثِ يقولُ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ بشرٍ البَلْخيَّ يقولُ : سمعتُ [عبدَ اللهِ بنَ محمَّدٍ العابدَ يقولُ : سمعتُ يونسَ بنَ سليمانَ البَلْخيَّ يقولُ] [4] : كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ مِنَ الأشرافِ ، وكانَ أبوهُ مِنَ الأشرافِ ، كثيرَ المالِ والخدمِ والمركبِ .

فخرجَ إبراهيمُ يوماً في الصَّيدِ معَ الغلمانِ والخدمِ والمركبِ والجنائبِ والبُزاةِ ، فبينا

---

(١) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (البعلي) ، والمثبت موافق لما في « سير أعلام النبلاء » (٢٨٢/٢٢) ، وقد تقدم ضمن الخبر (٦٣٥) .

(٢) يعني : الفضل بن سهل الإسْفَرايِنيَّ ، وأبا منصور الشَّيْبانيَّ ، ومحمَّد بن عبد الباقي .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٢/٦ ـ ٢٨٣) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٩/٢ ـ ٣٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/١٠ ـ ٤٥) ، و« فوات الوفيات » للكتبي (١٣/١) ، و« الوافي بالوفيات » (٣١٨/٥) .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

إبراهيمُ في عملِهِ ذٰلكَ وقد أخذَ بُزاتَهُ وكلابَهُ الصَّيدُ ، وهو علىٰ فرسِهِ يركضُهُ . . إذا هوَ بصوتٍ مِن فوقِهِ : يا إبراهيمُ ؛ ما هٰذا العبثُ ؟! ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] ، اتَّقِ اللهَ ، وعليكَ بالزَّادِ ليومِ الفاقةِ .

قالَ : فنزلَ عن دابَّتِهِ ، ورفضَ الدُّنيا وأخذَ في عملِ الآخرةِ[2]

حكاية

[إنَّما نَبُلَ مَن نَبُلَ بالحلالِ]

٧٢٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو المكارمِ أحمدُ بنُ محمَّدٍ الأصبهانيُّ .

(ح) وأُخبِرتُ عن أبي الفرجِ بنِ أبي محمَّدٍ النُّمَيريِّ سماعاً ، عن أبي المكارمِ الأصبهانيِّ قالَ : أنا أبو عليٍّ الحَدَّادُ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ أبو نُعَيمٍ الحافظُ قالَ : ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ، ومحمَّدُ بنُ إبراهيمَ قالا : ثنا أبو يعلىٰ ، ثنا عبدُ الصَّمدِ بنُ يزيدَ قالَ : سمعتُ شقيقاً البَلْخيَّ يقولُ : لقيتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ في بلادِ الشَّامِ ، فقلتُ لهُ : تركتَ خُراسانَ ؟

فقالَ : ما تهنَّيتُ بالعيشِ إلَّا في بلادِ الشَّامِ ؛ أَفِرُّ بديني مِن شاهقٍ إلىٰ شاهقٍ ، ومِن جبلٍ إلىٰ جبلٍ ، فمَن يراني يقولُ : هوَ مُوسوِسٌ ، ومَن يراني يقولُ : هوَ جمَّالٌ .

ثمَّ قالَ لي : يا شقيقُ ؛ لم يَنبُلْ عندَنا مَن نَبُلَ بالحجِّ ولا بالجهادِ ، إنَّما نَبُلَ عندَنا مَن نَبُلَ مَن كانَ يعقلُ ما يدخلُ جوفَهُ ـ يعني : الرَّغيفَينِ ـ مِن حلِّهِ .

ثمَّ قالَ : يا شقيقُ ؛ ماذا أنعمَ اللهُ على الفقراءِ ؟ لا يسألُهُم يومَ القيامةِ لا عن زكاةٍ ، ولا عن حجٍّ ، ولا عن جهادٍ ، ولا عن صلةِ رَحِمٍ ، إنَّما يُسأَلُ هٰؤلاءِ المساكينُ ؛ يعني : الأغنياءَ[3]

---

(١) سورة المؤمنون : (١١٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٦٩/٧) ، والمستغفري في « دلائل النبوة » (٥٨١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٣/٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٨٥/٥) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٨٨/٧) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٦٩/٧) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٢٨٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٥/٦) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٢٩/١ ـ ٣٠) ، و« تهذيب الكمال » (٣٣/٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/١٠) ، وما سيأتي ضمن الخبر (١٠٤٧) .

حكاية

[بينَ إبراهيمَ بنِ أدهمَ وإخوتِهِ]

٧٢٤ ـ وبـهِ إلىٰ أبي نُعَيمٍ قالَ : ثنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ الجُرْجانيُّ ، ثنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ نصرٍ الطُّوسيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الدَّارميُّ ، ثنا محبوبُ بنُ موسىٰ ، أخبرَني عليُّ بنُ بكَّارٍ قالَ : كنَّا جلوساً بالجامعِ عندَ المَصِّيصةِ وفينا إبراهيمُ بنُ أدهمَ [١] ، فقدمَ رجلٌ مِن خُراسانَ ، فقالَ : أيُّكُم إبراهيمُ بنُ أدهمَ ؟ فقالَ القومُ : هٰذا ، وقالَ : أنا هوَ ، قالَ : إنَّ إخوتَكَ بعثوني إليكَ .

فلمَّا سمعَ ذِكْرَ إخوتِهِ . . قامَ فأخذَ بيدِهِ فنحَّاهُ ، فقالَ : ما جاءَ بكَ ؟ قالَ : أنا مملوكُكَ ، معي فرسٌ وبغلةٌ وعشرةُ آلافِ درهمٍ بعثَ بها إليكَ إخوتُكَ .

قالَ : إن كنتَ صادقاً . . فأنتَ حرٌّ ، وما معَكَ . . فلكَ ، اذهبْ فلا تُخبِرْ أحداً ، قالَ : فذهبَ [٢]

*

٧٢٥ ـ قالَ : (وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يطحنُ وإحدىٰ رجلَيهِ مبسوطةٌ والأُخرىٰ قد كفَّها ، فلا يكفُّ تلكَ المبسوطةَ ولا يبسطُ تلكَ المكفوفةَ حتَّىٰ يفرغَ مِن مُدْيٍ [٣] ، فإذا فرغَ مِن مُدْيٍ . . بسطَ تلكَ وكفَّ هٰذهِ فيطحنُ مُدْياً آخرَ) [٤]

والمُدْيُ : خمسةٌ وسبعونَ رَطلاً .

نكتة

[في جنىٰ إبراهيمَ بنِ أدهمَ البلُّوطَ]

٧٢٦ ـ وبهِ إلىٰ أبي نُعَيمٍ قالَ : ثنا أبو محمَّدِ ابنُ حَيَّانَ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ

---

(١) المَصِّيصة : مدينة علىٰ شاطئ جَيْحان من ثغور الشَّام بين أنطاكِيَة وبلاد الرُّوم . « معجم البلدان » (٥/١٤٤ ـ ١٤٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/٣٨٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٣٠٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٢٨٥ ـ ٢٨٦) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٢/٣٥) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٣١) ، و« التذكرة الحمدونية » (١/١٧٨) ، و« وفيات الأعيان » (١/٤٤٢) .

(٣) وفي « حلية الأولياء » : (مدين) ، وكذا ما بعدها .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/٣٨٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٣١٥) .

سليمانَ الهَرَويُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ منصورِ الطُّوسيُّ ، ثنا أبو النَّضرِ قالَ : (كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يأخذُ الرُّطَبَ مِن شجرةِ البلُّوطِ)[١]

* * *

٧٢٧ ـ وبهِ إليهِ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ سانجورِ الرَّمْليُّ ، ثنا أبو بكرٍ ابنُ الطَّبَّاعِ ، ثنا أبو توبةَ ، ثنا عطاءُ بنُ مسلمٍ قالَ : (ضاعَتْ نفقةُ إبراهيمَ بنِ أدهمَ بمكَّةَ ، فمكثَ خمسةَ عشرَ يوماً يستفُّ الرَّمْلَ !!)[٢]

[نُكْتَةٌ]

[في نجاةِ إبراهيمَ بنِ أدهمَ مِنَ الأُسدِ]

٧٢٨ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أُخبِرتُ عن عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ سوادةَ ، ثنا نصرُ بنُ منصورٍ المَصِّيصيُّ أبو محمَّدٍ قالَ : وردَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ المَصِّيصةَ ، فأتىٰ منزلَ أبي إسحاقَ الفَزاريِّ ، فطلبَهُ فقيلَ لهُ : هوَ خارجٌ ، فقالَ : أَعلِموهُ إذا أتىٰ أنَّ أخاهُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ طلبَهُ ، وقد ذهبَ إلىٰ مرجٍ كذا وكذا يرعىٰ فرسَهُ .

فمضىٰ إلىٰ ذٰلكَ المرجِ ، فإذا ناسٌ يرعَونَ دوابَّهُم ، فرعىٰ حتَّىٰ أمسىٰ ، فقالوا لهُ : ضمَّ فرسَكَ إلىٰ دوابِّنا ؛ فإنَّ السِّباعَ تأتينا ، فأبىٰ وتنحَّىٰ ناحيةً .

فأوقدوا النِّيرانَ حولَهُم ، ثـمَّ أخذوا فرساً لهُم صَؤولاً ، فأتَوهُ بهِ وفيهِ شِكالانِ يقودونَهُ بينَهُم ، فقالوا لهُ : إنَّ في دوابِّنا رماكاً أو حُجوراً[٣] ، فليكنْ هٰذا عندَكَ ، قالَ : وما يصنعُ بهٰذهِ الحبالِ ؟ فمسحَ وجهَهُ وأدخلَ يدَهُ بينَ فخذَيهِ ، فوقفَ لا يتحرَّكُ ، فتعجَّبوا مِن ذٰلكَ لامتناعِهِ ، فقالَ لهُمُ : اذهبوا ، فجعلوا يرمقونَهُ ما يكونُ منهُ ومِنَ السِّباعِ .

فقامَ إبراهيمُ يُصلِّي وهم ينظرونَ ، فلمَّا كانَ في بعضِ اللَّيلِ . . أتَتْ أُسدٌ ثلاثةٌ يتلو

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (١٠٤) ، واللالكائي في « كرامات أولياء الله عز وجل » (٢٢٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٦/٦) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٤٥/١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣٩٣/٧) .

(٢) أخرجه ابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٣١/٢١) ، وابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٩١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٨١/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠١/٦) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٤٣/١) .

(٣) **الرَّمَكَة** : الفَرس والبِرذَونة الَّتي تتَّخذ للنَّسل ، **والحِجر** : الأنثىٰ من الخيل .

بعضُها بعضاً ، فتقدَّمَ الأوَّلُ إليهِ فشمَّهُ ودارَ بهِ ، ثمَّ تنحَّىٰ ناحيةً فربضَ ، وفعلَ الثَّاني والثَّالثُ كفعلِ الأوَّلِ ، ولم يزلْ إبراهيمُ يُصلِّي ليلتَهُ قائماً ، حتَّىٰ إذا كانَ السَّحَرُ . . قالَ للأُسدِ : ما جاءَ بكُم ؟ أتريدونَ أن تأكلوني ؟ امضوا ، فقامَتِ الأُسدُ فذهبَتْ !!

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . جاءَ الفَزاريُّ إلىٰ أولـٰئكَ ، فسألَهُم فقالَ : أجاءَكُم رجلٌ ؟ فقالوا : أتانا رجلٌ مجنونٌ ، وأخبروهُ بقصَّتِهِ وأروهُ ، فقالَ : أتدرونَ مَن هوَ ؟ قالوا : لا ، قالَ : هوَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ، فمضَوا معَهُ إليهِ ، فسلَّمَ وسلَّموا عليهِ ، ثمَّ انصرفَ بهِ الفَزاريُّ إلىٰ منزِلِهِ [١]

*

٧٢٩ ـ وبهِ إليهِ قالَ : ثنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ الوكيعيُّ ، حدَّثَني أبي ، ثنا يحيى بنُ آدمَ قالَ : سمعتُ شريكاً يقولُ : سألتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ عمَّا كانَ بينَ عليٍّ ومعاويةَ فبكىٰ ، فندمتُ علىٰ سؤالي إيَّاهُ ، فرفعَ رأسَهُ فقالَ : إنَّهُ مَن عرفَ نفسَهُ . . اشتغلَ بنفسِهِ عن غيرِهِ ، ومَن عرفَ ربَّهُ . . اشتغلَ بربِّهِ عن غيرِهِ [٢]

٧٣٠ ـ وبهِ إليهِ قالَ : ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ ، ثنا عيسى بنُ محمَّدٍ الوَسْقَنْديُّ [٣] ، ثنا وَريزةُ بنُ محمَّدٍ ، ثنا يوسفُ بنُ السَّختِ ، ثنا أبي قالَ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ يقولُ : (كثرةُ النَّظرِ إلى الباطلِ تذهبُ بمعرفةِ الحقِّ مِنَ القلبِ) [٤]

٧٣١ ـ وبهِ إليهِ قالَ : ثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ محمَّدٍ العثمانيُّ ، ثنا العبَّاسُ بنُ أحمدَ الرَّمْليُّ ، عن بعضِ أشياخِهِ قالَ : قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ : (على القلبِ ثلاثةُ أغطيةٍ ؛ الفرحُ والحزنُ والسُّرورُ .

فإذا فرحتَ بالموجودِ . . فأنتَ حريصٌ ، والحريصُ محرومٌ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٩٢/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٠/٦ ـ ٣٢١) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٤٣/١ ـ ٤٤) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٥/٨) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٣٥/١) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٧/١٠) .

(٣) الوَسْقَنْدي : نسبة إلىٰ (وَسْقَنْد) ، وهي قرية من قرى الرَّيِّ . « معجم البلدان » (٣٧٦/٥) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٢/٨) ، وانظر « البديع » لابن المعتز (ص٣٧) ، و« الصناعتين » لأبي هلال العسكري (ص٣١٩) وفيهما عن الحسن البصري ، و« سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٩٧٣/٣) ، ويروىٰ عن غيرهما أيضاً .

وإذا حزنتَ على المفقودِ . . فأنتَ ساخطٌ ، والسَّاخطُ مُعذَّبٌ .

وإذا سررتَ بالمدحِ . . فأنتَ مُعجَبٌ ، والعجبُ يُحبِطُ العملَ ؛ ودليلُ ذٰلكَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾)[١]

* * *

٧٣٢ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأُخبِرتُ عن عبدِ اللهِ ـ يعني : ابنَ أحمدَ بنِ سوادةَ ـ قالَ : حدَّثَني محمَّدُ بنُ هارونَ بنِ يحيىٰ ، ثنا أبو خالدٍ يزيدُ بنُ سفيانَ : أنَّ إبراهيمَ بنَ أدهمَ كانَ قاعداً في مَشرُبةٍ بدِمشقَ ، إذ مرَّ بهِ رجلٌ علىٰ بغلٍ ، فقالَ لهُ : يا أبا إسحاقَ ؛ إنَّ لي إليكَ حاجةً أُحِبُّ أن تقضيَها ، فقالَ إبراهيمُ : إن أمكنَني . . قضيتُها ، وإلَّا . . أخبرتُكَ بعذري .

فقالَ لهُ : إنَّ بردَ الشَّامِ شديدٌ ، وأنا أُريدُ أن أُبدِّلَ ثوبَيكَ هٰذَينِ بثوبَينِ جديدَينِ .

فقالَ لهُ إبراهيمُ : إن كنتَ غنيّاً . . قبلتُ منكَ ، وإن كنتَ فقيراً . . لم أقبلْ منكَ ، فقالَ الرَّجلُ : أنا ـ واللهِ ـ كثيرُ المالِ ، كثيرُ الضِّياعِ .

فقالَ لهُ إبراهيمُ : إنِّي أراكَ تغدو وتروحُ علىٰ بغلتِكَ ، قالَ : أُعطي هٰذا ، وآخُذُ مِن هٰذا ، وأستوفي مِن هٰذا .

فقالَ لهُ إبراهيمُ : قُمْ ؛ فإنَّكَ فقيرٌ تبتغي الزِّيادةَ بجُهدِكَ[٢]

* * *

٧٣٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أخبرَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، وضياءُ بنُ أحمدَ بنِ أبي عليٍّ ، وعبدُ العزيزِ بنُ معالي بنِ غنيمةَ .

(ح) وأنبأَني ابنُ وَرِّيدةَ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ قالوا : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي الأنصاريُّ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ الخطيبُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، أنا أبو منصورٍ الشَّيْبانيُّ ، أنا أبو بكرٍ الخطيبُ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الأصبهانيُّ ، ثنا جعفرٌ الخُلْديُّ ، ثنا أحمدُ ابنُ مسروقٍ ، ثنا عليُّ بنُ مُوفَّقٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ الفرجِ القَنْطَريُّ العابدُ قالَ : (اطَّلعتُ علىٰ إبراهيمَ بنِ أدهمَ في

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٣٤) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٤٠) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠/٥٨) ، والآية من سورة (الحديد) : (٢٣) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/٣٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٢٨٠) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٢٥) .

بستانٍ بالشَّامِ وهوَ مُستلقٍ ، وإذا حيَّةٌ في فمِها طاقةُ نرجسٍ ، فما زالَتْ تذبُّ عنهُ حتَّى انتبهَ !!)[(١)]

٭

٧٣٤ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قُرِئَ علىٰ أبي الفرجِ بنِ عبدِ الوهَّابِ وأنا أسمعُ ، عن أبي القاسمِ بنِ أبي طالبِ ابنِ بيانٍ قالَ : أنا عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الواعظُ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسينِ الآجُرّيُّ ، ثنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الحميدِ الواسِطيُّ ، ثنا يوسفُ بنُ موسى المَرْوَروذيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ خُبَيقٍ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ السِّنديّ ، [يُحدِّثُ] عن أبي عبدِ الرَّحمٰنِ المُقرئِ قالَ : كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ علىٰ بعضِ جبالِ مكَّةَ يُحدِّثُ أصحابَهُ قالَ : فقالَ : لو أنَّ وليّاً مِن أولياءِ اللهِ قالَ للجبلِ : زُلْ . . لزالَ .

قالَ : فتحرَّكَ الجبلُ مِن تحتِهِ !!

قالَ : فضربَهُ برِجلِهِ ، وقالَ : اسكنْ ؛ فإنَّما ضربتُكَ مثلاً لأصحابي[(٢)]

٧٣٥ ـ وبهِ إلى الآجُرّيّ قالَ : أنا أبو طلحةَ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الكريمِ الفَزاريُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ خُبَيقٍ الأنطاكيُّ قالَ : سمعتُ شعيبَ بنَ حربٍ يذكرُ عن إبراهيمَ بنِ أدهمَ قالَ : (لا تجعلْ بينَكَ وبينَ اللهِ عزَّ وجلَّ مُنعِماً ، وعُدَّ كلَّ نعمةٍ مِن غيرِهِ مَغرَماً)[(٣)]

٭ ٭

٧٣٦ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ ، وغيرِهِ ، عن أبي القاسمِ بنِ كاملٍ قالَ : كتبَ إليَّ أبو القاسمِ عليُّ بنُ إبراهيمَ الحسينيُّ قالَ : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ الكَتَّانيُّ ، أنا عبدُ الوهَّابِ المَيْدانيُّ ، أنا أبو العبَّاسِ البَرْذَعيُّ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ الحسينِ الأَزْديُّ ، ثنا أبو حفصٍ

---

(١) أخرجه ابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٣١/٢١) ، واللالكائي في « كرامات أولياء الله عز وجل » (٢٢٢) ، والمستغفري في « دلائل النبوة » (٥٨٤) بنحوه ، والخطيب البغدادي كما في « المنتخب من الزهد والرقائق » (١٠٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٨/٦) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ٧٢٨) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (٥٠/١) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢١/٦) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٤٦/١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٣٩٣/٧) .

(٣) أخرجه أحمد ابن حنبل في « الزهد » (٢٢٣٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٣١٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٤/٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٢٤٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٤/٦ ـ ٣٤٥) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (١٢٨٨/٣) ، ويروىٰ عن غيره .

النَّسائيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الحسينِ ، عن أبي إسحاقَ الأنطاكيِّ ، حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ الجوزجانيُّ رفيقُ إبراهيمَ بنِ أدهمَ قالَ : غزا إبراهيمُ بنُ أدهمَ في البحرِ معَ أصحابِهِ ، فقدمَ أصحابُنا فأخبروني عن إبراهيمَ بنِ أدهمَ [1] عنِ اللَّيلةِ الَّتي ماتَ فيها : اختلفَ خمسةً أو ستَّةً وعشرينَ مرَّةً إلى الخلاءِ ، كلُّ ذٰلكَ يُجدِّدُ الوضوءَ للصَّلاةِ ، فلمَّا أحسَّ بالموتِ . . قالَ : أَوتِروا لي قوسي ، وقبضَ علىٰ قوسِهِ ، فقبضَ اللهُ روحَهُ والقوسُ في يدِهِ .

قالَ : فدفنَّاهُ في بعضِ جزائرِ البحرِ في بلادِ الرُّومِ [2]

حكاية

[بينَ خلفٍ البَرَدانيِّ ووَلِيٍّ للهِ]

٧٣٧ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ .

وأنبأَني عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ أبي الفرجِ البغداديُّ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ .

[(ح)] وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ أبي منصورٍ الفارسيِّ قالَ : كتبَ إليَّ محمَّدُ بنُ عثمانَ القُومَسانيُّ قالَ : أنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ الفضلِ بنِ جعفرٍ ابنُ أبي اللَّيثِ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ ابنِ تُرْكانَ ، أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ بادُويهِ ، ثنا أبو الطَّيِّبِ النُّعمانُ بنُ أحمدَ بنِ نعيمٍ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ إسماعيلَ البغداديُّ الأنماطيُّ ، ثنا أصحابُنا ، عن خلفٍ البَرَدانيِّ قالَ : أُتيتُ برجلٍ قد ذهبَ الجذامُ بيدَيهِ ورجلَيهِ وعينَيهِ ، فشُغِلتُ عنهُ ، ثمَّ أتيتُهُ فقلتُ لهُ : اعذرْني ؛ فإنِّي شُغِلتُ عنكَ ، قالَ : إنَّ لي مَن لا يشتغلُ عنِّي ، فقلتُ : إنِّي أُنسيتُكَ ، فقالَ : إنَّ لي مَن لا ينساني ، فعلمتُ أنَّ عندَهُ فضلَ علمٍ ، فأنستُ بهِ .

فكنتُ أُجالِسُهُ وأُحادِثُهُ ، فقلتُ : ألا أُزوِّجُكَ امرأةً تكفيكَ بعضَ ما أنتَ فيهِ ؟ فقالَ لي : ما أصنعُ بامرأةٍ وأنا ملكُ الدُّنيا ؟ فقلتُ : ما بلغَ مِن ملكِكَ ؟ قالَ : أبقىٰ عليَّ مِن عقلي ما أعرفُهُ بهِ ، ومِن لساني ما أذكرُهُ .

---

(١) قال البخاريُّ : مات سنة إحدىٰ وستِّين ، وقال غيره : سنة اثنتين وستِّين ومئة ، ودفن علىٰ ساحل البحر . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٣٤٨ ـ ٣٤٩) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢/٣٦) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠/٥٠ ـ ٥١) ، وسيكرّره المؤلّف ضمن الخبر (١٠٤٩) .

فلبثَ أيَّاماً وماتَ ، فأُخرِجَ لهُ كفنٌ مِن بيتِ الأكفانِ ، ففضلَ عن مقدارِهِ ، فقطعتُ ما فضلَ .

فلمَّا كانَ اللَّيلُ . . أتاني آتٍ ، فقالَ : بخلتَ علىٰ وَلِيِّ اللهِ بطولِ الكفنِ !! قد رددْنا عليكَ كفنَكَ ، وكفَّنَّاهُ بكفنٍ مِنَ الجنَّةِ ، فقمتُ فزعاً إلىٰ بيتِ الأكفانِ ؛ فإذا الكفنُ فيهِ مطروحٌ !![1]

٧٣٨ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ علىٰ محمَّدِ بنِ أحمدَ الحنبليِّ ، عن أحمدَ بنِ محمَّدٍ الحافظِ ؛ هوَ السِّلَفيُّ .

(ح) وأنبأَني غيرُ واحدٍ ، عن جماعةٍ مِن أصحابِ الحافظِ السِّلَفيِّ ، عنهُ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ جعفرُ بنُ أحمدَ السَّرَّاجُ قراءةً عليهِ ، أنا إبراهيمُ بنُ الحسينِ ابنِ حاتمٍ البغداديُّ بمصرَ بقراءتي عليهِ ، ثنا أبو أحمدَ عبيدُ اللهِ بنُ أبي مسلمٍ ببغدادَ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدٍ الأَدَميُّ القارئُ ، ثنا أحمدُ بنُ عبيدِ بنِ ناصحٍ ، ثنا أبو قبيصةَ محمَّدُ بنُ حربِ بنِ قَطَنٍ ، حدَّثَني حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن عاصمٍ ، عن أبي وائلٍ قالَ : مرَّ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ بعجوزٍ تبيعُ لبناً معَها في سوقِ اللَّيلِ ، فقالَ لها : (يا عجوزُ ؛ لا تَغُشِّي المسلمينَ وزُوَّارَ بيتِ اللهِ ، ولا تشوبي اللَّبنَ بالماءِ) ، فقالَتْ : نعم يا أميرَ المؤمنينَ .

ثمَّ مرَّ بعدَ ذٰلكَ ، فقالَ : (يا عجوزُ ؛ ألم أتقدَّمْ إليكِ أَنْ لا تشوبي لبنَكِ بالماءِ ؟) ، فقالَتْ : واللهِ ؛ ما فعلتُ ، فتكلَّمَتِ ابنةٌ لها مِن داخلِ الخباءِ ، فقالَتْ : يا أُمَّهْ ؛ أغِشّاً وكذباً جمعتِ علىٰ نفسِكِ ؟! فسمعَها عمرُ ، فهَمَّ بمعاقبةِ العجوزِ ، فتركَها لكلامِ ابنتِها .

ثمَّ التفتَ إلىٰ بنيهِ ، فقالَ : (أيُّكم يتزوَّجُ هٰذهِ ؟ فلعلَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُخرِجَ منها نَسَمةً طيِّبةً مثلَها) ، فقالَ عاصمُ بنُ عمرَ : أنا أتزوَّجُها يا أميرَ المؤمنينَ ، فزوَّجَها إيَّاهُ ، فولدَتْ لهُ أُمَّ عاصمٍ ، فتزوَّجَ أُمَّ عاصمٍ عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ ، فولدَتْ لهُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، ثمَّ تزوَّجَ بعدَها حفصةَ ، ففيها قيلَ : ليسَتْ حفصةُ مِن رجالِ أُمِّ عاصمٍ[2]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصبر والثواب عليه » (١٣١) بنحوه ، وذكره الجلال السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٣٧٧) وعزاه لابن النجار في « الذيل » .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٢/٧٠) ، وانظر « ربيع الأبرار » (٢٨٥/٥) ، و« التذكرة الحمدونية » (٦٢/٣ ـ ٦٣) ، و« وفيات الأعيان » (٣٠٢/٦) ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (١٢٧١/١) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٧٨٤٥) ، وعزواه لابن النجار .

حِكَايَةٌ

[مَن نجا مِن أَجَمةِ الأسدِ]

ظ ٧٣٩ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا أحمدُ بنُ يحيى الخازنُ قالَ : أنا الحسينُ بنُ عليٍّ الكُوفيُّ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ الصَّيْرفيُّ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ بنِ عليٍّ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، والمُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ التَّنُوخيِّ قالَ : أنا أبي ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ الخَضِرِ ـ وكانَ أحدَ أمناءِ القضاةِ ببغدادَ ، وينوبُ عنِ القضاةِ الغُيَّبِ عنها (١) ـ قالَ : حدَّثَني صديقٌ لي قالَ : خرجتُ إلى الجائرِ (٢) أنا وجماعةٌ ، فلمَّا صِرْنا في أَجَمةِ بَزِيقِيا (٣) . . قالَ رفيقٌ لي فيهِم : يا فلانُ ؛ إنَّ نفسي تُحدِّثُني أنَّ السَّبُعَ يخرجُ فيفترسُني دونَ الجماعةِ ؛ فإن كانَ ذٰلكَ . . فخُذْ حماري وما عليهِ ، فأَدِّهِ إلىٰ عيالي في منزلي ، فقلتُ لهُ : هٰذا استشعارٌ يجبُ أن تتعوَّذَ باللهِ منهُ ، وتُضربَ عنِ الفكرِ فيهِ .

قالَ : فما مضىٰ علىٰ هٰذا إلَّا يسيرٌ حتَّىٰ خرجَ الأسدُ ، فحينَ رآهُ الرَّجلُ سقطَ عن حمارِهِ وأقبلَ يتشهَّدُ ، وقصدَهُ الأسدُ مِن بينِ النَّاسِ كلِّهِم ، فأخذَهُ ودخلَ بهِ إلى الأَجَمةِ ، وسُقتُ أنا الحمارَ وأسرعتُ معَ القافلةِ ، ودخلتُ الحائرَ (٤) ، فزُرْنا ورجعْنا إلىٰ بغدادَ .

واسترحتُ في بيتي يوماً أو يومَينِ ، ثمَّ أخذتُ الحمارَ وجئتُ إلىٰ منزلِهِ لأُسلِّمَهُ إلىٰ عيالِهِ ، فدققتُ البابَ ، فخرجَ إليَّ الرَّجلُ بعينِهِ !! فحينَ رأيتُهُ طارَ عقلي فرحاً ، وتشكَّكتُ حتَّىٰ مسحتُ عينيَّ ، فعانقَني وبكىٰ وبكيتُ .

فقلتُ : حديثَكَ ، فقالَ : إنَّ السَّبُعَ ساعةَ أخذَني جرَّني إلى الأَجَمةِ وأنا أعقلُ أمري ، ثمَّ سمعتُ صوتَ شيءٍ ، ورأيتُ السَّبُعَ قد خلَّاني ومضىٰ ، ففتحتُ عينيَّ فإذا الَّذي سمعتُ

---

(١) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٢) كُتب فوقها في (أ ، ج) : (كذا) ، وصوابها : (الحائر) ، موافقاً لما في « الفرج بعد الشدة » ، والحائر : موضع بالعراق فيه مشهد الإمام الشَّهيد الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما ، وهو في الأصل : المكان المطمئنُّ الوسطِ المرتفعُ الحروفِ ، وبه سُمِّي البستانُ .

(٣) بَزِيقِيا : قرية من أعمال الكُوفة . « معجم البلدان » (١/٤١٢) .

(٤) كذا في (أ ، ب ، ج) : (الجائر) ، وسلف التعليق عليها .

صوتَهُ خنزيرٌ ، وإذا السَّبُعُ لمَّا رآهُ . . عَنَّ لهُ أن يتركَني ، ومضىٰ فصادَهُ وبركَ عليهِ يفرسُهُ ، وأنا أُشاهِدُهُ إلىٰ أن فرغَ منهُ ، ثمَّ خرجَ الأسدُ مِنَ الأَجَمةِ ، وغابَ عن عينيَّ .

فسكنتُ وتأمَّلتُ حالي ، فوجدتُ مخاليبَهُ قد وصلَتْ إلىٰ فَخِذي وصولاً قليلاً ، وقوَّتي عادَتْ ، فقلتُ : لأيِّ شيءٍ جلوسي ؟ فقمتُ أمشي في الأَجَمةِ أطلبُ الطَّريقَ ، وفي الأَجَمةِ جِيَفُ ناسٍ وبقرٍ وغيرِ ذٰلكَ ، فما زلتُ أتخطَّاها حتَّى انتهيتُ إلىٰ رجلٍ قد أكلَ الأسدُ بعضَ جسدِهِ وبقيَ أكثرُهُ ، وهوَ طَرِيٌّ ، وفي وسطِهِ هِمْيانٌ قد تخرَّقَ بعضُهُ وظهرَتْ منهُ دنانيرُ ، فتقدَّمتُ فجمعتُها ، وقطعتُ الهِمْيانَ وأخذتُ منهُ جميعَ الدَّنانيرِ ، وتتبَّعتُها حتَّىٰ لم يبقَ منها شيءٌ .

وقوَّيتُ نفسي فضلَ[1] قوَّةٍ ، وأسرعتُ في المشيِ ، وطلبتُ الجادَّةَ فوقفتُ عليها ، وأتممتُ مشيي إلىٰ بعضِ القرىٰ ، واستأجرتُ حماراً ، وعدتُ إلىٰ بغدادَ ، ولم أمضِ إلى الزِّيارةِ ؛ لأنِّي خشيتُ أن تسبقوني فتذكروا خبري ، فيصيرَ عندَ عيالي مأتمٌ ، فسبقتُكُم ، وأنا أُعالِجُ فَخِذي ، وإذا منَّ اللهُ تعالىٰ بالعافيةِ . . عدتُ إلى الزِّيارةِ[2]

حكاية

[تصدَّقْ بما شددتَ في تكَّتِكَ]

٧٤٠ ـ وأُنبِئتُ عن أبي عبدِ اللهِ بنِ أبي الفضلِ المُؤرِّخِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الحسنِ ابنِ المَقْدِسيِّ بمصرَ ، عن أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الأصبهانيِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ مِن أصحابِ السِّلَفيِّ ، عنهُ قالَ : أنا القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ ابنُ الفضَّاضِ المُذكِّرُ الشَّرْوانيُّ بها قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ حمزةَ النِّيليَّ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ سمعانَ بنِ صخرٍ البصريَّ إمامَ جامعِ نِيلَ سنةَ ثمانينَ وثلاثِ مئةٍ يقولُ[3] : سمعتُ أبي ؛ سمعانَ بنَ صخرٍ يقولُ : رأيتُ الحلَّاجَ في جامعِ المنصورِ ببغدادَ ، وكانَ في تكَّتي ديناراِنِ شددتُهُما لغيرِ طاعةٍ ، وسائلٌ يسألُ ، فقالَ ليَ الحسينُ : يا سمعانُ ؛ تصدَّقْ عليهِ بما شددتَ في تكَّتِكَ .

---

(١) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .

(٢) أخرجه التنوخي في « الفرج بعد الشدة » (٤/١٣٥ ـ ١٣٧) .

(٣) نِيل : بليدة في سواد الكُوفة . « معجم البلدان » (٥/٣٣٤)

فتحيَّرتُ ، فقالَ : لا تتحيَّرِ ؛ التَّصدُّقُ بهِ خيرٌ ممَّا نويتَ بهِ .

فقلتُ : يا شيخُ ؛ هٰذا مِن أينَ ؟

فقالَ : كلُّ قلبٍ تخلَّىٰ عن غيرِ اللهِ يرىٰ في الغيبِ مكنونَهُ وفي السِّرِّ مضمونَهُ .

حكاية

[ماتَ ببغدادَ ودُفِنَ بمصرَ !!]

٧٤١ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ في كتابِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ مهديٍّ الشَّاهدِ بخطِّهِ ، روىٰ عن إبراهيمَ بنِ المهديِّ قالَ : كانَ الرَّشيدُ يُحضِرُ جبريلُ بنُ بَختيشوعَ المُتطبِّبُ غداءَهُ ، وإنَّهُ أبطأَ عليهِ يوماً فتأخَّرَ غداؤُهُ ، ثمَّ أتاهُ وهوَ مُتغيِّظٌ مِن تأخُّرِهِ ، فشتمَهُ وأنكرَ عليهِ تخلُّفَهُ عنهُ ، فذكرَ أنَّ تأخُّرَهُ لتشاغلِهِ بعِلَّةِ ابنِ عمِّهِ إبراهيمَ بنِ صالحِ بنِ المنصورِ ؛ لأنَّهُ في عِلَّةٍ يموتُ منها في ليلتِهِ ، فجزعَ الرَّشيدُ لذٰلكَ وبكىٰ ، وامتنعَ مِنَ الطَّعامِ .

فقالَ لهُ جعفرُ بنُ يحيىٰ : جبريلُ أعلمُ النَّاسِ بطبِّ الرُّومِ ، وابنُ بهلةَ أعلمُهُم بطبِّ الهندِ ؛ فابعثْ بهِ حتَّىٰ يراهُ ويطَّلعَ علىٰ حالِهِ ، ويأتيَكَ بخبرِهِ .

فأُحضِرَ ابنُ بهلةَ ، وتقدَّمَ إليهِ بذٰلكَ ، فمضىٰ إلىٰ إبراهيمَ وعادَ ، فأخبرَ الرَّشيدَ أنَّهُ لا يموتُ في عِلَّتِهِ تلكَ ، وحلفَ علىٰ ذٰلكَ بالطَّلاقِ والعتاقِ ، فأكلَ الرَّشيدُ وسكنَتْ نفسُهُ .

فلمَّا كانَ في اللَّيلِ . . كُتِبَ إليهِ بخبرِ وفاةِ إبراهيمَ بنِ صالحٍ ، فبكىٰ بكاءً شديداً ، وجعلَ يقولُ : ابنُ عمِّي في غمراتِ الموتِ ، وأنا آكلُ وأشربُ !! ثمَّ دعا بماءٍ حارٍّ ، فشربَهُ وتقيَّأَ ما أكلَ وشربَ ، وبكَّرَ لحضورِ الجِنازةِ .

فلمَّا دخلَ إلىٰ منزلِ إبراهيمَ وأفضىٰ إلىٰ مجلسِهِ . . وجدَهُ مفروشاً ، فأمرَ بالنَّمارقِ فرُفِعَتْ ، وقعدَ على البِساطِ بغيرِ وطاءٍ ولا تكاءٍ ، وهوَ أوَّلُ مَن فعلَ ذٰلكَ ، فأتاهُ ابنُ بهلةَ ، فلمَّا مثلَ بينَ يدَيهِ . . قالَ : اللهَ اللهَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أن تُطلِّقَ نسائي ، وتُعتِقَ عليَّ رقيقي ، وتبوءَ بإثمي ، إنَّ ابنَ عمِّكَ ـ واللهِ ـ حيٌّ ، لو شئتَ أن يُكلِّمَكَ . . لكلَّمَكَ !!

فقامَ الرَّشيدُ معَهُ ، فاستدعى ابنُ بهلةَ بمِسَلَّةٍ[1] ، فأُتِيَ بها ، فوضعَها بينَ ظفرِهِ

---

(١) المِسَلَّة : الإبرة العظيمة .

ولحمِهِ ، وغمزَها غمزاً شديداً ، فثنىٰ إبراهيمُ يدَهُ ، فقالَ للرَّشيدِ : أعلِمتَ أنَّهُ حيٌّ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : فمُرْ بنزعِ الأكفانِ عنهُ ، وأن تُعادَ عليهِ ثيابُهُ حتَّىٰ يفتحَ عينَيهِ ويُكلِّمَكَ ، وإنَّهُ إن رأىٰ نفسَهُ في هـٰذهِ الصُّورةِ . . ماتَ جزعاً ، ففعلَ ذٰلكَ ، ثمَّ دعا بمنفخةٍ وكُنْدُسٍ [1] ، فنفخَ في أنفِهِ فعطسَ ، ثمَّ فتحَ عينَيهِ ، فبصُرَ بالرَّشيدِ ، فأخذَ يدَهُ فقبَّلَها ، فسألَهُ عن حالِهِ ، فقالَ : لقد نمتُ نومةً ما نمتُ أطيبَ منها ، إلا أنَّ شيئاً عضَّ أصبعي فآلمَني .

ثمَّ برأَ مِن عِلَّتِهِ ، وعاشَ زماناً طويلاً ، وتزوَّجَ [العبَّاسةَ] [2] بنتَ المهديِّ ، وقلَّدَهُ الرَّشيدُ مصرَ ، فأقامَ بها سنينَ ، ثمَّ ماتَ بها .

فكانَ النَّاسُ يقولونَ : رجلٌ ماتَ ببغدادَ ودُفِنَ بمصرَ ؛ فمَن عرفَ خبرَهُ . . قالَ : إبراهيمُ بنُ صالحٍ ، ومَن لم يعرفْ خبرَهُ . . أنكرَ ذٰلكَ وعجبَ منهُ [3]

٧٤٢ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ ، وغيرِهِ ، عن أبي القاسمِ الأَزَجيِّ قالَ : أنا أبو الرَّجاءِ أحمدُ بنُ محمَّدٍ الكِسائيُّ في كتابِهِ ، عن أبي نصرٍ عبدِ الكريمِ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ الشِّيرازيِّ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي محمَّدٍ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الدَّامَغانيِّ بها : أنَّ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ يحيى النَّيْسابوريَّ المُزكِّيَ أخبرَهُ قالَ : حدَّثَني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ الصَّلتِ بنِ القاسمِ الدِّينَوَريُّ مِن حفظِهِ ببغدادَ إملاءً ، ثنا عبدُ اللهِ ابنُ وهبٍ الحافظُ الدِّينَوَريُّ ، حدَّثَني أبو العبَّاسِ السُّكَّريُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الضَّبِّيِّ قالَ : رأيتُ بشرَ بنَ الحارثِ جالساً يُفكِّرُ ـ وكانَ أكثرَ عبادتِهِ التَّفكُّرُ ـ فسمعتُهُ يقولُ : حدَّثَنا المُعافى بنُ عمرانَ ، عنِ الصَّلتِ بنِ دينارٍ ، عن أبيهِ ، عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (مَن طلبَ الدُّنيا . . قعدَتْ بهِ ، ومَن زهدَ فيها . . لم يُبالِ مَن أكلَها ، الرَّاغبُ فيها عبدٌ لمَن يملكُها ، أدنىٰ ما فيها يكفي ، وكلُّها لا تُغني .

مَنِ اعتدلَ يومَهُ [4] فيها . . فهوَ مغرورٌ ، ومَن كانَ يومُهُ خيراً مِن غدِهِ . . فهوَ مغبونٌ .

---

(١) الكُنْدُس : عروق نبات ؛ داخله أصفر وخارجه أسود ، إذا سُحق ونفخ في الأنف . . عطَّسَ .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (العباسية) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

(٣) انظر « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » للقفطي (ص ١٤٥ ـ ١٤٧) ، و« تاريخ الإسلام » (١١/ ٣٠ ـ ٣١) ، وذكره الجلال السيوطي في « المحاضرات والمحاورات » (ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧) وعزاه لابن النجار .

(٤) في هامش (أ ، ج) : (كأنَّه : يوماً) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

ومَن لم يتفقَّدِ النُّقصانَ عن[1] نفسِهِ . . كانَ في نقصانٍ ، ومَن كانَ في نقصانٍ . . فالموتُ خيرٌ لهُ)[2]

نُكتة

[في نُصرةِ الحِلْمِ]

٧٤٣ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ المُؤرِّخِ قالَ : قرأتُ علىٰ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ ، عنِ المُبارَكِ بنِ الحسنِ بنِ أحمدَ قالَ : كتبَ إليَّ سعدُ بنُ عليٍّ أبو القاسمِ الزَّنْجانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ [الكِنْديِّ] ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِم ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ السَّمَرْقَنْديِّ ، عن أبي القاسمِ الزَّنْجانيِّ قالَ : سمعتُ أبا العبَّاسِ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ الحسينِ الخشَّابَ يقولُ : سمعتُ بكَّارَ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ يقولُ : سمعتُ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ العبَّاسِ البغداديَّ المُقرِئَ يقولُ : كنَّا عندَ إسماعيلَ بنِ إسحاقَ القاضي إذ جاءَهُ رجلٌ يستنصرُهُ علىٰ خصمٍ لهُ ، فقالَ القاضي : احلُمْ عنهُ ؛ فإنَّهُ قالَ ليَ القَعْنَبيُّ : سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ : رأيتُ نُصرةَ الحِلْمِ أَحَبَّ إليَّ مِن نُصرةِ النَّاسِ .

فقالَ لهُ الرَّجلُ : كفيتَني أيُّها القاضي ، فما أستعينُ عليهِ بأحدٍ[3]

حكاية

[جزاءُ مَن ينتقصُ السَّلفَ الصَّالحَ]

٧٤٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا الحسنُ بنُ محمَّدٍ الشَّافعيُّ بدِمشقَ قالَ : أنا عمِّي عليُّ بنُ الحسنِ أبو القاسمِ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي العبَّاسِ ابنِ مَسْلَمةَ ، ومكِّيِّ بنِ المُسلَّمِ القيسيِّ ، عنِ الحافظِ أبي القاسمِ عليِّ بنِ الحسنِ قالَ : سمعتُ أبا محمَّدٍ ابنَ الأكفانيِّ يحكي عن شيوخِهِ : أنَّ أبا إسحاقَ ـ يعني : إبراهيمَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ حصنٍ الأَنْدَلُسيَّ ـ كانَ صارماً في الحسبةِ ،

---

(١) في هامش (أ) : (من) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

(٢) ذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢/٣٧٠ ـ ٣٧١) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٤٢٣٦) وعزواه لابن النجار .

(٣) ذكره الجلال السيوطي في « تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك » (ص ١١٩) وعزاه لابن النجار في « الذيل » .

وأنَّهُ كانَ بدِمشقَ رجلٌ يقلي القطائفَ ، فكانَ المُحتسِبُ يُريدُ أن يُؤدِّبَهُ ، فإذا رآهُ القطائفيُّ قد أقبلَ . . قالَ : بحقِّ مولانا ؛ امضِ عنِّي ، فيمضي عنهُ .

فغافلَهُ يوماً وأتاهُ مِن خلفِهِ ، وقالَ : وحقِّ مولانا ؛ لا بدَّ أن تنزلَ ، فأمرَ بإنزالِهِ وتأديبِهِ ، فلمَّا ضُرِبَ بالدِّرَّةِ . . قالَ : هٰذهِ في قَفا أبي بكرٍ ، فلمَّا ضُرِبَ الثَّانيةَ . . قالَ : هٰذهِ في قَفا عمرَ ، فلمَّا ضُرِبَ الثَّالثةَ . . قالَ : هٰذهِ في قَفا عثمانَ .

قالَ المُحتسِبُ : أنتَ لا تعرفُ أسماءَ الصَّحابةِ ، واللهِ ؛ لأصفعَنَّكَ بعَدَدِ أهلِ بدرٍ ؛ ثلاثَ مئةٍ وبضعةَ عشرَ رجلاً ، فصفعَهُ بعددِ أهلِ بدرٍ وتركَهُ ، فماتَ بعدَ أيَّامٍ مِن ألمِ الصَّفعِ .

وبلغَ الخبرُ إلىٰ مصرَ ، فأتاهُ كتابُ المُلقَّبِ بالحاكمِ يشكرُهُ علىٰ ما صنعَ ، وقالَ : هٰذا جزاءُ مَن ينتقصُ السَّلفَ الصَّالحَ ، أو كما قالَ [1]

حكاية

[تواضعُ الرَّشيدِ للإمامِ مالكٍ]

٧٤٥ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا عمرُ بنُ أبي الحسنِ الصَّفَّارُ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن زيدِ بنِ الحسنِ ، وأبي حفصٍ الدَّارقَزِّيِّ ، وعبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وغيرِهِم ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ ، أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ الفِيرُوزاباذيُّ .

(ح) وأنبأَني أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وأبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ السَّلامِ ابنُ أبي عصرونٍ ، وزينبُ بنةُ عمرَ بنِ كِنْديٍّ ، عن أبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ ، عن أبي الأسعدِ هبةِ الرَّحمٰنِ القُشَيريِّ ، عنِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ قالَ : ثنا أبو الفرجِ محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ الخَرْجُوشيُّ ببغدادَ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ منصورِ بنِ محمَّدٍ قالَ : سمعتُ أبا جعفرٍ أحمدَ بنَ إسحاقَ بنِ محمَّدِ ابنِ يزيدَ القاضيَ بمصرَ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ سيَّارٍ المَنْبِجيَّ يقولُ : سمعتُ أبا منصورٍ الزُّهريَّ يقولُ : سمعتُ مالكَ بنَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢/٧) ، وانظر « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٢٢٦/١٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٩٨/٢٨) ، وذكره الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٣٨/٦) وعزاه لابن النجار .

أنسٍ يقولُ : وجَّهَ إليَّ هارونُ الرَّشيدُ أميرُ المؤمنينَ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ تُحدِّثُنا ؟ فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ العلمَ يُؤتىٰ ولا يأتي .

فجاءَ إلىٰ منزلي ، فاستندَ معي إلى الجدارِ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ « مِنْ إِجْلَالِ ٱللَّهِ إِجْلَالُ ذِي ٱلشَّيْبَةِ ٱلْمُسْلِمِ »[1] ، فقامَ فجلسَ بينَ يدَيَّ ، فحدَّثتُهُ .

فقالَ لي : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ تواضعْنا لعلمِكَ فانتفعْنا بهِ ، وتواضعَ لنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ فلم ننتفعْ بهِ .

وكانَ سفيانُ يأتيهِم إلىٰ منازلِهِم ، فيُحدِّثُهُم ويأخذُ دراهمَهُم[2]

نُكتة

[في جوابِ سؤالٍ غيرِ مُتوجِّهٍ]

٧٤٦ ـ وأنبأَني أبو رَوْحٍ الهَرَويُّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : سمعتُ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ عمرَ الأُرْمَويَّ يقولُ : (كانَ الشَّيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ إذا تكلَّمَ في مسألةٍ ، وسألَ السَّائلُ سؤالاً غيرَ مُتوجِّهٍ . . قالَ : [من الكامل]

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتَ مُغَرِّباً ... شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

وكانَ يقولُ في هٰذا المعنىٰ : كلامٌ كقَنْطَرةٍ وراءَ الوادي)[3]

* * *

٧٤٧ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنشدَني شهابٌ الحاتميُّ بهَرَاةَ قالَ : أنشدَنا أبو سعدٍ ابنُ السَّمْعانيِّ قالَ : أنشدَنا أبو المُظفَّرِ شبيبُ بنُ الحسينِ القاضي قالَ : أنشدَنيَ الشَّيخُ أبو إسحاقَ ـ يعني : الشِّيرازيَّ ـ لنفسِهِ[4] : [من مجزوء الكامل]

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٨١٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٥٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٤٣١) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) انظر « الحث علىٰ طلب العلم » لأبي هلال العسكري (ص ٤٢) ، و« محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٦٧/١) ، و« التذكرة الحمدونية » (٩٤/٣) ، و« الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٤٦٦/١) ، وما تقدم ضمن الخبر (٥٦٢) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٤) مخطوط ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٦٤/٦) .

(٤) انظر « تاريخ ابن الوردي » (٥٣٠/١) .

جَاءَ ٱلرَّبِيعُ وَحُسْنُ وَرْدِهْ   وَمَضَى ٱلشِّتَاءُ وَقُبْحُ بَرْدِهْ
فَٱشْرَبْ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْحَبِيـ   ـبِ وَوَجْنَتَيْهِ وَحُسْنِ خَدِّهْ

وأنشدَنيهما أبو الفضلِ عبدُ الرَّحيمِ الدَّميريُّ ، وأبوا حفصٍ العُمَرانِ ابنُ[1] عبدِ المُنعِمِ والعَقيميُّ ، عن زيدِ بنِ الحسنِ النَّحْويِّ ، وأبو الفرجِ ابنُ وَرّيدةَ ، عنِ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، وأبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ ، ثلاثتُهُم عن إسماعيلَ بنِ أحمدَ السَّمَرْقَنْديِّ .

وأنشدَنيهما أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وابنُ أبي عصرونٍ ، وابنةُ كِنْديِّ المُتقدِّمُ ذِكْرُهُم ، عن عبدِ الرَّحيمِ ابنِ السَّمْعانيِّ ، عن أبي الأسعدِ هبةِ الرَّحمٰنِ القُشَيريِّ ، كلاهُما عنِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ[2] .

قالَ أبو سعدٍ ابنُ السَّمْعانيِّ : قالَ لي شبيبٌ : ثمَّ بعدَما أنشدَنيَ الشَّيخُ هٰذَينِ البيتَينِ بمدَّةٍ كُنتُ جالساً عندَ الشَّيخِ ، فذُكِرَ بينَ يدَيهِ أنَّ هٰذَينِ البيتَينِ أُنشِدا عندَ القاضي عينِ الدَّولةِ حاكمِ صُورَ ـ بلدةٌ علىٰ ساحلِ بحرِ الرُّومِ ـ ، فقالَ لغلامِهِ : أَحضِرْ ذاكَ الشَّأنَ ـ يعني : الشَّرابَ ـ ؛ فقد أفتانا بهِ الإمامُ أبو إسحاقَ ، فبكى الإمامُ ، ودعا علىٰ نفسِهِ ، وقالَ : ليتَني لم أقلْ هٰذَينِ البيتَينِ قطُّ .

ثمَّ قالَ لي : كيفَ بردُّها مِن أفواهِ النَّاسِ ؟ فقلتُ : يا سيِّدي ؛ هيهاتَ !! قد سارَتْ بهِ الرُّكبانُ[3] .

٧٤٨ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجّارِ قالَ : سمعتُ شهابَ بنَ محمودٍ العدلَ بهَراةَ يقولُ : سمعتُ أبا سعدٍ ابنَ السَّمْعانيِّ يقولُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي رَوْحٍ عبدِ المُعِزِّ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدٍ السَّمْعانيُّ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عبدِ الباقي البَزّازَ يقولُ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : قالَ الشَّيخُ أبو إسحاقَ : (كنتُ أشتهي وقتَ طلبي للعلمِ كذا وكذا سنةً الثَّريدَ بماءِ

---

(١) كُتب فوقها في (ج) : (كذا) .
(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٣٧٨) .
(٣) أخرجه ابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/٣٣) ، وأبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٧) مخطوط ، وذكره الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٦/٦٥) وعزاه لابن النجار .

الباقِلَاءِ ، فما صحَّ لي أَكْلُهُ ؛ لاشتغالي بالدَّرسِ ، وأَخْذِيَ السَّبقَ بالغَدَواتِ والعشيَّاتِ) (١)

❊ ❊ ❊

٧٤٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِ واحدٍ منهُمُ الحافظُ زكيُّ الدِّينِ المُنذِريُّ قالوا : أخبرَنا بركاتُ بنُ أبي طاهرٍ الدِّمشقيُّ إذناً : أنَّ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ الوليدِ الطُّرْطُوشيَّ أخبرَهُ في كتابِهِ إليهِ قالَ : أخبرَنيَ القاضي أبو العبَّاسِ الجُرْجانيُّ بالبصرةِ قالَ : (كانَ الإمامُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ لا يملكُ شيئاً مِنَ الدُّنيا ، فبلغَ بِهِ الفقرُ حتَّىٰ كانَ لا يجدُ قُوتاً ولا مَلبَساً) .

قالَ : (ولقد كنَّا نأتيهِ وهوَ ساكنٌ في القَطِيعةِ ، فيقومُ لنا نصفَ قومةٍ ، ليسَ يعتدلُ قائماً مِنَ العريِ ؛ كي لا يظهرَ منهُ شيءٌ) .

قالَ : (وكنتُ أمشي معَهُ يوماً في القَطِيعةِ ، فتعلَّقَ بِهِ رجلٌ باقلانيٌّ ، وقالَ : يا شيخُ ؛ أفقرتَني وكسرتَني ، وأكلتَ رأسَ ماليَ ، ادفعْ إليَّ ما لي عندَكَ ، فقلْنا : وكم لكَ عندَهُ ؟ قالَ : أظنُّهُ قالَ : حبَّتَينِ ذهباً أو حبَّتَينِ ونصفاً) (٢)

❊ ❊ ❊

٧٥٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ ، وغيرِهِ ، عن أبي القاسمِ بنِ كاملٍ ، عن أبي الفضلِ محمَّدِ بنِ طاهرٍ المَقْدِسيِّ قالَ : (سمعتُ أصحابَنا ببغدادَ يقولونَ : كانَ أبو إسحاقَ ـ يعنونَ : الشِّيرازيَّ ـ إذا بقيَ مدَّةً لا يأكلُ شيئاً . . صعدَ إلى النَّصْريَّةِ في أعلىٰ بغدادَ ؛ كانَ لهُ فيها صديقٌ باقلانيٌّ ، فكانَ يثردُ لهُ رغيفاً بماءِ الباقِلَاءِ ، فرُبَّما صعدَ إليهِ ويكونُ قد فرغَ مِن بيعِ الباقِلَاءِ ، وأغلقَ البابَ ، فيقفُ أبو إسحاقَ ويقرأُ : ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ (٣) ، ويرجعُ) (٤)

❊ ❊ ❊

٧٥١ ـ وأُنبِئتُ عن أبي رَوْحٍ عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويِّ قالَ : أنا أبو سعدِ ابنُ السَّمْعانيِّ قالَ : سمعتُ بعضَ أهلِ العلمِ ـ أظنُّهُ : أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ عمرَ البُرُوجِرْديَّ ـ يقولُ .

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٤) مخطوط ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥٧٧/٩) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٥٥/١٨) .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (٤٥٨/١٨ ـ ٤٥٩) ، و« طبقات الفقهاء الشافعيين » لابن كثير (٣٧/٢) .

(٣) سورة النازعات : (١٢) .

(٤) أخرجه ابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٣٣/٢١) ، وابن القيسراني في « المنثور من الحكايات والسؤالات » (٢٥) ، وذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٤٥٥/١٨) ، وابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٣٧/٢) وعزواه لأبي سعد السمعاني .

(ح) هٰكذا ذكرَ السَّمْعانيُّ في « ذيلِهِ » ، وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ في « ذيلِهِ » قالَ : سمعتُ شهابَ بنَ محمودٍ يقولُ : سمعتُ ابنَ السَّمْعانيِّ ـ يعني : أبا سعدٍ ـ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عليٍّ البُرُوجِرْديَّ يقولُ : إنَّ الشَّيخَ أبا إسحاقَ أخرجَ يوماً قُرْصتَين مِن بيتِهِ[1] ، فقالَ لبعضِ أصحابِهِ : وكَّلتُكَ في أن تشتريَ ليَ الدِّبسَ والرَّاشي بهٰذهِ القُرْصةِ علىٰ وجهِ هٰذهِ القُرْصةِ الأُخرىٰ .

فمضىٰ ذٰلكَ الرَّجلُ وجاءَ بهِ ، وشكَّ بأيِّ القُرْصَتَينِ اشترىٰ ، فما أكلَ الشَّيخُ ذٰلكَ ، وقالَ : لا أدري أشتريتَ بالَّتي وكَّلتُكَ فيها أم بالأُخرىٰ[2] .

نُكْتَةٌ
[في احتياطِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ وورعِهِ]

٧٥٢ ـ وأُنبِئتُ عن أبي رَوْحٍ قالَ : أنا السَّمْعانيُّ قالَ : سمعتُ بعضَهُم يقولُ : دخلَ الشَّيخُ أبو إسحاقَ بعضَ المساجدِ ؛ ليأكلَ الطَّعامَ علىٰ عادتِهِ ، فنسيَ ديناراً كانَ في يدِهِ وخرجَ ، وذكرَ في الطَّريقِ ، فرجعَ فوجدَ الدِّينارَ في المسجدِ ، ثمَّ فكَّرَ في نفسِهِ ، وقالَ : رُبَّما هٰذا الدِّينارُ وقعَ مِن غيري ، وما أعرفُ أنَّ هٰذا لي أو لغيري ، فتركَهُ ، وخرجَ مِنَ المسجدِ وما مسَّهُ[3] .

٧٥٣ ـ وبهِ إلى السَّمْعانيِّ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ عمرَ الخطيبَ يقولُ : كانَ يمشي بعضُ أصحابِ أبي إسحاقَ الشِّيرازيِّ معَهُ في الطَّريقِ ، فعرضَ لهُما كلبٌ ، فقالَ ذاكَ الفقيهُ للكلبِ : اخسأْ ، وزجرَهُ ، فنهاهُ الشَّيخُ أبو إسحاقَ عن ذٰلكَ ، وقالَ : لِمَ طردتَهُ عنِ الطَّريقِ ؟ أَمَا عرفتَ أنَّ الطَّريقَ بيني وبينَهُ مُشترَكٌ[4] .

---

(١) القُرْصة : الخبزة .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٥) مخطوط ، وذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٣٠٦) ، وابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٣٦) بنحوه وعزواه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٤/٢١٩) .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٥) مخطوط ، وذكره ابنُ الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٣٠٦) ، والذهبيُّ في « سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٥٦) ، وابنُ كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٣٦) وعزوه لأبي سعد السمعاني ، والصفديُّ في « الوافي بالوفيات » (٦/٦٥) وعزاه لابن النجار .

(٤) أخرجه ابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/٣٣) ، وأبو سعد السمعاني كما في « مختار

نُكْتَةٌ

[في تأليفِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ لـ « المُهذَّبِ في المذهبِ »]

٧٥٤ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجّارِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الحسنِ ابنِ المَقْدِسيِّ بمصرَ ، عن أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمَّدٍ السِّلَفيِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ السِّلَفيِّ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ عبدِ اللهِ الآمديَّ النَّحْويَّ الفقيهَ بثغرِ خِلاطَ في مجلسِ القاضي أبي مُعاذٍ يقولُ : (لم يذكرِ الشَّيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ في « المُهذَّبِ في المذهبِ » مسألةً إلَّا بعدَ أن صلَّىٰ ركعتَينِ ، واستخارَ اللهَ تعالىٰ فيها ؛ كما فعلَ البُخاريُّ في « الصَّحيحِ ») ، فلم يُنكِرْ ذٰلكَ أبو مُعاذٍ قاضي خِلاطَ ، وكانَ مِن أجلَّاءِ أصحابِ أبي إسحاقَ وأئمَّةِ تلامذتِهِ (١)

* * *

٧٥٥ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، عن أبي صالحٍ عبدِ الصَّمدِ بنِ عليٍّ الفقيهِ : أنَّ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ ابنَ الخاضبةِ أخبرَهُ قالَ : سمعتُ مِن بعضِ أصحابِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ الشِّيرازيِّ يقولُ : (رأيتُ الشَّيخَ كانَ يركعُ ركعتَينِ عندَ فراغِ كلِّ فصلٍ مِنَ « المُهذَّبِ ») (٢)

* * *

٧٥٦ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعزِّ قالَ : أنا السَّمْعانيُّ قالَ : سمعتُ جماعةً مِن مشايخي يقولونَ : لمَّا قدمَ الشَّيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ رسولاً إلىٰ نَيْسابورَ . . تلقَّاهُ النَّاسُ ، وحملَ إمامُ الحرمَينِ أبو المعالي الجُوَينيُّ غاشيتَهُ ، ومشىٰ بينَ يدَيهِ كالخدمِ !! وكانَ ذٰلكَ بمشهدِ أكثرِ أكابرِ أهلِ نَيْسابورَ ، وقالَ : أنا أفتخرُ بهٰذا (٣)

* * *

ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٤) مخطوط ، وانظر « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (٢/٣٧١ ـ ٣٧٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٥٤) ، وذكره الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٦/٦٥ ـ ٦٦) وعزاه لابن النجار .

(١) أخرجه أبو طاهر السلفي في « معجم السفر » (ص٢٩٦) ، والقفطي في « إنباه الرواة » (٢/٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٢/١٥٧) ، وذكره ابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٣٦) وعزاه لابن النجار .

(٣) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٥) مخطوط ، وذكره ابن الجوزي في « المنتظم » (٩/٥٧٧) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٥٦) ، وابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٣٨) وعزوه لأبي سعد السمعاني .

٧٥٧ ـ وبهِ إلى السَّمْعانيّ قالَ : سمعتُ الرَّئيسَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ هبةِ اللهِ بنِ عبدِ السَّلامِ الكاتبَ يقولُ : كانَ عميدُ الدَّولةِ الوزيرُ يقولُ : (الإمامُ الشَّيخُ أبو إسحاقَ وحيدُ عصرِهِ ، وفريدُ دهرِهِ ، مُستجابُ الدَّعوةِ)[١]

٧٥٨ ـ وبهِ إليهِ قالَ : سمعتُ أبا الفتحِ نصرَ بنَ عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ الجبَّارِ يقولُ : سمعتُ الإمامَ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ حامدٍ الشَّاشيَّ المعروفَ بفقيهِ الشَّاشِ يقولُ : (الشَّيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ حجَّةُ اللهِ على أئمَّةِ العصرِ)[٢]

نُكتة

[في إمامَينِ لم يتَّفقْ لهُما الحجُّ]

٧٥٩ ـ وبهِ إليهِ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ عليِّ بنِ عمرَ الخطيبَ مذاكرةً يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ محمَّدِ بنِ يوسفَ الفاشانيَّ بمَرْوَ يقولُ[٣] : سمعتُ القاضيَ محمَّدَ بنَ محمَّدٍ الماهانيَّ يقولُ : (إمامانِ ما اتَّفقَ لهُما الحجُّ : الشَّيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ ، وقاضي القضاةِ أبو عبدِ اللهِ الدَّامَغانيُّ .

الشَّيخُ أبو إسحاقَ ما كانَ لهُ الاستطاعةُ ، ولٰكنْ لو أرادَ الحجَّ . . لحملوهُ على الأحداقِ إلىٰ مكَّةَ .

والدَّامَغانيُّ لو أرادَ الحجَّ على السُّندسِ والإستبرقِ . . لكانَ يمكنُهُ ذٰلكَ ، ولٰكنْ معَ ذٰلكَ ما حجَّا ، رحمَهُما اللهُ تعالىٰ)[٤]

*

٧٦٠ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ حيدرَ بنَ محمودٍ يقولُ : سمعتُ المُوفَّقَ الحنفيَّ إمامَ أصحابِ

---

(١) ذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٣٠٥) ، وابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٣٦) وعزواه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٥٨) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٤) مخطوط ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٥٥) ، وفي هامش (ج) : (بلغ مقابلة . محمَّد المَوْصِلي) .

(٣) الفاشاني : نسبة إلىٰ (فاشان) ، وهي قرية من نواحي مَرْو . « معجم البلدان » (٤/٢٣١) .

(٤) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٤) مخطوط ، وذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٣٠٥ ـ ٣٠٦) ، وابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٣٧) وعزواه لأبي سعد السمعاني ، وانظر « المنتظم » (٩/٥٧٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٥٥) .

الرَّأيِ ببغدادَ يقولُ : (الشَّيخُ أبو إسحاقَ أميرُ المؤمنينَ فيما بينَ الفقهاءِ)[1]

* * *

٧٦١ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ بعضَ أهلِ العلمِ يقولُ : (كانَ الشَّيخُ أبو إسحاقَ يشتري طعاماً كثيراً ، ويدخلُ بعضَ المساجدِ ، ويأكلُ ومعَهُ أصحابُهُ ، وما فضلَ منهُم يقولُ لأصحابِهِ : لا تمسُّوهُ ، واتركوا ما فضلَ لِمَن يدخلُ المسجدَ ويرغبُ فيهِ)[2]

نُكْتَةٌ

[فيما أصَّلَ عليهِ حاتمٌ أمرَهُ]

٧٦٢ ـ وأُنبِئتُ عن أبي عبدِ اللهِ بنِ محمودٍ المُؤرِّخِ قالَ : أنبأَنا قاضي القضاةِ محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ الهاشميُّ ، عن أبي القاسمِ هبةِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ الواسِطيِّ قالَ : سمعتُ أبا طاهرٍ إبراهيمَ بنَ محمَّدِ بنِ سلامةَ المَوْصِليَّ ـ قدمَ علينا ـ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ أحمدَ بنَ محمَّدِ ابنِ الخليلِ المالينيَّ ، ثنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ يعقوبَ [قالَ] : سمعتُ أبا الفضلِ جعفرَ بنَ محمَّدٍ الصَّندليَّ ، سمعتُ أبا الحسنِ ابنَ أبي الوردِ يقولُ : قيلَ لحاتمٍ الأصمِّ : علامَ أصَّلتَ أمرَكَ هٰذا ؟

قالَ : علىٰ خصالٍ أربعٍ : علمتُ أنَّ لي رزقاً لا يأكلُهُ غيري ، فاطمأنَّتْ لهُ نفسي ، وعلمتُ أنَّ لي عملاً لا يعمَلُهُ غيري ، فأنا بهِ مشغولٌ ، وعلمتُ أنَّ لي أجلاً لا أدري متىٰ هوَ ، فأنا مُبادِرُهُ ، وعلمتُ أنِّي لا أغيبُ عن عينِ اللهِ ، فأنا مُستحيٍ[3]

* * *

٧٦٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ حامدٍ المُقرِئِ بأصبهانَ ، عن أبي القاسمِ زاهرِ بنِ طاهرٍ الشَّحَّاميِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الصَّمدِ ابنِ الحرستانيِّ ، وغيرِهِ ، عن زاهرٍ قالَ : كتبَ إليَّ

---

(١) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٢٤ ـ ١٢٥) مخطوط ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٥٥) .

(٢) ذكره ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٣٠٦) ، والنووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/٣٧٣) ، وابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٣٦) بنحوه وعزوه لأبي سعد السمعاني .

(٣) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٦١٧) ، وابن حمكان في « الفوائد والأخبار والحكايات » (٥٧) بنحوه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٢١٦) ، وانظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٧٩٥) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٢٦٠) ، و« التذكرة الحمدونية » (١/١٨٦ ـ ١٨٧) .

عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ النَّخْشَبيُّ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عليّ الحازميُّ ، ثنا أبو شجاعٍ الخَصِيبُ ، ثنا محمَّدُ بنُ المنذرِ شَكَّرٌ ، حدَّثَني أبو أُميَّةَ الطَّرَسُوسيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ الهذليُّ ببغدادَ ، عن هشيمٍ ، عن مجالدٍ ، عنِ الشَّعْبيِّ : أَنَّهُ كانَ يقولُ : [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا ٱلْهَوَىٰ فَأَنْتَ وَعَيْرٌ بِٱلْفَلَاةِ سَوَاءُ (١)

حكاية

[دعوةُ فاطمةَ المَقْدِسيَّةِ]

٧٦٤ ـ وأُنبِئتُ عن أبي محمَّدٍ ابنِ الأخضرِ ، وابنِ النَّجَّارِ ، وغيرِهِما قالوا : أنبأَنا ذاكرُ بنُ كاملٍ ، عن أبي نصرٍ محمودِ بنِ الفضلِ الأصبهانيِّ ونقلتُهُ مِن خطِّهِ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ الصَّيْرفيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ الحافظِ السِّلَفيِّ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ قالَ : أنا عبدُ العزيزِ بنُ عليّ الأَزَجيُّ ، ثنا يوسفُ بنُ عمرَ القَوَّاسُ ، ثنا أحمدُ بنُ الحسنِ الصُّوفيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ البغداديُّ الصُّوفيُّ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ بشَّارٍ العابدُ ، ثنا أبو بكرٍ [المَرُّوذيُّ] (٢) قالَ : مرضَ بشرُ بنُ الحارثِ ، قالَ : فقلتُ لأحمدَ ابنِ حنبلٍ : أخوكَ بشرُ بنُ الحارثِ مريضٌ ، فهل تعودُهُ ؟ قالَ : نعم .

فمضيْنا إليهِ ، فدخلْنا عليهِ وهوَ مُسجّىً ، وتحتَ رأسِهِ امرأةٌ جالسةٌ ، فقالَ أحمدُ : لسْنا نعهدُهُ يأنسُ بالنِّساءِ ؛ فمَن هٰذهِ المرأةُ ؟ فسَمِعَنا ، فقالَ : هٰذهِ فاطمةُ المَقْدِسيَّةُ ، أَتَتْنيَ البارحةَ عائدةً مِن بيتِ المَقْدِسِ ، فقلْنا لهُ : سَلْها أن تدعوَ اللهَ لنا يا أبا نصرٍ ، فسَمِعَتْ وقالَتْ : ومثلي يدعو لأحمدَ ابنِ حنبلٍ ؟!

فقالَ لها بشرٌ : إنَّ حقَ السُّؤالِ الجوابُ ؛ فادعي اللهَ تعالىٰ لنا ، فرفعَتْ طرفَها إلى السَّماءِ ، وقالَتْ : إلٰهي ؛ إنَّ حقَّ الأضيافِ القِرىٰ ، ونحنُ أضيافُكَ ؛ فاجعلْ قِرانا منكَ المغفرةَ والرَّحمةَ .

فما برحْنا حتَّىٰ سقطَتْ علينا ورقةٌ عليها كتابةٌ : (قد فعلتُ ، ولديَّ مزيدٌ) .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٢٧/٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٨٠١) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (المروزي) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢٧٣/٢٠) ، و« الأنساب » (٢٦٣/٥) ، والمَرُّوذي : نسبة إلىٰ (مرو الروذ) ، وهي بلدة حسنة مبنيَّة علىٰ وادي مَرْو .

نُكْتَةٌ

[في ثلاثةٍ لن تلدَ النِّساءُ مثلَهُم]

٧٦٥ ـ وأُنبئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ .

وأنبأَنيَ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ أبو الفرجِ عبدُ الرَّحمٰنِ البغداديُّ شيخُ المُستنصِريَّةِ قالا : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ ، قالَ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ : إجازةً ، وقالَ ابنُ النَّجَّارِ : وأبو حامدٍ عبدُ اللهِ بنُ مسلمِ بنِ ثابتٍ البَزَّازُ بقراءتي عليهِما قالا : أنا أبو منصورٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ القَزَّازُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن زيدِ بنِ الحسنِ النَّحْويِّ قالَ : أنا أبو منصورٍ القَزَّازُ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ الخطيبُ قالَ : أنا أبو عقيلٍ أحمدُ بنُ عيسى القَزَّازُ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ الحارثِ التَّميميُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ النَّسَّاجُ قالَ : سمعتُ إبراهيمَ الحَرْبيَّ يقولُ : (أدركتُ ثلاثةً لن يُرىٰ مثلُهُم أبداً ، تعجزُ النِّساءُ أن يَلِدْنَ مثلَهُم : رأيتُ أبا عبيدٍ القاسمَ بنَ سلَّامٍ ما مثَّلتُهُ إلَّا بجبلٍ نُفِخَ فيهِ روحٌ .

ورأيتُ بشرَ بنَ الحارثِ فما شبَّهتُهُ إلَّا برجلٍ عُجِنَ مِن قرنِهِ إلىٰ قدمِهِ عقلاً .

ورأيتُ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ حنبلٍ فرأيتُ كأنَّ اللهَ جمعَ لهُ علمَ الأوَّلينَ مِن كلِّ صنفٍ ، يقولُ ما شاءَ ، ويُمسِكُ ما شاءَ)(١)

* * *

٧٦٦ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ بنِ الحسنِ قالَ : أنا سليمانُ وعليٌّ ابنا محمَّدِ بنِ عليٍّ المَوْصِليِّ ، ثنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ النَّيْسابوريُّ ـ قدمَ علينا ـ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ أبي صادقٍ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ ابنُ باكويهِ ، ثنا محمَّدُ بنُ أبي خالدٍ ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ عمَّارٍ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الشَّاميَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ البَنَّاءِ صاحبَ سريٍّ السَّقَطيِّ يقولُ : دخلَ مُنجِّمٌ علىٰ بشرِ بنِ الحارثِ ، فقالَ لهُ : يا أبا نصرٍ ؛ كيفَ أصبحتَ ؟

قالَ : فقالَ : أصبحتُ أغدو على الاستخارةِ وتغدو على الطَّالعِ ، وأرجو ربِّي

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٤٠٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٩/٦٩) ، وانظر « نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص١٢٦) .

وترجو المُشتريَ ، وأخشىٰ ذنوبي وتخشىٰ زُحَلَ ، فشتَّانَ ما بينَنا شتَّانَ !![1]

نُكتةٌ عجيبةٌ

[في تفضيلِ الأصلعِ]

٧٦٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أسعدُ بنُ أبي طاهرٍ الثَّقفيُّ قالَ : أنا جعفرُ بنُ عبدِ الواحدِ الثَّقفيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ عبدِ الرَّحيمِ ، أنا أبو الشَّيخِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ معدانَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ يحيى البغداديُّ ، ثنا الحجَّاجُ بنُ الحجَّاجِ القَطَّانُ ، ثنا موسى بنُ إبراهيمَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي زيادٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ قالَ : (لا تُصيبُ في مئةِ أصلعَ رجلَ سَوءٍ ، فإن أصبتَ واحداً . . فهوَ خيرٌ مِن عشرينَ كَوْسَجاً)[2]

حكايةٌ

[نجاةُ البوَّابِ إبراهيمَ]

٧٦٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ حامدٍ الضَّريرِ المُقرئِ بأصبهانَ ، عن أبي القاسمِ زاهرِ بنِ طاهرٍ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الصَّمدِ الحرستانيِّ ، وغيرِهِ ، عن زاهرٍ : أنَّ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ أحمدَ الطَّبَسيَّ أخبرَهُ قالَ[3] : ثنا أبو عليٍّ الفقيهُ النَّيسابوريُّ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ يقولُ : سمعتُ بعضَ العلماءِ يقولُ : كانَ ببغدادَ أميرٌ يُقالُ لهُ : يكتوزونُ ، وكانَ لهُ بوَّابٌ يُقالُ لهُ : إبراهيمُ ، فمرَّ إبراهيمُ هـٰذا في بعضِ الأيَّامِ ، وكانَ قد شربَ في محلَّةٍ بقومٍ كانوا يشتمونَ أبا بكرٍ وعمرَ ، قالَ : فشتمَهُم وضربَهُم بقوَّةِ الأميرِ الَّذي كانَ بوَّابَهُ .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . إذا بجماعةٍ مِن أهلِ هَمَذانَ أتَوا إلىٰ صاحبِهِ الأميرِ وشكَوهُ ، قالَ : فدعا بهِ ، وأمرَ بالحبالِ فشدُّوها في يدَيهِ ورجلَيهِ حتَّىٰ نزعوا أوصالَهُ ، وطرحوهُ في السِّجنِ كالمفلوجِ !!

---

(١) انظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٥/٣٠) لـٰكن عن الثوري ، و« التذكرة البلقينية » (٥٥) .

(٢) **الكَوْسَج** : نقيُّ الخدَّين من الشَّعر .

(٣) **الطَّبَسي** : نسبة إلىٰ (طَبَس) ، وهي مدينة في بريّة بين نَيْسابور وأصبهان وكِرْمان . « الأنساب » (٤/٤٨) .

قالَ : فبينا أنا في بعضِ اللَّيلِ . . إذ أضاءَ البيتُ الَّذي كنتُ فيهِ مطروحاً ، وإذا بخمسةِ نفرٍ دخلوا عليَّ ؛ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأبو بكرٍ وعمرُ عن يمينِهِ ، وعثمانُ وعليٌّ عن يسارِهِ .

قالَ : فنظرَ إلىٰ أبي بكرٍ وعمرَ ، وقالَ : « أَصَابَهُ ٱلَّذِي أَصَابَهُ فِي مَحَبَّتِكُمَا » ، ثُمَّ قالَ لأبي بكرٍ : « هَاتِ تِلْكَ ٱلْكُرَازَةَ » ، وكانَتْ كرازةٌ مِنَ الماءِ بقربي[1] ، فدفعَها إليهِ ، فقالَ بالماءِ بيدِهِ هٰكذا ، فصبَّهُ عليَّ ، وقالَ : « قُمْ » ، فقمتُ صحيحاً ، فإذا ببابِ السِّجنِ مفتوحٌ !!

قالَ : فخرجتُ وجئتُ إلى الدَّارِ الَّتي كنتُ فيها ، ودققتُ البابَ ، فقالوا : مَن ؟ فقلتُ : إبراهيمُ البوَّابُ ، فقالوا : إبراهيمُ كالمقتولِ مطروحٌ في السِّجنِ ؛ كيفَ جاءَ إلىٰ ها هنا ؟! فقلتُ : افتحوا ؛ فإنَّ اللهَ قد فرَّجَ بفضلِهِ ، فدخلتُ الدَّارَ وقصصتُ القصَّةَ .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . بلغَ الأميرَ يكتوزونَ حديثي وقصَّتي ، فبعثَ إليَّ ، ومضيتُ إليهِ وقصصتُ عليهِ القصَّةَ ، فتعجَّبَ !! وبعثَ إلىٰ أولئكَ ، وصادرَهُم وأغارَ عليهِم ، وأمرَ مَن يُنادي : مَن شتمَ أبا بكرٍ وعمرَ . . فجزاؤُهُ الضَّربُ والنَّكالُ[2]

* * *

٧٦٩ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ بنُ كاملٍ ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ الملكِ ابنِ الشَّهْرَزُوريِّ قالَ : كتبَ إليَّ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الأَرْدَسْتانيُّ ، أنا أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدِ ابنِ حبيبٍ المُفسِّرُ النَّيْسابوريُّ قالَ : سمعتُ أبا العبَّاسِ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدِ الحَيَّانيَّ بفُوشَنْجَ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ رضوانَ بنَ أحمدَ الصَّيْدَلانيَّ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : دخلتُ دارَ المجانينِ بالبصرةِ ، فرأيتُ شابّاً مِن أحسنِ النَّاسِ وجهاً وقَدّاً في قيدٍ وسلسلةٍ ، وكنتُ رأيتُهُ قبلَ ذٰلكَ في سوقِ البَزَّازينَ بالبصرةِ في نعمةٍ وهيئةٍ حسنةٍ .

فقلتُ لهُ : ما الَّذي دهاكَ ؟ فقالَ : [من الطويل]

---

(١) الكُرَازة : القارورة ، أو كُوز ضيّق الرَّأس .

(٢) ذكر ابن النَّجَّار عقيب هٰذا حديث رؤيا عمر ؛ أنَّ ديكاً أحمر نقره نقرة أو نقرتين ، وعبرت أسماء ذٰلك بأنَّه يقتله عجميٌّ ، ينظر أصله عن غير ابن النَّجَّار ، ذكر ذٰلك ابن النَّجَّار في ترجمة إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد . انتهىٰ من هامش (أ ، ج) .

تَمَطَّىٰ عَلَيْنَا ٱلدَّهْرُ فِي مَتْنِ قَوْسِهِ ... فَفَرَّقَنَا مِنْهُ بِسَهْمِ شَتَاتِ
فَيَا زَمَناً وَلَّىٰ عَلَىٰ رَغْمِ أَهْلِهِ ... أَلَا عُدْ كَمَا قَدْ كُنْتَ مُذْ سَنَوَاتِ[1]

حكاية

[في قضاءِ الحاجاتِ بزيارةِ سيّدِ السَّاداتِ]

٧٧٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ في كتابِ المؤتمنِ بنِ أحمدَ السَّاجيّ بخطِّهِ قالَ : رأيتُ بخطِّ أبي محمَّدٍ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ الفضلِ السَّعْديّ فيما كتبَهُ لأبي نصرٍ الحسينِ بنِ الفضلِ الجَوْزَقيّ وسمعَهُ منهُ قالَ : دخلتُ علىٰ أبي بكرٍ الوهبيّ أحمدَ بنِ إسحاقَ دارَهُ ببغدادَ في مُربَّعةِ القَطَّانينَ ، فإذا في دارِهِ الجُندُ ، وكانَ ضريراً ، وكانَتْ في دارِهِ غرفةٌ قد تحوَّلَ إليها .

فلمَّا أردتُ فراقَهُ . . قالَ لي : إنَّ لي إليكَ حاجةً ، فقلتُ : ما هيَ ؟

قالَ : إن بلغتَ قبرَ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فأَقْرِهِ منِّيَ السَّلامَ ، وقلْ لهُ : إنَّ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ إسحاقَ قالَ : إنِّي ضريرُ البصرِ ، وإنِّي قد ضُيِّقَ عليَّ في داري ، وتحوَّلتُ إلىٰ غرفةٍ ، فأسألُكَ أن تسألَ اللهَ لي بإنجاحِهِ ؛ أن يذهبَ بالجُندِ مِن داري ؛ لكي يفرغَ لي ، وأستريحَ مِن هٰذهِ الشِّدَّةِ والضَّررِ .

فلمَّا أن بلغتُ إلى المدينةِ إلىٰ قبرِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أقريتُهُ منهُ السَّلامَ ، وأبلغتُهُ الرِّسالةَ .

فلمَّا أن رجعتُ إلىٰ بغدادَ . . دخلتُ على الشَّيخِ ؛ فإذا الدَّارُ فارغةٌ مِنَ الجُندِ ، وتحوَّلَ مِنَ الغرفةِ إلى السِّفلِ ، فأخبرتُهُ بالبلاغِ ، فقالَ لي : متىٰ أبلغتَ الرِّسالةَ ؟ فقلتُ : لثمانٍ خلَتْ مِنَ المُحرَّمِ يومَ الثُّلاثاءِ ، فقالَ لي : في ذٰلكَ الوقتِ وذٰلكَ اليومِ يومِ الثُّلاثاءِ فرَّغوا لي داري فجأةً مِن غيرِ أن وقعَ لهُم شيءٌ أو أمرَهُم أحدٌ بتفريغِها !!

هٰذا معنىٰ ما جرىٰ بيني وبينَهُ ، وما كانَ مِن أمري وأمرِهِ .

---

(١) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٥٤٨) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٦/٢٣٧) ، وما تقدم ضمن الخبر (٣٤١) .

حكاية عجيبة

[في بدايةِ أحمدَ القَزْوينيّ بطلبِ العلمِ وتعسُّرِهِ عليهِ]

٧٧١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ إسحاقَ بنَ أبي القاسمِ بنِ أبي الحسامِ التَّاجرَ الأصبهانيَّ بها مِن لفظِهِ وحفظِهِ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ محمَّدِ بنِ سعدٍ ابنَ المَشَّاطِ الرَّازيَّ بالرَّيِّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ القَزْوينيَّ (١) ـ قدمَ علينا الرَّيَّ ـ إملاءً يقولُ : لمَّا كنتُ بنَيْسابورَ عندَ محمَّدِ بنِ يحيىٰ وأنا صبيٌّ أقرأُ عليهِ الفقهَ ، وكانَ مِن عادتِهِ في كلِّ أسبوعٍ يأخذُ على الفقهاءِ ما حفظوهُ مِن أوَّلِ الأسبوعِ إلىٰ آخرِهِ ، وكنتُ غيرَ جيِّدِ الحفظِ ، بليدَ الفهمِ ، يُطالِبُني الشَّيخُ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ بإعادةِ الدَّرسِ وأنا لا أقدرُ علىٰ حفظِهِ ، وكانَ عادةَ الشَّيخِ أنَّ مَن قصَّرَ في حفظِهِ وإعادةِ درسِهِ يأمرُهُ بالانتقالِ مِن عندِهِ ، والاشتغالِ علىٰ غيرِهِ .

قالَ : ففعلَ ذٰلكَ بي ثلاثَ مرَّاتٍ ، وأنا لا أزدادُ إلَّا عِيّاً وقلَّةَ فهمٍ ، فعزمتُ على الانتقالِ مِن مدرسةِ الشَّيخِ .

فلمَّا كانَ يومُ الخميسِ ـ وفيهِ كانَ الشَّيخُ يأخذُ على الجماعةِ الدُّروسَ ـ . . طالبَني بإعادةِ محفوظي ، فلم أقدرْ ، فقالَ لي : يا ولدي ؛ ينبغي أن تنتقلَ مِنَ المدرسةِ إلىٰ مدرسةٍ تكونُ فيها على اختيارِكَ ، فلا يمكنُ مثلَكَ أن يكونَ ها هنا ، قالَ : فقلتُ : السَّمعُ والطَّاعةُ ، وقمتُ وشرعتُ في النُّقلةِ ، وأودعتُ قماشي وكتبي عندَ الفقهاءِ إلىٰ أن أسكنَ موضعاً أنقلُها إليهِ .

واشتغلتُ بذٰلكَ النَّهارَ أجمعَ ، وجاءَ اللَّيلُ وأنا علىٰ ذٰلكَ ، واشتدَّ الشِّتاءُ ، وأنا في الطَّريقِ ، وخفتُ العَسْعَسَ أن يُدرِكَني (٢) ، فدخلتُ تحتَ دُكَّانٍ ، وأخفيتُ نفسي في أَتُّونِ طبَّاخٍ ونمتُ ، فرأيتُ في مَنامي رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ واقفٌ عليَّ ، وقالَ لي : « يَا أَحْمَدُ ؛ أَلَا تَذْهَبُ إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ وَتَشْتَغِلُ ؟ » .

فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّهُ لا يأتي منِّي شيءٌ ، وقدِ اجتهدتُ فلم أُفلِحْ .

---

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن محمَّد بن العبَّاس ، أبو الخير ، القَزْوينيُّ ، الإمام الزَّاهد ، العالم الرَّبَّانيُّ ، رئيس أصحاب الشَّافعيّ ، ولي تدريس النِّظاميَّة ، وتوفِّي سنة تسع وثمانين وخمس مئة بقَزْوين ، وكان مولده سنة إحدىٰ عشرة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٢) العَسْعَس : الذِّئب الطَّلوب للصَّيد باللَّيل .

فقالَ لي : « بَلَىٰ ، قُمْ وَٱذْهَبْ إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ » ، قالَ : فأعدتُ عليهِ الكلامَ ثانياً ، فقالَ ليَ : « ٱفْتَحْ فَاكَ » ، قالَ : ففتحتُهُ ، فتَفَلَ فيهِ ، ثمَّ قالَ ليَ : « ٱذْهَبْ » ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنِّي أخافُ مِنَ الشَّيخِ ، ومِن قصورِ فهمي ، وقلَّةِ حفظي ومعرفتي .

فقالَ ليَ : « ٱفْتَحْ فَاكَ » ، ففتحتُهُ مرَّةً ثانيةً ، فتَفَلَ فيهِ مرَّةً أُخرىٰ .

ثمَّ انتبهتُ وقتَ السَّحَرِ ، وأتيتُ المدرسةَ ، ووقفتُ أُكرِّرُ عليَّ الدَّرسَ ؛ فإذا هوَ محفوظٌ لي !! وخرجَ الشَّيخُ ورآني ، فقالَ لي : هل حفظتَ شيئاً ؟ فقلتُ : نعم ، وأعدتُ عليهِ الدُّروسَ كلَّها حفظاً جيِّداً مِن غيرِ تتعتعٍ ولا توقُّفٍ ، فقالَ لي : أحسنتَ ، باركَ اللهُ فيكَ ، فمثلُكَ مَن يصلحُ لصحبتِنا ، وأقمتُ عندَهُ مستقيمَ الفهمِ ، سريعَ الإدراكِ ، كثيرَ الحفظِ .

وكانَ مِن عادةِ الشَّيخِ أن يُصلِّيَ صلاةَ الجمعةِ عندَ الإمامِ عبدِ الرَّحمٰنِ الأكَّافِ الزَّاهدِ ، ويمضي الفقهاءُ في خدمتِهِ ، فحضرتُ يوماً معَهُ في الجامعِ ، وتجارى الفقهاءُ في مسألةٍ مِنَ الخلافِ ، فتكلَّمَ الشَّيخُ عبدُ الرَّحمٰنِ ، وسكتَ الجماعةُ إعظاماً لهُ ، وأنا لصِغَرِ سنِّي وحِدَّةِ فهمي أعترضُ عليهِ وأُراجِعُهُ الكلامَ !! والفقهاءُ يُشيرونَ إليَّ بالإمساكِ ، وأنا لا ألتفتُ إليهِم .

فقالَ لهُمُ الشَّيخُ عبدُ الرَّحمٰنِ : دعوهُ ؛ فإنَّ هٰذا الكلامَ الَّذي يقولُهُ ليسَ منهُ ، إنَّما هوَ مِنَ الَّذي علَّمَهُ !!

قالَ : ولم يعلمِ الجماعةُ ما أرادَ ، وفهمتُها ، وعلمتُ أنَّهُ مُكاشَفٌ .

ذكرَ لي هٰذهِ الحكايةَ بالفارسيَّةِ ، وأنا عرَّبتُها[1]

حكاية

[قوَّةُ حفظِ القَزْوينيِّ وغزارةُ علمِهِ]

٧٧٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : وحدَّثَني أبو القاسمِ الصُّوفيُّ أيضاً قالَ : صلَّىٰ شيخُنا القَزْوينيُّ بالنَّاسِ التَّراويحَ في ليالي شهرِ رمضانَ ، وكانَ يحضرُ عندَهُ خَلْقٌ كثيرٌ ، فلمَّا كانَ

---

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (٦/٢٥٣ ـ ٢٥٤) ، وذكره التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/٩) وعزاه لابن النجار .

في ليلةِ الختمِ بعدَ فراغِهِ مِنَ الختمِ ودعائِهِ . . شرعَ في تفسيرِ القرآنِ مِن أوّلِهِ ، ولم يزلْ يُفسّرُ سورةً سورةً حتَّىٰ أتىٰ علىٰ آخرِ القرآنِ وقتَ طلوعِ الفجرِ ، فصلَّىٰ بالنَّاسِ صلاةَ الفجرِ بوضوءِ العَتَمةِ .

وخرجَ مِنَ الغدِ إلى المدرسةِ النِّظاميَّةِ ، وكانَتْ نوبتَهُ في الجلوسِ بها ، فلمَّا تكلَّمَ على المنبرِ علىٰ عادتِهِ وطابَ النَّاسُ ، وكانَ في المجلسِ الأميرُ قطبُ الدِّينِ قيمازُ والأعيانُ ، فذكروا لهُم أنَّ الشَّيخَ ليلتئذٍ قرأَ القرآنَ كلَّهُ في مجلسٍ واحدٍ ، فقالَ قطبُ الدِّينِ : الغرامةُ على الشَّيخِ واجبةٌ ، فبلغَهُ ذٰلكَ ، فالتفتَ الشَّيخُ وقالَ : إنَّ الأميرَ قطبَ الدِّينِ قد أوجبَ علينا شيئاً ، فإن كانَ لا يشقُّ عليكُم . . وَفَيْنا بهِ ، وذكرَ لهُمُ الصُّورةَ .

فقالوا بأجمعِهِم : باللهِ عليكَ فاذكرْهُ ، فكلُّنا نُريدُ ما أرادَ ، فشرعَ وقرأَ القرآنَ مِن أوَّلِهِ إلىٰ آخِرِهِ مِن غيرِ أن يُعيدَ كلمةً ممَّا ذكرَهُ ليلاً !!

فأُبلِسَ النَّاسُ مِن قوَّةِ حفظِهِ وغزارةِ علمِهِ (١)

* * *

٧٧٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ شيخَنا عبدَ الوهَّابِ بنَ عليٍّ الأمينَ يقولُ : جاءَنِي القَزْوِينيُّ الواعظُ ليلاً ، فودَّعَني وذكرَ لي أنَّهُ مُتوجِّهٌ إلىٰ بلادِهِ ، فقلتُ لهُ : إنَّكَ ها هنا طيِّبٌ ، ووجوهُ النَّاسِ مُقبِلةٌ عليكَ ، والعصبيَّةُ لكَ ظاهرةٌ ، والأكابرُ والأعيانُ يُحِبُّونَكَ ويُعظِّمونَكَ ، وأوقاتُكَ في نشرِ العلمِ وحفظِ النَّاسِ محفوظةٌ ، تتركُ هٰذا كلَّهُ وتمضي ؟!

فقالَ لي : يا أخي ؛ معاذَ اللهِ أن أسكنَ في بلدةٍ يُجهَرُ فيها بسبِّ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ثمَّ خرجَ مِن بغدادَ إلىٰ قَزْوِينَ ، وكانَ آخرَ العهدِ بهِ (٢)

قالَ ابنُ النَّجَّارِ : وكانَ ذٰلكَ في أيَّامِ ابنِ الصَّاحبِ (٣) ؛ فإنَّهُ أظهرَ الرَّفضَ ، وقوَّىٰ أيديَ أهلِهِ ، فأظهروهُ واستولَوا علىٰ أهلِ السُّنَّةِ وقهروهُم .

---

(١) ذكره التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٠ ـ ١١) وعزاه لابن النجار .

(٢) انظر « الوافي بالوفيات » (٦/٢٥٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٦/١١) .

(٣) يعني : هبة الله بن عليّ ، أبا الفضل ، ابن الصَّاحب ، المقتول سنة (٥٨٣ هـ) ، وانظر « شذرات الذهب » لابن العماد (٦/٤٥٨) .

حِكَايَة

[إجلاسُ الجُنَيدِ للوعظِ]

٧٧٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا سليمانُ وعليٌّ ابنا محمَّدِ بنِ عليٍّ المَوْصِليِّ قالا : أنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ النَّيْسابوريُّ ـ قدمَ علينا ـ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ أبي صادقٍ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ باكويهِ الشِّيرازيُّ ، أنا أبو النَّجمِ البَرْذَعيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ بكيرِ بنِ أحمدَ الحَذَّاءُ ببغدادَ قالَ : سمعتُ النُّوريَّ يقولُ [١] : شاوَرَني سريٌّ السَّقَطيُّ في إجلاسِ الجُنَيدِ للوعظِ ، فقلتُ لهُ : امتحِنْ فِراستَهُ ، فإنْ صحَّتْ . . فأَجلِسْهُ .

فجلسَ في أوَّلِ مجلسٍ ، فأضمرَ القومُ في قلوبِهِمُ اثنَي عشرَ مسألةً ، فأصابَ ما في أسرارِهِم ، وكلٌّ يحلفُ أنَّهُ قد أخبرَ عمَّا أضمرَ !!

فقالَ القومُ : قد حلَّ لهُ الجلوسُ ؛ فليجلسْ .

٧٧٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ .

(ح) وأُخبِرتُ عنِ الشَّيخِ نجيبِ الدِّينِ الحَرَّانيِّ سماعاً قالا : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ ابنِ النُّعمانِ إجازةً : أنَّ أبا عليٍّ الحَدَّادَ أخبرَهُ قراءةً عليهِ .

قالَ ابنُ النَّجَّارِ : وأخبرَنا أبو طالبٍ الجَوْهَريُّ [قالَ] : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنا حَمْدُ بنُ أحمدَ قالا [٢] : أنا أبو نعيمٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ ، ثنا محمَّدُ بنُ عليّ بنِ حُبَيشٍ ، ثنا عمِّي أحمدُ بنُ حُبَيشٍ ، ثنا المُخرِّميُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ كثيرٍ ، عن عمرِو بنِ قيسٍ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (كونوا ينابيعَ

---

(١) يعني : أبا الحسين ، أحمد بن محمَّد ، النُّوريَّ الزَّاهد الصُّوفيَّ ، المتوفَّىٰ سنة (٢٩٥ هـ) . انظر « تاريخ بغداد » (٣٣٠/٦ ـ ٣٣٨) .

(٢) يعني : أبا عليٍّ ، الحسن بن أحمد بن الحسن ، الحَدَّاد المقرئ ، وأخاه أبا الفضل ، حَمْد بن أحمد بن الحسن ، الحَدَّاد الأصبهانيَّ .

العلمِ ، مصابيحَ اللَّيلِ ، خَلَقَ الثِّيابِ ، جُدُدَ القلوبِ . . تُعرَفوا بهِ في السَّماءِ ، وتُذكَروا بهِ في الأرضِ) [1]

فائدة

[مِن دعاءِ زينِ العابدينَ رحمَهُ اللهُ]

٧٧٦ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ السَّيِّديُّ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ حربِ بنِ بكرويهِ النَّهْروانيُّ المُقرِئُ قراءةً عليهِ ، أنا محمَّدُ بنُ ناصرٍ الحافظُ قراءةً عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وعبدِ الوهَّابِ ابنِ سُكَينةَ ، وابنِ المُقيَّرِ ، عن محمَّدِ بنِ ناصرٍ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ الصَّيْرفيُّ ، ثنا القاضي أبو الطَّيِّبِ الطَّبَريُّ ، ثنا أبو طاهرٍ المُخلِّصُ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ محمَّدٍ السُّكَّريُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ إسحاقَ المكِّيُّ قالَ : وحدَّثَني أحمدُ بنُ حميدٍ الأنصاريُّ ، عن عبيدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ قالَ : حدَّثَني شيخٌ مِن عبدِ القيسِ ، عن طاووسٍ قالَ : دخلتُ ذاتَ ليلةٍ الطَّوافَ ، فإذا عليُّ بنُ الحسينِ عليهِما السَّلامُ قد دخلَ الحِجْرَ ، قالَ : فقلتُ : رجلٌ مِن أهلِ الخيرِ ، لأستمعَنَّ إلىٰ دعائِهِ .

قالَ : فدنوتُ منهُ فإذا هوَ يقولُ : (مسكينُكَ بفِنائِكَ ، عُبَيدُكَ بفِنائِكَ ، سائلُكَ بفِنائِكَ ، خُوَيدمُكَ بفِنائِكَ) .

فما دعوتُ بهِ في هَمٍّ ولا غَمٍّ إلَّا استُجيبَ لي [2]

* * *

٧٧٧ ـ قلتُ : رويتُ عن بعضِ السَّلفِ بإسنادٍ لا يحضرُني : أنَّهُ كانَ يقولُ إذا قدمَ مكَّةَ ببابِ بني شيبةَ وهوَ واقفٌ : (مولايَ ؛ عبدُكَ ببابِكَ ، ضيفُكَ ببابِكَ ، سائلُكَ ببابِكَ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/٧٧) ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢/١٧٣) وعزاه لابن النجار .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » (٧٠) ، والتنوخي في « الفرج بعد الشدة » (١/١٤٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/٣٨٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٤/٤٥٩) ، والضياء المقدسي في « المنتقىٰ من مسموعات مرو » (ق/٣) مخطوط ، وانظر « ربيع الأبرار » (٢/٤٧٩) ، و« تهذيب الكمال » (٢٠/٣٩١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٣٩٣) .

يا مُحسِنُ ؛ قد جاءَكَ المُسيءُ ، وقد أمرتَ ـ يا مُحسِنُ ـ بالتَّجاوزِ عنِ المُسيءِ ، وأنتَ المُحسِنُ وأنا المُسيءُ ؛ تجاوزْ عن قبيحِ ما عندي بجميلِ ما عندَكَ ، فأنتَ بالمعروفِ موصوفٌ .

يا معروفاً بالمعروفِ ؛ أأدخلُ ؟) .

وأنَّهُ كانَ يُجابُ (١)

*

٧٧٨ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا بقاءُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ الباقي الأَزَجيُّ قالَ : أنا أبو غالبٍ أحمدُ بنُ الحسنِ ابنُ البَنَّاءِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، عن أبي غالبٍ ابنِ البَنَّاءِ قالَ : أنا القاضي أبو يعلىٰ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدٍ ابنُ الفَرَّاءِ ، أنا عيسى بنُ عليٍّ الوزيرِ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ، ثنا نعيمُ بنُ [هيصمٍ] (٢) ، أنا خلفٌ قالَ : كانَ سفيانُ [الثَّوْريُّ] يقولُ : (صنفانِ إذا صَلَحا . . صَلَحَتِ الأُمَّةُ ، وإذا فسدا . . فسدَتِ الأُمَّةُ : السُّلطانُ والعلماءُ) (٣)

حكايةٌ

[بينَ تميميٍّ وأعرابيَّةٍ]

٧٧٩ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا عمرُ بنُ محمَّدٍ المُؤدِّبُ ؛ هوَ ابنُ طَبَرْزَدٍ .

وأنبأَني أبو الفرجِ ابنُ وَرِّيدةَ ، عنِ ابنِ طَبَرْزَدٍ قالَ : أنا أبو غالبٍ أحمدُ بنُ الحسنِ ابنُ البَنَّاءِ ، أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عنِ الحسنِ الجَوْهَريِّ ، ثنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ابنُ حَيُّويهِ الخَزَّازُ ، ثنا العبَّاسُ بنُ العبَّاسِ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الحميدِ البصريُّ ، أخبرَني موسى بنُ عبدِ اللهِ الحَشْميُّ ، أخبرَني

---

(١) انظر « تنبيه الغافلين » للسمرقندي (ص ٥٣٩) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، و« ربيع الأبرار » (٤٩٢/٢) بلا نسبة .

(٢) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (هيضم) ، والمثبت موافق لما في « المشيخة البغدادية » ، وانظر « الطبقات الكبير » لابن سعد (٣٥٤/٩) ، و« التاريخ الكبير » للبخاري (٤٠٤/٧) ، و« تاريخ بغداد » (٤١٨/١٥) .

(٣) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/١٨٧) مخطوط .

عبيدُ اللهِ التَّميميُّ ، عن تميميّ آخرَ قالَ : بينا أنا أجوبُ بالباديةِ . . رأيتُ أعرابيَّةً وضيئةً ، فأعجبَني ما رأيتُ مِن جمالِها ، فقبضتُ قبضةً مِن تمرٍ مِن مِخْلاتي فأعطيتُها ، فجعلَتْ تأكلُ وتُخبِّئُ النَّوىٰ !!

قلتُ لها : إنَّهُ نوىً ؛ فلِمَ تُخبِّئينَهُ ؟

قالَتْ : لا ضَيْرَ ، إنَّهُ ينفعُ ، وأنشأَتْ تقولُ : [من الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ خَلِيلِكَ نِلْتَهُ ... وَإِنْ كَانَ أَدْنَىٰ مِنْ قَذَى ٱلْعَيْنِ يَنْفَعُ

فوهبتُ لها نصفَ درهمٍ فأخذَتْهُ ، وأنشأَتْ تقولُ[1] : [من الكامل]

لَيْسَ ٱلْعَطَاءُ مِنَ ٱلْفُضُولِ سَمَاحَةً ... حَتَّىٰ تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ

فأعجبَني ما سمعتُ منها ، فوهبتُ لها درهماً فأخذَتْهُ ، وأنشأَتْ تقولُ[2] : [من الخفيف]

لَيْسَ جُودُ ٱلْجَوَادِ مِنْ فَضْلِ مَالٍ ... إِنَّمَا ٱلْجُودُ لِلْمُقِلِّ ٱلْمُوَاسِي[3]

* * *

٧٨٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عمرَ المُذكِّرُ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عليٍّ البَزَّازُ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ الأنصاريُّ قالَ : أنا أبو إبراهيمَ أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدٍ النَّصْرويُّ ـ قدمَ علينا ـ قالَ : سمعتُ أبا سعدٍ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ جعفرٍ المُطيَّبيَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ الحسنِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الفضلَ بنَ عليٍّ يقولُ : جاءَ رجلٌ إلىٰ أبي بكرٍ الشِّبْليِّ ، فقالَ : يا شيخُ ؛ ما تقولُ فيمَن كانَ لهُ حظٌّ مِن قيامِ اللَّيلِ فتركَهُ ، ثمَّ عاودَهُ ، فهوَ يجهدُ أن يتأتَّىٰ لهُ فلا يقدرُ ؟

فنظرَ الشِّبْليُّ إليهِ ، وأنشأَ يقولُ : [من الطويل]

تَشَاغَلْتُمُ عَنَّا بِصُحْبَةِ غَيْرِنَا ... وَأَظْهَرْتُمُ ٱلْهِجْرَانَ مَا هٰكَذَا كُنَّا
وَأَقْسَمْتُمُ أَنْ لَا تَخُونُونَ فِي ٱلْهَوَىٰ ... فَقَدْ ـ وَحَيَاةِ ٱلْحُبِّ ـ خُنْتُمْ وَمَا خُنَّا

---

(١) البيت للمقنع الكندي كما في « ديوانه » (ص ١١٠) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/٣٠٠) ، وهو للعتبي في « الفاضل » للمبرد (ص ٣٩) .

(٢) البيت لمهدي بن سابق في « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٤٥٥) ، وبلا نسبة في « عيون الأخبار » لابن قتيبة (١/٣٣٤) ، و« الفاضل » للمبرد (ص ٣٩) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/٣٠١) .

(٣) انظر « التذكرة البلقينية » (١٩٢) .

لَيَالِيَ بِتْنَا نَجْتَنِي مِنْ ثِمَارِكُمْ ... فَقَلْبِي إِلَىٰ تِلْكَ ٱللَّيَالِي لَقَدْ حَنَّا[1]

وأُنبئتُ بهِ عن عبدِ المُعزِّ بنِ محمَّدٍ قالَ : أنا أبو سعدٍ ابنُ السَّمْعانيِّ قالَ : أنا أبو الفضلِ موسى بنُ عليٍّ الخيَّاطُ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ أحمدَ الأنصاريُّ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليٍّ الصُّوريُّ الحافظُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عليٍّ الحسنِ بنِ حفصِ بنِ الحسنِ البَهْرانيِّ ، سمعتُ محمَّدَ بنَ العبَّاسِ الضَّبِّيَّ ، سمعتُ أبا بكرٍ الشِّبْليَّ وسألَهُ رجلٌ فقالَ لهُ : يا أبا بكرٍ ؛ ما تقولُ في رجلٍ كانَ لهُ حظٌّ مِن قيامِ اللَّيلِ فتركَهُ ، ثمَّ عاودَهُ ، فهوَ يجهدُ أن ينالَهُ فلا يقدرُ ؟

قالَ : فأنشدَهُ : تشاغلتُم . . . الأبياتَ[2]

*

٧٨١ ـ وأُنبئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : سمعتُ أبا طالبٍ عليَّ بنَ محمَّدِ بنِ جعفرٍ يقولُ : برزَ توقيعٌ شريفٌ مِنَ الإمامِ النَّاصرِ لدينِ اللهِ[3] إلىٰ جلالِ الدِّينِ بنِ يونسَ ـ وكانَ نائباً بالدِّيوانِ العزيزِ ـ وهوَ : (لا ينبغي لأربابِ هـٰذا المقامِ أن يُقدِموا علىٰ أمرٍ لم ينظروا في عاقبتِهِ ؛ فإنَّ النَّظرَ قبلَ الإقدامِ خيرٌ مِنَ النَّدمِ بعدَ الفَواتِ .

ولا يُؤخَذُ البُرَآءُ بقولِ الأعداءِ ؛ فلكلِّ ناصحٍ كاشحٌ .

ولا يُطالبُ بالأموالِ مَن لم يَخُنْ في الأعمالِ ؛ فإنَّ المصادرةَ مكافأةٌ للظالمينَ ، وليكنِ العفافُ والتُّقىٰ رقيبَينِ عليكَ)[4]

*

٧٨٢ ـ قالَ[5] : وبرزَ توقيعٌ آخرُ منهُ إلى ابنِ يونسَ أيضاً علىٰ قصَّةٍ رفعَها عبدُ الغفَّارِ شيخُ النَّحَّاسيَّةِ في معنىٰ نوَّابِ المقاطعاتِ : (معَ علمِكَ بما قد تكرَّرَ تقدُّمُهُ إليكَ ؛ ممَّا افترضَهُ اللهُ علينا ، ويلزمُنا القيامُ بهِ . . كيفَ تُهمِلُ حالَ النَّاسِ حتَّىٰ تمَّ عليهِم ما قد بُيِّنَ

---

(١) انظر « التذكرة البلقينية » (١٩٣) .

(٢) أخرجه أبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٠٧٩) .

(٣) هو النَّاصر لدين الله ، أبو العبَّاس ، أحمد أمير المؤمنين ابن الإمام أبي محمَّد الحسن المُستضيء بأمر الله بن الإمام أبي المظفَّر يوسف المُستنجِد بالله بن الإمام أبي عبد الله محمَّد المُقتفي لأمر الله ، توفِّي ليلة الأحد سلخ شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستِّ مئة ، عن تسع وستِّين سنة ، ومدَّة خلافته سبع وأربعون سنة إلَّا شهراً . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

(٤) ذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٤٥/٨٩) وعزاه لابن النجار .

(٥) أي : أبو طالب ، عليَّ بن محمَّد بن جعفر ، البغداديَّ الأجلَّ ، وكان حاجباً للنَّاصر لدين الله ، وقد تقدم .

في باطنِها ؟! فتنصفُ الرَّجلَ ، وتقابلُ العاملَ إن لم يفلجْ بحجَّةٍ شرعيَّةٍ)[1]

حكاية

[في توقيعِ النَّاصرِ لدينِ اللهِ إلىٰ بعضِ نوَّابِهِ]

٧٨٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : كتبَ إليَّ الشَّريفُ أبو طالبٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ العبَّاسيُّ الواسِطيُّ ونقلتُهُ مِن خطِّهِ قالَ : حدَّثَني أبو طالبٍ نصرُ بنُ عليٍّ ابنُ النَّاقدِ صاحبُ المخزنِ : أنَّ نوَّابَ التَّركاتِ اعترضوا تركةَ تاجرٍ غريبٍ ، ماتَ ببغدادَ ، ولهُ أختٌ بخوارزمَ ، وشهدَ بذٰلكَ جماعةٌ مِنَ التُّجَّارِ ، فاستأمرَ النُّوَّابُ في التَّصرُّفِ في جميعِ التَّركةِ وصرفِها في مشاهراتِ الغلمانِ الخواصِّ ، ويكونُ ما يخصُّ الأختَ قَرْضاً على التَّركاتِ ، فإن حضرَتْ أو وكيلُها . . أُعيدَ العوضُ .

وشرحَ ابنُ النَّاقدِ ذٰلكَ في مطالعةٍ كتبَها ، فوقَّعَ الإمامُ النَّاصرُ لدينِ اللهِ بقلمِهِ الشَّريفِ عليها : (﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2] ، لا يعتقدْ مَن هوَ قريبٌ مِن خدمتِنا ، ومُخلِصٌ في عبوديَّتِنا أنَّنا ننفعُهُ عندَ عرضِهِ يومَ المَعادِ على الحساب ، ولا أنَّا نقيهِ حرَّ النَّارِ وأليمَ العذابِ ، فلينظرْ كلٌّ لِمَا أُهِّلَ لهُ ، وليتَّقِ اللهَ فيما يفعلُهُ ، فإنَّا قد قَلَّدْنا كلَّ مَن أهَّلْناهُ لخدمةِ مظالمِ العبادِ ، فإن أحسنَ . . فلنفسِهِ ، وإن أساءَ . . فعليها ، ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرىٰ .

ولئن تحقَّقْنا وانتهىٰ إلىٰ علومِنا أنَّ أحدَكُم قد ظلمَ ولو بمقدارِ ذرَّةٍ . . كنَّا المُعاقِبينَ لهُ في الدُّنيا ، والمُقتصِّينَ منهُ في العاجلةِ ، وحسابُهُ عندَ اللهِ تعالىٰ في الآخرةِ الآجلةِ .

فَلْتَجْرِ الأمورُ على الإنصافِ ، وَلْتُحَقَّقْ أمثالُ هٰذا ، ثمَّ يُعمَلُ بالشَّرعِ ، وهٰذا تقدُّمٌ كافٍ) .

حكاية

[مِن عُشَّاقِ المجانينِ]

٧٨٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ .

---

(١) ذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٤٥/٩٠) وعزاه لابن النجار .

(٢) سورة البقرة : (٢٨١) .

وأنبأني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي الفرجِ ابنُ المُكبِّرِ قالا : أنبأنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، عن حمزةَ بنِ المُظفَّرِ الحاجبِ ، أنا القاضي عزيزيُّ بنُ عبدِ الملكِ الحنفيُّ قراءةً عليهِ قالَ : سمعتُ أبا غالبٍ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ الحسنِ السَّرَّاجَ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : بينا أنا مُجتازٌ على البِيمارِستانِ العضديّ الجديدِ ببغدادَ . . إذ رأيتُ شاباصَ الطبيبَ ، فقالَ : هل لكَ في أعجوبةٍ تراها ممَّا يفرحُ العينَ ويُحزنُ القلبَ ؟

فقلتُ لهُ : حريقٌ علىٰ حريقٍ .

فقالَ : نعم ، فدخلتُ معَهُ علىٰ عقلاءِ المجانينِ ، فإذا بينَهُم غلامٌ يرنو عن طَرْفٍ سقيمٍ ، ويَبسِمُ عن خَلْقٍ كريمٍ ، علىٰ عنقِهِ سلاسلُ غُلٍّ عظيمٍ ، وعلىٰ قدمَيهِ حلقُ قيدٍ جسيمٍ ، فتارةً يُنشِدُ ويُغنِّي ، وتارةً يشتمُ ويَزْبي [1] ، فنظرتُ إلىٰ وجهِهِ فكأنَّ محاسنَ الأنوارِ عن وجهِهِ مُقتبَسةٌ ، وأطايبَ العِطرِ عن نكهتِهِ مُلتمَسةٌ ، واختلطَتْ دموعُهُ بدمائِهِ ، وجنونُهُ بذكائِهِ ، فطَوْراً يبكي ويحزنُ ، وطَوْراً ينخُرُ ويزعَقُ ، ويقولُ : اكتبوا ، لا يفوتُكُم كما فاتَ الأوَّلَ ، فقلتُ : أيَّ شيءٍ أكتبُ ؟ فأنشدَ وكتبتُ : [من الطويل]

وَلَوْ كَانَ يُعْدِينِي ٱلْأَمِيرُ ٱعْتَدَيْتُهُ ... عَلَىٰ قَمَرٍ مَا إِنْ يُرِيدُ سِوَىٰ قَتْلِي

أَلَيْسَ عَجِيبٌ يُسْلَبُ ٱلْمَرْءُ ثَوْبَهُ ... فَيُعْدَىٰ وَلَا يُعْدَىٰ عَلَىٰ سَالِبِي عَقْلِي ؟!

فأنكىٰ قلبي ، وأبكىٰ عيني ، وفارقتُهُ ولم أصبرْ عنهُ حتَّىٰ عدتُ إليهِ مِن غدٍ ، وقد ضُوعِفَتْ سلاسلُهُ ، وأُحكِمَتْ أغلالُهُ ، وقد ضعفَتْ مُنْيَتُهُ ، وسقطَتْ قوَّتُهُ ، وقدِ استلقىٰ وهوَ ينشدُ بصوتٍ خفيٍّ [2] : [من البسيط]

لَمَّا ٱسْتَقَلَّتْ غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ عِيسُهُمُ ... وَرَحَّلُوهَا وَسَارَتْ بِٱلْهَوَى ٱلْإِبِلُ

وَأَبْرَزَتْ مِنْ خِلَالِ ٱلسَّجْفِ [3] نَاظِرَهَا ... تَرْنُو إِلَيَّ وَدَمْعُ ٱلْعَيْنِ مُنْهَمِلُ

وَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عَقْدُهُ عَنَمٌ ... نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يَا جَمَلُ

وَيْلِي مِنَ ٱلْبَيْنِ مَا قَدْ حَلَّ بِي وَبِهَا ... مُذْ نَازَلَ ٱلْبَيْنُ حَلَّ ٱلْحَيْنُ وَٱرْتَحَلُوا

---

(١) يَزْبي : يُزعِج .

(٢) الأبيات في « العقد الفريد » (٦/١٦٨) ، و« عقلاء المجانين » لأبي القاسم المفسر (٥٦٥) ، و« ذم الهوىٰ » لابن الجوزي (١٠٨٩) .

(٣) السَّجف : السِّتر .

يَا حَادِيَ ٱلْعِيسِ عَرِّجْ كَيْ نُوَدِّعَهُمْ ... يَا حَادِيَ ٱلْعِيسِ فِي تَرْحَالِكَ ٱلْأَجَلُ
إِنِّي عَلَى ٱلْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ ... فَلَيْتَ شِعْرِي وَطَالَ ٱلْعَهْدُ مَا فَعَلُوا ؟

ووقعَ ميّتاً في الحالِ !!

* * *

٧٨٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو القاسمِ عبدُ السَّلامِ بنُ شعيبِ بنِ طاهرٍ الوَطِيسيُّ ، أنا عبدُ الكريمِ بنُ مكّيٍّ المُقرِئُ ، أنا أبو الفرجِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ عثمانَ القُومَسانيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسينِ السَّعيديُّ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ إبراهيمَ الصَّرَّامَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ زكريَّا البغداديَّ يقولُ : ثنا أبو محمَّدٍ جعفرُ بنُ محمَّدٍ الخوَّاصُ ، ثنا أبو الخطَّابِ العَنْسيُّ قالَ : حدَّثوا عن يحيى بنِ مُعاذٍ قالَ : (سُقْمُ الجسدِ مِنَ الألمِ ، وسُقْمُ القلبِ مِنَ الآثامِ ، فكما لا يجدُ معَ سُقْمِهِ لذَّةَ الطَّعامِ . . كذٰلكَ القلبُ لا يجدُ حلاوةَ ربِّهِ معَ الذُّنوبِ العظامِ)[1]

* * *

٧٨٦ ـ قالَ : (وكانَ يقولُ : يا أخي ؛ إنَّ اللهَ يُكثِرُ لكَ ما تُحِبُّ ؛ فلا تُكثِرْ لهُ ما يكرهُ)[2]

حكاية

[ذبحَ نفسَهُ حسداً]

٧٨٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ سعيدُ بنُ محمَّدٍ المُؤدِّبُ ، عن أبي عبدِ اللهِ يحيى بنِ أبي عليِّ الحسنِ بنِ أحمدَ ابنِ البَنَّاءِ قالَ : أنا والدي قالَ : أنا ابنُ الحَمَّاميِّ إجازةً ، عن أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ الحسينِ الآجُرِّيِّ قال : حدَّثني أبو الطَّيِّبِ أحمدُ بنُ سعدٍ الحاجبِ مولىٰ عبيدِ اللهِ بنِ يحيى بنِ خاقانَ قالَ : حدَّثَني أبي ؛ سعدٌ الحاجبُ قالَ : سمعتُ زرارةَ حاجبَ المُتوكِّلِ يقولُ : كانَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ في وقتِ المُتوكِّلِ أميراً ببغدادَ ، وكانَ ابنُهُ محمَّدٌ بسُرَّ مَن رأىٰ عندَ المُتوكِّلِ .

قالَ زرارةُ : فجاءَني محمَّدُ بنُ إسحاقَ ذاتَ يومٍ ، فقالَ : استأذنْ لي علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فاستأذنتُ لهُ ، فأذنَ لهُ ، فدخلتُ معَهُ فسلَّمَ عليهِ ، ثمَّ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ رُفِعَ إليَّ

---

(١) انظر « التذكرة البلقينية » (٥٨) ، و« طبقات الأولياء » لابن الملقن (ص ٢١٩) عن ذي النون المصري .

(٢) انظر « التذكرة البلقينية » (٥٩) .

اليومَ فيما رُفِعَ رجلٌ مِنَ التُّجَّارِ أُصيبَ مذبوحاً علىٰ سطحِ جارٍ لهُ ، وقد أخذتُ صاحبَ المنزلِ ، فيأمرُ أميرُ المؤمنينَ بما يرىٰ .

فقالَ لهُ المُتوكِّلُ : اذهبْ فطالبْ صاحبَ المنزلِ بدمِ هـٰذا ، فإن خرجَ منهُ بشيءٍ ، وإلَّا . . فاقتلْهُ بهِ .

قالَ : فخرجَ محمَّدُ بنُ إسحاقَ ، فمكثَ مدَّةً ثمَّ وافاني ، فقالَ : استأذنْ لي علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فقلتُ : السَّاعةَ كنتَ عندَهُ !! فقالَ : قد حدثَ أمرٌ لا بدَّ مِن أن يقفَ عليهِ .

قالَ : فاستأذنتُ لهُ ، فأذنَ لهُ ، فدخلتُ معَهُ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أخذتُ صاحبَ المنزلِ وهوَ رجلٌ مِنَ التُّجَّارِ ، فقلتُ : مَن قتلَ هـٰذا الرَّجلَ ؟ فقالَ : لا علمَ لي بذٰلكَ ، فقلتُ : دعْ عنكَ ذا ، وأمرتُ فشدُّوا رأسَهُ ، وأمرتُ السَّيَّافَ فأخذَ السَّيفَ ، ثمَّ قلتُ لهُ : اعلمْ أنَّ السَّيَّافَ يستأذنُ ثلاثاً ، فإن أذنتُ لهُ في الثَّالثةِ . . ضربَ عنقَكَ ، فاخرجْ لي عن قصَّةِ قتلِ هـٰذا الرَّجلِ كيفَ كانَتْ ، فقالَ : ما أعرفُ مِن قتلِهِ قليلاً ولا كثيراً .

فقلتُ : فتَتَّهِمُ بهِ غيرَكَ ؟ فقالَ : لا ، فقالَ السَّيَّافُ : أضربُ ؟ فقلتُ : اضربْ ، ثمَّ ساءلتُهُ ، فقالَ : ما أعرفُ مِن قتلِهِ شيئاً .

فقلتُ : بينَكَ وبينَهُ قسوةٌ ؟ فقالَ : لا ، فقالَ السَّيَّافُ : أضربُ ؟ فقلتُ : اضربْ ، ثمَّ قلتُ لهُ : قدِ استأذنَ مرَّتينِ ، وإنَّهُ إنِ استأذنَنِي الثَّالثةَ فأذنتُ لهُ . . ضُرِبَتْ رقبتُكَ ، فقالَ : ما أعرفُ مِن أمرِ قتلِهِ شيئاً ، فإذا بصائحٍ مِن خارجٍ يقولُ : لا تقتلوهُ ، فقلتُ : مَن هـٰذا ؟ قالوا : مملوكُ المقتولِ ، فقلتُ لهُ : ما قصَّتُكَ ؟ فقالَ : لا تقتلْ هـٰذا الرَّجلَ ، أنا قتلتُ مولايَ هـٰذا ، فقلتُ : حُلُّوا رأسَ الرَّجلِ ، فحلُّوهُ ، ثمَّ أقبلتُ على المملوكِ ، فقلتُ لهُ : لِمَ قتلتَهُ ؟

فقالَ : اسمعْ قصَّتيَ ، اعلمْ أنَّ هـٰذا الرَّجلَ كانَ مُحسِناً إلىٰ مولايَ ، وكانَ مولايَ يحسدُهُ حسداً شديداً ، فقالَ لي يوماً : أليسَ قد أنعمتُ عليكَ وأحسنتُ إليكَ ؟ فقلتُ : بلىٰ .

فقالَ : لي إليكَ حاجةٌ تُعاونُني عليها ، فقلتُ : ما هيَ ؟

فقالَ : فلانٌ قد وسَّعَ اللهُ عليهِ وأعطاهُ ، وليسَ تقوىٰ نفسي أنِّي أراهُ هـٰكذا !! وقد عملتُ سُلَّماً مِن حبلٍ ، وعملتُ موسىً حادّاً ، فاعبرْ معي إلىٰ سطحِ هـٰذا الرَّجلِ ، واذبحْني وانصرفْ !!

قالَ : قلتُ لهُ : يا مولايَ ؛ وأيشٍ لكَ في هـٰذا مِنَ الرَّاحةِ ؟ فقالَ : أعلمُ أنَّهُ يُؤخَذُ بدمي ، ويُؤخَذُ مالُهُ ، وتُنهَبُ دارُهُ وتُهتَكُ حُرَمُهُ ، وتزولُ نعمتُهُ !!

قالَ : فقلتُ لهُ : يا مولايَ ؛ وأنتَ أيضاً تذهبُ ؟! فقالَ لي : ليسَ تقوىٰ نفسي ولا تهدأُ إلَّا علىٰ هـٰذا .

قالَ : فأنا معَهُ منذُ مدَّةٍ طويلةٍ علىٰ هـٰذا ، فلمَّا كانَ البارحةَ . . ارتقيتُ أنا وهوَ على السُّلَّمِ الحبلِ ـ قالَ : وأحضرَ محمَّدُ بنُ إسحاقَ معَهُ السُّلَّمَ والموسىٰ ـ ، قالَ : وذبحتُهُ بهـٰذهِ .

فلمَّا أصبحتُ يومي . . ندمتُ ، وقلتُ : البارحةَ قتلتُ مولايَ ، ويُقتَلُ اليومَ بسببي آخَرُ ؟! وهـٰذا الرَّجلُ بريءٌ ، فانظرْ ما ترىٰ فافعلْهُ .

قالَ : فقالَ المُتوكِّلُ لجُلَسائِهِ : سمعتُم بشيءٍ أعجبَ مِن هـٰذا !! رجلٌ حسدَ رجلاً ، فحملَهُ الحسدُ علىٰ أن قتلَ نفسَهُ !! تعلمونَ أنَّ أحداً بلغَ بهِ الحسدُ إلىٰ هـٰذا ؟

قالَ : فجعلوا يذكرونَ : مَن حسدَ . . يقتلُ ، ومَن حسدَ . . يسعىٰ إلى السُّلطانِ ، ومَن حسدَ . . ألقى الحريقَ ، ما سمعْنا أنَّ أحداً حملَهُ الحسدُ علىٰ أن قتلَ نفسَهُ !!

قالَ : فقالَ لهُ المُتوكِّلُ : لقد جئتَني بشيءٍ لم يُسمَعْ بمثلِهِ ، امضِ فاسألْ هـٰذا الرَّجلَ أن يجعلَنا في حلٍّ ممَّا روَّعْناهُ ، واقضِ لهُ كلَّ حاجةٍ يُريدُ .

وأمَّا هـٰذا المملوكُ . . فقلْ لهُ : يا عدوَّ اللهِ ؛ لولا أنَّكَ قد خلَّصتَ هـٰذا الرَّجلَ مِنَ القتلِ . . لأَقَدْتُكَ بهِ ، ولـٰكنْ لا تُجاوِرُني بسُرَّ مَن رأىٰ ، هبْ لهُ شيئاً واصرفْهُ عنكَ ، أو كما قالَ أبو الطَّيِّبِ ، يزيدُ أو ينقصُ .

هـٰكذا أوردَ هـٰذهِ الحكايةَ أبو عليٍّ ابنُ البَنَّاءِ في كتابِ « ذمِّ الحسدِ » مِن جَمْعِهِ ، ونقلتُها مِن خطِّهِ .

حكاية

[كيفَ ترىٰ ؛ إذا أرادَ أن يرزقَ ويُفرِّجَ]

٧٨٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أحمدُ بنُ يحيى الخازنُ قالَ : أنا الحسينُ بنُ عليٍّ الكُوفيُّ ، أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ الصَّيْرفيُّ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ ، أنا أبي قالَ : حدَّثَني محمَّدُ بنُ هلالِ بنِ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ ، والحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ الجَنَّابيُّ قالا : ثنا القاضي أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سيَّارٍ قالَ : ثنا رجلٌ مِنَ الصُّوفيَّةِ قالَ : صحبتُ شيخاً مِنَ الصُّوفيَّةِ أنا وجماعةٌ في سفرٍ ، فجرىٰ حديثُ التَّوكُّلِ والأرزاقِ وضعفِ اليقينِ فيهما وقوَّتِهِ ، فقالَ ذٰلكَ الشَّيخُ : عليَّ وعليَّ ـ وحلفَ بأيمانٍ عظيمةٍ ـ : لا ذقتُ مأكولاً أو يبعثَ اللهُ إليَّ بجامةٍ فالوذجٍ حارٍّ[1] ، ولا أكلتُهُ إلَّا بعدَ أن يُحلَفَ عليَّ .

قالَ : وكنَّا نمشي في الصَّحراءِ ، فانتهيْنا إلىٰ قريةٍ ، ومضىٰ عليهِ يومانِ وليلتانِ لم يَطْعَمْ فيها شيئاً ، ففارقَتْهُ الجماعةُ غيري ، فإنَّهُ طرحَ نفسَهُ في مسجدٍ مِنَ القريةِ ، وقد ضعفَتْ قوَّتُهُ ، وأشرفَ على الموتِ ، فأقمتُ عليهِ .

فلمَّا كانَ في ليلةِ اليومِ الرَّابعِ ، وقدِ انتصفَ اللَّيلُ وكادَ الشَّيخُ يتلفُ . . فإذا ببابِ المسجدِ قد فُتِحَ ، وإذا جاريةٌ سوداءُ معَها طبقٌ مُغطّىً ، فلمَّا رأَتْنا . . قالَتْ : أنتم غرباءُ أو مِن أهلِ القريةِ ؟

فقلْنا : غرباءُ ، فكشفَتِ الطَّبقَ ؛ فإذا بجامٍ فالوذجٍ يفورُ بحرارتِهِ !! فقالَتْ : كُلوا ، فقلتُ لهُ : كُلْ ، فقالَ : لا أفعلُ ، فقلتُ : لا واللهِ ؛ لا أكلتُ أو تأكلَ ، وواللهِ لتأكلَنَّ ؛ لِأُبِرَّ قَسَمَهُ .

فقالَ : لا أفعلُ ، فشالَتِ الجاريةُ يدَها ، فصفعَتْهُ صفعةً عظيمةً ، وقالَتْ : واللهِ ؛ لئن لم تأكلْ . . لأصفعَنَّكَ هٰكذا إلىٰ أن تأكلَ .

قالَ : فقالَ : كُلْ معي ، فأكلْنا حتَّىٰ نظَّفْنا الجامَ ، وأخذَتْهُ الجاريةُ لتمضيَ ، فقلتُ : مكانَكِ ؛ خبِّريني بخبرِكِ وخبرِ هٰذا الجامِ .

فقالَتْ : نعم ، أنا جاريةُ رجلٍ هوَ رئيسُ هٰذهِ القريةِ ، وهوَ رجلٌ حَديدٌ ، وطلبَ منَّا هٰذهِ السَّاعةَ فالوذجاً حارّاً ، فقمْنا لنُصلِحَهُ وهوَ شتاءٌ وبردٌ ، فإلىٰ أن تُخرَجَ الحوائجُ مِنَ البيتِ ، وتُشعَلَ النَّارُ ، ويُعقَدَ الفالوذجُ . . تأخَّرَ عليهِ .

فطلبَهُ فقلْنا : نعم ، وطلبَهُ ثانيةً ولم نكنْ قد فرغْنا منهُ ، وطلبَهُ الثَّالثةَ فقلْنا : نعم ،

---

(١) الجامة : إناءٌ من فضَّة .

فحَرَدَ[1] ، وحلفَ بالطَّلاقِ لا أكلَهُ هوَ ، ولا أحدٌ مِن دارِهِ ، ولا أحدٌ مِن أهلِ القريةِ ، ولا أكلَهُ إلَّا غريبٌ .

فجعلْناهُ في الجامِ ، وخرجْنا نطلبُ في المساجدِ غريباً ، فوجدْناكُم ، ولو لم يأكلْ هٰذا الشَّيخُ . . لقتلتُهُ إلىٰ أن يأكلَ ؛ لئلَّا تطلقَ ستِّي مِن زوجِها .

فقالَ ليَ الشَّيخُ : كيفَ ترىٰ ؛ إذا أرادَ أن يرزقَ ويُفرِّجَ ؟![2]

حكاية

[بينَ أشناسَ التُّركيِّ والحسنِ بنِ سهلٍ]

٧٨٩ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وعبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وغيرِهِما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ التَّنُوخيُّ إذناً ، عن أبيهِ قالَ : حدَّثَنيَ القاضي أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سيَّارٍ قالَ : بلغَني أنَّ المُعتصِمَ لمَّا أَمَّرَ أشناسَ التُّركيَّ مولاهُ . . خلعَ عليهِ ، وأقطعَهُ حقَّ بيتِ المالِ والرِّقبةِ في ضياعِ الحسنِ بنِ سهلٍ بعشرةِ آلافِ ألفِ درهمٍ .

فبلغَ الحسنَ ذٰلكَ ، فجاءَ إلىٰ أشناسَ ، فألفاهُ والخلعُ عليهِ حينَ عادَ مِن حضرةِ المُعتصِمِ ، فهنَّأَهُ ودعا لهُ ، وقالَ لهُ : بلغَني أنَّ أميرَ المؤمنينَ أقطعَكَ حقَّ بيتِ المالِ والرِّقبةِ في ضياعي ، فأحببتُ أن يكونَ ما أقطعَكَ مِن ذٰلكَ صحيحاً مُهيّأً ، فجئتُكَ ومعي على البابِ بغالٌ ، عليها صِكاكُ الضِّياعِ الَّتي أملكُها لأُسلِّمَها إليكَ ، فتأمرُ بقبضِها .

قالَ : فاستظرفَ أشناسُ ذٰلكَ ، وفكَّرَ ساعةً ، ثمَّ قالَ لهُ : وكمِ الواجبُ عليكَ لحقِّ بيتِ المالِ في ضياعِكَ ؟ قالَ : ثلاثةُ آلافِ ألفِ درهمٍ .

قالَ : وكمِ ارتفاعُكَ بحقِّ الرِّقبةِ ؟ قالَ : سبعةُ آلافِ ألفِ درهمٍ .

قالَ : وكم تعولُ ؟ قالَ : ثلاثةَ آلافِ نفسٍ .

قالَ : فركبَ أشناسُ في الحالِ ولم يُكلِّمْهُ ، وقالَ : اجلسْ إلىٰ أن أعودَ ، قالَ : فرجعَ

---

(١) حَرَدَ : غَضِبَ .

(٢) أخرجه التنوخي في « نشوار المحاضرة » (٣/٧٦ ـ ٧٧) .

يُريدُ الخليفةَ والخلعُ عليهِ ، فلمَّا صارَ في الدَّارِ . . أنكرَ الحُجَّابُ والخدمُ ذٰلكَ ، فدخلوا إلى المُعتصِمِ وعرَّفوهُ ، فقالَ : أشناسُ عاقلٌ ، وما فعلَ هـٰذا إلَّا لمُهِمٍّ ، أَدخِلوهُ .

فدخلَ وقبَّلَ الأرضَ بينَ يدَيهِ ، فقالَ لهُ : ما جاءَ بكَ وعليكَ خلعُكَ ؟ قالَ : أمرٌ حَفَزَني[(١)]

قالَ : وما هوَ ؟ قالَ : فقصَّ عليهِ قصَّةَ الحسنِ بنِ سهلٍ معَهُ ، ثمَّ قالَ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما أُحِبُّ أن يرتفعَ إلى اللهِ جلَّ وعزَّ كلَّ ليلةٍ ستَّةُ آلافِ يدٍ ؛ تدعو عليكَ وعليَّ ، وأنا أقتصرُ على الثَّلاثةِ الآلافِ ألفِ درهمٍ في كلِّ سنةٍ الَّتي هيَ حقُّ بيتِ المالِ ، فإن رأىٰ أميرُ المؤمنينَ أن يأمرَ بردِّ السَّبعةِ الآلافِ ألفِ درهمٍ على الحسنِ بنِ سهلٍ .

فهالَ المُعتصِمَ ما رأىٰ مِن فضلِهِ ، ورقَّ على الحسنِ بنِ سهلٍ ، وقالَ : بل يُرَدُّ على الحسنِ حقُّ رِقبتِهِ لشفاعتِكَ ، ويُنظَرُ لهُ أيضاً مِن حقِّ بيتِ المالِ بألفِ ألفِ درهمٍ ؛ لأجلِ ما فعلَهُ مِنَ المسارعةِ إلىٰ طاعتِنا ، ونُعوِّضُكَ ثمانيةَ آلافِ ألفِ درهمٍ مِن ضياعٍ أُخَرَ .

ثمَّ دعا بوزيرِهِ ، وأمرَهُ بذٰلكَ ، فوقَّعَ بهِ بحضرتِهِ ، وسلَّمَهُ إلىٰ أشناسَ ، فقبَّلَ الأرضَ وانصرفَ .

وعادَ فوجدَ الحسنَ ينتظرُهُ ، فسلَّمَ إليهِ التَّوقيعَ بذٰلكَ وصرفَهُ[(٢)]

حكاية

[في رزقِ العبدِ مِن حيثُ لا يحتسبُ]

٧٩٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا أحمدُ بنُ سلمانَ الحَرْبيُّ ونقلتُهُ مِن خطِّهِ قالَ : حدَّثَني أحمدُ بنُ هلالٍ العُرَيبيُّ قالَ : كانَ الشَّيخُ أحمدُ ـ يعني : ابنَ أبي المجدِ ـ صديقي ، وكنتُ كثيراً أشتهي أن يُكلِّفَني حاجةً فما يفعلُ ، فنفذَ إليَّ في بعضِ الأيَّامِ فأتيتُهُ ، فقالَ لي : أُريدُ تقرضُني عشرةَ قراريطَ قدِ احتجتُ إليها ، فلم أقدرْ عليها في الحالِ ، فضاقَ صدري لذٰلكَ ، وقلتُ في نفسي : هـٰذا لمَّا استقضاني في حاجةٍ ؟!

وبتُّ ليلتي بغصَّةٍ ؛ كيفَ لم أقدرْ عليها ؟ وعزمتُ علىٰ أنِّي مِنَ الغدِ أبيعُ قطعةَ إبْريسَمٍ لأجلِهِ .

---

(١) حَفَزَ : أزعج .

(٢) انظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٤/١٣١) ، و« التذكرة الحمدونية » (١/٤٣٧) .

فانتبهتُ في اللَّيلِ للسُّحورِ ، فرأيتُ في بعضِ زوايا البيتِ شيئاً يبرقُ ؛ فإذا هوَ دينارٌ ، فنبشتُ التُّرابَ ؛ فإذا آخَرُ ، وكانَ قد ضاعَ منِّي مِن مدَّةٍ نحوٌ مِن عشرةِ دنانيرَ في خِرْقةٍ ، وطالَتْ مدَّتُها فأُنسيتُها ، وإذا بالذَّهبِ في سَرَبِ الفأرِ ، وقد قرضوا الخِرْقةَ ، فاستخرجتُ الذَّهبَ كلَّهُ ، وبكرتُ فأخذتُ منهُ ديناراً ، وقصدتُ الشَّيخَ وتعذَّرتُ إليهِ ، وقلتُ : واللهِ ؛ لقد سهَّلَهُ اللهُ مِن حيثُ لا أحتسبُ .

فقالَ : الحمدُ للهِ الَّذي ما خيَّبَ دعائي ؛ ما زلتُ منذ اللَّيلةِ أسألُ اللهَ أن يرزقَكَ وإيَّانا مِن حيثُ لا نحتسبُ .

حكاية

[احذرْ أن تردَّ يداً امتدَّتْ إليكَ]

٧٩١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : وذكرَ بعضُ المُؤرِّخينَ أنَّ أحمدَ بنَ طُولُونَ ركبَ يوماً إلى الصَّيدِ ، فلمَّا ظعنَ في البرِّيَّةِ . . غاصَتْ يدُ دابَّةِ بعضِ أصحابِهِ في وسطِ الرَّملِ ، فكشفَ المكانَ ، فرأىٰ مُطلِباً واسعاً ، فوجدَ فيهِ مِنَ المالِ ما قيمتُهُ ألفُ ألفِ دينارٍ ، فأنفقَ معظمَهُ في البرِّ والصَّدقاتِ ، وبنى الجامعَ .

وقالَ لهُ وكيلُهُ يوماً : رُبَّما امتدَّتْ إليَّ الكفُّ المُطرَّفةُ[1] ، والمِعصَمُ فيهِ السِّوارُ والكمُّ النَّاعمُ ؛ فأَمْنَعُ هٰذهِ الطَّبقةَ ؟

فقالَ لهُ : ويحَكَ !! هٰؤلاءِ المستورونَ الَّذينَ يحسبُهُمُ الجاهلُ أغنياءَ مِنَ التَّعفُّفِ ، احذرْ أن تردَّ يداً امتدَّتْ إليكَ[2]

* * *

٧٩٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو البركاتِ الشَّافعيُّ بدِمشقَ قالَ : أنا عمِّي أبو القاسمِ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن غيرِ واحدٍ ، عنِ الحافظِ أبي القاسمِ ابنِ عساكرَ قالَ : قرأتُ بخطِّ أبي الحسينِ الرَّازيِّ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ حميدِ بنِ أبي العجائزِ ، وغيرَهُ مِن شيوخِ دِمشقَ قالوا : لمَّا دخلَ أحمدُ بنُ طُولُونَ دِمشقَ . . وقعَ فيها حريقٌ عندَ كنيسةِ مريمَ ، فركبَ إليهِ

---

(١) المُطرَّفة : المُردَّاة برداءٍ من خَزٍّ مُربَّعٍ ذي أعلام .

(٢) انظر « المنتظم » (٧/١٨٨) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٦/٧٩) ، و« النجوم الزاهرة » لابن تغري بردي (٣/١٠ ، ١٢) .

ابنُ طُولُونَ ، وأمرَ بسبعينَ ألفَ دينارٍ أن يُخرَجَ مِن مالِهِ ، ويُعطَىٰ كلُّ مَنِ احترقَ لهُ شيءٌ ، ويُقبَلَ قولُهُ ، ولا يُستحلَفَ عليهِ .

فأعطَوا وفَضَلَ مِنَ المالِ أربعةَ عشرَ ألفَ دينارٍ ، فرُوجِعَ فيما بقيَ مِنَ المالِ ، فأمرَ أن يُفرَّقَ علىٰ أصحابِ الحريقِ علىٰ قدرِ سهامِهِم (١)

*

٧٩٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ بخطِّ أبي الحسينِ الرَّازيِّ قالَ : حدَّثَني أبو الحارثِ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ المُرِّيُّ قالَ : كانَ أوَّلُ دخولِ أحمدَ بنِ طُولُونَ دِمشقَ في وقتٍ سارَ إليها مِن مصرَ في سنةِ أربعٍ وستِّينَ ومئتَينِ بعدَ موتِ واليها ، وأخذَ لهُ مالاً عظيماً .

وخرجَ عن دِمشقَ حتَّىٰ صارَ إلىٰ أنطاكِيَةَ ، وحاصرَ سِيما وأصحابَهُ حتَّىٰ ظفرَ بهِ وقتلَهُ ، وأخذَ لهُ مالاً عظيماً ، وفتحَها عنوةً .

ثمَّ صارَ إلىٰ طَرَسُوسَ ، ثمَّ رجعَ إلىٰ دِمشقَ في هٰذهِ السَّنةِ في آخِرِها ، واعتلَّ بدِمشقَ .

وخرجَ إلىٰ مصرَ ، فتُوُفِّيَ بها في ذي القعدةِ سنةَ سبعينَ ومئتَينِ ، وعمرُهُ خمسونَ سنةً (٢)

*

٧٩٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ قالوا : أنبأَنا أبو القاسمِ بنُ كاملٍ قالَ : أنا عليُّ بنُ إبراهيمَ أبو القاسمِ النَّسيبُ في كتابِهِ إلينا ، عن رشأ بنِ نظيفٍ قالَ : أنا إبراهيمُ بنُ عليِّ ابنِ [سِيبُخْتَ] (٣) ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ الحَكِيميُّ ، حدَّثَني أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ القاسمِ اللُّؤلؤيُّ قالَ : خلَّفَ أحمدُ بنُ طُولُونَ عشرةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وثلاثةً وثلاثينَ ولداً ، فيهِم ذكورٌ سبعةَ عشرَ .

وأطبقَتْ جريدتُهُ مِنَ الموالي علىٰ سبعةِ آلافِ رجلٍ ، ومِنَ الغلمانِ علىٰ أربعةٍ وعشرينَ ألفَ غلامٍ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (١٢٦/٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٨/٢٠) .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (١٢٥/٣) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (سخيت) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (٥٤/٧) ، و« تبصير المنتبه » لابن حجر (٦٩٦/٢) .

وَمِنَ الخيلِ المروانيَّةِ علىٰ سبعةِ آلافِ رأسٍ ، ومِنَ الجِمالِ ألفٍ وسبعِ مئةِ جملٍ ، ومِن بغالِ الثَّقَلِ ستِّ مئةِ بغلٍ .

ومِنَ المراكبِ الحَرْبيَّةِ مئةِ مركبٍ ، ومِنَ الدَّوابِّ لركابِهِ مئةٍ وثلاثينَ دابَّةً .

وكانَ خراجُ مصرَ في تلكَ السَّنةِ معَ ما انضافَ إليهِ مِن ضياعِ الأمراءِ بحضرةِ السُّلطانِ أربعةَ آلافِ ألفٍ وثلاثَ مئةِ ألفِ دينارٍ .

وأنفقَ على الجامعِ في بنائِهِ ونفقتِهِ مئةً وعشرينَ ألفَ دينارٍ ، وعلى البِيمارِستانِ ستِّينَ ألفَ دينارٍ ، وعلى المَيْدانِ مئةً وخمسينَ ألفَ دينارٍ ، وعلىٰ مَن نابَ بالثُّغورِ ثمانينَ ألفَ دينارٍ .

وكانَ قائمُ صدقتِهِ في كلِّ شهرٍ ألفَ دينارٍ ، وراتبُ مَطْبَخِهِ وعلوفتِهِ كلَّ يومٍ ألفَ دينارٍ ، وما يُجريهِ علىٰ جماعةٍ مِنَ المستخدمينَ وأبناءِ السَّبيلِ خمسَ مئةِ دينارٍ ، وما يُحمَلُ لصدقاتِ الثُّغورِ في كلِّ شهرٍ خمسَ مئةِ دينارٍ ، وما يُقيمُهُ مِنَ الوظائفِ في كلِّ شهرٍ ألفَي دينارٍ (١)

نُكتة

[في عاقبةِ الإنصافِ]

٧٩٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : حكىٰ بعضُ الصُّوفيَّةِ أنَّهُ رأىٰ أحمدَ بنَ طُولُونَ في مَنامِهِ بعدَ وفاتِهِ بحالٍ حسنةٍ وهوَ يقولُ : (ما ينبغي لمَن سكنَ الدُّنيا أن يحقرَ حسنةً فيدعَها ، ولا سيِّئةً فيأتيَها ؛ عُدِلَ بي عنِ النَّارِ إلى الجنَّةِ بتثبُّتي علىٰ مُتظلِّمٍ عييِّ اللِّسانِ ، شديدِ التَّهيُّبِ ، فسمعتُ منهُ ، وصبرتُ عليهِ ، حتَّىٰ قامَتْ حجَّتُهُ ، وتقدَّمتُ بإنصافِهِ ، وما في الآخرةِ أشدُّ علىٰ رؤساءِ الدُّنيا مِنَ الحُجَّابِ لمُلتمِسي الإنصافِ) (٢)

حكاية

[بينَ نصرِ بنِ حجَّاجٍ وشُمَيلةَ]

٧٩٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا نصرُ بنُ عبدِ الرَّزَّاقِ الفقيهُ قالَ : ثنا الحسينُ بنُ عبدِ الخالقِ ، أنا عليُّ بنُ محمَّدٍ ابنُ العلَّافِ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدٍ

---

(١) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/١٢٤) ، وانظر « المنتظم » (٧/١٨٨ ـ ١٨٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٠/٤٧) .

(٢) انظر « المنتظم » (٧/١٨٩) ، و« الوافي بالوفيات » (٦/٤٣٢) .

الواعظُ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ نِيخابَ الطِّيبيُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ [١] أحمدُ بنُ العبَّاسِ الحُوَيزيُّ [٢] ـ شيخٌ كانَ معَنا يكتبُ الحديثَ ببغدادَ ـ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ ، ثنا وهبُ بنُ بقيَّةَ ، ثنا خالدٌ ، عن عوفٍ قالَ : بلغَني أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ [رضيَ اللهُ عنهُ] كانَ يحرسُ المدينةَ باللَّيلِ ، فسقطَ علىٰ قيناتٍ ، فإذا بعضُهُنَّ تقولُ : [من البسيط]

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَىٰ خَمْرٍ فَنَشْرَبَهَا ... أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَىٰ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ

فبعثَ إلىٰ نصرٍ فسيَّرَهُ للبصرةِ مِنَ المدينةِ ، فقدمَ البصرةَ فنزلَ علىٰ مجاشعِ بنِ مسعودٍ أو قريباً منهُ ، وتحتَ مجاشعٍ يومئذٍ شُمَيلةُ الَّتي يُقالُ لها : شُمَيلةُ الغطاريفِ ، وهيَ مِن رهطِ شبلِ بنِ معبدٍ البَجَليِّ .

قالَ : فبينا هوَ يوماً يتحدَّثُ معَ مجاشعِ بنِ مسعودٍ والمرأةُ جالسةٌ . . إذ كتبَ لها في الأرضِ : (إنِّي أُحِبُّكِ) ، فقالَتِ المرأةُ كلمةً خفيَّةً : (وأنا) ، وكانَتْ قارئةً ، فقالَ الشَّيخُ : ما (وأنا) ؟ فكبَّ العلبةَ على الكتابِ حتَّىٰ علمَ ما هوَ .

قالَ : فدخلَ الخباءَ ، وقعدَ في منزلِهِ حتَّىٰ مرضَ .

قالَ : فأقسمَ عليها مجاشعٌ ؛ لتصنعِنَّ طعاماً ، ولتمضيَنَّ بهِ ؛ أنتِ وجواريكِ حتَّىٰ تُسنِديهِ إلىٰ صدرِكِ ، ففعلَتْ فبرأَ ، فقالَ : واللهِ ؛ لا أُقيمُ بهٰذهِ ؛ حياءً مِن فعلتِهِ الَّتي فعلَ .

فأتى الشَّامَ ، فسادَ النَّاسَ بالشَّامِ [٣]

حكاية

[مناظرةٌ بينَ عَلَمَينِ]

٧٩٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ .

(ح) وأنبأَنيَ الشَّيخُ كمالُ الدِّينِ المعروفُ : بالفُوَيْرِهِ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ قالا : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ

---

(١) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

(٢) **الحُوَيزي** : نسبة إلىٰ (حُوَيزة) ، وهي بليدة بين واسِط والبصرة وخُوزستان . « معجم البلدان » (٢/٣٢٦) .

(٣) أخرجه الحافظ ابن ديزيل في « جزئه الحديثي » (١٢) .

الشَّيْبانيُّ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عليّ الحافظُ ، أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيّ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريّ ، عن عليّ بنِ المُحسِّنِ قالَ : أنا أبي قالَ : حدَّثَني أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ البختريّ القاضي ، حدَّثَني أبو الحسنِ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنُ المُغلِّسِ الدَّاووديُّ قالَ : كانَ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ داوودَ وأبو العبَّاسِ ابنُ سريجٍ إذا حضرا مجلسَ القاضي أبي عمرَ ـ يعني : محمَّدَ بنَ يوسفَ ـ . . . لم يَجْرِ بينَ اثنَينِ فيما يتفاوضانِهِ أحسنُ ممَّا يجري بينَهُما ، وكانَ ابنُ سريجٍ كثيراً ما يتقدَّمُ أبا بكرٍ في الحضورِ إلى المجلسِ ، فتقدَّمَهُ في الحضورِ أبو بكرٍ يوماً ، فسألَهُ حَدَثٌ مِنَ الشَّافعيّينَ عنِ العودِ الموجبِ للكفَّارةِ في الظِّهارِ ما هوَ ، فقالَ : إنَّهُ إعادةُ القولِ ثانياً ، وهوَ مذهبُهُ ومذهبُ داوودَ ، فطالبَهُ بالدَّليلِ ، فشرعَ فيهِ .

ودخلَ ابنُ سريجٍ ، فاستشرحَهُم ما جرىٰ فشرحوهُ ، فقالَ ابنُ سريجٍ لابنِ داوودَ : يا أبا بكرٍ ؛ أعزَّكَ اللهُ ، هـٰذا قولُ مَن مِنَ المسلمينَ تقدَّمَكُم فيهِ ؟ فاستشاطَ أبو بكرٍ مِن ذٰلكَ ، وقالَ : أتُقَدِّرُ أن مَن اعتقدتَ أنَّ قولَهُم إجماعٌ في هـٰذهِ المسألةِ إجماعٌ عندي ؟! أَحْسَنُ أحوالِهِم أن أعدَّهُ خلافاً ، وهيهاتَ أن يكونوا كذٰلكَ !!

فغضبَ ابنُ سريجٍ ، وقالَ لهُ : أنتَ يا أبا بكرٍ بكتابِ « الزَّهرةِ » أمهرُ منكَ في هـٰذهِ الطَّريقةِ .

فقالَ أبو بكرٍ : وبكتابِ « الزَّهرةِ » تُعيِّرُني ؟! واللهِ ؛ ما تُحسِنُ قراءتَهُ ، وإنَّهُ لَمِن أحدِ المناقبِ ؛ إذ كنتُ أقولُ فيهِ : [من الطويل]

أُكَرِّرُ فِي رَوْضِ ٱلْمَحَاسِنِ مُقْلَتِي ... وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمَا

وَيَنْطِقُ سِرِّي عَنْ مُتَرْجَمِ خَاطِرِي ... فَلَوْلَا ٱخْتِلَاسِي رَدَّهُ لَتَكَلَّمَا

رَأَيْتُ ٱلْهَوَىٰ دَعْوَىٰ مِنَ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ ... فَمَا إِنْ أَرَىٰ حُبّاً صَحِيحاً مُسَلَّمَا

فقالَ لهُ ابنُ سريجٍ : أَوَعليَّ تفخرُ بهـٰذا القولِ ؟ وأنا الَّذي أقولُ : [من الكامل]

وَمُشَاهِرٍ بِٱلْغُنْجِ مِنْ لَحَظَاتِهِ ... قَدْ بِتُّ أَمْنَعُهُ لَذِيذَ سِنَاتِهِ

ضَنّاً بِحُسْنِ حَدِيثِهِ وَعِتَابِهِ ... وَأُكَرِّرُ ٱللَّحَظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ

حَتَّىٰ إِذَا مَا ٱلصُّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ ... وَلَّىٰ بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ

فقالَ ابنُ داوودَ لأبي عمرَ : أيَّدَ اللهُ القاضيَ ؛ قد أقرَّ بالمبيتِ على الحالِ الَّتي ذكرَها ، وادَّعى البراءةَ ممَّا تُوجِبُهُ ؛ فعليهِ إقامةُ البيِّنةِ .

فقالَ ابنُ سريجٍ : مِن مذهبي أن المُقِرَّ إذا أقرَّ إقراراً ، وناطَهُ بصفةٍ . . كانَ إقرارُهُ موكولاً إلىٰ صفتِهِ .

فقالَ ابنُ داوودَ : للشَّافعيِّ في هٰذهِ المسألةِ قولانِ .

فقالَ ابنُ سريجٍ : فهٰذا القولُ الَّذي قلتُهُ اختياريَ السَّاعةَ [(١)]

* *

٧٩٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ بخطِّ أبي منصورٍ أحمدَ بنِ عليٍّ الفقيهِ الأصبهانيِّ قالَ : ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ الهَمَذانيُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بنَ حمدانَ الطَّرائفيَّ البغداديَّ بهَمَذانَ يقولُ : سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشَّافعيَّ [رضيَ اللهُ عنهُ] يقولُ : (ما ضاقَ شيءٌ إلَّا اتَّسعَ ؛ ألا ترىٰ أنَّ الحائضَ ضاقَ عليها أمرُ الصَّلاةِ ، فاتَّسعَ لها ألَّا تُصلِّيَ) .

هٰكذا كانَ في الأصلِ : (أحمدُ بنُ حمدانَ) ، وإنَّما هوَ : (محمَّدُ بنُ حمدانَ) .

٧٩٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ أحمدَ قاضي واسِطَ قالَ : أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أبي عليٍّ الحافظُ بهَمَذانَ في كتابِهِ إلينا قالَ : ثنا أبو حاجبٍ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ الإِسْتِراباذيُّ بها قالَ : ثنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي قربةَ ببغدادَ ، ثنا أبو العبَّاسِ ابنُ سعيدٍ الكُوفيُّ ، ثنا بشرُ بنُ موسىٰ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، ثنا يحيى بنُ عبدِ الملكِ بنِ حميدٍ قالَ : كتبَ محمَّدُ بنُ النَّضرِ الحارثيُّ إلىٰ أخٍ لهُ : (أمَّا بعدُ ؛ فإنَّكَ في دارِ تمهيدٍ ، وأمامَكَ منزلانِ لا بدَّ لكَ أن تسكنَ أحدَهُما ، ولم يأتِكَ أمانٌ فتطمئنَّ ، ولا براءةٌ فتُقصِّرَ ، والسَّلامُ) [(٢)]

*

---

(١) أخرجه التنوخي في « نشوار المحاضرة » (٨/١٨٦ ـ ١٨٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/١٦٤ ـ ١٦٥) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/١١٠ ـ ١١١) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٢٢١) ، والخطيب البغدادي في « اقتضاء العلم العمل » (١٦١) ، وانظر « العقد الفريد » (٣/١٥١) ، و« البصائر والذخائر » للتوحيدي (٨/٨٩) بلا نسبة ، و« سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/١٠٣٩) .

٨٠٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ ابنُ الأخضرِ .

(ح) وأنبأَني ابنُ وَرِّيدةَ ، عنِ ابنِ الأخضرِ قالَ : أنا أبو المعالي أحمدُ بنُ عبدِ الغنيِّ بنِ محمَّدِ بنِ حنيفةَ ، أنا أبو غالبٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ الكَرْخيُّ ، أنا الأميرُ أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عيسى بنِ المقتدرِ باللهِ قالَ : قالَ الصُّوليُّ : ثنا أبو الفضلِ عمرُو بنُ تركيٍّ القاضي ، ثنا الوليدُ بنُ هشامٍ القَحْذَميُّ قالَ : قالَ الأحنفُ بنُ قيسٍ : (ما رضيَ النَّاسُ بشيءٍ وإن تفاوتَ حظُّهُم فيهِ كما رضوا بالأوطانِ)[1]

وقالَتِ الحكماءُ : (إن أردتَ أن تعرفَ وفاءَ الرَّجلِ ودوامَ عهدِهِ . . فانظرْ إلىٰ حنينِهِ إلىٰ أوطانِهِ ، وبكائِهِ علىٰ ما مضىٰ مِن زمانِهِ)[2]

حكاية

[في لقاءِ إبليسَ والجُنَيدِ]

٨٠١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ أبي سعيدٍ الأديبِ بأصبهانَ ، عن أبي طاهرِ بنِ أبي نصرٍ التَّاجرِ ، أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي عبدِ اللهِ ابنِ مَنْدَهْ إذناً ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللهِ الشِّيرازيُّ قالَ : سمعتُ أبا الحسينِ أحمدَ بنَ عبيدِ اللهِ الهاشميَّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الجُنَيدَ بنَ محمَّدٍ الصُّوفيَّ ببغدادَ يقولُ : ما زلتُ أطلبُ إلى اللهِ في صلاتي خمسَ عشرةَ سنةً أن يُرِيَني إبليسَ ، فلمَّا كانَ يومٌ ، نصفَ النَّهارِ في صيفٍ ، وأنا قاعدٌ بينَ البابَينِ أُسبِّحُ . . إذ دُقَّ عليَّ البابُ ، فقلتُ : مَن ذا ؟ قالَ : أنا ، قلتُ الثَّانيَ : مَن أنتَ ؟ قالَ : أنا ، قلتُ الثَّالثَ : مَن أنتَ ؟ قالَ : أنا ، قلتُ : لا تكونُ إبليسَ ؟ قالَ : نعم !!

فمضيتُ ففتحتُ لهُ البابَ ، فدخلَ عليَّ شيخٌ عليهِ بُرْنُسٌ مِنَ الشَّعرِ ، وعليهِ قميصٌ مِنَ الصُّوفِ ، وبيدِهِ عكَّازةٌ ، فجئتُ أقعدُ مكاني بينَ البابَينِ ، فقالَ لي : قُمْ مِن مجلسي ، فقمتُ وقعدَ .

---

(١) انظره في « نثر الدر » للآبي (١/٤٠٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/٨٣ ـ ٨٤) ، وانظر « العقد الفريد » (٣/٤٤٤) ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/٧٩٧) ، و« ربيع الأبرار » (٥/٣٤٢) ، و« التذكرة الحمدونية » (٣/٢١) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٨٣) .

فقلتُ : بِمَ تستضلُّ النَّاسَ ؟ فأخرجَ لي رغيفاً مِن كمِّهِ ، قالَ لي : بهٰذا .

فقلتُ : بِمَ تُحسِّنُ لهُم أفعالَهُمُ السَّيِّئةَ ؟ فأخرجَ مرآةً فقالَ : أُريهِم سيِّئاتِهِم حسناتٍ بهٰذهِ المرآةِ .

ثمَّ قالَ لي : قلْ ما تُريدُ ، وأَوجِزْ في كلامِكَ .

فقلتُ : حيثُ أمرَكَ بالسُّجودِ لآدمَ لِمَ لَمْ تسجدْ ؟ فقالَ : غيرةً منِّي عليهِ أن أسجدَ لغيرِهِ ، وغاصَ منِّي ولم أَرَهُ[1]

حكاية

[في فِداءِ غرابٍ نفسَهُ]

٨٠٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الفتوحِ داوودَ بنِ معمرٍ القرشيِّ بأصبهانَ ، عن فاطمةَ بنتِ محمَّدِ بنِ أبي سعدٍ البغداديِّ قالَتْ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الفضلِ الباطِرْقانيُّ إذناً ، ثنا أحمدُ بنُ موسى بنِ مردويهِ الحافظُ ، ثنا أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ إسماعيلَ الصُّوفيُّ الدِّمشقيُّ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ أحمدَ بنَ عبيدِ اللهِ بنِ حراقةَ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الفوطيَّ صاحبَ عمرٍو المكِّيِّ يقولُ : خرجْنا نحنُ وبعضُ أصحابِنا إلىٰ بستانٍ ، فطبخْنا قِدْرَ سِكْباجٍ[2] ، ومررْنا ندورُ في البستانِ ، فلمَّا رجعْنا إلى القِدْرِ . . إذا غرابٌ على الحائطِ ، فكلَّما تقدَّمْنا إلى القِدْرِ . . نزلَ إلينا الغرابُ يحولُ بينَنا وبينَ القِدْرِ ، فضاربَنا عليها مضاربةً ، ونحنُ لا ندري أيُّ شيءٍ قضيَّتُهُ ، فلمَّا أعييْناهُ . . طرحَ نفسَهُ في جوفِ القِدْرِ فتَهَرَّأَ[3] ، وصببْنا القِدْرَ ، فإذا فيها أفعىٰ عظيمٌ[4] ؛ قد كانَ رآها الغرابُ حينَ وقعَتْ في القِدْرِ ، فحفظَ علينا ذاكَ وفدانا بنفسِهِ !!

نكتة

[في لحنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ]

٨٠٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنِ الجَنْزيِّ

---

(١) ذكره الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٧/١٧٠) وعزاه لابن النجار .

(٢) السِّكْباج : لحمٌ يُطبخ بخَلٍّ .

(٣) تهرَّأ : قتلَته شدَّة الحرّ .

(٤) أفعىٰ : تكون للذَّكر والأنثىٰ ، حتَّىٰ تقول : أُفعوان ؛ فيكون للذَّكر خاصَّة .

بأصبهانَ ، عن أبي سعدٍ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ الواعظِ ، أنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ موسى السَّاويُّ في كتابِهِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عمرٍو محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ الرَّزْجاهيِّ[1] : أخبرَكَ والدُكَ قالَ : ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ علكانَ البغداديُّ ، ثنا أبو رَوْقٍ ، ثنا الرِّياشيُّ قالَ : سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ : صلَّى الوليدُ يوماً فقرأَ : (يا ليتُها كانَتِ القاضيةَ) !!

فقالَ لهُ شيخٌ مِن أهلِ الشَّامِ : عليكَ .

ثمَّ قطعَ الصَّلاةَ وخرجَ ، فلمَّا أتمَّ الصَّلاةَ . . طلبَهُ ، فلم يجدْهُ[2]

حكاية

[لا يُوجَدُ الجودُ إلَّا في معادنِهِ]

٨٠٤ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ علكانَ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ الأنباريُّ ، حدَّثَني محمَّدُ ابنُ المَرْزُبانِ الأخباريُّ قالَ : سمعتُ وردانَ مولىٰ آلِ وهبٍ ـ وكانَ صدوقاً ـ يُحدِّثُ عن منصورٍ كاتبِ الرَّشيدِ قالَ : حججتُ معَ يحيى بنِ خالدٍ البَرْمَكيِّ ، فإنَّا بالمدينةِ . . إذ رُفِعَ إلينا أنَّ رجلاً ـ يُسمَّىٰ معبداً ـ نخَّاساً . . عندَهُ قِيانٌ حُذَّاقٌ ، فقلتُ ليحيىٰ : هل لكَ أن نمضيَ إليه ؟ قالَ : أفعلُ .

فصِرْنا إليهِ فعرضَ علينا نيِّفاً وستِّينَ جاريةً ليسَ فيهنَّ واحدةٌ تصلحُ ، فمرَّ في آخِرِهِنَّ غلامٌ لم أظنَّ أنَّ مثلَهُ في الأرضِ حسناً وجمالاً !! فقلتُ : هٰذا للبيعِ ؟ قالَ : نعم ، هوَ كاتبٌ حاسبٌ مُغَنٍّ مُطرِبٌ .

فقلتُ : اعرِضْهُ ، فنظرتُ إلىٰ خَلْقٍ سَوِيٍّ ، ووجهٍ نَقِيٍّ ، وقَدٍّ شَهِيٍّ ، فقلتُ : ما ثمنُهُ ؟ قالَ : ثلاثُ مئةِ دينارٍ عليَّ ، وهوَ يُساوي ألفاً ، فأمرتُ الغلامَ فغنَّىٰ[3] : [من الطويل]

ظَفِرْتُمْ بِكِتْمَانِ ٱللِّسَانِ فَمَنْ لَكُمْ بِكِتْمَانِ عَيْنٍ دَمْعُهَا ٱلدَّهْرَ يَذْرِفُ ؟

---

(١) الرَّزْجاهي : نسبة إلىٰ (رَزْجاه) ، وهي قرية من قرىٰ بِسْطام . « الأنساب » (٣/٥٩) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٣/١٧٨) بنحوه ، وانظر « نثر الدر » للآبي (٥/٢٧٤) ، و« ربيع الأبرار » (٢/٤٢) ، و« التذكرة الحمدونية » (٩/٤٥٢) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٤٣٣) .

(٣) البيت الثاني لمحمد بن داوود الظاهري الأصبهاني كما في « تاريخ بغداد » (٣/١٦٣) ، و« ذم الهوىٰ » لابن الجوزي (٧٩٨) ، و« المحمدون من الشعراء » للقفطي (ص ٣١٦) .

حَـمَـلْـتُ جِـبَـالَ ٱلْـحُـبِّ فَـوْقِـي وَإِنَّـنِـي لَأَعْـجِـزُ عَـنْ حَـمْـلِ ٱلْـقَـمِـيصِ وَأَضْـعُـفُ

فقلتُ لغلاميَ : ادفعْ إلىٰ مولاهُ أربعَ مئةِ دينارٍ ، وكسوةً بمئةِ دينارٍ وطيباً ، وادفعْ إلى الغلامِ مئةً هبةً يُصلِحُ بها شأنَهُ ، واجعلْ مركبَهُ قريباً مِن مركبي بحيثُ أسمعُ صوتَهُ وأرىٰ شخصَهُ ، ففعلَ .

فلمَّا كانَ يومُ رحيلِنا . . لم أسمعْ منهُ لفظةً ، حتَّىٰ أشرفْنا على المنزلِ الَّذي ننزلُ فيهِ ، فتنفَّسَ نفساً كادَ ينزعُ بهِ كبدي ، ثمَّ ترنَّمَ [١] : [من الطويل]

وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ مَعْبَداً أَنْ يَبِيعَنِي بِمَالٍ وَلَوْ أَضْحَتْ أَنَامِلُهُ صُفْرَا

أَخُوهُمْ وَمَوْلَاهُمْ وَصَاحِبُ سِرِّهِمْ وَمَنْ قَدْ نَشَا فِيهِمْ وَعَاشَرَهُمْ دَهْرَا

حَنِينٌ وَلَمَّا [٢] يَمْضِ لِي غَيْرُ سَاعَةٍ فَكَيْفَ إِذَا سَارَ ٱلْمَطِيُّ بِنَا شَهْرَا ؟!

قالَ : فلم أملكْ نفسي أن دعوتُهُ ، فقلتُ : أتُحِبُّ أن أردَّكَ إلىٰ مولاكَ ؟ قالَ : إنَّكَ لفاعلٌ ؟ قلتُ : نعم ، قالَ : إي واللهِ يا مولايَ ، قلتُ : امضِ فأنتَ حرٌّ ، يا غلامُ ؛ رُدَّهُ وأعطِهِ مئةَ دينارٍ ، ووكِّلْ بهِ مَن يُوصِلُهُ .

فقالَ لي يحيىٰ : أمثلُ هٰذا يُعتَقُ ؟ قلتُ : ويحَكَ !! ومثلُ هٰذا يُملَكُ ؟!

فقالَ يحيىٰ [٣] : [من البسيط]

لَا يُوجَدُ ٱلْجُودُ إِلَّا فِي مَعَادِنِهِ وَٱلشَّرُّ حَيْثُ أَرَدْتَ ٱلدَّهْرَ مَوْجُودُ [٤]

*

٨٠٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو القاسمِ بنُ أبي عليِّ بنِ أبي سعدٍ ـ هوَ هبةُ اللهِ بنُ الحسنِ بنِ المُظفَّرِ ـ قالَ : أنا أبو العزِّ ابنُ كادِشٍ ـ هوَ أحمدُ بنُ عبيدِ اللهِ ـ قراءةً عليهِ ، أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ بنِ عليٍّ الأمينِ ، وغيرِهما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ الجَوْهَريِّ ، أنا أبو عمرَ ابنُ حَيُّويهِ ، ثنا

---

(١) الأبيات لسُحَيم عبد بني الحسحاس كما في « ديوانه » (ص ٥٦) على اختلافٍ ما .

(٢) في (أ) : (ولمَّا لم) .

(٣) هو للمهلب بن أبي صفرة كما في « تاريخ دمشق » (٣٠٢/٦١) ، و« تهذيب الكمال » (١١/٢٩) .

(٤) انظر « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » للشرواني (ص ١٦) .

أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ الحَكِيميُّ ، حدَّثَني أبو الفضلِ ميمونُ بنُ هارونَ الكاتبُ ، حدَّثَنيَ ابنُ أخي الأصمعيِّ ، عنِ الأصمعيِّ قالَ : خرجتُ هارباً مِنَ البصرةِ مِن والٍ بها ، فصرتُ إلى الباديةِ ، فأقمتُ بها ما شاءَ اللهُ .

ثمَّ قدمَ أعرابيٌّ مِنَ البصرةِ ، فسألتُهُ عن أخبارِها ، فقالَ : ماتَ واليها ، فقلتُ : بشَّرَكَ اللهُ بخيرٍ ؛ فإنِّي كنتُ هارباً منهُ ، فقالَ لي : كُفِيتَ المُهِمَّ .

ثمَّ أنشدَني [1] : [من الخفيف]

صَبِّرِ ٱلنَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُهِمٍّ ... إِنَّ فِي ٱلصَّبْرِ حِيلَةَ ٱلْمُحْتَالِ

لَا تَضِيقَنَّ فِي ٱلْأُمُورِ فَقَدْ تُفْـ ... ـرَجُ غَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ ٱحْتِيَالِ

رُبَّمَا تَكْرَهُ ٱلنُّفُوسُ مِنَ ٱلْأَمْـ ... ـرِ لَهَا فَرْجَةٌ كَحَلِّ ٱلْعِقَالِ [2]

نكتة

[في حقيقةِ المحبَّةِ]

٨٠٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ ، وضياءُ بنُ أحمدَ السَّقْلاطونيُّ [3] ، وعبدُ العزيزِ بنُ معالي ابنُ الآجُرِّيِّ قالوا : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي البزَّازُ .

(ح) وأنبأني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ المُكبِّرِ ، عن عبدِ الوهَّابِ الأمينِ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي .

(ح) قالَ ابنُ النَّجَّارِ : وأخبرَنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ بنِ كاملٍ الخَفَّافُ ، أنا أبو منصورٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ القَزَّازُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ زيدِ بنِ الحسنِ قالَ : أنا أبو منصورٍ القَزَّازُ قالا [4] : أنا

---

(١) هي لأمية بن أبي الصلت ، وقيل : لعبيد بن الأبرص ، وقيل : لحنيف بن عمير اليشكري ، وقيل غير ذٰلك ، انظر « ديوان أمية » (ص ٤٤٤) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٠/٦٨) ، و« ديوان عبيد » (ص ٨٦) ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٤٦٢) ، و« الحماسة البصرية » (٢/٩٥١ ـ ٩٥٢) ، و« معجم الشعراء » للمرزباني (ص ١٠٠) ، و« خزانة الأدب » (٦/١١٢ ـ ١١٩) .

(٢) انظر « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » للشرواني (ص ١٥) ، ويروىٰ عن أبي عمرو بن العلاء في خبر هربه من الحجاج ، والفَرْجة : الرَّاحة والتَّخلُّص من الهَمِّ والحزن .

(٣) السَّقْلاطوني : نسبة إلى (السَّقْلاطون) ، وهو ضرب من الثِّياب . « لسان العرب » (٧/٣٢٠) .

(٤) يعني : محمَّد بن عبد الباقي ، وأبا منصور القَزَّاز .

أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ قال : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ ابنِ نعيمِ بنِ الجارودِ البصريُّ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ أحمدَ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الفِهْريَّ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عبدِ الجبَّارِ المالكيَّ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ الرَّازيَّ يقولُ : (حقيقةُ المحبَّةِ أنَّها لا تزيدُ بالبرِّ ولا تنقصُ بالجَفاءِ)[1]

٨٠٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ قالوا : أنبأَنا ذاكرُ بنُ كاملٍ قالَ : كتبَ إليَّ غيثُ بنُ عليّ الصُّوريُّ قالَ : ثنا أبو الفرجِ الإسْفَرايِنيُّ : كانَ الشَّيخُ أبو بكرٍ الحافظُ ـ يعني : الخطيبَ ـ معَنا في طريقِ الحجِّ ، فكانَ يختمُ كلَّ يومٍ ختمةً إلىٰ قربِ الغيابِ قراءةَ ترتيلٍ ، ثمَّ يجتمعُ عليهِ النَّاسُ وهوَ راكبٌ يقولونَ : حدِّثْنا ، فيُحدِّثُهُم ، أو كما قالَ[2]

٨٠٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الحسنِ ابنِ المَقْدِسيّ بمصرَ ، عن أبي طاهرٍ السِّلَفيّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ السِّلَفيّ قالَ : سمعتُ المؤتمنَ بنَ أحمدَ السَّاجيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ المُحسِنِ بنَ محمَّدِ بنِ عليّ الشِّيحيَّ يقولُ : (كنتُ عديلَ أبي بكرٍ الخطيبِ مِن دِمشقَ إلىٰ بغدادَ ، فكانَ لهُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ ختمةٌ)[3]

[حكاية]

[في وصيَّةِ الخطيبِ البغداديّ بمالِهِ]

٨٠٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ شهاباً الحاتميَّ بهَرَاةَ قالَ : سمعتُ أبا سعدٍ ابنَ السَّمْعانيّ يقولُ : سمعتُ أبا منصورٍ عليَّ بنَ عليّ الأمينَ يقولُ : لمَّا رجعَ أبو بكرٍ الخطيبُ[4] مِنَ

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٧٦) ، والخطيب البغدادي كما في « المنتخب من كتاب الزهد والرقائق » (٢١) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ٦٥٤) ، و« تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٩٤) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٢٧٩) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (٨/٥٤) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٣٦) ، وانظر « معجم الأدباء » (١/٣٨٦) ط . دار الغرب الإسلامي ، و« سير أعلام النبلاء » (١٨/٢٧٩) .

(٣) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٢٧٩) .

(٤) توفِّي أبو بكر الخطيب سنة ثلاث وستِّين وأربع مئة ببغداد ، وكان أحدَ من حمل جِنازة الشَّيخ أبي إسحاق الشِّيرازيّ ، ودفن إلىٰ جانب بشر الحافي . انتهىٰ من هامش (أ ، ب ، ج) .

الشَّامِ . . كانَتْ لهُ ثروةٌ مِنَ الثِّيابِ والعينِ ، وما كانَ لهُ عقبٌ ، فكتبَ إلى القائمِ بأمرِ اللهِ : (إنّي إذا متُّ يكونُ مالي لبيتِ المالِ ، فَأْذَنْ حتَّىٰ أُفرِّقَ مالي علىٰ مَن شئتُ) ، فأذنَ لهُ الخليفةُ في ذٰلكَ ، ففرَّقَها علىٰ أصحابِ الحديثِ (١)

وأنبأني بهٰذهِ الحكايةِ أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عن أبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ ، عن والدِهِ أبي سعدٍ ابنِ السَّمْعانيِّ .

حكاية

[بَلُّ أبي إسحاقَ الصَّابئِ مِن وجعِ المفاصلِ]

٨١٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي القاسمِ سعيدِ بنِ محمَّدٍ المُؤدِّبِ ، عن عمرَ بنِ ظفرٍ المَغازليِّ قالَ : سمعتُ أبا طاهرٍ أحمدَ بنَ عليٍّ الخَزَّازَ الدِّينَوَريَّ مِن لفظِهِ وحفظِهِ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ ابنَ بَرْهانٍ يقولُ : دخلتُ علىٰ أبي إسحاقَ الصَّابئِ في باب المراتبِ ، وكانَ قد لحقَهُ وجعُ المفاصلِ في يدَيهِ ، وقد أَبَلَّ (٢) ، والمجلسُ عندَهُ حَفِلٌ ، فأرادَ أن يُرِيَهُم أنَّهُ قادرٌ على الكتابةِ ، ففتحَ الدَّواةَ ليكتبَ ، فتطاولَ كلُّ إنسانٍ لينظرَ إلىٰ خطِّهِ .

فوضعَ القلمَ مِن يدِهِ ، وأنشدَ لنفسِهِ بديهاً (٣) : [من مجزوء الكامل]

وَجَعُ ٱلْمَفَاصِلِ وَهْوَ أَيْـ ـسَرُ مَا لَقِيتُ مِنَ ٱلْأَذَىٰ
جَعَلَ ٱلَّذِي ٱسْتَحْسَنْتُهُ وَٱلنَّاسُ مِنْ خَطِّي كَذَا
وَٱلْعُمْرُ مِثْلُ ٱلْكَأْسِ يَرْ سُبُ فِي أَوَاخِرِهِ ٱلْقَذَىٰ (٤)

حكاية

[أما تقدرُ أن تأكلَ مُرّاً ساعةً]

٨١١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ بنَ أبي القاسمِ ـ واسمُ أبي القاسمِ : أحمدُ بنُ

---

(١) أخرجه ابن النجار كما في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٤١/٢١) ، وانظر « المنتظم » (٤٩٦/٩) ، و« معجم الأدباء » (٢١/٢) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠٦/٣١) .

(٢) أبلَّ : برأ وصحَّ .

(٣) الأبيات له كما في « يتيمة الدهر » للثعالبي (٣٥٤/٢) ، و« معجم الأدباء » (٣١٨/١) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (٢٦/١٢ ـ ٢٧) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٧٥/٢٧) .

عليِّ بنِ أبي القاسمِ ابنُ الخُرَيفِ ـ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : كنتُ ببيتِ المَقْدِسِ ، فرأيتُ في السُّوقِ قِثَّاءً مليحاً ، فأعجبَني فشريتُ منهُ ، ودخلتُ المسجدَ لآكلَهُ ، فكسرتُ واحدةً ، فإذا هيَ مُرَّةٌ فألقيتُها ، وأخذتُ أُخرىٰ ، فوجدتُها مثلَها فألقيتُها ، وأخذتُ ثالثةً .

وكانَ قريباً منِّي شابٌّ قائمٌ يُصلِّي ، فانفتلَ مِن صلاتِهِ ، وقالَ لي : يا شيخُ ؛ عن إذنِكَ آخذُ هـٰذا القِثَّاءَ ؟ يعني : المُرَّ .

فقلتُ لهُ : هـٰذا مُرٌّ ؛ دَعْهُ وخُذْ مِن هـٰذا الحلوِ الَّذي بينَ يدَيَّ .

فقالَ لي : ما أُريدُهُ ، ومدَّ يدَهُ وأخذَ مِنَ القِثَّاءِ الَّذي ألقيتُ ، وأخذَهُ ثمَّ قالَ : باسمِ اللهِ ، وعضَّها ثمَّ ناولَنيها ، فإذا هيَ أحلىٰ مِنَ العسلِ !!

ثمَّ قالَ : يا شيخُ ؛ أنتَ طولَ هـٰذا الدَّهرِ يُطعِمُكَ حلواً فما قدرتَ تأكلُ ساعةً مُرّاً ؟!

ثمَّ ولَّىٰ ، فطلبتُهُ فلم أجدْهُ .

حكايةٌ

[لا يضيعُ الصِّدقُ في المعاملةِ]

٨١٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : وحدَّثَني أبو عليٍّ ابنُ الخُرَيفِ قالَ : حدَّثَني والدي قالَ : أعطيتُ أحمدَ ابنَ السِّتِّ الدَّلَّالَ ثوباً عتَّابيّاً ، وقلتُ لهُ : بِعْهُ لي ، وبيِّنْ هـٰذا العيبَ الَّذي فيهِ لمَن يشتريهِ ، وأريتُهُ خرقاً في الثَّوبِ .

فمضىٰ وعبرَ إلى الجانبِ الشَّرقيِّ ، وجاءَ في آخِرِ النَّهارِ ، فدفعَ إليَّ ثمنَهُ ، وقالَ : بعتُهُ علىٰ رجلٍ أعجميٍّ غريبٍ مِنَ الحاجِّ بهـٰذهِ الدَّنانيرِ ، فقلتُ لهُ : وأريتَهُ العيبَ وأعلمتَهُ بهِ ؟ فقالَ : لا واللهِ ، أُنسيتُ ذٰلكَ ، فقلتُ لهُ : لا جزاكَ اللهُ خيراً !! امضِ معي إليهِ .

وعبرتُ معَهُ إلى الجانبِ الشَّرقيِّ وقصدْنا مكانَهُ ، فلم نجدْهُ ، فسألْنا عنهُ ، فقيلَ : إنَّهُ رحلَ ولحقَ بقافلةِ الحاجِّ بالنَّهْروانِ .

فأخذتُ صفةَ الرَّجلِ مِنَ الدَّلَّالِ ، واكتريتُ دابَّةً ، ولحقتُ القافلةَ ، وسألتُ عنِ الرَّجلِ ، فدُلِلتُ عليهِ ، فقلتُ لهُ : الثَّوبُ الفلانيُّ الَّذي شريتَهُ أمسِ مِن فلانٍ بكذا وكذا فيهِ عيبٌ ، فهاتِهِ وخُذْ ذهبَكَ .

فقامَ وأخرجَ الثَّوبَ ، وطافَ على العيبِ حتَّىٰ وجدَهُ ، فلمَّا رآهُ . . قالَ : يا شيخُ ؛ أَخرِجْ ذهبي حتَّىٰ أراهُ ـ وكنتُ لمَّا قبضتُهُ . . لم أُميِّزْهُ ، ولم أنتقِدْهُ ـ ، فأخرجتُهُ ، فلمَّا رآهُ . . قالَ : هٰذا ذهبي ، انتقدْهُ يا شيخُ .

قالَ : فنظرتُ فإذا هوَ مُخَيَّشٌ لا يساوي شيئاً[1] ، فأخذَهُ ورمىٰ بهِ ، وقالَ لي : قدِ اشتريتُ منكَ هٰذا الثَّوبَ علىٰ عيبِهِ بهٰذا الذَّهبِ ، ودفعَ إليَّ بمقدارِ ذٰلكَ الذَّهبِ المُخَيَّشِ ذهباً جيِّداً ، وعدتُ بهِ[2]

حكاية

[في ورعِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ]

٨١٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا داوودُ ويوسفُ ابنا معمرِ بنِ عبدِ الواحدِ القرشيِّ بأصبهانَ قالا : أنا أبو طاهرٍ الخضرُ بنُ [الفضلِ بنِ عبدِ الواحدِ][3] الصَّفَّارُ قراءةً عليهِ ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ مسعدةَ الجُرْجانيِّ ، أنا أبو القاسمِ حمزةُ بنُ يوسفَ السَّهْميُّ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ بَطَّةَ الشَّاعرُ ـ وكانَ ثقةً ـ ببغدادَ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدٍ ، ثنا الرِّياشيُّ ـ هوَ أبو الفضلِ العبَّاسُ بنُ الفرجِ ـ ، ثنا سعيدُ بنُ عامرٍ ، عن هشامِ بنِ حسَّانَ قالَ : كسحَ أبو موسىٰ بيتَ المالِ[4] ، فوجدَ فيهِ درهماً ، فمرَّ بهِ ابنٌ لعمرَ بنِ الخطَّابِ [رضيَ اللهُ عنهُ] ، فأعطاهُ إيَّاهُ ، فرأىٰ عمرُ الدِّرهمَ معَ الصَّبيِّ ، فقالَ : (مِن أينَ لكَ هٰذا ؟) ، فقالَ : أعطانيهِ أبو موسىٰ .

فأقبلَ علىٰ أبي موسىٰ ، فقالَ : (ما كانَ لكَ بالمدينةِ أهلُ بيتٍ أهونُ عليكَ مِن آلِ عمرَ ؟! أردتَ ألَّا يبقىٰ مِن أُمَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحدٌ إلَّا طالبَنا بمَظلَمةٍ في هٰذا الدِّرهمِ ؟!) .

ثمَّ أخذَ الدِّرهمَ ، فألقاهُ في بيتِ المالِ[5]

---

(١) مُخَيَّش : مُغطّىً بالذَّهب ، وحَشْوُه غِشٌّ .

(٢) انظر « التذكرة البلقينية » (٦١) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (عبد الواحد بن الفضل) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (١٥٧/٣٩) .

(٤) كسح : كنس .

(٥) ذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (١٢٧١/١) وعزاه لابن النجار .

نُكْتَةٌ

[في معرفةِ اللهِ تعالىٰ]

٨١٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ الشَّريفَ الأكملَ بنَ مسعودٍ الهاشميَّ يقولُ : (حضرتُ مجلسَ الشَّيخِ عبدِ القادرِ يوماً ، وجيءَ بجِنازةٍ ، فقامَ الشَّيخُ فصلَّىٰ عليها ، ثـمَّ صعدَ المنبرَ ، فقالَ وأنا أسمعُ : ألا ترونَ إلىٰ هٰذا الميِّتِ لمَّا غلبَتْ عليهِ سكراتُ الموتِ . . أدهشَتْهُ وغيَّبَتْهُ إلىٰ حيثُ لم يعرفْ أحداً مِن أقاربِهِ ؛ فكذا المعرفةُ باللهِ ؛ إذا وردَتْ علىٰ قلبِ المؤمنِ . . أدهشَتْهُ وغيَّبَتْهُ إلىٰ حيثُ لا يعرفُ أحداً سِوى اللهِ تعالىٰ) .

٨١٥ ـ قالَ : وسمعتُ الشَّيخَ عبدَ القادرِ يقولُ في مجلسِهِ ، وقد قامَ إليهِ شخصٌ فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ إذا غلبَتْ صفراءُ الغفلةِ على القلبِ . . أيشٍ يعملُ ؟

فقالَ لهُ : يتعمَّدُ قيءَ الشَّهواتِ مِن قلبِهِ وقد نجا (١)

فَائِدَةٌ

[في حَسَنِ الاستغفارِ]

٨١٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ عبدِ القادرِ الجِيليُّ ، ومحمَّدُ بنُ عليٍّ أبو المُظفَّرِ الواعظُ قالا : أنا الحسينُ بنُ عليٍّ الكُوفيُّ ، أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ القاضي أبي عليٍّ المُحسِّنِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ التَّنُوخيِّ قالَ : حدَّثَني أبي ، حدَّثَني أيُّوبُ بنُ العبَّاسِ بنِ الحسنِ الَّذي كانَ أبوهُ وزيراً للمُكتفي ـ ولقيتُ أيُّوبَ بالأهوازِ ـ مِن حفظِهِ قالَ : ثنا أبو عليِّ بنُ همامٍ بإسنادٍ لستُ أحفظُهُ : أنَّ أعرابيّاً شكا إلىٰ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ شدَّةً لحقَتْهُ ، وضيقاً في الحالِ ، وكثرةً مِنَ العيالِ .

---

(١) ذكره ابن رجب في « ذيل طبقات الحنابلة » (٢/٢٠٣) وعزاه لابن النجار ، وفي هامش (أ) : (بلغ نظراً) .

فقالَ لهُ : (عليكَ بالاستغفارِ ؛ فإنَّ اللهَ جلَّ وعزَّ يقولُ : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا . . . ﴾ الآياتِ)(١)

فعادَ إليهِ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنِّي قدِ استغفرتُ اللهَ تعالىٰ كثيراً ، وما أرىٰ فَرَجاً ممَّا أنا فيهِ .

فقالَ : (لعلَّكَ لا تُحسِنُ أن تستغفرَ) .

قالَ : علِّمْني .

قالَ : (أَخلِصْ نيَّتَكَ ، وأَطِعْ ربَّكَ ، وقلِ : اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِن كلِّ ذنبٍ قَوِيَ عليهِ بدني بعافيتِكَ ، أو نالَتْهُ قدرتي بفضلِ نعمتِكَ ، أو بسطتُ إليهِ يدي بسابغِ رزقِكَ ، أوِ اتَّكلتُ فيهِ عندَ خوفي منهُ علىٰ أَناتِكَ ، أو عوَّلتُ فيهِ علىٰ كرمِ عفوِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِن كلِّ ذنبٍ خنتُ فيهِ أمانتي ، أو بخستُ فيهِ نفسي ، أو قدَّمتُ فيهِ لذَّاتي ، أو آثرتُ فيهِ شهَواتي ، أو سعيتُ فيهِ لغيري ، أوِ استغويتُ فيهِ مَن تبِعَني ، أو غلبتُ فيهِ بفضلِ حِيلتي ، أو أَحَلتُ عليكَ فيهِ مولايَ فلم تغلبْني علىٰ فعلي ؛ إذ كنتَ ـ سبحانَكَ ـ كارهاً لمعصيتي ، لٰكنْ سبقَ علمُكَ فيَّ باختياري ، واستعمالي مُرادي وإيثاري ، فحَلُمتَ عنِّي فلم تُدخِلْني فيهِ جَبْراً ، ولم تحملْني عليهِ قَهْراً ، ولم تظلمْني شيئاً .

يا أرحمَ الرَّاحمينَ ، يا صاحبي عندَ شدَّتي ، يا مُؤنِسي في وَحْدتي ، يا حافظي في غُربتي ، يا وَلِيِّي في نعمتي ، يا كاشفَ كربتي ، يا سامعَ دعوتي ، يا راحمَ عَبْرتي ، يا مُقيلَ عَثرتي ، يا إلٰهي بالتَّحقيقِ ، يا رُكْنيَ الوثيقَ ، يا مولايَ الشَّفيقَ ، يا ربَّ البيتِ العتيقِ ؛ أَخرِجْني مِن حَلقِ المضيقِ إلىٰ سَعةِ الطَّريقِ ، وفَرَجٍ مِن عندِكَ قريبٍ وثيقٍ ، واكشفْ عنِّي كلَّ شدَّةٍ وضيقٍ ، واكفِني ما أُطيقُ وما لا أُطيقُ .

اللَّهُمَّ ؛ فرِّجْ عنِّي كلَّ هَمٍّ وغَمٍّ ، وأَخرِجْني مِن كلِّ حزنٍ وكربٍ ، يا فارجَ الهَمِّ ، ويا كاشفَ الغَمِّ ، ويا مُنزِلَ القطرِ ، ويا مُجيبَ دعوةِ المُضطَرِّ ، يا رحمانَ الدُّنيا والآخرةِ ورحيمَهُما ؛ صلِّ علىٰ خيرتِكَ مِن خَلْقِكَ ؛ محمَّدٍ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ ، وفرِّجْ عنِّي ما قد ضاقَ بهِ صدري ، وعِيلَ معَهُ صبري ، وقلَّتْ فيهِ حِيلتي ، وضعُفَتْ لهُ قوَّتي .

---

(١) سورة نوح ﷺ : (١٠ ـ ١٢) .

يا كاشفَ كلِّ ضُرٍّ وبليَّةٍ ، ويا عالمَ كلِّ سِرٍّ وخفيَّةٍ ، يا أرحمَ الرَّاحمين ، ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [(١)] ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [(٢)] ، ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾) [(٣)]

قالَ الأعرابيُّ : فاستغفرتُ بذٰلكَ مِراراً ، فكشفَ اللهُ عنِّيَ الغَمَّ والضِّيقَ ، ووسَّعَ عليَّ في الرِّزقِ ، وأزالَ المحنةَ [(٤)]

حِكَايَة

[مَن حفظَهُ خمساً خمساً . . لم ينسَهُ]

٨١٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : وأخبرَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وزيدِ بنِ الحسنِ قالا : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ الشَّيْبانيُّ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ الحافظُ ، أنا عبيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ السِّمْسارُ ، ثنا محمَّدُ بنُ إسماعيلَ الوَرَّاقُ إملاءً ، حدَّثَني أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ الصَّيْدَلانيُّ ، حدَّثَني أبو الفضلِ بَزِيعُ بنُ عبيدِ بنِ بَزِيعٍ البَزَّازُ المُقرِئُ قالَ : قرأتُ علىٰ سليمانَ بنِ موسى الخُمْريِّ ، فأخذَ عليَّ خمساً فعقدَها بيدِهِ ، ثمَّ قالَ لي : حسبُكَ ، فقلتُ : زِدْني .

فقالَ لي : قرأتُ علىٰ سُلَيمِ بنِ عيسىٰ ، فأخذَ عليَّ خمساً ، ثمَّ قالَ لي : حسبُكَ ، فقلتُ : زِدْني .

فقالَ : قرأتُ علىٰ حمزةَ بنِ حبيبٍ الزَّيَّاتِ ، فأخذَ عليَّ خمساً ، فقالَ لي : حسبُكَ ، فقلتُ : زِدْني .

فقالَ لي : قرأتُ علىٰ سليمانَ بنِ مهرانَ الأعمشِ ، فأخذَ عليَّ خمساً ، فقلتُ : زِدْني .

فقالَ لي : قرأتُ علىٰ يحيى بنِ وثابٍ ، فأخذَ عليَّ خمساً ، ثمَّ قالَ لي : حسبُكَ ، فقلتُ : زِدْني .

---

(١) سورة غافر : (٤٤) .

(٢) سورة هود ﷺ : (٨٨) .

(٣) سورة التوبة : (١٢٩) .

(٤) أخرجه التنوخي في « الفرج بعد الشدة » (١/١٤٣ ـ ١٤٤) ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢/١٨٠) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٩٦٦) وعزواه لابن النجار .

فقالَ : إنِّي قرأتُ علىٰ أبي عبدِ الرَّحمـٰنِ السُّلَميِّ ، فأخذَ عليَّ خمساً ، ثمَّ قالَ لي : حسبُكَ ، فقلتُ : زِدْني .

فقالَ لي : قرأتُ علىٰ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فأخذَ عليَّ خمساً ، ثمَّ قالَ لي : حسبُكَ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ زِدْني ، فقالَ لي : (حسبُكَ ، هـٰكذا أُنزلَ القرآنُ خمساً خمساً ، ومَن حفظَ خمساً خمساً . . لم ينسَهُ ، إلَّا سورةَ الأنعامِ ؛ فإنَّها أُنزِلَتْ جملةً في ألفٍ ، يُشيِّعُها مِن كلِّ سماءٍ سبعونَ مَلَكاً ، حتَّىٰ أدَّوها إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ما قُرِئَتْ علىٰ عليلٍ قطُّ إلَّا شفاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ) [1]

حكاية

[ممَّن عاشَ بعدَ الموتِ]

٨١٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، وأنبأَني أبو الفرجِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ المُقرِئُ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ قالَ : أنا أبو المعالي أحمدُ بنُ محمَّدٍ ابنُ المَذاريِّ [2] ، ثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ ابنُ البَنَّاءِ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ ابنِ بِشْرانَ ، أنا الحسينُ بنُ صفوانَ .

(ح) قالَ ابنُ النَّجَّارِ : وأخبرَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ صالحٍ الأديبُ بأصبهانَ قالَ : أنا أبو الخيرِ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنُ الباغبانِ ، ومسعودُ بنُ الحسنِ الثَّقفيُّ قالا : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ ابنِ مَنْدَهْ ، أنا الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ المَدِينيُّ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ اللُّنْبانيُّ قالا : أنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ ابنُ أبي الدُّنيا القرشيُّ قالَ : حدَّثَني إسماعيلُ بنُ أسدٍ ، ثنا خلفُ بنُ تميمٍ قالَ : ثنا [بشيرٌ] [3] أبو الخَصِيبِ قالَ : كنتُ رجلاً مُوسِراً تاجراً ، وكنتُ أسكنُ مدائنَ كسرىٰ ، وذٰلكَ [في] زمنِ طاعونِ ابنِ هبيرةَ ، فأتاني أجيرٌ لي يُدعىٰ : أشرفَ ،

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢١١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٢١١) ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢/٨٠) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٠٦٩) وعزواه لابن النجار .

(٢) المَذاري : نسبة إلى (المَذار) ، وهي قرية أسفل البصرة ، وكان أبوه سكنها زماناً فسمِّي بها . « الأنساب » (٥/٢٤٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٧/٢٣٦ ـ ٢٣٧) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ ، ب ، ج) : (بشر) ، والمثبت موافق لما في « فتح الباب في الكنىٰ والألقاب » لأبي عبد الله ابن منده (ص ٣٠١) ، و« الإكمال » لابن ماكولا (١/٢٨٧) .

فقالَ : إنَّ ها هنا في بعضِ خاناتِ المدائنِ رجلاً ميّتاً ، ليسَ يوجدُ لهُ كفنٌ .

قالَ : فمضيتُ علىٰ دابَّتي حتَّىٰ دخلتُ ذٰلكَ الخانَ ، فدُفِعتُ إلىٰ رجلٍ ميّتٍ علىٰ بطنِهِ لبنةٌ ، وحولَهُ نفرٌ مِن أصحابِهِ ، فذكروا مِن عبادتِهِ وفضلِهِ ، قالَ : فبعثتُ إلىٰ كفنٍ يُشترىٰ لهُ ، وبعثتُ إلىٰ حافرٍ يحفرُ قبراً ، قالَ : وهيَّأْنا لهُ لَبِناً ، وجلسْنا نُسخِّنُ الماءَ لنغسلَهُ .

فبينا نحنُ كذٰلكَ . . إذ وثبَ الميّتُ وثبةً نَدَرَتْ [منها] اللَّبنةُ عن بطنِهِ[1] ، وهوَ ينادي بالويلِ والثُّبورِ !! فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ أصحابُهُ . . تصدَّعَ عنهُ بعضُهُم .

قالَ : فدنوتُ منهُ ، فأخذتُ بِعَضُدِهِ فهززتُهُ ، فقلتُ : ما رأيتَ وما حالُكَ ؟ فقالَ : صحبتُ مشيخةً مِن أهلِ الكُوفةِ ، فأدخلوني في دينِهِم ـ أو قالَ : في رأيِهِم ، أو : أهوائِهِم ـ علىٰ سبِّ أبي بكرٍ وعمرَ والبراءةِ منهُما .

قالَ : قلتُ : فاستغفرِ اللهَ ولا تَعُدْ ، فقالَ : فما ينفعُني وقدِ انطُلِقَ بي إلىٰ مدخلي مِنَ النَّارِ ، فأُريتُهُ ، ثمَّ قيلَ لي : إنَّكَ سترجعُ إلىٰ أصحابِكَ ، فتُحدِّثُهُم بما رأيتَ ، ثمَّ تعودُ إلىٰ حالِكَ الأُولىٰ ؟!

فانتظرتُ حتَّىٰ أُتيتُ بالكفنِ فأخذتُهُ ، ثمَّ قلتُ : لا كفَّنتُهُ ، ولا غسلتُهُ ، ولا صلَّيتُ عليهِ ، ثمَّ انصرفتُ فأُخبِرتُ أنَّ النَّفرَ الَّذينَ كانوا . . همُ الَّذينَ وَلُوا غسلَهُ ودفنَهُ والصَّلاةَ عليهِ ، وقالوا لقومٍ سمعوا مثلَ الَّذي سمعتُهُ وتجنَّبوا مثلَ الَّذي تجنَّبتُ : ما[2] الَّذي استنكرتُم مِن صاحِبِنا ؟ إنَّما كانَتْ خطفةً مِن شيطانٍ تكلَّمَ علىٰ لسانِهِ .

قالَ خلفٌ : قلتُ : يا أبا الخَصِيبِ ؛ هٰذا الَّذي حدَّثتَني بمشهدٍ منكَ ؟ قالَ : نعم ، بصرَ عيني وسمعَ أذني .

قالَ خلفٌ : فسألتُ عنهُ فذكروا خيراً[3]

٨١٩ ـ وبهِ إلى ابنِ أبي الدُّنيا قالَ : وحدَّثَني عليُّ بنُ محمَّدٍ ، عن خلفِ بنِ تميمٍ

---

(١) نَدَرَتْ : سَقَطَتْ .

(٢) كُتِب فوقها في (ب ، ج) : (مقول : قالوا) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « من عاش بعد الموت » (١٩) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢٣٦٧ ـ ٢٣٦٨) .

قالَ : (رأيتُ سفيانَ الثَّوْريَّ يسألُ هٰذا الشَّيخَ عن هٰذا الحديثِ)[1]

نُكْتَةٌ

[في الوقيعةِ في الأولياءِ]

٨٢٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو رَوْحٍ عبدُ المُعِزِّ بنُ محمَّدٍ بهَرَاةَ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي رَوْحٍ عبدِ المُعِزِّ قالَ : أنا يوسفُ بنُ أيُّوبَ الزَّاهدُ ، أنا أحمدُ بنُ عليٍّ الخطيبُ الحافظُ ، أخبرَني بكرانُ بنُ الطَّيِّبِ الجَرْجَرائيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ المُفيدُ ، ثنا عبدُ الصَّمدِ بنُ محمَّدٍ قالَ : سمعتُ أبا ترابٍ النَّخْشَبيَّ يقولُ : (إذا أَلِفَ القلبُ الإعراضَ عنِ اللهِ . . صحبَتْهُ الوقيعةُ في أولياءِ اللهِ)[2]

نُكْتَةٌ

[في حظِّ المؤمنِ مِنَ المؤمنِ]

٨٢١ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ ، وعبدُ العزيزِ بنُ معالي الأُشْنانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ قالا : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي الأنصاريُّ .

(ح) قالَ ابنُ النَّجَّارِ : وأخبرَنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ بنِ كاملٍ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ الشَّيْبانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ ، وعبدِ الرَّحمٰنِ بنِ المُكبِّرِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ الشَّيْبانيُّ قالا : أنا أحمدُ بنُ عليٍّ الخطيبُ أبو بكرٍ قالَ : أخبرَني بكرانُ بنُ الطَّيِّبِ الجَرْجَرائيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ أبو بكرٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ سهلٍ الرَّازيُّ قالَ : سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ الرَّازيَّ يقولُ : (ليكنْ حظُّ المؤمنِ منكَ ثلاثاً : إن لم تنفعْهُ . . فلا تضرَّهُ ، وإن لم تُفرِحْهُ . . فلا تغمَّهُ ، وإن لم تمدحْهُ . . فلا تذمَّهُ)[3]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « من عاش بعد الموت » (٢٠) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٤٩) ، والخطيب البغدادي في « مسألة الاحتجاج بالشافعي » (ص ٤٣) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/٣٤٧) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي كما في « المنتخب من الزهد والرقائق » (٩١) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » ←

حكاية

[بينَ بهلولٍ وسليمانَ بنِ عليٍّ]

٨٢٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ داوودَ بنِ معمرٍ الواعظِ بأصبهانَ ، أخبرَتْكَ فاطمةُ بنتُ محمَّدِ بنِ أبي سعدٍ البغداديِّ ، عن أحمدَ بنِ الفضلِ الباطِرْقانيِّ قالَ : ثنا أبو بكرٍ ابنُ مردويهِ ، ثنا أبو عمرٍو ابنُ حكيمٍ ، ثنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ زكريَّا العدويُّ ، ثنا عليُّ بنُ عيسىٰ ، ثنا حمَّادُ بنُ سلمةَ ، ثنا الفضلُ بنُ سليمانَ قالَ : كانَ بهلولٌ يأتي سليمانَ بنَ عليٍّ ، فيضحكُ منهُ ساعةً ثمَّ ينصرفُ ، فجاءَهُ يوماً فضحكَ منهُ ساعةً ، ثمَّ قالَ لهُ : عندَكَ شيءٌ يُؤكَلُ ؟ فقالَ لغلامِهِ : هاتِ لبهلولٍ خبزاً وجبناً ، فأكلَ ثمَّ انصرفَ .

ثمَّ إنَّهُ أتاهُ يوماً آخرَ ، فضحكَ منهُ ساعةً ، ثمَّ قالَ لهُ : عندَكَ شيءٌ يُؤكَلُ ؟ فقالَ : يا غلامُ ؛ هاتِ لبهلولٍ خبزاً وزيتوناً ، فجاءَ بهِ فأكلَ ، ثمَّ قامَ لينصرفَ ، فقالَ لسليمانَ بنِ عليٍّ : يا صاحبُ ؛ إن جئْنا إلىٰ بيتِكُم يومَ العيدِ . . يكونُ عندَكُم لحمٌ ؟

قالَ : فخجلَ (١)

حكاية

[وفي الدُّنيا أَحَبُّ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ مِنَ الدَّراهمِ ؟!]

٨٢٣ ـ وبهِ إلى الحسنِ بنِ عليٍّ العدويِّ ، ثنا عليُّ بنُ عيسى الكُوفيُّ ، حدَّثَني القاسمُ بنُ هارونَ قالَ : حجَّ هارونُ الرَّشيدُ ، فذُكِرَ لهُ بهلولٌ حينَ دخلَ الكُوفةَ ، فأمرَ بإحضارِهِ ، وقالَ : أَلبِسوهُ سواداً ، وضعوا علىٰ رأسِهِ قَلَنسوةً طويلةً ، وقِفوهُ في موضعِ كذا وكذا ، ففعلوا ، وقالوا لهُ : ادعُ لأميرِ المؤمنينَ إذا رأيتَهُ .

فلمَّا حاذاهُ الرَّشيدُ . . رفعَ صوتَهُ ، وقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أسألُ اللهَ أن يرزقَكَ ويُوسِّعَ عليكَ مِن فضلِهِ ، قالَ : فضحكَ الرَّشيدُ وقالَ : آمينَ .

(٦١/٤) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ٤٠٠ ـ ٤٠١) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (٢٧٨/١) ، و« وفيات الأعيان » (١٦٧/٦) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (٥٥/٨) .

(١) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٢٤١) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٣١١/١٠) .
وهنا نهاية النسختين (ب ، ج) ، وفي آخر (ب) : (تمَّ تمَّ تمَّ) ، وفي آخر (ج) : (بلغ مقابلة علىٰ أصله المنقول منه وهو بخطِّ المصنِّف) .

فلمَّا جاوزَهُ الرَّشيدُ . . وقعَ في قَفاهُ صاحبُ الشُّرطةِ ، وقالَ : هٰكذا تدعو لأميرِ المؤمنينَ يا مجنونُ ؟! فقالَ بهلولٌ : اسكتْ ويلَكَ !! في الدُّنيا أَحَبُّ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ مِنَ الدَّراهمِ ؟!

قالَ : فبلغَ ذٰلكَ الرَّشيدَ فضحكَ ، وقالَ : واللهِ ؛ ما كذبَ (١)

نُكتةٌ

[في مواساةِ بهلولٍ بنفسِهِ]

٨٢٤ ـ وأُنبئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ ، وغيرِهِ ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ الملكِ : أنَّ أبا بكرٍ الأَرْدِسْتانيَّ أخبرَهُ قالَ : أنا أبو القاسمِ المُفسِّرُ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ شعيبٍ الفارسيُّ ، أنا بكَّارُ بنُ عامرٍ البصريُّ ، أخبرَني بعضُ أهلِ الكُوفةِ أنَّهُ وُلِدَ لبعضِ أمراءِ الكُوفةِ ابنةٌ ، فساءَهُ ذٰلكَ ، وامتنعَ مِنَ الطَّعامِ ، وحجبَ النَّاسَ عنهُ .

فأتىٰ بهلولٌ حاجبَهُ ، فقالَ : ائذنْ لي على الأميرِ ، فقالَ : ويحَكَ !! إنَّ الأميرَ محزونٌ ، قالَ : وما سببُ ذٰلكَ ؟ قالَ : وُلِدَتْ لهُ ابنةٌ ، قالَ : فهوَ وقتَ دخولي عليهِ ، فأُدخِلَ .

فلمَّا وقفَ بينَ يدَيهِ . . قالَ : أيُّها الأميرُ ؛ ما هٰذا الحزنُ ؟ أجزِعتَ لذاتِ خَلْقٍ سَوِيٍّ ، هبةِ ربِّ العالَمينَ ؟ أيسرُّكَ أنَّ مكانَها ابناً مثلي ؟!

قالَ : ويحَكَ !! فرَّجتَ عنِّي ، فدعا بالطَّعامِ وأذنَ للنَّاسِ (٢)

* * *

٨٢٥ ـ وبهِ إلىٰ أبي القاسمِ المُفسِّرِ قالَ : سمعتُ أبا محمَّدٍ الحسنَ بنَ صالحِ بنِ عُجَيفٍ البغداديَّ قالَ : مرَّ بي مجنونٌ بواسِطَ ، فقلتُ لهُ : يا مجنونُ ، فقالَ لي : وأنتَ عاقلٌ ؟ قلتُ : نعم .

قالَ : كلانا مجنونٌ ، قلتُ : وكيفَ ؟

قالَ : أنا أُخرِّقُ الثِّيابَ وأرمي ، وأنتَ تعمرُ داراً لا بقاءَ لها ، وتبيتُ تُريدُ تخريبَها ، وتُطوِّلُ أملَكَ وليسَ حياتُك بيدِكَ ، وتعصي الرَّحمٰنَ وهوَ وَلِيُّكَ ، وتُطيعُ الشَّيطانَ وهوَ عدوُّكَ ، ثمَّ مرَّ (٣)

---

(١) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٢٤٢) .

(٢) أخرجه أبو القاسم المفسر في « عقلاء المجانين » (٢٦٤) ، وانظر « الأذكياء » لابن الجوزي (ص ١٨٤) .

(٣) انظر « الأذكياء » لابن الجوزي (ص ١٨٥) .

حِكَايَة

[جلالةُ حضرةِ المُصطفىٰ ﷺ]

٨٢٦ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : كتبَ إليَّ أبو محمَّدٍ القاسمُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ الدِّمشقيُّ قالَ : أنا أبو الفتحِ [نصرُ اللهِ] [١] بنُ محمَّدٍ ، ثنا نصرُ بنُ إبراهيمَ إملاءً ، حدَّثَني أبو القاسمِ ثابتُ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ البغداديُّ : (أنَّهُ رأىٰ رجلاً بمدينةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أذَّنَ الصُّبحَ عندَ قبرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ فيهِ : « الصَّلاةُ خيرٌ مِنَ النَّومِ » .

فجاءَهُ رجلٌ مِن خدمِ المسجدِ فلطمَهُ حينَ سمعَ ذٰلكَ ، فبكى الرَّجلُ ، وقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ في حضرتِكَ يُفعَلُ بي هٰذا الفَعالُ .

قالَ : ففُلِجَ الخادمُ في الحالِ !! وحُمِلَ إلىٰ دارِهِ ، فمكثَ ثلاثةَ أيَّامٍ وماتَ) [٢]

حِكَايَة

[في علامةِ ذُلِّ الهوىٰ]

٨٢٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أخبرَني أبو المُظفَّرِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ أبي سعدٍ ابنِ السَّمْعانيِّ فيما شافهَني بهِ بمَرْوَ .

(ح) وأنبأَني أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عن عبدِ الرَّحيمِ ابنِ السَّمْعانيِّ : أنَّ حنبلَ بنَ عليٍّ البُخاريَّ أخبرَهُ ، عن أبي سعيدٍ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ النَّيسابوريِّ ، أنا أبو سعيدٍ عثمانُ بنُ أبي عمرَ محمَّدِ بنِ سليمانَ النَّوْقانيُّ ، أنا أبي ، حدَّثَني أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عليٍّ القَزْوينيُّ بحكايةٍ عجيبةٍ عجيبةٍ قالَ : حدَّثَني جعفرُ بنُ الحسنِ البغداديُّ الصُّوفيُّ ، حدَّثَني أبو العنبسِ الصَّيْمَريُّ ، حدَّثَنيَ الحارثُ بنُ إسحاقَ الرَّافِقيُّ قالَ : كنتُ في مجلسٍ بالرَّقَّةِ عندَ صديقٍ لي ، وكانَ معَنا فتىً يتعشَّقُ مُغنِّيةً ، وكانَتْ عندَنا في المجلسِ ، فغنَّتْ : [من مجزوء المتقارب]

عَلامَةُ ذُلِّ ٱلْهَوىٰ ... عَلَى ٱلْعَاشِقِينَ ٱلْبُكَا

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١١٨/٢٠) ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (٩٤١) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٤/١١) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٩٣/٣٢) .

وَلَا سِـــيَّـــمَـــا عَـــاشِـــقٍ إِذَا لَـــمْ يَـــجِـــدْ مُـــشْـــتَـــكَـــىٰ

فقالَ لها الفتىٰ : أحسنتِ يا سيِّدتي ، فتأذنينَ لي في أن أموتَ ؟

قالَتْ لهُ : متْ راشداً .

فوضعَ رأسَهُ على الوِسادةِ ، وغمَّضَ عينَيهِ ، فحرَّكْناهُ فوجدْناهُ ميِّتاً !![1]

حكاية

[مَثَلُ هـٰؤلاءِ مَثَلُ الغيثِ]

٨٢٨ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ يحيى بنُ أسعدَ ابنِ بَوْشٍ التَّاجرُ ، أنا أبو طالبٍ عبدُ القادرِ بنُ محمَّدِ ابنِ يوسفَ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الجَوْهَريُّ قراءةً عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ الجَوْهَريِّ قالَ : أنا سهلُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سهلٍ الدِّيباجيُّ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسنِ بالرَّمْلةِ ، ثنا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ قُرَيبٍ ، وزيدُ بنُ أخزمَ قالا : ثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن جعفرِ بنِ محمَّدٍ أنَّهُ دخلَ علىٰ أبي جعفرٍ المنصورِ وعندَهُ رجلٌ مِن ولدِ الزُّبيرِ بنِ العوَّامِ ، وقد سألَهُ وقد أمرَ لهُ بشيءٍ ، فسخطَهُ الزُّبيريُّ واستقلَّهُ ، فأغضبَ المنصورَ ذٰلكَ مِنَ الزُّبيريِّ حتَّىٰ بانَ فيهِ الغضبُ .

فأقبلَ عليهِ أبو عبدِ اللهِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ حدَّثَني أبي ، عن أبيهِ عليِّ بنِ الحسينِ ، عن أبيهِ ، عن عليٍّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَعْطَىٰ عَطِيَّةً طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ . . بُورِكَ لِلْمُعْطِي وَٱلْمُعْطَىٰ » .

فقالَ أبو جعفرٍ : واللهِ ؛ لقد أعطيتُهُ وأنا غيرُ طيِّبِ النَّفسِ بها ، ولقد طابَتْ بحديثِكَ هـٰذا .

ثمَّ أقبلَ على الزُّبيريِّ ، فقالَ : حدَّثَني أبي ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ ، عن أميرِ المؤمنينَ عليٍّ أنَّهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ ٱسْتَقَلَّ قَلِيلَ ٱلرِّزْقِ . . حَرَمَهُ ٱللهُ كَثِيرَهُ » .

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٨/٥٥٠) عن عمرو بن الحارث الرافقي ، و« الموشىٰ » للوشاء (ص ٧٨ ـ ٧٩) .

فقالَ الزُّبيريُّ : واللهِ ؛ لقد كانَ عندي قليلاً ، ولقد كَثُرَ عندي بحديثِكَ هـٰذا .

قالَ سفيانُ : فلقيتُ الزُّبيريَّ ، فسألتُهُ عن تلكَ العطيَّةِ ، فقالَ : لقد كانَتْ نزرةً قليلةً ، فقبلتُها فبلغَتْ في يدي خمسينَ ألفَ درهمٍ !!

وكانَ سفيانُ بنُ عُيَينةَ يقولُ : مَثَلُ هـٰؤلاءِ القومِ مَثَلُ الغيثِ ؛ حيثُ وقعَ نفعَ [1]

حكاية

[ما كانَ للهِ أخفيْناهُ ، وما كانَ لكُم أبديْناهُ]

٨٢٩ ـ وأُخبِرتُ عنِ الشَّيخِ نجيبِ الدِّينِ الحَرَّانيِّ سماعاً ، عن أبي المكارمِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنِ اللَّبَّانِ قالَ : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ الحَدَّادُ قراءةً عليهِ قالَ : ثنا أبو نُعَيمٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ ، ثنا أبو أحمدَ محمَّدُ بنُ أحمدَ الغطريفيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ مُكرمٍ الضَّبِّيُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ الحميدِ ، ثنا موسى بنُ مسعودٍ ، ثنا سفيانُ الثَّوْريُّ قالَ : دخلتُ علىٰ جعفرِ بنِ محمَّدٍ وعليهِ جُبَّةُ خَزٍّ دَكْناءَ ، وكِساءُ خَزٍّ أَنْدُخانيٌّ [2] ، فجعلتُ أنظرُ إليهِ تعجُّباً ، فقالَ لي : يا ثَوريُّ ؛ ما لكَ تنظرُ إلينا ؟ لعلَّكَ تعجبُ ممَّا رأيتَ .

قالَ : قلتُ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ ليسَ هـٰذا مِن لباسِكَ ولا لباسِ آبائِكَ .

فقالَ لي : يا ثَوْريُّ ؛ كانَ ذٰلكَ زماناً مُقتِراً مُقفِراً ، وكانوا يعملونَ علىٰ قدرِ إقفارِهِ وإقتارِهِ ، وهـٰذا زمانٌ قد أسبلَ كلُّ شيءٍ فيهِ عزاليَهُ .

ثمَّ حسرَ عن رُدْنِ جُبَّتِهِ ، فإذا تحتَها جُبَّةُ صوفٍ بيضاءُ ، يقصرُ الذَّيلُ عنِ الذَّيلِ ، والرُّدْنُ عنِ الرُّدْنِ ، فقالَ لي : يا ثَوْريُّ ؛ لَبِسْنا هـٰذا للهِ ، وهـٰذا لكُم ، فما كانَ للهِ تعالىٰ أخفيْناهُ ، وما كانَ لكُم أبديْناهُ [3]

***

(١) ذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢/١٨٣) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (١٦٩٦٠) وعزواه لابن النجار .

(٢) كذا في (أ) ، وفي « حلية الأولياء » : (أيرجاني) ، وفي « تهذيب الكمال » : (أندجاني) ، ولعلَّها نسبة إلىٰ (أندجان) مدينة بفَرْغانة ، وقال القَزْوينيُّ : (فَرْغانة : بها جبلٌ يُستعمَلُ رمادُهُ في تبييض الثِّياب) . انظر « آثار البلاد » (ص ٦٠٣) بتصرُّف ، والله أعلم .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/١٩٣) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٥/٨٦) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٦/٢٦١ ـ ٢٦٢) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/٧٢٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٣٩ ـ ٤٠) .

٨٣٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجّارِ قالَ : أنا أبو القاسمِ موسى بنُ سعيدٍ العبَّاسيُّ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، وغيرِهِ ، عن إسماعيلَ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ ، أنا أبو القاسمِ عمرُ بنُ عبدِ الملكِ الرَّزَّازُ ، أنا أحمدُ بنُ سلمانَ الفقيهُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ القرشيُّ ، حدَّثَنيَ الوليدُ بنُ شجاعٍ السَّكُونيُّ (١) ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ أعينَ ، عن يحيى بنِ الفُراتِ الهَمْدانيِّ قالَ : قالَ جعفرُ بنُ محمَّدٍ لسفيانَ الثَّوْريِّ : (يا سفيانُ ؛ لا يتمُّ المعروفُ إلَّا بثلاثٍ : بتعجيلِهِ ، وتصغيرِهِ ، وسَترِهِ) (٢) .

نُكتةٌ

[في حدودِ الصَّداقةِ]

٨٣١ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجّارِ ، وأبي محمَّدٍ ابنِ الأخضرِ ، وغيرِهِما ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ قالَ : أنا أبو الغنائمِ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ ميمونٍ النَّرْسيُّ في كتابِهِ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ العلويُّ ، أنا الحسنُ بنُ حسينِ بنِ حُبَيشٍ ، وزيدُ بنُ محمَّدٍ المُؤدِّبُ قالا : أنا أبو بكرٍ ابنُ أبي دارمٍ التَّميميُّ ، ثنا الحسينُ بنُ محمَّدٍ البَجليُّ ، حدَّثَني مُعلَّى بنُ محمَّدٍ البصريُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ السَّيّاريُّ ، عن بعضِ رجالِهِ ، عن جعفرِ بنِ محمَّدٍ قالَ : (الصَّداقةُ لا تكونُ إلَّا بحدودِها ، فمَن كانَ فيهِ شيءٌ مِن هٰذهِ الخصالِ أو بعضُها . . فانسبْهُ إلى الصَّداقةِ .

ثمَّ حَدَّها فقالَ : أوَّلُ حدودِها : أن تكونَ سريرتُهُ وعلانِيَتُهُ لكَ سواءً .

والثّانيةُ : أن يرىٰ شَيْنَكَ شَيْنَهُ ، وزَيْنَكَ زَيْنَهُ .

والثّالثةُ : لا يُغَيِّرُهُ مالٌ ، ولا وِلايةٌ .

والرّابعةُ : لا يمنعُكَ شيئاً تنالُهُ يدُهُ .

---

(١) السَّكُوني : نسبة إلى (السَّكُون) ، وهو بطن من كِندة . « الأنساب » (٣/٢٧٠ ـ ٢٧١) .

(٢) أخرجه أبو القاسم الزجاجي في « أخباره » (ص١٧) مطوّلاً ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/١٩٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/١٦٧ ـ ١٦٨) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٥/٩١) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/٧٢٢) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/٢٦٢) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٤١) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٩٨٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/٢٦٣) ، ويروىٰ عن سيدنا عبد الله بن عباس وعن أبيه رضي الله عنهما .

والخامسةُ ـ وهيَ تجمعُ هٰذهِ الخصالَ ـ : لا يُسلِمُكَ عندَ النَّكباتِ)[1]

حكاية

[في وِشايةٍ بجعفرٍ الصَّادقِ]

٨٣٢ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي أحمدَ عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ الأمينِ .

(ح) وأنبأَنيَ ابنُ وَرِيدةَ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، عن فاطمةَ بنتِ أبي حكيمٍ الخَبْرِيّ قالَتْ : أنا أبو منصورٍ عليُّ بنُ الحسنِ ابنِ الفضلِ الكاتبُ ، أنا أبو عبدِ اللهِ [أحمدُ بنُ محمَّدٍ][2] الكاتبُ ، أنا أبو محمَّدٍ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الجَوْهَريُّ ، ثنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ سعيدٍ الدِّمشقيُّ ، ثنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، حدَّثَني عليُّ بنُ صالحٍ ، عن عامرِ بنِ صالحٍ قالَ : سمعتُ الفضلَ بنَ الرَّبيعِ يُحدِّثُ عن أبيهِ الرَّبيعِ قالَ : قدمَ المنصورُ المدينةَ ، فأتاهُ قومٌ فَوَشَوا بجعفرِ بنِ محمَّدٍ ، وقالوا : إنَّهُ لا يرى الصَّلاةَ خلفَكَ ويتنقَّصُكَ ، ولا يرى التَّسليمَ عليكَ .

فقالَ لهُم : وكيفَ أقفُ علىٰ صدقِ ما تقولونَ ؟ قالوا : أن تمضيَ ثلاثُ ليالٍ ولا يصيرَ إليكَ مُسلِّماً ، قالَ : إنَّ في ذٰلكَ لدليلاً .

فلمَّا كانَ في اليومِ الرَّابعِ . . قالَ : يا ربيعُ ؛ ائتِني بجعفرِ بنِ محمَّدٍ ، قتلَنيَ اللهُ إن لم أقتلْهُ ، قالَ الرَّبيعُ : فأخذَني ما قَدُمَ وما حَدُثَ ، فدافعتُ بإحضارِهِ يومي ذٰلكَ .

فلمَّا كانَ مِن غدٍ . . قالَ : يا ربيعُ ؛ أمرتُكَ بإحضارِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ فورَّيتَ عن ذٰلكَ ، ائتِني بهِ ، قتلَنيَ اللهُ إن لم أقتلْهُ ، وقتلَني إن لم أبدأْ بكَ إن أنتَ لم تأتِني بهِ .

قالَ الرَّبيعُ : فمضيتُ إلىٰ أبي عبدِ اللهِ ، فوافيتُهُ يُصلِّي إلىٰ جنبِ أسطوانةِ التَّوبةِ ، فقلتُ : أبا عبدِ اللهِ ؛ أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ ، فقد دعاكَ ، فأوجزَ في صلاتِهِ وتشهَّدَ وسلَّمَ ، وأخذَ نعلَهُ ومضىٰ معي ، وجلسَ يهمسُ بشيءٍ أفهمُ بعضَهُ وبعضاً لم أفهمْهُ .

فلمَّا أدخلتُهُ علىٰ أبي جعفرٍ . . سلَّمَ عليهِ بالخلافةِ ، فلم يردَّ عليهِ السَّلامَ ، وقالَ :

---

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (١١/١٢٨ ـ ١٢٩) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (محمد بن أحمد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (٥/٢٥٣) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٥٢٨ ، ٦٢٦) .

يا مرائي ، يا مارقُ ؛ مَنَّتْكَ نفسُكَ مكاني فزريتَ عليَّ ، ولم ترَ الصَّلاةَ خلفي والتَّسليمَ عليَّ .

فلمَّا فرغَ مِن كلامِهِ . . رفعَ جعفرٌ[1] رأسَهُ إليهِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ داوودَ النَّبيَّ عليهِ السَّلامُ أُعطِيَ فشكرَ ، وإنَّ أيُّوبَ ابتُلِيَ فصبرَ ، وإنَّ يوسفَ ظُلِمَ فصبرَ ، وهٰؤلاءِ صلواتُ اللهِ عليهِم أنبياؤُهُ وصفوتُهُ مِن خَلْقِهِ ، وأميرُ المؤمنينَ مِن أهلِ بيتِ النُّبوَّةِ ، وإليهِم يؤولُ نسبُهُ ، وأحقُّ مَن أخذَ بآدابِ الأنبياءِ مَن جعلَ اللهُ لهُ مثلَ حظِّكَ ، يا أميرَ المؤمنينَ ؛ يقولُ اللهُ جلَّ ثناؤُهُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[2] ، فتثبَّتْ يا أميرَ المؤمنينَ . . يصحَّ لكَ اليقينُ .

قالَ : فسُرِّيَ عن أبي جعفرٍ وزالَ الغضبُ عنهُ ، وقالَ : أنا أشهدُ ـ يا أبا عبدِ اللهِ ـ أنَّكَ صادقٌ ، وأخذَ بيدِهِ فرفعَهُ ، وقالَ : أنتَ أخي وابنُ عمِّي ، وأجلسَهُ معَهُ على السَّريرِ ، وقالَ : سَلْني حاجاتِكَ صغيرَها وكبيرَها .

قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قد أذهلَني ما كان مِن لقائِكَ وكلامِكَ عن حاجاتي ، ولٰكنِّي أُفكِّرُ وأجمعُ حوائجي إن شاءَ اللهُ .

قالَ الرَّبيعُ : فلمَّا خرجَ . . قلتُ لهُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ همستَ بكلامٍ أحببتُ أن أعرفَهُ .

قالَ[3] : نعم ، كانَ جدِّي عليُّ بنُ حسينٍ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (مَن خافَ مِن سلطانٍ ظُلامةً أو تغطرُساً . . فليقلِ : اللَّهُمَّ ، احرسْني بعينِكَ الَّتي لا تنامُ ، واكنُفْني بركْنِكَ الَّذي لا يُرامُ ، واغفرْ لي بقدرتِكَ عليَّ ، ولا أهلِكَنَّ وأنتَ رجائي ؛ فكم مِن نعمةٍ قد أنعمتَ بها عليَّ قَلَّ لكَ عندَها شكري ، وكم بليَّةٍ ابتليتَني بها قَلَّ لكَ عندَها صبري .

يا مَن قَلَّ عندَ نعمتِهِ شكري فلم يحرمْني ، ويا مَن قَلَّ عندَ نقمتِهِ صبري فلم يخذلْني ، ويا مَن رآني على الخطايا فلم يفضحْني ، ويا ذا النَّعماءِ الَّتي لا تُحصىٰ ، ويا ذا الأيادي الَّتي لا تنقضي ؛ أستدفعُ بكَ مكروهَ ما أنا فيهِ ، وأعوذُ بكَ مِن شرِّهِ يا أرحمَ الرَّاحمينَ)[4]

---

(١) توفِّي جعفر في خلافة أبي جعفر سنة ثمان وأربعين ومئة ، ابن إحدىٰ وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ) ، وفي مصادر التَّراجم أنَّه كان ابن ثمان وستِّين ، والله أعلم .

(٢) سورة الحجرات : (٦) .

(٣) عُنْونَ ها هنا في هامش (أ) بـ : (**فائدة**) .

(٤) انظر الدعاء في « الوافي بالوفيات » (١١/١٢٩) .

قالَ الرَّبيعُ : فكتبتُ الدُّعاءَ ، ولم يلتقِ معَ أميرِ المؤمنينَ المنصورِ ، ولا سألَهُ حاجةً حتَّىٰ فارقَ الدُّنيا (١)

حكاية

[في طالعِ أبي معشرٍ وآخرَ معَ المُوفَّقِ]

ظ ٨٣٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ ، وأنبأَني أبو الفرجِ بنُ أبي الفرجِ البغداديُّ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليِّ الأمينُ .

(ح) وأنبأَنيَ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الشَّاهدِ : أنَّ القاضيَ أبا القاسمِ عليَّ بنَ المُحسِّنِ بنِ عليِّ التَّنُوخيَّ أخبرَهُ ، عن أبيهِ قالَ : حدَّثَني أبو أحمدَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ الحارثِ الحارثيُّ قالَ : حدَّثَني أبي قالَ : كنتُ أحدَ مَن يعملُ في خزائنِ السِّلاحِ للمُهتدي ، فكنتُ يوماً قائماً بحضرةِ المُوفَّقِ في عَسْكَرِهِ لقتالِ صاحبِ الزَّنجِ ، وبحضرتِهِ أبو معشرٍ (٢) ومُنجِّمٌ آخرُ سمَّاهُ لي وأُنسيتُهُ أنا ، فقالَ لهُما : خُذا الطَّالعَ في شيءٍ قد أضمرتُهُ منذُ البارحةِ . . أَسَلْكُما عنهُ وأمتحنْكُما بهِ ، فأَخرِجا ضميري .

فأخذا الطَّالعَ وقالا جميعاً : تسألُنا عن حَمْلٍ ليسَ لإنْسِيٍّ ، فقالَ : هوَ كذٰلكَ ، فما هوَ ؟

قالَ : ففكَّرا طويلاً ، ثمَّ قالا : عن حَمْلِ بقرةٍ ، قالَ : هوَ كذٰلكَ ، فما تلدُ ؟

قالا جميعاً : ثَوْرٌ ، قالَ : فما شِيَتُهُ ؟ فقالَ أبو معشرٍ : أسودُ في جبهتِهِ بياضٌ ، [وقالَ الآخرُ : أسودُ وفي ذنبِهِ بياضٌ] (٣)

فقالَ المُوفَّقُ : ترونَ ما أجسرَ هـٰؤلاءِ !! أَحضِروا البقرةَ ، فأُحضِرَتْ وهيَ مُقرِبٌ (٤) ، فقالَ : اذبحوها ، فذُبِحَتْ وشُقَّ بطنُها ، فأُخرِجَ منها ثَوْرٌ صغيرٌ أسودُ ، أبيضُ طَرَفِ الذَّنبِ ،

---

(١) أخرجه الزبير بن بكار في « الأخبار الموفقيات » (٧٣) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٤٣ ـ ٤٤) .

(٢) مات أبو معشر المنجِّم المشهور صاحب التَّصانيف بواسِط ، في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين ومئتين ، وقد جاوز المئة . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

(٤) أي : قَرُبَ وِلادُها .

وقد التفَّ ذنبُهُ فصارَ علىٰ وجهِهِ ، فعجبَ المُوفَّقُ ومَن حضرَهُ مِن ذٰلكَ عجباً شديداً ، وأسنىٰ جائزتَهُما [١]

* *

٨٣٤ ـ وقالَ : حدَّثَني أبي قالَ : كنتُ أيضاً بحضرةِ المُوفَّقِ ، فأحضرَ أبا معشرٍ وهٰذا المُنجِّمَ ، وقالَ لهُما : معي شيءٌ ، فما هوَ ؟

فقالَ أحدُهُما بعدَ أن أخذَ الطَّالعَ وفكَّرَ طويلاً : هوَ شيءٌ مِنَ الفاكهةِ ، وقالَ أبو معشرٍ : هوَ شيءٌ مِنَ الحيوانِ .

فقالَ المُوفَّقُ للآخرِ : أحسنتَ ، وقالَ لأبي معشرٍ : أخطأتَ ، ورمىٰ مِن يدِهِ تفاحةً وأبو معشرٍ قائمٌ ، فتحيَّرَ وعاودَ النَّظرَ ساعةً ، ثمَّ عدا يسعىٰ نحوَ التُّفاحةِ حتَّىٰ أخذَها وكسرَها ، ثمَّ قالَ : اللهُ أكبرُ !! وقدَّمها إلى المُوفَّقِ ، فإذا هيَ تنغشُ بالدُّودِ [٢]

فهالَ المُوفَّقَ ما رآهُ مِن إصابتِهِ ، وأمرَ لهُ بجائزةٍ عظيمةٍ [٣]

فائدة جليلة

[في سيادةِ الأحنفِ والحسنِ]

٨٣٥ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ ابنُ الأخضرِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ قالَ : ثنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ ناصرٍ الحافظُ مِن لفظِهِ قالَ : ثنا أبو الفضلِ جعفرُ بنُ يحيى بنِ إبراهيمَ التَّميميُّ مِن لفظِهِ قالَ : أنا القاضي أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ عليِّ ابنِ صخرٍ الأَزْديُّ بمكَّةَ ، ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي زيدٍ السِّدْريُّ بالبصرةِ ، ثنا أبو محمَّدٍ القاسمُ بنُ محمَّدٍ الأنباريُّ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الطُّوسيُّ أبو الحسنِ قالَ : قالَ معاويةُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ لخالدِ بنِ صفوانَ : بِمَ بلغَ الأحنفُ فيكُم ؟

قالَ : إن شئتَ . . حدَّثتُكَ ألفاً ، وإن شئتَ . . حذفتُ لكَ الحديثَ حَذْفاً [٤]

---

(١) أخرجه التنوخي في « نشوار المحاضرة » (٢/٣٢٧ ـ ٣٢٨) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (١١/١٣٤) .

(٢) أي : تموج وتتحرَّك ويدخل بعضها في بعضها .

(٣) أخرجه التنوخي في « نشوار المحاضرة » (٢/٣٢٨) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (١١/١٣٤ ـ ١٣٥) .

(٤) أي : أخذتُ لك من أطرافه .

قالَ : احذفْهُ لي حَذْفاً ، قالَ : وإن شئتَ . . فثلاثٌ ، وإن شئتَ . . فاثنتَينِ ، وإن شئتَ . . فواحدةٌ .

قال : هاتِ الثَّلاثَ ، قالَ : كانَ لا يَشْرَهُ ، ولا يحسُدُ ، ولا يمنعُ حقّاً .

قالَ : فهاتِ الاثنتَينِ ، قالَ : كانَ موصوفاً بالخيرِ ، معصوماً مِنَ الشَّرِّ .

قالَ : فهاتِ الواحدةَ ، قالَ : كانَ أشدَّ النَّاسِ علىٰ نفسِهِ سلطاناً (١)

قالَ : فبِمَ بلغَ الحسنُ فيكُم ؟

قالَ : إن شئتَ . . حدَّثتُكَ شهراً ، وإن شئتَ . . نثرتُ لكَ الحديثَ نثراً .

قالَ : انثرْهُ لي نثراً ، قالَ : وإن شئتَ . . فاثنتَينِ ، وإن شئتَ . . فواحدةٌ .

قالَ : هاتِ الاثنتَينِ ، قالَ : كانَ لا يأمرُ بشيءٍ إلَّا فعلَهُ ، ولا ينهىٰ عن شيءٍ إلَّا انتهىٰ عنهُ .

قالَ : فهاتِ الواحدةَ ، قالَ : كانَ أشبهَ النَّاسِ سريرةً بعلانِيَةٍ (٢)

نُكْتَةٌ

[في قولِ الشَّافعيِّ في الصُّوفيِّ]

٨٣٦ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ الأَزَجيُّ ، عن أبي الرَّجاءِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ الكِسائيِّ : أنَّ أبا نصرٍ عبدَ الكريمِ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ هارونَ الشِّيرازيَّ أخبرَهُ قالَ : أنا أبو القاسمِ موسى بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ السَّاويُّ ، أنا محمَّدُ بنُ عمرَ المُقرِئُ الكاتبُ في كتابِ « تفضيلِ أخلاقِ الكلابِ علىٰ مَن أحوجَ إلى العتابِ مِن أهلِ الزَّيغِ والارتيابِ » مِن جَمْعِهِ وتصنيفِهِ (٣) ، قالَ : ولقد سمعتُ القاضيَ الجُنَيدَ بنَ عمرَ يقولُ ـ ونحنُ عندَ أبي عمرٍو ابنِ السَّمَّاكِ رحمَهُ اللهُ ـ : حدَّثونا عنِ الرَّبيعِ ، عنِ الشَّافعيِّ

---

(١) إلىٰ هنا أخرجه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٣/١٠٣) ، وانظره في « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٣٩٤) .

(٢) انظر « التذكرة البلقينية » (٧١) .

(٣) ذكر الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٤/٢٤٦) : (قال ابن النَّجَّار : رأيتُ له [يعني : محمَّد بن عمر المقرئ الكاتب] كتاباً سمَّاه : « تفضيل أخلاق الكلاب علىٰ مَن أحوج إلى العتاب مِن أهل الزَّيغ والارتياب » ، روىٰ فيه عن جماعةٍ سردَهم ابن النَّجَّار ، منهم أبو القاسم عبد الله البَغَويُّ) .

قالَ : (لا يكونُ الصُّوفيُّ صوفيّاً حتَّىٰ يكونَ كَسولاً ، أَكولاً ، نَؤوماً ، كثيرَ الفضولِ)[١]

❊ ❊ ❊

٨٣٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ شهابٍ الحاتميّ بهَرَاةَ ، عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ أبي سعدٍ السَّمْعانيّ قالَ : أنا أبي قالَ : سمعتُ أبا حفصٍ عمرَ بنَ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ الهَمَذانيَّ يقولُ : (كانَ أبو عليٍّ الفارقيُّ في آخِرِ عمرِهِ يحفظُ « المُهذَّبَ » و« الشَّاملَ »[٢] ، وكانَ يقولُ لنا إذا حضرْنا الدَّرسَ بينَ يدَيهِ : كررتُ البارحةَ على الرُّبعِ الفلانيِّ مِنَ « المُهذَّبِ » ، وكررتُ البارحةَ الأُولى الرُّبعَ الفلانيَّ مِنَ « الشَّاملِ »)[٣]

❊ ❊ ❊

٨٣٨ ـ وبهِ إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيّ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ اليَزْديَّ يقولُ : كنتُ أقرأُ كتابَ « الشَّاملِ » علىٰ أبي عليٍّ الفارقيِّ ، فإذا تركتُ مسألةً أو سقطَ مِنَ الأصلِ الَّذي كنتُ أقرأُ عليهِ منهُ . . ردَّ عليَّ مِن حفظِهِ ، وقالَ : تركتَ المسألةَ الفلانيَّةَ .

فقلتُ لهُ يوماً مِنَ الأيَّامِ : يا سيِّدي ؛ كيفَ تحفظُ « الشَّاملَ » ؟ فتبسَّمَ وقالَ : تقولُ لي : كيفَ تحفظُ ؟! علىٰ وجهِ الإنكارِ عليَّ ؛ يعني : إلى الآنَ أنا أحفظُهُ ؟! غيرَ أنَّهُ لم يُصرِّحْ لي بهِ ، ولم يزدْ علىٰ هـٰذا ، وكانَ قد ناهزَ المئةَ !! وهوَ أيقظُ النَّاسِ ، وأحفظُهُم وأذكاهُم ، وأحسنُهُم سمعاً وبصراً وعقلاً ؛ كأنَّهُ مِن أبناءِ العشرينَ[٤]

فائدة جيدة

[في السَّهوِ في سجودِ السَّهوِ]

٨٣٩ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ ، وغيرِهِ ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ

---

(١) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٢٠٧) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٣١٩) ، وبعده في « مناقب الشافعي » : (وإنَّما أرادَ بهِ ذمَّ مَن يكونُ منهُم بهـٰذهِ الصِّفةِ ، فأمَّا مَن صفا منهُم في الصُّوفيَّةِ بصدقِ التَّوكُّلِ على اللهِ عزَّ وجلَّ ، واستعمالِ آدابِ الشَّريعةِ في معاملتِهِ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ في العبادةِ ، ومعاملتِهِ معَ النَّاسِ في العشرةِ . . فقد حُكِيَ عنهُ أنَّهُ عاشرَهُم وأخذَ عنهُم) .

(٢) يعني : كتابَيِ الفقهِ الشَّافعيِّ : « المُهذَّبَ » لأبي إسحاق الشِّيرازيِّ ، و« الشَّامل » لابن الصَّبَّاغ .

(٣) ذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٩/٦٠٨) ، والتاج السبكي في « الطبقات الوسطىٰ » (ق/١٤٠) مخطوط وعزواه لأبي سعد السمعاني .

(٤) ذكره التاج السبكي في « الطبقات الوسطىٰ » (ق/١٤٠) مخطوط ، وعزاه لأبي سعد السمعاني .

الصَّيْرفيّ : أنَّ أبا الفضلِ عبيدَ اللهِ بنَ أحمدَ ابنَ الكُوفيِّ أخبرَهُ قالَ : أنا أبو الحسينِ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عمرَ ابنُ حَمَّةَ الخَلَّالُ قالَ : أخبرَني أبو القاسمِ ابنُ الإمامِ بقراءةِ أبي عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : حدَّثَني أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ سعيدٍ ابنُ عقدةَ الهَمَذانيُّ الحافظُ بالكُوفةِ قالَ : حدَّثَني أبي قالَ : كانَ الفَرَّاءُ ابنَ خالةِ محمَّدِ بنِ الحسنِ ، قالَ : فحضرَ يوماً الفَرَّاءُ عندَ محمَّدِ بنِ الحسنِ ، فقالَ الفَرَّاءُ : قَلَّ رجلٌ برعَ في علمٍ مِنَ العلومِ فأرادَ نوعاً غيرَهُ مِنَ العلمِ . . إلَّا وسهلَ عليهِ .

قالَ : فقالَ لهُ : يا أبا زكريَّا ؛ فأنتَ قد برعتَ في علمِ اللُّغةِ ، فأسأَلُكَ عن مسألةٍ مِنَ الفقهِ ؟ فقالَ لهُ : سَلْ .

فقالَ لهُ : ما تقولُ في رجلٍ صلَّىٰ صلاةً ، فسها فيها ، فأرادَ أن يسجدَ سجودَ السَّهوِ ، فسها فيهِ .

فأطرقَ مليّاً ، ثمَّ قالَ : لا سهوَ عليهِ .

فقالَ لهُ : ولِمَ قلتَ هـٰذا ؟ قالَ : لأنِّي نظرتُ إلى الاسمِ إذا صُغِّرَ . . يقبحُ تصغيرُهُ ، ولا تصغيرَ لتصغيرِهِ ، فقلتُ : للسَّهوِ سهوٌ ولا سهوَ لسهوِهِ[1] .

حكايةٌ نادرةٌ في الوجودِ

[مِن جودِ الوزيرِ حامدِ بنِ العبَّاسِ]

٨٤٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ ، وأنبأَني ابنُ وَرِّيدةَ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، وأنبأَني أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : ثنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ بنِ عليٍّ التَّنُوخيُّ إذناً ، عن أبيهِ قالَ : حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ الصَّيْرفيُّ قالَ : حدَّثَني أبو عليٍّ القَنَويُّ ـ شيخٌ مِن أهلِ الأدبِ ، تاجرٌ كانَ عندَنا بالبصرةِ ـ قالَ : ركبَ حامدُ بنُ العبَّاسِ[2] قبلَ الوزارةِ وهوَ عاملُ واسِطَ يوماً إلىٰ بستانٍ لهُ للنُّزهةِ ، فرأىٰ في طريقِهِ مِنَ البلدِ شيخاً مطروحاً على

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٢٢٧ ـ ٢٢٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/١٧٣) ، والقفطي في « إنباه الرواة » (٤/١٣ ـ ١٤) ، وانظر « معجم الأدباء » (١/٦٧ ـ ٦٨) ، وتروىٰ عن الكِسائي بدلاً من الفَرَّاء كما في « وفيات الأعيان » (٣/٢٩٦) ، و« الوافي بالوفيات » (٢١/٦٦ ـ ٦٧) .

(٢) هو حامد بن العبَّاس بن الفضل ، أبو محمَّد ، أصله من خُراسان ، ولم يزل يتقلَّد الأعمال الجليلة إلىٰ أن وزر للمُقتدِر ←

الطَّريقِ ، يبكي ويولولُ ، وحولَهُ نساءٌ وصبيانٌ علىٰ مثلِ حالِهِ مطروحينَ في الرَّمادِ .

فوقفَ وسألَ عن خبرِهِم ، فأُشيرَ لهُ إلىٰ دارٍ محترقةٍ ، فقيلَ : هيَ دارُ الشَّيخِ ، احترقَتِ البارحةَ فافتقرَ ، وكانَ تاجراً ، ولم يبقَ لهُ في الدُّنيا شيءٌ ، وأفلتَ بنفسِهِ وعيالِهِ علىٰ هٰذهِ الصُّورةِ .

فوجمَ ساعةً ، ثُمَّ قالَ : فلانٌ الوكيلُ ، فجاءَ إليهِ فقالَ : أُريدُ أن أندبَكَ لشيءٍ ، إن فعلتَهُ وعملتَهُ كما أُريدُ . . فعلتُ وصنعتُ ـ وذكرَ جميلاً كبيراً ـ ، وإن تجاوزتَ فيهِ رسمي . . فعلتُ بكَ وصنعتُ ـ وذكرَ قبيحاً ـ ، فقالَ : مُرْ بأمرِكَ .

فقالَ : قد ترىٰ حالَ هٰذا الشَّيخِ ، وقد آلَمَني قلبي لهُ ، وأردتُ التَّنزُّهَ وقد تنغَّصَ عليَّ بسببِهِ ، وما تسمحُ نفسي بالتَّوجُّهِ إليها إلَّا بعدَ أن تضمنَ لي أنِّي إذا عدتُ العشيَّةَ مِنَ النُّزهةِ . . وجدتُ الشَّيخَ في دارِهِ كما كانَتْ مبنيَّةً مُجصَّصةً نظيفةً ، وفيها القماشُ والصُّفرُ والمتاعُ مِن صنوفِهِ مثلَ ما كانَ فيها ، وعلىٰ جميعِ عيالِهِ مِن كسوةِ الشِّتاءِ والصَّيفِ مثلُ ما كانَ لهُم .

فقالَ لهُ الوكيلُ : تقدَّمْ إلى الجِهْبِذِ أن يُطلِقَ كلَّ ما أُريدُهُ للوقتِ ، وإلىٰ صاحبِ المعونةِ أن يقفَ معي ، ويُحضِرَ كلَّ مَن أُريدُهُ مِنَ الصُّنَّاعِ والنَّجَّارينَ ، وأنا ضامنٌ هٰذا قبلَ أن تعودَ .

فأحضرَ الجِهْبِذَ وصاحبَ الشُّرطةِ ، وتقدَّمَ إليهِما حامدٌ بذٰلكَ وسارَ ، وكانَ الزَّمانُ صيفاً ، وقالَ لصاحبِ الدَّارِ : انفردْ فاكتبْ كلَّ ما ذهبَ منكَ مِن كلِّ صنفٍ وقوِّمْهُ ، واجتمعْ معَ عيالِكَ على التَّذكرةِ حتَّىٰ لا يشذَّ عليكَ شيءٌ منهُ .

وأحضرَ الجِهْبِذُ مالاً عظيماً وصبَّهُ ، وضمنَ للصُّنَّاعِ أضعافَ أجرِهِم .

ثُمَّ جاءَ الرَّجلُ بدرجٍ عظيمٍ فيهِ ثَبَتٌ بكلِّ ما ذهبَ منهُ حتَّى المكنسةِ والمقدحةِ والأُشْنانِ والأطعمةِ ، فتفرَّقَ الرُّسلُ في التُّجَّارِ ، فأحضروا مثلَ ذٰلكَ ، فجمعَهُ في بيتٍ .

وصُلِّيَتِ العصرُ وقد سُقِفَتِ الدَّارُ وجُصِّصَتْ ، وعُلِّقَتْ أبوابُها ، ولم يبقَ إلَّا البياضُ ،

بعد ابن الفُرات في [أواخر] جمادى [الأولىٰ] سنة ستٍّ وثلاث مئة ، توفِّي مسموماً في شهر رمضان سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة غيرَ وزير ، وكان صرفه منها في أواخر شهر ربيع الآخر من هٰذه السَّنة ، وعاد إليها ابن الفُرات ثالثاً . انتهىٰ من هامش (أ) ، وما بين معقوفين هنا غير واضح ، واستُدرِك من مصادر التَّراجم .

فأنفذَ إلىٰ حامدٍ وسألَهُ التَّوقُّفَ في البستانِ ، ولا يركبَ منهُ إلىٰ أن يُصلِّيَ العَتَمةَ ؛ ليشاهدَ جميعَ ما أمرَ بهِ مفروغاً منهُ ، ففعلَ ذٰلكَ حامدٌ .

وصُلِّيَتِ العَتَمةُ وقد بُيِّضَتِ الدَّارُ وطُيِّبَتْ ، وكُنِسَتْ وفُرِشَتْ ، ولَبِسَ الشَّيخُ وعيالُهُ الثِّيابَ ، ودُفِعَتْ إليهِم مفاتيحُ الصَّناديقِ والخزائنِ مملوءةً بكلِّ ما ذكرَ أنَّهُ احترقَ لهُ .

واجتازَ حامدٌ والنَّاسُ مجتمعونَ لهُ كأنَّهُ نهارٌ في يومِ عيدٍ ، فضجُّوا بالدُّعاءِ لهُ ، وسألَ الرَّجلَ فحلفَ أنَّ دارَهُ لو بناها في مدَّةٍ . . لَمَا جاءَتْ كهٰذهِ ، وأنَّ عمارتَها أحسنُ عمارةٍ ، وأنَّهُ قد جُعِلَ في خزائنِهِ أكثرُ ممَّا ذهبَ لهُ ، وأقبلَ يدعو لهُ ببكاءٍ عظيمٍ وشهيقٍ هوَ وعيالُهُ وسائرُ الحاضرينَ .

وجاءَ الجِهْبِذُ فوقفَ بينَ يدَيهِ ، فقالَ : هاتِ خمسةَ آلافِ درهمٍ ، فأحضرَها ، فقالَ : يا شيخُ ؛ خُذْ هٰذهِ وردَّها في رأسِ مالِكَ ، فأخذَها وسارَ حامدٌ إلىٰ دارِهِ (١) .

حكاية

[مائدةُ الوزيرِ حامدِ بنِ العبَّاسِ]

٨٤١ ـ وأُنبِئتُ عن أبي عبدِ اللهِ بنِ أبي الفضلِ قالَ : أنبأَنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ بنِ كاملٍ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ ، وغيرِهِ ، كلُّهُم عن محمَّدِ بنِ أبي طاهرٍ البَزَّازِ : أنَّ عليَّ بنَ المُحسِّنِ التَّنُوخيَّ أخبرَهُ ، عن أبيهِ قالَ : حدَّثَني أبو الفتحِ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ هارونَ بنِ عليِّ بنِ يحيى بنِ أبي منصورٍ المُنجِّمِ : أنَّ حامداً كانَ يُقدِّمُ علىٰ موائدِهِ في كلِّ يومٍ بعددِ مَن يحضرُ الموائدَ لكلِّ واحدٍ جَدْيٌ يُوضَعُ بينَ يدَيهِ ، لا يُشارِكُهُ فيهِ أحدٌ ، يأكلُ منهُ ما يأكلُ ، ويُرفَعُ الباقي فيُفرَّقُ على الغلمانِ .

قالَ : فحضرَ المائدةَ يوماً رجلٌ لم يكنْ شاهدَ أَمْرَ الجَدْيِ قبلَ ذٰلكَ ، فهالَهُ ، فقالَ لهُ : أيُّها الوزيرُ ؛ قد أحدثتَ في الطَّعامِ مِنَ الكرمِ كلَّ شيءٍ حسنٍ ، وأحسنُهُ أَمْرُ هٰذا الجَدْيِ ، وهوَ شيءٌ لم تُسبَقْ إليهِ ، فكيفَ وقعَ لكَ ؟

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (٨/٥١ ـ ٥٢) ، وانظر « تكملة تاريخ الطبري » (١١/٢٣٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٣/٤١٤) .

فقالَ : نعم ، كنتُ في دعوةٍ مرَّةً قبلَ علوِّ حالي ، فقُدِّمَ على المائدةِ جَدْيٌ ، وكانَ في فمي لقمةٌ أنا مشغولٌ بأَكْلِها ، فلمحتُ موضعاً مِنَ الجَدْيِ استطيبتُهُ ، وعملتُ علىٰ أن أَمُدَّ يدي إليهِ فآخذَهُ ، فإلىٰ أن يفرغَ فمي سبقَني بعضُ الحاضرينَ ، فأخذَ الموضعَ فأكلَهُ ، فوردَ عليَّ مِن ذٰلكَ مشقَّةٌ شديدةٌ حتَّىٰ نغَّصَ عليَّ طعامي ، فاعتقدتُ في الحالِ ؛ إنِ اللهُ وسَّعَ عليَّ ومكَّنَني . . أن أجعلَ علىٰ مائدتي جِدىً بعددِ الحاضرينَ ؛ لئلَّا يتَّفقَ عليهِم مثلُ هٰذا الفعلِ .

فلمَّا تمكَّنتُ مِنِ اتِّساعِ الحالِ منهُ . . فعلتُهُ (١)

نُكتةٌ نادرةٌ

[في حَمْلِ امرأةٍ ذاتِ تسعٍ]

٨٤٢ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ محمودٍ المُؤرِّخِ ، وغيرِهِ ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ ، عن أبي طالبٍ عبدِ القادرِ بنِ محمَّدِ ابنِ يوسفَ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ ابنِ بِشْرانَ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ الدَّارَقُطْنيُّ ، ثنا أبو أحمدَ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ المادرائيُّ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ الفرجِ ، ثنا يحيى بنُ عثمانَ بنِ صالحٍ ، ثنا بكرُ بنُ سعيدٍ الخولانيُّ الأحدبُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ ، ثنا اللَّيثُ بنُ سعدٍ ، حدَّثَني كاتبي عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ أنَّ امرأةً في جوارِهِ حملَتْ وهيَ بنتُ تسعِ سنينَ !! (٢)

حِكايةٌ عَجيبةٌ

[في توبةٍ بعدَ عقوبةٍ]

٨٤٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : كتبَ إليَّ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ معمرٍ الأصبهانيُّ : أنَّ أبا نصرٍ الحسنَ بنَ محمَّدٍ اليُونارتيَّ أخبرَهُ قالَ (٣) : أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ أحمدَ السَّمَرْقَنْديُّ الحافظُ بنَيْسابورَ ، أنا أبو بشرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ النَّيْسابوريُّ ، أنا أبو سعدٍ

---

(١) أخرجه سبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٧/١٢٦ ـ ١٢٧) ، وانظر « تكملة تاريخ الطبري » (١١/٢٣٥) ، و« الوافي بالوفيات » (١١/٢٧٥) .

(٢) أخرجه ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٤/٢٠٦) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (٧/٤٢١) برقم (١٥٥٠٧) .

(٣) اليُونارتي : نسبة إلىٰ (يُونارت) ، وهي قرية علىٰ باب أصبهان . « معجم البلدان » (٥/٤٥٣) .

عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ الإدريسيُّ الحافظُ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ موسى السَّلاميَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عبدِ الجبَّارِ الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ الفتحَ بنَ شخرف يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ أبي تميمٍ الحَرْبيَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عمَّارٍ يقولُ : بينا أنا ذاتَ يومٍ في مسجدي قد صلَّيتُ الظُّهرَ . . إذ دخلَ عليَّ شابٌّ لم أرَ أحسنَ وجهاً منهُ ، ولهُ طُرَّةٌ لم أرَ أسودَ منها علىٰ بياضِ وجهِهِ ، فقالَ : يا شيخُ ؛ أتعرفُني ؟

قلتُ : لا

قالَ : أنا فلانُ بنُ فلانٍ الهاشميُّ .

فقلتُ : إنِّي أرى الشَّرفَ ظاهراً عليكَ ، فما الَّذي تُريدُ ؟

فقالَ : أن تبيعَ ثيابي هـٰذهِ ، وتشتريَ لي جُبَّةَ صوفٍ ، وتدعوَ المُزيِّنَ فيحلقَ رأسي ، وتُخرجَني مِن منزلِكَ ليلاً ، فلا يعلمَ أحدٌ بخبري .

فقلتُ : أفعلُ ذٰلكَ كلَّهُ بعدَ أن تُخبِرَني بقصَّتِكَ .

فقالَ : اعلمْ أنِّي رجلٌ قد أكثرتُ مِنَ المعاصي ، وكنتُ مُبتلىً بالنِّساءِ ، وإنِّي في يومي هـٰذا اتَّبعتُ امرأةً ، فنهَتْني فلم أقبلْ ، وتبعتُها حتَّىٰ دخلَتْ داراً ، ودخلتُ خلفَها ، فقالَتْ لي : ما شأنُكَ ؟ الآنَ أدعو النَّاسَ فيأخذونَكَ .

فقلتُ لها : ومَن يُعديكِ عليَّ وأنا هاشميٌّ ؟ واللهِ ؛ لئن طاوعتِني ، وإلَّا . . قتلتُكِ ، فقالَتْ : واللهِ ؛ لأصدقَنَّكَ يا فتىٰ ، واللهِ ؛ لولا شيءٌ واحدٌ . . لطاوعتُكَ ، وإنِّي لأُشفِقُ عليكَ كما أُشفِقُ علىٰ نفسي .

فقلتُ : وما هوَ ؟

قالَتْ : لولا ما أخبرَنا ابنُ عمِّكَ ، عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ أنَّهُ قالَ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ (١) ، فكيفَ أصنعُ بهـٰذهِ الآيةِ ؟

فقلتُ : يغفرُ اللهُ ، ثمَّ أسرعتُ إليها بيدي فانقبضَتْ يدي كما ترىٰ .

قالَ منصورٌ : ثمَّ أخرجَها وقدِ انضمَّتِ الأصابعُ بعضُها علىٰ بعضٍ ، وجفَّتِ الرَّاحةُ ، وبقيَ الذِّراعُ يتحرَّكُ ، فعجبتُ مِن ذٰلكَ ، وأصلحتُ لهُ ما أرادَ ، ولَبِسَ ثيابَ الصُّوفِ ، ثمَّ

---

(١) سورة المجادلة : (٧) .

قامَ فودَّعَني ، وقالَ : اشهدْ عليَّ ـ يا شيخُ ـ أنِّي قد تبتُ مِن كلِّ ما كنتُ أفعلُ ، وعقدتُ بيني وبينَ اللهِ عزَّ وجلَّ أَنْ لا أعاودُ .

ثمَّ انصرفَ عنِّي ، فلم أرَهُ إلى الآنَ (١)

نُكتةٌ نادرةٌ

[في مُصحَفٍ وقِنّينةِ خمرٍ]

٨٤٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : حدَّثَني سعدٌ الإِرْبِليُّ الكاتبُ بمصرَ قالَ : (كانَ الجُوَينيُّ الكاتبُ ـ يعني : الحسنَ بنَ عليِّ بنِ إبراهيمَ ـ لي صديقاً ، وكانَ مُشتهراً بشربِ الخمرِ ، فحدَّثَني أنَّهُ كانَ يكتبُ مُصحَفاً للسُّلطانِ في يومٍ باردٍ كثيرِ الغيمِ والأنداءِ ، قالَ : وبينَ يدَيَّ مجمرةٌ فيها نارٌ ، فاشتدَّتْ لِيقةُ الدَّواةِ ، ولم يكنْ قريباً منِّي ما أتركُهُ فيها ، وبينَ يدَيَّ قِنّينةٌ فيها خمرٌ ، فصببتُ منهُ في الدَّواةِ ، ثمَّ كتبتُ بها وجهةً مِنَ المُصحَفِ ، وكببتُها على المجمرةِ لتنشفَ ، فصعدَتْ شرارةٌ مِنَ المجمرةِ ، فأحرقَتِ الخطَّ المكتوبَ أجمعَهُ مِن دونِ بقيَّةِ الكاغدِ !!

فرعبتُ مِن ذٰلكَ ، وقمتُ وغسلتُ الدَّواةَ والأقلامَ ، وجعلتُ فيها مداداً جديداً ، واستغفرتُ اللهَ تعالىٰ مِن ذٰلكَ) (٢)

حكايةٌ جيِّدةٌ

[في إجلالِ نظامِ الملكِ أبا عليٍّ الفارَمَذيَّ]

٨٤٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وأنبأَني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي الفرجِ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ ، عن جدِّهِ إسماعيلَ بنِ أبي سعدٍ الصُّوفيِّ قالَ : سمعتُ محمَّداً الأصبهانيَّ ـ وكانَ مُختصّاً بنظامِ الملكِ ـ قالَ : كانَ نظامُ الملكِ إذا دخلَ عليهِ الأستاذُ أبو القاسمِ القُشَيريُّ والإمامُ أبو المعالي الجُوَينيُّ . . يقومُ لهُما ويجلسُ في مسندِهِ كما هوَ ، وإذا دخلَ عليهِ أبو عليٍّ الفارَمَذيُّ (٣) . . يقومُ إليهِ ويُجلِسُهُ في مكانِهِ ويجلسُ بينَ يدَيهِ .

---

(١) انظر « التذكرة البلقينية » (٧٣) .

(٢) ذكره الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٢/١٢٧ ـ ١٢٨) وعزاه لابن النجار ، وانظر « بغية الطلب » (٥/٢٤٦٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/٢٣٤) .

(٣) أبو عليٍّ الفارَمَذيُّ : هو الفضل بن محمَّد بن عليٍّ ، صاحب الطَّريقة والحقيقة . انتهىٰ من هامش (أ) ، والفارَمَذي : نسبة إلىٰ (فارَمَذ) ، وهي من قرىٰ طُوس . « الأنساب » (٤/٣٣٤ ـ ٣٣٥) .

فقالَ لي أبو المعالي يوماً : قُلْ للصَّدرِ عنّي : يدخلُ عليكَ الأستاذُ أبو القاسمِ القُشَيريُّ وهوَ إمامٌ في كذا وكذا علمٍ [1] لا تُكرِمُهُ هـٰذا الإكرامَ الَّذي تُكرِمُ بهِ هـٰذا الشَّيخَ ؟! يعني : أبا عليٍّ الفارَمَذيَّ ، قالَ محمَّدٌ الأصبهانيُّ : وفي ضمنِ هـٰذا الكلامِ تعريضٌ بنفسِهِ أيضاً .

فاغتنمتُ خلوةً مِنَ النِّظامِ ، وقلتُ : إمامُ الحرمَينِ قالَ لي : كذا علىٰ كذا ، وحكيتُ لهُ ما قالَ .

فقالَ النِّظامُ : هوَ وأبو القاسمِ القُشَيريُّ وأمثالُهُما إذا دخلوا عليَّ . . يقولونَ لي : أنتَ كذا وأنتَ كذا ، ويُثنونُ عليَّ ويُطرونَني بما ليسَ فيَّ ، فيزيدُني كلامُهُم عجباً وتيهاً في نفسي ، وإذا دخلَ عليَّ هـٰذا الشَّيخُ ـ يعني : أبا عليٍّ الفارَمَذيَّ ـ . . يذكرُ لي عيوبَ نفسي ، وما أنا فيهِ مِنَ الظُّلمِ ، فتنكسرُ نفسي وأرجعُ عن كثيرٍ ممَّا أنا فيهِ [2]

حكاية

[يستحقُّ ما رُتِّبَ مِن أجرتِهِ ما دامَ أهلاً لمهمَّتِهِ]

٨٤٦ ـ وبهِ إلىٰ عبدِ الوهَّابِ الأمينِ ، عن عليِّ بنِ أحمدَ المُقرِئِ : أنَّ القاضيَ أبا المعالي عزيزيَّ بنَ عبدِ الملكِ أخبرَهُ : أنَّهُ قالَ لنظامِ الملكِ [3] في مَعْنَىٰ أبي زكريَّا يحيى بنِ عليٍّ التِّبْريزيِّ الأديبِ : إنَّكَ تصرفُ إليهِ في كلِّ سنةٍ خمسَ مئةِ دينارٍ ، وهوَ يُنفِقُها في اللَّهوِ واللَّعبِ ، والشُّربِ والطَّربِ .

فقالَ في الجوابِ : إنَّما أُلامُ وأُعتَبُ لو قلتُ : خذوا عنهُ الدِّينَ والمذهبَ ، وإنَّما رتَّبتُ هـٰذا الرَّجلَ لتدريسِ علمِ العربِ وكتبِ الأدبِ ، ولا يكفيهِ ما جعلْناهُ لهُ ، وأمرَ لهُ بزيادةٍ .

٨٤٧ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أخبرَني شهابٌ الحاتميُّ بهَرَاةَ قالَ : سمعتُ أبا سعدٍ السَّمْعانيَّ يقولُ .

---

(١) قوله : (علمٍ) كذا في النسخ (أ ، ب ، ج) !! والوجه : (علماً) .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٨٤) مخطوط ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢٤٨٩/٥) من طريق السمعاني ، وانظر « المنتظم » (٦٤٥/٩) ، و« تاريخ الإسلام » (١٤٥/٣٣) .

(٣) نظام الملك : هو أبو عليٍّ الحسن بن عليِّ بن إسحاق بن العبَّاس ، الطُّوسيُّ ، ولد في ذي القعدة سنة ثمان وأربع مئة ، وقتل شهيداً في شهر رمضان سنة خمس وثمانين بقرب نهاوَنْد ، رحمة الله عليه . انتهىٰ من هامش (أ) .

(ح) وأُنبئتُ عن غيرِ واحدٍ ، عن أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ : كانَ الوزيرُ نظامُ الملكِ أكثرُ ميلِهِ إلى المُتصوِّفةِ ؛ يُقرِّبُهُم ويُوصِلُ إليهِم مآربَهُم ، ويقضي ديونَهُم ، ويَدُرُّ عليهِمُ الإدراراتِ .

وحكىٰ بعضُ المعتمدينَ أنَّهُ قالَ : طالعتُ الجرائدَ ، فبلغَ ما قضاهُ الصَّدرُ ـ يعني : نظامَ الملكِ ـ مِن ديونِ واحدٍ مِنَ المُتنمِّسينَ المقبولينَ عندَهُ في مدَّةٍ سنينَ يسيرةٍ . . ثمانينَ ألفَ دينارٍ !![1] ، وكانَ صادقاً فيما حكاهُ[2]

* *

٨٤٨ ـ وأُنبئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ في كتابِ أبي الحسنِ ابنِ الهَمَذانيِّ قالَ : حدَّثَني مَن أثِقُ بهِ قالَ : كانَ نظامُ الملكِ يتصدَّقُ في بُكرةِ كلِّ يومٍ بمئةِ دينارٍ[3]

قالَ بعضُ الفقهاءِ : خرجتُ في عشرةِ أوجهٍ كذبتُ فيها وأُعطيتُ في جميعِها .

وجاءَهُ عشرُ نفرٍ ، فبكَوا وشكَوا ما هم فيهِ مِنَ الضُّرِّ والفاقةِ وعِظَمِ الحاجةِ ، فأمرَ الحاجبَ فأعطاهُمُ الدَّنانيرَ الَّتي جعلَها لصدقةِ يومِهِ ، فجاءَهُ الحاجبُ عشيَّةً وهوَ يُدمدمُ ويقولُ : دخلتُ الماخورَ وقد هربَ منِّي غلامٌ إلىٰ هناكَ[4] ، فرأيتُ الَّذينَ أعطيناهُمُ الدَّنانيرَ ومعَهُم نسوةٌ بارزاتٌ مِن أهلِ الفسادِ ، وبينَ أيديهِمُ الخمرُ والقمارُ ، فتفكَّرتُ كيفَ تصلُ صدقاتُكَ إلىٰ غيرِ أهلِها .

فقالَ لهُ نظامُ الملكِ : يا جاهلُ ؛ أتظنُّ أنِّي أُعطيتُ العلمَ المكنونَ ، واطَّلعتُ على الغيبِ المستورِ ، حتَّىٰ أعرفَ بهِ بواطنَ النَّاسِ ؟! سَلْ عنِ الدَّنانيرِ ؛ مِن أينَ جاءَتْ ؟ هٰذا مِن جملةِ مالٍ حملَهُ إلينا بعضُ ضُمَناءِ العراقِ ، وهوَ مِن دخلِ المآخيرِ والمآصيرِ ومقاسمةِ اللُّصوصِ ؛ فكيفَ تكونُ صدقاتي خالصةً ، ومِنَ الشُّبَهِ صافيةً ؟! ولو كانَتْ مِنَ المواضعِ الطَّيِّبةِ . . لانصرفَتْ إلى المُستحقِّينَ والصَّالحينَ ؛ فإنَّ الطَّيِّبَ ينصرفُ إلى الطَّيِّبِ ، والخبيثُ إلى الخبيثِ .

---

(١) المُتنمِّس : صاحبُ السِّرِّ .

(٢) أخرجه أبو سعد السمعاني كما في « مختار ذيل تاريخ بغداد » (ق/١٨٤) مخطوط ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢٤٨٧/٥) ، وانظر « المنتظم » (٦٤٥/٩) ، و« تاريخ الإسلام » (١٤٥/٣٣) .

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٣٢٢/٤) .

(٤) الماخور : بيت الرِّيبة ، ومجمع أهل الفسق والفساد ، ومجلس الخمَّارين .

حكاية جيدة

[عيشُ أحدِ البقَّالينَ أهنأُ مِن عيشي]

٨٤٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ في كتابِ أبي الحسنِ ابنِ الهَمَذانيّ قالَ : حكى الفقيهُ محمَّدٌ الأصبهانيُّ ـ وكانَ خَصيصاً بنظامِ الملكِ ـ قالَ : كنتُ معَ نظامِ الملكِ بهَمَذانَ سنةَ ستٍّ وستِّينَ وأربعِ مئةٍ[1] ، فقدمَ علينا ابنُهُ مُؤيَّدُ الملكِ أبو بكرٍ عبيدُ اللهِ مِن بَلْخَ ، وهوَ مِن أبناءِ عشرينَ سنةً ، واستقدمَهُ لينفذَهُ إلىٰ بغدادَ حينَ زوَّجَهُ بنتَ أبي القاسمِ بنِ رضوانَ ، فدخلَ علىٰ نظامِ الملكِ ولهُ جمالٌ بارعٌ ، وحسنٌ باهرٌ ، فوقفَ بينَ يدَيهِ ساعةً ، وقضىٰ للنَّاسِ حوائجَهُم .

فلمَّا أذَّنَ المُؤذِّنُ لصلاةِ الظُّهرِ . . تفرَّقوا ، ثمَّ نظرَ إلى ابنِهِ واستدناهُ ، وضمَّهُ إليهِ وقبَّلَ بينَ عينَيهِ ، وقالَ لهُ : يا بُنَيَّ ؛ توجَّهْ إلىٰ بيتِكَ ببغدادَ في ساعتِكَ هٰذهِ ، فودَّعَهُ وقبَّلَ يدَهُ وسارَ مِن وقتِهِ .

والتفتَ إليَّ نظامُ الملكِ وقد تغرغرَتْ عينُهُ بالدُّموعِ ، وقالَ : إنَّ عيشَ أحدِ البقَّالينَ أصلحُ مِن عيشي ، وحياتَهُ أهنأُ مِن حياتي ؛ فإنَّ البقَّالَ يخرجُ إلىٰ دُكَّانِهِ غدوةً ، ويروحُ عشيَّةً ومعَهُ ما قُسِمَ لهُ مِنَ الرِّزقِ ، فيجتمعُ هوَ وأولادُهُ علىٰ طعامِهِ ، ويكونُ بقربِهِم منهُ مسروراً ، وبحضورِهِم معَهُ مُغتبِطاً محبوراً ، وهٰذا ولدي ما رأيتُهُ منذ وُلِدَ غيرَ أوقاتٍ يسيرةِ العددِ .

فنهاري بينَ أخطارٍ وتكلُّفِ مشاقَّ ، وليلي بينَ سهرٍ وتكلُّفِ فكرٍ تارةً ؛ لتدبيرِ الممالكِ والبلدانِ ، ومَن أُرتِّبُ في كلِّ صقعٍ ومكانٍ ، وما يُخرَجُ لكلِّ واحدٍ مِنَ العطاءِ والإحسانِ ، وما استظهرتُهُ لنفسي معَ هٰذا السُّلطانِ ، وبأيِّ شيءٍ أُرضيهِ مِن أموالِ الخَلْقِ حتَّىٰ يميلَ إليَّ ولا يتغيَّرَ عليَّ ، وبأيِّ أمرٍ أدفعُ شرَّ مَن يقصدُني ، وأردُّ كيدَ مَن يُريدُني ، فمتىٰ يكونُ لي زمانٌ ألتذُّ فيهِ بنعمتي ، وأستدركُ أفعالي ومنفعتي عندَ لقاءِ ربِّي ؟! وبكىٰ بكاءً شديداً[2] .

---

(١) في (أ) : (بهمذان) مكررة .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (٤/٣٢١) .

نُكْتَة

[في عطاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ]

٨٥٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ سعيدُ بنُ محمَّدٍ الهَمَذانيُّ ، عن يحيى بنِ الحسنِ بنِ أحمدَ ابنِ البَنَّاءِ قالَ : ثنا الحسنُ بنُ غالبٍ الحَرْبيُّ قالَ : سمعتُ أبا الحسينِ ابنَ سمعونٍ يقولُ : سمعتُ البَرْبَهاريَّ يقولُ [١] : رأيتُ بالشَّامِ صومعةَ راهبٍ ورهباناً حولَها يُمرُّونَ أيديَهُم عليها ، فقلتُ لحَدَثٍ منهُم : بأيِّ شيءٍ أُعطِيَ هـٰذا ؟

قالَ : سبحانَ اللهِ ؛ ما أعجبَ أمرَكَ !! متىٰ رأيتَهُ أعطىٰ شيئاً بشيءٍ ؟! [٢]

حِكَايَة

[في مراسلةِ حمَّادِ بنِ سلمةَ ومحمَّدِ بنِ سليمانَ الهاشميِّ]

٨٥١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ ، عن عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عليِّ ابنِ الجَوْزيِّ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ ناصرٍ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي محمَّدٍ ابنِ الأخضرِ ، وجماعةٍ ، عن محمَّدِ بنِ ناصرٍ قالَ : أنا المُباركُ بنُ عبدِ الجبَّارِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي محمَّدٍ القاسمِ بنِ الحسينِ بنِ محمَّدِ بنِ داوودَ المَتُّوثيِّ وهوَ يسمعُ وينظرُ في أصلِهِ وحدَّثَنا بهِ أيضاً مِن لفظِهِ قالَ : ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ البَزَّازُ ، ثنا أبو بكرٍ ـ وهوَ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سهلٍ الوَرَّاقُ ـ ، ثنا أبو سهلٍ فهدُ بنُ سليمانَ التُّسْتَريُّ ، ثنا الحسنُ بنُ عمرٍو المَرْوَزيُّ ببغدادَ ، ثنا مقاتلُ بنُ صالحٍ صاحبُ الحميديِّ قالَ : دخلتُ علىٰ حمَّادِ بنِ سلمةَ ، فإذا ليسَ في البيتِ إلَّا حصيرٌ ، ومُصحَفٌ يقرأُ فيهِ ، وجِرابٌ فيهِ علمُهُ ، ومَطْهَرةٌ يتوضَّأُ فيها .

قالَ : فبينا أنا جالسٌ عندَهُ يُحدِّثُني . . إذ دقَّ داقٌّ البابَ ، فقالَ : يا صُبيَّةُ ؛ انظري

---

(١) يعني : الحسن بن عليِّ بن خلف ، البَرْبَهاريَّ الفقيه العابد ، شيخ الحنابلة بالعراق ، المتوفَّىٰ سنة (٣٢٩هـ) ، والبَرْبَهاري : نسبة إلىٰ (بَرْبَهار) ، وهي الأدوية الَّتي تجلب من الهند ؛ من الحشيش والعقاقير وغيرها . « الأنساب » (٣٠٧/١) .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (٩٣/١٥) ، وفيه : (قلتُ : هـٰذا يحتاجُ إلىٰ إيضاحٍ ؛ فقد يُعطي اللهُ عبدَهُ بلا شيءٍ ، وقد يُعطيهِ علىٰ شيءٍ ، لـٰكنَّ الشَّيءَ الَّذي يُعطيهِ اللهُ عبدَهُ ثمَّ يُثيبُهُ عليهِ . . هوَ منهُ أيضاً ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣]) .

مَن بالبابِ ، قالَتْ : رسولُ محمَّدِ بنِ سليمانَ الهاشميِّ ، قالَ : قولي لهُ : ليدخلْ وحدَهُ .

قالَ : فدخلَ وسلَّمَ ومعَهُ كتابٌ ، ثمَّ ناولَهُ الكتابَ ، فقالَ ليَ : اقرأْ ، فقرأتُ : (بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ، مِن محمَّدِ بنِ سليمانَ إلىٰ حمَّادِ بنِ سلمةَ ، أمَّا بعدُ . . صبَّحَكَ اللهُ بما صبَّحَ بهِ أولياءَهُ وأهلَ طاعتِهِ ، وقعَتْ مسألةٌ ، ائتِنا . . نسألْكَ) .

فقالَ ليَ : اقلِبِ الكتابَ ، واكتبْ : (بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ، وأنتَ صبَّحَكَ بما صبَّحَ بهِ أولياءَهُ وأهلَ طاعتِهِ ، إنَّا أدركْنا أقواماً لا يأتونَ أحداً ، فإن كانَتْ لكَ حاجةٌ . . فَأْتِنا وسَلْنا عمَّا بدا لكَ ، فإن أتيتَني . . فلا تأتِني إلَّا وحدَكَ ، ولا تأتِني بخيلِكَ ورَجِلِكَ ، فلا أنصحُكَ ولا أنصحُ نفسي ، والسَّلامُ) .

فبينا أنا عندَهُ جالسٌ يُحدِّثُني . . إذ دقَّ داقٌّ البابَ ، فقالَ : يا صُبيَّةُ ؛ انظري مَن بالبابِ ، قالَتْ : محمَّدُ بنُ سليمانَ الهاشميُّ ، قالَ : قولي لهُ : يدخلُ وحدَهُ .

قالَ : فدخلَ وحدَهُ ، فسلَّمَ ثمَّ جلسَ بينَ يدَيهِ ، فقالَ لهُ : يا أبا سلمةَ ؛ ما لي إذا نظرتُ إليكَ . . امتلأتُ رعباً ؟

فقالَ لهُ حمَّادٌ : لأنِّي سمعتُ ثابتاً البُنانيَّ يقولُ : سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ ٱلْعَالِمَ إِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ . . هَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَإِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ ٱلْكُنُوزَ . . هَابَ كُلَّ شَيْءٍ »(١)

قالَ : فلي إليكَ حاجةٌ ، قالَ : هاتِ ، ما لم تكنْ ريبةً في الدِّينِ .

قالَ : هٰذهِ أربعونَ ألفَ درهمٍ ، خُذْها فاستعنْ بها علىٰ ما أنتَ عليهِ ، قالَ : رُدَّها علىٰ مَن ظلمتَهُ بها ، قالَ : واللهِ ؛ ما أعطيتُكَ إلَّا ممَّا ورثتُهُ ، قالَ : لا حاجةَ لي فيها ، ازوِها عنِّي زوى اللهُ عنكَ أوزارَكَ .

قالَ : فلي إليكَ حاجةٌ ، قالَ : هاتِ ، ما لم تكنْ ريبةً في الدِّينِ .

قالَ : خُذْها فاقسمْها على الضُّعفاءِ والمساكينِ ، قالَ : فقالَ حمَّادٌ : لعلِّي إن عدلتُ في

---

(١) أخرج الحديثَ أبو منصورٍ الديلميُّ كما في « زهر الفردوس » (٢٠٦٤) ، وذكر الحكاية إلىٰ هنا الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢/٢٨٧) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٦١٣١) وعزواه لابن النجار .

قسمتِها أن يقولَ بعضُ مَن لم يُرزَقْ منها : لم يعدلْ ، فيأثَمَ فيَّ ، ازوِها عنِّي زوى اللهُ عنكَ أوزارَكَ [١]

نُكْتَةٌ

[لا تأكلْ حلواهُم]

٨٥٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عيسى بنُ عبدِ العزيزِ اللَّخْميُّ بالقاهرةِ ، والحسينُ بنُ عليِّ الطَّرابُلُسيُّ بالإسكندريَّةِ قالا : أنا أبو طاهرٍ السِّلَفيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ السِّلَفيِّ قالَ : أنا أبو عليِّ الحسنُ بنُ غالبِ بنِ عليِّ الرَّفَّاءُ بقراءتي عليهِ .

(ح) قالَ ابنُ النَّجّارِ : وأخبرَنا أبو طاهرٍ المُبارَكُ بنُ المُبارَكِ بنِ هبةِ اللهِ العَطَّارُ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو الغنائمِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ المُهتدي باللهِ قراءةً عليهِ قالا : أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ البَرْمَكيُّ ، ثنا أبو الفضلِ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ محمَّدٍ الزُّهريُّ ، ثنا أبو حامدٍ الحَرْبيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ الحَرْبيُّ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ حمَّادٍ الضَّريرَ يقولُ : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : (لا تأكلْ حلواهُم فتميلَ معَ هواهُم) [٢]

نُكْتَةٌ

[ما أَحَبَّ منافقٌ مؤمناً]

٨٥٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا يحيى بنُ أسعدَ بنِ يحيى ابنِ بَوْشٍ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ ابنُ المُسْلِمةِ قراءةً عليهِ في مُحرَّمٍ سنةَ سبعَ عشرةَ وخمسِ مئةٍ قالَ : أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ ابنُ المُسْلِمةِ ـ هوَ عمُّ جدِّهِ ـ قراءةً عليهِ ، أنا أبو الفضلِ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الزُّهريُّ ، أنا أبو بكرٍ جعفرُ بنُ محمَّدٍ الفِرْيابيُّ ، ثنا أبو بكرٍ وعثمانُ ابنا أبي شيبةَ قالا : ثنا أبو معاويةَ ، ثنا الأعمشُ ، عن خيثمةَ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٨٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/١٣٢ ـ ١٣٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٣٣٨ ـ ٣٣٩) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٣/٥٥٥ ـ ٥٥٦) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/٢٢٣ ـ ٢٢٥) ، و« بستان العارفين » للنووي (ص ١٢٢ ـ ١٢٥) .

(٢) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/٢٠٠) مخطوط .

قالَ : كانَ قومٌ يُؤذونَهُ ، فقالَ : إنَّ هـٰؤلاءِ يُؤذوني ، واللهِ ؛ ما طلبَ أحدٌ منهُم حاجةً إلَّا قضيتُها ، ولا دخلَ علىٰ أحدٍ منهُم منِّي أذىً ، ولأنا أبغضُ فيهِم مِنَ الكلبِ الأسودِ ، أتدرونَ مِمَّ ذاكَ ؟ إنَّهُ ـ واللهِ ـ ما أَحَبَّ منافقٌ مؤمناً أبداً (١) .

حكاية

[مَن أخذَ مِن بستانٍ شيئاً . . قُتِلَ]

٨٥٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وأنبأَني ابنُ وَرِّيدةَ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الصُّوفيُّ ، وأنبأَني أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، كلاهُما عن محمَّدِ بنِ أبي طاهرٍ الحاسبِ قالَ : أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ إذناً ، عن أبيهِ قالَ : حدَّثَني أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ محمَّدٍ الصِّلْحيُّ ـ ومحلُّهُ مشهورٌ في الجلالةِ ـ قالَ : حدَّثَني صَبيحٌ الخَصِيُّ مولى المُعتضِدِ قالَ : عَسْكَرَ المُعتضِدُ ببابِ الشَّمَّاسيَّةِ (٢) ؛ يُريدُ الخروجَ إلىٰ بعضِ المهمَّاتِ ، وكنتُ معَهُ ، فشكا إليهِ أربابُ الضِّياعِ امتدادَ أيدي الجيشِ إلىٰ ثمارِ البساتينِ وبُقولِها ، فنادىٰ : (مَن أخذَ شيئاً مِن بستانٍ . . قُتِلَ) .

فأُتِيَ بعدَ النِّداءِ بأيَّامٍ بأسودَ ، وقد قطعَ عِذْقَ بُسْرٍ مِن نخلةٍ (٣) ، فلمَّا تأمَّلَهُ . . أمرَ بضربِ عنقِهِ في الحالِ .

والتفتَ إليَّ وإلىٰ جماعةٍ مِن خدمِهِ ـ وكانَ كثيراً يُحدِّثُنا ويُؤانِسُنا ما لا يُؤانِسُ بهِ غيرَنا ـ فقالَ : ويلَكُم !! تدرونَ أيشٍ تقولُ الرَّعيَّةُ الآنَ ؟

فقلْنا : لا واللهِ يا مولانا .

فقالَ : يقولونَ : ما في الدُّنيا أقسىٰ قلباً ولا أقلُّ ديناً مِن هـٰذا الخليفةِ ، يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثَرٍ » (٤) ، ويقولُ هوَ : (مَن أخذَ مِن بستانٍ شيئاً . . قُتِلَ) ، ثمَّ لا يرضىٰ حتَّىٰ يقتلَ رجلاً قد قطعَ شِمراخَينِ .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦١٦٦) ، والفريابي في « صفة النفاق وذم المنافقين » (ص ٨٠ ـ ٨١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/١١٦) .

(٢) في أعلىٰ مدينة بغداد . « معجم البلدان » (٣/٣٦١) .

(٣) العِذْق من التَّمر كالعنقود من العنب .

(٤) أخرجه الترمذي (١٤٤٩) عن سيدنا رافع بن خديج رضي الله عنه .

واللهِ ؛ ما قتلتُ الأسودَ بسببِ الشِّمراخَينِ ، ولٰكنْ لهُ معي خبرٌ ظريفٌ ؛ هٰذا كانَ قدِ استأمنَ إلىٰ أبي مِن عَسْكَرِ صاحبِ الزَّنجِ فأكرمَهُ ، وكنتُ أراهُ في العَسْكَرِ ، فركبتُ يوماً مِن خيمتي أُريدُ خيمةَ أبي ، فإذا بهِ قد علقَ رجلاً قد نازعَهُ في شيءٍ فقتلَهُ ، وحُمِلَ إلى المُوفَّقِ فهدرَ دمَ المقتولِ المُوفَّقُ ، وأطلقَ عن هٰذا الأسودِ ، وأظنُّهُ أرادَ أن يستصلحَ الزَّنجَ بذٰلكَ ولا يُنفِّرَهُم ، فاغتظتُ وقلتُ : تُرىٰ أتمكَّنُ مِن قتلِ هٰذا العدوِّ للهِ ؟

وضربَتِ الأيَّامُ بضربِها ، فما وقعَتْ لي عينٌ عليهِ إلَّا في هٰذهِ السَّاعةِ ، فلمَّا رُفِعَ إليَّ في قطعِ البُسْرِ . . عرفتُهُ ، وذكرتُ ما عليهِ مِنَ الدَّمِ .

حكايةٌ غريبةٌ

[في بناءِ قُبَّةٍ علىٰ قبرِ الحسنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما]

٨٥٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ إسماعيلَ بنِ سعدِ اللهِ الأمينِ ، عن محمَّدِ بنِ ناصرٍ الحافظِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِما ، كلُّهُم عن محمَّدِ بنِ ناصرٍ قالَ : حدَّثَني الشَّيخُ حسنُ بنُ نجمِ بنِ صالحٍ البَنَّاءُ ـ وكانَ رجلاً صالحاً حافظاً للقرآنِ ـ قالَ : حدَّثَني عَسْكَرٌ الطُّوريُّ البَنَّاءُ ، وكانَ قد أُخرِجَ معَ جملةِ الصُّنَّاعِ إلىٰ مدينةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أيَّامِ نظامِ الملكِ وزيرِ ملكشاه ؛ لعمارةِ قُبَّةٍ علىٰ قبرِ الحسنِ بنِ عليٍّ عليهِما السَّلامُ . . قالَ : لمَّا بلغْنا المدينةَ ، وشرعْنا في العمارةِ ، وحرزْنا أثاثَ القُبَّةِ الَّتي أُمِرْنا بعملِها . . خرجَتْ علينا صخرةٌ خضراءُ ملساءُ في طولِ قامةِ الرَّجلِ في الأساسِ ، فهممْنا بقلعِها وحرَّكْناها ، فهاجَتْ علينا ريحٌ شديدةٌ حتَّىٰ كادَ أن يسقطَ منها النَّخلُ الَّذي بالمدينةِ !! وطَمَّتْ ما حفرْنا مِنَ الأساسِ ، وقتلَتْ منَّا قوماً إمَّا اثنانِ أو أكثرُ ، فقطعْنا العملَ في ذٰلكَ اليومِ .

فلمَّا كانَ اليومُ الثَّاني . . هممْنا بعدَ أن حفرْنا ما كانَ قدِ انطَمَّ مِنَ الأساسِ وبانَتِ الصَّخرةُ . . أن نقلعَها أو نُحرِّكَها ، فهبَّتِ الرِّيحُ كأشدِّ ما هبَّتْ في اليومِ الماضي ، وطَمَّتِ الأساسَ ، فهربْنا مِنَ الخوفِ .

فلمَّا كانَ اليومُ الثَّالثُ . . حفرْنا حتَّىٰ بانَتِ الصَّخرةُ ، فقالَ الأستاذُ الَّذي كانَ علينا : لا

تَمَسُّوها ولا تُحرِّكوها ، فبنيْنا عليها ، ولم تَهُبَّ الرِّيحُ ، ولم ندرِ ما تحتَها حتَّىٰ فرغْنا مِن عملِ القُبَّةِ ، وكانَ ذٰلكَ في عشرِ الثَّمانينَ وأربعِ مئةٍ .

قالَ ابنُ ناصرٍ : والصَّخرةُ الَّتي أرادوا تحريكَها هيَ علىٰ قبرِ سيِّدةِ النِّساءِ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما لمَّا ماتَ . . أرادوا دفنَهُ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فمنعَهُم مروانُ بنُ الحكمِ مِن ذٰلكَ ، وكانَ أميراً على المدينةِ مِن قِبَلِ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ، واجتمعَ بنو هاشمٍ للقتالِ معَ الحسينِ بنِ عليٍّ ، فمشى الأشرافُ بينَهُم حتَّىٰ كفُّوا عنِ القتالِ ، واستقرَّ أنْ يُدفَنَ عندَ أُمِّهِ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنهُما ، فدُفِنَ بجنبِها عندَ قبرِها ، هٰكذا ذكرَ العلماءُ مثلُ الزُّبيرِ بنِ بكَّارٍ ، والواقِديِّ ، وغيرِهِما ، واللهُ أعلمُ (١) .

نُكتةٌ

[في خُلُقِ الحسنِ النَّجَّارِ]

٨٥٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كانَ شيخُنا عبدُ الوهَّابِ ابنُ سُكَينةَ يقولُ : كانَ بيني وبينَ جدِّكَ ـ يعني : الحسنَ النَّجَّارَ ـ أُخوَّةٌ ، ويُثني عليهِ .

وذكرَ لي جماعةٌ مِنَ العدولِ والفقهاءِ ، وأهلِ الدِّيانةِ والصَّلاحِ ؛ ممَّن كانَ يعرفُهُ ويُكثِرُ زيارتَهُ ومخالطتَهُ . . أنَّهُ بقيَ أربعينَ سنةً مِن عمرِهِ لا ينامُ في الصَّيفِ علىٰ سطحِ دارِهِ ؛ وسببُ ذٰلكَ أنَّهُ قامَ ليلةً في جوفِ اللَّيلِ مِن مَنامِهِ ؛ لحاجةٍ عرضَتْ لهُ ، وكانَتْ ليلةً قمراءَ مُضيئةً ، فوقعَ نظرُهُ على امرأةٍ نائمةٍ وقدِ انكشفَ جسدُها وبدَتْ عورتُها ، فآلىٰ علىٰ نفسِهِ أنَّهُ لا يعودُ إلى النَّومِ في السَّطحِ أبداً ما دامَ حيّاً .

حكايةٌ نافعةٌ

[في عاقبةِ المُستهزِئِ بحديثِ النَّبيِّ ﷺ]

٨٥٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ أبي سعيدٍ الأديبِ بأصبهانَ ، عن أبي محمَّدٍ سفيانَ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ محمَّدِ بنِ إسحاقَ

---

(١) انظر « مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الأصبهاني (ص ٧٤ ـ ٧٥) ، و« تاريخ دمشق » (١٣/٢٨٩) ، و« إتحاف الزائر » لأبي اليمن ابن عساكر (ص ٨٩) .

ابنِ مَنْدَهْ قالَ : أنا هبةُ اللهِ بنُ عبدِ الوارثِ الشِّيرازيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو طاهرٍ مُشْكانُ بنُ المُظفَّرِ بنِ عبدِ اللهِ السَّاويُّ بصَعْدةَ ، ثنا أبو حامدٍ أحمدُ بنُ أصرمَ بنِ طاهرِ بنِ محفوظٍ ، ثنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليّ المُقرئُ ، ثنا أبو بكرٍ الحسنُ ابنُ قيسٍ المُقرئُ ببغدادَ قالَ : كنَّا في مجلسِ أبي بكرِ بنِ أبي داوودَ السِّجِسْتانيّ للإملاءِ ، ومعَنا رجلٌ مِنَ المُتصوِّفينَ ، وكانَ بدعيّاً ، فأملىٰ علينا أبو بكرٍ حديثَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ لَتَفْرِشُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ رِضاً بِمَا يَفْعَلُ . . . » الحديثَ[1]

قالَ : فاستهزأَ ذٰلكَ الرَّجلُ ، واستسخفَ عقلَ راويهِ ومَن يقبلُهُ ، وقالَ : سأُريكُم ما أصنعُ ، وتفرَّقَ النَّاسُ .

فلمَّا كانَ في المجلسِ الثَّاني . . جاءَ الرَّجلُ وفي رِجلِهِ نعلٌ جديدةٌ ، فقالَ لمَن حولَهُ : انظروا ما قد صنعتُ ، فقلبَ النَّعلَ وإذا قد طبَّقَها بالمساميرِ ونعالِ الدَّوابِّ ، وقالَ : هٰذا صنعتُهُ لأقطعَ ريشَ أجنحةِ الملائكةِ !! وضحكَ واستهزأَ .

وخرجَ الشَّيخُ فأملىٰ علينا المجلسَ ، وتنحَّيْنا لنُقابِلَ ، فقامَ الرَّجلُ لينهضَ فما استطاعَ مِراراً !! فقالَ لمَن بقربِهِ : يا فلانُ ؛ خُذْ بيدي ، فجاءَ فأخذَ بيدِهِ ، وإذا مِن نصفِهِ إلىٰ أسفلَ مُنحَلٌّ !!

فحلفَ ليَ الشَّيخُ أنَّهُ ما مضىٰ مِنَ المجلسِ إلَّا علىٰ قَفا حمَّالٍ[2]

حكايةٌ جيِّدةٌ

[قد وفَّاكَ اللهُ أجرَكَ بغيرِ حسابٍ]

٨٥٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وأنبأَني ابنُ وَرِّيدةَ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليّ ، عن أبي المُظفَّرِ بنِ أبي القاسمِ القُشَيريّ قالَ : كتبَ إليَّ حميدُ بنُ المأمونِ الهَمَذانيُّ قالَ :

---

(١) أخرجه أبو داوود (٣٦٣٦) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه بنحوه ، والحديث كاملاً : عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً . . سَلَكَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ ٱلْجَنَّةِ ، وَإِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ ، وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ ، وَٱلْحِيتَانُ فِي جَوْفِ ٱلْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ ٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَابِدِ كَفَضْلِ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ ٱلْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً ؛ وَرَّثُوا ٱلْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ . . أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ » .

(٢) أخرجه أبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٩٨) بنحوه عن أبي داوود السجستاني ، وكذا في « بستان العارفين » للنووي (ص ١٥٤) ، وانظر « التذكرة البلقينية » (٧٩) .

أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ الشِّيرازيُّ الحافظُ قالَ : أنا أبو عمرَ لاحقُ بنُ الحسينِ المَقْدِسيُّ ، ثنا الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ أبي الفضلِ الخيَّاطُ ، ثنا محمَّدُ بنُ عامرِ بنِ الفضلِ المُقرئُ ، ثنا [أبو الخزرجِ] [1] الحسنُ بنُ الزِّبْرِقانِ [2] ، عنِ ابنِ جريجٍ ، عن عطاءٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : (كانَتْ لأميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ جاريةٌ تُسمَّىٰ : فضَّةَ ، وكانَ ابنُ النَّبَّاحِ مُؤذِّنُ عليٍّ يُحِبُّها ، فقالَتْ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ مُؤذِّنَكَ هٰذا يزعمُ أنَّهُ يُحِبُّني ، قالَ : « فتعرَّضي لهُ وقاربيهِ بالكلامِ » ، وقعدَ لهُما أميرُ المؤمنينَ حيثُ يراهُما ولا يريانِهِ .

فلمَّا جاءَ ابنُ النَّبَّاحِ ليُؤذِّنَ . . تعرَّضَتْ لهُ ، فالتفتَ عن يمينِهِ وعن شمالِهِ ، فقالَ لها : إنِّي أُحِبُّكِ ، فقالَتْ لهُ : وأنا أُحِبُّكَ .

وقالَتْ لهُ : ما يمنعُكَ منِّي ؟ وما عسىٰ أن تصبرَ ؟ قالَ : تصبرينَ وأصبرُ إلىٰ يومِ يُوفَّى الصَّابرونَ أجرَهُم بغيرِ حسابٍ .

قالَ : فأطلعَ أميرُ المؤمنينَ رأسَهُ ، فقالَ : « قد وفَّاكَ اللهُ أجرَكَ بغيرِ حسابٍ ، خُذْ بيدِها فهيَ لكَ ») .

قالَ ابنُ عبَّاسٍ : (لا يظنُّ الظَّانُّ بأميرِ المؤمنينَ أنَّهُ قعدَ لهُما مجلسَ ريبةٍ ، إنَّ الرَّجلَ كانَ عندَهُ مأموناً في اللهِ ، ولولا ذٰلكَ . . لم يقعدْ لهُما) [3]

*

٨٥٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ ، عن ذاكرِ بنِ كاملِ بنِ أبي غالبٍ ، عن أبي سعدٍ أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيِّ : أنَّ أبا الحسينِ ابنَ التَّوَّزيِّ أخبرَهُ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنُ القُنَينيِّ ، أنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المعروفُ بابنِ مُتيَّمٍ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ محمَّدٍ اليزيديُّ ، عن بعضِ عمومتِهِ ـ إمَّا عن عبيدِ اللهِ ، أو عنِ الفضلِ ـ : أنَّ رجلاً كانَ لهُ صديقٌ يألفُهُ في حالِ إضاقتِهِ ، فأثرىٰ فجفاهُ .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (أبو الخوارج) ، والمثبت موافق لما في « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم (٣/١٥) ، و« التدوين في أخبار قزوين » للرافعي (٢/٤٠٨) .

(٢) بعده في « العلل » : (عن إسحاق بن رفيع الذِّماريّ) ، وانظر « لسان الميزان » لابن حجر (٢/٥٨) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في « العلل » (١٢٧٣) ، وانظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٣/٤٤٧) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/٢٤١) .

فكتبَ إليهِ [1] : [من الطويل]

أَظُنُّكَ أَطْغَاكَ ٱلْغِنَىٰ فَنَسِيتَنِي ... وَنَفْسَكَ وَٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةُ قَدْ تُنْسِي

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلُو عِنْدَ نَفْسِكَ بِٱلْغِنَىٰ ... فَإِنِّي سَيُعْلِينِي عَلَيْكَ غِنَىٰ نَفْسِي

* * *

٨٦٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ هبةِ اللهِ الضَّريرُ ، أنا القاضي أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ بختيارِ بنِ عليِّ الواسِطيُّ ، حدَّثَني أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الأسديُّ قالَ : كانَ قد وصلَ مِن جهةِ السُّلطانِ أميرٌ مُحتشِمٌ إلىٰ قاضي القضاةِ أبي القاسمِ عليِّ بنِ الحسينِ الزَّينبيِّ ، وقالَ : إنَّ صاحباً للسُّلطانِ قد حُبِسَ علىٰ ثلاثِ مئةِ دينارٍ ، وقد تقدَّمَ إليَّ بإخراجِهِ .

فقالَ لي قاضي القضاةِ : تمضي إلى البوَّابِ وتستعلمُ الحالَ .

فمضيتُ فوجدتُ المحبوسَ قد حبسَهُ أحمدُ بنُ سلامةَ الكَرْخيُّ ، فعرَّفَهُ الأميرُ الواصلُ الحالَ ، وقالَ لهُ : لا يمكنُ إخراجُهُ إلَّا برضا خصمِهِ ، فقالَ : السُّلطانُ أمرَني بإخراجِهِ ، فقالَ لهُ قاضي القضاةِ : إن أمكنَكَ إخراجُهُ . . فأَخرِجْهُ ، فنهضَ فاستعادَهُ قاضي القضاةِ ، وقالَ : قُلْ للسُّلطانِ : هـٰذا أمرٌ شرعيٌّ ، ولا يمكنُ إخراجُهُ إلَّا برضا خصمِهِ ، أو تزنُ أنتَ عنهُ ثلاثَ مئةِ دينارٍ .

فمضىٰ وعادَ ومعَهُ ثلاثُ مئةِ دينارٍ قدِ انتُزِعَتْ مِن مركبٍ ، وحكىٰ عنِ السُّلطانِ أنَّهُ لمَّا أعادَ عليهِ القولَ . . قالَ : صدقَ ، وأمرَ بإحضارِ مركبٍ لهُ ينزعُ ما عليهِ ، وقد نقدَهُ .

فطلبَ الخصمَ ، فلم يُوجَدْ ، فتقدَّمَ إلىٰ أحدِ الأُمَناءِ ، فقبضَ المبلغَ ، ثمَّ حضرَ الخصمُ ، فقبضَ المالَ ، وأُفرِجَ عنِ المحبوسِ [2] .

* * *

٨٦١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ قالوا : أنبأَنا أبو الفرجِ ابنُ الجَوْزيِّ ، حدَّثَني أبو الحسنِ [البراندسيُّ] [3] عن بعضِ العدولِ : أنَّ رجلاً رأىٰ قاضيَ القضاةِ

---

(١) الأبيات في « الأمالي » للقالي (٢/٢٩٤) لأحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، والبيت الأول في « طبقات الشعراء » لابن المعتز (ص٢٩٦) لأبي سعد المخزومي .

(٢) انظر « التذكرة البلقينية » (٨١) .

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من « المنتظم » ، وفي (أ) بياض ، والبراندسي : نسبة إلىٰ (براندس) ، علىٰ نهر عيسىٰ فوق المُحوَّل ببغداد ، وانظر « ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (١٩/١٨) .

ـ يعني : الزَّينبيَّ ـ في المَنامِ ، فقالَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي .

ثمَّ أنشدَ (١) : [من الطويل]

وَإِنَّ ٱمْـرَأً يَـنْـجُـو مِـنَ ٱلـنَّـارِ بَـعْـدَمَـا ... تَـزَوَّدَ مِـنْ أَعْـمَـالِـهَـا لَـسَـعِـيـدُ (٢)

* * *

٨٦٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وأُخبِرتُ عنِ الشَّيخِ نجيبِ الدِّينِ أبي الفرجِ عبدِ اللَّطيفِ الحَرَّانيِّ ، كلاهُما عن أبي المكارمِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الأصبهانيِّ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ الحَدَّادُ قراءةً عليهِ ، أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ إبراهيمَ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمَّدِ بنِ نُصَيرٍ يقولُ : ذكرَ عمرُ بنُ ملكا ، عن أبيهِ قالَ : كانَ بيني وبينَ عليٍّ السَّامَرِّيِّ مُؤاخاةٌ ، فلمَّا قُبِضَ . . كنتُ أتمنَّىٰ مدَّةً أن أراهُ فأعلمَ حالَهُ عندَ اللهِ .

فرأيتُهُ في بعضِ اللَّيالي في زينةٍ حسنةٍ وهيئةٍ جميلةٍ ، وقد غمَّضَ إحدىٰ عينَيهِ ، فقلتُ لهُ : يا أخي ؛ عهدي بكَ ولم يكنْ بعينَيكَ بأسٌ ، فارقتَنا وعيناكَ صحيحتانِ ، فما بالُ الَّتي غمَّضتَها ؟

قالَ : اعلمْ أنِّي كنتُ في بعضِ اللَّيالي أقرأُ كتابَ اللهِ ، فمرَّتْ بي آيةُ وعيدٍ ، فأشفقَتْ هٰذهِ ـ يعني : النَّاظرةَ ـ فبكَتْ ، وقنطَتْ هٰذهِ فأمسكَتْ ، فلمَّا أفقتُ . . عاتبتُها ، فقلتُ لها : ما بالُكِ لم تُشفِقي شفقةَ أُختِكِ هٰذهِ ؟ وقلتُ لها في عتابي لها : وحبِّي لمحبوبي ؛ لئن أباحَني منهُ مُنايَ ؛ لأمنعنَّكِ ما لَكِ منهُ .

فلمَّا أن وصلتُ إليهِ . . قالَ لي : يا عليَّ بنَ الحسينِ ؛ ها أنا ، فتمتَّعْ ، فغمَّضتُها عندَ ذٰلكَ وفاءً بما قلتُ .

قلتُ لهُ : يا أخي ؛ فهل قلتَ في ذٰلكَ شيئاً ؟

فأنشأَ يقولُ : [من الوافر]

بَـكَـتْ عَـيْـنِـي غَـدَاةَ ٱلْـبَـيْـنِ حُـزْنَـا ... وَأُخْـرَىٰ بِـٱلْـبُـكَـا بَـخِـلَـتْ عَـلَـيْـنَـا

فَـجَـازَيْـتُ ٱلَّـتِـي جَـادَتْ بِـدَمْـعٍ ... بِـأَنْ أَقْـرَرْتُـهَـا بِـٱلْـحُـبِّ عَـيْـنَـا

---

(١) البيت ليزيد بن الصقيل العقيلي كما في « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٣٦٩/٢) ، و« الكامل » للمبرد (١٣٥/١) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢٢٣/١) ، و« لسان العرب » (٧١/٤) .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (٣٧٨/١٠) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٥١/٢١) .

وَعَـاقَـبْـتُ ٱلَّـتِـي بَـخِـلَـتْ بِـدَمْـعٍ بِـأَنْ غَـمَّـضْـتُـهَـا يَـوْمَ ٱلْـتَـقَـيْـنَـا[1]

هٰكذا ذكرَ الحكايةَ ابنُ النَّجَّارِ في موضعٍ مِن « ذيلِهِ » ، ثمَّ ذكرَها في موضعٍ آخرَ فقالَ : أخبرَنا إبراهيمُ بنُ عثمانَ بنِ يوسفَ ، أنا أحمدُ بنُ عبدِ الغنيِّ بنِ محمَّدٍ ، أنا جعفرُ بنُ أحمدَ الأديبُ ، أنا عبدُ العزيزِ بنُ عليٍّ الخيَّاطُ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ جَهْضَمٍ الهَمَذانيُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ البغداديُّ ساكنُ نَصِيبينَ مذاكرةً قالَ : سمعتُ عمرَ بنَ ملكا يقولُ : سمعتُ أبي ؛ ملكا ، سمعتُ جدِّي عمرَ يقولُ : كانَ لي أخٌ مِن أهلِ سُرَّ مَن رأىٰ ، وكانَ مِن أهلِ العقودِ الصَّحيحةِ ، فاستُوتِرتُهُ[2] ، فاغتممتُ عليهِ غَمّاً شديداً ، وكنتُ أُحِبُّ أن أراهُ ، فلمَّا كانَ في بعضِ اللَّيالي . . غفوتُ غفوةً ، فرأيتُهُ . . . الحكايةَ بمعناها والأبياتَ بعينِها .

نُكْتَةٌ غَرِيبَةٌ

[في اتِّفاقٍ عجيبٍ]

٨٦٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الكرمِ الهاشميِّ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ بنِ أبي منصورٍ ، والمُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وغيرِهِما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي : أنَّ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ أبي نصرٍ الحُمَيديَّ أخبرَهُ قالَ : سمعتُ أبا طالبٍ عليَّ بنَ عليِّ بنِ عمرَ بنِ بكرونٍ النَّهْروانيَّ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ أبا الفرجِ المُعافى بنَ زكريَّا ابنَ طَرارا النَّهْروانيَّ يقولُ : كنتُ في بعضِ المواضعِ ـ إمَّا قالَ : في طريقِ الحجِّ ، وإمَّا : في مركبٍ ـ ، فسمعتُ قائلاً يقولُ : يا أبا الفرجِ المُعافىٰ ، فلم أُجِبْهُ .

فقالَ كرَّةً أُخرىٰ : يا أبا الفرجِ المُعافى بنَ زكريَّا ، فلم أُجِبْهُ .

ثمَّ قالَ دفعةً ثالثةً : يا أبا الفرجِ المُعافى بنَ زكريَّا ابنَ طَرارا النَّهْروانيَّ ، فاتَّبعتُ الصَّوتَ وقلتُ للَّذي نادىٰ : أنا المُعافى بنُ زكريَّا ابنُ طَرارا النَّهْروانيُّ ، فقالَ لي : ما أنتَ هوَ ، هٰذا رجلٌ مِن أهلِ اليمنِ مِن بلدٍ هناكَ تُعرَفُ بالنَّهْروانِ ؛ بهٰذا الاسمِ والكُنيةِ والنَّسبِ !!

قالَ : فعجبتُ مِنِ اتِّفاقِ ذٰلكَ ، وانصرفتُ عنهُ[3]

* * *

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٣٣٩) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/١١٤٢) .

(٢) بمعنىٰ : فقدتُهُ .

(٣) انظر « معجم البلدان » (٥/٣٢٧) ، و« وفيات الأعيان » (٥/٢٢٣ ـ ٢٢٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/٥٤٦) ، ←

٨٦٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو عليٍّ ضياءُ بنُ أحمدَ بنِ أبي عليٍّ صاحبُنا ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي الشَّاهدُ .

(ح) وأُنبئتُ عنِ المُؤيَّدِ ، وعبدِ الوهَّابِ ابنِ سُكَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنا أبو المُظفَّرِ هنَّادُ بنُ إبراهيمَ النَّسَفيُّ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ بنِ عيسى العَطَّارُ ، أنا جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ نُصَيرٍ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ مسروقٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ شبيبٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ ميمونٍ قالَ : سمعتُ ابنَ عُيَينةَ يقولُ : (مَن طلبَ مِن بخيلٍ حاجةً . . كانَ كمَنِ التمسَ السَّمكَ في مَفازةٍ)[١]

حكايةٌ غريبةٌ

[غسِّلْني فإنِّي سُنِّيٌّ]

٨٦٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِ واحدٍ قالوا : أنبأَنا ذاكرُ بنُ كاملِ بنِ أبي غالبٍ الخَفَّافُ ، عن أبي نصرٍ محمَّدٍ ، وأبي غالبٍ أحمدَ ابنَيْ أبي عليٍّ الحسنِ بنِ أحمدَ ابنِ البَنَّاءِ .

(ح) وأنبأَني عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ المُقرئُ ، عنِ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، عن أبي غالبٍ أحمدَ ابنِ البَنَّاءِ قالا : أنا والدُنا قراءةً عليهِ قالَ : حكىٰ لنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ ـ وكانَ جاراً لنا وصديقاً ـ قالَ : كانَ في أيَّامِ بهاءِ الدَّولةِ رجلٌ يُغسِّلُ الموتىٰ يُعرَفُ بأبي الحسنِ عبدوسٍ الخِلاسيِّ ، قالَ : حدَّثَني أنَّهُ قالَ : كنتُ عاهدتُ اللهَ عزَّ وجلَّ أَنْ لا أُغسِّلَ دَيْلَميّاً ولا رافضيّاً .

قالَ : فبينا أنا ذاتَ يومٍ في منزلي . . وإذا بالبابِ قد دُفِعَ عليَّ ، ودخلَ رجلٌ دَيْلَميٌّ بيدِهِ طيرٌ مِن غيرِ سلامٍ ولا استئذانٍ ، وغلامُهُ وراءَهُ بيدِهِ شيءٌ ، فصارَ الدَّيْلَميُّ علىٰ رأسي ، وقالَ : قُمْ غسِّلْ قرابةً لي دَيْلَماً .

قالَ : فنظرتُ إليهِ وبقيتُ مُتحيِّراً ، وقلتُ في نفسي : إلـٰهي وسيِّدي ؛ أنتَ العالمُ أنِّي ما نكثتُ بعهدِكَ ، ولا تغيَّرَتْ نيَّتي ، ولـٰكنَّكَ تفعلُ ما تُريدُ ، ورُمتُ الخلاصَ منهُ بكلِّ معنىً فلم أَجِدْ ، ويقولُ : لا بُدَّ مِنَ القيامِ معي .

و« الوافي بالوفيات » (١/ ٣٥) ، وذكره ابن الدبيثي في « ذيل تاريخ مدينة السلام » (١/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، وفي هامش (أ) : (بلغ مروراً) .

(١) أخرجه ابن حمكان في « الفوائد والأخبار والحكايات » (٤٠) ، وانظر « جمل من أنساب الأشراف » للبلاذري (١٣/ ٨٤) ، و« سراج الملوك » للطرطوشي (ص ٦٤٨) وفيهما عن أكثم بن صيفي .

فقمتُ حتَّىٰ أتىٰ منزلَهُ ، وفي الدَّارِ نوائحُ ولطمٌ ، فسبقَني فدخلَ وأسكتَهُم ، ثمَّ دخلتُ إلىٰ حجرةٍ في الدَّارِ والميّتُ مُسجّىً علىٰ سريرٍ مُغطّىً بثوبٍ ، فتركَني وخرجَ ليجيءَ ببقيَّةِ جهازِهِ ، فإذا بالميّتِ قدِ استوىٰ بقدرةِ اللهِ جالساً !! فقالَ لي : يا خِلاسيُّ ؛ ما لَكَ تتوقَّفُ في أمري ؟ غسِّلْني ولا تفزعْ ؛ فإنّي سُنّيٌّ بحَمْدِ اللهِ ، ثمَّ عادَ ميّتاً علىٰ حالتِهِ .

فقلتُ لهُ : نعم يا سيِّدي ، أُغسِّلُكَ علىٰ رأسي وعيني ، وعلمتُ أنَّ اللهَ تعالىٰ أراني ذٰلكَ ليُسكِّنَ قلبي ، ويزيدَ في إيماني واعتقادي .

ثمَّ جاءَني الدَّيْلَميُّ ، فرآني مسروراً بعدَما تركَني مغموماً ، ولم أُعرِّفْهُ السَّببَ ، وغسَّلتُهُ وكفَّنتُهُ ، وصلَّيتُ عليهِ ودفنتُهُ ، وانصرفتُ إلىٰ منزلي .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ وأنا جالسٌ . . وإذا بإنسانٍ يطرقُ البابَ ، فخرجتُ إليهِ وإذا الدَّيْلَميُّ على البابِ ، فسلَّمَ عليَّ وسلَّمتُ عليهِ ورحَّبتُ بهِ ، وإذا قد أخرجَ قرطاساً ، وقالَ : هٰذهِ عشرةُ دنانيرَ ، خُذْها باركَ اللهُ لكَ فيها ، قالَ : فقلتُ : لا حاجةَ بي إليها ، قالَ : فقالَ : خُذْها ولا تمتنعْ ؛ فإنَّ صاحبَها الَّذي غسَّلتَهُ وصَّاني أن أدفعَها إليكَ ، وكانَ مِن أهلِ السُّنَّةِ ، وقالَ : لا تدعْ أحداً يُغسِّلُني غيرَهُ .

قالَ : فأخذتُ الدَّنانيرَ ، وكنتُ في كلِّ وقتٍ أذكرُهُ ، وأترحَّمُ عليهِ وعلىٰ جميعِ أهلِ السُّنَّةِ .

حكاية

[جزاءُ الخيانةِ]

٨٦٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أحمدُ بنُ يحيى ابنِ هبةِ اللهِ الخازنُ ، أنا الحسينُ بنُ عليّ الكُوفيُّ ، أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ الصَّيْرفيُّ ، ثنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ بنِ عليّ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ ، وعبدِ الوهَّابِ الأمينِ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ قالَ : أنا أبي ، أخبرَني أحمدُ بنُ يوسفَ الأزرقُ التَّنُوخيُّ مناولةً قالَ : أخبرَني أبو الحسنِ عليُّ بنُ الفتحِ الكاتبُ المعروفُ بالمُطوَّقِ مناولةً في كتابِهِ « كتابُ مناقبِ الوزراءِ ومحاسنِ أخبارِهِم »[١] ، وفيهِ ذِكْرُ كثيرٍ مِنَ الحوادثِ ، فقالَ فيهِ : وفي

---

(١) أثبته له صاحب « الفهرست » (ص ١٨٧) ، وقال : (وصلَ به كتابَ محمَّدِ بن داوود بن الجرَّاح ، وعملَهُ إلىٰ ←

رجبِ سنةَ خمسَ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ تحدَّثَ النَّاسُ أنَّ رجلاً أمسىٰ في بعضِ محالِّ الجانبِ الغربيِّ مِن مدينةِ السَّلامِ ومعَهُ دراهمُ لها قدرٌ ، فخافَ علىٰ نفسِهِ مِنَ الطَّائفِ ومِن بليَّةٍ تقعُ عليهِ ، فصارَ إلىٰ رجلٍ مِن أهلِ الموضعِ ، وسألَهُ أن يبيتَ عندَهُ ، فأدخلَهُ .

فلمَّا تيقَّنَ أنَّ معَهُ مالاً . . حدَّثَ نفسَهُ بقتلِهِ وأَخْذِ مالِهِ ، وكانَ لهُ ابنٌ شابٌّ ، فنوَّمَهُ معَ الرَّجلِ في بيتٍ واحدٍ ، ولم يُعلِمِ ابنَهُ بما في نفسِهِ ، وخرجَ مِن عندِهِما وقد عرفَ مكانَهُما ، وطُفِئَ المصباحُ .

فقُدِّرَ مِنَ الأمرِ أنَّ الابنَ انتقلَ مِن موضعِهِ إلىٰ موضعٍ آخرَ ، وانتقلَ الضَّيفُ إلىٰ موضعِ الابنِ ، وجاءَ أبوهُ ليطلبَ الضَّيفَ فصادفَ ابنَهُ ، وهوَ لا يشكُّ أنَّهُ الضَّيفُ ، فخنقَهُ ، وانتبهَ الضَّيفُ باضطرابِهِ ، وعرفَ ما أُريدَ منهُ ، فخرجَ هارباً مِنَ الدَّارِ ، وصاحَ في الطَّريقِ ، ووقفَ الجيرانُ علىٰ خبرِهِ فأغاثوهُ ، وأخذوا الرَّجلَ ، فقُرِّرَ فأقرَّ بقتلِ ابنِهِ ، فحُبِسَ وأُخِذَ المالُ مِن دارِهِ ، فرُدَّ على الضَّيفِ وسَلِمَ (١)

حكاية

[ولدٌ لا يُحسِنُ القرآنَ]

٨٦٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِ واحدٍ قالوا : أنبأَنا ذاكرُ بنُ كاملٍ ، عن أبي غالبٍ شجاعِ بنِ فارسٍ الذُّهْليِّ ، أنا القاضي أبو المُظفَّرِ هنَّادُ بنُ إبراهيمَ النَّسَفيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ بنِ محمَّدٍ الخطيبُ بالنَّهْروانِ ، ثنا أحمدُ بنُ نصرٍ الذَّارعُ ، عن ثعلبٍ قالَ : حدَّثَني بعضُ أصحابِنا قالَ : اختصمَ إلىٰ سوَّارٍ القاضي رجلٌ وولدُهُ ، فقالَ الأبُ : أعزَّ اللهُ القاضيَ ، هٰذا ابني لا يُحسِنُ مِنَ القرآنِ شيئاً .

فقالَ سوَّارٌ للغلامِ : ما تقولُ ؟

قالَ : بل أحفظُ منهُ كثيراً .

قالَ : فاقرأْ عليَّ .

أيَّام أبي القاسم الكَلْوَذانيِّ) ، ونقل عنه أبو القاسم التنوخي في « الفرج بعد الشدة » ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ، ومنه هٰذه الحكاية .

(١) أخرجه التنوخي في « الفرج بعد الشدة » (٤/١٠٧) ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٤/١٧٥ ـ ١٧٦) .

قالَ : نعم[1] : [من الطويل]

فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِٱلْحَصَىٰ فَلَقَ ٱلْحَصَىٰ وَبِٱلرِّيحِ لَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ هُبُوبُ
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ كُلَّمَا ذَكَرْتُكِ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيَّ ذُنُوبُ

فلمَّا سمعَ أبوهُ ذٰلكَ منهُ . . قالَ : واللهِ ـ أعزَّ اللهُ القاضيَ ـ ؛ ما كانَ يُحسِنُ ، إنَّما أُمُّهُ علَّمَتْهُ !!

فَائِدَةٌ جَيِّدَةٌ

[في دعاءٍ يُنجي مِنَ المهالكِ]

٨٦٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : حدَّثَني عمرُ بنُ أحمدَ بنِ هبةِ اللهِ العقيليُّ بحلبَ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عمرَ بنِ أحمدَ بنِ هبةِ اللهِ قالَ : حدَّثَني عبدُ الرَّحيمِ بنُ عليِّ ابنِ شيثٍ القرشيُّ قالَ : بلغَني عنِ ابنِ غليسٍ[2] أنَّهُ في مجيئِهِ في طريقِ مكَّةَ لقيَ أسداً ، فأتىٰ إليهِ وأمسكَ بيدَيهِ علىٰ لحيَيهِ ، وفتحَ فاهُ إلىٰ أن سارَ الحاجُّ ، وخلَّىٰ عنهُ ، ولحقَ بالحاجِّ !!

فكنتُ أسألُ جماعةً مِن أصحابِ ابنِ غليسٍ عنِ الدُّعاءِ الَّذي دعا بهِ ؛ هل سألوهُ عنهُ ، فلم يُخبِرْني أحدٌ بشيءٍ ، فكنتُ أبداً كثيرَ التَّطلُّعِ إلىٰ ذٰلكَ ، ولم أَجِدْ أحداً أسألُهُ عن ذٰلكَ إلىٰ أن استدعانيَ الصَّفيُّ ابنُ شُكرٍ إلىٰ دِمشقَ ، وما شككتُ في أنَّهُ يضربُ رقبتي ، وكانَ يقصدُهُ ، فلقيتُ رجلاً يُقالُ لهُ : أفلاطونُ ؛ طبيبٌ ، وكانَ يخدمُ ابنَ غليسٍ ويتردَّدُ إليهِ ، فقالَ : أنا ـ واللهِ ـ سألتُهُ عن ذٰلكَ ، فقالَ : كنتُ ليلةً في الطَّريقِ نائماً ، فرأيتُ في المَنامِ أسداً قد جاءَ وزأرَ في طريقِ الحُجَّاجِ ، فاختبطَ النَّاسُ ، ورجعَ أَوَّلُ الحاجِّ إلىٰ آخِرِهِ لخوفِهِم .

فجاءَني هاتفٌ فقالَ لي : قُلْ : (يا كلبَ اللهِ ؛ اتَّقِ اللهَ في عبادِ اللهِ ، واخضعْ لِمَن خضعَتْ لهُ السَّماواتُ والأرضُ) ، وامشِ إليهِ ، فإنَّهُ لا يضرُّكَ ، ففعلتُ ذٰلكَ ، وقبضتُ علىٰ لحيَيهِ إلىٰ أن مرَّ النَّاسُ .

---

(١) هما لابن الدمينة ، أو لمجنون ليلى ، انظر « ديوان ابن الدمينة » (ص ١١١) ، و« ديوان مجنون ليلىٰ » (ص ٥٤) .

(٢) هو أبو الحسن ، عليُّ بن محمَّد بن غليس ، الزَّاهد ، صاحب المجاهدات والكرامات ، من أهل اليمن ، توفِّي بدِمشق في شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وخمس مئة ، وقد قارب السِّتِّين ، رحمه الله . انتهىٰ من هامش (أ) .

فلمَّا انتبهتُ . . لم أحفلْ بالمَنامِ ؛ لأنِّي أرىٰ في اليقظةِ أشياءَ فوقَ هٰذا .

فبينا نحنُ سائرونَ في ذٰلكَ اليومِ . . إذا بالحاجِّ قدِ اختبطَ ، ورجعَ أوَّلُهُ إلىٰ آخِرِهِ ، وقالوا : ها هنا سَبُعٌ ضارٍ ، وتخوَّفَ النَّاسُ منهُ ، فأقبلتُ عليهِ وقلتُ : (يا كلبَ اللهِ ؛ اتَّقِ اللهَ في عبادِ اللهِ ، واخضعْ لمَن خضعَتْ لهُ السَّماواتُ والأرضُ) ، ومشيتُ إليهِ .

فجاءَ جماعةٌ مِنَ الحاجِّ يُساعِدونَني عليهِ ، فقلتُ : لا يتبعْني أحدٌ ، ثمَّ جئتُ إليهِ ومسكتُ فكَّهُ الأعلىٰ بيدي ، وفكَّهُ الأسفلَ بيديَ الأُخرىٰ ، وقعدتُ وقعدَ معي إلى الأرضِ ، إلىٰ أن مرَّ الحاجُّ ، ثمَّ قمتُ وولَّيتُ عنهُ ، وجعلتُ ألتفتُ إليهِ فأراهُ مُلتفِتاً إليَّ كالتفاتي إليهِ ، وأنا أقولُ لهُ هٰذهِ الكلماتِ .

فقلتُ في نفسي : ما يكونُ ابنُ شُكرٍ أعظمَ مِنَ الأسدِ ، وصلَّيتُ الجمعةَ في جامعِ دِمشقَ ، فلمَّا مرَّ في الجامعِ . . قلتُ هٰذهِ الكلماتِ ، فلم يُمكِّنِ اللهُ ابنَ شُكرٍ منِّي[1]

نُكتةٌ جيِّدةٌ

[في إحسانِ ابنِ الفُراتِ لأربابِ الحوائجِ]

٨٦٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ قالوا : أنبأَنا ذاكرُ بنُ كاملٍ قالَ : كتبَ إليَّ أبو بكرٍ الشِّيرويُّ : أنَّ أبا نصرٍ الشِّيرازيَّ أخبرَهُ ، أنا أبو القاسمِ موسى بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ السَّاويُّ ، أنا محمَّدُ بنُ عمرَ الكاتبُ قالَ : (حدَّثَني جماعةٌ مِن مشايخِنا : أنَّ صاحبَ الخبرِ رفعَ إلىٰ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمَّدِ ابنِ الفُراتِ[2] وهوَ وزيرٌ . . أنَّ رجلاً مِن أربابِ الحوائجِ اشترىٰ

---

(١) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/٣٤ ـ ٣٥) .

(٢) هو أبو الحسن ، عليُّ بن أبي جعفر محمَّد بن موسى بن الحسن ابن الفُرات ، كان موصوفاً بحسن الخُلُق وسَعة الصَّدر والسَّخاء الزَّائد .

قُلِّد الوزارة أوَّلاً سنة ستٍّ وتسعين ومئتين في شهر ربيع الأوَّل ، ثمَّ عُزل في أوائل ذي الحجَّة سنة تسع وتسعين ، ثمَّ أُعيد في ذي الحجَّة سنة أربع وثلاث مئة ، ثمَّ عُزل في أواخر جمادى الأولىٰ سنة ستٍّ وثلاث مئة ، ثمَّ أُعيد في شهر ربيع الأوَّل سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة ، فصادر النَّاس وعذَّبهم ، وجاهر الأكابر من أرباب الدَّولة بالعداوة ، وساءت سيرته ، فعُزل عن الوزارة في أوائل شهر ربيع الأوَّل سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة .

وقيل : في هٰذا الشَّهر ضربت رقبة ولده المحسن ، وألقي رأسه بين يدي والده ، ثمَّ ضربت رقبة والده ، ولم يدفنا ، وكان [لابنه المحسن ثلاث وثلاثون سنة ، ولوالده إحدىٰ وسبعون سنة وأشهر] . انتهىٰ من هامش (أ) ، وما بين معقوفين هنا غير واضح ، واستُدرك من « ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار .

خبزاً وجبناً ، فأكلَهُ في الدِّهليزِ ، فأقلقَهُ ذٰلكَ ، وأمرَ بنصبِ مَطْبَخٍ لمَن يحضرُ مِن أربابِ الحوائجِ ، فلم يزلْ ذٰلكَ طولَ أيَّامِهِ)[1]

* * *

٨٧٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ الحنبليِّ بأصبهانَ ، عن أبي طاهرٍ التَّاجرِ ، أنا أبو القاسمِ ابنُ مَنْدَهْ إذناً ، عن أبي الحسينِ أحمدَ بنِ فارسِ بنِ زكريَّا اللُّغَويِّ قالَ : حدَّثني أبو الحسينِ البصريُّ قالَ : قالَ لي رجلٌ : كنتُ أخدمُ عليَّ بنَ محمَّدِ ابنِ الفُراتِ وزيراً ، قالَ : فغضبَ عليهِ السُّلطانُ وتقدَّمَ بحبسِهِ ، قالَ : وكانَ عندي خمسُ مئةِ دينارٍ ، فقلتُ لامرأتي ـ وكانَتْ ذاتَ عقلٍ ورزانةٍ ـ : إنِّي أُريدُ أن أحملَ هٰذهِ الدَّنانيرَ إلى الوزيرِ ؛ لعلَّهُ يحتاجُ إليها في حبسِهِ ، قالَتْ : ويحَكَ !! إنَّ ابنَ الفُراتِ لا يُحمَلُ إليهِ خمسُ مئةِ دينارٍ ؛ فإنَّهُ يستحقرُها وحاملَها .

قالَ : فعصيتُها وحملتُ الدَّنانيرَ ، فلمَّا رآني . . تعجَّبَ ، وقالَ : فلانٌ ؟ فقلتُ : نعم ، أيَّدَ اللهُ سيِّدَنا ، قالَ : حاجتَكَ ؟ فأخرجتُ الصُّرَّةَ وقلتُ : هٰذهِ خمسُ مئةِ دينارٍ ، لعلَّها تصلحُ أن تبرَّ بها بوَّاباً أو مُوكَّلاً ، ثمَّ قالَ : خُذْها تكونُ وديعةً عندَكَ .

قالَ : فخجلتُ ورجعتُ إلى امرأتي وحدَّثتُها ، فقالَتْ : قد كنتُ أشرتُ عليكَ ألَّا تفعلَ فأبيتَ .

قالَ : ثمَّ إنَّ السُّلطانَ رضيَ عنِ الوزيرِ ، وعادَ إلىٰ أفضلَ ممَّا كانَ عليهِ ، فدخلتُ عليهِ ، فلمَّا بصُرَ بي . . طأطأَ رأسَهُ ولم يملأْ منِّي عينَهُ ، فقلتُ : قد جاءَ ما قالَتْهُ ليَ امرأتي ، وكنتُ أغدو إليهِ بَعْدُ وأروحُ ، فلا يزدادُ إلَّا إعراضاً عنِّي ، حتَّىٰ أنفقتُ تلكَ الدَّنانيرَ ، وبقيتُ مُتعطِّلاً أبيعُ ما في بيتي .

وبكرتُ إلى ابنِ الفُراتِ يوماً علىٰ ما بي مِنِ انكسارٍ وضعفِ حالٍ ومُنَّةٍ ، فدعاني وقالَ : وردَتِ البصرةَ سفنٌ مِن بلادِ الهندِ ، فانحدرْ وفسِّرْها واقبضْ حقَّ بيتِ المالِ ، وما كانَ مِن رسمِنا مِنَ المُستثنىٰ ، ولا تتأخَّرْ .

فعدتُ إلىٰ أهلي ، وقلتُ لها : مِن تمامِ المحبَّةِ أنَّهُ كلَّفَني سفراً ، وأنا لا أقدرُ علىٰ ما أُنفِقُهُ ، قالَ : فناولَتْني خماراً لها وقُرطَينِ ، فبعتُ ذٰلكَ وجعلتُ ثمنَهُ نفقتي .

---

(١) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/٦٨) ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٧/٢٦١) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/٤٧٥) .

وانحدرتُ وفسَّرتُ السُّفنَ ، وقبضتُ حقَّ بيتِ المالِ ورسمَ الوزيرِ ، فحملتُهُ إلىٰ بغدادَ ، وعرَّفتُ الوزيرَ فقالَ : سلِّمْ حقَّ بيتِ المالِ ، واقبضْ الرَّسمَ المُستثنىٰ لنا ، وكم هوَ ؟ قلتُ لهُ : خمسةٌ وعشرونَ ألفَ دينارٍ ، قالَ : احملْها إلىٰ منزلِكَ .

فأخذتُ إلىٰ منزلي وسهرتُ ليلي لحفظِها على اهتمامي طولَ نهاري بها ، ومضىٰ لهٰذا الحديثِ زمانٌ ليسَ بالطَّويلِ ، وبانَ الضُّرُّ في وجهي ، فدخلتُ إليهِ يوماً ، فلمَّا رآني . . قالَ : ادنُ منِّي ، ما لي أراكَ مُتغيِّرَ اللَّونِ سيِّئَ الحالِ ؟ فحدَّثتُهُ بإقلالي وإضاقتي ، فقالَ : ويحَكَ !! وأنتَ ممَّن يُنفِقُ في مدَّةٍ يسيرةٍ خمسةً وعشرينَ ألفَ دينارٍ ؟!

قلتُ : أيَّدَ اللهُ سيِّدَنا الوزيرَ ، ومِن أينَ لي خمسةٌ وعشرونَ ألفَ دينارٍ ؟

قالَ : يا جاهلُ ؛ أما قلتُ لكَ : احملْها إلىٰ منزلِكَ ؟ أتراني لم أَجِدْ مَن أُودِعُهُ مالي غيرَكَ ؟ ويحَكَ !! أما رأيتَ إعراضي عنكَ أوَّلَ دخولِكَ إليَّ ؟

قلتُ : بلىٰ أيُّها الوزيرُ ، وذاكَ الَّذي أذابَ قلبي .

قالَ : ويحَكَ !! إنَّما أعرضتُ عنكَ حياءً منكَ ، وتذكَّرتُ جميلَ صنيعِكَ وأنا محبوسٌ ، وقلتُ : متىٰ أقضي حقَّ هٰذا فيما فعلَهُ ، فعجِّلْ إلىٰ منزلِكَ ، واتَّسعْ في النَّفقةِ ، وأنا أنظرُ لكَ ما يُغنيكَ ويُغني عقبَكَ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

فعدتُ إلىٰ منزلي عودةَ عبدٍ مِن حضرةِ مولىً كريمٍ ، وذٰلكَ سببُ غنايَ[1]

حكاية

[ابني ابني ، وهٰكذا كانَ جدِّي]

٨٧١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ .

(ح) وأُنبئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : كتبَ إليَّ أبو غالبٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ بِشْرانَ الواسِطيُّ قالَ : حدَّثني أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ نصرٍ الكاتبُ قالَ : كنتُ عندَ قاضي القضاةِ أبي عبدِ اللهِ

---

(١) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/٦٩ ـ ٧٠) ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٧/٢٣٧ ـ ٢٣٩) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

الحسينِ ابنِ ماكولةَ يوماً ، فحدَّثَهُ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عمرَ القاضي المعروفُ بابنِ الأخضرِ وهوَ جالسٌ إلىٰ جنبي . . قالَ : حدَّثَني الشَّيخُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ نصرٍ الفقيهُ المالكيُّ ـ وكانَ ناهيكَ عدالةً وثقةً ـ فضربَ بيدِهِ علىٰ فَخِذي وقالَ : زوَّجتُ أيَّامَ عضدِ الدَّولةِ بعضَ غلمانِهِ الأتراكِ مِن صبيَّةٍ في جوارِنا ، وكانَ لها ولوالدتِها أنسٌ بدارِنا ، وكانَتْ مِنَ الموصوفاتِ بالسِّترِ والعفافِ ، ومضىٰ علىٰ ذٰلكَ سنتانِ ، وحضرَنيَ الغلامُ التُّركيُّ ، وقالَ : يا سيِّدي ؛ هٰذهِ المرأةُ الَّتي زوَّجتَني بها قد ولدَتْ ليَ ابناً ، وما أشكو شيئاً مِن أمرِها ولا أُنكِرُهُ ، غيرَ أنَّها ما أرَتْني ولدي منذ ولدَتْهُ ، وكلَّما طالبتُها بهِ . . دافعَتْني عنهُ ، وأُريدُ أن تستدعيَها وتخاطبَها في هٰذا .

قالَ : فاستدعيتُ والدتَها فحضرَتْ ، وخاطبتُها مِن وراءِ السِّترِ علىٰ ما قالَهُ ، فأشارَتْ إليَّ وقالَتْ : يا سيِّدي ؛ صدقَ فيما حكاهُ ، وإنَّما دفعْناهُ عن هٰذا لأنَّا قد بُلينا ببليَّةٍ قبيحةٍ ، وذاكَ أنَّ زوجتَهُ ولدَتْ منهُ ولداً أبلقَ ؛ مِن رأسِهِ إلىٰ سُرَّتِهِ أبيضُ ، وبقيَّتُهُ إلىٰ قدمِهِ أسودُ في لونِ الحبشِ !!

قالَ : وسمعَ التُّركيُّ قولَها : (أبلقَ) ، فصاحَ : (رَاستْ كُفتْ)[1] ، ثمَّ قالَ بالعربيَّةِ : ابني ابني ، وهٰكذا كانَ جدِّي بالتُّركِ ، وقد رضيتُ ، ففرحَتِ المرأةُ بقولِهِ ، وانصرفَتْ وأظهرَتْ لهُ الولدَ[2] .

نُكْتَةٌ

[مرحباً بأبي]

٨٧٢ ـ قالَ ابنُ النَّجَّارِ : ومثلَ هٰذهِ الحكايةِ حدَّثَنا شيخُنا أبو بكرٍ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ عبدِ القادرِ الجِيليُّ ـ وناهيكَ بهِ ثقةً ونُبلاً ـ قالَ : كانَ عندَنا ببابِ الأَزَجِ قومٌ قد زوَّجوا ابنةً لهُم بمملوكٍ تركيٍّ مِن مماليكِ الخليفةِ ، وكانَ موصوفاً بالغلظةِ والشِّدَّةِ ، فحملَتْ منهُ ، فلمَّا كانَ وقتُ الولادةِ . . أتَتْ بغلامٍ أسودَ ، وكانَ التُّركيُّ أبيضَ ، وكذٰلكَ زوجتُهُ ، فخافوا منهُ فأهلكوا الغلامَ ودفنوهُ ، وأَعلَموا أباهُ أنَّها أتَتْ بولدٍ ميِّتٍ ودفنوهُ .

ثمَّ إنَّها حملَتْ مرَّةً ثانيةً ، وأَتَتْ بغلامٍ أسودَ أيضاً ، ففعلوا بهِ كما فعلوا بأخيهِ ،

---

(١) بمعنىٰ : صدقَ ، فارسيَّة .

(٢) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/١٥٤) ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٧/٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

ثمَّ حملَتْ بثالثٍ ، وأتَتْ بهِ على الصِّفةِ ، ثمَّ فُعِلَ بهِ كما فُعِلَ بأخوَيهِ .

فلمَّا حملَتْ مرَّةً رابعةً ، ودنا وقتُ وَضْعِها . . قعدَ التُّركيُّ عندَها ، وقالَ : لا بُدَّ أن أنظرَ إلىٰ ما تأتي بهِ وإن كانَ ميِّتاً ، فأتَتْ بغلامٍ على الصِّفةِ الأُولىٰ مثلَ إخوتِهِ ، فلمَّا رآهُ التُّركيُّ . . بكىٰ ، وقالَ : مرحباً بأبي ، إنَّ أبي كانَ أسودَ مثلَ لونِهِ ، وقبَّلَهُ وفرحَ بهِ ، وزالَ ما كانَ عندَ أُمِّهِ وأهلِها مِنَ الخوفِ ، وندموا علىٰ ما فعلوهُ في حقِّ الثَّلاثةِ الماضينَ ، وكتموا ذٰلكَ عن أبيهِم (١) .

* * *

٨٧٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ ، وعبدِ الوهَّابِ الأمينِ ، وغيرِهِما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الشَّاهدِ : أنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ الجَوْهَريَّ أخبرَهُ ، أنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ابنُ حَيُّويهِ قراءةً عليهِ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ ابنِ بشَّارٍ الأنباريُّ ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ نصرٍ الشَّوكيُّ في مجلسِ الكُدَيميِّ ، ثنا سليمُ بنُ منصورِ بنِ عمَّارٍ ، ثنا أبي ، عنِ ابنِ لهيعةَ ، عن أبي قبيلٍ قالَ : (لمَّا قُتِلَ الحسينُ بنُ عليٍّ عليهِما السَّلامُ وحملوا رأسَهُ . . جلسوا يشربونَ ويُحيِّي بعضُهُم بعضاً بالرَّأسِ ، فخرجَتْ يدٌ فكتبَتْ بقلمِ [حديدٍ] (٢) بدمٍ على الحائطِ (٣) : [من الوافر]

أَتَرْجُو أُمَّةٌ قَتَلَتْ حُسَيْناً شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ؟!

فتركوا الرَّأسَ وهربوا) (٤) .

* * *

٨٧٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كانَ في أبي الحسنِ ـ يعني : عليَّ بنَ هبةِ اللهِ بنِ مسعودٍ البَزَّازَ (٥) ـ . . غفلةٌ وسلامةٌ ، معَ فضلِهِ وصدقِهِ ، وصلاحِهِ وديانتِهِ ، ويُحكىٰ عنهُ في

---

(١) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٥٤/١٩) .
(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (حد) ، والمثبت من « ذيل تاريخ بغداد » .
(٣) ينسب لأبي الأسود الدؤلي كما في « الطبقات الكبير » لابن سعد (٤٥٧/٦) ، و« نور القبس » لليغموري (ص ٩) .
(٤) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٥٩/١٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٣/٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٤/١٤) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢٦٥٢/٦) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٤٤٣/٦) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠٧/٥) .
(٥) توفِّي أبو الحسن المُغفَّل سلخ سنة إحدىٰ وثلاثين وخمس مئة ، ودفن مستهلَّ سنة اثنتين وثلاثين ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ) .

ذٰلكَ حكاياتٌ ؛ منها ما حدَّثَني أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ أحمدَ ابنُ البَنْدَنيجيِّ قالَ : (رُئِيَ أبو الحسنِ المُغفَّلُ يوماً وبيدِهِ كُوزٌ فيهِ دهنٌ للسِّراجِ ، وهوَ يقطرُ مِن أسفلِهِ شيءٌ بعدَ شيءٍ .

فقيلَ : يا شيخُ أبا الحسنِ ؛ إنَّ هٰذا الكُوزَ الَّذي معَكَ هوَ ذا يقطرُ منهُ الدُّهنُ ، فلعلَّهُ مكسورٌ ، فقلبَ الكُوزَ وتأمَّلَ أسفلَهُ لينظرَ ؛ فيهِ شيءٌ أم لا ، فانصبَّ الدُّهنُ علىٰ ثيابِهِ وعلى الأرضِ ، وضحكَ النَّاسُ منهُ)(١)

* * *

٨٧٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : وحدَّثَني عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عمرَ ابنُ الغزَّالِ الواعظُ قالَ : (سمعتُ بعضَ المشايخِ يحكي أنَّ أبا الحسنِ المُغفَّلَ كانَ يمشي يوماً علىٰ شاطئِ دِجلةَ ، فرأىٰ شيئاً طافياً علىٰ وجهِ الماءِ ، فخلعَ ثيابَهُ ونزلَ في الماءِ وسبحَ إلىٰ أن لحقَ ذٰلكَ الطَّافيَ ، فإذا هوَ يقطينةٌ مكسورةٌ ، فعادَ سريعاً ولَبِسَ ثيابَهُ ، وقالَ : ظننتُهُ هاووناً أنتفعُ بهِ(٢) ، فوجدتُهُ يقطينةً مكسورةً ، فضحكَ مَن سمعَهُ مِن قولِهِ)(٣)

* * *

٨٧٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ ، ويحيى بنِ أسعدَ قالا : أنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ إذناً ، عن أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ عليٍّ الصُّوريِّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ، أنا أبو أحمدَ عبدُ اللهِ بنُ عديٍّ ، ثنا عليُّ بنُ سعيدِ بنِ بشيرٍ ، ثنا إبراهيمُ ابنُ الجُنَيدِ ، حدَّثَني عليُّ بنُ الحسنِ بنِ موسىٰ ، عن أبي عدنانَ ، عن صالحٍ النَّاجي ، عن عليِّ بنِ يقطينٍ قالَ : إنَّا لمعَ المهديِّ يوماً . . إذ قالَ : أصبحتُ جائعاً ، فأُتِيَ بخبزٍ ولحمٍ فأكلَ ، ثمَّ قالَ : إنِّي داخلٌ هٰذا البهوَ أنامُ ، فلا تُنبِهوني حتَّىٰ أكونَ أنا الَّذي أنتبهُ .

قالَ : فدخلَ فنامَ ونمْنا ، ثمَّ انتبهَ وقالَ لنا : رأيتُم ما رأيتُ ؟ قلْنا : ما رأيْنا شيئاً .

قالَ : رأيتُ شيخاً قائماً علىٰ بابِ البهوِ ، وهوَ يقولُ : [من الطويل]

كَأَنِّي بِهَٰذَا ٱلْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحَشَ مِنْهُ رُكْنُهُ وَمَنَازِلُهْ

---

(١) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/١٨١ ـ ١٨٢) ، وانظر « ذيل تاريخ مدينة السلام » لابن الدبيثي (٤/٥٥٥) .

(٢) الهاوون : وعاء من نحاس ، يدقُّ فيه .

(٣) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/١٨٢) .

وَصَارَ عَمِيدُ ٱلْقَصْرِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ ... وَمَالَ إِلَىٰ قَبْرٍ عَلَيْهِ جَنَادِلُهْ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَحَدِيثُهُ ... تُنَادِي بِلَيْلٍ مُعْوِلَاتٍ حَلَائِلُهْ (١)

قالَ : فما أَتَتْ عليهِ إلَّا عشرةُ أيَّامٍ حتَّىٰ ماتَ (٢)

حكاية

[في إسراعِ جَبْرِ المصائبِ]

٨٧٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ الأَزَجيُّ ، عن أبي الوفاءِ عليِّ بنِ عَقِيلٍ الفقيهِ قالَ : حدَّثَنيَ الرَّئيسُ أبو الثَّناءِ بنُ يلدرك ـ وهوَ ممَّن خبرتُهُ بالصِّدقِ ـ : أنَّهُ كانَ في سوقِ نهرِ المُعلَّىٰ (٣) ، وبينَ يدَيهِ رجلٌ علىٰ رأسِهِ قفصُ زجاجٍ ، وذٰلكَ الرَّجلُ مضطربُ المشيِ ، وظهرَ منهُ عدمُ المعرفةِ بالحملِ .

قالَ : فما زلتُ أترقَّبُ منهُ سقطةً لِمَا رأيتُ مِنِ اضطرابِ مشيِهِ ، فما لبثَ أن زلقَ زلقةً طاحَ منها القفصُ ، فتكسَّرَ جميعُ ما كانَ فيهِ ، ثمَّ أخذَ عندَ الإفاقةِ مِنَ البكاءِ يقولُ : هٰذا ـ واللهِ ـ جميعُ بضاعتي ، واللهِ ؛ لقد أصابَتْني بمكَّةَ مصيبةٌ عظيمةٌ تربو علىٰ هٰذهِ ، ما دخلَ قلبي مثلُ هٰذهِ .

واجتمعَ حولَهُ جماعةٌ يرثونَ لهُ ويبكونَ عليهِ ، فقالوا : ما الَّذي أصابَكَ بمكَّةَ ؟

قالَ : دخلتُ قُبَّةَ زمزمَ ، وتجرَّدتُ للاغتسالِ ، وكانَ في يدي دُمْلُجٌ فيهِ ثمانونَ مثقالاً (٤) ، فخلعتُهُ واغتسلتُ ، وأُنسيتُهُ وخرجتُ .

فقالَ رجلٌ مِنَ الجماعةِ : هٰذا دُمْلُجُكَ لهُ معي سنينٌ ، فدُهِشَ النَّاسُ مِن إسراعِ جَبْرِ مصيبتِهِ (٥)

---

(١) في (أ) : (معولات عليه) ، والمثبت من « ذيل تاريخ بغداد » ، ويروىٰ في بعض مصادر التخريج : (تُنَادِي عَلَيْهِ مُعْوِلَاتٍ حَلَائِلُهْ) .

(٢) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/٢٠٢ ـ ٢٠٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/٤٤٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٣٥٧ ـ ٣٥٨) ، وانظر « مروج الذهب » للمسعودي (٤/١٨١ ـ ١٨٢) ، و« تاريخ الأمم والملوك » للطبري (٨/١٧٠ ـ ١٧١) ، و« الكامل » لابن الأثير (٥/٢٥٣) ، وما تقدم ضمن الخبر (٤٨١) .

(٣) ببغداد ، نسبة إلى المُعلَّى بن طريف مولى المهديّ . « معجم البلدان » (٥/٣٢٤) .

(٤) الدُّمْلُج : المعضد من الحليّ .

(٥) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/٢٠٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١٠/١٨٠) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٥/٢٩٠ ـ ٢٩١) .

نُكْتَةٌ

[في عَرَجٍ وصحَّةٍ معاً]

٨٧٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ الحنبليِّ بأصبهانَ ، عن أبي جعفرٍ محمَّدِ بنِ الحسنِ الصَّيْدَلانيِّ قالَ : كتبَ إليَّ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الأنصاريُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ ابنَ باكويهِ الصُّوفيَّ يقولُ : (كنَّا في دعوةٍ ببغدادَ فيها عليٌّ الأعرجُ الهاشميُّ ، فأخذَ القوَّالُ يقولُ : [من مخلع البسيط]

يَا مُظْهِرَ ٱلشَّوْقِ بِٱللِّسَانِ ... لَيْسَ لِدَعْوَاكَ مِنْ بَيَانِ

لَوْ كَانَ مَا تَدَّعِيهِ حَقّاً ... لَمْ تَذُقِ ٱلْغَمْضَ أَوْ تَرَانِي

فقامَ عليٌّ فرقصَ علىٰ رجلَينِ صحيحتَينِ !! ثمَّ جلسَ أعرجَ)[١]

* * *

٨٧٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وأنبأَني ابنُ وَرِّيدةَ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ قالَ : كتبَ إليَّ أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ الفارسيُّ ، أنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ محمَّدٍ المحميُّ ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ باكويهِ الشِّيرازيُّ قالَ : (رأيتُ عليّاً الأعرجَ الهاشميَّ الواسِطيَّ ببغدادَ سنةَ خمسٍ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ في دارِ مكِّيٍّ القَزْوينيِّ ، وكانَ في المجلسِ نحوٌ مِن ستِّينَ رجلاً ، والقوَّالُ يقولُ : [من مخلع البسيط]

يَا مُدَّعِي ٱلشَّوْقِ بِٱللِّسَانِ ... [لَيْسَ][٢] لِدَعْوَاكَ مِنْ بَيَانِ

إِنْ كَانَ مَا تَدَّعِيهِ حَقّاً ... لَمْ تَطْعَمِ ٱلْغَمْضَ أَوْ تَرَانِي

فقامَ ومشىٰ عرجتَهُ ، وشهقَ شهقةً خرَّ مغشيّاً عليهِ ، ودفنوهُ بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ)[٣]

حِكَايَةٌ

[رحيلُ المُعتصِمِ مِن بغدادَ وبناءُ سُرَّ مَن رأىٰ]

٨٨٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عليٍّ إسماعيلَ بنِ عبيدِ اللهِ المُقرِئِ ، ثنا

---

(١) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢١٤/١٩) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (ما) ، والمثبت موافق للرواية الأولى .

(٣) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢١٤/١٩) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٣٥٨/٢٢) .

رجاءٌ ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ محمَّدِ بنِ الفضلِ الحافظِ ، أنا عبدُ الصَّمدِ بنُ أحمدَ بنِ أبي جابرٍ ـ قدمَ علينا ـ ، أنا أبو عبدِ الرَّحمـٰنِ البَحِيريُّ ، أنا أبو أحمدَ القاسمُ بنُ محمَّدٍ القَنْطَريُّ ، ثنا عمرُ بنُ أحمدَ المعروفُ بالطَّيَّارِ بسُرَّ مَن رأىٰ ، حدَّثَني أبي قالَ : اجتمعَ أهلُ بغدادَ إلى المُعتصِمِ ، واستأذنوا عليهِ فأذنَ لخمسةٍ منهُم ، فتقدَّمَ شيخٌ طويلُ اللِّحيةِ ، فقالَ لهُ الحاجبُ : تكلَّمْ وأَوجِزْ ، قالَ : قلْ لأميرِ المؤمنينَ : انتقلْ عنَّا ؛ فإنَّا لا نُساكِنُكَ ولا نرضىٰ بجوارِكَ .

فقالَ المُعتصِمُ : وإلَّا . . فأيشٍ ؟ فقالَ لهُ الحاجبُ : وإلَّا . . فأيشٍ ؟ فقالَ : نُقاتِلُكَ .

فقالَ لهُ : قلْ لهُ : بِمَ تقاتلونَ ؟ قالَ : بالسَّبَّاباتِ في السَّحَرِ ؛ سِهامِ اللَّيلِ .

فبكى المُعتصِمُ وقالَ : لا طاقةَ لي بسِهامِ اللَّيلِ ، وارتحلَ مِن بغدادَ ، فسارَ أحداً وعشرينَ فرسخاً ، وابتنىٰ سُرَّ مَن رأىٰ ، وكانَ بها إلىٰ أن ماتَ (١)

*

٨٨١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ عبدِ اللَّطيفِ بنِ محمَّدٍ الجَوْهَريِّ ، عن طاهرِ بنِ محمَّدِ بنِ طاهرٍ قالَ : كتبَ إليَّ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ ابنِ خلفٍ النَّيْسابوريُّ ، ثنا أبو عبدِ الرَّحمـٰنِ السُّلَميُّ إملاءً قالَ : سمعتُ عمرَ بنَ أحمدَ الحَرْبيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ الفضلِ الرَّبَعيَّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يزيدَ ، ثنا عمرُو بنُ بحرٍ البصريُّ قالَ : (استعارَ شيخٌ مِن أهلِ العلمِ كتاباً فيهِ مآثرُ غطفانَ ، فحبسَهُ مدَّةً ثمَّ ردَّهُ ، وقالَ لي : يا بنَ أخي ؛ ذهبَتِ المكارمُ إلَّا مِنَ الكُتُبِ) (٢)

*

٨٨٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : حدَّثَني أبو الرِّضا المُبارَكُ بنُ سعدِ اللهِ الواسِطيُّ جارُنا غيرَ مرَّةٍ قالَ : كانَ ابنُ الكوَّازِ (٣) وأصحابُهُ لا يُمكِّنونَ أحداً يعبرُ عليهِم ومعَهُ خمرٌ إلَّا أراقوهُ ، وكانَ ذٰلكَ في أيَّامِ السُّلطانِ مسعودٍ ، والأعاجمُ وأتباعُهُمُ العَسْكَريَّةُ وغلمانُهُم حينَئذٍ كثيرونَ ببغدادَ ، واشتدَّ إنكارُ ابنِ الكوَّازِ عليهِم وكَثُرَ حتَّىٰ رفعوا ذٰلكَ إلى السُّلطانِ .

---

(١) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/٢٥ ـ ٢٦) .

(٢) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/٢٧) ، وانظر « الحيوان » للجاحظ (١/٥٢) ، و« المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ١١) بلا نسبة ، و« ربيع الأبرار » (٤/٥٧٦) .

(٣) ابن الكوَّاز : هو عمر بن أحمد ، الزَّاهد ، كان أمَّاراً بالمعروف نَهَّاءً عن المنكر ، توفِّي ببغداد سلخ جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ) .

فاتَّفقَ في بعضِ الأيَّامِ أنَّ السُّلطانَ كانَ في مجلسٍ لهُ مُشرِفٍ علىٰ دِجلةَ ، وقد عُبِّئَ لهُ فيهِ الفواكهُ والرَّياحينُ وقراباتُ الخمرِ والمغاني ، وهوَ مشغولٌ بشأنِهِ ، فاجتازَتْ سفينةٌ في الشَّطِّ فيها ابنُ الكوَّازِ وأصحابُهُ ، قد رجعوا مِن زيارةِ قبرِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ .

فقالَ بعضُ مَن كانَ في المجلسِ للسُّلطانِ : هـٰذا ابنُ الكوَّازِ الَّذي يُؤذينا ، فأمرَ السُّلطانُ بإحضارِهِ ، فجيءَ بهِ سريعاً إلىٰ بينَ يدَيهِ ، فقالَ لهُ : يا شيخُ ؛ ما تُظهِرُ قوَّتَكَ وإنكارَكَ إلَّا علىٰ غلامٍ عاجزٍ أو خَرْبَنْده[1] ، ما معَهُ قيمتُهُ شيءٌ حقيرٌ ؟! إن كنتَ تُريدُ أن تعملَ شيئاً لهُ قدرٌ . . فأَظهِرْ قوَّتَكَ علينا ، وأَرِقْ ما في مجلسِنا ومجالسِ أكابرِ مَن يخدمُنا ، وإلَّا . . ما في فعلِكَ معنىً .

فقالَ : يا سلطانُ ؛ أنا أُنكِرُ علىٰ هـٰؤلاءِ ؛ لأنَّهُم علىٰ قدري ، وأمَّا الجبالُ . . فينسِفُها ربِّي نسفاً ، فيذرُها قاعاً صفصفاً ، لا ترىٰ فيها عوجاً ولا أَمْتاً .

فبكى السُّلطانُ وقالَ : قد أذنتُ لكَ في صبِّ ما ها هنا ، فأراقَهُ كلَّهُ في دِجلةَ ، وانفصلَ ذٰلكَ المجلسُ وتفرَّقَ مَن كانَ فيهِ ، وخرجَ ابنُ الكوَّازِ إلىٰ أصحابِهِ جَذِلاً[2]

نُكتةٌ جيِّدةٌ

[في تسميةِ بشرٍ الحافيَ]

٨٨٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو الفتحِ داوودُ بنُ معمرِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ الفاخرِ ، أنا أبي ، عن عمِّهِ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الدَّقَّاقِ ، أنا أبو محمَّدٍ ابنُ أبي مطرٍ في كتابِهِ إليَّ : أنَّ جدَّهُ عليَّ بنَ عبدِ اللهِ بنِ أبي مطرٍ أخبرَهُم ، ثنا عمرُ بنُ محمَّدٍ الفيَّاضُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ الحَرْبيُّ ، ثنا عمرُ بنُ عبدونِ الأنباريُّ ، ثنا حسنٌ المُسُوحيُّ ، سمعتُ بشراً يقولُ : أتيتُ منزلَ المُعافى بنِ عمرانَ ، فقرعتُ البابَ ، فقالَتِ ابنتُهُ : مَن هـٰذا ؟

قالَ : قلتُ : أنا بشرٌ ، قالَتْ : ومَن بشرٌ ؟ قالَ : فجاءَ علىٰ لساني أن قلتُ : الحافي .

فقالَتْ : يا بشرُ ؛ لوِ اشتريتَ نعلاً بدانقَينِ . . ذهبَ ذا الاسمُ[3]

* * *

---

(١) خربنده : مُكارٍ ؛ مَن يُؤجِّر الدَّوابَّ للمسافرين .

(٢) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/٢٩) .

(٣) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/٧٥) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/٥٤٨) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ١١٦ ـ ١١٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/١٨٣) ، وانظر « مناقب ←

٨٨٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أخبرَنيَ الأعزُّ بنُ محمَّدٍ الإسْكافُ ، أنا أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ القادرِ بنِ محمَّدِ بنِ يوسفَ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ الحسينِ الرَّبَعيُّ إذناً ، عن أبي القاسمِ عبيدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ عثمانَ الصَّيْرفيِّ ، أنا أبو سعدٍ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ الإدريسيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ عمرُ بنُ عليِّ بنِ إدريسَ ، ثنا محمَّدُ بنُ الوليدِ العقيليُّ ، ثنا نعيمُ بنُ حمَّادٍ قالَ : سمعتُ ابنَ المُبارَكِ يقولُ : (سخاءُ النَّفْسِ عمَّا في أيدي النَّاسِ أفضلُ مِن سخاءِ النَّاسِ بالبذلِ ، ومروءةُ القناعةِ بالرِّضا أفضلُ مِن مروءةِ البذلِ) .

قالَ نعيمٌ : وأنشأَ ابنُ المُبارَكِ[1] : [من البسيط]

مَا ذَاقَ طَعْمَ ٱلْغِنَىٰ مَنْ لَا قُنُوعَ لَهُ ... وَلَنْ تَرَىٰ قَانِعاً مَا عَاشَ مُفْتَقِرَا

فَٱلْعُرْفُ مَنْ يَأْتِهِ يَحْمَدْ عَوَاقِبَهُ ... مَا ضَاعَ عُرْفٌ وَإِنْ أَوْلَيْتَهُ حَجَرَا[2]

حكايةٌ جيِّدةٌ

[بينَ أبي إبراهيمَ السَّائحِ والأسدِ]

٨٨٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو شجاعٍ المُقرِئُ ، وأبو اليُمنِ الكِنْديُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ قالا : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ المُقرِئُ ، أنا جدِّي أبو منصورٍ الخَيَّاطُ ، أنا القاضي أبو يعلى ابنُ الفَرَّاءِ قالَ : نقلتُ مِن خطِّ أبي إسحاقَ بنِ شاقْلا قالَ : أخبرَني أبو حفصٍ عمرُ بنُ عليِّ بنِ جعفرٍ الرَّزَّازُ جارُنا قالَ : سمعتُ أبا جعفرٍ محمَّدَ بنَ المولىٰ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ يقولُ : كانَ في دهليزِنا دُكَّانٌ ، وكانَ إذا جاءَ إنسانٌ يُريدُ أبي أن يخلوَ معَهُ . . أجلسَهُ على الدُّكَّانِ ، وإذا لم يُرِدْ أن يخلوَ معَهُ . . أخذَ بعضادتَيِ البابِ وكلَّمَهُ .

فلمَّا كانَ ذاتَ يومٍ . . جاءَنا إنسانٌ ، فقالَ لي : قلْ لهُ : أبو إبراهيمَ السَّائحُ ، فجلسا على الدُّكَّانِ ، فقالَ لي أبي : سلِّمْ عليهِ ؛ فإنَّهُ مِن كبارِ المسلمينَ ـ أو مِن خيارِ المسلمينَ ـ ، فسلَّمتُ عليهِ .

الأبرار » لابن خميس (١/١٢١) ، و« وفيات الأعيان » (١/٢٧٥) ، و« تهذيب الكمال » (٤/١٠٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٠/٤٧٤) .

(١) الأبيات في « حلية الأولياء » (٧/٢٢٠) لمِسْعَر بن كِدَام ، وفي « تاريخ دمشق » (٧١/٢٧٩) لمهدي بن سابق .

(٢) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/٨٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٤٦٣ ـ ٤٦٤) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٣/٤٨٥) .

فقالَ أبي : حدِّثْني يا أبا إبراهيمَ ، فقالَ لهُ : خرجتُ إلى الموضعِ الفلانيِّ بقربِ الدَّيرِ الفلانيِّ ، فأصابَتْني عِلَّةٌ منعَتْني مِنَ الحركةِ ، فقلتُ في نفسي : لو كنتُ بقربِ الدَّيرِ ، لعلَّ مَن فيهِ مِنَ الرُّهبانِ يُداوونِي ، فإذا أنا بسَبُعٍ عظيمٍ يقصدُ نحوي ، حتَّىٰ جاءَني فاحتملَني علىٰ ظهرِهِ حملاً رفيقاً حتَّىٰ ألقاني عندَ الدَّيرِ !! فنظرَ الرُّهبانُ إلىٰ حالي معَ السَّبُعِ ، فأسلموا كلُّهُم ، وهم أربعُ مئةِ راهبٍ (١)

نُكْتَةٌ

[في الاستغضابِ والاسترضاءِ]

٨٨٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عمرُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ السَّيِّدِ الصَّفَّارُ بقراءتي عليهِ ، أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ السَّمَرْقَنْديُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ منهُمُ ابنُ طَبَرْزَدٍ ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليٍّ الفِيرُوزاباذيُّ ، ثنا أبو الفرجِ محمَّدُ بنُ [عبيدِ اللهِ] (٢) الخَرْجُوشيُّ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ إبراهيمَ الجُرْجانيَّ الفقيهَ يقولُ : سمعتُ أبا طالبٍ أحمدَ بنَ نصرٍ الحافظَ يقولُ : سمعتُ أبا هاشمٍ المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ الفِيريابيَّ يقولُ : سمعتُ المُزَنيَّ يقولُ : (مَنِ استُغضِبَ فلم يغضبْ . . فهوَ حمارٌ ، ومَنِ استُرضِيَ فلم يرضَ . . فهوَ شيطانٌ) (٣)

نُكْتَةٌ جَيِّدَةٌ

[في وِلايةِ الصَّديقِ]

٨٨٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ ، عن ذاكرِ بنِ كاملٍ ، عن أبي بكرٍ المَزْرَفيِّ (٤) ،

---

(١) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/٨٣) ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (٢/١٧ ـ ١٨) ، و« صفة الصفوة » (٢/٢٤٨ ـ ٢٤٩) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٦/٢٨١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/٢٢٨) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (عبد الله) ، والمثبت موافق لما في « ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار ، وانظر « تاريخ بغداد » (٣/٥٨٤) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (١٠ ، ٧٤٥) .

(٣) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/٨٦ ـ ٨٧) عن المزني ، وأخرجه عن الشافعيِّ أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٤٣) ، والبيهقيُّ في « شعب الإيمان » (٨٧٣٤) ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/٤١٣ ـ ٤١٤) .

(٤) المَزْرَفي : نسبة إلى (المَزْرَفة) ، وهي قرية كبيرة فوق بغداد علىٰ دِجلة ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . « معجم البلدان » (٥/١٢١) .

ويحيى بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الفارقيِّ قالا : ثنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ العزيزِ العُكْبَريُّ ، ثنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ يحيى بنِ داوودَ ابنُ الفحَّامِ المُقرِئُ ، حدَّثَني أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ أحمدَ المنصوريُّ ، حدَّثني عمرُ بنُ أبي موسىٰ عيسى بنِ أحمدَ بنِ عيسىٰ ، حدَّثَني عليُّ بنُ محمَّدٍ ، حدَّثني أبي ؛ محمَّدُ بنُ عليٍّ ، حدَّثَني أبي ؛ عليُّ بنُ موسى الرِّضا ، حدَّثَني أبي ؛ موسى بنُ جعفرٍ قالَ : (جاءَ رجلٌ إلىٰ جعفرِ بنِ محمَّدٍ يشكو صديقاً لهُ وليَ وِلايةً فتغيَّرَ عليهِ ، فضحكَ وقالَ : إذا كانَ لكَ صديقٌ فوليَ وِلايةً ، فوجدتَهُ على العُشرِ ممَّا كانَ لكَ عليهِ قبلَ وِلايتِهِ . . فليسَ بصديقِ سَوءٍ) [١]

حكاية نبّاشة

٨٨٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وأنبأَني عبدُ الرَّحمٰنِ ابنُ وَرِّيدةَ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ ، عن عمرَ بنِ ظفرٍ المَغازليِّ ، أنا أبو محمَّدٍ جعفرُ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ السَّرَّاجُ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ بنِ عليٍّ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، والمُؤيِّدِ الطُّوسيِّ ، وغيرِهما ، عن محمَّدِ بن عبدِ الباقي ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ قالَ : حدَّثَني أبي ، حدَّثَني أبو المُغيرةِ محمَّدُ بنُ يعقوبَ بنِ يوسفَ الأسديُّ التَّاجرُ البصريُّ ، حدَّثَني أبو موسىٰ عيسى بنُ عبيدِ اللهِ البغداديُّ قالَ : حدَّثَني صديقٌ لي قالَ : كنتُ قاصداً الرَّمْلَةَ وحدي ، وما كنتُ دخلتُها قطُّ ، فانتهيتُ إليها وقد نامَ النَّاسُ ليلاً ، فعدلتُ إلى المقبرةِ ، ودخلتُ بعضَ القبابِ الَّتي على القبورِ ، وطرحتُ دَرَقةً كانَتْ معي [٢] ، واتَّكأتُ عليها ، وعانقتُ سيفي ، واضطجعتُ أُريدُ النَّومَ لأدخلَ البلدَ نهاراً .

فاستوحشتُ مِنَ الموضعِ وأرقتُ ، فلمَّا طالَ أرقي . . أحسستُ بحركةٍ ، فأخرجتُ رأسي مِن بعضِ أبوابِ القُبَّةِ علىٰ تخفٍّ شديدٍ ، فرأيتُ دابَّةً كالذِّئبِ تمشي !! فأخفيتُ نفسي ، فإذا بهِ قد قصدَ قُبَّةً حيالي قريبةً ، فما زالَ يتلفَّتُ طويلاً ويدور حولَها ، ثمَّ دخلَها ، فارتبتُ بهِ وأنكرتُ أمرَهُ ، وتطلَّعَتْ نفسي إلىٰ عِلْمِ ما هوَ .

---

(١) انظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٣/٢٥) عن زياد .

(٢) الدَّرَقة : التُّرس تتَّخذ من جلود ، ليس فيها خشب .

فدخلَ القُبَّةَ وخرجَ غيرَ مُطيلٍ ، ثمَّ جعلَ يبصِرُ ، ثمَّ دخلَ وخرجَ بسرعةٍ ، ثمَّ دخلَ وعيني تنظرُ إليهِ ، فضربَ بيدِهِ إلىٰ قبرٍ في القُبَّةِ يبعثرُهُ .

فقلتُ : نبَّاشٌ لا أشكُّ فيهِ ، وتأمَّلتُهُ يحفرُ بيدِهِ ، فعلمتُ أنَّ فيها آلةَ حديدٍ يحفرُ بها ، فتركتُهُ إلىٰ أنِ اطمأنَّ وحفرَ شيئاً كثيراً ، ثمَّ أخذتُ سيفي ودَرَقتي ، ومشيتُ علىٰ أطرافِ أناملي حتَّىٰ دخلتُ القُبَّةَ ، فأحسَّ بي فقامَ إليَّ بقامةِ إنسانٍ !! وأومأَ إليَّ ليلطِمَني بكفِّهِ ، فضربتُ يدَهُ بالسَّيفِ ، فأَبَنْتُها وطارَتْ ، فقالَ : أوِّه !! قتلتَني لعنَكَ اللهُ ، وعدا بينَ يدَيَّ ، فعدَوْتُ وراءَهُ ، وكانَتْ ليلةً مُقمِرةً ، حتَّىٰ دخلَ البلدَ وأنا وراءَهُ ولستُ ألحقُهُ إلَّا بأنِّي بحيثُ يقعُ بصري عليهِ ، إلىٰ أنِ اجتازَ بي في طرقٍ كثيرةٍ ، وأنا في خلالِ ذٰلكَ أُعلِّمُ الطَّريقَ ؛ لئلَّا أضلَّ ، حتَّىٰ جاءَ إلىٰ بابٍ فدفعَهُ ودخلَ وأغلقَهُ وأنا أسمعُ ، فعلَّمتُ البابَ .

ورجعتُ أقفو الأثرَ والعلاماتِ الَّتي علَّمتُها في طريقي ، حتَّى انتهيتُ إلى القُبَّةِ الَّتي كانَ فيها النَّبَّاشُ ، فطلبتُ الكفَّ فوجدتُها ، فأخرجتُها إلى القمرِ ، فبعدَ جهدٍ انتزعتُ الكفَّ المقطوعةَ مِنَ الآلةِ الحديدِ ؛ فإذا هيَ كفٌّ كالكفِّ !! قد أدخلَ أصابعَهُ في الأصابعِ الحديدِ ، وإذا هيَ كفٌّ فيها حنَّاءٌ وخاتَمانِ ذهباً ، فحينئذٍ علمتُ أنَّها امرأةٌ ، فاغتممتُ ، وتأمَّلتُ الكفَّ فإذا هيَ أحسنُ كفٍّ في الدُّنيا ، فمسحتُ الدَّمَ منها ، ونمتُ في القُبَّةِ الَّتي كنتُ فيها إلىٰ أن أصبحتُ .

ودخلتُ البلدَ مِنَ الغدِ أطلبُ العلاماتِ حتَّى انتهيتُ إلى البابِ ، فسألتُ : لمَنِ الدَّارُ ؟ فقالوا : لقاضي البلدِ ، واجتمعَ عليها خَلْقٌ كثيرٌ ، وخرجَ منها شيخٌ بَهِيٌّ ، فصلَّى الغداةَ بالنَّاسِ ، وجلسَ في المحرابِ ، فازدادَ عجبي مِنَ الأمرِ .

وقلتُ لبعضِ الحاضرينَ : بمَن يُعرَفُ هٰذا القاضي ؟ قالَ : بفلانٍ ، فأطلتُ الحديثَ في معناهُ حتَّىٰ عرفتُ أنَّ له بنتاً عاتقاً وزوجاً[1] ، فلم أشكَّ أنَّ النَّبَّاشةَ ابنتُهُ .

فتقدَّمتُ إليهِ فقلتُ : بيني وبينَ القاضي ـ أعزَّهُ اللهُ ـ حديثٌ لا يصلحُ إلَّا علىٰ خلوةٍ ، فقامَ إلىٰ داخلِ المسجدِ وخلا بي ، قالَ : قلْ ، فأخرجتُ الكفَّ ، فقلتُ : أتعرفُ هٰذا ؟ فتأمَّلَها طويلاً ، وقالَ : أمَّا الكفُّ . . فلا ، وأمَّا الخواتيمُ . . فخواتيمُ بنتٍ لي عاتقٍ ، فما الخبرُ ؟

---

(١) عاتق : شابّة .

فقصصتُ عليهِ الحديثَ بأسرِهِ ، فقالَ : قُمْ معي ، فقمتُ فأدخلَني وأغلقَ البابَ ، واستدعىٰ طبقاً وطعاماً فأحضروا ، واستدعى امرأتَهُ ، فقالَ لهُ الخادمُ : تقولُ لكَ : كيفَ أخرجُ ومعَكَ رجلٌ غريبٌ ؟ فقالَ : لا بُدَّ مِن خروجِها ، فهٰذا مَن لا أحتشِمُهُ ، فتأبَّتْ عليهِ ، فحلفَ بالطَّلاقِ ؛ لتَخرُجِنَّ ، فخرجَتْ باكيةً فجلسَتْ معَنا .

فقالَ لها : أَخرِجي ابنتَكِ ، فقالَتْ : ما هٰذا ؟! قد جننتَ !! ما الَّذي حلَّ بكَ ؟! قد فضحتَني وأنا امرأةٌ كبيرةٌ ، فكيفَ تهتكُ صبيَّةً عاتقاً ؟ فحلفَ بالطَّلاقِ ؛ لتُخرِجِنَّها ، فخرجَتْ .

فقالَ : كُلي معَنا ، فرأيتُ صبيَّةً [كالدِّينارِ](١) ، ما مقلَتْ مقلتايَ أحسنَ منها !! إلَّا أنَّ لونَها قدِ اصفرَّ جدّاً ، وهيَ مريضةٌ ، فعلمتُ أنَّ ذٰلكَ لنزفِ الدَّمِ مِن يدِها ، فأقبلَتْ تأكلُ معَنا بيمينِها ، وشمالُها مخبوءةٌ ، فقالَ لها : أَخرِجي يدَكِ اليُسرىٰ ، فقالَتْ : قد خرجَ بها خُرَاجٌ عظيمٌ ، وهيَ مشدودةٌ ، فحلفَ ؛ لتُخرِجِنَّها .

فقالَتِ امرأتُهُ : يا رجلُ ؛ استرْ علىٰ نفسِكَ وبنتِكَ ، فواللهِ ـ وحلفَتْ بأيمانٍ كثيرةٍ ـ ؛ ما اطَّلعتُ لهٰذهِ الصَّبيَّةِ علىٰ سوءٍ قطُّ إلَّا البارحةَ ؛ فإنَّها جاءَتْني بعدَ نصفِ اللَّيلِ ، فأيقظَتْني وقالَتْ : يا أُمِّيَ الحقيني ، وإلَّا . . تلفتُ ، فقلتُ : ما لَكِ ؟

فقالَتْ : إنَّهُ قد قُطِعَتْ يدي وهوَ ذا أنزفُ الدَّمَ ، والسَّاعةَ أموتُ فعالجيني ، وأخرجَتْ يدَها مقطوعةً ، فلطمتُ .

فقالَتْ : لا تفضحيني ونفسَكِ بالصِّياحِ عندَ أبي والجيرانِ وعالجيني ، فقلتُ : لا أدري ما أُعالِجُكِ ، فقالَتِ : اغلي زيتاً ، واكوي يدي ، ففعلتُ وشددتُها ، وقلتُ الآنَ : حدِّثيني ما دهاكِ ، فامتنعَتْ .

فقلتُ : واللهِ ؛ لئن لم تُحدِّثيني لأكشفَنَّ أمرَكِ لأبيكِ ، فقالَتْ : إنَّهُ وقعَ لي منذ سنينَ أن أنبشَ الموتىٰ ، فتقدَّمتُ إلىٰ هٰذهِ الجاريةِ ، فاشترَتْ لي جلدَ ماعزٍ غيرَ محلوقِ الشَّعرِ ، واستعملَتْ لي كفّاً مِن حديدٍ ، فكنتُ إذا نمتُم . . أفتحُ البابَ ، وآمرُها أن تنامَ في الدِّهليزِ ، ولا تغلقَ البابَ ، وأَلْبَسُ الجلدَ والكفَّ الحديدَ ، وأمشي علىٰ أربعٍ ، فلا يشكُّ الَّذي لعلَّهُ يراني مِن سطحٍ أو غيرِهِ أنَّني كلبٌ ، ثمَّ أخرجُ إلى المقبرةِ وقد عرفتُ مِنَ النَّهارِ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (كالدنيا) ، والمثبت من « الفرج بعد الشدة » ، وانظر ما تقدم ضمن الخبر (٤٢٠) .

خبرَ مَن يموتُ مِنَ الجِلَّةِ ، وأينَ يُدفَنُ ، وأقصدُ قبرَهُ أنبشُهُ ، وآخذُ الأكفانَ ، فأُدخِلُها معي في الجلدِ ، فأمشي مشيتي ، وأعودُ والبابُ غيرُ مُغلَقٍ ، فأدخلُ وأُغلِقُهُ وأنزعُ تلكَ الآلةَ ، فأدفعُها إلى الخادمِ معَ ما قد أخذتُ ، فتُخبِّئُهُ في بيتٍ لا تعلمونَ بهِ ، وقدِ اجتمعَ عندي ثلاثُ مئةِ كفنٍ أو ما يقاربُها !! لا أدري ما أصنعُ بها ، إلَّا أنِّي كنتُ أجدُ لذٰلكَ الخروجِ والفعلِ لذَّةً لا سببَ لها أكثرُ مِن أن أصابَتْني هٰذهِ المحنةُ .

فلمَّا كانَ اللَّيلةَ . . سُلِّطَ عليَّ رجلٌ أحسَّ بي ، كأنَّهُ كانَ حارساً لذٰلكَ القبرِ ، فقمتُ لأضربَ وجهَهُ بالكفِّ الحديدِ ، فداخلَني بالسَّيفِ ليضربَني ، فتوقَّيتُ الضَّربةَ بشمالي ، فأبانَ كفِّي .

فقلتُ لها : أَظهِري أنَّهُ قد خرجَ علىٰ كفِّكِ خُرَاجٌ وتعلَّلي ؛ فإنَّ الَّذي بكِ منَ الصِّفاتِ يُصدِّقُ قولَكِ ، فإذا مضَتْ أيَّامٌ . . قلْنا لأبيكِ : إنَّا إن لم نقطعْ يدَكِ . . خبثَ جميعُ جسدِكِ وتلفَ ، فيأذنُ لنا في قطعِها ، فنُظهِرُ أنَّا قد قطعْناها ، ونُشيعُ الخبرَ حينئذٍ ، ويتيسَّرُ أمرُكِ .

فعملْنا علىٰ هٰذا بعدَ أن استتبتُها ، فتابَتْ وحلفَتْ باللهِ لا عادَتْ ، وكُتِبَ عليَّ أن أبيعَ الخادمَ ، وأُراعِيَ مبيتَ الصَّبيَّةِ ، وأُبيِّتَها إلىٰ جانبي ، ففضحتَنا ونفسَكَ .

قالَ : فقالَ لها القاضي : ما تقولينَ ؟ قالَتْ : صدقَتْ أُمِّي ، وواللهِ ؛ لا عدتُ أبداً ، فقالَ لها القاضي : هٰذا صاحبُكِ الَّذي قطعَ يدَكِ ، فكادَتْ تتلفُ جزعاً .

ثمَّ قالَ ليَ القاضي : مِن أينَ أنتَ يا فتىٰ ؟ قلتُ : مِنَ العراقِ ، قالَ ففيمَ وردتَ ؟ قلتُ : أطلبُ الرِّزقَ .

قالَ : قد جاءَكَ حلالاً هيِّناً ، نحنُ قومٌ مياسيرُ علينا نعمةٌ وسترٌ ، فلا تهتكْنا ، أُزوِّجُكَ بنتي هٰذهِ ، وأغنيكَ بمالي عنِ النَّاسِ ، وتكونُ معَنا في دارِنا ، فقلتُ : نعم .

فرفعَ الطَّعامَ ، ثمَّ خرجَ إلى المسجدِ والنَّاسُ مجتمعونَ ينتظرونَهُ ، فخطبَ وزوَّجَني ، وقامَ فرجعَ وأدخلَني الدَّارَ .

ووقعَتِ الصَّبيَّةُ في نفسي حتَّىٰ كدتُ أموتُ عشقاً لها ، وافترعتُها وأقامَتْ معي شهوراً ، وهيَ نافرةٌ منِّي وأنا أُونِسُها ، وأبكي حسرةً علىٰ يدِها ، وأعتذرُ إليها وهيَ تُظهِرُ قَبولَ

عذري ، وأنَّ الَّذي بها غَمٌّ علىٰ يدِها ، إلىٰ أن نمتُ ليلةً ، واستيقظتُ مِن نومي علىٰ رسمي ، فأحسستُ بثقلٍ علىٰ صدري شديدٍ ، فانتبهتُ جَزِعاً ؛ فإذا بها باركةٌ علىٰ صدري ، ورُكبتاها علىٰ يدَيَّ مُستوثقةً منهُما ، وفي يدِها موسىً ، وقد أهوَتْ لتذبحَني ، فاضطربتُ ورمتُ الخلاصَ فتعذَّرَ ، وخشيتُ أن تُبادِرَني فسكنتُ ، وقلتُ لها : كلِّميني واعملي ما شئتِ .

قالَتْ : قلْ ، قلتُ : ما يدعوكِ إلىٰ هٰذا ؟ قالَتْ : أظننتَ أنَّكَ قطعتَ يدي وهتكتَني ، وتُزوِّجُني مثلَكَ ، وتنجو سالماً ؟! واللهِ ؛ لا كانَ هٰذا .

قلتُ : أمَّا الذَّبحُ . . فقد فاتَكِ ، ولٰكنَّكِ تتمكَّنينَ مِن جراحاتٍ تُوقِعينَها بي ، ولا تأمنينَ أن أُفلِتَ فأذبحَكِ فأهربَ ، أو أكشفَ هٰذا عليكِ ثمَّ أُسلِّمَكِ إلى السُّلطانِ ، فتنكشفَ جنايتُكِ الأُولىٰ والآخرةُ ، فيتبرَّأَ منكِ أبوكِ وأهلُكِ ، وتُقتَلينَ .

فقالَتِ : افعلْ ما شئتَ ، فلا بُدَّ مِن ذبحِكَ ، وقدِ استوحشَ الآنَ كلُّ واحدٍ منَّا مِن صاحبِهِ .

فنظرتُ فإذا الخلاصُ منها يبعدُ عليَّ ، ولا بُدَّ أن تجرحَ الموضعَ ، فيكونَ فيهِ تلفي ، فقلتُ : أوَغيرَ هٰذا ؟ فقالَتْ : قلْ ، قلتُ : أُطلِّقُكِ السَّاعةَ وتُفرجينَ عنِّي ، وأخرجُ غداً عنِ البلدِ فلا تريني ولا أراكِ أبداً ، ولا ينكشفُ لكِ حديثٌ في بلدِكِ ولا فضيحةٌ ، وتتزوَّجينَ بمَن شئتِ ، فقد شاعَ عندَ النَّاسِ أنَّ يدَكِ قُطِعَتْ لخُرَاجٍ خبَّثَها ، وترتجينَ السَّترَ .

قالَتْ : لا ، إلَّا أن تحلفَ لي أنَّكَ لا تُقيمُ في البلدِ ، ولا تفضحُني أبداً ، وتُعجِّلُ ليَ الطَّلاقَ ، فطلَّقتُها وحلفتُ علىٰ أن أخرجَ ولا أفضحَها بالأيمانِ المُغلَّظةِ .

فقامَتْ عن صدري تعدو خوفاً مِن أن أقبضَ عليها ، حتَّىٰ رمَتِ الموسىٰ حيثُ لا أدري ، وعادَتْ وأخذَتْ تُظهِرُ أنَّ الَّذي فعلَتْهُ مُزاحٌ وتُلاعِبُني ، فقلتُ : إليكِ عنِّي ؛ فقد حرمتِ عليَّ ، ولا يحلُّ لي ملابستُكِ ، وفي غدٍ أخرجُ عنكِ .

فقالَتِ : الآنَ علمتُ صدقَكَ ، وواللهِ ؛ لئن لم تفعلْ لا نجوتَ مِن يدَيَّ ، وقامَتْ فجاءَتْني بصُرَّةٍ ، وقالَتْ : هٰذهِ مئةُ دينارٍ ، خُذْها نفقةً ، واكتبْ رُقعةً بطلاقي ، واخرجْ غداً ، فأخذتُ الدَّنانيرَ في سُحْرةِ ذٰلكَ اليومِ بعدَ أن كتبتُ إلىٰ أبيها أنِّي قد طلَّقتُها ، وأنِّي خرجتُ حياءً منهُ ، ولم ألتقِ معَهُم إلى الآنَ .

أوردَ هـٰذهِ الحكايةَ القاضي أبو عليٍّ المُحسِّنُ بنُ عليٍّ التَّنُوخيُّ في كتابِ « الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ »[1]

نُكْتَةٌ

[في المفاضلةِ في الزُّهدِ]

٨٨٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ ، عن أحمدَ بنِ أبي منصورٍ الكَرْخيِّ ، أنا أبو الكرمِ بنُ فاخرٍ إذناً ، ثنا أبو الحسنِ عيسى بنُ عمرَ بنِ عيسى النَّحْويُّ المُقرئُ ، حدَّثَنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ ابنِ بِشْرانَ ، أنا أبو عمرٍو ابنُ السَّمَّاكِ ، ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الأنماطيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ أبي الحواري قالَ : سمعتُ أبا سليمانَ وأبا صفوانَ يتناظرانِ ؛ فقالَ أبو سليمانَ لأبي صفوانَ : كانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ أزهدَ مِن أويسٍ القَرَنيِّ .

قالَ أبو صفوانَ : ولِمَ ؟

قالَ لهُ أبو سليمانَ : لأنَّ عمرَ مَلَكَ الدُّنيا فزهدَ فيها ، وأويسٌ لم يملكْها .

قالَ أبو صفوانَ : وأويسٌ لو ملكَها . . فعلَ مثلَ ما فعلَ عمرُ .

قالَ أبو سليمانَ : لا تجعلْ مَن جُرِّبَ كمَن لم يُجرَّبْ[2]

حِكَايَةٌ

[إنِّي أرجو فيها ما ترجو]

٨٩٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ ابنُ الأخضرِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ ، وغيرِهِ ، عن عبدِ الوهَّابِ الأنماطيِّ قالَ : أنا المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدِ بنِ جعفرٍ ، أنا أبو عمرَ ابنُ حَيُّويهِ ، أنا أبو مزاحمٍ موسى بنُ عبيدِ اللهِ ابنِ خاقانَ قرابتُنا قالَ : سمعتُ أبا المُوجِّهِ محمَّدَ بنَ عمرٍو ابنَ المُوجِّهِ الفَزاريَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ يحيىٰ[3] يقولُ : صلَّيتُ الجمعةَ إلىٰ جنبِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، فلمَّا سلَّمَ الإمامُ . . قامَ سائلٌ يسألُ النَّاسَ ، فأخرجَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ قطعةً ، فدفعَها إلى السَّائلِ .

---

(١) الفرج بعد الشدة (٣/٣٧٨ ـ ٣٨٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/٢٧٢) .

(٣) في مصادر التخريج : (علي بن محمَّد بن بدر) .

فقامَ إليهِ رجلٌ ، فقالَ : ناولْني قطعتَكَ ولكَ بها درهمٌ ، فما زالَ يزيدُهُ حتَّىٰ بلغَ خمسينَ درهماً !!

فقالَ لهُ السَّائلُ : لا أُعطيكَ ؛ لأنِّي أرجو فيها ما ترجو [1]

نُكتةٌ

[في قتيلِ القطائفِ]

٨٩١ ـ وأُنبِئتُ عن [أبي القاسمِ] [2] الحَذَّاءِ قالَ : كتبَ إليَّ غيثُ بنُ عليٍّ الصُّوريُّ قالَ : أنا أبو الفضلِ عبدُ الملكِ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ أحمدَ ابنُ الأَسْوانيِّ بتِنِّيسَ ، وأبو سعيدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ ابنِ مسلمٍ الأَبْهَريُّ بصُورَ قالا : أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عيسى السَّعْديُّ القاضي ، ثنا أبو القاسمِ غريرُ بنُ عليٍّ البغداديُّ بطَرابُلُسَ قالَ : قالَ لي جحظةُ : سلَّمتُ علىٰ بعضِ الرُّؤساءِ وكانَ مُبخَّلاً ، فلمَّا أردتُ الانصرافَ . . قالَ لي : يا أبا الحسنِ ؛ أيشٍ تقولُ في قطائفَ بائتةٍ ؟ ولم تكنْ لهُ بذٰلكَ عادةٌ ، فقلتُ : ما آبىٰ ذٰلكَ .

فأحضرَني جاماً فيهِ قطائفُ قد خمَّتْ ، فأمعنتُ فيها ، وصادفَتْ منِّي مَسغَبةً ، وهوَ ينظرُ إليَّ شَزْراً ، فقالَ لي : يا أبا الحسنِ ؛ إنَّ القطائفَ إذا كانَتْ بجَوْزٍ . . أتخمَتْكَ ، وإذا كانَتْ بلوزٍ . . أبشمَتْكَ [3] ، قلتُ : هٰذا إذا كانَتْ قطائفَ ؛ فأمَّا إذا كانَتْ مُصوصاً . . فلا [4]

فعملتُ في الوقتِ أبياتاً : [من الطويل]

دَعَانِي صَدِيقٌ لِي لِأَكْلِ قَطَائِفٍ ... فَأَمْعَنْتُ فِيهَا آمِناً غَيْرَ خَائِفِ

فَقَالَ وَقَدْ أَوْجَعْتُ بِٱلْأَكْلِ قَلْبَهُ : ... تَرَفَّقْ قَلِيلاً فَهْيَ إِحْدَى ٱلْمَتَالِفِ

فَقُلْتُ لَهُ : مَا إِنْ سَمِعْتُ بِمَيِّتٍ ... يُنَاحُ عَلَيْهِ يَا قَتِيلَ ٱلْقَطَائِفِ [5]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٢٩٩) ، وانظر « الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٢/٤٢٦ ـ ٤٢٧) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (أبي) ، والمثبت موافق لما في « ذيل تاريخ مدينة السلام » لابن الدبيثي (٣/٢٦٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٢/٦٠) ، وقد تقدم ضمن الخبر (٦٨٧) .

(٣) البَشَم : التُّخَمة والسَّآمة .

(٤) المُصوص : لحمٌ يُنقع في الخَلِّ ويُطبخ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/٥٧) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٦/٢٨٩) .

نُكتةٌ عجيبةٌ

[إنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطقِ]

٨٩٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ في كتابِ الحسنِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ زيدٍ البصريِّ بخطِّهِ قالَ : سمعتُ غنيمةَ بنَ أحمدَ بنِ عليٍّ القصَّارَ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عليٍّ المُقرِئَ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ حفصٍ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الإِسْكافَ يقولُ : سمعتُ عمِّي يقولُ : سمعتُ ابنَ الدَّوْرَقيِّ يقولُ : اجتمعَ الكِسائيُّ واليزيديُّ عندَ الرَّشيدِ ، فحضرَتْ صلاةٌ يُجهَرُ فيها بالقرآنِ ، فتقدَّمَ الكِسائيُّ ، فأُرْتِجَ عليهِ في (قلْ : يا أيُّها الكافرونَ) .

فقالَ اليزيديُّ : سبحانَ اللهِ !! هٰذا قارئُ الكُوفةِ قد أُرْتِجَ عليهِ في (قلْ : يا أيُّها الكافرونَ) .

ثمَّ حضرَتْ صلاةٌ أُخرىٰ يُجهَرُ فيها بالقرآنِ ، فتقدَّمَ اليزيديُّ ، فأُرْتِجَ عليهِ في (الفاتحةِ) !!

فلمَّا سلَّمَ . . قالَ لهُ الكِسائيُّ : [من الكامل]

اِحْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فَتُبْتَلَىٰ ... إِنَّ ٱلْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِٱلْمَنْطِقِ (١)

ورويتُ هٰذهِ الحكايةَ عنِ الخطيبِ في « تاريخِهِ » بإسنادٍ لم يحضرْني (٢)

حكايةٌ عجيبةٌ

[افتحْ قلبَكَ ، وأَبصِرْ مَن يجيئُكَ]

٨٩٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ العزيزِ بنُ دلفَ المُقرِئُ ، أنا المُكرَّمُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ المُكرَّمِ ، أنا عليُّ بنُ عليٍّ الأمينُ ، أنا الشَّيخُ الزَّاهدُ أبو القاسمِ المُبارَكُ بنُ أحمدَ السَّبْتيُّ ، ثنا أبو عليٍّ بنُ غالبٍ المعروفُ بابنِ المُبارَكِ ، ثنا أبو بكرٍ ابنُ مالةَ ، ثنا عثمانُ بنُ عمرَ الدَّرَّاجُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ الصَّيْدَلانيُّ الفقيهُ ، ثنا نصرُ بنُ عليٍّ قالَ : أخذتُ بيدِ والدي

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٥١/١٣) ، والذهبي في « معرفة القراء الكبار » (٣٠١/١) ، وانظر « نزهة الألباء » لأبي البركات ابن الأنباري (ص ٧٠) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٤٦٦) ، والبيت بلا نسبة في مصادر التخريج .

(٢) في « تاريخ بغداد » (٤٠٦/١١) : (حدَّثَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ المُقرئُ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ عمرَ بنَ محمَّدٍ الإِسْكافيَّ يقولُ : سمعتُ عمِّي يقولُ : سمعتُ ابنَ الدَّوْرَقيِّ يقولُ : اجتمعَ الكِسائيُّ واليزيديُّ . . . الحكايةَ) .

ـ وكانَ قد كُفَّ ـ نُريدُ سريجَ بنَ يونسَ ، فأتيْناهُ فلَحِقْنا عندَهُ أحمدَ ابنَ حنبلٍ ويحيى بنَ معينٍ وعلَّانَ الحَذَّاءَ ، فقالَ لهُم : فيمَ جئتُم ؟ قالوا : جئْناكَ لأنَّهُ بلغَنا عنكَ أنَّكَ رأيتَ ربَّ العزَّةِ في المَنامِ ؛ فحدِّثْنا كيفَ رأيتَهُ ؟

فقالَ : أَعفوني ، قالوا : نسألُكَ بالَّذي أراكَ ما رأيتَ ؛ حدِّثْنا كيفَ رأيتَهُ ؟

قالَ : مكثتُ أنا وزوجتي وصبيَّاتي أربعةَ أيَّامٍ ليسَ عندَنا شيءٌ نأكلُ ، فاستأذنَني أهلي أن تأتيَ أباها ، فأذنتُ لها ، ثمَّ مكثتُ أنا تمامَ ستَّةِ أيَّامٍ لم آكلْ شيئاً ، فلمَّا كانَ في اليومِ السَّابعِ . . لقطتُ مِن سِدْرةٍ كانَتْ في دارِنا سبعَ نَبِقاتٍ ، وشددتُها في طرفِ إزاري لأفطرَ عليها ، ثمَّ نمتُ في رواقٍ لنا ، فإذا أنا برجلَينِ أتياني ، لم أرَ أحسنَ وجهاً منهُما .

قالا ليَ : (السَّلامُ عليكَ يا [سريجُ] [1] ؛ افتحْ قلبَكَ واعقلْ ، وأَبصِرْ مَن يجيئُكَ) ، فقلتُ : مَن أنتُما ؟ فقالَ أحدُهُما : (أنا أبو بكرٍ) ، وقالَ الآخرُ : (أنا عمرُ) .

فدخلا البيتَ ، وإذا أنا برجلٍ لم أرَ أحسنَ وجهاً منهُ ، فقالَ ليَ : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ ـ يَا [سُرَيْجُ] [2] ـ وَرَحْمَةُ ٱللهِ ؛ ٱفْتَحْ قَلْبَكَ وَٱعْقِلْ ، وَأَبْصِرْ مَنْ يَدْخُلُ بَيْتَكَ » ، فقلتُ : مَن أنتَ ؟ فقالَ لي : « أَنَا نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ » .

ثمَّ دخلَ البيتَ ، وإذا أنا برجلَينِ أضاءَ البيتُ مِن نورِهِما ، بيدِ أحدِهِما محرابٌ مِن نورٍ ، فوضعَهُ بينَ يدَيَّ ، ثمَّ سلَّما عليَّ ، ثمَّ قالا : يا سريجُ ؛ افتحْ قلبَكَ واعقلْ ، وأَبصِرْ مَن يدخلُ عليكَ ، فقلتُ : مَن أنتُما ؟ فقالَ لي أحدُهُما : أنا جبريلُ ، وهٰذا ميكائيلُ ، وإذا أنا بالملائكةِ كُبْكُبةً كُبْكُبةً تُسلِّمُ عليَّ [3] ، فإذا بربِّ العزَّةِ ، فقالَ : (يا سريجُ) ، فقلتُ : لبَّيكَ ، فقالَ : (سَلْ حاجتَكَ) ، فقلتُ : يا خُذاي ؛ سَر بِسَر [4] ، ثمَّ غابَ عنِّي .

فأتاني جبريلُ بقَعْبٍ فيهِ عسلٌ أضوأُ مِنَ الشَّمسِ ، فقالَ ليَ : العقْ ، فلعقتُ سبعَ لعقاتٍ أغنَتْني عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ ، فقالَ : زِدْ ، فقلتُ : حسبي ، فكانَ مِن وقتِ رأى المَنامَ إلىٰ وقتِ ماتَ سبعةَ عشرَ يوماً [5]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (شريح) ، والمثبت من « المشيخة البغدادية » .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (شريح) ، والمثبت من « المشيخة البغدادية » .

(٣) الكُبْكُبة : الجماعة المُتضامَّة بعضها مع بعض .

(٤) بمعنىٰ : يا أللهُ ؛ رأساً برأسٍ ، فارسيَّة .

(٥) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/١١٦) مخطوط ، وطرفاً منه الخطيبُ البغداديُّ في « تاريخ

نُكْتَةٌ

[في نصيحةِ أميرِ المؤمنينَ المنصورِ لابنِهِ]

٨٩٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو الفرجِ عبدُ المُنعِمِ بنُ عبدِ الوهَّابِ قالَ : قُرِئَ علىٰ أبي عليٍّ محمَّدِ بنِ سعيدِ بنِ إبراهيمَ ابنِ نبهانَ الكاتبِ وأنا أسمعُ : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ ابنِ شاذانَ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ ابنِ مِقْسَمٍ ، ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ يحيىٰ ثعلبٌ ، ثنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، حدَّثَني مُبارَكٌ الطَّبَريُّ قالَ : سمعتُ أبا عبيدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أميرَ المؤمنينَ المنصورَ يقولُ لأميرِ المؤمنينَ المهديِّ : (يا أبا عبدِ اللهِ ؛ لا تُبرِمَنَّ أمراً حتَّىٰ تُفكِّرَ فيهِ ؛ فإنَّ فكرةَ العاقلِ مرآتُهُ ، تُريهِ قبيحَهُ وحسنَهُ)(١)

نُكْتَةٌ

[في حكمةِ أميرِ المؤمنينَ المنصورِ]

٨٩٥ ـ وبالإسنادِ إلىٰ أبي عبيدِ اللهِ قالَ : سمعتُ المنصورَ يقولُ للمهديِّ : (يا أبا عبدِ اللهِ ؛ الخليفةُ لا يُصلِحُهُ إلَّا التَّقوىٰ ، والسُّلطانُ لا يُصلِحُهُ إلَّا الطَّاعةُ ، والرَّعيَّةُ لا يُصلِحُها إلَّا العدلُ ، وأَوْلى النَّاسِ بالعفوِ أَقْدَرُهُم على العقوبةِ ، وأنقصُ النَّاسِ عقلاً مَن ظلمَ مَن هوَ دونَهُ)(٢)

حِكَايَةٌ غَرِيبَةٌ

[واحدةٌ بواحدةٍ ، والبادي أظلمُ]

٨٩٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الحسنِ ابنِ المَقْدِسيِّ بمصرَ ، عن أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمَّدٍ السِّلَفيِّ ، ونقلتُهُ مِن خطِّهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ السِّلَفيِّ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ محمودَ بنَ منصورِ بنِ

بغداد » (١٠/٣٠٤ ـ ٣٠٥) ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٠/٢٢٣ ـ ٢٢٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/١٤٦) ، و« الوافي بالوفيات » (١٥/١٤٢) .

(١) أخرجه ثعلب في « مجالسه » (١/١٨٧) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٢٥١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧١٠٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٣١٥) .

(٢) أخرجه ثعلب في « مجالسه » (١/١٨٧) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٢٥٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧١٠٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٣١٥) .

أبي الفضلِ النَّيْسابوريِّ ببغدادَ قالَ : سمعتُ الحسنَ بنَ كلبانَ الدِّينَوَريَّ بهَمَذانَ يقولُ : سمعتُ الشَّيخَ عليَّ بنَ عبدِ اللهِ الحلَّاجَ بالدِّينَوَرِ يقولُ : (قدمَ ولدانِ لأبي حفصٍ الحَدَّادِ النَّيْسابوريّ بغدادَ في وقتِ الجُنَيدِ ، فحضرا مسجدَ الشُّونِيزيَّةِ والجُنَيدُ والفقراءُ حاضرونَ ، فأخذَ شابَّانِ في القولِ ، فغلبَ علىٰ ولدَيْ أبي حفصٍ السَّماعُ ، فأطرقا ساعةً ولم يتكلَّما وماتا .

فبلغَ ذٰلكَ أباهُما أبا حفصٍ ، فجاءَ في المُقبلةِ زائراً تربتَهُما ، فحضرَ مسجدَ الشُّونيزيَّةِ والجُنَيدُ والفقراءُ حاضرونَ ، فاقترحَ إحضارَ الشَّابَّينِ ، فأُحضِرا وأخذا في القولِ ، فأطرقَ أبو حفصٍ ساعةً ، وصعَّدَ بصرَهُ فيهِما ، فوقعا ميِّتَينِ !!

فقالَ أبو حفصٍ : واحدةٌ بواحدةٍ ، والبادي أظلمُ)[(١)]

نُكتةٌ جَيِّدةٌ

[بأيشٍ يُعلَمُ ابنُ الدُّنيا مِنِ ابنِ الآخرةِ]

٨٩٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو الفتوحِ العِجْليُّ : أنَّ أبا طاهرٍ الحَسْناباذيَّ أخبرَهُ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ [الفضلِ][(٢)] الباطِرْقانيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ زكريَّا أبو العبَّاسِ النَّسَويُّ الصُّوفيُّ بمكَّةَ ، أنا محمَّدُ بنُ يوسفَ الجُرْجانيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ فراسٍ قالَ : سألتُ مطهرَ بنَ الوليدِ قلتُ : بأيِّ شيءٍ يعرفُ الإنسانُ أنَّهُ مِن أبناءِ الدُّنيا أو مِن أبناءِ الآخرةِ ؟

قالَ : قالَ قومٌ : إذا دخلَ في الصَّلاةِ . . ينظرُ وساوسَهُ في صلاتِهِ ؛ بأمرِ دنياهُ أو بأمرِ آخرتِهِ .

وقالَ قومٌ : ينظرُ أوَّلَ ما ينتبهُ مِن نومِهِ ، فأوَّلُ هَمٍّ يُلاقيهِ . . فهوَ مِن أهلِهِ ؛ فإن كانَ لاقاهُ هَمُّ الدُّنيا . . فهوَ مِن أبناءِ الدُّنيا ، وإن لاقاهُ هَمُّ الآخرةِ . . فهوَ مِن أبناءِ الآخرةِ .

قالَ مطهرٌ : وهوَ أجودُ القولَينِ .

❊

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠/١٤٥) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (المفضل) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٣٠/٤٧٩) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٦٣٨ ، ٨٠٢ ، ٨٢٢) .

٨٩٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ إسماعيلَ الواعظُ الأصبهانيُّ ، ثنا أبو مسعودٍ عبدُ الجليلِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الحافظُ إملاءً ، أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ التُّورانبشتيُّ الفقيهُ الحنفيُّ بتورانبشتَ في صفرٍ سنةَ ثمانَ عشرةَ وخمسِ مئةٍ قالَ : سمعتُ الإمامَ أبا محمَّدٍ المُعلَّى بنَ عبدِ العزيزِ الفَرْغانيَّ المَرْغِينانيَّ ببغدادَ[١] ، ثنا الإمامُ محمَّدُ بنُ أبي سهلٍ السَّرْخَسيُّ قالَ : سمعتُ الإمامَ الحَلْوانيَّ يحكي عن بعضِ مشايخِهِ قالَ : أقبلَ قاضٍ مِنَ القضاةِ يُريدُ مجلسَ الحكمِ ، فإذا صبيانٌ في الطَّريقِ يلعبونَ في التُّرابِ ، وإذا صبيٌّ منهُم يهتفُ بهٰذهِ الكلماتِ[٢] : [من مجزوء الرجز]

حَسْبِي بِعِلْمِي إِنْ نَفَعْ ... مَا ٱلذُّلُّ إِلَّا فِي ٱلطَّمَعْ

مَنِ ٱتَّقَى ٱللهَ رَجَعْ ... عَنْ سُوءِ مَا كَانَ صَنَعْ

مَا طَارَ طَيْرٌ فَٱرْتَفَعْ ... إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعْ

مَا ضَاقَ أَمْرٌ فَٱمْتَنَعْ ... إِلَّا كَمَا ضَاقَ ٱتَّسَعْ

قالَ : فوقفَ القاضي مليّاً ، فتفكَّرَ فيما سمعَهُ ، ثمَّ سألَهُ أن يُكرِّرَهُ ، ونزلَ عن دابَّتِهِ ، ولحقَ بالجبلِ يتعبَّدُ .

نُكتةٌ جيِّدةٌ

[في التَّعزيةِ والتَّهنئةِ]

٨٩٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو القاسمِ عبدُ السَّلامِ بنُ [شعيبِ بنِ طاهرٍ][٣] الهَمَذانيُّ ، أنا أبو الفتوحِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ الطَّائيُّ الواعظُ ، أنا أبو القاسمِ نصرُ بنُ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ رُزَيكٍ ، أنا والدي ، أنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنِ رُوزْبَةَ الفارسيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ مكِّيُّ بنُ بُنْدارِ بنِ مكِّيِّ بنِ عاصمٍ الزَّنْجانيُّ ببغدادَ ، ثنا سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ يونسَ السَّرَّاجُ الرَّقِّيُّ قالَ : سمعتُ أبا محمَّدٍ الحسنَ بنَ

---

(١) المَرْغِيناني : نسبة إلىٰ (مَرْغِينان) ، وهي بلدة من بلاد فَرْغانة . « الأنساب » (٥/٢٥٩) .

(٢) قيل : هي للشافعي ، وقيل : لابن المبارك ، وقيل : لإسماعيل القراطيسي ، انظر « مناقب الشافعي » للبيهقي (٢/٦٦) ، و« جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (١٠٨٣) ، و« ربيع الأبرار » (٣/٤٣٥) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ) : (طاهر بن شعيب) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٤٣/٢٩٧) ، و« التقييد » لابن نقطة (٢/٦٤٥) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٧٨٥) .

عليّ النُّوبَخْتيَّ قالَ : قالَ لي أبي : سمعتُ يحيى بنَ خالدٍ قالَ : (التَّعزيةُ بعدَ ثلاثٍ تجديدٌ للمصيبةِ ، والتَّهنئةُ بعدَ ثلاثٍ استخفافٌ بالمودَّةِ) [١]

٭ ٭

٩٠٠ ـ وبالإسنادِ قالَ : ثنا مكّيُّ بنُ بُنْدارِ بنِ مكّيّ ، ثنا عليُّ بنُ الحسنِ بنِ عبدِ الوارثِ ، ثنا يحيى ابنُ خشيشٍ أبو زكريَّا ، ثنا القاسمُ بنُ جريرٍ ، حدَّثَني إسحاقُ بنُ دِلُّويهِ قالَ : لمَّا ماتَ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ الزَّيَّاتُ في الحبسِ . . خلعوا ثيابَهُ ، فوجدوا في جيبِهِ رقعةً فيها مكتوبٌ [٢] : [من البسيط]

هُوَ ٱلسَّبِيلُ فَمِنْ يَوْمٍ إِلَىٰ يَوْمِ ... كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ ٱلْعَيْنُ فِي ٱلنَّوْمِ

إِنَّ ٱلْمَنَايَا وَإِنْ أَصْبَحْتَ ذَا فَرَحٍ ... تَحُومُ حَوْلَكَ حَوْماً أَيَّمَا حَوْمِ

لَا تَعْجَلَنَّ رُوَيْداً إِنَّهَا دُوَلٌ ... دُنْيَا تَنَقَّلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَىٰ قَوْمِ [٣]

حكاية غريبة

[في مغبَّةِ الرِّياءِ]

٩٠١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ عبدُ العزيزِ بنُ بُنْدارٍ الشِّيرازيُّ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ جَهْضَمٍ بمكَّةَ ، ثنا أبو القاسمِ منصورُ بنُ أحمدَ بنِ الحَرْبيّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ الحَرْبيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ [حمدانَ] [٤] بنِ بغدادَ الصَّيْدَلانيُّ سنةَ تسعَ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ ، حدَّثَني تميمُ بنُ بُهلولٍ ، ومحمَّدُ بنُ زيدٍ الخُراسانيُّ قالا : ثنا سويدُ بنُ سعيدٍ الحَدَثانيُّ قالَ : كنَّا عندَ سفيانَ بنِ عُيَينةَ ذاتَ يومٍ ، فقالَ : كانَ عندَنا ها هنا رجلٌ خُراسانيٌّ ، فاتَّجرَ وأثرىٰ وكَثُرَ مالُهُ ، وكانَ قلَّما يفارقُنا .

فأتىٰ ذاتَ يومٍ فقالَ : يا أبا محمَّدٍ ؛ إنِّي أُريدُ أن أخرجَ إلىٰ خُراسانَ ، وأنقلَ عيالي إلىٰ ها هنا ، وأنا أُحِبُّ منكَ أن تقبلَ مالي وجميعَ ما معي وديعةً عندَكَ إلىٰ وقتِ رجوعي .

قالَ سفيانُ : فقلتُ لهُ : أنا ما أَدَعُ لأحدٍ عندي شيئاً ولا أقبلُهُ ، ولٰكنْ أصيرُ معَكَ إلىٰ

---

(١) انظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٣٤٧/٤) ، و« ربيع الأبرار » (١٩١/٥) ، وتروىٰ عن غير يحيىٰ .
(٢) الأبيات له كما في « ديوانه » (ص ٢٨٢) ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (٢٩٣/٢) .
(٣) انظر « العقد الفريد » (١٦٤/٢) ، و« الأنساب » (١٨٤/٣) .
(٤) ما بين معقوفين في (أ) : (أحمد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » (٢٨٥/٢) .

بعضِ المكّيّينَ وتُودِعُهُ إيّاهُ ، فجمعتُ بينَهُ وبينَ الرَّجلِ ، وسألتُهُ أن يقبلَ ما معَهُ فأجابَ ، فتركَهُ عندَهُ وخرجَ الخُراسانيُّ لينقلَ عيالَهُ .

وماتَ الرَّجلُ المُودَعُ المالَ ، فوافى الخُراسانيُّ وقالَ : يا أبا محمَّدٍ ؛ مالي إلامَ صارَ ؟ فقلتُ لهُ : تصيرُ إلىٰ ولدِ الرَّجلِ وتسألُهُ وأهلَهُ عن ذٰلكَ ، فقالَ : تكونُ معي ، فقمتُ معَهُ إليهِم ، فقالوا : ما عندَنا ممَّا تذكرُهُ علمٌ ولا بشيءٍ منهُ .

قالَ سفيانُ : فقلتُ للخُراسانيِّ : كيفَ تجدُ قلبَكَ ؟ فقالَ : يا أبا محمَّدٍ ؛ يذهبُ مالي ولا يكونُ لي قلبٌ مغمومٌ ؟!

فقلتُ لهُ : فَأْتِ زمزمَ في الثُّلثِ الأخيرِ مِنَ اللَّيلِ ، فاطَّلعْ في بئرِ زمزمَ مِن ناحيةِ الحَجَرِ ، وصِحْ باسمِهِ واسمِ أبيهِ ؛ فإنَّهُ سيُجيبُكَ إن شاءَ اللهُ ، فإن أجابَكَ . . فسَلْهُ عن مالِكَ ، وأينَ هوَ ، وإلامَ صارَ .

فذهبَ الخُراسانيُّ ليفعلَ ما أمرَهُ بِهِ سفيانُ ، فلمَّا أصبحَ . . أتاهُ وقالَ : يا أبا محمَّدٍ ؛ قد فعلتُ ما أمرتَني بهِ ، وصحتُ في بئرِ زمزمَ ، فلم يُجِبْني أحدٌ .

قالَ سفيانُ : فاسترجعتُ ثلاثاً ؛ وقلتُ : إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، عُدِلَ بِهِ عنِ الطَّريقِ ، ثمَّ أقبلتُ على الخُراسانيِّ ، فقلتُ لهُ : فَأْتِ اليمنَ إلىٰ وادٍ يُقالُ لهُ : وادي بَرَهُوتَ ، فيهِ بئرٌ ، فافعلْ فيها مثلَ ما فعلتَ في زمزمَ في الثُّلثِ الأخيرِ مِنَ اللَّيلِ (١)

قالَ : فتجهَّزَ الخُراسانيُّ ، وخرجَ إلى اليمنِ حتَّىٰ أتى الواديَ ، وأتى البئرَ بهِ ، فلمَّا جنَّ عليهِ اللَّيلُ في الثُّلثِ الأخيرِ . . جاءَ إلى البئرِ ، فاطَّلعَ فيها وصاحَ باسمِ الرَّجلِ واسمِ أبيهِ ، فأجابَهُ وقالَ لهُ : ويحَكَ !! مَن أنتَ ؟ قالَ : الخُراسانيُّ صاحبُ المالِ الَّذي أودعَكَ وصاحبُ سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، قالَ : فقالَ : نعم ، هوَ في موضعِ كذا وكذا تحتَ ساريةِ كذا وكذا ، ائتِ أهلي وولدي ، وأَخبِرْهُم أنَّ مالَكَ بعينِهِ ثَمَّ بحالِهِ لم أُحدِثْ فيهِ شيئاً .

قالَ : فعادَ الخُراسانيُّ ، فأتاني فأخبرَني بذٰلكَ ، فقلتُ لهُ : اذهبْ إلىٰ ولدِهِ ، فقالَ : تقومُ

---

(١) ذكر ياقوتٌ في « معجم البلدان » (١/٤٠٥) : (بَرَهُوت : وادٍ باليمن ، يُوضع فيه أرواحُ الكُفَّار) ، وأخرج الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/٨١) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « خَيْرُ مَاءٍ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ . . . ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ مَاءٌ بِوَادِي بَرَهُوتَ » .

معي ، فقمتُ معَهُ ، فأتيْناهُم وخبَّرْناهُم بما قالَ ، فقالوا : هٰذهِ الأجنحةُ علىٰ هٰذهِ السَّاريةِ ، وعلينا في ذٰلكَ مشقَّةٌ عظيمةٌ ومؤونةٌ كبيرةٌ .

قالَ سفيانُ : فنحنُ ننقضُها ونردُّها إلىٰ مكانِها ، وتكونونَ أنتم قد فرَّجْتُم عن أبيكُم ، فرضوا بذٰلكَ ، فقلعْنا الأجنحةَ والسَّاريةَ ، فوجدْنا مالَ الرَّجلِ بعينِهِ !! لم يذهبْ منهُ شيءٌ ، ولا نقصَ عمَّا كانَ .

قالَ سفيانُ : فلمَّا أخذَ الرَّجلُ مالَهُ . . قلتُ : قد علمتَ ما قد فعلتُهُ معَكَ وعاونتُكَ حتَّىٰ وصلتَ إلىٰ مالِكَ ، ولي عليكَ حقٌّ ، وأنا أسألُكَ حاجةً ، فقالَ : وما هيَ ؟ فقلتُ : تعودُ إلى الوادي الَّذي أتيتَهُ باليمنِ ، وتأتي البئرَ في الوقتِ الَّذي أتيتَهُ آخرَ اللَّيلِ ، فصِحْ باسمِهِ واسمِ أبيهِ ، وقُلْ لهُ : سفيانُ بنُ عُيَينةَ يُقرِئُكَ السَّلامَ ، ويقولُ لكَ : ما الَّذي أوردَكَ هٰذا المكانَ ؟

فقالَ الخُراسانيُّ : هٰذا مِن أقلِّ ما يجبُ عليَّ مِن حقِّكَ ، فتجهَّزَ وفعلَ ما أمرتُهُ ، وعادَ إليَّ وقالَ : إنَّه أجابَهُ بصوتٍ شديدٍ هائلٍ : أوردَني هٰذا الموضعَ الرِّياءُ ، الرِّياءُ ، الرِّياءُ ، احذروا الرِّياءَ[1]

نُكتةٌ

[في حُبِّ مَن لا يموتُ]

٩٠٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو الفتوحِ العِجْليُّ : أنَّ أحمدَ بنَ عليِّ ابنِ موسى المُقرِئَ أخبرَهُ ، عن مسعودِ بنِ ناصرٍ السِّجْزيِّ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ بُشرىٰ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ موسى بنَ محمَّدِ بنِ موسى البغداديَّ بفَنْدَ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ حمزةَ بنَ محمَّدٍ النَّيْسابوريَّ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ ابنَ عطاءٍ يقولُ : ماتَ بعضُ الأحبَّةِ ، فبكىٰ عليهِ حبيبُهُ حتَّىٰ جُنَّ .

فدخلَ عليهِ واعظٌ ، فقالَ لهُ : أحببتَ فلاناً ؟ فبكىٰ ، ثمَّ قالَ : بلىٰ ، فقالَ لهُ الواعظُ : الذَّنبُ لكَ ؛ أحببتَ مَن يموتُ ، فهلَّا أحببتَ مَن لا يموتُ .

قالَ : فصاحَ ذٰلكَ الرَّجلُ صيحةً ، وماتَ .

---

(١) انظر « التذكرة البلقينية » (٩٣) .

٩٠٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو جعفرٍ ابنُ الحَدَّادِ الواسِطيُّ : أنَّ أبا الكرمِ خميسَ بنَ عليٍّ الحَوْزيَّ أخبرَهُ ، عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ابنِ الجُلَّابيِّ [١] ، أنا أبو القاسمِ مكِّيُّ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ الحسينِ المَقْدِسيُّ ، حدَّثَني أبو إسحاقَ أسعدُ بنُ كبيرِ بنِ إبراهيمَ القاينيُّ الصُّوفيُّ إملاءً في المسجدِ الأقصىٰ ، ثنا أبو القاسمِ موهوبُ بنُ عليِّ بنِ الجرَّاحِ البغداديُّ ، حدَّثَنيَ القاضي أبو عبدِ اللهِ الجندبانيُّ [٢] ، ثنا أبو محمَّدٍ المُؤقِّتُ ، عن سفيانَ الثَّوْريِّ قالَ : قالَ لي جعفرُ بنُ محمَّدٍ الصَّادقُ : يا سفيانُ ؛ فسدَ الزَّمانُ ، وقلَّ الإخوانُ ، وتقلَّبَتِ الأعيانُ ؛ فاتَّخذِ الوَحْدةَ ، معَكَ شيءٌ تكتبُ ؟ فقلتُ : نعم .

فقالَ : اكتبْ [٣] : [من الكامل]

لَا تَـجْـزَعَـنَّ لِـوَحْـدَةٍ وَتَـفَـرُّدِ ... وَمِـنَ ٱلـتَّـفَـرُّدِ فِـي زَمَـانِـكَ فَـٱزْدَدِ

ذَهَـبَ ٱلْإِخَـاءُ وَلَـيْـسَ ثَـمَّ أُخُـوَّةٌ ... إِلَّا ٱلـتَّـمَـلُّـقُ بِـٱلـلِّـسَـانِ وَبِـٱلْـيَـدِ

فَـإِذَا فَـتَـشْـتَ ضَـمِـيـرَهُ عَـنْ قَـلْـبِـهِ ... وَافَـيْـتَ مِـنْـهُ نَـقِـيـعَ سُـمِّ ٱلْأَسْـوَدِ [٤]

نُكتةٌ

[في فِراسةِ حمَّادِ بنِ زيدٍ]

٩٠٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا داوودُ بنُ سليمانَ أبو الفتحِ قالَ : كتبَ إليَّ أبو محمَّدٍ هبةُ اللهِ بنُ أحمدَ الأكفانيُّ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ الكَتَّانيُّ ، ثنا أبو العبَّاسِ الفضلُ بنُ سهلِ بنِ محمَّدٍ الصَّفَّارُ المَرْوَزيُّ ، ثنا [أبو عمرَ] [٥] لاحقُ بنُ الحسينِ بنِ عمرانَ ابنُ أبي الوردِ ، ثنا نرجسُ بنُ عبدِ اللهِ الخادمُ مولى الحسنِ بنِ عرفةَ بنِ يزيدَ العَبْديِّ

---

(١) **الجُلَّابي** ـ بضمِّ الجيم وتشديد اللَّام ـ : كذا الصَّواب نسبة إلىٰ (جُلَّاب) ، وهو اسم نهر بمدينة حَرَّان الَّتي بالجزيرة ، ذكرها أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (١٣٧/٢) ، وياقوت في « معجم البلدان » (١٤٩/٢) ، وضبطت في (أ) بفتح الجيم .

(٢) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

(٣) الأبيات منسوبة لبشر بن الحارث في « اللمع » لأبي نصر الطوسي (ص٣٥٢) ، ومنسوبة للغزالي في « غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (٣٥٦٩) مع اختلاف في بعض الكلمات .

(٤) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (١٦٨/٥) بنحوه وبأبيات مختلفة .

(٥) ما بين معقوفين في (أ) : (أبو عمرو) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ دمشق » (١٦/٦٤) ، و« لسان الميزان » لابن حجر (٤٠٧/٨) .

بعَيْنِ زَرْبَةَ وكانَ مِن أقطانِها ، ثنا الحسنُ بنُ عرفةَ قالَ : قدمَ عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ البصرةَ ، فدخلتُ عليهِ فسألتُهُ أن يُحدِّثَني ، فأبىٰ وقالَ : أنتَ صبيٌّ .

قالَ الحسنُ بنُ عرفةَ : فأتيتُ حمَّادَ بنَ زيدٍ ، فقلتُ : يا أبا إسماعيلَ ؛ دخلتُ على ابنِ المُبارَكِ فأبىٰ أن يُحدِّثَني ، فقالَ : يا جاريةُ ؛ هاتِ خفِّي وطيلساني ، وخرجَ معي يتوكَّأُ علىٰ يدي حتَّىٰ دخلْنا على ابنِ المُبارَكِ ، فجلسَ معَهُ على السَّريرِ ، فتحدَّثا ساعةً ، ثمَّ قالَ لهُ حمَّادٌ : يا أبا عبدِ الرَّحمـٰنِ ؛ لِمَ لا تُحدِّثُ هـٰذا الغلامَ ؟ قالَ : هوَ صبيٌّ لا يفقهُ ما يحملُهُ ، قالَ لهُ حمَّادٌ : حدِّثْهُ يا أبا عبدِ الرَّحمـٰنِ ؛ فلعلَّهُ ـ واللهِ ـ أن يكونَ آخِرَ مَن يُحدِّثُ عنكَ في الدُّنيا .

قالَ الحسنُ بنُ عرفةَ : رحمَ اللهُ حمَّاداً ، ما كانَ أحسنَ فِراستَهُ !! أنا آخِرُ مَن حدَّثَ عنِ ابنِ المُبارَكِ (١)

*

٩٠٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ قالوا : أنبأَنا ذاكرُ بنُ كاملٍ قالَ : كتبَ إليَّ عبدُ الغفَّارِ ـ يعني : ابنَ محمَّدِ بنِ الحسينِ النَّيْسابوريَّ ـ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ الشِّيرازيَّ ـ يعني : عبدَ الكريمِ بنَ محمَّدِ بنِ أحمدَ الحافظَ ـ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ عبدَ اللهِ بنَ إبراهيمَ الفَسَويَّ بالبصرةِ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ صالحٍ المنصوريَّ الدَّاووديَّ القاضيَ بأرَّجانَ يقولُ : سمعتُ أبا إسحاقَ القاسمَ بنَ وهبٍ يقولُ : سمعتُ والدي وهبَ بنَ جامعٍ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ داوودَ يقولُ : سمعتُ والدي أبا سليمانَ داوودَ بنَ عليِّ بنِ خلفٍ يقولُ : سمعتُ والدي أبا الحسنِ عليَّ بنَ خلفٍ يقولُ : (بلغَني عن سفيانَ بنِ سعيدٍ الثَّوْريِّ أنَّهُ كانَ يقولُ : ينبغي لصاحبِ العلمِ أن يكونَ في كفايةٍ ؛ لأنَّهُ إذا احتاجَ . . ذلَّ) (٢)

* *

٩٠٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو الفرجِ الحَرَّانيُّ ، عن محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ طالبٍ ، أنا أحمدُ بنُ عليٍّ التَّوَّزيُّ إذناً ، أبنا العبَّاسُ بنُ أحمدَ الهاشميُّ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٤٣٧ ـ ٤٣٨) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٦/٢٥١١ ـ ٢٥١٢) ، وذكره ابن حجر في « لسان الميزان » (٨/٢٥٥) وعزاه لابن النجار .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الإشراف في منازل الأشراف » (١٢٨) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٤٢٧) .

هارونَ بنِ عليّ بنِ يحيى ابنُ المُنجِّمِ ببغدادَ سنةَ اثنتَينِ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ ، عن أبيهِ ، عن عليّ بنِ مهديّ ، عنِ الحسينِ ابنِ أبي السَّريّ قالَ : مرَّ القاسمُ بنُ الرَّشيدِ في موكبٍ عظيمٍ ، وكانَ القاسمُ مِن أنبهِ النَّاسِ ، وأبو العتاهيةِ جالسٌ علىٰ ظهرِ الطَّريقِ معَ قومٍ ، فلمَّا رآهُ . . قامَ إعظاماً لهُ ، فلم يلتفتْ إليهِ القاسمُ ، فأنشدَ أبو العتاهيةِ : [من المتقارب]

يَتِيهُ ٱبْنُ آدَمَ مِنْ جَهْلِهِ ... كَأَنَّ رَحَى ٱلْمَوْتِ لَا تَطْحَنُهْ

فسمعَهُ بعضُ أصحابِ القاسمِ ، فأخبرَهُ ، فبعثَ إلىٰ أبي العتاهيةِ ، فأحضرَهُ وضربَهُ مئةَ مِقْرَعةٍ ، فقالَ [١] : [من السريع]

حَتَّىٰ مَتَىٰ ذُو ٱلتِّيهِ فِي تِيهِهِ ... يُصْلِحُهُ ٱللهُ وَعَافَاهُ

يَتِيهُ أَهْلُ ٱلتِّيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ ... وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَاهُوا

مَنْ طَلَبَ ٱلْعِزَّ لِيَبْقَىٰ لَهُ ... فَإِنَّ عِزَّ ٱلْمَرْءِ تَقْوَاهُ

لَمْ يَعْتَصِمْ بِٱللهِ مِنْ خَلْقِهِ ... مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ [٢]

حكاية

[أَنشِدْني طريدَ هٰذا البيتِ]

٩٠٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا زاهرٌ الأصبهانيُّ ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ .

(ح) وأنبأَني زيدُ بنُ الحسنِ ، وابنُ طَبَرْزَدٍ ، وغيرُهُما ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : كتبَ إليَّ أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الشَّاهدُ : أنَّ محمَّدَ بنَ عمرانَ المَرْزُبانيَّ أخبرَهُ قالَ : أخبرَني أبو الحسنِ عليُّ بنُ هارونَ بنِ عليّ بنِ يحيى ابنُ المُنجِّمِ قالَ : أخبرَني أبو الحسينِ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ أبي طاهرٍ قالَ : أخبرَني أبي قالَ : كنتُ يوماً عندَ عليّ بنِ يحيىٰ في أيَّامِ المُعتمِدِ ، فدخلَ عليهِ ابنُهُ هارونُ ، فقالَ : يا أبةِ ؛ رأيتُ في النَّومِ المُتوكِّلَ وهوَ في دارِهِ علىٰ سريرٍ ، إذ بَصُرَ بي فقالَ : أَقبِلْ إليَّ يا هارونُ ، يزعمُ أبوكَ أنَّكَ [٣] تقولُ الشِّعرَ ، فأَنشِدْني طريدَ هٰذا البيتِ ، وأنشأَ يقولُ : [من الطويل]

أَسَالَتْ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ دَمْعاً لَوَ ٱنَّهُ ... مِنَ ٱلدُّرِّ عِقْدٌ كَانَ ذُخْراً مِنَ ٱلذُّخْرِ

---

(١) ديوان أبي العتاهية (ص٤١٣ ـ ٤١٤) .

(٢) انظر « الأغاني » (٤/١٢٨٠) .

(٣) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

فلم أَزِدْ عليهِ شيئاً وانتبهتُ ، قالَ : فزحفَ إليهِ أبوهُ مُغضَباً ، وقالَ : لِمَ لَمْ تقلْ : [من الطويل]

فَلَمَّا دَنَا وَقْتُ ٱلْفِرَاقِ وَفِي ٱلْحَشَا ... لِفُرْقَتِهَا لَذْعٌ أَحَرُّ مِنَ ٱلْجَمْرِ

أَسَالَتْ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ دَمْعاً لَوَ ٱنَّهُ ... مِنَ ٱلدُّرِّ عِقْدٌ كَانَ ذُخْراً مِنَ ٱلذُّخْرِ [1]

نُكْتَةٌ

[أكلُ التَّمرِ بالقِثَّاءِ]

٩٠٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ ، أنا أبو الفوارسِ هبةُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ ابنِ سوارٍ بقراءةِ والدي عليهِ ، أنا أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ الباقلاويُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ ابنِ شاذانَ ، أنا أبو جعفرٍ عبدُ اللهِ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ابنِ المنصورِ الهاشميُّ ، ثنا أبو عمرَ أحمدُ بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ محمَّدٍ العُطارِديُّ ، ثنا يونسُ بنُ بكيرٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيهِ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : (كانَتْ أُمِّي تُعالِجُني تُريدُ أن تُسمِّنَني بعضَ السِّمَنِ لتُدخِلَني على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فما استقامَ لها ذٰلكَ حتَّىٰ أكلتُ التَّمرَ بالقِثَّاءِ ، فسمنتُ عليهِ أحسنَ ما يكونُ مِنَ السِّمَنِ) [2]

٩٠٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا سليمانُ وعليٌّ ابنا محمَّدِ بنِ عليٍّ المَوْصِليُّ قالا : أنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ النَّيْسابوريُّ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ أبي صادقٍ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ باكويهِ الشِّيرازيُّ ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ بكرٍ ، حدَّثَني نصرُ بنُ أبي نصرٍ قالَ : سمعتُ أبا زيدٍ هبةَ اللهِ بنَ أحمدَ البغداديَّ ، سمعتُ أحمدَ بنَ سعيدٍ الدَّارميَّ قالَ : صلَّىٰ أبو زرعةَ الرَّازيُّ في مسجدِهِ عشرينَ سنةً بعدَ قدومِهِ مِنَ السَّفرِ ، فلمَّا كانَ في يومٍ مِنَ الأيَّامِ . . قدمَ عليهِ قومٌ مِن أصحابِ الحديثِ ، فنظروا فإذا في محرابِهِ كتابةٌ ، فقالوا لهُ : كيفَ تقولُ في الكتابةِ في المحاريبِ ؟ فقالَ : قد كرهَهُ أقوامٌ ممَّن مضَوا .

---

(١) انظر « معجم الأدباء » (٥/٤٤٠) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٧/١٩٦) .

(٢) أخرجه ابن إسحاق في « السيرة » (ص ٢٣٩) ، وابن الأعرابي في « المعجم » (٨٤٣) ، وابن منده في « معرفة الصحابة » (٢/٩٤٤ ـ ٩٤٥) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (٧/٢٥٤) برقم (١٤٥٨٤) .

فقالوا لهُ : هوَ ذا في محرابِكَ كتابةٌ ، أَوَمَا علمتَ بها ؟ قالَ : سبحانَ اللهِ !! رجلٌ يدخلُ على اللهِ ويدري ما بينَ يدَيهِ ؟![1]

نُكتةٌ

[في موجوداتٍ ومفقوداتٍ]

٩١٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا محمَّدُ بنُ المُبارَكِ أبو بكرٍ البَيِّعُ ونقلتُهُ مِن خطِّهِ قالَ : أنا أبو ياسرٍ عبدُ الوهَّابِ بنُ هبةِ اللهِ بنِ عبدِ الوهَّابِ الدَّقَّاقُ ، أنا أبي ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ ابنِ كيلانَ ، ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ البَرْذَعيُّ مِن لفظِهِ ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ همامٍ الشَّيْبانيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدٍ التَّميميُّ قالَ : سمعتُ أبا الفيضِ ذا النُّونِ بنَ إبراهيمَ الإِخْمِيميَّ بمصرَ يقولُ[2] : (ثلاثةٌ موجودةٌ وثلاثةٌ مفقودةٌ : العلمُ موجودٌ ، والعملُ بهِ مفقودٌ ، والعملُ موجودٌ ، والإخلاصُ فيهِ مفقودٌ ، والحبُّ موجودٌ ، والصِّدقُ فيهِ مفقودٌ)[3]

حِكايةٌ

[رؤيا أميرِ المؤمنينَ الرَّشيدِ]

٩١١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ المُؤدِّبُ ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ قالَ : أنا أبو جعفرٍ الشَّاهدُ إذناً ، عن أبي عبيدِ اللهِ المَرْزُبانيِّ قالَ : أخبرَني أبو الحسنِ عليُّ بنُ هارونَ بنِ عليِّ بنِ يحيى ابنُ المُنجِّمِ قالَ : أخبرَني أبو الحسينِ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ أبي طاهرٍ ، عن أبيهِ قالَ : حدَّثَني يحيى بنُ الحسنِ الأنباريُّ الكاتبُ قالَ : حدَّثَني بختيشوعُ بنُ جبريلَ بنِ بختيشوعَ قالَ : حدَّثَني أبي قالَ : كنتُ معَ الرَّشيدِ بالرَّقَّةِ ، وكنتُ أوَّلَ مَن يدخلُ عليهِ في كلِّ غداةٍ ، فأتعرَّفُ حالَهُ ثمَّ ينبسطُ إليَّ ، فدخلتُ عليهِ في غداةِ يومٍ ، فسلَّمتُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/٣٢) ، وابن الجوزي في « التبصرة » (١/٣٨٦) .

(٢) الإِخْمِيمي : نسبة إلىٰ (إِخْمِيم) ، وهي بلدة من ديار مصر من الصَّعيد علىٰ طريق الحاجِّ . « الأنساب » (١/٩٦) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٧٦) عن عبد الله بن محمد بن عبيد التميمي ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٤٢٤) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (٥٥٣) ، وانظر « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٢٨٢) .

فلم يكدْ يرفعُ طَرْفَهُ ورأسَهُ ؛ مُتفكِّراً مهموماً ، فوقفتُ بينَ يدَيهِ مليّاً مِنَ النَّهارِ وهوَ علىٰ تلكَ الحالِ ، فلمَّا طالَ ذٰلكَ . . أقدمتُ عليهِ وقلتُ : يا سيِّدي ؛ جعلَني اللهُ فداكَ ، ما حالُكَ ؟ أهذا لعِلَّةٍ ؟ فأَخبِرْني بها ؛ فلعلَّهُ أن يكونَ عندي دواؤُها ، أو حادثٍ في بعض مَن تُحِبُّ ؟

فقالَ : ما لا يُدفَعُ ، ولا حيلةَ فيهِ إلَّا التَّسليمُ والهَمُّ .

فقلتُ : فَتْقٌ وردَ عليكَ في ملكِكَ ؟ فلم تخلُ الملوكُ مِن ذٰلكَ ، وأنا أَوْلىٰ مَن أفضيتَ إليهِ بالخبرِ .

قالَ : ويحَكَ يا جبريلُ !! ليسَ غَمِّي لشيءٍ ممَّا ذكرتَ ، لٰكنْ لرؤيا رأيتُها في ليلتي هٰذهِ ، قد أفزعَتْني ، وملأَتْ صدري ، وأقرحَتْ قلبي .

فقلتُ : فرَّجتَ عنِّي يا أميرَ المؤمنينَ ، فدنوتُ فقبَّلتُ رِجلَهُ ، وقلتُ : ألهذا غَمُّكَ كلُّهُ ؟ لرؤيا ؟! إنَّما تكونُ الرُّؤيا مِن خاطرِ اللَّيلِ ، أو مِن بُخاراتٍ رديئةٍ ، أو مِن تهاويلِ السَّوداءِ ، وإنَّما هيَ أضغاثُ أحلامٍ بعدَ هٰذا كلِّهِ .

قالَ : فأقصُّها عليكَ ، قالَ : رأيتُ كأنِّي جالسٌ علىٰ سريري هٰذا ، إذ بدَتْ مِن تحتي ذراعٌ وكفٌّ أعرفُها لا أحفظُ اسمَ صاحبِها ، وفي الكفِّ تُربةٌ حمراءُ ، فقالَ لي قائلٌ ـ أسمعُهُ ولا أرىٰ شخصَهُ ـ : هٰذهِ التُّربةُ الَّتي تُدفَنُ فيها ، فقلتُ : وأينَ هٰذهِ التُّربةُ ؟ قالَ : بطُوسَ ، ثمَّ غابَتِ اليدُ ، وانقطعَ الكلامُ وانتبهتُ .

فقلتُ : يا سيِّدي ؛ هٰذهِ ـ واللهِ ـ رؤيا بعيدةٌ ملتبسةٌ ، أحسبُكَ أخذتَ مضجعَكَ ، ففكَّرتَ في خُراسانَ وفي حروبِها ، وما قد وردَ عليكَ مِن انتقاضِ بعضِها .

قالَ : قد كانَ ذاكَ .

قلتُ : ذٰلكَ الفكرُ خالطَكَ في مَنامِكَ ، فولَّدَ هٰذهِ الرُّؤيا ، فلا تحفلْ بها ، جعلَنيَ اللهُ فداكَ ، وأَتبِعْ هٰذا الهَمَّ بسرورٍ تُخرجُهُ مِن قلبِكَ ؛ لئلَّا يُولِّدَ عِلَّةً .

قالَ : فما برحتُ أُطيِّبُ نفسَهُ حتَّىٰ سلا وانبسطَ ، وأمرَ بإعدادِ ما يشتهيهِ .

ومرَّتِ الأيَّامُ ، فنسيَ ونسيْنا تلكَ الرُّؤيا ، فما خطرَتْ لأحدٍ منَّا ببالٍ ، ثمَّ قُدِّرَ مسيرُهُ إلىٰ خُراسانَ حينَ تحرَّكَ رافعٌ ، فلمَّا صارَ في بعضِ الطَّريقِ . . ابتدأَتْ بهِ العلَّةُ ، فلم تزلْ تتزيَّدُ حتَّىٰ دخلْنا طُوسَ ، فنزلَ في منزلٍ لحميدِ بنِ عبدِ الحميدِ في ضيعةٍ لهُ ، فبينا هوَ يمرضُ في بستانِ ذٰلكَ القصرِ . . إذ ذكرَ تلكَ الرُّؤيا ، فوثبَ مُتحامِلاً يقومُ ويسقطُ ، فاجتمعْنا

إليهِ كلٌّ يقولُ : يا سيِّدي ؛ ما حالُكَ ؟ وما دهاكَ ؟ فقالَ لي : يا جبريلُ ؛ تذكرُ رؤيايَ الَّتي بالرَّقَّةِ ؟ ثمَّ رفعَ رأسَهُ إلىٰ مسرورٍ ، فقالَ لهُ : جئْني مِن تربةِ هٰذا البستانِ .

فمضىٰ مسرورٌ ، فأتىٰ بالتُّربةِ في كفِّهِ حاسراً عن ذراعَيهِ ، فلمَّا نظرَ إليهِ . . قالَ : هٰذهِ ـ واللهِ ـ الذِّراعُ الَّتي أُريتُها في مَنامي بعينِها ، وهٰذهِ ـ واللهِ ـ التُّربةُ الحمراءُ ، ما خَرَمَتْ شيئاً ، وأقبلَ على البكاءِ والنَّحيبِ .

ثمَّ ماتَ ـ واللهِ ـ بعدَ ثالثةٍ ، ودُفِنَ في ذٰلكَ البستانِ [1]

* * *

٩١٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ عبدَ الرَّزَّاقِ بنَ عبدِ القادرِ الجِيليَّ يقولُ : مرضَ والدي مرضاً أشفىٰ منهُ على الموتِ ، فقعدْنا حولَهُ نبكي ، وكانَ مغشيّاً عليهِ ، فأفاقَ مِن غَشْيتِهِ ، ثمَّ قالَ : لا تبكوا عليَّ ؛ فإنِّي لا أموتُ ، إنَّ يحيىٰ في ظهري ، ولا بُدَّ أن يخرجَ إلى الدُّنيا ، فلم نعلمْ ما قالَ ، وظنَنَّاهُ في غلبةِ مرضِهِ .

ثمَّ إنَّهُ أفاقَ مِن مرضِهِ ذٰلكَ ، واجتمعَ بجاريةٍ لهُ حبشيَّةٍ ، وجاءَتْ بولدٍ ذَكَرٍ ، فسمَّاهُ يحيىٰ ، وكانَ آخِرَ أولادِهِ ، ثمَّ ماتَ الشَّيخُ [2]

* * *

٩١٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أخبرَنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ بنِ كاملٍ قالَ : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدٍ الشَّيْبانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، عن عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ محمَّدٍ الشَّيْبانيِّ قالَ : ثنا أبو بكرٍ الخطيبُ مِن لفظِهِ قالَ : ثنا أبو طالبٍ يحيى بنُ عليِّ ابنِ الطَّيِّبِ العجليُّ بحُلْوانَ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الدَّامَغانيَّ بها يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ يحيى الواعظَ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ الرَّازيَّ يقولُ : (بَدْءُ أمري في سياحتي حيثُ خرجتُ مِنَ الرَّيِّ ، فوقعَ في قلبي شأنُ المؤونةِ والنَّفقةِ ، فتفكَّرتُ في نفسي ، فإذا هاتفٌ يهتفُ في قلبي : أَخرجْ ما في الجيبِ حتَّىٰ نُعطِيَكَ مِنَ الغيبِ) [3]

---

(١) انظر « تاريخ الأمم والملوك » للطبري (٣٤٢/٨ ـ ٣٤٤) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (١٧٠/٢٤ ـ ١٧١) ، وفي هامش (أ) : (بلغ مروراً) .

(٢) ذكره برهان الدين القادري في « الروض الزاهر » (ص ٦٩) وعزاه لابن النجار .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي كما في « المنتخب من الزهد والرقائق » (٨) .

حكاية جيدة

[مَنْ يُؤخِّرُكَ وقد قدَّمَكَ رسولُ اللهِ ﷺ ؟!]

٩١٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو محمَّدٍ القاسمُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ الحافظُ الدِّمشقيُّ ، أنا أبو الحسينِ ابنُ أبي الحديدِ ، أنا جدِّي أبو عبدِ اللهِ ، أنا أبو الحسنِ ابنُ السِّمْسارِ ، أنا الشَّريفُ أبو الحسينِ يحيى بنُ عليٍّ الزَّيديُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ ابنُ عقدةَ ، حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ ناجيةَ ، ثنا أبو البختريِّ الوَشَّاءُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ عيسىٰ أبو بلالٍ الأشعريُّ ، ثنا عليُّ بنُ هاشمٍ ، وعيسى بنُ يونسَ ، عن هاشمِ بنِ البريدِ ، عن زيدِ بنِ عليٍّ ، عن آبائِهِ قالَ : قامَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ منبرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : (هل مِن كارهٍ فأُقيلَهُ ؟) ؛ ثلاثاً يقولُ ذٰلكَ ، فكلَّ ذٰلكَ يقومُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ فيقولُ : (لا واللهِ ؛ لا نُقيلُكَ ولا نستقيلُكَ ، مَن ذا الَّذي يُؤخِّرُكَ وقد قدَّمَكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟!) [١]

حكاية جيدة

[مِن حفظِ اللهِ ورعايتِهِ للخَلْقِ]

٩١٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ أبا الرِّضا المُبارَكَ بنَ سعدِ اللهِ الأمينَ جارَنا يقولُ : سمعتُ مَن يحكي عنِ الوزيرِ ابنِ هُبَيرةَ أنَّهُ قالَ : كنتُ في حداثتي أخدمُ الزَّبِيديَّ الواعظَ ، فرجعتُ يوماً نصفَ النَّهارِ مِن دارِهِ وكانَ الحرُّ الشَّديدُ ، فدخلتُ إلىٰ مسجدِ خطلخ ببابِ الكَرْخِ ؛ لأُصلِّيَ فيهِ صلاةَ الظُّهرِ ، فصادفتُ فيهِ شيخاً مريضاً مُلقىً وهوَ يجودُ بنفسِهِ ، وتحتَ رأسِهِ لبنةٌ ، فأتيتُ إليهِ واطَّلعتُ في وجهِهِ ، وقلتُ لهُ : ما تشتهي ؟ فقالَ : أشتهي أن آكلَ مِن رُمَّانةٍ وسفرجلةٍ شيئاً قليلاً .

فقمتُ مِن عندِهِ ، ودخلتُ الكَرْخَ ، ولم يكنْ معي شيءٌ أشتري بهِ ما طلبَ ، فرهنتُ مئزراً كانَ معي عندَ الفاكهانيِّ علىٰ رُمَّانةٍ وسفرجلةٍ ، وأخذتُهُما وعدتُ سريعاً إلى المسجدِ ، والشَّيخُ علىٰ حالِهِ في النَّزعِ ، ففتَّتُّ مِن حَبِّ الرُّمَّانةِ قليلاً وأطعمتُهُ ، وكسرتُ مِنَ السَّفرجلةِ قليلاً ، وتركتُهُ في فمِهِ فأكلَهُ ، وأشارَ إليَّ أَنْ خُذْ ما تحتَ رأسي ، ثمَّ لم يلبثْ أن ماتَ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٥/٦٤) ، وذكره الجلال السيوطي في « جمع الجوامع » (٢١٤/٢) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (١٤١٤٥) وعزواه لابن النجار .

فرفعتُ رأسَهُ عنِ اللَّبنةِ ورفعتُها ، فإذا تحتَها شَرَبةٌ[١] ، مدفونةٌ فيها مئتا دينارٍ قُراضةً ، فصببتُها في كمِّي ، وعدتُ إلى الكَرْخِ ، فدفعتُ منهُ إلى الفاكهانيِّ ثمنَ الرُّمَّانةِ والسَّفرجلةِ ، ومضيتُ إلىٰ سوقِ الجنائزِ ، فأعلمتُهُم أنِّيَ اجتزتُ بمسجدِ خطلخَ ، ورأيتُ فيهِ شيخاً ميِّتاً مِنَ الصَّعاليكِ ، فذهبوا ليدفنوهُ .

وعدتُ إلى الشَّطِّ لأعبرَ إلى الجانبِ الشَّرقيِّ ، فلم أُصادِفْ ملَّاحاً إلَّا شيخاً ضعيفاً عليهِ خلقٌ ، وهوَ في سفينةٍ عتيقةٍ ، يَرْشَحُ منها الماءُ ، فنزلتُ معَهُ لحالِ الضَّرورةِ ، وسألتُهُ عن حالِهِ ، فقالَ : إنَّ لهُ بناتٍ ، وإنَّهُ في أكثرِ الأوقاتِ لا يحصلُ لهُ ما يقوتُهُم ، فيبيتونَ علىٰ حالِهِم ، وإنَّ لهُ أخاً أكبرَ منهُ ، معَهُ شيءٌ مِنَ المالِ ، وهوَ يُكدي ويجمعُ ، وقد مرضَ في هٰذهِ الأيَّامِ واشتدَّ مرضُهُ ، وهوَ مُلقىً في مسجدِ خطلخَ ، وقد مضيتُ إليهِ ، وشرحتُ لهُ سوءَ حالي ، وما أنا عليهِ وعيالي مِنَ الضَّائقةِ ؛ لعلَّهُ يدلُّنا على المالِ ، فلم يفعلْ ، ولعلَّهُ يموتُ ولا نعلمُ بمكانِهِ ، فيذهبَ منَّا ومنهُ .

قالَ الوزيرُ : ورأيتُ في الملَّاحِ شَبَهاً كبيراً بهِ ، فقلتُ لهُ : إنَّ اللهَ قد حفظَ المالَ عليكَ ، فخُذْهُ هنيئاً ، وقصصتُ عليهِ القصَّةَ ، ودفعتُهُ إليهِ ، فلمَّا رآهُ . . كادَتْ نفسُهُ تزهقُ ، وقالَ : قاسِمْني عليهِ ، فقلتُ : واللهِ ؛ لا آخذُ منهُ حبَّةً ، وأطلبُ الأجرَ مِنَ اللهِ ـ سبحانَهُ ـ وحدَهُ ، فمقاليدُ السَّماواتِ والأرضِ بيدِهِ ، وتركتُهُ ومضيتُ ، وعوَّضَني اللهُ أمثالَهُ أضعافاً مضاعفةً[٢] .

حكاية

[أدبُ الوزيرِ ابنِ هُبَيرةَ وحياؤُهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ]

٩١٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ المُبارَكَ بنَ أبي محمَّدٍ الواسِطيَّ ـ وكانَ مِنَ الثِّقاتِ ـ قالَ : اجتازَ الوزيرُ ابنُ هُبَيرةَ مرَّةً في موكبِهِ في سوقِ الثُّلاثاءِ ، فلمَّا بلغَ موضعاً منهُ . . صاحَ بأعلىٰ صوتِهِ ، وأشارَ بمسبحتِهِ والنَّاسُ ينظرونَ إليهِ ، فقالَ : لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمْدُ ، يُحيي ويُميتُ ، وهوَ حيٌّ لا يموتُ ، بيدِهِ الخيرُ كلُّهُ ، وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ .

---

(١) الشَّرَبة : حفرة .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٦/٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

فكتبَ أصحابُ الأخبارِ بذٰلكَ إلى المُستنجِدِ ، فكتبَ إليهِ : (ما الحاجةُ إلى الكلامِ في السُّوقِ بينَ العوامِّ ؟ ففيهِ كسرٌ لهيبةِ الدَّولةِ) .

فأجابَ : (إنِّي وصلتُ إلىٰ موضعٍ ذكرتُ أنِّيَ اجتزتُ بهِ قديماً ، وأنا آخِذٌ بزمامِ جملِ الزَّبيديِّ الواعظِ ، وأنا أقولُ هٰذهِ الكلماتِ ، فاستحييتُ مِنَ اللهِ ـ سبحانَهُ وتعالىٰ ـ أن يراني وقد تكبَّرتُ عن قولِها ، وأنا في هٰذا المنصبِ وهٰذهِ النِّعمةِ ، وخفتُ مَقْتَهُ ، فقلتُها) .

فاستحسنَ المُستنجِدُ ذٰلكَ منهُ ، وشكرَهُ عليهِ(١)

حكايةٌ عظيمةٌ

[في عاقبةِ المُسيءِ للشَّيخَينِ رضيَ اللهُ عنهُما]

٩١٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا الأنجبُ بنُ أبي السَّعاداتِ الحَمَّاميُّ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ أحمدَ بنِ سلمانَ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ زكريَّا الصُّوفيُّ ، أنا أبو القاسمِ هبةُ اللهِ بنُ الحسنِ بنِ منصورٍ الطَّبَريُّ قالَ : حدَّثَني يوسفُ بنُ الحسنِ بنِ إبراهيمَ الخيَّاطُ ـ شيخٌ صالحٌ كانَ في جوارِنا ، وكانَ يسكنُ في الجانبِ الشَّرقيِّ فانتقلَ إلى الغربيِّ ـ قالَ : كانَ في الجانبِ الشَّرقيِّ في وقتِ أبي الحسينِ بنِ بُوَيْه رجلٌ دَيْلَميٌّ مِن قوَّادِهِ يُسمَّىٰ : جبنةَ(٢) ، مشهورٌ مِن وجوهِ عَسْكَرِهِ ، قالَ : بينَما هوَ واقفٌ يوماً في موسمِ الحاجِّ ببغدادَ ، وقد أخذَ النَّاسُ في الخروجِ إلىٰ مكَّةَ . . إذ عبرَ بهِ رجلٌ يُعرَفُ بعليٍّ الدَّقَّاقِ .

قالَ يوسفُ : هوَ حدَّثَني بهٰذهِ القصَّةِ وشرحَها ؛ إذ كانَ هوَ صاحبَها والمُبتلىٰ بها ، وكنتُ أسمعُ غيرَهُ مِنَ النَّاسِ يذكرُها لشهرتِها ، سمعتُهُ يقولُ : عبرتُ علىٰ جبنةَ ، فقالَ لي : يا عليُّ ؛ هوَ ذا تحجُّ هٰذهِ السَّنةَ ، قلتُ : لم يتَّفقْ لي حِجَّةٌ إلى الآنَ ، وأنا في طلبِها ، فقالَ لي جواباً عن كلامي : أنا أُعطيكَ حِجَّةً ، فقلتُ لهُ مِن غيرِ أن يصحَّ في نفسي كلامُهُ : هاتِها ، فقالَ : يا غلامُ ؛ مرَّ إلىٰ عثمةَ الصَّيْرفيِّ ، وقلْ لهُ يزنْ لهُ عشرينَ ديناراً ، فمررتُ معَ غلامِهِ ، فوزنَ لي عثمةُ عشرينَ ديناراً ، ورجعتُ إليهِ ، فقالَ لي : أَصلِحْ أمورَكَ ، فإذا عزمتَ على الرَّحيلِ . . فأَرِني وجهَكَ ؛ لأُوصيَكَ بوصيَّةٍ ، فانصرفتُ عنهُ .

---

(١) انظر طرفاً منه في « الذيل علىٰ طبقات الحنابلة » لابن رجب (٢/١١٢) .

(٢) (جبنة) : غير منقوطة في (أ) ، والمثبت من مصدر التَّخريج ، وكذا كلَّما مرَّ في الحكاية .

وهيَّأتُ أموري فرجعتُ إليهِ ، فقالَ لي : قد وهبتُ هٰذهِ الحِجَّةَ لكَ ، ولا حاجةَ لي فيها ، ولٰكنْ أُحمِّلُكَ رسالةً إلىٰ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقلتُ : ما هيَ ؟ فقالَ : قلْ لهُ : أنا بريءٌ مِن صاحبَيكَ أبي بكرٍ وعمرَ اللَّذَينِ هما معَكَ ، ثمَّ حلَّفَني بالطَّلاقِ ؛ إنَّكَ لتقولَنَّها وتُبلِّغَنَّ هٰذهِ الرِّسالةَ إليهِ ، فوردَ عليَّ موردٌ عظيمٌ ، وخرجتُ مِن عندِهِ مهموماً حزيناً .

وحججتُ ودخلتُ المدينةَ ، وزرتُ قبرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وصرتُ مُتردِّداً في الرِّسالةِ ؛ أُبلِّغُها أم لا ، وفكَّرتُ في أنِّي إن لم أُبلِّغْها . . طلَقَتِ امرأتي ، وإن بلَّغْتُها . . عَظُمَتْ عليَّ ممَّا أواجهُ بهِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فاستخرتُ اللهَ تعالىٰ في القولِ ، وقلتُ : إنَّ فلانَ بنَ فلانٍ يقولُ كذا وكذا ، واغتممتُ غمّاً شديداً .

وتنحَّيتُ ناحيةً ، فغلبَتْني عينايَ ، فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « قَدْ سَمِعْتُ ٱلرِّسَالَةَ ٱلَّتِي أَدَّيْتَهَا ، فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِ . . فَقُلْ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ : أَبْشِرْ ـ يَا عَدُوَّ ٱللهِ ـ يَوْمَ ٱلتَّاسِعِ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ قُدُومِكَ بَغْدَادَ بِنَارِ جَهَنَّمَ » .

وخرجتُ ورجعتُ إلىٰ بغدادَ ، فلمَّا عبرتُ إلى الجانبِ الشَّرقيِّ . . فكَّرتُ وقلتُ : إنَّ هٰذا رجلُ سَوءٍ ، بلَّغتُ رسالتَهُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولا أُبلِّغُ رسالتَهُ إليهِ ؟! فما هوَ إلَّا أن أُخبِرَهُ بها فيأمرَ بقتلي ، أو يقتلَني بيدِهِ ، وأخذتُ أُقدِّمُ وأُؤخِّرُ ، وقلتُ : لأقولَنَّها ولو كانَ فيها قتلي ، ولا أكتمُ رسالتَهُ وأُخالِفُ أمرَهُ .

فدخلتُ عليهِ قبلَ الدُّخولِ علىٰ أهلي ، فما هوَ إلَّا أن وقعَ عينُهُ عليَّ وقالَ لي : يا دقَّاقُ ؛ ما عملتَ في الرِّسالةِ ؟ قلتُ : أدَّيتُها إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولٰكنْ قد حمَّلَني جوابَها ، قالَ : وما هيَ ؟ فقصصتُ عليهِ رؤيايَ ، فنظرَ إليَّ وقالَ : إنَّ قَتْلَ مثلِكَ عليَّ هيِّنٌ ـ وسبَّ وشتمَ ، وكانَ بيدِهِ زُوبينٌ يهُزُّهُ في وجهي ـ ولٰكنْ لأتركَنَّكَ إلى اليومِ الَّذي ذكرتَهُ ، ولأقتلَنَّكَ بهٰذا الزُّوبينِ ؛ وأشارَ إلىٰ زُوبينِهِ[1] ، ولامَنيَ الحاضرونَ ، وقالَ لغلامِهِ : احبِسْهُ في الإصطبلِ وقيِّدْهُ ، فحُبِستُ وقُيِّدتُ ، وجاءَني

---

(١) الزُّوبين : رمح قصير .

أهلي وبكَوا عليَّ ولاموني ، فقلتُ : قُضِيَ الَّذي كانَ ، ولا موتَ إلَّا بأجلٍ .

ولم يزلْ تمرُّ بيَ الأيَّامُ والنَّاسُ يتفقَّدونَني ويرحموني ممَّا أنا فيهِ ، حتَّىٰ مضَتْ سبعٌ وعشرونَ ليلةً ، فلمَّا كانَتْ ليلةُ الثَّامنِ والعشرينَ . . اتَّخذَ الدَّيْلَميُّ دعوةً عظيمةً ، أحضرَ فيها عامَّةَ وجوهِ قوَّادِ العَسْكَرِ ، وجلسَ معَهُم للشُّربِ ، فلمَّا كانَ نصفُ اللَّيلِ . . جاءَني السَّائسُ وقالَ : يا دقَّاقُ ؛ القائدُ قد أخذَتْهُ حُمّىً عظيمةٌ ، وقد تدثَّرَ بجميعِ ما في الدَّارِ ، ووقعَ عليهِ الغلمانُ فوقَ الثِّيابِ ، وهوَ ينتفضُ في الثِّيابِ نفضاً عظيماً ، وكانَ علىٰ حالتِهِ اليومَ الثَّامنَ والعشرينَ .

وأمسىٰ ليلةَ التَّاسعِ والعشرينَ ، ودخلَ السَّائسُ نصفَ اللَّيلِ ، وقالَ : يا دقَّاقُ ؛ ماتَ القائدُ ، وحلَّ عنِّيَ القيدَ .

فلمَّا أصبحْنا . . اجتمعَ النَّاسُ مِن كلِّ وجهٍ ، وجلسَ القوَّادُ للعزاءِ ، وأُخرجتُ أنا ، وكانَتْ قصَّتي مشهورةً ، واستعادونيها مِنَ الرَّأسِ ، فقصصتُها عليهِم ، فرجعَ جماعةٌ كبيرةٌ عن مذاهبِهِمُ الرَّديئةِ[1] .

حكايةٌ عظيمةٌ

[جزاءُ الطَّعنِ بالأصحابِ]

٩١٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ محمودٍ الشَّاهدَ بهَراةَ يقولُ : سمعتُ عبدَ الكريمِ بنَ محمَّدِ بنِ منصورٍ المَرْوَزيَّ يقولُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ المُعِزِّ بنِ محمَّدٍ الهَرَويِّ ، وغيرِهِ ، عن عبدِ الكريمِ بنِ محمَّدِ بنِ منصورٍ ، سمعتُ أبا المُعمَّرِ المُبارَكَ بنَ أحمدَ الأَزَجيَّ مِن لفظِهِ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ يوسفَ بنَ عليٍّ الزَّنْجانيَّ يقولُ : سمعتُ شيخَنا الإمامَ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ عليِّ بنِ يوسفَ الفِيرُوزاباذيَّ رحمَهُ اللهُ .

(ح) وحدَّثَنيهِ عالياً أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ إجازةً ، عن عبدِ الرَّحيمِ بنِ عبدِ الكريمِ السَّمْعانيِّ ، والمُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، عن أبي الأسعدِ هبةِ الرَّحمٰنِ القُشَيريِّ ، عنِ الشَّيخِ أبي إسحاقَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قالَ : سمعتُ أبا الطَّيِّبِ طاهرَ بنَ عبدِ اللهِ الطَّبَريَّ قالَ : كنَّا في حَلْقةِ النَّظرِ بجامعِ المنصورِ ، فجاءَ شابٌّ خُراسانيٌّ ، فسألَ

---

(١) أخرجه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢٣٧٣) .

عن مسألةِ المُصَرَّاةِ[1] ، فطالبَ بالدَّليلِ ، فاحتجَّ المُستدِلُّ بحديثِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ الواردِ فيها[2]

فقالَ الشَّابُّ ـ وكانَ حنفيّاً ـ : أبو هريرةَ غيرُ مقبولِ الحديثِ !!

قالَ القاضي : فما استتمَّ كلامَهُ حتَّىٰ سقطَتْ عليهِ حيَّةٌ عظيمةٌ مِن سقفِ الجامعِ ، فوثبَ النَّاسُ مِن أجلِها ، وهربَ الشَّابُّ مِن يدِها وهيَ تتبعُهُ ، فقيلَ لهُ : تُبْ تُبْ ، فقالَ : تبتُ ، فغابَتِ الحيَّةُ فلم يُرَ لها أثرٌ[3]

وهٰذهِ الحكايةُ وجدتُها بخطِّ الشَّيخِ أبي عمرٍو ابنِ الصَّلاحِ .

وقد أنبأَنيَ المُسنِدُ الشَّريفُ عزُّ الدِّينِ أبو الفتحِ موسى بنُ عليِّ بنِ أبي طالبِ الحسينيُّ المُوسَويُّ ، وغيرُهُ ، عنهُ قالَ : حدَّثَنيَ الشَّيخُ أبو المُظفَّرِ عبدُ الرَّحيمِ ابنُ السَّمْعانيِّ بسندَيهِ المُتقدِّمَينِ .

وقالَ الشَّيخُ أبو عمرٍو : إنَّ إسنادَها ثابتٌ ؛ فيهِ ثلاثةٌ مِن صالحي أئمَّةِ المسلمينَ : القاضي أبو الطَّيِّبِ ، وتلميذُهُ الشَّيخُ أبو إسحاقَ ، وتلميذُ الشَّيخِ أبي إسحاقَ أبو القاسمِ الزَّنْجانيُّ ، رحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ[4]

حكاية

[لوِ استودعتَها . . لوجدتَها]

٩١٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الفتوحِ داوودَ بنِ معمرِ الواعظِ بأصبهانَ ، عن أبي سعدٍ أحمدَ بنِ محمَّدٍ البغداديِّ قالَ : كتبَ إليَّ أبو عديٍّ محمَّدُ بنُ عليٍّ الأَبِيوَرْديُّ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ مِن لفظِهِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الخطيبُ السِّجْزيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ ، ثنا يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ

---

(١) المُصَرَّاة : النَّاقة أو البقرة أو الشَّاة الَّتي يُشَدُّ ضرعها ، فيحبس فيه اللَّبن ؛ ليُزاد في ثمنها .

(٢) أخرجه البخاري (٢١٥١) واللفظ له ، ومسلم (١٥٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال : « مَنِ ٱشْتَرَىٰ غَنَماً مُصَرَّاةً ، فَٱحْتَلَبَهَا ؛ فَإِنْ رَضِيَهَا . . أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ سَخِطَهَا . . فَفِي حَلْبَتِهَا صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ » .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (٩٣/١٠) ، وذكره الذهبيُّ في « سير أعلام النبلاء » (٦١٨/٢ ـ ٦١٩) وعزاه لأبي سعد السمعاني ، والدميريُّ في « حياة الحيوان الكبرىٰ » (١٧٩/٢ ـ ١٨٠) ، والسفيريُّ في « المجالس الوعظية » (٣٥٥/١ ـ ٣٥٦) وعزواه لابن النجار ، وقد تقدمت ضمن الخبر (٥٩٩) .

(٤) انظر « حياة الحيوان الكبرىٰ » للدميري (١٨٠/٢) .

محمودٍ الفقيهُ ، ثنا أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ الفضلِ الصَّيْدَلانيُّ ، ثنا أبو سهلٍ الفضلُ ابنُ أبي طالبٍ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ إسحاقَ العَطَّارُ ، عنِ العمريِّ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبيهِ قالَ : بينَما عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ جالسٌ يعرِضُ النَّاسَ . . إذا هوَ برجلٍ معَهُ ابنُهُ ، فقالَ لهُ : (ويحَكَ !! ما رأيتُ غراباً أشبهَ بغرابٍ منكَ بهٰذا) ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ، واللهِ ؛ ما ولدَتْهُ أُمُّهُ إلَّا وهيَ ميِّتةٌ ، فاستوىٰ عمرُ جالساً ، فقالَ لهُ : (حدِّثْني) .

فقالَ : نعم ، خرجتُ في غزاةٍ وأُمُّهُ حاملٌ بهِ ، فقالَتْ : أتخرجُ وتتركُني حاملاً مُثقِلةً ؟! فقلتُ : أستودعُ اللهَ ما في بطنِكِ .

فخرجتُ ثمَّ قدمتُ فإذا بابي مغلقٌ ، قلتُ : ما فعلَتْ فلانةُ ؟ قالوا : ماتَتْ ، قلتُ : إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، فانطلقتُ إلىٰ قبرِها فبكيتُ عندَها ورجعتُ ، فجلستُ معَ بني عمِّي ، فبينَما أنا كذٰلكَ . . إذِ ارتفعَتْ لي نارٌ مِن بينِ القبورِ ، فقلتُ لبني عمِّي : ما هٰذهِ النَّارُ ؟ قالوا : نرىٰ علىٰ قبرِ فلانةَ كلَّ ليلةٍ ناراً ، قلتُ : إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، أما واللهِ إن كانَتْ لصوَّامةً قوَّامةً عفيفةً مسلمةً ، انطلقوا بنا إليها .

فأخذتُ النَّاسَ ، فأتيتُ القبرَ فإذا القبرُ مفتوحٌ ، وإذا هٰذا يدورُ حولَها ، وإذا مُنادٍ يُنادي : أيُّها المُستودِعُ ربَّهُ وديعتَهُ ؛ خُذْ وديعتَكَ ، أما ـ واللهِ ـ لوِ استودعتَ أُمَّهُ . . لوجدتَها ، فأخذتُهُ وعادَ القبرُ كما كانَ واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ !!(١)

وأخبرَنيهِ عالياً أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ المُنعِمِ القَوَّاسُ ، وعبدُ الحافظِ بنُ بدرانَ ، وعائشةُ بنةُ المجدِ عيسى بنِ الشَّيخِ مُوفَّقِ الدِّينِ ابنِ قدامةَ إجازةً ، عن عبدِ الصَّمدِ بنِ محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ الأنصاريِّ الحرستانيِّ قالَ : أنا الفقيهُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ المالكيُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ ابنُ أبي الحديدِ قالَ : أنا جدِّي أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ السُّلَميُّ قالَ : ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ سهلٍ السَّامَرِّيُّ ، ثنا أبو قِلابةَ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الرَّقاشيُّ ، ثنا عبيدُ بنُ إسحاقَ الضَّبِّيُّ ، ثنا عاصمُ بنُ محمَّدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبيهِ . . . فذكرَهُ بنحوِهِ .

* *

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١٣٥) ، وانظر « المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ٢٨٣) ، وذكره الدميري في « حياة الحيوان الكبرىٰ » (٣/٢٨١ ـ ٢٨٢) وعزاه لابن النجار .

٩٢٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ محمَّدٍ البَزَّازُ قراءةً عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي البَزَّازِ قالَ : أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ ابنِ حسنونٍ النَّرْسيُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو سعدٍ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ الإسماعيليُّ إملاءً ، أنا أبو القاسمِ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ البغداديُّ ، أنا محمَّدُ بنُ الفضلِ قالَ : سمعتُ ابنَ جعفرٍ النُّهاوَنْديَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ ذا النُّونِ المصريَّ يقولُ : (النَّاسُ كلُّهُم موتىٰ إلَّا العلماءَ ، والعلماءُ كلُّهُم نيامٌ إلَّا العاملينَ ، والعاملونَ كلُّهُم مُغترُّونَ إلَّا المُخلِصينَ ، والمُخلِصونَ علىٰ خطرٍ عظيمٍ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾)[1]

نُكْتَةٌ

[في اجتماعِ ثلاثِ خاءاتٍ]

٩٢١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : حدَّثَني محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الأَزَجيُّ قالَ : حُكِيَ لي أنَّ المُستنجِدَ باللهِ[2] رأىٰ في المَنامِ قائلاً يقولُ لهُ : إذا اجتمعَتِ الخاءاتُ . . وليتَ الخلافةَ .

قالَ : فكتبَ في رقعةٍ : (إنَّ رجلاً رأىٰ في المَنامِ قائلاً يقولُ لهُ : إذا اجتمعَتِ الخاءاتُ . . نلتَ ما تُحِبُّ) ، وعرضَ الرُّقعةَ علىٰ جميعِ مُعبِّري الرُّؤيا ببغدادَ ، فلم يقدروا علىٰ تعبيرِها ، وبقيَ علىٰ ذٰلكَ إلىٰ سنةِ خمسٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، فتُوُفِّيَ والدُهُ ووليَ الخلافةَ ، فعلمَ حينئذٍ أنَّ الإشارةَ كانَتْ إلىٰ خاءِ خمسٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ؛ فذٰلكَ ثلاثُ خاءاتٍ[3]

* * *

٩٢٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ قالوا : أنبأَنا أبو الفرجِ ابنُ الجَوْزيِّ ـ قالَ ابنُ النَّجَّارِ : ونقلتُهُ مِن خطِّهِ ـ قالَ : قالَ ليَ الوزيرُ أبو المُظفَّرِ ابنُ هُبَيرةَ : حدَّثَنيَ الإمامُ المُستنجِدُ

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٤٥٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٤٢٩ ـ ٤٣٠) ، والآية من سورة (الأحزاب) : (٨) .

(٢) توفِّي أبو المظفَّر يوسف المُستنجِد بالله بن محمَّد المُقتفي لأمر الله بن أحمد المُستظهِر بالله في شعبان سنة ستٍّ وستِّين [وخمس مئة] ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ) ، وما بين معقوفين هنا زيادة للتَّوضيح .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٥/٣٥٠) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٩/٣٠٠ ـ ٣٠١) ، و« فوات الوفيات » للكتبي (٤/٣٥٩) .

باللهِ قالَ : رأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المَنامِ قبلَ موتِ والدي بأربعةِ أشهرٍ ، فدخلَ بي في بابٍ كبيرٍ ، ثمَّ ارتقيْنا إلىٰ رأسِ جبلٍ ، وصلَّىٰ بي ركعتَينِ ، وألْبَسَني قميصاً ، ثمَّ قالَ لي : « قُلِ : ٱللَّهُمَّ ؛ ٱهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ » (١)

٩٢٣ ـ قالَ (٢) : وحدَّثَنِي الوزيرُ أبو المُظفَّرِ ابنُ هُبَيرةَ قالَ : قالَ ليَ المُستنجِدُ : (بئسَ القاضي قاضٍ يحتاجُ أن يُوقِّعَ إليهِ باعتمادِ الشَّرعِ ، وهل قضَّيْناهُ إلَّا لاعتمادِ الشَّرعِ ؟!) .

حكاية ظريفة

[في حيلةِ ابنِ رأسِ البغلِ وحكمتِهِ]

٩٢٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ ابنُ الأخضرِ قراءةً عليهِ .

(ح) وأنبأَنيَ ابنُ وَرِّيدةَ ، عن أبي محمَّدٍ ابنِ الأخضرِ ، وغيرِهِ ، عن أبي البركاتِ عبدِ الوهَّابِ بنِ المُبارَكِ الأنماطيِّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ أبي نصرٍ الحُمَيديَّ يقولُ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ ، عنِ الحُمَيديِّ قالَ : حكىٰ لي بعضُ البغداديِّينَ ـ وهوَ أبو (٣) البركاتِ الدَّلَّالُ ـ أنَّ أهلَ الكُوفةِ وليَهُم مرَّةً والٍ أساءَ عشرتَهُم ، وأنَّهُم أزمعوا على الشَّكوىٰ بهِ والتَّظلُّمِ منهُ ، فاجتمعَتْ لذٰلكَ جماعتُهُم مُتشاوِرينَ ، فقالَ لهُم رجلٌ منهُم يُعرَفُ بابنِ رأسِ البغلِ : أنا أُنهي أمرَهُ إلى الخليفةِ ، وأكفيكُموهُ دونَ أن يَشْخَصَ واحدٌ منكُم ، وكانَ ذا حظٍّ مِنَ العلومِ لَسِناً ، ذا شيبةٍ حسنةٍ ، ولحيةٍ طويلةٍ ، ومنظرٍ بَهِيٍّ .

فخرجَ إلىٰ بغدادَ ، فقصدَ دارَ الخليفةِ ، وكانَ الخليفةُ إذ ذاكَ في مستنزهاتِهِ ولذَّاتِهِ لا يكادُ يُوصَلُ إليهِ ، فوجدَ جماعةً مِنَ الأساتيذِ علىٰ بابٍ مِنَ الأبوابِ يلعبونَ بالشِّطْرَنجِ ، فقعدَ معَهُم ، واختصَّ بأستاذٍ رأىٰ أنَّهُ أَوْجَهُهُم ، فلعبَ معَهُ ، فلمَّا فرغَ مِنَ اللَّعبِ . . وهبَ لهُ دنانيرَ كانَتْ معَهُ وانصرفَ ، فعجبَ الأستاذُ منهُ .

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (١٠/٤٤٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٩/٢٥٨) .
(٢) يعني : أبا الفرج ، عبد الرَّحمٰن بن عليّ ، ابن الجَوْزيّ ، المُتقدِّم ذِكْرُه .
(٣) (أبو) : مكررة في (أ) .

فلمَّا كانَ في يومٍ آخرَ . . رجعَ إليهِ وقعدَ ، فلمَّا فرغَ . . أخرجَ مِن كمِّهِ مُجمِّعاً ، فيهِ سكِّينٌ ومقصٌّ ودواةٌ في غايةِ الجمالِ تساوي جملةً ، فدفعَ ذٰلكَ إليهِ ، فأمسكَ ذٰلكَ الأستاذُ بيدِهِ ، وقالَ : تعالَ أَخبِرْني ، ما هبتُكَ هٰذا كلَّهُ إلَّا لمعنىً ؛ فما حاجتُكَ ؟ قالَ : رقعةٌ أُريدُ تُوصِلُها إلىٰ أميرِ المؤمنينَ .

فقالَ لهُ : أنا في هٰذا الموضعِ في أحدِ الأبوابِ ، وبيني وبينَ موضعِ أميرِ المؤمنينَ جملةُ بوَّابينَ ، لا تُمكِنُ رُتبتي تجاوزَهُم ، ولٰكنْ قد وجبَ عليَّ إرشادُكَ ، إنَّ تحتَ كلِّ طاقةٍ مِن طيقانِ القصرِ في النَّهرِ ـ يعني : دِجلةَ ـ طيَّاراً مُعَدّاً للإخبارِ ، والخليفةُ رُبَّما أطلَّ في السَّحَرِ على النَّهرِ ، فاستدِلَّ علىٰ أحدِ البحريِّينَ ، وادفعْ إليهِ شيئاً حتَّىٰ يجعلَكَ تبيتُ معَهُ في طيَّارٍ منها ، فإذا أحسستَ معَ الصَّباحِ بالخليفةِ . . فاذكرْ حاجتَكَ .

فقالَ : هٰذا الَّذي أردتُ ، ونهضَ فلم يزلْ يتلطَّفُ حتَّىٰ واقفَ أحدَ خَدَمةِ طيَّارٍ منها على المبيتِ عندَهُ بشيءٍ أرضاهُ بهِ ، ودخلَ ، فلمَّا قربَ الفجرُ . . توضَّأَ وانتظرَ حتَّىٰ سمعَ حركةً أيقنَ أنَّها للخليفةِ ، فصاحَ ، فأرادَ الخدمُ أن يرموهُ ، فسمعَ الخليفةَ يقولُ : أَمسِكوا عنهُ ، وقيلَ لهُ : ما حاجتُكَ ؟ فقالَ : رقعةٌ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فأمرَ بأَخْذِها منهُ ، وإذا معَ الخليفةِ وزيرٌ لهُ أو رجلٌ مكينٌ عندَهُ ، فسمعَهُ الشَّيخُ يقولُ للخليفةِ : هٰذا ـ واللهِ ـ شيخٌ أحمقُ ، ولحيتُهُ طويلةٌ ، فلو أمرتَهُ يصعدُ حتَّىٰ نتلهَّىٰ بهِ ونشتريَ منهُ لحيتَهُ .

فقالَ : اصعدوا بهِ ، فصعدَ الشَّيخُ وقد قرَّ في سمعِهِ ما قالَ ذٰلكَ الوزيرُ أو المُحتشِمُ ، فتأهَّبَ لهُ ، فلمَّا مثلَ بينَ يدَيِ الخليفةِ . . سلَّمَ وخدمَ ودعا ، فقالَ لهُ الخليفةُ أو واحدٌ مِن بينِ يدَيهِ : أتبيعُ لحيتَكَ أيُّها الشَّيخُ ؟ فقالَ : إي واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ، قالَ : بِكَم ؟ قالَ : بثلاثِ حوائجَ يا أميرَ المؤمنينَ ، فسُرَّ ذٰلكَ الوزيرُ أوِ المُحتشِمُ ، وقالَ جندٌ[1] : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أيشِ حوائجُ هٰذا ؟! رجلٌ ناءٍ صاحبُ صنعةٍ أيشِ حوائجُهُ ؟! فقالَ : قدِ اشتريْناها منكَ بذٰلكَ ، فقالَ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ تحلفُ لي باللهِ ، وبقرابتِكَ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبجدِّكَ العبَّاسِ ؛ لتقضيَنَّها لي قبلَ ذٰلكَ ؟ أو قالَ : على الوفاءِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أو كما قالَ .

---

(١) (جند) : كذا في (أ) دون نقطٍ ، وفي « التذكرة البلقينية » : (حسبك) .

قالَ : نعم ، هاتِ ما أَوّلُ حوائجِكَ ؟ قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ عاملُ الكُوفةِ تعزلُهُ عنَّا ؛ فقدِ اهتضمَ ضعيفَنا ، واحتقرَ كبيرَنا ، وأساءَ عشرتَنا .

قالَ : قد عزلْناهُ عنكُمُ ، اكتبوا لهُ ، قالَ : والأُخرىٰ ؟

قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ تحلقُ لحيةَ هٰذا الرَّجلِ ، قالَ : اذكرْ غيرَ هٰذا ، قالَ : لا غيرَ هٰذا يا أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ الوزيرُ : ما الحيلةُ ؟ فقالَ الخليفةُ : ما الحيلةُ وقد حلفتُ واشترطتُ الوفاءَ ؟ أو كما قالَ .

فوردَ على الوزيرِ المُقيمُ المُقعِدُ[1] ، وقالَ لهُ : يا شيخُ ؛ اتَّقِ اللهَ ، خُذْ عشرةَ آلافٍ ودَعْ هٰذا ، قالَ : لا واللهِ ولا مئةَ ألفٍ ، فإنِّي مُستغنٍ عنها بحَمْدِ اللهِ ، ولا غرضَ لي غيرَ ما طلبتُ ، فقالَ أميرُ المؤمنينَ : لا حيلةَ ؛ قد حلفتُ ، فهاتوا مُزيّناً ، فجاءَ فحُلِقَتْ لحيةُ ذٰلكَ الوزيرِ .

فقالَ الخليفةُ للشَّيخِ : هِيهِ الثَّالثةَ ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أنا مِن أهلِ القرآنِ ، وذو شيبةٍ في الإسلامِ ، ومثلُ أميرِ المؤمنينَ يُراعي إكرامَ ذي الشَّيبةِ المسلمِ ، فحاجتي أن يصونَها أميرُ المؤمنينَ عنِ الامتهانِ بالحلقِ ، قالَ : قد فعلْنا ذٰلكَ ، انصرفْ راشداً .

قالَ : فخرجَ سالماً وهوَ يسمعُ الخليفةَ يقولُ لذٰلكَ الوزيرِ : مَنِ الأحمقُ السَّاعةَ ؟ مَن حُلِقَتْ لحيتُهُ ؟ أو مَن قُضِيَتْ حاجتُهُ ، وسَلِمَتْ لحيتُهُ ، وتمَّتْ في الباغي عليهِ أُمْنِيَّتُهُ ؟[2]

فائدة

[في قراءةِ (والضُّحىٰ)]

٩٢٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ[3] : كتبَ إليَّ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ معمرٍ الأصبهانيُّ : أنَّ أبا غالبٍ محمَّدَ بنَ إبراهيمَ الصَّيْقَليَّ أخبرَهُ قالَ : ثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ الأصبهانيُّ ، أنا عمرُ بنُ أبي الحسنِ أبو محمَّدٍ ، أنا المُظفَّرُ بنُ الحسينِ الغَزْنَويُّ ، أنا أبو بكرٍ الأصبهانيُّ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ إسماعيلَ النَّسَفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا يعلىٰ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ

---

(١) يُقال : أخذه المُقيمُ المُقعِدُ ؛ أي : الهَمُّ القريب والبعيد الَّذي يُقلِق صاحبَه فلا يستقرُّ ، بل يقوم ويقعد بسببه .

(٢) انظر « التذكرة البلقينية » (١٠١) .

(٣) (قال) : في (أ) مكررة .

الأصبهانيَّ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ الشُّموميَّ بمكَّةَ يقولُ : ما افتقدتُ شيئاً قطُّ ، فقرأتُ (والضُّحىٰ) إلَّا وجدتُهُ .

قالَ أبو جعفرٍ : جرَّبتُهُ فوجدتُهُ كذٰلكَ (١)

قالَ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ : أبو يعلىٰ هٰذا ليسَ بالمَوْصِليِّ (٢)

* * *

٩٢٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا سليمانُ وعليٌّ ابنا محمَّدِ بنِ عليٍّ المَوْصِليِّ قالا : أنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ النَّيْسابوريُّ ـ قدمَ علينا ـ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ أبي صادقٍ الحِيريُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ باكويهِ الشِّيرازيُّ ، ثنا المُفيدُ ، ثنا أبو حامدٍ النَّهْروانيُّ ، ثنا البُرْجُلانيُّ (٣) قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ البَراثيَّ يقولُ (٤) : (حملَتْنا المطامعُ علىٰ أسوأَ الصَّنائعِ ، نَذِلُّ لمَن لا يقدرُ علىٰ ضرٍّ ولا نفعٍ ، ونخضعُ لمَن لا يملكُ رزقاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، فكيفَ أزعمُ أنِّي أعرفُ ربِّي حقَّ معرفتِهِ وأنا أصنعُ ذٰلكَ ؟! هيهاتَ هيهاتَ !!) (٥)

حكاية

[مَكرُمةٌ لا تُشترىٰ بمئةِ ألفٍ]

٩٢٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا يحيى بنُ أسعدَ التَّاجرُ ، أنا ثعلبُ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ السَّرَّاجُ قراءةً عليهِ ، عن أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ يحيى المُزكِّي ، أنا أبو عبدِ الرَّحمٰنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ ، ثنا أبو الحسنِ ابنُ مِقْسَمٍ المُقرِئُ ، ثنا أبو الحسنِ الكاتبُ العاقوليُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يزيدَ المُبرِّدُ قالَ : ذُكِرَ لي أنَّ رجلاً مِنَ العربِ كانَتْ لهُ جاريةٌ ، وكانَ بها مُعجَباً ، وكانَ مُوسِراً ، فأنفقَ عليها مالَهُ حتَّىٰ ذهبَ ما في يدِهِ ، فكانَ يأتي إخوانَهُ ، يسألُهُم وينفقُ عليها ، فبلغَها ذٰلكَ فقالَتْ : لا تفعلْ ، ولٰكنْ بِعْني ؛ فلعلَّ اللهَ تعالىٰ يرزقُنا اجتماعاً .

---

(١) انظر « المحاضرات والمحاورات » للجلال السيوطي (ص ٣٦٨) .

(٢) وهو عبد المؤمن بن خلف ، أبو يعلى ، الحافظ التَّميميُّ النَّسَفيُّ ، المتوفَّىٰ سنة (٣٤٦هـ) . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٤٨٠) .

(٣) البُرْجُلاني ـ بضمِّ الباء والجيم وسكون الرَّاء ـ : كذا الصَّواب نسبة إلىٰ (بُرْجُلان) ، وهي قرية من قرىٰ واسِط ، ذكرها أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (١/ ٣١٠) ، وغيرُهُ ، وضبطت في (أ) بفتح الباء .

(٤) البَراثي : نسبة إلىٰ (بَراثا) ، وهو موضع ببغداد متَّصل بالكَرْخ . « الأنساب » (١/ ٣٠٣) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/ ٣٢٣) ، وانظر « صفة الصفوة » (٢/ ٢٣٥) .

فخرجَ بها إلىٰ عمرَ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ معمرٍ ـ وكانَ عاملَ فارسَ ـ فعرضَها عليهِ ، فأعجبَتْهُ ، فقالَ لهُ : بِكَم ؟ قالَ : بمئةِ ألفِ درهمٍ ، وهيَ خيرٌ مِن ذٰلكَ ، فأخذَها بذٰلكَ .

فلمَّا دفعَ المالَ وقبضَهُ الرَّجلُ وأرادَ أن يخرجَ . . أنشأَتِ الجاريةُ تقولُ : [من الطويل]

هَنِيئاً لَكَ ٱلْمَالُ ٱلَّذِي قَدْ قَبَضْتَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ فِي كَفَّيَّ إِلَّا تَذَكُّرِي

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ جَاشَتْ بِمُقْلَتِي : ... أَقِلِّي فَقَدْ بَانَ ٱلْحَبِيبُ أَوِ ٱكْثِرِي

أَؤُوبُ بِهَمٍّ فِي ٱلْفُؤَادِ مُبَرِّحٍ ... أُنَاجِي بِهِ قَلْباً طَوِيلَ ٱلتَّفَكُّرِ

فنظرَ إليها ثمَّ بكىٰ ، وأنشأَ يقولُ : [من الطويل]

فَلَوْلَا قُعُودُ ٱلدَّهْرِ بِي عَنْكِ لَمْ يَكُنْ ... [يُفَرِّقُنَا][(١)] شَيْءٌ سِوَى ٱلْمَوْتِ فَٱعْذُرِي

أَرُوحُ بِحُزْنٍ مِنْ فِرَاقِكِ مُوجِعٍ ... أُنَاجِي بِهِ قَلْباً كَثِيرَ ٱلتَّفَكُّرِ

عَلَيْكِ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَا ... وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱبْنُ مَعْمَرِ

فقالَ عمرُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ معمرٍ : فقد شئتُ ، فخُذْها والمالُ لكَ ، فانصرفَ ومعَهُ الجاريةُ ومئةُ ألفِ درهمٍ ، وعادَ إلى السُّرورِ .

فقالَ عمرُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ معمرٍ : واللهِ ؛ لا تُشترىٰ بمئةِ ألفِ درهمٍ مَكرُمةٌ فوقَ هٰذهِ ؛ أن يجمعَ الإنسانُ بينَ مُتحابَّينِ حلالاً ، ويُخلِّصَهُما مِن غَمِّ الفراقِ[(٢)] .

نُكْتَةٌ

[في هَمِّ اليومِ والغدِ]

٩٢٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أحمدَ بنِ محمودٍ الصَّالحانيِّ بأصبهانَ ، عن أبي سعدٍ أحمدَ بنِ محمَّدٍ البغداديِّ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ القاسمُ بنُ الفضلِ بنِ أحمدَ الثَّقفيُّ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو أحمدَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ [الكَرَجيُّ][(٣)] ، ثنا أبو العبَّاسِ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (تفرقنا) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (١٦/٥٧٥٣) ، والسلمي في « الفتوة » (ص ٨٨ ـ ٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٢٩٤ ـ ٢٩٥) ، وانظر « العقد الفريد » (١/٣٠٠ ـ ٣٠١) ، و« الفرج بعد الشدة » للتنوخي (٤/٣٢٨ ـ ٣٣٠) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/٣٤٧ ـ ٣٤٨) ، و« نور القبس » لليغموري (ص ١٩٧ ـ ١٩٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٦/١٦٣) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ) : (الكرخي) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢٨/٢٩٨) .

أحمدُ بنُ عبيدِ اللهِ ابنِ شابورٍ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ البغداديَّ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ العبَّاسيَّ ـ ولهُ مئةٌ وأربعةَ عشرَ سنةً ، وكانَ أُمِّياً ـ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحواري يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ الدَّارانيَّ يقولُ : (لا تجمعْ علىٰ نفسِكَ هَمَّ يومِكَ وهَمَّ غدٍ ؛ حَسْبُ كلِّ يومٍ هَمُّهُ) (١)

* * *

٩٢٩ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو الحسنِ البغداديُّ قالَ : سمعتُ عبدَ الرَّحمـٰنِ ابنَ رِشْدِينٍ يقولُ : سمعتُ ابنَ المُقرئِ يقولُ : سمعتُ ابنَ عُيَينةَ يقولُ : (مَن عصى اللهَ شهوةً . . فـٱرْجُ لهُ التَّوبةَ ، ومَن عصاهُ كِبراً . . فٱخْشَ عليهِ اللَّعنةَ ؛ فإنَّ إبليسَ عصىٰ كِبراً فلُعِنَ) (٢)

ورويتُ معنىٰ هـٰذا عن قولِ ابنِ عبَّاسٍ بإسنادٍ لا يحضرُني (٣)

حكاية

[نشدتُكَ اللهَ ؛ إلَّا ألحقتَني بهِ]

٩٣٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا يوسفُ بنُ المُبارَكِ بنِ كاملٍ ، عن محمَّدِ بنِ أبي طاهرٍ الحاسبِ قالَ : أنا القاضي أبو يعلى ابنُ الفَرَّاءِ إذناً ، عن إبراهيمَ بنِ مخلدٍ الباقَرْحيِّ : أنَّ أبا الفرجِ عليَّ بنَ الحسينِ الأصبهانيَّ أخبرَهُ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، وغيرِهِ ، عن أبي بكرِ بنِ أبي طاهرٍ الأنصاريِّ ، عن أبي القاسمِ عليِّ بنِ المُحسِّنِ التَّنُوخيِّ ، عن أبيهِ ، عن أبي الفرجِ الأصبهانيِّ قالَ : حدَّثَني جعفرُ بنُ قدامةَ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مالكٍ الخُزاعيُّ قالَ : سمعتُ مسروراً الكبيرَ يُحدِّثُ أبي قالَ : لمَّا أمرَنيَ الرَّشيدُ بقتلِ جعفرِ بنِ يحيىٰ . . دخلتُ عليهِ وعندَهُ الأعمى المُغنِّي الطُّنْبُوريُّ يُغنِّيهِ (٤) : [من الوافر]

---

(١) انظر « أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٤٦٦) عن الحسن البصري ، و« تاريخ دمشق » (٦٨/٦٠) عن عيسى ابن مريم عليه السلام .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/٢٧٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٨٦٧) ، وانظر « تهذيب الكمال » (١١/١٩١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/٤٦١) ، و« التذكرة البلقينية » (١٠٤) .

(٣) في « التذكرة البلقينية » (١٠٥) : (رُوِيَ معنىٰ هـٰذا عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما ، ولفظُهُ : « ما مِن ذنبٍ إلَّا وأرجو لصاحبِهِ التَّوبةَ إلَّا الكِبْرَ ؛ فإنَّني أخشىٰ علىٰ صاحبِهِ الطَّردَ واللَّعنَ ؛ لأنَّ إبليسَ تكبَّرَ فطُرِدَ فلُعِنَ ») .

(٤) لكثيِّر عزَّة كما في « ديوانه » (ص ٢٢٢) .

فَـلَا تَـبْـعَـدْ فَـكُـلُّ فَـتـىً سَـيَـأْتِـي عَـلَـيْـهِ ٱلْـمَـوْتُ يَـطْـرُقُ أَوْ يُـغَـادِي [1]

فقلتُ لهُ : في هٰذا ـ واللهِ ـ أتيتُكَ ، ثمَّ أخذتُ بيدِهِ ، فأقمتُهُ وأمرتُ بضربِ رقبتِهِ ، فقالَ الأعمى المُغنِّي : نشدتُكَ اللهَ ؛ إلَّا ألحقتَني بهِ !! فقلتُ : وما رغبتُكَ في ذٰلكَ ؟ فقالَ : إنَّهُ أغناني عمَّن سواهُ بإحسانِهِ ؛ فما أُحِبُّ أن أبقىٰ بعدَهُ ، فقلتُ : أستأمرُ أميرَ المؤمنينَ في ذٰلكَ .

فلمَّا أتيتُ الرَّشيدَ برأسِ جعفرٍ . . أخبرتُهُ بقصَّةِ الأعمىٰ ، فقالَ : هٰذا رجلٌ فيهِ مُصطنَعٌ ؛ فاضممْهُ إليكَ ، وانظرْ إلىٰ ما كانَ جعفرٌ يُجريهِ عليهِ ، فأَقِمْهُ لهُ [2]

حكاية

[خواطرُ قلبي كلُّهُنَّ همومُ]

٩٣١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو أحمدَ داوودُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ابنُ المُسْلِمةِ قالَ : أنا أبو الفرجِ المُبارَكُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنُ النَّقُّورِ الشَّاهدُ قالَ : حكىٰ لي أبو السَّعاداتِ الصُّوفيُّ ـ صديقٌ كانَ لي ، وكانَ كثيرَ الصُّحبةِ للمشايخِ ، وافرَ الحفظِ للحكاياتِ ـ قالَ : دخلتُ البِيمارِستانَ معَ رفيقٍ لي ، فوقفْنا علىٰ شابٍّ ظريفٍ نظيفٍ ، فجعلْنا نُداعِبُهُ ، وكانَ عندَهُ مشمومُ طيبٍ ، وبينَ يدَيهِ طعامٌ حسنٌ ، فقلتُ لهُ : لو صحَّ لي مثلُ هٰذا . . تجانَنْتُ .

فقالَ لي : باللهِ ؛ خلِّ عنِّي ؛ فإنِّي مهمومٌ .

فأنشدتُ [3] : [من الطويل]

وَلَـوْ كَـانَ هَـمِّـي وَاحِـداً لَأَطَّـرَحْـتُـهُ خَـوَاطِـرُ قَـلْـبِـي كُـلُّـهُـنَّ هُـمُـومُ

فنظرَ إليَّ وقالَ : احفظْ عنِّي ، ثمَّ صبرَ هنيهةً مُطرِقاً ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ ، فأنشدَني :

---

(١) تَبْعَد : تهلك ، وبعده في « الأغاني » :

وَكُـلُّ ذَخِـيـرَةٍ لَا بُـدَّ يَـوْمـاً وَإِنْ بَـقِـيَـتْ تَـصِـيـرُ إِلَـىٰ نَـفَـادِ

وَلَـوْ يُـفْـدَىٰ مِـنَ ٱلْـحَـدَثَـانِ شَـيْءٌ فَـدَيْـتُـكَ بِـٱلْـطَّـرِيـفِ وَبِـٱلـتِّـلَادِ

(٢) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (٢٦٦٧/٧) ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٧٤/٧ ـ ٧٥) ، وانظر « التذكرة الحمدونية » (٢١/٣) .

(٣) البيت لابن الرومي في « التذكرة الحمدونية » (٧٢/٥) .

أَقُولُ لِعُذَّالِي عَلَىٰ مَنْ أُحِبُّهُ ... وَلِلْوَجْدِ عِنْدِي مُقْعِدٌ وَمُقِيمُ
رُوَيْدَكُمْ لَوْ بَعْضَ مَا بِي لَقِيتُمْ ... لَأَيْقَنْتُمْ أَنَّ ٱلْمَلَامَةَ لُومُ
وَلَوْ كَانَ هَمِّي وَاحِداً لَأَطَّرَحْتُهُ ... خَوَاطِرُ قَلْبِي كُلُّهُنَّ هُمُومُ

حكاية

[عيالي عيالُ اللهِ]

٩٣٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ في كتابِ أبي عليِّ الحسنِ بنِ أحمدَ ابنِ البَنَّاءِ بخطِّهِ قالَ : أنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ العُكْبَرِيُّ الضَّريرُ قالَ : ثنا أبو سعيدٍ الكَرابيسيُّ ـ خُراسانيٌّ نزلَ بدَرْبِ عبدةَ ، وكانَ رجلاً مُوسِراً ، أنفقَ جميعَ مالِهِ على العلمِ حتَّىٰ لم يبقَ معَهُ شيءٌ ـ فقالَ لي : كنتُ في بعضِ اللَّيالي قد بقيتُ بلا شيءٍ يُؤكَلُ ولا يُشرَبُ ، حتَّىٰ هممتُ أن أُخرِجَ عجوزَينِ في داري ليسترزقا اللهَ عزَّ وجلَّ .

فبينَما أنا أنسخُ في اللَّيلِ مُستنِداً ، فحملَتْني عيناي ، فتمثَّلَ لي شخصٌ قائماً بإزائي ، فقالَ : يا أبا سعيدٍ ؛ قلْ [١] : [من الطويل]

عِيَالِي عِيَالُ ٱللهِ يَأْتِي عَلَىٰ يَدِي ... بِأَرْزَاقِهِمْ جُوداً بِهَا وَتَكَرُّمَا
وَلَوْلَايَ كَانَ ٱللهُ يَأْتِي بِرِزْقِهِمْ ... عَلَىٰ يَدِ غَيْرِي بِٱلْعَفَافِ مُسَلَّمَا
فَلَا تُضْجِرَنَّ ٱلْمَرْءَ كَثْرَةُ أَهْلِهِ ... فَإِنَّ لِكُلِّ ٱلْخَلْقِ رِزْقاً مُقَسَّمَا

فأصبحتُ فرأيتُ ببابِ داري شخصاً مِن جهةِ فخرِ الملكِ ، فذهبتُ إليهِ فقرَّبَني ورحَّبَ بي ، وأطلقَ لي مِنَ المالِ والثِّيابِ والطَّعامِ ما استغنيتُ بهِ [٢] .

نكتة جيدة

[في غايةِ إساءةِ الكريمِ وإحسانِ اللَّئيمِ]

٩٣٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ الأَزَجيُّ ، عن أبي الرَّجاءِ ابنِ الكِسائيِّ قالَ : كتبَ إليَّ أبو نصرٍ الشِّيرازيُّ قالَ : سمعتُ الأستاذَ أبا سعيدٍ الشِّيرازيَّ الفِيرُوزاباذيَّ

---

(١) عُنْوِنَ ها هنا في هامش (أ) بـ : (فائدة) .

(٢) انظر « التذكرة البلقينية » (١٠٦) .

يقولُ : سمعتُ قاضيَ القضاةِ أبا سعدٍ بشرَ بنَ الحسينِ بنِ مسلمٍ الدَّاووديَّ يقولُ ويذكرُ عن بعضِ مشيختِهِ أَنَّهُ قالَ : (غايةُ إساءةِ الكريمِ مَنْعُهُ إحسانَهُ ، وغايةُ إحسانِ اللَّئيمِ مَنْعُهُ إساءتَهُ) (١)

*

٩٣٤ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ الأَزَجيُّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيِّ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ البَرْمَكيُّ إذناً قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الأَرَّجانيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أيُّوبَ الأصبهانيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ التَّميميُّ ، ثنا أبو طالبٍ البغداديُّ ، ثنا إسماعيلُ بنُ مسلمٍ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ سعيدِ بنِ الأسودِ ، ثنا بشيرُ بنُ سلامٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ خُبَيقٍ قالَ : حدَّثَني رجلٌ مِن عبدِ القيسِ قالَ : كانَ فينا رجلٌ مُتعبِّدٌ ، فماتَ ، فلمَّا خُرِجَ بجِنازتِهِ . . خرجَتِ امرأةٌ مِن أهلِهِ تندبُهُ ، وهيَ تقولُ : [من السريع]

يَا قَائِمَ ٱللَّيْلِ طَوِيلَ ٱلصِّيَامْ ... يَا دَائِمَ ٱلْحُزْنِ كَثِيرَ ٱلسِّجَامْ

مِنْ جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ وَدَارِ ٱلسَّلَامْ ... [أَبَاحَكَ ٱلْإِلَـٰهُ] (٢) مَا تَشْتَهِي

فأبكَتْ أهلَ الجِنازةِ .

نُكتةٌ

[في صلواتٍ بوضوءٍ واحدٍ]

٩٣٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو المكارمِ أحمدُ بنُ محمَّدٍ الشَّاهدُ الأصبهانيُّ .

(ح) وأُخبِرتُ عنِ الشَّيخِ نجيبِ الدِّينِ الحَرَّانيِّ سماعاً ، عن أبي المكارمِ قالَ : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ الحَدَّادُ قراءةً عليهِ ، أنا أبو نُعَيمٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، أنا إسحاقُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ ، أنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ بنِ خالدٍ الهِسِنْجانيُّ (٣) ، ثنا أحمدُ بنُ أبي الحواري الدِّمشقيُّ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الجَرْجَرائيَّ يُحدِّثُ أبا سليمانَ قالَ : (صلَّىٰ إبراهيمُ بنُ أدهمَ خمسةَ عشرَ صلاةً بوضوءٍ واحدٍ !!) (٤)

---

(١) أخرجه ابن دريد في « الفوائد والأخبار » (٢٥) عن والد العتبي بنحوه ، وانظر « نثر الدر » للآبي (٤/١٦٠) بلا نسبة ، و« ربيع الأبرار » (٤/٦٠٩) بلا نسبة ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/٢١٧) عن أعرابي .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (أباحك الله) ، والمثبت لضرورة الوزن .

(٣) الهِسِنْجاني : نسبة إلىٰ (هِسِنْجان) ، وهي قرية من قرى الرَّيِّ . « الأنساب » (٥/٦٤٢) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٢٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٣٠١) ، وانظر « سير السلف ←

حكاية

[نصرانيٌّ يُكرِمُ أربعينَ صوفيّاً]

٩٣٦ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي القاسمِ الحسينِ بنِ هبةِ اللهِ التَّغلبيِّ بدِمشقَ ، عن أبي الحجَّاجِ يوسفَ بنِ محمَّدِ بنِ مُقلِّدٍ الجُماهريِّ قالَ : سمعتُ أبا الفضلِ محمَّدَ بنَ أبي محمَّدٍ ابنَ الشَّهْرَزُوريِّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ بنَ أبي الفضلِ الصُّوفيَّ الَّذي كانَ يخدمُ برباطِ البِسْطاميِّ قالَ : كنتُ سائراً ومعي أربعونَ صوفيّاً في شبيبتي للزِّيارةِ ، فقُطِعَ علينا الطَّريقُ ، وجُرِّدْنا مِن ثيابِنا ، ودخلْنا المَوْصِلَ وليسَ علينا شيءٌ نتوارىٰ بهِ ، فدخلْنا ليلاً ، فنزلْنا في بعضِ المساجدِ ، فخرجتُ أتحيَّلُ لهُم في ملبوسٍ ومأكولٍ ، فوقعَ بصري علىٰ صبيٍّ مليحٍ عَطَّارٍ ، فجئتُ إليهِ ، فقلتُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱطْلُبُوا ٱلْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ ٱلْوُجُوهِ »[١] ؛ وأنتَ مليحُ الوجهِ ، هل لكَ أن تُساعِدَنا بالدِّينِ ؟ فنحنُ أربعونَ صوفيّاً في هٰذا المسجدِ قد قُطِعَ علينا الطَّريقُ ، فتشتري لنا كسوةً ، وتُنفِقُ علينا إلىٰ أن نُحصِّلَ لكَ ذٰلكَ ؛ فإنَّ أهلَ البلدِ يعرفونَنا .

فقالَ : نعم ، فاشترىٰ لنا كسوةً ، وصارَ يُنفِقُ علينا كلَّ يومٍ إلىٰ أنِ اجتمعَ لهُ نحوٌ مِن خمسينَ ديناراً ، فحصَّلتُ أنا زائداً علىٰ ذٰلكَ ، وجئتُ إليهِ ، وقلتُ : الحسابَ ؛ فإنَّا قد حصَّلْنا مالَكَ ، فقالَ : امضِ حتَّىٰ أحسبَ أنا ، قالَ : فمضيتُ وعدتُ إليهِ ، فقالَ : قد بقيَ لكم عليَّ ثلاثةُ دنانيرَ !!

فقلتُ : لا تفعلْ يا ولدي ، خُذْ مالَكَ ، فقالَ : يا شيخُ ؛ ما لي عليكم مِنَّةٌ ، هٰذا حقُّكُم ، قالَ : ودفعَ إليَّ ثلاثةَ دنانيرَ ، قالَ : فلمَّا انصرفتُ عنهُ . . سألتُ عن حالِهِ ، فقيلَ لي : إنَّهُ نصرانيٌّ ، قالَ : فجئتُ أَعْلَمْتُ أصحابَنا ، قالَ : فبكَوا ساعةً ، وأحرموا للحجِّ ، قالَ : فحججْنا تلكَ السَّنةَ ، وسألْنا اللهَ عزَّ وجلَّ لهُ الهدايةَ .

قالَ : ثمَّ رجعتُ وقلبي مُتعلِّقٌ بهِ ، فجئتُ المَوْصِلَ ، فسألتُ عنهُ ، فقيلَ : إنَّهُ ماتَ وعندَ وفاتِهِ أحضرَ رجلَينِ مِنَ المسلمينَ العدولِ ، وقالَ لهُمْ : اشهدوا عليَّ أنِّي مسلمٌ ، وأنا

← الصالحين » لقوام السنة (٣/٩٧٣) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٤٦) ، و« المنتظم » (٥/٢٨٦) ، و« وفيات الأعيان » (١/٣٢) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠/٥٧) .

(١) أخرجه أحمد ابن حنبل في « فضائل الصحابة » (١٢٤٦) ، وأبو يعلى الموصلي في « مسنده » (٤٧٥٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٦٣) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ ، تولَّوني وصلُّوا عليَّ ، وادفنوني في مقابرِ المسلمينَ ، وبعدَ ساعةٍ ماتَ ، رحمَهُ اللهُ .

قالَ : فطابَ قلبي لمَّا ماتَ على الإسلامِ (١) .

نُكتةٌ عجيبةٌ

[في إفحامِ عمرِو بنِ عبيدٍ المُعتزليّ]

٩٣٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ في كتابِ نصرِ بنِ ناصرِ بنِ نصرٍ المَراغيّ بخطِّهِ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ ابنَ فُورانَ ـ يعني : الواعظَ ـ بمدينةِ السَّلامِ في المدرسةِ على الكرسيِّ يقولُ : كانَ عمرُو بنُ عبيدٍ في سفينةٍ ، فاجتمعَ معَهُ فيها رجلٌ مِنَ المجوسِ ، فقالَ لهُ عمرٌو : يا هـٰذا ؛ أَسلِمْ ، فقالَ : لو أرادَ اللهُ تعالىٰ . . لأسلمتُ .

فقالَ : هوَ يُريدُ ، لـٰكنَّ إبليسَ لا يُريدُ .

فقالَ المجوسيُّ : فإذاً أكونُ معَ الشَّريكِ القويِّ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ إذا أرادَ ولم يكنْ وإبليسَ لا يُريدُ ويكونُ . . فإرادةُ إبليسَ تكونُ أقوىٰ (٢) .

نُكتةٌ

[في صنوفِ الأيدي]

٩٣٨ ـ وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ قالَ : كتبَ إليَّ أبو المُظفَّرِ ابنُ القُشَيريِّ : أنَّ حميدَ بنَ المأمونِ أخبرَهُ قالَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ الشِّيرازيُّ الحافظُ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ بكرٍ ، ثنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السَّرْخَسيُّ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ بنَ المُحتسِبِ ببغدادَ يقولُ : ثنا أحمدُ بنُ الحارثِ ، عن أبي الحسنِ المدائنيِّ قالَ : (قالَ أعرابيٌّ : الأيادي ثلاثٌ : يدٌ بيضاءُ ؛ وهيَ الابتداءُ بالمعروفِ ، ويدٌ خضراءُ ؛ وهيَ المكافأةُ بالمعروفِ ، ويدٌ سوداءُ ؛ وهيَ المنُّ بالمعروفِ) (٣) .

---

(١) انظر « التذكرة البلقينية » (١٠٧) .

(٢) انظر « التذكرة البلقينية » (١٠٨) .

(٣) انظر القول في « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٥/٦٠) ، و« مجمع الأمثال » (٣/٧٠٣) ، و« ربيع الأبرار » (٤/٥٧٨) ، و« سفط الملح » لابن الدجاجي (ص ٣١) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٩٨٠) .

وأنشدَ [1] : [من البسيط]

وَصَاحِبٍ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَيَّ يَدٌ ... أَبْطَتْ عَلَيْهِ مُكَافَاتِي فَعَادَانِي

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ ٱلدَّهْرَ حَارَبَنِي ... أَبْدَى ٱلنَّدَامَةَ مِمَّا كَانَ أَوْلَانِي

أَفْسَدْتَ بِٱلْمَنِّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ نِعَمٍ ... لَيْسَ ٱلْجَوَادُ إِذَا أَعْطَىٰ بِمَنَّانِ

حكاية

[مِن توكُّلِ المُتعبِّدينَ]

٩٣٩ ـ وأُنبِئتُ عن أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ محمودٍ المُؤرِّخِ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وزيدِ بنِ الحسنِ النَّحْويِّ قالا : أنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الشَّيْبانيُّ قالَ : أنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ قالَ : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبي الحسنِ القَرْمِيسِينيُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ الهَمَذانيُّ بمكَّةَ ، ثنا عثمانُ بنُ الحسينِ ، ثنا أبو القاسمِ الحَرْبيُّ الحَذَّاءُ ، حدَّثني أبو إبراهيمَ الزُّهريُّ قالَ : كنتُ جائياً مِنَ المَصِّيصةِ ، فمررتُ باللُّكَّامِ ، فأحببتُ أن أراهُم ـ يعني : المُتعبِّدينَ هناكَ ـ فقصدتُهم ، ووافيتُ صلاةَ الظُّهرِ ، قالَ : وأحسبُهُ رآني فيهِم إنسانٌ عرفَني ، فقلتُ لهُ : فيكُم رجلٌ تدلُّوني عليهِ ؟ فقالوا : هٰذا الشَّيخُ الَّذي يُصلِّي بنا .

فحضرتُ معَهُم صلاةَ الظُّهرِ والعصرِ ، فقالَ لهُ ذٰلكَ الرَّجلُ : هٰذا مِن ولدِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عوفٍ ، وجدُّهُ أبو أُمِّهِ سعدُ بنُ مُعاذٍ ، قالَ : فبَشَّ بي وسلَّمَ عليَّ كأنَّهُ كانَ يعرفُني .

قالَ : فقلتُ لهُ : مِن أينَ تأكلُ ؟ فقالَ لي : أنتَ مُقيمٌ عندَنا ؟ قلتُ : أمَّا اللَّيلةَ . . فأنا عندَكُم .

قالَ : ثمَّ مضيتُ معَهُ ، فجعلَ يُحدِّثُني ويُؤانِسُني حتَّىٰ إذا جاءَ إلىٰ كهفِ جبلٍ ،

---

(١) الأبيات في « الكشف والبيان » للثعلبي (٢/٢٦٠) ونَسَبَ الأوَّلَين إلىٰ أبي علي البصري ، وفي « الصداقة والصديق » للتوحيدي (ص١٨٢) ، و« الجامع لأحكام القرآن » (٣/٣١١) ، والبيت الثالث في « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٣/١٧٧) ، و« الزاهر في معاني كلمات الناس » لابن الأنباري (٢/٣٤٤) ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٢٠٤) ، وهو بيت سيَّار .

فقعدتُ ودخلَ ، فأخرجَ قَعْباً يسعُ رَطلاً ونصفاً قد أتىٰ عليهِ الدُّهورُ[1] ، ثمَّ وضعَهُ وقعدَ يُحدِّثُني ، حتَّىٰ إذا كادَتِ الشَّمسُ أن تغرُبَ اجتمعَتْ حوالَيهِ ظباءٌ ، فاعتقلَ منها ظبيةً ، فحلبَها حتَّىٰ ملأَ ذٰلكَ القَدَحَ ، ثمَّ أرسلَها ، فلمَّا سقطَ القُرصُ . . حساهُ ، ثمَّ قالَ : ما هوَ غيرَ ما ترىٰ ؛ رُبَّما احتجتُ إلى الشَّيءِ مِن هٰذا ، فتجتمعُ حولي هٰذهِ الظِّباءُ ، فآخذُ حاجتي وأُرسِلُها[2] .

حكاية

[سائلُ حاجةٍ وخطابٌ مُوهِمٌ]

٩٤٠ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ الأَزَجيُّ ، عن أبي الرَّجاءِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنِ الكِسائيِّ الشَّاهدِ قالَ : كتبَ إليَّ أبو نصرٍ عبدُ الكريمِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ هارونَ الدَّاووديُّ الشِّيرازيُّ قالَ : حدَّثَني أبو عمرٍو أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بآمُلَ[3] ، ثنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ سمعانَ البصريُّ ، ثنا أبو طالبٍ البيَّاعُ ، أخبرَني أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ العميديُّ القاضي ، أخبرَني أبو القاسمِ الكَرْخيُّ ببغدادَ ، أخبرَني أبو بكرٍ الصُّوليُّ قالَ : كنتُ مُصلِّياً صلاةَ الغداةِ ببغدادَ في مسجدِ الكفِّ . . إذ دخلَ داخلٌ طويلُ القامةِ ، عظيمُ الهامةِ ، بثيابٍ رَثَّةٍ ، وحالٍ غثَّةٍ ، فقلتُ : مِن أينَ الرَّجلُ ؟ فقالَ : صلِّ ولا تسألْ .

قالَ : فصلَّيْنا ، فلمَّا فرغْنا والجماعةَ مِنَ الصَّلاةِ . . قامَ الرَّجلُ مُستنِداً إلى المحرابِ ، فقالَ : لستُ بسائلٍ ولا مُتصدِّقٍ ، رحمَ اللهُ مَن لا يتفرَّقُ ، ثمَّ قالَ : أنا رجلٌ لي ما ليسَ للهِ تعالىٰ !! ومعي ما ليسَ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ !! ومعي ما لم يخلقِ اللهُ سبحانَهُ !! ولي سراجانِ يُضيئانِ بلا دُهنٍ ولا فتيلةٍ !! ومعي نباتُ الأنبياءِ ينبتُ بلا ماءٍ !! وقد صدقَ النَّصارىٰ وصدقَ اليهودُ !! وأنا أحمدُ النَّبي !! وأنا عليٌّ !! وأنا ربُّكم ، أضعُ وأرفعُ !!

قالَ أبو بكرٍ الصُّوليُّ : فلمَّا قضىٰ مقالتَهُ . . ثارَ النَّاسُ إليهِ ، فجعلوا يضربونَهُ ويجرُّونَهُ حتَّىٰ بلغوا بهِ بابَ الخليفةِ ، وأنا أمشي معَهُ ، فعُرِضَتْ حالُهُ على الخليفةِ ، فأمرَ بإحضارِهِ .

---

(١) القَعْب : إناء ضخم كالقصعة .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/٢٩٦ ـ ٢٩٧) ، وابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/٨٥ ـ ٨٦) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/٢٤١) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٢/٧٥٣) .

(٣) آمُل : أكبر مدينة بطَبَرستان في السَّهل . « معجم البلدان » (١/٥٧) .

وأدخلَهُ عليهِ ، فلمَّا مَثُلَ بينَ يدَيهِ . . قالَ لهُ : يا خبيثُ ؛ ما مقالتُكَ هٰذهِ وادِّعاؤُكَ ما ادَّعيتَ ؟ قالَ : مهلاً أيُّها الخليفةُ ، لا تُعاتِبْ رجلاً يتكلَّمُ بفهمٍ ومعرفةٍ ، وحكمةٍ وتجربةٍ .

فقالَ لهُ الخليفةُ : وما معرفتُكَ وفهمُكَ وتدَّعي الرُّبوبيَّةَ والنُّبوَّةَ ؟! ثمَّ قالَ : اصلبوهُ .

فقالَ : أيُّها الخليفةُ ؛ أتأمرُ بقتلِ رجلٍ لا ينطقُ إلَّا عن معرفةٍ وعلمٍ ، ومعَهُ في كلِّ كلمةٍ تكلَّمَ بها حجَّةٌ ؟

فقالَ الخليفةُ : وما الحجَّةُ علىٰ ما ذكرتَ ؟

قالَ : أمَّا قولي : (أنا رجلٌ لي ما ليسَ للهِ سبحانَهُ) . . فلي صاحبةٌ وولدٌ ، وليسَ للهِ تعالىٰ صاحبةٌ ولا ولدٌ .

وأمَّا قولي : (ومعي ما ليسَ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ) . . فمعي ظلمٌ وجَوْرٌ ، وليسَ معَ اللهِ سبحانَهُ ظلمٌ ولا جَوْرٌ .

وأمَّا قولي : (ومعي ما لم يخلقِ اللهُ تباركَ وتعالىٰ) . . فأنا رجلٌ حاملٌ القرآنَ ، فالقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ .

وأمَّا قولي : (ولي سراجانِ يُضيئانِ بلا دُهنٍ ولا فتيلةٍ) . . فعينانِ يَزْهَرانِ .

وأمَّا قولي : (ومعي نباتُ الأنبياءِ ينبتُ بلا ماءٍ) . . فشعرُ بدني ورأسي ولحيتي .

وأمَّا قولي : (صدقَ النَّصارىٰ وصدقَ اليهودُ) . . فقد صدقا حيثُ قالَتِ اليهودُ : ﴿ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ ، وقالَتِ النَّصارىٰ : ﴿ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ [1]

وأمَّا قولي : (وأنا أحمدُ النَّبيَّ) . . فإنِّي أحمدُهُ وأُثني عليهِ ؛ مِن قولِ العربِ : حَمِدتُ الرَّجلَ أحمدُهُ حَمْداً ؛ إذا أثنيتَ عليهِ خيراً .

وأمَّا قولي : (وأنا عليٌّ) . . فإنِّي رجلٌ عَلِيٌّ في قومي ، رفيعُ الجاهِ في عشيرتي ، وذٰلكَ مِنَ العلاءِ ؛ وهيَ الرِّفعةُ والعلوُّ .

وأمَّا قولي : (وأنا ربُّكم ، أرفعُ وأضعُ) . . فمعناهُ أنا ربُّ كُمٍّ ، أرفعُهُ وأضعُهُ ، فصحَّ تأويلُ ذٰلكَ كلِّهِ علىٰ ما وصفتُ .

فأعجبَ الخليفةَ بيانُهُ وضحكَ ، واستوصفَهُ حالَهُ وما أَحْوَجَهُ إلى التَّفوُّهِ بهٰذا الخطابِ

---

(١) سورة البقرة : (١١٣) .

المُوهِمِ ، فذكرَ أَنَّهُ كانَ تاجراً عظيماً ، وكانَ في قافلةٍ ، فقُطِعَ بهِ ، وذهبَ لهُ مئتا ألفٍ مِنَ المالِ الصَّامتِ .

قالَ : فأمرَ الخليفةُ بإعطائِهِ ما ذهبَ منهُ ، وإلحاقِهِ بالقافلةِ (١) .

حكاية

[اللَّهُمَّ ؛ ارزقْهُ عيشاً بلا معيشةٍ]

٩٤١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ أبو محمَّدٍ القاسمُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ الشَّافعيُّ قالَ : أنا أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ القويِّ المَصِّيصيُّ قراءةً عليهِ قالَ : أنا نصرُ بنُ إبراهيمَ المَقْدِسيُّ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ الواحدِ الزَّعْفَرانيُّ قالَ : حدَّثَني أبو محمَّدٍ السُّنِّيُّ البغداديُّ صاحبُ ابنِ سمعونٍ قالَ : كانَ ابنُ سمعونٍ في أوَّلِ عمرِهِ ينسخُ بأجرةٍ ، ويعودُ بأجرةِ نسخِهِ علىٰ نفسِهِ وعلىٰ أُمِّهِ ، وكانَ كثيرَ البرِّ لها .

فجلسَ يوماً ينسخُ وهيَ جالسةٌ بقربِهِ ، فقالَ لها : أُحِبُّ أن أحجَّ ، قالَتْ لهُ : يا ولدي ؛ كيفَ يُمكِنُكَ الحجُّ وما معَكَ نفقةٌ ، ولا لي ما أُنفِقُهُ ؟ إنَّما عيشُنا مِن أجرةِ هٰذا النَّسخِ .

وغلبَ عليها النَّومُ ، فنامَتْ وانتبهَتْ بعدَ ساعةٍ ، وقالَتْ : يا ولدي ؛ حُجَّ ، فقالَ لها : منعتِ قبلَ النَّومِ وأذنْتِ بعدَهُ !! قالَتْ : رأيتُ السَّاعةَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يقولُ : « دَعِيهِ يَحُجُّ ؛ فَإِنَّ ٱلْخِيرَةَ لَهُ فِي حَجِّهِ فِي ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ » .

ففرحَ وباعَ مِن دفاترِهِ ما لهُ قيمةٌ ، ودفعَ إليها مِن ثمنِها نفقةً لها ، وخرجَ معَ الحُجَّاجِ ، وأخذَ العربُ الحُجَّاجَ وأخذوهُ في الجملةِ .

قالَ ابنُ سمعونٍ : فبقيتُ عرياناً ، ووجدتُ معَ رجلٍ عباءةً كانَتْ علىٰ عِدْلٍ ، فقلتُ لهُ : هَبْ لي هٰذهِ العباءةَ أسترُ نفسي بها ، فقالَ : خُذْها ، فجعلتُ نصفَها علىٰ كتفي ، ونصفَها علىٰ وسطي ، وكانَ عليها مكتوبٌ : (يا ربِّ ؛ سلِّمْ وبلِّغْ برحمتِكَ ، يا أرحمَ الرَّاحمينَ) .

وكنتُ إذا غلبَ عليَّ الجوعُ ووجدتُ قوماً يأكلونَ . . وقفتُ أنظرُ إليهِم ، فيدفعونَ إليَّ الكسرةَ ، فأقتنعُ بها ذٰلكَ اليومَ .

ووصلتُ إلىٰ مكَّةَ ، فغسلتُ العباءةَ ، وأحرمتُ فيها ، وسألتُ أحدَ بني شيبةَ أن يُدخِلَني

---

(١) انظر « المجالس الوعظية » للسفيري (٢/٩٨ ـ ٩٩) .

البيتَ ، وعرَّفتُهُ فقري ، فأدخلَني بعدَ خروجِ النَّاسِ ، وأغلقَ البابَ ، فقلتُ : اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ بعلمِكَ غنيٌّ عن إعلامي بحالي ، اللَّهُمَّ ؛ ارزقْني معيشةً أستغني بها عن سؤالِ النَّاسِ ، فسمعتُ قائلاً يقولُ مِن ورائي : إنَّهُ ما يُحسِنُ أن يدعوَكَ ، اللَّهُمَّ ؛ ارزقْهُ عيشاً بلا معيشةٍ ، فالتفتُّ فلم أرَ أحداً ، فقلتُ : هٰذا الخَضِرُ أو أحدُ الملائكةِ ، فأعدتُ القولَ فأعادَ الدُّعاءَ ، فأعدتُ فأعادَ ؛ ثلاثَ مرَّاتٍ .

وعدتُ إلىٰ بغدادَ ، وكانَ الخليفةُ قد حَرَّرَ جاريةً مِن جواريهِ ، وأرادَ إخراجَها مِنَ الدَّارِ ، فكرهَ ذٰلكَ إشفاقاً عليها ، فقالَ الخليفةُ : اطلبوا رجلاً مستوراً يصلحُ أن تُزوَّجَ هٰذهِ الجاريةُ بهِ ، فقالَ بعضُ مَن حضرَ : قد وصلَ ابنُ سمعونٍ مِنَ الحجِّ ، وهوَ يصلحُ لها ، فاستصوبَ الخليفةُ قولَهُ ، وتقدَّمَ بإحضارِهِ وإحضارِ الشُّهودِ ، فأُحضِروا ، وزُوِّجَ بالجاريةِ ، ونُقِلَ معَها مِنَ المالِ والثِّيابِ والجواهرِ ما يُحمَلُ للملوكِ .

فكانَ ابنُ سمعونٍ يجلسُ على الكرسيِّ للوعظِ ، فيقولُ : أيُّها النَّاسُ ؛ خرجتُ حاجّاً ، فكانَ مِن حالي كذا وكذا ، ويشرحُ حالَهُ جميعَها ، وها أنا اليومَ عليَّ مِنَ الثِّيابِ ما ترونَ ، وطيبي ما تعرفونَ ، ولو وطئتُ على العتبةِ . . تألَّمتُ مِنَ الدَّلالِ ، وينسىٰ تلكَ [1]

حكاية

[في الحذرِ مِنَ الحمقِ]

٩٤٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ في كتابِ محمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ الفَرَّاءِ بخطِّهِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الفتحِ عبيدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ النَّحْويّ قالَ : ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ السَّريِّ السَّرَّاجُ النَّحْويُّ قالَ : قالَ أبو مريمَ مُؤدِّبُ المأمونِ والأمينِ : ضربتُ الأمينَ يوماً بقضيبٍ كانَ معي ، فخدشتُ في ذراعِهِ خدشاً ، فرآهُ الرَّشيدُ فقالَ : ما هٰذا ؟ قالَ : ضربَني أبو مريمَ ، فدعا بي وقالَ : ما بالُ محمَّدٍ يشكوكَ ؟ فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قد غلبَني حيناً [2] ، فقالَ : اقتلْهُ ؛ فلأَنْ يموتَ خيرٌ مِن أن يموتَ [3]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/١٠ ـ ١١) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٦/٥٠٦ ـ ٥٠٧) .

(٢) كذا في (أ) ، وفي « محاضرات الأدباء » : (قد غلبَني خُبثاً وعَرامةً) ، والعَرامة : الشِّدَّة .

(٣) كذا في (أ) ، وذكر ابن منظور في « لسان العرب » (٩٢/٢) : (والموتُ يقعُ علىٰ أنواعٍ بحسبِ أنواعِ الحياةِ . . . ومنها زوالُ القوَّةِ العاقلةِ ؛ وهي الجهالةُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٢]) ، وفي « محاضرات الأدباء » : (خيرٌ مِن أن يموقَ) ، والمَوقُ : الحمقُ في غباوةٍ ، ولعله أنسب .

قلتُ : الموتُ الحمقُ والغباوةُ ؛ أي : يموتُ خيرٌ مِن أن يحمقَ [١]

حكاية

[أستغفرُ اللهَ مِنَ (الحَمْدُ للهِ)]

٩٤٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو القاسمِ الأَزَجيُّ ، عن أبي محمَّدٍ عبدِ اللهِ ، وأبي القاسمِ إسماعيلَ ابنَي أحمدَ بنِ عمرَ السَّمَرْقَنْديِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي المُظفَّرِ عبدِ الرَّحيمِ ابنِ السَّمْعانيِّ ، عن أبي محمَّدٍ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ السَّمَرْقَنْديِّ .

وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عن أخيهِ أبي القاسمِ إسماعيلَ ـ منهُم : أبو اليُمنِ ، وابنُ طَبَرْزَدٍ ، وأبو أحمدَ ابنُ سُكَينةَ ـ قالا : كتبَ إلينا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليٍّ العُمَيريُّ [٢] : أنَّ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ القَرَّابَ أخبرَهُ قالَ [٣] : حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ الرَّازيُّ قالَ : حدَّثَني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ القاسمِ ابنِ بشَّارٍ الأنباريُّ إملاءً مِن حفظِهِ قالَ : حدَّثَني أبو مسلمٍ الزَّجَّاجُ جارُ سريٍّ السَّقَطيِّ قالَ : قالَ سريٌّ : إنِّي أستغفرُ اللهَ مِن قولي : (الحَمْدُ للهِ) منذ أربعينَ سنةً ؛ وقعَ الحريقُ في أصحابِ السَّقَطِ ، وكانَ لي بها حانوتٌ ، فأتاني آتٍ ، فقالَ لي : وقعَ الحريقُ ، واحترقَ السُّوقُ كلُّهُ ، وسَلِمَ حانوتُكَ ، فقلتُ : (الحَمْدُ للهِ) ، وأنا أستغفرُ اللهَ منذ أربعينَ سنةً [٤]

نكتة

[في راحةِ العبدِ]

٩٤٤ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنا إبراهيمُ بنُ عثمانَ بنِ يوسفَ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي أبو الفتحِ .

---

(١) انظر « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (١/١٠٨) .

(٢) العُمَيري ـ مُصغَّراً ـ : كذا الصَّواب نسبةً إلى الجدِّ (عُمَير) ، ذكرها أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (٤/٢٤٢) ، وابن نقطة في « تكملة الإكمال » (٤/٣٤٤ ـ ٣٤٥) ، وضبطت في (أ) بفتح العين وكسر الميم .

(٣) القَرَّاب : نسبة إلىٰ عمل القرابة ؛ وهي آنية زجاجيَّة . « الأنساب » (٤/٤٦٢ ـ ٤٦٣) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠/٢٦١ ـ ٢٦٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/١٧٥ ـ ١٧٦) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٩/٤٢١٧) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ١١٣) ، و« ربيع الأبرار » (٢/٥٠٩) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/١٤٥) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٣٥٧) .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ تقدَّمَ ذِكْرُهُم ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ القادرِ بنِ محمَّدِ بنِ يوسفَ ، أنا عبدُ العزيزِ بنُ عليٍّ الأَزَجيُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ جَهْضَمٍ ، ثنا أبو منصورٍ الهَرَويُّ الغازي ، ثنا الحسنُ بنُ عليٍّ الدَّامَغانيُّ قالَ : قالَ لي يحيى بنُ مُعاذٍ الرَّازيُّ : (لو لزمتَ فِناءَ ربِّكَ . . لم تهربْ منهُ ، ولو أنستَ بهِ . . لم تنفرْ عنهُ ، ولـٰكنَّ عينَكَ بدنياكَ مسحورةٌ ، ونفسَكَ في سجونِ الآمالِ مأسورةٌ ، فلو أطلقتَ نفسَكَ مِن أسرِها ، وأخرجتَها مِن حصارِها . . لصرتَ مِن ضيقِ مجالسِ الدُّنيا إلىٰ سَعةِ بساتينِ التَّقوىٰ) .

قيلَ لهُ : كيفَ للعبدِ بهـٰذهِ الرَّاحةِ الَّتي ذكرتَ ؟

فقالَ : (هوَ أن تجعلَ الخلوةَ بيتَكَ ، والحكمةَ دليلَكَ ، والتَّوكُّلَ معاشَكَ ، والذِّكْرَ حرفتَكَ ، وتتحبَّبَ الخَلْقَ تحبُّباً ، وتَقَرَّبَ إلىٰ مولاكَ تقرُّباً ، ولو فعلتَ ذٰلكَ . . لقرَّتْ عينُكَ بما تهجمُ عليكَ ، لـٰكنَّكَ مغرورٌ ، والمغرورُ مسرورٌ) .

حكاية

[يا رَبِّ ؛ إنْ لمْ تَرُدَّ عليَّ عقلي . . فرُدَّ عليَّ يدَيَّ]

٩٤٥ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ ، عن أبي الفرجِ ابنِ الجَوْزيِّ قالَ : قرأتُ علىٰ محمَّدِ بنِ ناصرٍ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وغيرِهِما ، عنِ ابنِ ناصرٍ ، عن أبي محمَّدٍ التَّميميِّ قالَ : أخبرَني عمِّي أبو الفضلِ عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ العزيزِ قراءةً عليهِ قالَ : قالَ ليَ ابنُ القصَّابِ البغداديُّ الصُّوفيُّ : دخلْنا جماعةً إلى المارِستانِ ، فرأيْنا فيهِ فتىً مُصاباً شديدَ الهوسِ ، فولعْنا بهِ ، وزدْنا في الولعِ فأتعبْناهُ ، فصاحَ وقالَ : انظروا إلىٰ شعورٍ مُطرَّزةٍ ، وأجسادٍ مُعطَّرةٍ ، قد جعلوا الولعَ بضاعةً ، والسُّخفَ صناعةً ، وجانبوا العلمَ رأساً .

فقلْنا لهُ : فتُحسِنُ العلمَ فنسألَكَ ؟ فقالَ : إي واللهِ ، إنِّي لأُحسِنُ علماً جمّاً ؛ فسلوني .

فقلْنا لهُ : مَنِ السَّخيُّ في الحقيقةِ ؟ فقالَ : الَّذي رَزَقَ أمثالَكُم وأنتم لا تساوونَ قوتَ يومٍ ، فضحكْنا منهُ .

فقلْنا لهُ : مَن أقلُّ النَّاسِ شكراً ؟ فقالَ : مَن عُوفِيَ مِن بليَّةٍ ، ثُمَّ رآها في غيرِهِ ، فتركَ العبرةَ والشُّكرَ إلى الطِّيبةِ واللَّهوِ ، فكسرَ قلوبَنا بذٰلكَ .

فقالَ لهُ آخرُ : ما الظَّرفُ ؟ فقالَ : خلافُ ما أنتم عليهِ ، ثُمَّ بكىٰ ، وقالَ : يا ربِّ ؛ إن لم تَرُدَّ عليَّ عقلي . . فرُدَّ عليَّ يدَيَّ ؛ لعلِّي كنتُ أصفعُ واحداً مِن هٰؤلاءِ ، فتركْناهُ وانصرفْنا (١)

نُكْتَةٌ
[في الدَّامغاتِ]

٩٤٦ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أخبرَتْنا خديجةُ بنتُ موهوبِ بنِ أحمدَ ابنِ الجَواليقيِّ قالَتْ : أنا أبي ، أنا أبو القاسمِ ابنُ البُسْريِّ ، أنا أبو أحمدَ الفَرَضيُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ إملاءً ، ثنا الفضلُ بنُ الحُبابِ ، ثنا محمَّدُ بنُ سلَّامٍ قالَ : كنَّا إذا جلسْنا إلىٰ يونسَ . . مضَتْ في مجلسِهِ مدائحُ ومثالبُ ومراثٍ وغزلٌ ، فكانَ إذا فرغَ . . يقولُ : لأُلقِيَنَّ علىٰ ما مضى الدَّامغاتِ ؛ سبحانَ اللهِ ، والحَمْدُ للهِ ، ولا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، واللهُ أكبرُ (٢)

حِكَايَةٌ
[في اختيارِ المُقتدِرِ سُبْحتَهُ]

٩٤٧ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا أبو الفرجِ الحَرَّانيُّ ، عن أبي عليِّ ابنِ المهديِّ قالَ : سمعتُ الأميرَ أبا محمَّدٍ الحسنَ بنَ عيسى بنِ المُقتدِرِ باللهِ قالَ : أخبرَتْني والدتي خَمرةُ جاريةُ المُقتدِرِ قالَتِ : استدعى المُقتدِرُ بجواهرَ ، فاختارَ منها مئةَ حبَّةٍ ، ونظمَها سُبْحةً يُسبِّحُ بها ، فعُرِضَتْ على الجَوْهَرِيِّينَ ، فقوَّموا كلَّ حبَّةٍ منها بألفِ دينارٍ وأكثرَ !! فكانَ إذا أرادَ أن يُسبِّحَ . . استدعىٰ بها ، ثُمَّ ردَّها إليَّ ، فأُعلِّقُها في الخزانةِ في خريطةٍ .

فلمَّا قُتِلَ المُقتدِرُ . . وقعَ النَّهبُ ، فأُخِذَتْ في جملةِ ما أُخِذَ ، فلعلَّ الَّذي أخذَها لا يدري ما هيَ (٣)

---

(١) انظر « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٢/٣١٣) ، و« الكامل » لابن الأثير (٧/٦٥٦ ـ ٦٥٧) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٤٤٤) ، وأبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ٧٦) .

(٣) أخرجه أبو طاهر السلفي في « المشيخة البغدادية » (ق/١٤١) مخطوط ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٧/٢٥٥) من طريق ابن النجار .

٩٤٨ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ الأمينُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ قالَ : أخبرَتْنا فاطمةُ بنتُ أبي حكيمٍ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الخَبْريِّ ، أنا أبو منصورٍ عليُّ بنُ الحسنِ ابنِ الفضلِ الكاتبُ ، أنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خالدٍ الكاتبُ ، أنا أبو محمَّدٍ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ العبَّاسِ ابنِ المُغيرةِ الجَوْهَريُّ ، ثنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ سعيدٍ الدِّمشقيُّ ، حدَّثَنيَ الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، حدَّثَني إسحاقُ بنُ إبراهيمَ التَّميميُّ ، عن أبيهِ ، عنِ الحسنِ بنِ أبي مهديٍّ البَرْمَكيِّ : أنَّ المهديَّ عتبَ على الحارثيِّ ، فترضَّاهُ فلم يرضَ ، وأمرَ ألَّا يُكلَّمَ فيهِ .

فاندسَّ إلىٰ رَيْطةَ بنتِ أبي العبَّاسِ (١) ، وسألَها أن تُكلِّمَ المهديَّ فيهِ ، فقالَتْ : ما كلَّمتُهُ في حاجةٍ مذ بايعَ لموسىٰ وهارونَ ، ولٰكنِ اكتبْ رقعةً وادفعْها إلىٰ عليٍّ حتَّىٰ يُوصِلَها ، وأمرَتْ عليّاً أن يُوصِلَ رقعتَهُ إليهِ .

فكتبَ فيها (٢) : [من الوافر]

أَلَا نَـادَيْـتُ عَـفْـوَكَ مِـنْ قَـرِيـبٍ ... كَـمَـا نَـادَيْـتُ سُـخْـطَـكَ مِـنْ بَـعِـيـدِ
فَـإِنْ عَـاقَـبْـتَـنِـي فَـبِـسُـوءِ فِـعْـلِـي ... وَمَـا ظَـلَـمَـتْ عُـقُـوبَـةُ مُـسْـتَـقِـيـدِ
وَإِنْ تَـعْـفُ فَـإِحْـسَـانٌ جَـدِيـدٌ ... عَـطَـفْـتَ بِـهِ عَـلَـىٰ شُـكْـرٍ جَـدِيـدِ

فدمعَتْ عينا المهديِّ عندَ قراءةِ الرُّقعةِ ، ووقَّعَ فيها : (نِعْمَ الشَّفيعُ إلى المطلوبِ إليهِ ، ونِعْمَ الوسيلةُ للمسخوطِ عليهِ) ، وقالَ لعليٍّ : مَن صاحبُ الرُّقعةِ ؟ قالَ : لا أعرفُهُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ لفرجٍ الخادمِ ـ وكانَ رَبَّى المهديَّ ـ : يا أبةِ ؛ اخرجْ معَ ابني حتَّىٰ تأتيَني بصاحبِ الرُّقعةِ ؛ فإنَّهُ ينتظرُهُ ، فخرجَ بها فإذا هوَ الحارثيُّ ، فرجعَ ولم يُدخِلْهُ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ الرُّقعةُ للحارثيِّ ، وقد أمرتَ ألَّا تُكلَّمَ فيهِ ، قالَ : أَدخِلْهُ ، فلو كانَ ذنبُهُ كالجبالِ الرَّواسي . . لَهدمَتْهُ أبياتُهُ !!

---

(١) هي رَيْطة بنت أبي العبَّاس السَّفَّاح ، زوجة المهديِّ ، توفِّيت في المحرَّم سنة إحدىٰ وسبعين ومئة . انتهىٰ من هامش (أ) ، وفي « تاريخ الإسلام » (١٩٠/١٠) : أنَّها توفِّيت سنة سبعين ومئة ، وذكر المسعوديُّ الخلافَ في وفاتها في « مروج الذهب » (١٩٧/٤) .

(٢) الأبيات لزياد الحارثي الأمير في « الإمتاع والمؤانسة » للتوحيدي (ص ٢٨٢) ، ولأبي نواس في « التذكرة الحمدونية » (١٢٦/٤) ، وبلا نسبة في « المنهج المسلوك في سياسة الملوك » للشيزري (ص ٣٢٦) .

حكاية

[دعِ الدُّنيا لعاشقِها]

٩٤٩ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ الحنبليِّ بأصبهانَ ، عن أبي المحاسنِ الجَوْهَريِّ قالَ : أخبرَني ظفرُ بنُ الدَّاعي العلويُّ في كتابِهِ ، عن أبي الحسنِ محمَّدِ بنِ القاسمِ الفارسيِّ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الجبَّارِ الصُّوفيَّ يقولُ : زوَّجَتْ ستُّ النِّساءِ بنتُ طُولُونَ لعبةً مِن لُعَبِها ، فأنفقَتْ في وليمتِها مئةَ ألفِ دينارٍ (١) ، فلم تلبثِ الكثيرَ مِن دهرِها حتَّىٰ رأيتُها في سوقِ بغدادَ تتعرَّضُ للسُّؤالِ ، فرآها بعضُ الأغنياءِ فعرفَها ، فقالَ لها : أينَ ما كنتِ فيهِ مِنَ النَّعيمِ ؟ قالَتْ : كنَّا نرصدُ نوائبَ الدَّهرِ ، فجاءَتْنا وتركَتْ ديارَنا بلاقعَ .

قالَ (٢) : فما تشتهينَ ؟ قالَتْ : ملءَ بطني طعاماً .

فقالَ : هٰذا وكيلِيَ ، انصرفي إلى المنزلِ ، وأمرَ لها بعشرةِ آلافٍ ، فقالَتْ : يا أخي ؛ عليكَ بمالِكَ ، باركَ اللهُ لكَ فيهِ ، أما إنَّهُ قد كانَ عندَنا أكثرُ مِن ذٰلكَ فلم يبقَ ، وأكلَتْ شيئاً وولَّتْ ، وقالَتْ (٣) : [من مجزوء الوافر]

دَعِ ٱلدُّنْيَا لِعَاشِقِهَا ... سَيُصْبِحُ مِنْ ذَبَائِحِهَا
أَرَى ٱلدُّنْيَا وَإِنْ مُدِحَتْ ... تَنُصُّ عَلَىٰ فَضَائِحِهَا
فَلَا تَغْرُرْكَ رَائِحَةٌ ... تُصِيبُكَ مِنْ رَوَائِحِهَا
فَإِنَّ سُرُورَهَا سُمٌّ ... وَحَتْفُكَ فِي مَنَائِحِهَا
وَمُطْرِبُهَا بِمَعْرِفَةٍ ... يَؤُوبُ إِلَىٰ نَوَائِحِهَا (٤)

حكاية

[اتَّكلْ علىٰ جدِّهِم]

٩٥٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنبأَنا يحيى بنُ أسعدَ التَّاجرُ قالَ : أنا أبو العزِّ أحمدُ بنُ

---

(١) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .
(٢) (قال) : مكررة في (أ) .
(٣) نسبت ثلاثة أبيات منها لأبي سهل الصعلوكي في « يتيمة الدهر » للثعالبي (٤/٤٨٣ ـ ٤٨٤) ، و« المحمدون من الشعراء » للقفطي (ص ٣٣٥) .
(٤) انظر « الوافي بالوفيات » (١٥/١١٨ ـ ١١٩) .

عبيدِ اللهِ ابنِ كادِشٍ العُكْبَريُّ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ الحسينِ الجازِريُّ قالَ : أنا القاضي أبو الفرجِ المُعافى بنُ زكريَّا النَّهْروانيُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ عمرَ بنِ عليٍّ الكاتبُ ، حدَّثَني حفصُ بنُ محمَّدٍ الكاتبُ ، حدَّثَني عليُّ بنُ محمَّدٍ الكاتبُ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ الخَصِيبِ قبلَ وِزارتِهِ قالَ : كنتُ كاتباً للسَّيِّدةِ شجاعَ أُمِّ المُتوكِّلِ ، فإنِّي ذاتَ يومٍ قاعدٌ في مجلسي في ديواني . . إذ خرجَ خادمٌ خاصَّةٌ ، ومعَهُ كيسٌ ، فقالَ لي : يا أحمدُ ؛ إنَّ السَّيِّدةَ أُمَّ أميرِ المؤمنينَ تُقرِئُكَ السَّلامَ ، وتقولُ لكَ : هـٰذهِ ألفُ دينارٍ مِن طيِّبِ مالي ، خُذْها وادفعْها إلىٰ قومٍ مُستحقِّينَ ، تكتبُ لي أسماءَهُم وأنسابَهُم ومنازلَهُم ، فكلَّما جاءَنا مِن هـٰذهِ النَّاحيةِ شيءٌ . . صرفْناهُ إليهِم .

فأخذتُ الكيسَ ، وصرتُ إلىٰ منزلي ، ووجَّهتُ خلفَ مَن أثقُ بهِ ، فعرَّفتُهُم ما أمرَتْ بهِ ، وسألتُهُم أن يُسمُّوا لي مَن يعرفونَ مِن أهلِ السِّترِ والحاجةِ ، ففرَّقتُ فيهِم ثلاثَ مئةِ دينارٍ .

وجاءَ اللَّيلُ [والمالُ بينَ يدَيَّ لا أُصيبُ مُحِقّاً ، وأنا أُفكِّرُ في سُرَّ مَن رأىٰ ، وبُعدِ أقطارِها وتكاثفِ أهلِها ، ليسَ بها مُحِقٌّ يأخذُ ألفَ دينارٍ](١) ، وبينَ يدَيَّ بعضُ حُرَمي ، ومضىٰ مِنَ اللَّيلِ ساعةٌ ، وغُلِّقَتِ الدُّروبُ ، وطافَ العَسَسُ .

وأنا مُفكِّرٌ في أمرِ الدَّنانيرِ . . إذ سمعتُ بابَ الدَّرْبِ يدقُّ ، وسمعتُ البوَّابَ يُكلِّمُ رجلاً مِن ورائِهِ ، فقلتُ لبعضِ مَن بينَ يدَيَّ : اعرفِ الخبرَ ، فعادَ إليَّ وقالَ لي : بالبابِ فلانُ بنُ فلانٍ العلويُّ يسألُ الإذنَ عليكَ ، فقلتُ : مُرْهُ بالدُّخولِ ، وقلتُ لمَن بينَ يدَيَّ مِنَ الحُرَمِ : كونوا وراءَ هـٰذا السِّترِ ؛ فما قصدَنا في هـٰذا الوقتِ إلَّا لحاجةٍ .

فدخلَ وسلَّمَ وجلسَ ، وقالَ لي : طرقَني في هـٰذا الوقتِ طارقٌ ، ولا واللهِ ما عندَنا ولا أعددْنا ما يعدُّ النَّاسُ ، ولم يكنْ في جواري مَن أفزعُ إليهِ غيرَكَ ، فدفعتُ إليهِ مِنَ الدَّنانيرِ ديناراً ، فشكرَ وانصرفَ .

وخرجَتْ ربَّةُ المنزلِ ، فقالَتْ : يا هـٰذا ؛ تدفعُ إليكَ السَّيِّدةُ ألفَ دينارٍ تدفعُها إلىٰ مُستحِقٍّ أحقَّ مِنِ ابنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الدُّنيا معَ ما قد شكاهُ إليكَ ؟! فقلتُ لها : فأيشٍ السَّبيلُ ؟ فقالَتْ : تدفعُ الكيسَ إليهِ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛

(١) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

ردَّهُ ، فردَّهُ فحدَّثتُهُ الحديثَ ، ودفعتُ الكيسَ إليهِ ، فأخذَهُ وشكرَ وانصرفَ .

فلمَّا ولَّىٰ . . جاءَ إبليسُ فقالَ ليَ : المُتوكِّلَ وانحرافَهُ عن أهلِ هـٰذا البيتِ ، تدفعُ إليكَ أُمُّهُ ألفَ دينارٍ ، فأيشٍ تحتجُّ وقد دفعتَ إلىٰ علويٍّ سبعَ مئةِ دينارٍ ؟ فقلتُ لربَّةِ المنزلِ : أوقعتِني فيما أكرهُ ، فإمَّا سبعُ مئةِ دينارٍ أو زوالُ هـٰذهِ النِّعمةِ ، وعرَّفتُها ما عندي .

فقالَتِ : اتَّكلْ علىٰ جَدِّهِم ، فقلتُ : دعي هـٰذا عنكِ ؛ بأيِّ شيءٍ أحتجُّ ؟ وأيشٍ أقولُ ؟ قالَتِ : اتَّكلْ علىٰ جَدِّهِم ، فما زالَتْ بمثلِ هـٰذا القولِ إلىٰ أن سكنتُ .

وقمتُ إلىٰ فراشي ، فما استثقلتُ نوماً إلَّا وصوتٌ على البابِ ، فقلتُ لبعضِ مَن يقربُ منِّي : مَن على البابِ ؟ فعادَ إليَّ فقالَ : رسولُ السَّيِّدةِ ؛ تأمرُكَ بالرُّكوبِ إليها السَّاعةَ .

فخرجتُ إلىٰ صحنِ الدَّارِ واللَّيلُ بحالتِهِ والنُّجومُ بحالتِها ، وجاءَ ثانٍ وثالثٌ ، فأدخلتُهُم فقلتُ : اللَّيلُ بحالتِهِ !! فقالوا : لا بُدَّ مِن أن تركبَ ، فركبتُ فلم أَصِلْ إلى الجَوْسَقِ إلَّا وأنا في موكبٍ مِنَ الرُّسلِ [1] ، فدخلتُ الدَّارَ ، فقبضَ خادمٌ علىٰ يدي ، فأدخلَني إلى الموضعِ الَّذي كنتُ أَصِلُ إليهِ ، ووقفَني ، وخرجَ خادمٌ خاصَّةٌ مِن داخلٍ ، فأخذَ بيدي وقالَ لي : يا أحمدُ ؛ إنَّكَ تُكلِّمُ السَّيِّدةَ أُمَّ أميرِ المؤمنينَ ، فقِفْ حيثُ تُوقَفُ ولا تَكلَّمْ حتَّىٰ تُسأَلَ .

فأدخلَني إلىٰ دارٍ لطيفةٍ فيها بيوتٌ ، عليها ستورٌ مُسبَلةٌ ، وشمعةٌ وسطَ الدَّارِ ، فوقفَني علىٰ بابٍ منها ، فوقفتُ لا أتكلَّمُ ، فصاحَ بي صائحٌ : يا أحمدُ ، فقلتُ : لبَّيكِ يا أُمَّ أميرِ المؤمنينَ ، فقالَتْ : حسابَ ألفِ دينارٍ ، بل حسابَ سبعِ مئةِ دينارٍ وبكَتْ .

فقلتُ في نفسي : بَليَّةُ العلويِّ ؛ أخذَ المالَ ومضىٰ ، ففتحَ دكاكينَ الفاميِّينَ وغيرَهُم ، واشترىٰ حوائجَهُم ، وتحدَّثَ ، فكتبَ بهِ بعضُ أصحابِ الأخبارِ ، فأمرَ المُتوكِّلُ بقتلي ، وهيَ تبكي رحمةً لي ، ثمَّ أمسكَتْ عنِ الكلامِ ، ثمَّ قالَتْ : يا أحمدُ ؛ حسابَ ألفِ دينارٍ ، بل حسابَ سبعِ مئةِ دينارٍ ، ثمَّ بكَتْ ، ففعلَتْ ذٰلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، ثمَّ أمسكَتْ وسألَتْني عنِ الحسابِ ، فصدقتُها القصَّةَ ، فلمَّا بلغتُ إلىٰ ذِكْرِ العلويِّ . . بكَتْ ، وقالَتْ : يا أحمدُ ؛ جزاكَ اللهُ خيراً ، وجزىٰ مَن في منزلِكَ خيراً ، تدري ما كانَ خبريَ اللَّيلةَ ؟ فقلتُ : لا

قالَتْ : كنتُ نائمةً في فراشي ، فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يقولُ :

---

(١) الجَوْسَق : القصر .

« جَزَاكِ ٱللهُ خَيْراً ، وَجَزَىٰ أَحْمَدَ بْنَ ٱلْخَصِيبِ خَيْراً ، وَمَنْ فِي مَنْزِلِهِ خَيْراً ؛ فَقَدْ فَرَّجْتُمْ فِي هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ وَلَدِي مَا كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ » .

خُذْ هـٰذا الحليَّ معَ هـٰذهِ الثِّيابِ وهـٰذهِ الدَّنانيرِ فادفعْها إلى العلويِّ ، وقلْ لهُ : نحنُ نصرفُ إليكَ كلَّما جاءَنا مِن هـٰذهِ النَّاحيةِ .

وخُذْ هـٰذا الحليَّ وهـٰذهِ الثِّيابَ وهـٰذا المالَ فادفعْهُ إلىٰ زوجتِكَ ، وقلْ لها : يا مُبارَكةُ ؛ جزاكِ اللهُ عنَّا خيراً ؛ فهـٰذهِ دلالتُكِ .

وخُذْ هـٰذا ـ يا أحمدُ ـ لكَ ، فدفعَتْ إليَّ مالاً وثياباً .

وخرجتُ بحملِ ذٰلكَ بينَ يدَيَّ ، وركبتُ مُنصرِفاً إلىٰ منزلي ، وكانَ طريقي علىٰ بابِ العلويِّ ، فقلتُ : أبدأُ بهِ ؛ إذ كانَ اللهُ رزقَنا هـٰذا علىٰ يدَيهِ ، فدققتُ البابَ فقيلَ لي : مَن هـٰذا ؟ فقلتُ : أحمدُ بنُ الخَصِيبِ .

فخرجَ إليَّ فقالَ : يا أحمدُ ؛ هاتِ ما معَكَ ، فقلتُ : بأبي ؛ وما يُدريكَ ما معي ؟

فقالَ ليَ : انصرفتُ مِن عندِكَ بما أخذتُهُ منكَ ولم يكنْ عندَنا شيءٌ ، فدخلتُ علىٰ بنتِ عمِّي فعرَّفتُها الخبرَ ، ودفعتُ إليها المالَ ، ففرحَتْ وقالَتْ : ما أُريدُ أن تشتريَ شيئاً ولا آكلَ شيئاً ، ولـٰكنْ قُمْ فصلِّ وادعُ حتَّىٰ أُؤمِّنَ علىٰ دعائِكَ ، فقمتُ وصلَّيتُ ودعوتُ وأمَّنَتْ .

ووضعتُ رأسي ونمتُ ، فرأيتُ جدِّي عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في النَّومِ وهوَ يقولُ : « قَدْ شَكَرْتُهُمْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْكَ ، وَهُمْ بَارُّوكَ بِشَيْءٍ ؛ فَٱقْبَلْهُ » ، فدفعتُ إليهِ ما كانَ معي وانصرفتُ .

وصرتُ إلىٰ منزلي ، وإذا ربَّةُ المنزلِ قَلِقةٌ ، قائمةٌ تُصلِّي وتدعو ، فعرفَتْ أنِّي جئتُ مُعافىً ، فخرجَتْ إليَّ ، فسألَتْني عن خبري ، فحدَّثتُها الحديثَ علىٰ وجهِهِ ، فقالَتْ : ألم أقلْ لكَ : اتَّكلْ علىٰ جَدِّهِم ؟ فكيفَ رأيتَ ما فعلَ ؟

فدفعتُ إليها ما كانَ لها فأخذَتْهُ[1]

---

(١) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (٢/١٥٣ ـ ١٥٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٥٣٨ ـ ٥٤٠) ، وانظر « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٥/٢٠٦ ـ ٢٠٨) ، و« الوافي بالوفيات » (١٦/١١٩) ، وفي هامش (أ) : (بلغ مروراً) .

حكاية

[حسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ]

٩٥١ ـ وأُنبِئتُ عنهُ ، وعن غيرِهِ قالوا : أنبأَنا ذاكرُ بنُ كاملِ بنِ أبي غالبٍ ، عن شجاعِ بنِ فارسٍ الذُّهْليِّ قالَ : أنبأَنا أبو الحسينِ هلالُ بنُ المُحسِّنِ بنِ إبراهيمَ الصَّابئُ إذناً قالَ : حدَّثَنيَ الشَّيخُ أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي البَزَّازِ ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ قالَ : حدَّثَتْني صفيَّةُ بنتُ عبدِ الصَّمدِ بنِ القاهرِ قالَتْ : كنتُ في دارِ الأميرِ أبي العبَّاسِ أحمدَ ـ يعني : القادرَ باللهِ ـ يومَ كُبِسَتْ بمَن أَنْفَذَهُ الطَّائعُ للهِ للقبضِ عليهِ ، وقد جمعَ حُرَمَهُ في غداةِ هٰذا اليومِ وكنتُ معَهُ ، فقالَ لنا : رأيتُ البارحةَ في مَنامي كأنَّ رجلاً يقرأُ عليَّ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[١] ، وقد خفتُ أن يطلبَني طالبٌ أو يحدثَ عليَّ حادثٌ .

وهوَ في حديثِهِ . . إذ شاهدَ أبا الحسنِ ابنَ حاجبِ النُّعمانِ قد تقدَّمَ إلىٰ درجةِ دارِهِ ، فقالَ : إنَّا للهِ ، هٰذا حضورٌ مُريبٌ بعقبِ هٰذا المَنامِ ، وصعدَ ومعَهُ أبو القاسمِ بنُ أبي تمَّامٍ والعبَّاسيُّ الحاجبُ ، وتبادرْنا إلىٰ وراءِ الأبوابِ ، فلمَّا رأيْنا أبا الحسنِ قد علقَ بكمِّهِ . . خرجْنا إليهِ ، وأخذْناهُ مِن يدِهِ ومنعْناهُ منهُ .

قالَ هلالٌ : وانحدرَ القادرُ مُتخفِّياً إلى البَطِيحةِ[٢] ، فأقامَ بها عندَ مُهذَّبِ الدَّولةِ إلىٰ أن عُقِدَتْ لهُ الخلافةُ وأصعدَ ، فجعلَ علامتَهُ : (حسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ)[٣]

٩٥٢ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أخبرَتْنا عزيزةُ بنتُ عليِّ بنِ يحيى بنِ عليِّ ابنِ الطَّرَّاحِ قالَتْ : أنا جدِّي قالَ : أنا أبو طاهرٍ المُباركُ بنُ الحسينِ الأنصاريُّ ، أنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْرانَ ، أنا الحسينُ بنُ صفوانَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ أبي الدُّنيا ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ يحيى المَرْوَزيُّ ، ثنا عليُّ بنُ

---

(١) سورة آل عمران : (١٧٣) .

(٢) البَطِيحة : أرض واسعة بين واسِط والبصرة . « معجم البلدان » (١/٤٥٠) .

(٣) أخرجه سبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٧/١٢١ ـ ١٢٢) ، وانظر « الكامل » لابن الأثير (٧/٤٣٠) .

حربٍ ، ثنا خالدُ بنُ يزيدَ القَرَنيُّ (١) ، عن وُهَيبِ بنِ الوردِ العابدِ قالَ : كانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يتمثَّلُ كثيراً : [من الطويل]

يُرَىٰ مُسْتَكِيناً وَهْوَ لِلَّهْوِ مَاقِتٌ ... بِهِ مِنْ حَدِيثِ ٱلْقَوْمِ مَا هُوَ شَاغِلُهْ
وَأَزْعَجَهُ عِلْمٌ عَنِ ٱلْجَهْلِ كُلِّهِ ... وَمَا عَالِمٌ شَيْئاً كَمَنْ هُوَ جَاهِلُهْ
عَبُوسٌ عَنِ ٱلْجُهَّالِ حِينَ يَرَاهُمُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ خَدِينٌ يُهَازِلُهْ
تَذَكَّرَ مَا يَبْقَىٰ مِنَ ٱلْعَيْشِ آجِلاً ... فَأَشْغَلَهُ عَنْ عَاجِلِ ٱلْعَيْشِ آجِلُهْ (٢)

حكاية

[حيلةُ عُليَّةَ بأخيها الرَّشيدِ]

٩٥٣ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا أبو القاسمِ فرحُ بنُ معالي القَصَبانيُّ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي الأنصاريُّ ، أنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ العُكْبَريُّ ، أنا أبو القاسمِ آدمُ بنُ محمَّدٍ الشِّلْحيُّ (٣) ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ الحسينِ الأصبهانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ قالَ : أنا عليُّ بنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ إذناً قالَ : أنبأَنا أبي ، عن أبي الفرجِ الأصبهانيِّ ، أخبرَني عمِّي ، حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ ابنُ المَرْزُبانِ ، أخبرَني عليُّ بنُ صالحِ بنِ الهيثمِ ، وإسماعيلُ بنُ يونسَ قالا : ثنا أبو هفَّانَ قالَ : أُهدِيَتْ إلى الرَّشيدِ جاريةٌ في غايةِ الجمالِ والكمالِ ، فخلا بها أيَّاماً وأخرجَ كلَّ قينةٍ في دارِهِ ، واصطبحَ يوماً فكانَ مَن حضرَهُ مِن جواريهِ للغناءِ وغيرِهِ زُهاءً علىٰ ألفَي جاريةٍ !! في أحسنِ زيٍّ مِن كلِّ نوعٍ من أنواعِ الثِّيابِ والجَوْهَرِ .

واتَّصلَ الخبرُ بأُمِّ جعفرٍ ، فغَلُظَ عليها ذاكَ ، فأرسلَتْ إلىٰ عُليَّةَ (٤) تشكو إليها ، فأرسلَتْ

---

(١) كذا ضبطت في (أ) ، وفي هامشها : (إنَّما نسبة خالد هٰذا : « القَرْني » بسكون الرَّاء ، نسبة إلىٰ « قَرْن » ؛ قرية من قرىٰ قُطْرَبُّل) ، وهو الصواب كما في « الإكمال » لابن ماكولا (١١١/٧) ، وأظنُّه ـ أعني : ما كُتب في الهامش ـ لمحمَّد المُظفَّريِّ مُطالِع النُّسخة (أ) ؛ فهو بخطِّه أشبهُ ، وانظر ما تقدم ضمن الخبر (١٨٤) .

(٢) أخرجه أبو سليمان الخطابي في « العزلة » (ص ٩٢ ـ ٩٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣١٨/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٤/٤٥) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣٨/٥ ـ ١٣٩) .

(٣) الشِّلْحي : نسبة إلىٰ (شِلْح) ، وهي قرية من عُكْبَرا بنواحي بغداد . « الأنساب » (٤٥١/٣) .

(٤) [عُليَّة بنت أمير المؤمنين المهديّ ، أخت هارون الرَّشيد ، كانت من أحسن النِّساء وأظرفهنَّ وأعقلهنَّ ، توفِّيت سنة]

عُلَيَّةُ : لا يهولَنَّكِ هـٰذا ، فواللهِ ؛ لأردَّنَّهُ ، وأنا أعملُ شِعراً وأصوغُ فيهِ لحناً ، وأطرحُهُ علىٰ جواريَّ ، فلا تدعي عندَكِ جاريةً إلَّا بعثتِ بها إليَّ ، وأَلبِسيهِنَّ فاخرَ الثِّيابِ والحليِّ ؛ ليأخذْنَ الصَّوتَ معَ جواريَّ ، ففعلَتْ أُمُّ جعفرٍ ما أمرَتْها بهِ عُلَيَّةُ .

فلمَّا جاءَ وقتُ العصرِ . . لم يشعرِ الرَّشيدُ إلَّا وعُلَيَّةُ قد خرجَتْ عليهِ مِن حجرتِها ، وأُمُّ جعفرٍ قد خرجَتْ عليهِ مِن حجرتِها ، معَهُما زُهاءُ ألفَي جاريةٍ مِن جواريهِما وسائرِ جواري القصرِ ، عليهِنَّ غرائبُ اللِّباسِ والحليِّ ، وكلُّهُنَّ في لحنٍ واحدٍ هزجٍ صنعَتْهُ عُلَيَّةُ : [من مجزوء الرجز]

مُنْفَصِلٌ عَنِّي وَمَا قَلْبِيَ عَنْهُ مُنْفَصِلْ
يَا قَاطِعِي ٱلْيَوْمَ لِمَنْ نَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلْ ؟

فطربَ الرَّشيدُ ، وقامَ علىٰ رِجلَيهِ حتَّى استقبلَ أُمَّ جعفرٍ وعُلَيَّةَ وهوَ علىٰ غايةِ السُّرورِ ، وقالَ : لم أرَ كاليومِ قطُّ ، ثمَّ قالَ : يا مسرورُ ؛ لا تُبقيَنَّ في بيتِ المالِ إلَّا نثرتَهُ ، فكانَ مبلغُ ما نُثِرَ يومئذٍ ستَّةَ آلافِ ألفِ درهمٍ !! وما سُمِعَ بمثلِ ذٰلكَ اليومِ قطُّ (1)

❊

٩٥٤ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ علىٰ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ سعدِ اللهِ الدَّقِيقيِّ ، عن إسماعيلَ بنِ أحمدَ السَّمَرْقَنْديِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ منهُم أبو اليُمنِ الكِنْديُّ ، وابنُ طَبَرْزَدٍ ، وغيرُهُما ، عن إسماعيلَ بنِ أحمدَ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : أنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ العُكْبَريُّ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ الصَّلتِ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ الحسينِ الأصبهانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ [عبدِ الباقي] (2) بسندِهِ المُتقدِّمِ إلىٰ أبي الفرجِ الأصبهانيِّ قالَ : أخبرَني أحمدُ بنُ عبدِ العزيزِ الجَوْهَريُّ ، حدَّثَني

تسع ومئتين ، عن خمسين سنة ، رحمها الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ) ، وما بين معقوفين هنا غير واضح في (أ) ، والمثبت من مصادر ترجمتها .

(1) أخرجه سبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٥/١٥١ ـ ١٥٢) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧٣/٣١٥ ـ ٣١٦) ، و« نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري (٤/٢٤١ ـ ٢٤٢) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (١٠/٢٣٣ ـ ٢٣٤) .

(2) ما بين معقوفين في (أ) : (الباقي) .

عمرُ بنُ شَبَّةَ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ معاويةَ قالَ : سمعتُ مروانَ ابنَ أبي حفصةَ يقولُ : لقيَنَي النَّاطفيُّ فدعاني إلىٰ عِنانَ ، فانطلقتُ معَهُ ، فدخلَ عليها قبلي فقالَ لها : قد جئتُكِ بأشعرِ النَّاسِ مروانَ ابنِ أبي حفصةَ ، وكانَتْ عليلةً ، فقالَتْ : إنِّي عن مروانَ لفي شغلٍ ، فأهوىٰ إليها بسوطِهِ فضربَها ، وقالَ ليَ : ادخلْ .

فدخلتُ وهيَ تبكي ، فرأيتُ الدُّموعَ تنحدرُ مِن عينِها ، فقلتُ : [من السريع]

بَكَتْ عِنَانُ مُسْبَلاً دَمْعُهَا كَالدُّرِّ إذْ يَسْبِقُ مِنْ خَيْطِهِ

فقالَتْ مُسرِعةً :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا عَامِداً تَيْبَسُ يُمْنَاهُ عَلَىٰ سَوْطِهِ

فقلتُ للنَّاطفيِّ : أعتقَ مروانُ ما يملكُ إن كانَ في الإنسِ والجنِّ أشعرُ منها[1]

* * *

٩٥٥ ـ وبهِ إلىٰ أبي الفرجِ الأصبهانيِّ قالَ : أخبرَني جعفرُ بنُ قدامةَ قالَ : أخبرَني أبو العيناءِ ، عنِ العبَّاسِ بنِ رستمٍ قالَ : دخلتُ أنا وأبانٌ اللَّاحقيُّ علىٰ عِنانَ جاريةِ النَّاطفيِّ في يومٍ مِنَ الصَّيفِ وهيَ جالسةٌ في الخَيْشِ[2] ، فقالَ لها أبانٌ : [من السريع]

لَذَّةُ عَيْشِ الصَّيْفِ فِي الْخَيْشِ

فقالَتْ :

لَا فِي لِقَاءِ الْجَيْشِ [بِالْجَيْشِ][3]

فقلتُ لها مُعرِّضاً بها : ما أحسنَ ما قالَ جريرٌ[4] : [من الطويل]

ظَلِلْتُ أُرَاعِي صَاحِبَيَّ تَجَلُّداً وَقَدْ عَلِقَتْنِي مِنْ هَوَاكِ عَلُوقُ

فقالَتْ غيرَ مُتوقِّفةٍ : [من الطويل]

---

(١) أخرجه ابن المزرع في « الأمالي » (١١) بنحوه ، وابن الجراح في « الورقة » (ص ٤٣ ـ ٤٤) عن مروان وعن أبي نواس ، وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (٢٧/٩٢٢٠ ـ ٩٢٢١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٧/٢٩٥) ، وانظر « العقد الفريد » (٦/٥٩ ـ ٦٠) عن بكر بن حماد الباهلي ، و« ربيع الأبرار » (١/٥١٤ ـ ٥١٥) عن أبي نواس ، و« نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري (٥/٧٦) .

(٢) الخَيْش : ثيابٌ في نسجها رقَّة ، وخيوطها غِلاظ ، من أردأ الكتَّان .

(٣) ما بين معقوفين في (أ) : (بالخيش) ، والمثبت موافق لما في « الإماء الشواعر » .

(٤) انظر « ديوانه » (١/٣٧٣) .

إِذَا عَـقَـلَ ٱلْـخَـوْفُ ٱلْـلِّـسَـانَ تَـكَـلَّـمَـتْ ... بِـأَسْـرَارِهِ عَـيْـنٌ عَـلَـيْـهِ نَـطُـوقُ[1]

حكاية

[ثوبُ الإمامِ لا تأكلُهُ النِّيرانُ]

٩٥٦ ـ وأُنبِئتُ عن محمَّدِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ البغداديّ ، وأنبأَني أبو الفرجِ ابنُ وَرِّيدةَ قالا : أنبأَنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي قالَ : أنا إبراهيمُ بنُ عمرَ البَرْمَكيُّ إذناً قالَ : وجدتُ في كتابِ أبي بخطِّ يدِهِ ، أنا أبو عيسىٰ يحيى ابنُ سهلٍ العُكْبَريُّ إجازةً قالَ : ثنا أحمدُ بنُ يعقوبَ وكيلُ ياقوتٍ قالَ : حدَّثَتْنا فاطمةُ بنةُ أحمدَ ابنِ حنبلٍ قالَتْ : وقعَ الحريقُ في بيتِ أخي صالحٍ ، وكانَ قد تزوَّجَ إلىٰ قومٍ مياسيرَ حملوا إليهِ جهازاً بأربعةِ آلافِ دينارٍ ، فأكلَتْهُ النَّارُ ، فجعلَ صالحٌ يقولُ : ما غَمِّي لِمَا ذهبَ منِّي ، ولـٰكنْ لثوبٍ كانَ لأبي ، كانَ يُصلِّي فيهِ ، أتبرَّكُ بهِ .

قالَ : فطُفِئَ الحريقُ ودخلوا ، فوجدوا الثَّوبَ علىٰ سريرٍ قد أكلَتِ النَّارُ ما حولَهُ والثَّوبُ سليمٌ !![2]

نكتة

[بينَ عليِّ بنِ الجهمِ وفضلَ الشَّاعرةِ]

٩٥٧ ـ وبالأسانيدِ المُتقدِّمةِ إلىٰ أبي الفرجِ الأصبهانيِّ قالَ[3] : أخبرَني محمَّدُ بنُ خلفٍ المَرْزُبانيُّ قالَ : حدَّثَني أبو العبَّاسِ المَرْوَزيُّ قالَ : قالَ المُتوكِّلُ لعليِّ بنِ الجهمِ : قلْ بيتاً ، وقلْ لفضلَ الشَّاعرةِ ـ يعني : جاريتَهُ ـ تُجيزُهُ .

فقالَ عليٌّ : أَجيزي يا فضلُ : [من مخلع البسيط]

لَاذَ بِـهَـا يَـشْـتَـكِـي إِلَـيْـهَـا ... فَـلَـمْ يَـجِـدْ عِـنْـدَهَـا مَـلَاذَا

فأطرقَتْ هنيهةً ، ثمَّ قالَتْ :

وَلَـمْ يَـزَلْ ضَـارِعـاً إِلَـيْـهَـا ... تَـهْـطِـلُ أَجْـفَـانُـهُ رَذَاذَا

---

(١) أخرجه الصولي في « الأوراق » (أخبار الشعراء المحدثين) (ص٢٣ ـ ٢٤) ، وأبو الفرج الأصبهاني في « الإماء الشواعر » (ص ٣٥ ـ ٣٦) ، وانظر « بدائع البدائه » لابن ظافر الأزدي (١٧٤) .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (١١/٢٣٠) ، و« الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (١/٤٣٠) .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٩٣٠) .

فَـعَـاتَـبُـوهُ فَـزَادَ عِـشْـقـاً   فَـمَـاتَ وَجْـداً فَـكَـانَ مَـاذَا [1]

* *

٩٥٨ ـ وبها إلىٰ أبي الفرجِ الأصبهانيِّ قالَ : حدَّثَني جعفرُ بنُ قدامةَ ، حدَّثَني سعيدُ بنُ حميدٍ قالَ : قلتُ لفضلَ الشَّاعرةِ : أجيزي : [من المنسرح]

مَـنْ لِـمُـحِـبٍّ أَحَـبَّ فِـي صِـغَـرِهْ

فقالَتْ غيرَ مُتوقِّفةٍ :

فَـصَـارَ أُحْـدُوثَـةً [عَـلَـىٰ] [2] كِـبَـرِهْ

فقلتُ :

مِـنْ نَـظَـرٍ شَـفَّـهُ وَأَرَّقَـهُ

فقالَتْ :

فَـكَـانَ مَـبْـدَا هَـوَاهُ مِـنْ نَـظَـرِهْ

ثمَّ شُغِلَتْ هنيهةً ، ثمَّ قالَتْ :

لَـوْلَا ٱلْأَمَـانِـي لَـمَـاتَ مِـنْ كَـمَـدٍ   مَـرُّ ٱلـلَّـيَـالِـي يَـزِيـدُ فِـي فِـكَـرِهْ

لَـيْـسَ لَـهُ مُـسْـعِـدٌ يُـسَـاعِـدُهُ   بِـٱلـلَّـيْـلِ فِـي طُـولِـهِ وَفِـي قِـصَـرِهْ [3]

فائدة

[في قراءةِ فاتحةِ كلِّ سورةٍ]

٩٥٩ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : أنبأَنَا أبو طاهرٍ العَطَّارُ ، عن أبي عليٍّ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ ابنِ المهديِّ قالَ : أنا والدي قراءةً عليهِ قالَ : سمعتُ ميمونةَ بنتَ شاقولةَ الواعظةَ تقولُ : (آذانا جارٌ لنا ، فصلَّيتُ ركعتَينِ وقرأتُ مِن فاتحةِ كلِّ سورةٍ آيةً حتَّىٰ

---

(١) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الإماء الشواعر » (ص ٦٥) ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٥/١٢٧) ، و« المنتظم » (٧/١٠٨) ، و« بدائع البدائه » لابن ظافر الأزدي (١٣٩) ، و« تاريخ الإسلام » (١٩/٢٢٩) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٤/٧٥) ، و« فوات الوفيات » للكتبي (٣/١٨٥) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (في) ، والمثبت موافقٌ لرواية مصادر التخريج .

(٣) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الإماء الشواعر » (ص ٦٩) ، والسراج القارئ في « مصارع العشاق » (١/٣٢٢) ، وابن ظافر الأزدي في « بدائع البدائه » (١٦٠) لكن عن سلمى اليمانية وأبي عبادة ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٢٤/٧٦) .

ختمتُ القرآنَ ، وقلتُ : اللَّهُمَّ ؛ اكفِنا أمرَهُ ، ثمَّ نمتُ ففتحتُ عينيَّ ، فرأيتُ النُّجومَ[١] ، فقرأتُ : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢]

فلمَّا كانَ سَحَرٌ . . قامَ ذٰلكَ الإنسانُ فزلَّتْ قدمُهُ ، فوقعَ فماتَ)[٣]

٭

٩٦٠ ـ وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : أنا جعفرُ بنُ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ المُقرِئُ بالإسكندريَّةِ قالَ : أنا أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمَّدٍ السِّلَفيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ السِّلَفيِّ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ محمَّدَ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ ابنِ المهديِّ الهاشميِّ بدارِهِ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ والدي يقولُ : سمعتُ ميمونةَ بنتَ شاقولةَ الواعظةَ ـ وماتَتْ سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ وثلاثِ مئةٍ ـ تقولُ : (هٰذا قميصي لهُ اليومَ سبعٌ وأربعونَ سنةً !! أَلْبَسُهُ وما تخرَّقَ ، غزلَتْهُ أُمِّيَ ، الثَّوبُ إذا لم يُعصَ اللهُ فيهِ . . لا يتخرَّقُ سريعاً)[٤]

نُكتةٌ

[في رقعةِ ميمونةَ الواعظةِ]

٩٦١ ـ قالَ[٥] : وأخبرَني ابنُها عبدُ الصَّمدِ قالَ : كانَ في دارِنا حائطٌ مَخُوفٌ ، فقلتُ لها : أمضي أستدعي البَنَّاءَ ، فقالَتْ : هاتِ رقعةً والدَّواةَ ، فناولتُها فكتبَتْ فيها ، وقالَتْ : دَعْهُ في كُوَّةٍ منهُ ، ففعلتُ فبقيَ نحواً مِن عشرينَ سنةً .

فلمَّا ماتَتْ . . ذكرتُ القرطاسَ ، فقمتُ فأخذتُهُ لأقرأَهُ ، فوقعَ الحائطُ ، وإذا في الرُّقعةِ : (﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾[٦] ، باسمِ اللهِ ، يا مُمسِكَ السَّماواتِ والأرضِ ؛ أَمسِكْهُ)[٧]

٭ ٭

(١) في مصادر التخريج زيادة : (مُصطفَّةً) .

(٢) سورة البقرة : (١٣٧) .

(٣) أخرجه أبو الفضل ابن المهدي في « مشيخته » (ق/١٦) مخطوط ، و ابن الجوزي في « المنتظم » (٩/٨٢ ـ ٨٣) .

(٤) أخرجه أبو الفضل ابن المهدي في « مشيخته » (ق/١٦) مخطوط ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٩/٨٢ ـ ٨٣) .

(٥) يعني : أبا الفضل ابن المهديِّ والدَ أبي عليٍّ المُتقدِّم ذِكْرُه .

(٦) سورة فاطر : (٤١) .

(٧) أخرجه أبو الفضل ابن المهدي في « مشيخته » (ق/١٦ ـ ١٧) مخطوط ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٩/٨٣) .

٩٦٢ ـ وأُنبِئتُ عنهُ سماعاً قالَ : قرأتُ علىٰ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ سعدِ اللهِ الدَّقِيقيِّ ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وغيرِهِ ، عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ قالَ : أنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ العُكْبَريُّ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ الصَّلتِ المُجبِّرُ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ الحسينِ الأصبهانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي البَزَّازِ ، عن عليِّ بنِ المُحسِّنِ التَّنُوخيِّ ، عن أبيهِ ، عن أبي الفرجِ الأصبهانيِّ قالَ : أخبرَني جعفرُ بنُ قدامةَ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ قالَ : دخلتُ يوماً علىٰ نبتَ جاريةِ مخفرانةَ المُخنَّثِ ـ وكانَتْ حَسَنةَ الوجهِ والغناءِ ـ ، فقلتُ لها : قد قلتُ مصراعاً فأَجيزيهِ .

فقالَتْ : قلْ ، فقلتُ : [من البسيط]

يَا نَبْتُ حُسْنُكِ يُغْشِي بَهْجَةَ ٱلْقَمَرِ

فقالَتْ :

قَدْ كَادَ حُسْنُكِ أَنْ يَبْتَزَّنِي بَصَرِي

فتوقَّفتُ أُفكِّرُ ، فسبقَتْني فقالَتْ :

وَطِيبُ نَشْرِكِ مِثْلُ ٱلْمِسْكِ قَدْ نَسَمَتْ ... رَيَّا ٱلرِّيَاضِ عَلَيْهِ فِي دُجَى ٱلسَّحَرِ

فزادَتْ فكري ، وبادرَتْني فقالَتْ :

فَهَلْ لَنَا فِيكِ حَظٌّ مِنْ مُوَاصَلَةٍ ... أَوْ لَا فَإِنِّيَ رَاضٍ مِنْكِ بِٱلنَّظَرِ

فقمتُ عنها خَجِلاً ، ثُمَّ عُرِضَتْ بعدَ ذٰلكَ على المُعتمِدِ ، فاشتراها بثلاثينَ ألفَ درهمٍ (١) .

حِكَايَةٌ جَيِّدَةٌ

[مِن طحاطحِ الأعوامِ]

٩٦٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ ابنِ النَّجَّارِ قالَ : قرأتُ علىٰ نعمةَ بنتِ عليِّ بنِ يحيىٰ ـ يعني :

---

(١) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في « الإماء الشواعر » (ص ١٨٣ ـ ١٨٤) ، وابن ظافر الأزدي في « بدائع البدائه » (٨٤) ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٧/١٢٨ ـ ١٢٩) .

ابنَ عليِّ بنِ محمَّدٍ ابنَ الطَّرَّاحِ ـ : أخبرَكِ جدُّكِ يحيى بنُ عليٍّ قراءةً عليهِ ، عنِ القاضي أبي المُظفَّرِ هنَّادِ بنِ إبراهيمَ النَّسَفيِّ قالَ : سمعتُ أبا عمرَ محمَّدَ بنَ عبدِ الرَّحمٰنِ القاضيَ بالبصرةِ قالَ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الكُدَيميَّ يقولُ : سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ : خرجْنا معَ الرَّشيدِ إلىٰ مكَّةَ ، فنزلْنا بعضَ المنازلِ ، فخرجتُ أسمعُ بعضَ كلامِ العربِ ، فإذا أعرابيَّةٌ تقولُ : [من الخفيف]

طَحْطَحَتْنَا طَحَاطِحُ ٱلْأَعْوَامِ (١) وَرَمَانَا [تَصَرُّفُ] (٢) ٱلْأَيَّامِ

فَأَتَيْنَاكُمُ نَمُدُّ أَكُفّاً لِفُضَالَاتِ زَادِكُمْ وَٱلطَّعَامِ

فَاطْلُبُوا ٱلْأَجْرَ وَٱلْمَثُوبَةَ فِينَا أَيُّهَا ٱلزَّائِرُونَ بَيْتَ ٱلْحَرَامِ

مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي وَرَحْلِي فَارْحَمُوا غُرْبَتِي وَذُلَّ مُقَامِي

فأتيتُ الرَّشيدَ ، فلمَّا تغدَّيْنا . . حدَّثْتُهُ حديثَها ، فقالَ : قُمْ بنا إليها ، فقامَ معَهُ خادمانِ حتَّىٰ أتيْنا الأعرابيَّةَ ، فقلتُ لها : هٰذا أميرُ المؤمنينَ ، فقالَتْ : وما يشاءُ ؟ وبينَ يدَيها صحفةٌ فيها كسرٌ ، فقلتُ : أَنشِديهِ الأبياتَ ، فأنشدَتْهُ فتغرغرَتْ عيناهُ ، ثمَّ قالَ : يا مسرورُ ؛ املأْ لها صحفتَها دنانيرَ ، فصبَّ فيها (٣) حتَّىٰ فاضَتْ مِن جوانبِها ، ثمَّ قسمَ في أهلِ البدوِ ثلاثةَ آلافِ دينارٍ (٤) .

❋ ❋ ❋

---

(١) طَحْطَحَتْنا : فرَّقَتْنا إهلاكاً .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (بصرف) ، والمثبت لضرورة الوزن .

(٣) (فيها) : مكررة في (أ) .

(٤) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٦٠٦) ، وانظر « مختصر تاريخ دمشق » (٢٣/٢٧ ـ ٢٤) .

حكاية (١)

[مِن عنايةِ اللهِ بخَلْقِهِ]

٩٦٤ ـ وأنبأَنيَ المُحدِّثُ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ النَّصيرِ بنِ نبا المُقرِئُ قالَ : أخبرَنا الحافظُ زكيُّ الدِّينِ أبو محمَّدٍ عبدُ العظيمِ بنُ عبدِ القويِّ بنِ عبدِ اللهِ المُنذِريُّ بقراءتي عليهِ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ قالَ : أنبأَني أبو طاهرٍ بركاتُ بنُ إبراهيمَ الخُشُوعيُّ ، عن أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ الوليدِ ابنِ خلفِ بنِ سليمانَ بنِ أيُّوبَ الفِهْريِّ الأَنْدَلُسيِّ الطُّرْطُوشيِّ قالَ : أنا أستاذُنا القاضي الإمامُ أبو الوليدِ سليمانُ بنُ خلفٍ الباجيُّ الأَنْدَلُسيُّ قالَ : كنتُ بالمَوْصِلِ رائحاً إلى الجمعةِ معَ أبي القاسمِ حُبَيشِ بنِ أحمدَ بنِ حُبَيشٍ ، فمررْنا بدارٍ بفِنائِها مسجدٌ ، ويُلاصِقُ المسجدَ حانوتٌ ، فقالَ : لقد جرَتْ ها هنا قضيَّةٌ عجيبةٌ .

قلتُ : وما هيَ ؟

قالَ : كانَ يسكنُ هٰذهِ الدَّارَ رجلٌ مِنَ التُّجَّارِ ممَّن يسافرُ إلى الكُوفةِ ، فيُقيمُ بها مدَّةً يستعملُ ثيابَ الخزِّ ، فإذا أكملَ استعمالَهُ . . حملَهُ في خُرْجِهِ علىٰ حمارٍ لهُ ، وركبَهُ قافلاً إلى المَوْصِلِ إلىٰ دارِهِ هٰذهِ ، فأقامَ معَ أهلِهِ حتَّىٰ يبيعَهُ ، ثمَّ يتجهَّزُ إلى الكُوفةِ ، فأقامَ علىٰ ذٰلكَ مدَّةً مِن عمرِهِ .

ثمَّ بدا لهُ فأخذَ جميعَ مالِهِ ، وارتحلَ إلى الكُوفةِ ، ولم يتركْ لنفسِهِ شيئاً ؛ حرصاً في الاستكثارِ مِنَ الرِّبحِ ، فاشترىٰ في الكُوفةِ ثيابَ الخزِّ ، وشدَّها في خُرْجِهِ علىٰ حمارِهِ ، وارتحلَ إلى المَوْصِلِ .

فلمَّا كانَ في بعضِ الطَّريقِ . . أرادَ أن يُنزِلَ خُرْجَهُ فعجزَ عنهُ لثِقَلِهِ ، فأعانَهُ علىٰ إنزالِهِ رجلٌ بالقربِ منهُ ، فلمَّا حضرَ طعامُهُ . . أخذَ يأكلُ ، ودعا بذٰلكَ الإنسانِ الَّذي أعانَهُ فأكلَ معَهُ ، وسألَهُ عن أمرِهِ ، فأخبرَهُ أنَّهُ رجلٌ خرجَ مِنَ الكُوفةِ لأمرٍ أزعجَهُ بغيرِ زادٍ ، فقالَ لهُ : إن شئتَ . . كنتَ معي في الطَّريقِ ، تُعينُني وطعامُكَ عليَّ ، فقالَ الإنسانُ : إنِّي علىٰ ذٰلكَ لحريصٌ .

فمشيا علىٰ أحسنِ حالٍ حتَّىٰ وصلا تَكْريتَ (٢) ، فنزلَتِ الرِّفقةُ خارجَ المدينةِ ، ودخلَ

---

(١) من هنا كتب من « الفوائد المنتخبة » لأبي بكر الطرطوشي ، من الخبر (٩٦٤) إلىٰ (٩٩١) .

(٢) تَكْريت : بلدة مشهورة بين بغداد والمَوْصِل ، وهي إلىٰ بغداد أقرب . « معجم البلدان » (٢/٣٨) .

النَّاسُ يتحوَّجونَ ويُجدِّدونَ الأزوادَ ، فقالَ التَّاجرُ للخادمِ : احفظْ أسبابَنا حتَّىٰ ندخلَ المدينةَ ، ونشتريَ طعامَنا وأقضيَ حوائجَنا ، فقالَ : نعم .

ودخلَ التَّاجرُ المدينةَ ، وأقامَ يقضي حوائجَهُ ، ثمَّ خرجَ إلى القافلةِ ، فوجدَها قد رحلَتْ ولم يبقَ منهُم أحدٌ ، ولا وجدَ صاحبَهُ ، فسعىٰ إثْرَ الرِّفقةِ حتَّىٰ بلغَها بعدَ الجهدِ ، فلم يجدْ صاحبَهُ ، فسألَ عنهُ أهلَ الرِّفقةِ ، فقالوا : ما جاءَ معَنا ، ولٰكنَّهُ ارتحلَ ودخلَ المدينةَ علىٰ إثرِكَ ، وظننَّا أنَّكَ أمرتَهُ بذٰلكَ ، فتيقَّنَ أنَّهُ قد غدرَهُ .

ودخلَ التَّاجرُ إلىٰ تَكْريتَ ، وسألَ عن أخبارِهِ ، فلم يجدْ لهُ أثراً ، ولا سمعَ لهُ خبراً ، فيئسَ منهُ ، فرجعَ إلى المَوْصِلِ وليسَ معَهُ درهمٌ ولا شيءٌ يتقوَّتُ بهِ ، وقد بلغَ بهِ الجوعُ والجهدُ غايتَهُ ، فكرهَ أن يدخلَها نهاراً فيشمتَ بهِ أعداؤُهُ ويحزنَ أولياؤُهُ ، فبقيَ حتَّىٰ أمسىٰ .

ثمَّ دخلَ المَوْصِلَ ليلاً ، ثمَّ دقَّ بابَ دارِهِ ، فقالوا : مَن هٰذا ؟ قالَ : فلانٌ ـ يعني : نفسَهُ ـ ، ففرحَ أهلُهُ ، وأظهروا السُّرورَ ، وفتحوا البابَ وقالوا : الحَمْدُ للهِ الَّذي جاءَ بكَ في هٰذا الوقتِ علىٰ ما نحنُ فيهِ مِنَ الضَّرورةِ والحاجةِ والفاقةِ ، وقد حملتَ جميعَ مالِكَ ، ولم تُبقِ لنا شيئاً ، وطالَ سفرُكَ حتَّى احتجْنا ، وقد ولدَتْ أهلُكَ اليومَ ولداً ، واللهِ ؛ ما وجدْنا ما نشتري بهِ شيئاً تحتاجُهُ النُّفساءُ ، ولقد كانَتْ طاويةً هٰذهِ اللَّيلةَ معَ حالِها ، فإذ جاءَ اللهُ بكَ فتحيَّلْ لنا في دقيقٍ ودُهنٍ نُسرِجُ بهِ ، فلا سراجَ لنا .

فزادَهُ ذٰلكَ غَمّاً علىٰ غَمِّهِ ، وكرهَ أن يُخبِرَهُم بأمرِهِ فيزدادوا حُزناً ، وأخذَ وعاءً للدُّهنِ وظرفاً للدَّقيقِ ، وخرجَ إلىٰ هٰذا الحانوتِ ، وكانَ فيهِ بيَّاعٌ يُوجَدُ عندَهُ الدَّقيقُ والزَّيتُ والعسلُ وما شاكلَ ذٰلكَ ، قد أغلقَ علىٰ نفسِهِ حانوتَهُ ، وأطفأَ مصباحَهُ ونامَ ، فناداهُ فعرفَهُ وأجابَهُ ، وشكرَ اللهَ تعالىٰ علىٰ سلامتِهِ .

فقالَ لهُ التَّاجرُ : أَخرجْ زناداً . . أَزِنْ لكَ دراهمَ في دَقِيقٍ وزيتٍ وعسلٍ احتجتُ إليهِ السَّاعةَ ، قالَ : وقدَّمتُ ذِكْرَ الدَّراهمِ لئلَّا يتثاقلَ عليَّ ، قالَ : فقدحَ الزِّنادَ وأسرجَ ، فقلتُ لهُ : زِنْ مِنَ الدَّقيقِ كذا ، ومِنَ العسلِ كذا ، ومِنَ السَّمنِ كذا ، ومِنَ الملحِ كذا ، ومِنَ الحطبِ كذا ، ما نُرمِّقُ بهِ حالَنا تلكَ اللَّيلةَ (١)

---

(١) نُرمِّقُ به حالَنا : نُمسِك به رَمَقَنا ، والرَّمَق : بقيَّةُ الحياةِ أو الرُّوحِ .

قالَ : فبينَما هوَ كذٰلكَ . . إذ حانَتْ منهُ التفاتةٌ إلىٰ قعرِ الحانوتِ ، فإذا خُرْجُهُ مطروحٌ !! فلم يتمالكْ أن رمىٰ نفسَهُ عليهِ ، وتعلَّقَ بأطواقِ صاحبِ الحانوتِ وجذبَهُ ، وقالَ : يا عدوَّ اللهِ ؛ أينَ مالي ؟

فقالَ لهُ صاحبُ الحانوتِ : ما لكَ يا أبا فلانٍ ؟! فواللهِ ؛ ما علمتُكَ مُتعدِّياً ، وما علمتُني جنيتُ عليكَ ولا علىٰ سِواكَ ، فقالَ لهُ : هٰذا خُرْجي ، هربَ بهِ خادمٌ كانَ يخدمُني ، ومعَهُ حمارٌ لي كنتُ أركبُهُ ، فقالَ : ما لي علمٌ غيرَ أنَّ رجلاً وردَ عليَّ بعدَ العِشاءِ ، واشترىٰ منِّي عَشاءَهُ ، واستضافَني فضفتُهُ ، فجعلَ هٰذا الخُرْجَ في حانوتي ، وهٰذا الحمارَ في دارِ جارِنا فلانٍ ، والرَّجلُ في هٰذا المسجدِ بائتٌ .

فقالَ التَّاجرُ : احملْ معيَ الخُرْجَ وانهضْ بي إليهِ ، فألقى الخُرْجَ علىٰ عاتقِهِ ، ومشىٰ معَهُ إلى المسجدِ ففتحَهُ ، وإذا الرَّجلُ الَّذي كانَ يخدمُهُ نائماً في المسجدِ ، فرفسَهُ برِجلِهِ فقامَ الرَّجلُ مذعوراً ، فقالَ : ما لَكَ ؟ فقالَ : وأينَ مالي يا خائنُ ؟ قالَ : ها هوَ علىٰ عنقِكَ ، واللهِ ؛ ما تُغادِرُ منهُ ذرَّةً ، قالَ : فأينَ الحمارُ وآلتُهُ ؟ قالَ : عندَ هٰذا الجائي معَكَ .

قالَ : ففتَّشَ متاعَهُ فإذا هوَ بحالِهِ لم يذهبْ منهُ شيءٌ ، وأخذَ حمارَهُ وأوسعَ علىٰ أهلِهِ فيما اشترىٰ لهُم ، وتبرَّكوا بذٰلكَ المولودِ (١) .

حكاية

[ما كنتُ لآخذَ علىٰ أمانتي أجرةً]

٩٦٥ ـ وبهِ إلى الطُّرْطُوشيِّ قالَ : وأخبرَنيَ القاضي أبو الوليدِ رحمَهُ اللهُ قالَ : أخبرَني أبو ذرٍّ قالَ : كنتُ ببغدادَ أقرأُ على الشَّيخِ أبي حفصٍ عمرَ ابنِ شاهينٍ جزءاً مِنَ الحديثِ في حانوتِ رجلٍ مِنَ العَطَّارينَ ، فجاءَ رجلٌ مِنَ الطَّوَّافينَ ، فدفعَ للعَطَّارِ عشرةَ دراهمَ ، وقالَ : ادفعْ لي أشياءَ مِنَ العطرِ سمَّاها لهُ ، فسلَّمَها إليهِ في طبقٍ للرَّجلِ ، فأخذَ طبقَهُ وولَّىٰ مُنصرِفاً ، فعثرَ فسقطَ الطَّبقُ مِن يدِهِ ، وتفرَّقَ جميعُ ما كانَ فيهِ ، فجزعَ الطَّوَّافُ وبكىٰ بكاءً شديداً حتَّىٰ رحمْناهُ .

فقالَ الشَّيخُ للعَطَّارِ : لعلَّكَ تجبُرُ لهُ بعضَها ، فقالَ العَطَّارُ : بل أجبُرُ لهُ جميعَها ، فنزلَ وجمعَ بعضَها ، وجبرَ لهُ ما نقصَ .

---

(١) أخرجه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص ٥٦٩ ـ ٥٧٢) بمعناه .

وأقبلَ الشَّيخُ يُسلِّي الطَّوَّافَ ، ويقولُ لهُ : لا تجزعْ علىٰ حقيرِ الدُّنيا ، واللهُ تعالىٰ إن أخذَ منكَ شيئاً . . رزقَكَ أمثالَهُ .

فقالَ الطَّوَّافُ : لا تظنَّ جزعي لضياعِ هٰذا ، لقد علمَ اللهُ منِّي أنِّي كنتُ في القافلةِ الفلانيَّةِ ، وضاعَ منِّي هِمْيانٌ فيهِ أربعُ مئةِ دينارٍ[1] ، أو أربعةُ آلافِ دينارٍ ـ أنا أشكُّ أيَّ ذٰلكَ قالَ ـ ، قالَ أبو ذرٍّ : ومعَها فُصوصٌ قيمتُها مثلُ ذٰلكَ ، فما جزعتُ لضياعِها ، ولٰكنْ وُلِدَ ليَ اللَّيلةَ مولودٌ ، فاحتاجَ أهلي أمورَ النُّفَساءِ ، فطُلِبَ ذٰلكَ منِّي ولم يكنْ عندي غيرُ تلكَ العشرةِ الدَّراهمِ ، فأشفقتُ أن أشتريَ بها حاجتَهُم فأبقىٰ بغيرِ رأسِ مالٍ ، فلا أقدرَ على التَّكسُّبِ ، فقلتُ : أشتري بها شيئاً وأطوفُ بهِ ؛ لعلِّي أستفضلُ ما أشتري لهُم بعضَ حاجتِهِم ، ويبقىٰ رأسُ مالٍ أتكسَّبُ بهِ .

فلمَّا ضاعَ . . جزعتُ ، فقلتُ : لا أنا عندي ما أرجعُ بهِ إليهِم ، ولا ما أتكسَّبُ بهِ ، وعلمتُ أنَّهُ لم يبقَ لي إلَّا الفِرارُ عنهُم ، وتَرْكُهُم علىٰ هٰذهِ الحالِ يهلكونَ بعدي ، فهٰذا الَّذي أبكاني .

قالَ الشَّيخُ أبو ذرٍّ : ورجلٌ مِن شيوخِ الجُندِ جالسٌ علىٰ بابِ دارِهِ يسمعُ ذٰلكَ كلَّهُ ، فقالَ للشَّيخِ أبي حفصٍ : أرغبُ إذا أكملتُم إصلاحَ شأنِهِ أن تدخلَ معَهُ عندي ، وقامَ فدخلَ إلىٰ دارِهِ ، فظننَّا أنَّهُ يُريدُ أن يُنيلَهُ شيئاً .

فلمَّا كملَ ما حاولَهُ صاحبُ الحانوتِ مِن جبرِ ما كانَ ضاعَ لهُ . . قامَ الشَّيخُ أبو حفصٍ معَهُ ، وقمتُ معَهُما ، فاستأذنَّا علىٰ صاحبِ الدَّارِ فأذنَ لهُ فدخلْنا ، فجلسَ الشَّيخُ معَهُ وجلسْنا ، فقالَ صاحبُ الدَّارِ للطَّوَّافِ : عجبتُ مِن جزعِكَ لِمَا جرىٰ عليكَ ، فأعادَ عليهِ الطَّوَّافُ خبرَهُ وما أوجبَ جزعَهُ ، وأنَّهُ قد ضاعَ لهُ في قافلةٍ ذكرَها الهِمْيانُ الَّذي ذكرَهُ وما جزعَ .

فقالَ لهُ صاحبُ الدَّارِ : وكنتَ في تلكَ القافلةِ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : ومَن كانَ بها مِن أعلامِ النَّاسِ ؟ فذكرَ لهُ مَن علمَ أنَّهُ قد حضرَها .

فقالَ لهُ : وفي أيِّ موضعٍ ضاعَ الهِمْيانُ لكَ ؟ فذكرَ الموضعَ الَّذي سقطَ لهُ فيهِ ، فقالَ لهُ : وما علامتُهُ وصفتُهُ ؟ فوصفَهُ بصفتِهِ .

---

(١) الهِمْيان : كيسٌ للنَّفقة يُشَدُّ في الوسط .

فقالَ : أتعرفُهُ لو رأيتَهُ ؟ قالَ : نعم ، فأخرجَ صاحبُ الدَّارِ هِمْياناً ، ووضعَهُ بينَ يدَيهِ ، فقالَ : هٰذا الهِمْيانُ الَّذي سقطَ ، وممَّا يُوضِّحُ قولي أنَّ فيهِ مِنَ الأحجارِ ما صفتُهُ كذا وكذا ، ففتحَ الهِمْيانَ فوجدَ الأحجارَ علىٰ ما وصفَ ، فقالَ لهُ صاحبُ الدَّارِ : خُذْ مالَكَ ، قد جمعَ اللهُ عليكَ .

فقالَ الطَّوَّافُ : هٰذهِ الأحجارُ قيمتُها بقدرِ الدَّنانيرِ وأكثرُ ، ولي فيها غنىً واسعٌ ، فخُذْ أنتَ الدَّنانيرَ فنفسي طيِّبةٌ بذٰلكَ .

فقالَ صاحبُ الدَّارِ : واللهِ ؛ لا أخذتُ منها شيئاً ، وما كنتُ لآخذَ علىٰ أمانتي أجرةً ، فخرجَ الطَّوَّافُ وهوَ مِنَ الأغنياءِ .

فبكىٰ صاحبُ الدَّارِ ، فقالَ لهُ الشَّيخُ أبو حفصٍ : ما يُبكيكَ ؟ هٰذهِ مسرَّةٌ ، أدَّيتَ أمانةً ، وقد بذلَ لكَ مالاً كثيراً حلالاً فلم تقبلْهُ ؟!

فقالَ : ما أبكي لذٰلكَ ، ولٰكنِّي أعلمُ وأتيقَّنُ أنَّهُ قد حانَ أجلي ؛ فإنَّه ما كانَ بقيَ لي أملٌ أُؤمِّلُهُ ولا أُمْنِيَّةٌ أتمنَّاها إلَّا أن يأتيَ اللهُ تعالىٰ بصاحبِ هٰذا الهِمْيانِ ، فيأخذَ مالَهُ ، فلمَّا قضى اللهُ ذٰلكَ بفضلِهِ ، ولم يبقَ لي أملٌ . . علمتُ أنَّهُ قد حانَ أجلي .

قالَ الشَّيخُ أبو ذرٍّ : فما انقضىٰ شهرٌ حتَّىٰ تُوُفِّيَ ، وصلَّيْنا عليهِ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ (١)

نُكتةٌ جيِّدةٌ

[ما تقولُ فينا أهلَ البيتِ ؟]

٩٦٦ ـ وبهِ إلى الطُّرْطُوشيِّ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أبي نصرٍ الحُمَيديُّ إجازةً .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ المُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وغيرِهِ ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريِّ ، عنِ الحُمَيديِّ قالَ : أنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ محمَّدٍ الصَّعيديُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ السَّائحُ قالَ : سمعتُ أبا عمرٍو محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ أبي العوَّامِ يذكرُ لي : أنَّ يحيى بنَ مُعاذٍ الرَّازيَّ دخلَ على العلويِّ العمريِّ ببَلْخَ ، فقالَ لهُ العمريُّ : ما تقولُ فينا أهلَ البيتِ ؟

فقالَ : وما أقولُ في غَرْسٍ غُرِسَ بماءِ الوحيِ ، وطينٍ عُجِنَ بماءِ الرِّسالةِ ؟! فهل يفوحُ منهُما إلَّا مسكُ الهدىٰ وعنبرُ التُّقىٰ ؟!

---

(١) أخرجه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص ٥٦٧ ـ ٥٦٩) بمعناه .

قالَ : أحسنتَ ، وأمرَ أن يُحشىٰ فمُهُ دُرّاً .

قالَ : ثمَّ زارَهُ مِن غدٍ ، فلمَّا دخلَ العمريُّ علىٰ يحيى بنِ مُعاذٍ . . قالَ لهُ يحيىٰ[1] : إن زرتَنا . . فبفضلِكَ ، وإن زرْناكَ . . فلفضلِكَ ؛ فلكَ الفضلُ زائراً ومَزُوراً[2]

والعلويُّ العمريُّ هـٰذا مِن أولادِ عمرَ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ[3]

حكاية

[بينَ مالكٍ واللَّيثِ بنِ سعدٍ]

٩٦٧ ـ وبهِ إليهِ قالَ : سمعتُ الشَّيخَ أبا القاسمِ مهديَّ بنَ يوسفَ وأنا أقرأُ عليهِ كتابَ « التَّلقينِ »[4] ، وكانَ قد سمعَهُ على القاضي عبدِ الوهَّابِ ، وذٰلكَ في سنةِ ستٍّ وسبعينَ وأربعِ مئةٍ يقولُ : أرسلَ مالكُ بنُ أنسٍ إلى اللَّيثِ بنِ سعدٍ بمصرَ أنِ ابعثْ إليَّ بشيءٍ مِن زَعْفَرانٍ ؛ فإنِّيَ احتجتُ شيئاً مِنَ الطِّيبِ لتجهيزِ الصَّبيَّةِ ، فوجَّهَ إليهِ اللَّيثُ بسبعةِ أسفاطِ زَعْفَرانٍ[5] ، فأرسلَ إليهِ مالكٌ سبعَ تمراتٍ ، وقالَ : هـٰذهِ تمرُ نخلٍ غرسَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بيدِهِ .

فقالَ اللَّيثُ : حرسَكَ اللهُ يا أبا عبدِ اللهِ ، لو علمتُ هـٰذا . . لأرسلتُ إليكَ بعيرٍ أوَّلُها عندَكَ وآخِرُها عندي .

*

٩٦٨ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأنشدَنا الخطيبُ أبو محمَّدٍ للقاضي أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ عليٍّ الخُشَيْشيِّ : [من المتقارب]

وَقَـدْ كُـنْـتَ خِـلّاً وَدُوداً بِـنَـا ... فَـصَـيَّـرَكَ ٱلـدَّهْـرُ خَـلّاً وَدُودَا

---

(١) يروىٰ هـٰذا القول عن الخليل بن أحمد ، كما في « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١/٦٦) ، و« درة الغواص » للحريري (ص ٧١) ، و« ربيع الأبرار » (٢/٥٦٥) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤/٣٨٣) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٦/٣٠٨ ـ ٣٠٩) ، والحميدي في « جزئه » ضمن كتاب « الفوائد » (١١٣٠) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/١١٧) ، وانظر « وفيات الأعيان » (٦/١٦٧) ، و« مسالك الأبصار » للعمري (٨/٥٤) .

(٣) انظر « التذكرة البلقينية » (١١٩) .

(٤) كتاب في الفقه المالكيّ ، لمؤلّفه الإمام القاضي ، أبي محمَّد ، عبد الوهَّاب بن عليِّ بن نصر ، البغداديِّ المالكيِّ ، المتوفَّىٰ سنة (٤٢٢ هـ) .

(٥) أسفاط : جمع سَفَط ؛ وهو الوعاء يُعبَّىٰ فيه الطِّيبُ وما أشبهَهُ مِن أدوات النِّساء .

نُكْتَةٌ

[في قيامةٍ قبلَ القيامةِ]

٩٦٩ ـ وبهِ إليهِ قالَ[1] : (ورأيتُ ببغدادَ آيةً مِن آياتِ اللهِ الكبرىٰ ؛ كنتُ جالساً يوماً العصرَ لإحدىٰ عشرةَ بقيَتْ مِن جمادى الآخرةِ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وأربعِ مئةٍ ؛ إذ سمعْنا دَوِيّاً عظيماً ، وأقبلَ ظلامٌ ، فإذا رِيحٌ لم أرَ قطُّ أقوىٰ ولا أشدَّ عصوفاً منها ، سوداءُ ثخينةٌ ، يبينُ لكَ جسمُها ، فاسودَّ النَّهارُ وذهبَ آثارُهُ ، وغابَتِ الشَّمسُ وأثرُها ، وبقيْنا كأنَّا في أشدِّ ما يكونُ مِنَ الظَّلامِ الحِنْدِسِ ، كأنَّنا في جنحِ ليلٍ لا نجومَ فيهِ ، لا يُبصِرُ أحدٌ يدَهُ ولا صاحبَهُ !!

وماجَ النَّاسُ بعضُهُم في بعضٍ ، ولم نشكَّ إلَّا أنَّها القيامةُ ، أو خسفٌ ، أو عذابٌ قد أحاطَ بالخلائقِ ، وبقيَ الأمرُ كذٰلكَ قدرَ ما يَنْضَجُ الخبزُ ، ورجعَ ذٰلكَ السَّوادُ حمرةً ؛ كأنَّهُ لهبُ النَّارِ ، أو جمرٌ يتوقَّدُ !! فلم نشكَّ حينئذٍ أنَّها نارٌ أرسلَها اللهُ تعالىٰ على العبادِ ، وأَيِسْنا مِنَ النَّجاةِ .

ثمَّ مكثَ أقلَّ مِن مكثِ الظَّلامِ ، وتجلَّتْ بحَمْدِ اللهِ عن سلامةٍ .

ونهبَ النَّاسُ بعضُهُم بعضاً في الأسواقِ ، وتخاطفوا عمائمَهُم ورحالاتِهِم ، ثمَّ طلعَتِ الشَّمسُ ، وبقيَتْ ساعةً إلى الغروبِ)[2]

حِكَايَةٌ

[كشفَ اللهُ الضُّرَّ ببركةِ الرَّجلِ الصَّالحِ]

٩٧٠ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأخبرَني إمامُ الجامعِ بالإسكندريَّةِ مِن أهلِ صِقِلِّيَّةَ قالَ : (كنتُ بصِقِلِّيَّةَ أيَّامَ فتنِ العدوِّ ، فزحفَ العدوُّ إلينا في قريبٍ مِن ثلاثِ مئةِ سفينةٍ في البحرِ ، وأرسَتْ في السَّاحلِ ، وفينا الشَّيخُ الصَّالحُ العابدُ أبو بكرٍ ابنُ السَّمَنْطاريِّ[3] ، وكانَ قد جمعَ بينَ العلمِ والعملِ ، فنظرَ إلى السَّماءِ حيناً ، ثمَّ سجدَ وعفَّرَ خدَّيهِ بالأرضِ يُقلِّبُهُما يميناً وشمالاً

---

(١) يعني : أبا بكر ، محمَّد بن الوليد ، الطُّرْطُوشيَّ الأَنْدَلُسيَّ المُتقدِّمَ .

(٢) ذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » (١١/٣٢٦) ط . دار الغرب الإسلامي ، وعزاه للطرطوشي في « فوائده » .

(٣) السَّمَنْطاري : نسبة إلىٰ (سَمَنْطار) ، وهي قرية في جزيرة صِقِلِّيَّة . « معجم البلدان » (٣/٢٥٣) .

قالَ : فواللهِ ؛ ما برحْنا حتَّىٰ هبَّتْ ريحٌ مِن البَرِّ مزَّقَتْها ومَن فيها كلَّ مُمزَّقٍ !! فلم يجتمعْ منها اثنانِ)[1]

حِكَايَةٌ

[أَقْسَمَ على اللهِ فأبرَّهُ]

٩٧١ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأخبرَني أبو القاسمِ بنُ هائلٍ[2] الفقيهُ قالَ : (كنتُ في طريقِ الحجازِ ، فعطشَ النَّاسُ وبَعُدَ الماءُ ، ونحنُ في مفازةِ تبوكَ ، فلم نقدرْ على الماءِ ، ولم يُوجَدْ إلَّا عندَ صاحبِ لي جمَّالٍ ، فجعلَ يبيعُهُ بالدَّنانيرِ بأرفعِ الأثمانِ ، فجاءَ رجلٌ كانَ موسوماً بالصَّلاحِ ، عليهِ قطعةُ نِطْعٍ ، يحملُ رَكْوةً ، ومعَهُ شيءٌ مِن دَقِيقٍ ، فتشفَّعَ بي إلى الجمَّالِ ليبيعَهُ شيئاً مِنَ الماءِ بذٰلكَ الدَّقِيقِ ، فكلَّمتُهُ غيرَ مرَّةٍ وعاودتُهُ ، فأبىٰ عليَّ .

قالَ : فنحَّى الرَّحلَ الَّذي عليهِ ، وبسطَهُ في الأرضِ ، ونثرَ عليهِ الدَّقِيقَ ، ثمَّ رمقَ السَّماءَ ، وقالَ : إلٰهي ؛ أنا عبدُكَ وهٰذا دَقِيقُكَ ، وقد أبىٰ أن يقبلَهُ ، ثمَّ ضربَ بيدِهِ في النِّطْعِ ، وقالَ : وعزَّتِكَ ؛ لا برحتُ حتَّىٰ أشربَ .

قالَ : فواللهِ ؛ ما تفرَّقْنا حتَّىٰ نشأَ السَّحابُ ، فمطرْنا للحينِ ، فجمعَ الدَّقِيقَ وشربَ الماءَ في نِطْعِهِ ذٰلكَ)[3]

٩٧٢ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأخبرَني أحمدُ القُرْطُبيُّ ـ وكانَ مِن عبادِ اللهِ الصَّالحينَ ، لزمَ السِّياحةَ والعبادةَ حتَّىٰ ماتَ بمكَّةَ ، رحمَهُ اللهُ ـ قالَ : كنتُ يوماً معَ صالحٍ المِكْناسيِّ الزَّاهدِ وكنتُ أخدمُهُ ، قالَ : فاجتمعْنا بالشَّيخِ السَّائحِ العابدِ أبي محمَّدٍ المالَقيِّ ـ وهٰذا رجلٌ عاصرتُهُ ، لم يكنْ في زمانِهِ مثلُهُ ، لا يُدخِلُ جوفَهُ إلَّا مِن عملِ يدِهِ ، فكانَ يعملُ السِّلالَ ، ينسجُها ثمَّ يبيعُها بنصفِ درهمٍ وثُمنٍ ، فيرومُ النَّاسُ أن يأخذَ فيها الدِّرهمَ والدَّراهمَ فيأبىٰ ، وكانَ ذٰلكَ قوتَهُ إلىٰ أن ماتَ ـ ، فقالَ لهُ صالحٌ المِكْناسيُّ : سألتُكَ باللهِ يا أبا محمَّدٍ ؛ هل رأيتَ قطُّ شيئاً في سياحتِكَ وخلواتِكَ ؟

فتغيَّرَ لونُهُ ، واحمرَّ ثمَّ اصفرَّ ، ورفعَ رأسَهُ إلى السَّماءِ ، فقالَ : أعرفُ مِن سيِّدي أنِّي

---

(١) أخرجه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص ٥٦٠ ـ ٥٦١) بمعناه .

(٢) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

(٣) أخرجه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص ٥٦١) بمعناه .

عطشتُ مرَّةً عطشاً شديداً ، فأخذتُ مِن ماءِ البحرِ المالحِ ، فشربتُهُ فإذا هوَ حلوٌ كسائرِ المياهِ الحلوةِ !!

حكاية

[سبحانَكَ يا مُغيثَ المُستغيثينَ]

٩٧٣ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأخبرَني رجلٌ ـ كانَ يُجالِسُني في حَلْقةِ العلمِ ، عليهِ صلاحٌ وسكينةٌ ـ قالَ : كانَ عندَنا بصِقِلّيَّةَ سلطانٌ ـ أظنُّهُ قالَ : يُسمَّى : الأكحلَ ـ ، قالَ : فأرِقَ ليلةً لا يغمضُ نوماً ، فأرسلَ إلى المُتولِّي لأمورِ البحرِ ، وقالَ : جهِّزِ الآنَ مركباً إلىٰ إفريقيةَ يأتونَنا بأخبارِها ، قالَ : فجهَّزَ المركبَ وأرسلَهُ لحينِهِ .

فلمَّا أصبحوا . . إذا بالمركبِ في موضعِهِ ، فقالَ لهُ الملكُ : أليسَ فعلتَ ما أمرتُكَ ؟ قالَ : نعم ، فجاءَ مُقدَّمُ المركبِ ومعَهُ رجلٌ ، فقالَ لهُ الملكُ : ما منعَكَ أن تذهبَ حيثُ أُمِرتَ ؟

قالَ : إنِّي ذهبتُ ، فبينا أنا في جوفِ اللَّيلِ في لجَّةِ البحرِ . . إذا أنا بصوتٍ يقولُ : يا أللهُ يا أللهُ ؛ يُكرِّرُها مِراراً ، فلمَّا استقرَّ صوتُهُ في أسماعِنا . . نادَيْناهُ : يا لبَّيكَ يا لبَّيكَ ، وقذفْنا بالسَّفينةِ نحوَهُ ، فألفيْنا هـٰذا الرَّجلَ غريقاً في البحرِ في آخرِ رَمَقٍ ، فرفعْناهُ وسألْناهُ عن حالِهِ .

قالَ : كنَّا في سفينةٍ ، فغرقَتْ منذ أيَّامٍ ، وما زلتُ أسبحُ حتَّىٰ وجدتُ الموتَ ، فاستغثتُ باللهِ فلم أشعرْ إلَّا بالغوثِ صوتاً يُنادي : يا لبَّيكَ يا لبَّيكَ (١)

فسبحانَ مَن سخَّر لغريقٍ في لجَّةِ البحرِ في جوفِ اللَّيلِ جبَّاراً مِن جبابرةِ الأرضِ ، فأرَّقَهُ ومنعَهُ النَّومَ ، وألهمَهُ تجهيزَ مركبٍ في البحرِ حتَّى استخرجَهُ مِن تلكَ الظُّلماتِ ، لا إلـٰهَ إلَّا أنتَ ، سبحانَكَ ، إنِّي كنتُ مِنَ الظَّالمينَ (٢)

حكاية

[تقوى اللهِ سببُ استدامةِ النِّعَمِ]

٩٧٤ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأخبرَني أبو بكرٍ ابنُ الدَّقَّاقِ المعروفُ بابنِ الخاضبةِ ببغدادَ قالَ :

---

(١) أخرجه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص ٥٥٩ ـ ٥٦٠) بمعناه .

(٢) هو بمعناه في « سراج الملوك » (ص ٥٦٠) من كلام الطرطوشي .

عُمِّرَ القاضي الإمامُ أبو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ مئةَ سنةٍ وسنةً ، لم يفقدْ شيئاً مِن جوارحِهِ ، فقلتُ لهُ يوماً : يا سيِّدي ؛ لقد متَّعَكَ اللهُ بسمعِكَ وبصرِكَ وجوارحِكَ ؛ فاشكرِ اللهَ علىٰ ذٰلكَ .

فقالَ لي : يا بُنَيَّ ؛ مذ رزقَنيها لم أَعصِهِ بها ، فمُتِّعتُ كما ترىٰ[1]

وهٰذا نبأٌ عظيمٌ يعزُّ علىٰ بسيطِ الأرضِ مَن يصفُ بهِ نفسَهُ .

حكايةٌ غريبةٌ

[بينَ أصحابِ الواعظِ وأصحابِ الفقيهِ]

٩٧٥ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وحدَّثَني بعضُ شيوخِ المصريِّينَ قالَ : كانَ عندَنا بمصرَ في الجامعِ رجلٌ مِن أهلِ العلمِ ، وكانَ فيهِ رجلٌ مِنَ الوعَّاظِ ، فكانَ الواعظُ يقولُ للفقيهِ : نحنُ أفضلُ منكُم ؛ أنا يجتمعُ حولي ألفُ رجلٍ ، وأنتَ يجتمعُ إليكَ خمسةٌ أو ستَّةٌ .

فيقولُ لهُ الفقيهُ : أصحابي هم أهلُ العلمِ ، واحدٌ منهُم أفضلُ مِن ألفٍ مِن أصحابِكَ ؛ لأنَّ أصحابَكَ عوامٌّ ؛ جزَّارينَ وحاكةً وحجَّامينَ .

فلمَّا كانَ في بعضِ الأيَّامِ . . اجتمعَ النَّاسُ للوعظِ ، وقعدَ الفقيهُ معَ أصحابِهِ ، فعبرَ علىٰ بابِ المسجدِ أبواقٌ وملاهٍ ، فانفضَّ أصحابُ الواعظِ إلىٰ بابِ المسجدِ يُبصِرونَ ، ولزمَ أصحابُ الفقيهِ مواضعَهُم .

فقالَ لهُ الفقيهُ : يا واعظَ النَّاسِ ؛ دونَكَ أصحابَكَ ، أتباعَ كلِّ ناعقٍ ، بمثلِ هٰؤلاءِ يُفتخَرُ ؟!

نُكتةٌ فيها موعظةٌ

[في تغيُّرِ الحالِ بعدَ كثرةِ العيالِ]

٩٧٦ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأخبرَني أيضاً أبو بكرٍ ابنُ الدَّقَّاقِ قالَ : كانَ سفيانُ بنُ عُيَينةَ يتكلَّمُ في مجلسِهِ بكلامِ الأنبياءِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فيخرِقُ كلامُهُ الأسماعَ ، ويحتوي على القلوبِ ، وينتفعُ بهِ الحاضرونَ .

ثمَّ تزوَّجَ وكَثُرَتِ العيالُ ، فذهبَتْ حلاوةُ كلامِهِ ، وسُلِبَ حُسْنَ موقعِهِ حتَّىٰ كأنَّهُ ليسَ بذٰلكَ الرَّجلِ .

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٧ / ٦٧٠) .

فسُئِلَ عن سببِ ذٰلكَ ، فقالَ : سألتُ الصَّيَّادينَ عمَّا يصيدونَهُ مِنَ الطَّيرِ ، فقالوا : أكثرُ ما يقعُ في أشراكِنا الطُّيورُ الزَّاقَّةُ (١)

نُكْتَةٌ

[في ظفرِ المرأةِ]

٩٧٧ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأخبرَني أيضاً أبو بكرٍ ابنُ الدَّقَّاقِ قالَ : كانَ لأبي زيدٍ المَرْوَزيِّ الفقيهِ بنتٌ ، قد أنكحَها مِن رجلٍ مِن أهلِ العلمِ ، فسألَهُ رجلٌ : ما تقولُ في ظفرِ المرأةِ إذا انفصلَ ؛ أهوَ عورةٌ ؟ فلم يدرِ ما يقولُ .

فدخل على زوجتِهِ بنتِ أبي زيدٍ ، فأخبرَها بذٰلكَ ، فقالَتْ لهُ : فما قلتَ ؟

قالَ : سكتُّ ، فما تقولينَ أنتِ ؟

قالَتْ : إن كانَ مِن يدِها . . فليسَ بعورةٍ ، وإن كانَ مِن رِجلِها . . فهوَ عورةٌ (٢)

حِكَايَةٌ

[صارَ ماءُ البحرِ عذباً]

٩٧٨ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وحدَّثَني أحمدُ القُرْطُبيُّ الرَّجلُ الصَّالحُ ، وقد تقدَّمَ ذِكْرُهُ (٣) ، وقلتُ لهُ : هل رأيتَ في سياحتِكَ وخلواتِكَ شيئاً ؟

فقالَ : صحبتُ مرَّةً رجلاً مِن أهلِ المغربِ ـ سمَّاهُ لي ، وكانَ مِنَ الصَّالحينَ الصَّادقينَ ـ ، فدخلْنا الشَّامَ وأتيْنا عَسْقَلانَ .

فخرجْنا يوماً إلىٰ بعضِ تلكَ السَّواحلِ وجلسْنا علىٰ شاطئِ البحرِ ، فقلتُ لهُ : إن كنتَ رجلاً صالحاً . . فاشربْ مِن هٰذا الماءِ ، ولا واللهِ ما قصدتُ الجِدَّ ، وإنَّما قصدتُ المُزاحَ ، وغرفتُ مِن ماءِ البحرِ ، فشربتُ وإذا هوَ كأحلىٰ ما يكونُ مِنَ المياهِ !! وغرفَ بيدِهِ وشربَ ، قلتُ : هل أصابَكَ قطُّ مثلُهُ ؟ قالَ : لا واللهِ .

ولقد عدتُ بعدَ ذٰلكَ إلى المكانِ ، فوجدتُهُ زُعاقاً (٤)

---

(١) ذكره مغلطاي في « إكمال تهذيب الكمال » (٥/٤١٥) وعزاه للطرطوشي في « فوائده المنتخبة » .

(٢) انظر نحواً من ذٰلك في « شذرات الذهب » لابن العماد (٤/٣٩٦) .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٩٧٢)

(٤) زُعاقاً : مالحاً .

وهٰذا مِن أعجبِ ما مرَّ بي في عمري معَ قربِ السَّندِ وبُعدِ الكذبِ ، واللهُ يُؤتي فضلَهُ مَن يشاءُ .

حكاية

[في نجاةٍ مِن عينِ الهلاكِ]

٩٧٩ ـ وبهِ إليهِ قالَ : (ومِن عجيبِ ما سمعتُهُ مِن صُنعِ اللهِ تعالىٰ للعبادِ ، ولطفِهِ بمَن أرادَ : أنَّ الرُّومَ أخذوا سفينةً للمسلمينَ في بحرِ بَرْقةَ ، قتلوا مَن فيها ، وأسروا رجلاً مِنَ المسلمينَ ، فشدُّوا يدَيهِ خلفَ ظهرِهِ بحبلٍ ، ثمَّ رفسَهُ بعضُ الأعلاجِ برِجلِهِ ، فرماهُ في البحرِ ، ثمَّ طعنَهُ بالرُّمحِ ليقتلَهُ ، فوقعَ الرُّمحُ على الحبلِ فقطعَهُ ، وانطلقَتْ يدُ الرَّجلِ ، وسبحَ حتَّىٰ تخلَّصَ إلى البرِّ ، وما أصابَتْهُ شوكةٌ .

فجاءَتْهُ النَّجاةُ مِن عينِ الهلاكِ ، واستفادَ الحياةَ مِن نابِ الموتِ)[1]

حكاية

[كنْ لِمَا لا ترجو أرجىٰ منكَ لِمَا ترجو]

٩٨٠ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وقالَ أبو حازمٍ : (كنْ لِمَا لا ترجو أرجىٰ منكَ لِمَا ترجو ؛ فإنَّ موسىٰ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ خرجَ مُقتبِساً ناراً ، فنُودِيَ بالنُّبوَّةِ)[2]

وهٰذا المعنىٰ قد نظمَهُ بعضُ الشُّعراءِ فقالَ[3] : [من الخفيف]

أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ كُنْ لِمَا لَسْتَ تَرْجُو ... مِنْ نَجَاحٍ أَرْجَىٰ لِمَا أَنْتَ رَاجِ

إِنَّ مُوسَىٰ مَضَىٰ لِيَقْبِسَ نَاراً ... مِنْ ضِيَاءٍ رَآهُ وَٱللَّيْلُ دَاجِ

فَأَتَىٰ أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ ٱللهُ ... وَنَاجَاهُ وَهْوَ خَيْرُ مُنَاجِ

وَكَذَا ٱلْكَرْبُ كُلَّمَا ٱشْتَدَّ بِٱلْعَبْـ ... ـدِ دَنَتْ مِنْهُ رَاحَةُ ٱلْإِنْفِرَاجِ[4]

---

(١) أخرجه الطرطوشي في « سراج الملوك » (ص ٥٦٤) بمعناه .

(٢) انظر « المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ٢٨٨) ، و« بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/١٧٧) ، و« سراج الملوك » للطرطوشي (ص ٥٧٢) .

(٣) الأبيات بلا نسبة في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/١٧٨) ، و« سراج الملوك » للطرطوشي (ص ٥٧٣) ، و« تاريخ دمشق » (٦١/٥٦) .

(٤) انظر « التذكرة البلقينية » (١٢١) .

نُكتةٌ

[في شيبِ عيسى بنِ أبانٍ]

٩٨١ ـ وبهِ إليهِ قالَ : ثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمَّدٍ المَغازليُّ بواسِطَ قالَ : سمعتُ أبا غالبٍ النَّحْويَّ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ عبدَ الواحدِ بنَ عبدِ العزيزِ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ خالي أبا الحسينِ يقولُ : (كانَ عيسى بنُ أبانٍ مِن أظرفِ النَّاسِ ، وكانَ لهُ خادمٌ مُزيِّنٌ يخدمُهُ ، وكانَ عيسىٰ قد خالطَهُ الشَّيبُ ، وكانَ الخادمُ يلقُطُهُ بأمرِهِ .

فلمَّا علا الشَّيبُ ، وقلَّ السَّوادُ . . قالَ لهُ الغلامُ : يا سيِّدي ؛ قد مضىٰ أوانُ اللِّقاطِ ، وجاءَ أوانُ الحصادِ .

فبكىٰ حتَّىٰ سقطَ علىٰ وجهِهِ) .

حِكايةٌ

[بينَ الحجَّاجِ والحسنِ البصريِّ]

٩٨٢ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وأخبرَنا أبو تمَّامٍ قالَ : أنا هبةُ اللهِ ، أنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ عَقِيلٍ ، أنا أبو بكرٍ الرَّقِّيُّ ، أنا أبو الحسنِ بنُ بُنانٍ ، ثنا محمَّدُ بنُ بشرٍ قالَ : سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ : سمعتُ الفُضَيلَ بنَ عياضٍ يقولُ : أنا هشامُ بنُ حسَّانَ قالَ : كنتُ عندَ الحسنِ بنِ أبي الحسنِ البصريِّ ، فمرَّ بهِ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ في موكبِهِ ، فوقفَ فسلَّمَ عليهِ ، فردَّ عليهِ الحسنُ .

فقالَ لهُ : يا أبا سعيدٍ ، ما لكَ لا تأتينا ؟

فقالَ لهُ الحسنُ : وما أصنعُ عندَكَ ؟ إن أتيتُكَ فأدْنَيْتَني . . فتنتَني ، وإن أنتَ أقصيتَني . . أحزنتَني ، ما عندي مِنَ الدُّنيا شيءٌ أخافُكَ عليهِ ، ولا عندَكَ مِنَ الآخرةِ ما أطلبُهُ منكَ ، فعلىٰ أيِّ حالٍ آتيكَ ؟!

فانصرفَ الحجَّاجُ وتركَهُ [١]

* * *

٩٨٣ ـ وبهِ إلىٰ هبةِ اللهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عليٍّ الجُمَحيُّ ، أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عبدِ اللهِ القيسيُّ ، أنا خيثمةُ بنُ سليمانَ ، ثنا أحمدُ بنُ سليمانَ

---

(١) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/١٦٥ ـ ١٦٦) .

الزَّنْبَقيُّ ، ثنا ظالمُ بنُ أبي ظالمٍ الحِمْصيُّ قالَ : (شهدتُ جِنازةَ المُسيَّبِ بنِ واضحٍ بجَبلةَ [1] ، فدفنَّاهُ فسمعْناهُ مِن جوفِ القبرِ يقولُ : لا إلهَ إلَّا اللهُ) [2]

حِكَايَة

[ميزانُ صدقِ مَن يتساقطُ عندَ سماعِ القرآنِ]

٩٨٤ ـ وبهِ إليهِ قالَ : (وقد سُئِلَ ابنُ سيرينَ عن قومٍ إذا سمعوا القرآنَ . . تساقطوا قد غُشِيَ عليهِم ، قالَ : اجعلوهُم على السُّطوحاتِ وأعالي الجدرانِ ، ثمَّ اقرؤوا عليهِمُ القرآنَ ، وانظروا هل يقعونَ أم لا) [3]

فَائِدَة

[في التَّخلُّصِ مِنَ النَّاسِ]

٩٨٥ ـ وبهِ إلى الطُّرْطُوشيِّ قالَ : أنا أبو تمَّامٍ ـ هوَ الفقيهُ غالبُ بنُ عيسى الأنصاريُّ ـ قالَ : ثنا ابنُ البَنَّاءِ ـ هوَ الحسنُ بنُ أحمدَ ـ ، ثنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ أحمدَ الحافظُ ، ثنا طلحةُ بنُ عمرَ الحَذَّاءُ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ المُهتدي ، ثنا أبو جعفرٍ الهَرَويُّ قالَ : دخلتُ معَ حاتمٍ علىٰ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، فقالَ لهُ أحمدُ : يا حاتمُ ؛ فيمَ التَّخلُّصُ مِنَ النَّاسِ ؟

قالَ : يا أحمدُ ؛ في ثلاثِ خصالٍ : تُعطيهِم مالَكَ ولا تأخذُ مِن مالِهِم شيئاً ، وتقضي حقوقَهُم ولا تستقضي أحداً منهُم حقّاً لكَ ، وتحتملُ مذهبَهُم ولا تُكرِهُ أحداً منهُم علىٰ شيءٍ .

قالَ : فأطرقَ أحمدُ ، ثمَّ قالَ : إنَّها لَشديدةٌ ، إنَّها لَشديدةٌ ، إنَّها لَشديدةٌ .

فقالَ لهُ حاتمٌ : وليتَكَ تسلمُ ، وليتَكَ تسلمُ ، وليتَكَ تسلمُ !! [4]

---

(١) جَبلة : قلعة مشهورة بساحل الشَّام من أعمال حلب قرب اللَّاذقيَّة . « معجم البلدان » (٢/١٠٥) .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/٩٥) .

(٣) أخرجه أبو عبيد بن سلام في « فضائل القرآن » (٣٧٦) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٩٢٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٢٦٥) كلُّهم بنحوه ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/٩٢٠) ، و« ربيع الأبرار » (٤/٤٨٧) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/١٥٠) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/١٣٠) ، و« وفيات الأعيان » (٢/٢٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/٤٨٧) .

فائدة

[في خصالٍ تتمُّ بها الحكمةُ]

٩٨٦ ـ وبهِ إليهِ قالَ : (واعلمْ أنَّهُ لا تتمُّ الحكمةُ في أحدٍ حتَّىٰ يكونَ مُقدَّماً في ثلاثِ خصالٍ ، مُؤخَّراً في ثلاثٍ ، مُبرَّأً مِن ثلاثٍ ، مُركَّباً فيهِ ثلاثٌ .

أمَّا اللَّواتي يكونُ مُقدَّماً فيهِنَّ : فالعقلُ ، والحِلْمُ ، والمنطقُ .

وأمَّا اللَّواتي يكونُ مُؤخَّراً فيهِنَّ : فالحدَّةُ ، والعجلةُ ، وتركُ المُشاورةِ .

وأمَّا اللَّواتي يكونُ مُبرَّأً منهُنَّ : فالحسدُ ، والهوىٰ ، والكذبُ ؛ لأنَّ مَن حسدَ . . بغىٰ ، ومَن هويَ . . عميَ ، ومَن كذبَ . . لم يُوثَقْ بشيءٍ مِن خبرِهِ وإن صدقَ .

وأمَّا اللَّواتي تكونُ مُركَّبةً فيهِ : فالرِّفقُ ، والصَّبرُ ، وطولُ الصَّمتِ) .

حكاية عجيبة

[الثَّباتُ حتَّى المماتِ]

٩٨٧ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو تمَّامٍ ، أنا أبو يعلى ابنُ الفرَّاءِ ، أنا أبو الفتحِ يوسفُ بنُ عمرَ فيما أجازَهُ لنا : أنَّ أبا عبدِ اللهِ [ابنَ عَلَمٍ][1] حدَّثَهُم قالَ : قالَ لي صالحُ ـ يعني : ابنَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ـ : حضرَتْ أبي الوفاةُ ، فجعلَ يغرقُ ، ثمَّ يفيقُ ويفتحُ عينَيهِ ، ثمَّ يقولُ بيدِهِ هٰكذا ؛ لا بَعْدُ ، لا بَعْدُ ، لا بَعْدُ !! ثلاثَ مرَّاتٍ .

فقلتُ : يا أبةِ ؛ أيُّ شيءٍ هٰذا الَّذي قد لَهِجتَ بهِ في هٰذا الوقتِ ؟! قالَ : يا بُنَيَّ ما تدري ؟ قلتُ : لا

قالَ : إبليسُ ـ لعنَهُ اللهُ ـ قائمٌ بحذائي عاضّاً علىٰ أناملِهِ ، يقولُ لي : يا أحمدُ ، فُتَّني ، فأقولُ : لا ، حتَّىٰ أموتَ[2]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (ابن عليم) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ بغداد » (٣/٤٧٩) ، و« الأنساب » (٤/٢٢٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/٥٤٤) .

(٢) أخرجه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢٢٨٤) بنحوه ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٨٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٢٦) ، وابن أبي يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (١/٤٦٦ ـ ٤٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٣٢٥) ، وابن الجوزي في « الثبات عند الممات » (ص ١٦٠) ، وانظر « سير السلف الصالحين » لقوام السنة (٣/١٠٥٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/٣٤١) .

حِكَايَةٌ

[بينَ الطَّيرِ وسفيانَ الثَّوْريِّ]

٩٨٨ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وقرأتُ علىٰ أحمدَ بنِ عليِّ المُقرِئ : أخبرَكَ أبو القاسمِ هبةُ اللهِ بنُ [الحسنِ][١] اللَّالكائيُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ الخليلِ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ سلمةَ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ أحمدَ بنَ سهلِ بنِ حمدويهِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ [الحسنِ][٢] بنِ عبدةَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ حفصٍ يقولُ : كنتُ بالبصرةِ في مجلسِ عارمِ بنِ الفضلِ ، ومعَنا أحمدُ ابنُ شَبُّويهِ المَرْوَزيُّ ، فقالَ لي أحمدُ : أُفيدُكَ فائدةً حسنةً ؟ قلتُ : نعم .

فأقبلَ علىٰ عارمٍ ، فقالَ : يا أبا النُّعمانِ ؛ كيفَ كانَ قصَّةُ الطَّيرِ وسفيانَ الثَّوْريِّ ؟ قالَ : نعم ، فأومأَ برأسِهِ ، وأومأَ أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ برأسِهِ ، وأومأَ عليُّ بنُ الحسنِ برأسِهِ ، وأومأَ أحمدُ بنُ سهلٍ برأسِهِ .

فقالَ : كانَ سفيانُ الثَّوْريُّ قدمَ ها هنا البصرةَ فارّاً مِنَ القومِ ، فاستخفىٰ في بعضِ بيوتِ أصحابِنا ، وكانَ لابنِ المنزولِ بهِ طيرٌ يلعبُ بهِ ، فقالَ لهُ سفيانُ الثَّوْريُّ : إنَّ لي إليكَ حاجةً ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَ : أُحِبُّ أن تستوهبَ هٰذا الطَّيرَ مِنِ ابنِكَ ، وتهبَهُ لي ، قالَ : نعم ، فاستوهبَ ذٰلكَ الطَّيرَ مِنِ ابنِهِ ، ووهبَهُ لسفيانَ ، فأخذَهُ سفيانُ فأطارَهُ ، فطارَ وخرجَ مِنَ الكُوَّةِ ، فلمَّا جنَّ اللَّيلُ . . عادَ ودخلَ الكُوَّةَ ، فكانَ ذٰلكَ دأبَهُ ؛ يسرحُ بالنَّهارِ ويأوي باللَّيلِ إلى البيتِ معَ سفيانَ ، حتَّىٰ تُوُفِّيَ سفيانُ وظهرَ أمرُهُ .

فخرجَ إلى الجِنازةِ بشرٌ كثيرٌ ، فلمَّا صُلِّيَ عليهِ ودفنوهُ ، وهيلَ عليهِ التُّرابُ ، وانصرفَ النَّاسُ . . أتى الطَّائرُ فقعدَ علىٰ قبرِ سفيانَ كئيباً حزيناً ، ثمَّ طارَ فذهبَ ، فكانَ دأبُهُ ذٰلكَ كلَّ يومٍ حتَّىٰ ماتَ ، فعمدَ صاحبُهُ فدفنَهُ إلىٰ جنبِ قبرِ سفيانَ ، وأومأَ الشَّيخُ برأسِهِ[٣]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (الحسين) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٤٥٦/٢٨) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٥١٤ ، ٩١٧) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (الحسين) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٢٥/٢١) ، و« الإكمال » لابن ماكولا (٢٥٦/٧) ، وسيأتي في هٰذه الحكاية على الصواب .

(٣) أخرجه اللالكائي في « كرامات أولياء الله عز وجل » (١٦٢) ، والمستغفري في « دلائل النبوة » (٥٦٥) ، وذكره مغلطاي في « إكمال تهذيب الكمال » (٤٠٢/٥) وعزاه للطرطوشي في « فوائده المنتخبة » .

وأمَّا أنا[1] . . فوقفتُ علىٰ قبرِ سفيانَ سنةَ ثمانينَ وأربعِ مئةٍ ، فأرَوني قبرَ الطَّائرِ صغيراً قدرَ شبرٍ إلىٰ جنبِ قبرِ سفيانَ ، رحمةُ اللهِ عليهِ[2] .

* * *

٩٨٩ ـ وبهِ إليهِ قالَ[3] : وكنتُ ليلةً نائماً في المسجدِ الأقصىٰ ، فلم يرعْني إلَّا صوتٌ يكادُ يصدعُ القلبَ ، وهوَ يقولُ : [من الطويل]

أَخَــوْفٌ وَنَــوْمٌ إِنَّ ذَا لَــعَــجِــيــبُ ... ثَـكِـلْـتُـكَ مِـنْ قَـلْـبٍ فَـأَنْـتَ كَـذُوبُ

أَمَـا وَجَـلَالِ ٱللهِ لَـوْ كُـنْـتَ صَـادِقـاً ... لَـمَـا كَـانَ لِـلْإِغْـمَـاضِ مِـنْـكَ نَـصِـيـبُ

فواللهِ ؛ لقد أبكى العيونَ وأشجى القلوبَ[4] .

* * *

٩٩٠ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وهٰذا علىٰ نحوِ ما روينا عن أبي سعيدٍ الإسكندرانيِّ الزَّاهدِ قالَ : نمتُ ليلةً في بيتِ المَقْدِسِ ، فقمتُ بعدَما مضىٰ ليلٌ طويلٌ ، فنظرتُ فلم أرَ في المسجدِ مُتهجِّداً .

فقلتُ : ما بالُ النَّاسِ اللَّيلةَ !!

فبينا أنا أُفكِّرُ في ذٰلكَ . . إذ سمعتُ قائلاً يقولُ مِن جوفِ القُبَّةِ الَّتي على الصَّخرةِ بصوتٍ حزينٍ عجيبٍ كادَ قلبي يتصدَّعُ لهُ : [من الطويل]

فَـيَـا عَـجَـبَـا لِـلـنَّـاسِ لَـذَّتْ عُـيُـونُـهُـمْ ... مَطَاعِمَ غَمْضٍ بَعْدَهُ ٱلْمَوْتُ مُنْتَصِبْ

فَـطُـولُ قِـيَـامِ ٱلـلَّـيْـلِ أَسْـرَعُ مُـؤْنَـةً ... وَأَهْـوَنُ مِـنْ نَـارٍ تَـفُـورُ وَتَـلْـتَـهِـبْ[5]

نُكتةٌ

[في حَبَّةٍ حَبَسَتْ عن جَنَّةٍ]

٩٩١ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وحدَّثَني أبو عليٍّ الخيَّاطُ ـ وكانَ مِنَ الصَّالحينَ ـ قالَ : رأيتُ

---

(١) أي : محمَّد بن الوليد ، أبو بكر ، الطُّرْطُوشي الأَنْدَلُسي المُتقدِّم .

(٢) من كلام الطرطوشي كما في « إكمال تهذيب الكمال » (٥/٤٠٢) .

(٣) يعني : أبا بكر ، محمَّد بن الوليد ، الطُّرْطُوشيَّ الأَنْدَلُسيَّ المُتقدِّم .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (٤/٢٦٤) ، و« أزهار الرياض » للمقري (٣/١٦٤) .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٦٤) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١١١) لكن عن سهل بن حاتم ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/٣٦ ـ ٣٧) .

رجلاً كانَ لهُ دُكَّانٌ يبيعُ فيهِ المأكولَ بعدَما ماتَ ، فقلتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : حُبِستُ عنِ الجَنَّةِ ، قالَ : وكيفَ ذٰلكَ ؟

قالَ : ازدحمَ عليَّ النَّاسُ ليلةً يشترونَ منِّي ، فأخذتُ فضَّةَ رجلَينِ ، فطرحتُها في فمي ، فلمَّا فرغتُ ممَّا بينَ يدَيَّ . . وزنتُها وأعطيتُهُما ما أرادا إلَّا أنَّني أعطيتُ كلَّ واحدٍ منهُما بفضَّةِ الآخرِ ، وكانَ بينَهُما حَبَّةٌ !!

قلتُ : فما عذرُكَ ؟ اقضِ الحَبَّةَ وادخلِ الجَنَّةَ .

فجعلَ يقولُ [1] وهوَ مُتفجِّعٌ مُتلهِّفٌ : ومِن أينَ لي ؟! ومِن أينَ لي ؟! حتَّى استيقظتُ .

❋ ❋ ❋

(١) (يقول) : مكررة في (أ) .

فَائِدَةٌ (١)

[في كلماتٍ مَن قالَهُنَّ . . فلن يُضَرَّ]

٩٩٢ ـ وأنبأَني [. . .](٢) عزُّ الدِّينِ أبو القاسمِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الحسينيُّ ، والمُحدِّثُ شهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ نصيرِ بنِ نبا المُقرِئُ ، وأبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أبي الحسنِ عبدِ العظيمِ بنِ أبي الحسنِ الحصينِ قالوا(٣) : أخبرَنا الحافظُ رشيدُ الدِّينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عليِّ القرشيُّ العَطَّارُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قراءةً عليهِ قالَ : أخبرَنا القاضي أبو القاسمِ الدِّمشقيُّ بقراءتي عليهِ بها .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي القاسمِ الدِّمشقيِّ ـ هوَ الحرستانيُّ ـ قالَ : أنا الفقيهُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ منصورِ ابنِ قُبَيسٍ الغَسَّانيُّ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدٍ ابنُ أبي الحديدِ السُّلَميُّ ، أنا جدِّي أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ سهلٍ السَّامَرِّيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ غالبٍ البصريُّ ، ثنا هدبةُ بنُ خالدٍ ، ثنا الأغلبُ بنُ تميمٍ ، ثنا الحجَّاجُ بنُ الفُرافصةِ ، عن طلقٍ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ أبي الدَّرداءِ ، فقالَ : يا أبا الدَّرداءِ ؛ احترقَ بيتُكَ ، فقالَ : (ما كانَ اللهُ ليفعلَ) ، ثمَّ جاءَ آخرُ ، فقالَ : جاءَتِ النَّارُ حتَّىٰ إذا دنَتْ من داركَ . . طُفِئَتْ ، قالَ : (قد علمتُ أنَّ اللهَ سيفعلُ ؛ سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَنْ قَالَ هَـٰؤُلَاءِ ٱلْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . . لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ ـ فقد قلتُهُنَّ ؛ فأنا أعلمُ أنَّهُ لا يضرُّني شيءٌ ، أو : لم(٤) أُضَرَّ ـ : ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَظِيمِ .

مَا شَاءَ ٱللهُ . . كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ . . لَمْ يَكُنْ .

أَعْلَمُ أَنَّ ٱللهَ عَلَىٰ [كُلِّ](٥) شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً .

---

(١) من هنا كتب من مؤلفات متنوعة للرشيد العطار والقاضي الأشرف والحافظ الدمياطي ، من الخبر (٩٩٢) إلىٰ (١٠١٨) .

(٢) ما بين معقوفين كلام غير واضح في (أ) .

(٣) السَّند إلىٰ ها هنا في (أ) غير واضح في غير ما موضعٍ منه ، وقد اجتهدنا في إبانته .

(٤) رواية « مكارم الأخلاق » : (لن) .

(٥) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ») [١]

فائدة

[ما كانَ اللهُ ليفعلَ]

٩٩٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ الحافظِ رشيدِ الدِّينِ قالَ : أخبرَناهُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ الحسينِ السِّجِسْتانيُّ ، وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ حميدٍ التَّفْلِيسيُّ قالا [٢] : أنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عن أحمدَ بنِ محمَّدٍ الحافظِ ـ هوَ السِّلَفيُّ ـ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ حَمْدِ بنِ الحسنِ الدُّونيُّ بالدُّونِ ، وأبو النَّجمِ بدرُ بنُ دلفَ الفَرْكيُّ بالفَرْكِ [٣] قالا : أنا القاضي أبو نصرٍ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدِ ابنِ بَوَّانَ الدِّينَوَريُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ ابنُ السُّنِّيِّ الحافظُ ، ثنا ابنُ مَنِيعٍ ، ثنا هدبةُ بنُ خالدٍ ، ثنا الأغلبُ بنُ تميمٍ ، ثنا حجَّاجُ بنُ فُرافصةَ ، عن طلقِ بنِ حبيبٍ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ أبي الدَّرداءِ ، فقالَ : يا أبا الدَّرداءِ ؛ قدِ احترقَ بيتُكَ ، قالَ : (ما احترقَ ، اللهُ عزَّ وجلَّ لم يكنْ ليفعلَ ذٰلكَ ؛ لكلماتٍ سمعتُهُنَّ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، مَن قالَها أوَّلَ نهارِهِ . . لم تُصِبْهُ مصيبةٌ حتَّىٰ يُمسِيَ ، ومَن قالَها آخِرَ النَّهارِ . . لم تُصِبْهُ مصيبةٌ حتَّىٰ يُصبِحَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ .

مَا شَاءَ ٱللهُ . . كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ . . لَمْ يَكُنْ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ .

أَعْلَمُ أَنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً .

---

(١) أخرجه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٦٨) .

(٢) التَّفْلِيسي : نسبة إلىٰ (تَفْلِيس) ، وهي آخر بلدة من بلاد أَذْرَبِيجان . « الأنساب » (١/ ٤٧١) ، و« معجم البلدان » (٢/ ٣٥) .

(٣) الفَرْكي ـ بفتحٍ فسكونٍ ـ : كذا الصواب نسبة إلى (الفَرْك) ، وهي قرية من قرىٰ أصبهان ، ويُقال فيها أيضاً : (الفَرَك) بفتحتين ، وإليها ينسب أبو النجم الفركي هٰذا ؛ كما في « الأنساب » (٤/ ٣٧٠) ، و« تكملة الإكمال » لابن نقطة (٤/ ٥٤٢) ، وضبطت في (أ) : (الفِرْكي بالفِرك) ، نسبة إلى (الفِرْك) ، ظنّاً ، وهي قرية قرب كَلْواذىٰ ، وانظر « معجم البلدان » (٤/ ٢٥٥) .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ») [١]

قالَ الحافظُ رشيدُ الدِّينِ العَطَّارُ : هٰذا حديثٌ غريبٌ ، والأغلبُ بنُ تميمٍ تُكُلِّمَ فيهِ .

وقد رُوِيَ هٰذا الحديثُ مِن وجهٍ آخرَ عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ ، عن أبي الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ وهوَ ما أخبرَنا بهِ قاضي القضاةِ أبو القاسمِ الأنصاريُّ الشَّافعيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي القاسمِ الأنصاريِّ ـ هوَ الحرستانيُّ ـ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ الغَسَّانيُّ الفقيهُ قالَ : أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ السُّلَميُّ ، أنا جدِّي ، أنا أبو بكرٍ الخرائطيُّ ، ثنا نصرُ بنُ داوودَ الصَّاغانيُّ ، ثنا عبدُ الأعلى بنُ حمَّادٍ ، ثنا بشرُ بنُ منصورٍ ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن محمَّدِ بنِ عبيدِ اللهِ قالَ : جاءَ جاءٍ إلىٰ أبي الدَّرداءِ ، فقالَ : احترقَتْ دارُكَ ، قالَ : (ما كانَ اللهُ ليفعلَ) .

ثمَّ جاءَ جاءٍ آخرُ ، فقالَ : احترقَتْ دارُكَ ، فقالَ : (ما كانَ اللهُ ليفعلَ) .

ثمَّ جاءَ جاءٍ آخرُ ، فقالَ : جاءَتِ النَّارُ حتَّىٰ إذا دنَتْ مِن دارِكَ . . طُفِئَتْ . . . ثمَّ ذكرَ مثلَ حديثِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ غالبٍ [٢]

* * *

٩٩٤ ـ وأنبأَني مَن تقدَّمَ ذِكْرُهُم قالوا [٣] : أنا الحافظُ رشيدُ الدِّينِ العَطَّارُ قراءةً عليهِ قالَ : أنا الحافظُ أبو الحسنِ المَقْدِسيُّ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الحافظُ .

(ح) وأُنبِئتُ عن غيرِ واحدٍ ، عن أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أحمدَ الحافظِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُشرَّفِ الأنماطيُّ المصريُّ بالإسكندريَّةِ ، ثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الحبَّالُ مِن لفظِهِ بمصرَ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ [الحسنِ] [٤] الصُّوفيَّ البغداديَّ قالَ :

---

(١) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (٣٤٣) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٧) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (١٢١/٧ ـ ١٢٢) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٣٣٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/٣٧ ـ ٤) .

(٢) انظر « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٩/١) .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٩٩٢) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ) : (الحسين) ، والمثبت موافق لما في « ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (ق/٢١١ ـ ٢١٢) مخطوط ، و« تاريخ دمشق » (٣٣٤/٤١) ، و« تاريخ الإسلام » (١٦٥/٢٨) .

سمعتُ أبا الحسنِ ثملَ بنَ عبدِ اللهِ الطَّرَسُوسيَّ يقولُ : سمعتُ النُّوريَّ وقد سُئِلَ عنِ الصُّوفيِّ ، فقالَ : (مَن صفا مِنَ الكدرِ ، وامتلا مِنَ الفِكَرِ ، وتخلَّىٰ عنِ البشرِ ، واعتدلَ عندَهُ الذَّهبُ والمَدَرُ) [١]

حكاية

[في كرمِ ابنِ كثيرٍ المُقرئ]

٩٩٥ ـ وأنبؤوني عنِ الحافظِ رشيدِ الدِّينِ سماعاً كما تقدَّمَ قالَ [٢] : أنا الشَّريفُ أبو محمَّدٍ يونسُ بنُ يحيى بنِ أبي الحسنِ بنِ أبي البركاتِ الهاشميُّ قراءةً عليهِ بمصرَ ، أنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ نصرٍ ابنُ الزَّاغونيِّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ أو إجازةً قيلَ لهُ : أخبرَكَ الشَّيخُ الصَّالحُ أبو القاسمِ عبدُ الواحدِ بنُ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ فهدٍ العلَّافُ قراءةً عليهِ بجامعِ القَصرِ قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ [عمرَ] [٣] بنَ عَبْدونِ بنِ القاسمِ بنِ محمَّدِ بنِ داوودَ بنِ عبدِ الغفَّارِ التَّانيَّ سنةَ ثمانَ عشرةَ وأربعِ مئةٍ قالَ : كنتُ حاضراً عندَ الشَّيخِ أبي بكرٍ أحمدَ بنِ موسى بنِ العبَّاسِ بنِ مجاهدٍ المُقرئ ـ نضَّرَ اللهُ وجهَهُ ـ فجاءَ رجلٌ ، فجلسَ في المسجدِ إلىٰ أن فرغَ أبو بكرٍ مِنَ الإقراءِ وخلا المسجدُ ، فالتفتَ إليهِ الشَّيخُ أبو بكرٍ ، فقالَ لهُ : لكَ حاجةٌ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : وما هيَ ؟

قالَ : جاءَني مولودٌ ، وما في الدَّارِ سوى المولودِ ، ومَن وُلِدَ لهُ ، والجَبَّارُ تعالى الَّذي لا يخلو منهُ مكانٌ ، فقالَتْ لي زوجتي أُمُّ المولودِ : امضِ إلى الشَّيخِ أبي بكرٍ ، واشرحْ لهُ حالَنا وصورتَنا ، واسألْهُ أن يمضيَ إلىٰ عندِ ابنِ كثيرٍ [٤] ، فيشرحَ لهُ ما نحنُ فيهِ ، فإن تفضَّلَ اللهُ بشيءٍ . . فالحَمْدُ للهِ ولهُ .

فلمَّا سمعَ أبو بكرٍ بذٰلكَ . . وثبَ فدخلَ إلىٰ منزلِهِ ، وأخرجَ لهُ كيساً فيهِ مئةُ درهمٍ ، ثمَّ قالَ : يا هٰذا ؛ خُذْ هٰذهِ واستعنْ بها علىٰ أمورِكَ ، فقالَ لهُ الرَّجلُ : أيُّها الشَّيخُ ؛ ما لهٰذا

---

(١) انظر « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي (ص ٢٥) ، و« عوارف المعارف » للسهروردي (١/ ٩٤) وفيهما عن سهل التستري ، و« ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (ق/٢١٢) مخطوط ، وفي المطبوع عن الثوري ، وهو تصحيف .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٩٩٢) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ) : (محمد) ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر « ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (٢٠/ ٧٥) ، و« توضيح المشتبه » لابن ناصر الدين (١/ ٣٠١) .

(٤) كان ابن كثير ممَّن قرأ علىٰ أبي بكر ابن مجاهد ، وكان ابن كثير موسراً . انتهىٰ من هامش (أ) .

جئتُكَ ، فرجعَ أبو بكرٍ وأخرجَ لهُ مئةً أخرىٰ ، فردَّ عليهِ الرَّجلُ ما قالَ أوّلاً ، فرجعَ فأخرجَ لهُ مئةً أُخرىٰ ، فقالَ لهُ كقولِهِ الأوَّلِ ، فرجعَ فأخرجَ لهُ مئةً أُخرىٰ .

ثمَّ قالَ لهُ : يا هٰذا ؛ خُذْ هٰذهِ الأربعَ مئةِ درهمٍ ، واستعنْ بها علىٰ أمورِكَ ، ورَفِّهْ عنّي العَناءَ والسُّؤالَ ، ثمَّ قالَ : اللّٰهُمَّ ؛ إنَّك تعلمُ أنَّ ابنَ مجاهدٍ لا يملكُ في هٰذا الوقتِ غيرَها .

فقالَ لهُ : أيُّها الشَّيخُ ؛ ما جئتُكَ لهٰذا ، إنَّما جئتُكَ لسببِ ابنِ كثيرٍ ، فاستحيا أبو بكرٍ مِن تكريرِهِ ، فوثبَ ووثبَ الرَّجلُ معَهُ ووثبتُ معَهُما حتَّىٰ جئْنا إلى ابنِ كثيرٍ .

فوصلْنا إلىٰ بابِ الدَّارِ ، فدقَّ أحدُنا البابَ ، فقالَ : مَن بالبابِ ؟ فقالَ : ابنُ مجاهدٍ ، فلمَّا سمعَ باسمِهِ . . خرجَ مهرولاً وهوَ يقولُ : لبَّيكَ وسعدَيكَ ؛ عدَّةَ مِرارٍ ، ففتحَ البابَ ، ثمَّ دخلْنا إلىٰ منزلِهِ ، ثمَّ قالَ لهُ : هل مِن حاجةٍ أيُّها الشَّيخُ ؟ فقالَ : جاءَ إليَّ هٰذا الرَّجلُ ، وقصَّ عليهِ القصَّةَ كلَّها ، وسألَني أن أقصدَكَ في ذٰلكَ ، فأتيتُ دفعةً ودفعتَينِ وثلاثاً وأربعاً ، وأخرجتُ لهُ ما حضرَ عندي لأدفعَهُ عن هٰذا ، فقالَ : أيُّها الشَّيخُ ؛ بئسَ ما فعلتَ معي ، أردتَ أن تقطعَ عنّي ثواباً ساقَهُ اللهُ إليَّ وتأخذَهُ إلىٰ نفسِكَ .

ثمَّ وثبَ وقدَّمَ المائدةَ وعليها مِن كلِّ شيءٍ فأكلْنا ، فلمَّا فرغْنا . . أخذَ ما كانَ على المائدةِ ممَّا فضلَ ، فوضعَهُ في منديلٍ وشدَّهُ ، ثمَّ عمدَ إلىٰ خزانةٍ لهُ ، فأخرجَ منها صُرَّةً فدفعَها إليهِ ، فأخذَها وأخذَ المنديلَ وانصرفَ إلىٰ منزلِهِ ، ولم أعلمْ ما فيها .

فحدَّثَنيَ الرَّجلُ أنَّهُ مضىٰ إلىٰ منزلِهِ ، ففتحَها فإذا خمسُ مئةِ دينارٍ جِيادٍ بها ، فقالَتِ امرأتُهُ : لعلَّ الرَّجلَ قد غلطَ عليكَ ؛ أرادَ أن يدفعَ إليكَ دراهمَ ، فدفعَ إليكَ دنانيرَ ، قُمْ فارجعْ إليهِ واسألْهُ عن هٰذا حتَّىٰ يجعلَ اللهُ لنا فيها البركةَ .

فرجعَ الرَّجلُ إلى ابنِ كثيرٍ ، فقالَ لهُ : يا هٰذا ؛ ما الَّذي دفعتَ إليَّ ؛ دنانيرَ أم دراهمَ ؟ فقالَ لهُ : أَرِني الصُّرَّةَ ، فدفعَها إليهِ ، ففتحَها فإذا فيها رُقعةٌ مكتوبٌ فيها : (مَن وصلَتْ إليهِ هٰذهِ الصُّرَّةُ . . فلهُ في كلِّ حَوْلٍ مثلُها) ، فقالَ : يا هٰذا ؛ خُذْ هٰذهِ واحتفظْ بهٰذهِ الرُّقعةِ ، ولكَ في كلِّ سنةٍ مثلُها .

قالَ : فأخذتُ الصُّرَّةَ والرُّقعةَ ، ورجعتُ إلىٰ منزلي ، وكانَ سببُ غنائي بركةَ الشَّيخِ ابنِ مجاهدٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ (١) .

---

(١) أخرجه يونس بن يحيى الهاشمي في « حكاية أبي بكر ابن مجاهد » (ق/١١ ـ ١٣) مخطوط .

حكاية

[إعطاءُ الشَّطرِ نقيصةٌ ، وإعطاءُ الكلِّ نقيصةٌ]

٩٩٦ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً كما تقدَّمَ قالَ[١] : أنا القاضي أبو القاسمِ عبدُ الصَّمدِ بنُ محمَّدِ بنِ أبي الفضلِ الأنصاريُّ الشَّافعيُّ رحمَهُ اللهُ بقراءتي عليهِ بدِمشقَ .

(ح) وأنبأني أبو حفصِ بنُ عبدِ المُنعِمِ ابنِ غديرِ الدِّمشقيُّ ، وغيرُهُ ، عن عبدِ الصَّمدِ المذكورِ قالَ : أنا الفقيهُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ منصورِ ابنِ قُبَيسٍ الغَسَّانيُّ المالكيُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ ابنُ أبي الحديدِ ، أنا جدِّي أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ ابنُ أبي الحديدِ السُّلَميُّ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ جعفرِ ابنِ سهلٍ الخرائطيُّ ، ثنا عليُّ ابنُ الأعرابيِّ ، أنا عليُّ بنُ عُمْرُوسٍ .

(ح) قالَ الخرائطيُّ : وحدَّثَنا أبو الفضلِ العبَّاسُ بنُ الفضلِ الرَّبَعيُّ ، عن بعضِ مشايخِهِ قالَ[٢] : نزلَ عبيدُ اللهِ بنُ العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ منزلاً مُنصرَفَهُ مِنَ الشَّامِ نحوَ الحجازِ ، فطلبَ غلمانُهُ طعاماً ، فلم يجدوا في ذلكَ المنزلِ ما يكفيهِم ؛ لأنَّهُ كانَ مرَّ بهِ زيادُ بنُ أبي سفيانَ ـ أو عبيدُ اللهِ بنُ زيادٍ ـ في جمعٍ عظيمٍ ، فأتَوا على ما فيهِ ، فقالَ عبيدُ اللهِ لوكيلِهِ : اذهبْ في هذهِ البرِّيَّةِ ؛ فلعلَّكَ أن تجدَ راعياً ، أو تجدَ أخبيةً فيها لبنٌ أو طعامٌ .

فمضى القيِّمُ ومعَهُ غلمانُ عبيدِ اللهِ ، فدُفِعوا إلى عجوزٍ في خباءٍ ، فقالوا : هل عندَكِ مِن طعامٍ نبتاعُهُ منكِ ؟ قالَتْ : أمَّا طعامٌ أبيعُهُ . . فلا ، ولكنْ عندي ما بي إليهِ حاجةٌ لي ولِبَنِيَّ ، فقالوا : وأينَ بنوكِ ؟ قالَتْ : في رعيٍ لهُم ، وهذا أوانُ أَوْبتِهِم ، قالوا : فما أعددتِ لكِ ولهُم ؟ قالَتْ : خبزةً ، وهيَ تحتَ مَلَّتِها[٣] ، أنتظرُ بها [أن][٤] يجيئوا .

قالوا : فما هوَ غيرَ ذلكَ ؟ قالَتْ : لا ، قالوا : فجُودي لنا بنصفِها ، قالَتْ : أمَّا النِّصفُ . . فلا أجودُ بها ، ولكنْ إن أردتُمُ الكلَّ . . فشأنَكُم بها ، قالوا : ولِمَ تمنعينَ النِّصفَ وتجودينَ

---

(١) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٩٩٢) .

(٢) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

(٣) **المَلَّة** : الرَّماد الحارُّ الَّذي يحمىٰ ليدفن فيه الخبز لينضج .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر التخريج .

بالكلّ ؟ قالَتْ : لأنَّ إعطاءَ الشَّطرِ نقيصةٌ ، وإعطاءَ الكلِّ فضيلةٌ ، وأنا أمنعُ ما يضعُني وأمنحُ ما يرفعُني ، فأخذوا المَلَّةَ ، ولم تسألْهُم مِن أينَ جاؤوا .

فلمَّا أتَوا بها عبيدَ اللهِ وأخبروهُ بقصَّةِ العجوزِ . . عجبَ وقالَ : ارجعوا إليها ، فاحملوها إليَّ السَّاعةَ ، فرجعوا فقالوا : انطلقي نحوَ صاحبِنا ، فإنَّهُ يُريدُكِ .

قالَتْ : ومَن صاحبُكُم أصحبَهُ اللهُ السَّلامةَ ؟ قالوا : عبيدُ اللهِ بنُ العبَّاسِ ، قالَتْ : ما أعرفُ هٰذا الاسمَ ، فمَن بعدَ العبَّاسِ ؟ قالوا : العبَّاسُ عمُّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَتْ : هٰذا ـ وأبيكُمُ ـ الشَّرفُ العالي ذروتُهُ الرَّفيعُ عمادُهُ ، هِيهِ ، أبو هٰذا عمُّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟ قالوا : نعم ، قالَتْ : عمٌّ قريبٌ أم عمٌّ بعيدٌ ؟ قالوا : عمٌّ هوَ صنوُ أبيهِ وهوَ عصبتُهُ .

قالَتْ : ويُريدُ ماذا ؟ قالوا : يُريدُ مكافأتَكِ وبِرَّكِ ، قالَتْ : علامَ ؟ قالوا : علىٰ ما كانَ منكِ ، قالَتْ : أَوِّه !! لقد أفسدَ الهاشميُّ بعدَما أَثَّلَ لهُ ابنُ عمِّهِ ، واللهِ ؛ لو كانَ ما فعلتُ معروفاً . . ما أخذتُ بذنبِهِ ، فكيفَ وإنَّما هوَ شيءٌ يجبُ على الخَلْقِ أن يُشارِكَ بعضُهُم فيهِ بعضاً ؟!

قالوا : فانطلقي فإنَّهُ يُحِبُّ أن يراكِ ، قالَتْ : قد تقدَّمَ منكُم وعيدٌ ما أجدُ نفسي تسخو بالحركةِ معَهُ ، قالوا : فأنتِ بالخيارِ إن [بُذِلَ] (١) لكِ شيءٌ بينَ أَخْذِهِ أو تركِهِ ، قالَتْ : لا حاجةَ لي بشيءٍ مِن هٰذا إذ كانَ هٰذا أَوَّلَهُ ، قالوا : فلا بُدَّ مِن أن تنطلقي إليهِ .

قالَتْ : فإنِّي ما أنهضُ علىٰ كرهٍ إلَّا لواحدةٍ ، قالوا : وما هيَ ؟ قالَتْ : أرىٰ وجهاً هوَ جناحُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعضوٌ مِن أعضائِهِ ، ثمَّ قامَتْ ، فحملوها علىٰ دابَّةٍ مِن دوابِّهِ .

فلمَّا صارَتْ إليهِ . . سلَّمَتْ عليهِ ، فردَّ عليها السَّلامَ وقرَّبَ مجلسَها ، وقالَ لها : ممَّن أنتِ ؟ فقالَتْ : أنا مِن كلبٍ ، قالَ لها : كيفَ حالُكِ ؟ قالَتْ : أجدُ القائتَ (٢) وأستمريهِ (٣) ، وأهجعُ أكثرَ اللَّيلِ ، فأرىٰ قرَّةَ العينِ مِن ولدٍ بارٍّ وكَنَّةٍ رضيَّةٍ ، فلم يبقَ مِنَ الدُّنيا شيءٌ إلَّا قد وجدتُهُ وأخذتُهُ ، وإنَّما أنتظرُ أن يأخذَني .

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (بدا) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

(٣) القائت : المُسْكة من الرِّزق ؛ قليلُهُ وما يكفي منه .

قالَ : ما أعجبَ أمرَكِ كلَّهُ !! قالَتْ : قِفْني على أوَّلِ عجبِهِ ، قالَ : بَذْلُكِ لنا ما كانَ في حِوائِكِ [1] ، فرفعَتْ رأسَها إلى القيِّمِ ، فقالَتْ : هـٰذا ما قلتُ لكَ ؟! قالَ عبيدُ اللهِ : وما قالَتْ لكَ ؟ فأخبرَهُ فازدادَ تعجُّباً !!

قالَ : خبِّريني ؛ فما ادَّخرتِ لبنيكِ إذا انصرفوا إليكِ ؟ قالَتْ : ما قالَ حاتمُ طيِّئٍ [2] : [من الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى ٱلطَّوَىٰ وَأَظَلُّهُ حَتَّىٰ أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ ٱلْمَأْكَلِ

فازدادَ منها عبيدُ اللهِ تعجُّباً !!

وقالَ : أرأيتِ لوِ انصرفَ بنوكِ وهم جياعٌ ، ولا شيءَ عندَكِ ، ما كنتِ تصنعينَ بهِم ؟ قالَتْ : يا هـٰذا ؛ لقد عَظُمَتْ هـٰذهِ [الخبزةُ] [3] عندَكَ وفي عينِكَ ، حتَّىٰ إن صرتَ لتُكثِرُ فيها مقالَكَ ، وتشغلُ بذِكْرِها بالَكَ ، ٱلْهُ عن هـٰذا وما أشبهَهُ ؛ فإنَّهُ يُفسِدُ النَّفسَ ويُؤثِّرُ في الحسِّ ، فازدادَ تعجُّباً !!

ثمَّ قالَ لغلامِهِ : انطلقْ إلىٰ فِنائِها ، فإذا أقبلَ بنوها . . فجِئْني بهِم ، فقالَتِ العجوزُ : أما إنَّهُم لا يأتونَكَ إلَّا بشريطةٍ ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَتْ : لا تذكرُ لهُم ما ذكرتَهُ لي ؛ فإنَّهُم شبابٌ أحداثٌ تجرحُهُمُ الكلمةُ ، ولا آمنُ بوادرَهُم إليكَ ، وأنتَ في هـٰذا البيتِ الرَّفيعِ والشَّرفِ العالي ، فإذاً نحنُ مِن أشرِّ العربِ جواراً ، فازدادَ عبيدُ اللهِ تعجُّباً !! وقالَ لها : سأفعلُ ما أمرتِ بهِ .

فقالَتِ العجوزُ للغلامِ : انطلقْ فاقعدْ بحذاءِ الخباءِ الَّذي رأيتَني في ظلِّهِ ، فإذا أَقْبَلَتْ ثلاثةٌ ؛ أحدُهُم : دائمُ النَّظرِ نحوَ الأرضِ ، قليلُ الحركةِ ، كثيرُ السُّكونِ ، فذاكَ الَّذي إذا خاصمَ . . أفصحَ ، وإذا طلبَ . . أنجحَ .

والآخرُ : دائمُ النَّظرِ ، كثيرُ الحذرِ ، له أُبَّهةٌ قد كَلَمَتْ مِن حسبِهِ ، وأثَّرَتْ في نسبِهِ ، فذاكَ الَّذي إذا قالَ . . فعلَ ، وإذا ظُلِمَ . . قتلَ .

والآخرُ : كأنَّهُ شعلةُ نارٍ ، وكأنَّهُ يطلبُ الخَلْقَ بثارٍ ، فذلكَ الموتُ المائتُ ، هوَ ـ واللهِ ـ

---

(١) حِوائك : بيتك .

(٢) كذا قالت ، وهو لعنترة كما في « ديوانه » (ص ٢٤٩) ، و« العين » (٤٦٦/٧) ، و« أدب الكاتب » لابن قتيبة (ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤٠٤/٣) ، و« لسان العرب » (٤١٩/١١) ، وغير ذلك .

(٣) ما بين معقوفين في (أ) : (الجبزة) ، والمثبت من مصادر التخريج .

والموتُ قسمانِ . . فاقرأْ عليهِم سلامي ، وقلْ لهُم : تقولُ لكُم والدتُكُم : لا يُحدِثَنَّ أحدٌ منكُم أمراً حتَّىٰ تأتوها .

فانطلقَ الغلامُ ، فلمَّا جاءَ الفتيةَ . . أخبرَهُم ، فما قعدَ قائمُهُم ولا شدَّ جمعُهُم حتَّىٰ تقدَّموا سراعاً ، فلمَّا دنَوا مِن عبيدِ اللهِ ورأَوا أُمَّهُم . . سلَّموا ، فأدناهُم عبيدُ اللهِ مِن مجلسِهِ ، وقالَ : إنِّي لم أبعثْ إليكُم ولا لأُمِّكُم لِمَا تكرهونَ ، قالوا : فما بعدَ هـٰذا ؟ قالَ : أُحِبُّ أن أُصلِحَ مِن أمرِكُم ، وأَلُمَّ مِن شَعَثِكُم ، قالوا : إنَّ هـٰذا قلَّ ما يكونُ إلَّا عن سؤالٍ أو مكافأةٍ لفعلٍ قديمٍ ، قالَ : ما هوَ لشيءٍ مِن ذٰلكَ ، ولـٰكنْ جاورتُكُم في هـٰذهِ اللَّيلةِ ، وخطرَ ببالي أن أضعَ بعضَ مالي فيما يُحِبُّ اللهُ عزَّ وجلَّ .

قالوا : يا هـٰذا ؛ إنَّ الَّذي يُحِبُّ اللهُ لا يجبُ لنا ؛ إذ كنَّا في خفضٍ مِنَ العيشِ ، وكفافٍ مِنَ الرِّزقِ ، فإن كنتَ هـٰذا أردتَ . . فوجِّهْهُ نحوَ مَن يستحقُّهُ ، وإن كنتَ أردتَ النَّوالَ مُبتدِئاً لم يتقدَّمْهُ سؤالٌ . . فمعروفُكَ مشكورٌ ، وبِرُّكَ مقبولٌ .

فأمرَ لهُم عبيدُ اللهِ بعشرةِ آلافِ درهمٍ وعشرينَ ناقةً ، وحَوَّلَ أثقالَهُ إلى البغالِ والدَّوابِّ ، وقالَ : ما ظننتُ أنَّ في العربِ والعجمِ مَن يُشبِهُ هـٰذهِ العجوزَ وهـٰؤلاءِ الفتيانَ .

فقالَتِ العجوزُ لفتيانِها : ليقلْ كلُّ واحدٍ منكُم بيتاً مِنَ الشِّعرِ في هـٰذا الشَّريفِ ، ولعلِّي أن أُعينَكُم .

فقالَ الكبيرُ : [من المتقارب]

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ ٱلْكَلَامِ ... وَطِيبِ ٱلْفَعَالِ وَطِيبِ ٱلْخَبَرْ

وقالَ الأوسطُ :

تَبَرَّعْتَ بِٱلْجُودِ قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ ... فَعَالَ كَرِيمٍ عَظِيمِ ٱلْخَطَرْ

وقالَ الأصغرُ :

وَحُقَّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ ... بِأَنْ يَسْتَرِقَّ رِقَابَ ٱلْبَشَرْ

وقالَتِ العجوزُ :

فَعَمَّرَكَ ٱللهُ مِنْ مَاجِدٍ ... وَوُقِّيتَ سُوءَ ٱلرَّدَىٰ وَٱلْحَذَرْ (1)

---

(1) أخرجه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٦١٤ ـ ٦١٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/٤٨٨ ـ ٤٩٠) .

حكايةٌ غريبةٌ

[في عشرةِ عميانٍ يقودُهُم أسدٌ]

٩٩٧ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : سمعتُ القاضيَ أبا القاسمِ حمزةَ بنَ عليٍّ المخزوميَّ مذاكرةً يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ بنَ عليٍّ المعروفَ بابنِ الصَّيقلِ ـ وأثنىٰ عليهِ خيراً ـ يقولُ : سمعتُ شيخيَ الزُّحَيميَّ المُقرِئَ الضَّريرَ يقولُ : كنَّا ببلادِ الشَّامِ إذا جاءَ زمنُ الحصادِ . . نجتمعُ عشرةَ أضرَّاءَ ، ونأخذُ معَنا رجلاً بصيراً يقودُنا ، ونخرجُ إلى الضِّياعِ نأخذُ مِنَ العشرِ الَّذي يُخرِجُهُ المسلمونَ مِن زروعِهِم .

فاتَّفقَ أنَّا خرجْنا مرَّةً عشرةً ، أنا واحدٌ منهُم ، وأخذْنا معَنا رجلاً بصيراً ، وخرجْنا إلى الضِّياعِ ، ففتحَ اللهُ علينا بشيءٍ صالحٍ فبعْناهُ ، وتسلَّمَ قائدُنا جميعَ الثَّمنِ ، وعُدْنا راجعينَ إلىٰ مواضعِنا ، فغدرَ بنا الرَّجلُ الَّذي يقودُنا ، وأخذَ الثَّمنَ وتركَنا في البرِّيَّةِ ومضىٰ .

فقالَ بعضُنا لبعضٍ : ما الَّذي نصنعُ وطرقُ ضياعِ الشَّامِ كثيرةُ الاختلافِ ؟ فاجتمعَ رأيُنا علىٰ أنَّنا نجتمعُ ونتجزَّأُ ختمةً نقرؤُها ، فإذا فرغْنا منها . . ابتهلْنا إلى اللهِ سبحانَهُ ودعوْناهُ أن يُفَرِّجَ عنَّا ، ففعلْنا ذٰلكَ وقمْنا نمشي كلُّ واحدٍ منَّا آخِذٌ بيدِ الآخرِ .

فبينَما نحنُ نمشي كذٰلكَ . . إذ قالَ الأوَّلُ منَّا : يهنيكُم ، قلْنا : وما الخبرُ ؟ قالَ : أنتم بقربِ بلدٍ ، قلْنا : وما يُدريكَ ؟ قالَ : قد وقعَتْ يدي بذنبِ عجلٍ وأنا ماسكٌ بهِ .

قالَ : وسِرْنا علىٰ ذٰلكَ ، فبينا نحنُ نسيرُ . . إذ سمعْنا كلامَ النَّاسِ وهم يقولونَ بعضُهُم لبعضٍ : تعالَوا حتَّىٰ ترَوا هٰذا العجبَ ؛ عشرةُ عميانٍ يقودُهُم أسدٌ !!

فجاءَ النَّاسُ ينظرونَ إلينا ويتعجَّبونَ منَّا ، فلمَّا سمعَ الأوَّلُ منَّا كلامَ النَّاسِ . . تركَ ذنبَ الأسدِ مِن يدِهِ ، ومضى الأسدُ ، وجاءَ النَّاسُ إلينا يتبرَّكونَ بنا ويسألونا الدُّعاءَ .

وسمعَ والي البلدِ بخبرِنا ، فجاءَنا فسألَنا عن أمرِنا ، فعرَّفْناهُ خبرَنا ، فقالَ : قد دخلَ بلدَنا منذ يومَينِ أو نحوِ ذٰلكَ رجلٌ غريبٌ ، فاستنكرتُ حالَهُ ورميتُهُ في الحبسِ ؛ يعني : فلعلَّهُ صاحبُكُم ، فأرسلَ إلى الحبسِ ، وأخرجَ ذٰلكَ الرَّجلَ ، فوجدْنا صاحبَنا الَّذي غدرَنا ، فأخذْنا منهُ دراهمَنا ومضيْنا (١) .

---

(١) انظر « التذكرة البلقينية » (١٣٠) ، وفي هامش (أ) : (بلغ مروراً) .

حكاية غريبة

[أرادَ أن يحرمَكَ ، فلم يحرمْكَ اللهُ عزَّ وجلَّ]

٩٩٨ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ الصَّمدِ بنُ داوودَ ابنِ سيفٍ المُقرِئُ بقراءتي عليهِ ، أنا الشَّيخُ أبو الرَّبيعِ سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ حسنٍ المُقرِئُ البصيرُ ، أنا أبو الفداءِ حسَّانُ بنُ خلفِ بنِ سلامةَ الحنبليُّ إجازةً ، أنا الشَّيخُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ يحيى بنِ عبدِ اللهِ المُقرِئُ المعروفُ بابنِ الزَّيَّاتِ سماعاً عليهِ قالَ : أملىٰ عليَّ الشَّيخُ أبو القاسمِ المُسَلَّمُ بنُ عليٍّ المصريُّ ـ رحمَهُ اللهُ ـ قالَ : قالَ لي أبو الحسنِ ابنُ الأَسْوانيِّ المُقرِئُ النَّحَّاسُ ـ كانَ بالجامعِ العتيقِ ، رحمَهُ اللهُ ـ : أقمتُ أقرأُ علىٰ رجلٍ بصيرٍ مِنَ المُقرِئينَ مدَّةَ خمسةَ عشرَ[1] سنةً ، وكانَ لهُ راتبٌ عليَّ في كلِّ يومٍ درهماً ، إلىٰ بعضِ الأيَّامِ فإنِّيَ افتقدتُهُ ، فسألتُ عنهُ فقيلَ لي : إنَّهُ مُتخلِّفٌ ، فأخذتُ ما فتحَ اللهُ بهِ ، ومضيتُ إليهِ فسألتُ عنهُ ، فأخذَ عليَّ العهدَ والميثاقَ ، وأوصاني بوصيَّةٍ واستحرجَني بها ، وألَّا أخالفَ وصيَّتَهُ ، وأفعلَ ما قد أمرَني بهِ .

فقالَ لي : هٰذا تحتَ جنبيَ الكُوزُ النُّحاسُ الَّذي اشتريتُهُ منكَ ، فيهِ خمسُ مئةِ دينارٍ ، فإن أنا متُّ . . خُذْهُ فارمِهِ في البحرِ بينَ الخولةِ والرَّبابِ[2] ، فقلتُ لهُ : لكَ ولدٌ ، وقد قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حَاسِدُ وَارِثِهِ فِي ٱلنَّارِ » !!

فقالَ لي : عهدُ اللهِ عليكَ والقرآنُ يشهدُ عليكَ ؛ إنْ دفعتَهُ إليهِ ، وهٰذا تحتَ رأسي ديناران ، فاسترْني بهما إن أنا متُّ .

فنزلتُ مِن عندِهِ ، فأقامَ بعدَ ذٰلكَ يومَينِ ، ثمَّ تُوُفِّيَ ، فأخذتُ في حاجتِهِ بما قد أوصاني بهِ ممَّا كانَ تحتَ رأسِهِ وسترتُهُ ، ولم أُعلِمِ ابنَهُ بشيءٍ ، وأخذتُ الكُوزَ الَّذي أوصاني بهِ ، ورميتُهُ في الموضعِ الَّذي أمرَني بهِ .

فلمَّا كانَ بعدَ يومَينِ . . [إذا][3] أنا في سوقِ النَّحَّاسينَ والكُوزُ في النِّداءِ يُنادىٰ عليهِ ،

---

(١) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) ، وصوابها : (خمسَ عشرةَ) ، وهو ما في « التذكرة البلقينية » .

(٢) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) ، والرَّباب : جبل بين المدينة وفيد علىٰ طريق كان يسلك قديماً ، يذكر مع جبل آخر يُقال له : خولة ، مقابل له ، وهما عن يمين الطَّريق ويساره . « معجم البلدان » (٣/ ٢٣) .

(٣) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق .

فبلغَ خمسةَ عشرَ قيراطاً ، فدفعتُ فيهِ ثلثَي دينارٍ ، وأخذتُ الكُوزَ فقلَّبتُهُ وتحقَّقتُهُ ، وقلتُ للمُنادي : ائتِ بصاحبِهِ . . يأخذْ ثمنَهُ ، فوجدتُهُ ولدَ البصيرِ المُقرِئِ الَّذي أوصاني برَمْيِ الكُوزِ !!

فقلتُ لهُ : مِن أينَ لكَ هٰذا الكُوزُ ؟ اصدُقْني الحقَّ ؛ فما يُنجيكَ منِّي إلَّا الصِّدقُ .

فقالَ لي : أقمتُ ثلاثةَ أيَّامٍ لم أستطعمْ فيها طعاماً إلَّا من الجيرانِ والأصدقاءِ ، فأخذتُ قصبةَ الصَّيدِ معي ، ونزلتُ إلى الجسرِ ، وطرحتُ القصبةَ في البحرِ ، ثمَّ إنِّي جذبتُها فلم تنجبذْ ، فتعرَّيتُ مِن ثيابي ، ونزلتُ معَ الخيطِ ، فوجدتُ هٰذا الكُوزَ في الصَّنَّارةِ ، فأخذتُهُ فوجدتُ فيهِ خمسَ مئةِ دينارٍ .

فقلتُ لهُ : هنَّأَكَ اللهُ بها ، فهوَ مالُ أبيكَ ، أرادَ أن يحرمَكَ إيَّاها ، فلم يحرمْكَ اللهُ عزَّ وجلَّ بغيرِ اختيارِهِ .

قالَ لنا شيخُنا أبو القاسمِ مُسَلَّمٌ ـ عفا اللهُ عنهُ ـ : قالَ لي أبو الحسنِ ابنُ الأَسْوانيِّ : وهٰذا الَّذي مرَّ بي مِنَ الآياتِ !![(١)]

حكاية نافعة

[موافقةٌ مِن بعدِ إنكارٍ]

٩٩٩ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً كما تقدَّمَ قالَ[(٢)] : أنا الشَّيخُ الصَّالحُ الفقيهُ أبو عليٍّ ناصرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الشَّافعيُّ المصريُّ العَطَّارُ نزيلُ مكَّةَ ـ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ ـ بقراءتي عليهِ بالحرمِ الشَّريفِ تجاهَ الكعبةِ قلتُ لهُ : أخبرَكُمُ الشَّيخُ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ سيفِ بنِ الحسنِ الشَّهرابانيُّ ـ قدمَ عليكُم مكَّةَ ـ فأقرَّ بهِ قالَ[(٣)] : حكى الشَّيخُ أبو طالبٍ الصُّوفيُّ القفَّالُ ـ وكانَ صوفيّاً مليحاً ـ قالَ : كنتُ أنا والشَّيخُ أحمدُ ابنُ العَوَّادةِ نُقيمُ ببغدادَ إلىٰ أن نضجرَ ، ثمَّ نُسافِرُ أنا وهوَ ومَن تبعَنا مِنَ الفقراءِ ، فأيَّ موضعٍ دخلْنا . . انضمَّ إلينا صوفيَّةُ ذٰلكَ البلدِ .

---

(١) انظر « التذكرة البلقينية » (٩٨) .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٩٩٢) .

(٣) الشَّهراباني : نسبة إلىٰ (شَهرابان) ، وهي قرية كبيرة عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص في شرقيِّ بغداد . « معجم البلدان » (٣/٣٧٥) .

فخرجْنا نوبةً إلى المَوْصِلِ ، فاكترَيْنا داراً وانضمَّ إلينا جماعةٌ مِنَ الصُّوفيَّةِ طمعاً في الكسرةِ وأَكْلِها ، قالَ : فكنتُ أنا أُبكِّرُ فأخرجُ إلى الدُّكَّانِ أعملُ صنعةَ الأقفالِ ، ويحصلُ لي في اليومِ نصفُ دينارٍ أو أقلُّ أو أكثرُ ، ويُبكِّرُ الشَّيخُ أحمدُ إلى الدَّرْوَزةِ[1] ، يُحصِّلُ ديناراً أو أكثرَ أو أقلَّ ، ثمَّ نجتمعُ آخرَ النَّهارِ ، فنجمعُ ما قد حصلَ لي ولهُ ، وننفذُ نُحضِرُ اللَّحمَ والحوائجَ والخبزَ والحلاوةَ ، ونُسلِّمُها إلى الطَّبَّاخِ ، ونشتغلُ بالذِّكْرِ والصَّلاةِ إلىٰ وقتِ عشاءِ الآخرةِ .

ثمَّ نمدُّ السُّفرةَ ، فتأكلُ الجماعةُ ، ويتقدَّمُ الخادمُ فيُنشِدُ ويُغنِّي ، ولا نزالُ بينَ رقصٍ وسماعٍ وتواجدٍ إلىٰ وقتِ السَّحَرِ ، ثمَّ نتوضَّأُ ونُصلِّي ركيعاتٍ إلىٰ أن يُسفِرَ الصُّبحُ ، فنُصلِّي الصُّبحَ ونخرجُ على العادةِ ؛ هوَ إلى الكُديةِ والشَّحذِ ، وأنا إلى الدُّكَّانِ والصَّنعةِ .

قالَ : وكانَ في جوارِنا رجلٌ فقيهٌ مُفتٍ مِن كبارِ أهلِ العلمِ ، فكنَّا إذا سلَّمنا عليهِ . . يسُبُّنا ويلقانا بالقبيحِ ، ويقولُ : أنتم إباحيَّةٌ ، وكنَّا نحنُ نُقبِّلُ قدمَيهِ ونضحكُ ، ونقولُ : نحنُ يجبُ علينا إكرامُكَ والسَّلامُ عليكَ والتَّودُّدُ إليكَ لأجلِ المعنى المُودَعِ فيكَ ، فافعلْ أنتَ ما شئتَ .

قالَ : فأقمْنا في جوارِهِ شهراً ، ثمَّ عزمْنا على السَّفرِ إلىٰ مواضعَ قريبةٍ مِنَ المَوْصِلِ ، فجعلْنا الدَّارَ في أجرتِنا ، ثمَّ جئْنا لوداعِهِ ، فقالَ : لا كلأَكُمُ اللهُ ولا حفظَكُم ولا ردَّكُم ، قالَ : فضحكْنا وقبَّلْنا يدَيهِ ، ثمَّ مضيْنا وغبْنا عنهُ شهراً .

ثمَّ عدْنا إلى الدَّارِ علىٰ عادتِنا ، فتلقَّانا الفقيهُ مِن رأسِ الدَّرْبِ ، فقبَّلَ وجوهَنا واعتنقَنا واستوحشَ منَّا !!

فأمَّا ابنُ العَوَّادةِ . . فإنَّهُ استمعَ وتواجدَ وصاحَ ، وأمَّا أنا . . فقلتُ لهُ : الوحيُ انقطعَ بموتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولم يبقَ إلَّا المَناماتُ ، فخبِّرْنا ؛ ما الَّذي رأيتَ في حقِّنا ؟

قالَ : فقالَ لنا : انفصلتُم عنِّي وأنا في حقِّكُم علىٰ ما تعلمونَ ، ثمَّ اتَّفقَتْ لي حاجةٌ إلى الجزيرةِ ، فدخلتُها مساءً ، فعدلتُ إلى الجامعِ لأبيتَ فيهِ ، فلمَّا صلَّيْنا عشاءَ الآخرةِ ،

---

(١) الدَّرْوَزة : التَّسوُّل والكُدية .

وتقوَّضَ النَّاسُ وأغلقَ القيِّمُ بابَ المسجدِ الجامعِ . . رأيتُ قد تخلَّفَ ثلاثةُ أنفسٍ ؛ شيخٌ وشابٌّ وصبيٌّ أمردُ ، عليهِم زيُّ التَّصوُّفِ ، فقلتُ في نفسي : سبحانَ اللهِ !! هٰؤلاءِ خلفي خلفي ، وتبرَّمتُ بالبيتوتةِ في موضعٍ هم فيهِ ، لٰكنْ لم يكنْ لي بُدٌّ مِن ذٰلكَ .

قالَ : فتقدَّمَ الشَّابُّ وبسطَ مئزراً ، وطرحَ أرغفةَ خبزٍ ، وخلّاً وبقلاً وملحاً ، وشيئاً مِنَ الإدامِ ، وجاءَ الشَّيخُ فوقفَ علىٰ رأسي ، وقالَ : الصَّلاةَ ، فقلتُ لهُ كالمُستهزِئ بهِ : لستُ علىٰ وضوءٍ ، فمضىٰ وتركَني ، فأكلوا ، فلمَّا فرغوا . . أخرجَ الصَّبيُّ قضباناً ، وأخذَ الشَّابُّ والصَّبيُّ يُنشِدانِ ويُغنِّيانِ ويُوقعانِ بالقضبانِ ، والشَّيخُ يتواجدُ تارةً ويصحو تارةً ، إلىٰ أن مضىٰ هزيعٌ مِنَ اللَّيلِ ، فغنَّى الأمردُ قطعةً مِنَ الشِّعرِ مِن جملتِها : [من مخلع البسيط]

دَقِيقُ خَصْرٍ ثَقِيلُ رِدْفٍ ... يَزُورُنَا كُلَّمَا ٱشْتَهَيْنَا

فصاحَ الشَّيخُ وتواجدَ ، ورمىٰ بنفسِهِ إلى الأرضِ ، فقلتُ في نفسي : والشَّيخُ سفلةٌ أيضاً !! فلمَّا سُرِّيَ عنهُ . . قاموا وتوضَّؤوا ، واستقبلوا القِبلةَ وصلَّوا إلىٰ طلوعِ الفجرِ .

ثمَّ صلَّينا الصُّبحَ في جماعةٍ ، وتهيَّؤوا للخروجِ ، فجاءَ الشَّيخُ كالمُودِّعِ ، وقالَ : إن كنَّا أسأْنا الأدبَ البارحةَ . . فلا تُؤاخِذْنا ، فقلتُ لهُ : أيُّها الشَّيخُ ؛ تسمعُ مِنَ الشِّعرِ ما شاءَ اللهُ ، لم يظهرْ عليكَ الوجدُ والطَّربُ العظيمُ إلَّا عندَ ذاكَ البيتِ السَّخيفِ !! أيُّ معنىً ظهرَ لكَ منهُ حتَّىٰ طربتَ ؟!

فقالَ : إن كنتَ تسمعُ الجوابَ بحُسنِ ظنٍّ . . قلتُ لكَ ، وإن كنتَ تسمعُهُ معَ سوءِ الظَّنِّ . . فلا يُفيدُ ، فقلتُ : بل أُحسِنُ الظَّنَّ .

فقالَ : لمَّا قالَ :

دَقِيقُ خَصْرٍ ثَقِيلُ رِدْفٍ ... يَزُورُنَا كُلَّمَا ٱشْتَهَيْنَا

قلتُ : دقَّ ما اختصرَهُ مِن خفيِّ لطفِهِ ، في كثيرِ ما أردفَهُ مِن تتابُعِ نِعَمِهِ ، يزورُنا كلَّما اشتهيْنا ، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (١) ، فوضعَ اللهُ لهُ في قلبيَ التَّصديقَ لهُ وحسنَ الظَّنِّ بهِ .

---

(١) سورة البقرة : (١٨٦) .

لا ينبغي أن يُساءَ بكُمُ الظَّنُّ ، ثمَّ قالَ : أسألُكُم أن تحاللوني مِنَ الوقيعةِ الَّتي كنتُ أقصدُكُم بها .

قالَ : فوقعْنا علىٰ أقدامِهِ نُقبِّلُها ، وقلْنا : يا سيِّدي ؛ قد كنتَ تعلمُ محبَّتَنا لكَ معَ تلكَ المخالفةِ ، فكيفَ يكونُ الآنَ معَ هٰذهِ الموافقةِ ؟!

ثمَّ عملْنا دعوةً خسرْنا فيها ذهباً كثيراً ، وحضرَ الشَّيخُ معَنا السَّماعَ ، ووافقَنا وصارَ لنا صديقاً (١) .

فائدةٌ جيِّدةٌ

[مِن دعاءِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ]

١٠٠٠ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً كما تقدَّمَ قالَ (٢) : أنا الشَّيخانِ أبو طالبٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسينِ ، وأبو الفضلِ بنُ أبي الحسنِ المُقرِئُ سماعاً عليهِما قالا : أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ الحافظُ .

(ح) وأنبأَني جماعةٌ مِن مشايخي ، عن جماعةٍ ، عن أحمدَ بنِ محمَّدٍ الحافظِ ـ هوَ السِّلَفيُّ ـ قالَ : أنا أبو الحسينِ المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ قالَ : سمعتُ أحمدَ ـ يعني : ابنَ محمَّدٍ العَتِيقيَّ ـ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ إبراهيمَ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ أبا عيسىٰ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ زاذانَ الرَّزَّازَ قالَ : (كنتُ في جامعِ المدينةِ وقد وصلْنا العصرَ ، وأحمدُ ابنُ حنبلٍ حاضرٌ ، فسمعتُهُ يقولُ : اللَّهُمَّ ؛ مَن كانَ علىٰ هوىً أو علىٰ رأيٍ ، وهوَ يظنُّ أنَّهُ على الحقِّ وليسَ على الحقِّ . . فردَّهُ إلى الحقِّ حتَّىٰ لا يضلَّ مِن هٰذهِ الأُمَّةِ أحدٌ .

اللَّهُمَّ ؛ لا تشغلْ قلوبَنا بما تكفَّلتَ لنا بهِ ، ولا تجعلْنا في رزقِنا خَوَلاً لغيرِكَ ، ولا تمنعْنا ما عندَكَ بِشَرِّ ما عندَنا ، ولا [تَرَنا] (٣) حيثُ نهيتَنا ، ولا تفقدْنا مِن حيثُ أمرتَنا ، أَعِزَّنا بالطَّاعةِ ، ولا تُذِلَّنا بالمعاصي) (٤)

---

(١) انظر « التذكرة البلقينية » (١٣١) .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (٩٩٢) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ) : (ترانا) ، والمثبت من « صفة الصفوة » .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٨٢/١١) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٠/٥) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٤٦٤/١) ، وانظر « صفة الصفوة » (٢١١/٢) .

فائدة

[دعاءُ أعرابيٍّ في الطَّوافِ]

١٠٠١ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : أنا أبو محمَّدٍ العثمانيُّ ، وأبو الطَّاهرِ إسماعيلُ ابنُ أحمدَ الأنصاريُّ ، وأبو مدينَ شعيبُ بنُ يحيى الزَّعْفَرانيُّ سماعاً عليهِم قالوا : أنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ الحافظُ قراءةً عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عن أحمدَ بنِ محمَّدٍ الحافظِ قالَ : أنا الرَّئيسُ أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ سعيدِ بنِ إبراهيمَ ابنِ نبهانَ الكاتبُ ببغدادَ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ الحسينِ بنِ العبَّاسِ ابنُ دُوما النِّعاليُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ نصرٍ الذَّارعُ ، ثنا أبو العبَّاسِ صدقةُ بنُ موسى الغنويُّ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ قُرَيبٍ الأصمعيُّ قالَ : (رأيتُ أعرابيّاً يطوفُ بالبيتِ وهوَ يقولُ : اللَّهُمَّ ؛ لا تُعَنِّني بطلبِ ما لم تُقدِّرْهُ لي ، وما قدَّرتَهُ لي . . فيسِّرْهُ لي وسهِّلْهُ عليَّ ، وكافِ عنِّي والديَّ وكلَّ ذي نعمةٍ عليَّ) .

فائدة

[مِن دعاءِ الأعرابِ]

١٠٠٢ ـ وبهِ إلى الأصمعيِّ قالَ : (دعا أعرابيٌّ فقالَ : اللَّهُمَّ ؛ اغفرْ لي كلَّ ذنبٍ ، واحفظْني علىٰ كلِّ جنبٍ ، وافرجْ عنِّي كلَّ كربٍ ، وأَفِضْ عليَّ رزقاً واسعاً ، واجعلْني قانعاً) .

نكتة عجيبة

[هٰذانِ مِن بطني ، وهٰذانِ مِن ظهري]

١٠٠٣ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : أنا الشَّيخُ أبو محمَّدٍ عبدُ الصَّمدِ بنُ داوودَ المُقرِئُ بقراءتي عليهِ ، أنا الفقيهُ أبو الرَّبيعِ سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ حسنٍ المُقرِئُ ، أنا أبو النِّداءِ (١) حسَّانُ بنُ خلفِ بنِ سلامةَ الحنبليُّ إجازةً ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ يحيى بنِ عبدِ اللهِ المُقرِئُ ، أنا أبو الفضلِ جعفرُ بنُ إبراهيمَ السِّمْسارُ رضيَ اللهُ عنهُ بقراءتي عليهِ في منزلِهِ بالممصوصةِ مِن أصلِ سماعِهِ فأقرَّ بهِ قالَ : ثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ، أنا أبو القاسمِ

---

(١) كذا ذكر ها هنا ، وقد مرَّ ضمن الخبر (٩٩٨) : (أبو الفداء) ، والله أعلم .

عليُّ بنُ عبيدِ اللهِ العُنَّابيُّ إجازةً ، ثنا أبو الحسينِ إسماعيلُ بنُ عمرَ بنِ خليلِ الصَّائغُ إملاءً مِن حفظِهِ قالَ : حدَّثَني أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ همامٍ بالبصرةِ قالَ : كنتُ ببغدادَ فوقفتُ علىٰ رجلٍ ـ يُقالُ : يُسمُّونَهُ بمصرَ : الفاميَّ ، ويُسمُّونَهُ : البيَّاعَ ـ في شراءِ شيءٍ مِن دُكَّانِهِ ، فرأيتُ لهُ أربعةَ أولادٍ استحسنتُهُم ، فقلتُ : باركَ اللهُ لكَ فيهِم ، فقالَ لي : هٰذانِ مِن بطني !! وهٰذانِ مِن ظهري !!

فقلتُ : أَخبِرْني بالقصَّةِ .

فقالَ لي : كنتُ امرأةً ، فخطبَنيَ ابنُ عمِّي فتزوَّجتُهُ ، فحملتُ منهُ ، فأولدَني هٰذَينِ ، ثمَّ مضىٰ لي سُنَيَّاتٌ ، فانغلقَ فرجي ، ونشا لي فوق الفَرْجِ شيءٌ مثلُ النَّبعةِ [1] ، ثمَّ كبرَ وزادَ ، فسألتُ أبي أن يُزوِّجَنيَ امرأةً ، فخطبَ لي وزوَّجَني ، فدخلتُ بها فحملَتْ وولدَتْ هٰذَينِ الولدَينِ ، فهٰذانِ مِن بطني ، وهٰذانِ مِن ظهري [2]

نُكتةٌ غريبةٌ

[في رِجْلٍ مِن جرادٍ ناطقٍ]

١٠٠٤ ـ وبهِ إلىٰ أبي الحسنِ عليِّ بنِ يحيى المُقرِئ قالَ : أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سليمانَ البَزَّازُ بقراءتي عليهِ في الجامعِ العتيقِ تاجِ الجوامعِ مِن أصلِ سماعِهِ فأقرَّ بهِ ، أنا الشَّيخُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ هاشمٍ المُقرِئُ ، أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ إسماعيلَ الضَّرَّابُ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ الحَرَّانيُّ ، ثنا المقدامُ بنُ داوودَ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الدِّمشقيُّ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عنِ الأَوْزاعيِّ قالَ : حدَّثَني رجلٌ مِن إخوانِنا مِن أهلِ الصِّدقِ والأمانةِ قالَ : (خرجتُ مِن بيروتَ أُريدُ ضيعتي ، ومِن ضيعتي أُريدُ بيروتَ ، فلمَّا مررتُ . . إذا بِرِجْلٍ مِن جرادٍ لم أرَ قطُّ أكثرَ منها ولا أحسنَ [3] ، وإذا جرادةٌ فوقَ جرادةٍ ، عليها شبهُ البُرْنُسِ [4] ، وهيَ تُشيرُ بيدِها ، فحيثُ ما أشارَتْ ساروا ، وهيَ تقولُ : الدُّنيا باطلٌ وباطلٌ ما فيها) [5]

---

(١) نشا ؛ بمعنىٰ : ظهر ، والنَّبعة : واحدة النَّبع ؛ شجر تتَّخذ من أغصانه السِّهامُ .

(٢) ممَّا يتعجَّب . انتهىٰ من هامش (أ) .

(٣) الرِّجْل : الجراد الكثير .

(٤) البُرْنُس : كلُّ ثوب رأسُه منه ملتزقٌ به .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥/٢٠٣ ـ ٢٠٤) بنحوه .

فَائِدَةٌ

[مِن وصيَّةِ جعفرٍ الصَّادقِ]

١٠٠٥ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : أنا أبو الفضلِ بنُ أبي الحسنِ المُطرِّزِ بقراءتي عليهِ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، أنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ الأُمويُّ ، أنا الفقيهُ أبو الحجَّاجِ يوسفُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عليِّ بنِ نادرٍ اللَّخْميُّ بقراءتي عليهِ .

(ح) وأُنبِئتُ عنهُ قالَ : وحدَّثَنا بهِ المُبارَكُ بنُ كاملٍ .

(ح) وأنبأَني أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ ابنُ سِكِّينةَ قالَ : أنبأَنا المُبارَكُ بنُ كاملٍ قالا : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ بدرانَ بانتقاءِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ أبي نصرٍ الحُمَيديِّ ، ثنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدٍ الجازريُّ النَّهْروانيُّ ، ثنا القاضي أبو الفرجِ المُعافى بنُ زكريَّا بنِ يحيى النَّهْروانيُّ إملاءً في سنةِ ستٍّ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ قالَ : ثنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرِ بنِ شاذانَ أبو الحسينِ البَزَّازُ ، ثنا أبو غَسَّانَ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ يوسفَ بالقُلْزُمِ ، حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الثُّماميُّ ، عن عليِّ بنِ يوسفَ المدائنيُّ قالَ : سمعتُ سفيانَ الثَّوْريَّ يقولُ : دخلتُ علىٰ أبي عبدِ اللهِ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ ، فقلتُ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ أَوْصِني .

فقالَ : يا سفيانُ ؛ لا مُروءةَ لكَذوبٍ ، ولا راحةَ لحَسودٍ ، ولا حيلةَ لبخيلٍ ، ولا إخاءَ لمَلولٍ ، ولا سؤددَ لسيِّءِ الخُلُقِ .

قالَ : فقلتُ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ زِدْني .

قالَ : يا سفيانُ ؛ كُفَّ عن محارمِ اللهِ . . تكنْ عابداً ، وارضَ بما قسمَ اللهُ . . تكنْ مسلماً ، واصحبِ النَّاسَ بما تُحِبُّ أن يصحبوكَ بهِ . . تكنْ مؤمناً ، ولا تصحبِ الفاجرَ فيُعلِّمَكَ مِن فجورِهِ ، وشاوِرْ في أمرِكَ الَّذينَ يخشونَ اللهَ .

قلتُ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ زِدْني .

قالَ : يا سفيانُ ؛ مَن أرادَ عزّاً بلا عشيرةٍ ، وهيبةً بلا سلطانٍ . . فليخرجْ مِن ذُلِّ معصيةِ اللهِ إلىٰ طاعةِ اللهِ .

قلتُ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ زِدْني .

قالَ : يا سفيانُ ؛ أدَّبَني أبي بثلاثٍ ، وأَتبعَني بثلاثٍ .

قلتُ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ ما الثَّلاثُ الَّذي أدَّبَكَ بهِنَّ أبوكَ ؟

قالَ : قالَ أبي : مَن يصحبْ صاحبَ السُّوءِ . . لا يسلمْ ، ومَن يدخلْ مدخلَ السُّوءِ . . يُتَّهَمْ ، ومَن لا يملكْ لسانَهُ . . يندمْ .

ثمَّ أنشدَني جعفرٌ : [من البسيط]

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ ٱلْخَيْرِ تَحْظَ بِهِ ... إِنَّ ٱللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ

مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ ... فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ فَٱنْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ

قلتُ : فما الثَّلاثُ الأُخَرُ ؟

قالَ : قالَ أبي : إنَّما يُتَّقىٰ حاسدُ نعمةٍ ، أو شامتُ مُصيبةٍ ، أو حاملُ نميمةٍ (١)

حكاية

[في دعوةِ الشَّيخِ أبي الحسنِ السِّيروانيِّ]

١٠٠٦ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : أنا أبو الفضلِ جعفرُ بنُ عليٍّ الهَمْدانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جعفرٍ الهَمْدانيِّ قالَ : أنا الشَّريفُ أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ يحيى العثمانيُّ الدِّيباجيُّ قراءةً عليهِ بالإسكندريَّةِ قالَ : حدَّثَنيَ الشَّيخُ أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ أبي بكرِ بنِ أبي سعيدٍ القرشيُّ المُقرِئُ قالَ : ثنا الشَّيخُ أبو الحسنِ عبدُ الباقي بنُ فارسٍ المُقرِئُ ، ثنا أبو حفصٍ ابنُ عِراكٍ إمامُ الجامعِ العتيقِ بمصرَ قالَ : كانَ الشَّيخُ أبو الحسنِ السِّيروانيُّ الرَّجلُ الصَّالحُ المُجاوِرُ بمكَّةَ يزورُ إخوانَهُ في البلادِ ، فزارَني سنةً مِنَ السِّنينَ بمصرَ ، فبينا هوَ جالسٌ معي بينَ الصَّناديقِ بالجامعِ بمصرَ ونحنُ نتحدَّثُ . . إذ سمعْنا ضوضاءً في الجامعِ ، فسأَلْنا عن ذٰلكَ ، فقيلَ لنا : رجلٌ كانَ معَهُ شيءٌ فسُرِقَ .

فاستحضرَهُ الشَّيخُ أبو الحسنِ السِّيروانيُّ ، فحضرَ إليهِ ، فسألَهُ عن أمرِهِ ، فقالَ : إنِّي رجلٌ فقيرٌ ، ولي عائلةٌ ، ففُتِحَ عليَّ برداءٍ وديناريْنِ ، فصررتُهُما في طرفِ الرِّداءِ ، فسُرِقَ ذٰلكَ منِّي .

---

(١) أخرجه المعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٥٨٣ ـ ٥٨٤) .

فقالَ لهُ : قِفْ ، ثمَّ حرَّكَ الشَّيخُ شفتَيهِ بما لا أعلمُهُ ، ورفعَ طَرْفَهُ إلى السَّماءِ ، فما استتمَّ دعاءَهُ حتَّىٰ سمعْنا قائلاً يقولُ : مَن ضاعَ منهُ شيءٌ . . فليصِفْهُ ثمَّ ليأخذْهُ .

فوصفَ لهُ الرَّجلُ صفةَ متاعِهِ ، فسلَّمَهُ إليهِ ، فقالَ لهُ الشَّيخُ أبو الحسنِ : خُذْهُ وانصرفْ .

فأخذَهُ وذهبَ .

قالَ الشَّيخُ أبو حفصٍ ابنُ عِراكٍ : فسألتُ الشَّيخَ عمَّا دعا بهِ ، فقالَ : دعوتُ اللهَ باسمِهِ الأعظم ، فسألتُهُ أن يُعلِّمَني إيَّاهُ ، فامتنعَ (١)

نُكْتَةٌ

[في كلماتٍ فيها صلاحُ الدِّينِ والدُّنيا والملكِ]

١٠٠٧ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : أنا أبو القاسمِ هبةُ اللهِ بنُ عليِّ الأنصاريُّ قراءةً عليهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عمرَ الفَرَّاءُ المَوْصِليُّ قراءةً عليهِ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ العزيزِ بنُ الحسنِ بنِ إسماعيلَ الغَسَّانيُّ ، أنا أبي ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ مروانَ المالكيُّ ، ثنا [الحَرْبيُّ] (٢) ، ثنا محمَّدُ بنُ الحارثِ ، عنِ المدائنيِّ قالَ : قالَ صالحُ بنُ كَيْسانَ : خرجَ علينا الزُّهريُّ مِن عندِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، فقالَ : لقد تكلَّمَ اليومَ رجلٌ عندَ أميرِ المؤمنينَ ما سمعتُ كلاماً أحسنَ منهُ ، فقالَ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ اسمعْ منِّي أربعَ كلماتٍ ، فيهِنَّ صلاحُ دينِكَ وملكِكَ ودنياكَ .

قالَ : ما هوَ ؟

قالَ : لا تَعِدْ أحداً عِدَةً وأنتَ لا تُريدُ إنجازَها .

ولا يغرَّنَّكَ مُرتقىً سهلٌ إذا كانَ المُنحدَرُ وَعْراً .

واعلمْ أنَّ للأعمالِ جزاءً ؛ فاحذرِ العواقبَ ، وأنَّ للدَّهرِ تاراتٍ ؛ فكنْ علىٰ حذرٍ (٣)

---

(١) أخرجه الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٧/٣٣٤ ـ ٣٣٥) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (الحارث) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

(٣) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٤٣٦) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٩٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨/٢٠٩ ـ ٢١٠) ، وانظر « البصائر والذخائر » للتوحيدي (٤/١٤٥) ، و« نثر الدر » للآبي (٤/٢٠٣) ، و« ربيع الأبرار » (٥/٣١٥) ، و« التذكرة الحمدونية » (١/٢٦٢) .

فَائِدَةٌ

[في دعاءِ الكربِ]

١٠٠٨ ـ وبـهِ إلىٰ أحمدَ بنِ مروانَ قالَ : ثنا ابنُ أبي الدُّنيا ، ومحمَّدُ بنُ سليمانَ الواسِطيُّ ، عن أحمدَ بنِ عليِّ الشَّيْبانيِّ ، عن أبيهِ ، عنِ ابنِ امرأةِ وهبِ بنِ مُنبِّهٍ [١] ، عن وهبٍ : أنَّ ابنَ عبَّاسٍ قالَ لهُ : (تجدُ فيما تقرأُ مِنَ الكتبِ دعاءً مُستجاباً تدعو بهِ عندَ الكربِ ؟) .

قالَ : نعم ، اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ يا مَن تملكُ حوائجَ السَّائلينَ ، وتعلمُ ضميرَ الصَّامنينَ [٢] ؛ فإنَّ لكلِّ مسألةٍ منكَ سمعاً حاضراً وجواباً عتيداً ، ولكلِّ صامتٍ منكَ علماً مُحيطاً باطناً ، مواعيدُكَ الصَّادقةُ ، وأياديكَ الفاضلةُ ، ورحمتُكَ الواسعةُ . . أن تفعلَ بي كذا وكذا .

فقالَ ابنُ عبَّاسٍ : (هـٰذا دعاءٌ قلتُهُ في النَّومِ ، ما كنتُ أرىٰ أحداً يُحسِنُهُ) [٣]

* * *

١٠٠٩ ـ وبهِ قالَ : سمعتُ ابنَ أبي الدُّنيا يقولُ : (عَسُرَتْ عليَّ حاجةٌ زماناً ، فكتبتُ هـٰذا الحديثَ إملاءً وقلتُهُ ، فقُضِيَتْ حاجتي في يومَ كتبتُ هـٰذا الحديثَ) [٤]

* * *

١٠١٠ ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : أنا أبو الطَّاهرِ بنُ أبي القاسمِ الأنصاريُّ بقراءتي عليهِ قالَ : أنا الحافظُ أبو طاهرٍ الأصبهانيُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن جماعةٍ ، عنِ الحافظِ أبي طاهرٍ الأصبهانيِّ قالَ : أنا أبو عليِّ محمَّدُ بنُ سعيدٍ الكاتبُ ببغدادَ ، أنا أبو عليِّ الحسنُ بنُ الحسينِ النِّعاليُّ ، أنا أبو بكرٍ الذَّارعُ قالَ : سمعتُ أبا العبَّاسِ أحمدَ بنَ يحيىٰ ثعلباً يقولُ في قولِهِ : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [٥] ، يقولُ : فوا لي بطاعتي . . أوفِ لكُم برضايَ وجنَّتي .

---

(١) في مصادر التخريج : (عن امرأة وهب بن منبه) .

(٢) في مصادر التَّخريج : (الصامتين) ، وهما بمعنىً .

(٣) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٤٧٠) ، وابن بشكوال في « المستغيثين بالله تعالىٰ » (٥٢) .

(٤) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٤٧٠) ، وابن بشكوال في « المستغيثين بالله تعالىٰ » (٥٢) .

(٥) سورة البقرة : (٤٠) .

ثمَّ قالَ : اكتبوا : [من الطويل]

أُدَاوِمُ فِـي عَـهْـدِي لِـمَـنْ لَا يَـدُومُ لِـي ... وَأَنَّـىٰ لَـكُـمْ مِـثْـلِـي عَـلَى ٱلْـعَـهْـدِ أَدْوَمُ

أَأَحْـبَـابَـنَـا كَـمْ تَـجْـهَـلُـونَ وَنَـحْـلُـمُ ... فَـكَـمْ قَـدْ جَـهِـلْـتُـمْ ثُـمَّ عُـدْنَـا بِـحِـلْـمِـنَـا !![1]

فائدة

[في الاستعانةِ على الحفظِ]

١٠١١[2] ـ وأنبؤوني عنهُ سماعاً قالَ : أنا الشَّيخانِ الجليلانِ المحمَّدانِ ؛ أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي المفاخرِ سعيدِ بنِ الحسينِ المأمونيُّ ، وأبو الفضلِ بنُ يوسفَ بنِ عليٍّ الغَزْنَويُّ قالا : أنا الشَّيخُ الصَّالحُ أبو الوقتِ عبدُ الأوَّلِ بنُ عيسى بنِ شعيبٍ الهَرَويُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن غيرِ واحدٍ ، عن أبي الوقتِ الهَرَويِّ قالَ : سمعتُ الإمامَ شيخَ الإسلامِ أبا إسماعيلَ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدٍ الأنصاريَّ إملاءً يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ أحمدَ بنِ حيدِ بنِ الخيرِ البانيانيَّ الزَّاهدَ العدلَ يقولُ : سمعتُ جدِّي أبا عليٍّ أحمدَ بنَ محمَّدِ بنِ زُوينٍ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ خَشْرَمٍ المَرْوَزيَّ يقولُ : قلتُ لوكيعٍ : دلَّني علىٰ شيءٍ للحفظِ ، فقالَ : استعنْ بتركِ المعاصي .

وأنشدَني في هٰذا المعنىٰ[3] : [من الوافر]

شَـكَـوْتُ إِلَـىٰ وَكِـيـعٍ سُـوءَ حِـفْـظِـي ... فَـأَوْمَـأَ [لِـي][4] إِلَـىٰ تَـرْكِ ٱلْـمَـعَـاصِـي

وَقَـالَ : ٱلْـعِـلْـمُ سِـرُّ ٱللهِ حَـقّـاً ... وَسِـرُّ ٱللهِ لَا يُـؤْتِـيـهِ عَـاصِـي

حكاية

[مِن وفاءِ العشَّاقِ]

١٠١٢ ـ وأُنبِئتُ عنِ القاضي الأشرفِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ المَقْدِسيُّ ـ هوَ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ ـ قالَ : أخبرَتْنا شهدةُ .

---

(١) انظر « تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب » للجلال السيوطي (١/١٤٠) .

(٢) انتهىٰ ها هنا ترقيم المؤلِّف للأخبار .

(٣) البيتان يُنسبان للشافعي كما في « ديوانه » (ص ٨٢) ، و« المحمدون من الشعراء » للقفطي (ص ١٣٨ ـ ١٣٩) ، وانظر « ربيع الأبرار » (٤/١٨٤) .

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من رواية أبي حيَّان في « البحر المحيط » (٣/٤٤٦) .

(ح) وأُنبئتُ عن غيرِ واحدٍ ، عن شهدةَ قالَتْ : أنا أبو الحسينِ المُبارَكُ بنُ عبدِ الجبَّارِ الصَّيْرفيُّ إذناً قالَ : أنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدِ بنِ جعفرٍ قالَ : ثنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ الخَزَّازُ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ خلفٍ ، أنا ابنُ أبي خيثمةَ ، عن مصعبِ بنِ عبدِ اللهِ الزُّبيريِّ قالَ : تزوَّجَ مالكُ بنُ عمرٍو بابنةِ عمِّهِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ ، فشُغِفَ كلُّ واحدٍ منهُم بصاحبِهِ ، وكانَ ملكاً شجاعاً ، فشرطَتْ عليهِ إذا لقيَ ألَّا يقاتلَ ؛ شفقاً عليهِ وصيانةً .

وإنَّهُ غزا حيّاً مِن لَخْمَ ، فباشرَ القتالَ فأصابَهُ جراحٌ ، فقالَ وهوَ مُثقَلٌ بالجراحِ : [من الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ غَزَالٍ تَرَكْتُهُ ... إِذَا مَا أَتَاهُ مَصْرَعِي كَيْفَ يَصْنَعُ

وإنَّهُ مكثَ يوماً وليلةً ، ثمَّ ماتَ مِن جراحتِهِ ، فلمَّا وصلَ خبرُهُ إلىٰ زوجتِهِ . . مكثَتْ سنةً ، ثمَّ اعتقلَ لسانُها ، فامتنعَتْ مِنَ الكلامِ ، وكَثُرَ خُطَّابُها ، فقالَ عمومتُها وولاةُ أمرِها : نُزوِّجُها ؛ لعلَّ لسانَها ينطلقُ ويذهبُ حزنُها ، فإنَّما هيَ مِنَ النِّساءِ ، فزوَّجوها بعضَ أبناءِ الملوكِ ، فسِيقَ إليها ألفُ بعيرٍ .

فلمَّا كانَتِ اللَّيلةُ الَّتي أُهدِيَتْ فيها . . قامَتْ علىٰ بابِ القُبَّةِ ، ثمَّ قالَتْ : [من الطويل]

يَقُولُ رِجَالٌ : زَوِّجُوهَا لَعَلَّهَا ... تَقَرُّ وَتَرْضَىٰ بَعْدَهُ بِخَلِيلِ

فَأَخْفَيْتُ فِي ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا ... رَجَاءٌ لَهُمْ وَٱلصِّدْقُ أَفْضَلُ قِيلِ

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً ... أَقَامَ وَنَادَىٰ صَحْبَهُ بِرَحِيلِ

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً ... ضَرُوبٌ بِنَصْلِ ٱلسَّيْفِ غَيْرُ نَكُولِ

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً ... جَوَادٌ بِمَا فِي ٱلرَّحْلِ غَيْرُ بَخِيلِ

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً ... خَفِيفٌ عَلَى ٱلْخِلَّانِ غَيْرُ ثَقِيلِ

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً ... صَرُومٌ كَمَاضِي ٱلشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ

فلمَّا فرغَتْ مِنَ الشِّعرِ . . شهقَتْ فماتَتْ (١)

---

(١) أخرجه السراج القارئ في « مصارع العشاق » (١/٤٩ ـ ٥٠) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (١٠٨١) .

حكاية

[في إصابةِ دعوةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ]

١٠١٣ ـ وأُنبِئتُ عنِ القاضي الأشرفِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ عبدُ الخالقِ بنُ الأنجبِ النِّشْتَبْريُّ الدُّنَيْسريُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ بها قالَ (١) : أنا أبو الفتحِ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ شاتيلَ الدَّبَّاسُ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي الدُّوريُّ قالَ : أنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ الحسنِ قالَ : أنا الحسينُ بنُ عمرَ بنِ عمرانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ الباغنديُّ ، ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ المَدِينيُّ ، ثنا حسَّانُ بنُ إبراهيمَ الكِرْمانيُّ ، عن يحيى بنِ زَبَّانَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ راشدٍ الدِّمشقيِّ ، عن [عمرِو] (٢) بنِ مهاجرٍ صاحبِ حرسِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قالَ : تكلَّمَ غيلانُ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ بشيءٍ مِن أمرِ القَدَرِ (٣) ، فقالَ لهُ عمرُ : يا غيلانُ ؛ اقرأْ أيَّ آيةٍ شئتَ ، فقرأَ : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ ، حتَّى انتهىٰ إلىٰ هٰذهِ الآيةِ : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ (٤) ، فردَّدَها مِراراً وكفَّ عمَّا بقيَ .

فقالَ لهُ عمرُ : أَتِمَّ السُّورةَ : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . . . ﴾ إلىٰ آخِرِها (٥)

فقالَ لهُ عمرُ : يا غيلانُ ؛ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ، أَخبِرْني : حكيمٌ فيما علمَ ، أو حكيمٌ فيما لم يعلمْ ؟ قالَ : بل حكيمٌ فيما علمَ ، [ثمَّ] (٦) قالَ : أحييتَني أحياكَ اللهُ ، واللهِ ؛ لكأنِّي لم أعلمْ هٰذا في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

فقالَ لهُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : اللَّهُمَّ ؛ إن كانَ صادقاً . . فارجِعْهُ ووفِّقْهُ ، وإن كانَ

---

(١) الدُّنَيْسري : نسبة إلىٰ (دُنَيْسر) ، وهي بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين . « معجم البلدان » (٤٧٨/٢) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (عمر) ، وكذا في كل موضع سيأتي فيه ، والمثبت موافق لما في مصدر التخريج ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٩٩/٤٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٥١٠/٨) .

(٣) يعني : غيلان ، أبا مروان ، القَدَريَّ ، صاحب مَعْبد الجُهَنيِّ ، وكان قد أظهر القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٤١/٧) .

(٤) سورة الإنسان : (١ ـ ٢٩) .

(٥) سورة الإنسان : (٣٠ ـ ٣١) .

(٦) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق .

كاذباً . . فلا تُمِتْهُ إلَّا مقطوعَ اليدَينِ والرِّجلَينِ مصلوباً ، ثمَّ قالَ : أَمِّنْ غيلانُ ، ثمَّ قالَ : أَمِّنَ يا [عمرَو] بنَ مهاجرٍ ، قالَ : فأمَّنْتُ أنا وغيلانُ على دعاءِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

فلمَّا خرجَ . . قالَ لي عمرُ : يا [عمرُو] ؛ ويحَهُ !! إنَّهُ لمقتولٌ .

قالَ [عمرُو][1] بنُ مهاجرٍ : فواللهِ ؛ إنِّي لفي [الرُّصافةِ][2] جالسٌ فقيلَ لي : قد قُطِعَتْ يداهُ ورجلاهُ ، قالَ : فأتيتُهُ فوقفتُ عليهِ ، فقلتُ لهُ : يا غيلانُ ؛ هٰذهِ دعوةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قد أدركَتْكَ .

قالَ : ثمَّ أُمِرَ بهِ فصُلِبَ[3]

نكتة

[في سَترِ المساوي وذِكْرِ المحاسنِ]

١٠١٤ ـ وأُنبِئتُ عنِ القاضي الأشرفِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ [بُنْدارٍ][4] البغداديُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ بديارِ مصرَ قالَ : أنا أبو زرعةَ طاهرُ بنُ محمَّدِ بنِ طاهرٍ المَقْدِسيُّ قالَ : أنا والدي قالَ : أنا أبو ثابتٍ المُذكِّرُ قالَ : أنا أحمدُ بنُ الحسنِ الواعظُ قالَ : أنشدَني عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ بخانِقِينَ قالَ[5] : أنشدَني أبو الحسنِ السَّلاميُّ البغداديُّ قالَ : أنشدَني حسنُ بنُ أسلمَ[6] لبعضِهِم[7] : [من البسيط]

لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي ٱلنَّاسِ مَا سَتَرُوا ... فَيَهْتِكَ ٱللهُ سِتْراً مِنْ مَسَاوِيكَا

وَٱذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ... وَلَا تَعِبْ أَحَداً مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا[8]

---

(١) (قال عمرو) : في (أ) : (قال عمر قال عمر) ، والمثبت من « تاريخ دمشق » .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (الصلاة) ، والمثبت من « تاريخ دمشق » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩٦/٤٨ ـ ١٩٧) ، وكان صَلْبُه في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٤) ما بين معقوفين في (أ) : (رمضان) ، والمثبت موافق لما في « ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (٢٠٧/١٩) ، و« تاريخ الإسلام » (١٢٢/٤٥) .

(٥) خانِقِين : بلدة في طريق هَمَذان من بغداد . « معجم البلدان » (٣٤٠/٢) .

(٦) في « التدوين في أخبار قزوين » : (خنيس بن أسد) .

(٧) البيتان لمحمود الوراق في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (٢٥٦/٢) ، وهما بلا نسبة في « عيون الأخبار » لابن قتيبة (١٨/٢) ، و« أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص٤٢٦) ، و« الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٢٤٤/١) .

(٨) أخرجه الرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٥٠٧/٢) .

فَائِدَةٌ

[في دعوةِ النَّبيِّ ﷺ للعبَّاسِ وبنيهِ]

١٠١٥ ـ وأنبأَنيَ الحافظُ شرفُ الدِّينِ أبو محمَّدٍ عبدُ المُؤمِنِ بنُ أبي القاسمِ خلفِ [١] بنِ أبي الحسنِ الدِّمْياطيُّ إذناً ومِن خطِّهِ نقلتُ قالَ : إنَّهُ قُرِئَ علىٰ أحمدَ بنِ مودودٍ ـ ويُقالُ : ممدودٌ أيضاً ـ ابنِ أبي القاسمِ بنِ الخضرِ بنِ جعفرٍ أبي العبَّاسِ الخِلاطيِّ الأصلِ المدنيِّ المولدِ المكِّيِّ المنشأ الصُّوفيِّ بالقاهرةِ وأنا أسمعُ ، أخبرَكَ أبو الفرجِ يحيى بنُ ياقوتِ بنِ عبدِ اللهِ الفَراشُ قراءةً عليهِ وأنتَ تسمعُ بمكَّةَ ـ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ ـ قالَ : أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ السَّمَرْقَنْديُّ ، أنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ مسعدةَ بنِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الإسماعيليُّ الجُرْجانيُّ .

(ح) قالَ الحافظُ الدِّمْياطيُّ : وأنبأَنا عالياً أبو الحسنِ البغداديُّ ، عن أبي الكرمِ المُبارَكِ ابنِ الشَّهْرَزُوريِّ ، عنِ ابنِ مسعدةَ .

(ح) وأنبأَنيَ المُسنِدُ ناصرُ الدِّينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ المُنعِمِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ غديرٍ الطَّائيُّ ـ عُرِفَ بابنِ القَوَّاسِ ـ ، وجماعةٌ غيرُهُ مذكورونَ أوَّلَ هٰذا التَّأليفِ قالوا : أنبأَنا أبو اليُمنِ زيدُ بنُ الحسنِ الكِنْديُّ .

وكتبَ إليَّ مِن بغدادَ الشَّيخُ المُسنِدُ كمالُ الدِّينِ أبو الفرجِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ اللَّطيفِ بنِ محمَّدٍ ابنُ المُكبِّرِ ، عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وأبي حفصٍ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، ثلاثتُهُم عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ السَّمَرْقَنْديِّ ، عنِ ابنِ مسعدةَ .

وأجازَ لي غيرُ الحافظِ الدِّمْياطيِّ ، عن أبي الحسنِ البغداديِّ ؛ وهوَ ابنُ المُقيَّرِ .

وأجازَ لي أبو الفرجِ بنُ أبي الفرجِ شيخُ المُستنصِريَّةِ ببغدادَ ، عن إسماعيلَ بنِ سعدِ اللهِ البَزَّازِ ، كلاهُما عن أبي الكرمِ المُبارَكِ بنِ الحسنِ ابنِ الشَّهْرَزُوريِّ ، عنِ ابنِ مسعدةَ قالَ : أنا أبو القاسمِ حمزةُ بنُ يوسفَ بنِ إبراهيمَ السَّهْميُّ ، أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ يحيى التَّانيُّ بصَريفينَ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ إسحاقَ ابنِ زاطيا المُخرِّميُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ

---

(١) في (أ) : (بن خلف) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (١٠/١٠٢) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٦١٥) .

عبدِ اللهِ بنِ حاتمٍ الهَرَويُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ عثمانَ بنِ إسحاقَ بنِ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ قالَ : حدَّثَني جدِّي أبو أُمِّي مالكُ بنُ حمزةَ بنِ أبي أسيدٍ السَّاعديُّ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ أبي أسيدٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للعبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ : « يَا أَبَا ٱلْفَضْلِ ؛ لَا تَرِمْ مَنْزِلَكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ غَداً حَتَّىٰ آتِيَكُمْ ؛ فَإِنَّ لِي فِيكُمْ حَاجَةً » .

قالَ : فانتظروهُ حتَّىٰ جاءَ بعدَما أضحى النَّهارُ ، فدخلَ عليهِم فقالَ : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ » ، فقالوا : وعليكَ السَّلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، قالَ : « كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ ؟ » ، قالوا : بخيرٍ بحَمْدِ اللهِ ، فكيفَ أصبحتَ بأبينا وأُمِّنا أنتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « أَصْبَحْتُ بِخَيْرٍ أَحْمَدُ ٱللهَ » .

فقالَ : « تَقَدَّمُوا ، تَقَارَبُوا ، يَزْحَفُ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ » ، [حتَّىٰ][1] إذا أمكنوهُ . . اشتملَ عليهِم بملاءةٍ ، ثمَّ قالَ : « يَا رَبِّ ؛ هَـٰذَا عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي ، وَهَـٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ؛ فَٱسْتُرْهُمْ مِنَ ٱلنَّارِ كَسَتْرِي إِيَّاهُمْ بِمَلَاءَتِي هَـٰذِهِ » .

قالَ : فأمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ البابِ وحوائطُ البيتِ ؛ فقالَتْ : آمينَ آمينَ آمينَ !![2]

روى التِّرمذيُّ طرفاً منهُ مِن حديثِ كُرَيبٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ[3]

* * *

١٠١٦ ـ وأنبأَني الحافظُ أبو أحمدَ ابنُ الجامدِ قالَ[4] : قرأتُ علىٰ أمةِ الغنيِّ بنتِ أبي السَّعاداتِ المُبارَكِ بنِ أبي محمَّدٍ المُبارَكِ بنِ المُبارَكِ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ هبةِ اللهِ أُمِّ يحيىٰ ستِّ الأجلَّاءِ البغداديَّةِ : أجازَكِ ذاكرُ بنُ كاملٍ ، ويحيى بنُ أسعدَ ابنِ بَوْشٍ ، وعبدُ الخالقِ بنُ عبدِ الوهَّابِ ، وعبدُ المُؤمِنِ بنُ عبدِ الغالبِ ، وأبو طاهرٍ المُبارَكُ بنُ

---

(١) بياض في (أ) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) أخرجه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٣١٣) ، والآجري في « الشريعة » (١٧٣٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/٢٦٣) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٨٥) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٧١ ـ ٧٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/٣١١) ، وذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٧٣٢٠) وعزاه لابن النجار .

(٣) أخرج التِّرمذيُّ (٣٧٦٢) عن كُرَيب ، عن ابن عبَّاس قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم للعبَّاس : « إِذَا كَانَ غَدَاةَ ٱلِاثْنَيْنِ . . فَأْتِنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ حَتَّىٰ أَدْعُوَ لَهُمْ بِدَعْوَةٍ يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهَا وَوَلَدَكَ » ، فغدا وغدوْنا معهُ ، فألْبَسَنا كِساءً ، ثمَّ قال : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْباً ، ٱللَّهُمَّ ؛ ٱحْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ » ، وفي هامش (أ) : (بلغ مروراً) .

(٤) يعني : عبد المُؤمن بن خلف ، الحافظ الدِّمْياطيَّ ، يُكنىٰ : أبا محمَّد وأبا أحمد ، ويُعرَف بابن الجامد ، انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للتاج السبكي (١٠/١٠٢ ـ ١٠٣) ، و« توضيح المشتبه » لابن ناصر الدين (٣/٢٩) .

أبي المعالي المُبارَكِ بنِ أبي القاسمِ هبةِ اللهِ ابنُ المعطوشِ الحَريميُّ .

قالَ ابنُ بَوْشٍ : أنا عبدُ القادرِ ابنُ يوسفَ ، وقالَ ذاكرٌ : أنا ابنُ يوسفَ ، ومحمَّدُ بنُ عبدِ الباقي الأنصاريُّ .

(ح) وأُنبئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، والمُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِم ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي .

وقالَ عبدُ الخالقِ وعبدُ المُؤمِنِ : أنا الأنصاريُّ .

وقالَ ابنُ المعطوشِ : أنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ ابنِ المهديِّ .

قالوا ـ أعني : الثَّلاثةَ ـ[1] : أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عمرَ الفقيهُ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ ، ثنا أبو مسلمٍ ، ثنا الأنصاريُّ ، ثنا ابنُ عونٍ قالَ : أنبأَني محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ الأسودِ ، عن عامرِ بنِ سعدٍ قالَ : بينَما سعدٌ يمشي . . إذ مرَّ برجلٍ وهوَ يشتمُ عليّاً وطلحةَ والزُّبيرَ ، قالَ : فقالَ لهُ سعدٌ : (إنَّكَ لتشتمُ قوماً قد سبقَ لهُم مِنَ اللهِ ما سبقَ ، واللهِ ؛ لتَكُفَّنَّ عن شتمِهِم أو لأدعوَنَّ اللهَ عليكَ) .

قالَ : يُخوِّفُني كأنَّهُ نبيٌّ !!

قالَ : فقالَ سعدٌ : (اللَّهُمَّ ؛ إن كانَ هـٰذا يسبُّ أقواماً قد سبقَ لهُم منكَ ما قد سبقَ لهُم . . فاجعلْهُ اليومَ نكالاً) .

قالَ : فجاءَتْ بُخْتِيَّةٌ[2] ، وأفرجَ النَّاسُ لها فتخبَّطَتْهُ .

قالَ : فرأيتُ النَّاسَ يتبعونَ سعداً ، ويقولونَ : استجابَ اللهُ لكَ يا أبا إسحاقَ[3]

حِكَايَة

[هجرةُ أُمِّ أيمنَ مِن مكَّةَ إلى المدينةِ]

١٠١٧ ـ وأنبأَنيَ الحافظُ الدِّمْياطيُّ المُتقدِّمُ ذِكْرُهُ قالَ : إنَّ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عدنانَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي عليٍّ عمرَ المُختارِ ابنِ أبي العلاءِ المسلمِ بنِ

---

(١) يعني : ابن يوسف ، ومحمَّد بن عبد الباقي الأنصاريَّ ، وأبا عليّ ابن المهديّ .

(٢) البُخْتِيَّة : الأنثىٰ من الجمال البُخْت ؛ وهي الإبل الخُراسانيَّة .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١/١٤٠) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/١٩٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/٣٤٧ ـ ٣٤٨) ، والضياء المقدسي في « النهي عن سب الأصحاب » (٢٧) .

محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ أبا عليِّ بنَ أبي القاسمِ بنِ أبي جعفرِ بنِ أبي نزارٍ القرشيَّ الهاشميَّ العلويَّ البغداديَّ نقيبَ العلويِّينَ والطالبيِّينَ بها . . قُرِئَ عليهِ بمنزلِهِ ببابِ المراتبِ شرقيَّ بغدادَ وهوَ يسمعُ : أخبرَكَ أبو منصورٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ ابنُ حَمَدِيَّةَ العُكْبَرِيُّ قراءةً عليهِ وأنتَ تسمعُ يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ قالَ : أنا أبو القاسمِ هبةُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ الشَّيْبانيُّ قالَ : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ ابنُ البَنَّاءِ ، ثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ الحافظُ ، أنا عمرُ بنُ أحمدَ الواعظُ ، ثنا أحمدُ بنُ عيسى بنِ السَّكنِ ، ثنا ميمونُ بنُ الأصبغِ ، ثنا سيَّارٌ ، ثنا جعفرٌ ، ثنا ثابتٌ البُنانيُّ ، وأبو عمرانَ الجَوْنيُّ ، وهشامُ بنُ حسَّانَ قالوا : هاجرَتْ أُمُّ أيمنَ مِن مكَّةَ إلى المدينةِ وليسَ معَها زادٌ ، قالَ : فلمَّا كانَتْ عندَ الرَّوْحاءِ (١) ، وذٰلكَ عندَ غيبوبةِ الشَّمسِ . . عطشَتْ عطشاً شديداً ، قالَتْ : (فسمعتُ حفيفاً شديداً فوقَ رأسي (٢) ، فإذا دلوٌ مُدلًّى مِنَ السَّماءِ برِشاءٍ أبيضَ (٣) ، فتناولتُهُ بيدي حتَّىٰ أستمسكَ بهِ) ، قالَتْ : (فشربتُ حتَّىٰ رويتُ) .

قالَتْ : (فلقد كنتُ أصومُ بعدَ ذٰلكَ في اليومِ الحارِّ الشَّديدِ الحرِّ ، ثمَّ أطوفُ في الشَّمسِ كي أظمأَ ، فما ظمئتُ بعدَ تلكَ الشَّربةِ !!) (٤)

فائدة

[في تفسيرِ : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾]

١٠١٨ ـ وأنبأَنيَ الحافظُ الدِّمْياطيُّ قالَ : إنَّهُ قرأَ علىٰ خِلْفَةَ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خلفِ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ اللهِ ، أنا القاسمُ الخُزاعيُّ الإسكندريُّ بالثَّغرِ : أخبرَكَ أبو الفضلِ جعفرُ بنُ الأميرِ أبي شجاعٍ رُزِّيكِ بنِ الصَّالحِ طلائعَ بنِ رُزِّيكٍ قراءةً عليهِ قالَ : ثنا الحافظُ

---

(١) علىٰ نحو أربعين ميلاً من المدينة المنوَّرة . « معجم البلدان » (٧٦/٣) .

(٢) حفيفُ الفرس : دَوِيُّ جَرْيِهِ ، وكذٰلك حفيف جناح الطَّائر . انتهىٰ من هامش (أ) ، وهو مما قاله الجَوْهَريُّ في « الصحاح » (١١١١/٣) .

(٣) الرِّشاء : الحبل .

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٢١٣/١٠) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (١٢٥/٦) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٣٢/٣) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٢٤/٢) .

أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ موسى بنِ عثمانَ الحازميُّ إملاءً مِن حفظِهِ ببغدادَ يومَ الجمعةِ حاديَ عشرَ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ .

قالَ الدِّمْياطيُّ : وكتبَ إلينا جماعةٌ ، عنِ الحازميِّ ، أنا أبو منصورٍ الوكيلُ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الحافظُ ، أنا [أحمدُ] (١) بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمَّدٍ السُّلَميُّ ، أنا جدِّي ، أنا محمَّدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا الحسنُ بنُ عرفةَ ، ثنا [كثيرُ بنُ مروانَ الفلسطينيُّ] (٢) ، عن [أُبَينِ] (٣) بنِ سفيانَ ، عن أبي حازمٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ في قولِهِ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ (٤) ، قالَ : (لَبِنةٌ مِن ذهبٍ فيها مكتوبٌ : « بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ، عجباً لمَن يعرفُ الموتَ ؛ كيفَ يضحكُ !! عجباً لمَن يعرفُ الدُّنيا وتحويلَها بأهلِها ؛ كيفَ يطمئنُّ إليها !!

وعجباً لمَن يؤمنُ بالقضاءِ والقدرِ ؛ كيفَ يَنْصَبُ في طلبِ الرِّزقِ !! وعجباً لمَن يؤمنُ بالحسابِ ؛ كيفَ يعملُ بالخطايا !!

لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ ») (٥)

* * *

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (محمد) ، والمثبت موافق لما تقدم من الأسانيد ضمن الخبر (٩١٩ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٦) ، ولما سيأتي ضمن الخبر (١٠٦٠) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٨٠/٣١) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (بشر بن مروان الطسطيني) ، والمثبت موافق لما في « الكامل في ضعفاء الرجال » لابن عدي (٦٩/٦) ، و« تاريخ بغداد » (٤٧٩/١٢) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٢٤٩) .

(٣) ما بين معقوفين في (أ) : (أبيض) ، والمثبت موافق لما في « الكامل في ضعفاء الرجال » لابن عدي (٣٩٣/١) ، و« تلخيص المتشابه » للخطيب البغدادي (٨٣٧/٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٦٢/٩) .

(٤) سورة الكهف : (٨٢) .

(٥) أخرجه ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٣٩٣/١) ، والسمرقندي في « بحر العلوم » (٣٠٩/٢ ـ ٣١٠) مرفوعاً بنحوه ، وابن بطة في « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية » (١٦٦١) بنحوه ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٥٤٤) ، والخطيب البغدادي في « تلخيص المتشابه » (٨٣٧/٢ ـ ٨٣٨) .

فَائِدَةٌ (١)

[في فضلِ البسملةِ ، والسَّلامِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ]

١٠١٩ ـ وأنبأني جمالُ الدِّينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ سلامةَ العَقِيميُّ الدِّمشقيُّ ، وجماعةٌ ، عن أبي اليُمنِ زيدِ بنِ الحسنِ الكِنْديِّ .

وأنبأَني المُسنِدُ أبو الفرجِ ابنُ وَرِّيدةَ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ الأمينِ ، وعمرَ بنِ محمَّدِ بنِ مُعمَّرٍ البغداديَّينِ ، ثلاثتُهُم عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ السَّمَرْقَنْديِّ إجازةً ، عن عاصمِ بنِ الحسنِ بنِ محمَّدٍ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ العزيزِ بنِ جعفرٍ البَرْذَعيَّ يقولُ : سمعتُ كعبَ بنَ عمرِو بنِ جعفرٍ الخَنْجَريَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ إبراهيمَ الحَرَّانيَّ يقولُ : بِتُّ في بعضِ المساجدِ بدِمشقَ ، فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المَنامِ ، فقالَ لي : « يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ؛ لِمَ إِذَا ٱسْتَفْتَحْتَ ٱلصَّلَاةَ لَا تَبْتَدِئُ بِـ : (بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ) ؟ فَإِنَّ (بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ) تِسْعَةَ عَشَرَ حَرْفاً ، تَدَعُ فِي كُلِّ ٱسْتِفْتَاحَةٍ مِئَةً وَتِسْعِينَ حَسَنَةً ، وَإِذَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ فِي ٱلْكِتَابِ لَا تَكْتُبُ : (وَسَلَّمَ) ؟ تَدَعُ أَرْبَعِينَ حَسَنَةً » .

قالَ : قلتُ : كيفَ ذٰلكَ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « لِأَنَّ (وَسَلَّمَ) أَرْبَعَةُ أَحْرُفٍ ، لِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، فَذَٰلِكَ أَرْبَعُونَ حَسَنَةً » .

روى الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ هٰذهِ الحكايةَ عن أبي القاسمِ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ في « تاريخِ دِمشقَ » (٢) .

حِكَايَةٌ

[في زهدِ أبي إبراهيمَ المُزَنيِّ ورفيقِهِ]

١٠٢٠ ـ وأنبأَني جماعةٌ مِن مشايخي منهُم والدي ، والحافظُ أبو محمَّدٍ عبدُ المُؤمِنِ الدِّمْياطيُّ ـ رحمَهُمُ اللهُ ـ ، عن أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ المُفرجِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ المُفرجِ المعروفِ بابنِ مَسْلَمةَ ، وأبي محمَّدٍ مكِّيِّ بنِ أبي الغنائمِ المُسلَّمِ بنِ مكِّيِّ بنِ

---

(١) من هنا كتب من « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، من الخبر (١٠١٩) إلىٰ (١٠٧٠) آخر الكتاب .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/١٨) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

خلفِ بنِ المُسلَّمِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ حصنِ بنِ صقرِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ عليِّ بنِ علَّانَ القيسيِّ الدِّمشقيِّ .

وأنبأَنِي الدِّمْياطيُّ ، وغيرُهُ ، عن أبي التُّقىٰ صالحِ بنِ أبي الحسنِ شجاعِ بنِ محمَّدِ بنِ سيِّدِهِم بنِ عمرِو بنِ حديدِ بنِ عَسْكَرٍ الكِنانيِّ المُدْلِجيِّ .

وأنبأَنِي الشَّيخُ شمسُ الدِّينِ أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ القاضي عمادِ الدِّينِ أبي الفضلِ محمَّدِ بنِ القاضي شمسِ الدِّينِ أبي نصرٍ محمَّدِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ محمَّدٍ الشِّيرازيُّ قالَ : أنبأَني جدِّي أبو نصرٍ ، قالَ الأربعةُ[1] : **أخبرَنا الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ ابنُ عساكرَ ، قالَ أبو نصرٍ : قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ ، وقالَ الآخرونَ : إجازةً** ، قالَ : وذكرَ أبو الحسينِ الرَّازيُّ قالَ : سمعتُ أبا الطَّيِّبِ أحمدَ بنَ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الرَّبَعيَّ الدِّمشقيَّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ عبدَ اللهِ بنَ محمَّدِ بنِ جعفرٍ يقولُ : كانَ لأبي إبراهيمَ المُزَنيِّ رفيقٌ معَهُ في البيتِ يُعرَفُ بأبي عبدِ السَّلامِ ، وكانا يتفقَّهانِ ويتعبَّدانِ جميعاً ، وكانَ لهُما صديقٌ مِنَ المصريِّينَ ، حسنُ المذهبِ مُتحرٍّ في تجارتِهِ ، وكانَتْ لهُ دنيا عريضةٌ ، فكانَ يجهدُ أن يَبَرَّهُما بشيءٍ ، فلا يقبلانِ منهُ .

فاحتالَ عليهِما يوماً بحيلةٍ ، فحملَ إليهِما كيساً فيهِ ألفُ دينارٍ ، ثمَّ قالَ لهُما : يا أخوايَ ؛ أنتما تعلمانِ أنِّي لو شاطرتُكُما مالي . . كنتُ مسروراً بذٰلكَ ، ولٰكنْ لستُ أطمعُ منكُما في ذٰلكَ ، وهٰذهِ ألفُ دينارٍ ، تقبلانِها منِّي قَرْضاً ، وتدفعانِها إلىٰ مَن شئتُما ، وإلَّا . . فردَّاها عليَّ ، أكونُ أنا الَّذي أتَّجرُ بها ، فما رزقَ اللهُ فيها مِن رِبحٍ . . كانَ لكُما ، ويكونُ رأسُ المالِ لي ، فتكونا قد أنفقتُما بلا مذلَّةٍ ، وانتفعتُ أنا بلا مضرَّةٍ .

فقالَ أبو عبدِ السَّلامِ للمُزَنيِّ : يا أبا إبراهيمَ ؛ قد لطفَ لنا صاحبُنا ، وما ينبغي أن نأبىٰ عليهِ ، فقبضا منهُ الألفَ دينارٍ .

وكانَ لهُما صديقٌ يُكنىٰ أبا يعقوبَ ، وكانَ أحدَ المُتخلِّينَ ، وكانَ مأواهُ السَّواحلَ ، فبلغَهُ ذٰلكَ فساءَهُ ، فأخذَ رقعةً فكتبَ إليهِما فيها : (بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ، أسعدَكُما اللهُ بما يُنجيكُما ، وعصمَكُما ممَّا يُرديكُما ، وجعلَ الجنَّةَ مصيرَكُما وموعدَكُما ، وأعطانا مثلَ ذٰلكَ بمنِّهِ .

---

(١) يعني : ابن مَسْلَمة ، ومكِّيَّ بن أبي الغنائم ، وأبا التُّقىٰ صالحاً ، وأبا نصر الشِّيرازيَّ .

أمَّا بعدُ : فإنَّ في عُلوّ ما أفلَ مِنَ الدُّنيا وأفولِ ما علا منها لأُولي الألبابِ مُزدجَرٌ ، وفي حَطْمِ العُتاةِ الجبَّارينَ مُعتبَرٌ ، وما تُغني الآياتُ والنُّذرُ إلَّا لأُولي الأفكارِ والنَّظرِ .

ومسالمةُ البغاةِ إلىٰ تقحُّمِ الشُّبهاتِ مَدعَاةٌ ، والشُّبهةُ للقلوبِ مَقسَاةٌ ، والقسوةُ أضرُّ أَدْواءِ المحدثينَ ، وأنتجُ أسبابِ الضَّلالاتِ ، فلا تذهبانِ عمَّا تعلمانِ ؛ فإنَّهُ مَن يزددْ نَشَباً . . يزددْ تعباً ، والأرضُ للهِ يُورِثُها مَن يشاءُ مِن عبادِهِ ، وإنَّما هيَ على المؤمنينَ مَطابقُ وسجونٌ ، والمؤمنُ فيها قَرِحٌ ، والسَّلامُ) .

فلمَّا قرأا كتابَهُ . . فَهِما ما نبَّهَهُما عليهِ ، وكانا لم ينجزا [1] في الألفِ دينارٍ ، ولم يمسَّاها ، فحملاها إليهِ ، وسألاهُ أن يُعفيَهُما فأعفاهُما [2]

نُكْتَة

[في الشُّربِ في كُوزِ زجاجٍ]

١٠٢١ ـ وبالإسنادِ المُتقدِّمِ إلى الحافظِ أبي القاسمِ ابنِ عساكرَ قالَ [3] : قرأتُ علىٰ أبي غالبِ ابنِ البَنَّاءِ .

وأنبأَني غيرُ واحدٍ مِن مشايخي ، عنِ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، عن أبي غالبِ ابنِ البَنَّاءِ ، عن أبي طالبٍ محمَّدِ بنِ عليّ بنِ الفتحِ ، [ثنا] [4] أبو الفضلِ التَّميميُّ ، ثنا عليُّ بنُ بشرٍ البَلْخيُّ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ موسى السَّلاميُّ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ خلفٍ الدِّمشقيُّ ، حدَّثَني أبي قالَ : سمعتُ الرَّبيعَ يقولُ : قالَ ليَ الشَّافعيُّ : (الشُّربُ في الخزفِ لا تطيبُ بهِ نفسي ؛ أخافُ أن يكونوا طرحوا في التُّرابِ النَّجاسةَ ، والنَّارُ لا تُطهِّرُهُ عندي ، والشُّربُ في الصُّفرِ والنُّحاسِ رُبَّما ظهرَ في الماءِ رائحتُهُ فأفسدَهُ ، والشُّربُ في الرَّصاصِ يضرُّ بالجوفِ ، والشُّربُ في الفضَّةِ حرامٌ ، فلا شيءَ أصلحُ مِنَ الشُّربِ في الزُّجاجِ) .

قالَ الرَّبيعُ : (وكانَ الشَّافعيُّ أكثرُ شربِهِ في كُوزِ زجاجٍ أو قَدَحِ زجاجٍ) [5]

---

(١) في « مختصر تاريخ دمشق » : (يتَّجرا) .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/٢٣) .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٢٠) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق .

(٥) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/٦٣) .

نُكتةٌ

[المسألةُ ثمنُ العطيَّةِ]

١٠٢٢ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ الحسينِ القَطَّانُ ، أنا محمَّدُ بنُ الحسنِ النَّقَّاشُ : أنَّ مُسَبِّحَ بنَ حاتمٍ أخبرَهُم قالَ : لقيَني قاضي القضاةِ أحمدُ بنُ أبي دؤادٍ ، فقالَ بعدَ أن سلَّمَ عليَّ : ما يمنعُكَ أن تسألَني ؟ فقلتُ لهُ : إذا سألتُكَ . . فقد أعطيتُكَ ثمنَ ما أعطيتَني ، فقالَ لي : صدقتَ ، وأنفذَ إليَّ خمسةَ آلافِ درهمٍ[1]

حِكايةٌ

[لأُصلِحَنَّ زمانَكَ كما أصلحتَ نعلي]

١٠٢٣ ـ قالَ ابنُ عساكرَ : وأخبرَنا الصَّيْمَريُّ ، ثنا المَرْزُبانيُّ ، أخبرَني محمَّدُ بنُ يحيىٰ ، ثنا أبو خليفةَ الفضلُ بنُ الحُبابِ قالَ : كانَ في جوارِنا رجلٌ حَذَّاءٌ ، فاحتاجَ في أمرٍ لهُ إلىٰ أن يتظلَّمَ أيَّامَ الواثقِ ، فشخصَ إلىٰ سُرَّ مَن رأىٰ ، ثمَّ جاءَ ، فحدَّثَنا أنَّهُ رفعَ قصَّةً إلى الواثقِ ، فأمرَ بردِّ أمرِهِ إلى ابنِ أبي دؤادٍ ، وأمرَ جماعةَ المُتظلِّمينَ .

قالَ : فحضرتُ فنظرَ في أمرِ النَّاسِ ، وتشوَّفتُ لينظرَ في أمري ورقعتي بينَ يدَيهِ ، فأومأَ إليَّ بالانتظارِ ، فانتظرتُ حتَّىٰ لم يبقَ أحدٌ ، فدعاني فقالَ : أتعرفُني ؟ فقلتُ : ولا أُنكِرُ ، القاضي أعزَّهُ اللهُ .

قالَ : ولـٰكنِّي أعرفُكَ ، مضيتُ يوماً في الكلأ ، فانقطعَتْ نعلي ، وأعطيتَني شِسْعاً لكَ ، فقلتُ لكَ : إنِّي أجيئُكَ بثوابِ ذٰلكَ ، فتكرَّهتَ قولي وقلتَ : وما مقدارُ ما فعلتُ ؟ امضِ في حفظِ اللهِ .

واللهِ ؛ لأُصلِحَنَّ زمانَكَ كما أصلحتَ نعلي ، ثمَّ وقَّعَ لي في ظُلامتي ، ووهبَ لي خمسَ مئةِ دينارٍ ، وقالَ : زُرْني في كلِّ وقتٍ .

قالَ : فرأَيْناهُ مُتَّسِعَ الحالِ بعدَ أن رأيْناهُ مُضيَّقاً[2]

---

(١) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٧١/٣) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٣٩/٥) .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٧١/٣) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٣٩/٥ ـ ٢٤٠) .

حكاية

[تضجُّرُ الواثقِ مِن كثرةِ عطايا ابنِ أبي دؤادٍ]

١٠٢٤ ـ قالَ ابنُ عساكرَ : وأخبرَني عليُّ بنُ الحسينِ صاحبُ العبَّاسيِّ ، أنا إسماعيلُ بنُ سعيدٍ المُعدَّلُ ، ثنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبيُّ ، حدَّثَني أبو مالكٍ حريزُ بنُ أحمدَ بنِ أبي دؤادٍ قالَ : قالَ الواثقُ يوماً لأبي تضجُّراً بكثرةِ حوائجِهِ : يا أحمدُ ؛ قدِ اختلَّتْ بيوتُ الأموالِ بعطيَّاتِكَ للَّائذينَ بكَ ، والمُتوسِّلينَ إليكَ .

فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ نتائجُ شُكْرِها مُتَّصِلةٌ بكَ ، وذخائرُ أَجْرِها مكتوبةٌ لكَ ، وما لي مِن ذٰلكَ إلَّا عشقَ اتِّصالِ الألسنِ بحُلْوِ المدحِ فيكَ .

فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ واللهِ ؛ لا منعْناكَ ما يزيدُ في عشقِكَ ، ويُقوّي مِن همَّتِكَ ، فتناولْنا بما أحببتَ (١)

نكتة

[في الرَّدِّ على ابنِ أبي دؤادٍ]

١٠٢٥ ـ وبهِ إليهِ قالَ : وحدَّثَني محمَّدُ بنُ عليٍّ الصُّوريُّ ، أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنِ جُمَيعٍ الغَسَّانيُّ ، ثنا أبو رَوْقٍ الهِزَّانيُّ قالَ : حكىٰ ليَ ابنُ ثعلبةَ الحنفيُّ ، عن أحمدَ بنِ المُعذَّلِ أَنَّهُ قالَ : كتبَ ابنُ أبي دؤادٍ إلىٰ رجلٍ مِن أهلِ المدينةِ توهَّمَ أَنَّهُ عبدُ اللهِ بنُ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ : (إن وافقتَ أميرَ المؤمنينَ في مقالتِهِ . . استوجبتَ منهُ حسنَ المكافأةِ ، وإنِ امتنعتَ . . لم تأمنْ مكروهَهُ) .

فكتبَ إليهِ : (عصمَنا اللهُ وإيَّاكَ مِن كلِّ فتنةٍ ، فإنَّهُ إن يفعلْ . . فأَعظِمْ بها نعمةً ، وإلَّا . . فهيَ الهلكةُ ، نحنُ نرى الكلامَ في القرآنِ بدعةً ، يشتركُ فيها السَّائلُ والمُجيبُ ؛ بتعاطي السَّائلِ ما ليسَ لهُ ، وتكلُّفِ المُجيبِ ما ليسَ عليهِ ، ولا نعلمُ خالقاً إلَّا اللهَ ، وما سِواهُ مخلوقٌ ، والقرآنُ كلامُ اللهِ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/٧١) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٢٧١ ـ ٢٧٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/٢٤٠) ، وانظر « زهر الآداب » للحصري القيرواني (٢/٦٩٧) ، و« غرر الخصائص الواضحة » للوطواط (١٦١٥) .

فانتهِ بنفسِكَ ومخالفتِكَ إلى اسمِهِ الَّذي سمَّاهُ اللهُ بهِ ، وذرِ الَّذينَ يُلحِدونَ في أسمائِهِ ، سيُجزَونَ ما كانوا يعملونَ ، ولا تُسَمِّ القرآنَ باسمٍ مِن عندِكَ ، فتكونَ مِنَ الضَّالِّينَ) .

فلمَّا وقفَ علىٰ جوابِهِ . . أعرضَ عنهُ ، فلم يذكرْهُ (١)

حكاية

[بينَ ابنِ حنبلٍ وابنِ أبي دؤادٍ]

١٠٢٦ ـ وبهِ قالَ : وأخبرَنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الكاتبُ ، أنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ بنِ سليمانَ المُقرِئُ ، حدَّثَني خالي محمَّدُ بنُ أحمدَ ، ثنا هارونُ بنُ موسى بنِ زيادٍ إملاءً ، حدَّثَني محمَّدُ ابنُ أبي الوردِ قالَ : سمعتُ يحيى الجلَّاءَ ـ أو عليَّ بنَ المُوفَّقِ ـ قالَ : ناظرتُ قوماً مِنَ الواقفةِ أيَّامَ المحنةِ ، قالَ : فنالوني بما أكرهُ ، فصرتُ إلىٰ منزلي وأنا مغمومٌ ، فقدَّمَتْ إليَّ امرأتي عَشاءً ، فقلتُ لها : لستُ آكُلُ ، فرفعَتْهُ ونمتُ .

فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في النَّومِ داخلَ المسجدِ ، وفي المسجدِ حَلْقتانِ ـ يعني : إحداهُما فيها أحمدُ ابنُ حنبلٍ وأصحابُهُ ، والأُخرىٰ فيها ابنُ أبي دؤادٍ وأصحابُهُ ـ ، فوقفَ بينَ الحَلْقتَينِ ، وأشارَ بيدِهِ فقالَ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ، وأشارَ إلىٰ حَلْقةِ ابنِ أبي دؤادٍ ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ (٢) ، وأشارَ إلى الحَلْقةِ الَّتي فيها أحمدُ ابنُ حنبلٍ (٣)

*

١٠٢٧ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنبأَنا أبو المُظفَّرِ القُشَيريُّ .

(ح) وأنبأَني أبو الفضلِ أحمدُ بنُ هبةِ اللهِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عن زينبَ بنةِ أبي القاسمِ الشَّعْريِّ ، عن أبي المُظفَّرِ عبدِ المُنعِمِ بنِ الأستاذِ عبدِ الكريمِ القُشَيريِّ ، عن أبي سعيدٍ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ الخشَّابِ ، أنا أبو عبدِ الرَّحمـٰنِ السُّلَميُّ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ الدَّارَقُطْنيَّ يقولُ : سمعتُ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ محمَّدٍ النَّسَويَّ بمصرَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الحَدَّادَ ، وذكرَهُ بالفضلِ والدِّينِ والاجتهادِ ، وقالَ : (أخذتُ نفسي بما

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/٢٤٦) .

(٢) سورة الأنعام : (٨٩) .

(٣) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/٧٦) عن علي ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٧٢) عن يحيىٰ ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/٢٤٨ ـ ٢٤٩) عن يحيىٰ أو علي .

رواهُ الرَّبيعُ ، عنِ الشَّافعيِّ : أنَّهُ كانَ يختمُ في شهرِ رمضانَ ستِّينَ ختمةً سوىٰ ما يقرأُ في الصَّلاةِ ، وفي غيرِ رمضانَ ثلاثينَ ختمةً .

فأمَّا في شهرِ رمضانَ . . فلم أقدرْ علىٰ تمامِ السِّتِّينَ ، وأكثرُ ما قدرتُ عليهِ [تسعٌ وخمسونَ] (١) ختمةً ، وأتيتُ في غيرِ رمضانَ بثلاثينَ ختمةً) (٢)

قالَ الدَّارَقُطْنيُّ : وكانَ ابنُ الحدَّادِ كثيرَ الحديثِ ، ولم يُحدِّثْ عن أحدٍ غيرَ أبي عبدِ الرَّحمٰنِ النَّسائيِّ فقطْ ـ يعني : صاحبَ « السُّنَنِ » ـ ، وقالَ : رضيتُ بهِ حجَّةً بيني وبينَ اللهِ (٣)

نُكْتَةٌ

[لم نشغلْ أنفسَنا بجمعِهِ ، فلا نشغلُها بتفرقتِهِ]

١٠٢٨ ـ وبهِ إلى الحافظِ الكبيرِ أبي القاسمِ ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو الحسنِ ابنُ قُبَيسٍ قالَ : ثنا ـ وأبو منصورِ ابنُ خيرونٍ قالَ : أنا ـ أبو بكرٍ الخطيبُ .

(ح) وأنبأَني الجماعةُ المذكورونَ أوَّلَ هٰذا الكتابِ بسندِهِم إلى الخطيبِ قالَ (٤) : أخبرَني [أبو نصرٍ] (٥) أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القاضي بالدِّينَوَرِ ، ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ الحافظُ قالَ : سمعتُ أبا عثمانَ الرَّازيَّ يقولُ : جاءَ رجلٌ إلىٰ إبراهيمَ الحَرْبيِّ بعشرةِ آلافِ درهمٍ مِن عندِ المُعتضِدِ ، يسألُهُ عن أمرِ أميرِ المؤمنينَ تفرقةَ ذٰلكَ ، فردَّهُ ، فانصرفَ الرَّسولُ ، ثمَّ عادَ فقالَ : إنَّ أميرَ المؤمنينَ يسألُكَ أن تُفرِّقَهُ في جيرانِكَ ، فقالَ : عافاكَ اللهُ ، هٰذا المالُ لم نشغلْ أنفسَنا بجمعِهِ ، فلا نشغلُها بتفرقتِهِ ، قلْ لأميرِ المؤمنينَ : إن تركتَنا ، وإلَّا . . تحوَّلْنا مِن جوارِكَ (٦)

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (تسعاً وخمسين) .

(٢) انظر « تهذيب الكمال » (١/٣٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/٤٤٧) .

(٣) انظر « تهذيب الكمال » (١/٣٣٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٥/٤٤٧ ـ ٤٤٨) .

(٤) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ) : (أبو بكر) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « التقييد » لابن نقطة (١/٣٠٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/٥١٤) .

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/٥٢٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٣٠٨) ، وابن نقطة في « التقييد » (١/٣٠٧) ، وانظر « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلىٰ (١/٢٢٢) ، و« معجم الأدباء » (١/١١٦ ـ ١١٧) .

فَائِدَةٌ جَيِّدَةٌ

[في فسادِ دينِ مَن جمعَ زللَ العلماءِ]

١٠٢٩ ـ وبهِ إلى الحافظِ ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو القاسمِ الشَّحَّاميّ .

(ح) وأُنبئتُ عن [عبدِ الصَّمدِ ابنِ الحرستانيِّ ، وغيرِهِ][١] ، عن أبي القاسمِ الشَّحَّاميِّ قالَ : أنا أبو بكرٍ البيهقيُّ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الحافظُ قالَ : سمعتُ أبا الوليدِ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسَ ابنَ سريجٍ يقولُ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ إسحاقَ القاضيَ يقولُ : دخلتُ على المُعتضِدِ ، فدفعَ إليَّ كتاباً نظرتُ فيهِ ، فإذا فيهِ الرُّخَصُ مِن زللِ العلماءِ ، وما احتجَّ بهِ كلٌّ منهُم لنفسِهِ .

فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ مُصنِّفُ هٰذا الكتابِ زنديقٌ .

فقالَ : لم تصحَّ هٰذهِ بأحاديثَ ؟ قلتُ : الأحاديثُ على ما رُوِيَتْ ، ولٰكنَّ مَن أباحَ المُسكِرَ لم يُبِحِ المتعةَ ، ومَن أباحَ المتعةَ لم يُبِحِ الغناءَ والمُسكِرَ ، وما مِن عالمٍ إلَّا ولهُ زلَّةٌ ، ومَن جمعَ زللَ العلماءِ ، ثمَّ أخذَ بها . . ذهبَ دينُهُ .

فأمرَ المُعتضِدُ فأُحرِقَ ذٰلكَ الكتابُ[٢]

حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ

[نجاةُ أبي الحسينِ النُّوريِّ مِنَ المُعتضِدِ]

١٠٣٠ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنبأَنا أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ المكِّيُّ ، أنا الحسينُ بنُ يحيى بنِ إبراهيمَ بنِ الحكَّاكِ ، أنا الحسينُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ الشِّيرازيُّ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ جَهْضَمٍ ، حدَّثَني أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ المعروفُ بالجلَّاءِ قالَ : كانَ أبو الحسينِ النُّوريُّ رجلاً قليلَ الفضولِ ، لا يسألُ عمَّا لا يعنيهِ ، ولا يُفتِّشُ عمَّا لا يحتاجُ إليهِ ، وكانَ إذا رأىٰ مُنكَراً . . غيَّرَهُ ولو كانَ فيهِ تَلَفُهُ .

فنزلَ ذاتَ يومٍ إلىٰ مشرعةٍ تُعرَفُ بمشرعةِ الفحَّامينَ يتطهَّرُ للصَّلاةِ ، فرأىٰ زورقاً فيهِ

---

(١) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) ، والمثبت موافق لما تقدم ضمن الخبر (٧٦٣ ، ٧٦٨) ، ولما سيأتي ضمن الخبر (١٠٣٥ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٧) ، وهو إن شاء الله الصواب .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (١١٦/٣) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (٢١١/١٠) برقم (٢٠٩٦٢) .

ثلاثونَ دَنّاً ، مكتوبٌ عليها بالقارِ : (لطفٌ) ، فقرأَهُ وأنكرَهُ ؛ لأنَّهُ لم يعرفْ في التِّجاراتِ ولا في البيوعِ شيئاً يُعبَّرُ عنهُ بـ (لطفٍ) ، فقالَ للملَّاحِ : أيشٍ في هـٰذهِ الدِّنانِ ؟ فقالَ : وأيشٍ عليكَ ؟ امضِ لشغلِكَ .

فلمَّا سمعَ النُّوريُّ مِنَ الملَّاحِ هـٰذا القولَ . . ازدادَ تعطُّشاً إلىٰ معرفتِهِ ، فقالَ لهُ : أُحِبُّ أن تُخبِرَني أيشٍ في هـٰذهِ الدِّنانِ ، فقالَ الملَّاحُ : أنتَ ـ واللهِ ـ صوفيٌّ فضوليٌّ ، هـٰذا خمرٌ للمُعتضِدِ يُريدُ أن يُتِمَّ بهِ مجلسَهُ .

فقالَ النُّوريُّ : وهـٰذا خمرٌ ؟! قالَ : نعم .

فقالَ : أُحِبُّ أن تُعطيَني ذاكَ المُرديَّ [١] ، فاغتاظَ الملَّاحُ عليهِ ، وقالَ لغلامِهِ : أَعطِهِ المُرديَّ حتَّىٰ أنظرَ ما يصنعُ .

فلمَّا صارَ المُرديُّ في يدِهِ . . صعدَ إلى الزَّورقِ ، فلم يزلْ يكسرُها دَنّاً دَنّاً حتَّىٰ أتىٰ علىٰ آخرِها إلَّا دَنّاً واحداً ، والملَّاحُ يستغيثُ ، إلىٰ أن ركبَ صاحبُ الجيشِ ، فقبضَ على النُّوريِّ ، فأشخصَهُ إلىٰ حضرةِ المُعتضِدِ ، وكانَ سيفُ المُعتضِدِ قبلَ كلامِهِ ، ولم يشكَّ النَّاسُ أنَّهُ سيقتلُهُ .

قالَ أبو الحسينِ : فأُدخِلتُ عليهِ وهوَ جالسٌ علىٰ كرسيٍّ حديدٍ ، بيدِهِ عمودٌ [يقلبُهُ] [٢] ، فلمَّا رآني . . قالَ : مَن أنتَ ويلَكَ ؟ قلتُ : مُحتسِبٌ .

قالَ : مَن ولَّاكَ الحِسْبةَ ؟ قلتُ : الَّذي ولَّاكَ الإمامةَ ولَّانيَ الحِسْبةَ يا أميرَ المؤمنينَ .

قالَ : فأطرقَ إلى الأرضِ مليّاً ساعةً ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ إليَّ ، وقالَ : ما الَّذي حملَكَ علىٰ ما صنعتَ ؟ فقلتُ : شفقةٌ منِّي عليكَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إذ بسطتُ يدي إلىٰ صرفِ مكروهٍ عنكَ ، فقصَّرتُ عنهُ .

قالَ : فأطرقَ مُفكِّراً في كلامي لهُ ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ ، وقالَ : خبِّرْني ؛ كيفَ تخلَّصَ هـٰذا الدَّنُّ الواحدُ مِن جملةِ الدِّنانِ ؟ فقلتُ : في تخلُّصِهِ علَّةٌ أُخبِرُ بها أميرَ المؤمنينَ إن أذنَ ، فقالَ : هاتِ خبِّرْني .

فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنِّي أقدمتُ على الدِّنانِ بمطالبةِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ لي

---

(١) المُردي : المجداف .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (يفلته) ، والمثبت من « إحياء علوم الدين » ، و« مناقب الأبرار » .

بذٰلكَ ، وغمرَ قلبي شاهدُ الإجلالِ للحقّ وخوفُ المطالبةِ ، فغابَتْ هيبةُ الخَلْقِ عنّي ، فأقدمتُ عليها بهٰذهِ الحالِ ، إلىٰ أن صرتُ إلىٰ هٰذا الدَّنِّ فجرَتْ نفسي كِبْراً علىٰ أنّي قد أقدمتُ علىٰ مثلِكَ ، فَمَنَعتُ ، ولو أقدمتُ عليهِ بالحالِ الأوَّلِ وكانَتْ ملءَ الدُّنيا دِناناً . . لكسرتُها ولم أُبالِ .

فقالَ المُعتضِدُ : اذهبْ ؛ فقد أطلقتُ يدَكَ ، غيّرْ ما أحببتَ أن تُغيّرَهُ مِنَ المُنكَرِ .

قالَ أبو الحسينِ : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ [بَغُضَ إليَّ التَّغييرُ][1] ، قالَ : ولِمَ ؟ قلتُ : لأنّي كنتُ أُغيّرُ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وأنا الآنَ أُغيّرُ [عن شرطيٍّ ، فقالَ المُعتضِدُ][2] : ما حاجتُكَ ؟ قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ تأمرُ بإخراجي سالماً ، فأمرَ لهُ بذٰلكَ .

وخرجَ إلى البصرةِ ، فكانَ أكثرَ أيّامِهِ بها خوفاً مِن أن يُسألَ حاجةً فيسألَها المُعتضِدَ ، فأقامَ بالبصرةِ إلىٰ أن تُوُفِّيَ المُعتضِدُ ، ثمَّ رجعَ إلىٰ بغدادَ[3]

حكاية غريبة

[في حيلةِ المُعتضِدِ معَ وزيرِهِ]

١٠٣١ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ قالَ : ثنا ـ وأبو منصورِ ابنُ خيرونٍ قالَ : أنا ـ أبو بكرٍ الخطيبُ .

(ح) وبالإسنادِ المُتقدّمِ أوّلَ الكتابِ إلى الخطيبِ قالَ[4] : أنا عليُّ بنُ المُحسّنِ .

(ح) وأُنبئتُ عن أبي أحمدَ الأمينيِّ ، والمُؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وغيرِهما ، عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي ، عن عليِّ بنِ المُحسّنِ التَّنُوخيِّ قالَ : أنا أبي قالَ : حدَّثَني أبي ، عن أبي محمَّدٍ عبدِ اللهِ بنِ حمدونٍ قالَ : قالَ لي المُعتضِدُ[5] ليلةً وقد قُدِّمَ إليهِ عَشاءٌ : لقِّمْني ـ قالَ :

---

(١) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) ، والمثبت من « إحياء علوم الدين » .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من « إحياء علوم الدين » ، و« مناقب الأبرار » .

(٣) انظر « إحياء علوم الدين » (٤/٧٠٢ ـ ٧٠٤) ، و« مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٣٩٨ ـ ٣٩٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٢/٧١) .

(٤) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١) .

(٥) توفّي المُعتضِد بالله أحمد بن أبي أحمد المُوفَّق بالله ـ واسمه : محمَّد ـ ابن جعفر المُتوكِّل على الله بن المُعتصِم بالله بن هارون الرَّشيد يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومئتين ، عن خمس وأربعين سنة وعشرة أشهر وأيَّام ، وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وخمسة أيَّام . انتهىٰ من هامش (أ) .

وكانَ الَّذي قُدِّمَ فراريجُ ودراريجُ[١] ـ ، فلقَّمتُهُ مِن صدرِ فرُّوجٍ ، فقالَ : لا ، لقِّمْني مِن فَخِذِهِ ، فلقَّمتُهُ لُقَماً ، ثمَّ قالَ : هاتِ مِنَ الدَّراريجِ ، فلقَّمتُهُ مِن أفخاذِها ، فقالَ : ويلَكَ !! هوَ ذا تتنادرُ عليَّ ؟! هاتِ مِن صدورِها ، فقلتُ : يا مولايَ ؛ ركبتُ القياسَ ، فضحكَ ، فقلتُ : إلىٰ كم أُضحِكُكَ ولا تُضحِكُني .

قالَ : شِلِ المِطرَحَ وخُذْ ما تحتَهُ ، قالَ : فشلتُهُ فإذا دينارٌ واحدٌ ، فقلتُ : آخذُ هٰذا ؟ فقالَ : نعم ، فقلتُ لهُ : باللهِ ؛ هوَ ذا تتنادرُ أنتَ السَّاعةَ عليَّ ؛ خليفةٌ يُجيزُ نديمَهُ بدينارٍ !!

فقالَ : ويلَكَ !! لا أجدُ لكَ في بيتِ المالِ حقّاً أكثرَ مِن هٰذا ، ولا تسمحُ نفسي أن أُعطيَكَ مِن مالي شيئاً ، ولٰكنْ هوَ ذا أحتالُ لكَ بحيلةٍ تأخذُ فيها خمسةَ آلافِ دينارٍ .

فقبَّلتُ يدَهُ ، فقالَ : إذا كانَ غداً ، وجاءَنيَ القاسمُ ـ يعني : ابنَ عبيدِ اللهِ ـ فهوَ ذا أُسارِرُكَ حينَ تقعُ عيني عليهِ سراراً طويلاً ، ألتفتُ فيهِ إليهِ كالمُغضَبِ ، وانظرْ أنتَ إليهِ في خلالِ ذٰلكَ كالمُخالِسِ لي نظرَ المُترثِّي لهُ ، فإذا انقطعَ السِّرارُ . . فتخرجُ ولا تبرحُ بالدِّهليزِ أو يخرجَ ، فإذا خرجتَ . . خاطبَكَ بجميلٍ ، وأخذَكَ إلىٰ دعوتِهِ ، وسألَكَ عن حالِكَ ، فاشكُ الفقرَ وقلَّةَ حظِّكَ منِّي ، وثقلَ ظهرِكَ بالدَّينِ والعيالِ ، وخُذْ ما يُعطيكَ ، واطلبْ كلَّ ما تقعُ عينُكَ عليهِ ؛ فإنَّهُ لا يمنعُكَ ، حتَّىٰ تستوفيَ [خمسةَ آلافِ دينارٍ][٢] ، فإذا أخذتَها . . فسيسأَلُكَ عمَّا جرىٰ بينَنا ، فاصدقْهُ ، وإيَّاكَ أن تكذبَهُ ، وعرِّفْهُ أنَّ ذٰلكَ حيلةٌ منِّي عليهِ حتَّىٰ وصلَ إليكَ هٰذا ، وحدِّثْهُ بالحديثِ علىٰ شرحِهِ ، وليكنْ إخبارُكَ إيَّاهُ بذٰلكَ بعدَ امتناعٍ شديدٍ ، وإحلافٍ منهُ لكَ بالطَّلاقِ والعتاقِ أن تصدقَهُ ، وبعدَ أن تُخرجَ مِن دارِهِ كلَّ ما يُعطيكَ إيَّاهُ وتحصلَهُ في بيتِكَ .

فلمَّا كانَ مِن غدٍ . . حضرَ القاسمُ ، فحينَ رآهُ بدأَ يُسارُّني ، وجرَتِ القصَّةُ علىٰ ما واضعَني عليهِ ، فخرجتُ فإذا هوَ في الدِّهليزِ ينتظرُني ، فقالَ : يا أبا محمَّدٍ ؛ ما هٰذا الجَفاءُ ؟ لا تجيئُني ، ولا تزورُني ، ولا تسألُني حاجتَكَ ؟ فاعتذرتُ إليهِ باتِّصالِ الخدمةِ عليَّ ، فقالَ : ما يُقنِعُني إلَّا أن تزورَنيَ اليومَ وتتفرَّجَ ، فقلتُ : أنا خادمُ الوزيرِ .

---

(١) دراريج : جمع دُرَّاج أو دُرَّاجة ؛ ضرب من طير العراق ، أسودُ باطنِ الجناحين ، وظاهرهما أغبر .
(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (الخمسة الألف الدينار) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

فأخذَني إلىٰ طيَّارةٍ[1] ، وجعلَ يسألُني عن حالي وأخباري ، فأشكو إليهِ الحاجةَ والإضاقةَ ، والدَّينَ والبناتِ ، وجَفاءَ الخليفةِ وإمساكَهُ يدَهُ ، فيتوجَّعُ لي ، ويقولُ : يا هٰذا ؛ مالي لكَ ، ولن يضيقَ عليكَ ما يتَّسعُ عليَّ ، وبلغْنا دارَهُ ، فصعدَ ولم ينظرْ في شيءٍ ، وقالَ : هٰذا يومٌ أحتاجُ أن أختصَّ فيهِ بالسُّرورِ بأبي محمَّدٍ ، فلا يقطعْني عنهُ أحدٌ ، وأمرَ كُتَّابَهُ بالتَّشاغلِ بالأعمالِ .

وخلا بي في دارِ الخلوةِ ، وجعلَ يُحادِثُني ويبسطُني ، وقُدِّمَتِ الفاكهةُ فجعلَ يُلقِّمُني بيدِهِ ، وجاءَ الطَّعامُ فكانَتْ هٰذهِ سبيلَهُ .

فلمَّا جلسَ للشُّربِ . . وقَّعَ لي بثلاثةِ آلافِ دينارٍ ، فأخذتُها للوقتِ ، وأحضرَ لي ثياباً وطيباً ومركوباً ، فأخذتُ ذٰلكَ ، وكانَ بينَ يدَيَّ صينيَّةٌ فضَّةٌ ، فيها مغسلٌ فضَّةٌ وكُوزٌ وقَدَحٌ مِن بِلَّوْرٍ ، فأمرَ بحملِهِ إلىٰ طيَّارتي ، وأقبلتُ كلَّما رأيتُ شيئاً حسناً لهُ قيمةٌ وافرةٌ . . طلبتُهُ ، وحملَ إليَّ فُرشاً نفيسةً ، وقالَ : هٰذهِ للبناتِ .

فلمَّا تقوَّضَ أهلُ المجلسِ . . خلا بي[2] ، وقالَ : يا أبا محمَّدٍ ؛ أنتَ عالمٌ بحقوقِ أبي عليكَ ومودَّتي لكَ ، فقلتُ : أنا خادمُ الوزيرِ ، فقالَ : أُريدُ أن أسألَكَ عن شيءٍ ، وتحلفُ لي أنَّكَ تصدقُني عنهُ ، فقلتُ : السَّمعُ والطَّاعةُ ، فأحلفَني باللهِ وبالطَّلاقِ والعتاقِ على الصِّدقِ .

ثمَّ قالَ لي : بأيِّ شيءٍ سارَّكَ الخليفةُ اليومَ في أمري ؟ فصدقتُهُ عن كلِّ ما جرىٰ حرفاً بحرفٍ .

فقالَ : فرَّجتَ عنِّي ، ولَكَوْنُ هٰذا هٰكذا معَ سلامةِ نيَّتِهِ لي . . أسهلُ عليَّ ، فشكرتُهُ وودَّعتُهُ ، وانصرفتُ إلىٰ بيتي .

فلمَّا كانَ مِن غدٍ . . باكرتُ المُعتضِدَ ، فقالَ : هاتِ حديثَكَ ، فسقتُهُ عليهِ ، فقالَ : احفظِ الدَّنانيرَ ، ولا يقعْ لكَ أنِّي أعملُ مثلَها معَكَ بسرعةٍ[3]

---

(١) طيَّارة : سفينة سريعة الجري . (٢) تقوَّض : تفرَّق .

(٣) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/١١٨ ـ ١١٩) ، والتنوخي في « نشوار المحاضرة » (١/٣٣٤ ـ ٣٣٧) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/٨٠ ـ ٨٣) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٢٤٩ ـ ٢٥١) .

١٠٣٢ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنبأَنا أبو محمَّدٍ ابنُ الأكفانيِّ شفاهاً ، أنا أبو الحسنِ ابنُ أبي الحديدِ ، أنا أبو محمَّدِ بنُ أبي نصرٍ ، أنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ حبيبٍ ، ثنا أبو زرعةَ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عمرٍو قالَ : أملىٰ عليَّ أحمدُ بنُ عاصمٍ الحكيمُ قالَ : (النَّاسُ ثلاثُ طبقاتٍ : فمطبوعٌ غالبٌ ؛ هٰؤلاءِ أهلُ الإيمانِ والإتقانِ ، فإذا غفلوا . . ذكروا ، فرجعوا مِن غيرِ أن يُذكَّروا ، وذٰلكَ قولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (١) ، فهٰؤلاءِ الطَّبقةُ العليا .

والطَّبقةُ الثَّانيةُ : مطبوعٌ معلولٌ ؛ فإذا بُصِّروا . . أبصروا ، فرجعوا بقوَّةِ الطِّباعِ إلىٰ محجَّةِ العقلاءِ .

والطَّبقةُ الثَّالثةُ : مطبوعٌ مغلوبٌ غيرُ ذي طباعٍ ؛ فلا سبيلَ لكَ أن تردَّهُ بواعظتِكَ وأدبِكَ إلىٰ محجَّةِ العقلاءِ) (٢)

* * *

١٠٣٣ ـ قالَ : وأخبرَنا الحسنُ بنُ حبيبٍ قالَ : سمعتُ أبا زرعةَ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ عمرٍو يقولُ : أنشدَنا أحمدُ بنُ عاصمٍ الأنطاكيُّ : [من الطويل]

هَمَمْتُ وَلَمْ أَعْزِمْ وَلَوْ كُنْتُ صَادِقاً ... عَزَمْتُ وَلَٰكِنَّ ٱلْفِطَامَ شَدِيدُ

وَلَوْ كَانَ لِي عَقْلٌ وَإِيقَانُ مُوقِنٍ ... لَمَا كُنْتُ عَنْ قَصْدِ ٱلطَّرِيقِ أَحِيدُ (٣)

* * *

١٠٣٤ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو القاسمِ نصرُ بنُ أحمدَ بنِ مقاتلٍ ، أنا جدِّي أبو محمَّدٍ السُّوسيُّ ، ثنا أبو عليٍّ الأهوازيُّ ، أنشدَنا أبو القاسمِ العطَّارُ ، أنشدَنا أبو القاسمِ ابنُ أبي العقبِ ، أنشدَني أبو زرعةَ .

(ح) وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : وأخبرَنا أبو القاسمِ النَّسيبُ إجازةً ، ثنا عبدُ العزيزِ ابنُ محمَّدٍ الكتَّانيُّ ، أنا تمَّامُ بنُ محمَّدٍ الرَّازيُّ ، ثنا أبو القاسمِ ابنُ أبي العقبِ ، ثنا أبو زرعةَ بنُ عمرٍو قالَ : أنشدَنا أحمدُ بنُ عاصمٍ الأنطاكيُّ : [من البسيط]

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ ٱلْأَمْرِ مُنْقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنْكَ هُمُوماً سَوْفَ تَنْدَفِعُ

---

(١) سورة الأعراف : (٢٠١) ، و﴿ طَيْفٌ ﴾ قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب والكسائي ، انظر « النشر في القراءات العشر » (٢/٢٧٥) .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/١٢٩) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١١/٤١٠) .

(٣) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/١٣٠) .

فَــكُــلُّ هَــمٍّ لَــهُ مِــنْ بَــعْــدِهِ فَــرَجٌ   وَكُــلُّ هَــمٍّ إِذَا مَــا ضَــاقَ يَــتَّــسِــعُ

وقالَ النَّسيبُ : (أَمْرٍ) بدلَ (هَمٍّ) .

إِنَّ ٱلْــبَــلَاءَ وَإِنْ طَــالَ ٱلــزَّمَــانُ بِــهِ   فَــٱلْــمَــوْتُ يَــقْــطَــعُــهُ أَوْ سَــوْفَ يَــنْــقَــطِــعُ [1]

وعزا غيرُ ابنِ عساكرَ هـٰذهِ الأبياتَ والبيتَينِ قبلَهُما إلىٰ نظمِ أحمدَ بنِ عاصمٍ الأنطاكيِّ [2]

*

١٠٣٥ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو القاسمِ الشَّحَّاميُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن عبدِ الصَّمدِ ابنِ الحرستانيِّ ، وغيرِهِ ، عن أبي القاسمِ الشَّحَّاميِّ ، أنا أبو بكرٍ البيهقيُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ الرَّحمـٰنِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ أبا الفرجِ الوَرْثانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الطَّيِّبِ العَكِّيَّ يقولُ : قالَ أحمدُ بنُ أبي الحواري : قلتُ لأبي سليمانَ : صلَّيتُ صلاةً في خلوةٍ فوجدتُ لها لذَّةً .

فقالَ : وأيُّ شيءٍ أَلَذَّكَ فيها ؟ قلتُ : حيثُ لم يرَني أحدٌ .

فقالَ : إنَّكَ لضعيفٌ ؛ حيثُ خطرَ بقلبِكَ فكرُ الخَلْقِ [3]

نُكْتَةٌ

[في كلامِ الجمالِ]

١٠٣٦ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : سمعتُ أبا المُظفَّرِ بنَ أبي القاسمِ القُشَيريَّ .

[(ح) وأنبأَني أبو الفضلِ بنُ أبي الحسينِ ، وزينبُ ابنةُ كِنْديّ الدِّمشقيَّانِ ، عنِ] [4] المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، وزينبَ بنةِ أبي القاسمِ الشَّعْريِّ قالا : أنا أبو الفتوحِ بنُ شاهٍ الشَّاذياخيُّ سماعاً [5]

---

(١) أخرجه ابن العديم في « بغية الطلب » (٢/٨٥٢) ، والأبيات لمحمد بن حازم الباهلي في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (١/١٨٢) ، وبلا نسبة في « الآداب الشرعية » لابن مفلح المقدسي (٢/٣٣٥) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » لابن كثير (١١/١٤٦ ـ ١٤٧) .

(٣) أخرجه ابن عساكر كما في « مختصر تاريخ دمشق » (٣/١٤٤) ، والسلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٧٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٥١٧) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٢٣٥) .

(٤) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) ، واستُدرِك من الهامش الآخر المشطوب عليه ، والصَّواب إثباته .

(٥) الشَّاذياخي : نسبة إلىٰ (شَاذياخ) ، وهي قرية متَّصلة بالبلد علىٰ باب نَيْسابور . « الأنساب » (٣/٣٧٢) .

قالَ المُؤيِّدُ : وأخبرَنا أيضاً أبو الأسعدِ هبةُ الرَّحمٰنِ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ الأستاذِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ القُشَيريِّ إجازةً إن لم يكنْ سماعاً .

وقالَتْ زينبُ : أنا أيضاً أبو المُظفَّرِ عبدُ المُنعِمِ بنُ الأستاذِ عبدِ الكريمِ القُشَيريِّ ، وأبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ الفضلِ الفُراويُّ إجازةً قالَ الأربعةُ [١] : أخبرَنا الأستاذُ عبدُ الكريمِ القُشَيريُّ سماعاً إلَّا أبا الأسعدِ ؛ فإنَّهُ روىٰ عن جدِّهِ حضوراً ، سمعتُ حمزةَ بنَ يوسفَ يقولُ : سمعتُ أبا طاهرٍ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ يقولُ : كلَّمَني جملٌ في طريقِ مكَّةَ !!

رأيتُ الجِمالَ والمَحامِلُ عليها ، وقد مدَّتْ أعناقَها في اللَّيلِ ، فقلتُ : سبحانَ اللهِ !! مَن يحملُ عنها ما هيَ فيهِ ؟

فالتفتَ إليَّ جملٌ ، فقالَ لي : قلْ : جلَّ اللهُ !! فقلتُ : جلَّ اللهُ [٢]

* * *

١٠٣٧ ـ وبهٰذَينِ الإسنادَينِ إلىٰ أبي القاسمِ القُشَيريِّ [٣] قالَ : وسمعتُ محمَّدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ سعيدٍ المَصِّيصيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ الرُّوذْباريَّ يقولُ : كنتُ راكباً جملاً ، فغاصَتْ رِجلا الجملِ في الرَّملِ ، فقلتُ : جلَّ اللهُ ، فقالَ الجملُ : جلَّ اللهُ !! [٤]

* * *

١٠٣٨ ـ قالَ : وكانَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ إذا دُعِيَ أصحابُهُ إلىٰ دعوةٍ في دورِ السُّوقةِ ومَن ليسَ مِن أهلِ التَّصوُّفِ . . لا يُخبِرُ الفقراءَ ، ويُطعِمُهُم شيئاً ، فإذا فرغوا . . أخبرَهُم ، ومضىٰ بهِم وكانوا قد أكلوا في الوقتِ ، ولا يُمكِنُهُم أن يمدُّوا أيديَهُم إلىٰ طعامِ الدَّعوةِ إلَّا بتعذُّرٍ ، وإنَّما كانَ يفعلُ ذٰلكَ لئلَّا يسوءَ ظنونُ النَّاسِ بهٰذهِ الطَّائفةِ ، فيأثمونَ بسببِهِم [٥]

---

(١) يعني : أبا عبد الله الفُراويَّ ، وأبا الفتوح الشَّاذياخيَّ ، وأبا المُظفَّر القُشَيريَّ ، وأبا الأسعد القُشَيريَّ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/٥) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٧٥٠) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤١١/٦) .

(٣) كذا في (أ) ، وحقُّه أن يقال : (وبالأسانيد المُتقدِّمة) ؛ لأنَّها أربعة أسانيد كما تقدَّم في الخبر السَّابق ، وإنَّما كان في أصل (أ) اثنان ، وزاد في الهامش فيما بعد اثنين ، ففاته رحمه الله أن يزيدهما ها هنا ، وفيما سيأتي أيضاً ضمن الخبر (١٠٤٦) ، والله أعلم .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/٥) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٢٢٨) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٨٦٦/٢) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/٥) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٢٢٨) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٨٦٦/٢) .

حكاية

[بينَ الشَّيخِ أبي عبدِ اللهِ الرُّوذْباريِّ وبقَّالٍ]

١٠٣٩ ـ وقيلَ : كانَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ يمشي علىٰ أثرِ الفقراءِ يوماً ، وكذا كانَتْ عادتَهُ أن يمشيَ علىٰ أثرِهِم ، وكانوا يمضونَ إلىٰ دعوةٍ ، فقالَ إنسانٌ بقَّالٌ : هٰؤلاءِ المُستحِلُّونَ ، وبسطَ لسانَهُ فيهِم ، وقالَ : إنَّ واحداً منهُمُ اقترضَ منِّي مئةَ درهمٍ ولم يردَّها ، ولستُ أدري أينَ أطلبُهُ .

فلمَّا دخلوا دارَ الدَّعوةِ . . قالَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ لصاحبِ الدَّعوةِ ـ وكانَ مِن مُحبِّي هٰذهِ الطَّائفةِ ـ : ائتِني بمئةِ درهمٍ إن أردتَ سكونَ قلبي ، فأتاهُ بها في الوقتِ ، فقالَ لبعضِ أصحابِهِ : احملْ هٰذهِ المئةَ إلى البقَّالِ الفُلانيِّ ، وقلْ لهُ : هٰذهِ المئةُ الَّتي استقرضَها منكَ بعضُ أصحابِنا ، وقد وقعَ لهُ في التَّأخيرِ عذرٌ ، وقد بعثَها الآنَ ، فاقبلْ عذرَهُ ، فمضى الرَّجلُ وفعلَ .

فلمَّا رجعوا مِنَ الدَّعوةِ . . اجتازوا بحانوتِ البقَّالِ ، فأخذَ البقَّالُ في مدحِهِم ، وقالَ : هٰؤلاءِ السَّادةُ الثِّقاتُ الأُمَناءُ الصُّلَحاءُ[1]

*

١٠٤٠ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو الحسنِ ابنُ قُبَيسٍ قالَ : أنا ـ وأبو منصورٍ ابنُ زُرَيقٍ قالَ : أنا ـ الخطيبُ أبو بكرٍ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ المُقيَّرِ ، والحسينِ بنِ هبةِ اللهِ الدِّمشقيِّ ، كلاهُما عن أبي المعالي الإسْفَرايِنيِّ ، عن أبي بكرٍ الخطيبِ قالَ : أنا أبو القاسمِ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السَّرَّاجُ بنَيْسابورَ قالَ : أنشدَني [عبدُ اللهِ][2] بنُ أبي الحسنِ السَّرَّاجُ قالَ : أنشدَني أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ عطاءٍ الرُّوذْباريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[3] : [من الطويل]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٢٠) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٢/٨٦٧) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (عبيد الله) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ بغداد » ، و« المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣١/٧٤) .

(٣) البيتان لابن المعتز في « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٣/٢٧) ، وبلا نسبة في « تهذيب الأسرار » للخركوشي (ص ٤١٥) ، و« الصداقة والصديق » للتوحيدي (ص ٧٣) ، وفي « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (٢/٦٧٧) : (أظنُّهُ لخالي أبي عليٍّ [الرُّوذْباريِّ]) .

إِذَا أَنْتَ صَاحَبْتَ ٱلرِّجَالَ فَكُنْ فَتىً كَـأَنَّـكَ مَـمْـلُـوكٌ لِـكُـلِّ رَفِـيـقِ
وَكُنْ مِثْلَ طَعْمِ ٱلْمَاءِ عَذْباً وَبَارِداً عَلَى ٱلْكَبِدِ ٱلْحَرَّىٰ لِكُلِّ صَدِيقِ (١)

* * *

١٠٤١ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنبأَنا أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ المكِّيُّ ، أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ يحيى بنِ إبراهيمَ الحكَّاكُ بمكَّةَ ، أنا الحسينُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الشِّيرازيُّ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ جَهْضَمٍ ، أنشدَني أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ عطاءِ بنِ أحمدَ ابنِ عطاءٍ الرُّوذْباريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ لنفسِهِ : [من السريع]

أَهْـلاً بِـمَـنْ زَارَ فَـمَـا زَائِـرٌ أَحَـقَّ بِـٱلْإِكْـرَامِ مِـنْ زَائِـرِي
وَنَـحْـنُ لَا نَـسْـأَمُ مَـنْ أَمَّـنَـا وَنُـضْـمِـرُ ٱلْـحُـزْنَ عَـلَى ٱلسَّـائِـرِ (٢)

حكاية

[في أجودِ ما يجتنبُهُ الإنسانُ في الدُّنيا]

١٠٤٢ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ ابنُ الأكفانيِّ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ الكَتَّانيُّ ، ثنا أبو الحسينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ جعفرٍ المَيْدانيُّ ، أنا أبو الخيرِ أحمدُ بنُ عليِّ ابنِ سعيدٍ الحِمْصيُّ الحافظُ ـ قدمَ علينا ـ ، أنا أبو المُعمَّرِ أحمدُ بنُ العبَّاسِ الكاتبُ ، حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ صالحُ بنُ عبيدٍ البغداديُّ : أنَّ ثلاثةَ نفرٍ خرجوا مِن بغدادَ ، فجمعَتْهُم طريقُ البصرةِ ، فقعدوا في بعضِ الطَّريقِ يتحدَّثونَ ، فقالَ أحدُهُم : أيشٍ أجودُ ما يجتنبُهُ الإنسانُ في الدُّنيا ؟ فقالَ بعضُهُم : المُزاحُ ، وقالَ الآخرُ : التِّيهُ والصَّلفُ ، وقالَ الآخرُ : الاستخفافُ بالنَّاسِ .

فقالَ أحدُهُم : ليُخبِرْنا كلُّ واحدٍ بما لحقَهُ .

فقالَ صاحبُ المُزاحِ : أنا أُخبِرُكُم خبري وبكىٰ ، كنتُ رجلاً بَزَّازاً في الكَرْخِ ، وكانَ لي دُكَّانٌ فيها غلمانٌ وأُجَراءُ ، وأنا بخيرٍ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فخرجتُ إلىٰ دُكَّاني يوماً فقعدتُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٢١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/٥٥٣) ، وأبو سعد السمعاني في « المنتخب من معجم شيوخه » (٢/٦٧٧) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٢١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/١٨٣) عن أبي علي الروذباري .

فيها ، فلم أشعرْ إلَّا بمُخنَّثٍ قد عبرَ بي ، فحملَنيَ البطرُ والغِرَّةُ على المجونِ ، فقلتُ : كيفَ أصبحتِ يا أختي ؟ فأجابَني بجوابٍ مُسكِتٍ ، فأُسقِطَ في يدي وخجلتُ ، وضحكَ كلُّ مَن سمعَهُ .

فشاعَ ذٰلكَ في البلدِ حتَّىٰ تحدَّثَ بهِ النِّساءُ علىٰ مَغازلِهِنَّ والصِّبيانُ في الكتاتيبِ ، وكنتُ لا أعبرُ بشارعٍ إلَّا قالوا : هٰذا التَّاجرُ ، وصاحوا خلفي : كيفَ باتَتْ أختُكَ ؟

فلم أُطقِ الكلامَ ، وخرجتُ علىٰ وجهي ، وتركتُ كلَّ ما أملكُهُ ، وكانَ ذٰلكَ بسببِ مُزاحي ، وها أنا نادمٌ ، وما ينفعُني النَّدامةُ .

وقالَ صاحبُ التِّيهِ والصَّلفِ : أُخبِرُكُم خبري : إنِّي كنتُ أتقصَّفُ ، وكانَ عليَّ مِنَ اللهِ نِعَمٌ ما أخذتُها بشكرٍ ، وكانَ لي نُدَماءُ أفضلُ عليهِم ، فخرجتُ يوماً وهم حولي ، فرأيتُ على الطَّريقِ أعمىٰ يَعْبُرُ المَناماتِ ، فقلتُ لأصحابي : تعالوا حتَّىٰ نسخرَ مِن هٰذا الأعمىٰ .

فسلَّمتُ عليهِ فردَّ السَّلامَ ، فقلتُ : يا أعمىٰ ؛ إنِّي رأيتُ رؤيا أُريدُ أُفسِّرُها عليكَ ، فقال : سَلْ عمَّا بدا لكَ ، فقلتُ : رأيتُ كأنِّي آكلُ سَمَكاً طريّاً ، فلمَّا شبعتُ منهُ . . جعلتُ كأنِّي أُدخِلُهُ في أيري ، فصفَّقَ الأعمىٰ بيدَيهِ ، وقالَ كلاماً قبيحاً .

فلمَّا شاعَ ذٰلكَ في النَّاسِ وتُحُدِّثَ بهِ . . كنتُ لا أعبرُ في طريقٍ إلَّا قالوا لي ذٰلكَ الكلامَ ، فلم أُطقِ الكلامَ ، وخرجتُ علىٰ وجهي ، وكانَ ذٰلكَ بسببِ التِّيهِ والصَّلفِ الَّذي كانَ بي ، وتركتُ كلَّ ما أملكُهُ .

وقالَ صاحبُ الاستخفافِ بالنَّاسِ : إنِّي كنتُ حاجباً لشدَّادٍ والي الجِسرينِ ، وكانَ إذا أرادَ أن يأكلَ . . أمرَني بأَخْذِ بابِهِ ، وألَّا يدخلَ عليهِ أحدٌ ، فلم أشعرْ يوماً إلَّا وقد جاءَني رجلٌ يُريدُ أن يدخلَ إليهِ ، فمنعتُهُ استخفافاً بهِ ، ولِمَا تقدَّمَ إليَّ صاحبي ، فقالَ : يا هٰذا أنا أبو العاليةِ ، وصاحبُكَ تقدَّمَ إليَّ أن أجيئَهُ في هٰذا الوقتِ ، فرددتُهُ ، فقالَ : ما أبرحُ ، فحملَني استخفافي بهِ أن ضربتُهُ بعصاً كانَتْ في يدي ، فولَّىٰ عنِّي وأنشأَ يقولُ :

[من السريع]

مَدَحْتُ شَدَّاداً فَقَالَ : ٱئْتِنِي ... بِٱللهِ فِي ٱلْمَنْزِلِ يَا رَاوِيَةْ

فَجِئْتُ أَسْعَىٰ وَإِذَا بَابُهُ ... قَدْ سُدَّ وَٱلْحَاجِبُ فِي زَاوِيَةْ

فَـقَـالَ : مَـنْ أَنْـتَ ٱلَّـذِي جِـئْـتَـهُ وَقْتَ ٱلْـغَـدَا ؟ قُـلْـتُ : أَبُـو ٱلْـعَـالِـيَـةْ

فَـقَـامَ نَـحْـوِي بِـعَـصـاً صَـحْـبِـهِ[1] وَكَـادَ أَنْ يَـكْـسِـرَ أَضْـلَاعِـيَـهْ

فَـطِـرْتُ مَـرْعُـوبـاً وَنَـادَيْـتُـهُ : أُمُّ ٱلَّـذِي تَـحْـجُـبُـهُ زَانِـيَـةْ

فسمعَ غلمانُهُ وأخبروهُ ، فأمرَ بضربِ عنقي ، فخرجتُ مرعوباً ، وتركتُ كلَّ ما أملكُهُ ، وكانَ ذٰلكَ بسببِ استخفافيَ الرَّجلَ وعجبي بنفسي ، ولو كنتُ وقفتُ . . لم تُصِبْني بهِ ، أوكلُّ ما نحنُ فيهِ بقضاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟![2]

حكاية

[ألا مَن رآني . . فلا يظلمْ أحداً]

١٠٤٣ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ، ثنا نصرُ بنُ إبراهيمَ ، أنا أبو نصرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ عبيدِ اللهِ السُّلَميُّ ، أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ جَهْضَمٍ ، ثنا أبو الطَّيِّبِ محمَّدُ بنُ جعفرِ بنِ سليمانَ ، ثنا إسحاقُ بنُ الحسنِ المصريُّ ، ثنا عليُّ بنُ معبدٍ ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ قالَ : كانَ في بني إسرائيلَ رجلٌ قائمٌ علىٰ ساحلِ البحرِ ، فرأىٰ رجلاً وهوَ يُنادي بأعلىٰ صوتِهِ : ألا مَن رآني . . فلا يظلمْ أحداً .

قالَ : فدنوتُ منهُ ، وقلتُ لهُ : يا عبدَ اللهِ ؛ ما قضيَّتُكَ ؟ وما الَّذي بكَ ؟

فقالَ : ادنُ منِّي أُخبِرْكَ : كنتُ رجلاً شُرَطيّاً ، فجئتُ إلىٰ هٰذا السَّاحلِ ، فرأيتُ رجلاً صيَّاداً قدِ اصطادَ سَمَكةً ، فسألتُهُ أن يهبَها لي فأبىٰ ، فسألتُهُ أن يبيعَنيها فأبىٰ ، فضربتُ رأسَهُ بسوطٍ كانَ معي ، وأخذتُ السَّمَكةَ ، وحملتُها إلىٰ منزلي ، وقد ضربَتْ عليَّ إصبَعيَ الَّتي علَّقتُ بها السَّمَكةَ ، فأصلحوها وقُدِّمَتْ إليَّ ، فضربَتْ عليَّ إصبَعي حتَّىٰ صحتُ وبكيتُ .

وكانَ لي جارٌ مُعالِجٌ ، فأتيتُهُ وقلتُ : إصبَعي ، فقالَ : هوَ أَكِلةٌ[3] ، إن أنتَ رميتَ بها ، وإلَّا . . هلكتَ ، قالَ : فرميتُها .

---

(١) كذا في (أ) ، وكُتب فوقها : (كذا) ، وفي « تاريخ دمشق » : (ضخمةٍ) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٦١ ـ ٦٢) .

(٣) الأَكِلة : داءٌ يقع في العضو فيأتكل منه .

قالَ : فوقعَ الضَّرَبانُ في كفِّي [١] ، قالَ : فجئتُ إليهِ وعرَّفتُهُ وأنا أصيحُ ، فقالَ : إن أنتَ رميتَ بها ، وإلَّا . . هلكتَ ، فرميتُ بها .

فوقعَ الضَّرَبانُ في عضدي ، فخرجتُ مِن منزلي هاوياً علىٰ وجهي ، أصيحُ وأبكي ، فبينا أنا أصيحُ . . إذ رُفِعَتْ لي دوحةٌ ، فأويتُ إلىٰ ظلِّها ، فنعستُ وأتاني آتٍ ، فقالَ : لِمَ تقطعُ أعضاءَكَ وترميها ؟ ردَّ الحقَّ إلىٰ أهلِهِ وانجُ .

قالَ : فانتبهتُ فعلمتُ أنَّ ذاكَ مِن فضلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأتيتُ الصَّيَّادَ ، فدنوتُ منهُ وقلتُ : يا عبدَ اللهِ ؛ أنا مملوكُكَ فأعتِقْني ، فقالَ : ما أعرفُكَ ، فقلتُ : أنا الشُّرَطيُّ الَّذي ضربَ رأسَكَ بالسَّوطِ ، وأخذتُ منكَ السَّمَكةَ ، وأريتُهُ يدي .

فلمَّا رآني . . رقَّ لي ، وقالَ : أنتَ في حِلٍّ ، فتناثرَ الدُّودُ مِن يدي ، وسقطَ على الأرضِ ، فهالَهُ ذٰلكَ وانصرفَ ، فاستوقفتُهُ وأخذتُهُ إلىٰ منزلي ، ودعوتُ بابني ، وقلتُ لهُ : احفرْ في هٰذهِ الزَّاويةِ ، وأخرجتُ منها جرَّةً فيها ثلاثونَ ألفَ درهمٍ ، فقلتُ : اعددْ منها عشرةَ آلافٍ ، خُذْها فاستعنْ بها ، ثمَّ قلتُ : خُذْ منها عشرةً أُخرى اجعلْها في فقراءِ جيرانِكَ وقراباتِكَ .

فقامَ لينصرفَ ، فقلتُ : أَخبِرْني ؛ دعوتَ عليَّ ؟ قالَ : أنا أُخبِرُكَ : لمَّا أخذتَ السَّمَكةَ منِّي ، وضربتَ رأسي . . رفعتُ رأسي إلى السَّماءِ وبكيتُ ، وقلتُ : يا ربِّ ؛ خلقتَني وخلقتَهُ ، وجعلتَهُ قويّاً وجعلتَني ضعيفاً ، ثمَّ سلَّطتَهُ عليَّ ، فلا أنتَ منعتَهُ مِن ظلمي ، ولا أنتَ جعلتَني قويّاً فأمتنعَ مِن ظلمِهِ ، فأسأَلُكَ بالَّذي خلقتَهُ قويّاً وجعلتَني ضعيفاً ؛ أن تجعلَهُ عِبرةً لخَلْقِكَ .

فبكيتُ وقلتُ : لقد سمعَ اللهُ جلَّ وعزَّ دعاءَكَ ، وجعلَني عِبرةً [٢]

نُكتةٌ

[في علمِ الحقيقةِ والشَّريعةِ]

١٠٤٤ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ الشَّحَّاميُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الحرستانيِّ ، وغيرِهِ ، عنِ الشَّحَّاميِّ قالَ : أنا أبو بكرٍ البيهقيُّ ،

---

(١) ضربَهُ الجرحُ ضَرَباناً ، وضربَهُ العرقُ ضَرَباناً ؛ إذا آلمَهُ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٣/٥ ـ ٦٥) ، وانظر « سراج الملوك » للطرطوشي (ص ٥٢٠ ـ ٥٢١) ، و« المستغيثين بالله تعالىٰ » لابن بشكوال (١١٣) .

أنا أبو محمَّدِ بنُ يوسفَ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي عمرانَ الهَرَويَّ بمكَّةَ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ داوودَ بدِمشقَ .

قالَ البيهقيُّ : وأخبرَنا أبو سعدٍ المالينيُّ ، أنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ منصورٍ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمَّدَ بنَ داوودَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الزَّقَّاقَ يقولُ : (كنتُ مارّاً في تيهِ بني إسرائيلَ ، فخطرَ بقلبي ـ وقالَ ابنُ يوسفَ : بخاطري ـ أنَّ علمَ الحقيقةِ مُبايِنٌ للشَّريعةِ ، فهتفَ بي هاتفٌ مِن تحتِ شجرةٍ : يا أبا بكرٍ ؛ كلُّ حقيقةٍ لا تتبعُها شريعةٌ . . فهيَ كفرٌ) [١]

حِكَايَة

[لهُم ما يشاؤونَ عندَ ربِّهِم]

١٠٤٥ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنبأَنا أبو عليٍّ الحَدَّادُ ، أنا أبو نُعَيمٍ الحافظُ ، ثنا أبو محمَّدِ ابنُ حَيَّانَ قالَ : سمعتُ عبدَ الرَّزَّاقِ ابني [٢] يحكي عن أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ أحمدَ الكِسائيِّ المُقرِئِ قالَ : كنتُ جالساً عندَ أبي بكرِ ابنِ أبي عاصمٍ [٣] وعندَهُ قومٌ ، فقالَ رجلٌ : أيُّها القاضي ؛ بلغَنا أنَّ ثلاثةَ نفرٍ كانوا بالباديةِ يُقلِّبونَ الرَّملَ ، فقالَ أحدُهُم : اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ قادرٌ علىٰ أن تُطعِمَنا خبيصاً علىٰ لونِ هـٰذا الرَّملِ ؛ فإذا هم بأعرابيٍّ بيدِهِ طبقٌ ، فسلَّمَ عليهِم ووضعَ بينَ أيديهِم طبقاً عليهِ خبيصٌ حارٌّ ، فقالَ ابنُ أبي عاصمٍ : قد كانَ ذٰلكَ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ : وكانَ الثَّلاثةَ عثمانُ بنُ صخرٍ الزَّاهدُ أستاذُ أبي ترابٍ ، وأبو ترابٍ ، وأحمدُ بنُ عمرِو بنِ أبي عاصمٍ ، وكانَ هوَ الَّذي دعا [٤]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٨٨ ـ ٨٩) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٧١٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٣٤٤) مطوَّلاً ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٧٢٢) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (١/٤٢٨) .

(٢) كُتب فوقها في (أ) : (كذا) .

(٣) هو أحمد بن عمرو بن الضَّحَّاك أبي عاصم النَّبيل ، الفقيه القاضي ، محدِّث بن محدِّث ، توفِّي سنة سبع وثمانين ومئتين ، ولي القضاء بأصبهان ثلاث عشرة سنة . **انتهىٰ من هامش (أ)** .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/١٠٦) ، وأبو الشيخ في « طبقات المحدثين بأصبهان » (٣/٣٨١ ـ ٣٨٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٤٥) ، وانظر « المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (٢/١٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/٤٣١ ـ ٤٣٢) .

حكاية

[إنَّ وليّاً حبسَ نفسَهُ]

١٠٤٦ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : سمعتُ أبا المُظفَّرِ ابنَ القُشَيريّ .

(ح) وبالإسنادَينِ المُتقدِّمَينِ إلىٰ عبدِ الكريمِ القُشَيريّ قالَ[1] : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الصَّيْرفيَّ يقولُ : سمعتُ نصرَ بنَ أبي نصرٍ العَطَّارَ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ محمَّدٍ المصريَّ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ الخَرَّازَ يقولُ : دخلتُ الباديةَ مرَّةً بغيرِ زادٍ ، فأصابَتْني فاقةٌ ، فرأيتُ المرحلةَ مِن بعيدٍ[2] ، فسررتُ بأن وصلتُ ، ثمَّ أفكرتُ في نفسي أنِّي سكنتُ واتَّكلتُ علىٰ غيرِهِ ، فآليتُ أَنْ لا أدخلُ المرحلةَ إلَّا أن أُحمَلَ إليها .

فحفرتُ لنفسي في الرَّملِ حفيرةً ، وواريتُ جسدي فيها إلىٰ صدري ، فسمعوا صوتاً في نصفِ اللَّيلِ عالياً : يا أهلَ المرحلةِ ؛ إنَّ للهِ وليّاً حبسَ نفسَهُ في هٰذا الرَّملِ بالحفرةِ ، فجاءَ جماعةٌ ، فأخرَجوني وحملوني إلى القريةِ[3] .

حكاية

[في نعمةِ اللهِ على الفقراءِ والمساكينِ]

١٠٤٧ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو القاسمِ الشَّحَّاميُّ .

وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الحرستانيّ ، عنِ الشَّحَّاميّ قالَ : أنا أبو بكرٍ البيهقيُّ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الحافظُ ، أنا جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ نُصَيرٍ ، ثنا إبراهيمُ بنُ نصرٍ .

قالَ ابنُ عساكرَ : وأخبرَنا أبو السَّعاداتِ أحمدُ بنُ أحمدَ المُتوكِّليُّ قالَ : أنا ـ وأبو محمَّدٍ عبدُ الكريمِ بنُ حمزةَ السلميُّ قالَ : ثنا ـ أبو بكرٍ الخطيبُ .

(ح) وبالإسنادِ المُتقدِّمِ إلى الإسْفَرايِنيّ[4] ، عنِ الخطيبِ قالَ : أنا محمَّدُ بنُ أحمدَ

---

(١) حقُّها أن تكون أربعة أسانيد ، انظر التعليق رقم (١) فيما تقدم ضمن الخبر (١٠٣٦) .

(٢) المرحلة : القرية .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/١٤٢) ، والقشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٤٢١) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٨/٢٨٧) ، و« المختار من مناقب الأخيار » لابن الأثير (١/٣١٩) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (١٦/١٣٦) .

(٤) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٤٠) .

ابنِ رزقٍ البَزَّازُ ، وعليُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ المُقرِئُ قالا : أنا جعفرٌ الخُلْديُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ نصرٍ ، ثنا إبراهيمُ بنُ بشَّارٍ قالَ : أمسيْنا ـ يعني : معَ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ـ ذاتَ ليلةٍ ، وليسَ معَنا شيءٌ نُفطِرُ عليهِ ، ولا لنا حيلةٌ ، فرآني مُغتمّاً حزيناً .

فقالَ : يا إبراهيمَ بنَ بشَّارٍ ؛ ماذا أنعمَ اللهُ على الفقراءِ والمساكينِ مِنَ النَّعيمِ والرَّاحةِ في الدُّنيا والآخرةِ ؟ لا يسألُهُم يومَ القيامةِ عن زكاةٍ ولا حجٍّ ، ولا عن صدقةٍ ولا صلةِ رَحِمٍ ، ولا عن مواساةٍ ، وإنَّما يُسأَلُ ويُحاسَبُ عن هٰذا هٰؤلاءِ المساكينُ ؛ أغنياءُ في الدُّنيا فقراءُ في الآخرةِ ، أعزَّةٌ في الدُّنيا أذلَّةٌ يومَ القيامةِ .

لا تغتمَّ ولا تحزنْ ؛ فرزقُ اللهِ مضمونٌ سيأتيكَ ، نحنُ ـ واللهِ ـ الملوكُ الأغنياءُ ، نحنُ الَّذينَ تعجَّلوا الرَّاحةَ في الدُّنيا والآخرةِ ، لا نُبالي علىٰ أيِّ حالٍ أصبحْنا وأمسيْنا إذا أطعمَنا اللهُ (١)

ثمَّ قامَ إلىٰ صلاتِهِ ، وقمتُ إلىٰ صلاتي ، فما لبثْنا إلَّا ساعةً وإذا نحنُ برجلٍ قد جاءَنا بثمانيةِ أرغفةٍ وتمرٍ كثيرٍ ، فوضعَهُ بينَ أيدينا ، وقالَ : كُلوا رحمَكُم اللهُ ، قالَ : فسلَّمَ ثمَّ قالَ ـ وقالَ الخطيبُ : فقالَ ـ : كُلْ يا مُعنّىً .

فدخلَ سائلٌ فقالَ : أَطعِمونا شيئاً ، فأخذَ ثلاثةَ أرغفةٍ معَ تمرٍ ، فدفعَهُ إليهِ ، وأعطاني ثلاثةً ، وأكلَ رغيفَينِ ، وقالَ : المواساةُ مِن أخلاقِ المؤمنينَ (٢)

* * *

١٠٤٨ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنبأَنا أبو الفرجِ غيثُ بنُ عليٍّ الخطيبُ ، ثنا أبو بكرٍ الخطيبُ .

(ح) وبالإسنادِ المُتقدِّمِ أوَّلَ الكتابِ إلىٰ أبي بكرٍ الخطيبِ قالَ (٣) : أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ [الحسينِ] (٤) بنِ محمَّدِ ابنِ رامينَ الإسْتِراباذيُّ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ

---

(١) كذا في (أ) ، وفي مصادر التخريج : (إذا أطعَنا اللهَ) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٨/٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٧٠/٧) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨١) ، وانظر « مناقب الأبرار » لابن خميس (٢٤/١) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٢/١٠) ، والخبر المتقدم (٧٢٣) .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ) : (الحسن) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ دمشق » (٧٨/١٣) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (٦٩) .

الحميديُّ الشِّيرازيُّ ، ثنا القاضي أحمدُ بنُ [محمودِ] [١] ابنِ خرزادَ الأهوازيُّ ، حدَّثَني عليُّ بنُ محمَّدٍ القَصْريُّ ، حدَّثَني أحمدُ بنُ محمَّدٍ الحلبيُّ قالَ : سمعتُ سريّاً السَّقَطيَّ يقولُ : سمعتُ بشراً ـ يعني : ابنَ الحارثِ ـ يقولُ : قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ [٢] : وقفتُ علىٰ راهبٍ في جبلِ لُبْنانَ [٣] ، فناديتُهُ فأشرفَ عليَّ ، فقلتُ لهُ : عِظْني ، فأنشأَ يقولُ : [من مجزوء الخفيف]

خُذْ عَنِ ٱلنَّاسِ جَانِبَا ... كَيْ يَعُدُّوكَ رَاهِبَا

إِنَّ دَهْراً أَظَلَّنِي ... قَدْ أَرَانِي ٱلْعَجَائِبَا

قَلِّبِ ٱلنَّاسَ كَيْفَ شِئْـ ... ـتَ تَجِدْهُمْ عَقَارِبَا [٤]

١٠٤٩ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو القاسمِ الحسينيُّ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ ، أنا عبدُ الوهَّابِ المَيْدانيُّ ، أنا أبو العبَّاسِ البَرْذَعيُّ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ الحسينِ الأَزْديُّ ، ثنا أبو حفصٍ النَّسائيُّ ، حدَّثَني محمَّدُ بنُ الحسينِ ، عن أبي إسحاقَ الأنطاكيِّ ، حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ الجوزجانيُّ رفيقُ إبراهيمَ بنِ أدهمَ قالَ : غزا إبراهيمُ بنُ أدهمَ في البحرِ معَ أصحابِهِ ، فقدمَ أصحابُهُ ، فأخبروني عن إبراهيمَ بنِ أدهمَ عنِ اللَّيلةِ الَّتي ماتَ فيها أنَّهُ اختلفَ خمسةً أو ستَّةً وعشرينَ مرَّةً إلى الخلاءِ ، كلُّ ذٰلكَ يُجدِّدُ الوضوءَ للصَّلاةِ ، فلمَّا أحسَّ بالموتِ . . قالَ : أَوتِروا لي قوسي ، وقبضَ علىٰ قوسِهِ ، فقبضَ اللهُ روحَهُ والقوسُ في يدِهِ .

قالَ : فدفنَّاهُ في بعضِ جزائرِ البحرِ في بلادِ الرُّومِ ، كذا قالَ [٥]

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (محمد) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٩٥/٨) ط . دار الغرب الإسلامي .

(٢) قيل : توفِّي إبراهيم بن أدهم سنة إحدىٰ وستِّين ومئة ، ودفن ببعض حصون بلاد الرُّوم ، والمحفوظ أنَّه مات سنة اثنتين وستِّين كما قال ابن عساكر . **انتهىٰ من هامش** (أ) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٤٩/٦) .

(٣) **جبل لُبْنان** : جبل مطلٌّ علىٰ حِمْص . « معجم البلدان » (١١/٥) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٥/٦) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (١٠٨٠/٣) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٨/٦ ـ ٣٤٩) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٣٦/٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٠/١٠ ـ ٥١) ، وقد تقدم ضمن الخبر (٧٣٦) .

١٠٥٠ ـ وبهِ إليهِ قالَ : بلغَني أنَّهُ لمَّا أفضَتِ الخلافةُ إلىٰ بني العبَّاسِ . . اختفَتْ رجالُ بني أُميَّةَ ، وكانَ فيمَنِ اختفىٰ إبراهيمُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، حتَّىٰ أخذَ لهُ داوودُ بنُ عليٍّ مِن أبي العبَّاسِ الأمانَ .

وكانَ إبراهيمُ رجلاً عالماً ، فقالَ لهُ أبو العبَّاسِ يوماً : حدِّثْني عمَّا مرَّ بكَ في اختفائِكَ .

قالَ : نعم ، كنتُ مُختفياً بالحِيرةِ في منزلٍ شارعٍ علىٰ طريقِ الصَّحراءِ ، فبينا أنا علىٰ ظهرِ البيتِ ذاتَ يومٍ . . إذ نظرتُ إلىٰ أعلامٍ سودٍ ، قد خرجَتْ مِنَ الكُوفةِ تُريدُ الحِيرةَ ، فوقعَ في نفسي أنَّها تُريدُني .

فخرجتُ مِنَ الدَّارِ مُتنكِّراً حتَّىٰ دخلتُ الكُوفةَ ، ولا أعرفُ بها أحداً أختفي عندَهُ ، فإذا أنا ببابٍ كبيرٍ ، ورحبةٍ واسعةٍ ، فدخلتُ الرَّحبةَ فجلستُ فيها ، وإذا رجلٌ وسيمٌ حسنُ الهيئةِ علىٰ فرسٍ ، قد دخلَ الرَّحبةَ ومعَهُ جماعةٌ مِن غلمانِهِ وأتباعِهِ ، فقالَ : مَن أنتَ ؟ وما حاجتُكَ ؟ فقلتُ : رجلٌ مُختفٍ يخافُ علىٰ دمِهِ ، قدِ استجارَ بمنزلِكَ .

قالَ : فأدخلَني منزلَهُ ، ثمَّ صيَّرَني في حجرةٍ تلي حُرَمَهُ ، فمكثتُ عندَهُ في كلِّ ما أُحِبُّ مِن مَطعَمٍ ومَشرَبٍ ومَلبَسٍ ، لا يسألُني عن شيءٍ مِن حالي ، ويركبُ كلَّ يومٍ ركبَةً .

فقلتُ لهُ يوماً : أراكَ تُدمِنُ الرُّكوبَ ، ففيمَ ذٰلكَ ؟ فقالَ لي : إنَّ إبراهيمَ بنَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ قتلَ أبي صبراً ، وقد بلغَني أنَّهُ مُختفٍ ، فأنا أطلبُهُ لأُدرِكَ منهُ ثأري !!

فكثرَ تعجُّبي إذ ساقَنيَ القدرُ إلى الاختفاءِ في منزلِ مَن يطلبُ دمي ، فكرهتُ الحياةَ ، فسألتُ الرَّجلَ عنِ اسمِهِ واسمِ أبيهِ ، فخبَّرَني بهِما ، فعلمتُ أنِّي قتلتُ أباهُ ، فقلتُ لهُ : يا هٰذا ؛ قد وجبَ عليَّ حقُّكَ ، ومِن حقِّكَ أن أُقرِّبَ عليكَ الخطوةَ .

قالَ : وما ذاكَ ؟

قلتُ : أنا إبراهيمُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، قاتلُ أبيكَ ، فخُذْ بثأرِكَ .

قالَ : أحسبُ أنَّكَ رجلٌ قد مللتَ الاختفاءَ ، فأحببتَ الموتَ ، قلتُ : بلِ الحقَّ قلتُ لكَ ، يومَ كانَ بسببِ كذا .

فلمَّا عرفَ أنِّي صادقٌ . . اربدَّ وجهُهُ ، واحمرَّتْ عيناهُ ، وأطرقَ مليّاً ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ إليَّ ،

وقالَ : أمَّا أنتَ . . فستلقىٰ أبي ، فيأخذُ منكَ حقَّهُ ، وأمَّا أنا . . فغيرُ مُخفِرٍ ذمَّتي ، فاخرجْ عنِّي ؛ فلستُ آمنُ نفسي عليكَ ، وأعطاني ألفَ دينارٍ فلم أقبلْها ، وخرجتُ مِن عندِهِ .

فهٰذا أكرمُ رجلٍ رأيتُهُ (١)

١٠٥١ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو محمَّدٍ طاهرُ بنُ سهلِ بنِ بشرٍ ، ثنا أبو بكرٍ الخطيبُ .

(ح) وبالإسنادِ المُتقدِّمِ إلىٰ أبي بكرٍ الخطيبِ (٢)

قالَ ابنُ عساكرَ : أنا أبو منصورٍ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ المُنعِمِ ، ثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عمرَ بنِ الحسنِ بنِ يونسَ قالا : أنا أبو عمرَ القاسمُ بنُ جعفرِ بنِ عبدِ الواحدِ الهاشميُّ ، ثنا عبدُ الغافرِ بنُ سلامةَ الحِمْصيُّ ، ثنا يحيى بنُ عثمانَ ، ثنا محمَّدُ بنُ حميرٍ ، حدَّثَني إبراهيمُ بنُ أبي عبلةَ قالَ : (مَن حملَ شاذَّ العلماءِ . . حملَ شرّاً كثيراً) (٣)

*

١٠٥٢ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي الفضلِ بنِ ناصرٍ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ الحافظِ أبي محمَّدٍ ابنِ الأخضرِ ، وعبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وغيرِهِم ، عن أبي الفضلِ بنِ ناصرٍ ، عن أبي الفضلِ جعفرِ بنِ يحيى التَّميميِّ ، أنا أبو نصرٍ الوائليُّ ، ثنا الخَصِيبُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ ، أخبرَني أبو موسىٰ عبدُ الكريمِ بنُ أحمدَ بنِ شعيبٍ ، أخبرَني أبي أبو عبدِ الرَّحمٰنِ ، أخبرَني صفوانُ بنُ عمرٍو ، ثنا محمَّدُ بنُ زيادٍ أبو مسعودٍ مِن أهلِ بيتِ المَقْدِسِ قَال : سمعتُ إبراهيمَ بنَ أبي عبلةَ وهوَ يقولُ لمَن جاءَ مِنَ الغزوِ : قد جئتُم مِنَ الجهادِ الأصغرِ ، فما فعلتُم في الجهادِ الأكبرِ ؟

قالوا : يا أبا إسماعيلَ ؛ وما الجهادُ الأكبرُ ؟ قالَ : جهادُ القلبِ (٤)

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٦/٤١٦ ـ ٤١٧) ، و« لباب الآداب » لابن منقذ (ص ١٢٨ ـ ١٢٩) ، و« المنتظم » (٥/١٩ ـ ٢٠) .

(٢) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٤٣٨) ، والخطيب البغدادي في « الكفاية في علم الرواية » (ص ١٣٠) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢/١٤٤) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠/٥٧ ـ ٥٨) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٤٣٨) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢/١٤٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/٣٢٤ ـ ٣٢٥) .

حِكَايَة

[نصيحةُ إبراهيمَ ابنِ طلحةَ في الحجَّاجِ]

١٠٥٣ ـ وبـهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : أنا أبو العزِّ أحمدُ بنُ عبيدِ اللهِ ابنِ كادشٍ فيما ناولَني إيَّاهُ وقرأَ عليَّ إسنادَهُ وقالَ : اروهِ عنِّي ، أنا أبو عليٍّ محمَّدُ بنُ الحسينِ الجازريُّ ، أنا المُعافى بنُ زكريَّا ، ثنا محمَّدُ بنُ أبي الأزهرِ ، ثنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ قالَ : وحدَّثَني محمَّدُ بنُ يحيىٰ ، حدَّثَني عمرانُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عوفٍ الزُّهريُّ قالَ : لمَّا وليَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ الحرمَينِ بعدَ قتلِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ . . أَشْخَصَ إبراهيمَ بنَ [محمَّدِ بنِ][(١)] طلحةَ بنِ عبيدِ اللهِ ، وقرَّبَهُ في المنزلةِ ، ولم يزلْ علىٰ حالِهِ عندَهُ حتَّىٰ خرجَ إلىٰ عبدِ الملكِ زائراً لهُ ، فخرجَ معَهُ فعادلَهُ ، لا يتركُ في برِّهِ وإجلالِهِ وتعظيمِهِ شيئاً .

فلمَّا حضرَ بابَ عبدِ الملكِ . . حضرَ بهِ معَهُ ، فدخلَ علىٰ عبدِ الملكِ ، فلم يبدأْ بشيءٍ بعدَ السَّلامِ إلَّا أن قالَ : قدمتُ عليكَ ـ يا أميرَ المؤمنينَ ـ برجلِ الحجازِ ، لم أدعْ لهُ ـ واللهِ ـ فيها نظيراً ؛ في حالِ المروءةِ والأدبِ ، والدِّيانةِ والسَّترِ ، وحسنِ المذهبِ والطَّاعةِ ، والنَّصيحةِ معَ القرابةِ ، ووجوبِ الحقِّ ؛ إبراهيمَ بنِ [محمَّدِ بنِ] طلحةَ بنِ عبيدِ اللهِ ، وقد أحضرتُهُ بابَكَ ليسهلَ عليهِ إذنُكَ ، وتلقاهُ ببشرِكَ ، وتفعلَ بهِ ما تفعلُ بمثلِهِ ممَّن كانَتْ مذاهبُهُ مثلَ مذاهبِهِ .

فقالَ عبدُ الملكِ : ذكَّرتَنا حقّاً واجباً ، ورَحِماً قريبةً ، يا غلامُ ؛ ائذنْ لإبراهيمَ بنِ [محمَّدِ بنِ] طلحةَ ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . قرَّبَهُ حتَّىٰ أجلسَهُ علىٰ فرشِهِ ، ثمَّ قالَ لهُ : يا بنَ طلحةَ ؛ إنَّ أبا محمَّدٍ أذكرَنا ما لم نزلْ نعرفُكَ بهِ ؛ مِنَ الفضلِ والأدبِ ، وحسنِ المذهبِ ، معَ قرابةِ الرَّحِمِ ، ووجوبِ الحقِّ ، فلا تَدَعَنَّ حاجةً في خاصِّ أمرِكَ ولا عامِّهِ إلَّا ذكرتَها .

فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ أَوْلى الأمورِ أن تُفتتَحَ بها الحوائجُ ، ويُرجىٰ بها الزُّلفُ . . ما كانَ للهِ رضاً ، ولِحَقِّ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أداءً ، ولكَ فيهِ ولجماعةِ المسلمينَ

---

(١) في (أ) : بياض بمقدار كلمة ، وكُتب فوقها : (كذا) ، وفي الهامش : (صوابه : إبراهيم بن محمَّد بن طلحة) ، وهو الصَّواب ، فأثبتناه ، وكذا كلَّما مرَّ في هـٰذه الحكاية والَّتي تليها .

نصيحةً ، وإنَّ عندي نصيحةً لا أجدُ بُدّاً مِن ذِكْرِها ، ولا يكونُ البوحُ بها إلَّا وأنا خالٍ ، فأَخلِني . . تَرِدْ عليكَ نصيحتي .

قالَ : دونَ أبي محمَّدٍ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : قُمْ يا حجَّاجُ .

فلمَّا جاوزَ السِّترَ . . قالَ : قلْ يا بنَ طلحةَ نصيحتَكَ .

قالَ : آللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : آللهِ .

قالَ : إنَّكَ عمدتَ إلى الحجَّاجِ معَ تغطرُسِهِ وتعترُسِهِ وتعجرُفِهِ ؛ لبُعدِهِ مِنَ الحقِّ ورُكونِهِ إلى الباطلِ ، فولَّيتَهُ الحرمَينِ ، وفيهِما مَن فيهِما ، وبهِما مَن بهِما ؛ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ ، والموالي الأخيارِ ، وأصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأبناءِ الصَّحابةِ ، يسومُهُمُ الخَسْفَ ، ويقودُهُم بالعَسْفِ ، ويحكمُ فيهِم بغيرِ السُّنَّةِ ، ويطؤُهُم بطَغامٍ مِن أهلِ الشَّامِ ، ورَعاعٍ لا رَوِيَّةَ لهُم في إقامةِ الحقِّ ولا إزاحةِ باطلٍ .

ثمَّ ظننتَ أنَّ ذلكَ فيما بينَكَ وبينَ اللهِ يُنجيكَ ، وفيما بينَكَ وبينَ رسولِ اللهِ يُخلِّصُكَ إذا جاثاكَ للخصومةِ في أُمَّتِهِ ، أما واللهِ ؛ لا تنجو هناكَ إلَّا بحجَّةٍ تضمنُ لكَ النَّجاةَ ، فأَبقِ علىٰ نفسِكَ أو دَعْ ، فقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »[1]

فاستوىٰ عبدُ الملكِ جالساً وكانَ مُتَّكِئاً ، فقالَ : كذبتَ ـ لعمرُ اللهِ ـ ولؤُمتَ فيما جئتَ بهِ ، قد ظنَّ بكَ الحجَّاجُ ما لم يجدْهُ فيكَ ، ورُبَّما ظُنَّ الخيرُ بغيرِ أهلِهِ ، قُمْ فأنتَ الكاذبُ المائنُ الحاسدُ .

قالَ : فقمتُ ـ واللهِ ـ ما أُبصِرُ طريقاً ، فلمَّا خلَّفتُ السِّترَ . . لحقَني لاحقٌ مِن قِبَلِهِ ، فقالَ للحاجبِ : احبسْ هٰذا ، وأَدخِلْ أبا محمَّدٍ الحجَّاجَ .

فلبثتُ مليّاً ولا أشكُّ أنَّهما في أمري ، ثمَّ خرجَ الإذنُ ، فقالَ : قُمْ يا بنَ طلحةَ فادخلْ ، فلمَّا كُشِفَ ليَ السِّترُ . . لقيَنيَ الحجَّاجُ ، وأنا داخلٌ وهوَ خارجٌ ، فاعتنقَني وقبَّلَ ما بينَ عينَيَّ .

ثمَّ قالَ : إذا جزى اللهُ المُتآخِيَينِ بفضلِ مُواصلتِهِما . . فجزاكَ اللهُ أفضلَ ما جزىٰ بهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٠) ، ومسلم (١٨٢٩/٢٠) ، وأبو داوود (٢٩٢١) ، والترمذي (١٧٠٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

أخاً ، فواللهِ ؛ لئن سَلِمتُ لكَ . . لأرفعَنَّ ناظرَكَ ، ولأُعلِيَنَّ كعبَكَ ، ولأُتبِعَنَّ الرِّجالَ غبارَ قدمَيكَ .

قالَ : فقلتُ : يهزأُ بي !!

فلمَّا وصلتُ إلىٰ عبدِ الملكِ . . أدناني حتَّىٰ أجلسَني في مجلسيَ الأوَّلِ ، ثمَّ قالَ : يا بنَ طلحةَ ؛ لعلَّ أحداً مِنَ النَّاسِ شاركَكَ في نصيحتِكَ ، قالَ : قلتُ : لا واللهِ ، ولا أعلمُ أحداً كانَ أظهرَ عندي معروفاً ولا أوضحَ يداً مِنَ الحجَّاجِ ، ولو كنتُ مُحابياً أحداً بديني . . لكانَ هوَ ، ولكنِّي آثرتُ اللهَ ورسولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والمسلمينَ .

فقالَ : قد علمتُ أنَّكَ آثرتَ اللهَ عزَّ وجلَّ ورسولَهُ ، ولو أردتَ الدُّنيا . . لكانَ لكَ في الحجَّاجِ أملٌ ، وقد أزلتُ الحجَّاجَ عنِ الحرمَينِ ؛ لِمَا كرهتَ مِن وِلايتِهِ عليهِما ، وأعلمتُهُ أنَّكَ استنزلتَني لهُ عنهُما استصغاراً لهُما ، وولَّيتُهُ العراقَينِ ؛ لِمَا هنالكَ مِنَ الأمورِ الَّتي لا يَرْحَضُها إلَّا مثلُهُ [1] ، وأعلمتُهُ أنَّكَ استدعيتَني إلى التَّوليةِ لهُ عليهِما استزادةً ؛ ليلزمَهُ مِن ذمامِكَ ما يُؤدِّي بهِ عنِّي إليكَ أَجْرَ نصيحتِكَ ، فاخرجْ معَهُ ، فإنَّكَ غيرُ ذامٍّ صحبتَهُ معَ تقريظِهِ إيَّاكَ ويدِكَ عندَهُ .

قالَ : فخرجتُ علىٰ هٰذهِ الجُملةِ [2]

حكاية

[في عذرِ إبراهيمَ ابنِ طلحةَ]

١٠٥٤ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنبأَنا أبو غالبٍ شجاعُ بنُ فارسٍ الذُّهْليُّ ، وأبو البركاتِ الأنماطيُّ .

(ح) وأنبأَني أبو الفرجِ بنُ أبي الفرجِ البغداديُّ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ عليٍّ ، عن أبي القاسمِ ابنِ البَنَّاءِ .

(ح) وأنبأَني أبو الفرجِ أيضاً ، عن أبي محمَّدٍ ابنِ الأخضرِ ، والحافظُ أبو العبَّاسِ بنُ

---

(١) يَرْحَضها : يَغسِلها .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/١٤٢ ـ ١٤٥) ، والمروذي في « أخبار الشيوخ وأخلاقهم » (٢٥٦) ، والمعافى بن زكريا في « الجليس الصالح » (١/٢١٠ ـ ٢١٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٤/٥١٨ ـ ٥٢٠) .

محمَّدِ الكَرَجيُّ ، وغيرُهُ ، عن أبي عبدِ اللهِ ابنِ النَّجَّارِ ، كلاهُما عن ذاكرِ بن كاملٍ ، عن شجاعِ بنِ فارسٍ .

(ح) وأُنبِئتُ عنِ ابنِ الأخضرِ ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، عن أبي البركاتِ عبدِ الوهَّابِ بنِ المُبارَكِ الأنماطيِّ قالا : أنا ثابتُ بنُ بُنْدارِ بنِ إبراهيمَ ، أنا أبو تغلبَ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ ، ثنا أبو الفرجِ المُعافى بنُ زكريَّا الجَرِيريُّ ، ثنا محمَّدُ بنُ يزيدَ ، ثنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، عن أبي سعدِ بنِ بشيرٍ قالَ : سمعتُ إبراهيمَ ابنَ هَرْمةَ يقولُ : أردتُ لابنيَ البِناءَ علىٰ أهلِهِ ، وخروجاً إلىٰ باديتي ، ومَرَمَّةَ الشِّتاءِ [1] ، ففكَّرتُ في قريشٍ ، فلم أذكرْ غيرَ إبراهيمَ بنِ [محمَّدِ بنِ] طلحةَ ، فخرجتُ إليهِ في مالٍ لهُ بينَ شرقيِّ المدينةِ وغربيِّها ، وقد هيَّأتُ لهُ شِعراً .

فلمَّا جئتُهُ . . قالَ لبنيهِ : قوموا إلىٰ عمِّكُم فأَنزِلوهُ ، فقاموا فأنزَلوني عن دابَّتي ، فسلَّمتُ عليهِ وجلستُ معَهُ أُحدِّثُهُ ، فلمَّا اطمأنَّ بيَ المجلسُ . . قلتُ لهُ : أردتُ الخروجَ إلىٰ باديتي ، وحضرَ الشِّتاءُ ومؤنتُهُ ، وأردتُ أن أجمعَ على ابني أهلَهُ ، وكانَتِ الأشياءُ مُتعذِّرةً ، ففكَّرتُ في قومي ، فلم أذكرْ سِواكَ ، وقد هيَّأتُ لكَ مِنَ الشِّعرِ ما أُحِبُّ أن تسمعَهُ .

فقالَ : بحقِّي عليكَ إنْ أنشدتَني شِعراً ؛ ففي قرابتِكَ ورَحِمِكَ وواجبِ حقِّكَ ما تُوصَلُ بهِ رَحِمُكَ ، وتُقضَىٰ بهِ حوائجُكَ ، فانصرفْ إلىٰ باديتِكَ ، واعذرْني فيما يأتيكَ منِّي .

قالَ : فخرجتُ إلىٰ باديتي ، فإنِّي لجالسٌ بعدَ أيَّامٍ . . إذا بشُوَيهاتٍ تتسايلُ ، يتبعُ بعضُها بعضاً ، فأعجبَني حسنُها ، فما زالَتْ تتسايلُ حتَّى افترشَ الوادي منها ، وإذا فيها غلامانِ أسودانِ ، وإذا إنسانٌ علىٰ دابَّةٍ يحملُ بينَ يدَيهِ رِزْمةً ، فلمَّا جاءَني . . ثنىٰ رِجلَهُ ، وقالَ : أرسلَني إليكَ إبراهيمُ بنُ [محمَّدِ بنِ] طلحةَ ، وهـٰذهِ ثلاثُ مئةِ شاةٍ مِن غنمِهِ ، وهـٰذانِ راعيانِ ، وهـٰذهِ أربعونَ ثوباً ومئتا دينارٍ ، وهوَ يسألُكَ أن تعذرَهُ [2] .

* *

١٠٥٥ ـ وبهِ إلى ابنِ عساكرَ قالَ : وأخبرَني بهـٰذهِ الحكايةِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ المُوحِّدِ ، وأبو غالبٍ أحمدُ ، وأبو عبدِ اللهِ يحيى ابنا الحسنِ ابنِ البَنَّاءِ .

---

(١) أي : ما يُصلح به شأنه وقتَ الشِّتاء .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/١٤٩ ـ ١٥٠) .

(ح) وأُنبئتُ عنِ ابنِ طَبَرْزَدٍ ، عن أبي غالبِ ابنِ البَنَّاءِ قالوا : أنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ أحمدَ ابنُ الآبَنُوسيِّ (١) ، أنا عليُّ بنُ عمرَ الدَّارَقُطْنيُّ ، ثنا الحسينُ بنُ إسماعيلَ القاضي ، حدَّثَني عبدُ اللهِ ابنُ أبي سعدٍ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ يحيى بنِ عبدِ العزيزِ بنِ سعدٍ المَدِينيُّ ، حدَّثَني أبو سعيدِ بنُ بشيرٍ ، حدَّثَني إبراهيمُ ابنُ هَرْمةَ . . . الحكايةَ بنحوِ ما تقدَّمَ (٢)

حكاية

[أكلتَ حمارتَنا فاحملْ دَقِيقَنا]

١٠٥٦ ـ وبهِ إليهِ قالَ : قرأتُ في كتابِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ ، عن أبي معدٍّ عدنانَ بنِ أحمدَ بنِ طُولُونَ ، ثنا عليُّ بنُ أبي الأزهرِ ، ثنا عبيدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بنِ مخلدٍ الجُبَيليُّ ، ثنا أبي قالَ : خرجَ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ ثابتِ بنِ ثوبانَ بصَيْداءَ إلى الرَّحىٰ ، وأخرجَ معَهُ حمارةً وعليها غِرارةُ قمحٍ إلى الطَّاحونِ .

فلمَّا صارَ في الطَّاحونِ . . ألقى الغِرارةَ ، وخلَّى الحمارةَ ترتعُ في المرجِ ، فجاءَ السَّبُعُ فافترسَ الحمارةَ ، فلمَّا طحنَ طحينَهُ . . خرجَ يطلبُ الحمارةَ ، فأصابَ السَّبُعَ قدِ افترسَها ، فجاءَ إلى السَّبُعِ ، فقالَ : يا كلبَ اللهِ ؛ أكلتَ حمارتَنا ، فتعالَ احملْ دَقِيقَنا ، فحملَ الغِرارةَ على السَّبُعِ !! فلمَّا صارَ إلىٰ بابِ صَيْداءَ . . ألقى الغِرارةَ عنِ السَّبُعِ ، وقالَ : اذهبْ لا تفزعِ الصِّبيانَ (٣)

* * *

١٠٥٧ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ ابنُ قُبَيسٍ ، وعليُّ بنُ الحسنِ ابنِ سعيدٍ قالا : ثنا أبو بكرٍ الخطيبُ .

(ح) وبالإسنادِ المُتقدِّمِ إلىٰ أبي المعالي (٤) ، عن أبي بكرٍ الخطيبِ ، أنا هلالُ بنُ المُحسِّنِ الكاتبُ ، أنا أحمدُ بنُ محمَّدِ ابنِ الجرَّاحِ ، ثنا محمَّدُ بنُ القاسمِ الأنباريُّ ، حدَّثَني أبي ، ثنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ [اليَتاخيُّ] (٥) قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ الفرجِ يقولُ ،

---

(١) الآبَنُوسي : نسبة إلىٰ (آبَنُوس) ، وهو نوع من الخشب البحريّ . « الأنساب » (١/ ٥٨) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ١٥٠) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٢٢١) .

(٤) يعني : الإسْفَرايِنيّ ، انظر ما تقدم ضمن الخبر (١٠٤٠) .

(٥) ما بين معقوفين في (أ) : (الساجي) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « الأنساب » (٥/ ٦٨٠) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ الفرجِ يغشاهُ بشرُ بنُ الحارثِ لزهدِهِ وفضلِهِ قالَ : قالَ أرطاةُ بنُ المنذرِ [1] : (احذروا الدُّنيا لا تسحرْكُم ؛ فهيَ ـ واللهِ ـ أسحرُ مِن هاروتَ وماروتَ) [2]

١٠٥٨ ـ وبهِ إليهِ قالَ : أنا أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الحسنِ بن هبةِ اللهِ المُقرِئُ ، وأبو القاسمِ ابنُ السَّمَرْقَنْديّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديّ ، وابنِ طَبَرْزَدٍ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِم ، عن أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ السَّمَرْقَنْديّ قالا : أنا أبو الخطَّابِ عبدُ الملكِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ حمدانَ ، أنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ الحسينِ الخالعُ ، أنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ الحسينِ الأصبهانيُّ .

(ح) وأنبأَني أبو الفرجِ ابنُ وَرِّيدةَ ، عن أبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِ ، وأبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وغيرُهُ ، عنِ المُؤيَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيِّ ، [وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديّ ، وغيرِهِ] [3] ، كلُّهُم عن محمَّدِ بنِ عبدِ الباقي الأنصاريّ ، عن أبي القاسمِ عليّ بنِ المُحسِّنِ التَّنُوخيّ ، عن أبيهِ ، عن أبي الفرجِ الأصبهانيّ قالَ : أنا محمَّدُ ابنُ المَرْزُبانِ قالَ : أنشدَنا حمَّادُ بنُ إسحاقَ قالَ : أنشدَني أبي ـ يعني : إسحاقَ بنَ إبراهيمَ بنِ ميمونٍ المَوْصِليّ [4] ـ : [من الكامل]

يَبْقَى ٱلثَّنَاءُ وَتَذْهَبُ ٱلْأَمْوَالُ ... وَلِكُلِّ دَهْرٍ دَوْلَةٌ وَرِجَالُ
مَا نَالَ مَحْمَدَةَ ٱلرِّجَالِ وَشُكْرَهُمْ ... إِلَّا ٱلْجَوَادُ بِمَالِهِ ٱلْمِفْضَالُ
لَا تَرْضَ مِنْ رَجُلٍ حَلَاوَةَ قَوْلِهِ ... حَتَّىٰ يُصَدِّقَ مَا يَقُولُ فَعَالُ
فَإِذَا وَزَنْتَ مَقَالَهُ بِفَعَالِهِ ... فَتَوَازَنَا فَإِخَاءُ ذَاكَ جَمَالُ [5]

❊

(١) توفِّي أرطاة بن المنذر سنة ثلاث وستِّين ومئة ، وقيل : سنة ستٍّ وخمسين ومئة . انتهىٰ من هامش (أ) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٢٨/١١) .
(٣) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) ، واستُدرِك من « نشوار المحاضرة » لسبط ابن الجوزي .
(٤) مات إسحاق المَوْصِليُّ سنة خمس وثلاثين ومئتين . انتهىٰ من هامش (أ) .
(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٢/٨) ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (١٣٤/٧ ـ ١٣٥) ، وانظر « أدب الدين والدنيا » للماوردي (ص ٥٦٤) عدا البيت الرابع .

١٠٥٩ ـ وبهِ إليهِ قالَ : قرأتُ علىٰ أبي القاسمِ ابنِ عبدانَ ، عن أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ المُبارَكِ الفَرَّاءِ ، أنا أبو القاسمِ عليُّ بنُ الفضلِ ابنِ طاهرِ بنِ الفُراتِ ، أنا أبو الحسينِ عبدُ الوهَّابِ الكلابيُّ ، أنا أحمدُ بنُ [عميرٍ] (١) ، أنا أبو يعقوبَ إسحاقُ بنُ عبَّادٍ بدِمشقَ ، ثنا [أبو جعفرٍ] (٢) الحَذَّاءُ ، ثنا عيسى بنُ يونسَ قالَ : حجَّ الأعمشُ والعلاءُ ومالكُ بنُ مِغْوَلٍ ، قالَ : فظلمَهُمُ الجَمَّالُ ، قالَ : فجاءَ مالكٌ إليهِ ، فأخذَ برأسِهِ ، فقالَ : لولا اللهُ . . لفعلتُ بكَ كذا وكذا .

قالَ : وجاءَ العلاءُ فأخذَ بوسطِهِ ، فقالَ : لولا اللهُ . . لفعلتُ بكَ كذا وفعلتُ .

قالَ : فجاءَ الأعمشُ ، فضربَهُ بعصاً فشجَّهُ ، قالَ : سبحانَ اللهِ ، ولا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، والجَمَّالُ يظلمُنا .

قالَ : فقيلَ لهُ : يا أبا محمَّدٍ ؛ أنتَ مُحرِمٌ وحاجٌّ فعلتَ هٰذا ؟! فقالَ : اسكتْ ، مِن تمامِ الحجِّ ضربُ الجَمَّالِ !! (٣)

نُكْتَةٌ

[في نثرِ أسماءَ بنِ خارجةَ الدَّراهمَ للجواري]

١٠٦٠ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُسلَّمِ الفقيهُ ، [وأبو المعالي] (٤) الحسينُ بنُ حمزةَ ابنُ الشَّعِيريِّ قالا : أنا أبو الحسنِ ابنُ أبي الحديدِ ، أنا جدِّي أبو بكرٍ ، أنا أبو بكرٍ الخرائطيُّ قالَ : سمعتُ أبا العبَّاسِ محمَّدَ بنَ يزيدَ المُبرِّدَ يقولُ : يُروىٰ عن هندِ بنتِ محمَّدِ بنِ عقبةَ ، عن أبيها قالَ : بلغَنا أنَّ أسماءَ بنَ خارجةَ (٥) كانَ جالساً علىٰ

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (عبيد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ دمشق » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥٩٦/٢٣) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (أحمد بن جعفر) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ دمشق » ، وانظر « تاريخ بغداد » (٤١٤/٣ ، ٤٠١/٧) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٣/٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥٣/٥) بنحوه ، وانظر « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٢٩١/١٥) .

(٤) ما بين معقوفين في (أ) : (وأبو العباس) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ دمشق » ، وانظر « تكملة إكمال الإكمال » لابن الصابوني (ص ٢٣٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٦٨/١١) ط . دار الغرب الإسلامي ، وسيأتي على الصواب ضمن الخبر (١٠٦٣) .

(٥) توفِّي أسماء بن خارجة سنة ستٍّ وستِّين ، وهو ابن ثمانين سنة ، وهو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، أبو حسَّان ، ويُقال : أبو محمَّد ، الفَزاريُّ الكُوفيُّ . انتهىٰ من هامش (أ) ، وانظر « مختصر تاريخ دمشق » (٣٨٥/٤) .

بابِ دارِهِ ، فمرَّ بهِ جَوارٍ يلتقطْنَ البعرَ ، فقالَ : لمَن أنتُنَّ ؟ فقلْنَ : لبني سُلَيمٍ ، فقالَ : وا سوءَتاهُ !! جواري بني سُلَيمٍ يلتقطْنَ البعرَ علىٰ بابي !! يا غلامُ ؛ انثرْ عليهِنَّ الدَّراهمَ . فنثرَ عليهِنَّ وجعلْنَ يلتقطْنَ [١]

حكاية

[في دفعِ دِيَةِ كلبٍ]

١٠٦١ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ ابنُ الحُصَينِ ، أنا الأميرُ أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عيسى بنِ المُقتدِرِ ، ثنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ منصورٍ اليَشْكُريُّ قالَ : قرأتُ على ابنِ دُرَيدٍ ، أنا السَّكنُ بنُ سعيدٍ ، عن محمَّدِ بنِ عبَّادٍ ، عنِ ابنِ الكلبيِّ قالَ : نزلَ أسماءُ بنُ خارجةَ ظهرَ الكُوفةِ في روضةٍ مُعشِبةٍ أعجبَتْهُ ، وفيها رجلٌ مِن بني عبسٍ ، فلمَّا رأىٰ قبابَ أسماءَ . . قَوَّضَ بيتَهُ [٢] ، فقالَ لهُ أسماءُ : ما شأنُكَ ؟ قالَ : معي كلبٌ هوَ أَحَبُّ إليَّ مِن ولدي ، فأخافُ أن يُؤذِيَكُم فيقتلَهُ بعضُ غلمانِكَ .

فقالَ لهُ : أَقِمْ وأنا ضامنٌ لكلبِكَ ، فقالَ أسماءُ لغلمانِهِ : إن رأيتُم كلبَهُ بلغَ في قِصاعي وقدوري . . فلا يهجْهُ أحدٌ منكُم ، فأقاموا علىٰ ذٰلكَ .

ثمَّ ارتحلَ أسماءُ ، ونزلَ الرَّوضةَ رجلٌ مِن بني أسدٍ ، فجاءَ الكلبُ كعادتِهِ ، فنحا لهُ الأسديُّ بسهمٍ فقتلَهُ .

فقدمَ العبسيُّ علىٰ أسماءَ ، فقالَ لهُ : ما فعلَ الكلبُ ؟ فقالَ : أنتَ قتلتَهُ ، قالَ : وكيفَ ؟ قالَ : عوَّدتَهُ عادةً ذهبَ يَرُومُها مِن غيرِكَ فقُتِلَ ، فأمرَ لهُ بمئةِ ناقةٍ ، ودِيَةِ الكلبِ [٣]

١٠٦٢ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ نصرُ بنُ أحمدَ بنِ مقاتلٍ السُّوسيُّ ، أنا جدِّي أبو محمَّدٍ ، أنا أبو عليٍّ الأهوازيُّ ، ثنا أبو الفتحِ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سعيدٍ بمصرَ ، ثنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عثمانَ بنِ معبدٍ الصَّيْداويُّ ، ثنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ حمزةَ بنِ عبدِ اللهِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/٥٦) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٦٢٥) .

(٢) أي : نقضه وهدمه .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/٥٦ ـ ٥٧) ، وانظر « جمل من أنساب الأشراف » للبلاذري (٦/ ٤٥٠) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٨/٣٩٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٩/٦٠ ـ ٦١) ، و« فوات الوفيات » للكتبي (١/١٦٩) .

ابنِ أبي كريمةَ الطَّرَسُوسيُّ ، ثنا أبو أُميَّةَ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الطَّرَسُوسيُّ ، ثنا ابنُ أبي عاصمٍ النَّبيلِ ، عن أبيهِ قالَ : قلتُ لأشعبَ الطَّامعِ (١) : أدركتَ النَّاسَ ، فما كتبتَ عن أحدٍ منهُم شيئاً ؟

فقالَ : حدَّثَنا عكرمةُ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : (إنَّ للهِ علىٰ عبدِهِ نعمتَينِ) ، ثمَّ سكتَ ، فقلتُ : اذكرْهُما ، فقالَ : الواحدةُ نسيَها عكرمةُ ، والأُخرىٰ نسيتُها أنا (٢)

حكاية

[﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾]

١٠٦٣ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو المعالي الحسينُ بنُ حمزةَ ابنُ الشَّعِيريِّ ، ثنا أبو بكرٍ الخطيبُ .

(ح) وبالإسنادِ المُتقدِّمِ إلى الخطيبِ قالَ (٣) : أنا عليُّ بنُ أبي عليٍّ ، أنا إسماعيلُ بنُ سعيدٍ المُعدَّلُ ، ثنا أبو بكرٍ ابنُ الأنباريِّ قالَ : قالَ مصعبٌ الزُّبيريُّ : خرجَ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ مُتنزِّهاً إلىٰ ناحيةٍ مِن نواحي المدينةِ هوَ وحُرَمُهُ وجواريهِ ، وبلغَ أشعبَ الخبرُ ، فوافى الموضعَ الَّذي هم بهِ يُريدُ التَّطفيلَ ، فصادفَ البابَ مُغلَقاً ، فتسوَّرَ الحائطَ ، فقالَ لهُ سالمٌ : ويلَكَ يا أشعبُ !! معي بناتي وحُرَمي .

فقالَ : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ (٤) ، فوجَّهَ إليهِ سالمٌ مِنَ الطَّعامِ ما أكلَ وحملَ إلىٰ منزلِهِ (٥)

---

(١) هو أشعب بن جُبَير ، أبو العلاء ، ويُقال : أبو إسحاق ، ويُعرف بابن أُمِّ حُمَيدة ؛ بضمِّ الحاء وفتح الميم ، وقيل : بفتحها وكسر الميم ، مولىٰ عثمان بن عفَّان ، وقيل : مولىٰ سعيد بن العاص ، وقيل : مولىٰ فاطمة بنت الحسين ، [ويُقال : مولىٰ عبد الله بن الزُّبير] ، وهو خال محمَّد بن عمر الواقِديِّ ، مات سنة أربع وخمسين ومئة ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من هامش (أ) ، وما بين معقوفين هنا مستدرك من « تاريخ دمشق » .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٢/٩) ، وأبو طاهر السلفي في « الطيوريات » (١٨٢) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٧٤/٩) ، و« فوات الوفيات » للكتبي (١٩٨/١) .

(٣) انظر ما تقدم ضمن الخبر (١) .

(٤) سورة هود ﷺ : (٧٩) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٤/٩) ، وابن الأنباري في « الزاهر في معاني كلمات الناس » (٢١٩/٢) ، وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » (٧٤٣٧/٢١) ، وابن عبد البر في « بهجة المجالس » (٥٥٨/١) ، والخطيب البغدادي في « التطفيل » (ص ١٣٠) ، وسبط ابن الجوزي في « نشوار المحاضرة » ضمن كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (١٣٦/٧ ـ ١٣٧) .

فَائِدَةٌ

[في معنى التَّغنِّي]

١٠٦٤ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو عبدِ اللهِ الفُراويُّ .

(ح) وأنبأَني أبو الفضلِ ابنُ عساكرَ ، وزينبُ ابنةُ كِنْديٍّ ، عن زينبَ الشَّعْريَّةِ ، عن أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ الفضلِ الفُراويِّ قالَ : أنا عبدُ الغافرِ بنُ محمَّدٍ الفارسيُّ ، أنا أبو سليمانَ الخطَّابيُّ قالَ : أخبرَني أحمدُ بنُ عفوِ اللهِ ، ثنا عبدُ اللهِ بنُ سليمانَ ، ثنا يحيى بنُ عبدِ الرَّحيمِ الأعمشُ [1] ، ثنا أبو عاصمٍ قالَ : أخذَ بيديَ ابنُ جريجٍ ووقفَني على أشعبَ الطَّامعِ ، فقالَ : غَنِّ ابنَ أخي ما بلغَ مِن طمعِكَ .

قالَ : بلغَ مِن طمعي أنَّهُ ما زُفَّتْ بالمدينةِ امرأةٌ إلَّا كسحتُ بيتي ؛ رجاءَ أن تُهدى إليَّ [2] .

قالَ الخطَّابيُّ : (يقولُ : أَخبِرِ ابنَ أخي مُجاهِراً بذٰلكَ غيرَ مُساتِرٍ ، ومِن هٰذا قولُ ذي الرُّمَّةِ [3] : [من الطويل]

أُحِبُّ ٱلْمَكَانَ ٱلْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِي ... بِهِ أَتَغَنَّىٰ بِٱسْمِهَا غَيْرَ مُعْجِمِ

أي : أجهرُ بالصَّوتِ بذِكْرِها ، لا أُكنِّي عنها حذارَ كاشحٍ أو خوفاً مِن رقيبٍ .

وعلىٰ هٰذا حملَ بعضُ العلماءِ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِٱلْقُرْآنِ » [4] ؛ أي : يجهرْ بهِ) [5] .

١٠٦٥ ـ وبهِ قالَ : ثنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ الفضلِ إملاءً ، أنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ أحمدَ السَّمَرْقَنْديُّ بنَيْسابورَ ، أنا أبو بكرِ بنُ أبي زكريَّا ببَلْخَ ، ثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أحمدَ المُستملي ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ العبَّاسِ الفارسيُّ ، ثنا أبو عبدِ اللهِ

---

(١) في « تاريخ دمشق » : (الأعشىٰ) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/١٦٠ ـ ١٦١) ، وأبو سليمان الخطابي في « غريب الحديث » (١/٦٥٥ ـ ٦٥٦) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٩/٣٧٧) .

(٣) انظر « ديوانه » (٢/١١٧٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٢٧) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (١٠/٢٢٩ ـ ٢٣٠) برقم (٢١٠٨٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) انظر « تاريخ دمشق » (٩/١٦١) ، و« غريب الحديث » لأبي سليمان الخطابي (١/٦٥٦) .

محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا سعدُ بنُ عبدِ اللهِ[1] الرَّازيُّ قالَ : سمعتُ [الهيثَمَ][2] بنَ عديٍّ يقولُ : مرَّ أشعبُ الطَّمَّاعُ برجلٍ وهوَ يتَّخذُ طبقاً ، فقالَ : اجعلْهُ واسعاً ؛ لعلَّهُم يُهدونَ إلينا فيهِ[3]

* * *

١٠٦٦ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو الحسنِ الفقيهُ ، ثنا نصرُ بنُ إبراهيمَ المَقْدِسيُّ ، وعبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّزَّاقِ ابنِ فضيلٍ قراءةً قالا : أنا أبو الحسنِ بنُ عوفٍ ، أنا الحسنُ بنُ منيرٍ ، أنا أبو بكرِ بنُ خريمٍ ، ثنا هشامٌ ، ثنا أيُّوبُ بنُ حسَّانَ ، ثنا أُميَّةُ بنُ يزيدَ القرشيُّ قالَ : (كانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إذا أملىٰ علىٰ كتَّابِهِ . . قالَ : اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِن شرِّ لساني)[4]

حكاية

[لُقيا عمرَ بنِ الخطَّابِ أويساً القَرَنيَّ]

١٠٦٧ ـ وبهِ قالَ : أنا أبو القاسمِ السَّمَرْقَنْديُّ .

(ح) وأُنبِئتُ عن أبي اليُمنِ الكِنْديِّ ، وأبي أحمدَ ابنِ سُكَينةَ ، وغيرِهِما ، عن أبي القاسمِ السَّمَرْقَنْديِّ ، أنا أبو عليٍّ ابنُ المُسْلِمةِ ، أنا أبو الحسنِ الحَمَّاميُّ ، أنا أبو عليٍّ ابنُ الصَّوَّافِ ، أنا الحسنُ بنُ عليٍّ القَطَّانُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عيسى العَطَّارُ ، ثنا أبو حذيفةَ إسحاقُ بنُ بشرٍ ، ثنا ورقاءُ بنُ خالدٍ ، عن خليدِ بنِ حسَّانَ ، عنِ الحسنِ وعن يزيدَ بنِ أبي حصينٍ : أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ وافى النَّاسَ بالموسمِ في خلافتِهِ ، فلمَّا كانَ بمنىً . . خطبَ النَّاسَ ، ثمَّ نادىٰ أهلَ اليمنِ : (فيكُم مِن قَرَنٍ ؟) ، فقالَ ابنُ عمٍّ لأويسٍ القَرَنيِّ : أنا أحدُهُم يا أميرَ المؤمنينَ .

قالَ : (هل تعرفُ خليلي فيهِم ؟) ، قالَ : ومَن خليلُكَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ ليتَ أنِّي أعرفُهُ ، أسمِهِ لي يا أميرَ المؤمنينَ وصِفْهُ ، فسمَّاهُ ووصفَهُ علىٰ ما كانَ سمعَ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

---

(١) في مصادر التخريج : (سعيد بن عنبسة) ، وهو أشبه .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (القاسم) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج ، وانظر « تاريخ دمشق » (١١١/٧٤) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٢/٩) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٠٨/٧) ، وانظر « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٥٧/٢) ، و« المنتظم » (٢٢٧/٥) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٢٥٩/١٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٦٨/٧) ، وقد تقدم ضمن الخبر (٥١) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٨/٩) .

فقالَ : واللهِ ؛ إنَّهُ لَابنُ عمِّي لَحّاً [١] ، قالَ : (فأَحضِرْنيهِ إن كنتَ تُريدُ منَّا مثوبةً) .

قالَ : وكانَ أويسٌ رجلاً دميماً قصيراً ، آدمَ أثعلَ [٢] ، كثَّ اللِّحيةِ كريهَ المنظرِ ، وكانَ ابنُ عمِّهِ هٰذا مُولَعاً بهِ ؛ يُؤذيهِ ويهزأُ بهِ .

وكانَ أويسٌ يُقرِئُ النَّاسَ القرآنَ في مسجدِ الجماعةِ في الكُوفةِ ، فعَرِيَ في حالٍ مِن حالاتِهِ ، فلزمَ بيتَهُ ، فاشترىٰ لهُ بعضُ خُلَطائِهِ قميصاً بثلاثةِ دراهمَ أو أربعةِ دراهمَ ، وأخرجوهُ إلى المسجدِ ومجلسِهِ ، فولعَ بهِ ابنُ عمِّهِ هٰذا يهزأُ ويضحكُ ، ويقولُ لهُ : ارتشيتَ علىٰ تعليمِكَ النَّاسَ القرآنَ ؟! فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ منهُ وتأذَّىٰ بهِ . . ردَّ عليهِمُ القميصَ ، ولزمَ بيتَهُ ، وأمرَهُم أن يأتوهُ في بيتِهِ فيُقرِئَهُم ، حتَّىٰ يرزقَهُ اللهُ تعالىٰ ما يكتسي بهِ .

فقدمَ ابنُ عمِّهِ مِن مكَّةَ ليسَ لهُ هَمٌّ إلَّا أن يُرضِيَ أويساً ، فأتاهُ فضربَ عليهِ البابَ ، فقالَ : مَن أنتَ ؟ قالَ : أنا ابنُ عمِّكَ فلانٌ ، اخرجْ إليَّ يا أويسُ ، وكانَ قدمَ ليلاً فبدأَ بهِ قبلَ منزلِهِ ، فظنَّ أويسٌ أنَّهُ إنَّما جاءَهُ ليُؤذيَهُ كما كانَ يفعلُ فيما خلا ، فقالَ : أيِ ابنَ عمِّ ؛ ارجعْ إلىٰ بيتِكَ ؛ فإنَّهُ اللَّيلُ وأنتَ حاجٌّ ، ولا يحلُّ لكَ أذايَ ، وأبىٰ أن يفتحَ البابَ ، فجعلَ ابنُ عمِّهِ يتضرَّعُ إليهِ ، ويسألُهُ باللهِ وبالرَّحِمِ .

فخرجَ إليهِ أويسٌ ، فتعلَّقَ ابنُ عمِّهِ بقدمِهِ يُقبِّلُها ، وهوَ يقولُ : يا أويسُ ؛ استغفرِ اللهَ لي ، وأويسٌ يستغفرُ لهُ ، وأسفرَ لهُ عن أَمْرِهِ وأَمْرِ عمرَ وما سألَ مِن قدومِهِ عليهِ ، فطلبَ منهُ أويسٌ أن يُعفيَهُ مِن ذٰلكَ ، وألَّا يُشهِرَهُ ، فأبىٰ عليهِ ابنُ عمِّهِ حتَّىٰ وافقَ على المسيرِ إلىٰ عمرَ .

فجهَّزَهُ ابنُ عمِّهِ ، وحملَهُ علىٰ راحلتِهِ حتَّىٰ قدمَ بهِ المدينةَ ، فلمَّا أُخبِرَ عمرُ أنَّهُ قد أظلَّهُ . . ركبَ عمرُ بالنَّاسِ يتلقَّاهُ ، فلمَّا بصرَ بهِ . . عرفَهُ عمرُ بالوصفِ الَّذي وصفَهُ لهُ نبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنزلَ عمرُ عن حمارِهِ ، وأمرَ النَّاسَ بالكفِّ ، ونزلَ أويسٌ عن راحلتِهِ ، ومشىٰ كلُّ واحدٍ منهُما إلىٰ صاحبِهِ .

فلمَّا التقيا . . قالَ لهُ عمرُ : (اكشفْ عن سُرَّتِكَ) ، فكشفَ عن سُرَّتِهِ ، فلمَّا أبصرَ عمرُ اللَّمعةَ بحيالِ سُرَّتِهِ . . ألصقَ فاهُ بها تقبيلاً ، وهوَ يقولُ : (يا أويسُ ؛ استغفرِ اللهَ لي) ،

---

(١) أي : لاصقاً بالنَّسب .

(٢) أثعل : متراكب الأسنان .

وأويسٌ يبكي ويستغفرُ لهُ ، ثـمَّ أمرَ النَّاسَ بالتَّقدُّمِ إلىٰ أويسٍ ، فجعلوا يُسلِّمونَ عليهِ ، ويستغفرونَ لهُ ويستغفرُ لهُم .

فقالَ لهُ عمرُ : (تقدمُ المدينةَ ؟) ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ جعلتَني شهرةً للنَّاسِ ، وإنِّي أسألُكَ أن تأذنَ لي فألحقَ بأيِّ أرضٍ شئتُ ، فأذنَ لهُ ، فرجعَ مِن مكانِهِ ذٰلكَ ، فأخذَ نحوَ سواحلِ البحرِ مُرابِطاً ، فما رُئِيَ بعدَ ذٰلكَ [1]

وقد روى ابنُ عساكرَ سببَ اجتماعِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ بأويسٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِن وجوهٍ ضعيفةٍ مُضطرِبةٍ ، اقتصرتُ منها علىٰ ما قدَّمتُهُ ، وفيهِ بعضُ مخالفةٍ لِمَا في « الصَّحيحِ » [2]

* * *

١٠٦٨ ـ وفي « صحيحِ مسلمٍ » : حدَّثَني زهيرُ بنُ حربٍ ، ثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا سليمانُ بنُ المُغيرةِ قالَ : حدَّثَني سعيدٌ الجُرَيريُّ [3] ، عن أبي نضرةَ ، عن أُسَيرِ بنِ جابرٍ : أنَّ أهلَ الكُوفةِ وفدوا إلىٰ عمرَ ، وفيهِم رجلٌ [4] ممَّن كانَ يسخرُ بأويسٍ .

فقالَ عمرُ : (هل ها هنا أحدٌ مِنَ القَرَنيِّينَ ؟) ، فجاءَ ذاكَ الرَّجلُ ، فقالَ عمرُ : (إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ ٱلْيَمَنِ ، يُقَالُ لَهُ : أُوَيْسٌ ، لَا يَدَعُ بِٱلْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ ، فَدَعَا ٱللهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ ٱلدِّينَارِ ـ أو : مَوْضِعَ ٱلدِّرْهَمِ ـ [5] ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ . . فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ ») [6]

فائدة

[في خيرِ التَّابعينَ]

١٠٦٩ ـ حدَّثَنا زهيرُ بنُ حربٍ ، ومحمَّدُ بنُ مُثنّىَ قالا : ثنا عفَّانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا حمَّادٌ ـ وهوَ ابنُ سلمةَ ـ ، عن سعيدٍ الجُرَيريِّ بهٰذا الإسنادِ ، عن عمرَ بنِ الخطَّابِ قالَ : إنِّي

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/٤٢٥ ـ ٤٢٦) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٩/٤١٥ ـ ٤٣٧) .

(٣) الجُرَيري ـ بالتَّصغير ـ : نسبة إلىٰ جُرَيْر بن عبَّاد أخي الحارث بن عبَّاد من بني بكر بن وائل . « الأنساب » (٢/٥٣) .

(٤) (وفيهم رجل) : مكرَّرة في (أ) .

(٥) (أو موضع الدرهم) : أشار إليها في (أ) بـ : (نسخة) .

(٦) صحيح مسلم (٢٥٤٢) .

سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ خَيْرَ ٱلتَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : أُوَيْسٌ ، وَلَهُ وَالِدَةٌ ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ »[1]

* *

١٠٧٠ ـ حدَّثَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ ، ومحمَّدُ بنُ المُثنَّىٰ ، ومحمَّدُ بنُ بشَّارٍ ، قالَ إسحاقُ : أنا ، وقالَ الآخرانِ : ثنا ، واللَّفظُ لابنِ مُثنّىَ ، ثنا مُعاذُ بنُ هشامٍ ، حدَّثَني أبي ، عن قتادةَ ، عن زُرارةَ بنِ أوفىٰ ، عن أُسَيرِ بنِ جابرٍ قالَ : كانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ إذا أتىٰ عليهِ أمدادُ أهلِ اليمنِ . . سألَهُم : (أفيكُم أويسُ بنُ عامرٍ ؟) ، حتَّىٰ أتىٰ علىٰ أويسٍ ، فقالَ : (أنتَ أويسُ بنُ عامرٍ ؟) ، قالَ : نعم .

قالَ : (مِن مُرادٍ ، ثمَّ مِن قَرَنٍ ؟) ، قالَ : نعم .

قالَ : (فكانَ بكَ بَرصٌ فبرأتَ منهُ إلَّا موضعَ درهمٍ ؟) ، قالَ : نعم .

قالَ : (لكَ والدةٌ ؟) ، قالَ : نعم .

قال : (سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ ٱلْيَمَنِ ، مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى ٱللهِ . . لَأَبَرَّهُ ، فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ . . فَٱفْعَلْ » ، فاستغفرْ لي) ، فاستغفرَ لهُ[2]

فقالَ لهُ عمرُ : (أينَ تُريدُ ؟) ، قالَ : الكُوفةَ ، قالَ : (ألا أكتبُ لكَ إلىٰ عاملِها ؟) ، قالَ : أكونُ في غَبْراءِ النَّاسِ أَحَبُّ إليَّ .

فلمَّا كانَ مِنَ العامِ المُقبِلِ . . حجَّ رجلٌ مِن أشرافِهِم ، فوافقَ عمرَ فسألَهُ عن أويسٍ ، قالَ : تركتُهُ رثَّ البيتِ قليلَ المتاعِ ، قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « يَأْتِي عَلَيْكَ[3] أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْيَمَنِ ، مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى ٱللهِ . . لَأَبَرَّهُ ، فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ . . فَٱفْعَلْ » .

فأتىٰ أويساً فقالَ : استغفرْ لي ، فقالَ : أنتَ أحدثُ عهداً بسفرٍ صالحٍ ؛ فاستغفرْ لي .

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٤٢/٢٢٤) .

(٢) (فاستغفر له) : أشار إليها في (أ) بـ : (نسخة) .

(٣) في « صحيح مسلم » : (عليكم) .

قالَ : استغفرْ لي ، قالَ : أنتَ أحدثُ عهداً بسفرٍ صالحٍ ؛ فاستغفرْ لي ، قالَ : لقيتَ عمرَ ؟ قالَ : نعم ، فاستغفرَ لهُ ، ففطنَ لهُ النَّاسُ ، فانطلقَ علىٰ وجهِهِ .

قالَ أُسَيرٌ : وكسوتُهُ بُردةً ، فكانَ كلَّما رآهُ إنسانٌ . . قالَ : مِن أينَ لأويسٍ هٰذهِ البردةُ ؟

انتهىٰ ما في « صحيحِ مسلمٍ »(١)

وقد رويتُهُ مِن طرقٍ ؛ منها ما أخبرَنيَ الشَّيخُ المُسنِدُ شرفُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خلفٍ القرشيُّ المصريُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : أنا عزُّ القضاةِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ التَّميميُّ السَّعْديُّ المعروفُ بابنِ الجَبَّابِ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : أنا الشَّيخُ أبو المفاخرِ سعيدُ بنُ [الحسينِ](٢) بنِ سعيدٍ المأمونيُّ قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ قالَ : ثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ الفضلِ الفُراويُّ .

(ح) وأنبأَني أبو الفضلِ أحمدُ بنُ هبةِ اللهِ ابنُ عساكرَ ، وزينبُ ابنةُ كِنْديّ قالا : أخبرَتْنا زينبُ بنةُ أبي القاسمِ الشَّعْريِّ قالَتْ : أنبأَنا أبو عبدِ اللهِ الفُراويُّ قالَ : أنا أبو الحسينِ عبدُ الغافرِ بنُ محمَّدٍ الفارسيُّ قالَ : أنا أبو أحمدَ محمَّدُ بنُ عيسى الجُلُوديُّ قالَ : أنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ سفيانَ قالَ : أنا الحافظُ أبو الحسينِ مسلمُ بنُ الحجَّاجِ بنِ مسلمٍ القُشَيريُّ النَّيْسابوريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ . . . فذكرَهُ .

ونتعجَّبُ مِن قولِ ابنِ عساكرَ معَ هٰذا قالَ ابنُ عديٍّ : (وليسَ لأويسٍ مِن الرِّوايةِ شيءٌ وإنَّما لهُ حكاياتٌ ونُتَفٌ وأخبارٌ في زهدِهِ ، وقد شكَّ قومٌ فيهِ ، إلَّا أنَّهُ مِن شهرتِهِ في نفسِهِ وشهرةِ أخبارِهِ لا يجوزُ أن يُشَكَّ فيهِ ، وليسَ لهُ مِنَ الأحاديثِ إلَّا القليلُ ، فلا يتهيَّأُ أن يُحكَمَ عليهِ بالضَّعفِ ، بل هوَ صَدوقٌ ثقةٌ بمقدارِ ما يُروىٰ عنهُ ، ومالكٌ يُنكِرُهُ ؛ يقولُ : لم يكنْ)(٣)

وقالَ ابن عساكرَ : (إنَّهُ سكنَ الكُوفةَ ، وإنَّهُ يُقالُ : إنَّهُ ماتَ بدِمشقَ ، وإنَّ قبرَهُ في مقابرِ بابِ الجابيةِ)(٤)

آخِرُ المُجلَّدةِ

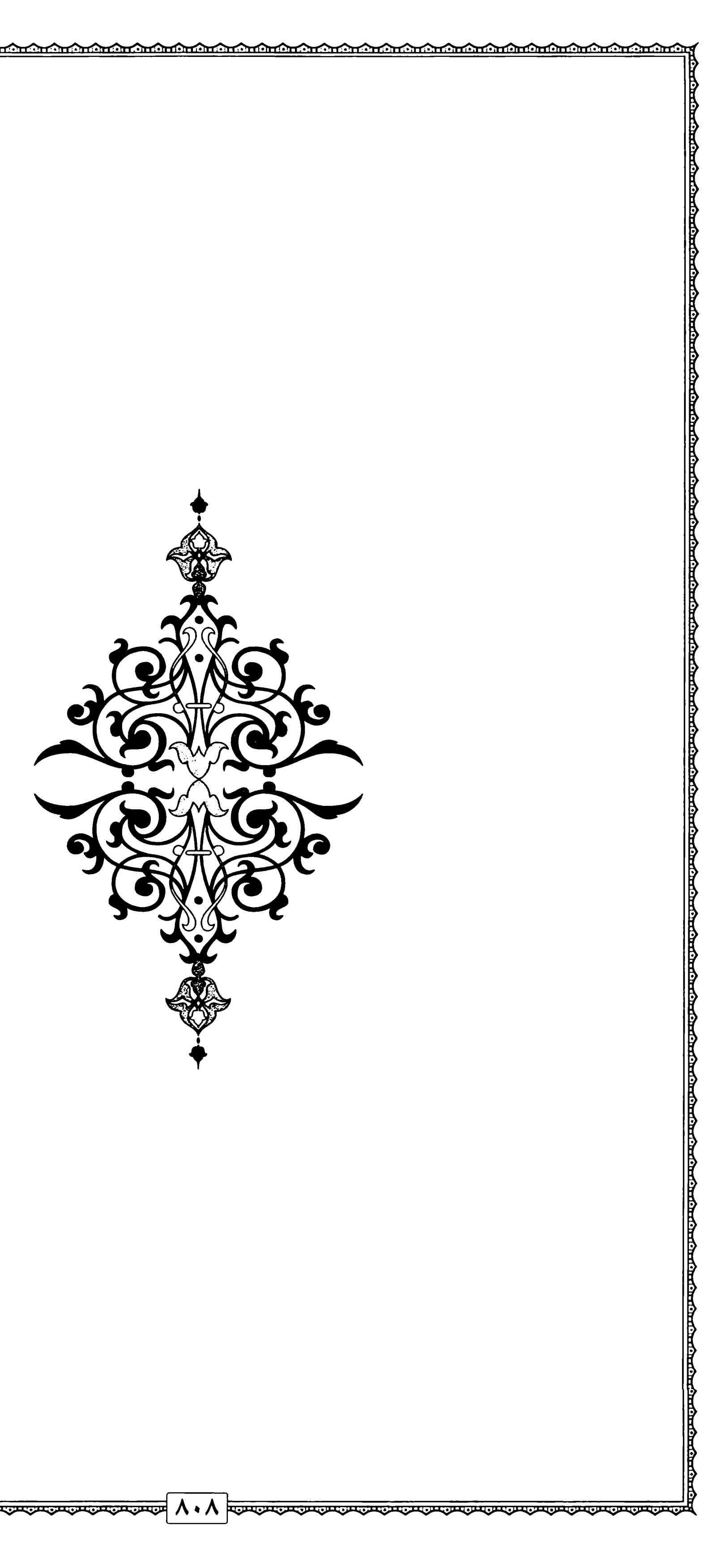
---

(١) صحيح مسلم (٢٢٥/٢٥٤٢) .

(٢) ما بين معقوفين في (أ) : (محمد) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ الإسلام » (٢١٢/٤٠ ـ ٢١٣) ، وقد تقدم على الصواب ضمن الخبر (١٠١١) .

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (٤١٣/١) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٠٨/٩) .





خاتمةُ النُّسخةِ (أ)

وكانَ الفراغُ مِن كتابتِها يومَ الجمعةِ الثَّالثَ والعشرينَ مِن جمادى الآخرةِ ، سنةَ اثنتَينِ وستِّينَ وسبعِ مئةٍ ، والحَمْدُ للهِ أوّلاً وآخِراً ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً دائماً ، حسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ .

طالعَهُ محمَّدٌ المُظفَّريُّ في مجالسَ ، آخِرُها يومَ الجمعةِ خامسَ عشرَ ربيعِ الآخِرِ ، سنةَ خمسٍ وعشرينَ وتسعِ مئةٍ (٩٢٥) ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ .

وأيضاً مرَّةً أُخرىٰ في سنةِ ثلاثٍ وثلاثينَ وتسعِ مئةٍ (٩٣٣) .

خاتمةُ النُّسخةِ (ب)

قد وقعَ الفراغُ مِن تحريرِ هٰذهِ النُّسخةِ اللَّطيفةِ في وقتِ العصرِ مِن السَّابعَ عشرَ مِن شهرِ ذي الحجَّةِ الشَّريفةِ في يومِ الأربعاءِ الواقعِ في سنةِ ستٍّ وتسعينَ وألفٍ عن يدِ كاتبِهِ الحقيرِ الفقيرِ المُحتاجِ إلىٰ رحمةِ ربِّهِ القديرِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ، غفرَ اللهُ لهُ ولوالدَيهِ ، وأحسنَ إليهِما وإليهِ ، بحرمةِ رسولِهِ المُكرَّمِ ، ونبيِّهِ المحترمِ ، محمَّدٍ مُصطفىً ، صلَّى اللهُ تعالىٰ وسلَّمَ ، وبحرمةِ جميعِ أصحابِهِ العظامِ ، رضوانُ اللهِ تعالىٰ عليهِم أجمعينَ .

وُجِدَ في غاشيةِ النُّسخةِ (أ)

وقفَ شابٌّ علىٰ أبي منصورٍ الجَواليقيِّ ، فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ قد سمعتُ بيتَينِ مِنَ الشِّعرِ ، ولم أفهمْ معناهُما ، وأُريدُ أن تسمعَهُما منِّي وتُعرِّفَني معناهُما .

فقالَ : قلْ ، فأنشدَهُ : [من البسيط]

وَصْلُ ٱلْحَبِيبِ جِنَانُ ٱلْخُلْدِ أَسْكُنُهَا ... وَهَجْرُهُ ٱلنَّارُ يُصْلِينِي بِهِ ٱلنَّارَا

فَٱلشَّمْسُ بِٱلْقَوْسِ أَمْسَتْ وَهْيَ نَازِلَةٌ ... إِنْ لَمْ يَزُرْنِي وَبِٱلْجَوْزَاءِ إِنْ زَارَا

فلمَّا سمعَهُما . . قالَ : هٰذا شيءٌ مِنْ معرفةِ علمِ النُّجومِ وتسييرِها لا مِن صَنْعةِ أهلِ الأدبِ ، فانصرفَ الشَّابُّ مِن غيرِ حصولِ فائدةٍ ، واستحيا الشَّيخُ مِن أن يُسأَلَ عن شيءٍ ليسَ عندَهُ منهُ علمٌ ، وقامَ وآلىٰ علىٰ نفسِهِ أَنْ لا يجلسُ في حَلْقتِهِ حتَّىٰ ينظرَ في علمِ النُّجومِ ، ويعرفَ تسييرَ الشَّمسِ والقمرِ ، فنظرَ في ذٰلكَ ، وحصَّلَ معرفتَهُ ، ثمَّ جلسَ .

ومعنى البيتِ أنَّ الشَّمْسَ إذا كانَتْ في آخِرِ القوسِ . . كانَ اللَّيلُ في غايةِ الطُّولِ ؛ لأنَّهُ يكونُ في آخِرِ فصلِ الخريفِ ، وإذا كانَتْ في آخِرِ الجوزاءِ . . كانَ اللَّيلُ في [غايةِ][1] القِصَرِ ؛ لأنَّهُ يكونُ في آخِرِ فصلِ الرَّبيعِ ، فكأنَّهُ يقولُ : إذا لم يزرْني . . فاللَّيلُ عندي في غايةِ الطُّولِ ، وإن زارَني . . كانَ عندي في غايةِ القِصَرِ[2] .

نقلَ ذٰلكَ محمَّدٌ المُظفَّريُّ ـ لطفَ اللهُ بهِ ـ مِن « تاريخِ ابنِ الفُراتِ » .

وُجِدَ في غاشيةِ النُّسخةِ (ج)

فائدةٌ : قالَ شخصٌ : إنَّهُ نقلَها مِن خطِّ الشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ الحِصْنيِّ[3] ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ مِنَ الأدعيةِ المُستجابةِ الَّتي تُنجي مِن كلِّ شدَّةٍ ممَّن تخافُهُ : (يا عُدَّتي عندَ شدَّتي ، ويا وَلِيَّ نعمتي ، ويا صاحبي عندَ كربتي ، ويا إلٰهي وإلٰهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، ويا كهيعص ، بحقِّ طٰه ويسٓ والقرآنِ العظيمِ ؛ ارزقْني معروفَهُ ومودَّتَهُ ، واصرفْ عنِّي أذاهُ ومعرَّتَهُ)[4] .

قالَ الرِّياشيُّ : (فواللهِ ؛ ما وقعتُ في شدَّةٍ فدعوتُ اللهَ عزَّ وجلَّ بهٰذا الدُّعاءِ إلَّا فرَّجَ عنِّي)[5] .

* * *

---

(١) ما بين معقوفين في (أ) : (آخر) ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج .

(٢) انظر « معجم الأدباء » (٧/١٥٣ ـ ١٥٤) ، و« إنباه الرواة » للقفطي (٣/٣٣٦ ـ ٣٣٧) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٢٢/١٦٤) ، و« وفيات الأعيان » (٥/٣٤٣ ـ ٣٤٤) .

(٣) هو أبو بكر بن محمَّد بن عبد المُؤمِن ، تقيُّ الدِّين ، الحِصْنيُّ الحسينيُّ ، الدِّمشقيُّ الشَّافعيُّ ، المتوفَّىٰ سنة (٨٢٩هـ) ، انظر « الضوء اللامع » (١١/٨١ ـ ٨٤) .

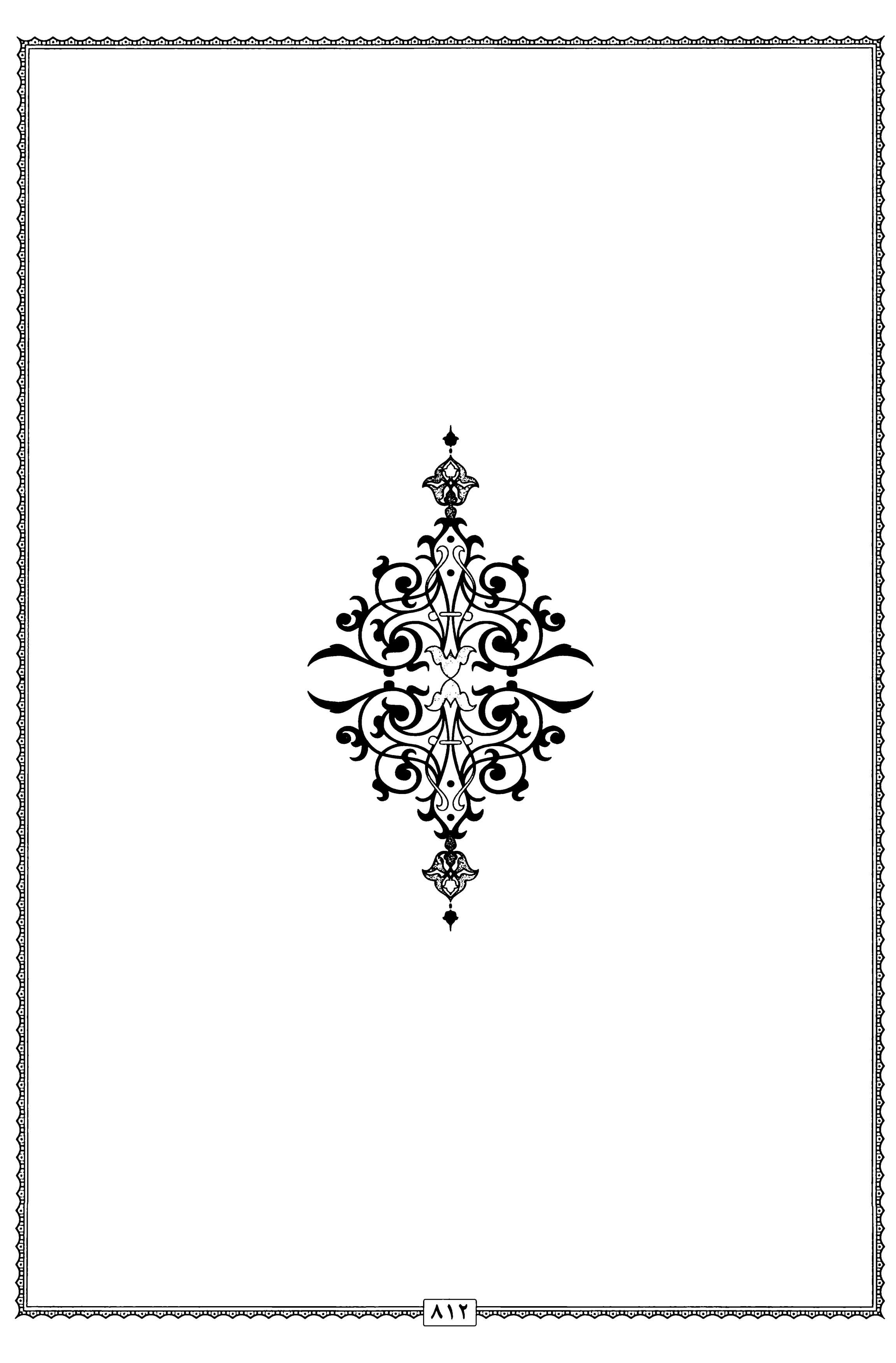
(٤) هو من دعاء الحسن البصريِّ لمَّا دخل على الحجَّاج ، أخرجه ابن الجوزي في « المنتظم » (٤/٣٨٨) ، وانظر « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٩/٢٢٦) .

(٥) انظر « المنتظم » (٤/٣٨٨) ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي (٩/٢٢٦) .



ثَبَتُ أسانيدِ المؤلِّفِ
في هٰذا الكِتابِ[1]

(١) هٰذا ثَبَت أسانيد العزِّ ابن جَماعة رحمه الله تعالىٰ إلى الرجال الذين انتقىٰ من كتبهم في هٰذا الكتاب ، رحمهم الله أجمعين ورضي عنهم .



إلى الخطيبِ البغداديِّ صاحبِ « تاريخِ بغدادَ »

ـ أخبرَنيَ المشايخُ المُسنِدونَ : ناصرُ الدِّينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ المُنعِمِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ غديرِ الطَّائيُّ الدِّمشقيُّ المعروفُ بابنِ القَوَّاسِ ، وجمالُ الدِّينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ سلامةَ الأنصاريُّ الدِّمشقيُّ ، ومُحيِي الدِّينِ أبو الفضلِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ المُنعِمِ بنِ خلفِ الدَّميريُّ ، وتاجُ الدِّينِ عبدُ الخالقِ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ سعيدِ بنِ علوانَ البَعْليُّ إذناً قالوا : أنبأَنا أبو اليُمنِ زيدُ بنُ الحسنِ بنِ زيدٍ الكِنْديُّ قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ الحسنِ ابنُ زُرَيقٍ الشَّيْبانيُّ القَزَّازُ قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ البغداديُّ .

إلىٰ أبي سعدٍ السَّمْعانيِّ صاحبِ « ذيلِ تاريخِ بغدادَ »

ـ أخبرَنا أبو الفضلِ أحمدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ابنُ عساكرَ الدِّمشقيُّ ، والشَّيخُ تاجُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ السَّلامِ بنِ المُطهَّرِ بنِ أبي سعدٍ عبدِ اللهِ بنِ مُحمَّدٍ ابنُ أبي عصرونٍ التَّميميُّ ، وأُمُّ محمَّدٍ زينبُ بنةُ عمرَ بنِ كِنْديٍّ الدِّمشقيَّةُ إجازةً قالوا : أنبأَنا أبو المُظفَّرِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ الحافظِ أبي سعدٍ عبدِ الكريمِ بنِ الإمامِ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ أبي المُظفَّرِ منصورٍ ابنُ السَّمْعانيِّ قالَ : أخبرَنا أبي ؛ أبو سعدٍ .

إلىٰ مُحِبِّ الدِّينِ ابنِ النَّجَّارِ صاحبِ « ذيلِ تاريخِ بغدادَ »

ـ أنبأَني غيرُ واحدٍ مِن مشايخي منهُمُ الحافظُ جمالُ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ الظَّاهريُّ ، عنِ الحافظِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ محاسنَ ابنِ النَّجَّارِ .

إلىٰ أبي بكرٍ الطُّرْطُوشيِّ صاحبِ « الفوائدِ المُنتخَبةِ »

ـ أنبأَنيَ المُحدِثُ شهابُ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ النَّصيرِ بنِ نبا المُقرِئُ قالَ : أخبرَنا

الحافظُ زكيُّ الدِّينِ أبو محمَّدٍ عبدُ العظيمِ بنُ عبدِ القويِّ بنِ عبدِ اللهِ المُنذِريُّ بقراءتي عليهِ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ قالَ : أنبأَني أبو طاهرٍ بركاتُ بنُ إبراهيمَ الخُشُوعيُّ ، عن أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ الوليدِ بنِ محمَّدِ بنِ خلفِ بنِ سليمانَ بنِ أيُّوبَ الفِهْريِّ الأَنْدَلُسيِّ الطُّرْطُوشيِّ .

إلىٰ رشيدِ الدِّينِ العَطَّارِ

ـ وأنبأَني عزُّ الدِّينِ أبو القاسمِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ الحسينيُّ ، والـمُحدِّثُ شهابُ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ النَّصيرِ بنِ نبا المُقرِئُ ، وأبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أبي الحسنِ عبدِ العظيمِ بنِ أبي الحسنِ الحصينِ قالوا : أخبرَنا الحافظُ رشيدُ الدِّينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ القرشيُّ العَطَّارُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قراءةً عليهِ .

إلى الحافظِ الدِّمْياطيِّ

ـ وأنبأَنيَ الحافظُ شرفُ الدِّينِ أبو محمَّدٍ عبدُ المُؤمِنِ بنُ أبي القاسمِ خلفِ بنِ أبي الحسنِ الدِّمْياطيُّ إذناً ومِن خطِّهِ نقلتُ .

إلىٰ أبي القاسمِ ابنِ عساكرَ صاحبِ « تاريخِ دِمشقَ »

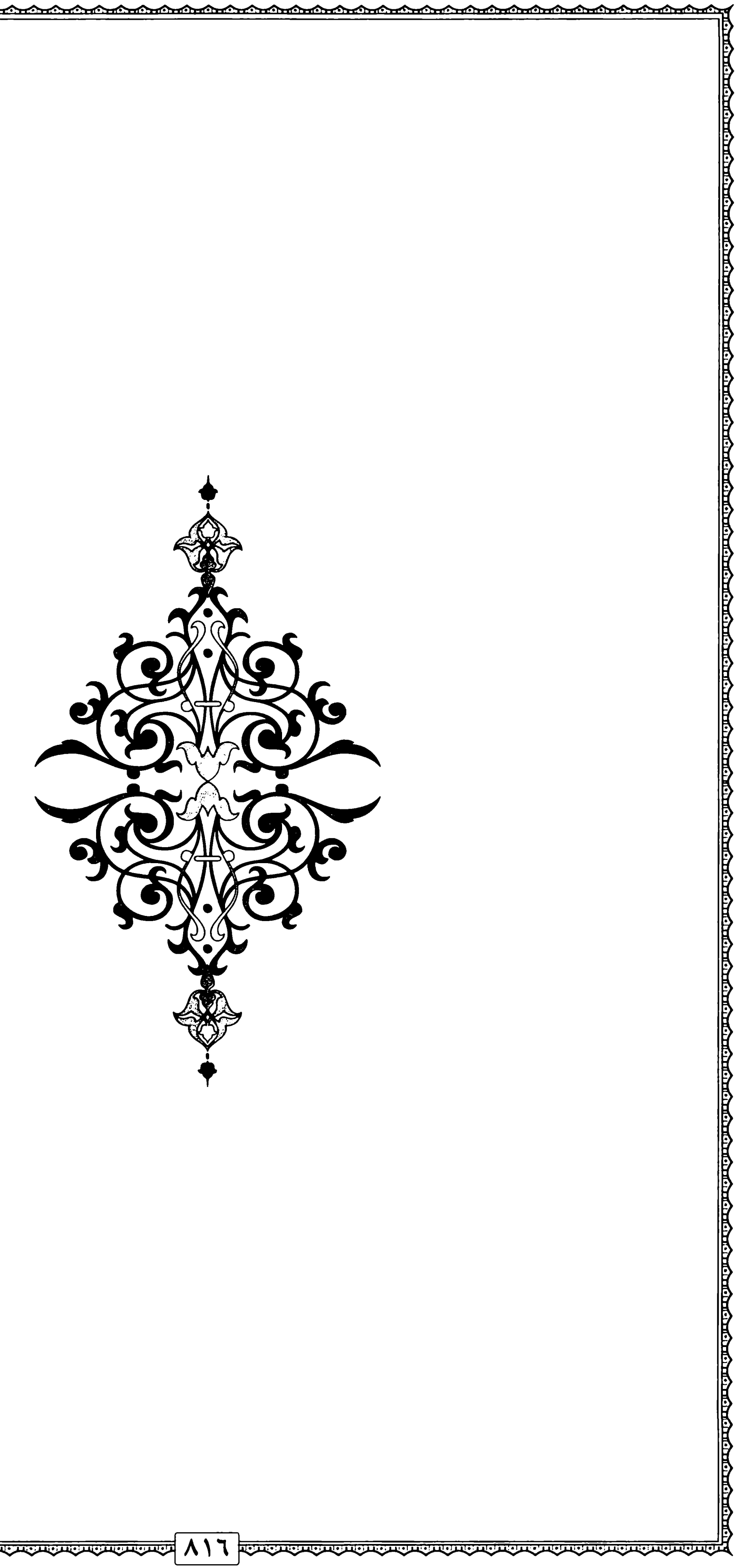
ـ وأنبأَني جماعةٌ مِن مشايخي منهُم والدي بدرُ الدِّينِ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ سعدِ اللهِ الكِنانيُّ الحَمَويُّ الشَّافعيُّ ، والحافظُ شرفُ الدِّينِ أبو محمَّدٍ عبدُ المُؤمِنِ بنُ أبي القاسمِ خلفِ بنِ أبي الحسنِ الدِّمْياطيُّ رحمَهُمُ اللهُ ، عن أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ المُفرجِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ المُفرجِ المعروفِ بابنِ مَسْلَمةَ ، وأبي محمَّدٍ مكِّيِّ بنِ أبي الغنائمِ المُسلَّمِ بنِ مكِّيٍّ القيسيِّ الدِّمشقيِّ .

وأنبأَنيَ الدِّمْياطيُّ ، وغيرُهُ ، عن أبي التُّقىٰ صالحِ بنِ أبي الحسنِ شجاعٍ الكِنانيِّ المُدْلِجيِّ .

وأنبأَنيَ الشَّيخُ شمسُ الدِّينِ أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الشِّيرازيُّ قالَ : أنبأَني

جدِّي أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ محمَّدٍ الشِّيرازيُّ ، قالَ الأربعةُ : أخبرَنا الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ ابنُ عساكرَ الدِّمشقيُّ ، قالَ أبو نصرٍ : قراءةً عليهِ وأنا أسمعُ ، وقالَ الآخرونَ : إجازةً .

* * *



مُحتوى الكتاب

* * *